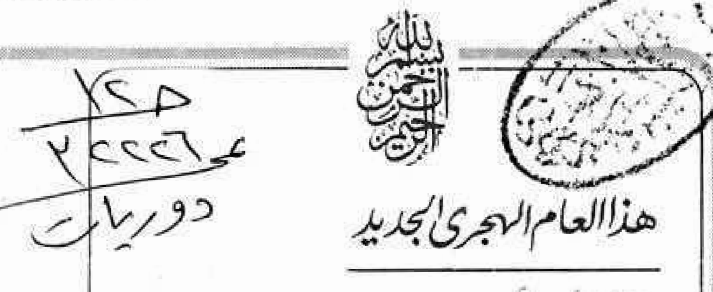

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

السنة الرابعة والستون
الجزء الاول
المحرم ١٤١٢هـ
يوليو ١٩٩١م

هذا العام الهجرى الجديد

نظرة أمل ودعوة عمل

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

اليوم مطلع العام الهجرى الجديد ، نامل ان يكون موقظاً للشعور بثقل الأعباء التى تنوء بها كواهل الشعوب الإسلامية ، وحافزاً للهمم وهادياً إلى شرف الغاية .

يستقبله كل مسلم وكل مسلمة ، فتعاوده ذكرى هجرة رسول الله محمد ﷺ ـ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى سبيل الدين ، تلك الهجرة التى استمدت روحها وخطها من وحى الله ، ونسجها من خلق رسول الله ، واستقرت احداثها ومقاصدها فى قلوب ومسامع الأجيال مثلاً مضروبا لقواد الإنسانية عامة وقادة المسلمين خاصة ، يستلهمون منها الصبر على المكاره ، والاستمساك فى مزالق الفتن ، والاستبسال فى مواطن المحن والاستشهاد فى سبيل المبدأ الحق والاعتقاد الصادق .

لقد بلغ الرسول ﷺ رسالة ربه ، حين امره فى قوله سبحانه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ « الشعراء » ٢١٤ .

ثم جهر بدعوته ، وصدع بالحق الذى جاء به حين نزل عليه قول ربه فى القران : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ « الحجر » ٩٤ .

ولقد تألبت ضده حماقات الشرك والعصبية،وعداوات الحسد والمنافسة،وحرمان الفقراء،فما وهن عزمه ، وما استكانت عزيمته ، حين أبت قفار مكة أن ينبت بها هذا الدين ، هذا الغرس الإلهى ، وبعد صبر ومصابرة ومثابرة ، وإعداد واستعداد ، وتكوين للعصبة أولى القوة بالإسلام وبالإيمان وبصدق العزم على بيعهم أنفسهم وأموالهم لله نصرة لدينه ، هاجر الرسول ﷺ تحرسه وتحميه عين الله ورعايته .

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ « التوبة » ٤٠ . قالها الرسول لصاحبه فى الغار إخبارا بوعد الله وحفظه .

وهنالك فى دار الهجرة ـ بالصدق وبالإيمان وبالصبر ، وبالرجولة وثباتها وإقدامها أثمر غرس الدعوة الإسلامية،وانتشر نور الله وصارت القلة المؤمنة من المهاجرين والأنصار ملة ، وصارت القرى الثلاث التى شرفت بِخُطَا رسول الله ﷺ ـ (مكة ـ الطائف ـ المدينة المنورة) بمثابة قارات ثلاث ، فقد امتد الإسلام ـ فى مدة وجيزة ـ إلى آسيا وأفريقية وأوروبا) .

هذا هو العام الهجرى الجديد يهل ، فهل راجعنا السجل ، سجل الأَلْفِ ومابعدها من أعوام الهجرة منذ كانت ، لنقرأ ماخطه التاريخ من أمجاد أمة ..

إن فعلنا عثرنا على مجد العرب والمصريين بل والمسلمين أجمعين،وسمعنا صوت الأجداد يهيب بنا أن نستلهم الدين ، ونستحث القادة ، ونجمع الشمل ـ بدلاً من مجرد قرع الطبول بالويل والثبور ، وقتل الزمن فى تأييد رأى وتفنيد رأى ، أو فى زفاف البُشرى،لو فعلنا لخجلنا من هذا الموقف السلبى ضد الأحداث ، وفقط:نصور الخطط بالكلام ، ونطلب النصر فى الأحلام .

انطوت صفحة عام هجرى ، ولم تُسَجِّل فى أوطان المسلمين ـ لا سيما العرب ـ غيرَ الأسى والألم فهذه الأهواء المتصارعة ، والأقلام المتنازعة المتدافعة ، فى غير قضية ، وإنما فى أطماع متعارضة وفردية طاغية ، وأَثَرَةٍ تسف وخصومة تكيد ولا تكف ، وشعوب تكابد داء الغرور فى زعمائها ، وتكاد تستجير بعدوها من أوليائها ، ننظر هذه الشعوب ، فنرى فى يدها العتاد ، وفى طبعها الاستعداد ، ومع هذا فما تزال وضيعة الشأن فى الحياة لا يثقل بها الميزان؛لأنها تفرقت سدى ، واستثمر عدوها هذا التمزق فأشعل الفتيل ناراً ، وما أن تطفأ حتى تندلع هنا وهناك .

هذه فلسطين البائسة ، من دماء أبنائها كان المداد ، ومن نشيج بكائها كان هذا الْكَلِم ، بيعت فى سوق السياسة منذ وقعت فريسة ، تزايد فى هذا السوق أهلها العرب بالحق ، وقالوا : إن الحق رأى واجتهاد ، وبالقانون ، وماكان القانون إلا ورقاً ومداداً من صنع الإنسان الذى تتغلب عليه الأهواء والمطامع دون التزام بحقوق الإنسان التى جاءت بها شريعة الإسلام .

ثم هؤلاء يهود العالم كله بقيادة الصهيونية يدخلون هذا السوق:الذهب . وما أدراك ماالذهب ؟ به يكون الباطل حقاً ، وينزوى الحق حتى يجد من ينتصر له ، وإلى أن يفيق الأنصار ، يظل العرب فى فلسطين مقضياً عليهم بالفشل والتشريد ، حتى تهودت القدس أو كادت ، فقد وقعت أسيرة منذ أكثر من أربعين عاماً ، يدافع أهلها بأجسادهم عن الأقصى وسائر مقدسات المسلمين والنصارى فى هذه البقاع التى كرمها الله ، فقد جردوا من كل سلاح إلا الإيمان بالله ، وبأن النصر مع الصبر،وبأن مع العسر يسرا ، ذلك أنهم استمعوا إلى قول الله سبحانه فى القرآن حثا على حماية المساجد ودور العبادة فى سورة الحج : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ « الحج » ٣٩ ، ٤٠ .

استمعوا إلى هذا فأيقنوا أنهم مكلفون بالدفاع عن مساجدهم ولو تكلفوا ذات نفوسهم وأولادهم ،

فأقاموا أجسادهم دون جدران المسجد الأقصى يتلقون بدلاً منها الطعنات والطلقات ومعاول الهدم وحفر الأنفاق ، وإخوانهم فى الأوطان الأخرى من حولهم ينظرون إليهم نظر العُوّاد إلى المريض ، يؤنسونه بالبكاء،والبكاء لا يدفع الموت.ويسعفونه بالدعاء ، والدعاء-وحده-لا يرفع الواقع الذى يكابده .

لو انتفعنا بذكريات الهجرة واستفدنا من دروسها لما بددنا الجهود فى التجارب،وافسدنا أمورنا بالتردد ، ذلك أن لنا تاريخا إنسانيا حافلاً،فيه لكل عظيمة موقف ، ولكل ملمة تجربة،وأن لنا دستوراً كاملاً فيه لكل قضية دليل ومخرج ، فإذا التمسنا دليلنا من وحى الله،واقتبسنا استدلالنا من روح السلف الصالح،واستقمنا كما استقام سلفنا على الطريقة التى سنها وانتهجها الرسول ﷺ - لاتجهنا جميعاً إلى الغاية وانتهينا عندها إلى القوة والوحدة .

إن من سمة الإسلام أنه دين يقوم على التوحيد . وعموم الرسالة للناس أجمعين ، قال الله لنبيه ﷺ - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيرًا ﴾ « سبأ » ٢٨ . وقال : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ « الاعراف » ١٥٨ .

فجاءت أحكام هذه الرسالة هادية للأبيض والأسود والأحمر ، تقرر المساواة بين البشر ، والإخاء بين المؤمنين ، والعدل بين الناس أجمعين،وجاءت عباداتها نقية خالصة لله رب العالمين .

وكانت الهجرة إيذانا بمجتمع مسلم ، ينتظم جميع الأجناس والاقوام بألوانهم ولغاتهم ، ويحتوى خصائص البشر وكفاياتها ، وينسق بين جماعاتها ويخلصها للإسلام ، ويعقد الإخاء بينها على اختلاف ألوانها والسنتها،ويربط بينها بروابط الحب ، ومشاعر الرحم والقرابة ، ووحدة الغاية ، وسمو الأهداف ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ « الحجرات » ١٠ .

فظهرت بالهجرة أمة إسلامية نبيلة السمات ، تنتصر للحق ابتغاء وجه الله ، فكانت حضارتها ظاهرة ، سامقة بين حضارات التاريخ ..

وتفرد مجتمع الهجرة فى الحياة العملية بمنهج رفيع ، يعلى خصائص الإنسان العليا ، وينميها ، ويتسامى بها ، ويبث مشاعر الإخاء بين المسلمين ويؤكد روابط الحب والالفة بينهم : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَافِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « الانفال » ٦٣ .

بهذه السمات والمشاعر كان مجتمع الهجرة مجتمع الرضوان : ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . . « المجادلة » ٢٢ .

لقد بارك الله هذا المجتمع وصلى عليه فقال : ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ « الأحزاب » ٤٣ .

فكان المجتمع الذى طهره الله وأتم عليه نعمته ، وخاطبه بقوله : ﴿ مَايُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ « المائدة » ٦ . ويقول : ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ « المائدة » ٣ .

وجماع ذلك أن الهجرة أنبتت خير المجتمعات ، فقد قال الله فى ذلك : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ « آل عمران » ١١٠ .

فهو المجتمع الذى استمسك بالمثل والمبادىء التى جاء بها الوحى،واعتصم بأحكام الإسلام وتحلى بأخلاق القرآن ، ورعى أواصر الإخاء والوحدة بين المؤمنين التى أمر الله برعايتها .

فكانت هجرة إلى النصر ، وإلى السمو الإنسانى ، وإلى الحضارة .. ولن يصلح حاضر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : اعتصام بالدين وعمل جاد للمعاش والحياة ، ورعاية لما أمر الله به ووثقه من أواصر الوحدة والإخاء بين المسلمين .

وما أحوج المسلمين اليوم وقد أظلتهم هذه الذكرى أن يهاجروا إلى الله بالعمل ، فيهجروا مانهى الله عنه من الخلاف والفرقة ، والشقاق والنفاق ، وسوء الأخلاق ، والتهجم على الإسلام والتخلى عن آدابه ، وأن يعودوا إلى دعائم الإيمان من التراحم ، والتواصل والإخاء الوثيق ، والتعاون على البر والتقوى ..

هذا من عهد الإيمان : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ « الفتح » ١٠ .

إن الإسلام يفرض على المسلمين جميعاً حكاما ومحكومين ان يتناصحوا ، وأن يرتفعوا فوق الشقاق والخلافات ، وأن يعفوا ويصفحوا عما كان ، أملاً فيما يكون من وحدة الصف ، وجمع الكلمة دفاعاً عن الأمة التى استهان بها غيرها ، وتخطفها الناس من حولها ..

إن المتغيرات التى حدثت فى العالم المعاصر تنبىء عن أحداث جسام تقتضى الحذر واليقظة والإعداد والاستعداد ، واستشعار الأخطار المحدقة ببلاد العرب قاطبة وبالمسلمين عامة ، فقد سقطت الأقنعة وانخذلت الصداقة،واختفى الصدق،وانكشف المستور الذى يراد بهذه الأمة ، فهذا التكتل والتجمع البشرى الصهيونى فى القدس الشريف وماحولها يتنادون من كل مكان اغتصابا لما بقى من أرض .

وهذه « افغانستان » لايزال النزال بين حق المجاهدين وباطل الآخرين محتدماً،وقد تعالت عليه أصوات الحادثات والنوازل التى أطبقت على أمة المسلمين .

فى العام الهجرى الذى انصرم من عمر هذه الحياة ، وقلت الإمدادات أو توقفت ، وهذه الانفجارات التى تحدث على أرض المسلمين حتى صار بأس المسلمين بينهم شديداً،وأصبحت قلوبهم شتى ، وكلما تقاربت القلوب أوقد الأعداء نيران الخلافات،وأشعلوا الحروب بين الشعوب الإسلامية وحكامها ، وانساق هؤلاء وأولئك حتى صاروا وقودا للحرب وإمّعات للفتن ، وكل يدعى أنه يعمل للإسلام وبالإسلام وما هم فى هذا وذاك من هدى الإسلام فى شىء .

ألا فليكف أولئك المتنازعون فى « الجزائر » وغيرها من بلاد الإسلام عما وقعوا فيه ، وليذكروا قول الرسول ﷺ ـ صاحب الهجرة : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » رواه الشيخان

احذروا أيها المسلمون مايراد بأمتكم وشعوبكم من فرقة وإفساد،واعلموا أن ما حدث ويحدث على أرضكم كان وسيظل امتهانا لأمة عريقة الحضارة قدمت للإنسانية أسمى الأخلاق وأرقى العادات والأعراف ، وعَلّمت الجاهل ، وهدت الضال ..

وشتان بين الهجرة الخيرة المثمرة الهادية التى تمر بنا ذكراها فنأخذ منها الهدى والرشاد ، وبين هجرة آثمة معتدية ومهجرين مُستأجَرين للعدوان على أهل الديار وأصحابها،جاءوا مفسدين مخربين للعامر يهلكون الحرث والنسل ، ولا مناص من أن تتجسد الأمة الإسلامية كافة جسداً واحداً كما وصفها رسول الله ﷺ ـ صاحب هذه الذكرى فى الحديث الذى رواه مسلم عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ ـ قال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ..

وإن من أخطر ما في عصرنا هذه المشابهة والمشاكلة التى يقلد فيها أهل الإسلام غيرهم ، فإنها وإن كانت ظاهرية لكنها تجر إلى مشابهة ومشاكلة فى أمور أخرى ، تصرف عن حقائق الإسلام إلى أباطيل خصومه ، وتستتبع تآلفا وتنسيقاً بل واندماجا فى الفعال والخصال ، وفى ذلك إضعاف لشخصية المسلم ، بل إزهاق لميزاته ومميزاته .

فمن الهجرة المطلوبة فى عصرنا وبحكم الإسلام أن نهجر تقاليد غيرنا،وأن نتحفظ فى متابعتهم حذراً من الوقوع فيما يخالف أحكام الإسلام .

وأخص بالذكر هؤلاء الذين فتنوا من المسلمين وافتتنوا بمحاكاة الأمم غير المسلمة فى عاداتهم وأزيائهم وسلوكهم ، حتى فيما ينافى المروءة والغيرة يحسبونه هينا ، وهو عند الله عظيم ، وباب خطر داهم ، ليس فى أمر الإسلام:عقيدته وشريعته فحسب ، بل وفى أمر هذه الحياة ؛ إذ أن هذه المتابعة ـ دون حذر وتَروّ ـ طريق انحلال الأمم وفنائها،وتسلط غيرها عليها بعد ذوبان مقوماتها .

فى ذكرى الهجرة النبوية يلزمنا هجرة السوء وتركه أيا كان نوعه أو وصفه ونسقه ، وأن نهاجر إلى الله بعبادته كما فرض وأمر ، وبإحسان معاملة الخلق ، كما أرشدنا رسول الله ﷺ فى الكثير من أقواله ، بل وفى سلوكه ومودته ، ومحبته للناس وإيثاره إياهم بكل خير ، والوقوف معهم فى كل محنة،والنزوع بهم إلى كل سلوك حميد أو محمود .

اهجروا الخيانة ما ظهر منها وما بطن فى الأقوال والأفعال ، واصدقوا مع الله ومع رسوله تنعموا فى دنياكم ويوم لقائكم ربكم ، وليصدق القول العمل ، ولنكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ونبتعد عن المراء والجدل لتتوثق صلاتنا ، وتزداد مودتنا ، وتعود أمتنا إلى متانة بنيانها وحسن أخلاقها وصدق تعاونها . وليدرس أهل الإسلام سيرة الهجرة ومسيرها درس استنباط ، ليأخذوا منها الهدى والحل لأزماتهم المتلاحقة التى حاقت بالمسلمين فأوهنت البنيان وزلزلت الأقدام ، وتقلصت الأواصر التى كانت للأمة رباطاً .

لقد أنشأت الهجرة مجتمعَ المدينة ، تقوده عقيدته وأخلاقه ، مجتمعاً تطهر من نزوات الطيش والبطش والاستغلال واستقرت فيه الفضائل ، حتى أُشربت بها عقول المسلمين وقلوبهم ، فكانوا هداة صالحين قادة ، بهم تم البناء وفيهم كمل الدين ، وأصبحت بهم المدينة قاعدة لأمة فاضلة لم تلبث أن عبرت هدايتها إلى الآفاق فى كل اتجاه .

إن على المسلمين أن يتذكروا ماضيهم ليصلحوا به حاضرهم،ويُؤَمِّنُوا طريق مستقبلهم ، ملتزمين بأوامر الله فى القرآن وبسنة رسول الله : إنهم إن فعلوا ذلك ارتفعوا فوق الأحداث ، وهانت تحت أقدامهم الخطوب ، وانجابت عنهم الكروب ، واجتمع شملهم وتوحدت كلمتهم .

باسم الأزهر الشريف أدعو علماء المسلمين فى كل أقطار الأرض أن ينصحوا الأمة ، وأن يفصحوا عن كلمة الله التى حَمَّلهم إياها حتى لا تكون فتنة بين المسلمين،وأن يكونوا جميعاً على قلب رجل واحد .

أسأل الله أن يجعل هلال شهر المحرم بشيرا لأمة الإسلام بالانتصار ليحل عليها السلام والوئام .

إن ربى لسميع الدعاء وإنه لغفور رحيم .

وتهنئة خالصة بهذا العام المبارك إلى ملوك المسلمين ورؤسائهم وأمرائهم وسائر مجتمعاتهم فى أقطار الأرض : ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ . .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

هجرات غير المكيين

د . على أحمد الخطيب

ما اكثر ما تطغى ميادين الحوادث ـ وهى بِكْر ـ على الحوادث نفسها فى بقاع أُخَر بعيداً عن مهدها الأول ، وهذا ما حدث بشان إسلام من اسلم ـ خارج حدود مكة ، وفى اى مكان بالجزيرة العربية قبل هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

لقد استاثرت مكة ـ فِعْلاً ـ بجذب وعى المسلمين ، ولا تزال ـ إلى مواقف ساكنيها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إبان حياتَيْهِ جميعا ، قبل الرسالة ثم بعدها حتى هجرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلولا مايفرضه البحث ـ من وجوب الفحص عن موضوع بميادين وقوعه جميعا ، لفقد تاريخ الهجرة الإسلامية عصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هجراتٍ عدة لها خطوطُها من كل انحاء الجزيرة ظاعنة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمؤمنين آزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه ـ صلوات الله وسلامه عليه .

ولنبتعد قليلاً ـ عن مكة ـ بؤرة الحوادث ـ فى هذا المقال لنرى ما أحدثته « دعوة التوحيد » خارجها : وسوف نجد ـ باختصار شديد ـ أن مكة نجحت فى : « بث الدعوة » وأن المدينة نجحت فى « إرساء قواعدها » ذلك :

أ ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام بـ « قوة دفع » شديدة ومتواصلة لدعوته عجزت أمامها قوى قريش مجتمعة أن تحول بينها وبين امتداد إذاعتها فى الناس حتى طرقت تخوم الجزيرة العربية نفسها بكل مكان ، فَعلِم بالدعوة ساداتُ العرب ودهماؤهم ، وآمن كثير منهم.. كثير فوق الإحصاء.. آمنوا مثلما آمن معظم بيوتات المدينة ، ورسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائم بمكة ، يروح ويغدو بين ظهرانيها لم يأذن الله ـ سبحانه ـ له بعد بالهجرة .

وكانت وسيلة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بثه للدعوة بسيطة للغاية ـ بعد تجربة الطائف : فما أن يعلم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشريف يَقْدم مكة من اى القبائل حتى يسرع ـ عليه الصلاة والسلام ـ إليه بدعوته ... آمن أم لم يؤمن .

وإذا جاءت مواسم العمرة والحج ، وانتشرت مضارب القبائل من مكة إلى عرفة سعى بينها ودعاها ... آمنت أم لم تؤمن ـ كان ذلك دأبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من قبل الطائف ـ وبعده

رأى رسول الله أشراف الناس من كل فجاجها رأى العين واستمعوا له وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يبالى بأبى لهب وأبى جهل ، وهما خلفه يحضون الناس على عدم السمع له ؛ بل كان سلوك المكيين هذا مثيراً فى ذاته للبحث عن « محمد » صلى الله عليه وسلم ، والاستماع إليه .

ب ـ ولم يكن عجيبا ـ أمام هذا المنهج ـ أن تسعى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جماعات وأفراد ، ويجتمعون إليه ، ويستمعون منه ، ويسألونه أن يعرض عليهم دينه ، ثم يجيبوه إليه ، ومن بعد ينطلقون دعاة فى قومهم فيؤمن منهم من يؤمن ، ثم يلحقون برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهاجرين من ديارهم المختلفة بالجزيرة العربية حينَ علموا بهجرته ـ عليه الصلاة والسلام .

ونلاحظ أن معظم هذه الطوائف المباركة لم تطعن فى رسول الله ، أو تخاصم ، بل سلمت وجوهها لله ، ثم لرسوله مطيعة راضية ، وكان ذلك أولى بالمكيين الذين ظلوا يلقبون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بـ « الأمين » برغم الحوادث ، وما بينهم وبينه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من اشتباك .

جـ ـ تختلف هجرة من هاجر من هؤلاء المباركين من أنحائهم الشتى عن هجرة المؤمنين المَكِّيين ، فقد كان المكيون المؤمنون مطاردين مطلوبين ، أو مُضَيَّقاً عليهم فى خير الظروف ، ولم يكن كذلك حال أكثر المهاجرين من غير مكة ، فقد خرجوا مختارين لا يسوقهم قهر ، ولا يقودهم اضطهاد حتى قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبرورين . وينبغى أن نعقب على هذه الثلاث بملاحظة لتحديد ميدان الموضوع وزمانه ؛ فنقول : إننا نتكلم عن قوم لا شأن لهم بـ « الوفود » التى جاءت تَتْرَى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بعد غزوة ثقيف .. أى بعد العام الثامن للهجرة ؛ فنحن هنا نتحدث عن غير المكيين من أفراد أو جماعات أسلمت على يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بمكة ، فنستبين « قوة الدفع » وتلاحقها اللذين عمل بهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقومُهُ أشد ما كانوا خلافا معه وفراقا لدينه .

وهذه صورة مركزة لبيان هذا البلاغ القوى المتدفق ننقلها عن الإمام المؤرخ الثقة محمد بن عمر الواقدى ، فقد استقصى هذا الإمام خبر القبائل التى دعاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى التوحيد ونبذ الشرك واحدة واحدة ، فذكر بنى عامر بن صعصعة ، وغسان وبنى فزارة ، وبنى مُرَّة ، وبنى حنيفة ، وبنى سليم ، وبنى عبس ، وبنى نضر بن هوازن ، وبنى ثعلبة بن عُكابة ، وكندة ، وكلباً وبنى الحارث بن كعب ، وبنى عذرة ، وقيس بن الحطيم .. وغيرهم .

وإذا نحن طرحنا هذا القدر من الأسماء على (مُصَوَّر) مواطن القبائل بالجزيرة الذى وضعه صاحبا الوسيط ، والأستاذ الشيخ محمد مختار يونس ، وجدناه مستوعبا لأركان الجزيرة وداخلها .

وبعد : فلنقدم نماذج لبعض هؤلاء المؤمنين : جماعات وأفراداً بالقدر المناسب للمجلة .

١ ـ فنذكر : من بنى عامر بن صعصعة ثلاثة آمنوا راضين مرضيين هم :

غطيف ، وغطفان ابنا سهل ، وعروة ، أو عذرة بن عبد الله بن سلمة العامرى ـ رضى الله عنهم ... وشارك الثلاثة فى الجهاد فيما بعد وقتلوا شهداء .

وسَبَقَت إلى الإسلام من بنى عامر ضُباعةُ بنت عامر بن قُرْط العامرية قال .. فى « أسد الغابة » : « أسلمت بمكة » .

ويوم عاد بقية بنى عامر الذين لم يؤمنوا إلى ديارهم وحدثوا ـ شيخا لهم أدركَتْهُ السِّنُّ بخبر رسول

هجـرات غيـر المكيـين

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وضع الرجل يده على رأسه أسفا لعدم استجابتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال :

يابنى عامر ، هل لها من تَلَاف ؟ [أى إدراك] هل لِذُنَابَاها من مطلب،والذى نفس فلان [يعنى نفسه] بيده ماتَقَوَّلَهَا إسماعيلىٌّ قط ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم !!!

مساكن قبيلة عامر هذه تتوسط الجزيرة إلى الغرب قليلا إلى الشمال من مكة

٢ ـ وفد نصارى نجران :

روى البيهقى ـ بسنده ـ إلى ابن إسحاق قال :

.. قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا ـ وهو بمكة ـ أو قريب من ذلك ، من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة ، فوجدوه فى المجلس ، فكلموه وسألوه ، ورجال قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الله ـ عز وجل ـ وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له ، وآمنوا به ، وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره .

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش ، فقال : خَيَّبَكُمُ الله من رَكْب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبا أحمق منكم ...

قالوا لهم : لا نجاهلكم ، سلام عليكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نَأْلُونُّ أنفسَنا خيراً . ا هـ .

يُرجّح أنهم نصارى نجران : قربهم من أخبار الحبشة ، وعلمهم بالعربية دون ترجمان . والله أعلم .

٣ ـ وهؤلاء بعض أفراد سادة مقدمين :

أ ـ إياس بن معاذ الأوسى الأشهلى ، سمع من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدعوة إلى الإيمان بالله ـ وحده ـ قبل العقبة بكثير ، ولم يلبث أن توفى ، وهو أول من آمن من أهل المدينة قال محمود بن لبيد : فأخبرنى من حضره من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فكانوا لايشكون أنه مات مسلما .

ب ـ ضماد بن ثعلبة الأزدى من أزْد شَنُوءة ، قدم مكة ، وسمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له » ثلاثا .

فقال : والله ، لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ولقد بلغت قاموس البحر[١] . فهلم يدك أبايعك على الإسلام !

---

(١) أى أبعد موضع فيه غورا .

فبايعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : وعلى قومك ؟ فقال : وعلى قومى . وشَنُوءة مِخْلاف[٢] باليمن منه هؤلاء القوم .

عن « مسلم والبيهقى » .

جـ ـ مازن بن العضوب الخطامي الطائي ، وخطامة بطن من طيىء . ومواطن طيىء شمال الجزيرة الأعلى أقرب إلى الشرق .

وفى « أسد الغابة » مازن بن الغَضُوبة .

سكن مازن قرية « سمايا » من أرض « عُمان » وسمع بدعوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانطلق إليه يقول : ركبت راحلتى حتى قدمت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فشرح الله صدرى للإسلام فأسلمت .

التمس مازن دعاء رسول الله فيما رأى من بلاء يأتيه،فدعا له رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فقال :

« اللهم أَبْدِلْهُ بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالإثم وبالعُهْرِ عفة ، وآته الحياء ، وهب له الولد »

قال : فَأَذهب الله عنى ما أجد !! .

وأَكْبَرَهُ قومُهُ فراسهم،وأسلموا جميعا .

د ـ الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص ذو النور الأزدى الدوسى.كان سيدا مطاعا شريفا فى دَوْس . ومنازل « دوس » إلى الغرب بين مكة والأحقاف .

قدم الطفيل مكة فحذره مشركوها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى وضع « الكُرْسُفَ »[٣] فى أذنيه كيلا يسمعه ، ثم استاء من نفسه فقال : « وَاثُكْلَ أمى ، والله إنى لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى على الحَسَنُ من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؛ فإن كان حسنا قبلتُه ، وإن كان قبيحا تركته » فالتقى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعرض عليه الإسلام وتلا عليه القرآن . قال :

فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يانبى الله ، إنى امرؤ مطاع فى قومى ، وإنى راجع إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه .

فدعا له .

وعاد إلى قومه بآيته تنير عصاه فأسلم أبواه وزوجُهُ ، وكثيرٌ من قومه ، ولم يزل يدعو بقيتهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهاجر إليه بمن أسلم من قومه .

وللطفيل جهاد إلى جانب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذى هدم الوثن المسمى « ذا الكفين » ، وقتل شهيدا باليمامة ـ رضى الله عنه .

هـ ـ وإسلام النجاشى ـ رضى الله عنه ـ قِصَّةٌ وحده معروفة ، وقد منعته إدارة الملك عن الهجرة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومات فنعاه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصحابه ، وصلى عليه .

---

(٢) شَنُوءة مقاطعة باليمن كالمحافظة فى تعبيرنا العصرى .

(٣) القطن .

هجـرات غيـر المكييـن

وإسلامه ، وتوسعته على المهاجرين الأولين بأرضه كانا بثًا للإسلام فى هذه الديار ، وتعريفا به - فيما بعد - بديار الرومانية الشرقية .

و - أبو ذر الغفارى - رضى الله عنه - وكنيته أشهر من اسمه، وأصح ما قيل فيه أنه : جُندَب بن جُنادة ابن قيس بن عمرو بن مُلَيْل - ينتهى إلى غِفَار .. قبيلة من قبائل الشمال بين مكة والمدينة إلى الغرب .. أسلم قديما ويُعد من كبار الصحابة وفضلائهم .. قيل : أسلم بعد أربعة فكان خامساً[٤] .

كان ممن يبحث عن الدين حتى هداه الله - سبحانه - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسمع من قوله وأسلم مكانه ، فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم : ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى .

أسلم أبو ذر ، وأسلم معه أخوه أُنَيْس وأمهما ، قال ابن كثير : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أى لأبى ذر : « إنى قد وُجِّهت إلى أرض ذات نخل ، ولا أحسبها إلا يثرب فهل أنت مُبَلِّغٌ عنى قومك ، لعل الله ينفعهم بك ويَأْجُرُك فيهم » .

قال أبو ذر : فتحملنا حتى أتينا قومنا (غِفَار) .. فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، وكان يَؤُمُّهُم خِفَافُ بن إيماء بن رَحْضَة الغفارى، ثم أسلم بقية قومه .

ولأبى ذر - رضوان الله عليه - جهاد معروف . ومن قديم مَنْ أسلم من قومه صحابى جليل عُرِف بلقب آبى اللحم ، يتصدر أسماء الصحابة لدى من كتب عنهم .

ز - أبو موسى الأشعرى : عبدالله بن قيس بن سُلَيم بن حضَّار ، ينتهى إلى الأشعر بن أُدَد .

أسلم قديما بمكة ، ثم رجع إلى بلاد قومه باليمن ، فلم يزل بها داعيا يُستجاب له ، يدلنا على ذلك : أنه لما سمع بهجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة قدم هو وأناس من الأشعريين مهاجرين فى بضعة وخمسين رجلا فى سفينة فألقتهم سفينتهم إلى النجاشى بأرض الحبشة فأقاموا فترة حتى قدموا ومهاجرة الحبشة ومعهم جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنهم - جميعا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زمن خيبر .

وبعد فتلك نُبْذَةٌ من تاريخ جماعة أو أفراد أَوَوْا إلى مكة وأسلموا على يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم عادوا إلى قومهم دعاة مخلصين فانتفع بهم أقوامهم ، قبل أن ينطلقوا جميعا مهاجرين إلى حيث هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشاركوا فى الفتوح والدعوة كما شاركوا فى الرواية عنه - عليه الصلاة والسلام[*] .

---

(٤) العدد فى مثل هذا يعتبر أَوَّلَهُ أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - فهو أول من أسلم من الرجال .

* راجع فيمن أسلم من هؤلاء وأمثالهم من غير المكيين :

(أ) أسد الغابة ١/٤٥ و١٨٦ - ٢/٢١٣ - ٣/٥٦ و٧٨ - ٤/١٨٤ - ٥/٦ و٢٨٥ - ٦/٩٩ و٣٠٦ و٧/١٧٨ ط الشعب .

(ب) سيرة ابن كثير : ١/١٦٧ و٣٤٩ و٤٤٧ و٤٥٢ - ٢/٣ إلى ٣١ و٤٠ و٧٢ و١٥٠ إلى ١٥٢ و١٥٦ ط عيسى الحلبى .

(حـ) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٣٢ و٧٧ و٧٨ و٨٥ مكتبة المتنبى .

المفهوم الحيوى للهجرة

للأستاذ/
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

يمر حدث الهجرة النبوية المباركة على المسلمين كل عام ، فيتذكرون خطوات النبى -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى المدينة ، وقد سبقه كثير من أصحابه الذين أسلموا مبكرين إلى هذا الوطن الجديد ، وقد أصبح بالنسبة لهم وطنا ثانياً أحبوه كحبهم لوطنهم الأول أو أشد ؛ بل لقد أصبحت المدينة فعلا هى الوطن الأم بالنسبة لهم ، فإذا ما ذهبوا إلى مكة أسرعوا عائدين منها إلى المدينة بعد انتهاء عمرتهم أو حجهم أو زيارتهم ، واعتبروا أنفسهم فى حالة سفر - لا إقامة - فى أثناء وجودهم بمكة[1] .

ولقد كانت الهجرة شرطا من شرائط الإيمان ، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ النساء ٨٩ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا . . ﴾ - الأنفال ٧٢ -

المفهوم اللغوى للهجرة :

ومفهوم الهجرة اللغوى يوحى بترك الوطن ، وعلماء اللغة يقولون : هجر الشىء : تركه إلى غير رجعة ، والهجرة ضد الوصل ، قال ابن منظور فى لسان العرب : الهِجرة - بكسر الهاء - والهُجرة - بضمها - : الخروج من أرض إلى أرض .

وقد لا يتلفت الهاجر إلى المكان الذى يهجره ولا يتذكره ، وربما لا يطرأ له على بال ، بعكس المهاجر - من هاجر - الذى لا ينسى وطنه ، ولذلك يقال : هاجر النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا يقال : هجر ، ويقال : المدينة مُهَاجَر المسلمين ولا يقال : مهجرهم .

وقال الأزهرى - فيما يحكيه صاحب لسان العرب أيضاً - : وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوى من باديته إلى المدن ، يقال : هاجر

(١) ذلك أنهم ما كانوا يقيمون بمكة إلا فترة قضاء النسك ؛ لأنهم إنما هجروا مكة فى سبيل الله ، فما كان لهم أن يقيموا فيها مرة أخرى .

المفهوم الحيوى للهجرة

الرجل إذا فعل ذلك ، وكذلك كل تارك مسكنه ، منتقل إلى قوم آخرين بسكناه فقد هاجر قومه .

قال : وسمى المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التى نشأوا فيها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم فيها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة . فكل من فارق بلده من بدوى أو حضرى أو سكن بلداً آخر فهو (مهاجر) والاسم منه (هجرة) ، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ ـ النساء ١٠٠ ـ

وكل من اقام من البوادى بمباديهم ومحاضرهم فى القيظ ، ولم يلحقوا بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين التى أحدثت فى الإسلام ، وإن كانوا مسلمين فهم غير مهاجرين ، وليس لهم فى الفىء نصيب ، ويسمون الأعراب ..

وهناك فرق بين (هاجر) و (تَهجَّر) ، يوضحه حديث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حيث يقول : (هاجِروا ولا تَهَجَّروا » .

ومعناه كما شرحه ابو عبيد : « أخلصوا الهجرة لله ، ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم ، فهذا هو التهجُّر ، وهو كقولك : فلان يتحلَّم وليس بحليم ويتشجَّع وليس بشجاع ـ لسان العرب مادة هجر ـ

وجوب الهجرة فى الإسلام :

والهجرة بمعنى ترك الوطن كانت واجبة فى أول الإسلام ، وكانت دليلا على صدق المسلم ـ كما ذكرنا ، فلما فتحت مكة وتوطد أمر الدين ، نادى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بـ : « ألا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » وبقى معنى الهجرة الروحى ، وهو أن يهجر الإنسان المعاصى ويترك النواهى ، وينأى بجانبه عن كل ما يغضب الله وهذا يفهم من « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

وهذا المعنى قد استنبطه الذوق الإسلامى الرفيع الذى أضفى على الكلمات معانى جديدة ، وألبسها أثواباً روحية تفيض نوراً وجلالا ، فالمسلم هو الذى يسلم الإنسان من لسانه ويده ، والمؤمن هو الذى يؤمنه الناس على أموالهم وأعراضهم ، وكذلك المهاجر هو الذى يهجر المعاصى والآثام ويـألف الطاعـات وأحكام الإسلام .

وقد جاء فى ذلك حديث شريف رواه أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « المؤمن من أمِنه الناس ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر السوء ، والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه » .

الحديث فى مجمع الزوائد حـ ١ ص ٥٤٠ (باب الإسلام والإيمان) وأخرجه أحمد فى مسنده ، وأبو يعلى ، والبزار ـ وهو فى جمع الجوامع برقم ١١٥٨١/٢١ حـ ٢ ص ٥٩٣ .

الهجرة فى حياة الأنبياء :

والهجرة بمعنى مفارقة الأوطان كانت ديدن الأنبياء عليهم السلام ، فما من نبى إلا كانت له هجرة ، وفى الأمثال : لا كرامة لنبى فى وطنه ، وطالما سمع الناس أن « زامرة الحى لا تطرب » فكان على الأنبياء أن يتركوا القوم الذين أصموا آذانهم وأغلقوا عقولهم عن دعوتهم ، وانطلقوا فى الآفاق يبشرون بدين الله ويدعون إلى الله .

وقد هاجر نوح ـ عليه السلام ـ هجرته الكبرى مع الطوفان ، وترك واديه الذى كان يقيم

فيه إلى حيث مقره الجديد الذى استوت فيه سفينته على الجودى .

وهاجر إبراهيم « أبو الأنبياء » من أرض العراق إلى أرض الشام ، وكانت حياته سلسلة من السياحات حيث رحل من الشام إلى مصر ثم عاد إلى فلسطين ، ثم رحل إلى مكة مصطحبا معه وليده اسماعيل وأمه هاجر فى واد غير ذى زرع ، وكان ذلك بأمر من ربه لحكمة ظهرت فيما بعد ، حيث أمره الله برفع القواعد من البيت ، وأمره أن يؤذن فى الناس بالحج إليه ..

وفى هجرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ـ العنكبوت ٢٦ ـ

وهجرة موسى ـ نبيا رسولا ـ بقومه ، معروفة ، وكانت فى القرن الخامس عشر من قبل الميلاد ، وقد صحبتها معجزات باهرات آخرها فلق البحر ومروره بقومه على أرض يبست بقدرة الله ـ على الرغم من مرور ملايين السنين لم ينقطع عنها الماء .

وهاجر عيسى مع أمه حين توجست الخوف من بنى إسرائيل على وحيدها ، ففرت به إلى مصر حيث يقول بعض المفسرين ذلك عند قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ـ المؤمنون ٥٠ ـ

وبعضهم يذكر أماكن غير مصر ، ـ القرطبى حـ١٢ ص ١٢٦ ـ

إلا أنهم جميعا متفقون على رحيل مريم بوليدها من المكان الذى ولدت فيه إلى مكان آخر خوفاً عليه .

الهجرة شهادة صدق :

إن الهجرة شهادة صدق لصاحبها بأنه لا يؤثر هوى نفسه على ما يريده الله ، وهى تضحية بأعظم ما يتمسك به الإنسان وهو الوطن فى سبيل العقيدة الصحيحة التى آمن بها ، والتى يضحى من اجلها بكل عزيز وغال .

والهجرة بمعناها الأعم ضرب من الجهاد ، بل هى قمة الجهاد ، وهى باقية غير منقطعة مادام هناك استضعاف وحيلولة بين المرء وقدرته على الجهر بالحق ، قال الله ـ تعالى ـ فى شأن هؤلاء الذين يؤثرون البقاء فى ظل الذل والاستكانة والخوف : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا : إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ـ النساء ٩٧ ، ٩٨ ـ

ولقد فهم قوم على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الهجرة انقطعت بالفتح كما يفهم من ظاهر اللفظ فأرشدهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أن الهجرة ماضية إلى يوم القيامة . أورد ابن عبدالبر فى كتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » فى ترجمة جنادة بن أمية الأزدى الخبر الآتى :

قال جنادة : إن رجالا من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختلفوا فقال بعضهم : إن الهجرة قد انقطعت ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد » ـ الاستيعاب ١/٢٤٩ ـ

اعتداد المسلمين بالهجرة :

وقد استجاب المسلمون لأمر الله إياهم بالهجرة ، فقد كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، وكان الدين فى نفوسهم أحب إليهم من الأهل والمال والوطن ، بل أعظم من الدنيا بأسرها ، حتى أقبلوا على الشهادة يطلبونها

المفهوم الحيــوى للهجــرة

راغبين راضين ، مصدقين الله تعالى فى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ . . ﴾ التوبة ١١١ .

وأخذوا يهاجرون جماعات وجماعات لا يحبس الرجل منهم عن الهجرة إلا عائق فوق إرادته ، وإنه ليأسى لذلك ..

كان نعيم بن عبدالله النحام من بنى عدى بن كعب من المسلمين الأوائل ، أسلم بعد عشرة أنفس ، وكان يكتم إسلامه .

فلما هاجر النبى - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يلحق به ، فمنعه قومه لشرفه فيهم ، وقد كان ينفق على أرامل بنى عدى وأيتامهم ويمونهم ، وقال له قومه : أقم عندنا على أى دين شئت ، فوالله لا يتعرض إليك أحد إلا ذهبت أنفسنا جميعا دونك .

ولكنه لحق بالنبى - صلى الله عليه وسلم - بعد ست سنين ، هاجر عام الحديبية ، وشهد ما بعدها من المشاهد .

وحين قدم المدينة مهاجرا قدم معه أربعون من أهل بيته ، فاعتنقه النبى - صلى الله عليه وسلم - وقبَّله ، وقال له : « قومك خير لك من قومى » .

فقال نعيم : لا ، بل قومك خير يارسول الله .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « قومى أخرجونى ، وقومك أقروك » .

فقال نعيم : يارسول الله ، قومك أخرجوك إلى الهجرة ، وقومى حبسونى عنها .

- أسد الغابة ٥/٣٤٦ -

فانظر إلى نعيم وقد زكاه النبى - صلى الله عليه وسلم - هذه التزكية واستقبله هذا الاستقبال - يعتبر أنه حُرِم شرفا ناله غيره من المسلمين ، وهو شرف المبادرة بالهجرة . إنه يعد الهجرة منزلة عليا تأخر عنها ، على الرغم من أن بقاءه فى مكة كان فى سبيل عمل صالح يقوم به ، لا يغنى عنه غيره فيه ، ومن أجل هذا زكاه النبى - صلى الله عليه وسلم -

ولقب نعيم بالنحام لقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : « دخلت الجنة فسمعت نحمة (سعلة) نعيم فيها » .

- أسد الغابة ٥/٣٤٦ -

الهجرة وغفران الذنوب :

لقد كانت الهجرة سببا من أسباب غفران الذنوب ، وإذا كانت بدر غفرت لأصحابها ؛ فإن الهجرة كذلك . ذكر ابن الأثير فى ترجمة « الدوسى » قال : عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسى هاجر إلى المدينة ، وهاجر معه رجل من قومه ، فمرض ذلك الرجل ، فجزع ، فأخذ مشاقص - نصال السهم - فقطع بها براجمه (البراجم : العقد فى ظهور الأصابع) فنزفت يداه حتى مات .

فرآه الطفيل فى منامه فى هيئة حسنة ، ورآه مغطيا يديه .

فقال : ما صنع بك ربك ؟

قال : قيل لى : لن نصلح منك ما أفسدت .

فقص الطفيل رؤياه على النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اللهم وليدَيْه فاغفر » .

- أسد الغابة ٦/٣٤٩ -

الحرص على أن تكون المدينة هى المثوى الأخير :

لقد انقطع المهاجرون إلى مهاجرهم الجديد

البقية ص ٤٨

نسوة في طريق الهجرة

الطريق والطليعة

هجرة المرسلين ليست كهجرة البشر ؛ ذلك انها هجرة هدفها التمكين لدين الله - تعالى - بإرساء قواعده فى الأرض لإعلاء شعائره إلى السماء ، وهى هجرة لا يقدم عليها النبى الرسول إلا بإذن ربه .. وكم فات هذا المعنى كثيرا من الباحثين فخلطوا حتى آذوا النبى - ﷺ - بقولهم : هاجر خوفا او فرارا من الأعداء ، يقولون هذا وموسوعات السيرة النبوية بين ايديهم تقص عليهم حث الصديق - رضى الله عنه - رسول الله - ﷺ - ان يهاجر فيبين له الرسول - ﷺ - انه فى انتظار امر ربه .. حتى اذن سبحانه .. فكانت الهجرة من اجل الله ودين الله ؛ فلم تكن لدنيا .. او مال ..

واستوى - لهذا الأمر - رجال ونساء ، وما اكثر ما كان من حديث للرجال فى الهجرة - ربما كان سببا فى خفاء امر نسوة - كن على طريق الهجرة - من قبل الهجرة ومن بعدها ، اذين ادواراً غاية فى الروعة والفداء والإيمان ، نسوة : صَدَقن ايضا ما عاهدن الله عليه ، فلمَعْن فى سماء

للأستاذ / حلمى الخولى

الإسلام نجوما باهرات لم يكن مثلهن فى التاريخ .. فَلْنَزِنْ بالطرف إلى وضعهن لنرى :

(١) آمنة بنت وهب : (التدريب على الهجرة)

■ أول النساء اللاتى شاركن فى هذا الحدث الكبير ، السيدة آمنة بنت « وهب » أم النبى - ﷺ - فقد صحبته وهو فى سن السادسة من عمره إلى - يثرب - فى رحلة ذهاب وعودة ، وكان الهدف من الزيارة هو التعرف على أخوال جده من بنى النجار ، وزيارة قبر أبيه فى - يثرب - وكل شىء كان يمر بالنبى - ﷺ - ويحدث له ، إنما كان إعدادا من الله له ليتحمل فيما بعد مهام اسمى رسالة إلى البشر . وبهذه الرحلة التى اصطحبته فيها امه ، يكون النبى - ﷺ - قد

نسوة فى طريق الهجرة

عرف طريق يثرب وهو فى سن مبكرة ، وكأن الله كان يعده إعدادا عمليا ، وتمهيدا لرحلة أخرى سوف تأتى بعد هذه الرحلة التدريبية التمهيدية لسنوات .

■ وبعدما أمضى النبى - ﷺ - مع أمه - شهرا فى يثرب - بدأت رحلة العودة مرة أخرى إلى مكة ، فرحل مع أمه وحاضنته - أم أيمن - فى رحلة العودة ، وعلى الطريق بين مكة ويثرب مرضت الأم ، وتوفيت ، ودفنت فى « الأبواء » - مكان يبعد عن المدينة نحو أربعين كيلومترا وهكذا ودع المصطفى - ﷺ - أعز إنسانة لديه بين ربوع تلك الأرض القريبة من يثرب حيث أودع أبوه من قبل فى المدينة .

■ وكان المصطفى - ﷺ - يقص على صحابته الكرام حديث هذه الرحلة الأولى إلى المدينة مع أمه حديث محب للمدينة ، وحديث محزون لما تحوى القبور من أهل أعزاء لديه ، وظل لهذه الرحلة أثر كامن فى نفسه - ﷺ - حتى بعد هجرته ، فعندما وصل هو وصحبه إلى يثرب بدأ الأنصار يناقشون أين ينزل المصطفى - ﷺ - ، فحسم الأمر بنزوله على أخواله من بنى النجار

كأثر باق لتلك الرحلة البعيدة ، التى كان شرف التدريب العملى عليها للسيدة العظيمة « آمنة بنت وهب » وتكون من النساء اللاتى شاركن فى الهجرة بطريقة غير مباشرة وذلك بالتدريب عليها وإن كان قبلها بسنوات ، وأثر تلك الرحلة عاطفيا ونفسيا على النبى - ﷺ - ليظل ذلك الأثر ممتدا حتى يأذن الله بما مهد له .

(٢) نسيبة بنت كعب المازنية ، وأم منيع أسماء بنت عمرو السلمية : (التمهيد للهجرة) .

■ بُعث النبى - ﷺ - فى مكة ، وأخذ يدعو قومه ، فأسلم منهم قليل ، وبسطت قريش أيديها وألسنتها بالسوء ، فأخذ النبى - ﷺ - يعرض نفسه على القبائل عله يجد من بينها ناصرا ، فلم يجد منها جميعا أذنا صاغية ولا قلبا واعيا حتى لقى فى موسم الحج نفرا من الخزرج فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فصدقوه وآمنوا به ، وقالوا : إنا تركنا قومنا،ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم،وعسى أن يجمعهم الله بك فستقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله إليه ، فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله - ﷺ - وقد بايعوه .

■ فلما عادوا إلى المدينة أذاعوا بها الإسلام فأجاب داعيتهم خلق كثير ، حتى إذا كان موسم الحج من قابل ذلك العام ، خرج من المدينة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان إلى رسول الله - ﷺ - ليبايعوه ويُؤْتُوه عهدهم وذمامهم أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم ، فتوافدوا جميعا إلى العقبة إخفاء لأمرهم ، وبايعوا النبى - ﷺ - بيعة العقبة الثانية التى كانت النواة الأولى فى لبنة الدولة الإسلامية .. وما يهمنا من أمر هذه البيعة هو ما كان من أمر المرأتين وهما :

■ (أ) - نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو من بنى النجار ، وتكنى « أم عمارة الأنصارية » ، وهى زوج زيد بن عاصم الصحابى الجليل ، وكانت بطلة مجاهدة من أبطال الإسلام،ويحفظ لها التاريخ وقفتها يوم أحد ، وهى تقاتل دون النبى - ﷺ - حتى قال : « ما التفت يمينا وشمالا إلا وأنا أراها تقاتل

دونى » ، وقد جرحت ثلاثة عشر جرحا ، والدم ينزف منها . فنادى المصطفى ـ ﷺ ـ ابنها عمارة قائلا : أمك أمك . اعصب جرحها . بارك الله عليكم من اهل بيت . مقام أمك خير من مقام فلان وفلان . فلما سمعت أمه قالت : ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال : اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة . فقالت : ما ابالى ما اصابنى من الدنيا .

■ ويحدث التاريخ عن موقفها فى حروب الردة ومقاتلة مسيلمة الكذاب الذى قتل ابنها « حبيب » وقطعه قطعا ، وشاركت فى الحرب كأحد الأبطال الميامين حتى قطعت يدها .. فهذه المرأة وما اتصفت به من صفات تفرق الخيال كانت أول المبايعات للنبى ـ ﷺ ـ ، وامرأة بمثل هذه القوة والشجاعة لابد أن يكون لها فى قومها رأى ومكانة . ولابد أن يكون لها تأثير على نساء قومها الذين عرفوا فيما بعد بالأنصار .

■ (ب) ـ أم منيع : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى بن سواد بن سلمة ، وتعرف بأم منيع الأنصارية ، وهى أم معاذ بن جبل ، أحد الأئمة المعدودين من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ ، أسلمت حين تنفس صبح الإسلام بالمدينة المنورة ، قبل بيعة العقبة الثانية ، وجاءت مع وفد البيعة وكانت من أتم القوم عقلا ، وأحكمهم رأيا ، ومن المشاركات فى الجهاد فى غزوة « خيبر » .

كلتا المرأتين كانت مثالا فى قومها للرأى والحكمة والعقل والشجاعة ، ولابد أن يكون لذلك تأثير على من سواهما من نساء يثرب . فقامتا مع الرجال بتعبئة الجو العام اليثربى وتهيئته للإسلام حتى كانت الهجرة فكان المجتمع اليثربى مستعدا لتكوين وتشييد وإقامة الدولة الإسلامية التى تكونت نواتها الأولى ببيعة العقبة .

(٣) ليلى بنت أبى حثمة العدوية : (طليعة الهجرة) .

■ هى ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن كعب بن لؤى القرشية العدوية ، زوج عامر بن ربيعة العنبرى .

قبل مبعث النبى ـ ﷺ ـ كان زوجها مهيأ نفسيا لرؤية النبى ـ ﷺ ـ والإيمان بدينه ، وذلك لأن زيد بن عمرو بن نفيل قال لعامر زوجها : أنا انتظر نبيا من ولد إسماعيل، ثم من بنى عبد المطلب ، ولا أرانى أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبى، فإن طالت بك مدة ـ ياعامر ـ ورأيته فأقرئه منى السلام .

هكذا كانت « ليلى » مهيأة لقبول الدين الجديد ، لأن زوجها كان يردد كثيراً قول زيد بن عمرو بن نفيل .

■ فلما سرى فى مكة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو إلى الله الواحد الأحد اقبل عامر وليلى وأسلما ، وكانا فى طليعة المهاجرين إلى الحبشة لما اشتد أذى قريش وقال لهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم : اخرجوا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق . تقول ليلى : « كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا فى إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، جاءنى عُمر، وأنا على بعيرى نريد أن نتوجه ، فقال : اين يا أم عبد الله ؟ ـ وهى أم عبد الله بن عامر، وبه كانت تكنى ـ فقلت : آذيتمونا فى ديننا ، فنذهب فى أرض الله حيث لانؤذى فى عبادة الله ـ فقال : صحبكم الله . ثم ذهب فجاءنى زوجى عامر بن ربيعة ، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر ، فقال : تَرْجِين أن يسلم ؟ فقلت نعم .... » وهاجرت هى

نســوة فى طريق الهجـرة

وزوجها إلى الحبشة ، ولما علم المهاجرون بإسلام عمر عادوا أملا فى أن يكون فيه المنعة والحماية ، فلما اشتد أذى الكفار ، هاجرت ليلى وزوجها « عامر » مرة أخرى عائدة إلى الحبشة ، وعندما أذن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلمين بالهجرة إلى « يثرب » وقال : « من اراد ان يخرج فليخرج إليها » كانت « ليلى بنت ابى حثمة » هى أول امرأة هاجرت إلى المدينة ، فقد كان أول المهاجرين ـ أبو سلمة ـ ثم تبعه « عامر بن ربيعة » وزوجه « ليلى » وتعد أول ظعينة تهاجر إلى المدينة ، ويظن الكثير أن أول مهاجرة كانت أم سلمة ولكنها كانت « ليلى » ـ وليست أم سلمة ـ كما سيتضح من عرضنا لأم سلمة فيما بعد .

■ ولم تكن هجرة « ليلى بنت أبى حثمة » إلى يثرب ـ المدينة ـ مجرد انتقال من مكان إلى مكان ولكن كان لها دور إيجابى هى وباقى المهاجرات والمهاجرين فى توطيد دعائم الدين الإسلامى فى قلوب اليثربيات واليثربيين ، وليس أدل على ذلك مما رأيناه من خروج الأنصار والمهاجرين ونسائهم للقاء للنبى ـ ﷺ ـ بعد علمهم بهجرته المباركة .

(٤) رقيقة بنت صيفى : (بداية الهجرة) .

■ هى رقيقة بنت صيفى ـ وقيل بنت أبى صيفى ـ بن هاشم بن عبد مناف بن قصى . عمها عبد المطلب بن هاشم وكان اسن منه ، وتتصل « رقيقة » برسول الله ـ ﷺ ـ فى هاشم بن عبد مناف فهو جدها وجد أبيه . ولما أدركها الإسلام كانت قد تطاول عليها القدم ، وجاوزت حد الهرم . والتاريخ الإسلامى يحفظ لها وقفة مع الإسلام ، كثيرا ما يغفلها المؤرخون .. فلقد كانت ترقب ما يدور على الساحة من حولها وترى أن عدد المسلمين فى ازدياد ، وكذلك عذاب المشركين يحمى وطيسه كلما أسلم مشرك . وقد اجتمع كبار المشركين ليلا ـ ومعهم إبليس اللعين فى صورة شيخ نجدى ـ وانتهى أمرهم إلى أن يقتلوا النبى ـ ﷺ ـ فى داره ، بيد فتية من كل قبيلة فتى ليتوزع دمه ـ ﷺ ـ فى القبائل ، تلك المرأة المسنة ـ رقيقة ـ هى التى استشفت خبر قريش يوم ائتمروا بالنبى ـ ﷺ ـ ، فذهبت العجوز تجر أثقالها حتى أنهت إلى النبى ـ ﷺ ـ ، الخبر وحذرته من المبيت فى داره ، وحدثته بحديث القوم الذى لا يعلمه إلا الله ثم هى ومن تآمروا عليه . ذهبت العجوز التى أنافت على المائة ، لتنقل الخبر ولم تأمن على نقله ابنها « مخرمة بن نوفل » وهو من لحمة النبى ـ ﷺ ـ وذوى صحبته ، ذلك لأن الشك فيها وهى العجوز المسنة مستبعد ، وما أطيب امرأة ، وأجل منزلتها أن ذهبت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بمثل ما سبق به جبريل إليه ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

■ ولعل هناك من يقول : وأى عظمة تجدها فى امرأة سمعت خبرا فألقته كما سمعته ؟

ذلك قول من لم يستبطن الأمر ، ويتبين دخيلته ، فإن فئة قليلة العدد خطيرة الغرض ، من هامات القوم ، وأشداء فتيانهم ، بيتوا أمرهم واحتجزوا خبرهم عن بقيتهم ، والممالئين لهم ، وتعاهدوا وتعاقدوا ألا يذيعوه حتى يمضوه . فئة ذلك شأنها ، وتلك غايتها ، ليس بالهين اليسير كشف أمرها والوقوف على ذوات نفوسها ،

واستنقاذ رسول الله ـ ﷺ ـ من كيدها وشر غائلتها .

■ وتكون « رقيقة » من أول مشاركة فى أعظم حوادث الإسلام خطرا ، وأبقاها أثراً ، وأدومها على مر الدهور ذكرا ، وأقومها ببناء الإسلام ، وبنقلها خبر قريش يكون البدء الفعلى للهجرة .

(٥) أسماء بنت أبى بكر : (الفداء والبطولة) :

■ هى أسماء بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة القرشية التيمية ، وأمها قتيلة بنت عبد العزى بن أسد ، وهى شقيقة « عبد الرحمن بن أبى بكر » ، وأم « عبد الله ابن الزبير » ، وأخت « عائشة أم المؤمنين » لأبيها ، أسلمت بعد سبعة عشر مسلما ، وأصبحت بطلة ضربت أروع الأمثلة فى البطولة والفداء .

■ تنقلت العظائم من يد طاهرة إلى يد طاهرة ، فبعد أن دعمت العجوز « رقيقة بنت صيفى » أثرها أقامت الفتاة الحَدَثة « أسماء بنت أبى بكر » أثرها أيضا ، لقد أعجل النبى ـ ﷺ ـ وصاحبه عن ابتغاء الزاد ، وشغلهما الغرض الأسمى عن الغرض الأدنى ، فسارا خفيفين إلى غار فى الذروة العليا من جبل « ثور » إخفاء لأمرهما ، وإعياء للذاهبين فى أثرهما .

■ قامت الفتاة بحمل أمانة يُشفق على الرجال من حملها ، فكانت تقطع ثلاثة أميال إلا قليلا ـ وهى الصبية الناشئة ـ فى جوف الليل ، ووحشة الطريق ، بين أسنة الصخر ، ومساحات الرمال ، تمشى متخفية حذرة مترقبة حتى تصعد إلى هامته ، ثم تنحدر فى جوفه فتوافى رسول الله ـ ﷺ ـ وصاحبه كل ليلة بالزاد والماء وبما عسى أن تكون قد سمعته ، أو رأته ، من حديث القوم وخبرهم .

■ قامت الصغيرة بدور فدائى وحملت أمانة الإمداد والتمويل للرحلة المباركة ، ونقل أخبار الكفار . ولما أراد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرحيل من الغار متجها إلى يثرب جهزت الزاد والماء ، ولم تجد ما تربطهما به ، فشقت نطاقها ، وربطتهما به ، وحين فعلت ذلك قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة » فقيل لها : ذات النطاقين .

■ تلك هى الصبية التى تركت الولدان والولائد من لداتها وأترابها يغدون إلى ملاعبهم ويأوون إلى صدور أمهاتهم ، وذهبت إلى حيث يعجز أشداء الرجال وأبطالهم ، فأى قوة تلك التى أمدها الله بها ، وأى قلب ذلك الذى أودعه الله بين ضلوعها ، وأية عزمة تلك التى خفقت فى نفسها ؟ فلعمرى لئن سلمت الفتاة « أسماء » من عثرات الطريق ، ووعثاء الصحراء تحت جنح الليل البهيم ، فلم تسلم من أذى قريش وكفارها ، فجاءها نفر واقتحموا عليها وداعتها وهدوءها وأحاط بها رجال القوم وهى فريدة بينهم لا يحمى ظهرها رجل ، وسألوها فى عصبية : أين أبوك يابنت أبى بكر ؟ ! فردت فى صمود وشموخ وثقة وإباء : لا أدرى أين أبى !! فرفع النذل أبو جهل لعنه الله ـ يده ولطمها لطمة قاسية طار لها قرطها ، ولم يوهن ذلك شيئا من عزيمتها ولا عبث بمكنون سرها .

■ وتعد هذه الفتاة الفدائية مثلا لتلك النفوس التى استخلصها الله لدينه ، واصطنعها لدعوته ، ونفث فيها من روحه ، فكانت مستقراً لفضائل الكمال . ويحدثنا التاريخ بإسهاب لمواقفها البطولية بعد ذلك فى مجال الجهاد

نســوة فى طريق الهجـرة

والدعوة ، وليس أعظم من قولتها لابنها « عبد الله بن الزبير » حين خشى من التمثيل بجثته : « يابنى إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها ، فامض واستعن بالله » . قالت هذا وهى تحذر مصير ابنها ، ولكنها تعلمت أن تضحى منذ الصغر ، ولا تبخل فى سبيل الله بالجهد والمال والولد .

(٦) عاتكة بنت خالد الخزاعية : (البلاغة والفصاحة ، والوصف الفذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم)

هى عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن كعب بن عمرو من خزاعة ، وتعرف « بأم مَعْبَدٍ الخزاعية » من ربات الفصاحة والبلاغة وكانت امرأة برزة جلدة تسقى وتطعم ، فمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليها فى خيمتها ، هو و « ابو بكر » رضى الله عنه ، ومولاه « عامر بن فهيرة » والدليل « عبد الله بن اريقط » ، وسألوها لحما وتمرا ليشتروه ، فلم يصيبوا عندها شيئاً ، وفى كسر الخيمة شاة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا أم معبد هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك .

فقال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم إن رأيت بها حلبا . فمسح ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ضرعها،وسَمّى الله،ودعا لها فى شاتها ، فدرت،واجترت فدعا بإناء فحلب فيه حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم غادره عندها وارتحلوا عنها .

■ وما لبثت « أم معبد » حتى جاء زوجها يسوق أعنزا عجافا فلما رأى اللبن قال فى عجب : من أين لك اللبن يا أم معبد والشاة عازب حيال ، ولا حلوب فى البيت ؟ . قالت عاتكة : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صفيه لى ، فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب . وخُلدت « عاتكة » فى التاريخ بما قدمته من وصف للمصطفى ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو أدق وصف وصف به ، فلم يصفه الواصفون بمثل ما وصفته به أم معبد .

■ قالت فى وصفه : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه لم تَعِبْهُ ثُجْلَة ولم تزر به صُعْلَة ،قسيم ، وسيم فى عينيه دَعَج ، وفى أشفاره وَطَف ، وفى صوته صَحَل ، أكحل أزج أقرن فى عنقه سَطَع،وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب ، ربعة لا تَشْنَأه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قداً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند .

فقال ـ أى بعلها : هذا والله صاحب قريش الذى تطلب،ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

■ وأى محدث يريد أن يصف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايسعه إلا أن يعود إلى وصف أم معبد البليغ . وقد كان لها دور أيضا فى الهجرة ، فخيمتها معروفة على الطريق من مكة إلى المدينة ، وبعد رحيل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من

الغار ، انقطعت أخباره عن أصحابه فى مكة فلم يعلموا الوجهة التى قصدها النبى - صلى الله عليه وسلم - وبعد ماحل فى خيمة أم معبد عرف كل من بمكة ذلك ، وعن هذا تحكى الفدائية « أسماء » فتقول : مكثنا ثلاث ليال ماندرى أين وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون الصوت ولا يرون صاحبه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلاَّ خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به
فافلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقُصىٍّ مازوى الله عنكم
به من فعال لا تجازى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ، ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها لحالب
يدُرّ لها فى مصدر ثم مورد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأن وجهه إلى المدينة ، وأخذ المهاجرون على خيمتى أم معبد حتى لحقوا بالنبى - صلى الله عليه وسلم - .

■ وهكذا كانت خيمتا أم معبد هما حلقة الوصل لتصل ما انقطع من أخبار النبى - صلى الله عليه وسلم - عن المسلمين فى مكة ، وفى الخيمة كانت الراحة للمهاجرين ، ثم الترحال للحاق بالنبى - صلى الله عليه وسلم - .

● وفى الحلقة القادمة - إن شاء الله - نواصل الحديث عن نساء أخريات كان لهن دور بارز فى أعظم حدث فى تاريخ الإسلام والبشرية .

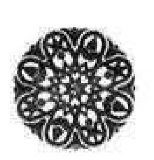

لفضيلة الشيخ
معوض عوض إبراهيم

حب الوطن من الإيمان ، وهو امارة كرم المولد ، ومازال الاسوياء مهما علوا فى مدارج الرقى ، وتنقلوا بين الاصقاع والبقاع يستبدبهم الشوق إلى مسقط رءوسهم ، وتذهب بهم الخواطر إلى ملاعب صباهم فى المدائن والقرى ، ويستروحون برد الرفاهية كلما ذكروا ملاعب الصبا كما قال ابن الرومى :

وحبب اوطان الرجال إليهم
مارب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهمو
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وحب المرء لاول ارض مس جسمه ترابها يدع إلى جواره اماكن لجميل المشاعر ، لبلاد له فيها اصول وقرابات واصهار واصدقاء ، وبلاد تقلب بينها طالباً للعلم ، ومؤدياً واجب العمل الذى نيط به وهياه الله تعالى له ، وما اقترن بذلك من حلو الذكريات وكريم المواقف ، وتكاليف الدعوة إلى الله .

ويبقى فى أعماق القلوب حنين لا ينفد ، وشوق يتجدد ، وإعزاز ينمو مع الايام لموطن العقيدة ، ومشرق نور التوحيد ، ومدارس خير العصور فى المدينة المنورة ، حيث البيت الحرام فى البلد العتيق ، كما قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ آل عمران ٩٦ ـ ٩٧ .

وحيث حديث البقاع يتوالى ، واصداؤه تتعالى ، فترطب أفئدة المؤمنين بأنباء أبى الأنبياء إبراهيم عليهم السلام ، وقد اسكن بواد غير ذى زرع ابنه ، وحيده ، يومئذ إسماعيل ، وأمه هاجر ، تلك التى أهديت إلى سارة عليهما السلام من مصر فأهدتها إلى إبراهيم ، وأبطل الله بها الوطنيات الضيقة ، والإقليميات البغيضة ، فقد جاءت من البلد البعيد لتلد أب العرب إسماعيل عليه السلام وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

اجل .. يتعالى حديث البقاع ، ويتوالى ويرسى فى شغاف النفوس سر الله وحكمته ، فى هجرة

الأسرة الكريمة أولاً من العراق إلى الشام إلى مصر ثم إلى الجزيرة العربية إلى ذلك الوادى القصى فيها حيث لا دار ولا ديار ولا زروع ولا أنهار ولا أشجار ، ورضيت هاجر بأمر الله وقضائه فيها وفى صغيرها ، بعد أن أخبرها الشيخ الكبير أنها مشيئة الله فقالت : « إذن لا يضيعنا » .

وتركهما إبراهيم فى رعاية الله ، وتردد بينهما وبين سارة فى فلسطين حتى كان ابتلاء إبراهيم بذبح إسماعيل وإذعان الابن وأمه لما قضى الله ، كما حكى القرآن الكريم ، وتتابعت الآثار ، ويبقى إسماعيل بعد أن صدق إبراهيم الرؤيا ، وفدى الله سبحانه إسماعيل بذبح عظيم ، وأقام القواعد من البيت ، ولم يعد الوادى غير ذى زرع ، فقد سقت زمزم الناس ، واتصلت قوافل الحجيج وفاء بوعد الله لإبراهيم : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ الحج/٢٧ . وتجلت حكمة الله من افتداء إسماعيل على النحو الذى لا تنفد عذوبة آيات الله الباقية المتلوة به إلى يوم القيامة فى قوله تبارك وتعالى فى سورة الصافات : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ . رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ الصافات ٩٩ ـ ١٠٧ .

وكان محمد ـ صلوات الله عليه ـ الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة والرسول الذى جاء الدنيا بأسرها عربها وعجمها ، وإنسها وجنها كما قال تعالى : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ الانعام ١٩

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف ١٥٨ .

وقال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ سبأ/٢٨ .. وقال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء/١٠٧

وفى الحديث المتفق عليه من قول رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلى » حتى قال : « وكان كل نبى يبعث فى أمته وبعثت إلى الناس كافة » .

وكان الذين آمنوا برسالة الرحمة « خير أمة أخرجت للناس » كما جاء فى قوله تبارك وتعالى فى الآية العاشرة بعد المائة من سورة آل عمران وهى خيرية تتألق وتصدق أول ما تصدق ، فيمن قال فيهم رسول الله ﷺ : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .. » .

وتمتد هذه الخيرية فيمن اتبعوهم على منهج الله كما يقول أصدق القائلين : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة/١٠٠ .

إلى مكة المكرمة يتضاعف الحنين ، وتعظم الغبطة بها ، وأنت ترى مداخلها ومخارجها وقد ذللت ، وشوارعها وميادينها وقد عُبِّدت ، ومرافقها ومنازلها وقد صلحت وتوافرت ،

البقية ص ٦٠

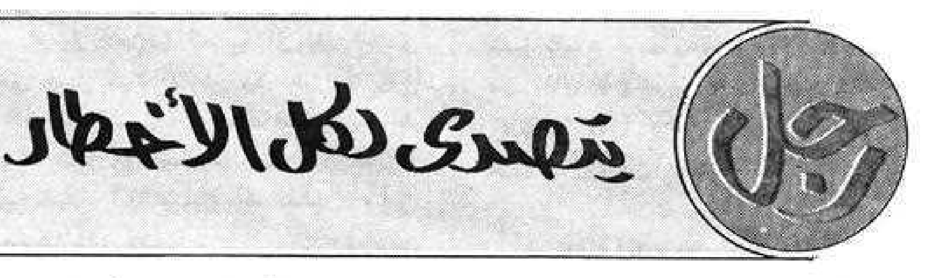

عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

للدكتور :
عبد المقصود محمد نصار

رجل كان يتمتع بصدق العزيمة ، وهو فى حدود ما تهيأ له من طرق النظر يستعين بآراء غيره ، فإذا اتضح له الطريق السوى عزم ، وإذا عزم لا يزحزحه شىء ولا تستطيع أية قوة الوقوف امامه او صده .

ومع هذا فانت حين تراه سريع التأثر ، وأن عبراته تسابق قلبه - هذان الخلقان له - رضى الله تعالى عنه - من غير شك كان احدهما يدفع شر الآخر فى سياسة الدول ، لأن الرجل إذا كان صادق العزيمة أَمِنَ شرَّ التردد الذى فيه الهلاك . وإن ذلك الفكر تجده واضحا كل الوضوح فى سيرة الصديق - رضى الله تعالى عنه - ولعل خير برهان على ذلك هو ما تم على يديه من إعادة الرشد إلى المسلمين الذين اصابتهم غاشية من عنف الهزة بموت رسول الله - ﷺ - اما الصديق فإنه لما علم بنبأ الوفاة ، جاء مسرعا ، ودخل المسجد ، فوجد عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - ، يخطب فى الناس متهددا ومتوعدا كل من زعم ان محمداً - ﷺ - قد مات ، ويقول : إن رسول الله - ﷺ - حى لم يمت .

لم يهتم الصديق - رضى الله تعالى عنه - بهذا الذى شاهد ما عليه الناس ، وإنما دخل على رسول الله ﷺ - وهو مسجى فى بيت عائشة أم المؤمنين - رضى الله تعالى عنها - ، وأقبل عليه إقبال الرجل المؤمن القوى فى إيمانه ، وكشف عن وجهه الشريف ، وقبله وقال : « أما الموتة التى كتبها الله عليك فقد ذقتها ، ولن يصيبك بعدها موتة ابداً » ، ثم غطى وجهه الشريف ، وخرج على الناس وقد أصابهم ما أصابهم من الجزع الشديد الذى عقد السنة بعضهم ، وأسلم البعض الآخر إلى متاهات الحيرة حتى غابت عنهم الحقيقة التى لا يمارى فيها أحد ، وعمر - رضى الله تعالى عنه - مازال يتكلم ويردد مقالته التى يتهدد بها كل من زعم أن محمداً قد مات .

فتقدم منه أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - ، وقال له « على رسلك ياعمر » ثم توجه نحو الناس قائلا : « أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » ، ثم تلا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ

عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾(1) وعمر يعلن بعد ذلك أن ما سمعه من أبي بكر من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ الآية ، كما أعلن رجال من الصحابة ـ ما علمنا أن هاتين الآيتين نزلتا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ(2) .

وبهذا أعلن أبو بكر نبأ وفاة رسول الله ـ ﷺ ـ ، وأعاد للصحابة رشدهم .

ثم أوشك أن يقع خلاف حول المكان الذى يدفن فيه الجثمان الطاهر ، ولكن أبا بكر أنهى هذا الخلاف بتلاوة حديث شريف عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو : « ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذى يحب أن يدفن فيه » . رواه الترمذى(3)

وهكذا كان أبو بكر الرجل الذى يستمع إلى الأنباء المفزعة عن الحركات الخطيرة في هذا الجو ، إثر وفاة رسول الله ـ ﷺ ـ حركات المرتدين من مانعى الزكاة وغيرهم يستمع إليها في أناة وتريث ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة في غير وهن ، ويصغى إلى ما يقال له دون قلق أو خوف ، يسمع بأذنه ، ويعرض الأمر على عقله وفكره الشفاف . في هذا الموقف الدقيق ـ والجزيرة العربية كادت تكون كافرة ، ما عدا بعض الأقاليم مثل الحجاز والطائف ، وقليل غيرهما ، الأمر الذى تنخلع له القلوب ، ويطير له قلب الشجاع شعاعا » .

هذا وجيش أسامة ينتظر أوامر الخليفة بالمسير كما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ .

كان هذا هو أبو بكر ـ الرجل الذى ألقت إليه المقادير بمقاليد هذه الأمة ، وسلمته زمامها في ذلك الوقت ، لكل ذلك أحس في نفسه بفداحة المسئولية ، وعظم التبعة ، ولكن ذخيرته من الإيمان والصدق ، وقوة العزيمة التى لا تعرف التردد ـ وكان ذلك هو وقتها ـ كانت فوق كل هذه الأحداث ، مهما عظمت أو جلت .

هذا هو أبو بكر الصديق الذى قرر الحرية الشخصية للمسلم مع حاكمه الذى تولى أمره في أول خطاب له بعد خلافته ، حتى أسهم فكره ذلك في خلق المسلم الذى ساقه إلى طريق المجد الحقيقى دينا ودنيا ، فقد وجهه لأن يكون متوازنا مع نفسه معوانا على الحق نصيرا له ، يدفع الظلم مهما كان له من سلطان ، ويجاهد بنفسه وماله في سبيل الحق ، وإعلاء كلمة الله تعالى ، والذود عن شريعته وتعاليمه . وتلك هى ذخيرة أبى بكر .

هكذا كان الصديق ـ رضى الله تعالى عنه .

موقفه من بعث أسامة :

في هذا الإطار تلفت الصديق حوله يسأل عن أسامة بن زيد وكان أسامة قد انتدبه رسول الله ـ ﷺ ـ لقيادة جيش من المهاجرين والأنصار لتأمين التخوم الشمالية مع الروم وتأديب القبائل التى ساعدت الروم في معركة مؤتة ، التى دارت رحاها سنة ثمان من الهجرة ، وكان جيش المسلمين يبلغ حوالى ثلاثة آلاف .

وكان أسامة ـ رضى الله تعالى عنه ـ ينتظر أمر رسول الله ـ ﷺ ـ بالمسير ، ولكن ما كاد البعث يتحرك ليأخذ مكان التجمع خارج المدينة حتى مرض رسول الله ـ ﷺ ـ فتوقف أسامة بجيشه

---

(1) سورة آل عمران آية 144 ـ

(2) روى ذلك الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك جـ 3 ص 202 وفي سيرة ابن هشام قال أبو هريرة : قال عمر « والله ما هو إلا أن سمعت أبابكر تلاهما » .

(3) ترجو إدارة التحرير كتابة مرجع الحديث الوارد في المقال ضرورة .

رجـل يتصـدى لكـل الأخطـار

حتى كانت الوفاة ، وبويع أبو بكر بالخلافة ، وحينئذ بلغه أن بعض الأعراب وغيرهم ممن ارتد عن الإسلام بإنكار وجوب الزكاة ومنعها .

موقف خالد :

وهنا كان الموقف الخالد للصديق حين سأل عن « أسامة بن زيد » فى هذا الوقت ، ولعل المحيطين به من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ظنوا أنه يسأل عن أسامة ويطلبه ليصرفه عن القيام بهذه الحملة ، لكى يبقى الجيش لمواجهة الأحداث الرهيبة بسبب ردة المرتدين ، وتوجه بعضهم نحو المدينة - ولعل منطق الحوادث كان يوحى بذلك . وقد اندهش الحاضرون عندما سمعوا أبا بكر يطلب من أسامة السير فورا إلى الشام كما أمر رسول الله - ﷺ - بذلك قبل وفاته ، وربما حدثتهم نفوسهم : كيف يحدث هذا ؟ وتخلو المدينة من جيشها وحماتها فى مثل هذا الظرف الذى تمر به البلاد ، وقد اضطربت الأرض ومادت تحت أقدام المسلمين خوفا على الإسلام وأهله . ونظر الصحابة إلى بعض ، وعلت قسمات وجوهُهم علامات الدهشة فقال أحدهم لأبى بكر - رضى الله تعالى عنه : ياخليفة رسول الله - ﷺ - إن هؤلاء جل المسلمين ، والعرب كما ترى قد انتقضت عليك ، فليس ينبغى أن تفرق جماعة المسلمين المحاربين فى هذا الظرف . كما طلب عمر بن الخطاب من أبى بكر ، وكان غالبا ما يكون المتكلم بلسان الجماعة الإسلامية - طلب بقاء الجيش ، ليكون عونا على هذه الحركة المعادية من المرتدين ، ودار بينهما حديث طويل حول قتال مانعى الزكاة .

ولكن أبا بكر ما إن سمع هذا الكلام حتى انتفض غاضبا ، وقال : « والذى نفس أبى بكر بيده لو ظننت، أن السباع تتخطفنى لأنفذت جيش أسامة ، كما أمر رسول الله - ﷺ - » ثم تابع حديثه معقبا على مطلبهم « كيف تريدوننى أن أرد قضاء قضى به رسول الله - ﷺ -» وأبى إباء شديدا وصمم على تنفيذ البعث مهما كانت النتائج ، وهذا هو خلق عدم التردد فى الأمور ، فإنه لو تردد وأخر إرسال البعث لكان قد شرع للناس لأول مرة مخالفة ما أمر به الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وهنا رأى جماعة من الأنصار أن يطلبوا من عمر بن الخطاب أن يتكلم مع أبى بكر فى أمر آخر ، وهو ولاية أسامة على الجيش ويطلب منه أن يولى قيادة الجيش رجلا أكبر سنا من أسامة وأكثر خبرة منه بقيادة الجيش .

وما أن بلغ عمر - رضى الله عنه - أبا بكر هذه الرغبة حتى ثار فى وجه عمر وأخذ بلحيته وقال : يوليه رسول الله - ﷺ - ويعزله أبو بكر ، واشتد فى الكلام مع عمر حتى قيل إنه قال له : « عدمتك أمك ياابن الخطاب . استعمله[4] رسول الله - ﷺ - وتطلب منى أن أقيله » .

هذه بعض من مظاهر منهج الصديق فى خلافته التى كانت دائما مظهراً لعظمته فى صدق العزيمة بعد المشورة ، وإذا اتضح له الأمر عزم ، وإذا عزم فلن يتراجع مادام قلبه قد اطمأن حتى يأمن شر التردد المهلك .

درس حكيم فى طاعة القائد :

انظر معى أيها القارىء الكريم إلى ما أعطاه أبوبكر للجند من درس بالغ الأهمية والحكمة فى طاعة القائد ، حيث خرج يودع أسامة ماشيا على قدميه ، وأسامة كان راكبا وأخذ يزوده بالنصائح التى كان لها أكبر الأثر فى نجاح الحملة ، سلوك إسلامى وإنسانى للجند وقادة الجيوش يجب أن يتبع وقد كان مما أوصى به قوله «أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ولا تغدروا ولا تقتلوا

(٤) استعمله : أى عينه .

طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ولا تعقروا نخلا أو تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ولا بعيرا إلا لتأكلوه ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم ، وما فرغوا أنفسهم له وإذا قرب إليكم طعام فاذكروا اسم الله عليه وكلوا .

ياأسامة !! اصنع ما أمرك به نبى الله ببلاد قضاعة[٥] ولا تقصروا فى شيء مما أمرك به رسول الله ﷺ .

وقد ذكرت هذه الوصية بصيغة أخرى فى بعض المراجع إلا أن المضمون يعتبر واحدا .

مبادىء انطوت على أشرف ما عرفته البشرية قديما أو حديثا . بهذه المبادىء وتلك المفاهيم التى انطلق بها المسلمون ، ووضعوا بها قواعد الحضارة الإسلامية ، الأمر الذى حمل الأعداء بعد سنين محدودة يندفعون نحو اعتناق الإسلام . لأنهم وجدوا فى تعاليمه السعادة الروحية والجسمية ، وجدوا فيه التوازن بين الدنيا والدين فى حياة الإنسان .

رحم الله تعالى أبا بكر الذى أقر أسس المساواة والتراحم وإعطاء كل صاحب حق حقه .

فأسامة بن زيد يقود جيشا فى ركابه أبو بكر وعمر وعلية الصحابة فى توجيهات قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

بهذه المبادىء انطلق المسلمون يكافحون الأعداء الذين كانوا فى عصور ازدهارهم ، ويعيشون فى مجتمع قائم على اعتبار النسب ، فى مجتمع دستوره الطبقية العاتية .

أما أن الناس سواسية كأسنان المشط ، أو أحرار كما خلقوا ورحم الله تعالى عمر بن الخطاب القائل « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » فهذا لاعهد لهم به ولا مكان له فى مجتمعاتهم .

وكتب التاريخ تحدث عما كان الغالبون من غير المسلمين يعاملون سكان البلاد المقهورة من الإذلال والاستعباد . أما تغليب المعانى الخيرة على العنف فلا يعرفه إلا المسلمون ، الذين أشربت قلوبهم تعاليم الإسلام ، حتى مع أصحاب الديانات الأخرى فكان التسامح والرفق وحرية العقيدة : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٦]

كما كان المسلمون حين يلقون أعداءهم فى معركة يعرضون عليهم الإسلام أولا ، ثم الجزية ، التى كانت تعود عليهم من أجل أمنهم وسلامتهم ، وحمايتهم وإلا فالقتال للتمهيد للإعلان عن الإسلام وبيان مبادئه وأحكامه .

وحتى فإن موقف الإسلام من غير المسلمين كان يتسم بالرفق والتسامح واللين ما لم يعتدوا

﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[٧] .

أما شريعة الفرس والروم فكانت فى الشرق والغرب قائمة على المبادىء اللا إنسانية ، وقد استمرت إلى القرن التاسع عشر حيث وضعت أوروبا مبادىء نظرية لا وجود لها فى معاملاتهم للمغلوبين ، وهى لاتزال قائمة حتى اليوم الذى نعيشه فكل يوم تطالعنا وسائل الإعلام بصور رهيبة من الغالبين للمغلوبين . وإن الإسلام قد سبق بحوالى ثلاثة عشر قرنا الدول التى تدعى الحضارة والتقدم الزائف بوسائل الحضارة والتقدم ، وأبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه . سجل فى وصيته للقائد أسامة بن زيد وجيشه أسس المعاملات الإنسانية الهادفة إلى

◄

---

(٥) بلاد قضاعة جنوب الشام .
(٦) سورة الكهف آية ٢٩ .
(٧) سورة البقرة آية ١٩٤ .

رجـل يتصـدى لكـل الأخطـار

كل مافيه سعادة البشر ، وطبقها المسلمون قولا وعملا ، فنفذوها عن رضى وراحة نفس ، لأنها إسلامية وآمنوا بها شرعة ومنهاجا ، وبعد .

فإن تعاليم الإسلام عالجت مشاكل المجتمع علاجا لم يجرح الكرامة ، أو يخدش مقومات الإنسانية الغريزية أو ينتقص من الحقوق الطبيعية المقررة للإنسان .

عالجه علاجا قويا ماديا وروحيا ، وطبقه أبو بكر رضى الله تعالى عنه .

ولا أنسى للصديق هذا الدرس العملى ، الذى يجب أن يعيه كل مسئول ، ويضعه شارة مضيئة يتوج بها سلوكه . ذلك هو استئذانه للقائد أسامة فى بقاء من يستعين بهم وبرأيهم مثل عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه - أبو بكر يستأذن أسامة - وأبو بكر الرئيس للدوله . ثم إنه يسير فى ركابه ماشيا ، والقائد الشاب أسامة راكب - فقال له أسامة - رضى الله تعالى عنه : ياخليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتركبن أو لأنزلن فقال أبو بكر : « والله لا نزلت ولا ركبت وما علىّ أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله تعالى .

يالروعة هذا السلوك والمنهج ، والسمو الأدبى والسياسى والاجتماعى فلقد كان له وبعمله هذا ما حمل القوم على الرضا بإمرة أسامة إذ رأوا الخليفة ماشيا فى ركابه ، مؤديا له كل حقوق القيادة ، كما كان فى استئذانه له ببقاء عمر ليكون مشيرا له فى مهام الأمور عمل يعتبر توجيها عمليا فى إعطاء القيادة حقها مهما كان وضع القائد فى نظر المسلمين أو الجند .

وودعه الصديق ، وبعد أربعين يوما تقريبا عاد والنصر يسير فى ركابه بفضل الله تبارك وتعالى . لقد كان إرسال أبى بكر لبعث أسامة نهاية الحزم ، كما كان له عظيم الأثر ، إذ قذفوا الرعب فى قلوب المرتدين والفزع لما عرفوا نصر المسلمين على القبائل ذات الشوكة والقوة ، كما أكدت للمسلمين فى المدينة فكر أبى بكر ، وبعد نظره فى تقدير الأمور .

وعاد الجيش ، واستقبله الخليفة بقلب مفعم بالبشر والسرور ، وذلك فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣ هـ وبعد أن أخذ الجيش وقائده قسطا من الراحة ، واطمأن الخليفة ، على راحتهم ، أعلن التعبئة العامة لحرب المرتدين ، بعد دراسات لكل متطلبات النصر ، وما عساه يكون من هزيمة لاقدر الله .

تلك صفحة من كثير من الصفحات المشرقة فى تاريخ الزمان . وخاصة فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، لما تم فيها على الرغم من قصرها من إعادة توحيد الأمة الإسلامية .

ولعل خير ما أختتم به الحديث ، هو ما ختم به الخليفة الصديق حياته ففيه خير الدنيا والآخرة ، وأسأل الله تبارك وتعالى التوفيق . لقد روى عنه - رضى الله العالى عنه - أنه قال لعائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها وقد أحس بقرب النهاية : «يابنية !! إنا ولينا أمر المسلمين ، فلم نأخذ لنا درهما ولا دينارا ، ولكنا أكلنا من قريش طعامهم فى بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وأنه لم يبق عندنا من فىء المسلمين قليل ولا كثير ، إلا هذا العبد الحبشى ، وهذا البعير الناضح[8] فإذا مت فابعثى بهما إلى عمر !!

وهنا قال عمر رضى الله عنه : «لقد أتعبت من بعدك» .

وكانت وفاته مساء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ - ٦٣٤ م بعد خلافة دامت سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال عن ثلاث وستين سنة كما ذكر ذلك الطبرانى[9] وتاريخ الإسلام للذهبى .

(٨) البعير الناضح الذى يستقى عليه .

(٩) جـ ٢ ص ٤٥٠ ، والذهبى جـ ٣ ص ٧١ .

من فقه الشافعى

المسئولية التقصيرية وجناية السلطان

للشيخ : محمد حسام الدين

تحدث فقهاء القانون عن : « المسئولية التقصيرية » وعرفوها بانها « تحمل التبعة عن أخطاء العمل » .

ثم اتسع نطاقها لديهم بحيث أصبح مفهومها : (تحمل التبعة عن الضرر المترتب على العمل) .

سواء كان الضرر حادثا عن خطا وتقصير ، أو كان حادثا عن غير خطا في طبيعة العمل أو في ادائه .

ولم تكن المسئولية التقصيرية واضحة في قواعد القوانين الأوروبية القديمة وبخاصة القانون الرومانى .

لكن عناصرها أخذت تتمايز وتتضح شيئا فشيئا في ظل القانون الفرنسى وتطوراته المتعاقبة متاثرا بالقانون الكنسى وغيره .

فجاءت خصائص «المسئولية التقصيرية» أكثر وضوحا في صياغة القانون المدنى الفرنسى الصادر في مطالع القرن التاسع عشر [1] .

وخلصت مواده إلى أن « كل عمل يوقع ضررا بالغير يقتضى التعويض ممن قام بالعمل ، سواء نتج الضرر عن خطئه ، أو إهماله،او كان ناتجا عن عمله الشخصى أو عن عمل تابعه [2] .

---

(١) يراجع الموضوع في كتاب «الوسيط في شرح القانون المدنى - للدكتور عبدالرازق السنهورى - جـ١ - ط ١٩٥٢ .

(٢) مفهوم إجمالى - المرجع السابق - ص ٧٦٧ والمواد الفرنسية من ١٨٣٢ - ١٣٨٦ .

المسئولية التقصيرية وجناية السلطان

وقد توسع الفقهاء الفرنسيون ـ مؤخرا ـ فى شرح هذه المبادىء القانونية بحيث لا يكون الخطأ وحده أساسا « للمسئولية التقصيرية » وبحيث يكفى لترتيبها أن ينتج الضرر عن العمل ، ولو كان تنفيذ العمل فى ذاته واقعا دون اى خطأ . وعندئذ يتحمل الضمان من افاد بالعمل .

وصاغوا لهذا المبدأ نظرية جديدة أسموها : «نظرية تحمل التبعاب المستحدثة » وقالوا : إن النظرية الشخصية التى تقوم على فكرة الخطأ لا تتفق مع التطور الاقتصادى فى عصر سادت فيه الآلة . وكثرت فيه المخترعات بحيث أصبحت مورد رزق كبير ، ومصدر خطر جسيم .

ومن العدل أن يتحمل من ينتفع بهذه الآلات والمخترعات تبعة أخطارها «والغنم بالغرم » [٣] . لكن الفقهاء الفرنسيين لم يلبثوا أن عادوا فى هذا البحث إلى النظرة الشخصية لا الموضوعية ، فرتبوا حق التعويض على الخطأ ، سواء وقع الخطأ من الشخص بالفعل ، أو كان فرضا عليه بأن كان التزاما بالسلامة يفرضه القانون . أو يفرضه العقد . وبهذا تنتفى المسئولية إزاء مايحدث من ظروف أو قوة قاهرة [٤] .

وقد اهتمت التشريعات الأوروبية العصرية بموضوع « المسئولية التقصيرية » وسبقت فى مجالها سبقا واضحا ، ومن هذه التشريعات ماضمته القوانين الإيطالية والألمانية ، والإنجليزية وغيرها من التشريعات الأوروبية على اختلاف أصولها ، ومذاهبها .

وقد اقتبس منها القانون المدنى المصرى ، سواء فى إصداره القديم سنة ١٨٨٣ م ـ أو فى إصداره الجديد فى يوليو سنة ١٩٤٨ م .

ولقد جاءت نصوص القانون المدنى المصرى الجديد فتناولت المسئولية التقصيرية ، من جانبيها : الموضوعى ، والشخصى ، وجمعت أطراف الموضوع ، وشتات النظريات فيه ، وأقامت على هذا جميعه ضمانات تفى بمواجهة أخطار العمل ، وأخطار العصر الصناعى المعقد . ثم وفت هذه التشريعات بالنظر فى تبعات الحرفة ، وتبعات العمل ، وتبعات التضامن الاجتماعى ، وتبعات العمل بالمصانع ، وآثار الحروب ، وغير ذلك .

ومع هذا فإن فقهاء القانون المعاصرين يعترفون بأن القانون لايزال بعيدا فى ميدان التشريع عن استغراق كل صور المسئولية التقصيرية ، ومنها « تبعات الملكية » وتبعات « النشاط » بوجه عام [٥] .

هذا وقد تناول الفقه الإسلامى هذا الموضوع وتنوعت نظراته إليه تنوعا رائعا عجيبا . مما يجعل المبادىء الفقهية الإسلامية ، أساسا متينا صالحا للتقنين اليوم فى هذا الصدد .

وكان الشافعى ـ رحمه الله ـ من أسبق من كتبوا فى المسئولية التقصيرية ومن أفقه من أرسوا مبادئها .

---

(٣) المرجع السابق ص ٧٦٧ ـ ٧٦٨ . بتصرف واسع .
(٤) المرجع السابق ص ٧٧٠ .
(٥) المصدر السابق ص ٧٧١ ـ ٧٧٢ .

وإذا كان من الفقهاء المسلمين من خالف الشافعى فى بعض آرائه هنا ، فإن الشافعى يمتاز فى آرائه فى هذه المسألة بالعديد من الميزات .

يمتاز الشافعى صاحب الفقه المبكر فى المسألة ، أنه استقصى جوانبها تقريبا ، واستند فيما عرضه من راى فيها إلى أصول إسلامية متينة ، بل وإلى مبادىء عامة قد يخشى الفقه الدستورى المعاصر تقريرها او الإلزام بها اليوم .

لقد راى الشافعى ـ رحمه الله ـ أن السلطان مسئول مسئولية شخصية عما يحدث من ضرر نتيجة لخطئه ، أو تجاوزه فى مهمته ، أو تقصيره فى اداء واجبه .

ثم نظر الشافعى فى تبعة الملكية ، والظروف القاهرة والمسئولية عن التابع .

وتحدث بالتفصيل عن مسئولية « الموظف العام » عن الأضرار التى تترتب على عمل صدرت إليه الأوامر بتنفيذه .

ولم ينس الشافعى ـ رحمه الله ـ ان يرأف بالسلطان إزاء ما يحمل من تبعات ، فأكد على مبادىء تدخل اليوم فى مسمى « التكامل الاجتماعى » إزاء تبعة الخطأ الذى قد يستوجب الأَرْشَ او الدية ، او التعويض فجعل الدية ، او الضمان على عاقلة السلطان .

إن الشافعى يحاسب السلطان على الخطأ فى تطبيق الأحكام فيقول :

« وإذا حد الإمام رجلا ـ بشهادة عبدين ، أو عبد وحر ، أو ذمى ومسلم ، أو شهادة غير عدلين فى أنفسهما ، أو غير عدلين على المشهود عليه حين شهدا ـ فمات [٦] ، ضمنته عاقلته[٧] لأن هذا كله خطأ فى الحكم .

وكذلك لو أقر عنده ـ صبى ، أو معتوه ـ بحد ، فحده [٨]ضمنهما إن ماتا .

ومَنْ قلتُ : يَضْمَنُه أن مات ـ ضَمِنَ الحُكُومَةَ فى جَلْدِه[٩] او اثر[١٠] إن بقى به وعاش .

وكذلك يضمن دِيَةَ يده إن قطعه ، وكل ما قُلْتُ : يَضْمَنُه من خطئه فالدية فيه على عَاقِلَتِه » .

ويحاسب السلطان عن تقصيره فى بيان ما يأمر به ، فيقول الشافعى : « وإذا امر [١١] الجالد بجلد الرجل ، ولم يوقت [١٢] له ضربا . فضربه الجالد اكثر من الحد ، فمات . ضمن الإمام دون الجالد فإن كان حده ثمانين فزاد سوطا فمات ، فلا يجوز فيه إلا واحد من قولين :

« أحدهما : أن يضمن الامام نصف ديته ، كما لو جنى رجلان على رجل ، أحدهما : ضربة[١٣] ، والآخر : ثمانين ضربة [١٤] ، أو اقل ، أو اكثر ، ضمنا الدية نصفين [١٥] أو : يضمن [١٦] سهما من أحد وثمانين سهما من

(٦) اى : فمات الرجل .

(٧) اى : عاقلة الإمام نظرا لكونه اخطأ بالأخذ بشهادة من لاتقبل شهادته فيما يستوجبه الحد .

(٨) اى فأقام عليهما الحد بناء على هذا الإقرار الذى لا يعتد به .

(٩) اى يضمن ما يحكم به من التعويض إذا كان قد جلده خطأ .

(١٠) اى يضمن الآثار فى بدن المحدود إن أقيم عليه الحد ، وبقيت له آثار فى بدنه .

(١١) اى وإذا أمر السلطان الجالد .

(١٢) اى ولم يحدد له السلطان عدد الضربات .

(١٣) اى كما لو تعدى احدهما بضربة واحدة .

(١٤) اى وكما لو ان الآخر تعدى بثمانين ضربة .

(١٥) ذلك لأن السلطان والجالد تعديا ، فالسلطان لم يحدد قدر ما يستحق الجانى من ضربات ، والجالد زاد على أقصى حد بالجلد ، فهو متعد بالتأكيد ، وإن لم يعلم مقدار التعدى نظرا لعدم توضيح القدر المطلوب للسلطان .

(١٦) اى والقول الثانى أن يضمن ... إلى آخره ، فالمسألة فيها قولان على ما أوضح الشافعى . وهذه العبارة هى بيان القول الثانى .

من فقه الشافعى

المسئولية التقصيرية وجناية السلطان

ديته ، ويكون كواحد وثمانين قتلوه ، فَيَغْرَمُ حِصَّتَه .

وفى مسئولية التنفيذ - أو « الموظف العام » قال الشافعى : «ولو كان الإمام للمضروب ظالما ضمن ما أصابه من الضرب بأمره . ولم يضمنه الجالد .

إلا أن يعلم الجالد أن الإمام ظالم . بأن يقول الإمام : أنا أضرب هذا ظالما ، أو يقول الجالد : قد علمت انه يضربه ظالما بلا شبهة فيضمن الجالد والإمام معا .

ولو قال الجالد : ضربته وأنا أرى الإمام مخطئا عليه ، وعلمت أن ذلك رأى بعض الفقهاء ضمن الجالد .

وليس للضارب أن يضرب إلا أن يرى أن ما أمره به الإمام حق ، أو مغيب عنه سبب ضربه ، أو يأمره بضربه فيكون ذلك عنده على أنه لم يأمره إلا بما لزم المضروبَ .

وهكذا : أرسى الشافعى مبدأ يستوجب مسئولية المنفذ ، أو « الموظف العام » إذا نفذ أمرا لمن لاتجب عليه طاعته ، أو كان بحيث يعتقد بأن فى الأمر تعديا ، أو ظلما .

وقد نصت المادة ١٦٧ من القانون المدنى المصرى الحاضر على أنه : « لايكون الموظف العام مسئولا عن عمله الذى أضر بالغير ، إذا قام به تنفيذا لأمر صدر إليه من رئيس . متى كانت إطاعة هذا الأمر واجبة عليه . أو كان يعتقد أنها واجبة ، وأثبت انه كان يعتقد مشروعية العمل الذى وقع منه ، وكان اعتقاده مبنيا على أسباب معقولة ، وأنه راعى فى عمله جانب الحيطة » .

وجاء فى المذكرة الإيضاحية للمشروع التمهيدى للقانون فى هذا الصدد ما نصه :

« وترتفع المسئولية كذلك إذا كان العمل الضار قد وقع تنفيذا لأمر صادر من رئيس إدارى لانتفاء الخطأ فى هذه الصورة . ويشترط لإعمال هذا الحكم شرطان :

فيجب أولا : أن يكون محدث الضرر موظفا عاما .

ويجب ثانيا : أن يكون العمل الضار قد وقع تنفيذا لأمر صادر من رئيس إدارى ، ولو لم يكن الرئيس المباشر ، وعلى من أحدث الضرر أن يقيم الدليل .لا على اعتقاده وجوب طاعة هذا الرئيس فحسب ، بل وكذلك على اعتقاده وجوب تنفيذ الأمر الصادر منه ، وعليه كذلك أن يقيم الدليل على أن اعتقاده هذا كان مبنيا على أسباب معقول ، وأنه راعى جانب الحيطة فيما وقع منه[١٧] .

هذه المادة القانونية ، لم ترد بالصيغة الصريحة التى تضمنتها عبارة الشافعى وهى أنه «ليس للضارب أن يضرب إلا أن يرى أن ما أمره به الإمام حق ، أو مُغَيَّبٌ عنه سببٌ ضربه .

ولعل عذر المادة القانونية أننا نعيش فى زمن يجرى فيه تلبيس الحق بالباطل على الناس ، فلا تتضح صورة الحق فى جلاء ، وأن من مهام القانون ضبط الشئون الإدارية ، وإنفاذها ، وهى كثيرة شديدة التعقيد فى عصرنا .

(١٧) الوسيط - للسنهورى جـ ١ ص ٧٩١ - هامش .

وقد اجتهد شراح القانون في إزالة شيء من إبهام المادة ، وكانوا بين .. بين . لكن القضاء كان قد أرسى قبل صدور هذا القانون نفس المبدأ الذي قرره الشافعي ـ رحمه الله ـ فقد اتجه القضاء في بعض أحكامه إلى أنه : (لو اتضح أن الموظف العام كان يعلم عدم مشروعية العمل الذي ارتكبه فإنه يكون مسئولا)[18] .

هذا : وإن من أدق المبادىء التي قررها الشافعي هنا أن السلطان مسئول مسئولية شخصية عن كل أمر ليس فيه صلاح المسلمين وأنه ضامن لما ينجم عن هذه الأوامر من أضرار ، فإن وجب فيها التعويض المالي ، كان في ماله ، أو مال عاقلته .

قال الشافعي [19] : « فأما كل أمر ليس من صلاح المسلمين أكره السلطان عليه رجلا فمات منه في ذلك الأمر فالسلطان ضامن لدية من مات فيه »[20] .

لقد جعل السلطان مسئولا عن نتائج الأوامر الصادرة منه ، حتى الفزع والترويع الذي يغشى بعض الناس إذا ظهر الجنود عليهم بمظهر البطش .

والشافعي يجعل الضمان على السلطان وعلى عاقلته ، ولا يميل إلى الأخذ برأي من خالفوه بجعل الضمان في بيت المال .

قال : «ثم اختلِفَ في العقل الذي يلزم السلطان : فأما الذي أَخْتَارُ ، والذي سمعت ممن أرضى من علمائنا : أن العقل على عاقلة السلطان .

وقد قال غيرنا من المشرقيين : العقل على بيت المال ، لأن السلطان إنما يؤدب لجماعة المسلمين فيما فيه صلاحهم ، فالعقل عليهم في بيت مالهم ....)[21] .

لقد أفاض الشافعي في هذا الوقت المبكر ـ في شرح ما يسمى اليوم «بالمسئولية التقصيرية» ، وحدد وجوهها في كثير من الوقائع ، وأرسى مبادئها ، واستوفى وجوه التبعات فيها ، بحيث يبهر النظريات القانونية المعاصرة في هذا الصدد ، ويسبقها إلى ما لم تقرره حتى الآن في جوانب «تبعات الملكية» و «تبعات النشاط» بوجه عام ، وغيرها .

وعقد لهذا الموضوع فصولا عديدة تناولت : خطأ الطبيب ، والإمام يؤدب ، وجناية معلم الكتاب ، والمسئولية عن الجمل الصئول ، ومسئولية الرجل يكترى الدابة ، ومسئولية الأَجَرَاءِ عما يُسَلَّمُ إليهم أو يكون في أيديهم للعمل ، ومسئولية الحَجَّام ، والخَاتِنِ ، والبَيْطَارِ ، والضمان في اصطدام السفينتين ، والفارسين ، وجناية السلطان .. وهكذا .

ورحم الله الشافعي ، فقد ترك بين أيدينا ما تدعو له فقهاء القانون اليوم ، مما يكشف لهم أن ما في الفقه الإسلامي أوفى ، وأوسع وأنسب مما يرجونه في النظريات القانونية الأخرى .

وعسى الله أن يهديهم إلى فقه الإسلام . والله ولي التوفيق .

---

(18) الوسيط ـ للسنهوري جـ ١ ص ٧٩٢ ـ هامش : استئناف مختلط ١٩٢٣/٦/٢١ . م ٣٥ ص ٥٢١ .
(19) يراجع الأم للشافعي جـ ٦ ص ٧٥ وما بعدها ـ كتاب الشعب ـ .
(20) يراجع الأم للشافعي جـ ٦ ص٧٧ ـ كتاب الشعب ـ .
(21) يراجع الأم للشافعي جـ ٦ ص ٧٧ وما بعدها ـ كتاب الشعب ـ

رفع اليدين في الصلاة

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قام في الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ، وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ، ويفعل ذلك إذا رفع رأسه من الركوع ، ويقول : سمع الله لمن حمده ، ولا يفعل ذلك في السجود . ـ متفق عليه ـ واللفظ للبخارى .

الحَذْو والحذاء : الإزاء والمقابل .

كثيراً ما يرى المصلى مع الجماعة مَنْ يرفع يديه عند التكبير في افتتاح الصلاة فقط ، ومنهم مَنْ يرفع يديه ـ إلى جانب ذلك ـ عند الركوع ، وعند الرفع من الركوع ، وبعضهم يرفع يديه ـ بالإضافة إلى ما تقدم ـ إذا قام من الركعتين .

فما حكم ذلك ، وما الحكمة منه ، وما وجهة كل فريق ، وما المطلوب من المسلم . ونبادر إلى الحكمة من رفع اليدين قال العلماء إنه تعظيم لله عز وجل ، وعبادة له ، وابتهال إليه ، واستسلام له ، وخضوع في الوقوف بين يديه ، واتباع لسنة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقالوا : إن الرفع لنفى صفة الكبرياء عن غير الله ، والتكبير لإثبات الكبرياء لله .

وقالوا : إن الرفع معناه الإشارة إلى طرح الدنيا ، والإقبال بكليته على العبادة .

وقيل : الإشارة إلى الاستسلام والانقياد ، وليناسب فعله قوله الله أكبر .

وقيل : الإشارة إلى رفع الحجاب بين العبد والمعبود .

وقال الربيع : قلت للشافعى ما معنى رفع اليدين ، قال : تعظيم الله واتباع سنة نبيه ، ونقل ابن عبد البر عن ابن عمر أنه قال : رفع اليدين من زينة الصلاة ، وعن عقبة بن عامر الجهنى ـ فيما رواه الطبرانى ـ بإسناد حسن قال : يكتب في كل إشارة يشيرها الرجل بيده في الصلاة بكل إصبع حسنة أو درجة .

وأما حكمه : فقد ذهب الجمهور إلى أن رفع اليدين سنة ، وأنه واجب عند داود الظاهرى وبعض أصحابه ، ومن هؤلاء من أوجبه في تكبيرة الإحرام فقط ، ومنهم من أوجب ذلك في افتتاح الصلاة ، وعند الركوع والرفع منه ، ومنهم من أوجبه عند السجود أيضاً . وسبب الاختلاف ، معارضة ظاهر حديث "المسىء صلاته" فإنه ليس

فيه ذكر رفع اليدين . مع أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة .

وأما الحنفية فقد عولوا على رواية مجاهد أنه صلى خلف ابن عمر فلم يره يرفع يديه ، واحتجوا بحديث ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - : يرفع يديه عند الافتتاح ثم لا يعود - أخرجه أبو داود - وقد رده الشافعى بأنه لم يثبت ، قال : ولو ثبت لكان المثبت مقدماً على النافى ، وقد صححه بعض أهل الحديث ، لكنه استدل به على عدم الوجوب ، وأنه فعله تارة وتركه أخرى .

وأما عند المالكية : فقد قال ابن عبدالبر - كما جاء فى فتح البارى - لم يرو أحد عن مالك ترك الرفع فيهما أى الركوع والرفع منه - إلا ابن القاسم،والذى نأخذ به الرفع على حديث ابن عمر ، وهو الذى رواه ابن وهب عن مالك ، ولم يَحْكِ الترمذى عن مالك غيره ، ونقل الخطابى وتبعه القرطبى فى "المفهم" أنه آخر قولى مالك وأصحهما ، ولم أر للمالكية دليلاً على تركه ولا متمسكاً إلا بقول ابن القاسم : وذلك لمخالفة عمل أهل المدينة .

روى البخارى فى(جزء رفع اليدين)عن مالك .. أن ابن عمر - رضى الله عنهما - كان إذا رأى رجلاً لا يرفع يديه إذا ركع ، وإذا رفع رماه بالحصى ، والشافعى وأحمد ومالك فيما رواه فى الموطأ يرجحون حديث ابن عمر - « عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله عن عبدالله بن عمر » : « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه ، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضاً » . وقد رواه جماعة عن مالك فذكروا فيه الرفع عند الانحطاط للركوع ، قالوا فيه : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة حذو منكبيه ، وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع . ذكر الدارقطنى الطرق عن أكثرهم عن مالك كما ذكرنا وهو الصواب .

وذهب بعض أهل الحديث إلى رفع اليدين عند السجود والرفع منه ..

ورفع اليدين عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع ، والرفع منه ، كما فى الحديث الذى صدرنا به الباب الذى رواه ابن عمر فقد نقل البخارى عن شيخه على بن المدينى قال : حق على المسلمين أن يرفعوا أيديهم عند الركوع والرفع لحديث ابن عمر هذا .

وقد قال البخارى فى جزء رفع اليدين : من زعم أنه بدعة فقد طعن فى الصحابة فإنه لم يثبت عن أحد منهم تركه ، قال:ولا أسانيد أصح من أسانيد الرفع ، وذكر البخارى أيضاً أنه رواه سبعة عشر رجلاً من الصحابة ، وذكر الحاكم وأبو القاسم بن منده ممن رواه:العشرة المبشرة .

وأما الحد الذى ترفع إليه اليدان ، فهو عند الأحناف إلى حذو الأذنين . وحده عند مالك والشافعى إلى المنكبين ، ولأحمد ثلاث روايات أشهرها: حذو منكبيه ، والثانية إلى أذنيه ، والثالثة التخيير ، وقيل:إلى الصدر،وكل ذلك مروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم .

ويمكن الجمع بين رواية المنكبين ورواية الأذنين ، أنه يرفع يديه حتى تحاذى كفاه منكبيه ، وتحاذى أصابعه أذنيه . وهاتان هما الروايتان المشهورتان عنه - صلى الله عليه وسلم - .

والخلاصة : أن رفع اليدين مشروع - وجوباً - عند بعض العلماء،وسنة ومستحب عند البعض الآخر ، وحسب المصلى أجراً وثواباً أن له بكل مرة يرفع فيها يديه عشر حسنات بعدد أصابع يديه . وكما قال - صلى الله عليه وسلم - : صلوا كما رأيتمونى أصلى .

صلح الحديبية

للأستاذ/ عبدالمنعم محمد عمر

كانت جميع القبائل العربية تعظم البيت الحرام ، وإليه كانوا يحجون ويعتمرون خاشعة قلوبهم ، حاملين معهم نذورهم ومحاصيلهم ، فيبيعون ما يحملون من متاع ويبتاعون من مكة ما هم في حاجة إليه ، وقد ظل احترام البيت الحرام سائدا بين جميع القبائل العربية يطوفون حوله في مواسم الحج وفي غير المواسم ، فيما عدا المسلمين إذ منعهم شيوخ قريش من دخول مكة .

وكان المسلمون بعد هجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستقبلون في صلاتهم بيت المقدس ، وظلوا كذلك ثمانية عشر شهراً حتى نزل قوله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[1]

وفي العام الخامس من الهجرة النبوية الشريف فرض الله الحج على المسلمين[2] لمن استطاع إليه سبيلا ، كما أباح العمرة ، وقد عزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أول ذي القعدة من العام الهجري السادس على أداء العمرة ، أي في أوائل الأشهر الحرم في ذلك العام ، وهي الأشهر التي تعاهد العرب منذ أقدم العصور على احترامها وتحريم القتال فيها .

وكان الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يرجو أن يهدي الله زعماء قريش فيمتنعوا عن اعتراض سبيل المسلمين ، فقد كانت القاعدة التي سار عليها أجدادهم ألا يصدوا أحدا عن المسجد الحرام ، وألا يمنعوا أحدا من الطواف حول الكعبة المشرفة .

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في شوق للصلاة في المسجد الحرام والطواف حول الكعبة المشرفة ، وكذلك كان كل من خرج معه من المسلمين ، وكانوا حوالي الف وأربعمائة مسلم[3] ، ولحق بهم بعض الأعراب ممن استجابوا لدعوة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - إلى أداء العمرة معه ، وقد ساق المسلمون أمامهم الهدى حتى تعلم قريش أن النبي ومن

(١) سورة البقرة : الآية (١٤٤) .
(٢) هذا أحد أقوال في فرضها
(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ٦٢١ .

كانوا معه خرجوا لأداء العمرة ، وأنهم لا يريدون قتال أحد .

وفى الطريق علم النبى - صلى الله عليه وسلم - ان رؤساء قريش قد عزموا على التعرض له ، وعلى منعه هو ومن معه من الوصول إلى مكة ؛ ولذلك فقد أرسلوا خالد بن الوليد على رأس قوة بلغ عدد فرسانها مائتين ليصدوهم عن المسجد الحرام[٤] .

لقد كان المسلمون أصحاب حق ، كما كانوا أكثر عددا ، وأعز نفرا ، وكانوا على استعداد أن يحاربوا المشركين إذا حالوا بينهم وبين أداء العمرة ، معتمدين على حب الله وعلى حقهم ؛ ولكن خاتم الأنبياء والمرسلين كان لا يريد حربا يستشهد فيها بعض المسلمين ويقتل فيها بعض المشركين ، ولكنه كان يبغى السلام ، وأن يمكنوه من أداء العمرة ، ولذلك أمر المسلمين أن يغيروا طريقهم ، فاتخذوا طريقا وعرا غير مطروق ، وبذلك تجنبوا الاصطدام مع خالد بن الوليد ومن معه من الفرسان .

وهكذا وصل المسلمون سالمين إلى « الحديبية » وهى : قرية على بعد بضعة أميال من مكة ، كما أنها داخلة فى حمى حرم أم القرى ، ولا يجوز لقريش أن تحاربهم ماداموا قد دخلوا فى حمى الحرم .

وفى الوقت نفسه كان زعماء الارستقراطية القرشية يخشون من تمكن المسلمين من دخول مكة فى هذا العام - خاصة بعد أن فشل خالد بن الوليد فى منعهم ، لأن معنى ذلك أنهم دخلوها عليهم عنوة ، وبذلك تضيع هيبتهم بين القبائل العربية الأخرى فيما يرون .

لقد استطاع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذكائه وحكمته أن يضع مشركى قريش فى مأزق حرج ، لأنه أظهرهم أمام العرب جميعاً بأنهم صادون عن البيت خارجون على التقاليد التى ورثوها عن أجدادهم ، وقد أدرك ذلك بوضوح الوسطاء الأربعة الذين أوفدهم المشركون ليفاوضوا نبى الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلما عادوا إليهم نصحوهم أن يخلوا بين المسلمين وبين المسجد الحرام ، وكان من بين هؤلاء الوسطاء « الحليس بن علقمة سيد الأحابيش » وهم من أكبر القبائل المتحالفة مع قريش وأعزها .

فلما رأى المسلمين محرمين وسيوفهم فى القرب ، ورأى الهدى الذى - ساقوه أمامهم ، عاد إلى مشركى قريش وقال غاضبا : « والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم : أيصد عن بيت الله معظَّم له ؟

والذى نفس « الحليس » بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، وهكذا وقع خلاف كبير بين قريش وبين الأحابيش أكبر حلفائهم[٥] . فقالوا له : مه ، كف .. عنا يا « حليس » حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به » .

وبعد مفاوضات عسيرة استطاع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحكمته وبعد نظره أن يتغلب على جميع المصاعب التى كانت تقف حجر عثرة فى سبيل التفاهم مع قريش على إقرار سلام معهم ، واستطاع بعد صبر طويل ، وبعد مباحثات شاقة أن يعقد معهم صلحا كانت أهم

---

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢٢ .

(٥) الطبرى : جـ ٢ ص ٦٢٧ - ٦٢٨ .

صلح الحديبية

شروطه هى :

أولا : « اصطلح الطرفان على وضع الحرب بينهما عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض » .

وبمقتضى هذا الشرط اعترفت الارستقراطية القرشية لأول مرة بالأمة الإسلامية التى كونها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد صراع عنيف فى مكة والمدينة دام حوالى عشرين عاما . وما أن ضمن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نشر السلام فى « المدينة المنورة » حتى نشط يعمل على اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتنظيمها .

ثانياً : « أنه من أحب أن يدخل فى عهد محمد وعقده ، فعل ، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش وعقدها فعل » .

وقد دخل فى عهد المسلمين بعض القبائل التى كانت تخشى قريشا ، كما دخل كثير من الناس فى الإسلام كان من أشهرهم خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وكان ذلك نصرا للمسلمين .

ثالثا : « وأن محمداً يرجع عنا بأصحابه : (أى يرجع هذا العام بلا عمرة) عامه هذا ، ويدخل علينا بأصحابه من قابل ، فيقيم فيها ثلاثة ، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر : « السيوف فى القرب » .

رابعاً : « وأنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه ردّه محمد إلى وليه ، وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد لم يردوه »[6] .

وقد أثارت بعض شروط هذا الصلح غيظ المسلمين ، فقد منع أحدها المسلمين من العمرة هذا العام بعد أن أصبحوا قريبين من مكة المكرمة ؛ كما كان أشد الشروط عليهم ذلك الشرط الذى يلزم المسلمين أن يعيدوا إلى كفار مكة المسلمين الذين يتمكنون من الفرار بدينهم ويصلون إلى المدينة المنورة .

وذهب عمر بن الخطاب إلى الرسول الكريم ، وسأله فى ذلك فرد عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « أنا عبدالله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى » ، فذهب عمر إلى أبى بكر وسأله ، فقال له : « أيها الرجل إنه رسول الله . ولن يعصى ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه »[7] .

وقد تأثر المسلمون تأثراً شديداً من تلك الشروط ، ومن ذلك ما رواه الطبرى عن الزبير بسنده ، كما روى عن مروان بن الحكم قولهما : (فلما فرغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قضيته قال لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » . قالا : « فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ؛ فلما لم يقم منهم أحد قام [أى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم] فدخل على أم سلمة ، فذكر لها مالقى من الناس . فقالت له أم سلمة : « يانبى الله أتحب ذلك ! اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى فعل ذلك ؛ نحر بدنته ،

البقية ص ٦٣

(٦) الطبرى حـ ٦٣٤ ـ ٦٣٥ .

(٧) كناية والمراد بالحيطة تمسك بأمره كما يتمسك الراكب بالركاب فى سرج الفرس وانظر الطبرى : حـ ٢ ص ٦٣٥ .

الحلال والحرام

في معاملات البنوك والمال

لفضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنه

قرات فى جريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٩١/٥/٢٩ م مقالا بهذا العنوان ، ولما لهذا المقال من الخطر : لان كاتبه هو مفتى الديار المصرية ، كان من الفرائض على ان اناقش وعلى ـ مجلة الأزهر ـ ان تنشر إحقاقا للحق الذى عهده الناس من الجامع الأزهر ، وبيانا لشرع الله الذى التبس بعض احكامه على كثير من الناس ، ونمهد بالثوابت الآتية :

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ النساء ـ ٢٩ . اشتملت الآية الكريمة على امرين :

الأول : النهى عن اكل اموال الناس من طريق باطلة ، ومثل لها المفسرون والفقهاء بالمال المأخوذ من طريق السرقة او الغصب او الربا او القمار او الغرر او العقود الفاسدة .

الثانى : حِلُّ المال المستفاد من طريق التجارة ، والتجارة هى : « عقود المعاوضة » التى يقصد منها الربح إذا كانت خالية من كل ما تقدم ؛ فلو تضمنت ربا او قماراً او غرراً او سببا آخر من اسباب فساد العقود حَرُمت وفسدت ، وكان المال المأخوذ من طريقها مشوباً . وذكر فى « إحياء علوم الدين » حـ ٢ ص ٩٣ ، أن من انواع المال الحرام : المستفاد من طريق العقود الفاسدة .

٢ ـ أن الربا الذى حرمه القرآن هو الزيادة فى الديْن فى مقابلة تأجيله سواء زيد عند العجز عن ادائه او اشتراط فى أول المداينة ، أجمع على هذا ائمة الاجتهاد فى كل عصر ، ويدل عليه استقراء مذاهب المسلمين والأصل فيه قوله

● الكاتب : عضو مجمع البحوث الإسلامية .

◆ فى معامـلات البنوك والمال

تعالى : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ ومن ادعى غير هذا فقد خرج عن الإجماع ويسمى ربا النسيئة وهو غير ربا الفضل ، لأن ربا الفضل زيادة من غير تأجيل وربا النسيئة تأجيل سواء كان فيه زيادة أم لا .

٣ ـ الأصل فى العقود التى تجرى بين الناس ، أن ترد إلى العقود الشرعية التى جاء بها القرآن والسنة كالبيع والإجارة والمزارعة والمضاربة ما استطاع الفقهاء إلى ذلك سبيلا ، أما إذا تعذر ردها إلى عقد من هذه العقود ، فإنها تكون عقودا مستحدثة ، والأصل فيها الإباحة كعقد الاستصناع مالم تتضمن محرما كالربا والقمار والغرر ، ونمثل لذلك (بشركة أطلس) مع المصرف التجارى فإذا رسا العطاء على (شركة أطلس) فى بناء مؤسسة للدولة واحتاجت إلى قرض من المصرف على أن يشاركها فى الربح الذى ستربحه من بناء هذه المؤسسة بالنصف ، فهذا العقد يكون عقد مضاربة من غير تردد : لأنها شركة بمال من جانب وعمل من جانب فلا تجوز الشركة فى الربح إلا على الشيوع ولا يخطر ببال فقيه أن هذا عقد مستحدث ، مادام يمكن رده إلى عقد من العقود المشروعة ، وإفتاء البعض فى الحكم بالحلِّ على بعض ما يعرض عليه من القضايا استنادا إلى أنه عقد مستحدث خطأ فى كثير مما قرأنا .

٤ ـ أجمـع الفقهـاء قـاطبـة عـلى أن (المضاربة) هى دفع المالك ماله إلى آخر ليتجر فيه بربح مشترك معلوم شائع أى نسبى ، وعلمنا أن التجارة التى أذن القرآن فيها هى الخالية من الربا والقمار وغيرهما من المحرمات السابقة ومن شاء فليستقرىء فى هذا كله جميع المذاهب الفقهية .

٥ ـ اعتبار الربح نسبة شائعة فى المضاربة شرط فى صحتها ثابت بالسنة والإجماع ، أما السنة فما أخرج مسلم بسنده إلى حنظلة ، قال : سألت رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق فقال : لا بأس به إنما كان الناس يؤاجرون على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الماذيانات ، وأقبال الجداول وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ويسلم هذا ويهلك هذا ، فلم يكن للناس كراء إلا هذا فلذلك نصر عنه ، فأما شىء معلوم مضمون فلا بأس به »[1] .

الماذيانات : قنوات الماء ، أقبال الجداول : رءوسها ، والمعروف أن الزرع يجود فى هذين الموضعين ، وقول الراوى : « معلوم مضمون » اى نصيب معلوم مضمون لكل من الشريكين ، وذلك لا يتم إلا بالشيوع ، لأن تحديد المكان قد يقطع الشركة ، والحديث وارد فى المزارعة فاستنبط منه المجتهدون جميعاً اشتراط الشيوع فى المضاربة بدلالة النص لا بالقياس : للمساواة القوية بينهما لأن كلا منهما فيه شركة فى الخارج بين مالك المال والعامل ، قال شمس الأئمة السرخسى[2] : فى الاستدلال على فساد المضاربة إذا لم يكن الربح شائعاً والأصل ماروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل عن المزارعة بما سقت السواقى والمـاذيانـات

(١) « صحيح مسلم » ـ « كتاب البيوع » ـ باب كراء الأرض بالذهب والورق .

(٢) « السرخسى ـ المبسوط » حـ ٢٢ ـ ص ٢٣ .

فافسدها ، وكان المعنى أى العلة فيه أن ذلك الشرط يؤدى إلى قطع الشركة بينهما فى الخارج فيتعدى ذلك الحكم إلى هذا الموضع أى المضاربة بهذا المعنى ، وهو استدلال بدلالة النص فى المزارعة ، لأن العلة يفهمها كل من يفهم اللغة .

وأما الإجماع فقد نقله ابن المنذر فى كتابه الإشراف[3] ، وابن حزم فى مراتب الاجماع[4] ، وباستقراء المذاهب لن تجد فقيها يخالف فيه وإنما اقتصر الفقهاء فى الاستدلال على الشيوع ببيان العلة اختصاراً ، ففهم من فهم أن الاشتراط بناء على قواعد الفقهاء . والمرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف نقل رأيه هذا عن تفسير المنار باب « الربا المحرم بنص القرآن والربا المحرم بأحاديث الآحاد والقياس حيث قال : « ولا يدخل فيه ـ أى فى الربا ـ أيضا من يعطى آخر مالا يستغله ويجعل له من كسبه حظا معينا لأنه مخالفة لقواعد الفقهاء فى جعل الحظ معينا ... الخ »[5] .

ولما نشر رأيه فى لواء الإسلام سنة ١٩٥١ م ردت عليه جبهة علماء الأزهر ببيان نشر فى جريدة المنبر التى كانت تصدر فى ذلك الوقت .

٦ ـ المضاربة فى المصارف التجارية باطلة لأن ٨٠ ٪ على الأقل من أعمالها معاملات محرمة لاشتمالها على الربا : فمن عُمُدِها التى لا تقوم إلا بها قبول الودائع بفائدة ، ومعلوم أنه اقتراض بفائدة ومنها الإقراض للأفراد والحكومات بفائدة ومن أعمالها الربوية حسم الكمبيالات وشراء السندات للحصول على فوائدها والاتجار فيها ، وتحصيل فوائدها لعملائها ، والاعتماد المستندى المبنى على القرض ، فلا المضاربة معها جائزة ، ولا تحديد الربح بالمضاربة جائز .

٧ ـ العقود الفاسدة لفقد شرط من شروط العقد منهي عنها وداخلة[6] فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ وسواء فسرنا الفساد باصطلاح الحنفية أو الشافعية لا يجوز الاستمرار فى التعامل بها بل ينبغى متاركتها لحق الشرع وخروجا عن معصية الفساد ، وليس معنى قول العلماء (إن المضاربة الفاسدة تنقلب إجارة فاسدة يجب فيها أجر المثل) : أنه يجوز الاستمرار فى التعامل بها ؛ بل معناه أن ما وقع من التعامل حكمه أننا نستبدل الربح فى المضاربة بقيمة عادلة لعمل المضارب وهى أجرة المثل .

وبعد هذا نناقش فضيلة المفتى فيما كتب :

١ ـ يقول فضيلته : « تحديد الربح فى المضاربة لا دليل من السنة أو القرآن عليه كما قال الشيخ خلاف » ، الواقع أن الشيخ خلاف قلد الشيخ رشيد رضا فى هذا الرأى ، ودعوى أن الفقهاء بنوا المسألة على قواعدهم ليست بصحيحه ، لأنهم استنبطوها من سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين كما قدمنا .

٢ ـ يقول فضيلته : « إن تحديد الربح نافع للجانبين وليس فيه ظلم ولا إضرار لأحد بل سدّ بابه هو الإضرار » .

---

(٣) « الإشراف » ـ جـ ١ ـ ص ١٩٧ .
(٤) « مراتب الإجماع » ـ ص ٩٢ .
(٥) « تفسير المنار » ـ جـ ٣ ـ ص ١١٧ هذا وقد قامت مجلة الأزهر بنشر مفصل لمقال فضيلة الشيخ عبدالوهاب خلاف ـ رحمه الله ـ وأعقبتهما بردود كبار العلماء من أعضاء الهيئة وأصدرت ذلك فى كتيب جعلته هدية عدد شعبان ١٤١٠ هـ بعنوان « الربا والقضايا المعاصرة » .
(٦) « الجصاص ـ أحكام القرآن ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٢ .

الحلال والحرام

فى معاملات البنوك والمال

نقول : إذا كانت الحكمة فى حرمة التحديد هى البعد عن الغرر كما هو واضح كالشمس فى حديث المزارعة ، فالتحديد إضرار محض ولا مصلحة فيه لأحد ، بل فيه مفسدة ألاّ يربح المال شيئًا ثم يغرم المضارب لرب المال ما شرط عليه .

٣ ـ يقول فضيلته : « إن مسألة التحديد وعدمه ليست من العقائد أو العبادات التى لا يجوز التغيير فيها ؛ بل هى من المعاملات الاقتصادية » نقول : كيف لا يرى فضيلته مانعا من القول بالتحديد مستأنسا لذلك بأن هذه المسألة من المعاملات الاقتصادية وليست من العبادات ؟ وهل فرق الشارع فى التحريم بين العبادات والمعاملات ؟ مع قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « اتق المحارم تكن أعبد الناس »[7] ومع قوله : « لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به »[8] . وفضيلته يوافقنا على ذلك حين يقول إن الله أحل التجارة عن تراض « مالم تحل حراما » وقد تبين أن تحديد الربح محرم بدلالة السنة كما بينا .

٤ ـ يقول فضيلته : « قد تبدو النصوص مخالفة لمصالح الناس » ومن الأمثلة على ذلك حديث التسعير ، نقول : لم يأت النص مخالفا لمصالح الناس فى حديث التسعير ؛ فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يسعر للناس حين سألوه التسعير ؛ لأن الأقوات كانت قليلة فى المدينة ، وكان السعر مرتفعا ، كما أشار إلى هذا فى الطرق الحكمية ص ٢٤٤ حيث ذكر من أسباب ارتفاع السعر المانعة من التسعير قلة الشىء وكثرة الخلق . ومن هنا قال جمهور الأئمة بجواز التسعير عند الحاجة ، وهو ما قال صاحب الهداية بجواز التسعير إذا تعدى التجار القيمة تعديا فاحشا .

٥ ـ يقول فضيلته : « إن لولى الأمر إذا رأى أن مصلحة الناس تقتضى أن تحدد البنوك الأرباح مقدما لمن يتعاملون معها : أن يكلفها بذلك » وقوله : « لا يوجد نص شرعى يمنع من التحديد » : **هذا القول بعد البيان الذى قدمنا : إسراف فى الخروج على أدلة الشرع ومعارضة لها ، لما فى المضاربة مع المصارف التجارية من الربا الصريح ولما فى تحديد الربح من الغرر الواضح** .

٦ ـ يقول فضيلته : « إن تحديد الربح كان بعد دراسة من المصرف » نقول : ماذا تجدى دراسة المصرف للأسواق فى معاملة محرمة لما فيها من الربا ، وهل هناك مصلحة لصاحب المال إذا علم نصيبه من مال ربوى ، فضلا عما يؤدى إليه التحديد من الغرد .

٧ ـ يقول فضيلته : « إن تحديد الربح لا يتعارض مع احتمال الخسارة ؛ لأن المصرف إذا خسر فى عام ربح فى آخر » نقول : هل كان مبلغ الشرع ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجهل أن زارع الأرض أو مالكها إذا حدد له النصيب ، وخسر فى عام أنه يربح فى عام آخر ، وأن فى هذا تبريراً لتحديد النصيب بما يخرج من ناحية من الأرض أو تلك .

وما نقله فضيلته عن صاحب (المغنى) هو فى مضاربة واحدة قبل فسخها ؛ لأن المعقود عليه

---

(٧) كنز العمال جزء ١٥ (الحديث رقم ٤٣٥٠٠) .

(٨) كنز العمال جزء ٤ رقم ٩٢٧٧ .

فيها هو التجارة ، والمنظور فى التجارة هو جملة المال لا آحاده ، فلو أن تاجراً اشترى سيارتين وربح فى الأولى الفا ، وخسر فى الثانية مائة وقيل له هل ربحت فى تجارتك يقول : نعم ربحت تسعمائة .

٨ ـ يقول فضيلته : « إن عدم تحديد الربح فى زماننا الذى خربت فيه الذمم يجعل صاحب المال تحت رحمة صاحب العمل المستثمر » نقول : لم تجر العادة أن خراب الذمم يشمل سائر الناس وسائر المصارف فما يزال فى الدنيا إيمان وأمانة ، وما يزال فى الدنيا ضمير حىّ يخاف عذاب الله ، وما يزال فى الدنيا مرشدون يحذرون الناس من الخروج عن أدلة الشرع ، وإذا كان هذا علاج خراب الذمم ، فما علاج الغرر فى المعاملة الناشىء عن تحديد الربح .

٩ ـ يقول فضيلته : « وكما تدخل الحكام الفقهاء فى تضمين الصناع بالمصلحة المرسلة ، فإن لولى الأمر أن يتدخل فى (المضاربة) ، بتحديد الربح وجعل رأس المال مضمونا على المضارب » نقول : إن مسألة جعل الربح نسبياً أو محدداً ليست مما يطبق عليه دليل المصالح المرسلة ؛ لأنها ثابتة بدلالة السنة والإجماع ، والمصالح المرسلة إنما تطبق فى مالم يرد فيه نص كمسألة ضمان الصناع ، فلا يصح إثبات التحديد بالمصلحة المرسلة لأنه مصادم للنص والإجماع كما قدمنا ولما فيه من الغرر .

ونهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أن يبيع حاضر لباد الذى ذكره فضيلته ليس من موضوعنا ، لأن معناه : أن يجعل ساكن المدينة نفسه سمساراً لأصحاب القرى والبوادى فى بيع سلعهم لساكنى المدينة بأثمان مرتفعة أكثر مما لو باع به أصحاب القرى والبوادى أنفسهم وفى هذا إضرار بمصلحة عامة وهو ثابت بنص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

١٠ ـ يقول فضيلته : « مع تسليمنا جدلا بأن تحديد الربح مقدما يفسد عقد المضاربة ، لم يقل أحد من الأئمة بأن فساد عقد المضاربة لهذا السبب يجعل العقد معاملة ربوية ، يحرم فيها الربح الناشىء عن العمل فى المال المستثمر » نقول : صحيح أن فساد عقد المضاربة لا يجعل المضاربة معاملة ربوية ؛ لأن للربا معنى خاصا ، لكن لا يلزم من نفى كونها ربوية أن تكون حلالا ، بل هى محرمة بسبب آخر وهو فساد العقد ؛ فإن فساد العقد من أسباب تحريم المعاملة الواقع فيها عند الفقهاء ، وقد ذكرنا أن العقود الفاسدة من أسباب أكل المال بالباطل فى الآية الكريمة ، وماذكره صاحب تكملة فتح القدير : هو بيان لحكم المضاربة الفاسدة أى ما يترتب عليها من حق العامل وحق رب المال وليس معنى هذا انها معاملة حلال ؛ بل هى محرمة يجب الخروج منها ، وفسخها على الاصطلاحين بعداً عن معصية الفساد ، كما هو الشأن فى سائر العقود الفاسدة ، وهنا الانتقال من مضاربة فاسدة بتحديد ربح إلى إجارة فاسدة لجهالة الأجر . اما الإجارة الصحيحة فهى حلال ويجب فيها الأجر المسمى .

١١ ـ يقول فضيلته : « إن البنوك التى تحدد الربح وتدعى أن ذلك هو الحلال هل أخبرت المتعاملين بنصيبهم النسبى ، نقول : إن المصارف التى شرطت على نفسها أن تتعامل بأحكام الإسلام هى المسئولة عما تعامل الناس به وعن مقداره فعليها الجواب .

الخلاصة : إن المضاربة مع المصارف التجارية فاسدة لأن ٨٠ ٪ على الأقل من معاملاتها ربوى ، وأن جعل الربح نسبيا فى المضاربة شرط ثابت بالسنة والإجماع ، وإذا غاب هذا الشرط عن بعض الكاتبين فهذا لا يؤثر على شرطيته ، وقد نبهت جبهة علماء الأزهر على هذا الشرط سنة ١٩٥١ م ، ونشر فى « مجلة الأزهر » ابتداء من شهر صفر سنة ١٤٠٩ هـ .

لفضيلة الدكتور: سيد محمد طنطاوى

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد العال عطوة

اعجبنى فى مطلع هذا الكتاب قول مؤلفه : « إن الذين يفتون فى شان المعاملات التى تجريها البنوك والمصارف عن جهل ، او عن هوى ، او عن سوء نية ، يرتكبون فى حق دينهم وفى حق امتهم افحش الأخطاء » .

وارى أن هذه الكلمة حق وصدق ، لاشتراك الأصناف الثلاثة فى البعد عن الشريعة ، أما المفتون عن هوى أو عن سوء نية ـ وإن كان بينهما تداخل ، إذ الهوى لا يخلو من سوء نية ، وسوء النية لا يخلو من الهوى ـ فلا حيلة لنا فيهم ، إذ الهوى يعمى ويصم ، وسوء النية قلما يرد صاحبه إلى الصواب ، وهؤلاء وأولئك حسابهم على الله ، ولكن نسأل الله تعالى لهم البعد عن الهوى والغرض وأن يجعلنا وإياهم على حسن النية وسلامة الطوية ، والرجوع إلى الله تعالى .

وبعد : فإن طائفة ترى أن « إيداع الأموال فى البنوك وصناديق التوفير وأخذ الأرباح المحددة عليها أمر مشروع ومباح ، على أساس أن ذلك نوع من أنواع المضاربة التى أقرتها الشريعة الإسلامية .

وقد دافع مؤلف الكتاب عن هذا الرأى ، وأيده بشُبَهٍ سنذكرها فيما بعد . وقبل إيراد هذه الشبه والرد عليها ، نقول: إن المؤلف حاول أن يجد لهذا القول سنداً من أقوال فقهاء الصحابة أو التابعين، أو من فقهاء المذاهب المعتبرة الذين دونت مذاهبهم ، أو التى لم تدون ولكنها منثورة فى بطون كتب الفقه العام أو الخاص ، ولكنه لم يجد ، فلجأ إلى الاستشهاد بأحد فقهاء العصر الذى أفتى بحل فوائد دفاتر توفير البريد ، بناء على أن إيداع الأموال فى صناديق توفير البريد نوع من أنواع المضاربة ، وأن القول بأن تحديد مقدار معين من الأرباح لأحد المتعاقدين يفسد عقد المضاربة، قول لا دليل عليه من الكتاب

والسنة ، وقد نشرت هذه الفتوى بمجلة لواء الإسلام[1] .

وقد رد على هذه الفتوى فضيلة استاذنا وشيخنا الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق ، وفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ـ عليهما رحمة الله تعالى ـ ونشر هذا الرد بمجلة لواء الإسلام أيضاً فى الأعداد التالية للعدد المذكور بعد فترة قليلة من نشر الفتوى ، وقد بلغنى أن هذا الرد نشر أخيراً بمجلة الأزهر الغراء[2] .

وقبل أن ادخل فى صميم الموضوع بذكر الشبه التى ساقها المؤلف لتأييد هذه الفتوى والرد عليها ، اذكر واقعة تختص ببيان هذا الموضوع وإلقاء الضوء عليه ، كان زمنها عقب هذه الفتوى ، حدثنى بها زميل لى من العلماء العاملين بالقسم الفنى بدار الإفتاء المصرية فى ذاك الوقت واسمه الشيخ بدر ـ رحمه الله تعالى حياً أوميتاً ـ وهى أنه عقب هذه الفتوى مباشرة كتبت دار الإفتاء إلى إدارة صندوق توفير البريد تسألها فيه عن حقيقة وطبيعة الأموال المودعة فى الصندوق ونشاطها الاستثمارى ، فـأفادت الإدارةُ المذكورة دارَ الإفتاء بأنها تقوم بإقراض هذه الأموال بفائدة تعطى المودعين بعضها وتأخذ هى البعض الآخر ، اى انه لا يوجد لدى إدارة صندوق التوفير اى نشاط صناعى أو تجارى او زراعى او غيرها من انواع الاستثمار المشروع ، وبالتالى لا يوجد اى عقد استثمارى بين المودعين ـ مضاربة أو غيرها ـ ولا بين إدارة الصندوق وغيرها من جهات الاستثمار ، وإنما الأرباح عبارة عن فوائد ربوية ناشئة عن عمليات الاقتراض ، وبهذا تنهار الفتوى وما بنيت عليه وقت نشر الكاتب لها بمجلة لواء الإسلام .

ونعود بعد ذلك إلى ذكر الشُبه التى أيّد بها المؤلف جواز التحديد ومشروعيته فنقول :

الشبهة الاولى : انه لا يوجد دليل شرعى يمنع من أن يقوم احد المتعاقدين فى المضاربة بتحديد الربح مقدما مادام هذا التحديد قد تم بتراضيهما ، وبناء على ذلك فإنه لا مانع من أن يقوم البنك المستثمر للمال بتحديد ربح معين فى عقد المضاربة الذى يكون بينه وبين صاحب المال الذى يضعه فى البنك بقصد الاستثمار فيما أحله الله .

والرد على هذه الشبهة : أن الدليل الشرعى المانع من التحديد قائم وهو الإجماع والقياس اللذان اعترف المؤلف فى صدر كتابه بأنهما من ادلة التشريع التى لا خلاف فيها .

أما الإجماع فقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة وغيرها على أن تحديد مقدار معين لأحد المتعاقدين فى عقد المضاربة يفسدها ، اى انه أمر غير مشروع فى عقد المضاربة ، ونسوق أقوال المذاهب فى ذلك :

١ ـ قال الكاسانى الحنفى : « ومن شروط المضاربة : أن يكون المشروط لكل واحد منهما من المضارب ورب المال من الربح جزءًا شائعا ـ نصفا أو ثلثا أو ربعا ـ فإن شرطا عدداً مقدراً ، بأن شرطا ان يكون لأحدهما مائة درهم من الربح

---

[1] العدد رقم ١١ من السنة الرابعة لسنة ١٩٥١ .

[2] نشرت مجلة الأزهر ردود كبار العلماء ، منهم فضيلة الإمام الاكبر الأسبق الأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج ، والشيخ أبو زهرة ، والشيخ الطيب النجار وغيرهم ، ثم جمعت ذلك فى كتاب « الربا والقضايا المعاصرة » الذى صدر هدية مع عدد شعبان ١٤١٠ هـ .

معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

او اقل او اكثر ، والباقى للآخر ، لا يجوز والمضاربة فاسدة » .

[بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع جـ ٦ ص ٨٥ ، ٨٦]

٢ ـ وجاء فى (تكملة المجموع) شرح (المهذب) فى فقه الشافعية مايلى :ـ (فصل) ولا يجوز أن يختص احدهما بدرهم معلوم ثم الباقى بينهما ، لانه ربما لا يحصل ذلك الدرهم فيبطل حقه ، وربما لا يحصل غير ذلك الدرهم فيبطل حق الآخر » .

[تكملة المجموع شرح المهذب جـ ١٣ ص ٤١٧ ، ٤١٨]

٣ ـ ومثل ذلك جاء فى الفقه المالكى [حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٣ ص ٥١٧] .

٤ ـ وجاء فى كتاب (المغنى) لابن قدامة فى الفقه الحنبلى مايلى : « مسألة » قال : « ولا يجوز أن يُجعل فى المضاربة لأحد من الشركاء فضل دراهم » .... .

قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على إبطال القراض ـ المضاربة ـ إذا شرط أحدهما أو كلاهما لنفسه دراهم معلومة ، وممن حفظنا ذلك عنه : مالك والأوزاعى والشافعى وأبو ثور وأصحاب الرأى » .

فهذه نصوص اصحاب المذاهب وفى بعضها التصريح بالإجماع على أنه لا يجوز تحديد الربح مقدما فى عقد المضاربة ، ولا نعلم مخالفا لهذا القول إلا شخصا طلع علينا بمقال فى مجلة لواء الإسلام بخبر هذا التحديد وذلك فى سنة ١٩٥١م وتلقفه مؤلف الكتاب حين استعصى عليه أن يجد من يجيز ذلك من فقهاء القرون الماضية ، ومعروف أن مخالفة الإجماع باطلة لا قيمة لها ولا يعول عليها ، هذا إن صدرت من مجتهد مشهود له بالاجتهاد ، فما بالك إذا كانت المخالفة من غيره .

وأما القياس : فهو قياس المضاربة التى حُدد فيها جزء معين مقدماً لأحد المتعاقدين ، على عقد المزارعة التى تتم بين رب الأرض والزارع إذا دفع له الأرض ـ سواء كان معها البذر أو لا ـ على أن يزرعها ويكون لرب الأرض جزء معين من الخارج ، والباقى من الخارج بينهما مناصفة أو مرابعة أو مثالثة ، فهذه قد نهى عنها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رواية عن رافع بن خديج ـ رواها أحمد والبخارى والنسائي ـ قال : حدثنى عمَّاي أنهما كانا يكريان الأرض على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما ينبت على الأربعاء وبشىء يستثنيه صاحب الأرض لنفسه ، قال فنهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك وفى هذا المعنى أحاديث أخرى رواها الشوكانى [نيل الأوطار جـ ٥ ص ٢٣٢]

فهذا نص نبوي على فساد المزارعة التى يستثنى فيها صاحب الأرض لنفسه شيئا من الخارج المستثمر ، لنهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك والنهي يقتضى الفساد كما تقرر فى (علم الأصول) ، فيقاس على صورة المزارعة هذه المنهى عنها المضاربة التى حُدد فيها شىء من الربح مقدماً ؛ لأن رب المال فى المضاربة يقابل ويماثل رب الأرض والبذر ، والعلة الجامعة بين المضاربة والمزارعة هي تحديد جزء من الخارج المستثمر مقدما لأحد المتعاقدين فى كل منهما ،

فكما تفسد المزارعة بذلك فكذلك تفسد المضاربة به .

فهذان دليلان من ادلة التشريع الإسلامى المجمع عليها ـ والتى اعترف بها المؤلف فى مطلع كتابه ـ يفيدان عدم جواز تحديد مقدار معين من الربح لأحد المتعاقدين فى عقد المضاربة ، وانه لو تم ذلك بين المتعاقدين ـ ولو برضاهما ـ فسد العقد ، وبذلك لا يقال : لا يوجد نص فى موضوع المسألة ، ويبنون على ذلك جواز التحديد ، ولعل المؤلف يقصد بالنص ما ورد فى الكتاب او السنة ، فإن صح هذا فإنه لا يفيده بشىء ، لأن الإجماع والقياس من أدلة التشريع المجمع عليها ، وقد بينا آنفا انهما لا يجيزان التحديد ، وانه يفسد المضاربة لو وقع .

الشبهة الثانية : إن مسألة تحديد الربح مقدماءأو عدم تحديده من المعاملات الاقتصادية التى تتوقف على تراضى الطرفين فى حدود شريعة الله تعالى .

والرد على هذه الشبهة : أن التحديد ليس من شريعة الله ، وليس داخلاً فى حدودها ، وقد أقمنا الدليل على ذلك من الإجماع والقياس ، وليس التراضى وحده كافيا لإثبات شرعية المعاملة : بل لابد أن يكون هذا التراضى مقارنا لبقية الشروط التى وضعها الشارع لتحقيق شرعية المعاملة ، وإلَّا فكثير من التصرفات التى حرمها الله تعالى تقوم على التراضى كالزنا ونحوه ، ومن الشروط التى وضعها الشرع بجانب التراضى فى عقد المضاربة الشركة النسبية فى الربح وعدم تحديد مقدار معين لأحد المتعاقدين ، كما بيناه آنفا .

الشبهة الثالثة : أن شريعة الإسلام تقوم على رعاية مصالح الناس فى كل زمان ومكان ، فيجب أن تراعى ولو خالفت مراعاتها بعض النصوص ، كما فعل ذلك بعض الفقهاء الذين اجازوا لولى الأمر تسعير السلع والأقوات لما فى التسعير من المصلحة التى تعود على أفراد الأمة ، مع أن هذا التسعير مخالف لما اثر عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عدم التسعير ، عند ما سأله بعض الصحابة أن يسعر لهم .

ثم قال المؤلف : وقياسا على ذلك فإن لولى الأمر إذا رأى أن مصلحة الناس تقتضى أن تحدد البنوك الأرباح مقدما لمن يتعاملون معها ، فله أن يكلفها بذلك ، رعاية لمصالح الناس ، وحفظا لأموالهم وحقوقهم ، ومنعا للنزاع والخصام بين البنوك والمتعاملين معها ، وهى مقاصد شرعية معتبرة . اهـ .

أى أن المؤلف يريد أن يقول : مادام قد ساغ لبعض الفقهاء مخالفة النص للمصلحة ، فلا مانع من التحديد الذى يخالف مادل عليه الإجماع والقياس من عدم التحديد رعاية للمصلحة ايضا ، قياسا على ما راه هذا البعض من الفقهاء فى قضية التسعير ، وهذا اعتراف ضمنى من المؤلف بعدم جواز التحديد شرعا ، إن لم يكن اعترافا صريحا .

والرد على هذه الشبهة : أن التحديد ليس مصلحة معتبرة لمخالفته الإجماع والقياس ، وجانب المفسدة فيه أرجح من جانب المصلحة لما يؤدى إليه من الظلم والغبن على الوجه الذى بيناه فيما سبق .

ثم إن غلاء السعر على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى دفع بعض الصحابة إلى طلب التسعير من رسول الله ـ صلى الله عليه

نظرات فى كتاب

معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

وسلم ـ لم يكن منشؤه تحكم التجار فى الأسعار ، واستغلالهم حاجة الناس ، واستبدادهم برفع الأسعار دون سبب إلا الجشع فى الأرباح وامتلاء جيوبهم وخزائنهم بالأموال ، وإنما الغلاء الذى اشار إليه الحديث كان بسبب الظروف الاقتصادية وقلة العرض وكثرة الطلب ، فلم تكن المصلحة حينئذ فى التسعير ، وإنما كانت فى عدم التسعير ، ولذلك لم يسعر لهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعض الفقهاء الذين اجازوا التسعير قيدوا ذلك بتغالى التجار فى الأسعار وتجاوزهم القيمة الحقيقية للسلع والأقوات ، وإذا فلم يكن منهم مخالفة حقيقية لامتناع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ثم فلا يصح بناء التحديد على هذه القصة أو القياس عليها .

ويجب أن نعيد إلى الأذهان أمراً مهما وهو أن القول بالتحديد مبنى على أن الأموال المودعة فى البنوك أو المستثمرة عن طريقها مضاربة ، والواقع أنها ليست مضاربة؛ لأن معظم البنوك لا تستثمر هذه الأموال فى مشاريع صناعية أو زراعية أو تجارية ، وإنما تستثمرها عن طريق إقراضها بفوائد تأخذ بعضها وتعطى المودع بعضا آخر ، وعلى ذلك فالأساس المبنى عليه التحديد أساس غير سليم أيضا من الوجهة الشرعية .

« يتبع »

المفهوم الحيوى للهجرة ـ بقية

واطمأنوا فيه ، وحرصوا على أن تكون المدينة هى مثواهم الأخير ، وكرهوا أن يموت الواحد منهم فى وطنه الأول الذى هاجر منه ، وقد كان ذلك استجابة لدعوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى دعا أن يحبب الله المدينة إلى أصحابه حتى تكون أحب إليهم من غيرها .

وقال ـ فيما يرويه ابن منظور فى لسان العرب ـ حين قدم مكة : « اللهم لا تجعل منايانا بها » .

ولقد حج سعد بن خولة مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة الوداع ، ومرض فى مكة وعاده النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مرضه ، ورثى له أن مات بمكة ، وقال : « اللهم امض لأصحابى هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم » ـ الاستيعاب ٢/٥٨٦ ـ

إن فى الهجرة معانى روحية سامية تنبه لها العارفون وأدركها الذائقون .. عرفوا منها معنى الأخوة الصادقة والإيثار الحميد الذى مجد الله فيه الأنصار الذين آثروا إخوانهم عليهم وقال فى ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ .. ﴾ ـ الحشر ٩ ـ

وعرفوا منها معنى السياحة التى تعلم الإنسان معنى الصبر ومغالبة النفس وقهرها ، وحملها على تحمل المشاق والصعاب ، وذلك لون من ألوان الجهاد النفسى العظيم . وعرفوا منها معنى التضحية والجهاد والفداء ..

وذاقوا بها لذة الإيمان الحق الذى أثنى الله على أصحابه بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ـ الأنفال ٧٤ ـ

البديل الإسلامي
للأدوات الربوية
في أسواق رأس المال

للأستاذ: سمير عبد الحميد رضوان *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، خاتم المرسلين ، الذى جاء بالكتاب المبين ، وفيه يقول المولى ـ عز وجل : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ الأنعام ٣٨ .

إن رصيد الإسلام الروحي والاجتماعي والاقتصادي والقانوني وَفَّر للإنسان ـ ايا كان ـ غطاء امينا لحياته ... في دينه وعقله ونفسه وماله وعرضه . وما على المسلم إلا ان يسبح متجاوزاً بؤرة تحلقت حول حياته جعلته لا يرى من دينه إلا جانب العبادة ، وغفل عما سواها : فما كان في هذا الدين من علم ، وما كان لهذا العلم من روافد سخرت الكون للإنسان ... كل ذلك غاب عن المسلم ، ولو عرفه ـ وذلك واجبه ـ لعرف ما اراد الله ـ تعالى ـ له من عزة ، وما اراد له من نعمة . ولعرف ماله من حق وما عليه من واجب ... واجب لا يرهقه ولا ينال من طاقته ، قال تعالى : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ الاعراف ٤٢ ـ وقال ـ سبحانه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ الطلاق ٧ .

من هذا المنطلق العلمي نقدم هذه الدراسة :

لقد اسهمت اسواق راس المال في الدول النامية في تسرب جزء كبير من المدخرات الوطنية كان من الممكن أن يضاف إلى رصيد التراكمات الرأسمالية اللازمة لدعم الجهاز الإنتاجي ، وذلك بسبب عدم تخير المؤسسات المالية لأدوات الاستثمار التي تتفق ورغبات المولين ، وميول ومعتقدات المدخرين المحتملين .

ولقد ثبت من الدراسات والبحوث التي قدمت ونوقشت في العديد من الندوات العلمية والتي شارك فيها لفيف من الاقتصاديين والمسئولين أن شركات توظيف الأموال قد تمكنت من استقطاب مدخرات العاملين في الخارج ، ومدخرات القطاع العائلي والخاص بالداخل ثم حجبتها عن

* الكاتب باحث اقتصادي . والبحث في عرض للدراسة والمناقشة بين المختصين .. مجلة الأزهر .

للأدوات الربوية فى أسواق رأس المال

التوظيف فى استثمارات طويلة الأجل عدا القليل منها .

وباستبعاد هذه الأصول من دورة الإنفاق الإنتاجى وتوجيهها لاحتياجات التشغيل لم تؤد وظيفتها كمدخرات فى عملية تكوين رأس المال الثابت ، ولم تؤد دورها بالتالى فى عملية الإنماء الاقتصادى .

لذلك فإن كل محاولة جادة وكل جهد يبذل من الآن من أجل استقطاب هذه المدخرات وعودتها إلى أوطانها لأداء وظيفتها الأصيلة فى تكوين رأس المال الثابت من شأنه معالجة الاختلالات الهيكلية وتدعيم الموازنة النقدية .

إن حاجة الاقتصاد القومى للادخار لاتكون بفرض التشريعات التى تجعل المدخر حبيسا للأساليب التقليدية ، وعلى الدولة الا تغلق كل الطرق أمام المدخر فتضطره إلى الاكتناز أو توظيف مدخراته فى الأوعية الادخارية التى لم تحز قناعته .

لذلك فإنه من المأمول الوصول إلى صيغة مقبولة من جميع الأطراف المعنية بأمر الادخار وهم المدخرون والقائمون بالتوظيف والدولة ، وليس من المقبول ـ ونحن نسعى إلى جذب المدخرات ـ أن نطالب الآخرين بتصحيح أو تصويب مفاهيمهم لكى تتوافق مع الأدوات المالية القائمة ، وإنما المطلوب أن تطوع الأدوات المالية لتتناسب مع كل منهم .

ماهية الأداة الاستثمارية المقترحة :

ـ هى أداة استثمارية تقوم على تجزئة رأس مال المضاربة إلى صكوك ملكية ذات وحدات متساوية القيمة حيث يمثل الصك حصة شائعة فى (رأس مال المضاربة) ويجرى توزيع الأرباح على حملة الصكوك بنسبة ملكية كل منهم ، ويستفاد مما تقدم أن هذه الصكوك لاتختلف فى طبيعتها عن الأسهم العاديـة فى شركات المساهمة ، ووجه الخلاف بينها وبين الأسهم لايتعلق بطبيعة الصك وإنما بأسلوب توظيف أموال المشروع ، حيث يمتنع على شركة المضاربة الإسلامية التعامل فى محرم بيعا أو شراء أو التعامل بالفائدة أخذا أو عطاء .

الغرض من إصدارها :ـ

ـ إيجاد صيغة جديدة للاستثمار تقوم على مبدأ المشاركة فى العائد والمخاطرة .

ـ استحداث أداة مالية جديدة تسهم فى تنشيط السوق المالية فى مصر ، وتشارك مع أدوات الاستثمار القائمة فى إفساح المجال أمام أصحاب المدخرات الوطنية لاختيار الأداة الاستثمارية التى تناسب كلا منهم وتتفق وميولهم ومعتقداتهم الشرعية .

ـ المساهمة فى إزالة الأسباب التى أدت إلى تسرب جزء كبير من المدخرات الوطنية ، والذى كان من الممكن أن يضاف إلى رصيد التراكمات الرأسمالية اللازمة لدعم الجهاز الإنتاجى فيما لو تلاقت أدوات الاستثمار مع الميول والمعتقدات الشرعية .

ـ تهيئة المناخ الاستثمارى فى مصر لاستقبال المدخرات الوافدة والهاربة من مناطق التوتر والمحفوفة بالمخاطر والمهددة باندلاع الحرب .

ـ إقامة مشروع قومى كبير يتم تمويله من خلال إصدار هذه الصكوك للمساهمة فى عمليات الإنماء الاقتصادى ، والمساهمة كذلك فى حل مشكلة البطالة دون تحمل الجهة المصدرة لأية

اعباء تمويلية ثابتة من شأنها رفع تكلفة الإنتاج والتهام عوائده .

ــ لما كان معدل النمو الاقتصادى ما هو إلا حاصل نسبة المدخرات إلى معامل رأس المال ، لذلك فإن إصدار الأدوات المالية التى تجذب قطاعا عريضا من المستثمرين من شأنه زيادة المدخرات وبالتالى نسبة النمو الاقتصادى ، الأمر الذى تصبح معه هذه المسالة مسالة قومية .

ــ تصويب المسار الذى سلكته بعض شركات توظيف الأموال وذلك من خلال توجيه مدخرات القطاع العائلى والخاص نحو استثمارات طويلة الأجل فى رأس المال الثابت بما يعنى زيادة التراكمات الرأسمالية التى تسمح بزيادة المقدرة الإنتاجية للاقتصاد القومى .

الصيغة الاستثمارية :

المضاربة بمفهومها الشرعى تختلف عن المضاربة بمدلولها الاقتصادى ، فهى عقد على الشركة فى الربح بين رب المال الذى يقدم ماله وبين المضارب الذى يقدم عمله ، فيد المضارب على المال يد أمانة ، وتصرفه فى هذا المال تصرف الوكيل ، فإذا ما تحقق ربح فالمضارب شريك فى هذا الربح مع رب المال حسب شروط العقد ، وإذا لم يتحقق ربح فلاشى ، للمضارب ، وقد عرَّفها أحد الباحثين الاقتصاديين بأنها نوع من المشاركة بين صاحب الأموال وصاحب الخبرات يقدم فيها الأول ماله والثانى خبرته ويقتسمان نتائج المشروع بنسب يتفق عليها ، وهى الوسيلة الإسلامية المشروعة التى يمكن من خلالها توظيف الأموال النقدية Monetary Fands فى النشاط الاقتصادى بتحويلها إلى عنصر إنتاج من خلال عمل مشترك يقوم به صاحب المال ورب العمل معا .

وقد ذهب المالكية فى تخريجهم لعقد المضاربة إلى أنه توكيل من رب المال إلى غيره لكى يتجر فيه بمعنى أن رب المال يقيم غيره مقام نفسه فى تصرف جائز معلوم ، وهو هنا الاتجار فى ماله بجزء شائع معلوم من الربح كالنصف أو الثلث أو نحوهما . ولا خلاف بين الفقهاء أو القانونيين بأن كل ما جاز للإنسان أن يتصرف فيه بنفسه جاز له أن يوكل فيه أو يتوكل(١) ، ومما لا شك فيه أن الحاجة ماسة إلى هذا العقد ، لأن الموكل (رب المال) قد يكون له مال ولا يُحسن التجارة فيه ، وقد يُحسن ولا يتفرغ ، وقد اباحها الشارع لدواعى الحاجة وتحصيلا للمصلحة .

اركان المضاربة :

وتقوم المضاربة على ستة اركان وهى :
مالك المال الذى يدفع .
والعامل الذى يأخذ .
والاتجار الذى هو عمل العامل .
والربح الذى يشتركان فيه .
والمال الذى يتجر فيه .

والإيجاب والقبول وينعقد بكل مايدل عليه ، ويكفى فيها المعاطاة عند الحنابلة ؛ فإذا أخذ العامل المال وباشر العمل فيه كان جائزا .

شروط المضاربة .

ويتعلق بالمضاربة أيضا ثلاثة شروط منها :
ــ أن يكون رأس المال نقودا وهذا اشتراط

(١) أى يقبل الوكالة .

للأدوات الربوية فى أسواق رأس المال

جمهور الفقهاء ، فلا يجوز بالعروض ولا بالديون .

ـ أن يكون رأس المال معلوم القدر والجنس والصفة عند التعاقد ، ومحددا تحديدا نافيا للجهالة .

ـ أن يكون رأس المال مُسَلَّمًا للمضارب بمعنى تخلى رب المال عن مال المضاربة ، وإفساح المجال للمضارب لتمكينه من تحريك المال وتثميره .

الربـــح :

اتفق الفقهاء على تحديد نصيب كل من صاحب المال والمضارب فى الربح عند إبرام العقد بجزء مشاع غير محدد ، وذلك بأن يكون نسبة مئوية ، أو كسرا اعتياديا لكل منهما .

الخسارة :

أما عن الخسارة فإنها تكون على رب المال ما لم يكن هناك تقصير من جانب المضارب أو تعدٍ أو مخالفة للشروط المتفق عليها ـ ففى حالة تقصير المضارب (العامل) فإن الخسارة تكون عليه فيما نقص من رأس المال ويقاس مقدار التقصير والتعدى بقدر مايمكن أن يفعله قرناؤه من التجار فى نفس الظروف وفى نفس السوق .

الأعمال التى لا يجوز للمضارب أن يعملها :

إقراض مال المضاربة أو الهبة منها .

التوقيت :

اجاز الأحناف توقيت عقد المضاربة بينما لم يجزه المالكية والشافعية ، وقد أجاز الحنفية التوقيت ؛ لأن عقد المضاربة توكيل ، والتوكيل يحتمل التخصيص بوقت دون آخر ، وقد أوضح (الكاسانى) أنه لو أخذ المال مضاربة إلى سنة جازت المضاربة .

اقسام المضاربة : المضاربة نوعان

ـ مضاربة مطلقة .
ـ مضاربة مقيدة .

المضاربة المطلقة :

ويطلق فيها تصرف العامل (المضارب) فى كل ما يرجو فيه ربحا فهذا جائز على عموم التصرف ، بمعنى إطلاق يد المضارب فى سائر التصرفات من غير تعيين للعمل أو المكان أو الزمان أو صفة العمل .

المضاربة المقيدة :

وهى التى تُغَل فيها يد العامل بتقييد تصرفاته بوجه من الوجوه أو بتعيين شىء مما يتحرر منه العامل فى المضاربة المطلقة .

دليل المضاربة المقيدة :

ما روى عن حبيب بن يسار عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : « كان العباس إذا دفع مالاً مضاربةً اشترط على صاحبه ألا يسلك به بحرا ولا ينزل به واديا ولا يشترى ذات كبدٍ رطبة فإن فعل ذلك فهو ضامن ، فرفع شرطه إلى النبى ـ ﷺ ـ فأجازه ، والمقصود بهذه الشروط هو الحفاظ على المال من الضياع أو الهلاك .

مجموعة البدائل المقترحة :

وفقاً للتقسيم المتقدم للمضاربة بين مطلق ومقيد فإنه يمكن طرح البدائل الآتية :

ـ صكوك مضاربة إسلامية مطلقة (عامة) .

ـ صكوك مضاربة إسلامية مخصصة لنوع معين من النشاط .

ـ صكوك مضاربة إسلامية مخصصة لمشروع معين .

النوع الأول : صكوك المضاربة الإسلامية المطلقة :

وفيها تطلق يد المضارب فى سائر الأنشطة المباحة والتى يرجو فيها ربحا .

النوع الثاني : صكوك المضاربة الإسلامية المخصصة لنشاط معين :

ويلتزم المضارب (العامل) هنا بتوظيف أمواله فى نشاط معين كالإسكان أو صناعة الدواء أو التعدين إلخ ... ، فإن خالف ووظف أموال المضاربة فى أنشطة اخرى كان متعديا وضامنا .

النوع الثالث : صكوك المضاربة الإسلامية المخصصة لمشروع معين :

وبمقتضاها يلتزم المضارب بتثمير أموال المضاربة فى مشروع محدد بذاته ؛ فإن تعدى ذلك إلى غيره ولو فى نفس النشاط كان متعديا وكان بالتالى ضامنا .

ويبين من العرض المتقدم أن النوع الأول من قبيل المضاربة المطلقة والنوعين الآخرين وهما الثانى والثالث من قبيل المضاربة المقيدة ، وبينما ينفسح المجال وتتعدد روافد الاختيار أمام المضارب فى النوع الأول لتوظيف مال المضاربة فى وجوه الاستثمار التى تحقق للمشروع أعلى ربحية ممكنة ، تقل فى النوع الثانى المجالات التى يمكن أن يتحرك فيها المضارب لتثمير أموال المضاربة وتتحدد على وجه تنعدم معه فرص الاختيار فى النوع الثالث ، ومع هذا يبقى لكل نوع من المزايا النسبية ما يجعله موضع مفاضلة وتفضيل من جانب أرباب الأموال .

ولما كان أحد الأغراض المقترحة لإصدار هذه الصكوك هو إقامة مشروع قومى كبير يجرى تمويله من مدخرات العاملين المصريين فى الخارج ، والقطاع العائلى والخاص بالداخل ؛ فإن أرجح البدائل التى نراها هو البديل الثالث لعدة اعتبارات :

١ ـ أن عدم تحديد المشروع الذى سيجرى تمويله من حصيلة هذه الصكوك من شأنه إثارة شكوك الفئة المخاطبة فى إمكان توظيف اموالهم فى مجالات لا تحظى بقبولهم ، أو لا تتفق وميولهم ، أو تخالف معتقداتهم .

٢ ـ أن توظيف حصيلة الصكوك المقترحة فى مشروع قومى كبير يستوعب الفوائض المالية للعاملين فى الخارج والداخل ويستهدف زيادة الطاقة الإنتاجية ، ويعالج بعض الاختلالات الهيكلية ، ويحقق عائداً مجزيا لأصحاب رءوس الأموال من شأنه استيثاق الفئة المخاطبة من قيام الوكيل بتوظيف أموال موكله فى المجالات التى تحظى بقبوله ، ولا تعارض معتقداته ، ولاتخرج عن حدود وكالته ، وتحقق فائضا مجزيا له ، ومنفعة قومية للبلاد ، وذلك كله بعد إعداد دراسات الجدوى والإعلان عنها فى نشرة الاكتتاب وخاصة من حيث :

ـ معدل الربح المتوقع للمشروع .

للأدوات الربوية في أسواق رأس المال

— معدل مايتوقع أن يسهم به المشروع في توفير فرص العمل ، والمساهمة في حل مشكلة البطالة في مصر .

— معدل ما يتوقع أن يضيفه المشروع إلى الدخل القومي .

— المعدل المتوقع لما يضيفه المشروع إلى الطاقة الإنتاجية .

— ما يوفره المشروع من العملات الأجنبية .

وعلى الرغم مما تقدم فإنه يظل من الممكن الجمع بين البديل الثالث والأول إذا ما توافرت للمشروع الأموال اللازمة للوفاء بالاحتياجات التمويلية لرأس المال الثابت والعامل من حصيلة الاكتتاب ، وإذا ما استبان أن هناك فائضا في سيولة المشروع تقتضي المصلحة تشغيلها في مختلف وجوه الاستثمار المباحة على أن يجري تحديد أعلى نسبة يمكن توجيهها لتلك الاستثمارات في نشرة الاكتتاب .

ونتناول فيما يلي العناصر التي اشترط الفقهاء توافرها في صكوك المضاربة الإسلامية في ندوة المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد خلال الفترة من ٨/٣٠ إلى ١٩٨٧/٩/٢ .

العنصر الأول :

أن يمثل الصك ملكية حصة شائعة في المشروع الذي أصدرت الصكوك لإنشائه أو تمويله ، وتستمر هذه الملكية طيلة المشروع من بدايته إلى نهايته .

العنصر الثاني :

يقوم العقد في صكوك المضاربة على أساس أن شروط التعاقد تحددها نشرة الإصدار ، وأن (الإيجاب) يعبر عنه (الاكتتاب) في هذه الصكوك وأن (القبول) يعبر عنه موافقة الجهة .

ولابد أن تشتمل نشرة الإصدار على جميع البيانات المطلوبة شرعا في عقد القراض (المضاربة) من حيث بيان معلومية رأس المال ، وتوزيع الربح مع بيان الشروط الخاصة بذلك الإصدار على أن تتفق هذه الشروط مع الأحكام الفقهية المعتبرة .

العنصر الثالث :

أن تكون صكوك المضاربة قابلة للتداول بعد انتهاء الفترة المحددة للاكتتاب باعتبار ذلك تصرفا من المالك في ملكه .

العنصر الرابع :

أن من يتلقى حصيلة الاكتتاب في الصكوك لاستثمارها ، وإقامة المشروع بها هو المضارب أي عامل المضاربة ولا يملك من المشروع إلا مقدار ما قد يسهم به بشراء بعض الصكوك ، فهو رب مال بما أسهم به ، بالإضافة إلى أن المضارب شريك في الربح بعد تحققه بنسبة الحصة المحددة في نشرة الإصدار وتكون ملكيته في المشروع على هذا الأساس ، وأن يد المضارب على حصيلة الاكتتاب في الصكوك وعلى موجودات المشروع هي يد أمانة لا يضمن إلا بسبب من أسباب الضمان الشرعية ورتبوا على ما تقدم :

(١) عدم جواز اشتراط مبلغ محدد لحملة الصكوك أو صاحب المشروع .

(ب) أن محل القسمة هو الربح بمعناه الشرعى وهو الزائد على رأس المال .

(جـ) يعد حساب أرباح وخسائر المشروع ويكون معلنا وتحت تصرف حملة الصكوك .

(د) ليس هناك ما يمنع شرعا من النص فى نشرة الإصدار على اقتطاع نسبة معينة فى نهاية كل دورة ، إما من حصة حملة الصكوك فى الأرباح فى حالة وجود (تصفية) وإما من حصصهم فى الإيراد ، أو الغلة الموزعة تحت الحساب ووضعها فى احتياطى خاص لمواجهة مخاطر خسارة رأس المال .

جهة الإصدار :

يقترح أن يقوم أحد المصارف الإسلامية المسجلة فى مصر بإصدار هذه الصكوك . والترويج لها وطرحها للاكتتاب العام وخدمتها .

حجم الإصدار :

يتوقف حجم الإصدار على نوعية وحجم المشروع القومى المقترح تمويله من هذه السندات .

التوصيات

ـ نوصى بإصدار صكوك المضاربة الإسلامية المقيدة والتى يجرى تخصيصها لنشاط معين .

ـ بالاتصال بهيئة الاستثمار بغرض الوقوف على المشروعات القومية ذات الأولوية ، والتى سبقت دراسة جدواها الاقتصادية ، والتى يتوقع أن يرتفع فيها معدل الكفاية الحدية لرأس المال ، وتؤدى إلى زيادة الطاقة الإنتاجية وتسهم فى حل مشكلة البطالة ، وتقلل من الاعتماد على الخارج فى استيراد السلع الاستراتيجية الأمر الذى يؤدى إلى تحسين ميزان المدفوعات .

ـ بأن يتم قيد وتداول هذه الصكوك فى سوق الأوراق المالية من قبيل التيسير على حاملى الصكوك الذين يرغبون فى تصفية استثماراتهم إذا مادعت إلى ذلك حاجة أو ضرورة فضلا عن إثراء السوق وتنشيطها بهذه الأداة الاستثمارية الرائعة .

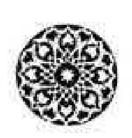

عالمية الإسلام

مدخلنا لإعلام إسلامي دولي

إعداد الأستاذ
حسن علي العنيبسي

خلاصة مانشر :

يهتم الإعلام المعادى للإسلام بصرف المسلمين عن اهداف دينهم ، وقد نجح فيما يريد إلى شاو بعيد ؛ فبين ايدى مخططيه ارقى ما انتجه التقدم العلمى فى مجال الإعلام إلى المال الوفير فالجنس الساخن فالعلم الدقيق بمجال الهدف ، ومجال مراحله . فإذا نظرنا إلى المسلمين ، وهم الطرف المقابل ارتد الطرف وهو حسير ثم إنه بالرغم من ارباح الإعلام الغربى العظمى من اموال المسلمين ، يعنيه جدا التمهيد لكل فرية ضد الإسلام ، وما العهد ببعيد فى قضية سلمان رشدى ، ولاعذر للمسلمين إطلاقا .. فلا قلة فى المال .. ولا عجز يمنع من استخدام التكنولوجيا الحديثة ... ولا جهل يمنع من تخطيط مقابل يرد الكيد ، ويجلى عن وجه الإسلام هذه (الفِرَى) .

والإعلام الإسلامى - فى النهاية - هو إعلام محفوف باخلاقيات هذا الدين ، يُصدِرُ عن قواعده الأمينة الملتزم بها نحو المسلمين ، ولتتضح معالم هذا الإعلام اكثر واكثر بَيِّنا ، ابتداء ، وقبل الإمعان فى الدراسة :

(ا) أن الإعلام الدينى هو الإعلام الذى يقدم مادة دينية لعقيدة ما .

(ب) وان الإعلام الإسلامى هو الذى يقدم كل وظائف الإعلام المعاصرة فى إطار اخلاقيات الإسلام وااماناته واحكامه . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾الانعام ١٥٢ .

(حـ) وان الإعلام الإسلامى الدينى هو المرتبط بمادة دينية إسلامية[1] كما يتبين من الشكل التوضيحي التالى :

---

(١) انظر عدد ذى القعدة ١٤١١هـ ص ١٢٤٨ .

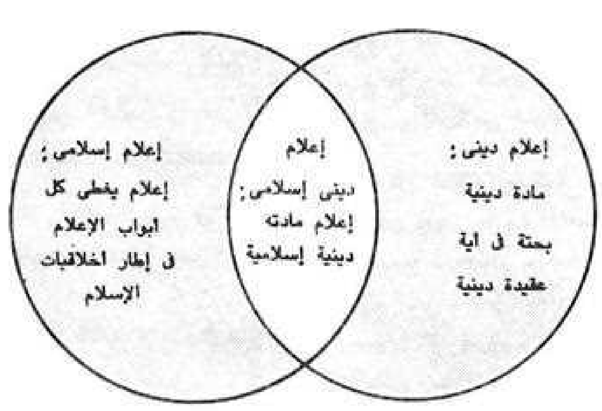

وإلى مزيد من البيان

● **أولاً : الإعلام الدينى :-**

لاشك أن الإعلام الدينى إعلام متخصص[٢] وقد يوصف بأنه نوع من الإعلام الثقافى ، ولكن طبيعة الجماهير التى يوجه إليها هى التى تحدد نوعيته وترسم لنا كيفيته .

وعندما نتحدث عن الإعلام الدينى - إسلاميا - فإننا نجده ماثلا فى قوله تعالى :
﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[٣] .
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٤] .

ولقد نختلف من - حيث المبدأ - مع أساتذة أجلاء سبقوا إلى تعريفه :
فالدكتور عبداللطيف حمزة يعرف هذا الإعلام بقوله : « هو الجهود التى يبذلها الناس لتأييد الأفكار الجديدة أو العقائد الجديدة أو المذاهب الجديدة ، وهو يختلف عن الدعوة التى تعبر عن جهود أصحاب العقائد الجديدة التى يبذلونها لنشر عقائدهم [٥] .

والتعريف ، إذا نوقش ، ينبغى أن نلاحظ معه دور الريادة للأستاذ الدكتور عبداللطيف حمزة فقد كانت الدراسات فى هذا اللون من فن الإعلام بين أساتذة الإعلام وليدة تكاد تكون أنفاسها معدودة ، لذا نحتاط كثيرا حيال التعريف الذى يذكر (الناس) ولا يذكر (رجل إعلام) والتردد بين كلمتى (افكار ، ومذاهب) ... ولكن التعريف عموما خطوة على الطريق .

ونلاحظ أن كثيرا من أساتذة الإعلام قد عرَّف الإعلام الإسلامى على نحو نَعْرِفُ منه أنه يقصد به "الإعلام الدينى" وليس "الإعلام الإسلامى" مثل :

---

(٢) دكتورة نوال عمر ، دور الإعلام الدينى فى تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٤ ، ص .
(٣) المائدة ٦٧ .
(٤) النحل ١٢٥ .
(٥) د . عبداللطيف حمزة ، الإعلام فى صدر الإسلام ، ص١٠١ ، ص١٠٥ .

عالمية الإسلام مدخلنا لإعلام إسلامي دولي

١ ـ د . محيي الدين عبدالحليم في كتابه الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، ص١٣٧ ، ص١٤١ .

٢ ـ د . عمارة نجيب في كتابه الإعلام في ضوء الإسلام ، ص١١ ، ص١٣ .

٣ ـ د . إبراهيم إمام في كتابه « الإعلام الإسلامي المرحلة الشفهية » ص ٢٨ .

٤ ـ مجلة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص٤٥١ : ص٤٥٢ .

٥ ـ بيان جاكرتا الصادر عن المؤتمر الأول للإعلام الإسلامي المنشور بمجلة الإيمان المغربية ، ص٧٣ .

كذلك يلاحظ على جميع التعريفات السابقة :ـ

١ ـ أنها تعريفات حصرت وظيفة الإعلام الإسلامي في التزويد بحقائق الدين أو تأييد العقيدة ، أو توضيح مبادىء الإسلام .

٢ ـ وأن معظم من تصدى للكتابة في هذا المجال متخصص في الإعلام ، ولكن معرفته بفنون الدعوة وأصول الفقه والدراسات الإسلامية محدودة .

٣ ـ لا تفرق التعريفات السابقة بين الدعوة والإعلام الإسلامي ، وبين الإعلام الإسلامي والتعليم ، والإعلام الديني .

٤ ـ كذلك فإن هذه التعريفات فاتها أن الإعلام الإسلامي لابد أن يشمل كافة الأنشطة الإعلامية في المجتمع الإسلامي التي تتناول جميع وظائف الإعلام من أخبار وترفيه وتثقيف وتعليم .... الخ .

ومما سبق نشير إلى تعريف محدد للإعلام الديني الإسلامي فنراه :

« كل إعلام مستمد من القرآن والسنة مختص ببيان عقيدة الإسلام ، والدعوة إليها ، وتوضيح شريعته ، ومسار تلك الشريعة خلال سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وجهود الفقهاء في استنباط الأحكام وبيانها للناس بجميع الوسائل الإعلامية الشخصية والجماهيرية على أساس من الموعظة الحسنة .. ومن خلال جميع فنون الاتصال بدءا من المحاضرة ، وانتهاء بالاقمار الصناعية .

ثانيا الإعلام الإسلامي

مما سبق يمكن التوصل إلى تعريف للإعلام الإسلامي يستفيد من التعريفات المشار إليها على النحو التالي :ـ

هو كل ما اختص بتزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة مشتملا على جميع أنشطة الإعلام في المجتمع الإسلامي ، مؤديا جميع وظائفه من تثقيف وترويح وإرشاد وإخبار وتعليم ملتزما في ذلك بمبادىء الإسلام في جميع عملياته ومراحله وأهدافه ووسائله[٦] .

ويتميز تعريفنا هذا عما سبق بالتالي :

١ ـ الإعلام الإسلامي عملية تشمل جميع وظائف الإعلام ولايتوقف عند إبلاغ الناس بحقائق الدين فقط ، فهذه مهمة « الإعلام الديني الإسلامي » وبناء عليه فهو ليس مجرد دروس أو مواعظ تلقى في (الراديو) ، ولا تلك المسلسلات

(٦) حسن علي : الإعلام الإسلامي الأسس والمبادىء ـ مذكرات غير منشورة للباحث ألقيت بالاكاديمية الإسلامية بالباكستان ، ص١٦ في العام الجامعي ٨٨/١٩٨٩ .

التاريخية الدينية التى يخرجها الهوى وتتجاوز حقائق الأشياء .

٢ ـ الإعلام الإسلامى هو كل مايجب أن يتولاه الإعلام فى المجتمع الإسلامى من وظائف وكل مايصدر عنه من برامج وندوات وأخبار وتحقيقات ومقالات .... إلخ

٣ ـ أنه إعلام ملتزم فهو لايخرج عن أخلاقيات الإسلام فى جميع مراحله سواء فى أسلوب استقاء الأنباء أو تحريرها أو نشرها ، ولا يمكن له مها كان السبب أن يخرج عن مبادىء الإسلام فى الجهر والصدق والعدل .

٤ ـ إن الإعلام الإسلامى يستخدم جميع وسائل الاتصال وأجهزة الاتصال المتخصصة والعامة فهو يستخدم الصحف ووكالة الأنباء العالمية والأقمار الصناعية ولا يقف عند رجل الدعوة فى خطبة جمعة فقط .

ثالثا : الإعلام الإسلامى الدولى ضرورة .. لماذا ؟

● فرض العالم الغربى المسيحى أو الشرقى الشيوعى الملحد على وسائل إعلامنا ، مضامين إعلامية غربية على ثقافتنا ، تحمل قيما تتناقض فى جوهرها مع القيم الإسلامية ، وذلك من خلال إعلامه الدولى ، واحتكاره لوسائل الإعلام الدولية وأصبحت وسائل الإعلام فى المجتمع الإسلامى فى وضع المتلقى فقط ـ على أحسن ظروفها .

وعلى سبيل المثال :

● تمثل الصناعات الإعلامية ـ حاليا ـ فى الولايات المتحدة سوقا تقدر بحوالى ١٢٥ مليار دولار [٧] ، ولا يخفى الدور الصليبى لأمريكا فى العالم الإسلامى .

فى مقابل :

● الإنتاج المحلى للمواد الإعلامية فى الدول الإسلامية الذى لايزيد على ٢٠٪ من الإنتاج العالمى،ويأتى فى معظمه محاكاة لأفكار وإنتاج وإخراج الدول غير الإسلامية[٨] .

● حسبنا أن نعلم أن لدى يهود (٢٤٤) صحيفة منها (١٥٨) دورية ، وثلاثون دورية فى كندا ، (١١٨) صحيفة فى أمريكا اللاتينية ، كذلك لدى اليهود (٣٤٨) دورية ومجلة فى أوروبا .

● وحسبنا أن نعلم أن كبار أصحاب الصحف ورجال الإعلام فى العالم من اليهود .

هذا فى الوقت الذى يتحول فيه الإعلام فى بلاد المسلمين إلى معول هدم للقيم والمبادىء الإسلامية بما يبثه ـ عن عمد أو فقر ـ من برامج مستوردة لتغطية مساحات زمنية ـ وما يلى ذلك من الأغانى الهابطة ومسلسلات الخيانة ، أو المقالات أو الأخبار ذات الاهتمام الفردى الذى قل أن يترك أثرا لأكثر من وقته .

ثم بعد . هل الإعلام الإسلامى الدولى ضرورة ؟.

نقول : نعم .

أولا : يواجه المسلمون اليوم فى مختلف أقطارهم ومواطنهم غزوا فكريا وثقافيا وحضاريا رهيبا ، ولم يعد هذا الغزو الحضارى الشامل مقصورا على الوسائل التقليدية للغزو من كتب

---

(٧) وليم ديفيدسون ، المسابقة العجيبة ، (نيويورك) ، ١٩٨٣ ، ص١٤٠ .

(٨)كتاب الأمة ، مقالات فى الدعوة والإعلام الإسلامى ـ تأليف نخبة من المفكرين ، العدد ١٨ ، ص ١٠ .

نحو إعلام إسلامي

عالمية الإسلام مدخلنا لإعلام إسلامي دولي

استشراقية ، أو مذاهب هدامة ، أو مؤامرات استعمارية ..

إن الغزو الثقافى الحضارى الموجه للأمة الاسلامية يستخدم وسائل جديدة من خلال الخبر الصحفى ، والتحليل السياسى ، والصورة التى تبثها الأقمار الصناعية .

ثانيا : سبق أن قلنا : إن المقابل الإسلامى لهذا الغزو .. لا أهمية له .

ثالثا : إذا كان الإعلام يعكس الواقع ، فإن واقع المسلمين الحالى الاجتماعى والحضارى والإعلامى ضعيف وبالتالى فإن إعلام المسلمين إعلام ضعيف .

ولذلك نرى:

● إن الإعلام الإسلامى ضرورة لتوضيح الصورة الحقيقية للمجتمع الإسلامى إزاء ماينشر ومايذاع من وسائل الإعلام الدولية غير الإسلامية .

● الإعلام الإسلامى ضرورة لتوحيد الأصوات العربية المتفرقة المتطاحنة ولنعلم انه (إذا عَزَّ العرب عَزَّ الإسلام) .

● إن الإعلام الإسلامى ضرورة لجمع شمل المسلمين والارتفاع بمستواهم الاجتماعى والحضارى .

حنين يتصل لمهد العقيدة .. بقية

ومشاعر الحج وقد تيسرت وامتدت يد العمران ووسائل الإمكان من حول الكعبة ، وفيما بين الصفا والمروة ، وعند زمزم ، وفى منى وعرفات ، حتى لكأن الجبال والوهاد والأودية تنادى الناس :

انظروا كيف كنا والنبى وصحبه يجدون المشقة والجهد فى غُدُو ورواح ، وكيف صرنا والأمن غامر ، والخير يفيض ويتكاثر ، وتصدق منة الله تعالى فى قوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ العنكبوت ٦٧ .

وقوله : ﴿ أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا ﴾ القصص/٥٧ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ.الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ قريش .

وأكرم بالقرآن الكريم وهو يتحدث عن البلد الحرام فى آيات ذوات عدد من سورة البقرة وآل عمران وإبراهيم والحج .. إنها آيات تسعد الأنفس وتضاعف الشوق إلى أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا من عذاب الله يوم القيامة .

وما أعظم الأمن يتكرر صفة لذلك البيت الذى سيبقى كما تمنى إبراهيم ـ عليه السلام ـ وإلى آخر الزمان ﴿ حَرَماً آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ .

الفتاوى

إعداد: أحمد السيد تقى الدين

نقض العهد مع الله

س : يسال كرم عبد الغنى من الاسكندرية عن كفارة نقض العهد مع الله ، وهل يغفر الله هذا الذنب بعد التوبة ؟

ج : نقض العهد مع الله إن كان فيه قسم ، اى حلف بالله ، وجبت كفارة وهى إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم وإلا فصيام ثلاثة أيام . وإن لم يكن فيه قسم ، فكفارته التوبة القائمة على الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم الصادق على عدم العودة إليه . ومن فعل ذلك يرجى أن يغفر الله له : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (التحريم / ٨) .

مع مراعاة رد الحقوق إلى اصحابها أو طلب تنازلهم عنها ، وكذلك وجوب قضاء ما له قضاء وعوض كالصلاة والصيام .

الفرق بين الرسول والنبى

س : ما الفرق بين النبى والرسول ؟ وهل كل نبى يمكن أن يكون رسولاً وكل رسول ممكن ان يكون نبيا ؟ وكم عدد الانبياء والرسل ؟

(يونس محمود ـ المنصورة)

ج : النبى إنسان أُوحِىَ إليه بشرع يعمل به ولم يؤمر بتبليغه والرسول إنسان أُوحِىَ إليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه ، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا .

وسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبى ورسول ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ (الأحزاب / ٤٥) وقال جل شأنه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب / ٤٠) .

فجمعت الآيتان بين وصفه بالنبوة والرسالة .

وقد يحل كل لفظ محل الآخر ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾ .

الفتاوى

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الزخرف / ٦ ، ٧) .

هذا أحسن ما قيل فى الفرق بين النبى والرسول . المهم أن نجتهد فى العمل بما بلغنا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

أما عدد الأنبياء المرسلين فكثير ، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر / ٢٤) وقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ (غافر / ٧٨) .

ونحن لا نكلف إلا بمعرفة الخمسة والعشرين المذكورين فى القرآن الكريم ، وأكثرهم فى الآيات : ٨٣ ـ ٨٦ من سورة الأنعام ، وأولها : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا . . . ﴾ وهم ثمانية عشر يضاف إليهم سبعة وردوا فى مواضع أخرى ، نظمها بعضهم فى قوله :

فى تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
إدريس هود شعيب صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

وقد ورد حديث صحيح رواه ابن حبان عن أبى ذر الغفارى أنه قال : قلت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كم عدد الأنبياء ؟ فقال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا (١٢٤٠٠٠) فقلت : وكم عدد الرسل ؟ فقال « ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا » (٣١٣) . لكن الحديث ليس متواترا حتى على فرض صحته ، فلا يفيد إلا الظن ، والعقائد لا تؤخذ إلا باليقين .

وهناك أقوال كثيرة لا داعى لذكرها ويرجع إليها فى (الإتقان) للسيوطى .

ومعرفة ذلك تفيد المجتهدين عند الاستنباط فى معرض الناسخ والمنسوخ وغيره ، كما يفيد فى الإيمان والتعاليق كما قال علماء الفقه .

الذبح للميت

س : يسأل سالم عبد الله من أسوان عن حكم الذبح للميت بعد موته فى العزاء أو بعد موته بأربعين يوما ؟

ج : الذبح من أجل الميت تكريما له أو اعتقادا فى شىء آخر لا يجوز ، فإنه من عادات الجاهلية . فقد روى أبو داود أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا عقر فى الإسلام » قال عبد الرزاق : كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة ، وقال الخطابى : ذلك كما كان يفعل فى الدنيا من الجود والكرم ، ويتركونها للسباع والطيور ، ليكون مطعما فى مماته كما كان مطعما فى حياته .

أما الذبح لإطعام من يأتون إلى العزاء فلا وجه لحرمته ، على ألا يكون من أموال القصر ، والأولى أن يساعد الناس أهل الميت فى إعداد طعام لهم لأنهم مشغولون بالحزن على الميت وكذلك فى إطعام الضيوف القادمين للعزاء .

وإذا جاز ذلك للعزاء لمدة ثلاثة أيام فيكره العزاء وما يتبعه من طعام وغيره بعد هذه الأيام الثلاثة .

صلح الحديبية - بقية

ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا ؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غما)[8] .

قال الزهرى : (فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ـ فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب اوزارها ، وامن الناس كلهم بعضهم بعضا فالتقوا ، وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يُكَلَّم احد فى الإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه)[9] .

وقد كان من فضل الله تعالى ان هذا الشرط الذى غضب منه المسلمون ، وفرح به المشركون ، فظنوا ـ وبعض الظن إثم ـ انه كان مكسبا عظيما لهم ؛ كان من فضل الله ان جعله سببا من أسباب نصر المسلمين على المشركين ، وذلك ان بعض المسلمين الذين هربوا من التعذيب فى مكة ، وردهم الرسول الكريم إلى الكفار ، استطاعوا أن يفلتوا من حراسهم اثناء عودتهم بشتى الحيل ، وكونوا جماعة متعاونة متحدة أخذت تعترض سبيل قوافل قريش التجارية فتغير عليها ، وتقتل حراسها ، وتأخذ ما تحمله من تجارة .

ولم يجد كفار قريش وسيلة لاتقاء شرهم إلا أن يستجيروا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويناشدوه الله والرحم أن يكفيهم شر هؤلاء الفارين منهم ، وتنازل زعماء المشركين عن هذا الشرط تنازلا تاما ، وبدأت عودة المؤمنين الذين كانوا محتجزين عند كفار قريش ، وأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[10] .

وبعد هذه المعاهدة وانتشار السلام نتيجة لها ، تفرغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنشر الدين الإسلامى بوسائل كثيرة كان من اهمها :

١ ـ إرسال الكتب لدعوة الحكام فى شبه الجزيرة العربية وإلى الملوك خارجها يدعوها للإسلام تنفيذا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[11] .

٢ ـ تفرغ لمن نقض العهد معه ، فقد تم فتح « خيبر » ، و « فدك » ، و « وادى القرى » .

ولذلك كان أبو بكر يقول : « ما كان فتح أعظم فى الإسلام من فتح « الحديبية » ، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد » .

وصدق الله العظيم إذ أنزل على رسوله الكريم أثناء عودته للمدينة قوله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا . وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ .

وهكذا وصف الله السلام فى صلح « الحديبية » فتحا عظيما ونصرا عزيزا ، فاللهم إنك أنت السلام فهب للعالم كله السلام ، وهب للمسلمين جميعا السلام .

---

(٨) الطبرى : حـ ٢ ، ص ٦٣٧ .

(٩) الطبرى : حـ ٢ ، ص ٦٣٨ .

(١٠) سورة الفتح : الآية (٢٤) .

(١١) سورة سبأ : الآية (٢٨) .

عضو جماعة كبار العلماء ووكيل الأزهر الأسبق

للأستاذ / محمد الطاهر الزنكلونى

هو الشيخ / محمد نور بن الحسن ابن عبد الرحمن بن زين العابدين ابن الأزيرق ابن الأمين بن الولى الصالح العارف بالله الشيخ خوجلى عبد الرحمن الذى دفن بمدينة الخرطوم بحرى .

ولد الشيخ ـ رحمه الله ـ بقرية « الخوجلاب » بالسودان ١٣١١ هـ ـ ١٨٨٩ م وبدأ تلقيه للعلم ـ ككل المبتدئين فى ذلك الوقت ـ فى الكُتّاب « الخلوة » حيث تخرج فيه حافظاً للقرآن الكريم مع شىء من علم الفقه على يد استاذه الأول الشيخ « أحمد سليمان » بـ « قرية الجعليين » بمحافظة الخرطوم ، وكان عمره آنذاك لم يتجاوز الثانية عشرة . ثم اتصل بشيخ الإسلام فى ذلك الوقت الشيخ « محمد البدوى » ، وتتلمذ عليه فترة من الوقت وهناك فى مجلس العلم تشوق للرحيل إلى الأزهر وقد سمع عن شهرته ومكانته العلمية فشد الرحال إليه عام ١٩١٠ م .

وهو إذ ذاك فى العام الحادى والعشرين من عمره ، وفى الأزهر بدأ حياته العلمية الجادة حيث انقطع للتحصيل لمدة ثلاث سنين متصلة ، انصرف خلالها للتحصيل الخالص لدروسه فى عمق وأناة وصبر ، ليس يصحبه سأم ولا ملل بل رغبة صادقة وعزم أكيد حتى حصل على العالمية بمرتبة ممتازة من بين اقرانه ، وذلك على يد الأفاضل من شيوخه وأساتذته من أمثال : الشيخ مصطفى حامد ، والشيخ محمد راضى الصغير ، والشيخ محمد أبى عليان ، والشيخ عبد المجيد سليم أولئك الكبار الذين كان يفخر بهم ويعتز ، والذين وثقوا به كثيراً وطالما أنابوه عنهم فى إلقاء الدروس ، وهو لا يزال ـ بعد ـ طالباً ثقة به وركونا إلى أمانته العلمية ، وكان ذلك عام ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢ م .

حمل الشيخ شهادته العالية التى تحمل هذا التفوق وخرج بها إلى ميدان العمل ، فعمل

• الكاتب مدير الشئون المالية والإدارية بمجمع البحوث الإسلامية .

بالتدريس بمعاهد المملكة (حينئذ) فى شتى انحائها ولم يزل يتدرج فى أقسامها المختلفة من القسم الابتدائى إلى الثانوى إلى العالى حتى أنشئت الكليات الأزهرية فنقل إلى كلية اللغة العربية ، وأسند إليه فيها تدريس « شافية ابن الحاجب » بشرح الرضي الاستراباذى ، وهي من أمهات كتب الصرف التى لا يسند تدريسها إلا إلى الثقات من فحول العربية ، ومن ذلك أيضاً كتاب « الكشاف » فى التفسير للزمخشرى وهو مرجع عال فى تفسير القرآن ، ثم لما رأى اساتذته وأصدقاؤه من أمثال الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر الأسبق والشيخ الزنكلونى عضو جماعة كبار العلماء والشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر الأسبق والشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق من نبوغه ما يؤهله للدخول فى جماعة كبار العلماء اشاروا عليه ونصحوه والحوا عليه فى أن يقدم رسالة ينال بها عضوية جماعة كبار العلماء فنزل على رغبتهم وأعد الرسالة وقدمها للجنة المناقشة بمشيخة الأزهر التى أجازته عضواً بالجماعة، وصدر المرسوم الملكى بذلك عام ١٩٤٩ م . ثم فى عام ١٩٥٠ م وقع عليه اختيار أستاذه المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر وقتذاك ليكون مديراً لتفتيش العلوم الدينية والعربية . وفى أواخر عام ١٩٥٢ . وقع عليه الاختيار أيضاً ليكون وكيلاً للأزهر ، ومكث فى هذا المنصب إلى أن عين وكيلاً لوزارة الإرشاد القومى حين وزرها صلاح سالم أوائل عام ١٩٥٤ م . وفى أوائل عام ١٩٥٥ م طلب إحالته إلى التقاعد وإعفاءه من أعباء المنصب ، ورجع إلى التدريس بكلية اللغة العربية التى لم يرض بها بديلاً وزاول التدريس بها إلى أواخر عام ١٩٥٨ م . ثم صدر قرار جمهورى بتعيينه وكيلاً للأزهر فعمل فى هذه المرة مع صديقه الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وقتذاك ، وظل فى هذا المنصب إلى أوائل عام ١٩٦١ م حيث طلب إحالته إلى التقاعد ليخلد إلى الراحة بسبب ضعف واعتلال فى صحته ، وفى أوائل عام ١٩٦٢ م ، صدر قرار جمهورى مرة أخرى بتعيينه عضواً فى « مجمع البحوث الإسلامية » فظل عاملاً به إلى أن لقى ربه .

هذا وقد حفلت حياة الشيخ ـ رحمه الله ـ بالنشاط العلمى إلى جانب التدريس فله من المؤلفات رسائل وبحوث وتحقيقات تعد من النفائس وإن قلت حجما وعددا ، ومن ذلك :

رسالته فى « تفسير سورة النجم » . التى نال بها عضوية جماعة كبار العلماء .

و« الاجتهاد فى ماضيه وحاضره » ، قدم فى أحد مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية .

وبحث له فى « هدايا الحج وكيفية تنظيمها والاستفادة منها » .

وتحقيق ذو قيمة كبرى على كتاب هو من أمهات كتب الصرف فى العربية وهو : « شرح الرضى الاستراباذى على شافية ابن الحاجب » وهو الكتاب الذى كان قد أسند إليه تدريسه لطلبة قسم التخصص القديم ثم لطلاب « الأستاذية الدكتوراه » فى كلية اللغة العربية .

خاتمـــــة :

هذا وللشيخ ـ رحمه الله ـ دور بارز فى الحركة الوطنية فى مصر والسودان فعند قيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ كانت غرفته فى « رواق السنارية » مشعلاً لها تنعقد فيها اجتماعات الثوار من العناصر الوطنية جميعاً وتخرج منها المنشورات الثورية إلى كل مكان ، كما كان له دور فى « ثورة السودان عام ١٩٢٤ » . ضد المستعمر .

رحمه الله رحمة واسعة

مشاهد من الهجرة

إعداد الشاعر: رشاد محمد يوسف

ستظل الهجرة بمشاهدها واحداثها اعظم حدث فى تاريخ الإسلام حيث انتقل مشعل الهداية من مكة إلى المدينة وانطلقت شرارة الإيمان تضىء العالم اجمع وجاء نصر الله والفتح ليغمر الدنيا بانوار الحق والخير والسلام على يد خير امة اخرجت للناس وهذه بعض مشاهد من الهجرة المباركة .

قال شاعر النيل حافظ إبراهيم فى اول محرم سنة ١٣٢٧ هـ :

أطل على الأكوان والخلق .تنظر
هـلال رآه المسلمـون فكبـروا
تجلى لهم فى صورة زاد حسنها
على الدهر حسناً انهـا تتكرر
واذكـرهم يومـا اغـر محجـلا
به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داع إلى الهدى
يحف به من قوة الله عسكر
إذا الله احيا امة لن يردها
إلى المـوت قهـار ولا متجبـر
رجال الغد المأمول ، إنا بحاجة
إلى قـادة تبنى وشعب يعمـر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة
إلى عـالم يدعـو وداع يذكـر

الشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين يناجى هجرة المختار :

يـاهجرة المختـار إنـك مـرفـأ
والهول أرغى فى الحياة وأزبدا
ومنـارة أضـواؤهـا منشـورة
ظلت لطـلاب الحقيقة مـرشدا
ذكـراك للإنسـان أورف واحة
والعيش من لفح الهجير توقدا
لى كل عام فى رياضك نزهة
أجد السكينة فى رباها والندا

ويرق وجدانى ويشرق خاطرى
فأرى بعين الروح فيك محمدا

والشاعرة وفيقة عواد سلامة تناجى موكب الذكرى : ـ

فى موكب الذكرى ترف مشاعرى
وتضوع بالأشذاء ملء خواطرى
وافى المحرم كى يعيد أريجها
فى الخافقين ـ يزفها بمفاخر
ويعيد للأذهان مشهد هجرة
لأجل مبعوث وخير مهاجر
آه من الذكرى وما تغرى به
خطراتها فى هول خطب الحاضر
المسلمون قد التقى سيفاهما
بتقاتل وتباغض وتناحر
فمتى يفيق السادرون بأرضنا
ويهاجرون إلى صفاء غامر ؟
ليعود للإسلام سابق مجده
وتقر بالأمجاد عين الناظر

اما الشاعر الكبير محمد مصطفى الماحى فيقول : ـ

سلوا الهلال كم انجابت به الظلم
واستلهموه ففى أسراره الحكم
للمسلمين به ذكرى تردهمُ
إلى مفاخر تعيى دونها الكلم
أيام كان كتاب الله رائدهم
إلى الهدى وتُقَى الرحمن همهم
أيام لا خلجات النفس يوهنها
شك ولا ناصح فى الله متهم
فلا الضعيف بمأكول لذى نهم
ولا القوى بغير الحق معتصم

ثم يستطرد الشاعر الماحى قائلا : ـ

ذكرت بالهجرة الإسلام ينصره
قوم كرام فدوا بالنفس دينهم
دعاهم لمساواة يعز بها
من ليس ينجده جاه ولا نعم
دعاهم لإخاء ليس يفسده
سوء المظنة أو تودى به التهم
إن العقيدة ند للحياة فإن
ضاعت فكل حياة بعدها عدم
فهل تعود إلى الإسلام قوته
ويحزم المسلمون اليوم أمرهم
ويجمعون على الحسنى شتاتهم
فتطهر النفس والأعراض والشيم ؟

ويتحدث شاعر السويس الراحل محمد فضل إسماعيل عن عناء الرحلة فيقول : ـ

فى هجير الحر فى رمضائه
ودع المبعوث وجه الوطن
بالغ الأعداء فى إيذائه
لم يكفوا عن ضروب الفتن
خف للصديق فى لأوائه
فى قناع من نسيج الحزن
صاحبان اجتمعا بالهما
من وفيين وفاء الأبد
خلصا لله لم يثنهما
ماعرا نفسيهما من كمد

مشاهد من الهجرة

فارقا أهلهما ما برما
بالأذى فى الله أو بالكيد

ويقدم الشاعر الأستاذ محمود شاور ربيع مشهدا آخر من مشاهد الهجرة فيقول : ـ

وانظر معى « شاة » هناك هزيلة
كادت تموت وأوشكت أن تنفقا

مسح النبى بضرعها فتدفقت
وكأنها السيل العظيم تدفقا

يا أم « معبد » قد سعدت بمنحة
من مسه المختار أمسى مغدقا

وعلى مشارف يثرب طلع السنا
وبدا الرسول على الأحبة مشرقا

والناقة القصواء تمضى بالهدى
وببيت أيوب تنيخ ترفقا

وتحيط بالنور المهاجر أمة
نالت به من كل خلد مرتقى

أما الشاعر الفارس محمود سامى البارودى فيكمل أبعاد الصورة قائلا : ـ

ولم يزل سائرا حتى أناف على
أعلام طيبة ذات المنظر العَمَمِ

أعظم بمقدمه فخرا ومنقبة
لمعشر الأوس والأحياء من جشم

فخر يدوم لهم فضل بذكرته
ماسارت العيس بالزوار للحرم

يوم به أرخ الإسلام غرته
وادرك الدين فيه ذروة النُّجُمِ

ثم ابتنى سيد الكونين مسجده
بنيان عز فأضحى قائم الدعم

واصبحوا فى إخاء غير منصدع
على الزمان وعز غير منهدم

وأصبح الناس إخوانا وعمهم
فضل من الله أحياهم من العدم

ويقدم الشاعر « رشاد محمد يوسف » :
هذا المشهد التاريخى امام الغار

تحلقوا حول باب الغار فى فرح
حيث استقر على أعتابه الأثر

هنا محمد ، نال القوم بغيتهم
تمكنوا منه ، ضل القوم بل خسروا

أيخنق الفجر والأكوان ضارعة ؟
أيطفىء النور والأيام تنتظر ؟

أيترك الحق يعثو كل طاغية
بأرضه ويسوس الشر والشرر ؟

حاشا وربك والدنيا بقبضته
والخلق والأمر والأرزاق والقدر

فأنزل الله بالهادى سكينته
وباض طير وأرخى نسجه الحشر

وأشرقت فى رحاب الغار بارقة
من الأمان فلا خوف ولاحذر

البقية ص ٧٧

العلوم الكونية

تقنية الصوتيات

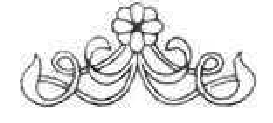

الأعشاب الطبية

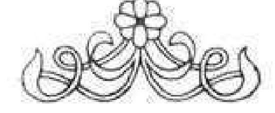

تقنية الاتصالات عبر الفضاء

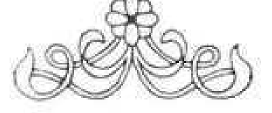

الجديد في العلم والتقنية

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

تقنية الصوتيات

أ . د . أحمد فؤاد باشا

تناولنا فى العدد الأسبق(*) « علم الصوتيات » باعتباره احد العلوم الكونية التى تدين بنشاتها وإرساء اصولها لعلماء الحضارة الإسلامية الزاهرة ، من امثال الجلدكى وابن سينا وابن المرزبان وإخوان الصفا والفخر الرازى والبيرونى والكندى وابن الهيثم وكمال الدين الفارسى وغيرهم ، واوضحنا - من خلال تحليل بعض النصوص التراثية - كيف ان هؤلاء العلماء كانوا على دراية تامة بطبيعة الموجات الصوتية وشروط انتقالها وانعكاسها فى الأوساط المادية ، وكيف انهم افادوا من فهمهم الواعى لأساسيات علم الصوتيات فى مجالات تطبيقية ونظرية متنوعة شملت علوم البصريات والتاليف والتصنيف ، وقدموا تفسيراً مناسباً لآلية بعض مصادر الصوت وانواعه . كما انهم افادوا من نظريتهم الخاصة بظاهرة الصوت فى تطوير تقنية الهندسة الصوتية واستخدامها فيما يعرف الآن باسم « الصوتيات المعمارية » .

هندسة الصوت :

عرف علماء الحضارة الإسلامية أن الصوت عندما ينعكس عن سطح مقعّر فإنه يتجمع فى بؤرة محددة ، شأنه فى ذلك شأن الضوء الذى ينعكس عن سطح مرآة مقعرة ، وإذا أُجرى حساب دقيق لهندسة السطوح المقعرة فإنه يصبح بالإمكان تسليط الأمواج الصوتية المنعكسة وتركيزها فى اتجاهات معينة بحيث تزيد من وضوح الصوت وشدته . أما إذا لم تُراع الحسابات الدقيقة لأماكن وأبعاد السطوح المقعرة بالنسبة لأماكن إصدار الصوت واستقباله فإنه ينتج عن ذلك تشويش غير مرغوب للصوت لدى السامع بسبب التداخل الذى يحدث بين الصوت الذى يصل من المتكلم إلى السامع مباشرة والصوت المنعكس عن السطح المقعر إلى السامع بعد مرور فترة من الزمن ..

وقد فطن المهندسون المسلمون إلى أهمية استخدام خاصية تركيز الصوت Focusing Of Sound فى أغراض البناء والتشييد ، وخاصة فى المساجد الجامعة الكبيرة لنقل وتقوية صوت

(*) انظر عدد ذى القعدة ١٤١١ هـ ص ١٢٦٨ .

الخطيب والإمام فى أيام الجمعة والأعياد . مثال ذلك مسجد أصفهان القديم ومسجد العادلية فى حلب ، وبعض مساجد بغداد القديمة ، حيث كان يُصمم سقف المسجد وجدرانه على شكل سطوح مقعرة موزعة فى زوايا المسجد وأركانه بطريقة دقيقة تضمن توزيع الصوت على جميع الأرجاء ، فيصل صوت الخطيب واضحاً دون تشويش إلى جميع المصلين على الرغم من كبر مساحة المسجد . وتبقى هذه المآثر الإسلامية خير شاهد على ريادة علماء الحضارة الإسلامية فى مجال هندسة الصوتيات التى ظلت اختصاصاً إسلامياً لعدة قرون ، وذلك قبل أن يبدأ العالم الشهير « والاس ك . سابيه » حوالى عام ١٩٠٠ م فى دراسة أسباب سوء الصفات الصوتية لقاعة محاضرات فى جامعة « هارفارد » ، وتتبع سلوك الخواص الصوتية للقاعات وحجرات عزف الموسيقى (١) .

وتستخدم خاصية تركيز الصوت فى الحضارة المعاصرة كجزء من هندسة الصوتيات ، حيث تزود المسارح وقاعات الاحتفالات الكبيرة بجدران خلفية مقعرة تعمل على ارتداد الصوت وزيادة وضوحه . ويمكن تحسين الحالة الصوتية فى القاعات باستخدام ألواح من مواد ماصة للطاقة الصوتية مثل « الفلين » و« الجبس » ونسيج « الألياف الزجاجية » Fiber Glass ، وتوضع هذه الألواح فى أماكن معينة على السقف والجدران بغرض تقليل دوىّ الصوت أو التخلص منه . وعلى الرغم من أن دوىّ الصوت بصورة زائدة عن حد معين يعتبر أمراً غير مرغوب فيه ، إلّا أن التخلص منه كلياً لا يُلجأ إليه إلا فى تصميم مايسمى بالغرف الماصة للصوت Sound Proof Rooms أو الغرف الصماء Dead Rooms التى تستخدم لأغراض خاصة ، كما فى أماكن فحص السماعات الدقيقة و« الميكروفونات » الحساسة ، أو فى غرف « استديوهات » الإذاعة والتسجيل .

من ناحية أخرى ، عندما يراد جمع الطاقة الصوتية ونقلها دون فقد تقريباً يتم استخدام أنابيب من مواد ذات معامل امتصاص ضئيل جداً على نحو ما نجد فى سماعة الطبيب مثلاً .

تقنية الصوتيات الحديثة :

يشهد تاريخ العلم والتقنية على أن علم الصوتيات بتقنياته المختلفة لم يحرز تقدماً ملحوظاً إلا مع حلول القرن التاسع عشر (٢) عندما دخل العلم مرحلة التقدير الكمى والقياس باستخدام الأجهزة المختلفة التى شهدت بدورها تقدماً مماثلاً ، فقد ابتكر عالم الطبيعيات فيليب

(١) تاريخ العلم والتكنولوجيا ، الجزء الثانى : القرنان الثامن عشر والتاسع عشر ، تأليف : ر . ج . فوربس ، ا . ج . ديكستر هوز ، ترجمة : أسامة أمين الخولى ، مراجعة : محمد مرسى أحمد ، سلسلة الألف كتاب (الثانى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ، ص ٦٨ .

وتجدر الإشارة إلى ما جاء فى هذا الكتاب من اعتبار « سابين » رائداً فى مجال بناء قاعات استماع الموسيقى على أساس علمى ، وكنا نتمنى أن ينوه فى الترجمة العربية على الأقل إلى الريادة الحقيقية لعلماء المسلمين فى مجال هندسة الصوتيات .

(٢) ذكرنا فى مقال « علم الصوتيات » ، المنشور بالعدد الأسبق من مجلة الأزهر أن أولى محاولات القياسات الكمية فى مجال الصوتيات بدأت فى القرن السابع عشر باستخدام طرق تقريبية لحساب سرعة الصوت فى الهواء على أساس نظرية علماء المسلمين فى الربط بين ضوء وصوت صادرين من مصدر واحد فى نفس اللحظة . لكن تقنية القياسات الدقيقة لم تتحسن إلا خلال القرنين الأخيرين فقط .

تقنية الصوتيات

ريس ، عام ١٨٦١ م ، أول جهاز عملى قادر على نقل الكلام (تليفون) ، ولم يصبح صالحاً من الوجهة الفنية للاستخدام إلا بعد هذا بخمسة عشر عاماً ، وذلك بفضل التحسينات التى استحدثها العالمان الأمريكيان « الكسندر جراهام بل » ، و« إيليشيا جراى » ، فى نفس الوقت . ولقد تحسن « التليفون » تحسناً كبيراً مرة أخرى باستخدام جهاز « ميكروفون » حبيبات الكربون الذى اخترعه « دافيد ادوارد هيوز » . كما أن المخترع الأمريكى « توماس ألفا أديسون » قد تمكن فى عام ١٨٧٨ من ابتكار الحاكى (الجرامفون) Gramophone ، ثم تطورت بعد ذلك أساليب التسجيل وإعادة إخراج الصوت .

وقد غزت الصوتيات الحديثة مجالات أخرى تطبيقية عديدة نذكر منها على سبيل المثال :

١ – جهاز سبر الأعماق (السونار) ، الذى تستخدمه السفن لتحديد مواقع الأجسام تحت الماء ولسبر أعماق المياه التى تبحر فيها ، كما يستخدم فى الأغراض الحربية لاكتشاف الغواصات المعادية . وتتألف كلمة سونار Sonar من الحروف الأولى للعبارة الانجليزية Sound Navigation And Ranging التى تعنى « الإبحار وسبر الأعماق بواسطة الموجات الصوتية . يعمل السونار بطريقة مشابهة لعمل الرادار [٣] ، حيث يرسل موجات صوتية فى الماء ، وعندما يقابلها جسم فإنها تنعكس وترتد ثانية إلى الجهاز ، ويتم قياس الزمن الذى تستغرقه هذه الموجات ذهاباً وإياباً ، ثم يحسب عمق الجسم بسهولة بعد معرفة سرعة الصوت فى الماء .

٢ – فوق الصوتيات Ultrasonics وهو مجال علم وتقنية الأمواج الصوتية عالية التردد (أكثر من ٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية) [٤] . وذلك أن مدى ترددات الأمواج الصوتية ينقسم إلى ثلاثة أقسام تشمل مدى الموجات السمعية Sonic Waves التى تتأثر بها الأذن ، أو المدى المسموع Audible Range ، للترددات بين ٢٠ و٢٠٠٠٠ هرتز ، ومدى الأمواج تحت السمعية InFrasonic Waves ذات التردد الأقل من ٢٠ هرتز ، ومدى الأمواج فوق السمعية Ultrasonic Waves ذات التردد الأعلى من ٢٠ ألف هرتز .

وتتميز الأمواج فوق السمعية بقصر طولها الموجى مما يجعلها تنتشر فى خطوط محددة بحيث يمكن توجيهها بسهولة فى اتجاهات معينة . كما أن طاقة الأمواج فوق السمعية تتركز فى حزم ضيقة تجعل شدتها عالية وتؤهلها للاستخدام فى

---

(٣) الرادار Radar عبارة عن كشاف يستخدم الموجات « اللاسلكية » لتحديد مواقع الأجسام حتى ولو كانت على بعد مئات الكيلو مترات ، أو كانت فى الظلام أو الضباب . وكلمة رادار تتألف من الحروف الأولى للعبارة الانجليزية Radio Detection And Ranging التى تعنى « الكشف وتحديد المدى بواسطة الراديو (اللاسلكى) » . وتستخدم السفن « الرادار » لكى « ترى » السفن الأخرى ومداخل الموانئ والعوائق الخطرة مثل جبال الجليد . كما تستخدمه الطائرات لأغراض مشابهة ، ويستخدمه رجال « المرور » لمراقبة سرعة العربات فى الطرق العامة ، ويستخدمه علماء الفضاء لمراقبة خط انطلاق الأقمار الصناعية والسفن الفضائية الأخرى ..

(٤) يقاس التردد الموجى بعدد الذبذبات فى الثانية ، كما تستخدم وحدة الهرتز Hertz لقياس التردد تخليداً لذكرى العالم الفيزيائى « هرتز » الذى اشتهر بأبحاثه فى دراسة الأمواج الكهرومغناطيسية ، وعادة مانسمع عن وحدات أكبر لقياس التردد من بينها الكيلوهرتز = ألف هرتز ، والميجاهرتز = مليون هرتز .

أجهزة السونار ، وفى تطبيقات أخرى علمية تشمل :

(أ) فحص لحام المعادن والمسبوكات ، حيث يُقاس الاختلاف فى شدة الموجات فوق السمعية قبل وبعد مرورها خلال المادة المراد فحصها ، وبتحديد المناطق التى حدث فيها امتصاص كبير للموجات يمكن تحديد المناطق التى تحتوى على فقاعات من الهواء والتى لم يكتمل لحامها بعد .

(ب) تستخدم الموجات فوق الصوتية حالياً فى المستشفيات : للتصوير الطبى ، وفى الصناعة من أجل لحام اللدائن ، وتنظيف المواد ، وفى المنازل أحياناً ، فى أجهزة الإنذار ضد السرقة ، وفى « المبخرات » Vaporizers .

(جـ) تستخدم خاصية « التكهيف » أو التجوف « Cavitation للأمواج فوق الصوتية فى تعقيم الماء والحليب والمواد الغذائية المختلفة ، ويتوقع استخدامها فى المستقبل القريب بنجاح عظيم فى عمل المستحلبات المستخدمة فى التحضيرات الكيميائية ، وفى تحطيم الجزئيات الضخمة فى الكيمياء العضوية ، وقد أظهرت التجارب الحديثة أن تعريض سائل لأمواج فوق صوتية يؤدى إلى تكوين فقاعات مجهرية ثم انخسافها فجأة وبعنف ، بحيث تسخن محتوياتها إلى ما يقارب درجة حرارة سطح الشمس (حوالى ٦٠٠٠°م) ، ثم تبرد خلال عدة أجزاء من المليون من الثانية (ميكروثانية) . ومثل هذه التجارب من شأنها أن تقدم للكيميائيين مصدراً جديداً للطاقة يُسيَّرون به تفاعلات كيميائية تولد مواد ومركبات جديدة .[٥] .

حياتنا بين عذوبة النغم وعذاب الضجيج

ترتاح الأذن لسماع الأصوات التى يقع ترددها فى المدى المسموع ، خاصة إذا كانت هذه الأصوات تتميز بمقادير مناسبة من حيث درجة الصوت وشدته وارتفاعه ونوعه . أما الضجيج Noise فهو مصدر إزعاج للإنسان على مر العصور ، وقد بلغ فى أيامنا هذه حداً جعل البعض يعتبره أحد أشكال التلوث البيئى ، بمعنى أنه ليس أقل خطورة على صحتنا من السموم الموجودة فى هوائنا ومياهنا .

وإذا كان التأثير الضار للضجيج يمكن أن يؤدى إلى فقدان حاسة السمع ، فإن هناك تأثيرات أخرى يمكن أن تمتد إلى باقى أجزاء الجسم ، وتؤدى إلى أمراض تصيب الأوعية الدموية والقلب والجهاز العصبى المركزى وحاسة الإبصار ، بالإضافة إلى تأثيرات أخرى نفسية واجتماعية خطيرة . وقد ظهر مؤخراً بعض التقدم فى ميدان مكافحة هذه المشكلة ، وبدأت بعض البلدان والمنظمات فى وضع تشريعات تحدد مستويات الضجيج المسموح بها فى الأماكن المختلفة ليلاً أو نهاراً .

لقد دق بالفعل ناقوس الإنذار بخطر الضجيج .. وعلى إنسان هذا العصر فى كل مكان من الأرض أن يستعد لمواجهة هذا الخطر ..!!

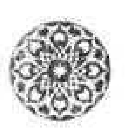

(٥) راجع مقالاً هاماً بعنوان : « التأثيرات الكيميائية للفوصوت » ، فى مجلة العلوم ، مجلد ٦ عدد ٩ (١٩٨٩) .

الأعشاب الطبية

وفوائدها في العلاج

د. موسى مدنى مصطفى

الدعوة إلى استخدام الاعشاب الطبية فى العلاج ليست دعوة إلى التخلف ، وإنما هى دعوة إلى استعمال الماء والهواء والغذاء والدواء النقى الطاهر الذى خلقه الله تبارك وتعالى ؛ دون آثار جانبية ، والغرض منها كشف ما تحويه الطبيعة وما سخره الله لنا فيها من الخير ، والله سبحانه وتعالى هو خالق الابدان وهو اعلم بما يصلحها ؛ حتى نستعيد قوتنا ومناعتنا ، وصفاء نفوسنا .

قال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (ق - ٧)
والبهيج : الحسن اللون .

وفى الصحيحين[١] عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما انزل الله من داء إلا انزل الله له شفاء» وفى المسند من حديث ابن مسعود يرفعه : «إن الله ـ عز وجل ـ لم ينزل داءً ، إلا انزل له شفاءً ، علمه من علمه ، وجهله من جهله»[٢] .

ويقول ابقراط ـ ابو الطب : « ليكن غذاؤك دواءك ، عالجوا كل مريض بنبات ارضه فهى اجلب لشفائه » .

وسار على نهجه الطبيب العربى المشهور ابن النفيس ، يؤكد ذلك فى مقولته الجامعة : « صحتك فى تنظيم غذائك ، وعليك بالحذر من اللجوء إلى الأدوية لسميتها إلا عند الضرورة القصوى » .

وقد سار على منوالهما معظم رواد الطب العربى الأفذاذ مثل : ابن سينا ، وابن زهر ، وابن رشد وحنين بن إسحاق ، وأبو على ، يحيى بن جزلة ، وأبو القاسم الزهراوى وداود

(١) البخارى ومسلم .

(٢) واخرجه ايضاً النسائى ، وابن ماجه ، والحاكم ، وابن حبان فى صحيحيهما ، والطبرانى ورجاله ثقات وهو ـ ايضاً ـ فى مسند ابى حنيفة .

الأنطاكى صاحب التذكرة وغيرهم .

ولكن ، متى وكيف بدأ استخدام الأعشاب الطبية فى العلاج ؟!

من المعلوم أن استخدام الأعشاب الطبية فى العلاج قديم قدم التاريخ (فقد استعملها الإنسان الأول) وقد دلت الحفريات والآثار على أن كهنة الفراعنة كانوا يعلمون فوائد الأعشاب الطبية ، وكيفية التداوى بها !

ولقد سجل الفراعنة فى بردياتهم بعضا من أعشابهم التى استخدموها فى العلاج ، ومن هذه البرديات بردية «هيرست» ، وبردية «أدوين سميث» ، وبردية «ايبرس» التى تصف علاجا للصداع .

تقول سطور البردية : « تدق حبوب الخروع وتخلط بالماء ثم توضع على الرأس وسوف يزول الصداع كأن لم يكن » .

وكان الفراعنة يستخدمون نبات «العرعر» فى معالجة أمراض الكُلَى والمثانة ، كما استخدموا (الحنظل) كمسهل وطارد للديدان ، وهناك برديات طبية أخرى ولكنها أقل أهمية ، وقد وصف الفراعنة زيت الحلبة لمعالجة تجاعيد الشيخوخة ، أما الخروع فقد عرفوه كمسهل أيضاً ولمعالجة سقوط الشعر ، واستعملوا بذرة الكتان للآلام والأورام .

كما عرف الهنود القدماء الأعشاب ، وحذقوا فن المعالجة بها ، ولا يفوتنا أن نذكر كتابهم المسمى «ريجنيدا» والذى نوه بخصائص شفائية لأعشاب كثيرة واشتمل على دعوات من أجل الحصول على الشفاء ويقابل كتاب «ريجنيدا» عند الهنود كتاب «زندافستا» عند الفرس ، إلا أن الطب عند الفرس كان خليطا من التعاويذ والرقى وشيئا ضئيلا من المبادىء الطبية .

وفى اليونان القديمة وضع كثير من الحكماء عدة مؤلفات تعالج بالأعشاب والنباتات المختلفة ، كان ذلك فى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ، ونذكر من هؤلاء الحكماء أشهرهم : أبقراط ، وارسطوطاليس ، ثم جاء بعدهما جالينوس ، الذى اشتهر كثيراً حتى صار الطبيب الخاص للقيصر .. وكان «أبقراط» هو أبو الطب التجريبى بحق .. فقد كان يؤمن بالتأثير النفسى فى سرعة الشفاء ، وكان يعتقد أيضاً أنه إذا عرفت أسباب المرض أمكن علاجه .. وقد قسم أبقراط العقاقير إلى أدوية تستعمل من الظاهر : كالكمادات ، والزيوت ، والمراهم ، وأخرى يتناولها المريض ، منها السائل مثل الأعشاب المغلية يتجرعها مع العسل ، أو على صورة حبوب ، أو قطرات للعين ، وهى على هيئة قلم صغير تمس به العين ، أو لبوسات ، أو غيرها وكان يستعمل فى علاجه أكثر من مائتين وثلاثين من العقاقير والأعشاب .

أما فى روما القديمة ، فقد اشتهر من الأطباء فيها «كاتو» ، وكان هناك أيضاً «ديسقوريدس» ، وكان جراحا وكان مغرما بالأعشاب حتى أنه وضع كتابا أسماه «الأعشاب» ، وكان جملة ما كتبه عن الأعشاب والنباتات تسعمائة وثمانية وخمسين عقارا وعشبا ، كما وصف الحديد لعلاج نزيف الرحم ولتقوية الضعاف .

ويحسن بنا أن نشير إلى أن معظم طب أبقراط وجالينوس وديسقوريدس وارسطو طاليس ؛ وهم أشهر أطباء اليونان القديمة كما تقدم ؛ وكذلك الطب الرومانى ، قد أخذوه عن الطب المصرى القديم .

أما العرب فقد كان للأطباء العرب باع طويل وواسع فى المعالجة بالنباتات والأعشاب ، فالشيخ ابن سينا ألف كتابه المشهور «القانون» الذى

وفوائـدها فى الصحة والعلاج

قسم فيه الألم إلى خمس عشرة درجة ، وسجل لعلاج الأمراض فيه ما يزيد على ستين وسبعمائة دواء .

كما أن هناك من أطباء العرب «ابن البيطار» ، وهو أول عالم عربى ألم بخواص النباتات ، ووضع فيها كتابه «الجامع الكبير» الذى احتوى وصفا دقيقا لألفين منها ، ثم كتاب «المغنى فى الأدوية المفردة» ، وكتاب «الأفعال الغريبة والخواص العجيبة» ، وأخيراً كتابه «الدرة البهية فى منافع الأبدان الإنسانية» .

ومن حكماء العرب - أيضاً - أبو على يحيى بن جزلة ، الذى ألف كتابا أسماه «المنهاج» ، ورتبه على الحروف الهجائية ، وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية .. و «سابور بن سهل» ، وهو أول طبيب يضع دستوراً للأدوية ، ثم جاء «الرازى» ووضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية بالفارسية ، واسماه «كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية» ، وصف فيه ما يقرب من خمس وثمانين وخمسمائة عشبة ، ولا يغيب عن الذهن كتاب داود الأنطاكى المسمى «تذكرة داود» ، وهو كتاب مشهور تعرفه العامة قبل الخاصة ، وكان دستوراً للعلاج والشفاء لأزمنة طويلة ، ولايزال هذا الكتاب مرجعا لكثير ممن يعملون بالطب .

كانت هذه العُجالة التاريخية التى ذكرناها سببا فى تأصل بعض الوصفات الشعبية لدى العامة ، يتناقلونها جيلاً بعد جيل ، وبعد ازدهار الكيمياء ، بدأ الطب الطبيعى والعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية يتوارى فى عالم النسيان ، لتحل محله المخلقات الكيميائية ، وهناك ما لا يقل عن ٢٥,٠٠٠ مستحضر دوائى كيميائى على صعيد الأسواق التجارية ، هذا فضلاً عن آلاف الأدوية الطبيعية الأخرى والمستخرجة[٣] من الأعشاب والمعادن والحيوانات .

لماذا العودة إلى استخدام الأعشاب الطبية فى العلاج ؟

تبين من الدراسات التفصيلية الشاملة التى اجراها البروفيسور البريطانى «توماس ماكيون» ، فى جامعة برمنجهام ، أن العقاقير الطبية لم تحدث سوى تأثير ضئيل بصدد خفض معدلات الوفاة الناجمة عن الأمراض العصرية مثل تصلب الشرايين والسرطان ، فهذه العقاقير تساعد على احتواء الأعراض فقط ، فهى مجرد مخفضات أو مسكنات للألم ، وليست سبيلاً فعالا للعلاج القاطع ، والإنسان وحده هو الذى يملك تحقيق ذلك العلاج بصورة فعالة .

لا غرو أن يقال بحق : أن الوباء الذى يجتاح العالم الآن ، هو وباء خطير يعرف باسم «المضاعفات الجانبية للدواء» كما أن هناك حالات كثيرة من تشوه الأجنة خلال الحمل ، قد حدثت نتيجة استعمال عدد من الأدوية بشكل تجريبى ، ثم أوقف استعمالها ورفعت قضايا ودفعت تعويضات !

بينما نرى على الجانب الآخر ، أن العلاج بالأعشاب الطبية ، قد نجح فى اختبار الزمن ، خلال استعماله لعدة أجيال متعاقبة ، خالياً من الآثار الجانبية ، ومازال يتحدى ويقدم العون لكل من يستعمله ، لأنه خلاصة تجارب الإنسان منذ أول الخليقة وحتى الآن ، ولأنه زهيد الثمن ، فهو ينبت بمشيئة الحق تبارك وتعالى رحمة بعباده .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، قام العالم الأمريكى الزنجى الأصل البروفيسور «بروس

(٣) وذلك بمعالجتها كيميائيا ثم تخرج على هيئة حبوب أو كبسولات أو معلق وخلافه حيث تصبح جاهزة للاستعمال الآدمى .

جوليان» ، بإجراء سلسلة من البحوث المستفيضة على كتب الطب الصينية القديمة ، وأهمها كتاب «الأعشاب الكبير» الذى كتب عام ١٥٦٩ قبل الميلاد ، وقد تمكن هذا الباحث من استخلاص هرمونات جنسية من نبات الطماطم ، والثوم ، وفول الصويا ، وطلع النخيل ، والزنجبيل ، والتفاح ، والكركديه ، والترمس ، والحلبة ، والقرطم ، وصنع منها إكسيرا يستخدم لتنشيط وتجديد الغدد والخلايا .

وهذا ما حدث بالفعل فى مصر ، فقد استطاع فريق من العلماء المصريين بالمركز القومى للبحوث استخلاص المادة الفعالة لبعض الأعشاب التى ورد ذكرها فى كتب الطب القديمة .

واكتشف الأطباء المصريون ـ مثلاً ـ أن نبات الخلة يفيد جداً فى توسيع الحالب ، وطرد حصوات الكلى ، وتوسيع الشريان التاجى المغذى لعضلات القلب .

ونحن لا يمكننا بهذا الكلام أن نقلل من حجم الانتصارات التى حققها الطب الحديث ، ولكننا بحاجة إلى ترشيد للمسيرة العلمية فى معالجة الأمراض وشفاء الأجسام ، فقد ابتعدنا عن الطبيعة التى وهبها الله لنا ، وبقدر ابتعادنا عنها ، بقدر شقائنا وآلامنا التى باتت تنخر عظامنا بلا رحمة ولا شفقة .

ولسوف يعود الإنسان ـ إن شاء الله ـ فى المستقبل القريب إلى أحضان الأعشاب الطبية هاربا من التلوث الكيميائى الذى صنعه بيديه ، يعود إلى جنة الله فى أرضه ، حيث الطبيعة الخالية من التلوث ، ليعيش مرة أخرى فى ظلالها ، مستعينا بكل ما منحه الله له فيها من الكنوز ، مستفيدا من الطب النباتى والرياضة البدنية ، وطب الأعشاب ، لكى يسترد قوته ، وعافيته ، وتعود إليه لياقته ، ومناعته الطبيعية .

المراجع

١ ـ الطب النبوى لابن قيم الجوزية .

٢ ـ الطب النبوى للإمام ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى .

٣ ـ النباتات الطبية وإطالة عمر الإنسان ا.د/ سعد محمد خفاجى .

٤ ـ الصحة والعلاج فى الطبيعة والاعشاب د . سامى محمود .

٥ ـ التداوى بالاعشاب للدكتور امين رويحة .

٦ ـ تذكرة اولى الألباب (تذكرة داود) للشيخ الحكيم داود الأنطاكى الضرير .

مشاهد من الهجرة ـ بقية ـ

والشاعر السورى الكبير عمر ابو ريشة يقدم لنا هذه الصورة :

جمعت شملها قريش وسلت
لـلأذى كل صعدة سمراء

وأرادت أن تنفذ البغى من أحمد
فى جنح ليلة ليلاء

أمر الوحى أن يحط خطاه
فى الدجى للمدينة الزهراء

وسرى واقتفى سراه أبو بكر
وغابا عن أعين الرقباء

وأقاما فى الغار والملا العلوى
يرنو إليهما بالرعاء

وقفت دونه قريش حيارى
وتنزت جريحة الكبرياء

وانثنت والرياح تجأر والرمل
نثير فى الأوجه الربداء

هلل ياربا المدينة واهمى
بسخى الأظلال والأضواء

واجمعى الأوفياء إن رسول الله أت لصحبة الأوفياء

تقنية الاتصالات عبر الفضاء

د. ميرفت السيد عوض *

تعتبر الاتصالات اللاسلكية - وهي الوسيلة التي يمكن عن طريقها إرسال واستقبال العلامات والإشارات والكتابة والصور والأصوات والمعلومات من أي نوع عن طريق الموجات الأثيرية - فنًا حيًا دائم التقدم والنماء، كلما تقدم خطوة نحو الكمال طلب المزيد.

لا يسعنا المقام هنا لسرد التطورات التي حدثت في طريق الاتصالات اللاسلكية منذ بدء ثورة المواصلات عام ١٨٣٨م حينما اكتشف «صموئيل مورس» أن المعلومات يمكن أن تنقل على الأسلاك إذا ما حوّلت إلى شفرة بنبضات كهربائية خاصة، وكان هذا بدء الاتصالات عن طريق الكهرباء، وأعقبه العالم «ماركوني» عام ١٨٩٥م بتمكنه من إرسال هذه الشفرة على الأثير دون استعمال الأسلاك (أي باللاسلكي).

وقد اعتبرت هذه الوسيلة المبتكرة في ذلك الوقت إحدى الخوارق العلمية العظيمة ودونما استرسال في سرد تفاصيل تاريخية، فإننا سنتعرض في هذا المقال لما توصل إليه هذا العلم خلال السنوات الأخيرة في مجال «مواصلات الفضاء» ذلك أن كل يوم يشهد تزايداً في عدد المشتغلين في حقول التجارة والصناعة والإعلام الذين يستخدمون الأقمار الصناعية لتسيير أعمالهم، وكل يوم يشهد زيادة في عدد المحطات الأرضية بوجوهها البيض وعيونها الجواحظ إلى نقاط مختلفة في السماء.

كل ذلك يعود إلى وجود أقمار الاتصال الصناعية لأنها فتحت طرق اتصال جديدة تغطي مساحات واسعة في وقت واحد، توفر تسهيلات لم تتوافر من قبل بواسطة الوسائل الأرضية. والأقمار الصناعية، توفر القدرة على إرسال الصوت والبيانات والصور المطبوعة وصور «الفيديو» و«التليفزيون» الملون من وإلى مئات أو آلاف المواقع في إطار شبكة كبيرة متماسكة مشتركة. وكذلك لدى الأقمار الصناعية التي ترسل البرامج التليفزيونية عبر القارات وحول العالم بدون الحاجة إلى حجز مسبق، وذلك باستخدام أجهزة الموجات الصغيرة جداً وأجهزة الإرسال الدقيقة إلى عديد من البلدان.

---

* الكاتبة: أستاذ مساعد الميكانيكا الفضائية - جامعة القاهرة

وأهم من كل شيء أن الأقمار الصناعية توفر القدرة على توفير المال ، وإذا لم تكن أقمار الاتصال الصناعية توفر تسهيلات أوفر ثمنا من الاتصالات الأرضية لن يقوم أحد بشرائها ، إلا أنهم يفعلون ذلك . واليوم يوجد حوالى مائة قمر اتصال صناعى فى مدار حول الأرض وحوالى ثمانين منها تقريباً مكرسة للاستخدام فى عوالم التجارة والصناعة والإعلام . وهذه الأقمار الصناعية التجارية توفر أرباحا لمالكيها وتوفر تكاليف الاتصالات بالنسبة لمستخدميها فى الوقت ذاته . إن تخفيض كلفة الاتصالات تعنى مزيداً من الأرباح بالنسبة لمستخدمى الأقمار الصناعية ، مما يفسر سبب نمو عدد أقمار الاتصال الصناعية والمحطات الأرضية .

أنواع الأقمار الصناعية :

لكى يستخدم القمر الصناعى فى الاتصالات الفضائية لاسلكيا فإن من الضرورى ـ كقاعدة أساسية ـ أن يكون منظوراً من محطتى الإرسال والاستقبال ، وعلى ذلك كلما ارتفع المدار عن سطح الكرة الأرضية كلما أمكن أداء التوصيل لمسافات أبعد وتوافر وقت أطول لقمر صناعى واحد لنفس المسافة .

وتنقسم الأقمار الصناعية إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ القمر السلبى أو العاكس :

وهو أبسط أنواع الأقمار الصناعية ، يتخذ شكل (بالون) كبير مغطى بغلاف معدنى ولا يحتوى على أى أجهزة بداخله ، ويستخدم لمجرد عكس الإشارات اللاسلكية الواردة إليه من الأرض سواء أكانت برقية أم صوتية ، إلى جهات أخرى بعيدة عن الأرض ومن عيوب هذا النوع من الأقمار أنه يتطلب قوة كبيرة جداً لأجهزة إرسال المحطات الأرضية التى تبث إليه العلامات حتى يتسنى عكسها بقوة نحو سطح الأرض مرة أخرى ثم استقبالها .

٢ ـ القمر النشط فى مدارات مختلفة :

تحوى هذه الأقمار أجهزة للإرسال والاستقبال بواسطة القوة الكهربائية المستمدة من البطاريات الشمسية المركبة على سطح القمر الصناعى ، وتتم الاتصالات باستقبال أجهزة القمر للعلامات المشعة من محطات الإرسال الأرضية ثم تغير ترددها وتكبرها وتعيد إرسالها بأجهزة إرسال القمر حيث تستقبل فى محطات أرضية أخرى ، وبهذا فإن الأمر لا يستلزم إرسال العلامات بقوة كبيرة من الأرض ، كما أن الأجهزة اللاسلكية بالقمر الصناعى يجب أن تكون على درجة عالية جداً من الجودة والكفاءة وتحمل الأداء .

على أن القمر الذى يدور فى مدار قطبى منخفض (وقد تبين أنه الأنسب للاتصالات بين بلدان الشرق والغرب) ، أو ذلك الذى يدور فى مدار استوائى منخفض (وهو الأنسب للاتصالات بين بلدان الشمال والجنوب) ، لا يمكن أن يوفر أى منهما الاتصال بين بلدين لأكثر من مدد محددة أثناء ما يكون منظوراً من محطتى الإرسال والاستقبال . ولما كانت هذه الأقمار غير متزامنة بمعنى أنها تطلق فى مدارات مختلفة حول الأرض بغية الاقتصاد فى نفقات الصواريخ الطالقة ، فالقمر فى هذه الحالة لا يبدو ظاهراً بالنسبة إلى محطتين أرضيتين فى وقت واحد إلا لفترة قصيرة من الوقت ثم يختفى وراء الكرة الأرضية ولا يظهر ثانية إلا بعد فترة طويلة تالية ، ولذلك إذا استخدم هذا النوع من الأقمار للاتصالات المستمرة (٢٤) ساعة يومياً يجب أن نرسى مزيداً من الأقمار تكون منظورة من

تقنية الاتصالات عبر الفضاء

محطتى الإرسال والاستقبال وتظهر فى الفضاء المرئى بالتتابع . وهذا يجعل هذه الوسيلة غير ملائمة من الناحيتين الاقتصادية والحركية ، إلا انها تستخدم فى أغراض أخرى كالأرصاد الجوية والبحوث العلمية والفلكية .

٣ ـ القمر المتزامن :

هذا النوع من الأقمار يماثل الأقمار التى سَلَفَتِ الإشارة إليها إلا انه يختلف عنها فى اجهزة الضبط والتحكم . ونظراً للارتفاع الهائل الذى يبلغه هذا النوع قبل أن ينتظم فى مداره ؛ فإن الصاروخ الحامل له تزيد تكاليفه بدرجة كبيرة . ويقابل هذا نقص ملحوظ فى تكاليف المحطة الأرضية ؛ لأن القمر ثابت فى وضعه بالنسبة لها فى الفضاء فلا يحتاج إلى هوائيات ضخمة متحركة ، بالإضافة إلى أن مدى هذا القمر كبير جداً لدرجة أن ثلاثة أقمار من هذا النوع تكفى لإيجاد اتصال مستمر عبر الفضاء بين معظم أنحاء المعمورة .

والقمر المتزامن بعد إرسائه يدور فى فلك محدود فى مستوى خط الاستواء بسرعة (٦٨٧٠) ميلاً فى الساعة وبارتفاع عن سطح الكرة الأرضية يبلغ (٢٢٣٠٠) ميل (٣٦٠٠٠ كيلومتر) ويقطع الدورة فى ٢٤ ساعة ، وبذلك يبقى متلازما مع الموقع الذى يواجهه ، ومن هنا جاءت تسميته بأنه متزامن مع دورات الأرض ، وعلى العلامات المرسلة من محطة أرضية نحو مثل هذا القمر أن تقطع (٣٦٠٠٠) كيلومتر للوصول إليه ومثلها للعودة من القمر إلى المحطة الأرضية المقابلة ، أى يلزم لها قطع مسافة (٧٢٠٠٠) كيلومتر فى الذهاب والعودة ، ومع ذلك فإن الزمن الذى تستغرقه الرحلة لا يتعدى ربع ثانية لأن سرعة الموجات اللاسلكية تبلغ (٣٠٠٠٠٠) كيلومتر فى الثانية الواحدة .

الرسم (أ) :

إن مدارا لمدة ٢٤ ساعة فوق القطبين الشمالى والجنوبى لن يكون مفيداً لأغراض الاتصالات فالقمر الصناعى ومستخدمُهُ يسافران فى اتجاهات مغايرة .

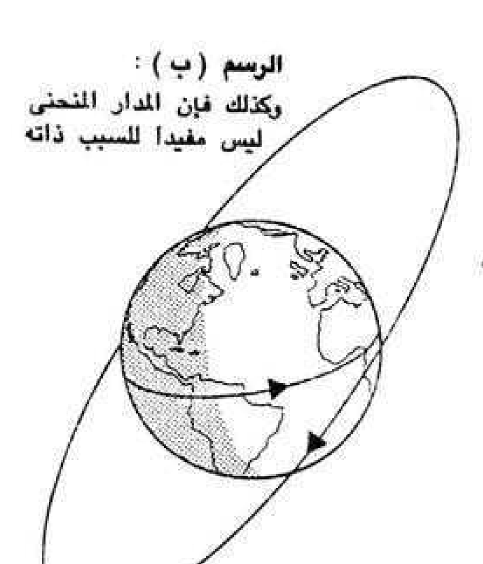

الرسم (ب) :
وكذلك فإن المدار المنحنى ليس مفيداً للسبب ذاته

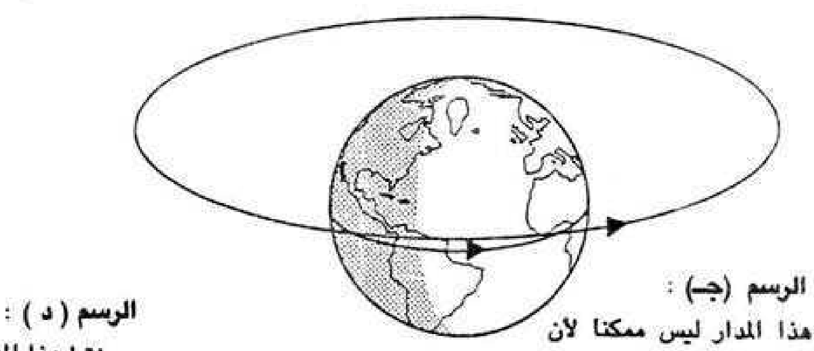

الرسم (جـ) :
هذا المدار ليس ممكنا لأن
القمر الصناعى لا يكون ساقطا
دائريا باتجاه مركز الكرة الأرضية

الرسم (د) :
فقط هذا المدار ، المدار الأرضى
التزامنى ، هو المناسب للاتصالات

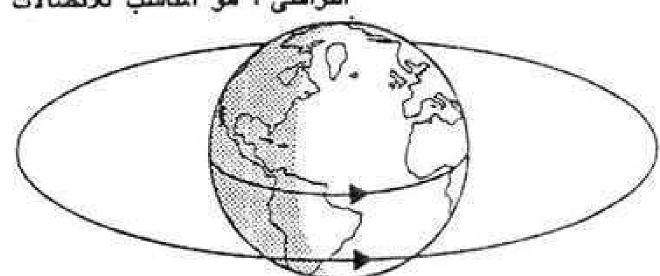

إطلاق الأقمار الصناعية :

سنعرض الآن لما يتم من خطوات لإطلاق الأقمار الصناعية المتزامنة وكيفية إرسالها فى مدارها المتزامن فوق خط الاستواء :

١ ـ يستخدم لإطلاق القمر الصناعى صاروخ ذو ثلاث مراحل له قوة دفع حوالى (٢٥٠٠٠٠) رطل ويحتوى على ٣ « موتورات » رفع كل منها (٢٥٠٠٠) رطل ، ويوضع القمر الصناعى داخل غطاء حماية بالجزء الأعلى من الصاروخ .

٢ ـ بعد الانطلاق بـ ٧٥ ثانية تكون المعززات المروحية الصلبة قد تم احتراق وقودها وانفصلت مبتعدة عن جسم الصاروخ ، ويستمر محرك المرحلة الأولى بإعطاء الدفع للمركبة التى تكون على ارتفاع (١٠,٨) ميل من سطح الأرض .

٣ ـ بعد مضى (٢٢٠,٨) ثانية من الانطلاق يتم احتراق المرحلة الأولى ، ويبدأ الاشتعال فى المرحلة الثانية ، ويكون الصاروخ قد وصل إلى ارتفاع (٨٣) ميلاً من سطح الأرض .

٤ ـ بعد (١٥) ثانية من بدء إشعال المرحلة الثانية يكون الارتفاع ٩٥ ميلاً . وعند إتمام احتراق المرحلة الثانية يكون الصاروخ قد ارتفع ٢٠٩ أميال .

٥ ـ بعد ذلك يبدأ محرك المرحلة الثالثة فى الإشعال وتكون المسافة المقطوعة ٣٦٦٩ ميلاً .

٦ ـ بعد (١٢٣٨,٩) ثانية من بدء الانطلاق يتوقف محرك المرحلة الثالثة ، وفى هذه اللحظة ينفصل القمر الصناعى عن جسم الصاروخ ويبقى فى الفضاء وحيداً ويكون قد قطع مسافة (٣٨٨٠) ميلاً .

٧ ـ يلى ذلك دوران القمر فى مدار اهليليجى مؤقت (مدار انتقالى) نهايته العظمى (٢٦٠٠٠) ميل ، والصغرى (٣٠٠) ميل كل (١١) ساعة ثم يقوم المهندسون بتدوير القمر (١٣٥°) تهيئة للمرحلة الحرجة .

٨ ـ بتوجيه أوامر عن طريق اللاسلكى من

البقية ص ٨٨

إعـــداد
د. نجوى السيد أحمد

١ | شبكة « رادارات » لمراقبة الأرض وغلافها الجوى

تم إنتاج « رادار » يعمل بمساعدة الحاسبات ويتخطى مداه الأفق Over The Horizon (OTH) حيث يصل إلى ٣٢٠٠ كيلو متر ، أى حوالى عشرة أضعاف المدى الذى تغطيه « الرادارات » الأخرى . هذا « الرادار » هو الأول من بين مجموعة « رادارات » يخطط لإنشائها فى أماكن مختلفة من العالم لتشكل فى المستقبل شبكة كبيرة قادرة على مراقبة ملايين الكيلو مترات المربعة .

••••••

٢ | استخدامات جديدة للأشعة السينية الملونة ..

تمكن مهندسو مؤسسة أبحاث الفيزياء الفلكية فى كاليفورنيا من تطوير جهاز يقدم خدمة كبيرة لمفتشى جهاز أمن المطارات عند فحص الأمتعة بالأشعة السينية . ويستطيع هذا الجهاز الجديد التمييز بين الأجسام العضوية والأجسام غير العضوية عن طريق عرض صورها بالألوان . حيث يقوم حاسب الكترونى بتلوين الأجسام العضوية باللون البرتقالى والأجسام اللا عضوية باللون الأزرق ، ويعرضها فى آن واحد .

••••••

٣ | مجهر صوتى لفحص خلايا الجسم

بدأت تقنية « السونار » تشق طريقها فى مجال الأبحاث الطبية . فقد قام العلماء بابتكار تقنية جديدة للتصوير الصوتى (المجهر الصوتى) فى المختبرات الطبية ، بعد أن أصبح التصوير فوق الصوتى أسلوبا تشخيصياً روتينياً .. وللمجهر الصوتى فائدة هامة ، فبالرغم من أن استبانته تقارب استبانة المجهر الضوئى الذى يجب صَبْغ الأنسجة المراد مشاهدتها فيه مما يتسبب فى قتل الخلايا ، فالمجهر الصوتى يمكّننا من فحص الخلايا الحية دون الحاجة إلى صباغتها . وهذه الميزة مفيدة جداً فى الاختبارات الصيدلانية لأنها تفسح المجال أمام الباحثين بمراقبة تفاعلات الخلية مع عقار معين على مدى فترة زمنية محددة .

٤ | الليزر يدخل عالم الطباعة

خطا العلم خطوات سريعة تجاه الطبع الآلى ، حيث يجلس المؤلف امام آلته فيكتب ما خطر له على شاشة ، ثم يضغط زراً فيخرج ما كتبه فى صورة صفحة من طابعة تعمل بأشعة الليزر وجاهزة لوضعها فى جهاز النسخ الذى يخرج منها الآلاف المؤلفة . وهكذا تنسخ كل صفحة يعدها المؤلف حتى تكتمل صفحات الكتاب دون حاجة إلى عمليات الصف أو الجمع والتصميم التى تتبع منذ اختراع قوالب الأحرف للطباعة .

••••••

٥ | أوراق التوت لعلاج « الروماتيزم » ..

أكدت الأبحاث أن أوراق نبات التوت لها فاعلية فى علاج أمراض الروماتيزم ، وأن المادة الفعالة فى أوراق التوت تقضى تماماً على الآلام الروماتيزمية بدون آثار جانبية ..

••••••

٦ | سيارة بدون سائق ..

نجح مهندسون أمريكيون فى إنتاج حاسبة الكترونية « كومبيوتر » غريبة مهمتها قيادة السيارات ، والتعرف على الطرق والمنحنيات ، وتحسب مسافات الحواجز بفضل « كاميرا اليكترونية » ، وهى التى تقرر السير على هذا الطريق أو ذلك واختيار افضل الطرق واقربها ، حسب أولويات برمجتها . فى البداية لم يكن فى إمكان هذه الحاسبة سوى قيادة عربة صغيرة تسير بسرعة ٢ كيلو متر فى الساعة ، ولكن بعد تغييرات عدة أجريت عليها امكنها اليوم القيام بمليون عملية فى الثانية ، والسير بسرعة ٥٦ كيلو مترا فى الساعة ، دون الاصطدام بالارصفة أو إشارات المرور أو السيارات أو المشاة . إلا أنها لا تزال تعانى من مشكلتى الحجم الكبير والسعر المرتفع ، وسوف يساعد هذا « السائق الآلى » المعاقين فى قيادة السيارات .

••••••

٧ | أول « ترانزستور » فائق التوصيل ..

تم صنع اول « ترانزستور » له قدرة فائقة على التوصيل ويعمل فى درجات حرارة مرتفعة نسبياً مما يجعله اداة ذات فائدة هامة فى تطوير الموصلات الفائقة فى الحاسبات والأجهزة الالكترونية .

من المعروف أن العلماء لم يتمكنوا حتى الآن من صنع أسلاك سميكة قادرة على التوصيل الفائق للتيارات الكهربية الشديدة فى درجات حرارة مرتفعة ، إلا أنه امكن التوصل إلى شرائح لهذا التوصيل عن طريق مجموعة أبحاث عديدة ، واستخدم علماء معامل « سانديا » بأمريكا شرائح توصيل عالية القدرة مركبة من عنصر « الثاليوم » مع أوكسيد النحاس لصنع « الترانزستور » الجديد .

••••••

٨ | من الفوائد الطبية لزيت الزيتون ..

يسمى زيت الزيتون بالزيت الطيب لطيبه ونقاوته وامتيازه فى التغذية ، ولونه ضارب للخضرة لوجود مادة « الكلوروفيل » به ، ويستخدم فى الأغراض الطبية لعلاج المرارة والكبد ، كما يحتوى على بعض الفيتامينات الهامة التى تفيد فى علاج الكساح وامراض العيون .

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« قضاء حوائج الناس »

من كثرت نعم الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه ، فإن قام بما يحب الله فيها عرَّضها للدوام ، وإن لم يقم فيها بما يحب الله عرضها للزوال .

« من وصايا معاذ بن جبل »

جاء رجل إلى معاذ بن جبل - رضى الله عنه - فقال له : علمني !

قال مُعاذ : وهل أنت مطيعى ؟ قال : إنى على طاعتك لحريص ! فقال معاذ : صم وافطر ، وصل ونم واكتسب ، ولا تأثم ، ولا تموتنَّ إلا وأنت مسلم وإيَّاكَ ودعوة المظلوم .

« ما ظنكم »

تحسر بعض الحكماء عند موته ، فقيل : مابك ؟ فقال : ما ظنكم بمن يقطع سفرا طويلا بلا زاد ، ويسكن قبراً موحشا بلا مؤنس ، ويقدم على حكم عدل بلا حجة .

« كيف كان مجاذيبهم »

يحفظ تاريخ الأدب العربى أخبارا لبعض المجاذيب فى زمان ازدهار الدولة الإسلامية منهم :

« بهلول » و« عليان » و« سعدون » و« سحنون » و« شقران » ، وغيرهم ، وقد عزيت إليهم اشعار واقوال اولى لها هذا الباب من الطرائف ، من ذلك ما رواه عيسى بن علىّ عن سعدون ، قال : رأيت سعدونا والصبيان يرمونه بالحجارة فصرفتهم عنه ، فقال لى بعض الصبيان : إنه يزعم أنه يرى « ربه » .

فقلت له : ما تسمع مقالة الصبيان فقال : ياأخى مذ عرفت الله ما فقدته ثم قال :

زعم الناس أننى مجنون
كيف أسلو ولى فؤاد مصون

علق القلب بالبكا فى الدياجى
وهو بالله مغرم محزون

وقال إسماعيل بن عطاء ، مررت بسعدون فلم أسلم عليه ، فنظر إلىّ وقال :

يأذا الذى ترك السلام تعمدا
ليس السلام بضائر من سلما

إن السلام تحية مبرورة
ليست تحمل قائليها مغرما

ومن شعر سعدون - أيضا :

لئن أمسيت فى ثوبى عديم
لقد بليا على حر كريم

فلا يحزنك أن أبصرت حالا
مغيرة عن الحال القديم

« حقيقة الحب »

حقيقة الحب فى الله أن الا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالجفاء .

« كلمات فى المدائح الخلقية »

مدح اعرابى رجلا فقال : كان والله تعبا فى المكارم ، غير ضال فى طرقها ، ولا متشاغل بغيرها عنها .

وقال آخر : فلان لو وجد الكرم فى يد غيره لعلم انه ضالة له .

ومدح بدوى رجلا فقال : كان والله صحيح النسب ، محكم الأدب ، من أى اقطاره اتيته انثنى إليك بكرم فعال ، وحسن مقال .

ومنها كأن الألسن والقلوب ريضت له فلا تنعقد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بثنائه وحمده .

وقال بليغ : فلان من شجر لا يختلف ثمره ، ومن ماء لا يأتلف كدره .

وسأل الوزير يحيى بن خالد البرمكى عن ابنه الفضل فقال له المسئول وكان بليغا : تركته وماء الحياء ينحدر من أسارير وجهه ، وسيول الجود سائلة من فروج انامله ، ولآلىء العلم منتثرة من مسارب منطقه .

ومن هذا الباب ما مدح به إبراهيم بن الصابى الوزير المهلبى فقال :

له يد برعت جودا بنائلها
ومنطق دره فى الطرس منتثر

فحاتم كامن فى بطن راحته
وفى أناملها سحبان مستتر

« نصيحة »

إن الله نصب شيئين : أحدهما أمر والآخر ناه فالأول يأمر بالشر وهى النفس: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ والآخر ينهى عن الشر وهى الصلاة : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ .

فإذا أمرتك النفس بالمعاصى والشهوات فاستعن عليها بالصلوات .

« أريد رجلا »

قال سيدنا عمر ـ رضى الله عنه : أريد رجلا إذا كان فى القوم وهو أميرهم كان كبعضهم ، وإذا لم يكن أميرهم فكأنه أميرهم .

« رحمك الله »

وقف الأحنف على قبر الحارث بن معاوية .

فقال : رحمك الله ، كنت لا تحقر ضعيفا ، ولا تحسد شريفا .

« دعاء »

اللهم إن مغفرتك أرجى من عملى ، وإن رحمتك أوسع من ذنبى . اللهم إن لم اكن اهلا ان أبلغ رحمتك فرحمتك اهل أن تبلغنى لانها وسعت كل شىء ياأرحم الراحمين .

فى مجلس القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ / السيد الشريف

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

للاستماع إلى آيات الله البينات آداب يجب أن تتبع ولمجلس القرآن قدسية تحترم .. وقد وضع لنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا الأساس قرآنا يتلى فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] .

وقد شرط العلماء السابقون شروطا يجب توافرها فى القارىء والسامع .. وهى فى جملتها تتناسب وجلال كلام ربّ العالمين ، أما ما نراه ونسمعه فى بعض مجالس القرآن فى هذه الأيام فشىء غريب معيب ينبغى التخلص منه . فليتنا نروض عواطفنا التى تحكمنا فى مثل هذه الأمور . فنكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

قال الأستاذ رحمه الله :

تعود كثير من المستمعين إلى آى الذكر الحكيم فى حفلات المآتم والذكرى وبعض المناسبات ـ أن يجلس كل منهم إلى زميله يتحدث معه جهرة ، أو بين السر والجهر ، فى شئون متنوعة ، وقد يتطرق بهما الحديث إلى تناول آخرين بالقدح وتعداد المثالب ، وقد يبلغ بهما التعمق فيه إلى أمور أقل ما يقال فى الحديث عنها أن إثارتها عمل يجافى الذوق ، ولا يساوق الطبع ، ولا يتفق وما لمجلس القرآن من مهابة وكرامة ، وتوقير وتبجيل ، ورفعة وسمو .

وقد انتقلت هذه العدوى إلى المساجد ، إذ نرى فريقا كبيراً من المصلين ، إذا ما سمعوا قارئا ، يحزمون أمرهم باتفاق ، أو على سبيل المصادفة على أن يوجهوا إليه تحية ، ليست طيبة

(١) سورة الأعراف آية ٢٠٤ .

ولا مباركة عند كل وقف أو قبله بأصوات صاخبة مدوية ، مدفوعين إلى ذلك بدافع التشجيع له ، أو التعصب لفنه ، لما بينهم من روابط وصلات ، على أن من القراء من يتخذ له بطانة تلازمه فى حله وترحاله ، تشيد بذكره ، وتنتزع الإعجاب والاستحسان من سامعيه ، حتى يعلو ذكره ، ويطير صيته ، وينبه شأنه .

وتلك حالة ، كيفما كان الباعث عليها ـ تدعو إلى الأسى والألم ـ ، ولا تتفق مع ما يجب لهذه المجالس من قدسية وجلال ، ليتوافر للجالس فيها ما يطلب منه ، من تفكير واعتبار ، وتدبر وإمعان فى أسلوب القرآن ، للوقوف على ما فيه من روعة وجزالة وقوة ورصانة ، وما يفصح عنه ، من حكمة وعظة ، وترغيب وترهيب ، ووعد ووعيد ، ودعوة حازمة إلى الطريق القويم ، وتوجيه حكيم إلى الصراط المستقيم .

وإن ما تقع عليه نواظرنا الآن فى المساجد وغيرها ، وتنقله إلينا الإذاعة ، ويسمعه العالم الإسلامى والعربى أيام الجمع من تهويش يثقل على السمع ، وتتبرم به الذاكرة التى تود أن تعى ، وتضيق له النفس التى تبغى التدبر والتأمل ، هو حرام يأثم مقترفه ، والداعى إليه ، والمحبذ له ، لأنه فضلا عما فيه من مجافاة للذوق ، فيه مخالفة للنص الصريح ، فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وللعلماء فى المراد من هذه الآية الكريمة أقوال أصحها قول الحسن وأهل الظاهر .

إن فحوى هذه الآية على العموم فى أى وقت وفى أى موضع ومن أى قارىء قرأ القرآن ، يجب على كل أحد الاستماع والسكوت ، لأن قوله فاستمعوا وأنصتوا أمر ، وظاهر الأمر الوجوب ، فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين ، والمراد من الاستماع الإصغاء ، والمقصود من الإنصات السكوت للاستماع ، بحيث يحيط السامع بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل ، كما قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ .

وقد ذهب بعض العلماء إلى عدم الاكتفاء من سامع القرآن بالسكوت والإصغاء ، بل طلب منه الإجابة والقبول كما قال الزجاج ، ورأى أن هذا أوفق لتأليف النظم الكريم سابقا ولاحقا ، وأجمع للمعانى والأقوال ، فإنه تعالى لما ذكر قوله : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ تعريضاً بأن المشركين إنما استهزءوا بالقرآن ونبذوه وراءهم ظهريا ، لأنهم فقدوا البصائر وعدموا الهداية والرحمة وأن حالهم على خلاف المؤمنين ، لهذا ، أمر المؤمنين بما هو أزيد من مجرد السماع ، وهو قبوله ، والعمل بما فيه والتمسك به بألا يجاوزوه ، فيما يأتون وما يدعون ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ، وصفة ذلك أن يشغل المؤمن قلبه بالتفكير والنظر إلى الأوامر والنواهى ، ويعتقد قبول ذلك ، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى ، اعتذر واستغفر ، وإذا مر بآية رحمة ، استبشر وسأل ، أو عذاب أشفق وتعوذ ، أو دعاء تضرع وطلب .

على أن رفع الصوت فى المساجد بالعلم والذكر وفى غير حضرة القرآن ، كرهه مالك وجماعة من العلماء ، فكيف بهذه الأصوات ترتفع قوية مجلجلة بغير العلم والذكر وفى حضرة القرآن .

إنه ـ لاشك ـ ذنب عظيم وإثم كبير . يعيد إلى الذاكرة ما كان يقترفه أولئك الذين استهانوا بحرمة البيت حينما تقربوا إليه بالمكاء ◀

والتصدية . وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ اى صفيرا وتصفيقا .

وفى كنف هذه الآداب حبب الدين الحنيف للسامع أن يطلب ذا الصوت الندى الجميل . الذى يرسل إلى الآذان لحنا عذبا جميلا . يلمس الإحساس فيملأ النفس نشوة وارتياحا والقلب إيمانا ويقينا ، وقد أخرج البزار وغيره « حسن الصوت زينة القرآن » وأيضا حمد من القارىء إن لم يكن حسن الصوت أن يحسنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، بحيث لا يخرج إلى حد التمطيط الذى يتولد منه عن الفتحة ألف والضمة واو . والكسرة ياء . أو يدغم فى غير مواضع الإدغام . فإن وصل به التحسين إلى هذا الحد ، كانت القراءة حراما ، يفسق بها القارىء ، ويأثم المستمع لأنه عدل بالقرآن عن نهجه القويم ـ كما رغب إليه أن يضع نصب عينيه ، الحفاظ الشديد ، والعناية التامة بالكتاب العزيز ، فيحافظ على سلامة لفظه ويرعى ترتيب آيه ، وأن يجلس إليه خاشعا ، يزينه الوقار ، ويحوطه الحياء ، متطهرا متجملا ، وأن يحذر قطع القراءة بمكالمة أحد ، لأن كلام الله لا ينبغى أن يؤثر عليه كلام غيره ، وقد كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه ، وأن يأخذ نفسه على ترك الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهى .

هذه بعض الآداب التى يجب أن تتوافر لمجالس القرآن ، دستور الله القويم ، ومعجزة رسوله الخالدة ، ونهجه المشرق الواضح ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وفق الله المسلمين إلى رعاية قدره ، وهداهم إلى الخير ، وجنبهم مواطن الزلل . إنه سميع مجيب .

تقنية الاتصالات عبر الفضاء - بقية

محطات أرضية مخصصة لهذا الغرض يبدأ عمل محرك صاروخى مركب فى جسم القمر الصناعى . وهذا العمل يعطى القمر دفعا بحيث يضعه على مدار دائرى تقريبا ويكون فى مستوى خط الاستواء بارتفاع (٢٢٣٠٠) ميل من سطح الأرض .

٩ ـ بعد بضعة أيام تضبط من الأرض (دائرية) مدار القمر ويجعل متوافقا فى السرعة مع دوران الأرض فى نقطة مختارة مسبقا . ويدار هوائى القمر فى حدود (١٣٠°) بحيث يعطى تغطية لاسلكية لأكثر من ثلث الكرة الأرضية أسفل منه .

والجدير بالذكر هنا أن التحدى الحضارى قد فرض نفسه على المنطقة العربية ، فقد شهد عام ١٩٨٥م دخول الأمة العربية عصر الفضاء بإيجابية إذ نجح إطلاق القمر الأول للاتصالات « عربسات ـ ١ » فى ٨ فبراير ١٩٨٥م ثم « عربسات ـ ٢ » فى ١٧ يونيه ١٩٨٥م ، وكان إطلاق القمر الأول بواسطة صاروخ من طراز « إريان » بالأسلوب التقليدى لحمل أقمار الاتصالات إلى « المدار الثابت » فوق خط الاستواء ، بينما اختلفت طريقة إطلاق القمر الثانى إذ حمله مكوك الفضاء الأمريكى « ديسكوفرى » وكانت هذه التقنية آنذاك وليدة ، ولم تطبق على كثير من الأقمار الأخرى قبله . وقد نجح القمر الثانى فى نقل شعائر الحج بدءا من عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) من مكة المكرمة وعلى مدى الأعوام التالية ، كما نجح فى نقل الكثير من الأحداث العربية الأخرى حتى يومنا هذا .

اللغة والأدب والنقد

علماء نيجيريا

ألفاظ الصدارة

الاستشفاء بالدعاء

التعريف بمؤلفات

علماء نيجيريا

من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٨٨

إعداد
الأستاذ سليمان موسى (*)

المدخل :

في هذه المقالة اوردنا اسماء مؤلفات علماء نيجيريا في الأدب العربي من الفترة (١٩١٤ - ١٩٨٨ ميلادية) . ونحيط القراء علما بان (نيجيريا) عرفت في العالم بهذا الاسم منذ سنة ١٩١٤م ، وذلك بعد ما انضم جنوبها إلى شمالها تحت رئاسة (لورد لوغارد) البريطاني[1] ومنذ تكوين نيجيريا في ذلك العام إلى يومنا هذا ، انجبت نيجيريا المثقفين المؤهلين في الأدب العربي . وقد ساهموا إسهاما كبيرا في نشر الإسلام ، والدعوة إليه ، والتاليف فيه .

الأعلام الذين أتينا بمؤلفاتهم في هذه المقالة من الذين اشتهر صيتهم علما وتقوى ، قد بذلوا جهدا كبيرا للتأليف في الأدب العربي ، ومع أن عددهم كبير جداً ومؤلفاتهم كثيرة تكاد لا تعد ولا تحصى ، بذلنا الجهد المستطاع في ذكر الكثير منها في هذا البحث .

وقد رتبنا أسماء المؤلفين على الترتيب الهجائي ، وذكرنا نبذة يسيرة للتعريف ببعضهم ليكون للقارىء إلمام بقدر عن حياتهم ، وإضافة إلى ذلك ذكرنا بعض المعلومات عن كثير من المؤلفات التي أشرنا إليها لتمهيد الطريق للباحثين للحصول عليها . ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من المؤلفات التي أوردنا ذكرها (مخطوطة) وقد لا توجد نسخ منها إلا لدى المؤلف أو تلاميذه ، أو في مكتبات الجامعات ، ودور الوثائق في نيجيريا .

١ - ابو بكر بوبي صكتو (الشيخ)[2] .

(ا) كتاب الرسوخ .

(ب) تخميس القصيدة للشيخ عبد الرحمن السنجيطي .

* الكاتب محاضر بمركز الدراسات الإسلامية / جامعة عثمان بن فودي - سكتو ، نيجيريا .

(١) احمد سعيد غلادنث : حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٢م ص ٢٨ .

(٢) هو من اعلام الإسلام في نيجيريا انظر ابوبكر ببوبي صكة : حياته وإنتاجاته الشعرية . اطروحة لنيل الشهادة العالية في اللغة العربية بجامعة سكتو في عام ١٩٨٣م تقديم يحيى محمد الأمين .

٢ ـ ابو بكر محمود جومى (الشيخ)[٣] .

(أ) رد الأذهان إلى معانى القرآن (تفسير القرآن الكريم)[٤] .
(ب) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة[٥] .
(جـ) الإسلام وما يبطله .

٣ ـ ابو بكر عتيق الكشناوى (الشيخ)[٦] .

(أ) تحميل الوطر فى ترجمة الشيخ محمد سلغ ابن الحاج عمر
(ب) رسالة مفيد الخلان .
(جـ) الحصن الرصين فى التوسل بأهل الفتح ورجال التحصين .

٤ ـ ابو بكر مسكين الله بن احمد (الشيخ)[٧] .

(أ) ديوان أبى بكر مسكين الله .

٥ ـ أدم عبد الله الألورى (الشيخ)[٨] .

(أ) الإسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فودى الفلانى[٩] .
(ب) نظام التعليم العربى وتاريخه[١٠] .
(جـ) موجز تاريخ نيجيريا .
(د) الإسلام وتقاليد الجاهلية[١١] .
(هـ) تاريخ الدعوة الإسلامية .
(و) توجيه الدعوة والدعاة .
(ز) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم[١٢] .
(ح) أثار الفلسفة والتصرف والعلم فى مسيرة الدعوة الإسلامية .
(ط) فلسفة النبوة والأنبياء .
(ى) أشعة العقول والنقول على أضواء القنديل والفضول[١٣] .
(ك) نسيم الصبا فى أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا .

٦ ـ أدم بن عبد الرحمن السيوطى (الشيخ)

(أ) حجج العلماء المدايوين .

٧ ـ أدم بن محمد الفندكى (المعلم)

(أ) كتاب الإعلان بتاريخ كنو .

(٣) هو قاضى قضاة شمال نيجيريا سابقا ولد فى قرية غمى بولاية سكتو ـ نيجيريا سنة ١٩٢٢ ميلادية ، ودرس فى مدرسة علوم العربية (كانو) ، ويخت الرضا بالسودان هو على قيد الحياة .
(٤) طبعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان سنة ١٩٧٩ م .
(٥) طبع وترجم إلى الإنجليزية وسائر اللغات . طبعه بالعربية دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان سنة ١٩٧٢ م .
(٦) هو من اعلام الإسلام ، بذل جهدا كبيرا فى نشر الإسلام فى شمال نيجيريا وتعليمه ، هو كشناوى منسبا والكنوى مسكنا .
(٧) من أشهر اعلام الإسلام فى نيجيريا . اسس مركز التعليم العربى فى مدينة ميدوقرى عاصمة ولاية برنو فى نيجيريا .
(٨) هو مدير مركز التعليم العربى والإسلامى باغيغى له تآليف كثيرة فى الإسلاميات والأدب العربى الترجمة شخصية . انظر الصفحة الأخيرة لكتابه الإسلام فى نيجيريا ، والشيخ عثمان ابن فودى الفلانى . الطبعة الثالثة المطبوعة فى سنة ١٩٧٨ ميلادية .
(٩) المصدر السابق .
(١٠) طبعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت لبنان ـ الطبعة الثالثة .
(١١) طبع على نفقة الحاج كمال الدين الساعاتى البخارى فى نيجيريا فى مطبعة المدنى بالقاهرة فى سنة ١٩٧٩ ميلادية .
(١٢) يطلب من مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين القاهرة رقم الايداع ٤٥٤٢/٧٩ .
(١٣) مطبعة الثقافة الإسلامية ص ب ١٧٥ جيجى . ولاية لاغوس نيجيريا .
(١٤) الطبعة الثانية فى المطبعة النموذجية ٦ سكة الشابورى بالحلمية الجديدة سنة ١٩٨٧ .

التعريف بمؤلفات علماء نيجيريا

٨ ـ ادم نماجي (الشيخ)[١٥]

(أ) الاكتشاف المفيد .

٩ ـ احمد تجانى بن عثمان الكنوى (الشيخ)[١٦]

(أ) مروق العشاق فى مدح السيد أبى إسحاق .
(ب) مرقاة الخلان إلى معرفة الرحمن .
(جـ) شرب الينبوع فى نظم مسائل كثيرة الوقوع .
(د) النصائح المرشدة لترك ما يقع فى الجنائز من المفسدة .

١٠ ـ احمد الرفاعى اوكى آرى (الشيخ)

(أ) تاريخ علماء أبادن .

١١ ـ جنيد بن محمد البخارى (الشيخ)[١٧]

(أ) تسلية القلوب عما أصابها من الكروب .
(ب) انتخاب المواتى بتهجر لغة الفلانى .
(حـ) مرتع الأذهان على لغة الفلانى .
(د) قلائد العقيان فى ذكر أمور شيخ عثمان .
(هـ) تعريب قصيدة أسماء فى التوسل بوليات الله .
(و) إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بلو .
(ز) ديوان فى القصائد التى امتدح بها أمير المؤمنين محمد بلو .
(ح) قصائد التوسلات .
(ط) ديوان قصائد .
(ى) الباكورة الجنية على اللغة الفلانية .
(ك) عقد المرجان على لغة الفلان .
(ل) ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة فى المؤلفات .
(م) تأنيس الأحياء بذكر أمراء غوند مأوى الأصفياء .
(ن) نيل المرام بترجمة أمير المؤمنين محمد بلو الهمام .
(س) إسعاف الزائرين بذكر ترب الأولياء الأصفياء .
(ع) التحفة السنية بذكر بلدة مكتو البهية .
(ف) إتحاف الحاضر بمرائى المسافر (عن السودان) .
(ص) نيل الأمل بذكر قرية دغل .
(ق) نيل الأرب فى استقصاء النسب .
(ر) تفريح النفس بذكر زيارة العراق والقدس .
(ش) نسق كتاب سعد على حروف أبجد .
(ت) مزار الشيخ عبد الله ـ رضى الله عنه .
(ث) تلخيص إسعاف الزائرين بذكر ترب الأولياء والصالحين .
(خ) روائح الأزهار من روض الجنان فى ذكر كرامات الشيخ عثمان .

---

(١٥) من أعلام الإسلام فى نيجيريا ، له تلاميذ كثير . ومن أشهر تلاميذه الشيخ أدم عبدالله الالورى .

(١٦) من اكبر علماء كنو الذين لهم معاهد تعليم عربية وإسلامية . انظر د . على أبوبكر : الثقافة العربية فى نيجيريا . الطبعة الأولى ، مؤسسة عبدالحفيظ الباسط ـ بيروت لبنان سنة ١٩٧٢ م . ص١٧٥ ـ ١٧٦ .

(١٧) من اشهر اعلام الإسلام فى نيجيريا . له تاليف كثيرة فى الأدب العربى والإسلامى . وهو أول رئيس (جماعة نصر الإسلام) فى نيجيريا ، وزير أمير المؤمنين فى مكتو . كتب عنه الباحثون ما ينيف على عشرة بحوث ، كل واحد منها يتكلم عن حياته وثقافته والمناصب التى شغلها ، والدرجات التى نالها .

(ذ) متحف الإخوان بما فى كتاب الكشف والبيان .

(ض) تحفة الإخوان فى ذكر كرامات الشيخ .

(ظـ) شرح تعريب الأسماء .

(غ) شرح مقاصد المحب لأخى محمد لهم فى السير .

(أ) الرحلة الفاخرة إلى ليبيا والسودان والقاهرة .

(ب) رحلة غينيا والسنغال والمغرب الأقصى وليبيا .

(جـ) التذييل على كتاب خليل بن عبد الله أمير غواندوا .

(د) مورد الظمآن فى التبرك بذكر بعض خواص جماعة الشيخ عثمان .

(هـ) تعليم الإخوان بذكر من تعلمت منه لغة الفلانى .

(و) مزار الشيخ عثمان بن فودى ـ رضى الله عنه .

(ز) عرف الريحان بذكر من أشهر من أولاد الشيخ عثمان وبناته .

(ح) إتحاف الإخوان فى التبرك بذكر الأماكن التى مكث فيها الشيخ عثمان .

(ط) التحفة الزكية عن الرياض الحجازية .

(ى) الغصن الناضر فى ذكر بعض قصائد عبد القادر بن المصطفى .

(ك) رحلة اغدس .

١٢ ـ الشريف إبراهيم بن صالح بن يونس (الشيخ)[١٨]

(أ) تاريخ الإسلام وحياة العرب فى إمبراطورية : كانم برنو[١٩]

(ب) ميزان التفاوت بين التواضع والتصاول .

(حـ) بيان كشف الجهلة ببيان حكم المقتول بالأسولة .

(د) العدة الموجهة إلى القونى جده .

(هـ) بيان حقائق الأعيان الوجودية .

(و) كشف الضباب عن وجه أسئلة الأحباب .

(ز) الكشف والتحقيق .

(ح) المصطفى من أحاديث المصطفى (أربعة اجزاء) .

(ط) الفاصل بين الحق والباطل .

(ى) تحبير التحقيق (أربعة أجزاء) .

(ك) كشف معانى السنن والآثار .

(ل) نور اليقين فى الدعوة إلى رب العالمين .

(م) معارج القدس .

(ن) الفتوحات الأحمدية .

(س) تحقيق المقال فى بحث الأحبة والأطفال .

(ع) اللؤلو والمرجان من ادب تلاوة القرآن .

(ف) الإسلام وراء المنحرفين .

(ض) سعادة المعتمد .

(ق) الإسلام ضد الخرافة .

(ر) إعلام العوام .

(ش) كشف الغطاء عن حكم القسم بين النساء .

(ت) الحركة الإسلامية فى غربى أفريقيا .

(ث) نيل الطالب شرح معنى الغالب (فى جزءين) .

(غ) سر الحساب .

(ذ) التحرير لقواعد علم التفسير .

(هـ) التحذير من مكائد أهل التبشير .

(ظ) التحذير من بدع التفكير .

---

(١٨) هو الشيخ الجليل الشريف إبراهيم بن صالح بن يونس الحسنى النوى الشهير بالشريف إبراهيم دغونغى . ولد يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى عام ثلاثة وستين وثلاثمائة هجرية . انظر ـ ترجمة الشيخ إبراهيم بن صالح الحسينى ، أطروحة الليسانس ، جامعة مكتو ، سنة ١٩٨٣ .

(١٩) طبع ونشر .

التعريف بمؤلفات علماء نيجيريا

١٣ ـ شيخو احمد سعيد غلادنث (البروفيسير)[٢٠]

(أ) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا[٢١] .

١٤ ـ علي ابو بكر الدكتور

(أ) الثقافة العربية في نيجيريا .

١٥ ـ علي نائبي سويد (البروفيسير)[٢٢]

(أ) كيف نتذوق الأدب العربي[٢٣] .

١٦ ـ عثمان القلنسوي (الشيخ)

(أ) الروائح العنبرية في بيان الرحلة القلنسوية[٢٤] .

١٧ ـ عمر بن إبراهيم (القاضي)

(أ) حديقة الأزهار .

١٨ ـ عبد القادر الغسوي (القاضي)[٢٥]

(أ) أزهار الروضة في مدح صاحب الفيضة .

(ب) عنوان الزمان في مدح قطب الأوان .

١٩ ـ محمد منتقى الكماشي (الشيخ)

(أ) تحقيق وتعليق مفتاح القاري شرح سراج البخاري للحافظ عبد الله بن فودي .

٢٠ ـ محمد بلاربي بن عبد القادر الغسوي (الشيخ)

(أ) مرآة النظر على نور البصر .

٢١ ـ محمد الطاهر ميغري البرناوي (الشيخ)[٢٦]

(أ) الشيخ إبراهيم السنغالي : حياته وآراؤه وتعاليمه[٢٧] .

(ب) التحفة السنية على الطريقة التيجانية .

٢٢ ـ محمد الناصر بن محمد المختار الكبراوي الكنوي[٢٨]

(أ) إتحاف الخلاق بحقيقة الطريقة القادرية .

(ب) المرأة في الحجاب .

(حـ) قمع الفساد في تفضيل السدل على القبض في هذه البلاد .

(د) سبيل الجنة .

(هـ) سبحات الأنوار عن سبحات الأسرار .

٢٣ ـ محمد الثاني الحسن الكافنفي (الشيخ)

(أ) تحقيق وتعليق على قصيدة الياقوتة الفريدة .

(٢٠) مدير جامعة سكتو سابقا (الآن جامعة عثمان بن فودي ، سكتو) وسفير نيجيريا في المملكة العربية السعودية حاليا ، من النيجيريين الذين تعلموا اللغة العربية وأجادوها والفوا في آدابها .

(٢١) طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨٢ ميلادية .

(٢٢) أستاذ بقسم اللغة العربية ، جامعة (بايرو ـ كانو) نيجيريا . ومن المجيدين في اللغة العربية وآدابها .

(٢٣) طبعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان في عام ١٩٨٦ ميلادية .

(٢٤) طبعة مؤسسة عبدالحفيظ الباسط ـ بيروت لبنان سنة ١٩٧٢م .

(٢٥) هو الشيخ القاضي عبدالقادر بن محمد الثاني بن إدريس الغسوي ، ولد ببلدة غسو في ولاية سكتو ـ نيجيريا سنة ١٩٢٧ ميلادية .

(٢٦) محاضر بقسم الدراسات الإسلامية جامعة بايروكنو ـ نيجيريا .

(٢٧) الطبعة الأولى مطبعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان في سنة ١٩٨١ ميلادية .

(٢٨) محمد الناصر بن محمد المختار الكبراوي الكنوي ، ولد سنة ١٩٢٤ في قرية غرنغاوى المجاورة لكنو عاصمة ولاية كنو نيجيريا ، ومن أشهر اعلام الإسلام في نيجيريا ، وشيخ كبير في الطريقة القادرية .

(ب) فصل المقال فى الوضع والإرسال .

(حـ) الأدلة السنية فى الرد على الطائفة البدعية .

(د) زيارة غانا .

(هـ) المنح الحميدة فى الرد على فساد العقيدة .

٢٤ - محمد بلو نشيخ الهادى (الشيخ)

(أ) تحية المحتاج فى معرفة تشكيلات صاحب المعراج .

٢٥ - نائبى سليمان والى (القاضى)[٢٩]

(أ) غذاء الولدان فى عقائد الإيمان .

(ب) النور الدلال فى ترشيد الأطفال .

٢٦ - يهوذ بن سعد الزكزكى (الشيخ)[٣٠]

(أ) فتح الجواد فى شرح الإرشاد السالك .

(ب) روض اللسان .

(حـ) كتاب علم الفرائض المعروف بـ(هبادين) .

(د) التهذيب .

(هـ) مفتاح التوحيد للصبيان .

(و) خلاصة المباحث .

(ز) سفر الصغرى وهو تلخيص للصغرى للشيخ محمد السنوسى .

(ح) تخميس لبردة المديح لابى عبد الله محمد البوصيرى .

(ط) تخميس (إذا ما شئت) للشيخ محمد الحضرمى .

(ى) فتح الوهاب فى شرح كتاب القرطبى للشيخ يحيى القرطبى .

(ك) الخلان فى معرفة فقه ورد التجانى .

(ل) تبشير الإخوان بأخذ ذيل شيخنا التجانى .

(م) ترغيب الإخوان فى مدح شيخنا التجانى .

(ن) كتاب الميمية الإبراهيمية فى مدح الشيخ إبراهيم بن عبد الله الكولى .

٢٧ - يوسف عبد الله اللكوجى (الشيخ)[٣١]

(أ) جواب السائل فى كون تكرار زيارة الولى قربة عظيمة .

(ب) الجبل المتين .

(حـ) مجموع النوافل .

(د) طريق الوصول إلى المآرب .

(هـ) الدرة البيضاء فى مولد سيد الأنبياء[٣٢] .

(و) البيان الصافى فيما عليه الصوفية .

(ز) تحفة أحباب الرسول الفخيم فى مدح النبى الأمى ﷺ .

(ح) تحفة الأحباب فى مرثية الشيخ المجدد - كبرى .

(ط) تحفة الأحباب فى مرثية الشيخ المجدد - صغرى .

(ى) النونية فى مرثية نيجيريا بقارس (الحاج عبد الملك) .

(ك) الدرة المصونة .

(ل) القول المفيد والفوائد النفسية إلى زهرة الغيضة التجانية .

(م) ذكر بعض الأحباب الأحياء المؤمنين الصالحين فى نيجيريا .

(ن) كشاب حجة القبض والرفع فى الصلاة وزجر المنكرين .

---

(٢٩) قاضى بمحكمة الشريعة الإسلامية بكنو - نيجيريا .

(٣٠) من اكبر علماء مدينة (زاريا) له معهد كبير يؤمه طلاب العلم من شتى أنحاء البلاد ، وكان من شيوخ الطريقة التجانية أيضا . انظر حياة الشيخ الفاضل يهوذا بن سعد الزكزكى التيجانى - رحمه الله - تعالى إعداد بلاربى إدريس . أطروحة الليسانس ، جامعة سكتو سنة ١٩٨٢ م .

(٣١) الناشر الحاج ثانى ادم كانو - نيجيريا وطبع بإذن ابن المؤلف الحاج محمد المختار الزكزكى التيجانى .

(٣٢) من شيوخ الطريقة التيجانية فى نيجيريا ، ومدير مركز التعليم العربى والإسلامى فى لوكوجا ، ولاية كوارا . انظر : الشيخ يوسف عبدالله اللكوجى : حياته وأعماله . وإعداد محمد الاول - أدم راجى ، أطروحة الليسانس فى جامعة سكتو سنة ١٩٨٢ ميلادية .

(٣٢) كتاب سيرة النبى المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . الطبعة الاولى بنفقة المقدم البركة الحاج أدم الراجى ، وشقيقه المريد عبدالله الراجى المكنى بالحاج بابا اسابيغ بيده نيجيريا سنة ١٣٩٢ هجرية .

ألفاظ الصَّدارة

في أساليب العرب

للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله

تتكون الأساليب العربية من جمل - اسمية او فعلية - ولا ريب ان المتكلم يصوغ عبارته على النمط الذى يحقق غرضه من الكلام ، فهو لا يلقى الكلام على عواهنه ، بل يتوخى النسق الذى يوضح المعنى ، ويعين المخاطب على الفهم والاستيعاب ، فالجملة الاسمية تفيد الثبوت وفيها شىء من التاكيد للمعنى الذى تضمنته ، والفعلية تفيد التجدد والحدوث ، وهذا لا يغيب عن ذهن المتحدث الفطن عند إنشاء الكلام .

فإذا اقتضى المقام شيئاً زائدا على اصل المعنى كالاستفهام والنفى والتاكيد - فإن فى لغتنا الغراء وفاء وغناء ، وفيها ادوات تعرف بأدوات الصدارة تفى بتلك المعانى والأغراض .

ولما كانت تلك الأغراض لا تقل اهمية عن المعانى الأصلية ، وذات اثر بالغ فى مفهوم العبارة صدرت بها التراكيب تنبيها على انها مقصودة للمتكلم .

فإذا قلنا : الجو دافىء ، اشرقت الشمس ، فهاتان جملتان : الأولى اسمية ، والثانية فعلية ، وكلتاهما من قبيل الإسناد الخبرى فى عرف البلاغيين .

وإذا قلنا: هل الجو دافىء ؟ اأشرقت الشمس ؟ فإن مضمون الجملتين مستفهم عن وقوعه ، وهما من قبيل الإنشاء عند البلاغيين ، ولا اثر (للهمزة) و(هل) فى الإعراب. ، لأنهما حرفان غير عاملين لكونهما مختصين .

وإذا قلنا : ليس الجو دافئا ، ما محمد مقصرا فى أداء الواجب ، فالدفء منفى عن الجو فى المثال الأول ، والتقصير منفى عن محمد فى المثال الثانى ، ولأداتى النفى أثر فى الإعراب ، لأن «ليس» من الأفعال الناقصة التى ترفع المبتدأ اسما لها ، وتنصب الخبر - خبرا لها - وكذا «ما» المشبهة بها فى المثال الثانى ، وعلى هذا فإن ما له صدر الكلام قد يؤثر فى الإعراب ، وقد لا يؤثر .

ولا يخفى ان كلًّا من الاستفهام والنفى قد تصدر الجملتين ، وأثر فى مضمونيهما - استفهاما او نفيا ، وكذا أدوات الشرط والعرض والتحضيض ، والتمنى ، وكل ما اثر فى الكلام ، ومن ثم استحق كل منها صدر الكلام .

قال الرضى : وإنما كان للشرط والاستفهام والعرض والتمنى - ونحو ذلك مما يغير معنى الكلام - مرتبة التصدر ، لأن السامع يبنى الكلام - الذى لم يصدر بالمغير - على أصله فلو جوز أن يجىء بعده ما يغيره لم يدر السامع إذا سمع بذلك المغير - أهو راجع إلى ما قبله بالتغير ،

او مغير لما سيجيء بعده من الكلام فيتشوش لذلك ذهنه ا . هـ[1] .

وحكى السيوطى عن صاحب (البسيط) انه قال : الأسماء المتضمنة للمعانى تقتضى الصدارة وإن لم تكن معارف ، ولهذا تقدم الإشارة على العَلَم فى قولك : هذا زيد - وإن كان العَلَم اعرف - لتضمنه معنى الإشارة ا . هـ[2] .

وقد عرض سيبويه لذلك تحت عنوان : (هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده) ، وقد مثل للخبر المقدم لكونه استفهاما بنحو «أين زيد ؟ وكيف عبد الله ؟» ثم قال : فمعنى «أين» : فى اى مكان و«كيف» : على أية حال ، وهذا لا يكون إلا مبدوءا به قبل الاسم ، لأنها من حروف الاستفهام ا هـ[3] .

وما له الصدارة فى الأساليب العربية كثير ، فمن ذلك :

ادوات الاستفهام : وتستعمل للسؤال عن تحقيق مضمون ما دخلت عليه ، كالهمزة فى نحو : أحاضر ابوك ؟ أحضر ابوك ؟ و(هل) فى نحو : هل اخوك ناجح ؟ وهل نجح اخوك ؟ والأصل أن يلى الفعل حروف الاستفهام ، لكنهم اوقعوا الاسم بعدها توسعا قال سيبويه :

وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل ، إلا أنهم توسعوا فيها ، فابتدأوا بعدها الأسماء ، والأصل غير ذلك ، الا ترى انهم يقولون : هل زيد منطلق ، وهل زيد فى الدار ا هـ[4] .

وتختص «هل» بأنها لطلب التصديق الإيجابى نحو : هل نجح اخوك ؟ بخلاف نحو هل اخاك اكرمت ؟ لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بوقوع الإكرام للاخ ، وبخلاف : هل لم تكرم اخاك ؟ وبخلاف هل اخوك حاضر أم عمرو ؟ - إن أريد بـ (أم) المتصلة .

اما الهمزة فترد لطلب التصديق ، نحو : انجح اخوك ؟ ولطلب التصور ، نحو : أزيد قائم أم عمرو ؟ وتدخل الهمزة على الإثبات كما تقدم ، وعلى النفي نحو ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾[5] بخلاف «هل» ، فلا يقال : هل لم يسافر الضيف ؟ بل الصواب أن يقال : هل سافر الضيف ؟

ولا يتقدم على الهمزة شيء ، بما فى ذلك حروف العطف ، الا ترى أن العاطف قد اخر عنها فى قوله تعالى : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ﴾[6] ، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[7] ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ ﴾[8] بخلاف غيرها من أدوات الاستفهام ، إذ يتقدم العاطف كقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾[9] ، ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[10] .

هذا هو ما عليه سيبويه والجمهور ، ويرى جماعة فى مقدمتهم الزمخشرى : أن الهمزة فى نحو «أثم إذا ما وقع أمنتم» ، « افلم يسيروا » ونحوهما أن (الهمزة) فى محلها ، وأن العطف على جملة محذوفة ، والتقدير فى الآية الأولى : اغفلتم

(١) شرح الرضى لكافية ابن الحاجب ١/ ٩٧ .
(٢) الأشباه والنظائر ١/ ١٩٦ .
(٣) الكتاب ٣/ ١٢٨ .
(٤) الكتاب ١/ ٩٨ ، ٩٩ .
(٥) الآية ١ من سورة الفيل .
(٦) الآية ٥١ من سورة يونس .
(٧) الآية ١٠٩ من سورة يوسف والآية ١٠ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم .
(٨) الآية ٧ من سورة الشعراء .
(٩) الآية ٢٦ من سورة التكوير .
(١٠) الآية ٩٥ من سورة الانعام .

ألفاظ الصدارة فى أساليب العرب

عن الإيمان ثم إذا ما وقع ، وفى الآية الثانية : امكثوا فلم يسيروا ، وقد ضعفه ابن هشام(١١) بما فيه من التكلف ، وبأنه غير مطرد فى جميع المواضع .

وفى شرح قول الزمخشرى (والهمزة اعم تصرفا فى بابها من اختها)(١٢) قال ابن يعيش : ولقوتها وغلبتها وعموم تصرفها جاز دخولها على «الواو والفاء وثم» من حروف العطف ، فالواو نحو قوله تعالى : ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾(١٣) ، والفاء نحو قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾(١٤) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ ﴾(١٥) وقوله : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾(١٦) ، وثم نحو قوله : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ﴾ ولا يتقدم شىء من حروف الاستفهام واسمائه غير الهمزة على حروف العطف بل حروف العطف تدخل عليهن كقولك : وهل زيد قائم ؟ وقوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١٧) ا هـ(١٨) .

وتقدُّم حروف العطف على غير الهمزة من أدوات الاستفهام لا يخرجها عن صدارتها ، لأن حرف العطف لا يعد جزءا من الجملة بل أتى به لعطف الجملة المستفهم عن مضمونها على ما قبلها .

ومن أدوات الاستفهام أسماء ، نحو «مَنْ» فى قولنا : مَنْ عندك ؟ وهى هنا فى محل رفع مبتدأ خبره متعلق الظرف بعده ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ﴾(١٩) فـ «مَنْ» فى محل رفع مبتدأ خبره الجملة الفعلية ، بعدهُ ومنها «ما» نحو قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾(٢٠) ﴿ مَا لَوْنُهَا ﴾(٢١) وهى فى الآيتين فى محل رفع مبتدأ خبره جملة «منعك» فى الآية الأولى ، ولونها فى الآية الثانية .

وإذا جُرَّتْ «ما» الاستفهامية وجب حذف ألفها ، نحو قوله تعالى : ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾(٢٢) وقوله تعالى : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾(٢٣) وقوله تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٢٤) .

وإنما حذفت ألفها للفرق بينها وبين «ما» الخبرية ، ولهذا ثبتت فى قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾(٢٥) وقوله : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ ﴾(٢٦) واما قوله :

على ما قام يشتمنى لئيم
كخنزير تمرغ فى رماد(٢٧)

---

(١١) المغنى ٢٣ ، وينظر ص ٢٠ ، ٢١ .
(١٢) يعنى « هل » .
(١٣) الآية ١٠٠ من سورة البقرة .
(١٤) الآية ٩٧ من سورة الأعراف .
(١٥) الآية ٨٥ من سورة البقرة .
(١٦) الآية ١٤ من سورة محمد .
(١٧) الآية ١٠٨ من سورة الأنبياء .
(١٨) شرح ابن يعيش ١٥١/٨ .
(١٩) الآية ٣ من سورة التحريم .
(٢٠) الآية ١٢ من سورة الاعراف .
(٢١) الآية ٦٩ من سورة البقرة .
(٢٢) الآية ٤٣ من سورة النازعات .
(٢٣) الآية ٣٥ من سورة النمل .
(٢٤) الآية ٢ من سورة الصف .
(٢٥) الآية ٤ من سورة البقرة .
(٢٦) الآية ١٤ من سورة النور .
(٢٧) البيت من الوافر ، وفى ديوان حسان ص ٧٩ وأمالى ابن الشجرى : ٢٣٣/٢ وابن يعيش ٤/ ١٩ والدر المصون/ ٥١٦ برقم ٢٦١٦/٢٨٠ برقم ٤٢٠ ، ٥٠١/٤ برقم ١٨٤٥ والمغنى ٣٩٤ برقم ٥٥٤ والهمع ٢١٧/٢ والدر ٩٠/١ والخزانة ٥٢٧/٢

فضرورة ، وإذا وقف على «ما» الاستفهامية المجرورة ـ فإن كانت مجرورة باسم ، وجب لحاق هاء السكت ، نحو قولهم : مجيء مَهْ ؟ وإن كانت مجرورة بحرف فالاختيار اللحاق أيضاً نحو على مَهْ ؟ وفيمَهْ ؟[٢٨] .

ودخول حرف الجر على «من» أو «ما» الاستفهاميتين لا يقدح فى صدارتهما ، لأن العبرة بتصدر كل منهما فى جملتها ، وإنما صح دخول حرف الجر عليهما من قبل كونهما اسمين ، والجر مختص بالأسماء .

ومن أدوات الاستفهام «كيف» فالغالب فيها أن تكون استفهاما ، وتكون خبرا للمبتدأ نحو : كيف أنت ؟ وخبرا للفعل الناقص نحو : كيف أصبحت ؟ وفى موقع المفعول الثانى نحو كيف أصبحت ؟ وفى موقع المفعول الثانى نحو كيف ظننت زيدا ؟ وحالا قبل فعل لازم نحو : كيف جاء عبد الله ؟ أو قبل فعل متعد استوفى مفعوله نحو : كيف لقيت عمرا ؟ ومنه قوله تعالى : ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾[٢٩] اى على اى حال بدأ الخلق ، ومن وقوعها خبرا لكان قوله تعالى : ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[٣٠] ﴿ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٣١] فهى فى محل نصب خبرا لكان ، و«عاقبة» اسمها مؤخر وفعل النظر (فانظر ، ينظروا) معلق عن العمل ، وهى مقدمة من تأخير فى كل ما تقدم لأن لها الصدارة وقد أشار سيبويه إلى ذلك حين قال :

وتقول : ما مررت برجل مسلم فكيف رجل راغب فى الصدقة ؟ بمنزلة : فأين راغب فى الصدقة ، وزعم يونس أن الجر خطأ ، لأن «أين» ونحوها يبتدأ بهن ، ولا يضمر بعدهن شيء[٣٢] .

ومن أدوات الاستفهام «أنى» ، ويسأل بها عن الحال مثل : «كيف» ، قال تعالى : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[٣٣] اى على اى حال شئتم ، وقال تعالى : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[٣٤] اى كيف يحييها ، وقال تعالى : ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[٣٥] ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[٣٦] اى فكيف تؤفكون ؟ وفكيف تصرفون ؟ وتحتمل فى الآيتين الأخيرتين معنى : «أين» ، وأيا كان المراد بها فهى مقدمة من تأخير ؛ لأنها استفهام عن الحال أو المكان ، وحق الفضلات ، وحق الفضلات التأخر إلا إذا كانت من ألفاظ الصدارة .

ويستفهم بأين عن المكان ، وتقع فى مواقعه ، فهى خبر المبتدأ فى قولنا : أين أنت ؟ وقال تعالى ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[٣٧] وهى خبر « كان » فى نحو أين كنت ؟ وهى ظرف مكان فى نحو : أين وقف زيد ؟ وأين ضبط اللص ؟.

قال سيبويه : ونظير « متى » فى الأماكن « أين » ولا يكون « أين » إلا للأماكن ، كما لايكون « متى » إلا للأيام والليالى ؛ فإذا قلت : أين سير عليه ؟ قال : سير عليه مكان كذا وكذا ، وسير عليه المكان الذى تعلم[٣٨] .

---

(٢٨) ينظر الدر المصون ٥١٦/١ .
(٢٩) الآية ٢٠ من سورة العنكبوت .
(٣٠) الآية ٦٩ من سورة النمل .
(٣١) الآية ٩ من سورة الروم .
(٣٢) الكتاب ٤٣٥/١ .
(٣٣) الآية ٢٢٣من سورة البقرة .
(٣٤) الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .
(٣٥) الآية ٩٥ من سورة الأنعام .
(٣٦) الآية ٦ من سورة الزمر .
(٣٧) الآيتان ٦٢ ، ٧٤ من سورة القصص .
(٣٨) الكتاب ٢٢٠/١ .

ألفاظ الصدارة في أساليب العرب

فأين للاستفهام عن المكان ، وله الصدارة في الكلام ، أيا كان موقعه الإعرابى . و « متى » للسؤال عن الزمن الذى عبر عنه سيبويه ـ فيما تقدم ـ بالأيام والليالى ، ويقع « متى » خبرا عن المعانى نحو متى الصوم ؟ ولايكون خبرا عن الذات ، فلا يقال : متى زيد ؟ لأن الذات معلومة الوجود فى سائر الأزمنة ، فلا جدوى فى السؤال عن وجودها فى زمن خاص ، بخلاف نحو (متى سافر أخوك) ، فيجوز باطراد ، لأن الاستفهام عن وقت السفر ، ومحله النصب على الظرفية ، لأنه يجاب عنه بنحو : سافر أخى يوم الخميس ، ومعروف أن الظرف من الفضلات ، وحقه التأخير ، وقد قدم « متى » لأنه له الصدارة من جهة كونه استفهاما .

ومن الألفاظ المستعملة فى الاستفهام « أى » الاستفهامية وهى من الألفاظ الملازمة للإضافة ، فتضاف إلى النكرة مطلقا نحو أى رجل أنت ؟، أى رجلين قابلت ؟ فهى خبر مقدم فى المثال الأول ، ومفعول مقدم فى المثال الثانى ، وتضاف للمعرف إذا كان مثنى نحو قوله تعالى : ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾[٣٩] وهى فى محل المبتدأ ، وخبرها « أحصى » ، و « نعلم » معلق عن العمل ، أو مجموعا نحو قوله تعالى : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾[٤٠] ، وهى هنا مبتدأ ، خبره جملة « يأتينى » ، وقد تضاف للمفرد إذا تضمن أجزاء نحو : أى الكتاب قرأت ؟ وهى مفعول مقدم للفعل (قرأ) ، وهى مقدمة فى كل ماذكر ، لأن لها الصدارة كسائر أدوات الاستفهام .

ولأن الاستفهام له صدر الكلام ـ عُدَّ من المعلقات عن العمل ، لأن ماقبله لايعمل فيما بعده ، قال الصيمرى : واعلم أن ماقبل الاستفهام لايعمل فيما بعده ، لأن الاستفهام له صدر الكلام ، فلو أعملت ماقبله فيما بعده خرج من أن يكون صدرا ، فتقول : علمت أزيد عندك أم عمرو؟ فتلغى « علمت » ، لأن الألف حالت بينه وبين ماتعمل فيه[٤١] .

وقال ابن عصفور : وأما إذا دخل على المعمول همزة الاستفهام ، أو يكون المعمول اسم الاستفهام ، أو مضاف إليه مستفهما عنه فى المعنى ، فلم يؤثر العامل أيضا ، لأن ذلك كله له صدر الكلام[٤٢] .

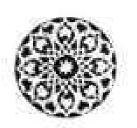

(٣٩) الآية ١٢ من سورة الكهف .
(٤٠) الآية ٣٨ من سورة النمل .
(٤١) التبصرة ٤٧١/١ .
(٤٢) شرح الجمل ٤١٥/٢ .

الاستشفاء بالدعاء

تأليف: إبراهيم محمد الجمل

عرض وتعليق
عاطف شحاته زهران

قد يتشكك البعض في مسالة الاستشفاء بالدعاء من الماديين او ممن في قلوبهم مرض ، اما المسلمون فلديهم عقيدة ثابتة في إله واحد قادر بيده الأمر كله ، يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، لا يعجزه ـ سبحانه ـ ان يشفي مريضاً لجا إليه بعد ان سدت امامه ابواب الأرض ... بعد ان استنفد اطباء البشر حيلتهم وما وصل إليه علمهم فيمم وجهه وقلبه لمن بيده الحول والقوة وحده فاستجاب دعاءه وكشف بلاءه ..

ونحن نقرا في كتاب الله قصة نبي الله ايوب ـ على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ـ وقد ابتلي فصبر ثم دعا ربه فعافاه .

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ « الانبياء ٨٣ ، ٨٤ » .

ونبي الله زكريا يتقدم به العمر دون أن يرزق ولدا وامرأته عاقر ، ولم يمنعه كل ذلك من التضرع إلى الله سبحانه ـ في ثقة من يؤمن أنه لا يخيب راجيه ـ أن يهبه ذرية طيبة فتأتيه البشارة الفورية من مجيب الدعاء : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ « الأنبياء ٨٩ ، ٩٠ » .

وتشير الآيات إلى: صلاح أسر الأنبياء ومسارعتهم في الخيرات،والإكثار من الدعوات في كل الأحوال، وخشوعهم وعبادتهم لله صاحب الأمر كله .

إن الله ـ سبحانه ـ قادر على شفاء ما استعصى مهما كان . والكتاب الذي نقدمه للقارىء على هذه الصفحات يعالج هذه القضية . ويدل القارىء على مواطن الاستشفاء من السنة النبوية وآيات القرآن المجيد .

صدر عن (دار الفضيلة) في مائة وستين صفحة .

بدأ بتمهيد عن الدعاء وفضله وأوقاته وأماكنه ، ثم تحدث عن الاستشفاء بأسماء الله الحسنى وبسور أو آيات من القرآن الكريم ، فهو

◆ الاستشفـــاء بالدعـاء

شفاء ورحمة ، وهو شفاء لما فى الصدور .. شفاء من أمراض الكفر والضلال ، وشفاء من أمراض الجسد إن شاء الله وتحقق إخلاص الداعى به وصح اعتقاده فى الله القادر الشافى .

والقرآن حين يتحدث عن الشفاء يصل ذلك بالمؤمنين .

فيقـول : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ « التوبة ١٤ » . ويقول : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ « الإسراء ٨٢ » .

● آيات الاستشفاء :

مازال الجسم البشرى عامراً بالاسرار التى يحاول العلم الكشف عنها ويجتهد لذلك وقد يساعده تقدمه الهائل ، ولا تزال الأسرار تتكشف حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، والله وحده خالق الإنسان هو العالم بما يصلحه فلا غرو أن يكون كلامه فيه شفاء لخلقه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ « الملك ١٤ » .

وقصت مراجع الحديث الصحيح ما حدث لبعض الصحابة الذين كانوا فى سفر ودُعُوا لرُقْيَة كبير الحى فرقوه بالفاتحة ، وهى تفيد أن طب الأرض قد يعجز ، ولكن طب السماء لا يُخيب بفضل الله ، كما تفيد أن الفاتحة كما تنفع قارئها تنفع من قرئت عليه .

وقد ذكر الأستاذ إبراهيم الجمل للفاتحة أسماء منها : آيـة المستجيرين ء والحـافظة والمحصنة .. ثم تحدث عن الاستشفاء بخواتيم سورة البقرة ، ولم يذكر مايدل على الاستشفاء بهما من فعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو إقراره ، ويبدو أنه استشف ذلك من عبارة جاءت فى حديث عزاه للحاكم فى المستدرك تفيد (أنها صلاة وقرآن ودعاء) .

واتبع ذلك بالاستشفاء بسورة الإخلاص وأورد من أسمائها : الشافية والمعوذة والمقشقشة (من قشقش المريض إذا صح وبرأ) ثم الاستشفاء بالمعوذتين وحديث الرقية بهما معلوم بين عامة المسلمين . وبعد ذلك يعرض الكتاب لأدعية الاستشفاء التى وردت بالسنة المطهرة ، وذكر منها ماينفع فى كشف الكرب والهموم وكشف آلام البدن والأرق والعطش والرمد ..... إلى غير ذلك ..

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد اشار إلى التداوى بهذه الأدعية لم يهمل الأدوية الطبيعية الأخرى عالماً بأن الله هو الذى يجعل فيها الشفاء ـ إن شاء وفى الوقت الذى يشاء ـ حتى لا يقطع المؤمن صلته بربه أبدا .

●● ملاحظات عابرة :

بذل المؤلف جهداً مشكوراً فى جمع هذه الأدعية وتقديمها فى هذا الكتاب . ولكن القارىء للكتاب سيتوقف عند نقاط معينة رأينا التنبيه عليها ، منها: ما يتصل بالسنة، ومنها ما يتصل بمصادر الكتاب .

اولاً : ما يتصل بالسنة المشرفة :

(أ) اعتمد الكتاب على الأحاديث النبوية بصورة أساسية ، ولكن المؤلف فى بعض الأحيان اغفل تدوين المصدر الذى اعتمد عليه فى نقل الحديث ، وتحديد ذلك تحديداً دقيقاً يعين القارىء على التيقن من صدق هذه الأحاديث . ولكنا رأينا المؤلف قد لا يذكر المصدر أصلاً ، أو قد يذكره دون تحديد الجزء والصفحة ويكتفى بقوله : رواه الطبرانى أو البخارى مثلا .

وللطبرانى معاجم ثلاثة [الكبير والصغير والاوسط] ، والكبير فى حوالى [٢٥ مجلداً] ، والبخارى له إلى جانب الصحيح الأدب والتاريخ . وذلك يحتم ذكر المصدر بدقة ، ومكان الشاهد منه جزءاً وصفحة وطبعة ومطبعة .

(ب) نعرف أن كتب السنة مختلفة الدرجات فمنها ما يهتم بالصحيح ، ومنها ما يجمع مع الصحيح غيره من الضعيف ، وربما الموضوع . وفى هذه الحالة لابد من الرجوع إلى كتب التخريجات والتعقيبات على تلك الكتب ، فعلى من يأخذ من الطبرانى أن يرجع لمجمع الزوائد للهيثمى مثلاً ، ومستدرك الحاكم تعقبه الذهبى فاقره أحياناً ، وخالفه أخرى . والترمذى يعقب على الحديث مبيناً درجته ، فلابد لمن نسب إليه حديثاً أن يذكر تعقيبه على الحديث من حيث الصحة أو الحسن أو النكارة أو الغرابة .. حتى يقف القارىء على الصحيح والسقيم ، ولكن المؤلف أغفل ذلك فنراه يعزو لهذه الكتب ، ويكتفى بذلك دون ذكر درجة الحديث وحكم أئمة الحديث عليه . وحسبنا أن نطالع (ص ٩) على سبيل المثال ليثبت لنا ذلك .

(جـ) يلاحظ قارىء الكتاب أن هناك أخطاء تقع أحياناً فى أسماء بعض المصادر التى يذكرها . ففى (ص ٧١) يذكر حديثاً ويعقب عليه بقوله : أخرجه أبو يعلى فى الكبير . ونعلم أن كتاب أبى يعلى هو المسند . أما الكبير فهو للطبرانى . وفى (ص ٧٦) يذكر حديث : (لعن الله العقرب) ، ويعقب عليه بقوله : رواه ابن أبى شيبة فى مسنده ، والمعروف أن اسم كتاب ابن أبى شيبة (المصنف) ، ولم يؤلفه على طريقة المسانيد .

(د) ولا يفوتنا أن ننبه على خطأ وقع (ص ١١٧) حين علق على دعاء : (اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ...) ، بقوله : هذا الدعاء ذو طرفين : الطرف الأول من حديث ابن مسعود وهو صحيح ، والطرف الثانى من حديث أنس . والظاهر أنه يقصد أن للحديث طريقين أو روايتين لا طرفين .

ثانياً : ما يتصل بالمصادر الأخرى :

يقتضى المنهج العلمى فى البحث أن يرد المؤلف الكلام إلى مصادره التى اقتبس منها . ولكن النظرة السريعة للكتاب ترينا تخليه عن ذلك ، واكتفاءه بقوله : قال ابن القيم ، قال الشوكانى ، وقال الإمام على .. وعلى سبيل المثال نقرأ له دعاء (ص ٧٢) ، نسبه للإمام على ـ كرم الله وجهه ـ دون إثبات المصدر الذى نقل عنه هذا الدعاء ليوقن القارىء من صدق نسبة هذا الدعاء للإمام ، وليطالعه وغيره فى مصادره إن شاء .

بل إن المؤلف قد تجاوز ذلك أحياناً فقال : قال بعض الحكماء ، وقال بعضهم .. مما لا ينبغى أن يكون فى الكتابة العلمية .. وحين نطالع موضوع العلاج النفسى والإسلام (ص ٢٥) ، سنجد قوله : قال بعض الأطباء ، وقالوا أيضاً ، وقد أجمع الأطباء النفسيون .. ونرى أنه من الأنفع للكتاب وللقارىء تحديد القائلين ومراكزهم العلمية ، وحين يتحدث عن (إجماع) علمى كالذى حدث منه ينبغى أن يدل على المرجع ، فأما إلقاء الكلام على عواهنه ، فأمر يثير فى صدر القراء اهتزازاً فى قيمة ما يقرءون .

وختاماً فالكتاب جهد بشرى اجتهد مؤلفه وله أجره عند الله سبحانه وإدراك الكمال من المحال .. فالكمال لله وحده ولكلامه .. ونأمل أن يراعى فى الطبعة التالية للكتاب هذه الملاحظات العابرة ..

وعفا الله عنا وهدانا لما فيه خيرنا ..

اعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

انباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يحضر مؤتمر الاتحاد الإقليمى للجمعيات الخيرية المصرية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مؤتمر الاتحاد الإقليمى للجمعيات الخيرية المصرية والذى حضرته الأستاذة الدكتورة وزيرة التأمينات الاجتماعية .

وقد أشاد فضيلته بالدور الذى تقوم به الجمعيات التطوعية فى مختلف مجالات العمل الاجتماعى مشيراً إلى ما يقدمه الأزهر الشريف من خدمات لرعاية الطلبة والمعوقين والمسجونين وفى المجالات الاجتماعية المختلفة .

كما أكد فضيلة الإمام الأكبر على دعم الأزهر لهذه الأنشطة وتعاونه مع الجمعيات الدينية التى تعمل على نشر القيم والمثل السامية وتحفيظ القرآن الكريم .

الإمام الأكبر يفتتح ملتقى الفكر الاسلامى بالاسماعيلية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر اعمال ملتقى الفكر الإسلامى السابع الذى عقد بمدينة الاسماعيلية فى الفترة من ١٤ : ١٦ يونية ١٩٩١ وقد بدأ الملتقى اعماله بأداء صلاة الجمعة بمسجد خالد ابن الوليد بحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور / محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور أحمد جويلى محافظ الاسماعيلية .

شارك فى أعمال المؤتمر اثنا عشر عالما من كبار رجال الدعوة والمفكرين فى مصر ناقشوا على مدى ثلاثة أيام متصلة أكثر من اثنتى عشرة قضية من القضايا الهامة الحساسة التى تشغل بال الكثيرين فى مجتمعنا المعاصر .

الإمام الأكبر يعتمد نتائج الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بتاريخ ١٩٩١/٦/٢٧ نتائج الشهادتين الإعدادية والثانوية الأزهريتين للعام ٩٠/٩١ ، بلغت نسبة النجاح بالشهادة الإعدادية ٢٢,٨٪ وبلغت نسبة النجاح بالقسم الأدبى للشهادة الثانوية ٢٢,٨٪ و٤٣,٦٪ للقسم العلمى بشعبتيه .

كما اعتمد فضيلته بتاريخ ١٩٩١/٧/١ نتيجة الشهادتين الإعدادية والثانوية للبعوث الإسلامية .

بلغت نسبة النجاح بالشهادة الإعدادية ٤٠,٦٪ .

وبلغت نسبة النجاح بالشهادة الثانوية ٤٥,٣٪ .

الإمام الأكبر يفتتح الندوة الفلسفية الثالثة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الندوة الفلسفية الثالثة التي نظمتها ، كلية أصول الدين جامعة الأزهر ، بالاشتراك مع الجمعية الفلسفية المصرية تحت رعاية فضيلته . حضر الندوة لفيف من أساتذة جامعة الأزهر والجامعات المصرية المختلفة .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة مراجعة الفلسفات والدراسات والمذاهب الفكرية والاجتماعية الغربية التي صارت تمثل ثقلاً على فكر الإنسان .

كما اكد فضيلته على أن الإعراض عن الباطل دعوة شرعية وعقدية وعقلية وأن تقدير مسئولية الكلمة واجب إسلامي ينبغي التمسك به .

أنباء العالم الإسلامي

معاهد إسلامية بالفلبين

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية :

أن جبهة مورو الإسلامية اقامت بالفلبين عدداً من المعاهد الإسلامية لدراسة اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم .

وقد أعلن مسئول الجبهة عن تزايد اعداد الطلاب في هذه المدارس ، الأمر الذي يدعو إلى افتتاح المزيد منها مستقبلاً .

منع صلاة الجمعة في الأراضي المحتلة

افادت الأنباء الواردة من الأراضي الفلسطينية المحتلة أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تواصل منع المواطنين الفلسطينيين في الضواحي المحتلة : القدس والضفة الغربية وقطاع غزة من أداء صلاة الجمعة وبشكل جماعي في المساجد .

صدور أول عدد من مجلة فرنسية ـ بعنوان (رؤى الإسلام)

ذكرت إذاعة مونت كارلو :

انه قد صدر في باريس العدد الأول من « مجلة رؤى الإسلام » .

وهي مجلة فرنسية يقوم بإصدارها المركز الأوروبي للمعلومات والأبحاث حول الإسلام ويرأس تحرير المجلة التي تصدر مرة كل شهرين باللغة الفرنسية أحد الفرنسيين الذي اعتنق الإسلام واسمه « ديديه على بورج » .

وذكر رئيس التحرير في افتتاحية العدد الأول للمجلة ثراء النشاطات الإسلامية في فرنسا ذات المساهمة في تعميق المعرفة بالإسلام ومبادئه .

الجدير بالذكر أن عدد المسلمين في فرنسا حوالى ٤ ملايين مسلم غالبيتهم من دول المغرب العربي .

نرجو أن تكون « مجلة رؤى الإسلام » إحدى المجلات الإسلامية الرائدة في الغرب ، فتقدم الإسلام : عقيدة وشريعة وحضارة وعلما عن إيمان تام بنزاهة هذا الدين وفضله ، وخلوه من التناقض وصلاحه للبشرية أيا كانت ، ولا تكون

◆ أنبـــــــاء وآراء

كالصحيفة العربية « الوقور » التى تتعمد بين الحين والآخر النيل منه ومن المسلمين ، سواء .

ادخال برنامج تربوى إسلامى فى نظام التعليم ببريطانيا

ذكرت الإذاعة اللندنية :

انه تحقيقا لمطالب المسلمين فى بريطانيا وافقت الحكومة البريطانية على ادخال برنامج تربوى إسلامى فى نظام التعليم البريطانى .

يهدف النظام الجديد إلى إيجاد غرف خاصة لأداء الصلاة والسماح للطلبة بحضور صلاة الجمعة فى المسجد المحلى ، واعتبار الأعياد عطلة رسمية ، وتقديم الأطعمة الحلال ، وفصل الجنسين فى مراحل التعليم .

يهتم المسلمون بإنشاء المدارس الإسلامية فى المناطق التى يشكل فيها المسلمون اغلبية .

إقبال شديد من الأمريكيين على اعتناق الإسلام

ذكرت الإذاعة الأمريكية الناطقة باللغة العربية وأكدت مجلة « النيوزويك » أن أعداد المسلمين بأمريكا فى ازدياد مما يقلق الكنيسة من سرعة انتشار الإسلام فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد طالب المنصرون بمكافحة هذه الظاهرة داخل الولايات المتحدة . والجدير بالذكر :

انه من مظاهر هذا الإقبال الجماهيرى على الإسلام فى الولايات المتحدة أن المستشرق الأمريكى « توماس ارفينج » رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة « مينسوتا » قام مؤخراً بنشر ترجمة لمعانى القرآن الكريم .

وبعد : فلا ندرى علام القلق .. والمجالس الرسمية بالولايات المتحدة تحظى بنسبة ٧٥٪ من الاعضاء اليهود والبقية من غيرهم من أهل الكتاب ..

ثم هذا الإسلام دين الله .. ولا فائدة من مقاومته .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة ٣٢ ، ٣٣ .

اهتمام المسلمين السوفيت باللغة العربية

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية :

انه قد بدأ المسلمون بالاتحاد السوفيتى فى إعادة تدريس لغاتهم القومية بالحروف العربية من خلال برامج نشر اللغة العربية المطبقة حالياً فى الإدارات الدينية الموجودة فى أنحاء الاتحاد السوفيتى .

وقد أوضح الشيخ / محمد صادق مفتى المسلمين فى « آسيا الصغرى وقازاقستان » لمندوب وكالة الأنباء الإسلامية أن هذه البرامج قد حققت نتائج إيجابية ، وساهمت فى نشر اللغة العربية بين أوساط المسلمين بشكل جيد .

قرارات الإمام الأكبر

بشأن لجان الفتوى في القاهرة والأقاليم

قرار شيخ الأزهر
رقم (٤٥٣) لسنة ١٩٩٠ م

شيخ الأزهر :

- بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له .
- وعلى القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ بشأن إصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه .
- وعلى القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ بإصدار قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة والقوانين المعدلة له .
- وعلى قرار وكيل الأزهر رقم ٧٨٣ لسنة ١٩٦٩ بشأن تشكيل لجنة الفتوى بالأزهر والقرارات المعدلة له .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧٩ بشأن تحديد مكافآت أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر وتعديلاته .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ بإعادة تنظيم العمل فى لجنة الفتوى .
- وعلى قرار مجلس الوكلاء بمحضر اجتماعه رقم ١ لسنة ١٩٨٩ م
- وعلى ما عرضه فضيلة الشيخ وكيل الأزهر بالإنابة بمذكرته المؤرخة ٧/٣/١٩٩٠ م .

قـــــــرر

المادة الأولى : يضاف إلى المادة الأولى من قرار شيخ الأزهر رقم ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ النص التالى :- (ويكون مقر لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف .

ويجوز تشكيل لجان للفتوى فى المناطق الأزهرية بمحافظات الجمهورية بقرار من شيخ الأزهر تسرى عليها أحكام هذا القرار وأية قرارات أخرى صدرت أو تصدر فى هذا الشأن)

المادة الثانية : مع مراعاة أحكام قرار شيخ الأزهر رقم ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ المشار إليه :

(أ) تشكل بمقر كل منطقة أزهرية فى محافظات الجمهورية لجنة للفتوى من خمسة أعضاء على الأقل .

(ب) يراعى فى اختيار أعضاء هذه اللجان توافر الاعتبارات المقررة فى المادة الثانية من قرار شيخ الأزهر المرقوم .

(جـ) يرأس هذه اللجنة الأقدم من كل من مدير المنطقة الأزهرية للتعليم أو للدعوة .
وتضم فى عضويتها ممثلا لكل مذهب من المذاهب الفقهية السائدة فى المحافظة،وعضوا متخصصا فى العقيدة .

• إعداد الأستاذ عمر بسطويسى

(د) يجرى تحديد أسماء أعضاء اللجنة والرئيس فى كل منطقة باقتراح من رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وعرض من وكيل الأزهر ويعتمد من شيخ الأزهر .

ويجوز أن يكون من بين الأعضاء بعض المتقاعدين من علماء الأزهر المقيمين فى بلد المقر الذين تتوافر فيهم الاعتبارات المقررة لعضوية لجان الفتوى .

المادة الثالثة :

(أ) يعهد بالأعمال الفنية للجنة إلى أحد العلماء من مدرسى الفقه ويكون مشرفا على مكتب هذه اللجنة، ومسئولا عن أعمالها الإدارية .

(ب) يكون هذا المكتب تابعا للمنطقة الأزهرية وتُنْتَدَبُ له العددَ المناسب من العاملين وتسرى عليه كافة القوانين واللوائح، ويعلن عن مقره فى مكان بارز .

(جـ) لاتُحَصَّل على الفتاوى الصادرة من هذه اللجان اية مصروفات .

المادة الرابعة :

تحدد مكافآت أعضاء اللجنة بمن فيهم المشرف على اللجنة بقرار من شيخ الأزهر .

المادة الخامسة :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار .. ويعمل به اعتبارا من ١٩٩٠/١٠/١م .

صدر فى : ١٠ من ذى القعدة ١٤١٠ هـ

الموافق : ٣ من يونية ١٩٩٠ م

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

قرار شيخ الأزهر
رقم (٤٣٥) لسنة ١٩٨٤
باعادة تنظيم العمل فى لجنة الفتوى

شيخ الأزهر

- بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر وهيئاته والقوانين المعدلة له .
- وعلى القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ بإصدار اللائحة التنفيذية للقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه .
- وعلى القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ بإصدار قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة .
- وعلى قرار شيخ الأزهر المؤرخ ١٩٣٥/٩/١١ .
- وعلى قرار وكيل الأزهر رقم ٧٨٣ لسنة ١٩٦٩ بشأن تشكيل لجنة الفتوى بالأزهر والقرارات المعدلة له .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧٩ بشأن تحديد مكافآت أعضاء لجنة الفتوى وتعديلاته .

قـــــــرر

المادة الأولى :

يكون تنظيم الإفتاء فى المسائل والأمور الدينية التى ترد لهيئات الأزهر من الأفراد والهيئات والجماعات وغيرها وفقا لأحكام هذا القرار .

المادة الثانية :

تشكل لجنة للفتوى فى هذه المسائل بقرار من شيخ الأزهر تتبع مجمع البحوث الإسلامية ـ يراعى فى اختيار أعضائها مايلى :

١ ـ أن لاتقل سن العضو عن ٤٥ سنة .

٢ ـ أن يكون معروفا بالتقوى والورع فى ماضيه وحاضره .

٣ ـ أن لايكون قد صدر منه مايمس الشرف والأمانة،أو سلك سلوكا ينتقص من قدره بوصفه من علماء الأزهر .

٤ ـ أن يكون من خريجى الكليات الأزهرية المتخصصة فى الدراسات الإسلامية والعربية أو ما يعادلها . وتكون الأولوية للممارسين لتدريس المواد التى تعين على الفتوى ولمن يحمل مؤهلا أعلى .

٥ ـ أن يكون له نشاط علمى بارز فى مجال الدراسات والبحوث الإسلامية،أو اشتغل بتدريسها فى كلية أو معهد عال لمدة لاتقل عن عشر سنوات،أو شغل إحدى وظائف القضاء أو الافتاء وكان متخرجا من إحدى كليات الأزهر .

نظام الإفتاء :

المادة الثالثة :

تُصدِرُ لجنة ـ الفتوى ـ المنصوص عليها فى المادة الثانية : جَوابَها عن الاستفتاءات التى ترد للأزهر وذلك على النحو التالى :

١ ـ الاستفتاءات التى يطلب الرد فيها وفق فقه مذهب معين من المذاهب الفقهية الإسلامية المعتبرة يكون الجواب عنها وفق أرجح الآراء فى فقه هذا المذهب . وفى غير ذلك يجب أن تكون الفتوى موافقة للكتاب والسنة،أو إجماع الفقهاء،أو القياس الصحيح الموافق لقواعد الدين العامة الملائم لمصالح المسلمين .

٢ ـ المسائل التى تتصل بالعقيدة وما يتبعها يكون الجواب فيها وفق قواعد الدين العامة مشتملة على البراهين الصحيحة من الكتاب والسنة،وعلى الأدلة العقلية .

٣ ـ يجب أن تكون الفتاوى مستندة إلى أدلتها الشرعية المعروفة،وإذا كانت الإجابة متعلقة بأمر فقهى نُصَّ فيها على مرجعها من كتب المذهب أو المذاهب التى اعتمدت عليها الفتوى ، وبوجه عام تعتمد الفتوى أيا كان موضوعها على أدلتها الشرعية والعقلية أو الفقهية على وجه تطمئن إليه القلوب .

٤ ـ الالتزام فى الفتوى بما صدرت به قرارات وتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية،أو مجلس المجمع .

٥ ـ المسائل التى تحال إلى اللجنة من شيخ الأزهر تعرض أجوبتها عليه ، ويكون إرسالها من قِبَلِهِ .

المادة الرابعة :

يعد دفتر خاص لقيد الطلبات التى ترد إلى لجنة الفتوى برقم مسلسل، وتُرَقَّم صحف هذا الدفتر برقم متتابع ويختم . وذلك كله وفقا للنموذج رقم (١) المرفق بهذا القرار .

المادة الخامسة :

يُعَدُّ سجل لتدوين نصوص فتاوى المواريث ، وثانٍ لتدوين نصوص فتاوى الوقف ، وثالث لتدوين نصوص الفتاوى الأخرى غير ماسبق، وتقسم صفحاتُ كل سجل وفقا للنموذج رقم (٢) المرفق بهذا القرار .

المادة السادسة :

(أ) يعد دفتر خاص لقيد طلبات إشهار الإسلام مُرَقَّمُ الصفحاتِ، وتختم جميعها بالختم الرسمى وفقا للنموذج رقم (٣) المرفق بهذا القرار .

(ب) يعد سجل خاص يسجل فيه نص إشهار الإسلام الذى يجب أن يحوى اسم الطالب ثلاثيا - قبل الإسلام ، واسمه بعد الإسلام ، والأوراق الرسمية التى تثبت شخصيته كبطاقة عائلية أو شخصية او جواز سفر سَارٍ ، وتاريخ ولادته ومحلها وجنسيته السياسية وحالته الاجتماعية (متزوج، أو ليس متزوجا ، له أولاد أم لا ، ومُسَمَّى الأولاد ، وديانة الزوجة ، ويذكر فيه محل إقامة زوجته وأولاده إن كانوا) .

ويوقع أصل الإشهار وسجله من اسم عضو لجنة الفتوى الذى استمع إلى إشهار الإسلام، أو اللجنة التى استمعت إليه، ومن (سكرتير) اللجنة، وتسلم صورته إلى الْمُشْهِرِ بإيصال بتوقيعه على دفتر قيد الطلبات .

(جـ) إذا كان المشهر مصريا وجب النص فى آخر الإشهار على التزامه باتخاذ الإجراءات الرسمية لإثبات إشهار إسلامه بمكتب التوثيق المختص .

المادة السابعة :

يستمر أعضاء لجنة الفتوى العاملون - وقت صدور هذا القرار فى مزاولة الأعمال المنوطة بها .

المادة الثامنة :

ينظم رئيس لجنة الفتوى مواعيد عمل اللجنة، ومدى مشاركة السادة أعضائها ، ويعد لذلك سجل خاص يُثْبَتُ فيه هذه المواعيد، ومن باشر العمل منهم، ومن تخلف .

المادة التاسعة :

يعد حصر للطلبات المقدمة وما انتهى منها بأنواعه الموضحة ومابقى دون إجابة ، ويخطر به الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية كل ثلاثة أشهر .

المادة العاشرة :

ينشأ دفتر مرقم الصفحات ويختم ، يخصص لقيد اجتماعات اللجنة فى دورتها الأسبوعية ويبين فى محضر كل جلسة المسائل المعروضة عليها ، وما تم فحصه، وما انتهت اللجنة منه، وما أحيل من المعروض لجلسة قادمة كما يذكر فيه أسماء السادة الحاضرين من أعضاء اللجنة والمتخلفين ، وذلك كله وفقا للنموذج رقم (٤) المرفق بهذا القرار .

المادة الحادية عشرة :

يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره وعلى الجهات المختصة تنفيذه، ويلغى كل مايخالفه .

صدر في ٢٦ من شوال سنة ١٤٠٤ هـ

الموافق ٢٥ من يوليو سنة ١٩٨٤ م

شيـخ الأزهـر

جاد الحق على جاد الحق

قرار شيخ الأزهر رقم (٤٥٧) لسنة ١٩٩١ م

شيخ الأزهر :

- بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له .
- وعلى القرار الجمهوري رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ بشأن إصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه .
- وعلى القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ بإصدار قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة والقوانين المعدلة له .
- وعلى قرار وكيل الأزهر رقم ٧٨٣ لسنة ١٩٦٩ بشأن تشكيل لجنة الفتوى بالأزهر والقرارات المعدلة له .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧٩ بشأن تحديد مكافآت أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر وتعديلاته .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ بإعادة تنظيم العمل في لجنة الفتوى .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ٤٥٣ لسنة ١٩٩٠ بشأن تشكيل لجان الفتوى بالمناطق الأزهرية .
- وعلى قرار مجلس الوكلاء بمحضر اجتماعه رقم/ ٤ لسنة ١٩٩١م .
- وعلى ماعرضه فضيلة رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية بالاشتراك مع فضيلة مدير عام الدعوة والإعلام الديني من قوائم المرشحين للعمل بلجان الفتوى بالمناطق الأزهرية .

قـــــرر

المادة الأولى :

مع مراعاة أحكام قرارى شيخ الأزهر رقمى ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ ، ٤٥٣ لسنة ١٩٩٠ م المشار إليهما :

تشكل لجان « الفتوى » بالمناطق الأزهرية في محافظات الجمهورية على النحو التالى :

منطقة القاهرة :

يكتفى بلجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف

منطقة الجيزة :

الاســـــم	الوظيفة الأصلية	المذهب	العمل باللجنة
١ ـ فضيلة الشيخ / سامى محمد متولى الشعراوى	ـ مدير عام المنطقة	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / محمد محمد على الليثى	ـ مدير الوعظ بالجيزة		عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / محمد الشافعى حسين عزيز	ـ وكيل اول المنطقة الأزهرية	شافعى	عضو اللجنة

٤ ـ ،، ،، / جمال الدين محمد قطب	ـ مفتش وعظ الجيزة	شافعى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد سيد مصطفى مامون	ـ موجه عام علوم شرعية	حنفى	امين اللجنة

منطقة القليوبية :

١ ـ فضيلة الشيخ / عزب مامون عزب	مدير عام المنطقة	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / احمد عبدالحميد الكردى	ـ مدير التعليم الثانوى	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / احمد محمد موسى	ـ قائم بعمل مدير الوعظ	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / عبدالغنى محمد شحاته	ـ مفتش اول بالوعظ		عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد عجمى إبراهيم سلام	ـ وكيل معهد فتيات شبلنجه	حنبلى	امين اللجنة

منطقة المنوفية :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد السيد مصطفى النجار	مدير عام المنطقة	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / صابر محمود محمد محمود	مدير وعظ المنوفية	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / احمد عبدالرحمن راضى	مدير الدعوة والإعلام الدينى «سابقا»	شافعى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / عبداللطيف على حسن نصار	مدير التوجيه بوعظ المنوفية	شافعى	امين اللجنة
٥ ـ ،، ،، / عبدالفتاح محمد محمود حنفى	موجه اول بالمنطقة الازهرية	مالكى	عضو اللجنة

منطقة الغربية :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد محمد احمد ابوفريخه	مدير عام الوعظ بالغربية	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / انور عبداللطيف ورده	مدير عام المنطقة الازهرية «ندبا»	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / عبدالجواد إبراهيم مسعود	رئيس المعاهد الأزهرية سابقا	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / عبدالغنى السيد بكر	مدير عام شئون المناطق سابقا	شافعى	امين اللجنة
٥ ـ ،، ،، / عبدالمغنى محمد سلامة جبر	مدير عام منطقة الغربية سابقا	حنفى	عضو اللجنة

منطقة الدقهلية :

١ ـ فضيلة الشيخ / عبدالحليم احمد راشد	مدير عام المنطقة الأزهرية «ندبا»	شافعى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / احمد صقر صقر حجازى	مدير الوعظ بالدقهلية	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / ابوالخير محمد سلامة	مدير مرحلة بالمنطقة	شافعى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / شرف الدين احمد إسماعيل	رئيس تفتيش الوعظ	شافعى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد العمرانى إبراهيم شلاطه	موجه اول ثانوى	حنفى	امين اللجنة

منطقة كفر الشيخ :

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
١ ـ فضيلة الشيخ / محمد الاحمدى حسين محمد الذهبى	ـ مدير عام المنطقة « ندبا »	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ .. .. / عبدالباسط على داود	ـ مدير التعليم الثانوى	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ .. .. / احمد احمد عبدالخالق	ـ موجه عـــام	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ .. .. / على سيد احمد الجمل	ـ موجه عام بالمنطقة	شافعى	امين اللجنة
٥ ـ .. .. / عبدالعزيز محمد احمد شاهين	ـ مفتش اول وعظ	مالكى	عضو اللجنة

منطقة البحيرة :

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
١ ـ فضيلة الشيخ / احمد الطيب حسين على	ـ مدير عام المنطقة	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ .. .. / عاطف ياسين زين الدين	ـ مدير الوعظ	حنفى	عضو اللجنة
٣ ـ .. .. / عبدالله محمد الابحر	ـ مفتش أول علوم شرعية	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ .. .. / نعيم عبدالقادر عطاالله	ـ مفتش وعظ	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ .. .. / محمد احمد على دياب	ـ مفتش أول علوم شرعية	شافعى	امين اللجنة

منطقة الشرقية :

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
١ ـ فضيلة الشيخ / احمد عبدالعظيم المرسى السودة	ـ مدير عام المنطقة « ندبا »	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ .. .. / سليم عبده محمد السيد	ـ مدير الوعظ بالشرقية	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ .. .. / عبدالمعبود عبدالله الجمل	ـ مدير المعاهد الأسبق		عضو اللجنة
٤ ـ .. .. / عبد المنصف محمود عبدالفتاح	ـ مدير عام الوعظ سابقا	حنفى	عضو اللجنة
٥ ـ .. .. / محمد حربى محمود الشريف	ـ رئيس توجيه الوعظ بالشرقية		امين اللجنة
٦ ـ .. .. / حسين خضيرى موسى	ـ مدير مرحلة بالمنطقة	حنفى	عضو اللجنة

منطقة الاسكندرية :

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
١ ـ فضيلة الشيخ / عبدالحميد سيد احمد بكور	ـ مدير عام المنطقة الازهرية	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ .. .. / عبدالمحسن محمد الدمياطى	ـ مدير وعظ الاسكندرية	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ .. .. / مصطفى السيد ابوالعينين عيد	ـ مدير عام المنطقة السابق	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / حافظ يوسف حافظ	ـ رئيس تفتيش الوعظ	شافعى	امين اللجنة
٥ ـ .. .. / احمد مصطفى عبدالرازق	ـ مفتش اول بالمنطقة	مالكى (كفيف)	عضو اللجنة

منطقة دمياط :

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
١ ـ فضيلة الشيخ / احمد محمد عبدالرءوف مصطفى بسيونى	وكيل اول قائم بعمل مدير المنطقة	شافعى	رئيس اللجنة

٢ ـ فضيلة الشيخ / حامد عبدالوهاب عبدالمجيد	ـ شيـخ معـهـد دميـاط الإعدادى والثانوى	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / احمد حامد عبدالمعطي مذكور	ـ رئيس تفتيش الوعظ		عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / عبدالله سالم محمد طرباى	ـ مدير عام المنطقة السابق	شافعى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد محمود مصطفى الخياط	ـ واعظ اول بدمياط	شافعى	امين اللجنة

منطقة الإسماعيلية :

١ ـ فضيلة الشيخ / عبدالفتاح على سلطان	ـ مدير عام المنطقة « ندبا »	شافعى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / فهمى القطب الخولى	ـ قائم بعمل مدير الوعظ	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / عبدالعزيز عبدالسلام	ـ مفتش اول بالمنطقة	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / السيد ابوالعينين العطار	ـ مفتش اول بالمنطقة	شافعى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد احمد الدهشان	ـ واعظ بالمنطقة	شافعى	امين اللجنة

منطقة بنى سويف :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمود سيد عويس خضير	ـ مدير عام المنطقة « ندبا »	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / خليل محمود خليل الحصاوى	ـ مدير الوعظ	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / محمد احمد طلبة عياد	ـ وكيل اول المنطقة	شافعى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / قرنى صاوى محمد مرعى	ـ مدير التعليم الثانوى	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / حسن احمد ابراهيم المسكين	ـ مفتش اول الوعظ	مالكى	امين اللجنة

منطقة الفيوم :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد محمد احمد عبد البارى	مدير عام المنطقة	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / مصطفى احمد عبد العال احمد	مدير الوعظ	حنفى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / عبد الوهاب امين قاسم	وكيل اول المنطقة	شافعى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / على مهيوب محمد محسب	مدير التعليم الثانوى	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / احمد جمعة محمد برياش	مفتش اول علوم شرعية	مالكى	امين اللجنة

منطقة المنيا :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد عز العرب محمد توفيق	مدير عام المنطقة	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / محمد عبد العزيز	مدير الوعظ بالمنيا	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / محمد عبد المنعم محمد حسانين	وكيل اول المنطقة	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ /محمد صفوت عبد القادر إبراهيم	مدير شئون القرآن الكريم	حنفى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / محمد السيد حسين مطر	مفتش وعظ	شافعى	امين اللجنة

منطقة أسيـوط :

١ ـ فضيلة الشيخ / حسن حسين بخيت	مدير عام المنطقة الازهرية	مالكى	رئيس اللجنة

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
٢ ـ فضيلة الشيخ / ثابت احمد مهران	مدير عام الوعظ باسيوط	حنفى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / احمد محمد احمد دحلوب	مدير تفتيش وعظ اسيوط	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / محمد الدرملى حسين عمر	مدير عام المنطقة الأزهرية «سابقا»	حنفى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ /حسين رشدى إسماعيل حسين	شيخ معهد اسيوط		عضو اللجنة
٦ ـ فضيلة الشيخ / مصطفى احمد محمد سليمان	مفتش اول بالمنطقة الأزهرية	شافعى	امين اللجنة

منطقة سوهـــاج :

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
١ ـ فضيلة الشيخ / محمد محمد محمد عويس	مدير عام الوعظ بسوهاج	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / عبد الصادق هاشم احمد	مدير عام المنطقة الأزهرية	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / احمد محمدين سليم	مفتش وعظ	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / قدرى احمد خليل درويش	مدير التعليم الإعدادى	مالكى	امين اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / عبد الوهاب خليل فريد	موجه اول المنطقة		عضو اللجنة

منطقة قنـــــا :

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
١ ـ فضيلة الشيخ / على محمد إبراهيم عبد العاطى	مدير عام المنطقة	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / رمضان غزالى محمود	مدير عام الوعظ	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / احمد قاسم إبراهيم محمد	مدير مرحلة بالمنطقة	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / احمد إبراهيم عويضة مصطفى	مفتش اول بالمنطقة	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / نصر مصطفى حاوى إسماعيل	مفتش وعظ	حنفى	امين اللجنة

منطقة اســـــوان :

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
١ ـ فضيلة الشيخ / محمد يوسف احمد عيسى	مدير عام المنطقة ندبا	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / عزيز الدين عطية عثمان	مدير الوعظ «سابقا»	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / صالح صادق احمد الشاعر	وكيل اول المنطقة	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / عبد الفتاح محمد احمد داود	مدير مرحلة بالمنطقة	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / عبد المنعم على عبد الرحيم إبراهيم	مفتش الوعظ	مالكى	امين اللجنة

منطقة الوادى الجديد :

الاسم	الوظيفة	المذهب	الصفة
١ ـ فضيلة الشيخ / محمد عثمان الصاوى حسين	مدير عام المنطقة ندبا	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / سيد عبد اللاه محمود	وكيل اول المنطقة	حنفى	امين اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / هشام عبد العليم محمود	شيخ معهد ناصر بالخارجة	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / محمد محمد حسين مصطفى	مفتش وعظ الخارجة	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / مظهر محمود احمد	واعظ بالخارجة	حنفى	عضو اللجنة

منطقة شمال سيناء :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد عبد الحليم الحديدى	مدير عام المنطقة	شافعى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / عبد الحميد البكر طلب زعتر	رئيس وعظ شمال سيناء	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / احمد عبد اللطيف احمد النوسانى	وكيل اول المنطقة		عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / عبد الرحمن احمد محمد سالم	مفتش علوم شرعية		عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / فرج على شحاته محمود	شيخ معهد العريش		امين اللجنة

منطقة جنوب سيناء :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد عبد العظيم إبراهيم	مفتش الوعظ وقائم بعمل مدير المنطقة الأزهرية		رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / فرج عبد الله عبد الوهاب	واعظ بجنوب سيناء		عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / احمد عبد المتعال احمد عمرو	شيخ معهد الطور (ع)	شافعى	امين اللجنة

منطقة البحر الأحمر :

١ ـ فضيلة الشيخ / احمد الصديق متولى حماد	مدير عام المنطقة ندبا	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / سيد احمد يوسف مصطفى	وكيل اول المنطقة	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / ابو الوفا محمد تاج الدين	مفتش اول الوعظ	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / على سيد احمد حبيب	مفتش الوعظ	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / عبد الهادى تونى احمد	قائم بعمل مدير التعليم الثانوى	امين اللجنة

منطقة مطــــــروح :

١ ـ فضيلة الشيخ / سعيد حيطاوى عبد الرحمن الطباخ	شيخ معهد مطروح وقائم بعمل مدير المنطقة	شافعى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / محمد إبراهيم أبو البقا	وكيل معهد مطروح	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / فؤاد يوسف بيومى حميده	مدرس بمعهد مطروح	مالكى	امين اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / عصابى احمد الصاق	واعــــظ	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / رمضان حامد عبد الكريم	واعــــظ	مالكى	عضو اللجنة

منطقة بور سعيد :

١ ـ فضيلة الشيخ / مسعد عبده الحديدي صالح	شيخ معهد قراءات بور سعيد	شافعى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / مصطفى محمد درويش مصطفى	شيخ معهد بورسعيد (ع/ث) للبنين	حنفى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / سعيد محمود حسن	شيخ معهد بورسعيد فتيات (ع/ث)	حنفى	امين اللجنة

٤ ـ فضيلة الشيخ / ظريف محمد إبراهيم الغريب	واعـــظ	شافعى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / خيرى محمد إبراهيم حبيب	واعـــظ	حنفى	عضو اللجنة

منطقة السويس :

١ ـ فضيلة الشيخ / عبد العال نصر سالم خطاب	وكيل اول وقائم بعمل مدير عام المنطقة ندبا	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / احمد عبد الغنى عبد اللطيف	قائم بعمل شيخ معهد فتيات السويس	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / السيد احمد ادم يوسف	وكيل معهد فتيات السويس	مالكى	امين اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / عبد الحليم عبد الله لبيب	واعـــظ		عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / محمود السباعى محمود عبد الله	واعـــظ		عضو اللجنة

المادة الثانية :

على كل مديرى المناطق الأزهرية رؤساء هذه اللجان تخصيص مكان لعمل اللجنة والعاملين بها فى مبنى المنطقة ، أو فى المعهد الثانوى للبنين بعاصمة المحافظة يعلن عنه بالطرق المتاحة لدى المنطقة ، وتخطر به أمانة مجمع البحوث الإسلامية .

المادة الثالثة :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار ..

صدر فى : ١٨ من ذى الحجة ١٤١١هـ

الموافق ٣٠ من يونيه ١٩٩١م

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

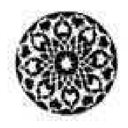

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● نظرة أمل ودعوة عمل — لفضيلة الإمام الأكبر	١
● هجرات غير المكيين — د . علي أحمد الخطيب	٦
● المفهوم الحيوي للهجرة — للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي	١١
● الطريق والطليعة — للأستاذ حلمي الخولي	١٥
● حنين يتصل إلى مهد العقيدة — لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم	٢٢
● رجل يتصدى لكل الأخطار — للدكتور عبد المقصود محمد نصار	٢٤
● من فقه الشافعي — للشيخ محمد حسام الدين	٢٩
● قبس من أنوار النبوة — للشيخ علي حامد عبد الرحيم	٣٤
● صلح الحديبية — للأستاذ عبد المنعم محمد عمر	٣٦
● الحلال والحرام في معاملات البنوك والمال — لفضيلة الدكتور أحمد فهمي أبو سنة	٣٩
● نظرات في كتاب « معاملات البنوك وأحكامها الشرعية » — لفضيلة الدكتور عبد العال عطوة	٤٤
● البديل الإسلامي للأدوات الربوية في أسواق رأس المال — للأستاذ سمير عبد الحميد رضوان	٤٩
● عالمية الإسلام مدخلنا لإعلام إسلامي دولي — للأستاذ حسن علي العنيبسي	٥٦
● الفتاوى — إعداد أحمد السيد تقي الدين	٦١
● من أعلام الأزهر « فضيلة الشيخ محمد نور الحسن » — للأستاذ محمد الطاهر الزنكلوني	٦٤
● مشاهد من الهجرة — إعداد الشاعر : رشاد محمد يوسف	٦٦

باب العلوم الكونية

الموضوع	الصفحة
العلوم الكونية في التراث الإسلامي	
● تقنية الصوتيات — أ . د . أحمد فؤاد باشا	٧٠
● الأعشاب الطبية — د . موسى مدني مصطفى	٧٤
● تقنية الاتصالات — د . مرفت السيد عوض	٧٨
● الجديد في العلم والتقنية — إعداد د . نجوى السيد أحمد	٨٢
● طرائف ومواقف — للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٨٤
● من روائع الماضي بمجلة الأزهر « في مجلس القرآن » — إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات	٨٦

باب اللغة والأدب والنقد

الموضوع	الصفحة
● علماء نيجيريا — إعداد الأستاذ سليمان موسى	٩٠
● ألفاظ الصدارة في أساليب العرب — للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله	٩٦
● الاستشفاء بالدعاء — عرض وتعليق : عاطف شحاتة زهران	١٠١
● أنباء وآراء — الأستاذ عبد المنعم فودة، مصطفى عبد المجيد	١٠٤
● قرارات الإمام الأكبر — إعداد الأستاذ عمر البسطويسي	١٠٧

القسم الانجليزي
إشراف د . أنس النجار

الموضوع	الصفحة
● المقالة الثانية — للأستاذ عبد الحكيم أحمد طه	١٢١
● المقالة الأولى — دكتور أنس مصطفى النجار	١٢٦

the build-up of the normal psychological patterns of their children. That is a fundamental truth, which must be supplemented by the obligations that sons and daughters must observe towards their parents. Kindness, respect, humbleness, eloquent decency, obedient understanding, rational thought to knowledge and perception, maturity with time, richness of culture and attainment of experience and wisdom with growth. The new generations have the faulty tendency of argumentative attitude, believing that they are more understanding of life than their elders, more capable of steering the courses of life, more possessive of its resources. New generations should be cognizant of the fact that the older generations of parents were the ones to plough, cultivate and organize the multiform culture which forms the soil and social matrix upon which the new generations are thriving and promoting their own development. In time, the new will become the old, the people, the culture, the matrix and all. The sequential development of human societies is a continuous process of proliferative development, the achievements of every generation is dependant upon its precursor, and instrumental to the one that follows; it is the long complex chain of the history of mankind. This teaches us that every generation must be indulged and respectfully cognizant of the cultural concepts, intellectual progress, achievements and pitfalls of the generation before.

The "Hadith" also addresses all blood relations as members of the wider circle of family. The elements of love, respect, assistance, propriety and cordial sincere relationship must be extended. The Hadith also includes the neighbours, and the further members of the human family in society. To these elements of the human family, decency, justice, love, rightness, ethical morals and social conventions must be extended. With these decorous social relationships, the human family will develop with strong roots on fertile healthy soil to give the social matrix the integrity of healthy cohesion. The goodness of relationship with kinsmen and neighbours is a highly optimized issue in Islamic teachings.

These ramifications of the Hadith traverse from one circle of human community to another in expanding trajectories to include the whole complex of the human race in a prevalent milieu of reciprocal mutual goodness, affability and love. Islamic doctrinal teachings conceive the human race as one large family, sharing the common purpose and aspirations in their finite life. The accomplishment of such aspirations requires the institution of the values of goodness, magnanimity and mutual love. This is the theme of the Hadith of the Prophet of Islam, prayers and peace from Allah be upon him.

Translated from the Arabic Original by the Editor.

trait, the behavioural pattern, and the solemn observance to which the growing generations adhere. The institution of such cultural practices results in a prevailing quality of goodness and gracious attitude of mankind, both within and outside the domain of familial environment. The vista display of artificial appearances will no longer be part of the human character. The human character will become wholesome in identity and characteristics.

The "Hadith" is addressed to every member of the family without distinction or precedence, each according to the functional responsibility. The inherent meaning of the Hadith invokes husbands to conduct themselves with indulgence, tolerance, loving consideration and an affable soul possessed in patience. The Hadith also entreats wives to qualify themselves with the same characters of magnanimity, creative thought, and gentle clemency of feminine endearing grace.

These cordial feelings of affectionate care must be practiced both within and outside the home environment. A common phenomenon observed in human societies is the contradictory conflicting patterns of husband wife relationships in public, as opposed to those practiced in the confines of their home. The artificial loving cordial respect conducted in public, turns into an explosion of accusations and humiliative disgraceful incriminations, seeding the irreversible roots of hatred. According to the teachings of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), husband wife relationship must be enveloped with genuine respect elegant dignity, cultured civility and polite courtesy; even on occasions when differences exist.

The Hadith also instructs both parents to observe their paternal responsibility towards their children. These responsibilities constitute all aspects of child care, culture, education, setting the example, meanings of value and social grace, the right and wrong, the virtue and vice, the inherent true meanings of truth, reality, goodness, and the proper understanding of the ultimate purpose of human creation. The child must be educated to understand the doctrines of belief, and the elements of faith. The child must be prepared to face the challenging drifts of the vast ocean of life supported by spiritual, mental and physical abilities to secure his stability, safeguard the integrity of the individual human as an element in the complicated matrix of the human society. The optimization of child culture and juvenile education to serve as functional healthy members of the human race has become one of the most compelling issues of present societies. The accomplishment of such extremely vital achievement is the most basic fundamental essential duty of parents.

The Hadith is also addressed to the young posterity, to the sons and daughters of all ages and all generations. The duties they carry towards their parents, the obligations they bear towards themselves, their future, their society, and the real purpose of their life. The science of child psychology has correctly taught us that parents are responsible for

THE ROOTS OF WISDOM

Hadith of the Prophet

"The Best Amongst You is He Who is most Affable to His Family"

By: Abdel-Hakim Ahmad Taha

Goodness is a desired quality of gracious attitude of every aspect of human life. Justice, magnanimity, altruism, kindness, love, beauty and eloquence are all forms of goodness. Also, goodness constitutes plentifulness, affluence, abundance and sufficiency. The various connotations of the word goodness are inherent in the syntax of the context, because goodness is always associated with everything auspicious estimable and commendable.

In the context of the present Hadith, the word "best" refers to the highest order of goodness; meaning the more useful, the more lenient, the more generous the more loving and the more understanding and affable. When such high order of goodness is directed to one's family, one is indeed distinguished among others. Outside the family environment, one poses behind one's social cast, limited in action and thought by scores of traditions, codes, relationships, customs and other social interactions. Such conditions impose alterations and formalities on the normal human behaviour. Within society, mankind lives behind appearances that must be tailored to suit and fit the man made framework presentation of the society.

At home, within the domain of the domestic environment of the family, mankind conducts himself according to the natural instincts, mannerisms, temperaments and inclinations. Within the confined boundaries of the habitation and domesticity, mankind acts with extemporaneous impulse of modus vivendi without the vista display of artificial appearances. The reality characteristics of leniency or cruelty, pomp or humbleness, generosity or miserly, content or greed; all appear as manifestations of the innate unconstrained unceremonious behaviour of mankind.

The context of the "Hadith" is a clear indication to the importance of the familial behavioural education and its cultural organization as affected by the social convention, decorum, social graces, and values upheld by the parents. These venerated forms of cultural behaviours should be methodically practiced as everyday functions, organized and supervised by the parents to take the form of customary proprieties within the framework of family life. This system of familial cultural education becomes the cultural

Islamic doctrinal teachings, and that was the gateway for Islamic proliferative expansion in Egypt.

Indeed, Amre ibn Al-Aas is the champion of Muslim intrusion into Egypt, leading triumphant confrontations against Romans, and organizing the successful administrative policy that gained recognition by Egyptians. The policy that instituted the roots of Islamic doctrines. However, notwithstanding these achievements, the eminent greatness of Omar ibn Al-Khattab at the head of the Muslim state, honours him as the paragon chancellor, the brilliant statesman, the upholder of Muslim theism, and the master genius. The man resident of Al-Madinah, while the banners of Islam emerged across the eastern plains of Persia, and the words "Allahu Akbar" echoed across the horizons of north Syria, and the footsteps of Muslim warriors stamped on the deserts of Libya, the shores of the Mediterranean and the Upper waters of the Nile valley. Omar ibn Al-Khattab, the champion of Islam, that materialized a dream into a reality, the implementation of the Islamic policy of liberation among nations.

as the capital during the Hellenic and Roman occupation. The magnificent grandeur of the city justified the choice of Amre ibn Al-Aas to make Alexandria the Muslim capital of Egypt. Omar ibn Al-Khattab wrote to Amre to choose a site where no waters would separate him from Muslim during winter or summer. Upon such instructions, Amre ibn Al-Aas selected the site on the east side of the Nile, nearing the fortress of Babylon. The place became known as Al-Fustat. Muslim warriors we instructed to plan around the area, and build their homes in districts around the great Mosque (known as Masjid Amre ibn Al-Aas). Gardens and vineyards were planted to give the place the elegance of the Muslim Capital. The Egyptians carried out most of the building construction of the growing city, and made their dwellings within the precincts of Al-Fustat, this included another district called Al-Askar. The fact that Al-Fustat became the Muslim capital of Egypt, gave the city the impact to undergo progressive expansion. Amre ibn Al-Aas resided at Al-Fustat, being appointed by Omar ibn Al-Khattab as commissioner of Egypt. Amre ibn Al-Aas drew the strategy of policy and government to make Egypt an important territory in the life of Muslims. Social justice, liberty and reformation were the important aspects of the Muslim administration of Egypt.

The Muslim warriors remained recruited to defend the country, they were not allowed to own property in Egypt during the remaining years of the reign of Omar ibn Al Khattab. During later years, they were permitted to own property and to pay the revenue for that property on similar terms as other property owners without distinction between Muslims and non-Muslims Civil positions were entrusted to qualified Egyptian officials, or remained occupied by Romans who remained resident in Egypt. Omar ibn Al Khattab repeatedly instructed Amre ibn Al-Aas to consult Archbishop Benyamin in matters of government, social policy and mechanisms of reformation. The Archbishop always advised with sincerity, wisdom, justice and foresight. Revenues were collected at the end of harvest, individual and social justice was granted and guaranteed. Restorative actions were instituted particularly in the irrigation systems and water channels. The most outstanding achievement was the digging of the gulf of Trajan that joins the Nile with the Gulf of Suez. That was accomplished in a record time of less than one year. An outstanding engineering feat of that era of history, that established an active trade link between the east and west across Egypt.

The fundamental features of Muslim administrative policy were mental ecumenism, promotion of thought, social justice, and liberty of belief., These features instituted conditions of stability and acknowledged contentment among the Egyptians. This affirmative recognition inspite of differences in language and faith, materialized into an enriched proliferative association between the Muslims and the Egyptians. This fruitful association became reflected to involve every aspect of life in Egypt. The genuine authenticity of the Muslim Egyptians associate synergism, and the optimization of its formulative elements, established a desire among Egyptians to understand the concepts of the Muslim policy of administration. That was the portal to recognize the basic criteria of

of the new regime. Propriety, liberty, constitutional human rights recognition of merits, social justice, moral obligations and reverence of equity; are all fundamental articles of Islamic doctrinal teachings. The Muslim administration in Egypt found no difficulty in applying the codes of Islamic jurisdiction to implement the firm and continuous desire to render to everyone the right measure of justice. The promotion of social propriety with candid ecumenic unpretentious modesty and moral goodness, established an environment of dependability and trustworthiness. The Egyptian population awakened to experience a totally new regime, the principles of which were the doctrinal teachings of the Muslim Theism. Amre ibn Al-Aas was determined to reinstate archbishop Benyamin at the head of the coptic church in Egypt, which was his rightful place. Amre ibn Al-Aas wrote a proclamation of safety to Benyamin and his followers. Such an action was highly favoured by the Egyptian coptics; Benyamin announced after meeting with the Muslim leader "I have returned to find security after fear, liberty after oppression, and justice after inequity. The Creator has lifted from our shoulders the heavy burden of despotism."

The administration of the Muslim regime in Egypt introduced a system of taxation very different to that adopted during the Roman occupation. The Muslim system of taxation was lenient, considerate, permissive, legal, and tolerant. This system of taxation was based according to the hierarchic classification of richness in the society. The revenue of such taxation was spent onthe improvement of cultivation programmes, and civil services. The new system of taxation, and the channels of expenditure of the national income advanced the motivation of the Egyptians to harmonize their national aspirations to conform with the new regime. The Muslim policy of administration was successful in every aspect of life for both the Egyptian population, and the Muslims in Egypt. The appointed officers of state were either Egyptian Coptics, or Romans, who refused to leave Egypt during the Roman evacuation. The Muslims remained as warriors to ensure security, to supervise the implement of Islamic justice and to organize national reclamation programmes.

The prevailing milieu of religious freedom induced a culture of an ecumenic unbiased conceptualization of theistic comprehension as an element of human existence. The true understanding of faith, and the reality of belief emerged in the minds of people as new more profound exercise of thought and mental function. The resulting candid ratiocination and intellect induced several people to approach and study the Muslim theism with an ecumenic liberal understanding. That was the start of the proliferation of Islam in Egypt; that was also the phenomenon of the liberal freedom of belief that prevailed as part of Muslim policy of administration. Islam achieves pluralism through its own inertia by virtue of its inductive and deductive reason of rational thought. This has proved to be the most characteristic quality of Islamic doctrines. Through the years after the emergence of Islam into Egypt, the country advanced towards the new faith with progressive conviction.

The main question in the mind of Amre ibn Al-Aas after the triumph at Alexandria, was where to establish the new capital. He had selected Alexandria due to its long history

Egyptians, their lives, their beliefs, their wealth and property, their churches, their crosses, their lands and waters. They were to receive protection against invasion or foreign intrusion of Romans or Nubians; in return, the Egyptians were to pay the "jiziah" according to Muslim jurisdiction. They were to submit to the prescribed land revenues according to the magnitude of Nile flood. They were to enjoy freedom of passage and freedom of trade. Such enactment was dictated under oath by Amre ibn Al-Aas, witnessed by several of Amre's men, and sanctioned by Omar ibn Al-Khattab.

The Egyptian Coptics were also invoked to accept Islam, and thereby enjoy all prerogatives and privileges of Muslims; there was no compulsion or coercion in that respect. This Enactment of safety was favourably accepted by Egyptians, it contained articles that constituted elements of respect, freedom, assurance,and preservation of wealth and property. The articles of the "Enactment of safety" were widely proclaimed and accepted among the various sectors of the Egyptian population. This Enactment of safety was exclusively considering Muslim - Egyptian relationships; it did not include any clauses or articles related to peace treaties and pacts of truce arranged between Muslims and Romans. The popular acceptance of the Enactment of safety by the Egyptian population started a new era of Muslim presence in Egypt. the whole policy was geared to establish peace and prosperity. The Romans evacuated after their defeat, and the whole country settled down in domicile acceptance of Muslim prevailing presence. The ground was fertile to implant the rational magnanimous doctrines of Muslim theism. This understanding required the sagacious wisdom and eloquent statesmanship of a reformer. That man was no other than Amre ibn Al-Aas himself the champion of the Egyptian campaign.

This era of restorative reformation demanded an action plan of unique social strategy which Amre ibn Al-Aas had organized in multipurpose optimal detail. The major salient aspect of that policy was the absolute total abolition of religious dispotism. The Egyptian population had suffered severely from that form of oppressive tyranny of thought control during the Roman occupation of Egypt. According to the doctrines of Islamic Theism, freedom of belief was a fundamental article of faith. This precept was popularly proclaimed, ensured, and sanctioned. Every living person from the territories of Nuba south, to the north shores of the Delta was permitted total freedom of belief without compulsion. Every person was free to adopt any Christian sect, free to change from one sect to another, free to enter into Islam without coercion. This policy of freedom of faith was implemented with optimal exactness; the churches of all Christian sects were all actively promoting their beliefs without fear of oppression or limitation. This policy of freedom of belief induced sympathy and sentiments of the Egyptians towards Muslims. Several priests and bishops came out from their retreats and hideouts to proclaim obeisance to the Muslim administration.

The institution of social justice was another form of reformative action that was part

OMAR IBN AL KHATTAB

Enactments of Liberation

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The Roman defeat at Alexandria was in fact a declaration that Egypt had become under Muslim domination. From the north shores of the Delta to the south territories of Tiba in Upper Egypt, the Muslim authority prevailed. Few isolated Roman fortifications remained unable to engage in a major confrontation with Muslims, however, able to offer self sustained resistance. Most of these towns were around Alexandria, as Ikhna, Balhib, Barollos and Tinnis. The Muslim warriors had to capture these districts by force; several groups of the Egyptian Coptic population assisted the Muslims against the Romans. After the completion of these activities, the absolute sovereignty of Muslims over the whole of Egypt was established. Amre ibn Al-Aas wrote to Omar ibn Al-Khattab of the details; and gave the Muslim warriors time to recuperate, and gave himself time to plan the strategy of organization for Muslim presence in Egypt.

Amre ibn Al-Aas soon recognized that Roman troops were present in large numbers in Libya, the western boundaries of Egypt. This contradicted the security of Muslims. After obtaining the approval of Omar ibn Al-Khattab, Amre ibn Al-Aas moved from Alexandria to the richly cultivated territories of Barqa and Tripoli. The Muslim warriors occupied the whole territory of Tripoli with little resistance. This action, ensured the security of Muslims in Egypt. Amre ibn Al-Aas requested permission to proceed further West to Tunis, but he was denied the consent of Omar ibn Al-Khattab. Amre ibn Al-Aas returned to Barqa to receive the allegiance of the clans. There remained the people of the Nuba living in territories on the south borders of Upper Egypt. The Nubians had no territorial demands of expansion, and therefore did not constitute a threat to Muslims in Egypt. However, Uqbah ibn Nafeé Al-Fahry was delegated to secure the safety of the south frontiers.

An important issue that gained considerable discussion in the various annals of literature, is the debate whether Muslim presence in Egypt was the result of force, or the consequence of truce arrangements and peace treaties. Various authors and chroniclers elaborate in detail to justify their opinion. Most chronicles, however, agree on the more rational understanding that Muslims established their domination of Egypt by repeated decisive victories over the Romans. On the other hand, since the Coptic Egyptian population did not take any active part in the Muslim Roman confrontations; several articles of truce and treaties were arranged between the Muslims and the Egyptians. The details of Egyptian - Muslim relations were precisely defined according to what was named "The Enactment of safety". This enactment ensured the absolute safety of

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 64, PART I

Muharram 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab
   The Enactments of Liberation.
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. The Roots of Wisdom
   The best amongst you is He who is most affable to his family".
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٩٠٥٤٧٣ / ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الثانى

السنة الرابعة والستون

صفر ١٤١٢ هـ

اغسطس ١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مسئوليات الهجرة

يخطىء من يظن ان رسول الله - ﷺ - كان ينتهز الفرصة ليهاجر خفية خوفا من مشركى مكة ان يبطشوا به - ﷺ - ونرجو الا يَفْسُق من يعتقد ذلك .

ويضل ضلالا بعيدا من يرى ان حبنا الشاغف برسول الله - ﷺ - هو الذى يدفع بنا إلى «مغالاة» تنفى الخوف عنه - ﷺ - فى هجرته التى تمت خفية .

ذلك ان هجرته - عليه الصلاة والسلام - لم يكن امرها بيده ، لقد كانت تستلزم .. « إذْنًا » مُسَبَّقًا بها من المولى - عز وجل - وبدونه ما كانت الهجرة لتتم مهما بلغت مشقة إقامته - عليه الصلاة والسلام - بمكة ومهما حَفَّها من مخاطر ، او مواصلة الكيد والتآمر .

فما كان ثمة انتهاز فرصة .

ولا كان هنك من خوف .

واقام - عليه الصلاة والسلام - فى انتظار هذا «الإذن» حتى اخذت مقدماته تاتى شيئاً فشيئا :

(ا) فهاهم المؤمنون قد تمكنوا - جميعا - من الهجرة سالمين ، واستقر بهم المقام بالمدينة ، وصاروا يمارسون عبادتهم علنا ، وهم مطمئنون؛ولم يبق بمكة بعد رسول الله - ﷺ - وابى بكر وعلى - رضى الله عنهما - إلا مستضعف مغلوب ، او مفتون ، وهذا او ذاك لا يتجاوز عدُّهما اصابع اليدين ، ومُؤْمِنُهُمْ فى حفظ الله ، وكفى بالله حفيظا .

﴿ مسئوليات الهجـرة

(ب) ومكة لن يؤمن فيها إلا من قد آمن ، لقد أصبحت إلى حين مستعصمة بالكفر مؤمنة بالشرك لا تختار دونهما بديلا ، وأكد المولى - عز وجل - ذلك لرسوله الكريم مرتين فقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (الصافات ١٧٤) ، ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (الصافات ١٧٨) .

أى لست ملوما - يامحمد - على ترك هؤلاء المكيين فقد أديت واجبك ، والله شهيد على ذلك ، فدعهم إلى وقت يكون لك معهم فيه شأن .

وبنزول هاتين الآيتين الكريمتين يتبين أن بقاء رسول الله - ﷺ - بمكة لا معنى له : فليس الإسلام خاصا بالمكيين ، فإذا رفضوه فقد انتهت الرسالة ..

لا ، فالرسالة للعالم كله ، وهذا الجانب الذى أكده مضمون الآيتين أقوى بشير ودليل على قرب نزول الإذن بالهجرة ، وتهدئة لخاطره - ﷺ - لكيلا يأسى أو يأسف على قوم كافرين : فكانت الهجرة لتستمر الدعوة .

(جـ) وأقام رسول الله - ﷺ - ينتظر «الإذن» بالهجرة ، وغمره - ﷺ - فيض الفرج بنزول الآية الكريمة : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ الإسراء ٨٠ .

أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء أن يجعل له مما هو فيه فرجا قريباً ومخرجا عاجلا ، فأذن له تعالى فى الهجرة إلى المدينة المنورة حيث الأنصار والأحباب فصارت له داراً وقراراً وأهلها له أنصاراً .

قال الإمامان : أحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبى شيبة ، كلاهما عن جرير ، عن قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما :

كان رسول الله - ﷺ - بمكة فأمر بالهجرة ، وأنزل عليه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ . . . . ﴾ الآية(١) .

قال الإمام البخارى : « ثُمَّ أُمِرَ بالهجرة » .

أى أن رسول الله - ﷺ - كان أمام أمر ، وليس مجرد إذن يحمل فى طياته خِيَرَةً لرسول الله - ﷺ - يفعل إزاءها ما يروق له .

قال ابن كثير : مدخل صدق : المدينة ، ومخرج صدق : الهجرة من مكة .

وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله - ﷺ - ليهاجر ، فيقول له - عليه الصلاة والسلام : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا » .

جاء الأمرُ بالهجرة فكان الفصل الأخير من إقامته - عليه الصلاة والسلام - بمكة ، وفى هذا الفصل جزء خفى على التاريخ فلا علم لأحد به حتى يومنا هذا .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢/٢٢٦ . ط عيسى الحلبى ١٣٨٤ هـ

ذلك :

أن رسول الله - ﷺ - خرج من داره التى أحاط بها المتآمرون ليقتلوه ، وكان خروجه قبل الفجر ، وفشلت المؤامرة ، كما هو ثابت مقرر معروف ، قال ابن كثير :

« ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب » أهـ ٢/٢٣٠ كذا : (حيث أراد) ، فأين ذهب ؟

وأين مكث إلى أن ذهب إلى بيت الصديق - رضى الله عنه - ليصطحبا للهجرة .. ؟

هذا الذى لا يعلمه إلا الله .

فهو - ﷺ - لم يذهب إلى بيت الصديق فور خروجه - من داره - ليلا قبل الفجر ، فما كانت هذه عادته فى الزيارة ولا سجل أحد المؤرخين أن ضرورة دفعت رسول الله - ﷺ - ليطرق بيت الصديق فى هذه الساعة المتأخرة من الليل .

وعادة زيارته لهذا البيت العظيم تتحدث عنها عائشة - رضى الله عنها - فتقول :

«كان لا يخطىء رسول الله - ﷺ - أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار : «إما بكرة وإما عشية» .

أى أن عادته - فى الزيارة - كانت فى إحدى فترتين : إما بعد الفجر وقبل شروق الشمس ، وتلك هى البكرة ، وإما عشية ، أى آخر النهار ، أو فى الوقت بين المغرب والعشاء .

ثم من الثابت الصحيح أنه - ﷺ - ابتدأ الهجرة من منزل أبى بكر حيث اصطحبا معا إلى (غارثور) .

فمتى أتى رسول الله - ﷺ - بيت الصديق ؟

قالت عائشة :

«حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله - ﷺ - فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظَهْرَى قومه أتانا رسول الله - ﷺ - بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها» ٢/٢٣٣ أى أتاهم ظهرا - عليه الصلاة والسلام -

وذلك يعنى أن رسول الله - ﷺ - ظل مقيما بمكة بعد خروجه من داره حيث أقام المتآمرون - فترة تقدر بنحو نصف نهار ، إن لم تتجاوزه قبل أن يأتى منزل الصديق .

وذلك أمر يضاف إلى بيان ثقته - ﷺ - فى الله - تعالى - ناصره ، كما تسجل له شجاعة وثباتا لا يكونان إلا له - عليه الصلاة والسلام .

لقد جنح بعض الإخوة الزملاء إلى القول بأن هذه الزيارة التى جاءت ظهرا كانت فى يوم سابق على ليلة المؤامرة .

نقول :

حتى لو سلمنا بذلك ، فإن هذا التفسير لن ينفى أبداً أن فترة مضت ، بعد خروجه - عليه الصلاة والسلام - من داره ثم ذهابه إلى بيت الصديق ، وأنها لم تكن فترة هينة ، وذهابه إلى دار الصديق لا يمكن نفيه .

والاستثناء الوارد - فى نص عائشة - كان لمرة واحدة لا أكثر ، فإذا ذهبنا - فى التفسير - إلى غير ما قررناه لزم أن نتحدث بروايات هشة ، أو نطرق فروضا معلولة ، وفى كليهما إنكار للثابت الصحيح من روايات الهجرة .

مسئوليات الهجـــرة

لقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ مقيما على الثقة بربه مطمئنا إليه لا يخشى القوم بُكْرَةً او هاجرةً او عشية ، وما عرف الخوف إليه سبيلاً .

لقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشراً رسولاً .

وكان الصديق ـ رضى الله عنه ـ بشراً تابعا .

وكان الخوف فى الصديق !

وما أجله من خوف حاز شجاعة الفداء كلها !!

إن الصديق لم يكن خائفا يخشى على نفسه ، إنما كان خوفه أن يصاب رسول الله ـ ﷺ ـ بسوء فصار يتخذ لنفسه أكثر من وضع حول رسول الله ـ ﷺ ـ ليقيه بنفسه .

وهل فوق ذلك من شجاعة ؟!

ورسول الله ـ ﷺ ـ يعلم ما فى نفس خير تابعيه فيطمئنه بقوله :

«ياأبابكر ، ماظنك باثنين ، الله ثالثهماء .

وفى بيت الصديق ، وفى تلك الزورة المستثناة التى حَدَّثَتْ بها عائشة قال رسول الله ـ ﷺ ـ يخاطب الصديق : إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة .

فقال ابو بكر : الصحبة بأبى أنت وأمى !

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام : نعم . فبكى الصديق فرحا . وفى الليل خرجا إلى غار ثور .

وإذا لم يكن خَوْفٌ فَلِمَ كانت الخفية ؟

نقول :

لئلا يكون العَلَنُ بالهجرة سببا مباشرا فى وقوع حادث تتوالى منه نتائج تسىء إلى الرسالة والرسول والمؤمنين،وتكون فتنة تجد فيها الخصومة الوثنية والكتابية مرعى خصبا تنفث فيه ما تستطيع من ادعاء فاجر ، ومقولة قبيحة حين يَعِزُّ ـ على المسلمين ـ بيان الحق وبسط الدفاع ، ورسول الله ـ ﷺ ـ لا يفوته حساب الأحداث ؛ ولنأخذ فى بيان ذلك .

● أحدث خروج رسول الله ـ ﷺ ـ من حجرته سالما ليلة المؤامرة ، ضجة لم تَغِبْ عن بنى هاشم ولا بنى المطلب ، هذان البطنان من بطون قريش اللذان حرصت قُوَى المؤامرة على إخفاء سِرِّها عنهم ، فلما باءت بالفشل انفجر الغيظ فقضى على حرص الكتمان وانتشر الخبر فعلم بنو هاشم وبنو المطلب ما دبر لهم بليل ليقفوا أمام القبائل بخزى عاجزين .. اما وقد انقلبت المؤامرة راسا على عقب فما كانوا يسمحون أن يؤذى رسول الله ـ ﷺ ـ أمام اسماعهم واعينهم وكان ـ لامحالة ـ من صراع . وفى اى مكان ؟

فى الأرض الحرام .

وحسبك فى هذا حادث يُشنّعُ بالنبي الكريم ، وهو منه براء ، فما أسرع من شاعر خبيث يصم محمدا - عليه الصلاة والسلام - بسفك الدماء فى البيت الحرام ، وخُذْ - إلى ذلك - من التهم ما يمده الحقد ، وفوات الغرض ، والضيق بهذا الدين إلى شهوة الانتقام فالكيد الذى لا يعرف حدودا من كرم ، أو قصداً من شهامة .

نقول هذا - دون أن نضيف إليه - تمكُّن رسول الله - ﷺ - من ضرب خصومه فى هذا الميدان المشروع ، وكان - عليه الصلاة والسلام - على قوة خارقة يشهد لها صراعه - ﷺ - مع يزيد بن رُكانة وأبى الأشدين ، أقوى مصارعى القوم، وتغلب الرسول - عليه الصلاة والسلام - عليهما .
وهى قوة لم يستخدمها رسول الله - ﷺ - مع خصومه إلا مضطراً (٨٣/٢) .

وفى انتشار الأخبار الكاذبة وسرعة طيرانها بين القبائل التى كان معظمها ينأى عن الصراع ليس حبا فى رسول الله - ﷺ - أو اعترافا بدينه ، بل لمنزلة الأرض الحرام ، فركنت القبائل إلى مراقبة الحوادث آملين أن يتغلب قومه - عليه الصلاة والسلام - عليه فينعموا بها ، أو الأخرى فيكون لهم شأن .

● والإسلام الذى عرف فى نجران .. وعُمان .. ومضارب بنى صعصعة .. وبطون غفار .. وغيرهم ممن كان له نصيب فى الإسلام فأسلم بين قومه ، وأسلم معه من أسلم ، وحولهم أكثرية وثنية على استعداد تام لقبول الفرى فرية فرية بل والزيادة عليها ضيقا بالإسلام ونهجه والنبى ودعوته نقول : كيف يكون حال هؤلاء المسلمين .. الذين أسلموا ورسول الله - ﷺ - مقيما بمكة .

● بل كيف يكون حال المهاجرين فى المدينة ؟ أولئك المهاجرون الذين اجتمع عليهم حَنَقُ المنافقين وكيد اليهود وتربص القرشيين ومداولاتهم السرية .
كيف يدافعون ؟

صحيح .
أن الوحى ينزل بالحق ، ويُجلِّى البيان ، ويفصل بالعدل.. لكن من ذا الذى يؤمن بالوحى ؟
إنهم المؤمنون فقط .. ليس الكافرين .. ولا المستهزئين .. وتبقى الفتنة تدوى .
ضد الدين .. والرسول .. والمسلمين ..
وليس يقضى على ذلك كله إلا أن يخرج الرسول - ﷺ - مهاجرا فى خفية تختفى معها الفتنة .
لقد كانت الهجرة خطوات محسوبة ومسئوليات معلومة كان منها رسول الله - ﷺ - على أتم بصيرة .

د . على أحمد الخطيب

طوابق المسجد والانتفاع بها

فتوى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من سكرتير المدرسة فى « باندرا » ـ مقاطعة فى بومباى بالهند ..

يقول فى صدر خطابه : نحن فى حاجة إلى فتواكم فى الموضوع التالى .. وقد اورد فى كتابه ستة بنود ملخصها ما يلى :ـ

اولاً : قام المسلمون بجمع المساهمات لبناء مسجد على جزء من الارض فى « باندرا » مقاطعة بومباى واوشك المسجد على التمام ويؤمه المصلون فى الصلوات اليومية والجمع ..

ثانيا : بالمسجد مدرسة لتعليم الأطفال « الدين والقرآن الكريم » .

ثالثا : رغبة فى الفائدة الكبرى راى امناء المسجد إنشاء مدرسة « عليا متوسطة انجليزية » فى طوابق المسجد العليا وضمن منهج الدراسة تكون مادة الدين إجبارية .

وحيث انها ستكون داخل المسجد فالطلاب والمدرسون سيكونون جميعا مسلمين .

والمطلوب إرشادكم حول ما إذا كان مناسبا فى الشريعة أن يستخدم مبنى المسجد ايضا للمدرسة ، مع انه لا يوجد فضاء بارض المسجد تقام عليها المدرسة إلى جانب ارتفاع سعر الارض جدا فى بومباى ؟

والجواب :

اولاً : ما قام به المسلمون من بناء مسجد متعدد الطوابق بالمساهمات المالية والجهود الذاتية فى « باندرا » بومباى الهند .. يعتبر عملا دينيا طيبا ، يستحق المساهمون عليه أجراً عظيما فى الدنيا ،

وثوابا كريما يجدونه يوم القيامة حاضرا ، ويرضى الله ورسوله عنه والمؤمنون ، لأن المسجد للمسلمين هو قبلة صلاتهم ، ومقر اعتكافهم ، اذن الله برفعه ومدح عمّاره ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ سورة التوبة الآية (١٨) .

ثانيا : من وظائف المسجد أنه مركز للتعليم ، ودراسة النافع من الأمور والمفيد من الأعمال ، والتعرف على السياسة الشرعية ، والآداب القرآنية والتوجيهات النبوية ، وهذا مما حمل المسلمين فى « باندرا » على تخصيص مدرسة فى المسجد لتعليم الأطفال الدين والقرآن الكريم ، وهذا خير عظيم يقدم لأبناء المسلمين . روى الخليفة الثالث عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخارى وأبو داود والترمذى .

وقد ثبت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتخذ من مسجده بالمدينة المنورة مقرا لتعليم أصحابه ، بجانب أداء الصلاة فى أوقاتها ، وقصة الثلاثة الذين دخلوا مسجد الرسول وهو فى حلقة العلم مشهورة رواها البخارى فى « صحيحه » عن أبى واقد الليثى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذهب واحد . قال : فوقفا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة : أما أحدهم فأوى فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه » .

ثالثا : المدرسة العليا المتوسطة الانجليزية المراد إنشاؤها فى طوابق المسجد العليا لأطفال المسلمين ، ويقوم بالتدريس فيها مدرسون مسلمون ، وضمن منهجهم مادة الدين لا تعارضها مقاصد الشريعة الإسلامية مادام يوجد فى بناء المسجد طوابق أعدت لذلك ، وروعى تخصيص المكان الذى بنى للمسجد أولا .. لإقامة الصلاة عليه ، حتى لا يشغل المكان المخصص للصلاة بشىء يزاحم الصلاة فى أوقاتها ، وقد أفتى الإمامان : أبو يوسف ومحمد صاحبا أبى حنيفة : « أنه يجوز أن يكون سفل المسجد أو علوه منتفعا به إذا اقتضت الضرورة كما فى البلاد التى تضيق بسكانها » .. نقل ذلك ابن نجيم الحنفى فى كتاب البحر الرائق[1] وبناء عليه يباح إنشاء المدرسة المنوه عنها بأحد طوابق المسجد الملحقة به إعمالا لقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » والضرورة تقدر بقدرها وبخاصة ما جاء فى كتاب السكرتير من ارتفاع سعر الأرض جدا فى بومباى ولا يوجد فضاء بأرض المسجد تقام عليها المدرسة ..

هذا وبالله التوفيق ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

---

(١) جزء ٣ باب الوقف فى أحكام المسجد صـ ٤٠٢ وما بعدها من كتاب « الدر المختار وحاشيته رد المحتار » لابن عابدين الحنفى .

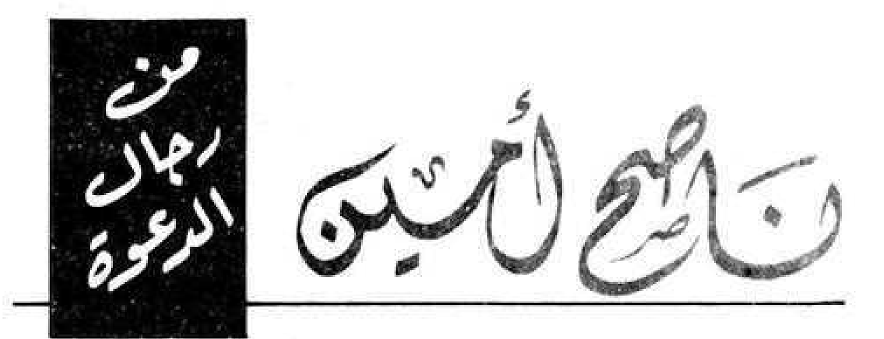

لفضيلة الشيخ
أحمد بن محمد طاحون

حدَّث قتادة عن الرجل الذى جاء من اقصى المدينة لينصر المرسلين الذين جاءوا إلى انطاكية برسالة عيسى ابن مريم عليه السلام يدعون إلى الحق وخالص الإيمان لينصرهم من قومه المشركين حين هموا بإيذائهم وقتلهم قال : كان ـ هذا الرجل ـ يعبد الله فى غار ، فلما سمع خبر المرسلين جاء يسعى فقال للمرسلين : اتطلبون على ماجئتم به اجرا ؟ قالوا : لا ما اجرنا إلا على الله ، قال ابو العالية : فاعتقد ـ الرجل ـ صدقهم ، وآمن بهم ، واقبل على قومه فـ : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (يس ٢٠) يحض قومه على اتباع الرسل الذين اتوهم بالخير واسباب الرحمة .

واسم هذا الرجل عند المفسرين وأصحاب السير « حبيب » هداه الله إلى الحق وخالص الإيمان واتبع الرسل ، وأخلص النصيحة لقومه ، وصار أنموذجا صالحا فى صدق اليقين ، ونصرة الدين ، وفى الدعوة إلى الله بالحكمة والدليل ، والرغبة فيما عند الله من الرحمة والثواب ، وقد ألح على قومه فى قبول دعوة الرسل ، والخروج من مضايق الشرك وظلامه ، إلى سعة رحمة دين الله ونوره : ﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ (يس ٢١) تكرير للتأكيد ولبيان أنهم لو كانوا متهمين لطلبوا المال ، ولسعوا إلى الدنيا من وراء إبلاغ الرسالة ، ولكنهم أخلصوا عملهم لله ، ورجوا الخير للناس ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ، أى : فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ، فلماذا لا تهتدون ، وأنتم لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم ، وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ؟ وجملة : ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ حالية

فى محل نصب فيها مايؤكد كونهم لا يسألون الأجر ، ولا مايتبعه من طلب جاه وعلو وسمعة بين الناس ، وإنما هم ثابتون على الاهتداء مخلصون فى أداء الواجب ، حريصون على طلب مرضاة الرب .

ومن لطائف المعانى ما علق به القشيرى فى تفسيره قال : فى القصة أنه جاء من قرية فسماها مدينة ، وقال : ﴿ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ ﴾ ولم يكن أقصاها وأدناها ليتفاوتا بكثير ، ولكنه - سبحانه - أجرى سنته فى استكثار القليل من فعل عبده إذا كان يرضاه ، ويستنزر الكثير من فضله إذا بذله وأعطاه . وقد أبلغ الرجل الوعظ ، وصدق النصح ، ومن ذلك تلطفه فى إرشاد قومه بإيراده فى معرض المناصحة لنفسه ، مع إخلاص النصح لهم إذ أراهم أنه اختار لهم مايختار لنفسه ، وهو خير الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس ٢٢) أى : وما يمنعنى من إخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لا شريك له ، وإليه - سبحانه - المرجع للجزاء يوم المعاد ، فيجاريكم على أعمالكم ، إن خيرا فخير وإن شراً فشر .

وتأمل ماتضمنته الآية الكريمة من الأسباب الموجبة لتوحيد الله عز وجل ولإخلاص العبادة له وحده فهو سبحانه الخالق ، فكيف يُجحد فضله ؟ وكيف يعبد معه غيره ؟ ثم إن المرجع إليه ، وهو سبحانه الذى سيحيينا للحساب والجزاء ، والمصير إما إلى جنة وإما إلى نار ، ولو تفكر كل واحد تفكرا صحيحا لما بقى على وجه الأرض ملحد ولا مشرك ، وقد ضرب الرجل المؤمن المثل بنفسه : ﴿ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ليدعو غيره إلى التأمل والتدبر ، وكأنه قال : ومالكم لا تعبدون الذى فطركم ؟ ولذا قال : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ للمبالغة فى تهديدهم بتخويفهم بالرجوع إلى الله يوم تكشف الخبايا ، ويعذب أهل الإنكار والشرك ، وفى الآية الكريمة مع التهديد تقريع لهم على تركهم عبادة خالقهم وانصرافهم إلى عبادة غيره .

ثم عاد إلى المساق الأول فى التلطف فى إرشاد قومه مقدما الدليل على بطلان الشرك فى صيغة استفهام للإنكار والنفى فقال : ﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ (يس ٢٣) . ﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾ أى : لا يكون ذلك أبدا ، وفيه نفى لاتخاذ جنس الآلهة من دون الله على الإطلاق ، وفيه من تحميق وتجهيل من يعبد غير الله مافيه .

وقوله تعالى : ﴿ إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ استئناف سيق لتعليل النفى المذكور ، أى : إن هذه الآلهة التى تعبد من دون الله لاتملك من الأمر شيئا ، فإن الله لو أراد عبده بسوء : ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾[1] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ، ولو شفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ، ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده - سبحانه - لدفع الضر عنكم : ﴿ وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ أى : ولا تقدر الأصنام على إنقاذ عابديها منه بوجه من الوجوه ، ولا تخليصهم مما هم فيه .

﴿ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس ٢٤) أى : إن اتخذتها آلهة من دون الله عز وجل ، وكيف يرضى ذو عقل وفهم أن يشرك من لا يخلق بمن يخلق ، وهو سبحانه القادر على كل شىء ،

(١) يونس : ١٠٧ .

﴿ ناصح أمين من رجال الدعوة

وليس من شأن من لايخلق النفع والضر بل هو مخلوق عاجز ، وليس لمخلوق أدنى شركة مع الخالق سبحانه وتعالى ؟ إن من فعل ذلك فقد وقع فى خطأ واضح ، وغلط ظاهر ، إذ العقل السليم يرفض تعدد الآلهة ، والفكر المستقيم يأبى الجحود والإنكار ، ويأبى عبادة ما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وقد قامت البراهين على وجود الخالق وكمال حكمته ، وسطعت الأدلة على كمال قدرته ، وتفرده بالإلهية .

لقد دعا هذا الرجل المؤمن قومه إلى التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة ، مقدما الدليل من نفسه ومما يحيط به ، داعيا غيره إلى إجالة الفكر وإنعام النظر فى آيات الله ودلائل عظمته وكمال سلطانه ، مع بيان أنه سبحانه فى رحمته بعباده لا يحتاج إلى وسطاء بينه وبينهم ، وهذا الأسلوب الهادىء الحكيم فى الدعوة إلى الحق وإنارة السبيل أمام العقل والقلب جاء فى حوار إبراهيم الخليل عليه السلام مع قومه[2] حين قال لهم : ﴿ مَاتَعْبُدُونَ ﴾ طرح عليهم السؤال ليلفتهم ويشركهم فى التفكير فأجابوا : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ فألقى عليهم السؤال الذى يلجمهم ولا يجدون له جوابا ، وفيه تحميق لهم وتجهيل : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ أى : فكيف يعبد من لا يسمع دعاء من دعاه ؟ ولا يجلب نفعا ، ولا يدفع ضرا ؟ إنه سؤال موجه للقلب والعقل معا ؟

ولما كان السؤال فيه جوابه أى : إنهم لايسمعوننا إذ ندعوها ، ولا ينفعوننا ولا يضروننا تحير لذلك المشركون ، فأجابوا إبراهيم عليه السلام بجواب المقلدين لمن سبقوهم دون إعمال فكر : ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ومتى كان التقدم فى الزمن والأولية برهانا على الصحة ؟ إن الباطل لاينقلب حقا بالقدم ، وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له ، كما جاء بيانه فى قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [3] ولأن المغرى على عبادة الأصنام هو الشيطان وهو أعدى أعداء الإنسان .

لهذا قال إبراهيم معرضا وناصحا : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ وإنما قال : « عدو لى » تصويرا للمسألة فى نفسه ، على معنى : إنى فكرت فى أمرى ، فرأيت عبادتى للأصنام عبادة للعدو فاجتنبتها ، وآثرت عبادة من الخير كله منه - سبحانه - وأراهم إبراهيم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا ، وبنى عليها تدبير أمره ، لينظروا فيقولوا : مانصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ، وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ، ليكون ذلك النمط من أسلوب الدعوة إلى الله أدعى لهم إلى القبول ، وأبعث على الاستماع منه ، ولو قال : فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ، ولأنه دخل فى باب من التعريض ، وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح ، لأنه يتأمل فيه ، ويشارك المتحدث فى تفكيره ، وربما قاده التأمل والتفكر إلى التقبل .

البقية ص ١٧٣

(٢) الآيات : ٧٠ : ٨٢ من الشعراء .
(٣) مريم : ٨٢ .

روح الصف في المعركة

للــواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

شكل المعركة الحديثة :

● كانت الجيوش قديما تقاتل فى شكل كتل بشرية وصفوف متراصة كتفا لكتف ، لكن هذا الشكل أصبح غير ذى موضوع بعد ظهور الأسلحة التى تحصد الصفوف حصداً ابتداء من الرشاشات إلى أسلحة التدمير الشامل كالقنابل النووية . من أجل ذلك أصبح « انتشار » القوات والجنود على مسافات واسعة أمرا حتميا تجنبا للفناء .

● لكن الواقع التاريخى يؤكد انه إذا كان التغيير والتطوير مطلوبا تمشيا مع روح كل عصر وما يصاحبه من تقدم علمى وتقنى ، فإن هذا التغيير والتطوير ينصب على « الأشكال والأساليب والوسائل » ، وتبقى « روح المبادىء والأسس وفلسفتها » سليمة لا تتغير ، وبمعنى آخر : إذا كان « شكل » الصف فى المعركة الحديثة قد انتهى أمره ، فإن « روح » الصف مازالت باقية ، بل لقد أصبحت ضرورة حتمية للنصر .

● ويشير إلى هذا المعنى قول الجنرال « أندريه بوفر » (فى كتابه مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية) وهو يصف المعركة البرية بأنها مجابهة عنيفة بين جدارين بشريين مشكلين من المقاتلين ، ويوضح فلسفة هذا التشكيل الجدارى : « ويأتى هذا التشكيل الجدارى من رغبة كل مقاتل فى أن يحمى ظهره وجنبيه بالأصدقاء ، فإذا ما حمى كل مقاتل زميله واحتمى به ، تشكل من المجموع صفوف (انساق) متراصة يزداد تراصها وتعاقبها أو يقل حسب القواعد التكتيكية لكل عصر » .

● وتتمثل روح الصف فى المعركة الحديثة بمحتوياتها المعنوية والمادية فيما تعارف عليه العسكريون من مسميات مثل : معركة الأسلحة

روح الصف في المعركة

المشتركة - تنظيم التعاون - تنسيق النيران - حماية الأجناب والمؤخرة .. الخ .

روح الصف في الإسلام :

● ويقرر الإسلام أن من أهم العوامل لتحقيق النصر ، تعاون المقاتلين وتضافر جهودهم في مواجهة العدو وهو بعض ما يفهم من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[1] وقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه »[2] .

● ويذكر المفسرون أن معنى الآية الكريمة أن الله تعالى يحب الذين يقاتلون في سبيله متساندين مترابطين كأنهم بنيان مرصوص ، لايجد العدو بينهم ثغرة ينفذ منها[3] ، وأصل لفظ مرصوص : المتماسك بعضه ببعض ، بالرصاص ، والمراد انه متقن ومحكم كأنه قطعة واحدة[4] . وهكذا يقرر الإسلام انه يجب ان يكون بين المجاهدين المقاتلين ، تلاحم تام ، وتعاون وثيق ، لتحقيق الأهداف التي يقاتلون من اجلها .

● ولعل أبلغ ما يدل على ما لروح الصف من تقدير عظيم في الإسلام أنها الحقت بالعبادات حتى تتغلغل في كيان المسلم ، ففي الصلاة يتعلم المسلمون ، تسوية الصفوف ، حيث جعلت من تمام الصلاة ، فعن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سووا صفوفكم ، فإن تسوية الصف من إقامة الصلاة »[5] .

وفي غزوة « بدر » نظم الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - الجيش في صفوف وحرص على أن يمر بنفسه على الصفوف ليتأكد من انتظامها ، فلما وجد رجلا اسمه سواد خارجا عن الصف أصلح من وضعه في الحال وقال :« استو ياسواد » .

قوة الصف الإسلامي :

● والمتأمل في كلمة « صفا » ، وتشبيه المقاتلين « بالبنيان » كما جاء في الآية الكريمة وفي الحديث الشريف ، يستطيع أن يستخلص أن المجاهدين قادة وجندا ، « مسئولون » عن تنفيذ هذا التوجيه الإسلامي ، وعن العمل بما ينطوي عليه من مبادىء تحقق للصف الإسلامي كل القوة والمنعة والتي نذكر منها ما يلي :

اولا : وحدة العقيدة ووحدة الهدف :

● إن حجر الأساس في بناء الصف الإسلامي هو أن المجاهدين تجمع بينهم « عقيدة قتالية واحدة » هي الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله ، قال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ

---

(١) الآية الكريمة ٤ من سورة الصف .
(٢) الحديث رواه البخاري والترمذي .
(٣) الشيخ عبد الجليل عيسى : تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم ص ٧٣٨ .
(٤) « المعجم الوسيط » لمجمع اللغة العربية ٣٤٨/١
(٥) الحديث : رواه الشيخان .

مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . . . ﴾(٦) .

● وإذا كان علماء النفس والاجتماع يجمعون على أن من أهم أسباب تماسك الجماعة هو « أن تكون الاتجاهات الفكرية لأفرادها موحدة وتتركز فى مبادىء وعقائد عامة يعتنقونها جميعا » ، فإن الإسلام يتجاوز هذه الأفكار إلى مبادىء تتميز بالأصالة والإحكام :

(١) « فالتوحيد » هو مبدأ الإسلام وجوهره ، أى توحيد الله ـ عز وجل ـ وإخلاص العبادة له ، فهو وحده الخالق المدبر ، وهذه العقيدة تتغلغل فى كيان المؤمن ، وتستقر فى قلبه ، فيتجرد لها تجردا كاملا ، وتكون ملء سمعه وبصره ، فى كل لحظة من لحظاته ، يعيش بها ، ويموت فى سبيلها ... وهذا هو الأساس الأصيل لوحدة الجماعة الإسلامية وقوتها ، فرباط الإيمان والعقيدة بين الناس هو « أقوى الروابط » وهو أقوى وأثبت من تلك الروابط التى يتحدث عنها علماء الاجتماع كاللغة والجنس والأهداف وغيرها ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٧) .

(٢) « والجهاد فى سبيل الله » هو التكليف الملزم « بحشد » كل الطاقات نحو غاية سامية هى إعلاء كلمة الله ، وتتميز عقيدة الجهاد « بوضوح الهدف » فإن الغرض من الجهاد ليس عدوانا على أحد أو اغتصابا لحق أو حظا من حظوظ الدنيا ، وإنما هو إعلاء كلمة الله ، وكلمة الله هى الحق وهى العدالة وهى الرحمة وهى الأخوة وهى السلام العام للفرد فى نفسه ودمه وماله وعرضه ، وللأمة فى كرامتها وعزتها وكل مقدساتها ، وللناس جميعا .

ثانيا : استمرار الصف وعدم التخلف عنه :

● كان المسلمون الأوائل يتسابقون إلى الجهاد ولا يعتذرون عنه أو يستأذنون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التخلف عنه كما يقول الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾(٨) .. أما المنافقون الذين لا إيمان لهم فكانوا ينتحلون المعاذير فرارا من الجهاد ويستأذنون فى النكوص عنه ، ويلجئون إلى الاستنامة عنه والفتور كما يقول الله فيهم : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾(٩) .

● وقد ربط الله تعالى الإيمان بالجهاد فى صورة محكمة متماسكة بحيث « يزول » الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه ، وفى ذلك يقول الله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(١٠) ويقول جل شأنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

---

(٦) الآية الكريمة ٧٨ من سورة الحج .
(٧) الآية الكريمة ١٥٣ من سورة الأنعام .
(٨) الآية الكريمة ٤٤ من سورة التوبة .
(٩) الآية الكريمة ٤٥ من سورة التوبة .
(١٠) الآيتان الكريمتان ١٥ ، ١٦ من سورة الأنفال .

روح الصف فى المعركة

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(11) ومما يذكر انه حينما نزلت هذه الآية قال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : « ربح البيع ، لا نقيل ولا نستقيل » اى اننا ملتزمون بهذا البيع والعهد ولا نفسخه ابدا ولا نطلب أن نُعفى من هذا التكليف(12) .

● وحتى يستمر الصف الإسلامى قائما مهما اشتدت وطأة القتال وعنفه يوجه الإسلام إلى ما يلى :

(١) الثبات والصبر :

● فالثبات والصبر وقوة الاحتمال هى عناصر القوة فى الجهاد ، وسبيل النصر على الأعداء ، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .(13)

ويقول جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(14) .

● ويلتقى مع توجيه القرآن فى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

— « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً »(15) .

— « إنما الصبر عند الصدمة »(16) .

(٢) توقع الشدائد وتقدير المشقة :

● ولا شك فى أن توقع الشدائد يسهل احتمالها ، وإذا نزلت بالمجاهدين « لم تكن مفاجئة لهم » ، من اجل ذلك يحث الإسلام المجاهد على أن يقدر المشقة قبل أن يقدر الانتصار ، وأن يعرف أنه يذوق البلاء قبل أن يذوق نعمة الانتصار ، فقد قال سبحانه وتعالى للمجاهدين :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(17) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ . وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا

---

(١١) الآية الكريمة ١١١ من سورة التوبة .

(١٢) اقال البيع أو العهد : فسخه ، واستقاله البيع : طلب إليه ان يفسخه .

(١٣) الآيتان الكريمتان ٤٥ ، ٤٦ من سورة الأنفال .

(١٤) الآية الكريمة ٢٠٠ من سورة آل عمران .

(١٥) الحديث : رواه أصحاب السنن .

(١٦) الحديث رواه البخارى .

(١٧) الآية الكريمه ١٨٦ من سورة آل عمران .

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .[18] ـ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[19] .

وفى هذه الآية يربى سبحانه وتعالى روح الصبر فى المجاهدين بحملهم على توقع الأذى والبلاء كما وقع لغيرهم من المؤمنين .

(٣) لا فرار من المعركة :

● وينهى الإسلام عن الفرار أمام العدو ، وعدَّه من الكبائر كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[20] ، وكما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خمس من الكبائر لا كفارة لهن ، وذكر فيها التولى يوم الزحف » . وقوله أيضا : « إن من أعظم الموبقات الشرك بالله وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات »[21] .

(٤) المناورة بالقوات والوسائل :

● وحدد الإسلام حالة التراجع المسموح بها فى المعركة إذا وجدت القيادة أنها ضرورة استراتيجية أو تكتيكية للتغلب على العدو كما يلى :

الحالة الأولى : انتقال القوات إلى « موضع آخر » أفضل وأنسب لقتال العدو ، وهو ما يفهم من عبارة (إلا متحرفا لقتال) .

الحالة الثانية انتقال القوات لكى « تنضم » إلى قوات أخرى تُقَوِّيها أو تتقوى بها ، أو لتوفير ظروف أفضل وأنسب لقتال العدو ، وهذا مايفهم من عبارة (أو متحيزاً إلى فئة) .

● وكلتا الحالتين يعرفها العسكريون « بالمناورة بالقوات والوسائل » ، ويعتبرونها من أعمال القتال التى تقتضيها « إدارة المعركة » لتحقيق النصر ، وتكون المناورة بالقوات « مناورة استراتيجية » إذا تمت على مستوى عال وبقوات كبيرة وعلى مسافات أو مساحات كبيرة ، وتكون « مناورة تكتيكية » إذا تمت على نطاق محلى ومحدود من حيث القوة والمسافة .. الخ ، والمناورة الناجحة بالقوات تدل على « براعة القائد » فى إدارة المعركة .

ثالثا : إنكار الذات وروح الفريق :

● لقد ورد ذكر « البنيان » فى الآية الكريمة من سورة الصف ، وفى حديث : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وتشبيه المقاتلين به ، ولما كان البنيان لا يقوم إلا على أساس التكامل والتناسق والترابط بين عناصره ومواده المختلفة ، فإنه يجب أن يؤدى كل فرد دوره متعاونا مع زميله ، وليس لأحد أن يدعى لنفسه الفضل وحده فى تحقيق النصر على العدو .

● ويمتد هذا المفهوم صعودا من مستوى

---

(١٨) الآيات الكريمة ١٥٣ ـ ١٥٧ من سورة البقرة .
(١٩) الآية الكريمة ٢١٤ من سورة البقرة .
(٢٠) الآية الكريمة ١٥ من سورة الأنفال .
(٢١) الحديث رواه الشيخان .

روح الصــف فــى المعـركة

الأفراد فى أصغر وحدة إلى أعلى مستوى فى القوات المسلحة حيث تتعاون أسلحتها البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوى فى المعركة التى تعرف « بمعركة الأسلحة المشتركة » التى لا يتحقق النصر على العدو بدونها .

● والواقع أن منهج الإسلام فى تربية المسلمين على خُلق إنكار الذات والعمل بروح الفريق يذهب ما فى الصدور من حب الذات والأنانية والأثرة ، وينمى فى وجدان المسلم أقوى الدوافع إلى أن « يبتغى وجه الله وحده » فى كل أعماله . فالعمل الصالح حقا هو ما أداه صاحبه ابتغاء وجه الله : ولقد جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : « يارسول الله أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ، ما له ؟ فأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم : لا شىء له ، فأعاده الرجل ثلاث مرات ، فقال الرسول : لا شىء له ، إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، وابتغى به وجهه »[٢٢] وكذلك جاء رجل إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله إنى أقف الموقف أريد وجه الله ، وأريد أن يُرى موطنى ، فانتظر عليه الصلاة والسلام فى الرد ، حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ ... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٢٣] .

ولقد ورد ذكر المقاتل الذى يقاتل لكى يقال عنه « فلان جرىء » من بين الثلاثة الذين قال عنهم الرسول القائد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى هريرة رضى الله عنه : « أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة »[٢٤] .

رابعا : تطهير الجيش من دعاة التخذيل :

● ومن أخطر ما يتعرض له الصف الإسلامى أن يندس فيه دعاة التخذيل وتثبيط العزائم . ومن الأمثلة التى أوردها القرآن فى هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين ـ عندما أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالإعداد لغزوة « تبوك » ـ أن يتخلفوا عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا ينفروا فى لظى الشمس ووهج الحر ، فجاءت الآية الشريفة « تحذر من اتباعهم » وتنبئهم أن جهنم أشد حرا ، وتطلب من الرسول ـ صلى الله وسلم ـ « ألا يستعين بهم » فى غزوة أخرى ، قال تعالى :
﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾[٢٥] .

فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تثبيط العزائم ، ولا يحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب ، بل يقرر أيضا « ضرورة تطهير الجيش » من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه .

---

(٢٢) الحديث رواه النسائى والطبرانى .
(٢٣) الآية الكريمة ١١٠ من سورة الكهف .
(٢٤) الحديث رواه الترمذى والحاكم .
(٢٥) الآيات الكريمة ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ من سورة التوبة .

ومشكلتها بين الهند وباكستان

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

تعتبر شبه القارة الهندية التى تضم دولتى الهند وباكستان من الأمم ذات الحضارة القديمة بحيث تزامل فى حضارتها حضارات مصر الفرعونية وبابل وآشور واليونان وسكانها يختلفون فى الوان بشرتهم ما بين اللون الأسود الغالب فى الجنوب وبين اللون القمحى فى الوسط ، حتى إذا وصلنا إلى نهاية الشمال فى كشمير وجدنا السكان يمتازون ببياض البشرة .

كان المسلمون ارقى امة فى الشرق بل فى العالم المتمدين ، إذ كانوا يحملون دينا جديداً متميزا بعقيدته وعلومه . وقد توسعت حضارته ورقّت حواشيها وكان علماء الإسلام يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة النبوية ، والتوبة عن المعاصى ويحذرون من الفحشاء والمنكر والبغى والأخلاق السيئة والظلم والقسوة ويرغبونهم فى التحلى بالأخلاق الحسنة وتزكية النفس وإصلاحها وحب الله والناس .

ونتج عن هذه التعاليم السامية أن كسدت سوق المنكرات من الخمر والميسر والفسق والفجور والفحشاء ، واصبحت الكبائر تشبه الكفر فى أعين الناس ، واستحيوا من التعامل بالربا وندرت فى السوق حوادث الكذب والتطفيف والغش[1] .

---

(١) مقتبس من كلام العلامة ابو الحسن على الندوى والقاضى ضياء الدين اليمنى الوارد فى موسوعة التاريخ الإسلامية والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ صفحة ٢١٠ ، ٣١٦ تأليف الدكتور أحمد شلبى الطبعة الأولى .

ومشكلتها بين الهند وباكستان

الاستعمار الاوروبى يتطلع إلى ثراء الهند :

ومنذ قديم وأوروبا تتطلع إلى ثراء الهند لاعتقادها الراسخ أن شبه القارة الهندية حافلة بالغنى وبالمواد الخام التى يمكن أن تكون أساسا لثراء الشعوب الأوروبية ، وعندما اكتشف فاسكو دى جاما طريق رأس الرجاء الصالح الذى ربط أوروبا بالهند دون حاجة للبحر المتوسط والبحر الأحمر سنة ١٤٩٩ م ، كان ذلك مؤشرا لزحف أوروبا تجاه الهند وقد بدأ ذلك الزحف بالبرتغال التى كانت بحريتها أسبق لهذه المناطق خصوصا بعد أن سيطرت على شرق إفريقيا وعلى عمان ليكون الطريق إلى الهند تحت سلطانها ، كما انشأوا قواعد لهم فى هرمز وسقطرة وجوا ثم امتد الطريق بعد ذلك إلى ملقا[٢] .

وقد انضم للبرتغاليين بعض جماعات الهندوس بسبب كراهيتهم للمسلمين ، وليتخذوا منهم وسيلة وبطانة لإضعاف السلطة الإسلامية بالبلاد ، إذ كانت دولة المغول هى آخر الدول الإسلامية التى حكمت الهند بوصفها أمة واحدة وظلت البرتغال سيدة الموقف فى المنطقة حوالى قرن من الزمان ولم يضعف كيانها إلا وقوع البرتغال تحت سلطة الأسبان سنة ١٥٨٠ م مما اتاح لدول أوروبية أخرى أن تزحف للمنطقة وتكون بها مستعمرات متنافسة وهذه الدول هى هولندا وفرنسا وانجلترا ولكن النشاط الواسع فى الهند تُرِكَ لانجلترا التى توغلت فى المناطق الهندية المختلفة مبتدئة استعمارها بإنشاء شركة الهند الشرقية التى باشرت نشاطها التجارى فى حماية الانجليز منذ سنة ١٦٠٠م بعد أن حصلت على إذن من ملكة انجلترا اليزابيث الأولى بمباشرة التجارة مع شبه القارة الهندية فأقاموا مستعمرات لهم فى (سورات) و(بمباى) ثم بعد مدة فى (مدراس) و (كلكتا)[٣] .

انفراد انجلترا باستعمار الهند :

وفى سنة ١٦١٦ م قَدِمَ (توماس رو) إلى بلاط امبراطور الهند المسلم جهانكير ممثلا لبريطانيا وحصل على امتيازات كثيرة للشركة الإنجليزية ، ولم يكن لدى حكام الهند المغول المانع من إعطاء هذه التسهيلات ؛ لأنهم فى غفلتهم اعتقدوا أن تلك الشركة لم تكن ذات بال ، وكانوا يعدونها ممثلة لجزر صغيرة فقيرة ، بيد أن هذه الشركة الإنجليزية استطاعت بمرور الزمن أن تحصل على قطع من الأراضى الصغيرة لتبنى عليها مراكزها التجارية ، وبعض المصانع الإنتاجية وسرعان ما أصبحت هذه المناطق حصونا وقلاعا وامتدت على طول شبه القارة الهندية .

ونظراً لضعف الإمبراطورية المغولية الحاكمة فى الهند اشتد التنافس بين حكام الأقاليم الهندية فهيأ ذلك فرصة لتدخل الشركة الإنجليزية فى الشئون الداخلية للبلاد تدخلا أسفر شيئا فشيئا عن « سلطة » ، وكثيرا ما كانت تلك الشركة تأخذ إذنا من الامبراطور بإدارة بعض المناطق باسمه

---

(٢) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند تاليف الدكتور عبدالمنعم النمر صفحة ٤٢٣ ـ ٤٢٦ الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ بيروت لبنان .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ المرجع السابق صفحة ٣٢١ .

وتتعهد بالإبقاء على النظم القائمة ، ثم تبدأ فى تنفيذ حركة واسعة فى المنطقة باسم الملك فتعزل وتولى .

ومن ياترى هؤلاء الذين تعزلهم ؟

لقد كانت تعزل المسلمين وتولى الهندوس أو الانجليز بدلا منهم ، ثم خطت الشركة المشار إليها خطوة كبيرة حينما أرغمت الإمبراطور المغولى (شاه علم) على التنازل للشركة عن إيرادات (البنغال) و(بيهار) واستمرت تخطو فى هذا المجال للاستيلاء على مناطق أخرى .

وزاد من سيطرة الحكومة الإنجليزية على البلاد أن جعلت الشركة الإنجليزية خاضعة لها وارسلت من جانبها حاكما يمثل الحكومة الإنجليزية فى شبه القارة الهندية ثم أعلنت تبعيتها للتاج البريطانى سنة ١٨٥٨ م وبذلك جثم الاستعمار الإنجليزى على بلاد الهند جميعها .

الانجليز يضطهدون المسلمين دون ما عداهم من سكان الهند :

الأديان المشهورة فى شبه القارة الهندية والتى يعتنقها السكان هى الهندوسية والسيخية والنصرانية والإسلام ، وما دام المسلمون هناك ينتمون إلى الإسلام ، هذا الدين الذى تحركت أوروبا كلها لمصارعته خلال الحروب الصليبية وكان لانجلترا وملوكها دورهم الكبير فى هذا الصراع ، فإن الروح الصليبية كانت متأججة فى نفوس ذراريهم ، وكانوا لذلك ينتهزون الفرص كلما حانت ليشفوا ما بهم من غيظ وحنق وكان دخول الانجليز الهند فرصة للإيقاع بمسلمى الهند فذلك امتداد لما يتطلعون إليه من محاولات للصراع ضد الإسلام[٤] .

كان الحكم للمسلمين فى الهند طيلة ثمانية قرون تقريباً ، ورأى الإنجليز أن استقرار الأحوال لهم إنما يأتى بالقضاء ويستلزم استقرار الأحوال للإنجليز بالهند على بقايا الحكام المسلمين السابقين ، وأن يستعينوا بالهندوس الذين كان الحكم قد أفلت من أيديهم بغلبة المسلمين عليهم فأخذوا يذكون نار الخلافات بينهم ، تلك الخلافات التى طحنت الهند طحنا[٥] .

وحتى يستطيع الإنجليز السيطرة الدائمة على البلاد هناك ، قسموها إلى مئات الولايات ووضعوا واليا لكل ولاية ، وأثاروا الخلافات والصراعات بين كل ولاية وأخرى تبعا للخطة الاستعمارية التى اتقنوها فى حقل الاستعمار ، أعنى : (فرق تسد) فكان من أعمالهم أن يعينوا للولاية التى يكثر بها المسلمون واليا هندوسيا وللولاية التى يغلب فيها الهندوس واليا مسلما .

ثم إن الإنجليز الغوا القوانين التى سبق أن وضعها المسلمون ، ووضعوا قوانين جديدة لحكم البلاد وعينوا قضاة للحكم بهذه القوانين من الإنجليز أو من الهندوس ، واستولوا على أموال الأوقاف الإسلامية التى كان ينفق منها على التعليم ومراكز العبادة ، ونتيجة لذلك اغلقت المدارس الإسلامية واستبد الإنجليز بإقامة مدارس أخرى ولكنها عنيت عناية كاملة بإبعاد الطلاب عن الإسلام وأحيانا بجذبهم إلى النصرانية ، كما استبعد المسلمون كذلك من

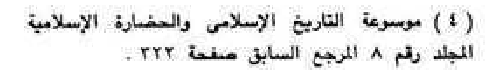

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ المرجع السابق صفحة ٣٢٢ .

(٥) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند المرجع السابق صفحة ٤٦٦ .

ومشكلتها بين الهند وباكستان

قوات الأمن ، ومن إدارة الجيش وجهاز الإدارة ومن المناصب الكبرى وطبيعى أن تفتح الأبواب للهندوس فى تلك الإدارات المختلفة(٦) .

كاتب إنجليزى يصف اضطهاد دولته للمسلمين فى الهند :

لقد صور السير وليم هانتر وهو كاتب انجليزى سياسة الاضطهاد التى قام بها الإنجليز ضد المسلمين بقوله : (إنه لن يجدينا نفعا ان نصم آذاننا عن هذه الحقيقة الماثلة من أن المسلمين الهنود قد ارتكبنا ضدهم أموراً خطيرة لم ترتكبها حكومة من الحكومات ، إنهم يستطيعون مقاضاتنا عن هذه الأمور :

١ ـ يقاضوننا عن إغلاق كل حياة كريمة فى وجوههم .

٢ ـ ويقاضوننا عن نظام التعليم الذى دفعهم إلى الجهل .

٣ ـ وعن نظام الاقتصاد الذى حكم عليهم بالفقر .

٤ ـ لقد عاش ملايين المسلمين فى الهند بعد سقوط دولة المغول فى تعاسة وشقاء بعد أن فقدوا عزتهم وأملاكهم وقوتهم(٧) .

تقسيم شبه القارة الهندية وقيام دولة الباكستان :

أثمرت سياسة الحكم الإنجليزى لشبه القارة الهندية ثمرتها باضطهاد المسلمين ، فقام المسلمون هناك بإنشاء حزب الرابطة الإسلامية للعمل على حفظ حقوق المسلمين ، وطالبوا بثلث عدد المقاعد لممثليهم فى المجلس النيابى بالهند ، كما طالبوا بضمانات أخرى سنة ١٩٢٤ م تحفظ للمسلمين حقوقهم ، وكان هذا الاتجاه نتيجة للفظائع والمجازر التى أشعلها الهندوس ضد المسلمين فذهب ضحيتها آلاف المسلمين .

ولما ألفت الحكومة البريطانية لجنة سيتمون سنة ١٩٢٧ م لدراسة مشكلات الهند أصر نهرو ممثل حزب المؤتمر وهو هندوسى على وحدة تامة تقوم بالهند ، وأن تكون السلطة للأغلبية الهندوسية ورفض إعطاء أية ضمانات للمسلمين هناك .

وفى سنة ١٩٣٢ م قام مسلمو كشمير بنضال باسل ضد المظالم التى كان يلحقها بهم حاكم الولاية غير المسلم ، ولما أجريت الانتخابات بالهند سنة ١٩٢٧ بعد أن أصدر البرلمان البريطانى قانون حكومة الهند ، نال حزب المؤتمر الهندوسى أغلبية كبيرة ، وألف حكومات فى كافة الولايات لم تشترك فيها الرابطة الإسلامية ؛ فباشرت تلك الحكومات وسائل مختلفة لتضييق الخناق اقتصاديا على المسلمين والعمل على محو تراثهم الثقافى ، وقد دفع هذا الاتجاه المسلمين إلى التمسك بتقسيم الهند وقيام دولة الباكستان ، ولما عقدت الرابطة الإسلامية دورتها السنوية

---

(٦) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ صفحة ٣٢٣ المرجع السابق .

(٧) من كلام Sin William Hunter : Indian Muslimans المذكور فى موسوعة التاريخ الإسلامى صفحة ٣٢٣ المرجع السابق وفى كتاب تاريخ الإسلام فى الهند المرجع السابق .

بلاهور سنة ١٩٤٠ اتخذت القرار الذى عرف بقرار باكستان وتضمن وجوب تقسيم شبه القارة ، وتأسيس دولة إسلامية مستقلة ذات سيادة ، وفى سنة ١٩٤٥ وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، واتجاه انجلترا إلى الحد من نشاطها الاستعمارى كان لابد لها من الجلاء عن أرض الهند خصوصا بعد استطلاعها للاتجاهات السياسية هناك ، فتأكد لها ضرورة تقسيمها لذلك أعلنت قرارها بالجلاء عن شبه القارة نهائيا قبل يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ وتقسيمها إلى دولتين هما : الهند وباكستان .

ولما وضعت قواعد التقسيم كان من أهم شروطه : أن الولايات لها الحق فى الانضمام إلى الهند أو باكستان حسب رغبة شعبها وأغلبية الهندوس أو المسلمين بها وموقعها الجغرافى ، لكنها سلفا كانت قد أعدت الإسفين القاتل الذى أشرنا إليه حيث ولَّت على الأغلبية المسلمة حاكما هندوسيا والعكس صحيح . كذلك كان للولاية أن تبقى مستقلة إذا أرادت ، وعند التطبيق برزت أطماع الهند بشكل سافر فلم تطبق قواعد التقسيم بالأمانة الواجبة :

ففى ولاية حيدر أباد التى تقع فى هضبة الدكن فى وسط النصف الجنوبى من شبه القارة الهندية والتى بلغ سكانها زمن التقسيم (١٧) مليونا منهم مليونان من المسلمين ، كان حاكمها المسلم الأمير عثمان على خالد المعروف باسم (نظام حيدر أباد) وهو من أغنى أغنياء العالم قد اختار أن تبقى بلاده مستقلة ، لكن حكومة الهند انتهزت فرصة وفاة محمد على جناح زعيم الباكستان القوى فجأة وانشغال الناس بإجراءات تشييع جنازته ودفنه والحداد عليه فاقتحمت بجيوشها (ولاية حيدر أباد) وسحقت قوات تلك الولاية وضمتها إليها بالقوة العسكرية ، كما نهبت ثروة زعيم الولاية المسلم وحاكمها ونقلتها إليها فى خمسة قطارات أثقلها ما حملته فيها من الذهب والفضة التى وجدت بقصوره وفى أقبية خاصة ومعها صناديق حافلة باللؤلؤ والجواهر[٨] .

وفى ولاية كشمير تكرر أسلوب حكومة الهند وتتنذ مرة أخرى برغم أن هذه المقاطعة ملتصقة بأرض باكستان وتقع على قمة جبال الهملايا وتنحدر منها المياه التى تغذى أنهار البنجاب والسند وسكانها يبلغون حاليا (١١) مليون نسمة يمثل المسلمون منهم أغلبية تبلغ أكثر من ٧٥ ٪ وكان المسلمون فى كشمير قد اتجهوا بكل قواهم إلى الانضمام إلى دولة باكستان[٩] فيتخلصوا من عسف الوالى الهندوسى الذى استبد بهم طيلة قرن كامل تعرضوا خلاله لتهديدات وفرضت عليهم القيود القاسية بسبب عقيدتهم الإسلامية ، مما دفعهم مرات كثيرة إلى الانتفاضة ضد الحاكم الهندوسى كان آخرها فى سنة ١٩٣٠ بسبب المظالم التى كان يلحقها بهم .

ولما كان الوالى الهندوسى لا يريد الانضمام بولايته للباكستان ، لذلك أخذ يستقطب جماعات من الهندوس والسيخ من ولاية البنجاب الهندية المجاورة ويسكنهم فى كشمير ليتقوى بهم ضد المسلمين ، وإزاء ذلك التصرف بدأ المسلمون يتذمرون من الوالى وحدث صراع دام بين ذلك الوالى ومساعديه وبين المسلمين فى أعقابه فر

---

(٨) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ المرجع السابق صفحة ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٩) جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٤١١ هـ ـ الموافق ١٤ ابريل سنة ١٩٩١ عن مقال بعنوان المسلمون فى كشمير .

ومشكلتها بين الهند وباكستان

الوالى من كشمير ثم أعلن أنه يريد الانضمام إلى الهند ، وعندئذ اندفعت هذه بقواتها تجاه كشمير مما اضطرت معه باكستان أن تزحف هى الأخرى لمساعدة المسلمين وحمايتهم وتحقيق آمالهم وهم أغلبية فى الانضمام إليها[10] .

لكن كانت الهند قد احتلت الجزء الأكبر من كشمير ويقدرونه بثلثى مساحتها ، واحتلت باكستان الجزء الباقى ويقدرونه بثلث مساحة تلك الولاية ثم نشب قتال بين الهند وباكستان نجحت هيئة الأمم فى وقفه كعادتها فى إيقاف الأمور حيث تحلو للاستعمار ، ولما أعلنت الهند سنة ١٩٥٦ أن ما استولت عليه من أراضى كشمير يعتبر أرضا هندية رفضت باكستان ذلك الإعلان ، وتجدد الصراع العسكرى بينهما فتدخلت بشأنه الأمم المتحدة لا لتحسم الأمر بل لتبقيه على حاله حتى لا يفيق المسلمون من هذا الوضع ويتجهوا إلى عمل أفضل لمستقبلهم(*) .

صورة مما يعانيه المسلمون فى كشمير :

إن المسلمين سكان وشعب كشمير يعانون الكثير من الجهاز الحاكم الهندوسى ومن جيوش الهند التى تحتل أرضهم وبلادهم وقليل من أخبار هذه المعاناة هو الذى يخرج من هناك ، وذلك للتعتيم الإعلامى المفروض على تلك البلاد فالرأى العام فى بلاد الإسلام لا يكاد يعلم شيئا عن نشاط أولئك الهندوس ضد الإسلام والمسلمين بسبب قصور الإعلام الإسلامى إلى الحد الذى يمكن اعتباره غير ظاهر أو موجود بالمرة .

ولقد جاء فى نبأ لوكالة رويتر أن المواطنين المسلمين فى منطقة وادى كشمير قد أعلنوا الإضراب العام فى أعقاب قيام جنود هنود سكارى باغتصاب (٥٣) امرأة مسلمة بالمنطقة المشار إليها .

كما جاء فى تقرير لعدد من الزعماء قدم للجنة حقوق الإنسان أن نحو (٥٠٠) جندى هندى قاموا باقتحام قريتين إسلاميتين بتلك المنطقة واغتصبوا النساء هناك بصورة جماعية منكرة[11] .

هل تقف مطامع الهندوس الاستعمارية عند كشمير فقط ؟

إن مطامع وأحلام الهندوس الاستعمارية العدوانية لا تقف عند حد ابتلاع ولاية كشمير الإسلامية ، بل إنها تمتد إلى الدول والشعوب المجاورة للهند عامة وللدول العربية والإسلامية من المحيط الهندى إلى قناة السويس خاصة ، فهذا أستاذ للفلسفة فى جامعة أندهرا يدعى (ناندا مورتى) يقول منذ أكثر من عقدين من الزمن (إن الحرب والقسوة فيها والخديعة

---

(١٠) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المرجع السابق صفحة ٣٦٤ .

(*) وهكذا الشأن فى الأمم المتحدة ـ أوجدها الاستعمار لحسابه فعملت لحسابه ، وهاهى قراراتها ضد إسرائيل لم تنفذ منها إسرائيل شيئا ، وذلك أيضاً عن رضا تام من الأمم المتحدة وأروقتها المتعددة .

(١١) مجلة منار الإسلام عدد شوال سنة ١٤١١ هـ ـ ابريل سنة ١٩٩١ م .

والاستيلاء على بلاد الناس جزء من الديانة الهندوكية) .

وفى مقال نشر فى صحيفة تايمز أوف إنديا Times of India ـ بتاريخ ١٩٦٥/١/٢٤ بقلم الأستاذ كريشنا سيتانيا يقول (إن الادعاء الذى يتردد كثيراً والقائل بأن الهند هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تمارس سياسة خارجية عدوانية لا يمكن إنكاره ؛ لأن هذه السياسة داخلة فى صميم تقاليدهم) .

وفى كتاب المؤثرات الجغرافية لمؤلفه الهندوسى المتعصب الدكتور باتيل يقول بالحرف الواحد (إن مصالح الهند تقوم فى المناطق القريبة منها : فنيبال وباكستان وبنجلاديش وافغانستان وبورما والملايو (ماليزيا) واندونيسيا وسيريلانكا بلاد لازمة لسلامة الهند ، كما أنه من الضرورى جداً أن تسيطر الهند على سنغافورة وقناة السويس لأنها بمثابة الباب الرئيسى للهند) ثم يضيف ذلك الهندوسى قوله : (إن حاجة الهند إلى البترول تلح عليها بالالتفاف نحو الجزيرة العربية والعراق .

ومادام للهند قوة بحرية عظيمة فمن الواجب ـ على حد قوله ـ أن يتحول المحيط الهندى من سنغافورة إلى السويس ليصبح خليجاً تملكه الهند)[١٢] .

وبعـــد :

فإن محنة المسلمين فى كشمير فى زماننا المعاصر حقيقة لا سبيل إلى تجاهلها أو إنكارها ، ولا جدال فى أن الاستعمار الانجليزى الذى جثم على أرض الهند يحمل كل أوزارها بوضعه على أرض كشمير حاكما هندوسيا برغم أن غالبية سكانها من المسلمين . وهو الذى أشاع العداوة بين الهندوس والمسلمين ونشر فى ربوع الهند جميعها فكرة أن الدول الإسلامية التى سبقته فى حكم الهند ليست دولا هندية بل هى دول غازية أو مستعمرة مع أن غالبية المسلمين من سكان ولايات الهند هم هنود أصلا اختاروا الإسلام دينا ومنهاجاً[١٣] .

فإذا أضفنا إلى ماسبق أن الهندوس كانوا ومازالوا فى عقلية متأخرة ويعيشون فى عالم أقل ما يقال فيه : أنه يرجع آلاف السنين إلى الأزمان الغابرة تلك العقلية التى مازالت تعتبر كل من لا يعتقد اعتقادها جاحداً يستحق القتل والإبادة .

وعن تلك العقلية الهندوسية تقول الكاتبة الأمريكية مؤلفة كتاب The Land of the lingam أنه لا يمكن أن ترتقى الهند إلى مصاف الأمم المتحضرة حتى تكنس منها الهندوكية وخرافاتها وطقوسها الحيوانية .

وماذا عن المسلمين :

إن على المسلمين فى كل مكان أن يؤمنوا بالمثل القائل : أُكِلْتُ يوم اكل الثور الأسود وأن يعيدوا إلى أنفسهم الثقة فيما بينهم ، ويتخلصوا تماما من الممارسات الاستعمارية . وأذنابها التى نجحت أن تجعل كلا منهم دولة وأفراداً يقول : وأنا مالى ، لا شأن لى وليعلموا أن من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم .

---

(١٢) مجلة منار الإسلام عدد جمادى الآخرة سنة ١٤١١ هـ ـ ديسمبر سنة ١٩٩٠ م مقال الوجود الإسلامى فى الهند والتطرف الهندوسى .

(١٣) كتاب محنة الاقليات المسلمة فى العالم للأستاذ محمد عبدالله السمان صفحة ١٥٨ المرجع السابق .

موقف المسلمين

في يوغوسلافيا

من حوادثها الجارية

للأستاذ توفيق إسلام يحيى

كاتب هذا التحقيق يوغسلافي الاصل من إقليم « كوسوفو » يكتب عن علم بشئون بلاده ، وما تعرضت له من حوادث ، كتابة الخبير الذى لا تفصل بينه وبينها آماد وأبعاد ، وهو لا يستقى مصادره كلمة من هنا وأخرى من هناك ، بل يقدم تحقيق المسلم الأمين الأحرص على قوميته وبلاده في إطار سلامة الدولة من ناحية ، وبيان ما يعترضها من أسباب التدهور ، وهو ـ بعد ـ إنما يكتب إخلاصا لدينه وضميره ووطنه . ولا عليه أن يقول : ألا قد بلغت .. اللهم فاشهد .

إذا أردنا أن نفهم بموضوعية وعمق الأسباب التى أدت إلى هذا التمزق العنيف للاتحاد اليوغوسلافي ، والمآسي الفاجعة التى تعرض لها طائفة من المسلمين فيها من عشر سنوات إلى الآن ، وسيتعرض لمثلها بقية المسلمين فيها كما سنبين فيما بعد .

إذا أردنا ذلك فلابد من الرجوع إلى معاهدة « فرساي » عقب الحرب العالمية الأولى ، عندما قام زعماء الدول المنتصرة في ذلك الوقت بوضع خريطة جديدة للعالم تتمشى مع ميولهم الاستعمارية التى أعمت بصائرهم عن صالح العالم ككل في أن يعيش حياة حرة ينعم فيها أفراد الأسرة وأفراد المجتمع بالهدوء والأمن والاستقرار ، ينسون الأسباب التى أدت إلى

يوغوسلافيا ومسلمون ليس لهم إلا الله
وكفى بالله حسيبا

الحرب المهلكة ، ويحاولون أن يخلقوا جواً تسوده المحبة والمودة والتعاون بحيث يتمتع كل إنسان أياً كان عرقه ولغته ودينه بحقه في الحياة كإنسان كرّمه الله « عز وجل » وفضله على غيره من المخلوقات .

لكن الأهواء الاستعمارية التى كانت قد ملأت جميع جوارح زعماء معاهدة « فرساى » حملتهم على إنشاء دول ، وكل دولة منها تتكون من أجناس شتى معتقدين أنهم بذلك يضمنون سيطرتهم ، ويسارعون إلى التدخل فى شئونها عند حدوث أى نزاع بين الشعوب وبين الدولة التى تحكمها ، يتدخلون فى شئونها متظاهرين بقصد إزالة أسباب النزاع . وهكذا تكون لهم الكلمة العليا دائما .

وَهُمْ زعماء معاهدة « فرساى »

أكبر دليل على أن هؤلاء الزعماء كانوا واهمين ما حدث ـ بعد نشوب الحرب العالمية الثانية فى البلقان وفى يوغوسلافيا بالذات حيث احتلتها الجيوش الألمانية دون إطلاق رصاصة واحدة ـ بعد استثناء المنطقة الصربية ـ لأن الشعوب التى اقتطعتها معاهدة « فرساى » من هنا ومن هناك

موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

وكونت منها يوغوسلافيا الكبيرة : هذه الشعوب استقبلت الجيوش الألمانية بالزهور باعتبارها جيوشا محررة من ظلم وطغيان المملكة اليوغوسلافية المستبدة . ولم تقاوم الجيوش الألمانية إلا « بلغراد » وما حولها ، ثم استسلمت بعد أن دكتها الطيارات الألمانية دكا . ولو أعطت معاهدة « فرساى » كل شعب حقه فى تقرير مصيره كما طالب بذلك الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت لقاوم كل شعب الجيوش الألمانية مقاومة عنيفة دفاعا عن حريته ، ولم تكن تستطيع الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط إلا بعد مدة كانت كفيلة بقلب موازين القيادة الألمانية رأسا على عقب ، وبالتالى كانت ستضطر إلى تأخير هجومها على روسيا .

بعد نظر « تيتو » ورفاق سلاحه

« تيتو » وزملاؤه فهموا هذا الوضع وأرادوا تفادى العواقب الوخيمة التى ترتبت على قصر نظر زعماء معاهدة « فرساى » فقرروا إنشاء اتحاد عام يتكلم فى المحافل الدولية باسم الشعوب التى تتكون الدولة منها ، ويكون كل شعب حراً فى إدارة شئونه حسب عِزّقه وعاداته وتقاليده وأمجاده . لهذا عاشت يوغوسلافيا الاتحادية بين الستينيات والثمانينيات حياة تتميز بقدر كبير من الاستقرار السياسى ، وتتمتع بقدر كبير أيضاً من تقدير العالم لها حيث كانت بمثابة صمام أمن دولى بين الشرق والغرب ؛ لانتهاجها لسياسة عدم الانحياز ، ولم تبد ظاهرة من ظواهر النزاع العرقى فى حياته . **وبعد رحيله بدات النوازع التوسعية تظهر فى الوجود يوما بعد يوم إلى ان بلغ التمزق مداه باستخدام جميع أنواع الأسلحة فتحول الاتحاد اليوغوسلافى إلى عامل يهدد ويتحدى النظام الأوروبى الجديد المزمع إقامته فى العام القادم ، لذلك اصيب رؤساء المجموعة الأوروبية بقلق شديد خوفا من هذا التمزق الذى سوف يعرض نظامهم الجديد للخطر .**

زعيم الصرب الشيوعى سبب التمزق

قبل أن يمضى عام على رحيل « تيتو » ظهر زعيم الصرب الشيوعى على العالم ، ونوازعه التوسعية وحب السيطرة والاستبداد تملأ جوارحه . وأعلن صراحة قائلا : « فليذهب (تيتو) ونظامه من غير رجعة ولتعد إلينا أراضينا » وأخذ يدبر المكائد والدسائس ويرسل أعوانه المتآمرين إلى الأقاليم التى بها أقلية صربية يمرنونهم على القيام بعمليات إرهابية ضد شعوبها عند صدور الأوامر إليهم . وقد نشرت مجلة الأزهر الغراء شيئا من هذا بالتفصيل[1] .

عدد المسلمين فى يوغوسلافيا والأقاليم التى يقيمون فيها

عدد المسلمين فى يوغوسلافيا نحو خمسة ملايين مسلم . يسكنون فى أقاليم متفرقة .

يقيم حوالى مليون ونصف مليون مسلم فى جمهورية البوسنه والهرسك .

---

(١) راجع عدد رمضان سنة ١٤٠٩ ص ٩٨٦ وما بعدها ، وعدد شوال سنة ١٤٠٩ ص ١١١٠ وما بعدها .

ويقيم حوالى مليونين فى إقليم « كوسوفو » المشهور وهم من أصل البانى .

ويقيم اكثر من نصف مليون مسلم فى جمهورية مقدونيا واكثرهم من أصل البانى .

ويقيم اكثر من مائة الف مسلم من أصل البانى فى الجمهورية الصربية حيث وضعت يدها على البلاد والقرى المتاخمة لحدود « كوسوفو » وحدود « مقدونيا » فضمتها إليها .

ويقيم اكثر من مائة الف مسلم فى إقليم « سنجق » التابع لجمهورية الجبل الأسود .

ولا يوجد مسلمون فى كرواتيا وسلوفينيا من سكانهما الاصليين .

الخطر يهدد المسلمين جميعاً

الخطر يهدد جميع المسلمين فى يوغوسلافيا اينما كانوا ، ولقد تعرض المسلمون فى « كوسوفو » لخطر الإبادة والهلاك عقب موت « تيتو » ، ولا يزالون يتعرضون إلى الآن كما سيأتى ذكر ذلك بالتفصيل بعد قليل . وهذا الخطر الذى يهدد سلامة المسلمين وأمنهم ووجودهم يأتى من الجمهورية الصربية . وبعبارة أدق يأتى من بعض زعمائها الذين لا يزالون يعيشون بعقلية القرن التاسع عشر ويعتقدون أن منطقة البلقان كلها موطنهم الطبيعى وبخاصة إقليم « كوسوفو » حيث وقعت فيه معركة « كوسوفو » الشهيرة سنة ١٣٨٩ بين السلطان مراد العثمانى والجيوش البلقانية المتحالفة بقيادة ملك الصرب « لازار » الذى قتل فى المعركة نفسها .

إن ادعاءهم بأن منطقة البلقان وبخاصة إقليم « كوسوفو » موطنهم الطبيعى ادعاء باطل وقلب للواقع .. اكتفى بذكر دليلين على بطلان ادعائهم :

الدليل الأول : جهلهم بالتاريخ ؛ لأنهم حينما بداوا يزحفون فى القرن العاشر من شمال أوروبا إلى البلقان اصطدموا بسكان البلقان ودارت بينهم معارك متتالية مما يدل دلالة قاطعة على أن البلقان ليست وطنهم الطبيعى لوجود سكان بالبلقان قبل زحفهم إليها .

الدليل الثانى : أرض « كوسوفو » أرض البانية ؛ لأن الالبانيين أول شعب نزح إلى البلقان كما يقول المؤرخون . والمعركة وقعت فى أرض البانية حيث اجتمع فيها جميع جيوش الأقاليم بقيادات أمرائها ، ومنها الجيش الألبانى ولم يكن الألبانيون قد أسلموا بعد ، وأمراء الجيوش اختاروا ملك الصرب « لازار » قائداً عاما لأن جيش الصرب كان اكثر عدداً . لا لأن أرض المعركة أرض صربية . ولو صح ادعاؤهم أن أرض « كوسوفو » وطنهم الأصلى لأن جيشهم حارب فيها وقتل ملكهم فى المعركة ، لصح لأمريكا أن تعتبر شمال أفريقيا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا وألمانيا .. إلخ أرضا أمريكية لأن جيشها بقيادة أبرز قوادها « ايزنهاور » حارب فيها ، وجنودها الذين ماتوا فى المعارك دفنوا فى أرضها . ولصح لأمريكا أيضاً أن تعتبر أرض العراق أرضا أمريكية لأن جيش التحالف واكثره امريكيون بقيادة القائد الأمريكى حارب فيها ، ولا يقول بذلك إلا ذو عقل يحتاج إلى علاج .

هؤلاء الزعماء الصربيون الذين يعيشون بعقلية القرن التاسع عشر[٢] تجددت فى أفكارهم

(٢) لا يخفى أن بالجمهورية الصربية زعماء وشبابا واقعيين يعيشون بعقلية القرن الحادى والعشرين ولا يتفقون مع زعماء التوسع والسيطرة والهيمنة على الغير . وقامت قبل أشهر فى العاصمة بلغراد عدة مظاهرات على فترات تطلب الإصلاح و تنحى الزعماء المتشددين .

♦ موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

النزعة التوسعية التى غرستها فى نفوسهم معاهدة « فرساى » حيث قرر مخططوها اقتطاع شعوب مختلفة العرقية وضمها إلى دولة الصرب لجعلها دولة كبرى تدين لهم بالولاء . لكن الله « عز وجل » اراد أن يخيب أملهم حيث استسلمت يوغوسلافيا للألمان فى الحرب العالمية الثانية بدون إطلاق رصاصة واحدة كما ذكرنا سابقا . وخاب أمل رؤساء المجموعة الأوروبية حيث اخذوا يشعرون بأن يوغوسلافيا الحاضرة المكونة من شعوب مختلفة العرقيات تهدد نظامهم الجديد المزمع إقامته .

مسلمو « كوسوفو » اول شعب تعرض للإبادة

المسلمون فى يوغوسلافيا تعرضوا بعد موت « تيتو » ولا يزالون يتعرضون لأبشع عدوان بما فى ذلك الأسلحة الثقيلة والمروحية ولكن بدرجات متفاوتة حتى لا يثور العالم الإسلامى ضد المعتدين ، ومسلمو « كوسوفو » أول شعب تعرض ولا يزال يتعرض لهذا العدوان .

كان إقليم « كوسوفو » يتمتع بالحكم الذاتى : به رئيس وزراء ووزراء ومدارس وجامعة ومحاكم وجهاز إعلام مقروء ومسموع ومرئى وو ... إلخ . وبعد موت « تيتو » بدأ زعماء الصرب المتعطشون للتوسع والسيطرة وإعادة دولة يوغوسلافيا الكبرى الشمولية التى ظهرت فى الوجود بعد معاهدة « فرساى » ـ بدأوا يدبرون المؤامرات لتشكيل دولتهم الكبرى الشمولية فدفعهم حقدهم الدفين للإسلام والمسلمين إلى أن يبدأوا التحرش بمسلمى « كوسوفو » متخذين عدة وسائل تمكنهم من كسب تأييد أوروبا وأمريكا لما يريدون القيام به ، من ذلك :

أولا : ادعاؤهم بأن مسلمى « كوسوفو » متطرفون ، أصوليون ، خومينيون يهددون غرب أوروبا ، والصرب يعتبرون أنفسهم حماة أوروبا المسيحية من هؤلاء الإرهابيين . وصرح أحد زعمائهم علنا بأن « الصراع فى « كوسوفو » ليس بين الصرب والألبان وإنما بين الإسلام والمسيحية .

ثانيا : اتصال الصربيين بالصهاينة وخطب وذهم لحملهم على تبليغ أمريكا أن مسلمى « كوسوفو » من أتباع الخومينى فيجب كبح جماحهم حتى لا يكونوا خطراً على أوروبا . وبذلك يضمنون عدم اهتمام أمريكا بالمخاطر التى يتعرض لها هؤلاء المسلمون .

ثالثا : المواقف المتشابهة جمعت بين الصرب والصهاينة حيث يريد كل طرف أن يحتل أرض الغير بالقوة . وابتكر زعيم الصرب الشيوعى ما لا يخطر على البال للوصول إلى هدفه ، وهو إقامة احتفال كبير بذكرى مرور ٦٠٠ عام على موقعة « كوسوفو » فى الساحة الكبرى التى بها ضريح السلطان مراد العثمانى . والمسافة بين هذه الساحة وبين عاصمة « كوسوفو » لا تزيد على أربعة أميال .

والغريب فى هذا الأمر أن الاحتفال إنما يكون لذكرى انتصار لا لذكرى هزيمة نكراء لحقت بالجيوش البلقانية المتحالفة فى تلك الموقعة ، ومنها الجيش الألبانى قبل اعتناق الألبانيين الإسلام . لكن زعيم الصرب الشيوعى ابتكر هذا الأمر الغريب ليصل إلى هدفين اثنين :

الأول : إحياء الأحقاد القديمة الدفينة وتجديدها فى قلوب الشباب الصربى الوديع

المتعطش إلى حياة كريمة هادئة مستقرة أملا فى جذبه إلى تحقيق المؤامرات التى يدبرها الزعيم الصربى وزملاؤه للحصول على أمجاد شخصية لا لتحقيق أمن واستقرار المواطنين وسلامة الوطن من الخراب والدمار .

الهدف الثانى : توجيه الدعوة من قبل الجمهورية الصربية إلى إسرائيل للاشتراك فى هذا الاحتفال ، وقد اشتركت فيه فعلا بحضور عدد كبير من الأحزاب الدينية الإسرائيلية . وقصد زعيم الصرب الشيوعى بحضور إسرائيل هذا الاحتفال خلق سوء تفاهم ، وكراهية بقصد بين إسرائيل وبين مسلمى « كوسوفو » حينما يرون وفود إسرائيل قد حضرت الاحتفال[٣] ، فيكون هذا البغض حافزا لإسرائيل على استخدام جميع وسائلها لتعكير جو البيت الأبيض الأمريكى وصرفه نهائيا عما يحدث لمسلمى « كوسوفو » من أبشع أنواع الاعتداء .

رابعا : محاولة زعيم الصرب الشيوعى الاقتراب بكل الوسائل إلى دول العالم الإسلامى متظاهراً بتأييد يوغوسلافيا موقف العرب من قضية فلسطين قاصداً بذلك صرف أنظار زعماء العالم الإسلامى عما يحدث لمسلمى « كوسوفو » أو تقليل اهتمامهم بما يحدث على أساس أن ما يقال لا يمثل الحقيقة . ولا ندرى ماذا كان موقف زعماء العالم الإسلامى من الاعتداءات الوحشية المتكررة من الجمهورية الصربية على مسلمى « كوسوفو » من بعد موت « تيتو » إلى سنة ١٩٩٠ م . لكنى أتذكر أن جريدة الجمهورية المصرية نشرت يوم ١٨ من مارس سنة ١٩٩٠ ما نصه تحت عنوان :

« رابطة العالم الإسلامى تطلب رعاية مسلمى كوسوفو . مكة المكرمة :

أعرب د . عبدالله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى عن قلق الرابطة البالغ للإجراءات المؤسفة التى يتعرض لها المسلمون فى مناطق « كوسوفو » بيوغوسلافيا . بعث برقية للرئيس اليوغوسلافى يطلب فيها تحقيق مطالب المسلمين فى حفظ كيانهم الإسلامى وممارسة حقوقهم » .

وقد أرسل كاتب هذا المقال فى اليوم التالى إلى الأمين العام برقية شكر هذا نصها : « فضيلة الدكتور عبدالله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى . مكة المكرمة . شكر الله لمعاليكم دفاعكم عن حقوق مسلمى « كوسوفو » ويرجو استمرار سعيكم المشكور حتى تتحقق مطالبهم العادلة . توفيق إسلام يحيى المولود بإقليم كوسوفو » .

إلغاء الحكم الذاتى فى « كوسوفو »

فى شهر مارس من العام الماضى وهو الشهر الذى أرسل فيه أمين عام الرابطة الإسلامية برقية إلى الرئيس اليوغوسلافى ، وقد سبق ذكر نصها . فى هذا الشهر نفسه وضع الصرب دستوراً جديداً قضوا من خلاله على الحكم الذاتى من غير موافقة رياسة الاتحاد اليوغوسلافى وهى القناة الشرعية الوحيدة لكل تغيير يراد إيجاده .

---

(٣) قصة هذا الاحتفال وما وقع فيه من تبادل كلمات الغزل والحب والتعاون بين العرب والإسرائيليين الذين حضروا هذا الاحتفال تحتاج فى بيانها إلى كلام كثير ليس هذا مجاله .

موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

وعلى الفور اقتحمت القوات الصربية المسلحة بجميع أنواعها إقليم « كوسوفو » واسقطوا الحكومة واغلقوا البرلمان ووضعوا الإقليم تحت حكم الجمهورية الصربية ، قبضوا على المسئولين الكبار وملأوا السجون بالمعتقلين الذين قاموا يدافعون عن حقهم بموجب قرار الاتحاد العام الذى لا يزال حتى الآن سارى المفعول قانونا . ومن المتناقضات فى عصر العلم والنور أن زعيم الصرب اقال مندوب « كوسوفو » فى مجلس رياسة الأتحاد ، وعين مندوبا من قبله يحضر جلسات مجلس الرياسة ليضم صوته إلى صوت مندوب الجمهورية الصربية على اعتبار أن الحكم الذاتى موجود قانونا ، ولا وجود له فعلا ، بعد وضع الإقليم تحت الحكم المباشر بإسقاط الحكومة وإغلاق البرلمان واعتقال كبار المسئولين وإغلاق وسائل الإعلام بجميع أنواعها وإقالة اغلب الموظفين وإحلال الصربيين محلهم ومنع التدريس باللغة الألبانية وقطع مرتبات المدرسين ونهب المحلات التجارية التى امتنع أصحابها عن فتحها تأييداً للقائمين بالإضراب العام والمظاهرات ضد العدوان الصربى الغاشم بخلاف الضرب والتعذيب وحرمان الشعب من القوت لدرجة أن الجمهورية البوسنوية كونت لجنة عليا برياسة رئيس جمهوريتها المنتخب « على عزت بكوويتش » لجمع تبرعات نقدية وعينية وغذائية وغيرها وترسلها إلى « كوسوفو » بمصاحبة لجنة خاصة تتولى توزيعها على المسلمين بمعرفتها ، بعد أن وصل إلى علم اللجنة العليا أن التبرعات التى أرسلت إلى « كوسوفو » كان الصربيون يستولون عليها ويوزعونها على انفسهم . كل ذلك حصل فى « كوسوفو » بعد أن اقامت الجمهورية الصربية تعتيما مطبقا حتى لا يسمع العالمان : العربى والإسلامى شيئا عما يحصل للمسلمين الألبان . ولإحكام هذا التعتيم كان وزير خارجية يوغوسلافيا ينتقل كالمكوك بين عواصم الدول العربية اسبوعيا متظاهراً بأن يوغوسلافيا تسعى لحل أزمة الخليج سلميا . والغرض الحقيقى هو شغل العالم العربى بجهود يوغوسلافيا السلمية حتى لا يلتفت إلى البشاعة التى تحصل فى « كوسوفو » من قتل للكبار وتسميم للأطفال ، وحرمان من الغذاء والكساء والدواء والتعليم واستعمال لغة الأم .

ولقد نشرت جريدة « الجمهورية » المصرية الصادرة يوم ٥ من هذا الشهر نقلا عن صحيفة المدينة المنورة السعودية : « إن الجيوش الصربية هاجمت فى « كوسوفو » قبيل عيدالأضحى ، البيوت والمساجد والمحلات التجارية وقتلوا مائة مسلم » ومع الأسف الشديد لم يرتفع صوت بالاحتجاج . ولما قتل الصرب عدداً يقل عن عدد أصابع اليد الواحدة فى كرواتيا وسلوفينيا ، قام رؤساء المجموعة الأوروبية يهددون الجمهورية الصربية بالويل والثبور ، وقطع المساعدات الغربية عن يوغوسلافيا .

أين مسلمو العالم الإسلامى ليدافعوا عن إخوانهم المسلمين فى « كوسوفو » ؟! بعد أن صرح زعيم الصرب الشيوعى قائلا : « إننا قد بدأنا الجولة الثانية من معركة « كوسوفو » ضد المسلمين » . وقال زعيم صربى آخر يدعى ميلوفان جيلاس : إذا اندلعت الحرب الأهلية فى يوغوسلافيا فإن الخطر يتمثل فى أن الألبان فى « كوسوفو » سوف يثورون وسوف تتدخل الدول الإسلامية عندئذ ، وجمهورية الصرب تضمر مشاعر القلق والخوف تجاه جمهورية « كوسوفو » التى تعتبر الوطن التاريخى للشعب الصربى » .

وأنا أشكره حيث ذكر بلسانه اسم « جمهورية كوسوفو » . أما ادعاؤه بأن « كوسوفو » تعتبر الوطن التاريخى للصرب فهو نوع من الهراء لا يقول به عاقل ، وسبق أن وضحنا ذلك .

هكذا تحمل مسلمو « كوسوفو » ظلم الصرب وعدوانهم الوحشى إلى أن بلغ آخر المدى فى العام الماضى ، كان المسلمون يضحون بحياتهم ، ولا يردون بالمثل على المعتدين تلبية لنداء الزعماء الذين طلبوا منهم التمسك بالسلبية لتنكشف فضائح الصرب أمام أوروبا والعالم ، وادعاءاتهم بأن مسلمى « كوسوفو » سفاكو الدماء ، فزهقوا الأرواح ، ولا يقدر على حماية أوروبا المسيحية من هجماتهم غير الصرب .

بعد نظر زعماء « كوسوفو » بالتمسك بالسلبية وعدم الرد على المعتدين ، واتصالهم بمسئولى أوروبا وأمريكا لإحاطتهم علما بحقائق الموقف كان سببا فى فشل خطط زعيم الصرب الشيوعى ، وجعل الصحافة الغربية تنحاز إلى تأييد مسلمى « كوسوفو » لدرجة أن إحدى صحف فرنسا نشرت فى نهاية العام الماضى ما يأتى : نحن نشكر زعيم الصرب حيث كان سببا فى قيامنا بالتحرى عن الوضع الصحيح فى « كوسوفو » فوجدنا أن أهالى « كوسوفو » ليسوا إرهابيين وسفاكى دماء كما حاول زعيم الصرب أن يفهمنا وإنما هم أصحاب حقوق مهضومة يطالبون باستردادها ، كما يطالبون بالمساواة بشعوب يوغوسلافيا ، ودستور الاتحاد العام يؤيدهم فى استرداد حقوقهم .

موقف المجموعة الأوروبية

وقفت المجموعة الأوروبية ضد ما حصل فى سلوفينيا وكرواتيا ، وطالبوا الذين قاموا بإثارة القلاقل بالعمل بأسرع ما يمكن ـ لكى يبقى الاتحاد ـ على القيام بوضع نظام جديد يتمتع كل شعب فى ظله بحقوقه كاملة . وأيد رئيس إيطاليا كلامهم بتصريحه المنشور فى الأهرام يوم أول يوليو : « يرى الرئيس الإيطالى أنه يجب إيجاد موقف دولى يوفق بين الحفاظ على وحدة الدولة اليوغوسلافية وحق الشعوب المقدس فى تقرير المصير » . وشعب « كوسوفو » لا يطالب إلا بما يتفق مع رأى الرئيس الإيطالى . ولما اجتمع أعضاء البرلمان فى « كوسوفو » فى الثانى من يوليو من العام الماضى وأعلنوا إنشاء الجمهورية السابعة فى إطار الاتحاد اليوغوسلافى ليتساوى شعب « كوسوفو » بباقى الشعوب وضعوا نصب أعينهم دستور الاتحاد العام الذى لا يمانع فى قيام إحدى القوميات بتأسيس جمهورية جديدة شريطة أن يكون تأسيسها طبقا لمبادىء الاتحاد العام . وإنشاء جمهورية « كوسوفو » لم يخالف دستور الاتحاد ولا مبادئه .

تحذير وتنبيه

إذا أخفقت المجموعة الأوروبية فى مسعاها ، وهو القيام بوضع نظام جديد يتمتع كل شعب من خلاله بحقوقه كاملة ، فإن ما تعرض له مسلمو « كوسوفو » على النحو الذى ذكرنا تفصيله سيتعرض لمثله المسلمون فى البوسنة والهرسك ، والمسلمون فى مقدونيا ، والمسلمون فى السنجق علما بأن التحرشات القائمة بين وقت وآخر بين الصرب وبين هؤلاء المسلمين نذير لما سيحصل لهم من دمار وهلاك فى المستقبل لو تمكن ـ لاقدّر الله سبحانه ـ زعيم الصرب الشيوعى من تحقيق أهدافه .

وبعد : فإنى أقول لكل مسلم : إن قيام أولاد العم بمعاونة أولاد عمهم ومساعدتهم على نيل حقوقهم أولى من أن يقوم بذلك الغرباء .

وفق الله ـ سبحانه ـ المسلمين للعمل بما يحقق صالح البشرية جمعاء على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأديانهم آمين .

للأستاذ الدكتور:
عبد الستار أبو غدة

أحب أن أمهد لهذه الكلمة التى اكتبها استجابة لدعوة (الأهرام) لمناقشة رأى فضيلة مفتى الجمهورية الدكتور/ محمد سيد طنطاوى بانه قد سبقها ترحيب فضيلته بالمناقشة كلما نشر رايه ، وفى ضوء ذلك بادر عدد جم من الفقهاء والجهات العلمية إلى إبداء النصيحة الخالصة لوجه الله - إن شاء الله - لالمصالح شخصية كما زعم بعضهم .. فلم نعلم أن أحداً من هذه الطائفة المتفقهة فى الدين يملك بنكا او هو من كبار مساهميه ، على أن فيمن ناقشوه من ليس لهم حتى علاقة المشورة للبنوك الإسلامية مع انها مهمة مستقلة ، ويرتبط من يقومون بها غالبا بالجمعيات العمومية لها .

ولقد حفزنى على الكتابة فى هذا الموضوع - على غزارة ماكتب فيه - تلك الهجمة العنيفة التى ختمت بها المقالة الرابعة المنشورة فى الأهرام ، ولا تطاوعنى نفسى أن أصدر كلمتى بها ، فستأتى فى الأخير بعد أن ينجلى الموقف أمام القارىء .. فأخذتنى الغيرة عند الطعن فى علماء هذا القطر وغيرهم ممن خالفوا المفتى فى رأيه .. وأنا من قطر آخر يربطه بمصر الإخاء القديم المتجدد والريادة الوحدوية ، وقد نهلت وعللت من الأزهر ، كما تجمعنى بالمفتى رابطة صداقة ، ومازلنا نتبادل الاحترام والمودة فى اللقاءات الكثيرة التى تجمعنا ، فلا أدرى هل اختلاف الرأى سيفسد قضية الود بيننا ؟

لقد بدأ ظهور الرأى الخاص لفضيلة المفتى بالكلام عن شهادات الاستثمار التى صدرت عام ١٩٦٥ بمقتضى القانون ٨ لسنة ١٩٦٥ ، والذى بموجبه أمكن للبنك الأهلى المصرى إصدار شهادات استثمار مختلفة ، حدد لها هدفان أساسيان هما : تشجيع الادخار ، وتمويل خطط

التنمية .. ولعل هذين الهدفين المتفق على نفعهما استحوذا على اهتمام من عالج أمر هذه الشهادات حتى طغى عند بعضهم على مراعاة كنه الموضوع وهو الإقراض والاستقراض .. وقد صدر تعديل قانوني لشهادات الاستثمار لم يمس جوهرها وتكييفها بل سمى مايعطى عليها (عائدا مجمعا أو ممنوحا) بدلا من تسميتها (فائدة) وأشير في أول هذا القرار (١٦٣ لسنة ٩٠) إن هذا تم بناء على فتوى فضيلة المفتى ، ولم يتضمن القانون ولا القرار بيانات بشأن حساب العائد ، ويدل الجدول الملحق بالقرار على أنه محسوب على أساس الفائدة المركبة تماما . كما نصت قرارات تسعير الفائدة على أن يكون لشهادات الاستثمار أعلى سعر فائدة .

ثم توسع فضيلته فشمل بحكم الإباحة أيضا فوائد الودائع البنكية باعتقاد أن ما تجمعه من أموال يستثمر وأن ما يعطى عليها هو ربح ، لكن لم تتحقق فيه صفة التحديد النسبى بل حدد بالنظر إلى رأس المال بمبلغ معين وتم تخريجه على مبدأ (المضاربة الفاسدة) وأنه بدلا من إعطاء كل الربح لرب المال وللبنك أجر المثل استعيض عن ذلك بتقدير البنك أو ولى الأمر .. ولسنا هنا بصدد إعادة ما قاله فضيلة المفتى والتعقيب عليه إيجابا أو سلبا ، فإن في المقالات الأربع التى نشرتها الأهرام بيانات وافية عن رأى فضيلته ، وقد مهد لذلك بقدر كبير من المعلومات التى لانزاع فيها ، أو فيها مراجعات علمية جزئية لايصح أن نشغل بها القارىء عن الموضوع الأساسى بتسليط الضوء على العناصر المؤثرة في نقد الرأى المشار إليه .. فإن من المقرر في أصول الفقه الذى هو منهج البحث ومنار الاستنباط ضرورة تحرير المناط وتحقيقه وتنقيحه للوصول إلى العلة المؤثرة في الحكم ، أو إبداء الفرق والمانع ..

واكتفى هنا بنبذة يسيرة في شأن الودائع البنكية ، والمضاربة الشرعية ، قبل أن أعلق على مالخص به فضيلة المفتى رأيه في نقاط عشر في آخر مقاله .

إن المبالغ المودعة في البنوك العادية ليست ودائع بالمعنى الدقيق ، والتسمية الحالية منتقدة شرعا وقانونا حتى سموها (الوديعة الناقصة) لأنها لاتبقى على ملك صاحبها ولا يمنع من هى بيده من التصرف بها ، في حين أن دور المودع لديه هو الحفظ ، ويمتنع عليه التعدى أو التقصير تحت طائلة التضمين . ولا يقال إن البنوك تصرفت بها فتضمن ، لأن التصرفات الدائمة المستقرة المأذون بها لاتبنى على هذه التصورات التى تعتمد عنصراً مفسداً للتصرف مع تكراره واستساغته وقطف ثماره .

وحقيقة الودائع وشهادات الاستثمار أنها قروض ، لأنها : مضمونة الرد بصرف النظر عن النتائج وعن مجال الاستخدام ، ولأن التصرف فيها سائغ ممن هى بيده من غير نكير ولا اتهام ، ولأن العائد المحدد بمبلغ معين مستهدف منها بالإضافة إلى ضمانه استرداد رأس المال وإن كون معاملات البنوك حديثة لايغير من الأمر شيئا ، لأن جوهرها موجود في تطبيقات الفقه ومبادئه ، وهى متناولة بالقياس على علل النصوص وفحواه إن لم يرد فيها نص من كتاب الله أو سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا هو سر شمولية الشريعة الإسلامية وصلاحها لكل زمان ومكان .

وديعة البنوك العادية

أما المضاربة فهى (شركة) بين مال وعمل ، وهى اشتراك فى (الربح) الحاصل من عملية الاستثمار المشروعة والحصص يجب أن تكون نسبا شائعة منه لامبالغ معينة بالنسبة لرأس المال ، ولا التزام على العامل فى المال - بنكا كان أو شركة أو فردا - بأن يعطى رب المال (ربحا مفترضا) ، ولا دخل هنا لغنى أحد الطرفين أو فقره ، فالله عز وجل يقول : ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ فإن لم يتحقق ربح اقتصر حق رب المال على استرداد ماله وفاته الكسب المتوقع وتحمل العامل خسارة جهده .

وفضيلة المفتى بعد أن قرر اشتراط الفقهاء فى ربح المضاربة أن يكون بالنسبة ، لا بالمبلغ المحدد عاد فى موضوع آخر فجعل الأمر على الخيار للمتعامل استنادا إلى رأى انفرد به المرحوم الشيخ/ عبدالوهاب خلاف ، فى صورة استثمارية حقيقية موضوعها التجارة أو المقاولات ، وهى لاتنطبق على معاملات البنوك التى نحن بصددها ، فإن من المحظور على البنوك العادية مزاولة الأعمال التجارية وكل ما فيه احتمال الخسارة إلا فى استثناءات محصورة بأضيق الحدود ومحفوفة بكثير من القيود ، مما يستلزمه إقامة البنك ، أو يحصل تيما وبأحوال طارئة موقوتة ، وفيما يلى نص المادة (٣٩) من قانون البنوك والائتمان الصادر بالقرار الجمهورى رقم ١٦٣ لسنة ١٩٥٧ وهذه المادة لم يقع عليها أى تعديل بالقانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٨٤ فى شأن البنوك . ونصها :

(مادة ٣٩ - يحظر على البنك التجارى أن يباشر العمليات الآتية :

(أ) التعامل فى المنقول أو العقار بالشراء أو البيع أو المقايضة ، فيما عدا :

١ - العقار المخصص لإدارة أعمال البنك أو للترفيه عن موظفيه .

٢ - المنقول أو العقار الذى تؤول ملكيته إلى البنك ، وفاء لدين له قبل الغير ، على أن يقوم البنك بتصفيته خلال سنة من تاريخ أيلولة الملكية بالنسبة للمنقول ، وخمس سنوات بالنسبة للعقار . ويجوز لمجلس إدارة البنك المركزى مد هذه المدة عند الاقتضاء .

(ب) إصدار أذون قابلة للدفع لحاملها وقت الطلب .

(جـ) قبول الأسهم التى يتكون منها رأس مال البنك بصفة ضمان لقرض ، أو التعامل فى هذه الأسهم أو امتلاكها مالم تكن هذه الأسهم قد آلت ملكيتها إلى البنك وفاء لدين له قبل الغير ، على أن يقوم البنك ببيع هذه الأسهم خلال سنة من تاريخ أيلولة الملكية .

(د) امتلاك أسهم الشركات بما تزيد قيمته على ٢٥٪ من رأس المال المدفوع للشركة ، وبشرط أن لاتجاوز القيمة الاسمية للأسهم التى يملكها البنك فى هذه الشركات مقدار رأس ماله المدفوع واحتياطياته . ويجوز لوزير المالية والاقتصاد زيادة الحدين المذكورين عند الاقتضاء) .

إن هذا النص يدفع مابنى فضيلة المفتى رأيه عليه من أن الودائع البنكية تستثمر بصورة مشروعة فى تجارة حلال بطريق المضاربة رغم تخلف مقتضاها ، فإن مايقع من الاستثمار لدى البنوك هو من النزر اليسير وقد ألزم القانون البنوك بالتخلص منه وتصفيته خلال مدة معينة

سواء ادت التصفية إلى ربح أو خسارة محققة .. وكذلك الحال بالنسبة للفقرة (د) فإن السماح بامتلاك أسهم الشركات المساهمة مقيد بأكثر من قيد .

ونشرع الآن فى مناقشة النقاط العشر التى ختم بها فضيلة المفتى بيان رأيه (فى المقالة الرابعة) مع الاكتفاء بذكر أرقامها دون تكرار مضمونها تخفيفا على القارىء الذى يدل اهتمامه بقراءة هذه المناقشة على اطلاعه على أصل الموضوع ، وكما قيل : السؤال معاد فى الجواب :

اولا : لانزاع فى أن مسألة التحديد للربح مقدما ليست من العقائد أو العبادات التى لايجوز التغيير أو التبديل فيها .. ولكن هل مفاد هذا أن أحكام المعاملات عرضة للتغيير الكيفى ، أو لخلاف ليس له حظ من النظر دون أن تكون فى أساسها مبنية على عرف وقد تغير ، أو تصور وقد اختلف جوهريا فى أصله وليس بالتسمية أو بالتراضى من المتعاقدين فالتراضى ليس مصدرا للتشريع ولا يحل حراما ولا يحرم حلالا ، وهو عبارة عن شرط لسلامة الإرادة والتعبير الصحيح عنها ، ووجود الشرط وحده لايستلزم وجود المشروط .. ولا قيمة للتراضى المخالف لمقتضى العقد لأنه كما قال الفقهاء من تغيير الشرع ،

ومقتضى شركة المضاربة الاشتراك فى الربح بأن لايوجد ما يقطعه ولو احتمالا .. وأن يكون الربح نسبيا من استرباح فعلى وليس افتراضيا لامصدر شرعيا له .. والتراضى إن كان له مجاله الواسع فى التبرع فإنه فى المبادلات أو المعاوضات لادور له إلا تحقيق سلامة الإرادة من الشوائب ، على أن يكون موضوع الإرادة مشروعا أصلا .

ثانيا : إن التسعير تدخل من ولى الأمر لمنع تحكم التجار فى الأسعار . وإجراء القياس فى موضوعنا أن يتدخل ولى الأمر فيحدد النسبة التى يربحها كل من العامل ورب المال (بدلا من تركها للتراضى) وليس مجرى القياس إلغاء مقتضى الشركة وإلزام الناس بما يقطع الاشتراك فى الربح ، وإذا كان تسعير ربح المضاربة نفسه غير مقبول فكيف بما ليس مجرى القياس أصلا .

ثالثا : إن عدم وجود نص شرعى يمنع من قيام أحد المتعاقدين فى المضاربة بتحديد الربح مقدما لايعفينا من مراعاة القواعد الشرعية المستمدة من النصوص ومن عمل النبى ﷺ المنقول عن طريق التعامل بين المسلمين على مدى العصور ، وأن الصورة التى قررها الفقهاء للمضاربة المشروعة الصحيحة هى من قبيل السنة التقريرية ولا يسوغ الخروج عنها برأى فردى يعوزه الدليل . فالفقه كما يؤخذ من نصوص الشريعة يؤخذ من القواعد الشرعية المستمدة من النصوص .

رابعا : من المعروف أن تحديد البنوك العادية للمقابل المغطى على الودائع مستندة إلى أسعار الفائدة العالمية أو المحلية ، وليس هو نتيجة النظر إلى حصيلة الاستثمار لديها (وقد رأينا أنه نادر والنادر لاحكم له).

خامسا : إن المنافع المدعاة لتحديد الربح بمبلغ معين لاتنهض لرد الأصل الشرعى كما تستتبع ضرراً جسيما بإلغاء التوجه للاستثمار الفعلى من نفوس أرباب الأموال ، وهى الأضرار التى وراء تحريم الربا ، كما يبعدهم ذلك التحديد عن مهمة المراقبة للعامل فى المال . أما الجهالة لما سيصل إليهم من ربح لو بقى نسبة شائعة فهى من طبيعة عقد الشركة وهى جهالة تزول بالحساب عند حصول الربح .

سادسا : لايخفى التعارض بين استحقاق الودائع لعائد معين وبين ما لاتنفك عنه التجارة

وودائـع البنـوك العـاديـة

من احتمال الخسارة ، وما أورده فضيلة المفتى من تعديل خسارة عملية بربح أخرى إنما هو فى أنشطة استثمارية فيها ربح ، وما ها هنا ليس كذلك ، فإن ما يعطى عن الودائع هو فائدة على القروض وهو لايتأثر بنتائج البنك ولا علاقة له بما يحدث فى عمليات المضاربة التى تتوازن قبل حصول القسمة .

سابعاً : إن التعلق بعدم أمانة العامل فى المضاربة لتسويغ تحديد الربح بمبلغ معين يتنافى مع ابتناء المضاربة على الأمانة والثقة ، فإذا لم يتوافر ذلك فلا مجال لعقدها أصلا لا بربح معين ولا بربح نسبى ، وإذا كان هذا الخوف فى المضاربة الشرعية التى لابد فيها من المحاسبة فما بالك بطريقة البنوك العادية التى لاتخصص أى حساب لأرباح أموال العملاء وهذا منسجم مع اعتبارها الودائع قروضا فى ذمة البنك وضمانه ، وانحصار حق العميل فى الفائدة المحددة .

ثامناً : إن الاجتهاد الفقهى المبكر بتضمين الصناع (الأجير المشترك) ليس تغييرا لمقتضى العقد فى الإجارة ، لأن ثمرة هذا الاجتهاد نقل عبء الإثبات إلى الأجير فى حال تلف محل الإجارة فإذا لم يثبت تلفه بفعل غيره كان من ضمانه .

والتغيير الذى يراد إدخاله على المضاربة ليس فى حالة التلف بل هو تغيير لمقتضى الشركة . ولو أريد إجراء القياس على تضمين الصناع لاعتبر العامل فى مال المضاربة ضامنا له إن تلف ، ولو لم يثبت تعديه أو إهماله ، وقد حاول بعض المعاصرين ترويج هذا القياس فلم يقبل منه لأنه يجعل تبعة الهلاك على غير المالك وتسليم مال المضاربة مختلف عن تسليم محل الإجارة وفى موضوعنا فإن تحديد الربح بمبلغ معين ليس له علاقة بالتلف بل هو إلزام بربح افتراضى بلا استثمار ومن غير محاسبة .

تاسعاً : إذا كان تحديد الربح بمبلغ معين يفسد المضاربة ويحولها إلى إجارة لم تحدد فيها الأجرة بحيث يستحق العامل أجر المثل ويخلص الربح كله لرب المال ، فإن هذا التطبيق إنما هو فى مضاربة تفسد عرضا ، وفى أوساط تجهل أحكام الشريعة ، أما أن يستقر عمل البنوك على هذه الصورة فإنه مرفوض ، لأنها مؤسسات يفترض فيها الانضباط وتحرى سلامة التصرفات ، ولا يقبل أن تبنى الأوضاع الدائمة على أسس نادرة أو شاذة أو غريبة .. وعلى تسليم ذلك جدلاً لابد من حساب دقيق لجميع الربح ليحوزه رب المال كله ويلتزم بأجرة المثل للعامل (البنك) .

عاشراً : من المعروف لكل من يتعامل مع البنوك الإسلامية أو يطلع على أنشطتها أنها تحدد نسبة الربح مقدما لكل من العميل والبنك بنسبة مئوية من نتيجة المضاربة ، وذلك من خلال بيانات فتح حساب الوديعة الاستثمارية كما أن فى وسع أصحاب الأموال المستثمرة فى تلك البنوك معرفة نصيبهم كاملاً من خلال المحاسبة التى تقوم بها مكاتب مستقلة .

وأضيف إلى هذه النقاط العشر أمرين وردا فى ثنايا كلام فضيلة المفتى أو من أعجبهم قوله فتخيلوا أن الحقائق الشرعية تتغير بهما وهما : تغيير تسمية الفائدة ، أو توافر نية الاستثمار لدى المودع ، وقد حذرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من استحلال الحرام بمجرد تغيير اسمه ، بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ليكونن

من أمتى أقوام يستحلون الخمر يسمونها بغير اسمها) ـ وكما قال ابن تيمية ـ إن معظم من ضل من الطوائف والفرق قد ضلوا بتسمية الأشياء بغير اسمها وإجراء أحكام مغايرة لحقيقتها الشرعية ، وقد بلغ ببعض المتسرعين ممن أعجبهم رأى فضيلة المفتى أن يقول فى احتقار للفكر وغمط للعقل : (إن البنوك لو جعلت اسم الوديعة استثمارا ، واسم الفوائد نصيب المال من الربح لما حدث كل هذا اللبس) فأى استهتار بالمعايير العقلية والمبادىء الشرعية أكثر من هذا ؟ ثم متى كان مجرد القصد كافيا مع الخلو عن المضمون ، بحيث وجد البعض أنه يكفى للعميل أن يقصد بوضع ماله فى البنك الاستثمار ، أو أن يصرح بذلك ، ولو لم يكن هناك استثمار ، بل كان هناك منع قانونى للبنوك عن الاستثمار والمتاجرة كما يتضح من المادة (٣٩) من قانون البنوك والائتمان .

وأخيرا يحق لنا أن نتساءل فى استغراب واستنكار : كيف يوصف القول المستقر فى مدونات الفقه ، والمستنبط من قواعد الشريعة ، وهو (منع تحديد الربح بمبلغ معين) بأنه (من الأقوال التى تنقصها الأمانة العلمية) ؟ فهل عرفان حق الفقهاء يكون بهذا الطعن فيهم ؟ والأكبر من هذا التجاسر على وصف القائلين بهذه الحقيقة بأنهم : (يريدون أكل أموال الناس بالباطل) مع أن المصير إلى هذا القول هو للفرار من أكل أموال الناس بالباطل فيما إذا حدد الربح بمبلغ معين ولم يصل إليه مستوى الربح المتحقق فعلاً إذ يأكل الشريك مال شريكه بالباطل .

والأدهى والأمر رمى هؤلاء الفقهاء ـ ولا يخفى أن هذا يشمل فقهاء الأمة ـ (بالمتاجرة بالدين لمصالحهم) مع أنهم فى عداد المستثمرين ومصلحتهم الشخصية تتصور فى تعزيز القول الغريب بضمان أصل أموالهم مع ربح محدد بمبلغ معين ، وهم داروا مع الشريعة حيث دارت معتقدين أن فى مقرراتها المصالح الحقيقية الكاملة .

إن صدى هذه الكلمات الجارحة قد أطلق عنان الأقلام الجائرة لتتهم العلماء الذين أشفقوا من تعدى حدود الله بالغوغائية وأن (ثرواتهم متوقفة على قول ما قالوه) مع أنهم لم يقولوا إلا بما انتهى إليه الفقهاء قبلهم بالاستمداد من قواعد الشريعة .

وأورد فى ختام كلمتى مقولة مشهورة للإمام السبكى يقول فيها : (اعلم أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة ، فمن تناول العلماء بالطعن والثلب ، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب) .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

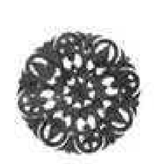

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

أ.د. عبد العال عطوة

الشبهة الرابعة :

إن البنك لا يحدد الربح مقدماً إلا بعد دراسة مستفيضة ودقيقة لأحوال الأسواق العالمية والمحلية ، والأوضاع الاقتصادية فى المجتمع ، وظروف كل معاملة ومتوسط ارباحها ، وفوق كل ذلك فإن هذا التحديد يتم بتعليمات وتوجيهات البنك المركزى ، الذى يعد بمنزلة الحكم بين البنوك والمتعاملين معها .

الرد على هذه الشبهة :

يتضح من هذا التعليل ان المقصود منه هو ان احتمال الخسارة الذى قد ينشأ من التحديد ويتاثر به الطرف الآخر ، منعدم أو ضئيل ، فينعدم الضرر بالنسبة للمتعاقدين ، وهذا قول يكذبه الواقع إذ احتمال الخسارة قائم على الرغم من هذه الدراسات المذكورة ، وقد أيد الواقع ذلك ، بما نشرته الصحف ووكالات الأنباء من إفلاس بعض البنوك فى لبنان وأمريكا وغيرهما ، بل قد حدث ذلك فى مصر ، حيث تعرض بعض البنوك للخسائر ، وكاد ان يعلن إفلاسه ، لولا تدخل الحكومة فى ذلك الوقت لإنقاذه .

الشبهة الخامسة :

إن تحديد الربح مقدماً فيه منفعة ومصلحة لرب المال ، لأنه يعرفه حقه معرفة خالية من الجهالة ، وفيه منفعة للعامل ، لأنه يحمله على الجد والاجتهاد فى عمله ونشاطه ، حتى يزيد على الربح الذى حدد لصاحب المال .

الرد على هذه الشبهة :

إنه قد سبق أن بينا أن المفسدة فى التحديد تربو على المصلحة ، ومن المقرر ـ فقهاً وأصولاً ـ أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ثم أين

المصلحة فيما إذا بذل العامل ما فى وسعه من جهد ونشاط ، ثم لم تربح العاملة إلا المقدار المحدد لرب المال ، وذلك بسبب بعض الظروف التى لم يمكن تفاديها أو التغلب عليها ؟ الا يضار العامل بذلك ؟!

الشبهة السادسة :

إن هذا التحديد لا يتعارض مع احتمال الخسارة من جانب المستثمر ، سواء كان بنكاً أو غيره ، لأن المستثمر إن خسر فى جانب كسب فى جانب آخر ، فتغطى المكاسب الخسائر ، ومع ذلك فهذه الخسارة إن تحققت بسبب الإهمال أو الخيانة أو سوء الإدارة ، فصاحب المال ليس مسئولاً عن هذه الخسارة ، ويكون العامل ضامناً لها نتيجة إهماله أو خيانته .

الرد على هذه الشبهة :

إن هذا قول عجيب ، لأن الفرض أن احتمال الخسارة ليس فى معاملة جزئية من مجموع النشاط الاستثمارى ، وإنما الاحتمال مفروض فى المعاملة برمتها ومجموعها ، ومع ذلك إذا لم يغط المكسب فى أحد الجوانب الخسارة فى الجوانب الأخرى ، فماذا يكون الوضع ؟ الا تتحقق الخسارة فى الجملة ؟ ومادام هذا الاحتمال قائماً فإن الضرر الذى يصيب الطرف الآخر قائماً ، فتمتنع هذه المعاملة المفضية للضرر ، طبقاً لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا ضرر ولا ضرار » .

الشبهة السابعة :

إن عدم تحديد الربح مقدماً يجعل صاحب المال تحت رحمة العامل المستثمر ، ومع خراب الذمم الذى يتسم به معظم أهل هذا العصر قد يقول له : إننى ما ربحت شيئاً ، أو ربحت عشرة ، وقد ربح اكثر ، وصاحب المال عاجز عن إثبات حقيقة الربح ، وهذا إضرار به ، ولا سبيل إلى دفع هذا الضرر إلا بتحديد الربح مقدماً .

الرد على هذه الشبهة :

إن المستثمر إن كان أميناً ولم يتحقق من الربح إلا المقدار المحدد فقد وقع الغبن والضرر على العامل المستثمر ، والضرر يجب دفعه ولا سبيل إلى دفع الضرر إلا بعدم التحديد ، وإن كان العامل المستثمر غير أمين فسوف لا يمنعه التحديد من ادعاء الخسارة ، وهنا يقع النزاع بين الطرفين ، ولا سبيل إلى دفع هذا النزاع إلا بعدم التحديد وجعل الربح بينهما نسبياً حسب اتفاقهما .

الشبهة الثامنة :

إن لولى الأمر فى هذا العصر الذى خربت فيه الذمم ـ هكذا جاء حكمه عاماً بخراب ذمم أهل العصر ، ولم يستثن أو يخصص ـ أن يتدخل فى عملية المضاربة ، فلا يجعل المال أمانة تحت يد المضارب ـ العامل المستثمر ـ إذا هلك كان هلاكه على صاحب المال فى كل الأحوال ، بل عليه أن يتدخل لفرض الضمانات الكافية لحفظ الأموال ، ومن هذه الضمانات : تحديد الربح مقدماً ، وأن يكون راس المال مضموناً ، وهذا اللون من التدخل يندرج تحت باب المصالح المرسلة ، قياساً على تضمين الصناع ما تحت أيديهم ، حيث أفتى الصحابة بتضمينهم ما تحت أيديهم من أموال إذا تلفت ، محافظة على أموال الناس .

الرد على هذه الشبهة :

من ثلاثة وجوه :ـ

١ ـ إن تحديد الربح فى عقد المضاربة ليس من باب المصالح المرسلة ، لأن ضابط المصلحة المرسلة الا يشهد لها دليل بالاعتبار أو الإلغاء ، والمصلحة المدعاة هنا قد شهد لها الإجماع والقياس بعدم الاعتبار ، وإذن فهى ليست مندرجة تحت قاعدة المصالح المرسلة ، لعدم انطباق ضابطها عليها .

٢ ـ إن التحديد ليس مصلحة معتبرة ، لأن جانب الضرر فيه أرجح من جانب المصلحة على الوجه الذى بيناه فيما مضى ، وإذن فالتحديد ليس من المصالح المعتبرة ، كما أن المصلحة المزعومة له ليست من باب المصالح المرسلة ، فليس لولى الأمر أو أحد المجتهدين أن يتدخل بالقول بجواز تحديدها .

٣ ـ إن قياس التحديد على تضمين الصناع ما تحت أيديهم عند التلف قياس غير سليم ، لأن شرط القياس الصحيح أن يكون حكم الأصل ـ المقيس عليه ـ ثابتاً بنص أو إجماع ، وهذا الشرط غير متحقق فى تضمين الصناع ما تحت أيديهم من أثاث ومتاع ، لأن حكم التضمين ليس ثابتاً بنص أو إجماع ، وإنما ثابت بطريق الاجتهاد القائم على رعاية المصالح التى لم يرد بشأنها نص أو إجماع بإلغائها فلو سلمنا ـ جدلاً ـ بوجود مصلحة فى التحديد لكان هذا القياس قياس فرع على فرع آخر ، ولو كان المؤلف دقيقاً فى عبارته لجعل المسألة من باب التنظير لا من باب القياس ، أى أن التحديد ـ فى زعم المؤلف ـ نظير التضمين ، أى أنهما من باب واحد ، وقاعدة واحدة .

الشبهة التاسعة :

مع التسليم جدلاً بأن تحديد الربح مقدماً يفسد عقد المضاربة فإن أحداً من الائمة لم يقل بأن فساد عقد المضاربة لهذا السبب يجعل العقد معاملة ربوية يحرم فيها الربح الناشىء عن العمل فى المال المستثمر ، وإنما الذى أجمع عليه الفقهاء عند فساد عقد المضاربة بسبب تحديد الربح مقدماً أن العامل المستثمر للمال يصير أجيراً عند صاحب المال ، وله أجر مثله بالغاً ما بلغ ، ولصاحب المال ما بقى من الربح فوق رأس ماله .

الرد على هذه الشبهة :

لم يقل أحد بأن تحديد مقدار معين من المال لأحد المتعاقدين فى عقد المضاربة يجعل عقد المضاربة معاملة ربوية ، وليس النزاع فى ذلك ، وإنما النزاع فى أن التحديد مقدماً يفسد عقد المضاربة ، وتنتهى أحكامها المقررة لها شرعاً بالنسبة للمشاركة فى الربح ، وتصفى آثارها بما قرره الفقهاء من وجوب أجر المثل للعامل والربح كله لصاحب المال مع رأس ماله ، حتى يتحقق التعادل والتساوى بين الطرفين ، فلا يضيع على العامل ثمرة عمله ومجهوده ، ولا يضار صاحب المال بضياع ثمرة ماله وربحه ، فالمؤلف يفترض معركة لا وجود لها ويرتب عليها أن العقد لم يتحول إلى معاملة ربوية ، وهو ما لم يقل به أحد ، وإنما قالوا بأن التحديد يحول المضاربة

إلى معاملة فاسدة يجب فسخها وإنهاء آثارها بما يحقق العدالة للطرفين على الوجه الذى قرره الفقهاء فيما أسلفناه .

وكأن المؤلف بكلامه هذا - وإن لم يفصح عنه - يرى بقاء المضاربة مستمرة لا يجب فسخها ، وللعامل أجره عند نهاية المدة المحددة لها أو فى نهاية كلٍ ولكننا نستبعد هذا الرأى منه .

الشبهة العاشرة :

يقول المؤلف : « ونحن مع احترامنا للرأى الأول - وهو أن يكون الربح نسبياً لا قدراً معيناً - باعتباره هو الأصل فى المضاربات الشرعية ، لا نرى مانعاً من الأخذ بالرأى الثانى - وهو تحديد الربح مقدماً - إذا وجد المقتضى لذلك ، لأن كلا الرأيين من الآراء الاجتهادية ، التى تختلف باختلاف الظروف والأحوال .

الرد على هذه الشبهة :

أولاً : ادعاء أن مسألة تحديد الربح مقدماً من المسائل الاجتهادية بحيث يؤدى الاجتهاد فيها إلى القول بجواز التحديد ، ادعاء باطل ، لأنه لا يجوز الاجتهاد فى مقابل النص والإجماع ، كما هو مقرر فى علم الأصول ، وفى هذه المسألة قام الإجماع والقياس على عدم جواز التحديد فيكون القول بجواز التحديد قولاً باطلاً .

وثانياً : كيف يحترم المؤلف القول بعدم جواز التحديد ثم يخالفه إلى القول بالجواز !! وما قيمة هذا الاحترام إذن ؟! وإذا كانت العبارة من باب المجاملات الجوفاء التى يتعاطاها بعض الناس فيما بينهم فهل يليق استعمالها فى الأساليب والعبارات الفقهية التى تقوم على الدقة فى التعبير ، والصدق فى القول ؟!

وثالثاً : لقد اعترف المؤلف بأن الأصل فى المضاربات الشرعية عدم التحديد إلا إذا وجد المقتضى للعدول عنه إلى القول بالتحديد ، ولم يأت بدليل أو شبه دليل يقتضى العدول إلى القول بالتحديد . لأننا أبطلنا كل الأدلة والأوجه العشرة التى أتى بها للاستدلال على وجود هذا المقتضى .

وبعد .....

فهذه نظرة فى مسألة من مسائل الكتاب المذكور أرجو أن تتبعها نظرات ، لا نبغى بها إلا الوصول إلى الحق والله من وراء القصد .

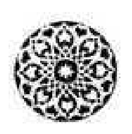

قبس من أنوار النبوة ..

الرحماء يرحمهم الرحمن

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن ابى صالح الحنفى قال : قال رسول الله ـ ﷺ : « إنَّ اللهَ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ رحيمٌ لا يضعُ رَحْمَتَهُ إلاَّ عَلَى رَحِيمٍ ، وَلاَ يُدخِلُ الْجَنَّةَ إلاَّ رَحِيماً ».

قالوا : يارسول الله : إنَّا لنَرْحَمُ أمْوَالَنَا وَأهْلِينَا !

قالَ : لَيْسَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ مَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ».

رواه الإمام احمد فى الزهد

من القيم الرفيعة فى الإسلام ، ومميزاته ـ وما اكثرها ـ صفة الرحمة وصف الله ـ عز وجل ـ بها نفسه ـ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ـ وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٤٣ ـ البقرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٣٩ ـ المائدة ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ٤٩ ـ الحجر . ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأعراف ـ ١٥٦ .

وقال سبحانه فى الحديث القدسى : انا أرحم بعبدى من الوالدة بولدها .

روى البخارى : قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وانزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه .

ولقد وصف الله ـ عز وجل ـ رسوله محمدا بأنه الرحمة المرسلة للعالمين ، فقال : سبحانه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ الانبياء - ١٠٧ - وقال : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران ١٥٩وقال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ التوبة ١٢٨ - وقال فى شانه وشأن صحابته : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح - ٢٩ - كما مدح سبحانه المؤمنين بالتواصى بالصبر والتواصى بالمرحمة ، فقال : عز وجل : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ البلد ١٧ - ١٨ . والرحمة فى أصل معناها رقة فى القلب تقتضى الإحسان والانعطاف والإنعام وتقابلها القسوة والغلظة وهى فى جانب الله تفضل وإنعام وإحسان ، والرحمة التى يريدها الإسلام : هى الرحمة خاصة وعامة فالرحمة الخاصة هى أن يرحم الإنسان نفسه ويكون ذلك بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، ووقاية نفسه من أسباب العطب والخسران والذنوب والآثام ، وحماية قلبه من القسوة ، ووقاية نفسه من اكل الحرام ، والإكثار من عمل الصالحات ، مع الطمع فى رضوان الله عنه بدخول الجنة والنجاة من النار .

كما تكون الرحمة الخاصة بأن يرحم الإنسان أهله أو صاحبه ، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيما رواه الطبرانى - قال : قال رسول الله - ﷺ - « لن تؤمنوا حتى تراحموا ، قالوا كلنا رحيم يارسول الله ، قال : « إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة الناس . رحمة العامة » أى الناس كافة .

أما الرحمة العامة فهى الرحمة الشاملة التى تعم الناس جميعا ، وتظهر آثارها من القلب على الجوارح واللسان فى السعى فى إيصال البر والخير والمنافع إلى الناس وإزالة الأضرار والمكاره عنهم .

وعلامة الرحمة الموجودة فى قلب العبد أن يكون محبا لوصول الخير لكافة الخلق عموما وللمؤمنين خصوصا ، كارها حصول الشر مع الصبر عليهم ، فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون رحمته . وأولى الناس بالرحمة الوالدان قال - عز من قائل : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ الإسراء ٢٤ .

وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : أقبل رجل إلى نبى الله فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله فقال : هل لك من والديك أحد حى ؟ قال : نعم ، بل كلاهما . قال : فتبغى الأجر من الله تعالى ؟ قال نعم . قال : فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما .

بل إن الرحمة بهما والإحسان لهما : ليس مقصورا على برهما فى حياتهما ، وإنما يمتد إلى ما بعد وفاتهما . فقد جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ فقال : يارسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال : نعم « الصلاة عليهما . أى الدعاء - والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما - أى تنفيذ وصيتهما - من بعدهما ، وصلة الرحم - أى أقارب الأب والأم - التى

قبس من انوار النبوة

الرحماء يرحمهم الرحمن

لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

ومن هنا كانت القسوة عليهما وعقوقهما من اكبر الكبائر بعد الشرك بالله ومن الذنوب التى يعجل الله عقوبتها فى الدنيا قبل الآخرة .

فعن رسول الله - ﷺ - فيما رواه البخارى ومسلم : انه قال كل الذنوب يؤخر الله ما يشاء منها إلا عقوق الوالدين ؛ فإن الله يعجل لصاحبها فى الحياة قبل الممات .

وللأم درجة خاصة من البر والإحسان لما تحملته من المشاق والمتاعب . فقد روى البزار عن بريدة عن ابيه أن رجلا كان فى الطواف حامل أمه يطوف فسأل النبى - ﷺ : هل اديت حقها ؟ فقال : لا ولا بزفرة واحدة ،ثم الرحمة بذوى القربى وذوى الأرحام : فقد روى ابو داود انه قيل يارسول الله من ابر ؟ قال : قال أمك وأباك واختك واخاك ومولاك الذى ذاك اى قريبك الذى يقرب من هؤلاء المذكورين - حق واجب ورحم موصلة أى قرابة يجب وصلها - قال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ الإسراء - ٢٦ . روى الإمام احمد عن أبى هريرة : سمعت رسول الله يقول : الرحم شجُنه من الرحمن تقول يارب إنى

قُطعت يارب إنى اسىء إلىّ ! يارب إنى ظُلمت يارب ، يارب ! فيجيبها : الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك .

وممن تجب الرحمة بهم الأولاد بالعطف عليهم والرقة والحنو عليهم وبهم ، فقد روى البخارى عن ابى هريرة أن النبى - ﷺ - : قبَّل الحسن او الحسين بن على وعنده الاقرع بن حابس ، فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم احدا قط ! فنظر إليه رسول الله وقال : من لا يرحم لا يُرحم .. وفى رواية : أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك » وقد دمعت عينا رسول الله - ﷺ : عند فقد ابنه إبراهيم ولما سئل فى ذلك قال : إنها رحمة - رواه مسلم .

كما تجب الرحمة بالضعفاء والمساكين . روى الطبرانى : أن رسول الله - ﷺ : قال : « طوبى لمن تواضع فى غير منقصة ، وذل فى نفسه من غير مسألة ، وانفق مالا جمعه فى غير معصية ، رحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة » .

وعن أبى هريرة أن رجلا شكا إلى رسول الله قسوة قلبه : فقال له : اتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ، ارحم اليتيم وامسح رأسه ، واطعمه من طعامك يلن قلبك . وتدرك حاجتك - رواه احمد .

وممن تجب الرحمة بهم المرضى وذوو العاهات : فلا تقسُ عليهم بل تكون رحيما بهم متخلقا بخلق الله معهم : قال - عز من قائل : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ - الفتح - ١٧.

وإذا كانت الرحمة التى يدعونا إليها الإسلام عامة لا تقف عند حد ، فإن الواجب يقتضينا ان نتصف بها مع الناس اجمعين ، وفى كل وقت وحين ، حتى نكون اهلا لوعد ربنا حيث قال : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

﴿ أُوْلَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة ـ ٧١ .

وكما دعينا إلى الاتصاف بصفة الرحمة مع بنى الإنسان جميعا ، كذلك امرنا بالرحمة مع العجماوات : قال رجل ـ فيما رواه الحاكم يارسول الله إنى لأرحم الشاة أن أذبحها فقال : إن رحمتها رحمك الله .

ولقد كانت الرحمة سببا فى مغفرة ذنوب المسرفين على انفسهم فى المعصية فقد روى مسلم : ان امراة بغيا رات كلبا فى يوم حار يُطيف ببئر قد ادلع لسانه من العطش فنزعت موقها ـ خفها ـ فغفر لها به ـ كما أن امراة دخلت النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ـ رواه البخارى .

فعلينا ان نقتدى برسول الله ـ الرحمة المهداة ـ حتى نكون أهلا لرحمة الله التى وسعت كل شىء .

ولقد قدم صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ: بِسَبْى وإذا امراة تسعى قد تحلب ثديها إذا وجدت صبيا فى السبى فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ـ ﷺ .

«أترون هذه المراة طارحة ولدها فى النار ؟ قالوا : لا ـ وهى تقدر على الا تطرحه ـ قال : فالله ارحم بعباده من هذه بولدها » البخارى .

اللهم اجعلنا ممن اتصفوا بالرحمة حتى نكون اهلا لرحمتك ياأرحم الراحمين .

ناصح أمين ـ بقية ـ

ثم بين إبراهيم عليه السلام ان المستحق للعبادة هو رب العالمين الذى خلقهم وهداهم إلى كل مايصلحهم ويعينهم كالهداية إلى معرفة الثدى عند الولادة ، وإلى معرفة مكانه والهداية لكيفية الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد حتى يفارق الإنسان الدنيا ، وبيده سبحانه وحده الصحة والمرض ، والغنى والفقر ، والحياة والموت ، وهو سبحانه وحده الذى يقبل التوب ، ويعفو عن المسىء ، ويغفر الذنب ، ولنسمع : ﴿ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾[٤] .

فتأمل منهج ابى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى الدعوة إلى الخير والهدى ، ومنهج الصالحين ومنهم الرجل الذى جاء من اقصى المدينة يسعى ليعزز المرسلين ، ويدعو قومه إلى توحيد الله ، ويقيم البرهان ويخاطب العقل ، وينبه الوجدان والقلب بجمال الأسلوب ، وروعة البيان ، وسطوع الدليل ، وقد تحدث عن نفسه ليدعو غيره إلى التأمل والتفكر ، ثم التفت إلى الناس مؤمنهم وكافرهم قائلا : ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ فماذا كان من أمر المشركين معه ؟ رضى الله عنه .

للبحث صلة

(٤) الآيات : ٧٧ : ٨٢ من سورة الشعراء .

الحاقدون يعترضون

على مقسم الأرزاق

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ « سورة الزخرف ٣١ ـ ٣٢ » .

لا ريب ان الإسلام ينأى بالمسلمين عن مثيرات الحقد والضغينة ويأمر اتباعه بالتعاون على البر والتقوى : لأن الله يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . . . ﴾ « سورة المائدة ٢ » .

ومما لا ريب فيه أن الإسلام يجعل الإيمان دواء شافياً يشفي الصدور من الضغينة التي يصاب بها الحاقدون أعداء النعم وخصوم الحياة ، لأن الرضا بصنيع الله مقسم الارزاق بين خلقه ولم ينس أحداً ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ « هود ٦ » .

الرضا يملأ القلب اطمئناناً بأن الله بيده ملكوت كل شيء : يعطي ويمنع ويضر وينفع ، والله يقول : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ « سورة آل عمران ـ ٢٦ ـ ٢٧ » .

والمؤمن يترك أمر الملك للمالك ويدع الخلق للخالق ؛ لأن الأمر لله جميعاً . ﴿ . . لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ . . . ﴾ « سورة الروم ـ ٤ » .

ولكن جمهور الحاقدين لا يرضيهم إلا زوال

النعمة من أيدى المنعم عليهم ورحم الله القائل :
داريت كل الناس لكن حاسدى

مداراته عزت وعز نوالها
وكيف يدارى المرء حاسد نعمة
إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

والله يقول : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ « سورة الفلق ٣ ـ ٥ » .

وذلك لأن الحسود شره مستطير وسيرد حقده عليه ، وكان الأولى به أن يرحم نفسه من الضرر الذى يصيبه من هم وغم وقلق دائم : لأن الحسد داء ينهك الجسد ويفسد الود . ويعمى البصيرة ويطمس القلب ويغرى بالإثم .

وعندئذ تنقطع الصلات وتتمزق العلاقات بين الأفراد والجماعات .

والمسلم الصادق يكون راضياً عن الله فى كل ما يهب لعباده الفقراء إليه ، ليصبح ويمسى مستريح النفس من بركان الحقد الأعمى فى قلوب أهل الضغينة المفسدين الحاقدين .

ولقد أمرنا الله بالاستعاذة من شر حاسد إذا حسد لأن الحسد جمرة متقدة فى الصدور الجاحدة ..

مجتمع التراحم

والمجتمع الذى يتعاطف ويتراحم ويحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه هو المجتمع الذى يريده الإسلام ويحبه الرحمن ، (وعن عبدالله بن عمرو قيل يارسول الله اى الناس أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب صدوق اللسان ، قيل صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال : هو التقى النقى ، لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد) « رواه ابن ماجه » .

إن أدب المجاملة وحسن النية وطهارة السريرة ومراعاة أحاسيس الناس وإسلام الوجه لله ، كل ذلك من أعظم القربات عند الله تعالى ، لأن ذلك يدل على عمل المصلحين ، والله هو المطلع على خبايا النفوس وحده ، والإيمان فى قلوب المتقين لا يقبل الضيم ولا يتحمل الضير ، وهو يأبى الذلة و« الانحطاط » ويحب معالى الأمور .

أول معصية

إن أول ذنب عصى به الرحمن فى دنيا الناس يكمن فى جملة قالها إبليس يوم أمر بالسجود لآدم فأبى واستكبر وقال : أنا خير منه ، فكانت الأنانية وكان الحقد وكان الكبر البغيض الذى سبب له اللعنة ؛ ثم ارايت كيف كان الحقد سبباً فى إغراء قابيل على قتل أخيه فقتله ؛ كما جاء فى القرآن الكريم ؟!!

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ « سورة المائدة ـ ٢٧ ـ ٣٠ » . هذا هو الحقد يتجسد ويفور ويثور ليقتل أخاه إرضاء لنزواته وإشباعاً لإيلام غلِّه وحقده ، ولكن أصحاب الهمم العالية والأخلاق السامية وأهل الإباء والوفاء يترفعون عن الدنايا والخطايا وفعل النقيصة والخسيسة .

الحقد والتآمر على الدعوة المحمدية

الحقد الشرير شره مستطير وأمره خطير يسبب الشقاق ويفسد حياة الآمنين لأن الحقود عذابه

الحاقدون يعترضون

على مقسم الأرزاق

مقيم فى قلبه الجريح الذى لا يبرأ من الغل إلا بالإيمان السليم واتباع الصراط المستقيم وإخلاص الفؤاد لرب العالمين ، وبهذا يبرأ المرء من صغار الحقد ، وهو من صفات الطبقات الدنيا من الخلق ، اما أصحاب النفوس العالية فلا ينزلون إلى تشويه الحقائق والافتراء على الأبرياء بسبب الكره الحاقد ممن لاخلاق لهم ، فعاشت فى صدورهم جراثيم الخبث والشر والكيد بسبب الحقد الذى يتمنى صاحبة للناس الدمار والبوار لا لشىء إلا لأنه فاشل حيث نجح غيره ، فراح الحاقد يتلمس العثرات ويحصى الهنات على غيره .

ولقد تآمر الكافرون على سيد البشر خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث خططوا لاغتياله ليلة الهجرة .. ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ « سورة الأنفال ـ ٣٠ » .. فقد خرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلتئذ مهاجرا ومعه صاحبه ابو بكر تحرسهما عين الله تعالى إلى المدينة .

وكيف رسموا الخطة للمؤامرة ؟

لقد اجتمع مائة من الحاقدين الجاحدين الكفرة ، الفجرة فى « دار الندوة » بزعامة ابى جهل وقرروا أن يجمعوا من كل قبيلة شاباً قوياً فتياً ، يُعطى سيفاً صارما ثم لينقضوا جميعاً على محمد ابن عمومتهم ليشترك ممثلو القبائل فى ضربه ضربة رجل واحد ، فيقتلونه ويستريحون منه فلا يقدر بنو عبد مناف على ضرب الجميع فلا دية له ولا ثأر بعد ذلك ، ولكن الله خيب أملهم بحماية حبيبه الذى اجتباه ورباه وتولاه منذ وجده يتيماً فآواه وقد اصطفاه لأضخم رسالة وادخره لأعظم مهمة عرفتها الإنسانية وقال له : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .... ﴾ ولم يهدأ حقد أهل مكة .. فأخذوا يبحثون عنه فى الكهوف والمغاور وأعدوا الجوائز لمن يحضره حياً أو ميتاً !!!! ولكن الله رد كيدهم خناجر مسمومة إلى صدورهم المحمومة :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة التوبة ـ ٤٠ » .. وبالهجرة انتصر الإسلام وعزت كلمته وكان الحقد آفة النفوس الضعيفة الملتوية .

لو كان الحقد رجلا لوجب قتله

كل جريمة من الكبائر تمتد جذورها إلى حقد أو طمع او انانية أو كبر فى الأرض بغير الحق وركائزها كلها ، الحقد الدفين على من انعم الله عليهم ، وقد يكون الحقد بين الجماعات والأمم كما يكون بين الأفراد والأسر ، وقد كان فرعون صورة للقلب الحاقد والباغى الجاحد ، فقد امتلا كبراً وغروراً وطغياناً وفجورا ، وكان شغوفاً بإذلال الآخرين يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ، ثم تطور أمره وازداد ضره حتى قال : ذرونى اقتل موسى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ . وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ « سورة غافر

ـ ٢٦ ـ ٢٧ » : فماذا كانت نهاية غروره وفجوره ؟!! كانت نهايته أن أخذه الله نكال الآخرة والأولى . إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى .

وتلك هى نتيجة التكذيب والكبرياء والاستعلاء على خلق الله والتطاول وادعاء الألوهية !!!

الله يقول : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾

الغبطة والمنافسة

والمنافسة أو الغبطة غير الحقد ، وهى محمودة ، وليست من الحسد ، لأن الغبطة والمنافسة محاكاة اى ناجح فى عمله مع تمنى الخير له مع دوام النعمة التى في يديه له من غير تمنى زوالها عنه ، واتخاذ المُجِدِّ قدوة ، وهذا حسن ومطلوب لأنه وسيلة كريمة لمحاربة الضعف فى النفس ، وبهذا يتقدم الإنتاج والله يقول : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ : وقد وصف الله اهل المدينة الذين استقبلوا إخوانهم المهاجرين بالترحاب والرضا والارتياح التام فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ .. ﴾ « سورة الحشر ـ ٩ ـ ١٠ » .

وهؤلاء قد كانوا يتطلعون إلى فضل الله وحده وغير كارهى الخير للغير ، وهم يحبون للناس ما يحبونه لأنفسهم ، وفى هذا يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها ... » [رواه البخارى] .. والمؤمن لا يقبل سقوط الهمة بالحقد على الناس الذين اختصهم الله بموهبة أو بميزة أو عطاء ، لعلمه بأنه لا يجتمع فى جوف ابن آدم إيمان وحسد ، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يجتمع فى جوف عبد غبار فى سبيل الله وقيح جهنم ، ولا يجتمع فى جوف عبد الإيمان والحسد) .. « رواه البيهقى » .. ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » « رواه البيهقى » .

وليس على أى طموح يحب الرفعة اى حرج فقد قال عباد الرحمن : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ « سورة الفرقان ـ ٧٤ » .

ويقول سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ « سورة ـ ص ـ ٣٥ » .

الحقد ونشر الشائعات

إن شر خلق الله رجل لا يجد عيباً فى رجل محسود فيزور عليه قولاً أو ينتحل له أمراً ، أو ينسب إليه سوءاً ، كذبا وتشفيا وتشهيرا . وهذا سفه ولؤم وخسة وصفاقة وها هوذا القرآن الكريم يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ « سورة النور ـ ١٩ » .

والإسلام دين السمو والعفة والرفعة والصدق ، يكره الكذب ويمقت الإفك ويحب ستر عورات الناس وحرم التشنيع على الناس فى المجالس لينقص من اقدارهم بإبداء المساوىء وخلق التهم لحقد مكظوم او يتخذ لنفسه متنفساً لغل مكتوم ، وفى هذا يقول معلم البشرية وأستاذ

الحاقدون يعترضون

على مقسم الأرزاق

الإنسانية الذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من ذكر امرءا بشىء ليس فيه ليعيبه حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد ما قال فيه » « رواه الطبرانى » ..

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ « قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم : قال : ذكرك أخاك بما يكره؛ قال : أرأيت إن كان فى أخى ماأقول ؛ قال : إن كان فيه ماتقول ؛ فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته » « رواه مسلم » ..

وكان صاحب الخلق العظيم يقول : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئاً ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » « أبو داود » .. وقال : من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موءودة » « الطبرانى » ..

وإن الذين يتتبعون العورات لنشرها يظهرون غل قلوبهم وحقد صدورهم الكامن فى نفوسهم وهم أشد خطرا وأعظم ضررا من أهل العداء الواضح المعلن . لأن عملهم عداء مقنع ولكنه بارز غير مستتر ، لأن المرض الحاقد فى صدور الأفاكين لا علاج له إلا بالصبر كما قال الشاعر الحكيم ـ رحمه الله ـ :

اصبر على كيد الحسو
د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها
إن لم تجد ما تأكله

هذا قول يصور الشحناء فى قلب أهل البغضاء ويصف العلاج بالصبر الجميل على كيد الحسود ، ليصطلى وحده بناره ، وهو يقول : فإن صبرك قاتله .. لأن الصبر لا يغسل أدران الحقد من صدور الحاقدين ولكنه يكبت كيدهم !!! والاستعانة بالصبر والصلاة دواء والله يقول :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، إن الناس يكرهون رؤية الحاسد وينفرون منه ويتشاءمون من عينيه ويحتقرون خلقه الخبيث الساخط الساقط الباغى فهو صاحب الطبع اللئيم وهو شاذ سقيم وليس لسقمه دواء ولا لحسرته انتهاء .

فهو بخيل بما لا يملكه طالب لما لا يجده ، عدو لمن لا ذنب له عنده ، ولا يتجسد الحسد إلا عند زيادة النعم فمن كثر جاهه كثر حساده .

شرار الناس

روى عن ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ألا أنبئكم بشراركم ؟! قالوا بلى إن شئت يارسول الله ؟ قال : إن شراركم الذى ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده ؛ أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى ، إن شئت يارسول الله ؛ قال : من يبغض الناس ويبغضونه ، قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يارسول الله ؟ قال : الذين لا يقيلون عثرة لا يقبلون معذرة ، ولا يغفرون ذنباً ، قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : من لا يُرجى خيره ولا يُؤمن شره » « رواه الطبرانى » .

البقية ص ٢١٩

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

المرور أمام المصلى

س : يسال عبد السلام البندارى من كفر الشيخ عن جواز المرور امام المصلى .

ج : المرور أمام المصلى من المحرمات ففى الحديث المتفق عليه « لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان ان يقف اربعين خيرله من ان يمر بين يديه » وفى رواية للبزار نسبه صحيح : « لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه كان لأن يقوم اربعين خريفا خير له من ان يمر بين يديه » .

وقال المحققون : التحريم يكون إذا صلى الإنسان لسترة اتخذها أمامه ، اما إذا لم يتخذ سترة فلا يحرم المرور وإن كان الاولى تركه .

ومن ذهبوا إلى تحريم المرور سواء اتخذ المصلى سترة أم لا ، قالوا : إن المنطقة المحرمة هى التى بين قدمى المصلى إلى موضع سجوده . أما ما بعد ذلك فلا حرمة فى المرور فيه .

كل من الزوجين يرث الآخر

س : ويسال م . ن من البحيرة عن حكم الإسلام فى رجل عقد قرانه على فتاة وتوفى قبل الدخول بها فهل ترث منه ؟ وهل يحق لابنه الزواج منها ؟

ج : مادام عقد الزواج قد تم فكل من الزوجين يرث الآخر عند الموت سواء كان قبل الدخول أو بعده ، أما المعاش فله نظام خاص ، وإذا لم يعين المتوفى من يستفيد من معاشه يوزع كالميراث .

وليس لابنه أن يتزوج منها لأنها زوجة ابيه بمجرد العقد ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (النساء ٢٢) .

ويدخل فى النكاح هنا الزواج بلا وطء .

التزام الدخول بعد الزفاف

س : سال م . ا من اسيوط عن حكم الإسلام فى رجل عقد قرانه على فتاة وعاشرها المعاشرة الزوجية قبل الزفاف فهل يحل هذا ام يحرم ؟

ج : مادام الشاب قد عقد زواجه بفتاة فقد حل له منها ماكان محرما قبل العقد اى فى فترة الخطبة وما قبلها .

الفتـــاوى

لكن العرف السائد أنه لا يتصل بزوجته اتصالاً جنسياً إلا بعد إعلان الدخول لأن هذا الذى عاشر زوجته بعد عقد قرانه عليها بطريقة سرية ربما تبدل الحال بعد ذلك واختلف الزوجان أو أهلهما فأنكر أنه دخل بزوجته وبذلك يجر عليها ويلات لا حد لها بسبب زوال بكارتها أو ظهور حمل بها .

فدرءاً لهذا الشر المستطير يجب على كل من أراد أن يستمتع بمن عقد عليها أن يعلن أمام الناس أنه دخل بزوجته حتى لا يكون له سبيل إلى الإنكار فيما لو اختلفا فى الدخول وعدمه .

والله أعلم

إطالة الخطبة وتقصير الصلاة

س : ويسأل على الليثى من الجيزة عن حكم الدين فى خطيب المسجد الذى يطيل فى خطبة الجمعة ويقصر فى الصلاة .

ج : كان هدى النبى ﷺ التوسط والقصد فى الخطبة وإطالة الصلاة بالحد المعقول مراعاة لحال المأمومين .

فقد أمرنا ﷺ بذلك .

روى الترمذى بسند حسن عن العرباض ابن سارية : كانت خطبة الرسول ﷺ فى الجمعة قصداء أى متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ، وفى الحديث الذى رواه مسلم ما يفيد أن طول صلاة الرجل وقصر خطبته علامة على فهمه وتفهمه فأطيلوا الصلاة .

وننصح الخطيب الذى يريد أن يوفى الموضوع حقه أن يختصر مراعاة لحال الناس ، وبعد الصلاة يشرح ويوضح لمن شاء ماكان يريد ذكره فى الخطبة ، وذلك من الحكمة فى الدعوة التى أمر بها الدين .

أولياء الله

س : وتسأل ح . عبد ربه من الزقازيق عن أولياء الله ومن يستحق أن يلقب بلقب الولى ، وهل لهم كرامات ؟

ج : أولياء الله هم الذين تولوا أمر الله بالتنفيذ وتولاهم الله بالرعاية ، قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس ٦٢ : ٦٤) .

ففى هذه الآيات مواصفاتهم (آمنوا وكانوا يتقون) حيث تولوا أوامر الله بتنفيذها إيماناً وتقوى وفيها جزاؤهم . (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) حيث تولاهم الله بالرعاية والتكريم .

والكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد ولى من أوليائه الصالحين ، وهذا أمر غير لازم أن يظهر فى الدنيا فقد يدخره الله فى الآخرة .

الأولياء المخلصون يحبون أن يعيشوا مستورين بعيدين عن الرياء والشهرة .

الشعر والشعراء

إشراف: رشاد يوسف

الإسكندرية

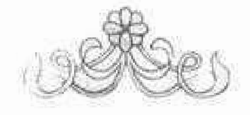

إن السعادة في الرضا — للمؤلف قناع

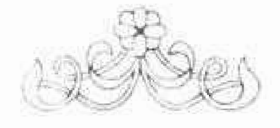

على لسان محتضر

الإسكندرية

للشاعرة: جليلة رضا

اسكندرية: أيها الثغر الجميل؟ أنا هنا
أهفو إلى الماضي البعيد وأستعيدك موطنا
يالهف نفسي كم أحن إليك، أعشق فيك أمسي
ولكم وكم ناداك عبر حنينه المشبوب حسيّ
أنا إن هجرتك إنما أحيا وطيفك في خيالي
وأظل أسأل هل أراك غداً وأحظى بالوصال
أنا قد أغيب وإنما أستاف «يُودَكِ» في انتشاء
وأمد عيني من بعيد نحو بحرك في رجاء
أنا في رباك صبية تنهل من نبع المنى
تغزو الشطوط الشقر، تبني من رمالك مسكنا
أنا في رباك شجيرة نهلت عصارات الحياة
أخت الأزاهر والحدائق والزوارق والمياه
أنا كالطيور على رباك رفيقة الفجر الندى
أحيا مع الحسن المهيمن والجمال العبقرى
آه وآه من نسيمك حين يسرى في ضلوعي
قلبي الذى ألف الصراع لديك كالحمل الوديع
اسكندرية! تحت خطوك أفرش القلب الأمين
فخذيه في الحضن الدفء وكفكفى الدمع الحزين
من أجل حبك لم أعد أهوى حياة القاهرة
يالقطعة من قلب مصر. وكل قلب الشاعره ... !

إن السعادة في الرضا

للشاعر : سيد عبد الرءوف سيد

إن السعادة في الرضا فلترض ياصاح رضاى

اسعى فإن ادركت ما ارجو انتشيت فذا مناى

انا لا انى فإذا المنى صدفت رضيت به قضاى

مالى اقطب عابسا فيزيدنى المًا اساى

المال إن يكثر بذلت لمعوز وسخت يداى

وإذا امتحنت به انست لقائل : مالى فداى

وإذا بليت بجاهل فالحلم يحرس لى قواى

الشامتون من العدا ارثى لهم وهم عداى

ماضر لو طعموا الرضا حلوا وصاروا في رضاى

انا إن ظلمت ولم اطق دفعا وقد كسرت عصاى

احنو على نفسي ومن يحنو على نفسى سواى ؟

والموت إن يقدم فكم قد شيعت موتى خُطاى .

● الشاعر سيد عبد الرءوف سيد موجه علم للغة العربية سابقا .

للزيف قناع متهرئ

شعر: شوقي محمود أبو ناجي

أتلفتُ بَيْنَ دُروبِ الْوَهْمِ لأبحثَ عن شيءٍ مجهول
عَنْ شَيءٍ لا أذكرهُ .. ضاعَ على الطرقات بغيرِ دَليل
وتشيخُ الطُرُقُ بوجهٍ طُمِستْ فيه معالم كلِّ سبيل
والصمتُ يزمجرُ بينَ جوانح نفسٍ تبحثُ عَنْ تأويل
وأمدُّ الطرْفَ لأسبِرَ غَوْرَ الأفقِ فيرجعُ وَهو كليل
صِفْرَ الكفينِ .. رَمادُ الدمعِ يلوّن آفاق المجهول

لا يبصرُ إلا الزيفَ يبرقعُ فهوَ قِناعُ شرٌّ قِناع
يخفى الظلماتِ بوجهٍ يوهمُ أنّ الحلكةَ غرسُ شعاع
ويذلّل صعبَ الصعبِ .. بحكمةِ من يتمرسُ بالإقناع
وبداخله جُبُّ البهتانِ .. بعيد الغور عميق القاع
ولمخلبه سمُّ الرقطاءِ .. يداوى من كلِّ الأوجاع
وَدَعيُّ الصدقِ .. دعيُّ الحقِّ .. يُؤَيَّدُ مِنْ شَرِّ الاتباع

وسعيتُ إلى جاثٍ يحفنُ ذُلّاً ويهيلُ على نفسه
ويتمتم بالدعواتِ لِمَنْ يسقيه هواناً في كأسه
ويبثُّ العاشق ضَهْدَ الهمِّ شجونا تلهثُ من فأسه
والأرض تجيبُ بهمس الغصن وماء العزة في غرسه
سَيَهُبُّ إباءٌ بين عروق الغصنِ تمردَ في حبسه
فإذا الجلاد جريح النظرة والأوحال على راسه

على لسان محتضر

للشاعر: محمد عبد الرحمن صان الدين

نظرت إلى دنياى نظرة عاشق ∴ اهيم بها وجدا ، وينبض خافقى(1)
فلست اراها غير حسنٍ ، ورونقٍ ∴ ونبعِ صفاء بالمسرة دافقِ

ومرتعِ مجْدُودٍ ، يدير بكفه ∴ مقاليدَ عيش قد خلا من بوائق(2)
وغاية آمال ، ومُنْيَةِ طامح ∴ كانى ضمنت الخلد ، غير مفارق

ومرت (سنين) العمر ، والقلب غافل ∴ اغُضُّ جفونى عن بَهِيرِ الحقائق
على الارض اغدُ وكيف شئت مُجنَّحا ∴ وليس امامى فوقها من عوائق

ولما انقضى عمرى ، ولاحت منيَّتى ∴ تُتَابِعُ انفاسى ، باعين وامِقِ(3)
وايقنت انى - لا محالة - راحل ∴ إلى حيث تلقانى جميع سوابقى

تَلَفَتُّ من حولى أروم عشيرتى ∴ وصفوة اخدانى ، وظل منافق(4)
فلم أُلفِ من هذا وذلك دانيا ∴ يكون لَدَى حين الوداع مرافقى

وحدَّقت فى حِرْزِى ، لاصحب ما به ∴ فلم احظ مِمَّا قد حَوَيْتُ بِدَانِق(5)
فصدتْ عن الدنيا جميع جوارحى ∴ وودعت ما فيها بوجدان حانق(6)

وهانذا امضى وحيدا مجردا ∴ بعقلٍ شريد ، فى الهواجس غارق
وحسٍ كضوء الشمس طَىَّ سحابة ∴ وطرفٍ كليل بالمُحَجَّب عالق
ولَمَّا وَنَى نبضى ، واصبح هيكلى ∴ بغير لسان ، بالمشاهد ناطق

تكشَّفَ لى ما كان عنِّى محجبا ∴ وقد صار منى دانيا كل شاهق
وطَوَّفْتُ فى طول الوجود وعرضه ∴ فلم ارَ شيئا غير انوار خالقى

---

(1) خافقى : قلبى .
(2) مجدود : محظوظ ، بوائق : الدواهى .
(3) وامق محب .
(4) اروم : اريد ، اخدانى : اصدقائى .
(5) دانق : ربع درهم .
(6) حانق : غاضب .

من أعلام الأزهر وشعرائه

الذكريات الغالية :

حين اتصل بى المهندس عبدالحميد فارس ، نجل أستاذنا وشيخنا عبدالمنعم فارس ، انداحت أمام مخيلتى مساحات شاسعة من الزمان والمكان ، ووجدتنى فى أسيوط ، وفى معهدها ، وأرى زملائى فى شرخ الشباب مقبلين على العلم والحياة فى بهجة يحسن أن يصورها رسام ويصفها شاعر صاحب إلهام : وتناوشتنى الأفكار من كل جهة ، وتجلت الخواطر تتراءى أمام عينى حتى قلت مع الشاعر العربى :

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدرى خراش ما يصيد

وأنا خراش فى هذا المجال ، ويهمنى أن أسجل أن شيوخنا كانوا على مستوى تحلم البرية ببعضه ، فرؤساء المعهد على التوالى وهم شيوخ لايضارعون : نذكر منهم : الشيخ إبراهيم حمروش ، والشيخ عبدالحكم عطا صاحب المقولة المشهورة : « لو ضاع مذهب مالك لجمعته من صدرى » والشيخ السرفى والشيخ أبا العيون ..

لفضيلة الشيخ
السيد حسن قرون

ومن المدرسين المشايخ اذكر الشيخ عبد الرحمن تاج ، والشيخ السايس والشيخ صالح شرف ، والشيخ شبل يحيى ، والشيخ عبدالحليم ابو بيه ، والشيخ محمد عبد الرحيم الكشكى .

ومن شباب المدرسين : الشاعر الناقد الشيخ عبدالمنعم فارس ، ومن شيوخه ومدرسيه ازدان الأزهر بتولى مشيخته بكل من : الشيخ حمروش ، والشيخ تاج .

وكانت الاحتفالات فى المواسم الدينية والوطنية مجالاً لظهور العبقريات من الخطباء والشعراء ، « سوق عكاظ » من غير تجارة ولا مفاخرة ، بل هو سباق فى سبيل الإجادة ووضع المثل العليا من الأدب شعره ونثره مع الخلق الكريم ، والنهج السليم ، ونحن الطلاب نجنى من كل حفل ثمرات لها طعمها الذى لا يفنى ، وكنا نحفظ مايقال ، ونتمنى أن نراه مطبوعاً لاقتنائه ، وهيهات

هيهات ، فالشيوخ ينقلون إلى المعاهد الأخرى والطلاب ينالون الشهادة الثانوية الأزهرية ، ثم تتلقاهم الكليات ، ولكن الصلات الروحية تدوم ، وإني لأذكر بعض ما قيل فى ذلك الزمان على مدى تسع سنوات قضيتها فى ذلك المعهد « معهد أسيوط » .

ففى حفل دينى أنشد الشيخ شبل يحيى (وكان يحمل اكثر من شهادة عليا) ، قوله الذى الهب الأكف والحناجر وهو :

وهل بين أبناء المدارس كلها
فتى كالشباب الأزهرى نجيب ؟

ومن شعر الشيخ عبدالحليم أبو بيه ، وقد كان الإعداد لإنشاء المجمع اللغوى ، قوله فى الحفل من قصيدة طويلة :

زعموا بأن المجمع اللغوى قَدْ
يرضى قبيلا أو يصد قبيلا
فليعلم القوم الذين يلونه
أنا درسنا النص والتنزيلا

وفى حفل أقيم بمناسبة استشهاد عمر المختار الليبى سنة ١٩٣١ ، القى الشيخ عبدالمنعم فارس قصيدة عصماء يشوى جاحمها وجوه المستعمرين منها والرواية عن تلميذه زميلنا الأستاذ أمير محمد عبدالعال ، قال الشيخ عبدالمنعم فارس :

مصابٌ دهى الإسلام والناس نُوَّمُ
ورُزْءٌ نأى عنه الخميس العرمرمُ
مصاب لعمرى فى الصميم من الحشا
تزلزل من وقع الرزايا المقطم

وتمر الأيام ، وفى السنة الأولى من المرحلة الثانوية كان يدرس لنا علم العروض ، وكان لإلقائه وتقطيعه الأبيات وبيان ميزة كل وزن وهو ما يسمى البحر ، مضرب المثل فى الإفهام

والتفهيم ، وكان بجانب الأمثلة القديمة يحرك أذهاننا بإيراد أبيات من الشعر الحديث ولا سيما شعر شوقى .

وفى أكتوبر ١٩٣٢ مات أمير الشعراء أحمد شوقى ، فقلت له أثناء الدرس : ألا ترثى شاعرك المفضل ؟ فقال : إننى سأفعل ، ثم أتى بالقصيدة وبعد قراءتها أخذتها منه وارسلتها إلى الأستاذ محمد توفيق دياب لينشرها فى جريدته (الجهاد) لأنى رأيت الجهاد يجعل شعاره قول شوقى :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهداً
إن الحياة عقيدة وجهاد

وكان أن نشرت جريدة الجهاد بيتين أحفظ منهما البيت الأول وهو :

ياناعى الشعر ماأقساك من ناعى
إنى حزنت وهد الحزن أضلاعى

ولقد كان الشيخ عبدالمنعم فارس من أقرب

من اعلام الأزهر وشعرائه

فضيلة الشيخ عبدالمنعم فارس

المدرسين إلى قلوبنا ، لأن شبابه يجعله من جيلنا ، وكنا لا نستحى أن نطلعه على نظمنا ومحاولات قرض الشعر ، ومنه ومن زملائه قامت نهضة أدبية فى « معهد أسيوط » ، فامتلأ بالطلاب الذين ينظمون الشعر بل يصدرون الدواوين ، وشيخهم عبدالمنعم فارس يكتب لهم المقدمات شعراً ونثراً على حين أنه لم يجمع شعره ليصير ديواناً بين يدى طلابه وعشاق أدبه .

من هنا حين كتبت عنه عقب وفاته فى جريدة : « منبر الشرق »[1] لصاحبها « على الغاياتى » ، لم أجد ماأتمثل به من شعره إلا بعض أبيات من قصيدة له أنشدها فى ذكرى الهجرة ، وكم تمنيت لو اتيحت لى الفرصة لأجمع ذلك الشعر لا لأتولى طبعه ، بل لأدعو غيرى ليقوم بهذا العمل المفيد ، فهو شعر من الطراز الذى يقال فى حقه « حوى الأصالة والمعاصرة » .

وقد سرنى أن نجله عبدالحميد وهو مهندس ينشط الآن بجمع ذلك الشعر ، ولكن فاتنى أن أبسط القول فى شعره متناولاً كل الأغراض من : حماسة ، وفخر ، ومدح ، ورثاء ـ وقد رثى كثيراً من تلاميذه الذين غرقوا أو استشهدوا فى مجابهة الاستعمار ، فلن يفوتنى أن أضع بعض النماذج ، وقديماً قالوا : « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق » ، وأرجو الا أكون مخطئاً فى ضرب هذا المثل .

وإليك بعضاً من مقدمة ديوان « ثورة الشباب » تأليف الشاعر « سيد سليمان النخيلى » صدر الديوان فى مارس ١٩٣٧ ـ قال الأستاذ عبدالمنعم :

انظــر إلى « ثــورة الشبــاب » ... كمـرهـف الحـد غـير نـابى
تجـد دروسـاً لكـل فـنٍّ ... تجـد سبيـلاً إلى الـرغـاب
فيـهـا حيـاة لمـن وعـاهـا ... فيهـا اهتـداء إلى الصـواب
فيـهـا مُـعـين عـلى همـوم ... كـالـروض مخضرة الجنـاب
فيهـا نكـير عـلى الـدنـايـا ... فيـهـا إبـاء لكـل عـاب
قـد جـاءكم « سيـد » بنـور ... يسـوق هـديـاً إلى الشبـاب

وهو شعر فيه روح الشباب يستجيب لثورة الشباب ، ولم يكتف بالشعر ، بل آخى الشعر بمقدمة من النثر ، ولا بأس من قطف بعضها . كتب :

« هى ثورة ترى فيها روح الثائرين الذين يأبون العار ، ويأنفون الضيم ، ويستنكفون الصَّغار ، ويطلبون الخير لبلادهم ، ويستعذبون العذاب فى سبيل أمتهم » وقد ساهم [2] الشاعر فى الجهاد الوطنى[3] للدفاع عن الحرية المستذلة والكرامة المهدورة ، والدستور الموءود .. وفى الدفاع عن الأزهر ... فهو حينما ينظم ينظم من حبات قلبه ومهجته ، تقرأ له « الجيش » فيخيل إليك انه النفير العام للتجنيد يود لو يقود الكتائب ويتقدم الفيالق .

ومع ذلك لا يحابى تلميذه الشاعر فيقول :

« بيد أنى لا أنكر الحق ولا أمارى فى الواقع : فقد رأيت فى ديوانه بعض الضعف كما هو الشأن فى كل ثورة : ذلك لأنه قَبَسٌ من نار قلبه الثائر

---

(١) نشر المقال فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٠ .

(٢) ساهم . الكلمة صحيحة والمتشددون يقولون « اسهم » .

(٣) سنة ١٩٣٦ .

المتوهج ، فلم ينمق ولم يرقش ولو نمّق ونظر لأجاد وأوفى » .

وهذه صورة لأسلوبه المسترسل الذى يبعد عن المحسنات ، ومع أننا لا نوافقه على طلب التنميق من تلميذه ، فإنه رأى له وجاهته ، ويغلب على ظنى أن النموذج الذى عهده من شاعره شوقى له تأثيره فى الحكم على شعر أبنائه ، وقد كتب شعراً كان مقدمة لديوان تلميذه الثانى « عبدالستار فراج » ـ رحمه الله ـ بشعر جميل لا أحفظه .

مولده ونشأته :

وأظنك بعد هذا تتطلع إلى معرفة ذلك العالم الجليل ، والمعرفة من أسباب الرضا ، والمتاع والفائدة ، وأنا يسرنى أن أتحدث عنه ، وأعطيك صورة عن نشأته ومواهبه : ولد عبدالمنعم فارس ، واسمه بالكامل :

أبو جمال الدين عبدالمنعم بن حسن بن محمد بن حسن فارس ، وجمال الدين الذى كنى به مات طفلاً ولم يعش له إلا ولدان صاحبنا المهندس عبدالحميد والآخر أحمد وهو محام فى بلدته .

ولد عبدالمنعم فارس فى بنى عدى من أعمال أسيوط فى ٢٥ سبتمبر ١٩٠٣ م ـ الموافق ١٣٢١ هـ ، ونحن نعلم عن بنى عدى كثيراً من الأخبار ولها شهرة فى العلم وإنجاب النجباء ، فلما عقل عبدالمنعم أرسل إلى مكتب الشيخ الدردير ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ القرآن ، و« الدردير » ـ كما يقول الشيخ أحمد بن أحمد الدردير ، صاحب كتاب الشرح الصغير لقب على تلك الأسرة ، كما يفهم من كلامه ، قال الشيخ أحمد الدردير ، وكان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ رجلاً صالحاً عالماً متقناً للقرآن ، فقد بصره فى آخر عمره ، فاشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله تعالى ، فحفظ القرآن على يديه خلق كثير ، وكان يعلم الفقراء حسبة لله تعالى ، ولا يأخذ منهم صرافة (أى أجراً) ، ولا غيرها ، بل ربما واساهم من عنده . مات ـ رحمه الله ـ شهيداً بالطاعون سنة ١١٣٨هـ ، وكان عمر الابن (صاحب شرح الصغير) نحو عشر سنين ، (راجع مقدمة الشرح الصغير) ، فى ذلك المكتب المقام باسمه فى بنى عدى حفظ الطفل عبدالمنعم فارس القرآن وجوّده إلى قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ . . . ﴾ « من الآية ٩٧ ـ المائدة » ، على يد والده الشيخ حسن (كعبة القراء فى زمانه) ، بالروايات السبع ـ وإن أنسى لا أنسى أن نسبه من جهة أبيه ـ أعنى عبدالمنعم ـ يتصل بسلالة الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ أما نسبه من جهة أمه فهو يتصل بآل المصرى ونسبهم يرجع إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وهكذا عرفت أن فى بنى عدى من ليس عدوياً ، وإن كانت بنى عدى تشمل الجميع .

اتصاله بالأزهـــر :

وأبناء بنى عدى من قديم يتجه تعليمهم إلى الأزهر الشريف ، وصاحب الشرح الصغير الذى تحدثنا عنه وعن أبيه من علماء الأزهر وزعماء الشعب على عهد المماليك والوالى التركى من بنى عدى توفى قريباً من الحملة الفرنسية سنة ١٢٠٥ هـ ، وفى « معهد أسيوط » على عهدى بطلب العلم كان من بنى عدى أربعة من العلماء المدرسين ، فلا عجب إذا اتجه عبدالمنعم فارس إلى طلب العلم فى الأزهر ، وكان له ما أراد .

فانتظم فيه سنة ١٩١٤ طالباً مستجداً ، ونال الشهادة الابتدائية سنة ١٩٢٠ عقب ثورة ١٩١٩ ، وكان يود أن يتم تعليمه فيه بالقاهرة ، ولكن المعاهد الدينية التابعة للأزهر أنشئت فحول مع أمثاله إلى « معهد أسيوط » ، فلم يقبل

من اعلام الأزهر وشعرائه

فضيلة الشيخ عبدالمنعم فارس

التحويل وانقطع عن الدراسة ، واشتغل كاتباً بعمل تجارى أحد عشر شهراً ، ولكن حنينه إلى الدراسة لم ينقطع ، فرجع إلى الأزهر بعزيمة صادقة تصحبها همة عالية ، فتقدم لنيل الشهادة الثانوية الأزهرية من الخارج - وكانت لوائح الأزهر تبيح ذلك - فنالها ، وانتسب فى السنة الثالثة من التعليم العالى بعد أن أدى الامتحان فى العلوم المقررة على السنتين الأولى والثانية ، ثم نال الشهادة العالية ، ولم يتم الثالثة والعشرين من سنى حياته ، لقد أصبح من العلماء وأن له أن يقوم بالتدريس بالأزهر ، ولكن قوانين الأزهر لا تمكنه من وطره إلا إذا بلغ الخامسة والعشرين من السن ، فماذا يفعل ؟ لقد اضطر إلى العمل فى المدارس الحرة والأميرية ، اشتغل مدرساً بمدرسة الأقباط الكبرى بطهطا ، ثم بمدرسة السلامون الإلزامية .

وفى اكتوبر سنة ١٩٢٨ على عهد الشيخ المراغى عين مدرساً بمعهد أسيوط الدينى ، وماأن دخل المعهد حتى عرف فضله وأسرع الطلاب للالتفاف حوله ، وكانت له شعبية كبيرة ، - كما نقول اليوم - كل يتمنى أن يكون تلميذه ، ولقد حظيت أنا به فكنت من تلاميذه المقربين ، وحسبك أن تعلم أنه استجاب لى حين طلبت إليه رثاء شوقى - كما قلت آنفا .

ولما توفى سنة ١٩٤٠ فى التاسع من يونية هالنى فقده ولم أوفق إلى تشييع جنازته لوجودى بالقاهرة لأداء الامتحان ، فبادرت إلى الكتابة عنه بجريدة « منبر الشرق » - كما قلت سابقاً - منوها بفضله وعلمه وأدبه ، وأعتقد أن أحداً لم يسبقنى إلى الكتابة عنه [٤] ، وقد بلغنى أن الشاعر محمد على مخلوف كتب نبذة عنه وأرسلها إلى الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى ، وهو الجد الأكبر ، فيها حديث عن نسب الشيخ عبدالمنعم فارس وشىء من حياته وفيها تحديد لمولده وأخباره ووفاته ، ولكنها لا تحقق ما نريد ، فنحن نريد مواقفه ومقاماته .

لقد كان سلفنا من مؤرخى الأدب العربى أحسن منا حالاً ، فأنت تجد كتابات - مهما قلت - عن شعراء لم تمهلهم منيتهم لجمع شعرهم وكتاباتهم تصور حياتهم ويُجمع تراثهم ، فأنت تقرأ لطرفة وتقرأ للعرجى وتقرأ لأبى تمام ، وفى العصر الحديث تجد ديواناً كاملاً لأبى القاسم الشابى (١٩٠٩ - ١٩٣٤) ولا تجد ديوانا للشاعر عبد المنعم فارس (١٩٠٣ - ١٩٤٠) ، لقد رحل عنا ولم يستطع تلاميذه أن يجمعوا تراثه الأدبى من شعر ونثر .

فليت يتكون من تلاميذه مَنْ يعكف على جمع تراثه ويعده للطبع .

نقول مع القائل :

لعمرك ما وارى التراب فعاله
ولكنما وارى ثياباً وأعظما

رحمه الله فلقد كان فارس ميدان ، ورب فصاحة وبيان .

من شعره فى ذكرى الهجرة :

مناجاة الهلال

أدرْ ذكر الأحبة لى مُداماً
وخَلِّ صحائف التاريخ جاما
وذق من طيب سيرتهم رحيقاً
طهوراً يكسب الطهر الغماما
هلال العام حدثنا وحدث
حديثاً بَذُّ أرواح الخزامى

(٤) أقصد الكتابة فى الصحف .

العلوم الكونية

علم التربة وطبيعة الأراضي

المادة ونقيضها

الجديد في العلم

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

علم التربة وطبيعة الأراضى

أ. د. أحمد فؤاد باشا

هناك من يؤرخ لنشأة « علم التربة » أو « البيدولوجيا » Pedology بكتاب تشيرنوزيوم » أو « الأرض السوداء » الذى نشره العالم الروسى « دوكوتشايف » Dokoutchaev علم ١٨٨٣ م ، واوضح فيه مفهوم التربة واهمية العوامل المناخية فى تكوينها . لكن القراءة المتانية فى تراث الحضارة الإسلامية تؤكد بما لايدع مجالاً للشك سبق علماء المسلمين من امثال الغزى والنابلسى وأبى الخير وابن بصال وابن العوام وغيرهم إلى وضع اصول « علم التربة » على اساس علمى تجريبى وفق ما كانوا يملكون من معطيات وادوات . وسوف نعرض فيما يلى لتجلية هذه الحقيقة الهامة ، وخاصة ان الكثير من المصطلحات والمفاهيم التى وضعها علماء الحضارة الإسلامية فيما يتعلق بالتربة واستخدامها لايزال يستخدم حتى اليوم فى علم الأراضى الحديث .

نظرية تكوين التربة :

التربة هى ذاك الجزء من سطح الأرض الذى تنمو فيه النباتات ، ويتكون من خليط من : (أ) الصخور . (ب) المعادن . (حـ) المواد العضوية . (د) الماء . (هـ) الهواء . بنسب قد تتفاوت من مكان إلى مكان ، إلا أن حوالى نصف الحجم الكلى لتربة سطحية جيدة يتكون عادة من خليط من الصخور « مواد معدنية » المتفتتة والمتحللة ، ومن بقايا الحيوانات والنباتات « مواد عضوية » ، بينما يكون النصف الباقى فراغا يتخلله الماء والهواء .

وقد كان يُعتقد فى الماضى أن الطبقات المكونة من قطع الصخور والمعادن المهشمة بفعل قوى طبيعية مختلفة هى العامل الأساسى الذى يسبب

الفوارق بين أنواع التربة ، غير أن دراسات العلماء الحديثة قد أثبتت أن التربة تتكون نتيجة تداخلات معقدة لعدة عوامل تشمل مادة الصخور الأصلية والزمن والمناخ والعوامل الحيوية (النبات والحيوان) والسمات السطحية أو « الطوبوغرافيا » Topography ويرى علماء التربة أن المناخ يعد أهم العوامل المتحكمة في تكون التربة وفي نوع الحياة النباتية والحيوانية السائدة فيها . كما أن الفائدة الرئيسية للنباتات والحيوانات تتمثل في توفير المواد العضوية اللازمة لخصوبة التربة . وتعمل ديدان الأرض والحيوانات الحفارة على مزج المعادن والأجزاء العضوية من التربة ، وتساعد الحُفَر والمسارب التي تتركها هذه الحيوانات على مرور الماء والهواء خلال التربة[1] .

وإذا عقدنا مقارنة سريعة بين هذه النظرية الحديثة في تكوين التربة وبين ما يناظرها في تراث الحضارة الإسلامية نجد أن « رضي الدين ابن محمد الغزي » قد ذكر في مؤلفه « جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة » نقلاً عن الرازي ، ما نصه :

« .. الحجر يستحيل إلى الطين على طول الدهر بفعل الشمس والمطر وبالتجفيف وتبريد الأجزاء ثم بالتحليل لما لطف حتى يتاكل ويعفن على طول الزمان حتى يصير طينا » . ويلاحظ أن هذه العبارة الموجزة قد أشارت صراحة إلى معظم عوامل تكوين التربة « الطين » من الصخرة الأصلية « الحجر » ، وركزت على أهمية الزمن والمناخ « الشمس والمطر والماء » ، والعوامل الحيوية والكيميائية « العفن والتحلل »[2] .

فضلاً عن ذلك ، تحدث الغزي في مؤلفه الهام عن لتركيب الطبقي لقطاع التربة Soil profile ووصف بوضوح تام الفروق المميزة بين ما يعرف اليوم باسم « التربة السطحية » Surface Soil و « التربة التحتية » Subsoil حيث تعتبر الطبقة السطحية من التربة غنية بالمخزون العضوي والمعدني ويكون النشاط الحيوي فيها عالياً ، بينما تعتبر الطبقة التحتية ذات خصوبة أقل ، وعادة مايكون النشاط الحيوي فيها محدوداً . لذلك أكد الغزي عند إنشاء بساتين الفاكهة على أن يؤخذ التراب السطحي للحفرة ويوضع جانباً ثم يؤخذ التراب السفلي ويوضع في الجانب الآخر . والغرض من هذه العملية دفن الجذور بالتراب السطحي أولاً لاحتوائه على نسبة أكبر من المواد الغذائية ، ثم تكملة ردم الحفرة بالتراب السفلي . يقول الغزي : « تقلب الأرض إذا أريد إنشاء الغراس فيها ، وهو أن يؤخذ من ترابها ماكان على وجه الأرض ، وقد أثر فيه كل من الشمس

---

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل التي توصل إليها العلم الحديث بخصوص التربة وأنواعها والعوامل المتحكمة في تكوينها يمكن الرجوع إلى كتاب : « الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية » ، تأليف إدوارد تاربوك وفردريك لوتجنز ، الترجمة العربية منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، ليبيا ١٩٨٩ .

(٢) د . محمد عبد الله الصديق ، بعض المفاهيم والمصطلحات العربية عند الغزي في دراسة علم الترب . ندوة التراث العلمي العربي للعلوم الأساسية ، طرابلس ـ ليبيا ـ ديسمبر ١٩٩٠ .

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري (١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ) قام باختصار الكتاب المذكور للغزي (ت ٩٣٥ هـ) وأسماه « علم الملاحة في علم الفلاحة » .

علم التربة وطبيعة الأراضى

والهواء برهة من الزمان فيجعل أسفل الأرض المحفورة ، ليظهر أثره الجميل بما اكتسبه من الشمس والهواء ، ويكون مجاوراً ومخالطا لأصول الأشجار المغروسة وعروقها فيربي حملها وينميها بحرارته ورطوبته فينجب بسرعة ، ويشير عالم التربة الإسلامي إلى ضرورة إزالة الطبقة السطحية من التربة في أعمال التسوية عند استصلاح الأراضى لكى تظهر التربة التحتية التى تكون ضعيفة الإنتاج ، فيقول : « مايخرج من أعماق الأرض كالآبار والمطامير لا ينبت أول عام حتى تطبخه الشمس وتلطف أجزاءه ، ويكسب من حرارتها ، لأن الأرض فى طبيعتها باردة يابسة ، ولولا تسخينها بالشمس وترطيبها بالمطر لما نشب فيها نبت البتة »[٣]

كذلك عرف علماء المسلمين مفهوم « التربة المنقولة » Transported Soil على نحو مايعرف اليوم عندما يحدث انجراف للطبقة السطحية من التربة بفعل الأمطار الشديدة فى الأراضي غير المغطاة بالغابات أو المراعى ، فتزيد الطبقة المنجرفة من خصوبة الأماكن التى تترسب عليها وتضر بالتربة التى انجرفت منها . ويعبر الغزى عن ذلك بقوله : « إن أرض الجبل أبرد من السهل وأيبس ، وصفحات الجبال ليست بجيدة لأن الأمطار تجرد ما أحرته الشمس فتهزل .. والأرض الغائرة التى تسترها الجروف ونحوها باردة جداً رطبة كثيراً »[٤] .

وأمام هذا التقسيم الطبقى لقطاع التربة من واقع الخبرة والممارسة لم يجزم علماء المسلمين بأفضلية الطبقة السطحية على الطبقة التحتية فى جميع الأحوال وتركوا الحكم فى نهاية الأمر للتجربة العملية بحسب ظروف كل منطقة من الأرض . وفى مقدمة هؤلاء العلماء يأتى « محمد ابن إبراهيم بن بصال الطليطلى » الذى جعل من الفلاحة علما متميزاً بعيداً عن التنجيم والسحر ، حيث يقول فى « كتاب الفلاحة » :

« ليس كل ارض يطلق عليها جيدة ولا ردية حتى يعلم ظاهرها وباطنها ، لأنه ربما كان وجه الأرض جيداً واسفلها بخلاف ذلك ، او يكون وجهها رديا واسفلها بخلاف ذلك ، وهذا كله يعرف بالاختبار والامتحان ودوام الحركة بالعمل فيها »[٥] .

ولعل فى تلك النصوص التراثية التى ذكرناها ما يشير أيضاً إلى دور السمات السطحية للمكان « الطوبوغرافيا » فى عملية تكوين التربة وما يتضمنه ذلك من تأثير عوامل انحدار الأرض واستوائها واتساعها وارتفاعها أو انخفاضها عن سطح البحر .

فيزياء التربة فى التراث الإسلامي :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية منذ فجر نهضتهم العلمية بالمحافظة على الأرض وتحقيق

---

(٣) المرجع السابق .

(٤) د . محمد وليد كامل ، دراسات حول واقع التربة فى المنطقة الجافة عند الفلاحين العرب » ، ندوة التراث العلمى العربى للعلوم الأساسية ، طرابلس ـ ليبيا ، ديسمبر ١٩٩٠ .

(٥) المرجع السابق . ويتضح من جانبنا ان الكتاب المذكور لابن بصال غير « كتاب الفلاحة » المنسوب لمعاصره « أبى الخير الأندلسى » فى القرن الخامس الهجرى « الحادى عشر الميلادى » ، وأيضاً غير « كتاب الفلاحة » الذى سيأتى ذكره بإذن الله منسوبا لابن العوام فى أواخر القرن السادس الهجرى « الثانى عشر الميلادى » .

الإعمار فيها بعد إصلاحها وتحسينها وإجراء الدراسات المناسبة للتعرف على مختلف خصائصها والعوامل الطبيعية المؤثرة عليها . وقد أسفر هذا الاهتمام عن حصيلة ممتازة من المعارف المتعلقة بفيزياء التربة واستخدامها في تصنيف أنواع الأراضي . مثال ذلك ماتوصل إليه هؤلاء العلماء من ربط حالة التربة وخصوبتها بمجموعة من العوامل الفيزيائية تشمل الحرارة والرطوبة والكثافة الظاهرية ، وهو ما نستدل عليه من هذا النص الواضح للغزى :

« اعلم ان الأرض الطيبة هى الحارة الرطبة ، وسواد الأرض دليل على الحرارة .. والأرض الشديدة السواد تحمل الأمطار اكثر من غيرها ، ثم الأرض البنفسجية اللون وتسمى الهندية وهى طيبة جداً ، وإذا كانت منتفشة فإنه يجود بها الشجر كثيراً ، وبعدها الأرض الحمراء ، ثم الأرض الصفراء ، والأرض البيضاء ابردها » .

كما بين الغزى دور قوام التربة فى امتصاصها للحرارة حيث قال :

« الأرض الرملية تزيد حرا فى الصيف وبرداً فى الشتاء ، وكذلك الحجرية ، وذلك يؤذى الغراس .. ويدل على جودة الأرض قلة تشققها عند يبسها وعدم احتباس الأمطار ، ولا تصير وحلة بل تشرب جميع ماء المطر ، ولا تصير وقت البرد كالخزف ، وخلاف ذلك يدل على الرداءة » .

ويؤكد الغزى على حاجة الأرض إلى خواص فيزيائية جيدة بقوله :

« والحاجة إلى رطوبة الأرض ودسمها وانتفاشها اكثر من الحاجة إلى حرها »[٦] .

وأهم ما يميز المبتكرات التى توصل إليها علماء المسلمين فى علوم التربة والفلاحة انها تستمد قيمتها من سلامة المنهج العلمى الذى اتبعوه فى تحقيقها ، وهو منهج يعتمد على الملاحظة والتجربة والاستقراء . فهذا هو « ابن العوام الأشبيلى » صاحب « كتاب الفلاحة » يؤكد أنه لم يثبت فى كتابه إلا ما جرَّبه مراراً فصح ، ويقول : إن أنت مارست الطين بيديك فاصبته شبيها بالشمع يلصق شديداً فاعلم انها ارض غير موافقة للبقول ، وأجود الأرض البنفسجية ثم شديدة الغبرة لأن فيها تخلخلاً « أى مسامية » وطعم ترابها عذب « أى خالية من الأملاح » .

ونراه يهتم بدور الدراسة المقارنة فيذكر لمعرفة نوع الأرض أنه قام بحفر ثلاث حفر بعمق نصف ذراع وجمع التراب فى آنية من الخزف بعناية شديدة ثم أخذ من أرض متخلخلة غير ملتزمة ووضع فى الحفاير فإن بقى شىء كانت ملتزة[٧] .

وهذا هو « رضى الدين الغزى » يعبر عن الطريقة التى تستخدم لمعرفة الكثافة الظاهرية للتربة باعتبارها مقياساً للانتفاش أو المسامية فيقول :

« تمتحن الأرض بالميزان بان يملأ إناء من تراب غير ندى ويوزن ثم يملأ ايضاً من تراب أخر ويوزن » .

وبهذا نجده قد ربط بين حجم التربة ومساميتها ، فكلما قلت الكثافة الظاهرية ، وهى كتلة وحدة الحجوم للأرض الجافة ، كلما كانت التربة مفككة وتحتوى على فراغات كثيرة تساعد على التهوية الجيدة وتوفر الوسط الأمثل لإنبات

---

(٦) د . محمد عبد الله الصديق ، مرجع سابق .

(٧) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤ ص ١٤٤ .

علم التربة وطبيعة الأراضى

البذور وتغلغل الجذور . كما أوضح الغزى كيفية التعرف على الأرض من حيث جودتها من خلال الوقوف على مدى تلاحم وارتباط جزيئات التربة ومدى تخلخلها وانتفاشها ، وفى هذا يقول :

« من اراد ان يعرف الارض الذكية والوسط والرديئة حفر منها قدر ما بدا له ثم يعيد فى تلك الحفرة طينها الذى خرج منها ، فإذا زاد طينها عند حشو تلك الحفرة فتلك الارض جيدة طيبة ، وإن كان ما يعاد من طينها إلى حفرتها كفافاً يستوى فى الأرض فهى ارض وسط ، وإن نقص عن حشوها فهى ارض رديئة » .

وليس أدل على إدراك علماء المسلمين لعناصر المنهج التجريبى وأدواته مما ذكره الغزى عن استخدام الحواس فى دراسة التربة ، حيث يقول :

« والأرض تمتحن باللمس والشم والذوق والنظر . فاللمس يكون بمرس الطين فى اليد ، فإذا مرس باليد اصبح ملتصقا بها بشدة اشبهها بالشمع ، فهى رديئة غير موافقة للبقول . والشم بان يؤخذ التراب والطين من أسفل حفرة وتوضع فى إناء من زجاج ويصب عليها ماء عذب طيب ويحرك فيه ثم يشم فالمنتن الرائحة والكريه والخبيث لا خير فيه وهو ردىء .. وتمتحن الارض بالذوق بان يؤخذ تراب الأرض من قعر حفرة فى إناء زجاج ويطرح عليه الماء العذب فالمالحة رديئة لا تصلح لشىء من الزرع والشجر اصلاً إلا النخيل فإنه يجود فيها نباتاً وثمراً » .

ومن المعروف علمياً بأن النخيل يتحمل الملوحة . ولا يفوت عالم التربة التجريبي أن يؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن : **« الأرض قد تتغير إلى الملوحة بكثرة إحراق الشمس لها فتهلك النبات »** .

وفى هذا إشارة إلى الدور الهام الذى تؤديه اشعة الشمس فى تحويل الاراضي الصالحة للزراعة إلى اراض مالحة ، ذلك عندما يتواجد مستوى من الماء الأرضى المحمل بالأملاح على عمق قليل من سطح التربة . ونتيجة لارتفاع درجة حررة سطح التربة وجفافه ، فإن الماء الأرضي المحمل بالاملاح ينتقل إلى سطح التربة بواسطة الخاصة الشعرية والتبخر ، مما يؤدى إلى تملح التربة[8] .

أهمية الدراسات التراثية عن التربة :

لقد أردنا بهذا العرض الموجز لمآثر علماء المسلمين فى مجال علم التربة وطبيعة الأراضي أن نجذب الانتباه إلى الأسلوب العلمى الذى اتبعه أسلافنا فى دراسة أرضنا الطيبة ، وأن نستفيد من الدراسات التراثية فى تحديد العوامل الأكثر أثرا فى زحف الملوحة والجفاف على مناطق عديدة من الأرض الإسلامية فى الفترة المعاصرة . ويكفى أن نعلم أن هذه الأرض التى تعجز الآن عن تلبية احتياجات أهلها قد جذبت فى عصور ازدهار الحضارة الإسلامية كل الأوروبيين بسحرها وجمالها وخيراتها ، وذلك بفضل المجهود الكبير الذى بذل فى دراسة الأراضى واستصلاحها وتعميرها ، فلم يترك أسلافنا شبرا إلا واستثمروه طلبا للرزق فى حنايا الأرض .

(٨) د . محمد عبد الله الصديق ، مرجع سابق .

المادة ونقيضها

في الكون

بقلم: إسراء على أحمد

أضحى من المعروف الآن أن النظريات الفيزيائية - وبسبب تماثل قوانينها - تسلم بوجود أزواج الجسيمات فى الكون، بمعنى أن كل جسيم له ضده، والجسيمات المضادة هى تلك التى تكافىء الجسيمات الأصلية فى كتلتها ولكنها تضادها فى جميع الصفات الأخرى، فعلى سبيل المثال هى تحمل شحنة عكسية، وتتصرف بطريقة عكسية لتصرف الجسيمات الأصلية إذا وضعت فى مجالات كهربية أو مغناطيسية .. إلخ .. ومن أمثلة تلك الأزواج.

(١) الالكترون أو مايسمى بالنيجاترون (Negatron) نحتا من كلمتى (Negative electron) أى إلكترون سالب وضده المقابل هو البوزيترون (Positron) اختصاراً لكلمتى (Positive electron) أى إلكترون موجب.

(٢) البروتون الذى يحمل شحنة موجبة وضده الذى يحمل شحنة سالبة .. إلخ.

والحقيقة أن النظريات الفيزيائية قد سبقت التجارب العملية فى هذا المضمار، فقد اقترح ديراك عام ١٩٢٩ وجود ضد الإلكترون وذلك عندما حاول دمج نظريتى النسبية وميكانيكا الكم(١) رياضيا، واقترح فى بداية الأمر أن هذا الضدد هو البروتون (وكان ذلك فى الواقع بسبب أن البروتون هو الجسيم الوحيد ذو الشحنة الموجبة الذى كان معروفاً فى ذلك الوقت) إلا أنه تراجع عن رايه عام ١٩٣١ حين أعلن أن ضد الالكترون لابد أن يكون له نظرياً نفس كتلة الإلكترون(٢) وأن مثل هذا الجسيم - ضد

---

(١) النظرية النسبية تعتبر أن الزمان نسبى وليس مطلقاً وأن الفضاء ليس منعزلاً عما يحدث فيه وتضع المبادىء الرياضية التى تتعامل مع الجسيمات العالية السرعة. أما ميكانيكا الكم فهى تضع الأسس الرياضية للجسيمات المتناهية الصغر.

(٢) كتلة البروتون = ١٩٣٨ مرة قدر كتلة الإلكترون.

المادة ونقيضها فى الكون

الإلكترون ـ لم يشاهد بعد وأطلق عليه اسم « بوزيترون » (أى الكترون موجب) ، ثم أعقب ذلك ان أعلن ديراك أن البروتون أيضاً لابد أن يكون له ضد ، ثم توالت بعد ذلك الإثباتات العملية على صدق هذه التنبؤات النظرية .

فلقد أدى تطور الأجهزة العلمية ومعجلات الجسيمات إلى أن أثبتت التجارب العملية أن الجسيمات ـ حقيقة ـ قد خلقت أزواجاً ، فلقد شوهد البوزيترون عام ١٩٣٢ وأعقبه اكتشاف ضد البروتون عام ١٩٥٥ ثم توالت المشاهدات لأضداد الجسيمات المعروفة لدينا فى الكون ، كذلك أثبتت تلك المشاهدات العملية بالبراهين القوية أن المادة تخلق فى شكل زوج من جسيم وضده ، وحين تفنى فإنها تفنى نتيجة تصادم زوج من جسيم وضده ، و .. سبحان الله القائل فى كتابه الكريم :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾

صدق الله العظيم .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو « هل التماثل فى قوانين الفيزياء على المقياس الصغير ـ مستوى الجسيمات ـ والذى أدى إلى اقتراح وجود ضد جسيم كما يوجد الجسيم ينعكس أيضاً على المقياس الكبير ـ كالشمس والنجوم والمجرة والكون ؟ هل للشمس ضد ؟ هل للنجوم ضد ؟ هل للمجرة ضد ؟ هل الكون متماثل من ناحية المادة واللامادة وهل يوجد ما يعرف بضد هذا الكون ؟

والواقع أن الخوض فى هذه المشكلة يتطلب منا التفريق بين سؤالين :

الأول هو : « أيجب أن يكون الكون متماثلاً » ؟ هل النظريات الفيزيائية والرياضية تفرض هذا ؟

والسؤال الثانى : « هل الكون بالفعل متماثل » ؟ هل يوجد دليل عملى على هذا ؟

والإجابة المقترحة ولكنها ليست بالضرورة صحيحة ـ على السؤال الأول هى ليس ضرورياً إذ أن هناك فى الواقع العديد من الأمثلة فى الأنظمة الفيزيائية التى تعارض تماثل قوانين الفيزياء التى تحكمها على المقياس الكبير رغم خضوعها لهذا التماثل على المقياس الصغير ، بل الأكثر من ذلك أن روعة الأنظمة الفيزيائية على المقياس الكبير قد لا تظهر أحياناً فى الصورة الرياضية الصحيحة إلا عند استبعاد قاعدة التماثل .

أما محاولة الاجابة على السؤال الثانى : فهى فى الواقع تعنى الاجابة على السؤال التالى : « هل حقيقة هناك دلائل عملية على وجود ضد المادة فى الكون اللهم إلا تلك الجسيمات التى تتكون داخل المعجلات أو تلك التى تنتج من تصادمات الأشعة الكونية ؟

الحقيقة أن محاولات العلماء للحصول على

دليل قاطع على وجود تكتلات من اللامادة فى أى شكل كان قد باءت بالفشل حتى وقتنا هذا ، وعلى الرغم من رصد جسيمات مضادة فى الأشعة الكونية لم يستطع أحد أن يثبت أن تلك الجسيمات قد انطلقت من منطقة تكتلت فيها اللامادة كأن تكون انطلقت من ضد مجرة مثلاً !

ومن الجدير بالذكر أن نقول إن الفشل فى البحث عن تجمعات من اللامادة فى الكون يمكن تفسيره على أن نسبة تلك التجمعات صغيرة إذا ما قيست بنسبة تجمعات المادة ، ولا يعلم حتى الآن إلا خالق الكون مافيه وربما يأذن لنا الله يوما ان نعرف ، وصدق الله العظيم .

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

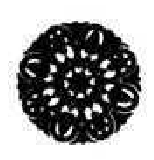

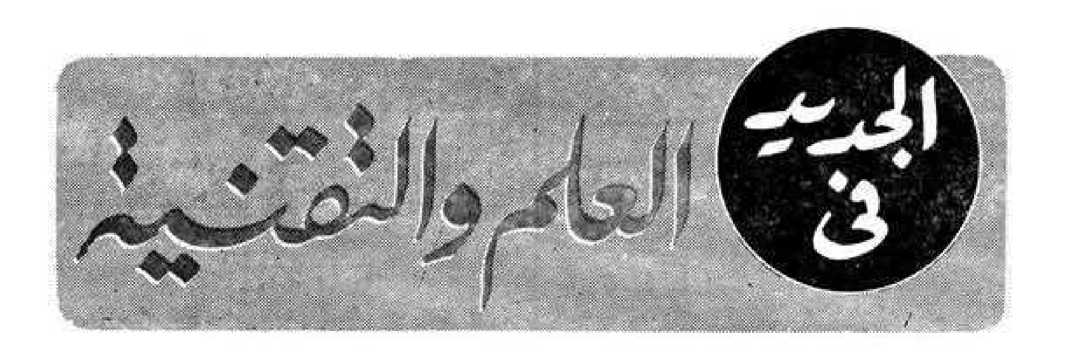

إعـــداد
د. نجوى السـيد أحـمد
باحثة بالمركز القومي للبحوث

١. مبيدات حشرية من البكتريا:

نجح فريق من العلماء المصريين بالمركز القومى للبحوث فى إنتاج بعض السلالات من « البكتريا » التى تقضى على الحشرات الضارة ، ولا تترك آثاراً جانبية كالتى يسببها الإسراف المتزايد فى استخدام المبيدات الكيماوية . تمكن الفريق من إنتاج « بكتريا » على مستوى نصف صناعى بالاشتراك مع شركة صناعية باستخدام الوسائل الاقتصادية لتكاثر البكتريا ، وقد استخدمت البكتريا بنجاح فى المقاومة المتخصصة للحشرات حرشفية الأجنحة .

٢. خطورة الأسبرين:

حذرت الإدارة الأمريكية للتغذية والدواء النساء الحوامل فى الشهور الثلاثة الأولى من استعمال الأسبرين ، وأوضحت الإدارة أن دواء الأسبرين يضر بالدورة الجنينية ، ومن الممكن أن يؤدى إلى الإجهاض . وطالبت الإدارة شركات صناعة الأدوية بكتابة تحذير للحوامل على منتجاتها من الأسبرين .

٣. اختراع تليفون للصم والبكم:

توصل المتخصصون فى مؤسسة « بوزتيرون » فى مدينة لينتجراد السوفيتية إلى اختراع جهاز

تليفون للصم والبكم . وقد أجرى اختبار الجهاز بنجاح كبير فى مركز الخدمات العلمية والفنية لدى المؤسسة . ومن المتوقع انتشار استخدامه الفعلى قريباً . وتستخدم فى الجهاز الجديد مفاتيح للطبع بدلاً من الميكروفون فى التليفون العادى ، ويجرى استقبال المكالمة على هيئة سطور متحركة مكتوبة على الطرف الآخر بدلاً من السماعة العادية .

٤. تلسكوب عملاق على الجانب المظلم من القمر :

يفكر العلماء حالياً فى بناء تلسكوب عملاق على الجانب المظلم من القمر للاقتراب من جوف الكون . جاءت هذه الخطوة كمحاولة لتعزيز المهمة المنوطة بتلسكوب « هابل » الطائر فى الفضاء منذ أبريل ١٩٩٠ م بعد أن تخطى العوامل الجوية فوق الأرض والتى كانت تواجه المراصد الأرضية وتحد من رؤيتها الواضحة لآفاق الكون الفسيح .

جدير بالذكر أن الصور التى يرسلها « هابل » حالياً إلى الأرض غير واضحة المعالم تماما بسبب خلل فنى فى إحدى مرآتيه .

٥. أحدث دواء لمنع تجلط الدم :

توصلت إحدى الشركات السويسرية إلى إنتاج دواء جديد يمنع حدوث الجلطة ، ويحول دون بناء أنسجة تزيد من سمك جدار الأوعية الدموية والشرايين .

الدواء الجديد أطلق عليه اسم « سيلازيريل » يساعد على الاستغناء عن عملية « القسطرة » أو « البالون » التى يلجأ إليها الأطباء لتوسيع الشريان ومنع حدوث الجلطة .

٦. خطر تسرب الأوزون من أجهزة التصوير والطباعة :

أعلن الجهاز التنفيذى للصحة والوقاية فى بريطانيا ضرورة الانتباه إلى مخاطر تسرب غاز الأوزون من أجهزة تصوير المستندات وأجهزة الطباعة التى تعمل بالليزر كالملحقة بأجهزة « الكمبيوتر » المكتبية وخاصة إذا كانت فى حجرات صغيرة غير متجددة الهواء . ويتكون غاز الأوزون من أكسوجين الهواء عند تعرضه للشحنات الكهربائية العالية الضغط التى تنطفىء فى جهاز تصوير المستندات لتشحن دقائق الحبر المسحوقة قبل انتقالها إلى ورقة الطبع النهائية . وأوصى جهاز الصحة والوقاية بضرورة وجود نظام تهوية مزود بشفاطات تسحب الهواء من الغرفة ووضع هذه الأجهزة فى غرف كبيرة ، أو فى الممرات المتجددة الهواء .

٧. قماش « مكيف » فى الصيف والشتاء :

ابتكر العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية نوعاً من الأقمشة يقوم بتدفئة الجسم فى الجو البارد ويلطف من حرارته فى الجو الساخن .

القماش الجديد من حبيبات البلاستيك وبعض المواد الكيماوية يمتص الحرارة ويختزنها ثم يشعها فى الجو البارد ، ويحفظ الجسم من التنقل فى الأجواء المختلفة .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

المستقبل بعد مقتل عثمان - رضى الله عنه -

قال خليفة بن خياط : حدثنا ابن علية ، حدثنا ابن عوف عن الحسن - رضى الله عنه - قال : انبأني رباب(*) قال : بعثني عثمان - رضى الله عنه - فدعوت له الأشقر ؛ فقال : ما يريد الناس ؟

قال : ثلاث ليس من إحداهن بد .

قال : ما هن ؟

قال : يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم ، فتقول : هذا أمركم ، فاختاروا من شئتم ، وبين أن تقتص من نفسك . فإن أبيت ، فإن القوم قاتلوك !!

فقال : أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله .

وأما أن اقتص لهم من نفسي ؛ فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدى ، ولا تصلون بعدى جميعا ، ولا تقاتلون بعدى جميعا عدوا أبدا .

أخـــى

ليكن حظ المؤمن منك ثلاث :

إن لم تنفعه فلا تضره .

وإن لم تسره فلا تغمه .

وإن لم تمدحه فلا تذمه .

من حكم الامام على بن أبى طالب رضى الله عنـه

● رب قريب أبعد من بعيد ، وبعيد اقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب .

● ما اقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى .

● ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله .

(*) لعلها أبان .. والله أعلم

● كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك .

● من شكا الحاجة إلى مؤمن فكأنه شكاها إلى الله ، ومن شكاها إلى كافر فكأنما شكا الله .

● زهدك فى راغب فيك نقصان حظ ورغبتك فى زاهد فيك ذل نفس .

نصيحة

سرورك عورة من عوراتك فلا تبذله إلا لمأمون عليه .

أصدق الناس فراسة

أصدق الناس فراسة ثلاثة :

العزيز فى قوله لامرأته عن سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ «أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا» .

وابنة الرجل الصالح التى قالت لأبيها عن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ﴿ يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الْأَمِينُ ﴾ .

وسيدنا أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فى الوصية بخلافة سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ .

ألا موت يباع فأشتريه

الوزير المهلبى كان كاتب السلطان (معز الدين بن بويه) سنة ٣٣٩ للهجرة .

كان قبل الوزارة فقيرا ، سافر مرة ولقى فى سفره مشقة شديدة ، واشتهى اللحم فلم يقدر عليه ، لأنه لم يجد ثمنه .. وكان معه رفيق يقال له أبو عبدالله الصوفى فقال المهلبى مرتجلاً :

ألا موت يباع فأشتريه
فهذا العيش ما لاخير فيه

ألا موت لذيذ الطعم شاف
يخلصنى من العيش الكريه

إذا أبصرت قبرا من بعيد
وددت لو أننى فيما يليه

ألا رحم المهيمن نفس حر
تصدق بالوفاة على أخيه

فلما سمع رفيقه الأبيات اشترى له بدرهم لحما وطبخه وأطعمه وتفارقا .

ودارت الأيام ، وتقلبت الأحوال بالمهلبى حتى ولى الوزارة ، وضاقت الأحوال برفيقه الصوفى فقصده وكتب إليه :

ألا قل للوزير فدته نفسى
مقال مُذكِّر ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضيق عيش
ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأ الأبيات تذكره وأمر له فى الحال بسبعمائة درهم ؛ ووقع له فى رقعته ، ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾ .

سؤال وجواب

سئل عبد الله بن المبارك : من الناس ؟

قال : العلماء .

قيل : فمن الملوك ؟

قال : الزهاد .

قيل : فمن السفلة ؟

قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين .

دعاء

اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا ، وتشتت أهوائنا .

إلى شعوب العالم الإسلامى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ما احوج المسلمين فى عالم اليوم إلى كلمة رشيدة تبصرهم بمواطن الزلل فتقيل عثرتهم ، وتاخذ بحجزهم عن مهاوى الخطر الماثل والمتمثل فيما هم عليه الآن .

لقد بات حتماً عليهم الاستجابة إلى داعى الإسلام . وليس لهم من مفر إلا الامتثال لاوامر الدين الحنيف والاخذ بها . فإنها وحدها القادرة على راب الصدع ، وهداية الضال ورد الأبق ولم الشتيت .

إنها دعوة الإسلام الخالدة . فهل آن الاوان لان نصيخ السمع ، ونفتح القلب ، ونزيل ماران على عقولنا وابصارنا من غشاوة ، حجبت عنا الحقيقة الإلهية فترة من الزمن ، كدنا نهلك فيها ؟ ليتنا نعى فنرعوى .

قال الأستاذ - رحمه الله - :

هذه الرسالة خير ما يوجه إلى الشعوب الإسلامية فى العالم اجمع فى الحالة الحاضرة جمعاً لصفوفها ، وصونا لوحدتها .

إننى ، وقد توليت منصبى هذا ، أعد نفسى قد حملت أمانة غالية دقيقة لاشك انى مسئول عنها أمام ربى ، واسأله تعالى أن يهبنى من لدنه عوناً ييسر صعابها ، ويذلل عقابها ، إن ربى لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم .

لقد عشت طول حياتى معنياً بأمر المسلمين ، مفكراً فيما يصلحهم ، وينقذهم مما تورطوا فيه من الضعف والتخاذل والانحراف عن الصراط

السوى فى العلم والعمل ، فوجدت أن لا سبيل إلى ذلك إلا بأمرين :

أولهما : أن يؤمنوا إيماناً عن بينة وبصيرة بأنه لا صلاح لهم إلا بهذا الدين الذى صلح به أولهم ، وأنهم على حسب ما ينحرفون عن تعاليمه ومبادئه يصابون فى بلادهم وأنفسهم وسائر أحوالهم بالضراء وألوان الشقاء .

وثانيهما : أن ينسوا أحقادهم وميراث عداوتهم الذى أورثتهم إياه عوامل الضعف ، وعهود الذلة والخوف وتسلط الأعداء ، فيعودوا كما تركهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمة واحدة عزيزة كريمة تشعر بعزتها وكرامتها ، ولا غرض لها إلا إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه ، والدفاع عن الحق حيثما وجدت لذلك سبيلا .

***

إن المسلمين إذا آمنوا حق الإيمان بالأمر الأول ، استقر فى قلوبهم حب دينهم ، وحرصوا على أن يسلكوا سبيله فى حياتهم ، وأن يسيروا على خطته ومنهاجه السديد فى كل شئونهم ، فإن الإيمان بشىء ما هو أساس حبه وتوجه الرغبة إليه ، والحب الصادق يملك على صاحبه جوارحه

وأعماله كما يملك قلبه وعواطفه ، وعلى هذا الأساس انتصر الإسلام فى أوله ، فقد شرى المؤمنون أنفسهم وأموالهم لله ، وكان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما من المال والولد والنعمة والمتاع ، ولولا ذلك ما استقام لهم أمر ولا تمكنوا - وهم القلة الضئيلة الهزيلة المستضعفة - من السيطرة على أكبر الأمم فى أقصر زمن عرفه التاريخ لأمة ناشئة ناهضة .

وقد سجل الله تعالى هذه الحقيقة فى قوله جل شأنه : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1] .

فبين بهذا القول الصريح ، أن أساس الإيمان هو إيثار الله ورسوله على كل ما سواهما بالمحبة الخالصة الصادقة ، وأن إيثار شىء عليهما فسق وخروج على أمر الله ، لا يهدى الله أصحابه ، بل يجعلهم فى موضع المتربص المتوقع للبلاء حتى ينزل به ويأتى عليه .

والمسلمون - مع الأسف الشديد - فى هذا الموضع منذ زمن طويل ، فقلما نجد منهم من يؤثر الله ورسوله على شىء من متاعة الفانى ولو كان زهيداً ، ولذلك كانت حالهم هى تلك الحال التى تسر العدو ، وتسوء الصديق .

والسبيل إلى إصلاح هذه الحال ، أن يتعاون أهل العلم والرأى فى كل شعب على تعليم المسلمين دينهم تعليما نافعاً ، وأن يظهروهم على مافى الدين من محاسن ، ويقنعوهم بما يكفله لأهله من سعادة وقوة ، وينفوا عنهم ما أدخل عليهم من خرافات وأوهام ، كان الركون إليها سبب ضعفهم واستكانتهم .

ولا شك أن على الأزهر فى ذلك أكبر قسط ، فإنه الجامعة الدينية التى تهوى إليها أفئدة المسلمين من كل صوب ، والتى تضم طلابا من مختلف أجناسهم نفروا إليها ليتفقهوا فى الدين ،

(١) التوبة ٢٤ .

من روائع الماضي

للإمـام عبد المجيد سليم

ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . وقد أخذت على عاتقي وشرعت - والله المستعان - في توجيه هذه الجامعة الكبرى إلى ذلك توجيها عمليا صالحا ، أرجو أن يكون مبارك الثمرات على الإسلام والمسلمين إن شاء الله .

وسوف لا ادخر وسعا في إمداد المسلمين داخل الأزهر وخارجه بعلماء صالحين مصلحين يكونون رسل الثقافة الإسلامية الصحيحة حيثما حلوا ، وأساة الأرواح والقلوب أينما سلكوا ، حتى نربي أمة جديدة شبيهة بالأمة الأولى التي فتح الله بها مشارق الأرض ومغاربها .

وإذا كنت أعلن ما اعتزمته وبدأته في ذلك ، وادعو إليه أبنائي الأزهريين أن يأخذوه بقوة فإني ادعو كذلك سائر أهل العلم في مختلف الشعوب والطوائف الإسلامية أن يقوموا بما عليهم في ذلك ، وأن يبثوا الدعوة للدين والعلم به في أقطارهم ويحثوا على الأخذ بها أبناء وطنهم ، حتى يكون الإصلاح عاما ، والتوجيه كاملا .

أما الأمر الثاني ، وهو أمر الاتحاد وائتلاف القلوب ، والغض عن كل ما يثير الأحقاد ، وينكأ الجروح ، فذلك أمر له فائدته الكبرى في التعجيل بالقضاء على الضعف ، والتفرغ لما ينفع المسلمين ويصلح شأنهم .

إن مثل المسلمين ، إذا احتفظوا بخلافاتهم ، وأنصتوا لداعي الفرقة والقطيعة ، كمثل شعب قامت فيه حرب أهلية طاحنة ، فهي تشغل أبناءه ، وتستنفد قواهم ، وتضيع جهودهم ، وتلهيهم عن إصلاح أحوالهم ، وتقويم معوجهم ، وتعين عليهم أعداءهم ، وتكون سببا دائما في إثقال كواهلهم بما لا يحتملون من الأعباء ، وفي إلباسهم لباس الذل والخوف والشقاء .

لقد ألحت هذه الحروب الأهلية الضروس على الأمة الإسلامية منذ قرون فقطعت ذات بينها ، وافسدت كثيراً من خطط الإصلاح على واضعيها والداعين إليها ، وما علمت حربا كهذه نيرانها حامية ، وأسبابها واهية .

فليتدبر المسلمون موقفهم ، ولا سيما في هذا الوقت العصيب ، الذي فغرت فيه المطامع أفواهها لابتلاعهم ، والذي أصبحت القوة فيه والتكتل هي لغة التخاطب السائدة ، وأسلوب التفاهم المفيد . ولينسوا ما بينهم من الخلافات التي أوهنتهم ، وثبطت من عزائمهم . وليقفوا صفاً واحداً لإنقاذ أنفسهم ودينهم ، بل لإنقاذ العالم من المطامع الفاسدة ، والمبادىء الخطرة . فإنهم أهل فكرة ، ووارثو رسالة ، وإن الله سائلهم عما أورثهم .

إني لأعلم أن أحسن ما تطفأ به هذه الحرب الأهلية التي ظلت مستعرة بين المسلمين قروناً طويلة ، هو التفاهم . وأن يدرك كل شعب ما عند الآخر . ويومئذ يظهر للجميع أن أمة الإسلام متفاهمة على كل ما يكون به المسلم مسلماً ، وأن ما وراء ذلك لا يضر بالدين . ولا ينبغي أن يكون سبباً في قطع حبل الأخوة والائتلاف .

وسأنظر - إن شاء الله تعالى - في كل ما يعين المسلمين على إدراك هذه الحقيقة ، والعمل بمقتضاها .

وإن رسالة جماعة التقريب في ذلك لتلتقي مع رسالة الأزهر ، الذي يرى حقا عليه أن يبصر الأمة الإسلامية بأمرها ، ويرشدها إلى ما يجب أن يقوم عليه شأنها من المودة والتراحم والألفة ، وتبادل العلم والمعرفة .

أسأل الله أن يهيىء للمسلمين من أمرهم رشداً ، وأن يوفق قادتهم وزعماءهم إلى النجاة بهم من العواصف والأنواء إنه سميع مجيب .

اللغة والأدب والنقد

ألفاظ الحضارة في أساليب اللغة العربية

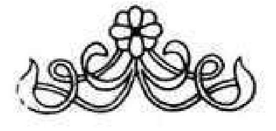

قراءة جديدة في كتاب غير جديد

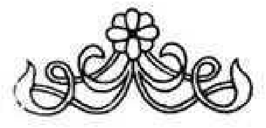

ألفاظ الصدارة

فى أساليب العرب

الفصل الأخير

للدكتور
أحمد عبد العزيز عبد الله (*)

(ب) ادوات الشرط :

من أدوات الصدارة ، سواء كانت الأداة حرفا باتفاق نحو ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾[1] .

أم كانت حرفا على الأصح كقول الشاعر :
إذا ما أتيت على الرسول فقل له
حقا عليك إذا اطمأن المجلس[2]
أم كانت الأداة اسما كقوله تعالى ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾[3] .

ففى كل ما تقدم من الشواهد أسلوب شرط علق فيه حصول الجواب على حصول الشرط ، وهو من أكثر الأساليب استعمالا ، ولا يتحقق هذا الأسلوب إلا بأداة تعرف بأداة الشرط ، بها يتم تعليق الجواب على الشرط ، ومن ثَمَّ استحقت الصدارة ، وفى شرح قول الزمخشرى (والشرط كالاستفهام فى أن شيئا مما فى حيزه لا يتقدم عليه) .

قال ابن يعيش : قد تقدم أن الشرط كالاستفهام له صدر الكلام ، ولذلك لا يعمل فى اسم الشرط شىء مما قبله ، ولا يتقدم عليه ما كان فى حيزه ، إلا أن يكون العامل خافضا له ، فإنه يجوز تقديمه على المجرور إذا كان فى صلة ما بعده أو مبتدأ نحو قولك : « بمن تمرُرْ أمرُرْ ، وبمن تنزل أنزل » أ هـ[4] .

وقال أبو حيان : فمذهب البصريين أن أداة الشرط بها صدر الكلام ، لذلك لا يجيزون تقديم شىء من معمولات فعل الشرط ولا فعل الجواب

(*) تعتذر المجلة لضيق المساحة عن عدم استيعابها لهذا البحث جملة ....

(١) الآية ١٦ من سورة فاطر .

(٢) البيت من الكامل للعباس بن مرداس ، فى كتاب سيبويه ٥٧/٣ والخصائص ١٣١/١ وابن يعيش ١٩٧/٤ وشرح الجمل ٢٠٤/٢ برقم ٥٨٦ وشرح الكافية الشافية ١٥٨١/٣ برقم ١٠٦٣ والخزانة ٦٣٦/٣ ورواية الديوان ص ٧٢ (اما أتيت) وعلى هذا فلا شاهد فيه ، وعلى رواية النحاة « اذ ما » اداة شرط ، وجملة الشرط (أتيت) والجواب (فقل له) .

(٣) الآية ١٢٣ من سورة النساء .

(٤) شرح ابن يعيش ٧/٩ .

عليها ، وإنما تقع مستأنفة اومبنية على ذى خبر ونحوه ا هـ[*] .

(جـ) الأحرف العاملة :

الناصبة المبتدأ الرافعة الخبر - وهى « إن » وأخواتها ما عدا « أنَّ » المفتوحة الهمزة ، لأنها تؤول مع معموليها بمصدر يقع خبراً لمبتدأ[*] نحو : خير القول أنى أحمد الله ، فالمصدر المؤول من « أن » ومعموليها فى محل رفع خبر المبتدأ الذى هو (خير القول) ، أو فاعلا نحو قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾[6] فالمصدر المؤول فى محل رفع فاعل « يكف » ، أو نائب فاعل نحو : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ ﴾[7] فالمصدر المؤول فى محل رفع نائب فاعل « أوحى » .

فلابد أن يسبقها كلام يكون المصدر من تمامه .

وأما « إنَّ » المكسورة الهمزة فحقها أن تتصدر جملتها نحو إنَّ لصاحب الحق مقالا وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[8] و « لكن » نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾[9] و « كان » ، كقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[10] و « ليت » نحو ليت الشباب يعود ، و « لعل » كقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[11]

وإنما استحقت هذه الأدوات الصدارة لأنها تؤثر فى مضمون الجملة الاسمية ، بالتوكيد أو الاستدراك أو التشبيه أو التمنى أو الرجاء ، وإذا أخرت لم يتحقق الغرض منها لضعف أثرها فى المقدم ، من جهة أنَّ هذه المعانى فى الأصل للأفعال نحو أؤكِّد وأشَبِّه وأستدرك وأتمنى وأرجو ، فإذا كانت هذه الأحرف قد عملت لتضمنها معانى تلك الأفعال دون حروفها ، فإنها أضعف من أن تؤثر فى معمولين مقدمين عليها .

(د) أدوات النفى العاملة :

وهى « ما » العاملة عمل « ليس » فى لغة الحجازيين ، كقوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾[12] وقوله تعالى : ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾[13] ، و « لا » النافية العاملة عمل « ليس » - عند الحجازيين أيضا - نحو لا رجل أفضل منك ، وقول الشاعر :

تعز فلا شىء على الأرض باقيا ... ولا وزر مما قضى الله واقيا[14]

ولإعمال « ما » عمل « ليس » عند الحجازيين أربعة شروط :

أحدها : بقاء النفى ، فلو انتقض النفى بإلا بطل عملها كقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[15] .

(5) ارتشاف الضرب ٢/٥٥٨ .

(*) لا يمنع ذلك أنها تنصب المبتدأ وترفع الخبر تقول : اعلم أن أحمدَ كاتبٌ ولا تستطيع خلاف ذلك .. المجلة .

(6) الآية ٥١ من سورة العنكبوت .

(7) الآية ١ من سورة الجن .

(8) الآية ١ من سورة الكوثر .

(9) الآية ١٧ من سورة الأنفال .

(10) الآية ٥٨ من سورة الرحمن .

(11) الآية ٣ من سورة الشعراء .

(12) الآية ٣١ من سورة يوسف .

(13) من الآية ٢ من سورة المجادلة .

(14) البيت من الطويل ، لم يعلم قائله ، فى الجنى الدانى ، ٢٩ وشرح ابن عقيل ١/٣١٣ برقم ٧٨ والمغنى ص ٣١٥ برقم ٤٢٤ وشرح شواهد ٦١٢ والتصريح ١/١٩٩ ، والهمع ١/١٢٥ والدرر ١/٩٧ ، والعينى ٢/١٠٢ وحاشية الصبان ١/٢٥٣ والوزر : الملجأ ، وواقيا : حافظا .

(15) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران .

● ألفاظ الصدارة في أساليب العرب

الثانى : أن لا يقترن اسمها بإن الزائدة كقوله :

فما إن طِبُّنا جُبْنٌ ولكن
منايانا ودولة آخرينا[١٦]

الثالث : أن لا يتقدم خبرها على اسمها فلو قيل : ما حاضر عبدالله - بطل عملها ، لتقدم الخبر ، ومنه قولهم : ما مسىءٌ مَنْ اعتب لأن (مسىء) خبر مقدم و (مَنْ اعتب) مبتدأ مؤخر .

الرابع : أن لا يتقدم معمول خبرها على اسمها وهو غير ظرف أو مجرور ، فلو قيل : ما طعامك زيد آكل - فلا عمل لـ « ما » لتقدم معمول خبرها ، فإن كان معمول الخبر ظرفا أو مجرورا ، جاز تقدمه على اسمها مع بقاء عملها ، نحو ما عنك أو في الدار عبدالله مقيما ، ولم يجز البصريون تقدم معمول الخبر على « ما » خلافا للكوفيين .

قال أبو حيان : ولا يجوز تقدم معمول الخبر على « ما » ، ولا برفع الخبر ولا بنصبه ، نحو طعامك ما زيد آكلا أو آكل عند البصريين ، وأجاز ذلك الكوفيون أ هـ[١٧] .

ولا تعمل « لا » المحمولة على « ليس » إلا فيما استوفى الشروط السابقة - عدا الشرط الثانى - ويجب أن يكون معمولاها نكرتين نحو لا عمل انفع من طاعة الله ، لا حاكم أعدل من الفاروق .

أما « لا » العاملة عمل « إنَّ » فيضاف إلى شرط كون معموليها نكرتين أربعة شروط هى :

أولها : أن يكون المنفى بها الجنس ، والثانى : أن يكون نفيه على سبيل التنصيص ، أى لا يحتمل نفى الوحدة ، والثالث : أن لا يدخل عليها جار ، والرابع : أن لا يفصل بينها وبين اسمها نحو لا رجل في الدار ، ولا طالب علم ممقوت ، وتسمى « لا التبرئة » لأن مَنْ نفيت عنه أمرا على سبيل التنصيص فقد برأته منه .

وأيا كان عمل « لا » النافية فلا يجوز أن يتقدم عليها شيء مما في حَيِّزها .

وقد ألحق قوم « إنْ » النافية بما وليس ، فرفع بها المبتدأ اسما لها ونصب خبره خبرا لها ، وقد نسبها أبو حيان[١٨] للحجازيين والكسائى وأكثر الكوفيين والفارسى وابن جنى ، ثم قال : ومنع ذلك الفراء وأكثر البصريين أ هـ[١٩] .

وقد نسب ابن هشام[٢٠] تلك اللغة إلى أهل العالية[٢١] وحكى عن بعضهم قوله : « إنْ أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية » .

وذكر ابن جنى قراءة سعيد بن جبير : ﴿ إنِ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادًا ﴾[٢٢] بنصب (عبادا) وتخفيف « إنْ » ثم عقب عليها قائلا : ينبغى - والله أعلم - أن تكون « إن » هذه

---

(١٦) البيت من الوافر ، قائله فروة بن مسيك كما في كتاب سيبويه ١٥٣/٣ ، وهو حجازى كما قال المرادى في الجنى الدانى ص ٣٢٧ ، وهو في الوحشيات ٢٧ والمقتضب ٥١/١ ، ٣٦٤/٢ ، والكامل ٢٤١/١ ، والأصول ١٧٧/١ والخصائص ١٠٨/٣ ، والمصنف ١٢٨/٣ ، والروض الانف ٣٣٤/٢ وشرح الجمل ٥٩٢/١ برقم ٤٢٠ والمغنى ص٣٨ برقم ٢٣ والخزانة ١٢١/٢ والطب : العادة والدأب ، والدولة الغلبة والانتصار .

(١٧) ارتشاف الضرب ١٠٦/٢ .

(١٨) ارتشاف الضرب ١٠٩/٢ .

(١٩) المرجع المتقدم .

(٢٠) أوضح المسالك ٢٩١/١ .

(٢١) هم الذين سكنوا المنطقة من تهامة إلى نجد ، بما في ذلك مكة وما ولاها ، وتعرف بسلسلة جبال السروات .

(٢٢) الآية ١٩٤ من سورة الأعراف .

بمنزلة « ما » فكأنه قال : ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم ، فأعمل « إنْ » إعمال « ما » ، وفيه ضعف ، لأن « إنْ » هذه لم تختص بنفي الحاضر اختصاص « ما » به ، فتجرى مجرى « ليس » في العمل ا هـ[٢٣] .

ومجمل القول أن النحاة متفقون على استعمالها بمعنى « ما » النافية ، وأن إعمالها عمل « ليس » قد ورد بقلة ، بيد أن تصدرها في جملتها لا خلاف فيه ، لأن ما في حيز أداة النفي لا يتقدم عليها .

(هـ) مما له الصدارة « كم » الاستفهامية نحو كم كتابا قرأت ؟ ويستعملها مَنْ يستفهم عن كمية الشيء ، ويتوقع جوابا عن سؤاله ، وتمييزها يكون مفردا منصوبا ، ويجوز جره بـ « مِنْ » مضمرة إذا جرت « كم » بالباء نحو بكم دينارٍ اشتريتَ هذا ؟

ومثلها في وجوب التصدر « كم » الخبرية ، نحو كم كتب قرأتُ وكم رجالٍ عرفتُ ويستعملها من يريد الافتخار والتكثير ، ولا ينتظر جوابا ، ويتوجه إليه - باعتباره مخبرا - التصديق والتكذيب ، وتميز الخبرية بمجموع مجرور كثير كالمثالين المتقدمين ، وبمفرد مجرور قليل نحو كم رجلٍ عرفتُ ، وقد بُنِيَت « كم » الاستفهامية لتضمنها معنى حرف الاستفهام ، وهى الهمزة ، وأما « كم » الخبرية فقد بنيت حملا على « رُبَّ » لأن كلتيهما تستعمل للفخر والمباهاة .

وإنما لزمت « كم » صدر الكلام لأنها تؤثر في مضمون الجملة بعدها - استفهاما أو افتخارا وتكثيرا ، فتكون في موقع المبتدأ في نحو : كم رجلا في الدار ؟ وكم رجلا زارك ؟ ، وتتصدر وهى في محل المفعول إنْ وَلِيَها فعل متعد لم يستوف مفعوله نحو : كم ضيفا أكرمت ؟ ولكنها لا تكون في موقع الفاعل ، لأن الفاعل لا يتقدم على فعله .

قال سيبويه : لأنها لا تكون إلا مبتدأة ، ولا تؤخر فاعله ولا مفعوله ، ولا تقول : رأيت كم رجلا ، وإنما تقول : كم رجلا رأيتَ ؟ وتقول : كم رجل أتاني ، ولا تقول : أتاني كم رجل ا هـ[٢٤] .

فهى لا تكون إلا مصدرةً في جملتها ، وإن كانت في محل نصب على المفعولية ، نحو : كم رجلا رأيت ، لأن « كم » في موضع نصب برأيت ، وهى استفهامية ، ولهذا نُصِب مميزها والاستفهام له صدر الكلام ، كما تقدم ، وقد حُمِلت « كم » الخبرية على الاستفهامية في لزوم الصدر ، طرداً للباب ، وحملا على « رب » لأنها أشبهتها في إفادة التكثير ، وفي لزوم الصدارة .

وعلم مما تقدم أن (رب) من ألفاظ الصدارة ، سواء كانت للتقليل نحو رُبَّهُ رجلا يوحد صفوف المسلمين ، ومنه قولة :

ألا رُبَّ مولود وليس أبٌ
وذي ولد لم يَلْدَه أبوان[٢٥]

فالمراد بالمولود الذى ليس له أب - عيسى عليه السلام ، وبذى الولد الذى لم يلده أبوان آدم عليه السلام ، وكل منهما فرد لا نظير له ، فكونها هنا مفيدة للتقليل واضح ، أم كانت للتكثير كقوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾[٢٦] .

(٢٣) المحتسب ٢٧٠/١ .

(٢٤) الكتاب ١٥٨/٢ .

(٢٥) البيت من الطويل ، نسبه سيبويه (الكتاب ٢٦٦/٢) لرجل من أزد السراة ، ونسبه غيره لرجل اسمه عمرو الجنبي ، قاله لامرىء القيس حين لقيه في مفازة - على سبيل المعاياه ، أراد بالمولود الذى ليس له أب عيسى - عليه السلام وبذى ولد لم يلده أبوان - آدم - أبو البشر ، والبيت في الكامل ٩٠٦ والخصائص ٣٣٣/٢ والمفصل وشرحه لابن يعيش ٤٨/٤ ، ٢٣/٩ ، ١٠ ، ٢٦ والمقرب ١٩٩/١ والجنى الداني ٤٤١ والتصريح ١٨/٢ والهمع ٥٤/١ ، ٢٦/٢ والخزانة ٢٩٧/١ .

(٢٦) الآية ٢ من سورة الحجر

ألفاظ الصدارة فى أساليب العرب

فقد استعملت « رُبَّ » فى الآية لإفادة التكثير، لأن السياق يقتضى التخويف، ولا يناسبه التقليل، أى أن الكثير من الكفار يتمنون حين يَرَوْنَ العذاب أنْ لو كانوا اسلموا.

وقد لزمت « رُبَّ » الصدر فيما تقدم بما فى ذلك البيت، لأن « ألا » الاستفتاحية من ألفاظ الصدارة أيضا، وإنما لزم تصدر « رب » لأنها تؤثر فى معنى ما دخلت عليه ـ تقليلا او تكثيرا ـ وهذا ثابت لها سواء أزيدت « ما » بعدها كقوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ام لا كغالب استعمالاتها.

(و) ومما له الصدارة « لام الابتداء » وهى اللام المفتوحة الداخلة على المبتدأ فى قوله تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً .. ﴾[٢٧] وقوله تعالى: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾[٢٨] او ما حل محل المبتدأ، وهو المضارع المصدر به الجملة، نحو لَيَقُومُ زيد، لَيَخْرُجُ عمرو ـ بفتح اللام ورفع المضارع عند المالقى[٢٩] (ت ٧٠٢ هـ)، والفعل غير المتصرف نحو: لنعم الرجل خالد، وقوله تعالى: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[٣٠].

وقد نسب المرادى وابن هشام[٣١] القول بإجازة دخولها على المضارع إلى ابن مالك ايضاً.

ومما له الصدارة « ما » التعجبية فى نحو: ما اكرَمَ محمدا، لأن صيغة التعجب لا تقبل التصرف إذ جَرَتْ مجرى المثل، فلا يجوز أنْ يقدم المتعجب منه، ولا فعل التعجب على « ما » التعجبية، وقد تحدث سيبويه عن صيغة التعجب فقال: وذلك قولك: ما أحسن عبدالله. زعم الخليل انه بمنزلة قولك: شيء أحسن عبدالله، ودخله معنى التعجب، وهذا تمثيل، ولم يتكلم به، ولا يجوز أنْ تقدم عبدالله وتؤخر « ما »، ولا تزيل شيئا عن موضعه، ولا تقول فيه: ما يحسن ولا شيئا مما يكون فى الأفعال سوى هذا. ا هـ[٣٢] فصيغة التعجب لا يجوز التصرف فيها بالتقديم والتأخير، وقد أوضح ابن يعيش ذلك فقال: صيغة التعجب تجرى على منهاج واحد لا يختلف، فلا يجوز تقديم المفعول فيه على « ما » ولا على الفعل، فلا يجوز (زيدا ما احسن) ولا (مازيدا احسن) كما يجوز لك فى غير التعجب من نحو (زيدا عبدالله اكرم) و (عبدالله زيدا اكرم) وذلك لضعف فعل التعجب وغلبة شبه الاسم عليه. ا هـ[٣٣].

والدليل على ضعفه لزومه صيغة واحدة، وتصحيح المعتل منه نحو ما أقْوَمَ هذا الطريق ففى غير التعجب يُعَل (أقْوَم) ينقل حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبله، ثم تقلب الواو ألفا لتحركها بحسب الأصل، وانفتاح ما قبلها بعد النقل، اما غلبة شبه الاسم عليه فواضحة من جواز تصغيره نحو ما أميلحة، لهذا امتنع تقدم معموله عليه، كما امتنع التصرف فيه، فلا يجوز تقديمه على « ما » ومن ثَمَّ كانت « ما » التعجبية من ألفاظ الصدارة.

(ز) « ألا » من ألفاظ الصدارة « ألاَ » سواء اكانت للاستفتاح والتنبيه كقوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[٣٤]، ام كانت للتمنى كقول اليائس من وجود الماء: ألا

(٢٧) الآية ١٣ من سورة الحشر.
(٢٨) الآية ٢٢١ من سورة البقرة.
(٢٩) رصف المبانى ٣٠٦.
(٣٠) الآية ٦٣ من سورة المائدة.
(٣١) الجنى الدانى ١٣٤ والمغنى ٣٠٢.
(٣٢) كتاب سيبويه ٧٢/١ وما بعدها.
(٣٣) شرح ابن يعيش ١٤٩/٧.
(٣٤) الآية ١٣ من سورة البقرة.

ماء أشربه ؟ أم كانت للعرض كقوله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(٣٥) أم كانت للتحضيض والحث على الفعل كقوله تعالى : ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾(٣٦) أم أريد بها التقرير بالشىء كقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ . . ﴾(٣٧) .

فقد تصدرت « ألا » جملتها فى كل ما تقدم ، أيا كانت الجملة ، اسمية أو فعلية ، وأيا كان الأسلوب فى أول الآية نحو « ألا تقاتلون .. » أو فى تذييلها نحو « ألا إنهم هم السفهاء .. » وإنما لزمت « ألا » الصدر ، لأنها تؤثر فى معنى الكلام الواقع بعدها ، استفتاحا وتنبيها لأهمية ماوليها ، أو عرضا وترغيبا فى الظفر بأمر محبوب ، أو تقريرا بمضمون ماوليها ، أو حثا على تحصيله والعمل بمقتضاه ، وكل ما كان كذلك استحق صدر الكلام .

ومن هذا القبيل « لولا » المستعملة حرف امتناع لوجود فى نحو قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾(٣٨) والمرفوع بعدها مبتدأ خبره محذوف وجوبا ، لكونه فى الغالب كونا مطلقا ، فالتقدير فى الآية المتقدمة : لولا أنتم صددتمونا لكنا مؤمنين ، وكذا « لو ما وهلا وألا » فى التخصيص والاختصاص بالفعل ، بفتح أولها وتشديد اللام فى « هلا وألا » نحو قوله تعالى : ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(٣٩) وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجابر بن عبدالله « هلا جارية تلاعبها وتلاعبك .. »(٤٠) وقولنا : ألا عاقبت المسىء فكيف عن الإساءة إليك . فهذه الألفاظ تؤثر فى مضمون الكلام الذى وليها ولهذا استحقت الصدارة لما وقع بعدها .

هذا وقد علم مما تقدم أن الأسماء المستحقة للتصدير بنفسها هى :

أسماء الاستفهام ، أسماء الشرط ، « كم » الخبرية التى عرضنا لها أثناء الكلام عن « كم » الاستفهامية ، « ما » التعجبية ، وقد بسطنا القول فى ذلك تفصيلا .

وهناك أسماء استحقت الصدارة بغيرها وهى أربعة :

الأول : كل اسم أضيف إلى اسم استفهام نحو كتاب مَنْ قرأت ؟ فكتاب مفعول (قرأت) والأصل فيه التأخير ، ولكنه قدم لإضافته إلى ما يستحق التصدير(٤١) وهو « مَنْ » الاستفهامية ، ونحو صبيحة أىّ يوم سفرك ؟ وذلك أنّ (صبيحة) خبر (سفرك) والأصل فى الخبر التأخير ، ولكنه قدم وجوبا لإضافته إلى لازم الصدرية ، وهو أى « الاستفهامية » .

الثانى : كل اسم أضيف إلى اسم شرط نحو كتاب مَنْ تقرأ أقرأ ، فكتاب مفعول (أقرأ) والأصل فيه التأخير ، ولكنه قدم وجوبا لإضافته إلى اسم الشرط (من) وهو من ألفاظ الصدارة .

الثالث : كل اسم أضيف إلى « كم » الخبرية نحو : مال كم رجل عندك ؟ فمال مبتدأ لا يجوز تأخيره ، لإضافته إلى لازم الصدر ، وهو « كم » الخبرية .

الرابع : كل اسم اقترن بلام الابتداء نحو : لزيد قائم ، فزيد مبتدأ لا يجوز تأخيره لاقترانه بلازم الصدر ، وهو لام الابتداء والله أعلم .

---

(٣٥) الآية ٢٢ من سورة النور .
(٣٦) الآية ١٣ من سورة التوبة .
(٣٧) الآية ١٤ من سورة الملك .
(٣٨) الآية ٣١ من سورة سبأ .
(٣٩) الآية ٧ من سورة الحجر .
(٤٠) الحديث فى سنن الترمذى ٢/ ٢٨٠ مرويا عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال تزوجت امرأة ، فأتيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أتزوجت ياجابر فقلت : نعم ، فقال بكرا أم ثيبا ؟ فقلت : لا بل ثيبا : فقال : هلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ الحديث .
(٤١) انظر الترمذى ١/ ١٧٤ وما بعدها .

قراءة جديدة

فى كتاب غير جديد

حول كتاب "الشيخان" للدكتور طه حسين

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

دعانى إلى كتابة هذا الموضوع إعادة تقرير كتاب (الشيخان) للدكتور طه حسين ، على طلاب الثانوية العامة هذا العام بعد ان كانت الوزارة قد الغت تدريسه منذ عام سبعة وسبعين حتى الآن .

وكان الكتاب قد اثار موجة من النقد حين قُرِّر فى المرة الأولى ، وكُتِبت مقالاتٌ فى الصحف والمجلات المهتمة بشئون الادب والثقافة ، وكنت قد كتبت مقالاً فى مجلة الثقافة التى كانت تصدرها وزارة الثقافة فى ذلك الوقت ، ونُشر فى عدد ابريل سنة ١٩٧٦ ، استعرضت فيه السلبيات التى تكمن وراء تقرير هذا الكتاب بوزارة التربية والتعليم .

ولذلك كانت العودة إلى تقريره مرة أخرى مثيرة للدوافع التى أملت كتابة ماكتبت منذ حوالى خمسة عشر عاماً ..

ولا بأس من العودة إلى الكتابة حوله مرة أخرى نظراً لاهمية هذا الأمر ، ولأن مجلة الأزهر منبر عام يتحدث عن قضايا التعليم والتربية فى كل القطاعات والمؤسسات المهتمة بذلك . وهذه رسالتها .

الهدف من تقرير كتاب ذى موضوع واحد

تقرر مناهج اللغة العربية كتاباً ذا موضوع واحد فى صفوف الدراسة المختلفة ، والوزارة تهدف من وراء ذلك إلى أهداف تربوية متعددة منها :

تنمية المثل العليا فى نفوس الطلاب ، وإقدارهم على تتبع مايقرءون ويسمعون ، وفهمه فهماً صحيحاً والانتفاع به فى الحياة العملية ، وان يتخذ الطالب مما يقرؤه زاداً يعينه على مواجهة الحياة واعبائها ، وأن ينمو ميله إلى القراءة وشغفه بها وتذوقه لما يقرؤه بحيث يدفعه إلى الاتصال بما يلائمه وينفعه ، وأن يتصل بنتاج المجددين من الأدباء وأصحاب الأساليب فى مختلف العصور .. إلى غير ذلك من الأهداف

التربوية السليمة التى تتصدر مناهج اللغة العربية فى مراحلها المختلفة ..

وتحقيقاً لهذه الأهداف وضعت مناهج اللغة العربية أسساً متعددة لدراسة القراءة، وبخاصة فيما يتصل بالكتاب ذى الموضوع الواحد . الذى نعتبره مقدمة كبرى لاعتماد الطالب على نفسه فى المرحلة الجامعية ، التى تتطلب استقلال الشخصية ، واستنطاق المراجع ، واكتناه مكنوناتها .

مايجب توافره فى الكتاب المختار

وحرصاً على ذلك يجب أن نصل الطالب بالكتاب حتى يأنس إليه ولا ينفر منه ، بمعنى أن نقدم إليه مايتناسب مع سنه ، ومايصحح له مثله ، وما يَقْوَى به فكره ، ومايأخذ بيده إلى الطريق السوى فيما يجب أن يعتنق من مبادىء وأفكار ومثل ..

وتمشياً مع هذا قرأنا فى بعض الأعوام فى صفحات مجلة المصور مقالاً ثائراً للأستاذ رجاء النقاش ضد كتاب (حافظ وشوقى) للدكتور طه حسين الذى كان مقرراً على طلاب الثانوية العامة آنذاك ، وقد طلب الأستاذ النقاش ضرورة إلغاء تدريس هذا الكتاب فوراً لأنه يهز المثل التى يرسمها الشباب فى مخيلته لأعظم شاعرين أنجبتهما مصر العزيزة ، ودان لهما الشعراء فى أقطار العرب ، حتى بايعوا أحدهما وهو شوقى ، بإمارة الشعر فى حفل تكريم عظيم .

كما نشرت مجلة الكاتب أيضاً مقالاً للأستاذ رشدى صالح أيام أن كان هذا الكتاب مقرراً يوضح فيه أن موضوعات الكتاب التى تناولها الكاتب فى (حافظ وشوقى) لم تعد صالحة للدراسة الآن بعد أن استعادت مصر تراث العرب العريق ، وجددت فى مجالات الفكر وتفوقت .

فالكتاب الذى يقدم لطلاب الصف الثالث الثانوى بالذات يشكل خطورة عظيمة بالنسبة لأفكار هؤلاء الشباب فى هذه السن الخطيرة التى تتأرجح فيها المثل ، وتهتز فيها القيم .

وفى هذه المرحلة من مراحلنا التى نجتاز فيها ظروفاً قلقة تعيشها الأمة العربية ، وفى هذه الأيام التى وفدت فيها تيارات غريبة جرفت الكثير من الشباب ، وصنعت لهم اهتمامات جديدة لا تتناسب مع ما يجب أن يكون عليه الشباب من جد وعزم وقوة .

كتاب (الشيخان) ومايثيره من شك

ومن هنا ندرك خطورة دور الكتاب ومايجب أن يصنعه فى توجيه الشباب . وأخلص من هذا إلى أنه إذا كنا قد ثُرنا على كتاب (حافظ وشوقى) لأنه هز مثليهما فى النفوس ، فمن الأولى أن توجه هذه الثورة إلى كتاب (الشيخان) المقرر هذا العام لأنه عرض هذين الخليفتين العظيمين (أبا بكر وعمر) - رضى الله عنهما - لأكثر من ذلك .

عرضهما لموجة من الشك الذى بنى عليه كتابه فترك الشباب فى حيرة وقلق ، لا يدرى أين يضع قدمه بين تلك الأمواج المتدفقة من عباراته مثل : (أنا أشك) .. (زعموا) - (يزعمون) (أنا غير واثق) . إلى غير ذلك مما يفتح الطريق واسعاً للتخبط والشك والضياع .

وأسلوب الشك هذا نزعة انتهجها الكاتب لا فى كتاب (الشيخان) وحده ، ولكن فى غيره من الكتب مما أثار ضده ثائرة عنيفة فى مطلع هذا القرن ، وإذا كانت التربية تفرض علينا أن نوجه النشء فى هذه السن الخطرة إلى الإيمان بمثله العليا المنبثقة من تاريخه العظيم ؛ فإن من الواجب علينا أن نعيد النظر فيما يقدم له من زاد فكرى يعينه على تعميق الإيمان بهذه المثل . وخير ما يقرؤه فى تاريخ أبطاله الذين يعتز بهم، كتب تقدم له هذه الشخصيات فى صورة مبنية على التحليل النفسي الذي يصل به إلى اليقين ، ولا يسلمه إلى الشك .

قراءة جديدة فى

كتـــاب غـــير جـــديد

امثلة مما جاء فى الكتاب

واحب ان اقف مع القارىء وقفات حول بعض ماجاء فى الكتاب ، وقفات تستدعى التأمل والتعجب .

ــ يقول الكاتب فى مقدمة كتابه (وانا بعد ذلك اشك فى بعض ماروى عن هذه الأحداث ، وأكاد اقطع بأن بعض ماكتب القدماء من تاريخ هذين الإمامين العظيمين ومن تاريخ العصر القصير الذى وليا فيه أمور المسلمين أشبه بالقصص منه بتسجيل حقائق الأحداث التى كانت فى أيامهما .. فالقدماء قد أكبروا الشيخين الجليلين إكباراً يوشك أن يكون تقديساً لهما ثم أرسلوا أنفسهم على سجيتها فى مدحهما والثناء عليهما ...)

ماذا يريد الكاتب بهذا ؟ هل يريد أن يكف الناس عن مدح أبى بكر وعمر ــ رضى الله عنهما ــ ؟ وهل هذان الخليفتان العظيمان لا يستحقان المدح والإجلال والثناء ؟ ولماذا لا يُقدسان وقد أَجَلَّهما القرآن وأثنى الله تعالى عليهما إن لم يكن صراحة فضمنا ؟ فالقرآن هو الذى يشير إلى أبى بكر بقوله : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ﴾ والقرآن هو الذى ينزل مؤيدا لعمر فى كثير من المواقف . وماذا يكون التقدير غير هذا ؟ ومتى كان الإكبار سبيلاً إلى الشك فيما يروى من الأحداث ؟

ــ أوضح الكاتب أن هدفه من الكتاب (ليس الثناء على الشيخين ، أو تفصيل تاريخ الفتوح فى عصرهما ، وإنما هدفه شىء آخر مخالف لهذا أشد الخلاف ، فهو يريد أن يعرف القارىء بشخصية أبى بكر وعمر ــ رحمهما الله ــ كما يصورها مانعرف من سيرتهما ، وكما تصورها الأحداث التى كانت فى عصرهما ، وكما يصورها هذا الطابع الذى طبعت به حياة المسلمين من بعدهما) .

ونحن حين نقرأ الكتاب لا نجد التزاماً بهذا المنهج ، ولكنا نجد مجرد سرد للروايات التى يشك فيها كلها ، ولا يخلص للقارىء بعد ذلك شىء مما أشار إليه بأنه هدفه ، كما أن الكتاب ليس فيه ذلك العسر المبذول الذى وطن نفسه له ، فالعسر فى البحوث إنما يكون فى تحليل المواقف وتفسير السلوك وربط الأسباب بالمسببات .

شىء يحمد له :

حقاً إنه مما يحمد له أنه أبعد المسلمين الأوائل عن شبهة الاختلاف والتطاحن عند اختيار الخليفة الأول ، كما أنه أبعد عنهم شبهة الاضطرابات والتردد فى مواجهة المرتدين ، وكنا نود أن يستمر فى مناقشة بقية الأحداث بهذه الطريقة المنطقية . ولكنه سكت عن كثير من المواقف التى كان أحرى به أن يناقشها ، لأن عدم مناقشتها يعرض أصحابها للاهتزاز .

من ذلك مثلاً موقفه من قصة فاطمة ــ رضى الله عنها ــ مع أبى بكر .

فقد ذكر دون أن يشهد الرواة ــ على غير عادته ــ أن من المحن التى تعرض لها أبوبكر مغاضبة فاطمة له ؛ لأنه منعها ميراث أبيها ، وظلت مغاضبة له حتى توفيت ، وطلبت الا يخبر بموتها ، وأن تدفن سراً حتى لا يشهد جنازتها .

ولنا أن نقف مع الكاتب وقفة قصيرة فنسأله :

لِمَ تعمد أن يطيل الحديث حول هذه القصة ، ويذكرها مرتين فى كتابه ؟ ولم يناقشها كما ناقش غيرها مع أنها أحرى بذلك ؟

ولم ذكرها فى صورة توحى بأنها حقيقة لا شك فيها فلم يسندها إلى راو من الرواة ؟

مع أن المنطق يقضى بأنه من غير المعقول أن تغضب فاطمة مع أبى بكر ، لأنه أراد أن ينفذ سنة أبيها .

ومن غير المعقول أن تغضب فاطمة للدنيا ، وهى التى رباها أبوها على الزهد والتواضع والإيثار .

ومن غير المعقول أن تمرض فاطمة ولا يعلم أبوبكر بمرضها ، وتموت ولا يعلم بموتها ، وتدفن ولا يعلم بدفنها ، وقد أجمع الرواة على أن التى كانت تمرض فاطمة هى أسماء بنت عميس زوجة أبى بكر نفسه وهى التى غسلتها وكفنتها .

ومن تلك التى ماتت ولم يعلم ابو بكر بموتها ؟ إنها فاطمة بنت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت أحب الناس بعد أبيها إلى المسلمين ، فموتها ليس حدثا هينا ؛ ولكنه حدث يشغل الناس جميعاً وفى مقدمتهم ابوبكر ـ رضى الله عنه ـ .

وقد جاء فى طبقات ابن سعد الذى يعتمد الكاتب عليه فى كثير من رواياته ان ابابكر صلى على فاطمة فكبر اربعا .

فمن أين جاء العلم للكاتب بأن ابابكر لم يعلم بموتها ؟ هذا على قرب مابين البيتين بيت على زوج فاطمة ، وبيت أبى بكر .

حقيقة ان طبعة الوزارة حذفت كثيراً مما جاء فى الكتاب الأصلى للمؤلف حول هذا الموضوع ، ولكن بقى فى هذه الطبعة مايدعو إلى تساؤل القارىء حول هذه المغاضبة التى نبرىء منها السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ .

ـ وقد عرض الكاتب كثيراً من الأحداث عرضا مشوهاً ، ومن ذلك حروب الردة التى تُعَدُّ من أخطر الحوادث التاريخية فلم يعرفنا : كيف دارت المعارك ؟ ولا كيف أبلى المسلمون فيها ذلك البلاء الحسن الذى يترك صورته الصحيحة المشرقة فى نفوس الشباب ، وبخاصة فى هذه الظروف التى مازلنا نحارب فيها عدواً يتربص بنا ونقف له على أهبة الاستعداد ؟ .

وبهذه الصورة الموجزة المخلة أيضاً تعرض لفتوح الشام والعراق فلم يعرض أمامنا صفحات من البطولات الرائعة التى قام بها المسلمون والقواد ، واستشهدوا وانتصروا بسببها ، وليس ذلك من قبيل التفصيلات التى أعفى نفسه منها ولكنها من الضرورات التى تسجل عصر الشيخين أصدق تسجيل ، وتوحى بروعة المواقف التى وقفها كلاهما ذودا عن الحق ، ودفاعاً عن الدين .

ـ ومن المغالطات التى لا يسكت عنها أن يذكر الكاتب أن من أسباب الحروب فى العراق تنافس المدينتين الجديدتين (الكوفة والبصرة) فى الفتح رغبة فى الاستكثار من الفىء والغنائم ، فيقول ص ١٥١ من طبعة الوزارة : (وكان حظ الكوفة من سواد العراق ومما فتح من أرض الفرس أعظم من حظ البصرة ، فكان أهل البصرة يطمعون فى أن يوسعوا رقعتهم ، ويكثروا من الفتوح ليتاح لهم من الغنائم وسعة الفىء .. قال الأحنف بن قيس ذات يوم لعمر ـ وكان عنده فى وفد البصرة : إن عيشنا أضيق من عيش إخواننا فى الكوفة ، وإنا لن نأمن الفرس ولن نفرغ منهم حتى نظفر بملكهم ، أو نقتله ، ومازال المصران يلحان فى عمر فى أن يأذن للناس فى الانسياح فى الأرض حتى انتزعوا منه الإذن فى ذلك انتزاعا) .

وهذا الكلام ينبغى الوقوف عنده طويلاً ، فمن المسلم به ان أخر ماكان يفكر فيه المسلمون فى فتوحاتهم عرض الدنيا ، ولكنها الاستجابة لأمر الله الذى وعدهم بالنصر . وكيف يفكرون فى عرض الدنيا وقد حذرهم الله من ذلك فى قوله تعالى : ﴿ مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ .. ﴾ « الأنفال ٦٧ » ..

ومن المسلم به ايضاً أن عمر كان يكره الحرب ، ولكنها الضرورة التى تلجئه إليها ، وليس من الضرورة إلحاح أهل البصرة والكوفة عليه رغبة فى الاستكثار من الدنيا .. ولكن

قراءة جديدة في

كتـــاب غـيـر جـــديـد

الضرورة التى تلجئه هى حماية الدين وتأمين الجزيرة العربية أولا والبلاد التى فتحت ودانت بالإسلام ثانيا .

ـ ومن المآخذ التى تؤخذ على الكتاب ـ ذلك الشك الذى أشرنا إليه ولنضرب على ذلك مثالا مما ورد فيه .

يقول ـ بصدد إسلام عمر بعد أن ذهب عمر إلى دار الأرقم ليعلن إسلامه بين يدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتلقاه النبى آخذا بمجامع ثوبه قائلا له : أما أنت منتهيا ياعمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ماأنزل بالوليد بن المغيرة .

يقول الكاتب : (وأنا أروى هذه الرواية غير واثق بها كل الثقة وإنما أراها مصورة لما كان القدماء وأصحاب النبى بخاصة يعرفون من أخلاق عمر قبل إسلامه) .

ولست أدرى فيم يشك ؟ هل يشك فى قدرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مواجهة عمر وهو الذى واجه قريشا كلها دون أن يخشى بأسهم ؟ أم يشك فى أن عمر كان كافرا وأسلم ؟ .

ويفوت الكاتب أحيانا الترتيب بين الأحداث التى تتطلب الدقة فى ترتيبها .

فقد جاء ص ٢٠ : أن عمر ـ فى صلح الحديبية ـ ذهب إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول له : لِمَ نعطى الدنية فى ديننا ؟

فقال له النبى ـ وقد أخذه شىء من الغضب : أنا عبدالله ولن يضيعنى .

قال الكاتب : وذهب عمر بعد ذلك إلى أبى بكر فحاوره كما حاور النبى ، فكان جواب أبى بكر نفس الجواب .

الدقة تقتضى ـ كما ذكر الرواة ـ أن يذهب عمر أولا إلى أبى بكر فيحاوره فيقول له أبوبكر : إنه رسول الله ، ولن يضيعه .

ولا يقتنع عمر فيذهب إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول له النبى ماقال .. فيطمئن عمر ويهدأ . وهذا ماحدث فعلا .

لأن سياق القصة كما رواها الكاتب تشير إلى أن عمر لم يطمئن إلى كلام النبى ، ومازال فى قلبه شك حتى ذهب إلى أبى بكر ..

وهذا مخالف لما ذكره الرواة من جهة ، ومخالف لطبيعة عمر من جهة أخرى حيث كان ينتهى عن مراجعته حين يحزم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله معه .

هذه أمثلة من الكتاب .. يمكن أن نضيف إليها عدم الترتيب وكثرة التكرار . فحروب الردة مثلا ذكرها فى الفصل الأول وذكرها فى الفصل الثالث ، كما تحدث عن أسباب الارتداد فى أكثر من موضع والفتوح ذكرها أيضا فى حديثه عن أبى بكر ، وفى حديثه عن عمر .

وعزل خالد تحدث عنه فى موضعين مختلفين .

ومن أمثلة عدم الترتيب : أنه ذكر فى المشكلات التى واجهها أبو بكر مشكلة الارتداد أولا . ثم تحفز عرب الشام والعراق وإنفاذ جيش أسامة ثم وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان الأولى أن يقدم هذه المشكلة أولا .

وفى حديثه عن الفتوح فى أيام عمر . تحدث عن فتوح العراق ثم تركها إلى الشام ثم عاد إلى العراق .

والكتاب أحيانا تعوزه الدقة فقد صحح زميل فاضل واقعة حمل السيدة أسماء بنت عميس التى تركها ـ فيما يزعم الكاتب ـ أبوبكر حاملا ، والصحيح أن التى كانت حاملا هى زوجه السيدة حبيبة بنت خارجة الخزرجية وولدت بعده أم كلثوم .

وقد صححت الوزارة هذه المعلومة فى طبعتها الأخيرة ، ولكن مازال الخطأ موجودا فى الكتاب الأصلى .

هذه بعض ملاحظات على الكتاب جديرة بأن يعاد النظر فى اختيار مايقرر على الطلاب الذين يجب أن نضع أمام أعينهم الصورة الكاملة الحقيقية لتاريخ الإسلام والمسلمين .

وهذه الوان من أطوار الحقد الكريه الذى يصيب من شرد من دينه واستسلم لنزواته وشهواته ، فكان اسير شيطانه اللعين الذى اقسم اليمين لاغوينهم أجمعين واستثنى المخلصين المتقين .

قال : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ « سورة الأعراف ـ ١٦ ـ ١٧ » .

لأن الشيطان يوقد نار الضغينة ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس لمباشرة مهمته . وذلك بعد أن يئس من أن يجعل من العاقل عابد صنم ، ولكنه استطاع إغراء الإنسان وإغواءه وإبعاده عن ربه بإيقاد نار الشحناء فى القلوب لتأخذ طريقها إلى كل ضحية ممن ظهرت عليهم النعم ، ونار الشحناء تلتهم القريب أو البعيد إذا اشتعلت واتقدت والتهبت فاهلكت بسبب حيلة إبليس ، ومن شياطين الإنس من يزعجه الاستقرار والأمن وراحة الجار واطمئنان ذوى القربى .

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَٰهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ « سورة الناس ـ ١ ـ ٦ » ؛ قد امرنا ربنا بالاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن الذين يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله ، وقد خلق الله الناس متفاوتين فى المواهب وفى الرزق وجعل المؤمنين إخوة فلا يرضى لهم القطيعة والبغض ، ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » .. « رواه البخارى » ..

الحَسُـودُ لَا يَسُـودُ

قالوا إن الحسود ـ من الهم كساقى السم فإن سرى سمه زال عنه همه ، أما ظهور النعمة فيثير الحسد ، وكثرة الفضل تضاعف الكمد ، والإسلام ينصح اتباعه فيقول لهم : « استعينوا على قضاء الحوائج بالستر فإن كل ذى نعمة محسود » .

وقالوا عن الحسود إذا حضر أغتاب وإذا غاب عاب .

وقال الأصمعى قلت لأعرابى ما أطول عمرك قال : تركت الحسد فبقيت ؛ وليت الزملاء الشركاء فى أى عمل اليوم يحتقرون الحقد ويتعاملون بالإيثار لا بالأثرة .

يقول صلوات الله وسلامه عليه : دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم » . « رواه أحمد » ، ولا يزال الناس بخير مالم يتحاسدوا ، وليس فى خصال الشر أعدل من الحسد ، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود ، والله يقول : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ « سورة البقرة ١٠٩ » ..

ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ « سورة الأحزاب ـ ٥٨ » .

وعلينا أن نتجنب مجالس القاعدين الحاقدين الذين ينشرون الشائعات الباطلة والأخبار الحاقدة للتسلية : « اللهم اجعلنا من عبادك الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

والله الهادى إلى سواء السبيل ..

لحظات طيبات مع الإمام

زيد بن أسلم

« يابنى لا ترى انك خير من احد يقول : لا إله إلا الله ، حتى تدخل الجنة ويدخل النار ؛ فإذا دخلت الجنة ودخل النار تبين لك انك خير منه »... هكذا كان زيد بن اسلم يوصى ابناءه .

إنه الإمام الحليم الحجة القدوة ، أبو أسامة ، زيد بن أسلم العدوى ويقال : أبو عبد الله المدنى الفقيه ، مولى عمر .

كان بالعدل قائلاً وعن الجهل عادلاً ، وبالفضل عاملاً ؛ فقد كان يتمثل قول رسول الله ﷺ : « طوبى لمن ترك الجهل ، وأتى الفضل وعمل بالعدل » رواه أبو نعيم .

وكان له حلقة علم فى مسجد رسول الله ﷺ ، وكانت حلقته أقرب ماتكون إلى اجتماع أخوى موسع ، قال أبو حازم الأعرج : « لقد رأيتنا فى مجلسه أربعين فقيها ، أدنى خصلة فينا التواسى بما فى أيدينا ، وما رأيت فى مجلسه متمارين ولا متنازعين فى حديث لا ينفعنا »[1] .

إعداد : عادل خفاجة

وكان على بن الحسين من أهل مجلسه ، وكان يتخطى مجالس قومه ليكون على مقربة منه ، قال البخارى فى تاريخه :

قال زكريا بن عدى : حدثنا هشيم عن محمد بن عبد الرحمن القرشى ، قال : « كان على ابن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم ، ويتخطى مجالس قومه ، فقال ـ له ـ نافع بن جبير بن مطعم : تتخطى مجالس قومك إلى عبد عمر ابن الخطاب ؟ فقال على : إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه فى دينه[2] .

وكان ذا منطق قوى ، فقد كان يحدث ذات يَوم بحديث ، فقال له رجل : ياأسامة ، عمن هذا ؟ فأجابه قائلاً : « ياابن أخى ، ماكنا نجالس السفهاء » .

وكان أهل مجلسه يحبونه حباً شديداً ، ويؤثرونه على أنفسهم ، فهذا أبو حازم ـ أحد

---

(١) سيرة اعلام النبلاء : جـ ٥ ص ٣١٦ .

(٢) تهذيب التهذيب : جـ ٣ ص ٣٩٥ .

فقهاء مجلسه - يقول : « لا أرانى الله يوم زيد ابن أسلم[٣] : إنه لم يبق أحدٌ أرضى لدينى ونفسى منه » .

وقد أيقن زيد بن أسلم بأن اتباع ما أمر الله ورسوله هو البرهان على حب الله ورسوله ؛ فقد روى عنه أنه قال : هلك عثمان بن مظعون ، فأمر رسول الله ﷺ بجهازه ، فلما وضع فى قبره ، قالت امرأته : هنيئاً لك أبا السائب الجنة . فقال رسول الله ﷺ : « ما علمك بذلك ؟ » .

قالت : كان - يارسول الله - يصوم النهار ويصلى الليل .

قال : بحسبك لو قلت كان يحب الله ورسوله »[٤] .

ولزيد تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن ؛ فقد كان عالما بتفسير القرآن . وقال - عنه - يعقوب ابن شيبة : ثقة من أهل الفقه والعلم .

نماذج من تفسيره :

* قال يعقوب بن عبد الرحمن : سألت زيد ابن أسلم عن المستغفرين بالأسحار ، قال : « هم الذين يحضرون الصبح » .

* وروى مالك بن أنس عن زيد فى قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾

قال : جزعوا مائة سنة ، وصبروا مائة سنة .

* وروى مبشر بن عبيد عن زيد فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ قال : قالوا لفروجهم لم شهدتم علينا .

حبه للتيسير :

وكان رحمه الله يحب التيسير ويرغب فيه ، فقد روى عنه أنه قال : إن رجلاً كان فى الأمم الماضية يجتهد فى العبادة ، وشدد على نفسه ، ويقنط الناس من رحمة الله تعالى ، ثم مات .

فقال : أى رب ما لى عندك ؟ قال : النار ، قال : يارب وأين عبادتى واجتهادى ؟ فقيل له : إنك كنت تقنط الناس من رحمتى فى الدنيا ، وأنا اقنطك اليوم من رحمتى[٥] .

من كلماته :

« من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا » .

من روى عنهم :

أدرك زيد بن أسلم جماعة من الصحابة ، وروى عن أبيه وعبد الله بن عمر ، وأبى هريرة ، وعائشة ، وجابر ، وربيعة بن عباد الديلى ، وسلمة بن الأكوع ، وأنس بن مالك وأبى صالح السمان ، والأعرج ، وعلى بن الحسين وعبد الرحمن بن أبى سعيد ، والقعقاع بن حكيم .. وغيرهم .

وروى عنه :

الزهرى ، وأيوب السختيانى ، وعبيد الله بن

---

(٣) يريد ألا يسمع نبأ وفاته .

(٤) حلية الأولياء : جـ ١ ص ١٠٦ .

(٥) حلية الأولياء : جـ ٣ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

الإمام زيد بن أسلم

عمر ، ومحمد بن عجلان ، وروح بن القاسم ، ومحمد بن اسحاق ، والثورى ، ومالك بن أنس ، وابن عيينة ، وسليمان بن بلال ، وأولاده : عبد الله وعبد الرحمن ، وأسامة .

ومن الاحاديث التى رواها زيد بن اسلم :

* عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً من الجنة كلما غدا أو راح » هذا حديث صحيح متفق عليه . رواه البخارى عن على بن عبد الله ، ورواه مسلم عن ابى بكر .

* عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : اختصم رجلان إلى النبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « إنما انا بشر وإنما اقضى بينكم بما اسمع منكما ، ولعل أحدكم ان يكون ألحن بحجته من بعض ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فإنما اقطع له قطعة من النار » هذا حديث متفق عليه .

* عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات بغير إمام فقد مات ميتة جاهلية ، ومن نزع يده من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له » حديث صحيح ثابت اخرجه مسلم .

* وعن أبيه عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قدم على رسول الله ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى ، إذ وجدت صبيا فى السبى ، فأخذته والصقته ببطنها وأرضعته . فقال رسول الله ﷺ : « اترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ » قلنا : لا ، والله ! وهى تقدر أن لا تطرحه . فقال رسول الله ﷺ : « الله أرحم بعباده من المراة بولدها » هذا حديث متفق عليه أخرجه البخارى فى صحيحه عن سعيد بن أبى مريم وأخرجه مسلم عن الحلوانى . وظهر لزيد من المسند اكثر من مائتى حديث .

وفاته :

كان من شدة حب أبى حازم له ، أن قال : « لا أرانى الله يوم زيد بن أسلم » فلما أتاه نعيه ، عقر[٦] فما شهده .

وقد أرخ ابنه وفاته فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

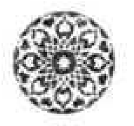

(٦) جلس فما استطاع القيام .

أنباء وآراء

اعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فضيلة الامام يستقبل أمناء المركز الاسلامى الأفريقى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفد مجلس أمناء المركز الإسلامى الافريقى بالخرطوم الذى يضم مدير المركز والأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامى ووكيل وزارة الأوقاف الكويتية ووكيل وزارة الأوقاف القطرية وسفيرى المغرب وقطر بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث تقديم كافة المساعدات للمركز .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الأزهر سيقدم كل عون لمساندة المركز حتى يؤدى دوره المنوط به فى خدمة الشعوب الإسلامية الافريقية والعمل على حل مشكلات الطلاب والدارسين فيه .

••••

والأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته الدكتور / حامد الغابد - الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع (مركز السيرة والسنة) الذى أنشأه الأزهر الشريف ، ويقوم بعمل موسوعة للاحاديث النبوية فى إطار التبويب القديم والحديث .

وقد طالب فضيلة الإمام الأكبر بضرورة التنسيق بين مراكز السيرة والسنة فى مصر والسعودية وقطر والكويت والأردن ، وأوضح فضيلته أن الأزهر الشريف سيقيم مؤتمراً لأعضاء مراكز السيرة والسنة لتنسيق العمل فيما بينها .

••••

المجلس الأعلى للأزهر وإنشاء كليات جديدة

قرر المجلس الأعلى للأزهر برياسة الإمام الأكبر فى اجتماعه فى ١٩٩١/٧/١٧ م إنشاء كلية للقراءات بمدينة طنطا ، وأخرى للدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمدينة دمياط ، وإنشاء صندوق التكافل الاجتماعى للعاملين بهيئات الأزهر ، كما اعتمد المجلس قواعد وشروط القبول للطلاب المصريين والوافدين بكليات جامعة الأزهر للعام الدراسى ١٩٩٢/٩١ م .

أنبـــاء وآراء

الامام يرأس اجتماعات المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة

يراس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة اجتماع هيئة رياسة المجلس العاشر صباح الأربعاء الموافق ٩١/٨/٢١م كما يراس فضيلته اجتماع الهيئة التأسيسية للمجلس صباح الخميس الموافق ١٩٩١/٨/٢٢ يعقد الاجتماعان بمقر المجلس بالقاهرة .

••••

لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة

كلف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الدكتور/ حامد عبد الحميد جامع ـ وكيل الأزهر بالقيام بأعباء مقرر لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

كما تم ترشيح فضيلة الدكتور/ عبد العزيز عزت عبد الجليل ـ مدير عام الشئون الفنية لمكتب شيخ الأزهر ضابطا للاتصال من الأزهر الشريف لدى المجلس .

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قرارا بتاريخ ٣٠ يولية ١٩٩١ م بإسناد أعمال (أمين عام مجمع البحوث الإسلامية) إلى فضيلة الشيخ/ أحمد السيد أحمد محمد عطا سعود ـ رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية بالإضافة إلى عمله .

أنباء العالم الإسلامى

فى حمية الدعوة إلى تنصير افريقيا قبل نهاية القرن العشرين ، وزيارات رءوس الكنائس المتعددة لأكثر من بلد أفريقى ، واتخاذ الوسائل الجنسية والمادية السخية لشراء العقائد كان ذلك النبأ ، وهو فضل من الله يؤتيه من يشاء ، فإنما الإيمان نور يقذفه الله فى قلوب من احب من عباده .

أعلن القس «فردريك دولا مارك» كبير أساقفة جوهانسبرج بجنوب أفريقيا إشهار إسلامه فى جنيف وأعلن فوراً أنه على استعداد لنشر تعاليم الإسلام فى القارة الأفريقية .

وذكر فى مقابلة للإذاعة اللندنية أنه درس الإسلام ووجد صورة مختلفة للسيد المسيح ، وأن الدين الإسلامى واضح وموافق للفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وطالب «فردريك» بدعم جهود الدعوة الإسلامية بأفريقيا .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ . « صدق الله العظيم »

••••

أول مركز إسلامى فى موسكو

ذكرت وكالة الأنباء السوفيتية فى خبر لها نقلته الإذاعة السوفيتية الموجهة باللغة العربية .

أنه قد تأسس أول مركز إسلامى ثقافى بالاتحاد السوفيتى بالعاصمة موسكو .

ومن أهم أهداف المركز العمل على نشر القيم الروحية والثقافية الإسلامية كما يخطط لتنفيذ بعض المشروعات الاقتصادية وإنشاء مطبعة إسلامية فى موسكو بالإضافة إلى إنشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى وسوف تصدر قريباً بالمركز صحيفة إسلامية .

نرجو أن يكون العمل به خالصا مستمرا لوجه الله تعالى بعيدا تماما عن المسالك الرسمية .

اختتام مؤتمر أجهزة الدعوة الاسلامية

اختتمت اجتماعات أجهزة الدعوة الإسلامية بمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة برياسة الدكتور/ حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي .

وأوصى السادة المجتمعون بتشكيل لجنة لوضع استراتيجية العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة الإسلامية .

وتقرر مناقشة هذه التوصية في مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية الذى سيعقد في (استانبول) خلال الشهر الحالى بمشيئة الله تعالى .

صيام المسلمين يضاعف الانتاج

ذكرت إذاعة مونت كارلو أن شركة (كوماتيك) الفرنسية التى يعمل بها مسلمون يبلغون أكثر من ٥٠٪ من عمالها يعملون (في صناعة الألكترونيات) أنها حققت أعلى معدل زيادة في إنتاجها خلال شهر رمضان الماضى عام ١٤١١ هـ بسبب البرنامج الذى وضعه المسلمون العاملون في الشركة ليتناسب مع مواعيد صيامهم وإفطارهم حسب التوقيت الفرنسى .

••••

مؤامرة هندوسية جديدة على المساجد الاسلامية في الهند

أعد الهندوس في قرى ايدوهيا وكاشي ومهزا خطة للاستيلاء على المساجد بتلك المدن .

طالب زعيم الهندوس في كابنور بهجرة المسلمين مؤكدا عدم أحقية المسلمين في كابنور في الإقامة ، بينما يتعرض المسلمون في تلك المدن لعمليات سلب ونهب .

وطالب الزعماء المسلمون الحكومة الهندية بموقف حازم لحماية الجالية المسلمة في القرى المذكورة .

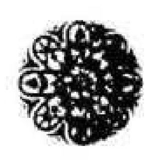

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
● مسئوليات الهجرة للدكتور على احمد الخطيب	١٢٩
● طوابق المسجد والانتفاع بها فتوى لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر	١٣٤
● ناصح امين لفضيلة الشيخ احمد بن محمد طاحون	١٣٦
● روح الصف فى المعركة للواء ا . ح . محمد جمال الدين محفوظ	١٣٩
● كشمير الإسلامية ومشكلتها بين الهند وباكستان للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١٤٥
● موقف المسلمين فى يوغوسلافيا للاستاذ توفيق إسلام يحيى	١٥٢
● ودائع البنوك العادية للاستاذ الدكتور عبد الستار ابو غدة	١٦٠
● نظرات فى كتاب معاملات البنوك للاستاذ الدكتور عبد العال عطوة	١٦٦
● قبس من أنوار النبوة : الرحماء يرحمهم الرحمن للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٧٠
● الحاقدون يعترضون على مقسم الأرزاق لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	١٧٤
● الفتـــاوى إعداد : احمد السيد تقى الدين	١٧٩

باب الشعر والشعراء

إشراف : ا . رشاد محمد يوسف

الموضوع	الصفحة
● الاسكندرية للشاعرة جليلة رضا	١٨٢
● إن السعادة فى الرضا للشاعر سيد عبد الرءوف سيد	١٨٣
● للزيف قناع متهرىء شعر : شوقى محمود ابو ناجى	١٨٤
● على لسان محتضر للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين	١٨٥
● من اعلام الأزهر : الشيخ عبد المنعم فارس لفضيلة الشيخ السيد حسن قرون	١٨٦

باب العلوم الكونية

الموضوع	الصفحة
● علم التربة وطبيعة الأراضى للاستاذ الدكتور احمد فؤاد باشا	١٩٢
● المادة ونقيضها فى الكون بقلم : إسراء على احمد	١٩٧
● الجديد فى العلم والتقنية د . نجوى السيد احمد	٢٠٠
● طرائف ومواقف للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٠٢
● من روائع الماضى إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٢٠٤

باب اللغة والأدب

الموضوع	الصفحة
● ألفاظ الصدارة فى أساليب العرب للدكتور احمد عبد العزيز عبد الله	٢٠٨
● قراءة جديدة فى كتاب غير جديد للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٢١٤
● لحظات طيبات مع الإمام زيد بن أسلم إعداد عادل خفاجة	٢١٠
● أنباء وآراء إعداد عبد المنعم فودة مصطفى عبد المجيد	٢٢٣

القسم الفرنسى

الموضوع	الصفحة
المقال الثانى للشيخ ياسين رشدى ترجمة هدى حسين شعراوى	٢٣٣
المقال الأول : للدكتورة رقية جابر	٢٤٦

القسم الانجليزى

إشراف د . انس النجار

الموضوع	الصفحة
المقال الثانى للاستاذ عبد الحكيم احمد طه	٢٥٠
المقال الأول للدكتور انس النجار	٢٥٤

sa conscience. Il voit aussi bien ce qui est visible pour nous et ce qui est invisible. Il voit dans la nuit obscure, la fourmi noire et entend le bruit sourd de ses pas sur le rocher insonore .

6 - Allah - Gloire à lui - est doué de Parole :

Parmi les Attributs d'Allah se trouve la Parole . Mais Sa Parole est aussi autonme et éternelle que Sa présence et ne ressemble pas à celle de Ses Créatures. Nous appelons «parler» la faculté d'articuler les sons au moyen des organes phonatoires Mais Allah n'a besoin ni de langue, ni de lèvres ni de cordes vocales pour communiquer avec Ses messagers .

Ainsi nous comprenons comment le verbe divin :
«Qu'est cela, dans ta main droite, ô Moïse» ? existait depuis l'éternité avec l'existence d'Allah et fut transmis à Moïse sans avoir besoin de sons,ni de syllables .

Moïse après avoir entendu La Parole divine fut nommé L'Interlocuteur d'Allah .

Ainsi le Coran qui est la Parole d'Allah existait depuis l'éternité Il est le seul Livre dont Allah a garantie l'inviolabilité, l'immuabilité et ne sera l'objet d'aucune altération jusqu'à la fin du monde. Il a été et il sera toujours lu, récité, et conservé dans les coeurs tel qu'il a été révélé à Mohammed le Messager d'Allah - salut et bénédiction sur lui .

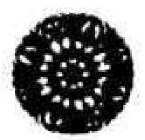

Ainsi l'Etre Suprême créa le monde selon un modèle préétabli par Lui, tout se réalise selon les normes et les conditions prévues par le Créateur .

Nous comprenons donc comment notre connaissance du ciel ne provient qu'après avoir vu le ciel, mais Sa connaissance du ciel préexiste à la création du ciel .

Il connait tout ce qui est caché et ce qui est apparent dans le ciel et sur la terre. Aucune parcelle si minime soit - elle ne Lui échappe .

L'Omniscience d'Allah ne se limite point à cela, mais si nous citons des exemples, c'est pour rendre les notions plus accessibles à l'esprit du lecteur. Mais en fait rien n'est comparable à Allah .

3 - Allah - Gloire à Lui - est doué de vie :

Allah est l'Eternel vivant, ni le néant ni la mort ne peuvent l'atteindre.... Il n'oublie, ni ne sommeille, sinon qui veillerait à l'harmonie de cet univers durant son absence ? Il est vivant et sa vie est la source de toute existence. D'autre part, comment pourrait - Il donner la vie s'Il en était dépourvu Lui même ?

Ainsi nous reconnaissons que l'Etre Suprême est Omniscient, Omniprésent, Il est celui qui subsiste par Lui - même et par qui tout subsiste .

4 - Allah - Gloire à Lui - est doué de volonté :

Il faut reconnaître également parmi Les Attribust d'Allah : La Volonté d'Allah est doué de volonté et Sa volonté existe depuis toujours et elle est éternelle. Il a une autorité suprême sur tout ce qui existe dans l'univers, et tout ce qui arrive survient par Sa Volonté...... Le mouvement ou l'immobilité.... La Vie ou la Mort.... Le Bien ou le Mal.... l'Utile ou le nuisible... La Foi ou l'incrédulité... L'augmentation ou la diminution... l'obéissance ou l'insoumission..... Tout ce que nous faisons a lieu par Sa volonté; ce qu'Il ne veut pas n'arrive point. Il a voulu depuis l'éternité que les choses aient lieu dans un temps et un lieu déterminés et elles ont existé conformément à ce qu'il a voulu, sans anticipation ni retard .

5 - Allah - Gloire à Lui - est Celui qui entend et voit tout :

Pour entendre Il n'a besoin ni d'oreille interne, ni d'oreille externe et Il voit sans prunelles, ni pupille. Il entend tout et partout sans aucune propagation de son. Il voit tout et partout même dans l'obscurité totale. Il entend même les pensées et les réfléxions de l'homme les plus secrètes ainsi que les remords de

et de Ses créatures. Gloire à Lui, rien ne Lui ressemble, Il est Celui qui règne sur les cieux et sur la terre .. Rien n'existe en Lui que Lui - même .

II - La Croyance aux Attributs d'Allah :

Le Musulman n'accorde à Allah que ce qu'Il s'est accordé Lui - même et que Son Prophète - salut et bénédiction sur Lui - Lui a attribué. Mais nous ne devons pas nous imaginer que Ses attributs ressemblent en quoi que ce soit à ceux de l'une de Ses créatures vu la difference qui existe entre le Créateur et la créature .

Bref, nous devons croire qu'Allah existe, qu'Il ne ressemble pas aux créatures, qu'Il est éternel dans le passé, comme dans l'avenir, qu'Il est Vivant, Omniscient, Omnipotent, Incomparable, Tout - Puissant. Il est l'Unique dont l'existence est nécessaire à Ses créatures, unique dans la plénitude de Ses perfections, Il est doué de la Parole, de l'ouie, de la vue et des autres Attributs dénombrés par le dogme religieux .

Nous comprendrons cela en expliquant les principaux Attributs de l'Etre Suprême .

1 - Allah - Gloire à Lui - est Omnipotent :

Allah est omnipotent. Tous les pouvoirs ont pour Lui une égale valeur... Rien n'est facile ni trop difficile pour Lui : La création d'une mouche équivaut à la création des mondes. Quand Il veut une chose, Son commandement consiste à dire : «Sois» et elle est. Il n'a besoin ni de membres, ni d'instruments. Il est Le Créateur Tout - Puissant; aucune de ses oeuvres, ne peut échapper à Son pouvoir .

2 - Allah - Gloire à Lui - est Omniscient :

Le savoir de l'Etre Suprême est inhérent à Son existence, Il ne s'appuie sur rien, qui ne soit en dehors de Lui, ce savoir a toujours existé dans le passé et dans l'avenir . Allah est conscient de Lui même de Son Omniscience et tout ce qui existe est conforme à ce savoir. Pour comprendre cela nous donnons un exemple :

L'architecte trace sur une petite feuille de papier le projet d'un palais, il détermine la durée de sa réalisation et se met à l'oeuvre. Dans le temps prévu pour sa réalisation, le palais projeté est construit selon le plan préétabli. Exactement comme il a été prévu .

De ce qui précède, il résulte qu'il est donc illogique de dire que le Créateur a créé l'univers au - dessous de Lui, ou au - dessus de Lui, car le haut et le bas n'existent pas pour Lui..... Gloire à Celui qui ne peut être situé, qu'aucun endroit n'englobe, ni le temps ne limite. Il est ce qu'Il a toujours été auparavant et ne connait point de limites spaciales ni temporelles.

d) Il faut reconnaître également que Allah est Unique. Il n'a point d'Associé, de partenaire ni d'égal, Cette unité est évidente. En effet s'il y avait plus d'un d'Allah chacun d'entre eux se distinguerait des autres.

Si, par exemple, l'Etre Suprême avait un égal, ce dernier jouirait des même pouvoirs qui assujetteraient les créatures, et l'harmonie de l'univers s'en trouverait troublée par la lutte entre les deux.

De même si nous supposons qu'un Etre Suprême soit plus fort ou plus faible que Lui, dans ce cas, le plus fort sera l'Etre Réel et la divinité de l'autre ne serait point justifiée.

Réfutant toute prétention d'autres divinités que Lui dans les cieux ou sur la terre, Il dit «Si des divinités, autres qu'Allah existaient le ciel et la terre seraient corrompus».

(XXI - «Les Prophètes» - 22)

Il dit encore «Allah ne s'est point donné de fils; il n'y a pas de divinité à côté de Lui, sinon chaque divinité s'attribuerait ce qu'elle aurait créé; certaines d'entre elles seraient supérieures aux autres».

(XXIII - «Les Croyants» - 91)

Ainsi guidés par des arguments logiques et des témoignages coraniques, nous reconnaissons que Allah est Seul et Unique. Vers Lui tout converge, Il n'a point d'associé ni d'égal.

e) Il faut concevoir qu'Allah - Gloire à Lui - règne en majesté sur Son Trône, et cela de manière très particulière comme il convient à Sa majesté.

Son établissement sur Son Trône a lieu sans contact, ni fixation, ni installation. On ne peut pas non plus interpréter le Trône comme un lieu concret qu'Allah quitte ou vers lequel IL peut se rendre. Ce sont là des questions qu'il vaut mieux ne pas approfondir, car la raison humaine trop limitée est incapable de les pénétrer, il faut y croire sans savoir de quelle façon et sans interprétation. Le Trône ne porte pas l'Etre Suprême, mais le Trône et ceux qui le portent sont soulevés par Son pouvoir et assujettis à Sa volonté.

D'autre part, l'Etre Suprême est proche de Ses créatures, plus proche de l'homme que sa veine jugulaire. Mais si nous utilisons l'épithète «proche», on ne doit pas comprendre cette proximité comme étant semblable à ce qui s'applique aux créatures, vu la différence qui existe entre la nature du Créateur

De ce que nous venons de montrer il en résulte que :

a) Il existe un Créateur pour toutes les créatures.
IL préexiste aux créatures et IL sera présent même après l'anéantissement du monde . Sa présence est donc éternelle, sans début ni fin .
Notre raisonnement comprend que chaque créature est limitée par la naissance et la mort . Si le Créateur avait été créé, il y aurait sans doute un autre Etre qui l'anéantira, ce dernier à son tour aurait besoin de ce qui l'anéantirait et ainsi de suite, indéfiniment .... Or, Lui est éternel, aucun ne le précède : Il est donc le Premier .
S'il y avait eu un dernier, le Créateur se serait anéanti par lui - même ou par une force destructrice . Et, comme il n'est point logique qu'il s'anéantisse par lui - même, il serait encore plus absurde qu'une autre force l'anéantisse .... Car, dans ce cas, cette force aurait existé avant lui .... IL est absurde de concevoir l'existence d'une force qui précède la force première . Car il faut que le destructeur précède la destruction . Après avoir prouvé que le Créateur est le Premier, on peut également affirmer qu'Il est le dernier .

b) IL faut reconnaître que L'Etre Suprême n'est un corps, ni une entité . Si nous supposons que L'Etre Suprême puisse être un corps, cela signifierait qu'Il est constitué de parties. Les parties composantes auront besoin chacun de l'autre pour subsister, chaque partie aura un aspect et une dimension qui occupera une place, les composantes se rassembleront ou se disperseront. Or, cette conception est relative aux créatures. L'Etre Suprême est indivisible et n'a pas d'extension .

Si nous suposons que L'Etre Suprême puisse être une entité cela signifie qu'IL a besoin d'un espace déterminé où il sera localisé . Par là même, il serait passible soit d'exister dans un autre lieu, soit de sortir de ce même lieu. Or, Lui est illimité, incomparable aux créatures. Il est l'Apparent, Le Caché, les regards ne l'atteignent pas et nul esprit ne peut concevoir Sa nature .

c) Il faut reconnaître également que l'Etre Suprême ne peut être situé dans une certaine direction . C'est Lui qui a créé les quatre points cardinaux : Est, Ouest, Nord et Sud . Il était présent avant leur création . Le dessous et le dessus, l'avant et l'arrière, la gauche et la droite sont des directions relatives à l'homme, en fonction de son aspect . Car si l'homme avait une forme shérique, ces directions n'auraient point lieu d'être. D'autre part, ce qui est devant un être peut être derrière un autre, et ce qui est en position verticale peut être par rapport à un autre en position horizontale . Le meilleur exemple de ce que nous disons est le globe terrestre .

La Foi en l'Unicité d'Allah

La Chahada ou La Profession De Foi Islamique

Les deux attestations de la profession de foi islamique sont : "J'atteste qu'il n'y a de divinité qu'Allah et que Mohammad est Son Messager". La langue doit les prononcer et le coeur doit les ressentir.

Ce chapitre est d'une importance capitale, car c'est en fonction de sa foi en Allah que le Musulman façonne sa vie et l'organise dans ses moindres détails. Cette foi est le fondement principal de la vie, elle mène l'homme à la volonté d'Allah. Ainsi, il faut avoir une connaissance approfondie de la profession de foi islamique car la foi ne consiste pas en paroles mais en une dévotion dans le coeur qui est confirmée par les actes.

La Chahada ou la profession de foi islamique nous mène à étudier les articles de la foi qui consistent à croire :

1- En l'Existence d'Allah .
2 - Aux Attributs d'Allah .
3 - Aux Actes d'Allah .
4 - A la véracité des instructions dictées par le Messager d'Allah - salut et bénédiction sur lui .

I - Confirmation de l'Existence d'Allah

L'exposé théologique commence par la démonstration de l'existence d'Allah ou l'Etre Suprême . Cet Etre existe par soi - même depuis l'éternité. Son existence est nécessaire pour que les créatures puissent exister à leur tour .

Dans le Coran, Allah a révélé Son existence et Sa divinité. Plusieurs versets éliminent toute prétention qui allègue l'existence d'autres divinités que Lui dans les cieux ou sur la terre. Tous ces versets affirment l'existence d'Allah comme étant le Maître et le Créateur de l'univers : Il en dispose en toute liberté . Il est l'Unique Créateur et Il ne partage avec aucune divinité la plus infime parcelle de Son pouvoir ni de Son autorité .

Lorsqu'on contemple cet univers gigantesque on constate que toutes les créatures sont tributaires dans leur existence d'un Créateur, et elles existent selon la forme et la modalité prévues pour elles .

Al-Tawhid
ou
La Foi en L'unicité d'Allah

Par Révérend Cheick *Yassine Rouchdy*..

Hoda Hussein Chaaraoui

Introduction de la traductrice

Mon but en préparant ce petit livret, a été de procurer à tous les francophones, Musulmans ou non-Musulmans, qui désireraient connaître la vraie Foi-le fondement principal de L'Islam - un exposé bref mais clair de l'ensemble de l'Islam,

Mais que signifie Islam ?

Islam signifie soumission et obéissance. En tant que religion, l'Islam prêche la soumission et l'obéissance totales à Allah. C'est pourquoi le fidèle est appelé Musulman.

Toutes les religions du monde tirent leur nom de leur fondateur ou du peuple où elles ont pris naissance. Par exemple, le Christianisme est ainsi appelé du nom de celui qui l'a prêché, le Boudisme de Bouda... et ainsi de suite. Mais il en est autrement avec l'Islam qui jouit de la particularité unique de n'être associé à aucun homme ou peuple particulier. Il n'est pas le produit d'un esprit humain et il ne se limite pas à une communauté particulière. C'est une religion universelle qui a pour but de susciter en l'homme la qualité et l'attitude de soumission à Allah.

J'espère que cet essai pourra satisfaire dans une large mesure aux besoins de la jeunesse Musulmane de notre époque, et aidera les non - Musulmans à comprendre la Foi en l'Unicité d'Allah.

Je remercie les amis, traducteurs et traductrices qui ont bien voulu relire la traduction, relever les erreurs ou suggérer des idées. Je rends particulièrement hommage au Dr. Rokeya Gabr qui m'a été d'un secours inestimable pour la révision de tous les ouvrages que j'ai traduits et pour la transcription des mots de la terminologie Islamique adoptés par les professeurs d'Al Azhar. A tous, mes vifs remerciements.

Puisse Allah nous aider à suivre Ses Commandements et à mériter Sa Grâce.

Mme Hoda Hussein Chaâraoui

Enseignée dès le IX ème siècle en tant qu'organe des études coraniques, elle était aussi la langue de la jurisprudence islamique.

La connaissance de l'arabe était devenue indispensable même pour les philosophes étrangers. Posséder l'arabe était-pour un étranger - un signe de grand mérite et même un signe d'érudition, Etre de haute culture littéraire, c'était appartenir à une noblesse de mérite. Mais celui qui était Arabe de naissance appartenait à la véritable élite.

D'ailleurs le peuple arabe, depuis les temps pré-islamiques, avait toujours été. sensible à la force incantatoire du discours, puissance révélatrice de la Parole divine. Bientôt, le sens du verbe et l'amour de l'éloquence spécifiquement arabes ne tardèrent pas à se répanderent à travers tout le monde islamique.

La poésie était une littérature destinée au goût raffiné de ces personnes cultivées.

En Espagne on utilisait même la calligraphie arabe pour écrire la langue romane, De son côté, la communauté juive arabisée continuait à employer l'alphabet hébreu pour écrire l'arabe. Respectueux de la tradition libérale de l'islam en Andalousie, et officiellement protégés, ils formaient, ainsi que les Chrétiens, d'importants noyaux de la population.

Rappelons que durant tout le Moyen-Age, la langue littéraire dans toute l'Europe occidentale était le latin. Or, à partir du XII ème siècle et depuis que l'Europe a connu les ouvrages arabes, les intellectuels ont commencé à considérer cette langue comme une langue noble employée par les littérateurs et les savants : l'on commença alors à négliger le latin .

Un écrivain chrétien fanatique de IX ème siècle nommé Alvaro déplorait que les jeunes générations de Chrétiens cultivés ne s'intéressaient plus qu'aux ouvrages arabes dont ils remplissaient leurs bibliothèques, alors qu'ils délaissaient la langue des Chrétiens, l.e. le latin. Il ajoute : » Mes frères étudient les livres des théologiens et des philosophes musulmans, non pour les réfuter, mais pour imiter l'éloquence du style arabe. »

D'ailleurs, certains Chrétiens s'exprimaient parfaitement en Arabe et composaient même des poèmes dans cette langue. Attirés par la poésie et la pensée arabes, ils avaient négligé la langue latine.

Ainsi la fréquence du bilinguisme et la connaissance quasi générale de l'arabe favorisèrent la traduction qui devint la principale voie de transmission du patrimoine islamique.

Dr. Roheya Gabr

Ajoutons à cela que l'opulence fut un facteur favorable à la propagation des sciences, des lettres et des arts .

Ces échanges étaient aussi facilités grâce aux écoles où souvent Chrétiens, Juifs et Musulmans suivaient des cours donnés par des maîtres arabes, mais aussi grâce aux travaux des chercheurs .

Il ne faut pourtant pas oublier que la vie commune, la communication constante avec les Musulmans-surtout en Sicile et en Andalousie — rendaient l'érudition arabo-islamique plus facile à acquérir. Ainsi la transmission orale du patrimoine (pélerins Croisés, commerçants, voyageurs, missionnaires) et l'information orale suppléaient parfois à la diffusion, pourtant importante, des manuscrits arabes .

Notons qu'il existe une différence radicale entre les modes de transmission et de diffusion des idées au Moyen-Age et de nos jours .

Alors que les orientalistes ne disposent actuellement que d'une source principale d'information : le texte écrit, les arabisants de l'époque médiévale avaient parfois acquis une vaste érudition philosophique et théologique de l'Islam, par la simple communication. En effet, au Moyen-Age, la conversation familière, tout comme le débat scientifique, constituaient l'instrument principal de communication idéologique du patrimoine .

Il faut également rappeler qu'une grande part des enseignements religieux de l'Islam étaient — et le sont encore — donnés sous forme orale : récitation du Coran, commentaires et interprétations du Texte Sacré et des Hadiths. Cet enseignement oral est souvent donné par un «Cheikh» ou par l'«Imam» de la mosquée aux Musulmans illettrés .

Or, le Coran est écrit en arabe qui est la langue du Texte divin et c'est pour cette raison même que la connaissance de l'arabe était indispensable à la formation des Musulmans instruits quelle que fut leur origine ethnique ou linguistique. La connaissance de la grammaire et de la lexicographie était nécessaire pour les nouveaux convertis qui devaient lire et comprendre le Coran et les Hadiths .

La connaissance de l'arabe était devenue indispensable comme instrument de communication universelle qui supplantait les autres langues et dialectes locaux .

Dans les territoires incorporés à l'empire islamique, l'arabe finit même par supplanter des langues culturelles comme le grec, le latin, le syriaque, le copte et le persan(3) .

(3) Avec l'Islamisation de l'Iran, le persan fut écrit en caractères arabes et s'enrichit d'un vocabulaire emprunté de l'arabe .

côtoyèrent, la civilisation musulmane était la plus raffinée .

La cour de Roger II à Palerme comptait autant de Musulmans, que de Chrétiens bilingues (arabe-grec) et même parfois trilingues, tous versés dans la science et la littérature arabes .

Ecclésiastiques et nobles vivaient à côté en harmonie avec les hommes de lettres et les savants musulmans d'Espagne d'Afrique et d'Orient .

Frédéric II qui avait dans son conseil un grand nombre de savants musulmans et arabes, rassembla une magnifique collection de manuscrits arabes couvrant tous les domaines. Il les fit traduire en latin afin d'en envoyer des copies à Bologne et à Paris. C'est lui qui fonda en 1224 la première université de l'Europe occidentale à Naples : de ce foyer, les sciences et les lettres furent diffusées dans toute l'Europe médiévale . En effet, la proximité de l'Italie permit le passage de ces connaissances vers le Continent .

D'autre part, l'admiration des Espagnols pour la culture arabe les poussa à se plonger dans la lecture de la philosophie arabe et des textes islamiques . Ainsi ils connaissaient le texte du Coran (traduit en latin en 1143 JC), nombre de Hadiths, ainsi que des épisodes de la vie du Prophète Mohammad, et cela aux fins de controverses religieuses .

Dès la fin du XI ème siècle les habitants de l'Andalousie ne cessèrent d'enrichir leurs connaissances du savoir importé de l'Orient musulman : ils invitaient des savants, envoyaient des chercheurs et groupaient tous les ouvrages nouveaux et anciens. Comme l'Espagne avait gardé des relations culturelles étroites avec l'Orient musulman, les ouvrages importants arrivaient en Andalousie peu de temps après leur parution. Et, réciproquement, les oeuvres des savants et écrivains hispano-musulmans contribuèrent à l'enrichissement du patrimoine arabe .

Les chercheurs voyageaient très loin pour rencontrer les savants arabes éminents : il était courant de les voir quitter l'Espagne en direction des grands centres de rayonnement culturel (Médine, Damas ou Baghdad) ...

C'est pourquoi, lorsque les Chrétiens s'emparèrent de Tolède en 1085, des étudiants et des chercheurs affluèrent de tous les coins d'Europe afin d'étudier de plus près les sciences islamiques . C'est alors que le mouvement de la traduction connut son plein essor. C'est ainsi qu'au XII ème siéle. Tolède devint un grand centre de diffusion de la civilisation islamique .

Avec ce nouveau savoir transmis par l'Andalousie aux pays avoisinants, la culture arabo-musulmane raffinée commença à s'infiltrer dans les pays occidentaux .

D'autre part, l'unité de langue et de religion dans l'ensemble du monde musulman a facilité les échanges, non seulement de livres et de savants, mais aussi d'idées .

produit à quelques dizaines de lieues des sommets enneigés de l'extrême-sud de la Gaule»[2] .

Peu à peu l'Espagne musulmane commença à jouer un rôle prépondérant dans l'économie du Bassin méditerranéen et dans l'amélioration de l'existence matérielle de cette région .

Ce mode de vie où règnaient le luxe et l'aisance et où fleurissaient les arts et les belles-lettres commença bientôt à dépasser les frontières d'Espagne et de Sicile pour s'étendre à l'Europe et aux pays nordiques où il imposa une nouvelle esthétique de la vie. Ajoutons qu'une grande école de non-musulmans servit d'intermédiaire entre la civilisation islamique d'une part, et le monde occidental avide de connaître cette civilisation, d'autre part .

II. La diffusion du patrimoine arabo-islamique en Occident :

Par suite des conquêtes arabes, les contacts de l'Europe aves le monde musulman se multiplièrent. Mais à partir du XI ème siècle le commerce commença à se développer dans le Bassin méditerranéen (Gênes. Venise) et surtout avec l'Andalousie qui offrait la seule voie terrestre permettant aux civilisations d'Europe et d'Afrique de communiquer directement .

D'autre part, les pélerinages chrétiens à St. Jean de Compostelles et les caravanes se dirigeant vers la Palestine étaient fréquents (après le traité signé entre Charlemagne et Haroun Al Rachid) .

Il est indéniable que les Croisades, surtout en Syrie et au Liban, permirent un contact plus étroit avec la civilisation islamique. En effet, les périodes de trève permirent aux savants et aux traducteurs qui accompagnaient les Croisés, de consulter, de traduire ou même d'emporter des ouvrages dans divers domaines. De plus, les captifs musulmans ramenés par-delà les Pyrénnées après la prise de la ville de Barbastro, enseignèrent à leurs maîtres des techniques et des modes de leurs pays d'origine .

Ce furent surtout les Croisades des chevaliers français en Espagne au XI ème siècle qui favorisèrent les échanges culturels. Enfin les missionnaires avaient appris l'arabe et étudié les coutumes des Musulmans pour mieux les réfuter .

Toutes ces relations nouées par suite d'échanges pacifiques ou d'entreprises hostiles ont permis ou monde occidental de connaitre de plus près la civilisation islamique .

Dans la Sicile, presque entièrement islamisée, des trois civilisations qui se

(2) Philippe Sénac, l'Image de l'Autre, ... p.47 .

La cité islamique andalouse brillait surtout dans les domaines culturels, économiques et artistiques; elle devint bientôt un centre de diffusion vers l'Occident européen au cours des XII ème siècle et XIII ème siècle siècles .

Le prince Abdel Rahman II adopta les usages traditionnels des Califes (pompe, organisation du service, vêtements somptueux). C'est sous son règne qu'on introduisit en Espagne les riches tapies provenant de Baghdad ainsi qu'une multitude d'objets rares et précieux .

C'est de son époque que date également l'introduction des sciences, des lettres, des arts et même de la cuisine d'Orient .

Par l'intermédiaire du musicien Ziryab, il introduisit dans la société de Cordoue les raffinements de l'Orient; ce dernier fonda un conservatoire de musique andalouse et fut le promoteur de toutes les modes nouvelles .

Ainsi Cordoue devint l'une des plus grandes capitales du monde civilisé .

D'ailleurs toutes les cités andalouses connurent une vie intellectuelle intense. Les cours des rois musulmans (Tolède Grenade, Valence, Séville, ...) étaient des cénacles où les artistes, les lettrés, les poètes, les médecins et les savants vivaient dans l'aisance matérielle grâce à des princes éclairés. Ainsi, la culture andalouse qui connut un incomparable renouveau des productions de la pensée, attirait les philosophes, les savants et les nobles venus de tous les coins d'Europe et surtout d'Italie. (Séville attirait particulièrement les nobles italiens) .

Comme les rois de Séville avaient un penchant pour les belles-lettres, ils rivalisaient à récompenser poètes et prosateurs. Ces poètes ajoutaient de l'éclat à cette société raffinée; ils s'attachaient souvent au service d'un monarque ou d'un prince. De nombreux princes d'Andalousie furent eux-mêmes poètes .

D'autre part, la femme en Espagne musulmane jouissait d'une liberté relative et tenait dans la vie familiale et sociale un rôle plus important que dans le reste du monde musulman .

Ajoutons à cela que la majorité des riches commerçants étaient des artistes, des amateurs d'art ou des hommes de goût : ils achetaient des bibelots de valeur des oeuvres d'art, s'intéressaient à tous les aspects de la culture et surtout encourageaient hommes de lettres et artistes .

Les grandes villes musulmanes d'où provenaient les étoffes de soie, les tapis de laine, les cuirs finement travaillés, les bijoux en or ciselé, excitaient l'imagination des Européens encore plongés dans la barbarie .

«Tout ce dont l'Occident manquait, nous dit Philippe Sénac, était entreposé et

La philologie arabe brilla d'un éclat remarquable dans la voie du classicisme le plus pur grâce aux Andalous qui allaient en Orient puiser aux sources du savoir .

Mais cette tendance conservatrice se révèle également dans le domaine littéraire où l'emprise de la pensée hispanique, très vivace dans nombre de disciplines littéraires, a largement contribué à la réputation de la culture arabe en Espagne. Cependant, malgré son originalité, la poésie andalouse reste très orientale et très classique, car on garda toujours le souci de conserver intacte la tradition et la prééminence littéraire de la langue arabe .

Après avoir imprimé son propre cachet au legs arabe qu'elle avait reçu et conservé avec amour, l'Andalousie, sous le règne des Califes, commença à faire rayonner hors de ses frontières. son prestige de grande nation civilisée .

Des Arabes de race formaient l'essentiel de l'aristocratie et de la bourgeoisie urbaine en Andalousie. Ils ne tardèrent pas à s'amalgamer aux habitants de la Péninsule, progressivement convertis à l'Islam. Il y eut pendant cette période une interpénétration constante entre l'Espagne et la civilisation islamique. Des liens de plus en plus étroits, à la suite de mariages (Alphonse VI. le conquérant de Tolède, épousa Zaïda, fille de l'Emir de Séville), contribuèrent au brassage ethnique entre Arabes, Berbes, Berbères et «muwallads» . Cette population hispanique formait — dès le III ème siècle de l'Hégire — un noyau déjà important de l'ensemble de la population de l'Espagne musulmane .

Ainsi, sans céder ni leur territoire, ni leurs croyances à l'envahisseur arabe, les Chrétiens espagnols s'étaient laissés imprégner par la nouvelle civilisation .

D'autre part, les Juifs dont la condition s'était améliorée après l'occupation arabe, adoptèrent la culture dominante i.e. islamique .

Sous l'occupation arabe et même après cette occupation, les Chrétiens d'Espagne, comme les Siciliens, avaient adopté tous les aspects de la culture des occupants; on cite, entre autres, le nom d'Alphonse le Savant, roi de Castille (1252-1284) qui a particulièrement apprécié la culture arabo-islamique .

La civilisation islamique en Andalousie devint florissante sous le règne des ommeyades. Du XIème siecle au XIV ème siècle les relations culturelles et les apports économiques entre l'Orient et l'Espagne connurent une grande activité .

Les produits fabriqués dans les ateliers andalous étaient transportés dans tout le Bassin méditerranéen (zibeline de Saragosse, poteries de Malaga, bijoux de Cordoue etc ...) .

La conquêre de l'Espagne par les Musulmans

C'est au début du 8ème siècle que les envahisseurs Arabes occupèrent l'Espagne où, pendant plus de cinq siècles, l'Islam va constituer la plus grande puissance de la Péninsule Ibérique et de l'Afrique du Nord .

Les Musulmans avaient en outre conquis toute la région de Narbonne dans le Midi de la France (reprise en 750 JC) .

Rappelons qu'au début du 8ème siècle la chrétienté était un monde clos, mal informé, recroquevillé sur lui-même, confiné dans des horizons étroits où l'information extérieure était très réduite; et l'Europe, profondément rurale, était encore barbare .

Les chroniqueurs occidentaux aiment à montrer l'invasion musulmane de l'Espagne comme une occupation barbare. Or, les Arabes possédaient un empire qui devint dans les deux siècles qui suivirent l'occupation de l'Espagne, porteur d'une culture et d'une civilisation admirables .

Fière de son passé islamique, l'Espagne d'aujourd'hui reconnait qu'elle doit aux Arabes une des plus belles périodes de son patrimoine historique et intellectuel .

Cependant, à l'intérieur du monde musulman, l'occident formait un monde à part : l'Espagne musulmane n'était pas une province de l'Empire musulman mais un état indépendant qui a gardé des relations économiques et culturelles étroites avec l'ensemble des états musulmans .

Bien qu'elle soit devenue un royaume indépendant à l'extrémité de l'Empire arabe, l'Espagne musulmane a conservé tout au long de son histoire un attachement presque filial et surtout religieux au monde arabe et à sa civilisation .

En effet, la population andalouse, fermement attachée à l'Islam et à son idéal religieux, par son application à défendre et à illustrer le langage arabe, voulait marquer sa dévotion et sa soumission à l'idéal de l'Islam dont l'arabe était le véhicule .

Ainsi les savants andalous, dans le domaine des sciences religieuses, avaient apporté leurs pierres à l'édifice imposant de la littérature arabe dont ils constituaient une partie honorable .

Ce conservatisme résolu de l'Espagne s'est manifesté du point de vue du dogme et de la loi et les «faqih», représentants de la culture arabe classique, y occupaient une place privilégié .

Dans le domaine des sciences religieuses, les savants andalous ont porté leur contribution au travail d'exégèse et d'interprétation jurisprudentielle. D'autre part, les sciences coraniques au niveau de la prononciation et des recensions du texte sacré se sont développées et la science du Hadith connut de bons artisans andalous .

Ces rois protégèrent les savants porteurs du flambeau de la brillante civilisation islamique et invitaient même ceux d'Egypte et de Syrie à visiter leur royaume. Au début de leur règne, on comptait un grand nombre de savants, de théologiens et de poètes. Ainsi on chantait la poésie arabe dans la cour normande de Sicile où il se fonda même une école de poésie au XIIeme siècle .

Les Normands, séduits par les coutumes, les habitudes et le mode de vie islamiques, les adoptèrent de sorte que le royaume normand de Sicile ressemblait à un royaume islamique d'Orient : Ils imitaient les Arabes dans le port des ombrelles et même dans les coutumes alimentaires (certains avaient pris à leur service des cuisiniers arabes) .

Les rois et les courtisans avaient adopté le costume islamique et les tuniques brodées d'inscriptions arabes. On avait même fondé un «Diwan» de broderie où travaillait un grand nombre de Musulmans .

Les femmes chrétiennes imitaient leurs compatriotes musulmanes dans le port du voile et s'entouraient des mêmes atours (robes de soie d'or, voiles de couleurs, babouches dorées); elles se parfumaient même comme les musulmanes .

Il y eut également des mariages entre Chrétiennes et Musulmans et les enfants nés de ces unions parlaient plusieurs langues dont l'arabe .

Le roi Frédéric II de Sicile et d'Allemagne (1194-1250) était mi-allemend, mi-italien. Comme il avatit grandi en Sicile, son éducation était imprégnée des cultures grecque et arabe .

Philosophe, poète, amateur d'art et polyglotte (allemand, italien, latin et arabe), c'était un esprit curieux qui n'hésitait pas à correspondre avec les savants d'Afrique et d'Andalousie pour les consulter sur certaines questions .

Il voyageait aussi bien en Terre Sainte (à Jérusalem) qu'en Italie, entouré d'un cortège en turbans .

Il était fortement influencé par la civilisation musulmane et ses manières étonnaient à la fois les Musulmans et les Chrétiens. On le surnommait le «semi-oriental» : il avait à sa cour un grand nombe de savants et même de chanteuses et de danseuses arabes .

L'attitude de cet empereur-chrétien de nom choquait le Pape et les autres rois chrétiens qui se lamentaient publiquement d'un tel scandale .

Son fils, l'Empereur Manfield qui admirait beaucoup les savants musulmans, continua l'oeuvre de son père : il invitait les savants de tous les états musulmans à venir à sa cour .

par le sud et de l'Italie par le nord) en fit un lieu privilégié de rencontre du monde arabe et du monde occidental .

Par l'occupation de l'île de Crête en l'an 310 Hg. (825 JC) les Arabes détenaient la suprématie du commerce dans le bassin méditerranéen .

Ainsi la Sicile, par son emplacement, devint le lieu de rencontre de commerçants et de voyageurs venus de tous les coins du monde .

De plus, cette activité ne se borna pas aux échanges de denrées, mais s'étendit à des échanges plus durables dans le domaine de la culture : les bateaux y amenaient des savants venus de tous les états de l'empire musulman .

La Sicile jouissait ainsi d'une grande prospérité économique qui contribua à l'essor de la civilisation .

Palerme devint la capitale des Arabes : elle joua un grand rôle dans le commerce, la construction des bâteaux et connut un grand développement agricole et industriel. On y fonda la première école de médecine en Occident .

Lorsque les Normands reprirent la Sicile aux Arabes, les habitants de l'île formaient un ensemble hétéroclite (Arabes, Berbètres, Grecs, Romains, etc ...), ils laissèrent à chacun la liberté de pratiquer sa religion .

En outre, les rois normands, sensibles au progrès des Arabes dans les sciences, les arts et l'industrie, et conscients du profit qu'ils pouvaient en tirer, encouragèrent la communauté islamique à rester sir l'île .

Roger ler (1061 - 1081 J.C) protégea les Arabes à qui il laissa, ainsi qu'aux Juifs, la liberté de pratiquer leur culte. Il parlait lui-même l'arabe et sa cour était à l'image de ses puissants voisins musulmans. On a retrouvé des monnaies portant des inscriptions arabes qui datent de son époque .

Roger II (1129-1154) et William II (1166-1184) parlaient également l'arabe et s'entouraient de conseillers, de savants et même gardes arabes .

Ils gardèrent l'arabe comme langue officielle à côte du grec et du latin. Leur monnaie portait des inscriptions islamiques[1] Même les inscriptions sur les tombeaux de ces rois comportaient des formules arabes. Ils adoptèrent aussi le calendrier musulman .

L'usage de l'arabe à côté du latin sous les Normands contribua à resserrer les liens culturels entre la Sicile d'une part, et les autres états du monde arabe, d'autre part. Ceci facilita également leur correspondance avec les autres états musulmans .

(1) On a ainsi trouvé des monnaies portant la profession de foi islamique لا إله إلا الله محمد رسول الله ou encore. الحمد لله جل حمده .

ibn Affan » (23-35 Hg, 644/655 JC). Ensuite, les invasions islamiques se succédèrent et Mo'awiah Abi Soufiàn envoya une expédition militaire en l'an 47 de l'Hégire (668 JC). Cette expédition connut quelques succès et les Arabes rentrèrent avec un gros butin.

Après l'occupation de l'Afrique de Nord par les Musulmans, la ville de Kairouan devint le quartier général de l'état islamique en Afrique du Nord : elle possédait une base navale importante..D'autre part, Tunis possédait un grand arsenal.

La proximité de la Sicile, ses problèmes intérieurs, la grande richesse de cette île et enfin l'appui des Musulmans d'Orient, contribuèrent à en faciliter la conquête .

Les Arabes se sont ensuite emparés du sud de l'Italie, de la Corse, de Malte et des îles de la Méditerrannée dont ils devinrent les Maîtres incontestés .

Le règne des Arabes en Sicile dura de l'an 212 de l'Hégire (827 JC) à l'an 464 de l'Hégire (1071 JC). Alors que la première période de ce règne fut caractérisée par des guerres continues, sans aucune période de trève, la seconde, celle du règne des Fatimides, fut une période de propagation de l'Islam et l'on donna le titre de «Prince des Croyants» à Abdallah Al Mahdy .

Ce sont les Normandes qui mirent fin à l'occupation arabe en Sicile au XI ème siècle J.C.

Pourtant la civilisation arabe continua à se propager même après leur départ. Ces conquérants avaient laissé en Sicile de nombreux vestiges aussi bien dans le domaine culturel et architectural (le style gothique) que dans celui de la langue (beaucoup de mots italiens sont d'origine arabe) .

Sous le règne Fatimide, la religion islamique,la langue et la civilisation arabes se répandirent sur l'ile .

On a trouvé, en plus des mosquées, des centres d'instruction (Kuttab ou Katatib) où le nombre de professeurs était très important .

La politique des occupants arabes encouragea les savants à séjourner sur l'ile. D'autre part, la proximité de la Sicile permit à beaucoup d'écrivains, de voyageurs et de savants d'y affluer de toutes parts .

Ainsi, le règne des Musulmans, qui dura environ 3 siècles, a fortement marqué la Sicile de l'empreinte arabo-islamique, si bien qu'elle rivalisait avac l'Andalousie comme centre de propagation des connaissances dans les domaines des sciences, des lettres et des arts .

D'autre part, la position géographique de la Sicile (proche du continent africain

régions françaises à cause du nombre toujours croissant de pélerins qui se rendaient à Compostelles .

Comme les contacts étaient constants entre Chrétiens et Musulmans (guerres, commerce, voyages, pélerinage en Terre Sainte ...) l'Europe tira un grand profit de cette civilisation islamique qui dépassait tout ce que l'Occident médiéval pouvait imaginer .

En outre, les Arabes étaient différents des peuplades barbares qui détruisaient et pillaient les pays conquis . Ils étaient célèbres par leur amour et leur encouragement pour toutes les expressions culturelles .

N'oublions pas que la tolérance s'inscrit parmi les virtualités de la mentalité musulmane et que la guerre sainte ou «Jihad» ne fut jamais entreprise comme une conquête visant à l'extermination des peuples. D'autre part, la religion islamique comportait elle-même tous les fondements d'une culture authentique .

Ainsi, les pays occupés par les Arabes devenaient de grande centres civilisés, fréquentés sans crainte par les savants et les chercheurs venus de tous les coins du monde en quête de savoir et de connaissances .

C'est pourquoi les pays, à l'ombre de la conquête arabe, connurent un courant civilisateur extraordinaire. Durant sept siècles, la cité ilslamique a été un centre de rayonnement pour les philosophes, les penseurs et les écrivains occidentaux.

Les échanges culturels étaient fréquents à travers tout le monde musulman, car, pour les Arabes, les voyages étaient une chose facile, Appartenant à un peuple commerçant et nomade à l'origine, ils possédaient vers l'an 800 une flotte qui dominait la Méditerrannée : La Mecque était devenue un grand centre économique et commercial.

Pourtant, si l'Islam a encouragé le commerce, c'étaient les italiens qui assuraient à travers la Méditerrannée les échanges commerciaux entre l'Europe et le monde musulman. Les ports italiens de Vénise, et de Gênes devinrent bientôt de grands ports de commerce.

D'autre part, une grande partie de l'ancien commerce des esclaves se faisait par l'Espagne vers les pays d'Orient.

Le règne des Arabes en Sicile

Dès le ler siècle de l'Hégire, des Arabes avaient essayé à plusieurs reprises d'envahir la Sicile et les iles de la Méditerrannée, mais en fait, ils n'ont occupé la Sicile qu'au 3 ème siècle de l'Hégire .

La première invasion islamique de la Sicile eut lieu sous la Califat de « Osman

Dans la mentalité médiévale, le «Sarrasin» était peint sous des traits démoniaques et on lui attribuait tous les défauts : laid, cruel, perfide, fanfaron, barbare, etc. Matérialisant les hantises des Chrétiens, il devint même un personnage littéraire à qui l'on attribuait toujours le rôle du «méchant» .

Ainsi dans La Chanson de Roland, la religion musulmane, dénaturée par l'esprit des Croisades, découle d'un référent chrétien. Le «Sarrasin» est souvent même présenté comme un polythéiste : le nom d'Allah n'est jamais mentionné (alors que les Musulmans le prononcent souvent et plus particulièrement au cours du «Jihad».

Coupables d'ignorance, ils peuplèrent le monde de l'Islam, en laissant libre cours à leur imagination fantaisiste .

Cependant à mesure que les contacts avec les Arabes devenaient plus fréquents dans les régions occupées par les Musulmans au Moyen-Age, les appréciations des Chrétiens se nuancèrent .

D'autre part, dans les pays occupés par les Arabes, comme l'Espagne et la Sicile, on put apprécier les aspects remarquables de la civilisation arabo-musulmane .

A la suite des observations des Croisés, de l'essor commercial et des contacts directs, l'image de la société islamique s'affirma et l'Islam devint synoyme de raffinement, de luxe et d'exotisme .

Pourtant ce mythe de l'Islam - malgré la diffusion du savoir n'a-t-il pas laissé de traces dans les mentalités occidentales ?

A partir du siècle dernier, un nouveau courant défend une vision plus objective de l'Islam. Pourtant, certains orientalistes s'obstinent à refuser tout crédit à la civilisation islamique, entravant par la même les possibilités de dialogue reel entre l'Orient arabo-musulman et l'Occident chrétien .

1. LA PRÉSENCE ARABE EN OCCIDENT

La civilisation islamique connut son âge d'or entre le milieu du X ème siecle et le XVII ème siècle, et la culture arabe, loin de ce limiter à une région déterminée, s'étendit partout où l'Islam était prédominant .

L'Islam s'est propagé dans le Bassin méditerranneén grâce aux conquêtes de l'Espagne, du Midi de la France, de l'Italie, des Baléares, de la Sicile et de l'Afrique du Nord .

Il se fonda ainsi un empire musulman sur les frontières du monde latino-chrétien. Des relations étroites commencèrent à naître tout particulièrement avec certaines

RAYONNEMENT DE LA CIVILISATION ISLAMIQUE

SUR L'OCCIDENT MEDIEVAL

Par
Dr Rokeya GABR

INTRODUCTION

Pour apprécier une civilisation à sa juste valeur, le meilleur moyen est de la comparer à d'autres cultures. Or, les recherches visant à trouver le lien entre l'Islam et les autres cultures prennent un intérêt croissant .

Ainsi, l'Islam médiéval qui a fasciné l'Europe par l'éclat de sa civilisation, a joué un rôle de tout premier plan dans l'histoire de la pensée universelle : la civilisation arabo-musulmane eut un impact indéniable sur la culture de l'Europe médiévale .

Dans le Haut Moyen-Age, l'Eglise avait dressé un «rideau de fer» entre l'Islam et la Chrétienté. D'un autre côté, les musulmans, fiers de leur supériorité, méprisaient ceux qu'ils qualifiaient d'«infidèles barbares» .

Les mentalités chrétiennes restèrent longtemps imprégnées d'une image outrageusement noircie de la religion de ces rivaux .

Soucieux de gagner les fidèles à leurs idées, les hommes d'Eglise dépeignaient ceux qu'ils appelaient «Les Sarrasins» sous les traits les plus grossiers afin d'inspirer aux Chrétiens de la crainte et de l'aversion .

Cette image subjective, à la fois floue et imprécise, était en fait le produit d'une aversion et d'une terreur maladive .

La tradition historique a consciemment prolongé cette image d'un Islam inconnu qualifié d'hérésie, d'imposture et de débauche. Cet Islam dépeint sous les traits de la violence, de la cupidité et de l'intolérance resta ainsi longtemps gravé dans les mémoires .

REVUE AL-AZHAR

Section Française

CONTENU

Dr Rokaya GABR
1 - Rayonnement de la civilisation islamique
sur l'occident Médieval (1ère partie)
Mme Hoda Hussein Chaaraoui
2 - La foi en L'unicité d'Allah (1ère partie)

The broad wide definition of the word "road" in the text of the Hadith, comprises all spaces utilized for public use, communications, all forms of transportation, highways, roadways, avenues, thoroughfares, parks, gardens, courts, passages, lanes and everything that comes under such categorization. They include all desert trials, bridges, mountain pathways, trains, railway tracts and stations, all channels of air travel, and all routes of sea travel, including aeroplanes and ships. The preservation of safety, removal of danger and the upholding of propriety in all these systems of communication and transport, requires an optimal structure of diligent organization and precision. This necessitates the utmost cooperative adjustment of effort between the individual, the family, the syndicate groups, the society, and the state. The problem of road security has recently escalated to become an issue of international concern. Most countries are establishing anti-terrorist measures. Engineering companies are active in identifying quality control actions with the aim of establishing an optimal system of safeguards against accidental occurrences.

Another important means of communication in the human society are the mass media which include all types of telecommunications such as wireless, television and the like. These systems have brought about a drastic change in the transfer of culture and knowledge between the various groups of the human race. It is imperatively urgent and compelling to organize a discriminative selective process of optimized justification and differentiation of the material introduced to the human public of all ages through the wireless and television systems. These systems should be utilized to spread useful information, culture, beneficial knowledge, human values; and to bring about the various groups of the human race into a more integrated coherent community. Instead, much of the substance presented are seductive, unchaste, and degrading to human values of decent propriety. This issue is becoming much more malignant than anything else that is pathological and detrimental to the human society. It is the duty of the men of wisdom and knowledge to work in standing effort against the virulent plague of social pornography, the profligate carnality, the ribaldry of dissipated acts that are increasingly polluting the propriety, decency and true freedom of the human individual. The maxims of human rights are justice, and the wholesome emancipated liberty of body mind and soul to attain the dignity of self fulfillment. The devaluation of the human status by the expanding filth of pornographic presentations result in the most unjust, degrading humiliating form of enslavement and subjugation that mankind has suffered.

The preceding considerations indicate that the context of the Hadith encompasses an extensive domain of human life. The infinite inherent meanings of the Hadith have ramifications that reach every element of human life. The broad definition of the word "road" is in reality the complete integrated structural matrix of human life.

The total of human environment, everything that pertains to the mind, body and soul of mankind; comes under the definition of the word road. Removal and elimination of all forms of danger and evil is certainly a profound form of benignity. The roots of wisdom in the Hadith of the Prophet - prayers and peace from Allah be upon him.

Translated from the Arabic original by the Editor.

obstruction for pedestrians and other vehicles. The pavements should be left free for use by people on foot and should not be narrowed or occupied by merchandise, newspaper stands, or coffee shops.

The proper and continual maintenance of roads is another important aspect of road safety and elimination of danger from communication pathways. All actions of repair, installation, construction, sewage works, and the like should be done with the highest degree of organization to ensure safety. Building debris and construction material must be handled in such a manner to prevent inconvenience and danger. Organization of such matters have developed into a system process that should be implemented whenever the need arises. It is a form of eloquent respect and decorous behaviour to other fellow citizens.

Another aspect of thoroughfare safety that civilized societies should achieve is the beauty of roads and its environs. Parks, gardens, play and picnic sites, emergency communication systems, and other similar facilities. Safe passage of cattle across trials, pathways and pasture ground should be considered as an important aspect of road safety.

Civilized societies must preserve roads and all passageways with an environment of decency good taste, propriety and social convention. All degrading sights, demoralizing conduct, obscene vulgar language, acts, posters or photographs must be strictly forbidden and prohibited. Roads and communication routes, land, air or sea, on a small scale or large, are actually part of the common human life. Different to anything else in society, every man, woman, child and infant has continual access to roads; they are indispensable to the life of every human. The human public must always to exposed to features of literary elegance, social decorum and acts of propriety. Obscene language, and pornographic displays should be absolutely forbidden as public spectacles. Such presentations destroy human value, corrupt social systems, degrade mental abilities, debauch and pervert the basic physical relationships of mankind. Nothing is more detrimental to the preservation of human values than the devaluation of virtue and chastity. The current invasive spread of salacious indecent pornography is the most devastating disease inflicting human societies at present time. The detrimental impact on the psychological, mental and physical health of the human race, as a result of such social degradation will cripple and castrate the very roots of humanity.

The Hadith advocates a certain culture that must be educated and instituted to the growing generations from young age. Such culture should justify and optimize the understanding that roads and communication systems of all kinds are public property, owned and used by every member of the public. Based on such understanding, it becomes imperative that every member of the society should regard roads and communication systems with the high degree of dignified respect, and attentive observance. The Hadith evaluates the proper care, safety, cleanliness, and elimination of danger from the roads as an act of benignity, goodness, excellence, virtuousness, and benevolence. Through this doctrine, the issue of the preservation of road safety and removal of all forms of danger to mankind, is intimately associated with Divine commendation. This issue constitutes all features and traits of safety, security and preservation. This includes both physical safety and the proper safeguard of human values, decency, propriety, virtue and the upholding of social observances and graceful dictates.

The Roots of Wisdom
Hadith of the Prophet

Elimination of Danger from the Road is an Act of Benignity

By: Abdel-Hakim Ahmad Taha

The elimination of danger from the road is an act that renders the road safe without peril, menace or threat. In the Arabic context of the Hadith, the road signifies all places utilized by mankind which serves as a pathway of communication to all society. The right of passage on roads is the right of all individuals. The elimination of danger from the road is tendering the road to be safe from fear, evil, danger, threat, dirt and indecent vulgarity. The meaning indicates that the word "road" implies several meanings, and also the word "danger"; and the desired understanding relates to the meaning that the decent decorous disciplined safety of all human pathways of communication is a highly desirable act, equivalent to benignity. Every man, woman and child is in reality responsible for the decency and safety of our channels of communication.

The accomplishment of such goals requires certain culture instituted from young age to respect and safeguard the dignity and security of the roads. Our channels of communication are part of our environment. The human race should learn to understand the real value of roads and communication systems, their position in human life, and the importance that these roads and pathways play in a civilized society.

The road is a common system of communication, of which there are several types and various sizes starting from village lanes and ending with transboundary highways that join one country to another. All these must be kept clean, safe, and secure in order to serve their purpose with optimal efficiency. The tidiness, safety, security of these roads and their ability to serve their purpose is the responsibility of several fractions of the society. The major moral delegation rests on the society; the public should make continuous effort to ensure the proper organization for easy passage through our roads, their should be no obstruction of any kind. The roads should be well controlled regarding cleanliness, all dirt, garbage or litter should not be thrown or left on pavements. The collection of waste and refuse in civilized societies is a systematized process that is routinely undertaken by an organized public action. Individuals who purposely scatter litter on roads should receive a certain form of punishment.

The roads should be free from obstacles and parking cars, in order to allow free passage through the roads. The thoroughfare must be efficiently structured and maintained to accommodate temporary vehicle loading and unloading to prevent crowding and

brought Omar ibn Al-Khattab very close and intimately aware of the true candid conditions of the Ummah. The archives of early Islamic history are copiously rich with narratives of how Omar was closely associated with the daily life of people, their requirements, demands and intimate needs. His famous words were very sincerely practiced "How can I concern myself with the affairs of the people unless I know and share the tribulations they endure". These words indicated how Omar ibn Al-Khattab conceived the responsibility associated with authority. From the experience gained from his intimate close association with the daily life of people, Omar could reach standards of social legislations that were very justified to the needs of the Ummah. Omar's cognizant attention to the requirement of people made him a popular potentiate champion of the Ummah, greatly loved, respected and avowed.

Besides all the domestic problems at Al-Madinah and all over the Arab Peninsula, Omar ibn Al-Khattab attended to all the details of the Muslim crusaders in Persia, Syria, Palestine and the campaign in Egypt. The jubilant triumphant banners of Muslim warriors crossed to Al-Qadissyiah to Nahawand, across the desert plains of Persia to reach Azerbejan and Khorasan; the victory at Damascus and capture of Jerusalem; the conquest of Babylon and the surrender of Alexandria. The marching victories of Muslim warriors totally vanquished the Persian Empire, and the Eastern Roman Byzantine Empire. Islam was spreading and proliferating, establishing a regime of justice, liberty, enlightenment and social stability of ecumenical understanding. Omar ibn Al-Khattab was the man at Al-Madinah behind every move, every foot step on every inch of the long strenuous path of "Jihad". Omar ibn Al-Khattab, the master mind, the engineer of Muslim crusades, the champion of proliferation of Islam, the paradigm of the true meaning of Jihad.

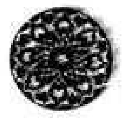

understanding of serving Allah was serving Islam, and this came about by the precise implementation of Islamic doctrinal teachings, through the function of Allah's providence.

The reign of Omar ibn Al-Khattab was particularly characterized as one of meticulous justice. The various narratives cited in the extensive bibliographies of Omar indicate the very sharp highly optimized system of justice that was strictly practiced during the reign of Omar ibn Al-Khattab. He believed that "the root of sovereignty is justice", and that "the nation with justice remains to eternity, and the nation with injustice will soon recede." To Omar ibn Al-Khattab, justice was the steering wheel of administration, the essence of success, the potential of authority, the fountain of affluence, and the fluid of prosperity. Justice as the most influential feature of human life was optimally realized and strictly practiced by Omar ibn Al-Khattab as the man at Al-Madinah.

The complete system of Muslim administration during the reign of Omar ibn Al-Khattab was based on the doctrines of Islam, the Islamic shariah and the practices of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The genesis of administrative patterns developed during the time of the Prophet, the years of Abu Bakre as Khalifah of Rassul Allah, and also to a larger extent during the reign of Omar ibn Al-Khattab. The ultimate function of this administrative system provided strength, respect, authority, dignity, prosperity, and above all the deep rooted belief that the Muslim theism was the message for human liberation, enlightenment, justice and ecumenical civilization of mankind. The Islamic territorial expansions during the reign of Omar ibn Al-Khattab demanded a corresponding development in the matrix of administration to meet the requirements of the new responsibilities imposed upon the head of the state. The patterns of administration originated from Islamic thought, and developed according to Islamic doctrines to conform with the requirements of the progressively expanding nation, constituting the theistic, economic, social rights, and aspirational demands of that nation.

The theo-political unity of the Muslim nation during the reign of Omar ibn Al-Khattab had reached a climax of the highest order of distinction. This was characterized by the practice of the most explicit form of justice, and the implementation of consultative opinion. According to Islamic teachings, the practice of consultation at the individual level is highly advocated and encouraged. At the level of administrative authority of decision making, consultation was mandatory. The process of consultation was convening in conference with other men of wisdom, talent, experience, knowledge to reach conclusive opinion for decision making in an issue that was intimately related with public concern. The implementation of consultation was a salient outstanding feature in the administrative regime of Omar ibn Al-Khattab. Individual and group consultations were continually called upon to help Omar reach decisions in crucial matters of state; sometimes, Omar resorted to public opinion to help his decision in certain matters that directly involved public attribution.

Omar ibn Al-Khattab at the head of the Muslim state at Al-Madinah intimately practiced the basic fundamental injunction of Islamic standards of government. His profuse knowledge of Muslim theism, Arab history, tribal socio-psychology helped him greatly to guide the Muslim Ummah through periods of great turmoil and distress.

One of the most important characteristics of Omar ibn Al-Khattab was his concept of authority. He conceived authority with a rigorous system of self judgement as a very heavy burden of grave responsibility that imposed for itself the reverence that commands its sacred duty. This deep apprehensive observant scrupulous understanding of authority,

protege of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The infrastructural build-up of Omar ibn Al-Khattab accumulated the profound prophetical supremacy to culminate into an acme of knowledge, understanding of human nature, and the requirements of human stability. He developed an organized system of thought, with extrasensory perception and clairvoyance. The kindness of his heart succumbed in tears at the sight of human distress of any form. The true sincere unbigoted candidness was the seat of his wisdom.

The companionship of Omar ibn Al-Khattab to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and his counselor office to Abu Bakre Al-Siddiq had a profound effect on the development of his personality. The experience gained during these two phases of his life promoted, qualified, optimized, materialized and expanded the inborn unique qualities and characteristics of the man. There was consistent uniform harmony of compatible affinity between the basic elements of Islamic theism and the intricate personality of Omar ibn Al-Khattab. His association with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and with Abu Bakre Al-Siddiq was the most pontifical period of self adjustment, adaptation, assimilation, psychological symmetry, and mental consonance. During that period, Omar ibn Al-Khattab completely digested the reality of the substance essence of the Islamic theism: His concepts matured to conceive explicitly the infinite social dimensions of the Islamic doctrines; the universality of its ecumenical message, the precise practice of human justice, the concept of equality, the proper understanding of freedom, the knowledge of the purpose of life and death, and the reality of purpose of the practices of devotional worship.

At the head of the Muslim state, Omar ibn Al-Khattab had a complete self organized identity of the personality of a leader. In his mind was the sharp sword of justice without compromise. In his thoughts were the finest most profound elements of spiritual functions that were molten and reshaped to embody the finest morphology of understanding of Muslim theism. The integrated personality of Omar ibn Al-Khattab became totally programmed into an undirectional flow of body, mind and spirit; bearing the true knowledge and rational inertia of thought to govern the Muslim interests, and bear their responsibility at that most crucial time of early Islamic history.

The mental aptitudes of Omar ibn Al-Khattab, his life style and conduct, his self discipline and genuine cognitive understanding of Muslim theology, and of human nature brought him closer to the fundamental needs, requirements and aspirations of the Muslim Ummah. He was also cognizant and respectful to the just claims and rights of the non Muslim elements of the broad nation living under Islamic administration. To these minority fractions of the nation, Omar ibn Al-Khattab instituted the legislative code of the Holy Quran related to the "People of the Book", to every syllable of the word, without bias or discrimination, but with absolute justice.

The humble piety of Omar ibn Al-Khattab was an epitome model, exemplary representative, a paragon pattern of perfection. This nature developed through self understanding, self criticism, repentance, and the supreme realization of the reality of human creation, the modest unpretentious truth of human life, and the prosaic unadorned process of human death. At the very depths of his constitution, the most gratifying purpose in the life of Omar ibn Al-Khattab was to be instrumental in the service of Islam and Muslims. To this purpose, Omar ibn Al-Khattab devoted his whole life; his

Omar Ibn Al-Khattab
The Man at Al-Madinah

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar

The achievements of extensive territorial expansion by the "Jihad" of Muslim warriors during the reign of Omar ibn Al-Khattab exceeded all expectations. The paramount justification of such Jihad was the proliferation of Muslim theism by summoning mankind to the words of Allah. Another sanctification was the establishment of the theo-political unity of the Arab tribes within and outside the Arab Peninsula. During the short reign of Abu Bakre Al-Siddiq and the reign of Omar ibn Al-Khattab, the system of administration was characterized by the optimal practice of the essential injunctions and percepts of Islamic doctrines.

Omar ibn Al-Khattab was the man, who resided at Al-Madinah, the man upon whose shoulders lay the heavy burden of the binding imperative obligatory duty of the safety and welfare of a heterogeneous nation. The geographical dimensions of that nation extended from the eastern borders of Persia, the Caspian sea north, the boundaries of Tunisia west, and the regions of Nuba South; expanding over vast territories of two continents. On every foot of these lands, the words of "Allah" were being taught, the doctrinal teachings of Islamic were instituted, and the profound justice as dictated by Muslim theism was being implemented. The summons to the message of Islamic, the practice of Islamic teachings, the universal message of ecumenical thought to all mankind was being expounded. The message of the Holy Revelation carrying the articles of decent grandeur and salvation to humanity, beçame understood and appreciated. The Divine message of Monotheism was accepted, and the spread of Islamic teachings became dominant.

The proliferative expansion of Islamic didactic injunctions were essentially attributed to the profound knowledge and disciplined proficiency of Omar ibn Al-Khattab. His mind was superiorly organized, his faculty of thought was optimally rational, his sincere devoted conviction to articles of Muslim faith was formidable and concrete. His perceptive foresight enhanced his sagacity and wisdom, his absolute genuine humbleness and pure piety enlightened his mind, his whole being in body mind, heart and soul was integrated into a summation of a unique quality of character, adamant in belief and supremely candid in justice. These were the fundamental qualities constituting the basic elemental characteristics of Ameer Al-Moumineen, Omar ibn Al-Khattab, the man at Al-Madinah.

Omar ibn Al-Khattab was exposed to the words, meanings, concepts and injunctions of the Holy Revelation since he embraced Islam. He learned the Holy Quran, understood its meanings, realized its profuseness, adopted its legislations and teachings, perceived the infinite dimensions of its doctrines, absorbed the elements of its Divine nature, and became conversant with the intricate profundity of Muslim theism. These achievements were developed in perpetual graduation of schooling as an intelligent intimate disciple and

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 64. PART II
Safar 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**
   The Man at Al-Madinah.
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. **The Roots of Wisdom**
   Elimination of Danger from the Road is an Act of Benignity".
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH
SECTION

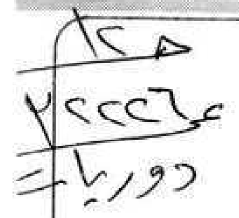

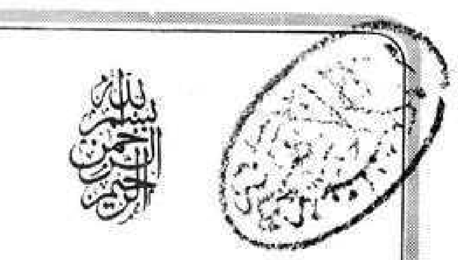

في ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

كان في آدم
سر وجود الإنسانية
وكان في محمد
سر كمالها

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

في شهر ربيع الأول لسنة ثلاث وخمسين قبل الهجرة كان استهلال وليد عربي في مكة ليس ككل الولدان الذين تواثبت بهم أرحام الأمهات في هذا البلد الآمن ولا في غيره .

لقد طلع كما تطلع الشمس بانوارها فتفجر النهار المنير .

لقد ولد النبي فكان بولادته نور البصيرة الا وهو الدين .

وما النهار إلا يقظة الحياة تدب سعيا إلى آمالها وابتغاء لأعمالها وما الدين - كذلك - إلا يقظة النفس وفطنة القلب تطلعا إلى نوال الفضائل .

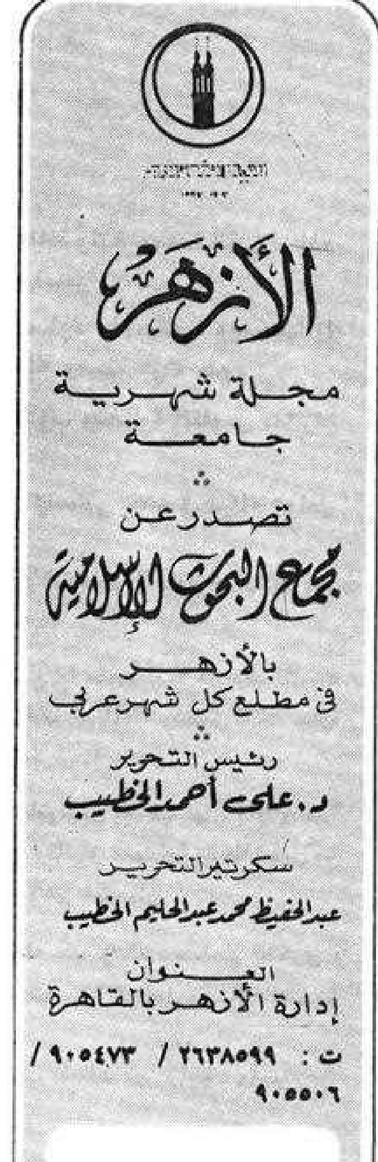

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الأول ١٤١٢ هـ

سبتمبر ١٩٩١ م

الجزء الثالث

السنة الرابعة والستون

في ذكرى

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

وهذه الشمس أودعها الله سبحانه طابعا إلهيا ، به تتحول المادة وتتغير،وهذا النبى « الذى ولد » يرسله الله بالدين الذى به ترقى الأرواح وتتهذب وتسمو .

هذا النبى،والنبوة إشراق إلهى على الإنسانية ، يقوّم منها السلوك والأخلاق ، ويوجهها إلى الكمال في ترابط ونظام لايختل إذا ما استكانت إلى وحى الله واستشعرت خيره .

ومن هنا كانت مهمة النبى الأولى إخلاص العقيدة وتطهير القلوب وتصفية النفوس مما ران عليها من ادران دورات هذه الحياة .

لقد كانت ولادة النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعالم الإنسانى يكابد في هيكله عوامل البلى .

وكانت الولاية على الدنيا في ذلك الحين لاخلاط من الروم اوهنهم الترف والفسوق واخلاف من الفرس هزمتهم الخيانة والطمع .

وكان بين هؤلاء وأولئك شعبٌ أبيٌّ نبيلٌ اعتصم بالصحراء فلم يتبع أيا منهما فنجا من ذلك الفساد الشامل ، ولم يعبث بضميره سلطان ، وما مس خلقه أحد من أولئك الطغاة ، وكأنما كانت جفوة الصحراء وشدتها منعة وسياجا له من أن تفسد لغته أو يختلط نسبه .

وإنما كانت هذه الأمة العربية القابعة في جزيرتها تتلاحق بالغزو المتواصل بين قبائلها ، فأودى هذا بالضعيف مبقيا على القوى صاحب السيف الصارم والفارس الشجاع ، فانبثق منها أمة وسطا تحمل مع قوة الحيوية وكمال الرجولة وصفاء الحس ونباهة الذكر المثل الأعلى للإنسان .

تلك هى الأمة العربية التى انبعث منها هذا الوليد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب الذكرى ، وهى التى اختارها الله لقيادة الشعوب المغلوبة على أمرها واختصها الله بهذا الرسول ورسالته الأخيرة الخاتمة .

ولد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعث بالرسالة والعرب أشتات دون رابط ، وأحياء من غير هدف ولاغرض .

حمل رسالة الله إلى هؤلاء لايسانده سلطان ولايناصره جيش ولايغريهم أو يستميلهم بمال ، فقابلوه بالعناد وآذوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نفسه وأهله وصحبه ، فما وهن عزمه وإنما قابل الأذى بالصبر، والسفه بالحلم .

ذلك لأن ذات هذا الرسول ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحمل في مجموعها جماع ماحملت به الأنفس الإنسانية من كمال وجمال ، ولو اجتمعت فضائل أهل الحكمة والعلم جميعاً منذ كانت الحياة وجعلت في إنسان واحد مابلغت مثل نفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكأنما هذه النفس الزاكية بخلق الله

قد تفردت حتى صارت هى النفس الإنسانية الكبرى ، ولايعرف التاريخ غير محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا كمّله ربه وجمّله وأدبه فإذا الإنسانية به تتحول وتنمو وكما قيل :

« كان فى آدم سر وجود الإنسانية، وكان فى محمد سر كمالها » .

وكان دين هذا النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإسلام : لأنه إسلام النفس إلى واجبها ، فهى إذا اسلمت كانت فى سلام مع الله وفى سلام مع ذاتها وفى سلام مع مجتمعها الإنسانى بل ومع العالم وما فيه من خلائق .

وكأن المسلم بهذا ينكر ذاته فيسلمها إلى الإنسانية ، تصرفها فى كمالها وعلوها ، فلا حّظ للمسلم فى نفسه ولكن للإنسانية السهم الأحظ من حياته ، وذلك بعد الإيثار الذى امتدحه الله فى صحابة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ فلينظر اتباع هذا النبى ـ اليوم ـ ماذا فى نفوسهم من هذا الدين : الإسلام ، وماذا فى أخلاقهم من خلقه ، وماذا فى أيديهم من تراثه فإن وجدوا أن هذا الإسلام قد أصبح رسما فى نفوس الخاصة،واثرا شائها مضمحلا فى نفوس العامة ، وان أخلاقهم قد افتُقدت يوم أن تخلوا عن خصائصهم التى اقامهم عليها القرآن واكدتها سنن صاحب الذكرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن كان هذا فلا يلومون إلا انفسهم .

الا فلينظر اتباع هذا الوليد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم غابت شمسهم وغامت سماؤهم وطال ليلهم ، مع أن الإشراق الإلهى على الإنسانية ، كان بولادة هذا النبى الذى اصطفاه الله من بينهم .

لقد ولد يتيما لم ير أباه،ولكن الله هو الذى آواه ورباه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ .

لقد سعى إلى اكتساب رزقه بالعمل المشروع فرعى الغنم ، وقد كان هذا تمهيدا لرعى الأمم واشتغل بالتجارة فخالط الناس واقام الوزن بالقسط فكانت المثابرة والمصابرة فى إبلاغ الرسالة ، الا فليذكر المسلمون كيف تفرقت بهم السبل وصاروا غثاء كغثاء السيل .

ذلك انهم اخضعوا عقيدة الإسلام للحياة مع ان الأساس فى الإسلام إخضاع الحياة للعقيدة ، فتصبح العقيدة أقوى من الحاجة ، وبهذا يكون الفقير المسلم متعففا والغنى المسلم متصدقا والبخيل الشره طامعا ممسكا .

رسالة هذا الوليد الذى تحتفى أمته بذكرى ولادته قادت السلف إلى القوة والعزة فى غير بطش ولا جبروت ولا ظلم وإنما نشروا العدل والعلم ، إذ اعتصموا بما جاءهم به من قرآن وسنة فكانوا فى الصلاة صفا واحدا إلى قبلة واحدة ، يتلون آيات محددة من كتاب الله ، وكانوا فى الصوم على ميعاد واحد ، وهكذا جمعهم الإسلام فى كل عبادة وكل عمل للدين وللدنيا .

فما بال هذه الأمة قد انفرط عقدها وطال ليلها وتوزعتها الأهواء واجتاحتها المحن وهى مع هذا فى

في ذكرى

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

يأس وقنوط ، بأسهم بينهم شديد وقلوبهم شتى مع أن معهم كتاب الله القرآن وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى » .

ألا إن الأمر جلل والخطب عظيم ولا منجاة مما وقعت فيه الأمة إلا إذا صار أمر ها إلى وحدة الكلمة والصف ، وإلى التخلى عن كل ماأدى إلى هذا التفكك والتشرذم والعودة إلى دين الله ، ففيه الدواء وبه الشفاء .

فلتُفق شعوب الأمة من النوم ولتخفف ـ عن القدر ـ اللوم فإن الله لايظلم الناس مثقال ذرة ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

ومن عاند الحياة ، فقتل فى نفسه الطموح ، وقعد حيث تركته النوائب ، توالت عليه مواكب المصائب ، وصار كالأثر فى المتحف يشير إلى ملك قد باد وشعب انقرض ، يتحسر على المجد المفقود ، ويتعلل بكواذب الأمانى .

ألا إن الرقاد قد طال والعالم من حول أمة هذا الوليد صاحب الذكرى يتكامل ويتوحد ويتواصل ، وهذه الأمة تتلاعن وتتدابر تتذاكر الأخطاء وتؤصل الأحقاد ، ولاتتلاقى على كبح جماح الباغى وردع الظالم ، والأخذ بأسباب تجاوز المحنة .

هل لهذه الأمة أن تعتبر بالحوادث المعاصرة ، وتوقن أن يد الله مع الجماعة فتسعى إلى الوفاق متجردة من النفاق ، وتتعاون على البر والتقوى، وتتباعد عن الإثم والعدوان .

إن حياة صاحب الذكرى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قانون إلهى خالد ، وكتابه مازال بحول الله وقوته يتلى وفيه صلاح الدين والدنيا ، وإن من أساس الإسلام أن نطيع الله فى كتابه ونطيع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سننه وآدابه فهل مع هذا النبع الإلهى الصادق يظل المسلمون فى مراغة الخمول ويقنعون بالدون ، ويتخلون عن مكان الصدارة فى هذا الوجود ؟

أما لو أنهم اتخذوا من أحكام ربهم منهاجا ومن كلام رسولهم علاجا ومن حياة وسيرة الأولين من رجالهم قوة وقدرة وتجربة وعتادا ـ لو فعلوا هذا ـ لرفع الله عنهم هذا الإصر وأنعم عليهم بما لايقع من النعم تحت الحصر .

ومن أصدق من الله قيلا .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

فى ذكرى ولادة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى جمع العرب من شتات وأيقظ بدينه العالم من سبات وأقام للسماء دينا فى الأرض ، وأسس لأهل الأرض دنيا فى السماء ، يراها الناس ويدخلها أهلها يوم الجزاء .

فى هذه الذكرى أدعو كل النفوس الذاكرة الشاكرة الحرة أن تخشع إجلالاً لذكرى رسول الوحدة والتوحيد .

وأدعو زعماء العالم الإسلامى إلى محاولة جادة لتوحيد الأمة من جديد وأن يتخذوا إلى هذا منهاج هذا الوليد سبيلاً إلى هذا العمل المجيد .

وأهنىء الأمة الإسلامية شعوباً وحكومات وملوكاً وأمراء ورؤساء بهذه الذكرى المشرفة .

وأسأل الله أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وأن يجمع القلوب ويؤيد المخلصين ويهدى الضالين .

وبالله التوفيق ومنه التأييد .

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

أثر العقيدة فى تحقيق النصر
وتأثيرها على الروح المعنوية

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

العقيدة هى الجانب النظرى أو التقريرى الذى يطلب الإيمان به - أولا - إيمانا مستقرا لايرقى إليه شك ولايتاثر باية شبهة ، كإيمان ابى بكر - رضى الله عنه - الذى يزن إيمان الأمة كما ورد فى الأثر .

هذه العقيدة فى الإسلام كانت أول مادعا إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عناصر عقيدة الإسلام إذا وقرت فى نفس المؤمن واستقرت وتفاعلت صلح السلوك واستقام .

وهذه العقيدة الراسخة الصالحة تثمر فى نفس الإنسان الفضائل الإنسانية العليا من الشجاعة والإقدام، واقتحام المصاعب والتضحية والإيثار والسمو عن كل وضيعة من الصفات والفعال التماسا للخير والنبل والنزاهة والشرف وطيب الأثر .

العقيدة المستقرة الصحيحة كالشجرة المثمرة التى يتوالى ثمرها ، فهى تؤتى اكلها كل حين بإذن ربها ، تقود صاحبها إلى كل خير وبر .

ففى الحرب شجاع مقدام ، غير هياب ولا وَجِل وفى تاريخ الأمة مُثُلٌ تحتذى فى كل عصر ومصر من غزوة «بدر» إلى حرب رمضان - اكتوبر - لم ترض بالنصر بديلا .

وفى الجود والإيثار مقدام : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

وفى صفاء القلب ونقاء السريرة لدى صاحب العقيدة المطمئنة سعة للناس ونسيان للأحقاد وإغفال لكل اثرة .

العقيدة إذا صلحت اثمرت العمل الصالح فى كل ميدان ، ولعلنا نذكر كيف دفعت العقيدة المسلمين الأول فى مكة إلى الصمود والصبر والمصابرة فى مقابل ما تعرضوا له من تعذيب بدنى ونفسى ، نعم صبروا على ما كُذّبوا وأوذوا فكان النصر ، لان قوة العقيدة تدفع الإنسان إلى طلب الكمال وتثير فى روحه الإقبال على كل مايعلى شانه ويصل به إلى هدفه وهذا احد المعانى والله اعلم - فى قول الله سبحانه : ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .

الرسول عليه الصلاة والسلام

واليتم والبيئة

د. على أحمد الخطيب

تؤكد مصادر السيرة النبوية جميعا ان رسول الله - ﷺ - حفظه الله من يُتم يقاسى منه عَنَتَ الحياة ؛ فإنه - عليه الصلاة والسلام - لم يَنَلْهُ ما ينال اليتامى : بنين وبنات من شئون وشجون ، وإقبال عليهم تارة ، وإعراض عنهم تارات ، وما يلم بهم من حاجة يضيق بها اللئيم ، ويشح لها الزنيم ، وما ينالهم من محتال اثيم ياكل اموالهم ، او كفيل خبيث يتخطف كسبهم ، او حاضن وضيع يقضى على فطرة اخلاقهم ، او داعر رقيع يتجر باعراضهم .. إلى ما يكون فى المجتمع من ضروب الضعة .. والانتهازية .. وغيرهما مما يكون فيه اليتيم واليتيمة مراة صدق فى الحكم عليه .

حفظ الله - جل وعلا - رسول الله - ﷺ - فى يتمه .. الم يَقُلْ - عز وجل - عنه - عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ الطور ٤٨ .

وفى الأزل خط فى الكتاب : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ الضحى ٦ .

عناية ربانية تامة ، وإيواء إلهى خالص ، تنزلتا خَلْقاً وخُلُقاً على رسول الله - ﷺ - فإذا هو (مركز) الحب والرعاية من كل من خالطه واراد الله - تعالى - له - عليه الصلاة والسلام - إيواء عنده .

ولقد كان لرعاية الله - تعالى - به ، وعنايته له ، آثار عرفنا منها شيئا ولم نعرف أشياء وكان عليه الصلاة والسلام - نظيفا دائما تفوح منه رائحة عطرة تستميل القلوب ، كان الصبيان يصبحون رُمْصا شُعْثاً ، ويصبح رسول الله - ﷺ - دهينا كحيلا .. وضيئا صقيلا معطراً[1] .

فما ضاقت به حاضنة ، ولاعَنَّاها - ﷺ .

---

(١) الرمص : وسخ أبيض جامد يجتمع فى موق العين ، واكثر ما يكون ذلك صباحا عقب النوم . انظر النص بسيرة ابن كثير .

الرسول عليه الصلاة والسلام واليتم والبيئة

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ « مباركا » لا يحل بمكان إلا شعر قاطنوه بما غمرهم الله من فضل فى أبدانهم وأموالهم وأولادهم ، فكانت (البركة) تحل حيث حل . وهذه حياته ـ ﷺ ـ بمضارب بنى سعد ، ثم لدى جده : عبد المطلب ، فعمه أبى طالب .. إلى النهاية من أيام دنياه ـ عليه الصلاة والسلام . ولقد كانت بركته ـ ﷺ ـ فى ترجمة (مادية) تعنى أنه كان يعطى أضعاف أضعاف ما يأخذ ـ ﷺ ـ .

وشغف من يكفله به يحدثنا عنه سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ فيقول :

كان رسول الله ـ ﷺ ـ يكون مع آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده : عبد المطلب وضمه إليه ، ورَق عليه رِقةً لم يَرِقْها على ولده ، وكان يقربه منه ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، وكان يجلس على فراشه ، فيقول عبد المطلب ـ إذا رأى ذلك : « دعوا ابنى ؛ إنه يؤسس ملكا » .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ـ ﷺ ـ وحياطته ، فوجد ببيت أبى طالب رعاية لا نظير لها ؛ فأبو طالب « كان يحبه حبا شديدا لا يحبه وَلَدَه ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .. وصَبَّ به أبو طالب صبابة لم يُصَبَّ مثلها بشىء قط »[٢] .

وفى بيت أبى طالب كان لرسول الله ـ ﷺ ـ أثره فقد أحبه آل البيت ، وبخاصة السيدة : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية القرشية زوج أبى طالب وأم علىّ ـ رضى الله عنها ـ قضى رسول الله ـ ﷺ ـ شطرا من طفولته فى حجرها ، فعرفته حق المعرفة ، وكانت بَرَّةً به حَدِبَةً عليه وصدقته رسولا نبيا فآمنت به ، وهاجرت إلى المدينة ، وفيها توفيت ، وحفظ رسول الله ـ ﷺ ـ جميلها ، فلما ماتت فعل معها ما لم يفعله مع أحد ؛ فَكَفَّنَهَا فى قميصه ، واضطجع فى قبرها ، وَجَزَّاها خيرا .. فلما قيل ـ لرسول الله ـ ﷺ :

ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه ، قال : « إنه لم يكن بعد أبى طالب أَبَرُّ بى منها »[٣] ، وإذا كان ذلك يُتْم رسول الله ـ ﷺ ـ فلننظر ما فعله الله ـ سبحانه ـ لليتامى على يديه :

شريعة اليتم :

منعت شريعة الإسلام قهر اليتامى ، وعدته فى بعض مظاهره كفرا بالله واليوم الآخر . وحرمت أكل أمواله ، وأشارت إلى تنميتها قدر المستطاع .

---

(٢) سيرة ابن كثير ٢٤٢/١ ـ الصبابة : شدة الشوق .

(٣) أسد الغابة ٢١٧/٧ ط الشعب : جزاها : دعا لها بحسن الجزاء .

وجعلت له حقا فى بابين من موارد الدولة : فإذا ما تركنا جانب « الواجب » حلا وحرمة فما أكثر ما حثت الشريعة على الإحسان إلى اليتيم واللطف به ، وكان فضل الله عظيما لمن عطف على يتيم وأحسن إليه :

الواجب حلا وحرمة :

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ الضحى ـ ٩ ـ

وقال ـ سبحانه : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ الماعون ١ ـ ٣ .

يخاطب المولى ـ عز وجل ـ الأمة عن طريق نبيها ـ ﷺ ـ بألا تقهر اليتيم ، ولينظر مسلم إلى معاملته ـ ﷺ ـ لأنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ الذى خدم رسول الله ـ ﷺ ـ عشر سنين ، ولم يكن يتيما ولا لطيما[4] فما قال له رسول الله ـ ﷺ ـ لشىء صنعه : لِمَ صنعته ؟ ولا لشىء تركه : لم تركته .

فما بالك بمعاملته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لليتامى . وإنما يذل اليتيم ويُكْثِرُ من قهره سلبُ حقه ، والسطوُ على ماله ، ومن أراد أن يرى رجلا من أهل النار،كفرا بالله وجحودا له فلينظر إلى رجل يزجر يتيما ـ فى غير رحمة ولا شفقة ؛ فإنه لا يفعل ذلك إلا منكر ليوم الدين .. يوم الجزاء والحساب .. يوم القيامة ولا ينكره إلا كافر ، ولو كان مثله مؤمنا لسارع إلى العطف على اليتيم واليتيمة والإحسان لهما فما بالنا بمن يتخطى الزجر إلى أكل أموالهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء ـ ١٠ .

وقال رسول الله ـ ﷺ :

« إنى أحرّج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة » ـ ابن ماجه ٢ / ١٢١٣ ط الحلبى،ومسند أحمد ٢ / ٤٣٩ الميمنية . أى أحذر ذلك وأؤكد إثمه .

« وأكل مال اليتيم » من السبع الموبقات . رواه البخارى .

وفترة اليتم تنتهى ـ شرعا ـ بالبلوغ ، فـ « لا يتم بعد احتلام » فإذا (بلغ) فقد دخل طور الرجال ولم يعد يتيما .

لذا وجب أن يرد الولىُّ لليتيم ماله إذا بلغ راشداً يُؤْنَسُ منه حُسنُ التصرف وتقدير الأمور .

وليس ينبغى أن تمر فترة اليتم ، ومال اليتيم راكد ، فعلى ولى اليتيم ان يستثمر ماله بقدر ما يستطيع قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ البقرة ـ ٢٢٠ .

ولفظ « إصلاح » عام يشمل كل الجوانب وبخاصة التربوية والمالية :

فعلى ولى اليتيم إحسان تربيته وتعليمه على خير ما يرجوه لولده ؛ فيمنعه مما يمنع منه وَلَدَه ، ويقدم إليه ما يقدمه لولده ، ويصلح ماله باستثماره ، فإصلاح ماله إصلاح له ، ولا حرج على ولى اليتيم من

---

(٤) أى لم يكن فاقداً لأبيه ولا لأمه .

﴿ الرسول عليه الصلاة والسلام واليتم والبينة

مخالطة مال اليتيم بشرط الإصلاح والمعروف فلا تؤدى الخُلْطة إلى التعدى على حقه قال تعالى :
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الأنعام ـ ١٥٢ ـ الإسراء ـ ٣٤ .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه :

« اتجروا فى أموال اليتامى .. لا تأكلها الزكاة » .

وحق اليتيم ثابت فى بابين من موارد الدولة . فى (الغنيمة) يقول تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الأنفال ـ ٤١ .

وفى (الفىء) يقول تعالى : ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . الحشر ـ ٧

ولم تنسخ الغنيمةُ الفىء ضرورة نزول الأولى فى (بدر) والثانية فى (بنى النضير) ولا ينسخ المتقدم المتأخر « ولا خلاف بين علماء السير والمغازى قاطبة أن (بنى النضير) بعد (بدر) وهذا أمر لايُشَكُّ فيه ولا يُرتاب »[٥] فسهم اليتامى ثابت .

وإذا كان بابا الغنيمة والفىء ليس لهما من ثمرة فى وقتنا ، فالأمر واجب فى « بيت مال » المسلمين ؛ فإن لم يف أتمه أغنياؤهم حتى تستمر كفالة اليتامى بنين وبنات .

الضروب الإنسانية :

فإذا جاوزنا الحقوق والواجبات إلى الجوانب الإنسانية فإن خير بيت من بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فيه يتيم يُسَاءُ إليه .

ولقد يكون أدنى ما يفعله المسلم ليتيم أن يمسح على رأسه إشفاقا وحبا .. وإليك جزاءها .

« عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كانت له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو ـ فى الجنة كهاتين . وفرق بين إصبعيه : السبابة والوسطى » أى مشيرا بهما فى وضوح . مسند أحمد ٥/ ٢٥٠ .

يتامى ينيرون بيوت الصحابة :

وبعد :

فلا غرابة من قوم صحبوا رسول الله ـ ﷺ ـ فعمر الإيمان قلوبهم ، وملأت الرحمة أفئدتهم أن

---

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٠ .

يفتحوا بيوتهم لليتامى فى عطف وتربية ، وحنان وتعليم وإصلاح وتوجيه ، ولم يجعلوها بيوتا رسمية يقوم على أمرها ذئاب :

فكان « أم سعد بنت الربيع يتيمة فى حجر أبى بكر »[6] وكان لدى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ أيتام لا يتيم واحد :

قال القاسم بن محمد : كانت عائشة تلينى وأخا لى يتيمين فى حجرها ، رواه مالك فى الموطأ .

قال الإمام الباجى ـ عن أخى « القاسم » هذا : لعله يريد : عبد الله بن عمر أخا القاسم بن محمد .

كذلك كانت عائشة تلى بنات أخيها محمد بن أبى بكر ـ ولم يكن شقيقها ؛ فكن فى حجرها ، وكانت ـ رضى الله عنها ـ تعطى أموال هؤلاء اليتامى من يتجر لهم فيها ، وما كان من حَلْىٍ للبنات لا تخرج عنه زكاة[7] .

وكان فى حجر أبى طلحة زيد بن سهل بن الأسود الخزرجى ـ رضى الله عنه ـ يتامى يكفلهم ، وكفلت زوجه أم سليم بنت ملحان بن خالد الخزرجية ـ يتيمة تربت فى حجرها[8] .

وكان أبو محذورة : سَمُرة بن مِعْيَر بن لَوْذان مؤذن البيت الحرام بإجازة من رسول الله ـ ﷺ ـ يكفل يتيما فى حجره[9] .

وكفل أسعد بن زرارة ـ رضى الله عنه ـ سَهْلاً وسهيلا يتيمين كانا فى حجره[10] .

وكفل هَزَّال بن ذئاب بن يزيد الأسلمى ـ ماعز بن مالك الأسلمى يتيما نشأ فى حجره[11] .

هذه قطرات من مورد ثَجٍّ يُعجِزُ حصره ، ولكنه يكشف عن قوم مسهم الإيمان برحمته فاستجابوا لله ـ سبحانه ـ فى أضعف خلقه ، وارقه .

إن اليُتْم فى البيئات الكريمة سبب من أسباب العزة فهو ميدان يتسابق فيه أهل المروة والشرف الرفيع وليس هو كذلك فى البيئات الوضيعة .

وهذا رسول الله ـ ﷺ ـ شاهد صدق على ذلك وقد صار ـ من بعد ـ « رحمة للعالمين » .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء ـ ١٠٧ .

د. على أحمد الخطيب

---

(٦) مسند أبى داود ٢/١١٦ مصطفى الحلبى .

(٧) انظر الموطأ للإمام مالك : زكاة أموال اليتامى والتجارة فيها ، وباب ما لا زكاة فيه من التبر والحلى .

(٨) مسند أحمد ٣/٢٦٠ أسد الغابة ٢/٢٨٩ ـ ٦/١٨١ .

(٩) سنن النسائى ـ باب الأذان ، وابن ماجه ـ الأذان .

(١٠) صحيح البخارى باب هجرة النبى ـ ﷺ ـ .

(١١) انظر سنن أبى داود ٢/٤٥٦ ـ أسد الغابة ٦/٨/٣٩٦ .

قبس من أنوار النبوة

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن انس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ ، ان رجلاً سال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : متى الساعة يارسول الله ؟
قال : ما اعددت لها ؟
قال : ماأعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكنى احب الله ورسوله .
قال : انت مع من احببت ، .. متفق عليه ..
وعن ابى موسى قال : قيل للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ، قال : المرء مع من احب ، ... رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

قيل إن السائل ـ أبوموسى الأشعرى .

وقال ابن حجر : هو ذو الخويصرة اليمانى ـ روى هذا بطرق عدة ، فقد أخرجه الإمام احمد والستة سوى ابن ماجه عن انس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ وأخرجه الشيخان أيضاً عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ .

قال العلائى الحديث مشهور أو متواتر لكثرة طرقه ، وعدَّه السيوطى فى الاحاديث المتواترة .

وسببه كما جاء فى البخارى عن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : كيف تقول فى رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «المرء مع من أحب » [1] .

وجاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فيما

(١) « البيان والتعريف فى اسباب ورود الحديث » جـ ٣ ص ٢٧٤ .

رواه ابن مردويه - أن رجلاً أتى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : يارسول الله إنى لأحبك حتى إنى لأذكرك فى المنزل فيشق ذلك علىّ وأحب أن أكون معك فى الدرجة ، فلم يرد عليه النبى - صلى الله عليه وسلم - شيئاً ، فأنزل - عز وجل - : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا . ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ « النساء ٦٩ - ٧٠ » ، والحب الذى يعنيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - : إنما يكون بطاعة الله وامتثال أوامره ، والعمل بكتابه لما أفاضه على خلقه من النعماء فهو خالق الإنسان ورازقه ، ومسخر كل شىء له فى الأرض والسموات ، فمن حقه تعالى أن تمتلىء القلوب محبة له ، وشكراً لنعمائه ، وكذلك حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما يكون باتباع هديه والعمل بسنته ، لأن الله - عز وجل - أحبه واجتباه واصطفاه وبعثه رحمة للعالمين :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ « آل عمران ٣١ » .

جاء فى صحيح مسلم « عن ربيعة بن كعب الأسلمى أنه قال : كنت أبيت عند النبى - صلى الله عليه وسلم - « فأتيته بوضوءه وحاجته فقال لى: - سل - فقلت:يارسول الله ، أسألك مرافقتك فى الجنة فقال : أو غير ذلك ؟ قلت هو ذاك ، قال : فأعنى على نفسك بكثرة السجود » .

هذا هو الحب الصحيح الذى يتجلى فى الاقتداء والاهتداء ، تأسياً واتباعاً ، وليس الحب عاطفة تشتعل جذوتها ثم تخبو حرارتها ، وليس همهمة ولا صراخاً ولا صياحاً ، ولا تظاهراً بصلاح زائف أو بمسكنة مصطنعة ، أو بتماوت يحط من قدر المسلم ويهوى بمكانته .

إن التمسك بما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمراً ، ونهياً وطريقة،سبيل حب الله جل وعلا لعبده - كما روى البخارى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : أن الله - عز وجل - يقول : **(ومايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به . ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها . ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه)** .

إن علامة الحب الخالص لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - أن تسود المحبة بين الناس فى الله ولله .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » .. (رواه مسلم) ..

وقال يحيى بن معاذ : « علامة الحب فى الله الا يزيد بالبر ولا ينقص بالهجر ، كما أن المحب الذى يحب لله ويبغض لله ، ويعطى لله ويمنع لله فقد استكمل الإيمان » ... [رواه أبوداود] ..

روى الطبرانى عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :« ليبعثن الله أقواما يوم القيامة وفى

المرء مع من أحب

وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، قال : فجثا أعرابى على ركبتيه فقال يارسول الله : جلِّهم لنا نعرفهم . قال : المتحابون فى الله من قبائل وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه » .

إن التزاور بين المسلمين لتقوية الروابط الدينية والصلات الإسلامية ومع إرادة التقرب إلى الله وطلب رضاه من أجلّ الأعمال التى تقرب العبد من خالقه ..

روى مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « أن رجلاً زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ـ طريقه ـ ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاً لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ـ تنميها ـ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله ، قال : فإنى رسول الله إليك ، إن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

وإذا أحب الله عبداً اشاد بذكره أهل السماء ووضع له القبول فى الأرض ، فقد روى فى الحديث الذى اتفق على صحته البخارى ومسلم: « إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادى فى أهل السماء ، إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض » .

ومما يبرهن على الإيمان الكامل واليقين الصادق حب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

روى البخارى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

نسأل الله أن يجعلنا ممن يتبعون منهج رسول الله الذين يعملون بكتاب ربهم ، ويهتدون بهدى نبيهم ، ويتمسكون بسنته حتى نسعد بمعيته حيث يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

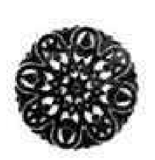

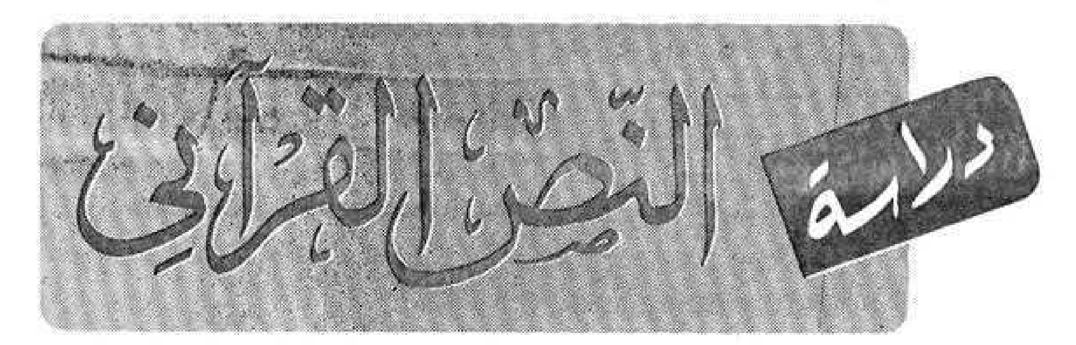

على الطريقة اليسارية

نقد كتاب «مفهوم النص»

بقلم الدكتور/ محمد فايد هيكل

تذكرت قصيدة العقاد القصيرة الساخرة « اشتراكى يعلل الربيع » حينما كنت اقرأ كتاب الدكتور / نصر حامد ابو زيد « مفهوم النص ـ دراسة فى علوم القرآن » ففى هذه القصيدة يتخيل الشاعر حوارا بين «رفيقين»من الحزب الشيوعى يظهر احدهما إعجابه بجمال الربيع ، فينكر الرفيق الآخر عليه هذا الإعجاب ، ويلعن الربيع ، ويستثقله ، لانه صنيعة للاغنياء ، وهو « مكيدة راسمالية » دبرها هؤلاء الاغنياء اللئام برشوة دفنوها فى جوف الارض حتى باتت إليهم تميل ، فهى تخرج لهم هذا الربيع بازهاره ورياحينه كما تخرج الذهب والفضة وتحبوهم بهما ، فالأرض والشمس والناس والدعاة العدول لهم ضمائر سوء مريضة ، وطباع وبيلة ، ومادام « ماركس » هو الذى افتى بذلك فمن المستحيل نقض فتواه !

وكتاب الدكتور نصر حامد ابوزيد كان يثير فى نفسى هذا الشعور الساخر كلما انتهيت من قراءة فصل من فصوله ، إذ أن هذا الكاتب قد تملكته فكرة مذهبية مادية ، صبغت كل أحكامه بصبغتها وأنتجت له نتائجه ، فلم يقو على أن يحرر نفسه من أغلالها ، فى أى فصل من فصول كتابه ، فحيل بينه وبين الحكم الموضوعى ، بل حيل بينه وبين تحقيق أى من هدفيه اللذين أعلن أنه يبغى تحقيقهما وهما :ـ

- ● إعادة ربط النص القرآنى بالدراسات الأدبية والنقدية !!
- ● وتحديد مفهوم موضوعى للإسلام (هكذا يقول)!!

ولقد ذهب تحت تأثير (الفكر المادى) يقول فى « الوحى القرآنى » بغير دليل ويرمى علماء الدين

● الكاتب : مدرس الادب والنقد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة ـ جامعة الأزهر .

القدامى والمحدثين بالتآمر على الفكر ، والتبعية للسلطة ومحاباة الطبقات الغنية ، والتحالف مع الأنظمة العربية الرجعية المتحالفة هى الأخرى مع « الامبرياليين » أعداء الإسلام والمسلمين !!

وقد اكثر من اصطناع المصطلحات الموهمة بالروح العلمية مثل « آليات النص » و « العلاقة الجدلية بين النص والواقع » أو بين « النص والثقافة » ، وأتى بالرسوم البيانية والمنحنيات الصاعدة والهابطة يسجل على جوانبها الآيات القرآنية ، ودرجات الدلالات المعنوية كأنما يريد أن ينزل القرآن الكريم عن عرش قداسته ليطبق عليه ما اعتاد فئة من المحللين المحدثين للنصوص أن يطبقوه على كلام البشر ، ويُجرى عليه ما يجرونه على غيره ، وأنى له أن يبلغ مبتغاه ؟!

فإذا ذهبت تطلب المحتوى العلمى لهذه المصطلحات والرسوم والمنحنيات وجدت اختلالا بينا فى المنهج ، ولم تحصل إلا على دعاوى رددها من قبل مستشرقون وماديون غير أن المؤلف العلامة جمعها جميعا ، وحملها فى « خُرْج » واحد ، هو كتابه هذا ، يوهم القراء انه ابتكر الجديد ولا جديد ، وإنما هو يأتسى بأقاويل قيلت من زمان قبله .

ولكيلا أعيد وأزيد فى إبطال ما سبق أن ابطل ، كتفسيره للنبوة اعتمادا على مفهوم الخيال وأنها - بنص تعبيره - ليست ظاهرة فوقية مفارقة ، وإنما هى « تجربة خاصة » (وحالة من حالات الفاعلية الخلاقة) أو طنطنته بـ (عروبة الدين الإسلامى) بقصد نفى عالميته وشموله ، لكيلا أعيد وأزيد فى إبطال هذه الأقاويل التى فندها العلماء والمفكرون من قبل ، فإن نقدى هنا ينصب على خطاياه فى المنهج ، وأما العودة إلى تفنيد الأقاويل السابقة وأمثالها ، فتحصيل حاصل ، وجهد لافضل فيه .

وهذه هى خطاياه المنهجية اكشفها له ، وأنبه القراء إليها واحدة بعد أخرى :

أولها : البناء على غير أساس :

إن هذا الكاتب يَعُدُّ الآراء والاجتهادات الخاصة ببعض المفكرين حقائق قطعية ، فيبنى عليها أحكامه كأنما هى قد سلمت تسليما ، والانموذج الواضح لتلك النقيصة المنهجية اعتماده على اجتهاد ابن خلدون فى تفسير الوحى والنبوة فأما ابن خلدون فهو مفكر رائد لا شك فى ذلك .. وأما آراؤه واجتهاداته فهى ليست ملزمة ، بخاصة إذا كانت متعلقة بظاهرة فريدة ليست من الوقائع الشائعة ، فهو لم ير نبيا فى عهده ، ونحن لم نر أنبياء صدق فى عهودنا .. والنبوة فى حد ذاتها - كما قلت - ظاهرة فريدة لاتقاس عليها الأشباه والنظائر ، فهى لاتقع تحت دائرة التجريب والاختبار ، ولم يذهب الباحثون النفسانيون بأسئلة استبانات « لعدد من الأنبياء » ثم حصروا الإجابات المتشابهة فكونوا منها (فكرة) أو اقروا (ظاهرة) ، وتفسير ابن خلدون ليس إلا ظنا ، فكيف نقتنع به ونبنى عليه ؟! ولكن الكاتب حسب انه وجد فى ذلك الاجتهاد غنيمته ، وطلبته المفقودة فتمسك به دون تمحيص ، وتعلق به دون أن يختبر متانته ، ثم قفز قفزة هائلة إلى القول « بالخيال والمخيلة » ، وجعل من القول « بالانسلاخ » أو « الانخلاع » من الحالة البشرية إلى الحالة الملائكية التى يتهيأ بها النبى لتلقى الوحى ممهدا للادعاء بأن الوحى « ليس ظاهرة فوقية مفارقة » وإنما هو « تجربة خاصة » وحالة « من حالات الفاعلية الخلاقة » ؟

ولهذا القول نتيجته وهى إمكان تكرار ظاهرة النبوة فما المانع من ظهور انبياء فى عصورنا تحدث لهم هذه الحالات الفاعلية الخلاقة ؟ ! ولكنه لم يصرح بهذه النتيجة . وقد وقع الكاتب فى التناقض دون أن يدرى ، لانه نسى انه ميز قبل ذلك بين حالة وحى القرآن ، وحالة وحى السنة فكيف يعود إلى القول بانه تمييز بين مرحلتين لابين حالتين ؟

فهل كان وحى القرآن مرحلة ، ووحى السنة مرحلة أخرى ؟!

ثانيها : ـ فقدان الصلة بين الهدف والبحث :

أعلن الكاتب فى الجانب الخلفى من غلاف كتابه وفى صفحة «٢١» أن **هدفه الأول هو إعادة ربط الدراسات القرآنية بمجال الدراسات الأدبية والنقدية بعد أن انفصلت عنها .**

ولست ـ أولا ـ أقره على أن الدراسات القرآنية قد انفصلت لحظة واحدة عن الدراسات الأدبية والنقدية ، سواء فى الوعى القديم أو فى الوعى الحديث ، فالدارس أو الباحث فى القرآن وعلومه ، أو المفسر ، أو الفقيه المجتهد أو الأصولى لايتأتى لأحد منهم الإقدام على مجال بحثه إلا إذا استوفى شروطا عدة ، أولها :

الإحاطة باللغة ولا أعنى الإحاطة المعجمية فحسب بل الإحاطة الذوقية الأدبية ، ليعرف طرائق الاستعمال وما جرى على الألفاظ من انتقال فى الدلالات ، وثراء أو نقص فى الإيحاءات قبل أن يرد المجال القرآنى بآفاقه وثرائه الإبداعى كما أن الدراسات الأدبية والنقدية لاتزال تثرى بالبحوث المتميزة عن جوانب الإعجاز القرآنى ، فى البناء والأساليب والتراكيب وغيرها من الجوانب التى تغذى الفن الأدبى .

ولست ـ ثانيا ـ أرى فى كتابه أدنى تحقيق لهذا الهدف ، فقد استغرقته الموضوعات الفقهية والأصولية إلى جانب موضوعات علوم القرآن كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، والمكى والمدنى وشغل بمناقشة العلماء ، ولم يسع إلى تحقيق هدفه عن طريق دراسة النص نفسه دراسة أدبية ذوقية ، وقد كان هذا ماحسبت أننى سوف أعثر عليه فى كتابه قبل قراءته ، ولكن خاب ظنى !!

صحيح أنه تعرض لموضوعات تتصل بالنواحى الأدبية والنقدية كموضوع الإعجاز والتناسب بين الآيات والسور ، ولكنه تعرض لها من الناحية الفكرية والجدل الذهنى المجرد وكان التطبيق عرضيا ، ومحدودا ، وقصيرا مثل تحليل الآيات الأولى من سورتى « العلق » و « المدثر » ، وتحديد المكى والمدنى عن طريق خصائص الأسلوب ، أو تحديد بعض الظواهر التى تميز بها النص القرآنى مثل فواصل الآيات والحروف (المقطعة) فى أوائل كثير من السور القرآنية ، ولكنه فى كل ذلك مسبوق ، ولم يُعِدْ ربط شىء كان منفصلا .

ثالثها : التعميم والتعمية :

هذا الكاتب يلقى الأحكام والاتهامات فى كل ناحية بغير تفصيل مبين ، ويرجم بالغيب دون تحديد ، بل يجمع ألوانا من الموضوعات المتباينة فى جعبة واحدة حتى يَشَلَّ قدرة القارىء على التحليل ، ويربك فكره فيستسلم لأحكامه ، أو اتهاماته التى يقذف بها متوالية ، فهو فى صفحة واحدة ، يعرض للإسلام والعلمانية والإعلام الرسمى الدينى ، وموقف علماء الدين من الصلح مع إسرائيل ، ووضع القدس وحديث الذبابة ، وحديث توفيق الحكيم إلى الله ، أو معه ، والاشتراكية والانفتاح الاقتصادى ، وتأييد علماء الدين لما يصفه فى (تعمية) بأنه أكثر الأنظمة العربية رجعية وتحالفا ، مع أعداء الإسلام والمسلمين ، ولا يفوته أن يتعرض فى هامش الصفحة نفسها لشركات الاستثمار وتوظيف الأموال . والرد عليه فى كل منها يقتضى تحليلا هادئا ، فهل يليق ببحث علمى أن يقع فى مثل هذه الخطابية والتعميم الضبابى ، ومحاولات الإثارة والرجم فى كل اتجاه ؟!

هل يليق هذا «التهويش» بكتاب علمى تصدره الهيئة المصرية العامة للكتاب ؟!

رابعها : المغالطة وخداع القارىء :

يعمد الكاتب إلى (المغالطة أو الخداع) الذى يشبه خداع الحواة أو « خفة اليد » لدس فكره إلى نفس القارىء ففى مطلع الباب الثالث ، وعلى

طوال فصوله ، يخبرنا فى أسف أن « حركة الوحى التى كانت تتصور نازلة من الله إلى الإنسان ، قد تحولت فى الفكر الدينى المتأخر إلى حركة صعود من جانب الإنسان سعيا إلى الله ذاته » ، وأن الصوفية والأشاعرة وعلى رأسهم أبو حامد الغزالى قد قلبوا أو « حولوا مفهوم النص وغايته من الاتجاه نحو الإنسان إلى الاتجاه نحو الله والآخرة » ، وأن ذلك كان « مـرتبطـا بصراع القـوى الاقتصـاديـة والاجتماعية » فالغزالى كان عالم السلطة ، « ومشروعه الذى قدمه كان يهدف إلى تقديم الأدوات التعويضية لأهل الآخرة ولعـوام المسلمين » !

والإيهام واضح ، فهو يلبس على القارىء حتى لايدرك ضرورة اختلاف الاتجاه بين حركة الوحى التى هى نداء وتوجيه ، وحركة الفعل الإنسانى التى هى استجابة للنداء وطاعة للتوجيه .. فهل الغزالى أو الصوفية أو الأشاعرة أو السلفيون هم الذين دعوا الناس إلى الإقبال على الله وطلب الآخرة وكان النص قبلهم يدعو إلى الدنيا والاستزادة منها؟!

أليس فى النص القرآنى قوله تعالى ﴿ رِجَالٌ لَّاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ النور «٣٧» .

أليس فى النص القرآنى قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ فاطر «١٠» .

أليس فى النص القرآنى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ الشورى «٢٠»

أما كان أولى بالباحث أن يكون على علم بمحتوى النص نفسه قبل أن يبدأ الكلام عنه أو يتصدى لمجادلة العلماء المتخصصين فيه ؟

خامسها :ـ البعد عن الدقة فى إرجاع الأفكار إلى مصادرها :

فى حديث المؤلف عن شخصية النبى ﷺ يردد « إن الفكر الدينى السائد قديما وحديثا شاء أن يحوله من طبيعته الواقعية الاجتماعية إلى حقيقة مثالية ذهنية مفارقة للواقع والتاريخ .. حقيقة لها وجود سابق على وجودها الإنسانى العيانى المادى ، وأن هذا الفكر شاء فى أشد مزاعمه إنسانية أن يجعل منه إنسانا مغمض العينين ، معزولا عن المجتمع والواقع يعيش هموما مفارقة مثالية ذهنية حتى حوله هذا الفكر إلى إنسان خال من كل الشروط الإنسانية » !!

وهذا افتئات على الفكر الإسلامى !! فهل جهل الكاتب أن هذا الفكر هو الذى يدعو دائما بما دعا إليه النص القرآنى من أن الرسول صلوات الله عليه (أسوة حسنة)؟

ألم يضرب العلماء ـ سواء على مستوى الدراسة المتخصصة أم على مستوى الوعظ العام ـ الأمثلة الهادية من أخلاقه ومواقف حياته ؟ فكيف يفعلون ذلك وهم يعزلونه عن الواقع والمجتمع ويسلبونه كل شروط الإنسانية ؟

متى وأين فعل المفكرون الإسلاميون ذلك ؟

العجيب أنه لا يقول : إن طائفة ما من طوائف المسلمين غلت هذا الغلو ، ولكنه ينسبه إلى الفكر الإسلامى السائد !!

الفكر الإسلامى السائد أيها الكاتب يوقن أن النبى ليس ملكا ، وإنما هو بشر لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ الانعام (٩) .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ الكهف (١١٠) .

والفكر الإسلامى السائد لاينسى مع هذا الإيمان ببشرية صاحب الرسالة صلوات الله عليه أنه متميز فى إنسانيته وأن الله قد اصطفاه وهيأه ..

والفكر الإسلامى السائد هو الذى يتحدث علماؤه ووعاظه عن شخصية الرسول ﷺ قبل الرسالة ورعيه للغنم ، وتجارته الناجحة فى مال خديجة ، ومشاركته لقومه فى أحلافهم ومشاكلهم .

أما إذا كانت طائفة من طوائف العوام قد بالغت وغالت فمعتقداتها ليست هى الفكر الإسلامى السائد .

مابالك أيها الكاتب تتحدث عما يسود بين المسلمين من فكر كأنك من بلد غريب ؟ .

إنك أيها الكاتب إذ تصدر فى بحثك عن مذهب فكرى ينكر التفاوت بين مستويات البشر أصلا ، فإنك تعمد إلى أن تخلط بين الأمرين ، وتحاسب المفكرين بغلو بعض العوام ، فهل أنت لاتعترف بأن هناك فرقا بين عامة وعلماء فى الفكر الدينى ، ولا تقدر شعور القداسة .

إن الرجل الذى يصطفيه الله للهداية الدينية وقيادة البشرية من البدهى أن يكون متميزا بقوى خاصة ، وقدرات نفسية ، وصفات خلقية تعلو به على سائر الناس .

سادسها : التحيز المذهبى :

هذا هو آفة الآفات ، ومصدر كل العيوب المنهجية التى تناولناها والأخطاء الفكرية التى لم نتناولها ، **هذا هو** خطيئة الخطايا .

ولست بحاجة إلى جهد شاق ، ولا أى قارىء لكتابه بحاجة إلى هذا الجهد ليدرك أن المذهب الذى يتحيز له الكاتب هو (المادية الجدلية) بأوهامها ، تلك التى أخذ الناس فى مشارق الأرض ومغاربها ممن آمنوا بها يفيقون من غشاوتها عدا بعض فلولها من أشباه المفكرين عندنا الذين يقبعون فى (اليسار) ، وأهل اليسار يتجهون إلى (اليمين) .

لقد تسلطت المادية الجدلية الماركسية على أفكار الكاتب فجعلته يرى :

النص القرآنى حالة جدل مع الثقافة يتشكل بها ويشكلها !!، لأن الماركسية تؤمن بالديالكتيك أو « الجدل » الذى أخذته عن «هيجل » وحرفته إلى جدل طبقى !!

والكهانة هى الأساس الوجودى لظاهرة النبوة والماركسية وافقت فى ذلك « أوجست كونت » إمام المذهب الوضعى .

وعلماء الدين هم صنائع السلطة فى كل عصر وأوان !!

والقول بأن القرآن مسجل فى اللوح المحفوظ إفراط فى التقديس ، ووهم خرج بالقرآن عن واقعيته !!

والمتلقى الأول للنص ليس إلا رجلا عاديا لاتميز له ، لأن المادية الجدلية لا تؤمن بالتميز الفردى .

وعلماء الدين « الطبقيون » صنائع السلطة هم الذين أضفوا على« محمد » [صلى الله عليه وسلم] جو القداسة وعزلوه عن الواقع الإنسانى !!

والدعوة إلى الاتجاه بالأعمال إلى الله وطلب الآخرة تخدير للطبقات الفقيرة المضطهدة وتعويض لها عما حرمته فى الحياة الدنيا بسبب الوضع الطبقى المتسلط للحكام والأغنياء ، وتأجيل للحل والخلاص إلى مابعد الموت !!

والقول باختلاف مستويات فهم النص بحسب اختلاف العقول ودرجات الاستعداد الإدراكى دعوة للطبقية ومحافظة على النسق الاجتماعى القائم !!

وهكذا أَطْبَقَ المذهب المادى الجدلى الماركسى بأغلاله وغشاواته على فكر الكاتب حتى خنقه خنقا ، وحال بينه وبين الرؤية الجلية ، والحكم الصحيح ولهذا كنت أتذكر قصيدة العقاد الساخرة ، كلما قرأت فصلا من فصول هذا الكتاب .

لفضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

قضى الله على المسلمين ان يخضعوا لنفوذ اجنبى ـ بما يقارب قرنين من الزمان حتى الآن .

وكان هذا النفوذ الأجنبي على اختلاف مشاربه ، ومذاهبه حريصاً على تغيير العقلية الإسلامية ، وتبديل مصادر ثقافتها ، وتحوير انماط سلوكها ، وتعديل مواقف الصلابة والرباط فيها .

وبدأ التغيير في نظام التعليم ، ومناهجه ، وقضاياه ، لتنشأ اجيال إسلامية جديدة ، لا تعرف لقومها خصيصة ، ولا تمسك لذاتها قواماً ، ولا تمانع في نظام ـ مالى او اجتماعى ـ يراد لها أن تحكيه او تسير عليه .

واتخذت دول السيادة على البلاد الإسلامية في القرن الماضي طرائق اخرى عديدة إلى غايتها .

فاحدثت نحلا مختلفة ، تقوم بمهمة الإفساد والتحريف في الدين ، من مثل : نحلة « البهائية » ، و« القاديانية » ، ووليدتها « الاحمدية » ، ثم ايدت مذاهب اخرى طريدة ، نبذها المسلمون ، وانصرفوا عنها منذ عهد بعيد .

ونشطت هذه النحل والمذاهب تبث سمومها ، وتفسد العقائد الإسلامية ، وتعرض الفقه الإسلامي على ما يهوى اصحاب السيادة .

واتجهت هذه الفرق بإفكها وباطلها إلى أطراف المجتمع المسلم : بالهند ، وأفريقيا ، وبلاد أوروبا ، وأمريكا الشمالية ، وشىء من جزر البحر الكاريبى .

ثم حاولت هذه الفئات « مستظلة بأسماء وشعارات مختلفة » ـ أن تتسلل إلى قلب العالم الإسلامى فلم تفلح ـ والفضل لله ، والمنة له وحده ـ بيد أن السياسة الغربية ، ومناهج التعليم الغربى ، ونظريات الفلسفة الغربية في القرن التاسع عشر ، كل هذا كان له أثره بين المسلمين .

فنشأت حركات فكرية وعملية تواكب هذه

الفلسفات ، أو تجانبها : البعض مفتون معجب بالجديد الغريب ، والبعض الآخر ثابت متزن .

وكان هذا الأثر واضحاً بصفة خاصة فى بلاد الهند ، وفى مصر .

ففى الهند نشأت جامعة مدنية فى « عليكرة » تحتذى النمط الغربى فى مناهجها ودراساتها .

وكان هذا على يد السيد / أحمد خان « ١٨١٧ - ١٨٩٨ م » وكان هذا العمل - فى ذاته - عملا محمودا له ، لولا أن السيد / أحمد خان تقدم قومه بوصفه موقظا ، منشئا ، يجرهم إلى التغريب ، منكرا لتراثه الإسلامى ، وزاد فى الخطو فجعل من نفسه مجتهدا مجددا فى الدين : يفسر النصوص الإسلامية ، ويعرض الأحكام على ما يرضى الحداثة ، ويتفق مع النظم الغربية .

وتبعه فى هذا المسار « سيد أمير على » صاحب كتاب : « روح الإسلام » الصادر سنة ١٨٩١ م .

وهو كتاب خطير ينقض الأصول ، ومناهج الأدلة الشرعية ، وينفى الإجماع ، ويستشهد بالنصوص ، والوقائع على غير مؤداها ، ويرفع شعار الاجتهاد ليبتدع فى الأحكام ، ويستبيح ما يجرى لدى الملل الأخرى من طرائق وفنون .

وكان أن ذاعت هذه الآراء - التحررية على حد زعمهم - ونشأ بالهند تيار يجتهد لإحداث تغييرات اجتماعية بين المسلمين ، ويتمرد على ما استقر عليه الرأى من الأحكام .

وكان رد الفعل لهذا التيار أن نشطت مجموعات من الفقهاء ذوى البصر ، والعلم بالدين ، ومن رجال الحديث ، ومن الصوفية المجاهدين ، لتثبيت المسلمين وتقويتهم فى دينهم .

واشتهر من هؤلاء الفقهاء فى « دلهى » الشيخ أحمد بن عبد الرحيم صاحب كتاب « حجة الله البالغة » الشهير بولى الله الفاروقى الدهلوى المتوفى سنة ١١٧٦ هـ .

وجاء من بعده ابنه الشاه عبد العزيز ، ثم ابن أخيه الشاه إسماعيل ، ثم تلاميذهم من بعدهم من شيوخ مدرسة (ديوبند) وشيوخ (ندوة علماء الهند) .

وقد امسك هؤلاء بزمام الرأى الفقهى ، وحفظوا التراث الإسلامى الأصيل ، ولا يزال المسلمون بالهند وباكستان يولونهم الثقة والتقديم .

وفى مصر قاد الإمام محمد عبده . (١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) حركة اليقظة الفقهية ، متأثرا بحيوية استاذه السيد / جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩ - ١٨٩٧ م) ونشاطه لنهضة الفكر الإسلامى ومواجهة المستعمر - على اساس من الجامعة الإسلامية ، وإصلاح النظم السياسية[1] .

ولقد كان للإمام محمد عبده نظراته العقلية فى الرأى والفتوى - بما يشبه « الاستحسان » - وكان لا يتقيد بمذهب فقهى - على خلاف ما كان عليه معاصروه من الفقهاء - .

لكنه مع هذا لم يكن يتعدى - فى رأيه وفتواه - أصلاً من الأصول الإسلامية ، بل ولقد كانت له نزعة صوفية كامنة ، تظهر آثارها فى آرائه حين يتصدى للدفاع عن الإسلام .

ومن هنا فقد اختلف أصحابه إلى منحيين : أحدهما : يدافع عن الإسلام - على منهج

---

(١) يراجع فى هذا الموضوع كتاب : « تاريخ البشرية » المجلد السادس - التطور العلمى والثقافى - إعداد اللجنة الدولية - بإشراف منظمة اليونسكو - الهيئة المصرية للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ صفحة ٢٢٨ - ٢٣١ - .

التغييـــر ..والاجتهـــاد

أستاذه ـ مع الثبات على مذهب سلفى ، والميل إلى الأخذ بظواهر النصوص الشرعية غالباً ، ويأتى على رأس هؤلاء الشيخ محمد رشيد رضا ـ صـاحب المنار ـ « ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ م » ، وأصحاب المنحى الآخر : اتجهوا للدفاع عن الإسلام ببيان أن أحكامه تفى بمتطلبات الحضارة والعصر ـ اختياراً من آراء المذاهب الإسلامية دون تفريق بينها .

ومن رجالات هذا المنحى عدد من شيوخ الأزهر وعلمائه ، ولا تزال لهذه المدرسة آثارها الباقية حتى اليوم .

لقد كان من المنطقى أن يعمد الغرب إلى تغيير المفاهيم ، وتنحية المواريث للشعوب الإسلامية : فى العادات ، والمعتقدات ، وان يتخذ الأجنبى من هذا سبيلاً لتذليل العقبات ، فى سياسة هذه الشعوب .

ولم يكن الغربيون يفصحون عن خطتهم ، لكن قوماً من كتابهم كشفوا عن هذه النوايا والأهداف .

ومن ذلك ماكتبه : سيرج لاتوسن الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة ليل الفرنسية ، فيما نقله عنه الدكتور مصطفى محمود فى مقال له عن الغزو الثقافى .[٢]

قال الأستاذ سيرج لاتوسن : « إن عصر الفاتحين العسكريين ، وعصر الامبراطوريات التى كانت تتألق فيها قيادات كبرى ثم تنطفىء وتغيب ـ هذا العصر انتهى .... وهذه المرة سوف يسيطر الغرب على الكرة الأرضية إلى الأبد .. والاحتلال الثقافى للعقول سيكون احتلالاً باقياً إلى قيام الساعة .

وإذا كانت أول حرب صليبية قد قام بها القديس بونيفاس فيما بين « ٦٨٠ ـ ٧٥٤ ميلادية » لتنصير السكسون ... ومن بعدها جاءت الجيوش الأوروبية إلى القدس ، فإن نفس الحرب مازالت مستمرة إلى الآن .. ولكن تحت شعارات حضارية مقبولة ، وتحت غطاء مشروعات للتنمية ، وقروض ومنح ، وبعثات مجانية .

ولكن يظل الهدف واحداً وهو طمس الهوية ، ومحو الأعراف ، والتقاليد المحلية ، وتذويب البنية العقلية السلوكية » ... أ هـ .

لقد كانت محاولات الغرب لتذويب البنية الثقافية للمسلمين ـ وتغيير أنماط السلوك ، وطمس الهوية ، ومحو الأعراف ، والتقاليد للمجتمع الإسلامى ـ ترتدى صوراً حضارية ، عن طريق الفن والثقافة ، والتعليم ، وتستظل بشعارات براقة ، مثل شعارات الحريـة ، والنهضة ، والتنمية .. وما إليها .

ولقد خدع كثير من الفقهاء المسلمين بهذا الرُّواء ، وهذه اللافتات فسارعوا إلى شارد الـرأى ، وباطـل القول بـدعوى التجـديد والاجتهاد ، وكان هذا من آثار التيار الغربى .

ثم لم يلبث العالم أن فوجىء بتيار أوروبى شرقى جديد ، يعاكس ما سبقه ، فيلغى كيان الفرد ، يرى أن رعاية حقه فى الحرية والعمل ، والمِلْك ، صورة من صور الفوضى الاجتماعية .

ويزعم أن الأصل هو رعاية حق الجماعة ، والتضحية بحقوق الأفراد من أجلها ، وأن من العدل أن يمسك المهيمنون على الجماعة بأقوات الناس ، ومصادر أرزاقهم .

(٢) مقال الدكتور مصطفى محمود ـ نشرته صحيفة الأهرام ـ القاهرية ـ فى ١٩٩١/٧/٢٠ م .

ويقسم الناس إلى طبقات متباينة ، يرفع بعضها على بعض سُلْطَةً وقهراً ، ويوقد نيران العداوة والبغضاء بينها ، ويذكى جذوة الصراع بين هذه الطبقات بقوانين ليس لها من العدل نصيب .

ولقد تسلل هذا التيار بخبثه ، وجرائره إلى مواقع عديدة بالمجتمع الإسلامى واتخذ سبيل العنف والقهر والقسوة طريقاً لإقرار مبادئه بين جنبات هذا المجتمع .

ومع هذا فقد رأى أن توطين هذه المبادىء يحتاج إلى إجراء تغييرات عميقة شاملة تصل إلى وجدان الناس ، وتستبطن مشاعرهم .

وكان حتماً لديه إجراء التغيير فى التعليم والثقافة ، وأنماط السلوك والتقاليد ، والأعراف ، والعقائد ، ونظام الأسرة ، والأزياء .

وكان حظ الأحكام الإسلامية من بلاء التغيير حظاً وافراً يأتى على قدر مكانة الإسلام فى مجتمعه .

فقد طلب من هذا الدين أن يغير مبادئه ، ويترك أصوله ، ويفسح المجال لهذه المنكرات الوافدة لتكون من مقرراته وأحكامه .

لكن الجمهرة من علماء المسلمين ـ والحمد لله ـ ظلوا أمناء على دينهم ، فلم يبرحوا الأصول الإسلامية ، ولم يجاوزوها لشىء مما طلب منهم .

وكان من السهل على قادة التغيير أن ينشئوا طبقة من الناس تسارع إلى القول فى الدين بغير علم ، وتزعم أنها تجرى على أصل من أصول الاجتهاد .

ويجاهر هؤلاء بأنهم وفقهاء الإسلام سواء ، ماداموا من المفكرين أو الكتاب ، « والإسلام لا يعرف نظام الكهنوت .. !! » .

ولقد شاعت مقولات هؤلاء ، ووجدت من يربط بينها وبين النصوص الشرعية ظلماً ، وكرهاً .

ولقد قرأنا فى صحيفة (الأهرام) فى ١٩٩١/٧/١٧ ، مقالاً لأستاذ كبير من أساتذة الاقتصاد فى مصر يجتهد فى الدين ويشرح وجهة النظر الإسلامية فى توزيع الثروة . جاء فيه : « إنما أكتفى هنا بإبراز وجهة النظر الإسلامية بخصوصها ... الإسلام يجعل للفقير فرداً كان أم دولة حقاً فى كل مال أو ثروة ... ولأن المال أصلاً هو مال الله ، والبشر : أفراداً كانوا أم دولاً مستخلفون عليه ومسئولون عنه أمام الله ، فإن يدهم على هذا المال أو الثروة هى يد أمانة ، وملكيتهم لها مجرد وظيفة شرعية .

ومن ثم أوجب الله تعالى على كل فرد غنى ، أو كل دولة غنية التزامات معينة ، تتمثل فى تقديم ما يزيد على حاجة الفرد الغنى ، أو الدولة الغنية إلى الدولة المحتاجة « ...... !!! » ، وذلك دون حدود سوى ما يسد أو يكفى احتياجات هذا الفرد الفقير ، أو تلك الدولة المحتاجة .....!!!! على أن يبدأ بالأقرب فالأقرب ، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ (٣) .

والعفو هنا هو كل ما زاد على الحاجة .. (٤) ..

« إن الإسلام لا يسمح بالثروة والاغتناء إلا بعد توفير حد الكفاية لكل فرد ، أى المستوى اللائق للمعيشة ، وليس مجرد « حد الكفاف » ، أى المستوى الأدنى للمعيشة ، وبعبارة أخرى : إن الإسلام لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر والحرمان ، وإنما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد إزالة الفقر والقضاء على الحرمان » .. أ هـ (٥)

هذا شىء من مقولات الكتاب ، وهى مقولات خطأ ، تبرأ منها أحكام الإسلام ، وقد آن لها أن

---

(٣) الآية رقم ٢١٩ من سورة البقرة .
(٤) العمود الرابع من المقال صفحة ١١
(٥) العمود السادس من المقال .

تنكشف عن المجتمع المسلم ، وإلا تتمسح بالشريعة الإسلامية .

ولسنا الآن بسبيل بيان وجه الخطأ فى الاستدلال ، الوارد بالمقال ، ولكننا نلفت النظر إلى مقدار الخطر فى إقدام رجال الاقتصاد على الاجتهاد فى الدين أخذاً من النصوص مباشرة ، وهى مرتبة لا ينالها إلا كبار الأئمة الذين توافرت لهم وسائل الفقه بالأحكام وأحاطوا بالنصوص الشرعية ، وعرفوا مقاصدها .

والحق أننا فى محنة : فإن كل كاتب لدينا لا يرى ما يمنعه أن يصدر الرأى اجتهاداً مع المجتهدين ....

وهذه طبيعة عصر اضطربت فيه الموازين ، واختلت الضوابط قصداً إلى تغيير مجتمعنا بتغيير معتقداته وإتلاف القيم فيه .

لقد كان التغيير لحساب هؤلاء .. و هؤلاء .. هو الغاية ، وكان الاجتهاد الكاذب المباح هو المطية .

وهكذا تقع أحكام الإسلام بين ضاغطين : بين التغيير ... والتغيير المضاد ، وكلاهما يرفع شعار « الاجتهاد » ـ المظلوم ـ ..

لقد فشت بيننا هذه المقولات ـ التى أوردها الكاتب فيما نشرته له صحيفة الأهرام .

وجرى ترددها بين الناس حتى ظنها العامة حقيقة شرعية ، وحتى قُرِّرَتْ على الطلاب فى منهاج الدراسة الثانوية ـ ولا إخالها إلا كذلك حتى الآن ـ وهى مخالفة لأحكام الإسلام .

وكان أولى بالحكومات أن تحمى المجتمع وطلاب العلم بصفة خاصة ـ مما يخالف الحقيقة العلمية ، ويفترى على الأحكام .

وأولى بالحكومات أن تجعل الرأى لأهل الرأى كلٌ فى مجاله ، فلا تختل المعايير ، ولا تضيع الحدود .

يقول الشافعى « رحمه الله » : (وليس لِحَاكِمٍ أن يَقْبَلَ ، ولا للوالى أن يَدَع أحداً ، ولا ينبغى للمفتى أن يُفْتِىَ أحداً ـ إلا متى يَجْمَعُ أن يكون عالماً عِلْمَ الكتاب ، وعِلْمَ ناسخه ، ومنسوخه ، وخاصُه ، وعامُه ، وأدبه ، وعالماً بسنن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقاويل أهل العلم : قديماً ، وحديثاً .

وعالماً بلسان العرب ، عاقِلاً ، يُمَيِّزُ بين المُشْتَبِهِ ، ويَعْقِلُ القياس ، فإن عَدِمَ واحداً من هذه الخصال لم يَحِلَّ له أن يقول قياساً ,[6] ، وكذلك لو كان عالماً بالأصول غير عاقلٍ للقياس الذى هو الفرع .

لَمْ يَجُزْ أن يقال لرجل : قِسْ : وهو لا يَعْقِلُ القياس ، وإن كان عاقلاً للقياس ، وهو مضيع لعلم الأصول أو شىء منها .

لم يجز أن يقال له : قس على ما لا تعلم .. أ هـ [7]

قد تجد الحكومات الإسلامية عذراً تعتذر به عن خطأ تقع فيه مخالف للأحكام الشرعية ، لكنها لا تستطيع أن تعتذر عن قبولها لإفساد المعايير ، وتزييف الحقائق لمجتمعها .

وقد آن الأوان : أن تَرُدَّ الأمور إلى نصابها ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[8] .

والله ولى التوفيق

---

(٦) المراد بكلمة « القياس » هنا عند الشافعى : « الاجتهاد » فهو غالباً ما يستعمل اللفظين بمعنى واحد فى باب « الاجتهاد » ، وانظر « الرسالة » بتحقيق الشيخ أحمد شاكر صفحة ٤٧٧ فى باب القياس . وعلى هذا يكون معنى العبارة : « فإن عدم واحداً من هذه الخصال لم يحل له أن يقول اجتهاداً » .

(٧) « الأم » ـ كتاب إبطال الاستحسان ـ جـ ٧ ـ ص ٢٧٤ ـ دار الشعب .

(٨) الآية رقم ٨٣ من سورة النساء .

الاستقرار في الجماعة

حتمية تطبيق

الشريعة الإسلامية

بقلم الأستاذ الدكتور :
محمد شامه

تميل الكائنات الحية - في الغالب الأعم - إلى العيش في تجمعات بنى جنسها ، حيث تحس بالأمن والأمان ، وتشعر بالسكينة والاستقرار . ويتغلب الكائن الحي على خوفه فيطمئن بين أفراد جنسه ، ويسيطر على مصادر القلق على نفسه من المخاطر المحيطة به وسط أفراد نوعه ، فهم يمدونه بالقوة اللازمة لمقاومة عوامل الفناء من حوله ، ومصارعة ما - ومن - يحاول اعتراض طريق حياته ، ولهذا يشعر الفرد بأن وجوده مرتبط بوجود جماعته ، وحياته متوقفة على هيئة وشكل المجتمع الذي هو فرد منه ؛ فإن كان قويا أحس بالزهو والافتخار ، وازداد شعوره بالأمن والاطمئنان ، أما إذا كان مجتمعه ضعيفا سرى الضعف في أوصاله ، وتغلغل الخوف في ثناياه ، وبين ضلوعه وأجفانه .

ولهذا مال كل كائن حي - غريزيا - إلى الدفاع عن جماعته ، حتى ولو أدى ذلك إلى التضحية بحياته ؛ لأنه يدرك أن لا وجود له ، إذا تلاشت هذه الجماعة ، أو وصل ضعفها إلى درجة لا تمكنها من الذود عن حياة الأفراد ، وتأمين الحماية لهم . ومن هنا تنازل الفرد عن بعض ما يحتاج إليه في سبيل تقوية الجماعة ، فخضع لكل ما من شأنه أن يدعمها ، حتى ولو أدى ذلك إلى حرمانه مما هو أساسي في حياته .

وكلما ارتقى الكائن الحي في سلم التطور النوعي ، كلما زاد شعوره بأهمية قوة الجماعة وتماسكها في حياته ، واشتد إحساسه بالانتماء إليها في سلوكه ، وقوى ارتباطه بها في ميوله ، بحيث يصبح الشعور بوجوده غير منفك عن وجود جماعته ، فيمتزج الكل في وحدة يزيدها هذا الشعور تماسكا ، وقوة ، وصلابة ؛ بل إن التطور النوعي يضيف إلى هذا الشعور الغريزي اقتناعا عقليا بأهمية المجتمع وقوته في حياة الفرد .

ومما لا شك فيه أن العقل يؤدي دورا كبيرا وهاما في إقناع الفرد بالرضوخ لقانون الحياة الجماعية ، ويهيئه نفسيا لتقبل ما يتعارف عليه

حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية

المجموع من قوانين وإجراءات ، حتى ولو أدى ذلك إلى التنازل عن بعض حرياته ، وترك بعض ما تميل إليه نفسه للاستمتاع بملذات الحياة وطيباتها .

تعزيز أهمية الجماعة

ولا يوجد نوع وصل فى رقيه العقلى ، وتطوره الفكرى درجة تمكنه من إدراك ما للجماعة من أهمية فى حياة الفرد ، مثل ما وصل إليه الإنسان ، فقد استطاع بعقله أن يميز بين إيجابيات الحياة الجماعية ، وسلبيات الحياة الفردية ، فآمن بوجود الجماعة ، بل عمل على تقويتها وتعزيزها بسلسلة من الإجراءات والقوانين التى تلزم الفرد بالتنازل عن بعض رغباته فى سبيل المجموع ، وتحتم عليه تنفيذ ما تعارفوا واتفقوا عليه فى سبيل المحافظة على حياة الجماعة وتقويتها والدفاع عنها ، ومقاومة كل ما من شأنه أن يضعفها ، أو يهددها بالانهيار والتلاشى . وقد أطلق الاجتماعيون على هذا النوع من الالتزام : « العقد الاجتماعى » ، أى أن ما يتعارف عليه الأفراد من لوائح ترسم شكل حياة الجماعة ، ونظم تبين هويتها ، وقوانين تضبط مسيرتها ، يعتبر بمثابة العقد الذى ينبغى على كل أفراد الجماعة الالتزام به ، فمن يخرج عليها ، يعاقب طبقا للقوانين المتفق عليها ، ومن يسلك سلوكا يكون فيه تهديد لكيان المجتمع ، يقع تحت طائلة عقاب قد يصل إلى بتره ، إن لم يكن هناك وسيلة أخرى لإصلاحه ، وحماية المجتمع من شروره وعدوانه .

تفاعل البشر متجاوب مع العدالة

غير أن درجة التفاعل مع هذه القوانين والنظم ، ومدى الخضوع لها تختلف باختلاف مصدرها ، وتلاؤمها مع طبيعة الإنسان ، وصلاحيتها للتطبيق دون تفريط أو إفراط ، وعلاقة الإنسان نفسيا بها ، ودرجة ارتباطه روحيا بوجوب تنفيذها :

فإذا كانت طائفية تميز عرقا عن آخر ، وترفع طبقة على أخرى ، وتفضل ذوى الأحساب والأنساب ، وتلبى مطالب أصحاب الجاه والمال ..

تحايل المظلومون للخلاص منها ، وسلك المنبوذون مسالك شتى للتحرر من سلطانها .

ولو وضعت على نحو لا يشبع غرائز الإنسان الطبيعية ، ولايلبى حاجات البشر الضرورية ..

تمرد الناس عليها ، وأعلنوا معارضتهم لها ، وجهروا بعصيانها ، ومخالفة ، ما تنطق به بنودها وتشريعاتها .

أما إذا أفرطت فى العقاب ..

ثار المكتوون بنارها ، فاقتلعوا ما فى طريقهم من معالم الحضارة والمدنية ، واعتدوا على جلاديهم بكل سلاح يقع فى أيديهم ، بل قد تصل ثورتهم إلى إزهاق أرواح ، لا ذنب لها ولا جريرة فى مسلسل الاضطهاد ـ وسيناريو التعذيب والتنكيل بالضعفاء والمظلومين .

ولا يختلف الوضع عندما يدفع الحرمان ضحاياه إلى التمرد على قانون يحمى المستغلين وأصحاب المال ، فلا يلزمهم بحقوق تجاه مجتمعهم ، ولا يجبرهم على تأدية ما عليهم لبنى وطنهم .

المستحيل المأمول ومتى يكون

فلو فرضنا ـ جدلا ـ أن بعض المجتمعات قد تمكنت من وضع قانون ملائم لطبيعة الإنسان

البشرية ، دون إفراط أو تفريط ، فليس فيه تمييز طبقة على أخرى ، ولا تفضيل جنس على آخر ، كما أنه لا يسمح باستغلال طاقات الأمة استغلالا محرما ، ولا يترك فردا يستنزف جهود أبناء الوطن بطرق غير مشروعة ، دون الوقوف في وجهه ، والتصدى له ، ومعاقبته عقوبة تزجره ، وتردع غيره عن التفكير في سلوك هذا الطريق ، فإن مثل هذا القانون ـ وإن كان فيه العديد من العناصر الإيجابية اللازمة لسلامة البنية الاجتماعية ـ ينقصه عنصر هام جداً ، بل إنه يكاد يكون العنصر الرئيسى في الإصلاح والتقويم ، الا وهو الاقتناع الداخلى لدى الإنسان بوجوب الالتزام به ، حتى وإن كان بعيداً عن أعين الرقباء على تنفيذ هذا القانون ، ولا يتحقق ذلك على الوجه الأكمل إلا إذا كانت هناك علاقة روحية بين المشرع ، والمشرع له ، إذ يدفعه هذا الارتباط الروحى إلى المحافظة على مواد القانون ، والتفانى في التمسك به ، والتضحية في سبيل تطبيقه ، فضلا عن الدفاع عن شرعيته بكل ما أوتى من قوة ، وفي هذه الحالة يخفف العبء عن المعينين للرقابة ، فلا يبذلون جهدا في حفظ الأمن والاستقرار ، إلا مع فئة قليلة ، خبت فيها هذه الروح ، وقد تضيق دائرتها ، فيقل عدد المخالفين خوفا من توقيع العقاب عليهم .

وعلى الرغم من اقتناع بعض الباحثين بأن (الثقافة ، ودرجة التحضر)، كفيلان بخلق هذه العلاقة بين الفرد والقانون ؛ إذ أن الإنسان المثقف أكثر الناس حرصا على الالتزام باللوائح والنظم والقوانين ، وكلما ارتقت درجته في سلم الحضارة ، كان حرصه على هذا الالتزام أكثر ، حتى يصبح جزءا من طبيعته وميوله ، إلا أن ما تغرسه الروح الدينية في هذا الجانب أكثر عمقا من أى ثقافة ، مهما كانت نوعيتها وحجمها ، وأشد صلابة من أعلى درجات الرقى والحضارة ، وإن ارتفعت بالإنسان إلى عالم المثل ، وأحاطته بطبقات من الأخلاق والفضائل ، ذلك أن الشعور الدينى يتغلغل في الإحساس ويختلط بالشعور ، ويمتزج بالدم في العروق والشعيرات ، بحيث لا يتصرف الإنسان إلا طبقا لإحساسه ، ولا يسلك مسلكا يتنافى مع شعوره ، فلو كان ما يطلب منه الالتزام به في سلوكه مع نفسه ، وفي مجتمعه مع من يعيشون معه ، ملبيا لهذا الشعور ، وغير متنافر معه ، اتحد الطرفان ، فأصبح القانون جزءا من كيانه ، فلا يحس إلا طبقا لمبادئه ، ولا يتصرف إلا استجابة لأوامره ونواهيه ، بحيث لا يخرج عنه إلا في لحظات الغفلة ، وأوقات النسيان ، لكن سرعان ما يصحو ويتذكر ، فيعود إلى سلوكه الطبيعى الذى هو صدى لما يأمر به القانون ، وينهى عنه .

قانون السماء هو المنشود

ولا يوجد في المجتمعات البشرية ما يتميز بهذه الخصائص سوى القانون الدينى ، فتعاليم الدين تحتل مكان القداسة في نفس الإنسان ـ سواء كان ذلك عن رغبة في الثواب ، أو رهبة من العقاب ـ فلا يجرؤ على مخالفتها ، وليس لديه الشجاعة لمعارضتها ، فهو منقاد لها ، منفذ ما تطلبه من أوامر ، ومجتنب ما تنهى عنه ، بوازع داخلى ، دون الحاجة إلى إجبار من أمير أو خفير ، ومن غير أن يدفعه إلى ذلك سطوة سلطان ، أو سلاح فرسان ، فهو منقاد لها بطبيعته ، لأنها امتزجت بحواسه ، وهو سائر في الطريق التى رسمتها له استجابة لمشاعره المختلطة بها ، فلا يحيد عنها لأن طبعه يأبى ذلك ؛ ولا يخالفها ؛ لأن مخالفتها تمزقه داخليا ، فيحس بالضياع والهوان .

ولهذا نرى أن المجتمعات التى تطبق تعاليم دينها في حياتها من أكثر المجتمعات البشرية

حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية

انضباطا ، وأقومها أخلاقا ، تقل فيها نسبة الجريمة إلى حد كبير ، ويشعر الفرد فيها باطمئنان النفس ، وراحة الضمير ، وهدوء الأعصاب ، و (انسجام) العلاقات الإنسانية ، فإذا كانت تعاليم الدين صافية غير مختلطة بترهات الكهان ، وحماقات ضعاف العقول والنفوس ، وضلالات المنحرفين والمتطرفين ، فإن ما تنطق به نصوصه من قوانين يعتبر الأساس الصحيح لتنظيم قواعد سليمة ، تصلح لحماية الأمة من عوامل الضعف والانحلال وتحافظ على كيانها ، فلا تتسرب إليها جرثومة تنخر عظامها ، ولا يعكر صفو أفرادها أى نوع من الآفات التى تصاب بها الأمم ، عندما تضل طريقها ، أو تفقد هويتها .

ولا يتحقق ذلك إلا فى الإسلام ، فقد كتب الله لنصوصه الحفظ من الضياع ، فصانها من أيدى العابثين ، بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١) فالقرآن الكريم وحى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فيجب أن يكون مصدر القوانين التى تضبط النظام فى المجتمع ، وتقوم سلوك الإنسان ، وتهذب أخلاقه . ولا ينكر ذلك إلا مكابر معاند ، ضاعت الحقيقة من قلبه ، فأغمض عينيه بحيث لم يعد يرى أن للقرآن الكريم سلطانا على النفوس ، فلا يستطيع المسلم منه فكاكا ، وأن فى تعاليمه كل المقومات والعناصر التى ينشدها الأفراد فى حياتهم :

— **عدالة** : لا تعرف الانحياز لطائفة ضد أخرى ، وتأبى تفضيل جنس على آخر على أساس دم أو عرق أو نسب .

— **(انسجام) مع طبيعة الإنسان** : فليس فى تعاليمه ما يكبت غريزة ، أو يقضى على عنصر أساسى فى حياة الناس .

— **سهولة ويسر** : فلا شطط ولا تعنت : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٢) و ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٣) .

— **تقبل نفسى** : إذ لا يجد المرء أى غضاضة فى الخضوع لها ، فهى من الله الذى يرضى الإنسان بسلطانه ، ويتقبل أوامره بصدر رحب ، ويتجنب نواهيه بارتياح ، بخلاف ما لو كان من صنع بشر ، الأمر الذى يورث التمرد عليه ، لمجرد شعوره بأنه من إنسان مثله ، فلا تقبل نفسه الخضوع له إلا مرغماً ، ولا تنفذ ما يأمر به إلا كارهة .

دعاوى ضد الشريعة الإسلامية

فإن ادعى بعض الناس أن تطبيق الشريعة الإسلامية :

- رجوع بالمجتمع إلى عصور القرون الوسطى ، لأنها صيغت لتلائم تلك الحياة الأولى ..

- وتطويع للحياة العصرية لتعاليم لم تعد صالحة لمتطلبات العصر ، فهى عاجزة عن مواكبة سرعة الخطا فى طريق التقدم والرقى ، وتلبية احتياجات إنسان القرن العشرين ..

فهو - والحال هذا - لم يفهم طبيعة التشريع الإسلامى .. ولم يدرك فلسفته وأهدافه ..

إذ أن للتشريع الإسلامى محوراً يدور حوله ،

---

(١) الحجر ٩ .
(٢) الحج ٧٨ .
(٣) البقرة ٢٨٦ .

ويرتكز عليه ، الا وهو الإنسان !!! إذ يركز على تقويمه ، وتهذيبه ، وإصلاح سلوكه[4] .

ومما لاشك فيه أن طبيعة الإنسان لا تتغير بتغير الزمان والمكان .

فالأنانية التى تسيطر على بعض أفراد من البشر لا تختلف اليوم عما كانت عليه فى الماضى ، وإن اختلفت أساليب إشباعها .

وميله إلى الاعتداء على ما فى يد الغير لا يغير جوهره ومضمونه تقدم ورقى وحضارة ، وإن حورت وطورت أساليب ووسائل هذا الاعتداء ...

وكذلك الشأن فى كل غرائزه ، لا تبدلها العصور ، وإن لونت مظهرها الخارجى ، ولا يغير التحضر كنهها ، وإن عدلت فيه ، فغيرت شكله . ولا يمحوها الرقى والتقدم ، بل يحجبها فلا تراها العين المجردة ، وإن كانت آثارها أكثر وضوحاً منها فى عصور « التخلف والانحطاط » .

ومن هنا فلا يجوز أن يرفض قانون ، بحجة أنه لم يعد صالحاً للعصر ، ما دام هذا القانون يهدف إلى إصلاح الإنسان وتهذيبه ، لأن طبيعة الإنسان باقية كما هى ، على الرغم من اختلاف العصور حضارة وتقدماً ، وتفاوت مجتمعاتها ثقافة وتعليما .

أما ما يدعيه المعارضون من عدم قدرة التشريع الإسلامى على تلبية متطلبات العصر ، بحجة أن هناك من الظواهر ما يتغير ويتبدل ، وكثير منها جديد كل الجدة ـ أى ليس له مثال سابق فى تاريخ المجتمع الإسلامى ـ بل إن نظام الحياة قائم على التغير المستمر ، والتطور المطرد ، الأمر الذى يستلزم تغيير القوانين باستمرار لتنسجم مع صور الحياة المتجددة ، ولتلبى احتياجات المجتمع التى تنشأ عن هذا التغير ..

فقد نشأ هذا الاعتراض بسبب عدم إدراك فلسفة التشريع الإسلامى ـ كذلك ..! ذلك أن الله أنزل التشريع الإسلامى متطابقاً مع طبيعة الوجود ، منسجماً مع كل ما يطرأ من التغيرات ، أو يظهر على سطح الحياة من ظروف متجددة ، ذلك أنه تضمن (قواعد كلية) تصلح لكل الأزمنة والعصور ، وتتمشى مع ما ينبغى أن تكون عليه الحياة من الاستقرار ، أو تتفق مع الظواهر التى يشترك فيها جميع الأجناس البشرية ، ومع ذلك فقد تركت التفصيلات والتفريعات لعقل الإنسان ، يستخلصها حسب عصره وبيئته ، ويستنتجها طبقا لمتطلبات ظروفه المحيطة به ، بحيث يلبى احتياجات العصر . وفى الوقت نفسه لا تخرج عن الخط الرئيسى الذى رسمه الإسلام كمبدأ عام يلتزم به الجميع ، أو كدستور يتخذه الناس قاعدة تشريعية أصلية ، ينبثق عنها كل ما يقررونه من قوانين ، وما يرسمونه لأنفسهم من لوائح ونظم .

فالقضايا الكلية فى الإسلام هى (قواعد التشريع الأساسية) التى تصلح لكل شعب ، وتلبى احتياجات كل المجموعات البشرية ، على اختلاف ألوانها وأجناسها ، وتتناسب مع كل عصر وبيئة ، إذ يتخذها الجميع أساسا تستنتج منه أحكام لكل القضايا ، وعلاج لكل المشاكل التى تواجه الإنسان والمجتمعات . فكانت هذه المبادىء الرئيسية فى التشريع أساسا للاجتهاد فى مجال الأحكام الشرعية ، الذى بمقتضاه تكونت المذاهب الفقهية ، فزخرت بالأحكام والتفريعات

(٤) أو كما يقول أستاذنا د . محمد البهى : « ليكون مواطنا صالحا » فالقوانين الإسلامية إنما هى لهذا الهدف فضلا عن إعداده لسعادة الآخرة .

حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية

التى كانت منها فروض مقدرة الحدوث فى الأزمان المستقبلة .

فكان هذا العمل فى مجال التشريع ، دليلا على مرونة الفقه الإسلامى ، وصلاحيته لمواجهة الأحداث ، التى تظهر نتيجة لديناميكية الحركة فى مجالات الحياة المختلفة ، وعنصرا جوهريا فى مفهوم صلاحية التشريع للتطبيق فى كل العصور ، مهما ارتقى الإنسان فى سلم الحضارة والمدنية .

ومن أكثر حجج المعارضين صدى بين الجماهير ، وأبعدها تأثيرا فى موقف المشتغلين بقضايا السياسة والحكم ، ما يزعمونه من أن تطبيق الشريعة الإسلامية لا يتناسب مع روح العصر ، فلم تعد تقبله النفس الإنسانية التى تربت فى جو « ليبرالى » ، يكره القسوة فى العقاب ، ويرفض كل أساليب الوحشية فى مجال التقويم والتهذيب ؛ فالإنسان المتحضر يقشعر بدنه ، عندما يسمع أن من صور العقاب : قطع يد السارق ، ورجم الزانى حتى الموت ، فهو يعارض دائما وأبدا كل تشريع يتضمن مثل هذا العقاب القاسى ، حتى ولو كان الإسلام الذى يدين به ، معللا هذا الموقف بعلل شتى ، ومبررا موقفه المعارض لتطبيق الشريعة الإسلامية ـ رغم تمسكه بالإسلام عبادة وأخلاقا ـ بمختلف الحجج والبراهين ، ومن أشهرها : ما يدعيه من أن تطبيق مثل هذه العقوبات سيؤدى إلى زيادة العجزة فى المجتمع ، مما يزيد فى عبء الدولة ، فيبدد قواها ؛ ويشل حركتها فتعجز عن مواكبة التقدم والرقى مع غيرها من الأمم .

اقتنع كثير من المسلمين ـ وخاصة خريجى المدارس المدنية ـ بهذا الاتجاه ، غير أن بعضهم أيد سلبيا ، وعارضه وجدانيا . وآخرون ناصروه بكل قوة متاحة لهم .

وينبغى على هؤلاء المعارضين لتطبيق الشريعة الإسلامية ـ سواء كانت معارضتهم سلبا أو إيجابا ـ أن يعلموا أن الشريعة الإسلامية ليست هى قانون العقوبات فقط ، بل هى منهاج لكل جوانب الحياة الإنسانية ، وما قانون العقوبات فيها إلا جزء يسير منها .

ثم هى من قبل ومن بعد من صنع الله ـ سبحانه ـ الذى لديه العلم التام بالإنسان وحياته وتطوره ، وما يطرأ على عصوره المختلفة من دوافع التقدم أو نكسات الحضارة ـ فكان كتابه العزيز بالمرصاد لكل تطور وطارىء يعالجه على أحسن حال بخير قانون ، فهو ـ سبحانه ـ بكل شىء محيط .

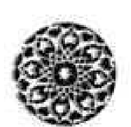

الأزهر والدعم المطلوب

قال النائب المستقل الشيخ جمال قطب - ومعه كل الحق - :

إن دعوة التغيير التى نطلقها لدعم الأزهر ونشاطه لم نر لها أثراً فى ميزانية الدعوة الإسلامية عامة والأزهر خاصة .

وقال : أريد أن أضيف تعريفاً بسيطاً للأزهر لكثير من الناس ، يظنون أن الأزهر جامع وله شيخ يصلى الأوقات أو أنه مؤسسة تعليمية .

فالأزهر بنص القانون غير ذلك .

الأزهر هو المؤسسة المسئولة عن الدعوة التى لها جذور فى هذه الدولة عمرها ألف سنة ومن غير المعقول أن يخصص فى الميزانية ٨٠٠ ألف جنيه لصيانة ٤٠٠٠ معهد .

وهل يرضى أحداً أن تخصص وزارة المالية مبلغ ألف جنيه كميزانية مكتبات والمعهد الأزهرى فيه أكثر من ألف تلميذ يخصص له ٢٥ قرشاً للمكتبات ؟

وقال الشيخ جمال قطب : أما فيما يختص بالدعوة فالحكومة مشكورة تصر على أن تدرج ميزانية الأزهر ككل ، غير عابئة بالقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ والذى يقرر أن الأزهر مؤسسة ، ومجمع البحوث الإسلامية به ٤ آلاف واعظ ، والمقنن للواعظ الواحد أن يذهب شهريا إلى ٢٤ قرية !

وتساءل النائب هل من المعقول أن يصرف للواعظ الذى يذهب إلى ٢٤ قرية رغم أنفه عشرة جنيهات كبدل انتقال !

وهل يستطيع الواعظ بعشرة جنيهات أن يذهب إلى قريتين أو ثلاث . ويترك الباقى لمن ؟! للشباب غير المتخصص ، لمساجد أنشئت بالوفرة ولا تستطيع وزارة الأوقاف أن توفر لها دعاة ، هذا أمر مما يصادفه علماء الأزهر ! ثم مصحف الأزهر وكانت نعمة أن يطبع الأزهر مصحفاً يصبح دعم الحكومة له نصف مليون جنيه ! وعندما طلب شيخ الأزهر دعماً من أجل أن يطبع المصحف ويوزعه على التلاميذ أو يوزعه على الأقليات الإسلامية ، يقولون له قم ببيع ربع الكمية التى لديك واستعمل حصيلة البيع فى إعادة الطبع ! وهذا أمر لا يليق بالأزهر .

نريد أن نرى مجمع البحوث الإسلامية بكادره الخاص ، بقدرات وعاظه وعلمائه على مسايرة الدعوة .

نريد لمجلة الأزهر ولسلسلة مجمع البحوث ولكتب التراث خُمس أو عُشر ما يخصص لأى مجلة أو جريدة .

كل ذلك كلام قيل تحت القبة من نائب عن الشعب غيور على دينه ، فإذا كان الكلام صحيحا فهو شىء مؤسف حقا ، ويجب سرعة تداركه حتى تستقيم الدعوة وتنصلح الأحوال .

عن الأهرام فى ١٣ من صفر ١٤١٢ هـ

نساء في الهجرة

بقلم : حلمى الخولى

لقد كان للنساء المؤمنات اكثر من دور بارز فى الهجرة المباركة ، وقد ساعدن فى هذا الحدث الشامخ ، وقد قدمنا - فى الحلقة الأولى - بعض النماذج ، وفى هذه الحلقة نستعرض عددا آخر ممن كان لهن دور بارز فى اخطر حدث فى تاريخ الإسلام .

(٧) ليلى بنت الخطيم : (فاتحة العهد المشرق) :

■ هى ليلى بنت الخطيم بن عدى بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الخزرج الانصارية الظفرية ، أخت الشاعر قيس بن الخطيم . أسلمت بالمدينة المنورة قبل مقدم النبى ﷺ مهاجرا ، ولما علم من بالمدينة من المسلمين بأن الرسول ﷺ بدأ هجرته المباركة من مكة فى يوم الاثنين ، وأنه على وشك الوصول إليهم ، تأهب الجميع للقاء المهيب مع رسول الله ﷺ .

■ وكان الجميع يخرجون إذا صلوا الصبح ، إلى ظاهر «الحرَّة» ينتظرون النبى ﷺ فلا يبرحونها حتى تغلبهم الشمس ، فإن لم يجدوا ظلا دخلوا البيوت وذلك فى ايام حارة . فلما كان ذلك اليوم الذى قدم فيه رسول الله جلسوا كما كانوا يجلسون ، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته : يابنى قيلة هذا جدكم قد جاء ، وخرج الناس على الطرق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله .. الله اكبر جاء محمد .

■ وكانت «ليلى بنت الخطيم» من أشد النساء رغبة فى لقاء النبى - ﷺ ، وكان لها شرف السبق ، فأتت إليه ومعها ابنتاها ، «عمرة وعميرة» بنتا «مسعود بن أوس بن مالك بن سواد بن ظفر» ، وابنتان لابنتيها ، وبايعته فقالت : يارسول الله جئنا نبايعك على الإسلام ؛ فإنا قد صدقنا بك ، وشهدنا أن ما جئت به حق . فقال النبى ﷺ : الحمد لله الذى هداكن للإسلام . ثم قال : قد بايعتكن . فكانت «ليلى بنت الخطيم» أول امراة بايعها النبى ﷺ .

■ وقد قيل : إن أول المبايعات للنبى ﷺ : أم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع بن عبيد ، وأم عامر الأشهلية ، وحواء بنت يزيد بن السكن ، وليلى بنت الخطيم والشموس بنت ابى عامر الراهب ، وجميلة بنت ثابت بن ابى الأقلح ولكن ذكر ابن سعد فى طبقاته : إن أول امراة بايعها

النبى كانت «ليلى بنت الخطيم» وكذلك ذكرها «ابن حجر» فى «الإصابة فى تمييز الصحابة» .

■ وقد يسأل سائل وأى اثر تتركه مبايعة «ليلى» للنبى ﷺ فى حدث الهجرة العظيم ؟!

لقد كان الإسلام مازال بكرا ، دين غض الإهاب ، وكل شىء ـ ولو صغيراً ـ يشارك فى تثبيت دعائمه ، وإقامة بنيانه ، فمرحبا به ، ومبايعة «ليلى بنت الخطيم» للنبى ﷺ كانت إحدى اللبنات الهامة فى صرح الإسلام العظيم ، فدين الله الحنيف دين الفضيلة والخلق ، ولكى يوطد دعائم الفضائل لابد من ترسيخها فى النفوس . فقد توالت مبايعة النساء للنبى ـ ﷺ ـ بعد ذلك ، وفحوى المبايعة إنما تظهر معدن النفوس التى بايعت ، فبالبيعة أخذت هذه النفوس العظيمة العهد على نفسها بتجنب أعظم الشرور والآثام فقد قلن فيما بعد للنبى ﷺ : نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك فى معروف .

■ فكيف يكون حال المجتمع ـ أى مجتمع ـ إذا كانت نساؤه على هذا المستوى من الصلاح ، فلاشرك بالله ، ولا سرقة ، ولا زنا ، ولا قتل ، ولا عصيان .

ياله من مجتمع فاضل قويم يقوم على أساسيات الفطرة التى نادى بها الإسلام ؛ فتكون «ليلى بنت الخطيم» ـ أول مبايعة للنبى ﷺ بعد الهجرة ـ هى فاتحة الخير فى أخذ العهد ببناء مجتمع طاهر تقى نظيف . وأى عظمة تلك التى يكون عليها هذا المجتمع ، وكذلك أى عظمة لمن ساهم وشارك فى بنائه ؟!!

(٨) أم سلمة : (الصبر والثبات) :

■ هى هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية ، وكان أبوها يعرف بزاد الركب ، لأنه أحد الذين انطلقت أيديهم بالجود حتى استفاض به ذكرهم ، وكان إذا سار فى ركب فعليه إطعامهم مادام فيهم ومن أجل ذلك سموه «زاد الركب» ، وتكنى بأم سلمة ، زوجت أول ما زوجت من ابن عمها «عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم» ويعرف بأبى سلمة . وولدت له أم سلمة : سلمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب .

■ وأم سلمة وأبو سلمة من السابقين الأولين فى الإسلام ، ومن المهاجرين ، فقد هاجرا إلى الحبشة الهجرتين ، ثم كانا من أوائل المهاجرين إلى المدينة المنورة ، وقد هاجر أبو سلمة وعُوِّقت أم سلمة ، والقصة تحكيها أم سلمة ، كما جاءت فى كتب التراجم والسير ، وقد جاء فى السيرة النبوية لابن كثير : « ... لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لى بعيره ، ثم حملنى عليه وجعل معى ابنى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة ، وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة قالت : ففرق بينى وبين ابنى وبين زوجى قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس فى الأبطح ، فما أزال أبكى حتى أمسى ، سنة أو قريبا منها ، حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تحرَّجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين

نساء في الهجرة

ولدها . قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت ، قالت : فرد إلى بنو عبد الأسد عند ذلك ابنى . قالت : فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . قالت : وما معى أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت (عثمان بن طلحة بن ابى طلحة) اخا بنى عبد الدار ، فقال : إلى أين يابنة ابى امية ؟! قلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معى أحد إلا الله وابنى هذا . فقال : والله مالك مِنْ مَتْرَك . فأخذ بخطام بعيرى فانطلق معى يهوى بى ، فوالله ماصحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ، ثم قيده فى الشجر ، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى قدمه فرحله ، ثم استأخر عنى وقال : اركبى ، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى . فلم يزل يصنع ذلك بى حتى اقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك فى هذه القرية -وكان ابو سلمة بها نازلا- فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة .

■ وهكذا نرى أن «أم سلمة» قد خُلِّفَتْ فى مكة ما يقرب من سنة ، فى هذه الأثناء كان عامر بن ربيعة قد هاجر ومعه امرأته «ليلى بنت ابى حثمة» فيكون لليلى السبق من حيث الهجرة الفعلية فهى اول امرأة هاجرت من مكة ، اما من حيث النية «فأم سلمة» هى المهاجرة الأولى ، وكذلك قد انفردت بلقب أول«فهى أول ظعينة تهاجر وحدها دون زوجها فى صحبة مشرك ومهما يكن من الأمر ، فهذه أسرة تزلزل كيانها وتمزق شملها ، الزوج الأب فى المدينة والأم الزوجة عند أهلها ، والولد عند أهل أبيه ، والأم كل صباح تبكى لفراق ولدها وزوجها ... إلخ .

هذه هى النفوس العالية المباركة التى اختارها المولى -جلا وعلا- لصحبة رسوله -ﷺ- فسبحانه هو الخالق ، وهو اعلم بمن خلق .

■ واستقر المقام بأم سلمة وزوجها وولدهاويبدأ الكفاح المسلح ويشارك الزوج فيه ويعود من إحدى المعارك وقد جرح ولم يبرأ من جرحه ولبى نداء ربه ، وأكرم الله أم سلمة وشرفها بما قدمت بالزواج من النبى -ﷺ- لتصبح امًا من امهات المؤمنين ، ويحفظ التاريخ لها وقفة عظيمة جمعت شمل المسلمين ، فكانت من أكمل النساء نفسا ورأيا ، ففرج الله بها عن رسول الله -ﷺ- موقفا من أشد المواقف وقعا عليه ، وإجمال ذلك أن رسول الله ﷺ خرج بالمهاجرين والأنصار إلى مكة معتمرا ، فلما دنا من مكة عرضت له قريش وقالوا : لا يسمع العرب أنك دخلت ديارنا عنوة ، وهنالك بايع رسول الله -ﷺ- أصحابه على الموت . ثم توسلت إليه قريش أن يعود إلى المدينة على أن يفسحوا له طريق الحج فى العام الذى يليه ، فرضى رسول الله إجلالا للمدينة المقدسة أن تخضب بالدماء ، وأمر المسلمين أن ينحروا اضاحيهم ويحلقوا رءوسهم تحللا من إحرامهم وايذانا لهم بالانثناء عن الاعتمار ، فعز على المسلمين أن يصرفوا عن وجهتهم بعدأن تعاقدوا على الموت فى سبيل الله ، وكفوا عما أمر رسول الله به فدخل على أم سلمة حزينا مغضبا . فقالت : مالك يارسول الله مرارا ، وهو لا يجيبها ثم ذكر لها ما لقى من الناس وقال لها : هلك المسلمون ! امرتهم ان ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وهم يسمعون كلامى ويرون وجهى . فقالت : يارسول الله لا تلمهم ! فإنهم قد دخلهم امر أعظم مما

ادخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح، ورجوعهم بغير فتح. ثم اشارت عليه أن يخرج ولا يكلم احدا وينحر ويحلق راسه، فخرج رسول الله ففعل ما أشارت به، فلم يبق مسلم إلا نحر وحلق، والتأم شمل المسلمين وتم رأب الصدع برأى أم سلمة الحكيم.

(٩) المهاجرات العظيمات : (دعامات قوية) :

■ وقد تتابعت المهاجرات فى توافدهن على المدينة حتى خلت بعض الديار تماما من ساكنيها وأصبحت يبابا مثل دار بنى جحش فقد هاجر رجالها ونساؤها ومنهن زينب بنت جحش، وحمنة بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش وجذامة بنت جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وآمنة بنت رقيش، وسخيرة بنت تميم - رضى الله - تعالى - عنهن - وما منهن إلا لها عمل مجيد : جهادا أو رواية بفقه عظيم.

■ وبعد هجرة النبى - ﷺ - هاجرت زوجته أم المؤمنين سودة بنت زمعة، ومن بناته فاطمة وأم كلثوم، ثم هاجرت بعدهما زينب، بعدما ضربت مثلاً رائعا للصبر على البلاء، وهاجرت أم أيمن حاضنة النبى ﷺ، وأم رومان زوجة أبى بكر الصديق، وعائشة وأسماء رضى الله عنهم جميعا. وبهذا العدد المتدفق من المؤمنين والمؤمنات، المهاجرين والمهاجرات - إلى المدينة بدات ملامح المجتمع الإسلامى تتضح، وتظهر سماته، فقد كونت الهجرة مع الأنصار قاعدة شعبية عظيمة، ودعائم قوية لإقامة مجتمع قوى يقوم على الإيمان والطهر والتقوى.

(١٠) ام كلثوم بنت عقبة : (النية الصادقة والضمير الحى) :

■ هى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الأموية، أمها أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس. وهى أخت عثمان بن عفان لأمه. وأخت الوليد بن عقبة. أسلمت أم كلثوم فى مكة وبايعت النبى - ﷺ - وكانت بكراً بين أبويها، فلم تستطع الهجرة مع المهاجرين قبل النبى - ﷺ - ولا بعده.

■ ونفس المؤمنة «أم كلثوم» كانت تواقة للهجرة حتى تحيا مع الجميع فى كنف الوحى، وزاد السماء، ولكن صلح الحديبية الذى أبرم بين المسلمين والمشركين، وكان من بين شروطه : «من جاء من مكة مهاجرا يرده المسلمون إلى المشركين، ومن جاء من المسلمين إلى مكة مرتدا عن الإسلام فلا يرده المشركون. وهذا الشرط أوقف الهجرة من مكة إلى المدينة.

■ و«أم كلثوم» كانت عقدت العزم على الهجرة، ولكن الأمور قد تعقدت أمامها بهذا الصلح المبرم، وألم الحزن بقلبها، وكلما رأت مسلما يعذب فى طرقات مكة، انفطر قلبها حزنا وكمدا، وفى هذا الخضم المؤلم، كانت تهب نسمات من الراحة والطمأنينة على هذا القلب الرقيق المؤمن، أليس الله هو القائل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (سورة الطلاق الآية الثانية والثالثة).

■ ويهدأ جزع «أم كلثوم» وتسكن ثورتها فى ظل تلاوة القرآن الكريم وذكر الله، ودوام الدعاء والتوجه إلى الله أن يهيىء لها فرصة سانحة لتهاجر، وذات يوم أصبحت وقد عقدت العزم على الهجرة، وكلها أمل أن الله سيحقق لها رغبتها برغم هذا الصلح وشرطه القاسى. ولكن انى لها ذلك ؟؟ وهى فتاة، والطريق من مكة إلى المدينة محاط بالمتاعب والمصاعب، وليست الرحلة هينة وبخاصة إذا كانت الراحلة امرأة. وهيأ الله لها الفرج فقد رأت رجلا من «خزاعة»

نساء فى الهجرة

قد عزم النية على الهجرة ، فاصطحبته ، ووصل ركب المهاجرين إلى المدينة ، وهدأت النفس القلقة بلقاء المؤمنين ، ومسحت الطمأنينة عن القلوب متاعب الخوف والسفر ، وزادتها اطمئنانا إلى اطمئنانها .

■ وكانت الفرحة غامرة فى قلب «أم كلثوم» ، طاردت كل أطياف الحزن التى مرت بها بعيداً عن إقامة الرسول ﷺ والمسلمين . ولكن الفرحة لم تدم طويلاً ، إذ أرسلت قريش فى أعقابها بركب يضم الوليد بن عقبة وعمارة بن عقبة أخويها ليعودا بها ، وأبى رسول الله - ﷺ - أن يردها لقوله تعالى - الذى كانت أم كلثوم سببا فى نزوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ .. الآية . الممتحنة (١٠) .

كلمة اخيرة :

راينا من العرض السابق فى الحلقتين جهاد المؤمنات الأوليات فى الإسلام ، ومشاركتهن فى حوادثه مشاركة فعالة لم تطمس واجبهن نحو بيوتهن وأزواجهن وأبنائهن ، وأن منهن من انفردت بعبء من البلاء الأليم فتحملته راضية محتسبة ولئن دل ذلك على شىء ، فإنما يدل على مدى تأثير المرأة الإيجابى فى إخلاصها أمام الهدف النبيل ، فساهمت فى تنقية الأجواء الاجتماعية من المفاسد ، ورشحت المناخ لتصفيته من المثالب .

وهل كان هذا المجتمع الأمين يسمو هذا السمو الفذ بغير هذا العضو الذكى الذى مثلته المؤمنات الأول .

المراجع والمصادر للحلقتين

(١) أسباب النزول : للنيسابورى .
(٢) أسباب النزول : للسيوطى .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير .
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد .
(٥) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر .
(٦) أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير .
(٧) المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها . عبد الله العفيفى .
(٨) اعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام . عمر رضا كحالة .
(٩) تراجم سيدات بيت النبوة رضى الله عنهن . الدكتورة عائشة عبد الرحمن .
(١٠) اضواء على الهجرة . توفيق محمد سبع .
(١١) نساء الصحابة . عبد العزيز الشناوى .
(١٢) اعداد متفرقة من مجلة منار الإسلام .
(١٣) اعداد متفرقة من مجلة الوعى الإسلامى .
(١٤) اعداد متفرقة من مجلة منبر الإسلام .
(١٥) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب لابن عبد البر .
(١٦) صفة الصفوة لابن الجوزى .
(١٧) الهجرة .. مواقف .. عبر .. عظات ..

عبد المعز عبد الحميد الجزار

من بشائر المولد

تصدع الإيوان ورؤيا الموبذان

للأستاذ
عبدالحفيظ فرغلى القرنى

ذكر الإمام ابن ظفر الحموى فى كتابه : (خَيْر البِشَر بخير البَشَر) الخبر الآتى :

قال : لما كانت السنة التى ولد فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة ، فجزع كسرى انوشروان من ذلك وتطير ، وراى الا يكتمه زعماء مملكته فاحضر (موبذان موبذ) - وهو رئيس حكام دين المجوس من الفرس - وعنه ياخذون نواميس شرائعهم .

واحضر (الموابذة) - وهم القضاة .
(الهرابذة) - وهم كالخلفاء للموابذة ،
و (اجبهذ) وهو حافظ الجيوش والامير على الامراء .

و(يزرجفومذار) وهو الوزير الاعلى ، ومعنى اسمه : اكبر مامور .

و (المرازبة) وهم حفظة الثغور وولاة ارباع المملكة .

فاخبرهم بما كان من ارتجاس إيوانه وسقوط ماسقط من شرفاته .

فقال له رئيس الموابذة وهو (الموبذان) : إنى رايت فى المنام كأن إبلا صعابا تقود خيلا عرابا ، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس .
واخبره فى ذلك الوقت قَوَمَةُ النار بخمودها تلك الليلة ، فهالهم ذلك واستفظعوه ، ولم يظهر لهم وجهه .

فتفرقوا عن الملك يتروون فى ذلك .
ووافت برد - جمع بريد - كسرى من جميع جهات ممالكه تخبر بخمود النيران فى تلك الليلة .
ووافاه الخبر ان بحيرة (ساوة) قد غاض ماؤها .
فجمع زعماء دينه ورؤساء سلطانه ، وأطلعهم

من بشائر المولد

تصدع الإيوان ورؤيا الموبذان

على ما انتهى إليه من ذلك ، وسألهم عما يرون فيه .

فقال له : (موبذان موبذ) : أما رؤياى فتدل على حدث وأمر عظيم يكون من العرب . فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر يأمره بأن يبعث له عبدالمسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى - وكان معمرًا - فلما قدم على كسرى قال له :

هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟
قال : لا ، ولكن ليخبرنى الملك عما يريد علمه ، فإن كان عندى علم أخبرته .
قال : (أنوشروان) : إنما أريد من يعلم أمرى قبل أن أذكره -

فقال عبدالمسيح : هذا يعلمه خال لى يسكن بمشارف الشام ، يقال له سطيح .
قال كسرى : فاسأله وائتنى بالجواب .
فانطلق عبدالمسيح حتى انتهى إليه فوجده قد أشفى - أوشك - على الموت ، فحياه ، فلم يجبه ، فقال عبدالمسيح رافعا صوته : [1] .

أَصَمُّ ام يسمع غطريف اليمن
ام فاد فَأَزْلَمَّ بـه شاو ألعَنَنْ ؟
يافاصل الخطة أعيت من ومن
وكاشف الكربة عن وَجْهِ غَضِنْ[2] .
أتـاك شيخ الحى من آل سنن
وامـه مـن آل ذئب بـن حجن
أزرق مهمى النـاب صرار الأذن
ابيض فضفـاض الرداء والبـدن
رسول قيل العجم يسرى بالوسن
لايـرهب الرعـد ولا ريب الزمن
تجوب بى الأرض علنداة شـزن
تـرفعنى وجنا وتهـوى بى وجن
حتى أتى عارى الجآجى والقطن
تلفـه فى الريـح بـوغـاء الـدمن
كانما حثحث من حضنى ثكن[3]

وقد ذكرنا هذه الأبيات من دلائل النبوة للبيهقى لوفائها عما جاءت فى كتاب ابن ظفر .. ففتح سطيح عينيه ثم قال : عبدالمسيح ، على جمل مشيح - مقبل بسرعة - إلى سطيح وقد أوفى على الضريح - القبر -
بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان . رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا ، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها .

---

(١) خير البشر بخير البشر صـ١٠١ ط مؤسسة الاهرام ١٩٩٠ .
(٢) « دلائل النبوة » للبيهقى حـ١ صـ١٢٧ ط الريان .
شرح المفردات التى وردت فى الأبيات
اصُمّ : بهمزة الاستفهام وبناء الفعل للمجهول .
غطريف - بكسر الغين : السيد .
فاد : هلك - ازلم : ذهب مسرعا ، وقيل : قبض .
شاو العنن : غاية الموت .
وجه غضن : وجه متكسر بفعل الشيخوخة .
(٣) مهمى الناب : حديد الناب ، قال فى اللسان : واظنه بهو الناب بالواو ، يقال : سيف بهو اى حديد ماض ، وأورده الزمخشرى : ممهى الناب .
صرار الاذن : من صر اذنه ، نصبها وسواها .
قَيْل العجم : رئيسها وعظيمها وملكها .
الوسن : النوم
علنداة : ناقة قوية سريعة ، والوجنا : الأرض الغليظة ذات الحجارة وكذلك الوجن .
الجآجى : جمع جؤجؤ وهو عظام الصدر
القطن : ما بين الفخدين
البوغاء : التراب الناعم
حثحث : حرك واسرع
ثكن : جبل حجازى .

ياعبدالمسيح ، إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار الفرس ، لم تكن بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما .

يملك من بنى ساسان منهم ملوك وملكات على عدد تلك الشرفات . وكل ماهو آت آت .

ثم قضى سطيح مكانه ، فاستوى عبدالمسيح على راحلته ، وانطلق نحو كسرى وهو ينشد :

شمر فإنك ماضى الهم شِمِّيرُ
لايفزعنك تفريق وتغيير
إن يمس ملك بنى ساسان افرطهم
فإن ذلك أطوار دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلة
يهاب صولتها الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته
والهرمزان وسابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا
أن قد اقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الأم ، إما إن رأوا نشبا
فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن
والخير متبع والشر محذور[4] .

وقدم عبدالمسيح إلى كسرى ، فألقى إليه بما سمع من سطيح .. فقال كسرى : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا تكون أمور وأمور ..

فملك منهم عشرة فى أربع سنين ، وملك الباقون إلى آخر خلافة عمر ـ رضى الله عنه ـ وفى دلائل النبوة : إلى أن قتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ

والثانى أصح ، لأن الرواة يذكرون أن آخر ملوك الفرس قتل سنة ٣١ هـ ، وكان ذلك فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه ـ .

هذه القصة

لقد وردت هذه القصة فى مصادر متعددة منها غير ما أشرنا إليه : دلائل النبوة لأبى نعيم الاصفهانى صـ ٩٦ : ٩٩ .

وتاريخ الطبرى ٢ ، ١٣١ .

وشرح المواهب اللدنية للزرقانى ١٢١/١ .

والبداية والنهاية لابن كثير ٢ /٢٦٨ ، « والخصائص الكبرى » للسيوطى ٥٦/١ .

وفى العقد الفريد الجزء الأول .

وفى شرح المقامات الحريرية للشريشى .

وفى « بلوغ الأرب » للألوسى ، والروض الأنف للسهيلى ، وغيرها .

وهى تعد من بشائر النبوة وإرهاصاتها التى تقدمت بين يدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى إرهاصات وبشائر كثيرة ، اعتنى الرواة بتدوينها وتوثيقها ومن بينها هذه القصة التى سقناها .

وهى علامة صدق على صاحب هذه الرسالة الخاتمة ، ودليل على عظمة القادم بها ، ورفعة قدره عند ربه ، وشرف منزلته وسمو مكانته .

إن الله لم يرد أن يأتى صفيه وحبيبه إلى الدنيا دون مقدمات ، بل حشد فى طريقه من مواكب البشرى والإرهاصات مالفت الأذهان ونبه العقول وأثار الشوق إلى استقبال هذه الطلعة البهية بما يليق بها من الإجلال والاحتفال ، وكان

---

(٤) شِمِّير : صيغة مبالغة من شَمَّر بمعنى تهيا واستعد
دهارير : جمع دهر
المهاصير : جمع مهصار وهو صفة للأسد
أولاد عَلاَّت : أولاد الأب الواحد من أمهات مختلفات
قَرَن : حبل

من بشائر المولد

تصدع الإيوان ورؤيا الموبذان

من بينها تلك الرؤيا التى رآها الموبذان ، وتلك الشرفات التى سقطت من ذلك الإيوان العتيد ، إيوان كسرى الذى وقف البحترى ذات يوم فى عرصاته - بعد مرور أكثر من قرنين من افتتاح فارس - يصفه ويبدع فى وصفه ، فى قصيدة تعد من أروع ما قاله البحترى مطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى
وترفعت عن جدا كل جبس

إن سقوط الشرفات منه دون سبب ، معلوم كان أمرا مثيرا للفزع والتساؤل ، ضاعف من ذلك خمود النار التى لم تطفأ منذ أكثر من الف عام ، وهى معبودهم الذى يوكلون برعايته والسهر على إشعاله آلاف الدهاقنة والموكلين .

وغيض البحيرة (جفاف مائها)

وفيض الوادى بالماء ، وهو الذى لم يعهد فيه قبل ذلك ماء .

وهذا الوادى يقع بين خطى عرض ٣٠ ، ٣٢ وخطى طول ٤٤ ، ٤٦ فى جمهورية العراق الآن فهذه آيات خارقة وإن كانت ظواهر طبيعية إلا أنها مفاجئة غير متوقعة أو متعودة .. مما أثار العجب والتساؤل والسعى لمحاولة تفسيرها وحل رموزها .

من بنى هذا الإيوان ؟

ويقال : إن الذى بنى هذا الإيوان خوسابور الملقب بذى الأكتاف ، ذكر ذلك « المسعودى » فى كتابه (مروج الذهب) جـ ١ .

وذكر أيضا أن هارون الرشيد أراد هدم هذا البناء ، وشاور فى ذلك يحيى بن خالد البرمكى - وكان قد اعتقله فى نكبة البرامكة -

فقال له : لاتفعل .

فقال الرشيد لمن حضره : فى نفسه - أى نفس يحيى - المجوسية والحنو عليها والمنع من إزالة آثارها .

ثم نظر الرشيد فوجد أن هدمه يحتاج إلى أموال كثيرة فعدل عن ذلك .

وكتب إلى يحيى يعلمه ذلك ، فأجاب يحيى : اهدمه وأنفق فى هدمه مابلغ من الأموال .

فعجب الرشيد من تناقض كلامه ، كيف يشير عليه أولا بعدم هدمه ، ثم يشير عليه بعد ذلك بهدمه ؟

فبعث إليه يسأله عن ذلك .

فقال : نعم ، لقد أشرت أولا بعدم الهدم ، لأنى أردت بقاء الذكر لأمة الإسلام وبعد الصيت لأن الناس يقولون : إن أمة هزمت من شيدوا هذا البناء أمة عظيمة .

وأشرت بعدها بالهدم حتى لايقال : إن الخليفة بعدما شرع فى هدمه عجز عن ذلك ، وأردت نفى العجز عن أمة الإسلام فلا يقال : إن هذه الأمة عجزت عن هدم مابنته فارس .

فلما بلغ الرشيد قوله قال : قاتله الله - تعالى - ماسمعته قال شيئا قط إلا صدق فيه ، وأعرض عن هدمه .

هذا وقد كان بين بناء الإيوان وتفكير الرشيد فى هدمه مئات السنين .. ومع ذلك فقد أعيا الرشيد نفقات هدمه مما يدل على متانة هذا البناء ورسوخه وقوته .

فسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته دون فعل فاعل ، وفى لحظة واحدة كان أمرا مثيرا للعجب والفزع ، ودالا على أنه تم بقدرة خارقة لادخل

للإنسان فيها ، مما استدعى استشارة الكهان والمنجمين الذين يزعمون القدرة على الاتصال بالسماء ، وهم ذوو الخبرة في عصرهم .

القصة غير موضوعة

فالقصة بأسانيدها التي ذكرها الرواة ، وشواهدها التي حققتها الأيام تدل على أنها صادقة وقد صاحب مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - خوارق كثيرة ذكرها الرواة في مصادرهم المتعددة .. بل ألفت في ذلك كتب مستقلة ، وأشار القرآن الكريم إلى بعض ذلك ، بما تحدث عنه بشأن ورود ذكره - صلى الله عليه وسلم - في الكتب السماوية السابقة ، الأمر الذي كان أحبار أهل الكتاب وعلماؤهم - بل كثير منهم من عامة شعوبهم - يتوقعون مجيء نبي آخر الزمان ويترقبون يومه حتى قال أحدهم - ذات يوم - فيما يرويه حسان بن ثابت - رضي الله عنه - : (لقد طلع الليلة نجم أحمد) « سيرة ابن هشام » جـ١ ص ١٨١ بشرح الروض الأنف .

فلماذا تستغرب هذه القصة ؟ وهي من جملة الآيات المذكورة بمولد خير الأنام - عليه الصلاة والسلام .

أما الشواهد المصدقة للقصة فهي في وجود أبطالها في زمنهم الذي أشارت إليه . اعتبارا من (أنوشروان) ملك فارس في ذلك الوقت ، إلى عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغساني النصراني - وكان من المعمرين - وقد ترجم له الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» ، قال : وهو الذي صالح خالد بن الوليد في فتوح الشام .

إلى سطيح وهو : الربيع بن ربيعة بن مسعود - وكان يسكن الجابية - وكان هؤلاء متعاصرين .. وصدق سطيح في إخباره عن الملوك الذين ذكرهم . وقد تساقطوا سراعا كما تتساقط أوراق الخريف .

فقد جاء بعد أنوشروان هرمز ، ثم أبرويز ، ثم شيرويه ، ثم أرد شير ، ثم شهريار ، ثم بودان ثم كسرى بن قباذ ، ثم فيروز ، ثم خشنشدة ، ثم أرزى دخت ، ثم فرخاد خسرو ، ثم يزد جرد الذي هلك - في عهد عثمان - رضي الله عنه - وقد قتل « بمرو » من بلاد خراسان سنة إحدى وثلاثين من الهجرة .. وهؤلاء ثلاثة عشر ملكا ، وتفسير عبد المسيح لسقوط الشرفات الأربع عشرة يقدر بأربعة عشر ملكا . فإذا أضيف إلى هؤلاء أحد الطامعين في الملك . وهو بهرام جوبين مرزبان الري .

وكان في عهد هرمز ابن أنوشروان ، وغلب على الملك فترة من الزمن حتى هزمه أبرويز بن هرمز وأطاح به .. يكون العدد أربعة عشر ملكا ..

وقال السهيلي في «الروض الأنف» : إن ابرويز بن هرمز هو الذي بعث إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - الكتاب .

ولم يذكر بهرام ، ولكنه ذكر ابنا لأبرويز اسمه (سابور) ملك قبل أخيه شيرويه .. وتكمل بذلك العدة أربعة عشر .

ومن بين هؤلاء الملوك امرأة اسمها بوران ملكت سنة وفي حقها ورد الأثر (لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة) مسند أحمد (مسند أبي بكرة) جـ٥ ص ٤٧ وفي رواية (لا يفلح قوم ..) مجمع الزوائد ٥/٢٠٩ - وانظر جمع الجوامع للسيوطي .

ولم يفلحوا حقا ، فقد تصدعوا سريعا ، وتفرق أمرهم ، وحقت كلمة الله عليهم . وسطع نور أحمد فعم الآفاق ، وملأ النجاد والوهاد .

وصدق الله العظيم إذ يقول .. ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ - الفتح ٢٨

نحو إعلام إسلامي

للأستاذ
حسن على العنيبسى

رأينا في مقالين سابقين[1] تعدد تعريفات .. الإعلام الإسلامي . واختلاف الباحثين حوله ثم خلصنا - في النهاية - إلى تعريف محدد واضح لهذا الإعلام . ولقد كان التعريف الذى قدمناه ضروريا لنلج إلى دراسة قضايا الإعلام الإسلامي ، وقد وضعنا تصوراً له حين حددناه بقولنا :

« الإعلام الإسلامي هو الذى يقدم كل وظائف الإعلام المعاصرة في إطار أخلاقيات الإسلام وأماناته وأحكامه . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ الأنعام - ١٥٢ »[2] .

إننا بغير تصور للإعلام الإسلامي - بشكل ما - لن نستطيع معرفة ميدان البحث ، ولا أقسامه ، ولا وظائفه .. إلخ وبالتالى ، فنحن لا نستطيع تداول ممارسته ، ثم الحكم بنجاحها .. ومدى هذا النجاح .

وإذا كان الإعلام عامة - شرقا وغربا - مازال علما بكرا يؤخذ منه ، ويرد ، فإن الإعلام الإسلامي - في صورة مستحدثة - أشد حداثة وبكورة من هذا الإعلام العام ، لذا لم يكن تعريفنا هذا إلا لبنة أولى نرحب بعدها بما هو أفضل عند من يسهم - فعلا - بالأفضل . ومازال حكمة الله باقية في كل ما ينشأ النشأة الأولى .. فتتعاوره الظروف والأحوال ، تأخذ منه وترد عليه حتى يستوى أمره ويبلغ مبلغ الراشدين .

ونأخذ لذلك مثلا علميا واضحا . كتب الإمام الزمخشرى (المتوفى عام ٥٣٨ هـ) معجمه « أساس البلاغة » مستهدفا عملا عظيما رائعا هو بيان الكلمة العربية من حيث استعمالها (حقيقة) فرصد تراكيبها في الحقيقة ، ومن حيث استعمالها (مجازا) فرصد تراكيبها في المجاز .

وكانت الحقيقة والمجاز - في عصره - لم يمحصا التمحيص الكافى الدقيق ، وجاء من بعده بثلاثة قرون الإمام ابن حجر الذى توفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، فاستدرك على الإمام

---

(١) انظر عددى : ذى القعدة ١٤١١ هـ ، والمحرم ١٤١٢ هـ .

الزمخشرى فيما كتب من مادة ، وبين أن بعض ما اعتبره الزمخشرى حقيقة كان مجازا ، والعكس ، ومن ثم وضع ابن حجر - رحمة الله عليهما - كتابه (غراس الأساس) تبيانا علميا لهذه القضية .

ويعنى ذلك أن العلم يوضح نفسه على مسار الزمن بين أيدى المخلصين .. والمخلصين فقط .

إن الحاجة ملحة إلى « إعلام إسلامى » يميز الكيان الإسلامى عن غيره ، ويبرز خصائصه ، ويعطى (فروقا) فردية بينة تفصل بينه وبين الإعلام الآخر ، وإذا نجح هذا الإعلام - بما له من إخلاص وعدالة وهدف - فإنه بلاشك سوف يجذب الملايين الذين يديرون مفتاح (الراديو) على « لندن » و « مونت كارلو » و « موسكو » و « الفاتيكان » و « صوت أمريكا » إذ لا يصح إلا الصحيح ، والبقاء للأصلح ، وبين أيدينا شاهد صدق على « سلبية » قضى عليها رئيس إحدى الدول العربية حين أمر بوقف أعمال « وكالة أنباء بلاده » حين اكتشف أنها تأتى بـ « الخبر » الذى قرأه من مصادر مختلفة - بعد ثلاثة أيام من نشره .. أى أن وكالة الأنباء هذه كانت فى (الذيل) .

وإذا كانت الحاجة ملحة إلى « إعلام إسلامى » فإننا بحاجة ملحة إلى البحث العلمى الذى يتناوله تفصيلا دون أن يكون منظوره ذهنيا بحتا حتى يمكن إنشاء (كوادره) وتوزيع (تخصصاته) على مختلف أعمالها وأهدافها ، وذلك يعيننا - بوضوح - علىْ وضع (تحليل وظيفى) دقيق للعاملين بها ، على ضوئه يختارون ، فيحققون أهدافه الكريمة النبيلة ؛ ليحتل مكانه فى المقدمة ، ويطرح الذيل كما يطرح التناقض .

وإذا كنا قد مررنا بمثال واقعى شاهد على « الذيل » فإن التناقض أشد وضوحا إذا قارنا (ميدان الإسلام) كما تتناوله شريعته ، بالإعلام الإسلامى الذى لا نجد منه إلا (طرفا) مضمونه (الوعظ) فقط ، وفى ميدان هذا الأخير .. وهو لا يمثل من الإسلام إلا قطرة من جدول عظيم .

ويعنى ذلك أنه لابد - فى دراستنا للإعلام الإسلامى - أن تكون لنا إجابة واضحة عن أسئلتنا :

(أ) ما مجالات البحث التى يمكن دراستها فى الإعلام الإسلامى ؟

(ب) هل سيكون لهذا الإعلام مشكلات (تقنية) أو (وظيفية) أو غيرهما ؟

(جـ) وإذا كانت فما الحل ؟

(د) هل يمكن وضع خطة عمل للخروج بالإعلام من (الدراسات الأكاديمية) والنزول به إلى (الواقع) فى كل ميادينه .. ؟

هذه الأسئلة ، وغيرها كثير ، ينبغى أن تكون محل الدراسة فى إعلامنا هذا دراسة موضوعية كما تعطى الإجابة تعطى الوسائل الناجعة .

ولِمَ ننسى أننا أمام إعلام غربى قاهر استطاع أن يفرض نفسه على العالم الثالث بأكثر من طريقة جعلت هذا العالم - للأسف - لا يستطيع الاستغناء عنه :

فهو يسيطر على مصادر الأخبار فى العالم .. وهى ينابيع أساسية للمادة الإعلامية حيث الوكالات يهودية ونصرانية : تقدم ٩٥ ٪ من أخبار العالم كله :

(أ) « أسوشيتدبرس » (A.P) ، « يونايتدبرس » (U.P) - الولايات المتحدة الأمريكية .

(ب) وكالة رويتر (Reuters) البريطانية .

(جـ) وكالة الصحافة الفرنسية (A.F.P) .

(د) وكالتا « تاس » و « نوفوستى » - الاتحاد السوفيتى .

نحــو إعــلام إســـلامى

تقدم هذه الوكالات الثلاث (٣٠) مليون كلمة فى اليوم وهى كمية كافية لإغراق جميع صحف بلاد المسلمين ، وإذاعاتهم ، وتليفزيوناتهم وإن شئت فافتح أية صحيفة .. تجد أنها لا تخلو من أخبار هذه الوكالات .. !!

واسمع راديو القاهرة أو الرياض أو غيرهما .. !؟

الولايات المتحدة وحدها تدير (٧٥ ٪) من جميع برامج « التليفزيون » المتداولة فى العالم ، (٨٩ ٪) من الإعلام التجارى المبرمج ، ونفس الشىء يقال عن « السينما » .

وهذا يعنى أن على الإعلام الإسلامى أن يكون من القوة والصدق والإقناع بالدرجة التى تسمح له أن يبيد الإعلام الغربى بـ « ضمة أخوية » على حد تعبير « ول . ديورانت » ولن يستطيع ذلك إلا إذا تزود بهذه القوى فصرف وجه الناس إليه بغير ما ضجيج ، ولا تشنج .

وكم نطمع ـ أن نستقبل ـ يوما تنفض فيه الشعوب الإسلامية يدها من حاجتها إلى وسائل الإعلام الغربى ، فمازلنا ـ نحن المسلمين ، فى كل بقاع الأرض نستورد الأجهـزة للصحافـة والإذاعة ، و (التليفزيون) .

وهناك خمس عشرة مؤسسة فى ست دول فقط ـ ليس بينها دولة واحدة إسلامية هى : أمريكا ـ بـريطانيـا ـ ألمانيـا ـ اليابـان ـ هولنـدا ـ فرنسا[٢] .. هذه الدول تسيطر على ٧٥ ٪ من مبيعـات العالم من أجهـزة الاتصال من (شـاشـات) التليفـزيـون و (التلكس) والتسجيلات و (الفيديو) و (التليفون) أى أن أى نوع من الإعلام المكتوب .. المسموع .. المرئى لا يمكن بثه إلا عبر تجمع هذه الأجهزة التى تنتجها هذه الدول .. !!

مجالات البحث فى الإعلام الإسلامى :

الإعلام ـ إسلامى او غير إسلامى ـ هو عملية اتصالية مستمرة تحدث كل يوم ؛ هذه العملية لها أركان أساسية .. وكل ركن فيها وحده يحتاج إلى البحث الدقيق ..

● فهناك المرسل أو القائم بالاتصال .. ، والبحوث الغربية فى أمريكا وأوروبا فى هذا المجال ثرية وكثيرة تتناول دور (القائم) بالاتصال فى نجاح العملية الإعلامية وفى فشلها[٣] .

وهناك دراسات تخصصت فى مجالات : مثل الصحـافـة ، ودور الصحفى ، والمنـدوب ، والمراسل ، ومدير التحرير ، ورئيس التحرير ، ورؤساء الأقسام .. فى عملية النشر ومدى صلة هؤلاء بتحريف الأخبار ، أو تزويرها ، أو بترها .. وهناك بحوث كاملة فى هذا الميدان حتى سموا (حراس البوابات) gate Keeper[٤] .. !

وهناك بحوث اهتمت بصفات رجال الإعلام الجيد باعتباره ركنا من أركان الاتصال (مرسلاً) أو قائماً بالاتصال ، وهناك بحوث التدريب .. وتنمية مهارات رجال الإعلام .

وبدهى أننا لا نملك فى ميدان الإعلام الإسلامى بحوثا تذكر فى هذه المجالات .

ومن الحق أن نقول : إننا بقدر ما نفقد من بحوث فى مجال الإعلام الإسلامى نجد لدينا

(٢) حمد السماك ـ مسئولية الإعلام فى الأزمة اللبنانية ـ مجلة الدراسات الإعلامية ـ العدد ٥٩ ـ ١٩٩٠ ـ ص ٢٠ .

(٣) راجع بحوث « ليزر » ، ديفيد برلو ، ماكلوهان ، وغيرهم .

(٤) راجع للدكتور جيهان رشى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، حيث عقدت فصلا كاملا بنفس العنوان والكتاب طبعة دار الفكر العربى ، ١٩٧٣ م .

بحوثا فى (الإعلام الدينى الإسلامى) فثمة بحوث فى الدعوى .. والداعية ، والخطيب .. وعلاقة الداعية بالجماهير .. وإعداد الخطبة .. وألوانها المختلفة .. إلخ لكنا نواجه فقرا .. بل قحطا فى بحوث الإعلام الإسلامى الذى نحن بصدده .

● وهناك .. المضمون الإعلامى الذى تحتويه الرسالة الإعلامية .. الذى يراد إيصاله إلى « المستقبل » وهو من أركان العملية الإعلامية .. بل هو أهم أركانها .. ومن أجله كان الإعلام نفسه ، وكانت وسائله .

هذا المضمون إنما « يؤثر » و « يقنع » مادام قويا .. وقوة المضمون تعود إلى أسباب عدة ، منها ـ مثلا : وضوحه .. وشدة حاجة المستقبل إليه .. وجدته .. وصدقه .. إلخ . فأما إذا كان هشا فإنما هو صيحات فى مهب الريح .

لقد كان (مضمون) القرآن الكريم ـ لما اشتمل عليه من قوة وصدق وإقناع ـ كفيلا بالإطاحة بتواصي كفار مكة ألا يستمعوا إليه ؛ فكانوا يتسللون سراً لاستماعه ، أو يرتقون الأسطح لسماع تلاوة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى صلاته .

والمسلمون اليوم على إعلام ليس إلا خلطة من مزيج عجيب .. كنا نود أن يكون من القوة بحيث يمكنه أن يقنع « المستقبل » الغربى بقضايانا ؛ فإذا هو لا يقنع العربى بينما تجاذبته الإذاعات الأجنبية حتى يكاد بعضهم أن يحفظ مواعيد برامجها .. وفيها ما فيها من سم فى عسل وباطل فى حق .

وما من شك أن الباحث فى « الإعلام الإسلامى » عليه أن يتناول قضية المحتوى بتفصيل يتسع (عرضا) لكل أبواب الإعلام ، و (عمقا) لتقديم المادة الأصيلة ذات الجذور الإسلامية العلمية ..

فأما ما نراه من كم فى البحوث فإنما كان فى جانب الإعلام الدينى فقط ، وبحوث المحتوى ضرورية لتقويم المسار ، ولمعرفة مدى التأثيرات فى ظل الظروف الدولية والمحلية .

● ثم هناك « الوسيلة » ، وحين نتحدث عن الوسيلة فى الاتصال ، فإنما نركز على الوسيلة (الصناعية) لا الطبيعية : ذاتية أو شخصية أو جماعية .. وإن كانت هذه ـ بدورها ـ فى حاجة إلى عروج عليها ليكون لها إطارها فى إعلامنا الإسلامى .

فأما الوسيلة الصناعية الناقلة للمحتوى من (صحيفة) .. أو (راديو) أو (تليفزيون) فإن لها الفضل الأول فى نقل (الرسالة) وإلا بقيت أفكاراً مجردة فى أذهان أصحابها .. هذه الوسيلة أخذت أخيراً تلج طورا خطيرا بدأ بالأقمار الصناعية ، ويعلم الله ـ وحده ـ إلام تنتهى .

فأين نحن منها .. ؟ إن القمر الصناعى ـ فى ذاته مثلا ـ ليس محلا أبدا للحكم عليه بالحل أو الحرمة فلا داعى للخلط بينه وبين (المحتوى) .. كذلك لا داعى للخلط بين (المحتوى) والعجز عن التصدى له ، إن كان هناك من تصدٍ ، وليس ميلا من البعض إلى قبوله بشراهة كذلك لا داعى للخلط بين الوسيلة وما تحشى من سخافات ..

إن « الوسيلة » هذه الآلة الطيبة لن تمتنع أبدا عن معالجة قضايا الإسلام والعروبة والمسلمين .. إنها آلة مطواعة لا تحمل ذنوب البشر .

هذه الآلة .. أعنى الوسيلة .. والوسائل كافة لم تحظ منا ـ إلى يومنا هذا بالبحوث الكافية التي تعطينا مؤشرا دقيقا عن مدى استجابة الجماهير الإسلامية لها .. هذه واحدة والثانية : أن هذه الوسيلة بإمكانها أن تشارك فى إمداد الناس بما هم فى حاجة فعلية إليه .. فى (محو الأمية) .. فى (التوعية الموسمية) لمختلف المزروعات .. إلخ .

نحــو إعــلام إســـلامى

إن بحوثا للاستفادة من هذه الوسائل ينبغى أن تجرى لتتناول كافة شئونها .

● « وهناك المتلقى » ـ جماهير الشعوب الإسلامية ..

لم نجر بحوثا لدراستها ومعرفة تركيبها السكانى ، ومعرفة الجوانب الثقافية المتعددة فيها .

وهل لدينا البيانات عن الشباب والأطفال والنساء والعمال والفلاحين والأساتذة .. إلخ .

إنها ضرورية جداً عندما نخطط لحملة إعلامية ..

ضرورية عندما نحاول إقناع الناس بأمر ما .

إننا ـ باختصار شديد ـ إذا تعرضنا ، ونحن متعرضون ـ بمشيئة الله تعالى ـ لدراسة « الإعلام الإسلامى ـ نجدنا أمام بحوث ضرورية شتى لخدمة هذا الإعلام وتغطية جوانبه كلها ، فما من موضوع أشرنا إليه فى مقالنا هذا ، وقلنا : إن الميدان خلو منه ، أو هو قليل فيه ـ إلا وجب علينا التصدى له حتى يتم للإعلام الإسلامى كيان يمكن ممارسته عمليا دون أن يقبع فى بطون الكتب .

إن مجالات البحث فى الإعلام الإسلامى وفيرة وكبيرة لمن يريد أن يخدم هذا الدين ..

وأرانى ـ إن شاء الله ـ فى هذه الدراسة سوف أتناول مجال (المحتوى) مضمون الرسالة الإعلامية بداية لأنها الأهم فى نظرى الآن ليعرف الباحثون فى الإعلام أن الإعلام الإسلامى يختلف كثيراً عن الإعلام الحالى فى مضمونه ووسائله وغاياته ورجاله ومؤسساته ..

ولا شك أن الخبر هو الخبر .. ولكن للإسلام موقفا من مصادره وأسلوب استقائه وللإسلام موقف من الصحفى الذى يستقيه ، ومن المحرر الذى يكتبه ومن الشكل الذى نخرجه به وسوف نعرض لذلك تفصيلاً ..

ولاشك أن المقال الصحفى .. هو هو .. ولكن المقال الإسلامى له مجاله .. وله رؤيته .. وله التزامه .. وله أسلوبه وله كاتبه .. وهكذا فى بقية الفنون الصحفية والإعلامية الأخرى ..

● أعرف أن القضية صعبة .. شائكة .. متشابكة .. ولكن لابد من عمل .. لابد من البداية .. مهما كانت البداية ـ

ومن الله ـ وحده سبحانه ـ نستمد العون ونرجو السداد .

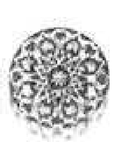

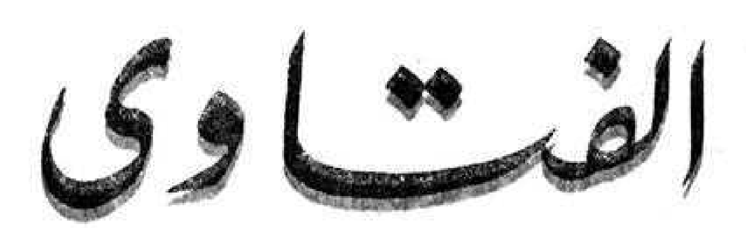

أموال الزكاة لا تحل لآل البيت

● ما موقف آل البيت الشريف فى وقتنا هذا وقد انعدم بين المسلمين بابا حقهما الذى نص عليه كتاب الله تعالى فى الغنيمة والفىء الذى خصص جزء منه لآل البيت، والحال ان بعضهم فقير جدا ... فهل تحل لهم اموال الزكاة والصدقات .. ؟

ــ ذكر الله ــ تعالى ــ فى سورة « التوبة » مصارف الزكاة فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

ولايجوز دفع الزكاة لأحد من آل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما لا يجوز لواحد منهم أخذ الزكاة، فقد كان ابن مسعود خازنا لبيت المال فى عهد سيدنا عثمان ــ رضى الله عنه ــ فأتاه آل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقالوا له : أعطنا أعطياتنا فقال : ما عندى لكم عطاء، إنما عطاؤكم من فيئكم وجزيتكم والصدقة لأهلها، فلما ترددوا عليه جاء بالمفاتيح إلى عثمان فرمى بها وقال : إنى لست بخازن .

عبد الرزاق ٤/٥٣

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

وإنما تكون نفقتهم على بيت المال إن توفر فيه مال من غير مال الصدقة فإن لم يتوفر تكون نفقتهم على اغنياء المسلمين، والغنى من زاد ماله على نفقة عام .

قصر الخطبة وإطالة الصلاة

● ورد إلى المجلة سؤال بشأن قيام خطباء الجمعة فى بعض المساجد بإطالة الخطبة مع وجود مصلين كثير قد افترشوا الارض خارج المسجد تحت اشعة الشمس وبعضهم كبير السن لايتحمل ذلك، فما حكم الإسلام فى هذا الوضع ؟

ــ السنة أن يقصر الخطيب الخطبة ويطيل الصلاة فقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : « أحسنوا هذه الصلاة، واقصروا هذه الخطب » .

وعن أبى الأحوص أن ابن مسعود ــ رضى الله عنه قال : « إنكم فى زمان قليل خطباؤه، كثير

الفتـــــــاوى

علماؤه يطيلون الصلاة ويقصرون الخطبة ، وإنه سيأتى عليكم زمان كثير خطباؤه ، قليل علماؤه يطيلون الخطبة ويقصرون الصلاة حتى يقال : هذا شرق الموتى ؛ قيل : وما شرق الموتى ؟ قال : إذا اصفرت الشمس جداً » .

« صلاة الإمام .. وصلاة المأموم »

● يسأل مالك عبد الرحمن ـ باكستان ـ عما إذا كان فساد صلاة الإمام يفسد صلاة المأموم ؟

ـ كل صلاة بطلت على الإمام بطلت على المأموم . إلا فى مسائل منها :

١ ـ إذا سبقه الحدث أو نسيه . فلا تبطل صلاة المأموم .

٢ ـ إذا ضحك الإمام غلبة أو سهوا فلا تبطل صلاة المأموم .

٣ ـ إذا رأى المأموم نجاسة على إمامه ونبهه إليها على رأى .

٤ ـ إذا سقط ساتر عورة الإمام المغلظة فى قول عند البعض .

٥ ـ إذا انحرف الإمام عن القبلة كثيرا ونوى المأموم مفارقته .

٦ ـ إذا قطع الإمام الصلاة لخوف على مال أو نفس .

٧ ـ إذا طرأ له جنون أو موت .

إلى غير ذلك . والله أعلم .

« الصلاة بعد صلاة الصبح »

● ويسأل عبد الرحيم منصور من (المحلة) عن صحة ماسمعه عن كراهة الصلاة بعد صلاة الصبح حتى طلوع الشمس ؟

ـ يكره للمسلم إذا صلى الصبح فى وقتها بعد ان صلى ركعتى النفل ان يصلى بعدها إلى مابعد شروق الشمس بنحو ثلث ساعة ؛ لأن هذا وقت يقارب وقت طلوع الشمس ، وهو الوقت الذى يتوجه عباد الشمس إلى عبادتها ، وعلى ذلك كان الخلفاء ابو بكر وعمر وعثمان ـ رضى الله عنهم ـ جميعا ، وذلك لما رواه البخارى ومسلم عن ابى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس » « رواه البخارى ومسلم » .

ويجوز لمن لم يدرك ركعتى النفل قبل الجماعة اول الفجر ان يصليهما بعدها وقبل طلوع الشمس .

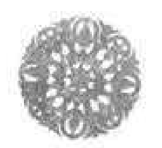

إعداد: رشاد محمد يوسف

مولد النبى الكريم ﷺ - مولد الهدى والنور والرحمة المهداة - سيظل نبعا فياضا وعطاء مستمرا وعبقا متدفقا يعطر جنبات الحياة بكل زكى وكريم وجليل من صفوة القيم السامية والمثل العليا والخلق العظيم سيظل المولد النبوى رمزا لانتصار الحق وانطلاقا للعلم والخير والأمان وارتفاعا بكرامة الإنسان عن الدنايا والشتات وسموا به إلى آفاق النور والجلال وهذه باقة عطرة من بعض إبداعات الشعراء حول المولد النبوى الشريف،حاولنا فيها مواكبة المسيرة المحمدية ومعايشة السيرة العطرة والله ولى التوفيق .

نلتقى مع الشاعر الاعشى وهو يخاطب ناقته :

فآليت لا ارثى لها من كلالة ... ولا من حفا حتى تزور محمدا

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم ... تريحى وتلقى من فواضله يدا

نبى يرى ما لا يرون ، وذكره ... أغار لعمرى فى البلاد وانجدا

له صدقات ما تَغُبُّ ونائل ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا

أجدك لم تسمع وصاة محمد ... نبى الإله حين أوصى وأشهدا

ثم نستمع إلى «كعب بن زهير» وهو ينشد :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول

أنبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول

قبسات من النور المحمدى

مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة ... القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم ... أذنب ولو كثرت عنى الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به ... وصارم من سيوف الله مسلول

أما الشاعر النابغة الجعدى فيحدثنا عن لقائه برسول الله ، وأثر ذلك فى حياته :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابا كالمجرة نَيِّرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها ... وكنت من النار المخوفة أحذرا

ويؤكد شاعر الرسول «حسان بن ثابت الأنصارى» كل المعانى السابقة فيقول :

أغرٌّ عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يَلُوحُ ويشهد
وضم الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

ويواصل حسان بن ثابت قائلاً :

وشق له من اسمه ليجلّه ... فذو العرش محمود وهذا محمد
نبى أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان فى الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا ... يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنقذنا نارا وبشر جنة ... وعلمنا الإسلام فالله نحمد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره ... وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

ثم يواصل الشعراء عطاءهم النورانى ناهلين من ألق النبوة وعبق الإسلام فيطالعنا «الكميت» فى إحدى هاشمياته قائلاً :

خير حى وميت من بنى ... آدم طُرًّا مأمومهم والإمام
خير مسترضع وخير فطيم ... وجنين أقر فى الأرحام
وغلاما وناشئا ثم كهلا ... خير كهل وناشىء وغلام
لو فدى الحىُّ ميتا قلت نفسى ... وبنى الفدا لتلك العظام

أما فيلسوف المعرة ورهين المحبسين أبو العلاء المعرى فيؤكد عمق إيمانه قائلاً :

دعاكم إلى خير الأمور محمد ... وليس العوالى فى القَنا كالسوافل
حداكم على تعظيم من خلق الضحى ... وشهب الدجى من طالعات وآفل
وألزمكم ما ليس يعجز حمله ... أخا الضعف من فرض له ونوافل
وحث على تطهير جسم وملبس ... وعاقب قذف المحصنات الغوافل
وحرم خمراً خلت الباب شربها ... من الطيش الباب النعام الجوافل

وتتوالى مسيرة الأيام وتظل السيرة العطرة مصدر الهام ومنبع وحي للشعراء على مر العصور .

فهذه كلمات بعنوان «مطلع النور» للشاعر احمد محرم من ديوان مجد الإسلام :

املأ الأرض يامحمد نورا ... واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سراً تجلى ... يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد فى كل واد ... فتدفق عليه حتى يغورا
جئت ترمى عُبَابَهُ بعباب ... راح يطوى سُيُولَه والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمى ... أمم الأرض أن تذوق الثبورا
زاخر يشمل البسيطة مدا ... ويعم السبع الطباق هديرا
أنت معنى الوجود بل أنت سرٌ ... جهل الناس قبله الاكسيرا
انت انشأت للنفوس حياة ... غَيَّرتْ كل كائن تغييرا

ويبدع أمير الشعراء احمد شوقى كل الإبداع حينما يصف اخلاق الرسول ﷺ :

يامن له الأخلاق ما تهوى العلا ... منها وما يتعشق الكبراء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل ... يغرى بهن ويولع الكرماء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى ... وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادراً ومقدرا ... لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان فى الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هى غضبة ... فى الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك فى مرضاته ... ورضى الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هزة ... تعرو الندى وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما ... جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا حميت الماء لم يُورَدْ ولو ... أن القياصر والملوك ظماء
وإذا أجرت فأنت بيت الله لم ... يدخل عليه المستجير عداء
وإذا ملكت النفس قمت ببرها ... ولو أن ما ملكت يداك الشاء
وإذا بنيت فخير زوج عشرة ... وإذا ابتنيت فدونك الآباء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما ... فى بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته ... فجميع عهدك ذِمَّة ووفاء
والبر عندك ذمة وفريضة ... لا مِنَّةٌ ممنونة وجباء
جاءت فوحدت الزكاة سبيله ... حتى التقى الكرماء والبخلاء
انصفت أهل الفقر من أهل الغنى ... فالكل فى حق الحياة سواء

ثم يتجه شوقى إلى سيدنا رسول الله داعيا ومستشفعا فيقول :

ياخير من جاء الوجود تحية ... من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
ماجئت بابك مادحا بل داعيا ... ومن المديح تضرع ودعاء
ادعوك عن قومى الضعاف لأزمة ... فى مثلها يُلْقَى عَلَيْك رجاء

قبسات من النور المحمدى

وينادى الشاعر الكبير إبراهيم عيسى زملاءه الشعراء أن ينهلوا من هذا المنهل :

يا أيها الشعراء هذا منهل لا الكرم يعرفه ولا الندماء
لا تعذلوه إذا تسامى وازدهى فيه لحب محمد خيلاء
ومحمد أنشودة للأنبياء وقمة يحبو لها الحكماء
زفته للأرض السماء كريمة وعليه من ألق الجلال رواء
فكأن جوع البيد حقل سنابل لما همت بمجيئه النعماء
يا أيها الأمى يا نور الورى بك تستعز على السما الغبراء
اقرأ فإنك للوجود معلم ومهذب ومشذب ورجاء
يا أيها الدر اليتيم تحية لا المدح طرزها ولا الإطراء
لكنها حب يغرد فى دمى أخفى لظاه تأدب وحياء

والدكتور مختار الوكيل يفاخر بالرسول وبالقرآن قائلاً :

زهونا بميراث النبى محمد ولذنا بقرآن الإله تهجدا
إذا أقبل الليل انثنينا لسورة نطالع فيها الباقيات على المدى
وفى هداة الليل الحنون ترنمت لهاة بآيات وضاء هى الندى
وعيد ووعد بالجنان ورحمة وعهد بغفران لمن تاب واهتدى
ونار أعدت للذين تجبروا عتوا فضلوا وانتهى أمرهم سدى
فيا سيد الرسل الكرام تحية إليك من القلب الذى قام منشدا
لقد جئت من رب الأنام بمعجز على الدهر يبقى فى الصدور مرددا
مضت معجزات الرسل فور ظهورها وقرآنك الباقى على الدهر سرمدا
فيا من إلى القرآن تنمى أصولهم اعزوا كتاب الله تُرْضُوا محمدا

وشاعرتنا ابنة الإسلام «علية الجعار» تعتز بانتسابها إلى الإسلام قائلة :

عطر بذكر محمد الحانى واقبس من الأخلاق والإيمان
قامت على الخلق العظيم حياته أثنى عليه الله فى القرآن
أحسست عزة نفسى منذ إسلامى وفى حمى المصطفى حققت أحلامى
بالعطف يغمرنى، بالحق ينصرنى وفى وصيته أوصى بإكرامى

•••

يا أيها الأمى قد علمتنا وهديت فينا أنفسا وعقولا
شاء الإله لنا النجاة فخصنا بك هاديا ومعلما ورسولا

والشاعر السعودى «إبراهيم امين فودة» ينادى ويناجى المولد النبوى من ديوانه تسابيح وصلاة :

أى ذكرى كريمة كلما عدت ... ليلة المولد الكريم فعودى
مولد المصطفى الذى أشرق ... النور عميما به بكل صعيد
جاء من قبله النبيون تترى ... وأتى درة لعقد نضيد
ختم الله بالكمال به الرسل ... إلى الخلق فهو بيت القصيد
الهدى والجلال والحب والرحمة ... صيغت على جمال فريد
هى كانت محمداً وتجلى ... فيه إنسانها عظيم الوجود

ويخاطب الشاعر اللبنانى «محمد على الحومانى» النبى الكريم قائلاً :

أنت جددت شرعة الخلق السامى ونقيتها من الأدران
لم ينل قائم على الحق فى العالم ما نلت من رضا الديان
يارحيما أشعت فى كل نفس قبسات من نورك الرحمانى
فرأينا الهدى بغير عيون ووعينا الصدى بلا آذان
ولمسنا بغير أيد أياديك علينا جليلة الإحسان
فإذا كل عارف نير الفكر مدين لهن بالعرفان

اما شاعر الاسكندرية عبد العليم القبانى فيقدم هذه اللقطة المضيئة :

يوم أغر ومهرجان مشرق ... ضاح عليه من البطولة رونق
الأرض فيه والسماء ازدانتا ... بأجل ما يهب الربيع ويغدق
واهتزت الصحراء فهى خميلة ... تهفو لرؤيتها القلوب وتخفق
فى كل مسبح نظرة حلم يرى ... ومتى تتاح وفرحة تترقرق
والغار والجبل المقدس شاقه ... نور على نور السما يتألق
والبيت ذو الأستار يهفو فرحة ... حتى يكاد من التشوق ينطق
والرُّوح يدنو والملائك تلتقى ... زُمَراً على ركب النبى تحلق
يوم النبوة لو شهدت جلاله ... لدرت عيون الشعر كيف تنسق

والشاعر محمود العتريس يتحدث عن سيد الهداة قائلاً :

ماذا يقول الحديث والكلم ... والأمر لا يرتقى إليه فمُ
من رحمة الله جاءكم قبس ... تزهو بلألاء عزه القمم
محمد للورى وما طمحت ... إلى ذراه العصور والأمم
محمد سيد الهُدَاة به ... يبدأ دين الهدى ويختتم
فلتعبدوا الله لا شريك له ... ولتقتلوا البغى أين يعتصم

قبســات مـن النور المحمدى

والدكتور محمد كمال إمام يخاطب النبى الكريم قائلاً :

لــولاك لما ارتفعت فينا مئذنة أو كبر مسجد
لــولاك لما نطقت فينا لغة الإيمان ولم نسجد
لــولاك لما عرف الإنسان الدرب إلى الله الأوحد
ولظل يسبح للأوثان ويؤمن بالحجر الجلمد
لكن فى قلبى اغنية تتفجّر من نبع «محمد»
تتساءل كيف يضل الناس حيارى قد فقدوا المرشد
ما بال القوم كأنهمو ذابوا فى الفكر المستورد
وضياؤك فينا مثل الشمس بقاء بل منها أخلد

ويقول الشاعر العربى السورى «عدنان مردم بك» :

نصرت كل هضيم وانتصفت له من ظالم فغفت فى الأمن أجفان
خفضت جنحا لمظلوم فلاذ به كما تلوذ بجُنح الأم ولدان
فأصبح القوم فى صف سواسية وليس فى الناس أحرار وعبدان
بعثتها صرخة لله داوية أصغت لها من ضمير القوم آذان
أتيت والناس أنعام مشردة عماية وصدور القوم بركان
هتكت غيهب ليل طالما خبطت به الشيوخ وضلّت فيه رهبان
حررت قومك من أغْلَالٍ شقوتهم بنعمة العلم إن الجهل سجان

ويتحدث عن الصادق الأمين الشاعر الأستاذ إبراهيم صبرى رئيس نادى القصيد فيقول :

ونما طاهرا وشب نقيا دابه الصدق والندى والوفاء
أطلقوا (الصادق الأمين) عليه بيمن الحق ليس فيه مراء
كلما صادفوا عسيراً عليهم كان بالصادق الأمين اهتداء
فإذا الصادق الأمين رسول جمعت فى خلاله الأنبياء
فإذا المؤمنون إخوة بيت جل فيه البناء والبناء
أكملت صرحه رسالة طه فهى فيه الدعامة الشماء

وتتقدم الشاعرة الراحلة الأستاذة روحية القلينى بهذا النداء :

أمحمد طال الندى يرنو إلى الروح الحبيب
روح الذى حمل الأمانة والقبائل تستجيب

نـاديـتـــــه بتلـهـف والشـــوق فـــى قلبـــى وجيـــب
أمـحـمـــد طـــال النـــداء ومــن دعـــا بــك لا يخيـــب
فـمـتـــى أزورك يــاشفيـــع المسلميـــن الـمـؤمنيـــن
كيمـا انـاجـــى اللـــه فـــى أرض التقـــاة القـانتيـــن
واتـــوب مـــن ذنبـــى وأنــت شفـاعـــة للتـائبيـــن
قـــد طـــال شـــوقـــى يـارســـول الله وازداد الحـنيـــن

والشاعر إبراهيم صالح إبراهيم يخاطب رمال البيد قائلاً :

يـارمـــال البيـــد غنـــى وأعيـــدى قصـــة النـور عـلى سمـع الـوجـود
يـوم ســارت خطـوة الطـهـر علـى صــدرك الممتــد لـلأفـق البـعيـد
اذكـــرى احمــد فى إشــراقــه وهــو يحكـى طـلـعـة الصبـح الجـديـد
كلمـــا لاحـــت لـعينـــى «يـثـرب» هـز اعمـاقـى صـدى اللحـن الفـريـد
طـلـعـــة البـدر علـــى آفـاقـهـــا فـرحـــة الإيمـــان بـالنصـر المجيـد

والشاعر الكبير «محمود جبر» شاعر آل البيت يحدثنا عن أحب الأسماء :

يـاضيـــاء يـعـــب منـــه الضيـــاء وبـهـــاء بــه استـعـــز البـهـــاء
كـل شـىء بـك استنـار سنــــاء أنـت فـى الأرض مـا تـريـد السمـاء[1]
ميمـك الميـم والمنـــى والمثـانـــى ميمـك المنـح والمـعـانـى الـوضـاء
حـــاؤك الحمـــد لا مـــوازى بحمــد حـــاؤك الحـــق والحيــا والحيـــاء
دالـــك الـــدل يـاديـلـيـل الحيـــارى يـــادعـــاء بـــه يجـاب الـدعـــاء

ويخاطب الشاعر الكبير «عزيز اباظة» ام القرى قائلاً :

قـل لأم القـرى عَـدَتْـك الـعـوادى وسـقـت رملـك الطـهـور السمـــاء
شـب فيـك اليتيـم ضمـت أبـاه فـــى الصبـا النضـر ، يـثـرب الـغـراء
وطـوى امَّـهُ الـــردى فطوتـهـــا فـــى مجـالـى شـبـابـهـا «الأبــواء»
انجبـاه كـالصبـح اسفـر ، فـانجـاب ظـــلام القلـــوب فـهـــى وضـــاء
وحجـــى بصـــر الأنـــام فـعـاقـــت جـهـلـهـا الجـاهـلـيـة الحمـقـــاء
وهـدى طـهـر النفـوس مـن الكفـر وللكفـــر فـــى الـــورى استـعـــلاء
يـوم القـى جبـريـل مـعـجـزة الـدهـر كـتـابـــاً بـــآيـــه يـسـتـضـــاء
قيـل : سـحـر ، وقيـل : بـل هـو شـعـر دون هـــذا وتـقـصـــر الشـعـــراء
إنـه البينـاتُ تبقـى علـى الـدهـر ويبلـــى البلـــى ويـفـنـــى الفنـاء

(١) كناية عن تنفيذ رسول الله ـ ﷺ ـ لأمر الله ـ سبحانه .

قبسات من النور المحمدى

ويحدثنا الشاعر العظيم «محمود حسن إسماعيل» عن النور الأعظم فيقول :

يا أول نور سكب الله النور الأعظم من شفتيه
يا أول نور كل النور تألق منه ، وجاب الكون على كفَّيه
يا أول نور خف إليه الروح القدس وكبر شوقا بين يديه
يا أول نور شرب الكون رحيق العزة لما سار على شطيه
عد لخطانا ، عد لهوانا ، يعد النور لروح الحائر فى كهفيه

ويتساءل الشاعر رشاد يوسف قائلاً :

يا ملايين من عشيرة طه ... آن أن ينتهى زمان الترددْ
آن أن نستفيق عقلا وقلبا ... ليس بالأمنيات فالأمر أبعدْ
كيف نلهو وبيننا سُوَرُ الوحى ... وفينا تعيش سنة أحمدْ
كيف نرضى بوصمة الجهل فينا ... والنبى الكريم بالجهل ندَّدْ
كيف نرضى تخلفا أو جمودا ... ولنا السبق من قديم تعددْ
خير ذكرى لأحمد حين نحمى ... قدس قرآننا وحرمة معبدْ
خير ذكرى لأحمد حين نمحو ... سُحُبَ الجهل والجمود الملبدْ
خير ذكرى لأحمد حين نصفو ... ونحيل الحياة بالحب أرغدْ
خير ذكرى لأحمد حين نقفو ... فى دروب الحياة خطو محمدْ

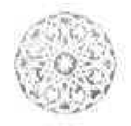

العلوم الكونية

علم الفلاحة

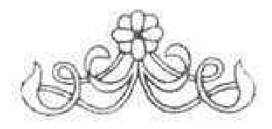

الجديد في العلم والتقنية

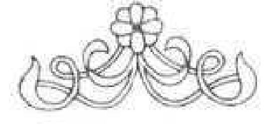

الأمة الإسلامية وعصر الفضاء

علم الفلاحة

أ. د. أحمد فؤاد باشا

كان الإنسان منذ القدم يهاجر دائماً من أرض إلى أرض بحثاً عن أنسب الأماكن التى تصلح للزراعة والتجارة واستيفاء ما ينقصه من وسائل العيش وتهيئة ظروف الأمن والاستقرار، وكانت الأنهار والبحار هى التى تغريه بالتمركز حولها أو بالقرب منها لما تدرّه خصوبة التربة ووفرة المياه من خيرات؛ لذلك كان الاهتمام بالفلاحة أمراً طبيعياً وحيوياً فى كل العصور؛ وظل هذا الفن محصوراً فى نطاق التجربة المحلية والخبرة المكتسبة إلى أن جاء عصر النهضة الإسلامية وأصبحت الفلاحة فيه علماً له أصوله وقواعده شأنها فى ذلك شأن باقى فروع العلم والمعرفة. وسوف نكمل فيما يلى ما بدأناه فى العدد السابق من حديث حول مآثر علماء المسلمين فى مجالات الفلاحة ومنهجهم العلمى التجريبى فى التعامل مع التربة وإصلاح الأرض والزروع والثمار وعلاج آفاتها.

آراء متقدمة فى اختبار الأرض وإصلاحها !

ذكر ابن العوام فى «كتاب الفلاحة الأندلسية» خلاصة معرفته التجريبية فى كل ما يتعلق بالعلوم الزراعية، وانتفع به عرب الأندلس والأوروبيون فيما بعد إلى الحد الذى وصفه مؤرخ الحضارة «ول ديورانت» بأنه: «أكمل بحث فى علم الفلاحة أُلف فى القرون الوسطى برمّتها»، وقد ترجم هذا الكتاب فى القرن الماضى إلى الأسبانية والفرنسية، وقال عنه: «انطون باسى» فى تقرير قدمه سنة ١٨٥٩ إلى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية: إنه موسوعة زراعية تامة تفرد بها القرن الثانى عشر الميلادى.

يقول ابن العوام: إن أول مراتب الفلاحة

معرفة الأرض ، والبعض فى امتحان الأرض يكتفون بالنظر إلى ما ينبت فيها ، ولو بحشيشة واحدة ، مثل « العوسج » و« الشوك » و« العليق » ، فيأخذون من أغصانها وأوراقها المتوسطة فيدقونه ويقيسون طعمه إلى طعم مثله مما ينبت فى أرض سليمة من الآفات ، فيستدلون بالخلاف والوفاق ؛ وهذه دراسة مقارنة لها قيمتها العلمية فى منهج البحث السليم [1] .

ويقول ابن العوام أيضاً : إن بعضهم يستدل على طيب الأرض ودناءتها بأعشاب نبتها لا نكاد نخطىء الاستدلال بها ، ويمثل بنباتات لا تنبت إلا فى الأرض الجيدة ، وأخرى تنبت فى الأرض الدنيئة ، والبعض ينبت فى كلتيهما ، فالأرض فى رأيه لا تخطىء أبداً ، وهذا مايسمى فى العلم الحديث بأن النباتات كواشف للبيئة .

أما أساليب استصلاح الأراضى فتحظى باهتمام كبير فى علم الفلاحة الإسلامى ، ومن أوضح النصوص فى ذلك قول رضى الدين الغزى : « اعلم أن الإصلاح العام لجميع الأرض الخارجة عن الاعتدال هو المطر الخفيف اللين ، ثم المطر الغسال .. وماء السيل الكدر ، إذا قام عليها وخلف تراباً كثيراً أصلحها ، فإنه يغسل الأرض ويبردها ويصلحها ويقويها ويقوم مقام الزبل المصلح ... والأرض الحامضة بتكرير التزبيل مع رماد الرمان .. وتصلح الأرض المالحة بعد مجيء المطر الأول ، فتدق عيدان الباقلى اليابسة دقاً ناعماً ، وينثر على هذه الأرض بعد كرابها وتترك هكذا للصيف ، ثم ينثر على وجهها سرجين البقر مذاباً بالماء فإنه يحيلها إلى العذوبة .. وإن اتفق أن تغيم السماء أربعين يوماً على الأرض المرّة والحريفة بحيث لا تطلع عليها الشمس صلحت صلاحاً جيداً بغير علاج ، وربما يكتفى بزراعة حب الرز والأزادرخت مما يلقط المرارة ونحوها ... والأرض الخزفية ، وهى التى يعلوها شبه الخزف لوناً وقواماً ، وإصلاحها أن تقلب قلباً عميقاً ، وتدق حتى تختلط تلك الأجزاء التى تخزفت ، ويكرر ويعاد عليها ، وينثر عليها الباقلى والشعير مخلوطين بروث الحمير .. ومثل هذا الاستصلاح إذا لم يتم بدقة فإنه يفسد التربة ، وفى ذلك خطر أن تنقلب إلى الحرافة ، فيكون الذى حصل لها شرًّا مما ذهب عنها » . [2]

ويغلب على أساليب الاستصلاح عموماً عامل المقارنة بين أنواع الأسمدة البلدية ، وقد خصص ابن العوام فى كتابه المذكور سابقاً فصلاً لكيفية استعمال الأزبال فى الشجر والخضر ، ويقول : إن هذه مع منفعتها للنبات فإنها تنفع الأرض التى فيها النبات والتى لا نبات فيها ولا شجر ، وذلك أنه إن طرحت فى أرض رديئة أصلحتها ، وإن كانت الأرض صالحة زادتها صلاحاً فى طيبها وقوتها ، وكذلك هو فعلها فى النبات والشجر ، التقوية والصلاح ودفع العوارض الردية عنها .

ويعتقد الغزى بصحة العلاقة بين الزبل ونوع الأرض ، فالأرض الحمراء تزبل يسيراً قدْر الا

---

(١) د . عبدالحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف ١٩٨٠ ، ص ١٧٦ .

(٢) د . محمد وليد كامل ، أعمال ندوة « التراث العلمى العربى للعلوم الأساسية » ، طرابلس ليبيا ١٩٩٠ .

علــم الفـلاحـــة

يظهر فيها لأن كثرته توهنها ، والأرض البيضاء تزبل كثيراً وكذا الصفراء ، والغليظة يحلل غلظها بالرماد والزبل الكثير إن لم تكن طيبة ، أما الأرض الكسحة فلا تحتاج إلى زبل ، والمالحة تزبل بالزبل الحلو والتبن ، والأرض كلها إذا زبلت فوق الحاجة احترقت واحترق ما فيها [٣] .

آراء متقدمة فى أساليب الغرس :

وصفت كتب الفلاحة الإسلامية طرق غرس الأشجار والخضر وأنواع المياه المستعملة فى سقيها ، فهناك الماء العذب والماء المالح الزعاق والماء القابض العفن ، والماء الذى غلب عليه طعم بعض المعادن ، وتحدث ابن العوام عن الاستدلال على قرب الماء بأنواع النبات وطعمه وريمه وبلون وجه الأرض .. وأوصى فى غرس البساتين بألا يكون غرس الأشجار غرساً مختلطاً بل ينبغى أن تكون الفُرج التى بين الغروس على قدر طبع الأرض وقوتها ، وأجود جميع الغروس التى تحمل ، وخير غرس الشجر مايكون من غصون ، والغصون التى من البذور أضعف فى الجملة من جميع الغروس ، ولا تغرس الأشجار التى تعظم مع الأشجار التى لاتعظم ولا التى تتعرى من أوراقها مع التى لا تتعرى منها .

ويصف ابن العوام طريقة « الترقيد » المعروفة حالياً فيقول : ومن الناس من يعمد إلى زرع هذه الأشجار من فروع تنتزع من الشجر فيميلها ويطمرها فى التراب حتى يصير لها أصول ثم ينقلها ، كما يصف عملية التكاثر الخضرى فى الأشجار المختلفة بطريقة « المشاتل » وينصح بأن تكون « المشاتل » فى أرض جافة لم تفلح ، وأن تكون الشمس مشرقة عليها وتصل إليها الرياح الجارية ، وينبغى أن تقلب هذه الأرض قلباً مستقصى لنزع أصول الحشائش ويحفر حول الغروس مرة كل شهر ، وأن تكون الآلات صغاراً جداً لئلا يضر ذلك الحفر بالغرس ، وتلقط الفروع التى تنبت فى الغروس وهى غضة قبل أن تخشن ، وينبغى أن تكون الأرض التى تحول إليها الغروس من موضع تربتها مقاربة فى الصفة للأرض التى ابتدىء زراعتها فيها أو مثلها ، ولا تحول من أرض جيدة إلى أرض رديئة .

ويقول ابن العوام فى أوقات الغرس : إنها تختلف على قدر اختلاف البلدان والأمم أو الربيع أو الخريف ، ويقول أيضاً : إذا أردت أن تأخذ الغرس من أى نوع شئت كان قصعاً أو خلعاً أو ملخاً أو وتداً أو غرساً بأصله ، ولا تأخذ من الغرس إلا ما يلى الشمس فهى تحره وتدبغه وكلما أحرته الشمس فهو أجود ، ولا تأخذ غرساً أبداً من ناحية الشمال ، وماجاوز الشمال فإنه ظليل قليل الحمل ، قليل التعلق ، وينبغى أن تأخذ الأغصان من أعلى الشجرة وتختار الغراسة من أكثر الأشجار حملاً وأطيبها طعماً فإن المؤونة والنفقة فى غراس النوع الجيد وعمارته والردىء سواء ، فغراسة الجيد أولى [٤] .

---

(٣) المرجع السابق .

(٤) د . عبدالحليم منتصر ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ ومابعدها .

آراء متقدمة فى دراسة المراعى :

كان أبوحنيفة الدينورى المتوفى عام ٢٨٢ هـ (٨٩٥م) أول من ألف فى علم الرعى والمراعى الطبيعية ، وذلك فى باب خاص من كتابه المعروف عن « النبات » .

يقول أبوحنيفة فى أخر هذا الباب ، ملخصاً لما ورد فيه : « قد أتيت بما حضرنى ذكره فى وصف الرعى والمراعى وما يعرض لها من الآفات وحال السائمة فيها وما يعتريها من الأمراض على ما استحسنت وضعه فى هذا الكتاب [٥] . وهذا القول يكتسب أهمية خاصة عند التأصيل الإسلامى لهذا العلم الذى يعتقد الكثيرون فى الوقت الحاضر بأنه مدين بنشأته الأولى إلى العالم الأمريكي « أرثر سامبسون » Arthur W. Sampson عندما ظهر كتابه الأول عام ١٩٢٣م عن إدارة المراعى الطبيعية والاصطناعية Range And Pasture Management ، ثم اعاد كتابته من جديد فى عام ١٩٥٢ م تحت عنوان « إدارة المراعى ، أسس وتطبيقات » ، Range Management , Principles And Practices اى ان اباحنيفة الدينورى قد سبق الأمريكى سامبسون بكتاباته العلمية الموثقة عن الرعى والمراعى بما يزيد على الف عام ، ومن ثم بما تجلية هذه الحقيقة توضح بما لا يدع مجالاً للشك أن أسلافنا العباقرة من علماء الحضارة الإسلامية لم يتركوا سبيلاً ممكناً من سبل العلم والمعرفة إلا وسلكوه عن وعى وخبرة محققين قصب السبق والريادة .

آراء متقدمة فى فنون زراعية أخرى :

كان اهتمام علماء المسلمين بفنون الفلاحة المختلفة شاملاً لكل ما يحقق الخير والنماء للمجتمع الإسلامى بأسره ، يشهد على ذلك ما تضمنته مؤلفاتهم من دراسات قيمة تتعلق بتغذية وتربية الحيوان ، فقد أفرد أبوبكر أحمد بن وحشية فى القرن التاسع للميلاد كتاباً للحيوانات المعينة على الفلاحة مثل : البقر والغنم وغيرهما ، وأفرد فيه بابا خاصاً : للحمام والطيور والكراكى . وخصص ابن العوام الأبواب الأخيرة من كتاب « الفلاحة الأندلسية » لتربية الماشية وكذا أمراض الحيوان ، وتحدث عن كيفية اختيار الجيد ومدة الحمل وما يصلح من العلف ، ثم تحدث عن التسمين ورياضة الأمهار وعلاج بعض علل الدواب ، كما خصص فصلاً عن اقتناء الطيور فى البيوت ، مثل الحمام والأوز والدجاج ونحل العسل ، ثم اقتناء الكلاب للصيد والزرع . ولم يغفل ابن العوام الحديث عما يمكن أن نسميه « النباتات الطبية » ، وخصص من كتابه المذكور ، الذى ينقسم إلى أربعة وثلاثين فصلاً ، مبحثاً لاختيار البيادر والمدارس حيث تجمع المحاصيل وتدرس ، وأفرد الباب الثلاثين لاختيار مواضع البنيان ووقت قطع الخشب ومعاصر الزيت .

ولا شك فى أن موارد المياه هى التى كانت تلعب الدور الأساسى فى تطور الفلاحة وازدهار

(٥) د . محيى الدين قواس ، ندوة التراث العلمى العربى للعلوم الأساسية ، طرابلس ليبيا ١٩٩٠ ، وتجدر الإشارة من جانبنا إلى ان كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى هو احد ثلاثة كتب اشتهر بها هذا العالم الموسوعى الجليل فى ثلاثة علوم هى : « علم الأنواء » و« علم النبات » و« علم القرآن » .

ويقول « برنهارد لوين » محقق كتاب النبات : « وأغلب الظن ان كتاب النبات يقع فى ستة اجزاء إلا انه لم يصلنا من هذه الأجزاء سوى الجزءين الثالث والخامس » . أما باب « الرعى والمراعى » ، فقد أفرده أبوحنيفة فى بداية الجزء الثالث .

علم الفلاحة

الصناعات القائمة عليها ، لهذا اهتم علماء المسلمين بدراسة الموارد المائية ، وأولوا أهمية خاصة للدول الإسلامية التى تعانى من شدة الجفاف لوقوعها فى أقاليم ذات أمطار غير منتظمة وغير كافية ، وانتشر شق القنوات وبناء الخزانات اللازمة للرى ؛ ومن ثم كان طبيعياً أن تشتهر الأرض الإسلامية بمختلف المحاصيل الزراعية ،

فزرع القمح فى : خوزستان والمغرب وفارس ومصر والشام وشبه الجزيرة العربية ، وزرع القطن والكتان فى : مصر والمغرب ، وانتشرت أنواع التمور بين منتجات شبه الجزيرة العربية ومصر والعراق وكرمان ، وأنتجت كميات وفيرة من التفاح والموز والرمان واللوز والزبيب والتين فى بلاد الشام وفارس والجزيرة وولايات أخرى كثيرة ، وعلى أساس النهضة الزراعية قامت بعض الصناعات الهامة مثل صناعة المنسوجات من القطن والكتان وكانت مراكزها الرئيسية فى البصرة ودمياط والرى وخراسان ، ومثل صناعة الورق فى : ما وراء النهر ومصر وفلسطين والشام ، ومثل صناعة العطور من الورد والزعفران فى : فارس والعراق والهند ، وكذلك صناعة الأدوية والعقاقير . ولقد نشطت حركة التبادل التجارى للسلع والمصنوعات بين عواصم العالم الإسلامى نشاطاً كبيراً ، وانتشرت الخضرة حتى كست جل رقعة الأرض الإسلامية ، « فلو اطلع مطلع على وادى السند من الجبل ـ فيما يقول ابن حوقل ـ لرأى خضرة متصلة لا يرى فى أضعافها غير قهندز (حصن) أبيض أو قصر سامق مشيد ، فأما فرجة منقطعة عن الخضرة أو أرض بائرة أو غامرة فقلما ترى هذه الحال » .

وسبحان مبدل الأحوال ..

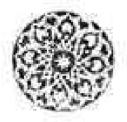

الأمة الإسلامية

وعصر الفضاء

للدكتورة
ميرفت السيد عوض

رسالة الإسلام رسالة علم ، تطلب إلى اتباعها البحث والتنقيب وتعيب على من يقف دون العلم مكتفياً بالظن ، فيقول الله تعالى : ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ « النساء ـ ١٥٧ » ، وحين يطلب الإسلام العلم يحث على الدليل : .. ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ « البقرة ـ ١١١ » ، وفى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ « الانعام ١٤٣ » ، ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ « الانعام ١٤٨ » .

فالكتاب العزيز ينحى باللائمة على الجهل والخمول ، ولا يرضى بهما لمسلم ولا مسلمة .

ولقد كانت اية الإسراء والمعراج معجزة تشد المسلمين إلى مختلف الآفاق ، وتدعوهم إلى اكتشاف الكون ، وكم حلم الإنسان بأن يرتاد اعاليه ، ولئن دفع العالم العربى (عباس بن فرناس) حياته فى تجربة غير ناجحة للطيران إلا انه ترك للناس إشارة النجاح كامنة فيما نسى أن يضعه بمؤخر جسده ليعينه على توازن بدنه اثناء الطيران .

ثم تمكن الإنسان من تحقيق ما تم من إنجازات فى مجال الفضاء بدءاً من عصر « البالونات » و« المناطيد » ، وختاماً بالاقمار الصناعية التى تدور حول الارض .. ولا نستطيع ان نقول : إن هذا هو النصر الاخير فقد تاتى انتصارات فضائية اخرى مدهشة .

أهمية الأقمار الصناعية :

تعتبر مسألة تعيين مدارات الاقمار الصناعية ومسارات المقذوفات ـ وكلاهما اجسام مهملة الكتلة بالنسبة إلى كتلة الأرض ـ من اهم المسائل

(•) الكاتبة : أستاذ مساعد بقسم الفلك ـ جامعة القاهرة .

العلمية والعملية فى هذا العصر ، وسنعرض باختصار بعضاً من تطبيقات تعيين مدارات هذه الأجسام .

أولا : التطبيقات العسكرية :

١ ـ يمكن تعيين الموضع النهائى (الهدف) للمقذوف[١] بدقة قصوى وذلك بمعلومية كلٍّ من مكان وسرعة الإطلاق .

٢ ـ يمكن تعيين السرعة الابتدائية بدقة قصوى لمقذوف من مكان ما على سطح الأرض لكى يصيب هدفاً معيناً .

ثانيا : التطبيقات العلمية لحساب مدارات الأقمار الصناعية :

يوجد تطبيقات علمية عديدة تنتج من حساب وتحليل مدارات الأقمار الصناعية سنذكر أهمها فيما يلى :

(أ) فى مجال الفيزياء الأرضية (الجيوفيزياء) :

١ ـ من دراسة الاضطراب Perturbation لعناصر معينة لمدارات الأقمار الصناعية يمكن تعيين (معاملات التوافقيات المختلفة) المستعملة لتمثيل دالة المجال التجاذبى للأرض . ومن إحدى النتائج الهامة لهذه الدراسة يمكن عمل خريطة لتوزيع الجاذبية فى المنطقة العربية ، الأمر البالغ الأهمية فى اكتشاف مواقع البترول والثروات المعدنية[٢] .

٢ ـ من دراسة الاضطراب Perturbation لمدارات الأقمار الصناعية يمكن تعيين التوزيع المثالى للكثافة والضغط من بداية الجزء المركزى لباطن الأرض إلى السطح الخارجى . وتؤدى هذه الدراسة إلى معرفة نوع الاتزان ومعادلة الحالة لمواد باطن الأرض ، والاستفادة من هذه المعرفة فى بحوث (الجيوفيزياء) ، وكذلك فى التنبؤ بالزلازل وثورات البراكين .

٣ ـ من تحليل نتائج أرصاد الأقمار الصناعية المخصصة لدراسة المغناطيسية الأرضية يمكن قياس المجال الرئيسى للمغناطيسية الأرضية وإجراء دراسة مستفيضة لحركة الدوامات المغناطيسية فى الجزء المركزى للأرض ، وترجع أهمية هذه الدراسات إلى أن هذه التغيرات المغناطيسية مرتبطة بالعديد من الظواهر الكونية التى تحدث خارج سطح الأرض ، مثل النشاط الشمسى ، حالة طبقة (الأيونوسفير) ، الأشعة الكونية ، الخ .

٤ ـ من دراسة الاضطراب والتقلبات التى تحدث لمدارات الأقمار الصناعية نتيجة تأثير الإشعاع غير المباشر والمنعكس من سطح الأرض ، يمكن معرفة القدرة الانعكاسية للإشعاع لسطح الأرض ، ومدى ارتباطها بالغطاء السحابى والخواص الفيزيائية لسطح الأرض .

(ب) فى مجال الفيزياء الجوية :

١ ـ من دراسة معدل انكماش المحور الأكبر لمدارات الأقمار الصناعية يمكن تعيين كثافة ودرجة حرارة طبقات الجو العليا .

٢ ـ من تحليل نتائج أرصاد الأقمار الصناعية المخصصة لبحوث الفيزياء الجوية يمكن دراسة شدة وكثافة الهواء مع الارتفاع ، ومدى ارتباطها بالنشاط الشمسى .

٣ ـ من دراسة معدل تغير طول البعد البُؤْرِىّ لنقطة الحضيض Perigee للأقمار الصناعية

---

(١) يطلق عليه العسكريون : « أقصى مرمى » .

(٢) وليس يقف ذلك على المنطقة العربية وحدها .

(انظر الرسم) يمكن تعيين سرعة الرياح فى طبقات الجو العليا .

٤ ـ من تحليل نتائج ارصاد الاقمار الصناعية المخصصة لبحوث طبقة (الأيونوسفير) يمكن دراسة الخصائص الفيزيائية لهذه الطبقة ، وبخاصة توزيع الكثافة الإلكترونية ، الأمر البالغ الأهمية لضمان مثالية البث الإذاعى عبر بلدان العالم .

رسم توضيحى :

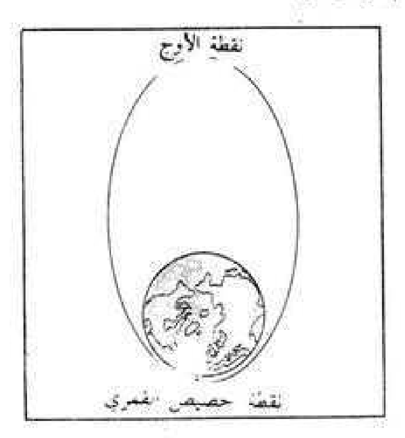

تسمى أعلى نقطة فى مسار القمر الصناعى بنقطة الاوج (Apogee) ، بينما تسمى نقطة أسفل ارتفاع له فوق سطح الارض بنقطة الحضيض القمرى (Perigee) .

(ج) فى مجال الاتصالات :

لعل من اهم التطبيقات الهندسية للاستفادة من الأقمار الصناعية هو مجال الاتصالات (وقد تناولنا هذا الموضوع فى العدد الأسبق) (*) .

القمر الصناعى العربى « عربسات » (**)

قامت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية ، التى أسست عام ١٩٧٦ م كإحدى التنظيمات الحكومية التابعة لجامعة الدول العربية ، بالتعاقد ـ مع الشركات المصنعة ـ على إنتاج ثلاثة أقمار صناعية يطلق منها اثنان ، ويبقى الثالث احتياطياً فى التخزين ليطلق عند الحاجة . وكان الطرف الثانى للتعاقد يتكون من شركة « ايروسبا سيال » Aerospatiale الفرنسية التى عهد إليها ببناء جسم القمر ، وشركة « فورد للاتصالات الفضائية » الأمريكية التى عهد إليها بتصنيع الأجهزة الإلكترونية .

وفى عام ١٩٨٥ م أصبح للعرب شبكة أقمار صناعية للاتصالات قوامها ثلاثة أقمار ، استقر اثنان منها فوق خط الاستواء على « المدار الثابت » بارتفاع (٣٥٨٠٠) كم ، عن سطح الارض ، وبذلك أصبحا متزامنين مع سرعة دوران الأرض لكى يحققا تغطية الرقعة العربية بالبث التليفزيوني والبرامج الإذاعية والاتصالات الهاتفية .

ولقد أتى تصميم القمرين بسعة تكفل تحقيق الوفرة فى الاتصالات بين ٢٢ دولة عربية ، بتغطية الرقعة العربية بكاملها ، وبلغت قنوات كل قمر : سبع قنوات تليفزيونية ، وخمساً وعشرين قناة إذاعية ، وقناة واحدة جماعية للاتصال المباشر ، ثم (٨٠٠٠) ثمانية آلاف دائرة « تليفونية » ..

ويمكن أن يستمر أداء القمر فى الفضاء مدة تبلغ ٧ سنوات .

العنصر الحاكم فى هذا الأمر هو وجود مستودع لغاز « الهيدروجين » على متن القمر ، يُنْفَثُ من فتحات ضيقة لتصحيح مسار القمر بصورة دائمة على المدار الثابت عن طريق أجهزة التحكم من محطة المتابعة الأرضية ..

(*) انظر مجلة الأزهر عدد محرم ١٤١٢ هـ ص ٧٨ .

(**) « عربسات » كلمة معربة من اختصار (Arab- satellite) وتعنى « القمر الصناعى العربى » .

ولقد اختيرت مدينة « الرياض » لتقام فيها المحطة الرئيسية لمتابعة القمر الصناعى العربى . كما اختيرت مدينة « تونس » لتقام فيها محطة متابعة احتياطية تعمل عند توقف المحطة الرئيسية .

ونظراً للاهمية البالغة للاقمار الصناعية فى تطوير وسائل الاتصالات ، والتى يظهر اثرها فى مختلف اوجه التنمية ؛ فلقد علق المراقبون والعلميون العرب الكثير من الآمال على إطلاق هذين القمرين ، ولكن للأسف لم يتحقق من هذه الآمال إلا النزر اليسير ، فقد توقف (عربسات ـ ١) الذى أطلق فى فبراير ١٩٨٥ م عن الاداء بعد شهور قليلة من إطلاقه حيث ثبت ابتعاده عن مواقعه المقدرة على المدار الثابت فوق خط الاستواء ، فلم يصبح موجهاً إلى الرقعة العربية لتغطيتها بإذاعات كما كان مقرراً ؛ بل اصبحت إشعاعاته موجهة إلى رقعة يقع بعضها خارج المنطقة العربية ، الأمر الذى دعا بعض الصحفيين إلى التهكم والقول بأنه : « قد أصيب بالحول » .

ومن المؤسف ايضاً أن (عربسات ـ ٢) لا يعمل حتى الآن بكامل سعته ، فنسبة الاستخدام الكلى ـ كما جاء فى محاضر المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية فى ابريل ١٩٨٦م ـ كانت لا تزيد على ٢,٤٪ ، وفى عام ١٩٨٧م ارتفعت هذه النسبة إلى ٣٪ وقفزت خلال عام ١٩٨٨م إلى ٢٨٪ .

على الجانب الآخر فإنه من المشرف أن نجد من أبناء الأمة العربية من يشارك العلماء الأجانب فى هذا العلم المعاصر المتقدم ، نذكر منهم على سبيل المثال عالم الفضاء المسلم الدكتور فاروق الباز الذى ساهم فى تنفيذ بعض برامج وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) ، وأسس (مركز الدراسات الأرضية والكوكبية) ، بمتحف الفضاء ، والطيران القومى بواشنطن ، وكان عضواً فى الفريق العلمى الذى عمل مع « ابوللو » فى رحلاتها الفضائية المشهورة .. كما أن رحلة الأمير « سلطان بن سلمان » ، وهو أول رائد فضاء مسلم ، تُعتبر اول خطوة حقيقية لدخول العرب عصر الفضاء ، لأن انطلاق اول قمر صناعى عربى قد تم دون مشاركة فعلية للعرب فى عملية الانطلاق . اما فى رحلة المكوك الفضائى فنجد أن الأمير سلطان قد شارك فى عملية الإطلاق ، ولم تقتصر مهمة رائد الفضاء العربى الأول على مراقبة عملية إطلاق « عربسات ـ ٢ » ، بل تعدتها إلى القيام بخمس تجارب فضائية هامة أثناء الرحلة ..

وإحقاقاً للحق فإنه لا يزال امامنا كأمة عربية إسلامية الكثير لدخول عصر الفضاء بإيجابية ..

ذلك ان ثرواتنا الطبيعية وادق اسرارنا المدنية والعسكرية اصبحت مجالاً مباحاً لمن يملكون العدد الكافى من اقمار الاستطلاع التى تجوب سماءنا فى كل لحظة من ليل او نهار ، وتسجل ادق ماتريد دونما عائق . وليس هناك من سبيل امامنا إلا السعى الجاد لامتلاك ناصية هذه التقنية عن طريق إعداد وتنفيذ برنامج فضائى دراسى وتطبيقى يهدف إلى تصميم وإطلاق اقمار عربية خالصة فى اقرب وقت ممكن .

وأخيراً ، على الإنسان أن يعمل على كشف المزيد من أسرار الفضاء التى أودعها الله سبحانه وتعالى فى كافة مخلوقاته .

والمسلمون مطالبون قبل غيرهم بأن يكونوا دائماً فى مقدمة ركب المتقدمين من بنى الإنسان ، حتى ترتفع على أيديهم راية الإسلام عالية خفاقة ، ويكونوا اهلاً للخطاب القرآنى فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣] .. « صدق الله العظيم »

(٣) سورة آل عمران : آية ١٣٩ .

إعـــداد
د. نجوى السيد أحمد

اكتشاف أول كوكب خارج مجموعتنا الشمسية

تناقلت وكالات الأنباء العالمية مؤخراً خبراً علمياً مثيراً يتعلق باكتشاف أول كوكب خارج المجموعة الشمسية يدور حول نجم يقع بالقرب من مركز المجرة التى تتبعها الشمس.

يقول الفلكيون البريطانيون الذين أعلنوا هذا الاكتشاف: إن حجم الكوكب الجديد يفوق حجم الأرض ١٢ مرة، ويبعد حوالى ٣٠ الف سنة ضوئية عن الأرض، وقد استبعد الفلكيون وجود حياة على سطح الكوكب الجديد واعربوا عن اعتقادهم بوجود كواكب أخرى خارج النظام الشمسى قد تكون صالحة لوجود كائنات حية على سطحها.

جهاز جديد يفحص مجموعة من المرضى فى وقت واحد

توصل معهد ابحاث علم القياس الصيني إلى إنتاج جهاز الكترونى جديد لقياس التنفس، والنبض، ودرجة حرارة المريض عن بعد.

والجهاز الجديد مزود بآلة كاتبة و(كمبيوتر) مصغر لتسجيل بيانات حالة المرضى وتخزينها بصورة اتوماتيكية، كما انه مزود بخمسين آلة للقياس عن بعد. ويمكن لهذا الجهاز أن يقيس حالات ٥٠ مريضاً من حيث التنفس والنبض ودرجة الحرارة فى وقت واحد.

أوضح صورة كاملة للكرة الأرضية

تم تركيب أول صورة فوتوغرافية جامعة للكرة الأرضية من آلاف الصور التى التقطتها الاقمار الصناعية، والمخزونة على اشرطة مغناطيسية، ولنا أن نتصور صعوبة هذا العمل إذا علمنا انه بالنسبة للخرائط المصورة كانت الغيوم تغطى دائماً حوالى ثلثى سطح الأرض، وذلك بحسب الموقع والوقت. لذلك تم استخلاص الأجزاء الخالية من الغيوم فى كل صورة، وأعيد تركيبها بمساعدة الحاسب الآلى.

الجديد في العلم والتقنية

مؤتمر فى جامعة الأزهر عن « التوجيه الإسلامى للعلوم »

تنظم رابطة الجامعات الإسلامية ، بمشيئة الله ، مؤتمراً عن « التوجيه الإسلامى للعلوم » بالتعاون مع جامعة الأزهر وفى رحابها ، والتاريخ المتوقع للمؤتمر هو ربيع الأول ١٤١٢ هـ ـ أكتوبر ١٩٩١ م . من بين ما يهدف إليه المؤتمر :

* تكوين وعى عام لدى الجامعات بأهمية توجيه العلوم توجيهاً إسلامياً ، وفتح آفاق التعاون بين الجامعات الإسلامية فيما يتعلق بهذا التوجيه .

* تحديد مفهوم التوجيه الإسلامى للعلوم وأسسه ومناهجه .

* وضع خطة متكاملة للتوجيه الإسلامى للعلوم تسترشد بها الجامعات الإسلامية .

تقنية « الفوتونيات » ثورة فى عالم الاتصالات

توصل العلماء حديثاً إلى تقنية جديدة تحقق حلمهم فى أن يحل الضوء محل الإشارات الكهربائية كحامل شائع لتبادل المعلومات ، وذلك عن طريق توليد وإرسال واستقبال ومعالجة الإشارات المكونة من (فوتونات) ضوئية بدلاً من (الالكترونات) وتعرف هذه التقنية التى تقوم حالياً بإحداث ثورة فى عالم الاتصالات باسم « الفوتونيات ـ Photonics » . وقد تطلبت تطوير مواد أساسية لتلبية احتياجاتها ، من ضمنها زجاج فائق النقاء ورقائق شبه موصلة يبلغ سمكها بضع ذرات فقط ، ويتوقع أن يكون التقدم فى صناعة (المواد الفوتونية) خلال السنوات القادمة مضاهيا للنجاحات المثيرة التى شهدتها فى الماضى تنقية السليكون بالنسبة لتقنية الالكترونيات .

مبنى من خمسة طوابق يقام فى الفضاء

تمكن اثنان من رواد الفضاء السوفييت من إقامة مبنى من خمسة طوابق لإجراء التجارب العملية دَاخِلَهُ ، وذلك بجوار محطة الفضاء السوفيتية « مير » ، وقال معلق التليفزيون السوفيتي : إن الرائدين اقاما المبنى خلال رابع عملية سير فى الفضاء يقومان بها خلال أسبوعين .

من الجدير بالذكر أن تفكير العلماء قد اتجه حديثاً إلى ضرورة إقامة مستعمرات فى الفضاء تتسع لآلاف البشر ، وتهيىء لهم كل ظروف الحياة والعمل ، وتدور كأى جرم سماوى فى مدار ثابت وحول ذاتها لتنشأ فيها جاذبية صناعية تشبه جاذبية الارض بالنسبة للبشر الذين سيعيشون عليها .

« كبسولة » لقياس درجة حرارة الجسم

اعتاد الأطباء استخدام (الترمومتر) لقياس درجة حرارة المريض ، ثم استعمل الشريط اللاصق لقياس الحرارة خصوصاً عند الأطفال .. وأخيراً يستخدم الأطباء أحدث وسيلة لقياس الحرارة اخترعها العلم الحديث وهى عبارة عن (كبسولة) صغيرة يبتلعها المريض فتسجل جميع درجات الحرارة لجميع الأجزاء

التى تمر فيها مهما كانت دقيقة ، وترسل ما سجلته من درجات الحرارة داخل جسم الإنسان إلى جهاز (الكمبيوتر) عن طريق شعاع (الكترونى) وتظل (الكبسولة) فى حالة إرسال دائم قد يستمر إلى ٤٨ ساعة حتى تخرج مع فضلات الإنسان بعد أداء مهمتها بنجاح ساحق . يؤكد الخبراء أن (للكبسولة) نتائج رائعة فى اكتشاف الأمراض قبل تطورها إلى الأسوأ .

بطارية تعمل ١٠٠ سنة

تقوم شركة « بيريفيرال » فى ولاية (أوريغون Origon) الأمريكية حالياً بتطوير بطارية تعمل على جسيمات (ألفاوَبيتا) ، وهما نوعان أمينان نسبياً من أنواع الإشعاع النووى . والتصميم الجديد يحول الإشعاع الذى يبثه الوقود المستعمل الذى تطرحه المفاعلات النووية ، مباشرة إلى كهرباء .

من عجائب المخلوقات

تم العثور على نوع جديد من الطيور يدعى (هوازين Hoatzin) من فصيلة خلفيات (القنزعة Opisthocomidea يعيش هذا الطير فى الغابات المدا ية لأمريكا الجنوبية ، ويملك جهازاً هضمياً شبيهاً بالجهاز الهضمى للمجترات ، يبلغ وزن الطائر ثلاثة أرباع الكيلو جرام ، ويتغذى بشكل عام على أوراق النباتات التى تهضمها خمائر (ميكروبية) موجودة فى حوصلته ومريئه ، فجهازه الهضمى لا يتطابق مع الجهاز الهضمى الموجود لدى سائر الطيور وهو يسمح بتركيب (فيتامينات) واحماض أمينية .

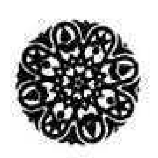

داعية "كوسوفو" الإسلامي

الشيخ حسن إسلام يحيى

١٢ من مارس سنة ١٩٠٥م

للأستاذ
توفيـــق إســـلام يحيى

ميلاده ونشأته

ولد الفقيد العظيم «رحمه الله» يوم ١٢ من مارس سنة ١٩٠٥ بمدينة «جاكووه بكوسوفو» .

نشاته : ولد «رحمه الله» وترعرع وشب فى بيئة علمية ابا عن جد . واول ما فتح عينيه راى العلماء وطلاب العلم ياتون إلى منزل العلامة والده العظيم «اكرم الله مثواه» حيث تفرغ لتدريس العلوم العربية والشرعية حسبة لله «تعالى» ، يدرسها لابناء البلد والبلاد المجاورة من يوم حصوله على (الإجازة العلمية) على يد استاذ اساتذة عصره[1] فى العام التسعين من القرن التاسع عشر إلى ان انتقل إلى رحمة الله فى الثلاثين من مارس سنة ١٩٣٠ م .

فى هذه البيئة العلمية شب وبدات تظهر عليه أيات النجابة والذكاء ، حتى إذا ما بلغ سن تلقى العلم ، وجد نفسه محاطا بكثير من تلامذة والده ، كل منهم تولى تدريسه العلوم الأساسية فتلقى على ايديهم «الصرف» حتى شرح العزى والنحو حتى حاشية الجامى على الكافية لابن الحاجب ، وتلقى فى الفقه شروح «مراقى الفلاح» و«القدورى» و«ملتقى الأبحر» وفى البلاغة المعانى والبيان والبديع ، وفى المنطق ايساغوجى مع شرح العلامة شمس الدين الفنارى .

قضى فى دراسة هذه العلوم وفهمها واستيعابها حوالىَ سبع سنوات ، ثم تسلمه العلامه والده ليدرس له المواد الرئيسية فدرس له (شرح الهداية) و (مرقاة الوصول إلى علم الأصول) و(عقائد النسفى) و (العقائد العضوية) و(تفسير البيضاوى) وبعض الأبواب الهامة من الصحيحين : البخارى ومسلم ومصطلح الحديث

(١) كان استاذه العلامة «حسن افندى شلاقى» من أبرز علماء مسجد محمد الفاتح باستانبول ، لكنه بعد تخرجه فضل العودة إلى مسقط راسه لينفع اهل بلده على القيام بالتدريس بمسجد الفاتح . تخرج على يديه كثير من العلماء الافاضل الذين ملأوا المنطقة علما ونوراً . وتخرج مع العلامة الوالد شقيقه الكبير الشيخ «صالح» الذى تطوع فى الحرب البلقانية دفاعا عن الإسلام والمسلمين فلقى الله «سبحانه» مجللا بدماء الشهادة وهو يقاتل جيش الكفر والظلم والطغيان .

لابن حجر و(الشمسية مع شرح التفتازانى) فى المنطق وكتاب العلامة القاضى الرومى فى الحكمة .

بعد دراسة هذه المواد الثلاث عشرة واستيعابها نال «الإجازة العلمية» مع زملاء فرقته قبل وفاة الوالد العظيم «رحمه الله» بعام واحد .

سبب حضوره إلى الأزهر

بعد وفاة الوالد العلامة «رحمه الله» بشهرين زار إقليم «كوسوفو» زيارة سياحة شقيقان مصريان أزهريان هما الشيخ عبد القادر الكعكى وكان ضخم الجسم قوى المادة طلق اللسان ، وكان أخوه الشيخ عبد الله مجوداً للقرآن الكريم جميل الصوت جيد الترتيل .

ولما وصلا إلى «جاكووه» زارا المعهد الدينى الكبير ، ونزلا بالاستراحة الخاصة بشيخ المعهد ، فقضيا فيها عدة أيام ، وكان يقوم بإدارة شئون المعهد فقيدنا العظيم مؤقتا إلى أن يختار رؤساء المدينة شيخا جديداً له .

كان الشيخ عبد القادر يتحدث كثيراً عن الأزهر وحلقات دروسه وفطاحل علمائه و .. و .. الخ . وأخذ يحث فقيدنا العظيم على الحضور إلى مصر والانتساب بالأزهر لا ليستفيد مادة علمية جديدة حيث وجد بالمناقشة أن ما تلقى من المرحوم العلامة الوالد يكفيه للحصول على «العالمية المصرية النظامية» وإنما يستفيد آفاقا جديدة حيث يرى العالم الإسلامى كله ممثلا فى طلاب الأزهر الشريف .

نفذ فقيدنا العظيم «رحمه الله» كلام الشيخ عبد القادر ، وبعد شهرين كان بميدان الأزهر الذى يموج بالطلاب والعلماء . التحق بالقسم العالى وأخذ يحضر دروس فطاحل العلماء أمثال الشيخ «العربى» و«السمالوطى» و«المطيعى» وغيرهم . وفى نهاية العام الدراسى ذهب إلى إدارة الامتحانات ليقدم استمارة دخول امتحان

الشيخ حسن اسلام يحيى فى شبابه

الشهادة العالمية المصرية ففوجىء بما لم يكن فى الحسبان .

ظهور عوائق يستحيل تذليلها

ذهب فقيدنا العظيم «رحمه الله» إلى إدارة الامتحانات لإنهاء إجراءات دخول امتحان الشهادة «العالمية المصرية» لكنه فوجىء بالموظف المختص يخبره بأنه لا يجوز دخول هذا الامتحان إلا بعد أن يثبت انه قضى اثنى عشر عاما فى تلقى الدروس بشهادة رسمية مصدق عليها من وزارة الخارجية اليوغوسلافية ويعتمد هذا التصديق من السفارة المصرية ، ثم قال له الموظف : إن هذه الإجراءات قد تطول ، وأنا افهم من حوارنا انك مستعد علميا ، لذلك أرى أن تدخل هذا العام امتحان الشهادة «العالمية للغرباء» علما بأن مواد «العالمية» للغرباء هى نفس مواد «العالمية النظامية» بزيادة علمى : العروض والوضع ، وإذا أحضرت إلينا هذه الشهادة يمكنك دخول امتحان «العالمية» النظامية فى العام القادم ثم

من أعلام الأزهر

الشيخ حسن إسلام يحيى

استطرد قائلاً : فكر فيما قلت لك ومر علينا فى ظرف أسبوع بقرارك .

فكر فقيدنا العظيم فقرر دخول امتحان الشهادة العالمية للغرباء ، ودخل فعلا هذا الامتحان فى شهر رجب سنة ١٣٥٠ هـ وبعد نقاش دام أكثر من ثلاث ساعات أنهت اللجنة المناقشة ودعت له بالتوفيق فى خدمة الإسلام فى بلده . بعد ظهور النتيجة رسميا وحصوله على «العالمية» للغرباء ، كتب إلى أهله طالبا تحضير الشهادة المطلوبة ليتمكن من دخول امتحان «العالمية المصرية» ، لكن ظهرت عوائق جمة لم تكن فى الحسبان ، منها أن الشهادة المطلوبة لو كتبت باللغة اليوغوسلافية يمكن التصديق عليها من الخارجية لكن إدارة الامتحانات بالأزهر لا تفهم شيئاً منها . ولو كتبت باللغة العربية امتنعت وزارة الخارجية من التصديق عليها لجهلها باللغة العربية ولعدم وجود مترجم رسمى بوزارة المعارف اليوغوسلافية ، ولو وجد المترجم فالخارجية تصدق على الترجمة لا الأصل ولو حصل وصدقت على الاثنين يتعذر بل يستحيل اعتماد تصديق الخارجية من السفارة المصرية لعدم وجودها حيث لم يكن يوجد فى ذلك الوقت تمثيل دبلوماسى ولا قنصلى لمصر فى يوغوسلافيا بدليل أنه حينما وصلت إلى مصر للالتحاق بالأزهر فى سبتمبر سنة ١٩٣٥ حصلت على تأشيرة الدخول من القنصلية المصرية فى «بيريه» باليونان .

بعد محاولات كثيرة استحال تذليل هذه العوائق ، ثم تم تنفيذ القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ بإنشاء كليتى الشريعة واللغة العربية فى سنة ١٩٣٢ ، وبعدهما بقليل تم افتتاح كلية أصول الدين ، وبذلك ألغى القسم العالى بإنشاء الكليات التى حلت محله ولم يستطع الفقيد الالتحاق بإحداها وفى إبريل من عام ١٩٣٤ عاد فقيدنا العظيم ـ رحمه الله ـ إلى بلده ليخدم الإسلام والمسلمين كما خدمهما آباؤه وأجداده .

الوظائف التى تقلدها

عقب عودته من الأزهر كلفه (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) القيام بالدعوة فى إقليم «كوسوفو» وإقليم «مقدونيا» وإقليم «السنجق» بالجبل الأسود ، وابتكر المجلس لهذه الوظيفة اسما لم يكن معهودا من قبل وهو (سيار واعظ) قام بهذه الوظيفة طائفا بجميع البلاد والقرى من منتصف عام ١٩٣٤ إلى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية .

لم يكن فقيدنا العظيم «رحمه الله» يكتفى فى جولاته بإلقاء المحاضرات فحسب بل حينما كان يمر بالبلاد التى بها معاهد دينية حرة يطيل الإقامة قاصدا زيارة المعاهد ليجتمع بالطلاب لدراسة أحوالهم ، ومناقشتهم فى دروسهم وتوجيههم إلى طرق البحث ، وكيفية فهم المعلومات واستيعابها ليكونوا علماء يستنبطون الأحكام من مصادرها لا حفاظا ينقلون آراء العلماء إلى المستمعين ، وكان يحثهم على الاطلاع على الآراء المختلفة ودراسة أدلتها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر للوصول إلى الدليل الأقوى والرأى الأرجح .

هكذا قام «رحمه الله» حوالى سبع سنوات بالوعظ والإرشاد للعامة ، وبتقديم توجيهاته وإرشاداته إلى طلاب العلم . كان «رحمه الله» رفيع الجاه بين هؤلاء وهؤلاء لتضلعه من العلوم ونيله منها الحظ الوافر ، وقيامه فى دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة فى تأن وهدوء ، ولا تغادر البشاشة وجهه مهما طال الحوار

واشتد النقاش مقتفيا فى منهجه سيرة آبائه[٢] وأجداده الذين كرسوا حياتهم لخدمة الإسلام والمسلمين ، ونشر العلوم بين أبناء الإقليم حسبة لله «سبحانه وتعالى» من غير أن يتوقعوا من مخلوق جزاء ولا شكورا ، رحمهم الله جميعا رحمة واسعة .

توليه وظيفة الافتاء

بعد نشوب الحرب العالمية الثانية تولى «الإفتاء» فى مدينة «برزرين» ثانية المدن الرئيسية فى الإقليم وبها معهد دينى كبير حر ، تابع لمسجد محمد بيراقلى باشا ، به حجرات للطلاب واستراحة لشيخ المعهد . اتخذ فقيدنا العظيم المعهد مركزا للإفتاء ليجمع بين الحسنيين ؛ القيام بمهام «الإفتاء» والقيام بالتدريس لطلاب المعهد ، وكان به مكتبة زاخرة بأمهات الكتب فى العلوم المختلفة ، لزم فقيدنا العظيم المعهد ست سنوات تقريباً يقوم فيه بالوظيفتين ولا يعود إلى أهله وأولاده إلا ليلة آخر الأسبوع . اكتسب حب واحترام وتقدير سكان المنطقة له بسبب الخدمات التى كان يقدمها لأهل المنطقة عن طريق الإفتاء ، ولأولادهم عن طريق المعهد مع التمسك بالصدق فى القول مهما كانت الأسباب ، وكان لصدقه مع الله «سبحانه» ومع نفسه ومع الناس أثر كبير جداً فى إنقاذ أرواح بشرية كثيرة من رصاص «الألمان» الذين كانوا يحتلون المنطقة فى ذلك الوقت ، كان خبراء الجيش الألمانى قد قاموا بدراسة خلفيات الشخصيات البارزة فى المنطقة

الشيخ حسن اسلام يحيى فى هرمه

فتبين لديهم طبقا لمعاييرهم أن فضيلة مفتى «الإقليم» يتميز بالصدق . وفى إحدى الليالى قبض الجيش الألمانى على بعض الشباب بتهم مختلفة ، اتجه أولياء الأمور إلى فضيلة المفتى يرجونه التوسط لدى القيادة لإطلاق سراح أولادهم . اتصل فقيدنا العظيم بالقيادة طالبا موعدا للقاء القائد العام ، بعد قليل جاءه الرد بأن القائد العام مستعد لاستقباله فوراً ، قال للقائد العام : إن الشاب الفلانى برىء ولا علاقة له بما اتهم به ، ولولا يقينى بذلك لما تدخلت ، ثم قام ليغادر المكتب فودعه القائد العام إلى الباب وقال له : هذا الشاب سيكون عند أهله بعد ساعة . وإذا كان لكم طلب لدى القيادة يكفى أن تتصل بنا هاتفيا ويحضر إلى مكتبكم فوراً مندوب منا يتلقى طلباتكم .

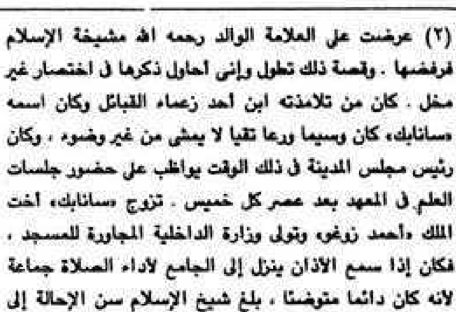

(٢) عرضت على العلامة الوالد رحمه الله مشيخة الإسلام فرفضها . وقصة ذلك تطول وإنى أحاول ذكرها فى اختصار غير مخل . كان من تلامذته ابن أحد زعماء القبائل وكان اسمه «سانابك» كان وسيما ورعا تقيا لا يمشى من غير وضوء ، وكان رئيس مجلس المدينة فى ذلك الوقت يواظب على حضور جلسات العلم فى المعهد بعد عصر كل خميس . تزوج «سانابك» أخت الملك «أحمد زوغو» وتولى وزارة الداخلية المجاورة للمسجد ، فكان إذا سمع الأذان ينزل إلى الجامع لأداء الصلاة جماعة لأنه كان دائما متوضئا ، بلغ شيخ الإسلام سن الإحالة إلى التقاعد ، فرشح «سانابك» العلامة الوالد لهذا المنصب وحصل على موافقة الملك . اتصل به وطلب منه أن يأتى مع أهله إلى العاصمة ليتولى منصب شيخ الإسلام فرد عليه قائلاً : يوجد من يتولى كرسى المشيخة العالى ولا يوجد من يجلس على كرسى الدراسة الحالى ، فكرسى الدراسة عندى أفضل . ومن غريب المصادفات أن زوجة «سانابك» ماتت بالقاهرة ودفنت بتكية المغاورى خلف القلعة أيام وجود الملك زوغو بالقاهرة بعد الحرب العالمية الثانية .

من اعلام الأزهر

الشيخ حسن إسلام يحيى

ومن المعلوم أن أحداثا كثيرة من هذا النوع تحدث أيام الحرب ، وكان الفقيد العظيم يفحص حالة كل معتقل حتى إذا تبين له أنه برىء فعلا اتصل بالقيادة طالبا إطلاق سراحه . ومما يجدر ذكره أن القيادة لم ترفض له طلبا أصلا .

ولما انسحب الألمان وتولى الشيوعيون الحكم أراد البعض منهم الانتقام منه بحجة التعاون مع الألمان لكن العقلاء من المسئولين الجدد كانوا يعلمون أن ما قام به كان واجبا عليه لإنقاذ النفوس من الموت فبقى فى منصبه إلى أن صدر الدستور الشيوعى فى ٢٩ من نوفمبر سنة ١٩٤٦ و (بصدور هذا الدستور اصبحت الأديان فى خبر كان) ، ألغيت جميع الوظائف الدينية من الإفتاء والقضاء والوعظ والإمامة ، واغلقت المعاهد الدينية ومكاتب الصبيان الذين كانوا يحفظون فيها القرآن الكريم كما هو معلوم لدى العامة .

اعتكافه فى داره بعد إعلان النظام الشيوعى

بعد إلغاء الوظائف الدينية لزم فقيدنا العظيم داره ـ لا يغادرها إلا لعذر قاهر ـ رغم عدم صدور أمر له بذلك ، لكنه فعل ذلك لأمرين :

الأول : إن مظاهر الحياة خارج الدار بعد النظام الشيوعى انقلبت رأسا على عقب، فأصبح لكل امرىء شأن يغنيه .

الثانى : دفع الإحراج عن بعض كبار المسئولين الذين دافعوا عنه ـ بعد تولى الشيوعيين الحكم ـ تقديرا لمقامه وتكريما لمكانة أسرته ، ولم يتقدم بطلب لتدبير معاش له كموظف سابق .

فضل الأزهر عليه

تذكر فضل الأزهر عليه وتعرفه بزملاء[٣] مصريين فى القسم العالى . وكان قد دعاه واحد منهم لزيارته فى قريته ، وكان له منحل لتربية النحل طبقا للقواعد العلمية الحديثة ، أعجب أيما إعجاب بهذا المنحل فاشترى الكتب الخاصة بنظام تربية النحل عازما على القيام بتربيته عقب عودته . وبعد عودته عمل عدة خلايا مطابقة للنظام العلمى وهيأ لها مكانا فى جانب من فناء المنزل ، حصل فعلا فى العام الأول على كمية من العسل ، لكنه اهملها حينما كثرت عليه أعماله الخارجية ، وزادت عليه أعباؤه . ولما لزم الدار تذكر المنحل فعاد إليه متفرغا له ، وبارك الله ـ سبحانه ـ له فى هذا العمل الذى أغناه عن كل شىء أكثر من عشر سنوات إلى أن سمح «تيتو» للمسلمين بالاهتمام بأمور دينهم وفتح معاهدهم الدينية .

افتتاح معهد علاء الدين الدينى الثانوى

فى سنة ١٩٥٨ افتتح هذا المعهد فى عاصمة الإقليم «برشتنة» وطلبت الرياسة الدينية من فقيدنا العظيم القيام بتدريس العلوم العربية والشرعية لطلاب الفرقة النهائية ، ترك مدينة «جاكووه» وانتقل إلى العاصمة «برشتنة» واشترط

---

(٣) منهم شاعر اللغة العربية الشيخ احمد شفيع ، والشيخان فاضل وعابد من كبار وعاظ وزارة الاوقاف والشيخ محمد رشوان من كبار علماء معهدى أسيوط والقاهرة وحينما زارنى الفقيد العظيم سنة ١٩٦٤ جاء الشيخ رشوان إلى منزل لزيارته مرحبا ودعاه إلى حفلة استقبال اقامها فى منزله بالمهندسين تكريما له رحمهم الله جميعا .

على رياسة الشئون الدينية أن يتفرغ في المعهد للتدريس فقط ، ولا شأن له بأي شأن من شئونه الإدارية ، تولى تدريس المواد العربية والشرعية عشرين عاما ، تخرج على يديه عدد كبير ، أكثرهم توجهوا إلى الأزهر الشريف وإلى المملكة العربية السعودية وإلى الجمهورية السورية لمواصلة الدراسات العليا ، هذا بالإضافة إلى القيام بإلقاء محاضرات وعظات أيام الجمع والمناسبات ، كما كان منزله يموج بالداخل والخارج يسألونه ويستفسرونه ويستشيرونه . كل هذا العمل الدائب المرهق كان يقوم به وهو أسعد ما يكون بقيامه بواجبه على نهج المرحوم العلامة والده الذي قضى أربعين عاما في التدريس حسبة لله «تعالى» مترسما خطا علمائنا الأجلاء من السلف الصالح .

كان فقيدنا «رحمه الله» مع المهابة في أعين الناس كثير التواضع ، وديعا ، بشوشا ، طويل البال ، بديه الخاطر ، المثل الأعلى للمحاور ، لدرجة أن خصومه الرسميين كانوا يهابونه ويقدرونه حتى أيام اعتكافه في داره .

ذكر لي (رحمه الله) حادثا حصل له أيام اعتكافه ، قال : إن سجينا خطرا هرب من السجن ووصل إلى علم الشرطة أنه اختفى في مربع - يقع في دائرته منزل فقيدنا العظيم - صدرت أوامر مشددة إلى القوات الخاصة بمحاصرة المربع وتفتيشه منزلا منزلا للقبض عليه ، ولما وصلت القوات الخاصة إلى المنزل المجاور ، أيقن فقيدنا العظيم أنهم سيقتحمون منزله للتفتيش فلبس زيه الرسمي ونزل إلى منتصف فناء منزله منتظرا . بعد قليل اقتحموا المنزل كالوحوش الضارية بدون استئذان ، فلما رأوه في منتصف الفناء بهتوا ووقفوا قائلين : «هذا منزلكم ياشيخنا العظيم ؟! نحن آسفون ، سامحنا لم نكن نعلم» فرد عليهم بكل هدوء كعادته : لا ، لا تفضلوا فتشوا ، نفذوا ما هو مطلوب منكم ، كرروا الاعتذار عدة مرات وخرجوا من غير تفتيش مما يدل على أن الإدارة القائمة رغم عدائها الشديد لكل ما يمت إلى الإسلام بصلة كانت تكن لفقيدنا العظيم «رحمه الله» كل تقدير لمكانته العلمية، وصدقه مع نفسه ومع الناس .

مثال رائع لدعوته ونقاشه مع المنكرين

كان رحمه الله «تعالى» متواضعا وديعا هادئا بشوشا حتى مع العلمانيين المنكرين لوجود الله ، ذكر لي «رحمه الله» حادثا حصل له في العاصمة «بلغراد» بعد إطلاق الحرية الدينية : ذهب إلى العاصمة لقضاء أمر خاص فدخل مطعما لتناول الغداء ، جلس إلى منضدة ، وأتى الخادم بمطلوبه ، ولما بدأ يتناول طعامه إذا بثلاثة شبان أغرار يدخلون . اختاروا منضدة قريبة منه ليسمعوه ما يقولون من ألفاظ منكرة . منها : الرجعيون يظنوننا مجانين ، يطلبون منا أن نؤمن بالله الذي ما رأيناه ، والعاقل يؤمن بما يقع تحت بصره و .. والخ . استمع فقيدنا العظيم هادئا كأنه لا يسمع شيئا ، وقبل أن يغادر المطعم اقترب من منضدتهم يكلمهم بكل هدوء وبشاشة بصوت يسمعه الحاضرون قائلا : «سمعتكم تقولون كيت وكيت» تصدى واحد منهم بكل وقاحة يقول : نحن عقلاء لا نؤمن بالله لأننا لم نره ، ولا نؤمن إلا بما نراه بأعيننا ! قال له فقيدنا العظيم : يعني أنت تؤمن بأنك عاقل ، ولأنك عاقل لا تؤمن بالله لأنك لم تره ، أليس هذا كلامك ؟ قال : بلى . قال له فقيدنا العظيم : أسألك سؤالين صغيرين . الأول : هل أنت عاقل حقا ؟ قال : نعم . السؤال الثاني : هل رأيت عقلك حتى تؤمن بأنك عاقل ؟! بهت الوقح ولم يحر جوابا ، وضجت قاعة الطعام بالتصفيق استهزاء بكلام الشبان .

من اعلام الأزهر

الشيخ حسن إسلام يحيى

مثل رائع للدعوة إلى الحق ، بكل هدوء وبكل بشاشة حاورهم وناقشهم وألجمهم ، ونال إعجاب جميع الحاضرين الذين كانوا بقاعة المطعم من المسلمين وغير المسلمين .

ترجمة معانى القرآن الكريم

كان فقيدنا العظيم «رحمه الله» يتحدث عقب حصوله على «الإجازة العلمية» عن رغبته فى ترجمة معانى ألفاظ القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية . ولما عقد العزم على الالتحاق بالأزهر قال : عقب عودتى سأبدأ فى تنفيذ مشروع الترجمة . بعد العودة شغل بالوعظ العام فى طول البلاد وعرضها ، ولم يكن قادراً على رد الدعوات التى توجه إليه لنشر الدعوة الإسلامية . وحينما تولى منصب (الإفتاء) شغل بمهام المنصب وإلقاء الدروس على طلاب معهد محمد بيراقلى باشا كما سبق أن ذكرنا . ولما صدر الدستور الشيوعى الذى ألغى الأديان وشعائرها كما سبق ذكر ذلك ولزم داره أكثر من عشر سنوات قال رحمه الله : أذِنَ لى أن أبدأ مشروع الترجمة فعزم على تنفيذه فى اعتكافه .

مكتبة العلامة الوالد «رحمه الله» زاخرة بأمهات الكتب فى العلوم اللغوية والشرعية : بها تفاسير النسفى والبيضاوى والقرطبى والرازى والآلوسى وأبى السعود بالإضافة إلى تفاسير أخرى باللغة التركية .

طالع الراحل تفسيرى : البيضاوى وأبى السعود بعمق وتأن مع كتابة ملاحظات تعينه حينما يبدأ فى الترجمة ، وكان يرجع بين وقت وآخر إلى التفاسير الأخرى . وراجع علوم البلاغة بعناية فائقة لما لها من أثر فعال فى فهم الأساليب القرآنية وهكذا تمكن فقيدنا العظيم من وضع الأسس للترجمة ، وخطط لها ، ووضع قواعد لا يتعداها . وحينما هم بالبدء فيها استدعى للتدريس فى معهد علاء الدين الدينى كما سبق ذكره فتعطل المشروع مؤقتا وبعد أن قام بالتدريس فيه حوالى عشرين عاما ، وجاوز السبعين من عمره المبارك ، وتخرج على يديه دفعات من الطلاب منهم من حضر إلى الأزهر الشريف وآخرون اتجهوا إلى جامعات سورية ، والمملكة العربية السعودية ، ثم رجعوا قادرين على أن يحلوا محله ، طَلَبَ من رياسة الشئون الدينية إعفاءه من التدريس ليتفرغ لمشروع الترجمة وقضى «رحمه الله» حوالى ثلاث سنوات فى إعادة دراسة أوراقه التى كان قد أعدها للترجمة أيام اعتكافه فى منزله ، ثم بدأ الترجمة فعلا مستعينا بالله العلى القدير **وفى ظرف ثلاث سنوات تمكن من إتمام الترجمة وكتابتها ومراجعتها** للتأكد من سلامة الترجمة ودقتها .

اتفق مع مطبعة شهيرة بالدقة والعناية بـ «زغرب» عاصمة (كرواتيا) على طبعها . ولما كانت تكاليف الطبع فوق ما كان يتصور اكتفى بطبع عشرة آلاف نسخة ، وفى المدة المحددة أتمت المطبعة طبع الترجمة طبعا متقنا مع تجليد كل نسخة تجليدا فاخرا . وعلى الفور أعلنت إذاعة «زغرب» فى نشرتها الألبانية انتهاء الطبعة ونزول النسخ إلى السوق للبيع . فى يومين اثنين نفدت النسخ كلها فى إقليم «كوسوفو» ثم انهالت عليه طلبات من الألبانيين الموجودين فى تركيا وبلجيكا وفرنسا وغيرها تطالب بإعادة الطبع وحجز أعداد كثيرة .

وفى صيف عام ١٩٨٨ ذهب إلى تركيا للالتقاء بالألبانيين الموجودين هناك الطالبين إعادة طبع خمسين ألف نسخة ، وتم الاتفاق على ذلك . وعقب عودته إلى «كوسوفو» بدأت الجمهورية

الصربية التحرش بالألبانيين ثم تحول التحرش إلى نزاع مسلح حيث استخدمت الجمهورية الصربية الأسلحة الأرضية والجوية ضد الألبانيين العزل ، وألغت قرار الحكم الذاتى الذى أصدرته (رياسة الاتحاد) بإجماع الآراء ـ ولايزال قرار الحكم الذاتى ـ هو القرار الشرعى حتى الآن ؛ لأن عضوا واحدا فى رياسة الاتحاد اليوغوسلافى لا يملك إلغاءه أعنى به (الجمهورية الصربية) التى ألغت القرار المذكور معتدية على رياسة الاتحاد كما تعتدى الآن على (سلوفينيا) و(كرواتيا) وطردت جميع الموظفين الألبانيين وعينت الصربيين محلهم . ولاتزال الجمهورية الصربية حتى الآن تكمم أفواه الألبانيين المسلمين ، وذكرت أسباب ذلك بالتفصيل فى مجلة الأزهر الصادرة فى شهر صفر سنة ١٤١٢ هـ ولايزال الحال سيئا للغاية[٤] وشعب «كوسوفو» ينتظر من المجموعة الأوروبية تنفيذ ما وعدت بوضع نظام جديد للاتحاد اليوغوسلافى يتمتع كل شعب فى ظله بحقوقه كاملة .

انتقاله إلى رحمة الله

كان للأحوال المؤسفة التى حدثت فى العامين الأخيرين ، ولاتزال تحدث فى «كوسوفو» باعتداء الجمهورية الصربية على كل حقوق الألبانيين ، وعدم سماعه صوتا واحدا يصدر من مليار مسلم دفاعا عن حقوقهم أثر كبير فى تدهور صحته ، ثم اشتد عليه المرض إلى أن أسلم روحه الطاهرة إلى بارئها «سبحانه وتعالى» صباح الثلاثاء الخامس من فبراير سنة ١٩٩١ فى «برشتنة» عاصمة «كوسوفو» .

أوصى «الفقيد العظيم» أولاده قبيل أن يلحق بالرفيق الأعلى بأمرين :

إعادة طبع «ترجمة معانى القرآن الكريم» تلبية لطلبات الألبانيين فى الخارج[٥] .

وأن يدفن فى مدينة (جاكوه) بجوار العلامة والده رحمهما الله تعالى رحمة واسعة .

تشييع جنازته كان حدثا تاريخيا

نعت إذاعة «كرواتيا» فى نشرتها باللغة الألبانية الفقيد العظيم عقب وفاته ، وأعلنت أن تشييع جنازته سيكون غداً فى مدينة «جاكووه» ومنذ الصباح الباكر بدأت الوفود الرسمية والشعبية من جميع مدن وقرى الإقليم تتوافد على المدينة حتى ضاقت بهم على سعتها للاشتراك فى تشييع جنازة الفقيد العظيم فى مشهد مهيب لم ير المشيعون مثيلا له فى حياتهم، ووقف على قبره بعد أن ووري التراب كبار رجال الفكر والأدب والعلم يرثونه ويذكرون أفضاله وخدماته وتفانيه فى القيام بتنشئة جيل جديد من خريجى المعهد يكونون خير خلف لخير سلف ، وبذله جهده فى إصلاح أحوال الناس وجمع الشمل وتوحيد الكلمة لإقامة مجتمع إسلامى يرتكز على دعائم المودة والتراحم والتعاطف ، وأن الجهد الذى بذله فى ترجمة «معانى ألفاظ القرآن الكريم» سيكون خير زاد يتركه للمثقفين جيلا بعد جيل ينتفعون به فيذكرون فضله .

استمر المتكلمون فى إلقاء كلماتهم أكثر من ساعتين أمام الحشد العظيم غير مدركين بما مضى من الوقت ، كأنهم لشدة اتصالهم روحيا بمن ووري التراب أمامهم لا يريدون فراقه وهجرانه

---

(٤) يدل على سوء الحالة ما نشرته جريدة الأهرام يوم ١٩٩١/٧/٢٦ تقول : « .... أكد مسئول فى إقليم «كوسوفو» أن تزايد موجة العنف الحالية بين الصرب والكروات سوف يؤدى إلى انفجار الأوضاع فى هذا الإقليم «كوسوفو» من جديد ، وكان هذا الإقليم أول منطقة تنفجر فيها الأحداث عندما بدأ الألبان موجة احتجاجاتهم فى العام الماضى والتى أسفرت عن مصرع نحو خمسين شخصا ! هـ .

(٥) نذكر منهم على سبيل المثال ١ ـ الأستاذ رسول رجب مدير معهد علاء الدين الدينى ، ٢ ـ الأستاذ زكريا ساتا نائب رئيس الحزب الديمقراطى ، ٣ ـ شاعر المنطقة وكاتبها الأستاذ رجب خوجا .

فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ

عبد العظيم على الشناوى

٢٩/١٠/١٩١١ - ١٥/٨/١٩٩١م

د. عبد اللطيف خليف

انتقل إلى جوار ربه راضيا مرضيا صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد العظيم على الشناوى عن عمر يناهز الثمانين عاما بعد حياة مباركة طيبة حافلة بالعطاء الكريم .

نشأ ـ رحمه الله ـ فى (المطرية) من محافظة (الدقهلية) فى أسرة معروفة بالطيبة والأصل العريق ، نشأ (يتيما) ووجهته أسرته إلى الدراسة فى الأزهر الشريف فحفظ القرآن وقضى مرحلة الدراسة الابتدائية فى معهد دمياط الدينى ، ومرحلة الدراسة الثانوية فى معهد الزقازيق الدينى ، وفيه بدت ملامح شخصيته القيادية الناضجة ، فقد كان له القول الفصل بين طلاب المعهد فيما يواجهون من مسائل وقضايا ومشكلات وقد أحبه فى معهد الزقازيق زملاؤه وأطاعوه وأسلموا إليه قيادهم ، واحترمه وقدّره شيوخه ومدرسوه ، إذ كان مع اشتغاله بمطالب الطلاب ومشكلاتهم متفوقا فى دراسته تفوقا ظاهرا ينبىء عن ذكاء متوقد وعقل متفتح وفكر متجدد ورجولة مبكرة وقد كان ظهوره وتفوقه فى معهد الزقازيق إرهاصا لتفوقه الباهر فى كلية اللغة العربية التى حصل منها على درجة الشهادة العالية ، وأهّله تفوقه فيها إلى الالتحاق بالدراسات العليا للحصول على درجة الأستاذية (تخصص المادة) وكان الالتحاق بهذه الدراسة مقصورا على الأوائل العشرة ، وحصل على درجة (الأستاذية) فى النحو والصرف فى منتصف العقد الخامس الميلادى (١٩٤٥ م) وعمل بالتدريس فى معهد أسيوط عاما وفى معهد طنطا بضعة أشهر ثم عين فى كلية اللغة العربية مدرسا للنحو والصرف سنة ١٩٤٧ م ، ومضى فى سلك أعضاء هيئة التدريس حتى صار أستاذا .

وفى كلية اللغة العربية أحبه طلابه وتعلقوا به وحرصوا على درسه إذ كانوا يرون فيه أبا يرعاهم وعالما يفيدهم ، وكم من طالب انصرف عن الجد وأخلد إلى اللعب والكسل فرده الشيخ إلى الجد والالتزام بالواجب والاشتغال بالعلم .

كان يسأل عمن يغيب ، وينصح من يقصر ، ويسعى فى مصلحة الجميع فى مودة وحرص وذكاء وإخلاص ، من أجل ذلك كان قدوة ومثلا لطلابه كما كان قدوة ومثلا فى مودته وسماحته وكرمه فى تعامله مع إخوانه من العلماء ، ذهب فى إعارة إلى أحد الأقطار العربية وعاد من إعارته بعد سنوات ، وكانت حصيلة إعارته مبلغا من المال فأغراه صديق بأن يشترى له بهذا المال بضعة أفدنة فى بلدته فوافق الشيخ وأعطاه المال فاشترى الصديق الأفدنة لنفسه وسجلها باسمه وعلم الشيخ بما فعل صاحبه فما شكاه إلى أحد ولا خاصمه ولا قاطعه ولا سمح لأحد من أبنائه أن يذكر صنيعه معه بسوء . كان يقول لابنه : دعوا لى صاحبى لاشأن لكم به ، دعوه لى أنا أولى بحفظ كرامته ، ورعاية مودته ، وستر عيبته ، وظل المال فى ذمة صاحبه سنوات طويلة قبل أن يعيده إلى الشيخ فى أقساط قليلة تستهلك أولا بأول .

وقد بلغ من ورع أستاذنا - على حاجته وقتئذ - أن ترك ميراثه فلم يقربه مع علمه بما كان عليه ذووه من فضل وأصل كريم .

وكان شيوخه من كبار العلماء يثقون فيه ويطمئنون إلى علمه ويفاخرون بتفوقه فيه ، فكم من مرة دعاه الشيخ حمروش عميد الكلية ليناقشه فى بعض مسائل العلم الشائكة أمام بعض زائريه من كبار العلماء ، وقد وكل إليه الشيخ حمروش الرد على بعض دعاوى المجددين فى أساليب اللغة ، فعرض فكرة الرجل وبسط القول فيها كما لم يفعل صاحب الدعوى ثم عاد إليها ينقض أساسها ويفند أبعادها وينسفها نسفا ، ولما عرض الشيخ حمروش رد الشيخ على أعضاء مجمع اللغة العربية قدر أعضاء المجمع

الشيخ عبد العظيم الشناوى

رد الشيخ وأشادوا بعلمه وذكائه وأدبه فى رده ، وكان مما قال العقاد - رحمه الله - للشيخ حمروش يومذاك : كيف يسكت الأزهر ، وفيه أمثال الشيخ عبد العظيم ؟ ! ولعل العقاد كان يريد - بما قال - أن يمسك الأزهر بكل ألوان الحياة العلمية والثقافية فى مصر .

وجاءه مرة الأستاذ عبد العليم إبراهيم وكان مستشار اللغة العربية فى وزارة التربية والتعليم يعرض عليه بحثا أعده فى تطوير قواعد اللغة العربية وتبسيطها فلما قرأه الشيخ أشاد بما اشتمل عليه البحث من أفكار وبما بذل الأستاذ عبد العليم فيه من جهد ثم قال له : حبذا لو قرأت مقدمة القاموس المحيط ، ولما التقيا من بعد سأل الشيخ عن مصير البحث ، فقال الأستاذ عبد العليم : قرأت مقدمة القاموس فمزقت ماكتبت .

وقد احتل الشيخ مكانة عالية ، ومنزلة رفيعة بين طلابه وإخوانه وشيوخه بما أفاء الله عليه من علم غزير نفع به إذ كان درسه فريدا جديداً يعرض قواعد النحو فى كل تتجاوب مسائله ، وتتواصل قضاياه يفسر بعضها بعضا يستشعر

من اعلام الأزهر

الشيخ عبد العظيم على الشناوى

من يحضر درسه أن مسائل النحو وقضاياه لا يكاد يغيب شيء منها عن ذهنه فى درسه كان - رحمه الله - عالما مسيطرا على مادته متفهما لأبعادها مؤصلا أسرارها ، وكان بعض إخوانه من العلماء يرون ما يلقى من حفاوة به فى تجلة وإكبار ، فكانوا يسألون عما أوجب للشيخ هذه المنزلة بين أبنائه من طلاب العلم ، وكان بعضهم يحضر درسه ليطلع على ما تفرد به درس الشيخ من حوار ممتع ونقاش جاد وعرض جذاب لا يغيب رونقه . وللشيخ عبد العظيم - تفسير لغوى لبعض سور القرآن ، نشر فى مجلة الأزهر ، وانتفع به طلابه .

وقام بتحقيق معجم « المصباح المنير » وضم إليه مادته التى اختصرت فى طبعاته الأولى ، وقامت بنشره دار المعارف بمصر .

وكان أحد أعضاء لجنة المصحف الشريف الذى قام بإنشاء مجمعه الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية .

وإلى جانب إنتاجه العلمى أشرف على عدد من رسائل (التخصص والأستاذية والماجستير والدكتوراه) .

زار الشيخ عبد المحسن مدير الجامعة الإسلامية بالنيابة فى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كلية اللغة العربية ، ومر على الطلاب ، وحضر فى مروره درسا للشيخ عبد العظيم ، ولما اجتمع فى ختام زيارته الكلية بأعضاء هيئة التدريس قال : لقد حضرت اليوم درسا فى النحو للشيخ عبد العظيم فأفدت منه وسررت به ؛ لأنه درس نافع للطلاب ييسر لهم سبيل الفهم ، ويخط لهم نهج العلم فى سهولة ويسر ، ولو انتهج المشايخ من العلماء طريقة الشيخ لأجادوا وأفادوا وقاموا بدور عظيم .

وكان الشيخ موضع التقدير والاحترام ممن عمل معهم فى كلية اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية فى (البيضاء) وفى كلية اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة ، كان العمداء الذين عمل معهم فى الكليتين يثقون فيه ، ويطمئنون إليه ويستريحون إلى خالص نصحه فى كل ما يتصل بأمور العلم والإدارة .

وكان يحفظ مودة من عمل معهم من إخوانه يعينهم ، ويقيل عثرتهم ، ويحفظ مودتهم ويدافع عنهم ، ويشاركهم فى أحزانهم وأفراحهم فعاش مع زملائه أخا لهم يؤلف بينه وبينهم روابط وثيقة من المودة والتقدير والاحترام .

وعاد بعد سنوات فى المدينة المنورة - إلى مصر وعين أستاذا متفرغا فى كلية اللغة العربية ، وأذنت له الكلية بأن يلقى طلابه للدراسات العليا فى بيته يحاضرهم فيه فيجدون من علمه وكرمه وسماحته ما يزيدهم تعلقا به وحبا له .

وهكذا كانت حياة الشيخ العلمية حافلة بالخير والبركة والعطاء الكريم ، وكذلك كانت حياته فى أسرته حافلة بالخير والبركة والنسل الكريم ، أصهر فى شبابه - قبل أن يتخرج - إلى أسرة طيبة من جيرته فى المطرية تزوج من كريمة لهم فأنجب منها أبناءه محمد والسيد وعلى وفاطمة وسعاد وزينب وسميرة ثلاثة أولاد وأربع بنات تزوجوا جميعا وأنجبوا فى حياته .

وأبناؤه محمد والسيد وعلى تخرجوا من جامعة الأزهر : محمد من كلية اللغة العربية ويعمل فى إدارة الامتحانات بالأزهر الشريف ، والسيد وعلى تخرجا من كلية التجارة جامعة الأزهر ، ويعملان فى الجهاز المركزى للتنظيم

والإدارة من موظفيه الفنيين ، وأحفاد الشيخ تتراوح أعمارهم بين المهد والشباب .

وهكذا كان الشيخ رحمه الله أصلا لشجرة طيبة مثمرة من البنين والبنات الصالحين الذين بارك الله فيهم كما كان فرعا من شجرة طيبة مباركة تمتد جذورها إلى النسب الشريف من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وانتقلت زوجه أم أولاده إلى جوار ربها بعد أربع وعشرين سنة عاشتها معه ومن بعدها أصهر إلى أسرة (الريس) وهى أسرة كريمة من المطرية تزوج منها وعاشت معه زوجه هذه ستا وعشرين سنة ولم تنجب وقد سبقته إلى جوار ربها ببضعة أشهر .

وبعد ، فإذا كان العلم لا ينتزع من الصدور انتزاعا وإنما يقبض بقبض العلماء فقد طويت بموت الشيخ صفحة حافلة بعلم نافع غزير وسماحة بالغة وعطاء كريم .

رحم الله الشيخ رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته وأنزله منازل الأبرار والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

والحمد لله أولا وآخراً ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

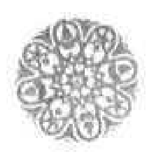

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« سبحي يارسول الله » صلى الله عليك وسلم

نبئت أن رسـول الله أوعـدني
والعفـو عند رسـول الله مأمـول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ
ـقـرآن فيها مـواعيظ وتفصيـل
إن الـرسول لنـور يستضاء بـه
مهنـد من سيـوف الله مسلـول

« قالـوا .. »

- الاطمئنان بغير الله خوف ، والخوف من الله اطمئنان من غيره .
- تقول : أنا صائم ، وأنت في لحم أخيك سائم .
- يموت الجبان مرارا قبل موته ، وأما الشجاع فيموت مرة واحدة .
- المعروف حصن النعمة من صروف الزمن .
- إذا أردت أن لا ينسى إحسانك فكرره .
- لا يضرك فقد الياقوت إذا حصلت على القوت .

« من أجمل ماقيل في وصف السخاء » :

تـراه إذا مـا جئتـه متـهـلـلا
كأنك تعطيـه الذي أنت سـائله

« حقــا »

المرأة الجميلة تعجب العين ، والمرأة الصالحة تعجب القلب فتلك جوهرة ، وهذه كنز .

« أسرار الجمال ثلاثة .. ثلاثة »

بياض في ثلاثة : الجلد ، الأسنان ، اليدين .
سواد في ثلاثة : الشفتين ، الخدين ، الأظافر .
طول في ثلاثة : القامة ، الشعر ، اليدين .

« حقيقــة »

قيل « لعارف » : خذ حظك من الدنيا فإنك فانٍ .
فقال : الآن وجب أن لا آخذ حظي منها .

« عشر كلمات »

يقول رياح بن عبيدة :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى طاووس كتابا يسأله عن بعض ما هو فيه ؟ فأجابه طاووس بعشر كلمات ، لم يزد عليها حرفاً . قال : فما رأيت عمر أتاه كتاب كان أعجب إليه منه ، كتب إليه :

سلام عليك ، ياأمير المؤمنين : فإن الله ـ عز وجل ـ أنزل كتابا ، وأحل فيه حلالا ، وحرم فيه حراما ، وضرب فيه أمثالاً ، وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابها : فأحل حلال الله ، وحرم حرام الله ، وتفكر في أمثال الله ، واعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه ، والسلام عليك .

« قل ماشئت »

قال بعض الملوك لصاحب خيله : قدم لي الفرس الأبيض .

فقال له وزيره : أيها الملك لا تقل الفرس الأبيض ، فإنه عيب يخل بهيبة الملوك ، ولكن الفرس الأشهب .

فلما أحضر الطعام ، قال لصاحب السماط : قدم الصحن الأشهب .

فقال الوزير : قل ما شئت فما لي حيلة في تقويلك .

« الأيدي ثلاث »

يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء .

فاليد البيضاء : هي الابتداء بالمعروف .

واليد الخضراء : هي المكافأة على المعروف .

واليد السوداء : هي المنُّ بالمعروف .

« الشعر لغة القلوب »

قيل إن شابا لقي امرأة بارعة الجمال على جسر « بغداد » .

فقال لها : رحم الله علي بن الجهم .

فقالت هي : رحم الله أبا العلاء المعري .

أراد الشاب بترحمه على ابن الجهم قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأرادت هي بترحمها على أبي العلاء قوله :

فيادرْها بالخيف إن مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال

« دعاء »

اللهم فارج الهمِّ ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمان الدنيا والآخرة ، ورحيمها أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك » .

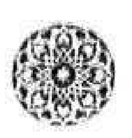

ذكرى المولد الشريف

موشحة

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

سيدى يارسول الله - صلى الله عليك وسلم - فى يوم مولدك الكريم . جاء صوت الشعر يشدو فى هذه الذكرى العاطرة . معبرا عن خلجات نفس مؤمنة هزها الشوق فترنمت . وبرح بها الحنين فَشَدَتْ وهل القريض إلا صدق فى التعبير منذ الأزل . به تالفت القلوب ومنه استمد العزم والحزم والإقدام . ومنه ايضاً جاءت الحكمة والحقيقة . وذلك فى قول لبيد : والذى وصف بانه اصدق ما قالته العرب .

الا كل شىء ماخلا الله باطل .
وكل نعيم لا محالة زائل .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه ، عن النبى - صلى الله عليه وسلم - انه قال : « إن من الشعر حكمه » .

رواه البخارى وابو داود والترمذى .

قال الأستاذ :

ياخجلتا من بياض شيبى
شوه وجهى لدى الغوانى ؛
فلا دموعى ، ولا نسيبى
ولا ولوعى ، ولا هوانى

***

أفٍّ لهذا المشيب يمحو
اجمل ما خطه الشبابُ
يُغفِى الفتى غفوة ويصحو
إذا زمان الصبا سراب
روضٌ زها نبتُه ، وصبح
يعقبه الجدب والضبابْ

***

يالك من طارق غريب
عن الهوى والصفا لوانى
أحيا به عيشة الحريب
بلا خيال ، ولا امانى

***

يالهف نفسى على شباب
من المنى والحياة احلى
الظرف، والقصف، والتصابى
يوم تولى الشباب ولى
عوجوا على ربعه ركابى
احط من ذى الهموم ثقلا
اسبح فى افقه الرحيب
وانشق الترب فى المغانى
واملأ الجو بالنحيب
اسى وحزنا على زمانى

***

من لى بأن استرد عهدا
شربته فى الكؤوس خمرا ؟
مضى، واهدى إلى وجدا
حسبته فى الفؤاد جمرا
كان زمان الشباب سعدا
فعاد بعد المشيب ذكرى !

***

يانفس، قد آن ان تؤوبى
عجلى، إلى شاطىء الأمان
وفى حمى المصطفى الحبيب
تلقين ماشئت من ضمان

***

ميلاده الباهر المجيد
نال به الكون ما تمنى
بنوره اشرق الوجود
وهز اعطافه، فغنى !
اقر عين العلا وليد
قر به الكون واطمأنا !

***

تهفو مجاليه بالقلوب
كما هفت بالنهى المثانى
تضم ذكراه فى وجيب
وفى جلال، وفى حنان

***

ياقوم، من شام مثل (طه)
قد أنبت العلم فى الصحارى ؟
امية عيش فى هداها
وشرعة انقذت حيارى
لاقى بها خصمه وجاها
فحار فى امره ومارى

***

من اين للكفر والصليب
بواهر الوحى والقرآن ؟
اولاك يروون عن غيوب
وذا يلقاه عن عيان

***

دعا، فأحيا القلوب غلفا
وسار والسعد فى الركاب
واوسع العالمين عطفا
فى الحكم والسلم والغلاب
لم يملأ الخافقين خوفا
فتلك فى شرعة الذئاب

***

من كل خوانة مريب
يختص بالعطف كل جان
او غادر فاجر لعوب
يكسب بالعرض كالزوانى !

***

من روائع الماضى

ذكرى المولد الشريف

قولوا لصهيون : ما لموسى
يروع الأنسات قتلا ؟!
والصليبى : ما لعيسى
يملأ هذا الوجود ختلا ؟!
تعسًا لأعلامكم ، ونكسا
اما نبياكما ، فجلا
لم يدعوا فى الورى لحوب
ولا لغدر ، ولا اختيان
ولا اغارا على الشعوب
بكل مسترزق جبان

***

سيعمر الكون من جديد
بدين خير الأنام طه
بالجند ، خفاقة البنود
تدك أعلام من رماها
البدء فى المشرق السعيد
ينبع ، والغرب منتهاها

***

ونحن فى امسنا القريب
سرنا على هامة الزمان
فى الهدى ، فى السلم ، فى الحروب
فى الحكم ، فى العلم ، فى البيان

***

مجد مضى فى الزمان حرا
وعز فى ظله الانام
عهد ، لياليه كن غرا
قد ساد من بعده الظلام
ياسيد المصلحين طرا
ـ عليك من ربك السلام ـ

***

اعطف على بائس أديب
مروع فى الحياة عان
قل لى ـ إذا خفت من ذنوبى ـ :
لا تبتئس ، أنت فى ضمانى !

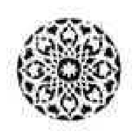

اللغة والأدب والنقد

التشريع اللغوي في نموه وانتشاره وتنوعه

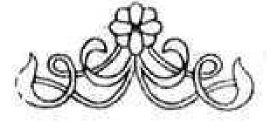

المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية

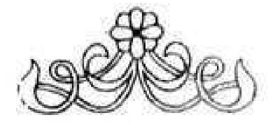

لحظات طيبات مع الإمام الفضيل بن عياض

التشريع اللغوى

فى نموه وانتشاره وتنوعه

للدكتور
توفيق محمد شاهين

اللغة تعتبر من الميزات الاساسية التى اختص بها الإنسان ، واتسم بها دون سائر الكائنات ، ولاهمية هذه الميزة وروعتها اثارت انتباه العلماء منذ القدم ، وبحثوها من زوايا علمية متعددة ، على صعيد علم الاجتماع ، والنفس ، والفلسفة ، فضلا عن اللغويين وغيرهم ..

وتعددت زوايا البحث والدراسة اللغوية ، لانها ترتبط بصورة وثيقة بالإنسان وبيئته . ولاهميتها فى كونها تتيح للإنسان إتمام عملية الاتصال والتعبير عما يدور بخلده ووجدانه واغراضه ، فكانت ايسر وسيلة - بالاتها وطبيعتها - للتعبير عن الآراء والاحاسيس ، ونقل التراث والخبرات ، بدرجة شاملة وكلية وطبيعية . ولعل هذا ماحدا بالمناطقة لتسمية الإنسان بانه : حيوان ناطق ، والنطق إبانة عما فى الفكر ، ومن ثم كان ارتقاء المجتمعات البشرية ورفاهيتها وتطورها وتانسها .

والمدلول اللغوى - كما هو مشاهد - متاخر عن الحدث الاجتماعى ؛ فالمولود يولد - مثلاً - وقد اخذ فى العموم لفظ ولد أو مولود ، لكنه يحتاج إلى تخصيص بعدئذ يميزه عما سواه .

ومن اهم خصائص الإنسان : القدرة على التعبير عن الافكار الجديدة ، وتفهم التعابير الفكرية المتجددة فى إطار لغته ومحيطه .. ومقدرة الإنسان الإبداعية فى هذا الجانب لاتبارى ولاتحد فى ظل القوانين اللغوية التى تحيط به ويعايشها من نتاجه أو من صنع غيره .

ومظهر المقدرة الإبداعية عند الإنسان فى اللغة يتميز باستعماله الطبيعى للغة فى تجدد ، وإن كان ما ينطق عفويا فى تعابير متجددة وإن كانت عند التحليل صورة متكررة للمألوف والمعروف

والمتوارث . ومظهرها أيضا متحرر من كل قيد ، سوى المبادىء اللغوية التى تختص باللغة ، واللغة بذلك تعتبر اداة الفكر والتعبير الذاتى . وأخيراً نجد من مظاهرها التماسك الذى يبدو فى كل تحليل للكلمة والجملة والفكرة والموضوع ، حسب الكفاية التى يملكها المتكلم للغة بطبيعتها وإطارها .

وقد أشبع العلماء المقام كلاما وبحثاً فى القول بنشأة اللغة وأوليتها حين أثارت أنتباههم فقدحوا زناد فكرهم فى طرق كل الاحتمالات والتأويلات الممكنة لحل هذا اللغز المحير والمثير .

وسقنا فى مقال سابق محاولات متواضعة ، لإلقاء أضواء كاشفة عن الأسرار الكامنة وراء القول بتلك الآراء والنظريات ، ووعدنا بإلقاء نظرة على التشريع اللغوى ـ إن صح هذا التعبير ـ وكيفية تكاثره أو نموه وانتشاره ، ليغطى الأحداث الاجتماعية بمدلولات لغوية مرتضاة تعرف وتؤلف ، أو قل : إنها قامت على الحاجة وسدّ الحاجة فى حياة الإنسـان (البيولوجية) والاجتماعية عبر تعامله مع محيطه .

وموضوع التشريع اللغوى ، أو من يسن اللغة لأهلها يمثل نظرة الصيرورة عبر النشوء والارتقاء والانتشار ، كما أن موضوع النشأة والأولية . مثل موضوع البدء فى نقطة الانطلاق .. والموضوعان ـ إذن ـ لايتناقضان ، بل يتسايران غزارة فى المضمون والإشعاع ، وفى صلب تاريخية الحياة اللغوية .

وموضوع التشريع اللغوى بحثه وخاض فيه : الفقيه ، واللغوى ، والفيلسوف ، وأصحاب الملل والنحل . لأنه يمثل البحث فى أصل اللغة نشوءا ووجودا وارتقاء ، وانتشارا لظاهرة قائمة فى وجود آنى . ولايوجد مشكل فى هذا الصدد مع أو عند أصحاب الاتجاه التوقيفى والإلهامى . إنما هو بالقول بالمواضعة :

فهل توفر على وضعها حكيم متخصص ، له قدرة على الوضع والارتجال ، بما حُبى به من حصافة وذكاء ؟ أو هم جماعة متعاونة فى مؤسسة لها قاعدة وقمة وأعضاء يعملون فى حركة دائبة (ديناميكية) ؟ أم هم جماعة من ذوى الفطانة والسداد والخبرة ، حتى تكون أعمالهم حكيمة وصائبة وقائمة بالغرض ، ومتلائمة مع المحيط ؟ وهل للاختلافات الواضحة فى أعضاء الجهاز النطقى ، وما يتفاعل معه من محيط بيئى ومناخى أثر فى التباين الواضح ، وبالتالى فى التفرد بخصائص تتفق فى الأصل والهدف وتختلف فى المظهر والسمع والدلالة ؟....

فالعلامة ابن جنى يرسم صورة متخيلة لكيفية بناء اللغة ونشوئها بقوله : (كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا) للإبانة عن المعلومات بوضع أسماء لها تعرفها ، فيومئون ـ مثلا ـ إلى إنسان من بنى آدم ويقولون : إنسان ، ويزيدونه تخصيصا وتسمية لأعضائه ، فيقولون : رأس ، وعين ، وقدم ، ومتى سمع ذلك بعدئذ عرف معناها .

ويجعل مكان هذه الأسماء ما يجعلها متعارفة فى لغات أخرى على سمتها وأعضائها ، مثل : (مرو) ، بمعنى رجل ، (وسر) بمعنى رأس فى الفارسية مثلا(١) .

---

(١) الخصائص ١/٤٦

التشريع اللغوى فى نموه وانتشاره وتنوعه

فالمؤسسة اللغوية عند ابن جنى يقودها أكثر من حكيم عاقل ، ضمانا للجودة فى الإنتاج ، ويجعل حرية للحكماء فى اختيار الألفاظ لكل واضع ، لكن يعترض عليه بأنه : أين كانت اللغة قبل اجتماع الحكماء ؟ وكيف كان حال اللاغين ؟

والفارابى يرى أن الحاجة متمثلة فى التخصص ، بمعنى أن المتخصص فى وضع المدلولات إزاء دوالها هو الذى يبت فى التعيين عند « الوضع الذى يستدعى فى تحققه مؤثرا مخصصا »[٢] . مواز بين الوضع والتناسق بين بنود القوانين المنظمة للمجتمع الإنسانى .

والفارابى - إذن - كابن جنى يرى أن التشريع اللغوى يأتى من عل ، ومن رأس مدبر ، وهو الذى يحملهم عليها أيضا . إلا أن الوضع عند الفارابى لابد له من جماعة مدبرين ينوبون عن الجمهور كله[٣] .

و(إخوان الصفا) يذهبون مذهب الفارابى ، من اختصاص رئيس الجماعة بالتشريع اللغوى ، وعليه نشرها فى محيطه الصغير ، لتعرف بعدئذ فى العالم الكبير ، ويأنس بها الإنس - ولعل هذا يفسر جانبا من الأنظمة التى قامت عليها إخوان الصفا ، يقولون :

إن وضع السياسة اللغوية يكون (بحسب اجتهاد رئيسهم ، وما أعمل فيه فكرته ، وأنتجته قريحته ، وأوجبته رؤيته ، ... فيأخذ صور هذه فيلقى عليها أسماء من ذاته .. فإذا تم ذلك له ونطق به وأكمل الصناعة النطقية ، وقيدها بحروف الكتابة ، وضم الأشكال إلى أشكالها ، والخطوط إلى أمثالها ، ثم عرفها أقرب الناس إليه ، وأكرمهم لديه فيصطلح عليها هو وأهل بيته ، وعشيرته ، ثم أهل مدينته ، وبعد ذلك أهل بقعته ، ثم أهل إقليمه ، ثم تنتشر فى العالم ، وينشأ عليها الصغير ، ويأنس بها الكبير من تلك الأمة)[٤] .

فالحكيم الألمعى رئيس ، وطاعته واجبة ، وعليه إضفاء الكمال والجمال فى صنعته ، ومخالطوه نجباء وخلصاء لتحمل واجب الدعوة وبثها ، والبدء بالأقربين يتم إشاعة الفكرة فى المحيط الخاص والعام فى حلقات انتشارية متدرجة متكاملة ، بالغة أقصى مداها .

وهذا ماراه الفارابى للرأس المدبر ، ليكون (هو واضع لسان تلك الأمة ، فلا يزال منذ أول ذلك يدبر أمرهم إلى أن توضع الألفاظ لكل ما يحتاجون إليه فى ضرورية أمرهم)[٥] .

ويجعل الفارابى هذا الحق لفصحاء الأمة وبلغائها ، وحفظة أشعارها ، ونقلة أخبارها ، وعليهم عبء تركيب الألفاظ للأمة واضحة سهلة مشهورة ، للأحداث الاجتماعية التى وقعت أم لم تقع ، مما دخلت تحت جنس أو نوع ، « فربما شعروا بأعراض فيصيرون لها أسماء » ، وكذلك الأشياء التى لم يكن يحتاج إليها ضرورة ، فلم توضع لها أسماء ، فهم مدعوون إلى تركيب أسماء لها .

(ويجعل وظيفة هؤلاء المشرعين غير محددة بزمن وثابتة ، لتستوجب المتابعة والتواصل ،

(٢) مفتاح العلوم ص ١٦٩

(٣) شرح العبارة ص ٢٧

(٤) رسائل إخوان الصفا جـ ٣ ص ١٤٣

(٥) الحروف للفارابى ص ١٣٨

لأنهم مسئولون عن رعاية اللغة وتعهدها بالمواظبة على تعديلها وتجريحها ، فكأنما هم أعضاء فى مؤسسة أكاديمية لغوية على الوجه الأكمل)[6] ويحمل القاعدة عبء الذيوع والانتشار ، لأنهم المتعاملون بها .

وإذا قامت الثورات الحديثة لتقول : لابد لنقل الحكم من قمة الهرم إلى قاعدته ، لأنهم نسيج الأمة ، والمنتج يجب أن يكون منهم ، وهم المنفذون بعدئذ .. فكذلك فى موضوعنا هذا نجد من المفكرين من قال بذلك ، أى نقل التشريع إلى القاعدة العريضة ، وهى الجماهير اللاغية ، والمستهلكة ، فلابد من إعطائها المشاركة فى صنع القرار ، وبذلك يصبح المجتمع من صميم المؤسسة اللغوية ، وصاحب الشأن فى إدارة دفتها ، كأداة يعتمل فيها عن طريق الفرد والجماعة ، وبذلك ينصهر المشرع والمشرع له فى بوتقة الاجتماع الإنسانى ، ويتم له بالتالى سرعة الانتشار والذيوع لما يقرر ويفرض ، لأنه هو مالك اللغة والمتعامل بها :

فابن حزم ـ رضى الله عنه ـ يقر الناس ـ كل الناس ـ على إحداث لغات شتى ، من خلال المجموعة الإنسانية ، التى تقوم بأمر التشريع للأمر اللغوى[7] .

ويرى السكاكى إمكانية الوضع بالذات ، جاعلا للإنسان أمر تصرفه فى أداته اللغوية بالوضع حسبما يلم به من ضرورات فى التعبير[8] .

وحتى ابن فارس ، وهو من القائلين بالتوقيف ، ويجنح إلى الاصطلاح يرى : أنه إذا ثبت أن اللغة مواضعة فلا يكون أحد فى الاحتجاج بما يضع من اللغة بأولى من أحد[9] . لأنه ظن راجح ولم يعارض بما هو أرجح منه .

والقاضى عبد الجبار يقر لأى فرد أن يواضع غيره على (لغة مبتدأة) ويشبه عملية الكلام بعملية التنفس ، بمعنى أنها لا تتوقف على إذن من المشرع إطلاقا . أى أنها حق للقاعدة الشعبية ، ومنعا للفوضى والتكاثر بلا معنى ، وربطا للضوابط يرى أن يكون التشريع معتمدا على نوعية الروابط القائمة بين الأفراد والسلطة المشرعة لحياتهم ، دينية كانت أم وضعية . وهذا منه قيد له قيمته الأدبية ، حتى لا تلتفت إلى لغة الشطار ، والسراق ، والذين يفضلون العيش فى الظلام ، وحتى لا يكون هناك ألغاز وتعمية ، واللغة للإبانة والإفصاح عن الأغراض .

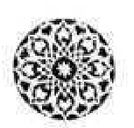

(٦) الحروف ص ١٤٣ نقلا عن آفاق عربية ص ٥٩
(٧) الأحكام ١/ ٣٠
(٨) مفتاح العلوم ص ١٦٨
(٩) الصاحبى ص ٦

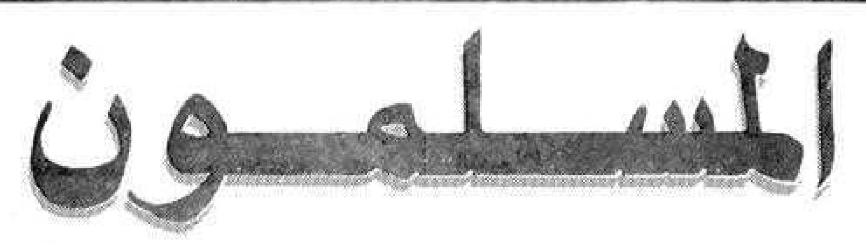

المسلمون

في الولايات المتحدة الأمريكية

الأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

ان يعيش المسلم فى بلده بين اهله واحبته يسمع آيات الله تتلى عليه بكرة واصيلا ، يمتع عينيه بمنظر ـ لا اظن منظرا أروع منه ـ وقد اخذت صفوف المصلين تتراص لاداء الصلوات المفروضة بعد ان شنف اذان المحبين لله ورسوله صوت المنادى ينادى ان (حى على الصلاة . حى على الفلاح) فيمس منا شغاف القلوب ، وتحلق معه الأرواح ، إلى آفاق لايدرى مداها ، إلا منشيها وباريها .

أقول : أن يعيش المسلم فى هذا الجو المشبع بعبق الإيمان الزكى ، وعطر اليقين الفواح ، فإن ذلك شىء تفرح له النفس ، ويطرب القلب ، وتصفو معه الحياة أى صفاء ، فوق انه آمن فى سربه مطمئن فى وطنه .

أما أن يعيش المسلم فى جو يخالف هذا الجو الطيب ، جو يعلو فيه الضجيج والصخب ، وتنتشر فيه المعصية ، انتشار النار فى الهشيم ، إلى درجة تجعل المؤمن الذى خالطت فطرته النقية بشاشة الإيمان تجعله يجأر إلى الله صارخا : النجاء النجاء ، بيئة راح أهلها ينهمكون فى العمل إلى أن تقول : لا يخلدون للراحة أبدا وانغمسوا فى الشهوات وغرقوا فى الملذات الحسية إلى أن تقول : لاينثنون عنها طرفة عين ولا أقل منها .

أقول : أن يعيش المسلم فى هذا الجو المتخم بالشهوات المثخن بالجراحات ، التى لابرء منها ولا شفاء ، فلعمرى أن ذلك جهاد من الجهاد ، وابتلاء وتمحيص لمعدن الإيمان فى المؤمن الذى

لاخيار له إلا أن يتمسك بدينه تمسك القابض على الجمر ، يعلم أن فى دينه حياته ، وإن انصهر داخله انصهارا ، وإما يستسلم لواقع دنيا تذهب لذتها وتبقى تبعتها .

ومن ثم فهو جهاد جدير بأن نميط اللثام عن أهله وأن يعيش القارىء طرفا من أخبار هؤلاء المجاهدين بلا سيوف إلا المضى على الإيمان الصامدين بلا ذخيرة إلا الاستمساك بهذا الدين ذوداً عن حياته ، وتحقيقا لأمره وخير مثل لأولئك الأفذاذ من شاءت لهم مقاديرهم أن يعيشوا فى الولايات المتحدة ، وهى غنية عن التعريف .

وعمدتنا فى ذلك تحقيق مطول مستفيض نشرته واحدة من كبريات الصحف الأمريكية ، وأوسعها انتشارا فى أمريكا وفى العالم ، وهى صحيفة WALL STREET GOURNAL الصادرة عن حى المال والأعمال (نيويورك) فهى تقول فى البداية :

إن الإسلام يعد من أسرع العقائد نموا فى هذه البلاد ، ومن ثم فعلى معتنقيه أن يقاوموا - وقد نفضوا عن كواهلهم غبار الخوف - كل محاولات القولبة [1] والتسطيح [2] ، وإفراغ الدين من فحواه ، والبعد به عن مغزاه الذى وسع العوالم صغيرها وكبيرها .

ويصف لنا الكاتب رحلة قام بها مجموعة من المنصرين استقلوا حافلة متجهين إلى المركز الإسلامى بجنوب (كاليفورنيا) فى (لوس انجلوس) .

ويقوم (حسان حتحوت) أحد كبار الأعضاء بالمسجد باصطحاب الزائرين .

وبعد أن أتموا جولتهم بالمسجد يأخذهم (السيد حتحوت) فى رحلة روحانية فى رياض العقيدة وبساتينها .

ومن أولى الثمار التى اجتنت يداه لضيوفه تلك النقاط العامة التى شاطر المسلمون غيرهم الاتفاق عليها .

فالجميع لاينكر - وكيف ينكر ؟!! احترام السيدة مريم العذراء[3] وتبجيلها وتوقيرها ، مستمدا المثل فى ولادة عيسى بن مريم من غير أب من قدرة الله الذى خلق آدم من غير أب ولا أم ، وأن الناس جميعا من نسل آدم وحواء ، لايفوته - السيد حتحوت - فى ذلك قول الله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ الآية رقم (٥٩) سورة آل عمران ثم تطرح إحدى الحاضرات سؤالا يقول :

ماكل هذا الحديث عن الجهاد والحرب المقدسة القادم إلينا من الشرق الأوسط ؟.

وسرعان مايبنبرى السيد حتحوت مرة أخرى لتوضيح تلك النقطة شارحا كيف أن بعض المفاهيم الإسلامية كالجهاد والذى هدفه مقاومة الشر ومكافحته ومجابهته بكل الوسائل ، كيف تم للبعض لى عنقه بطريقة مروعة فظيعة لأغراض شخصية محضة .

ومايحس به السيد حتحوت من إحباط هو نفس ما يحس به إخوانه العاملون فى حقل الدعوة الإسلامية إذ يرون : أن الدين الإسلامى - وإن كان من أسرع الأديان انتشارا فى أمريكا - إلا

(١) يريد وضع الدين فى قوالب فكرية جاهزة غير قابلة للمناقشة .

(٢) أن يكون الشىء بلا عمق ولامغزى .. هذه وجهة نظر الكاتب .

(٣) ... إلا اليهود - عليهم لعنة الله - تعالى : فإنهم رموها - وهى البتول - بالفاحشة - قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ نسأل المولى - جل وعلا : أن تلحقهم لعنة تبيد ولا تذر .

المسلمون فى

الولايات المتحدة الأمريكية

انه من اكثر الاديان التى أسيء فهم مقاصدها النبيلة وغاياتها السامية ، ومثلها العلى .

وتقدر اشد الاحصائيات تحفظا عدد الجالية الإسلامية فى امريكا بـ (اربعة ملايين) نسمة ، وهو مايعنى أن عددهم ضعف عدد المسيحيين الاسقفيين . كما انه يوجد فى امريكا من المسلمين اكثر مما يوجد فى بلد عربى كليبيا .

ويمكن للمسلمين أن يتجاوز عددهم بنهاية هذا العقد عدد اليهود البالغ ستة ملايين ، وذلك بفضل الفيض الدافق الثابت من المهاجرين إلى امريكا ، وبفضل روافد أخرى ، وإن لم تكن بذات الحجم من المعتنقين للإسلام الناشئين هناك أصلا بما فيهم الكثير من الامريكيين السود .

وترتفع شامخة سامقة أماكن عبادة المسلمين متمثلة فى اكثر من ستمائة مسجد انتشرت فى ربوع تلك البلاد وتشيع الإيمان واليقين .

وأحد أكبر هذه المساجد وأقربها حداثة هو المسجد المقام على الجانب الشرقى من مدينة نيويورك ، حيث أنشأت مجموعة صغيرة من المسلمين مجمعا كليا فى صبغته الإسلامية خارج (هاتز برج) بولاية (ميزورى) .

أما المركز الإسلامى بـ (لوس أنجلوس) وهو مبنى من الخراسانة والقرميد بارتفاع طابقين فإنه يشبه من حيث الاناقة والنظام أحد مبانى البنوك ، ويضم بين جنباته واحدا من أكبر التجمعات الإسلامية بأمريكا ، كما أنه يتميز بصفة لاتتوافر فى كثير من المساجد هناك ، وهى أنه يعد أقوى هذه المساجد فى جرأته فى التعبير عن رأيه وفيما يرى أنه حق .

واوضح مثل على ذلك أنه عندما قامت العراق باجتياح الكويت سارع هذا المركز بإصدار بيان يدين الاجتياح ، ويحث الولايات المتحدة على أن لا تتدخل عسكريا . بيد أنه ـ كما يوضح التحقيق ـ أن قليلا من المساجد عايشت روح المصاب مما ملأها ثقة فى التعامل مع مجريات الأمور ، بشكل مغاير لهذا النهج الواضح .

ففى (اطلنطى) جنح الزعماء بمسجد الفاروق إلى عدم اتخاذ أو إعلان أى موقف علنى معروف بصدد الأزمة ، وذلك للحفاظ على مايسود من ود ووئام وسلام جماعاته المتنوعة . فقد حدث ثلاث مرات أن جاءت طواقم التلفاز للتصوير فى وقت الصلاة بغية الحصول على تعليقات ، وكانوا فى كل مرة يرفض طلبهم فيها بأدب ولطف بالغين ، وذلك بإرشادهم إلى باب الخروج من المسجد .

ثم يثير التحقيق قضية نراها من أخطر القضايا عندما يقول :

إن المركز الإسلامى بـ (لوس أنجلوس) كان ، ولبضعة أشهر ، قاعدة انطلاق لعمليات ومجهودات شملت كل أنحاء الولاية ، يقوم بها المسلمون لإجبار المدارس بـ (كاليفورنيا) على مراجعة وتنقيح كتب الدراسات الاجتماعية بها وتنقيتها ، مما يعتبرونه إساءات مهينة للإسلام ، من محاولات طمس للهوية وتشويه للصورة .

وتتوقع الصحيفة لذلك الكفاح ـ إن قدر لهم النجاح ـ أن يكون فتيل الإشعال لأنشطة عارمة يقوم بها المسلمون فى سائر أنحاء الولايات المتحدة .

ويرجع الفضل فى تغيير مابهذه الكتب من صور مشينة عن الإسلام إلى (جابر منصورى) وهو مهندس كيمائى بضاحية (جلينديل) وعضو مجلس أمناء بالمركز الإسلامى .

فمن يوم أن أطلعته ابنته على كتاب يصور الإسلام على أنه دين البدو شاهرى السيوف وهو يقول : إنه قد التمس العون والتأييد من

المدرسين وخبراء الدين الإسلامي من غير المسلمين مناشداً السلطات المدرسية ومهيبا بها أن تغير ما بهذه الكتب من افتراءات ، كما قام إخوة له من المسلمين بعبور حدود الولاية للإدلاء بشهادات فى جلسات استماع علنية بالكونجرس بخصوص هذا الموضوع .

وهو يؤدّ التأكيد على بعض النقاط الهامة فى الأوساط الامريكية ومن اهمها كما يوضح الكاتب أن الإسلام الذى نادى به محمد ﷺ فى القرن السابع الميلادى ، هو دين عالمى ، واسع الانتشار ، يبلغ اتباعه (بليونا) من البشر ، ليس فى الشرق الأوسط منهم إلا عشرين فى المائة فقط ، اى الخمس .

ومعروف أن اندونيسيا تعد اكبر الدول الإسلامية من حيث عدد السكان ، وأن معتنقى الإسلام هم أحفاد النبى إبراهيم[1] ، ومن ثم فإن لهم علاقة باليهود والنصارى وأنهم امة مسالمة ذات أخلاق ومثل وقيم ، وذات تاريخ ثر من الفنون والعلوم .

ويقول السيد منصورى : إن مايدعونا لمكافحة هذا الفكر الخاطىء تلك النعرة الكاذبة التى بثت بذورها بخبث ، وحيكت خيوطها بالتواء لايبغى إلا الإساءة للإسلام والكيد له والنيل منه ، ثم يتجه إلى حقيبة سيارته ويخرج منها أحد كتب الدراسات الاجتماعية المقررة على طلاب المدارس الثانوية والاعدادية ، ويركز هذا النص من الكتاب على العصور الوسطى فى جميع انحاء العالم ، حيث يحوى كل قسم منه شكلا توضيحيا يشرح كل قارة على حدة . فاوربا تمثلها صورة لامرأة سوق فرنسية ، اما افريقية فيمثلها ملك ، كما يمثل اليابان أحد النبلاء المعروفين بالساموراى .

اما الإسلام فكان رسمه التوضيحى جملا لايركبه أحد ، ويقول السيد منصورى : إنها الصورة الوحيدة التى خلت من الناس ، وهى صورة توحى بالتخلف وعدم التحضر .

ومن ثم ؛ فإننى اقول كاب يؤلمه هذا الأمر : إن الجهل بالإسلام يبدأ فى مرحلة سنية باكرة جداً .

وما يخشاه السيد منصورى وغيره من المسلمين أن هذا الجهل يؤدى أحيانا إلى العنف ضد المسلمين . خصوصا عندما تقفز أخبار الشرق الأوسط إلى عناوين الصفحات الأولى للصحف .

يتبع

(١) ليس من معلومات مصادرنا ان المسلمين جميعا من أحفاد إبراهيم عليه السلام إلا ان يكون ذلك تعبيرا مجازيا مقصودا به ان المسلمين جميعاً على ملة أبيهم إبراهيم وهى التوحيد الخالص .

لحظات طيبات مع الإمام

الفضيل بن عياض

إعداد: عادل خفاجة

كان بشر بن الحارث يقول :

« عشرة ممن كانوا يأكلون الحلال ، لا يُدخلون بطونهم إلا حلالاً ولو استفوا التراب والرماد .

قيل : من هم ؟

قال : سفيان ، وإبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض .... » .

والفضيل بن عياض هو : ابن مسعود بن بشر التميمى اليربوعى الخراسانى شيخ الإسلام أبو على (المجاور بحرم الله) .

ولد « بسمرقند » ونشأ « بأبيورد » .

سبب توبته :

كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين « أبيورد » و« سرخس » ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية ، فبينا هو يرتقى الجدران إليها ، إذ سمع تالياً يتلو : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ « الحديد : ١٦ » ، فلما سمعها ، قال : بلى يارب ، قد آن ، فرجع ، فآواه الليل إلى خربة ، فإذا فيها سابلة ، فقال بعضهم : نرحل ، وقال بعضهم : حتى [نصبح] فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا .

قال : ففكرت ، وقلت : أنا أسعى بالليل فى المعاصى ، وقوم من المسلمين ها هنا ، يخافونى ، وماأرى الله ساقنى إليهم إلا لأرتدع ، « اللهم إنى قد تبت إليك ، وجعلت توبتى مجاورة البيت الحرام » .

شدة خوفه وحزنه :

كان الفضيل دائم الخوف شديد الحزن ؛ وكيف يفرح من شغله بكاؤه على خطيئته .

وربما هو يقول : « الخوف أفضل من الرجاء مادام الرجل صحيحاً ، فإذا نزل به الموت ، فالرجاء أفضل » .

نعم ، إنه الخوف الذى يدفع الرجل إلى العمل ، فإذا مانزل الموت فحقيق بباب الرجاء أن ينفتح .

وبهذا القلب الخائف رأى الفضيل رجلاً يضحك ، فقال له : ألا أحدثك حديثاً حسناً ؟

قال : بلى !

قال له : (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) .

ولقد ملأ الحزن حياة الفضيل ، مما دعا عبدالله بن المبارك أن يقول : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن .

وكان الفضيل يقول : « كل حزن يبلى إلا حزن التائب » .

وهذا أبو على الرازى يقول : صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة مارأيته ضاحكاً ولا مبتسماً إلا يوم مات ابنه على ، فقلت له فى ذلك فقال : « إن الله - عز وجل - أحب امرأ فاحببت ما أحب الله » .

من أقواله لابنه :

رأى الفضيل بن عياض من ابنه نشاطاً وجداً ومثابرة فى طلب الطاعة ، ولعله خاف أن يغتر بكثرة عبادته فنصحه قائلاً له : « لعلك ترى انك فى شىء ؟ الجعل[1] أطوع لله منك »

بغضه أصحاب البدع :

كان الفضيل يبغض أصحاب البدع ويحذر من مشاورتهم ،فيقول : « من أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » .

وكان يقول : إنى أحب من أحبهم الله ، وأبغض من أبغضهم الله ، وهم أصحاب الأهواء والبدع .

الأرباح عند ابن عياض :

الأموال والأرباح عن ابن عياض ما يجده المؤمن بعدما يرحل عن هذه الدنيا الفانية ؛ لذلك يقول : لن يتقرب العباد إلى الله بشىء افضل من الفرائض ، الفرائض رءوس الأموال ، والنوافل الأرباح » .

وعن قيام الليل :

يقول : « من أخلاق الأنبياء الحلم ، والأناة ، وقيام الليل » .

« إذا لم تقدر على قيام الليل ، وصيام النهار ، فاعلم أنك محروم كبلتك خطيئتك » .

سجن اللسان :

كان الفضيل يقول : « لا حج ولا جهاد ولا رباط أشد من حبس اللسان ، لو أصبحت يهمك لسانك أصبحت فى غم شديد ، وسجن اللسان سجن المؤمن ، وليس أحد أشد غما ممن سجن لسانه » .

ويقول : « تكلمت فيما لا يعنيك فشغلك عما يعنيك ، ولو شغلك ما يعنيك تركت مالا يعنيك » ..

وعندما رأى قوماً من أصحاب الحديث يمرحون ويضحكون ، ناداهم : مهلاً ياورثة الأنبياء ، (مهلاً ، مهلاً ، مهلاً) إنكم أئمة يقتدى بكم .

وكان يقول : بلغنى أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا ، وإذا عملوا شغلوا ، وإذا شغلوا فُقدوا ، وإذا فُقدوا طُلبوا ، فإذا طلبوا هربوا .

ومن أقواله أيضا :

المؤمن قليل الكلام كثير العمل ، والمنافق كثير الكلام قليل العمل .

---

(١) الجُعَلُ : دابة سوداء من دواب الأرض .
قيل : هو أبو جعران ، بفتح الجيم ، وجمعه جعلان.

لحظات طيبات مع

الإمام الفضيل بن عياض

* « بقدر ما يصغر الذنب عندك ، يعظم عند الله ، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله » .
* « والله ما يحل لك أن تؤذى كلباً ولا خنزيراً بغير حق فكيف تؤذى مسلماً » .
* « لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه » .
* « ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما » .
* « عاملوا الله ـ عز وجل ـ بالصدق فى السر ، فإن الرفيع من رفعه الله ، وإذا أحب الله عبدا أسكن محبته فى قلوب العباد » .
* وسأله رجل قائلاً : ياأبا على متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى ؟

فقال له الفضيل : إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء ، فقد بلغت الغاية من حبه .

* وسأله عبدالله بن مالك فقال : ياأباعلى ما الخلاص مما نحن فيه ؟ فقال له : أخبرنى من أطاع الله ـ عز وجل ـ هل تضره معصية أحد ؟ قال : لا ! قال : فمن عصى الله سبحانه وتعالى هل تنفعه طاعة أحد ؟ قال : لا ! قال:فهو الخلاص إن أردت الخلاص .

لقاؤه مع الأئمة :

سفيان الثورى :

قال أحمد بن عاصم : التقى سفيان الثورى وفضيل بن عياض فتذاكرا فبكيا ، فقال سفيان : إنى لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة .

فقال الفضيل : نرجو لكنى أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤماً ، أليس نظرت إلى أحسن ماعندك فتزينت لى به ، وتزينت لك به ، فعبدتنى وعبدتك ؟ قال : فبكى سفيان حتى علا نحيبه ثم قال:أحييتنى أحياك الله .

سفيان بن عيينة :

قال أبو جعفر الحذاء : سمعت فضيل بن عياض يقول : أخذت بيد سفيان بن عيينة فى هذا الوادى فقلت له : إن كنت تظن انه بقى على وجه الأرض شر منى ومنك فبئس ماتظن .

موقفه من السلطان :

قال عبدالصمد بن يزيد : سمعت الفضيل يقول : « لو أن لى دعوةً مستجابة ، ماجعلتها إلا فى إمام ، فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد .

ترفقه فى نصح السلطان :

يقال : لما دخل الفضيل بن عياض على هارون الرشيد ـ أمير المؤمنين ـ قال : أيكم هو؟ فاشاروا إلى أمير المؤمنين .

فقال : أنت هو يا حسن الوجه ؟ لقد وليت امراً عظيماً إنى ما رايت احداً هو احسن وجهاً منك ، فإن قدرت ألا تسود هذا الوجه بلفحة من النار فافعل ، فقال له أمير المؤمنين : عظنى .

فرد الفضيل قائلاً : بماذا أعظك ، هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن أطاعه ، وماذا عمل بمن عصاه ، فإنى رأيت الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً ، ويطلبونها طلباً حثيثاً ، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها ، فرد أمير المؤمنين قائلاً له : عد إلىَّ .

فقال الفضيل : لو لم تبعث إلىّ لم آتك ، وإن انتفعت بما سمعت منى عدت إليك .

لم يكن الفضيل ممن يحبون مخالطة السلطان ، ويتضح ذلك من قوله لأمير المؤمنين : « لو لم تبعث إلىّ لم آتك » .

وها هو يقول : « ما على الرجل إذا كان فيه ثلاث خصال ، إذا لم يكن صاحب هوى ، ولا يشتم السلف ، ولا يخالط السلطان » .

ثم يقول : مالكم وللملوك ؟ ماأعظم مِنّتهم عليكم ، قد تركوا لكم طريق الآخرة ، فاركبوا طريق الآخرة ، ولكن لا ترضون ، ثم تزاحمونهم على الدنيا ، ما ينبغى لعالم أن يرضى هذا لنفسه .

من روى الفضيل عنهم:

اسند الفضيل عن أعلام التابعين وعلمائهم ، منهم : سليمان الأعمش ، ومنصور بن المعتمر ، وعبدالله بن أبى أوفى ـ رضى الله تعالى عنهم ـ ومنهم عطاء بن السائب ، وحصين بن عبدالرحمن ، ومسلم الأعور ، وأبان بن أبى عياش وكلهم أدركوا أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى ـ عنه .

وروى عنه:

سفيان الثورى ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان وعبدالرحمن بن مهدى ، وحسين بن على الجعفى ، ومؤمل بن إسماعيل ، وعبدالله بن وهب المصرى ، وأسد بن موسى ، وثابت بن محمد العابد ، ومسدد ويحيى بن يحيى النيسابورى ، وقتيبة بن سعيد وأشكالهم ونظراؤهم .

ومن الأحاديث التى رواها الفضيل:

● عن الأعمش مرفوعاً إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود » [1] .

● عن منصور بن المعتمر مرفوعاً إلى السيدة عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت : ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدهم فى ذلك غضباً ، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً » [2] .

ضرورة العمل بالحديث:

كان ـ رحمه الله ـ شديد الهيبة للحديث إذا حدّث ، وكان يثقل عليه الحديث جداً ، وكان إذا طلب منه الحديث يقول : لو طلبت منى الدنانير كان أيسر علىّ .

فقال له رجل : لو حدثتنى بأحاديث فوائد ليست عندى ، كان أحب إلىّ من أن تهب لى عددها دنانير . فقال : إنك مفتون ، أما والله لو عملت بما سمعت ، لكان لك فى ذلك شغل عما لم تسمع .

سمعت سليمان بن مهران يقول : إذا كان بين يديك طعام تأكله ، فتأخذ اللقمة ، فترمى بها خلف ظهرك متى تشبع ؟

نماذج من تفسيره:

● قيل له يوماً : ياأباعلى ما بال الميت يُنزع نفسه وهو ساكت ، وابن آدم يضطرب من القرصة ؟

(١) الحلية : جـ ٨ ص ١١٦ .

(٢) الحلية : جـ ٨ ص ١٢٧ .

لحظات طيبات مع

الإمام الفضيل بن عياض

قال : لأن الملائكة توثقه ، ثم قرأ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ .

* وعن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ .

قال : لا تغفلوا عن أنفسكم فإن من غفل عن نفسه فقد قتلها .

* وعن قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ .

قال : أوفوا بما أمرتكم أوف بما وعدتكم .

* وكان حين يقرأ سورة (محمد) يردد هذه الآية : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

ويظل يرددها وهو يبكى ويقول : وتبلو أخبارنا ؟ إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا وأهلكتنا .

فتح باب الرجاء :

قضى ابن عياض عمره بعد توبته مجاوراً البيت الحرام مع الجهد الشديد والورع الدائم ، والخوف الوافر ، والبكاء الكثير ، ورفض الناس وما عليه أسباب الدنيا .

قال بعضهم : كنا جلوساً عند الفضيل بن عياض ، فقلنا : كم سنُّك ؟

فقال :

بلغت الثمانين أو جزتها فماذا أؤمل أو أنتظر
علتنى السنون فأبلينني فَدَقَّ العظام وكَلَّ البصر

هكذا بعد أن ضعف الرجل ووهن عظمه وكلّ بصره ، أسرع إلى فتح باب الرجاء .

وقد سمعه إبراهيم بن الأشعث يقول فى مرضه الذى مات فيه : « ارحمنى بحبى إياك ، فليس شىء أحب إلى منك » .

ويقول : « مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » .

« ارحمنى فإنك بى عالم ولا تعذبنى فإنك على قادر » .

وهكذا قضى حياته بين الخوف والرجاء .

ولقد قال عنه ابن المبارك : « إن الفضيل بن عياض صدق الله ، فأجرى الحكمة على لسانه ، فالفضيل ممن نفعه علمه » .

وفاته :

كانت وفاته ـ رحمه الله ـ بمكة فى أول سنة مائة وسبع وثمانين [1] .

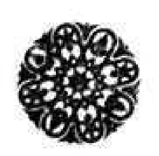

(١) تهذيب التهذيب : جـ ٨ ص ٢٩٥ .

أنباء وآراء

اعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يفتتح اجتماعات الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماعات الدورة الثالثة « للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » التى عقدت بالقاهرة يومى ٢٢ ، ٢٣ من اغسطس الماضى .

وقد اكد فضيلته فى الكلمة التى القاها فى الجلسة الافتتاحية على أن اجتماعات الدورة الثالثة امتداد لدور المجلس الإيجابى والبناء لنشر الدعوة والتصدى للهجمات الشرسة الموجهة إلى الشعوب الإسلامية ، مشيراً إلى ضرورة العمل وتكثيف الجهود لإيجاد خط إسلامى واضح لمواجهة الأفكار المضللة فضلا عن تقديم المساعدات اللازمة للمسلمين فى جميع انحاء العالم .

من أهم ما صدر عن الاجتماعات من قرارات تفويض فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر وهيئة رياسة المجلس فى التوسط لدى السلطات العراقية لإطلاق سراح الأسرى الكويتيين وفتح المجال أمام لجنة الإغاثة لتقديم المعونات اللازمة للشعب العراقى لتخفيف حدة الحصار المفروض عليه .

وكذلك دعم مركز تدريب الدعاة بالأزهر والاستفادة منه فى تدريب الدعاة التابعين للمنظمات الأعضاء بالمجلس والتنسيق والتعاون بين الدارسين والوعاظ فى مختلف البلاد الإسلامية والعمل على حماية المسلمين من الاخطار المحدقة بهم .

وقد بعث المجلس فى نهاية اجتماعاته ببرقية شكر إلى الرئيس محمد حسنى مبارك لاستضافة اجتماع المجلس وشموله برعايته كما بعث ببرقية أخرى لخادم الحرمين الشريفين لاستضافته لمؤتمر الأقليات الإسلامية الذى سيعقد فى أكتوبر القادم .

الإمام الأكبر يستقبل « وزير الإعلام الكويتى »

استقبل فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ بمكتب فضيلته الدكتور بدر جاسم اليعقوب وزير الإعلام الكويتى والوفد المرافق .. لسيادته .

أنبـــــاء وآراء

شهد اللقاء السيد عبد الرازق الكندرى ـ سفير الكويت بالقاهرة ـ حيث أعرب الوزير الكويتى عن تقديره وشكره لدور الأزهر الشريف وموقفه من الغزو العراقى للكويت مؤكدا على أن مصر الأزهر هي قلب الأمة العربية والإسلامية النابض بالحرية والدفاع عن الحق .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن مصر الأزهر بقيادة الرئيس « مبارك » تقف دائما مع الحق والعدل والشرعية ضد القهر والاعتداء على حقوق الإنسان .

الإمام الأكبر يعتمد حركة الابتعاث لعلماء الأزهر الشريف إلى دول العالم

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ حركة الابتعاث لعلماء الأزهر الشريف فى التخصصات المختلفة إلى دول العالم للعام الدراسى ٩٢/٩١ .

وقد بلغ عدد المبعوثين (٧٢٠) مبعوثا إلى كل من السعودية ـ وسلطنة عمان ـ موزمبيق ـ جيبوتى ـ زمبابوى ـ ساحل العاج ـ اليمن ـ السودان ـ السنغال ـ جامبيا ـ الكاميرون ـ سيراليون ـ نيجيريا ـ بنين الشعبية ـ تشاد ـ باكستان ـ بنجلاديش ـ أندونيسيا ـ مالى ـ رواندا ـ غينيا كونكرى ـ غينيا بيساو ـ بوركينا فاسو ـ جواتيمالا ـ زائير ـ النيجر ـ الفلبين ـ تنزانيا ـ سنغافورة ـ غانا ـ أوغندا ـ مالاوى ـ سيرلانكا ـ المالديف ـ ألبانيا ـ أستراليا .

أنباء العالم الإسلامى

انتخاب شيخ المشيخة الإسلامية بيوغوسلافيا

تم الاحتفال رسمياً فى مدينة « سراييفو » اليوغوسلافية بانتخاب الشيخ / يعقوب أفندى لرياسة المشيخة الإسلامية فى « سراييفو » وينتمى الشيخ يعقوب إلى جمهوريةً « مقدونيا » اليوغوسلافية ، وقد جرى الانتخاب فى سرية تامة وشارك فيها كبار علماء المسلمين اليوغوسلاف .

الجدير بالذكر : أن « الشيخ يعقوب أفندى سليموسكى » من خريجى « كلية الشريعة والقانون » جامعة الأزهر الشريف . وأن عدد المسلمين فى يوغوسلافيا ٥ ملايين مسلم .

● كان فشل الانقلاب الروسى وعودة « جورباتشوف » ضربة قاصمة لجمهورية « الصرب » اليوغوسلافية ، فقد كانت هذه الجمهورية مؤمنة بمبدأ الانقلابيين والعودة بشعوب الاتحاد السوفيتى إلى « الستار الحديدى » مرة أخرى . وهى نفس النزعة التى يعمل الصرب على فرضها بين جمهوريات يوغوسلافيا .

فى العدد الماضى من مجلة الأزهر قدمت المجلة بحثاً عن أحوال يوغوسلافيا ، وانعكاس أمورها على المسلمين .

البرلمان السوفيتى يوافق على حرية الدين للمواطنين السوفييت

وافق البرلمان السوفيتى على قانون يضمن حرية العبادة وينهى عقوداً سيطرت فيها الدولة على العقيدة واضطهاد المتدينين لاسيما المسلمين .

ويسمح القانون الجديد بحرية العقيدة والفصل بين الدين والدولة ، وينص القانون الجديد على أن جميع المعتقدات متساوية ولا يضع الإلحاد بوجه خاص على قدم المساواة مع الدين ، مثلما كان ينص على ذلك دستور ثورة الشيوعيين عام ١٩١٧ م .

معاناة المدارس الإسلامية فى بريطانيا

لندن : (ذكرت صحيفة الديلى تلغراف اللندنية والتى صدرت هذا الأسبوع نقلاً عن أقوال الصحف البريطانية فى الإذاعة اللندنية)

أن المدارس غير الإسلامية تحصل على معونات مادية كبيرة من الحكومة الانجليزية ومن بينها « ٢٣٠٠ » مدرسة كاثوليكية و« ٢٠٤٠ » مدرسة تابعة للكنيسة الإنجيلية و« ٣٢ » مدرسة يهودية بينما لا تزال المدارس الإسلامية هناك محرومة من أبسط المعونات الرسمية مما يلقى على كاهل أولياء أمور الطلبة المسلمين عبء ارتفاع أجور التعليم .

وكذلك يلقى عبئًا على أغنياء المسلمين فى العالم .

إنشاء مقر دائم للجامعة الإسلامية بكوالالمبور

تقوم الحكومة الماليزية حالياً بإنشاء مقر دائم للجامعة الإسلامية العالمية بـ « كوالالمبور » التى ستضم ثمانى كليات منها كليات الآداب والزراعة والعلوم الصناعية والهندسة .

من المقرر أن تضم قريبا كلية للطب ومركزاً لـ « تكنولوجيا المعلومات والبحوث والتنمية » .

صحيفة إسلامية جديدة فى «طشقند» بالاتحاد السوفيتى

صدر العدد الأول من صحيفة « نور الإسلام » عن الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى فى مدينة « طشقند » باللغة الأوزبكية والعربية والروسية وقد تم طبع أربعين ألف نسخة من هذا العدد صرح بذلك الشيخ / محمد صادق رئيس الإدارة الدينية ومفتى آسيا الوسطى لوكالة الأنباء الإسلامية ، وذكرتها مجلة (منار الإسلام) التى تصدر فى دولة الإمارات العربية فى عددها الماضى .

أول حاكم إسلامى لجزيرة « ماندناو »

يعتبر السيد زكريا منداو أول حاكم مسلم لجزيرة « ماندناو » بعد حصولها على الحكم الذاتى فى أكتوبر ١٩٩٠ م ونقلت إلى الجزيرة الإدارات المختصة فى الحكومة المركزية ، واستتبع ذلك نقل موظفى وزارات الحكم المحلى والبيئة والموارد الطبيعية والشئون الاجتماعية والتنمية والتعليم والتكنولوجيا والسياحة والأشغال العامة والطرق إلى حكومة الأقاليم .

والجدير بالذكر : تقع جزيرة ماندناو جنوب الفلبين ، وقد حصلت على الحكم الذاتى الذى طالبت به منذ استقلال الفلبين .

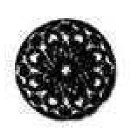

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
فى ذكرى ميلاد الرسول - ﷺ - للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	٢٥٧
اثر العقيدة فى تحقيق النصر للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	٢٦٢
الرسول - ﷺ - واليتم والبيئة د . على أحمد الخطيب	٢٦٣
قبس من انوار النبوة « المرء مع من احب » للشيخ على حامد عبد الرحيم	٢٦٨
دراسة النص القرانى على الطريقة اليسارية د . محمد فايد هيكل	٢٧١
التغيير والاجتهاد للشيخ محمد حسام الدين	٢٧٦
الاستقرار فى الجماعة « حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية » د . محمد شامة	٢٨١
نساء فى الهجرة الأستاذ حلمى الخولى	٢٨٨
من بشاير المولد « تصدع الإيوان ورؤيا الموبذان » أ . عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٢٩٢
نحو إعلام إسلامى أ . حسن على العنيبيى	٢٩٨
الفتـــاوى أ . أحمد السيد تقى الدين	٣٠٢
الشعر والشعراء « قبسات من النور المحمدى » إعداد رشاد محمد يوسف	٣٠٥

العلوم الكونية

الموضوع	الصفحة
علم الفلاحة أ . د . أحمد فؤاد باشا	٣١٤
الأمة الإسلامية وعصر الفضاء د . ميرفت السيد عوض	٣١٩
الجديد فى العلم والتقنية د . نجوى السيد أحمد	٣٢٣
من اعلام الأزهر داعية « كوسوفو » الإسلامى الشيخ حسن اسلام يحيى للأستاذ توفيق اسلام يحيى	٣٢٦
« الأستاذ الدكتور الشيخ عبد العظيم على الشناوى » أ . د . عبد اللطيف خليف	٣٣٤
طرائف ومواقف أ . عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٣٣٨
من روائع الماضى لمجلة الأزهر « ذكرى المولد الشريف » للشيخ عبد الجواد رمضان إعداد عبد الفتاح حسين الزيات	٣٤٠

اللغة والأدب والنقد

الموضوع	الصفحة
التشريع اللغوى فى نموه وانتشاره وتنوعه د . توفيق محمد شاهين	٣٤٤
المسلمون فى الولايات المتحدة الأمريكية أ . مجدى عبد الحميد بشير	٣٤٨
لحظات طيبات مع الإمام الفضيل بن عياض إعداد : عادل خفاجة	٣٥٢
انباء وآراء إعداد عبد المنعم فودة مصطفى عبد المجيد	٣٥٧

القسم الانجليزى

إشراف د . انس النجار

الموضوع	الصفحة
المقالة الثانية أ . عبد الحكيم أحمد طه	٣٦٣
المقالة الأولى د . أنس النجار	٣٦٦

essential substantial elements in human constitution. The perpetual enduring function of these qualities requires the observation of munificent condoning mannerisms. The practice of fasting acts as a promoting stimulant to excite these humane qualities to function uniformly. This action cultivates these mannerisms into a condition of refinement and elegant grace of character. The purpose of fasting is to restore and uphold the integrity of these magnanimous qualities as a deterrent against the material impacts of life, and against human victimization by monster octopus of materialistic life. The practice of abstention, during the act of fasting, nurtures and fosters within the human heart the basic elements of affection, and establishes the perceptive recognition of the immaterial spiritual perspectives of human nature; real infinite horizons of man's creation, the loving emotions in the life of mankind.

The integration of all these protective function to the mind, heart and health of the individual will ultimately lead to a total protective function of the society. The aggregate entirety of the advantages of fasting is the society value in totality. In this respect, the society is protected from extreme contradicting diversity of social elements. The society remains more coherent and psychological related. The wide hiatus between extreme affluence and extreme poverty will no longer exist. The impact of abstention on the humane faculties of the rich will induce them towards social altruism, philanthropy and self denial. The impact of fasting on the poor fractions of society is always associated with an inherent feeling of deep seated content. The interactions of these mechanisms in the heterogeneous society will maintain a social condition of pacification by narrowing the wide hiatus between the various fractions of the society. Everybody in society is brought down to the base line of abstention and deprivation during the fasting process, and consequently the phenomenal conscience attitude of social nearness and human attachment dominated the links of the various social elements.

Last but not least, abstention during the fasting process is essentially a Divine dictate and ordinance. A command from The Creator for mankind to abstain from certain specified indulgences of life for specified duration of time. The Divine nature of this mandate compels the absolute obedience to execute the command according to the prescribed code of practice of this act of Worship. The compliance of obedience becomes in itself a process of self-denial, self-resignation, and self-submission to Divine Authority; a basic fundamental requirement of Belief in Muslim Theism. The act of abstention is a matter that is in its truth and reality known to Allah, without outward appearance; a secret between the individual and Allah; unlike all other practices of worship. The honest true comprehended act of fasting certainly brings the individual nearer to the Divine Milieu. The approach of mankind to the Divine Transcendence qualifies the individual with superior spiritual virtuous pious qualities. The attainment of such attributes is subject to the degree of love, devotion, adoration, submission, obedience, and attachment to the Divine Supreme Being. The society away from the Divine Milieu becomes distorted, chaotic, unhealthy and socially disintegrating. These observations are current symptoms of the collapse of present societies. Fasting and abstention is performed only bodily through the act of deprivation, the mind heart and self remain vacant and unaffected by not realizing the true purpose and understanding of abstention. The physical impacts of the acts of worship must have inner repercussions and determinant reflections on the mental, spiritual and psychic functions of the individual. By this mechanism, abstention by fasting offers a certain shield of protection and safety to mankind.

These are some speculations of the Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and the meanings beyond our limited recognition are plentiful. The enlightened intellect of mankind is yet to perceive the still hidden meanings of the Hadith. The roots of wisdom are ever deepening to provide mankind with knowledge, perception and wisdom, to bring him closer to the Divine Milieu.

Translated from the Arabic Original by the Editor

abstaining from all other. This fasting is that of the very highly select, the saints and prophets and those on the path of devotees and zealous adoration.

The meaning of "Safety" in the context of the Hadith relates to the precise understanding that Fasting as a form of worship and glorification to the Creator, becomes in fact a protective sanctuary from evil, a shield against the wrath of Allah. This general conceptualization of the Hadith, refers to the many aspects by which Fasting is protective to mankind. Among the very important of these is the self discipline of the bodily carnal demands by training the urges to interact with the elements of life according to justification of necessity. Fasting will inhibit, retard and restrict excessive indulgence in sensual orgiastic practices. This cannot be achieved by acts of forcible suppression, or by deprivation; both of which will have consequences of mutinous rebellious discontent. Whereas, fasting will be achieved by voluntary abstention of the individual, a self accepted pragmatic exercise. Through the coherent belief of the doctrinal teaching of a Divine Faith, such voluntary action is accepted as a human functional enactment. Such understanding is controlled, rewarded and sanctified only by Divine Providence. This establishes a bond between man and his Creator. This bond is the protective shield from evil. The real purpose of fasting must be well comprehended by a Muslim, otherwise the fruits of fasting are not harvested. Fasting as an act of self deprivation and abstention is a spiritual process, designed to elevate and promote the spiritual charisma of moral goodness, the health of the soul, the fountain of cardinal virtues and the conduct of moral rectitude.

Fasting is protective to the human self, the ego of the psyche of the mind, the primitive impulse forever battling to gain the utmost of the elements of life. To gain power, prestige, wealth, health, rank is authority, affluence, and excessive sufficiency. Throughout the violent throbbing agitative turmoil of life, the psyche is always the loser, by abstraction, bewilderment, stress, depression, anguish and melancholy. The human self may also fail through false esteem, arrogance, conceit vanity and egocentric immodesty. The practice of fasting daunts the psyche, inhibits the ego, and restrains the primitive impulses from uncontrolled demands. Fasting will discharge the ego faculties, and restores them to basic energy level capable of wider and deeper spectrum of perceptive realization of the reality and truism of human creation.

The human mind, the faculty of thought is also protected by fasting. That faculty is the only function of man that can associate with both materialistic and spiritual matters. The channels of this associative interaction may elevate man to celestial angelic hierarchy, or may lead to degradation to the lowest order of animality and demonism. The justification of human creation necessitates that the Divine Transcendent element of the mind should function by associative interaction with both material and spiritual matters through rational controlled moderation of the demanding impositions of the requisites of life. Fasting establishes control and moderation on overindulgence in materialistic demands, and provides a mental and spiritual matrix that will balance the various associative interactions of the mind. Fasting will liberate the human thought from the heavy bonds of materialistic demands, and relieve the lustful burden of prosaic mundane compulsions. The liberation of the mind from the yoke of materialistic bondage, will emancipate the thought into the field of freedom to realize the infinite wonders of creation; to gain knowledge, perception, and coherence with the Divine element of the human mind.

The human heart, the seat of love, emotion, kindness, mercy magnanimity and tolerant forbearance, is a vital supreme faculty in the body. These humane qualities are

THE ROOTS OF WISDOM

"HADITH OF THE PROPHET"

Fasting is Safety

By: Abdel Hakim Ahmad Taha

This short Hadith manifests into several manifestations of human life. The Arabic philological meaning of "Fasting" is "Syam". This linguistically denotes the act of abstention from any act or deed. The wide spectrum of human action, conduct, or thought may be subject to man's abstention. Every human act may become subject to refrain according to man's intention. Based on such understanding, scholars of theology have classified fasting into four distinct categories.

The first is "canonized fasting" which is an ordinance of ritualistic decree, an enactment of abstention of food, drink, sexual relation, from dawn to sunset. This is the fasting of the common requiring temporary control of the major urges of the human body. This type of fasting is not particularly imposing during its limited period, and can be tolerated by most individuals without distress or agony. It is the basic limit of Divine prescript; and the dominion of Divine mercy placed this limitation. This class of fasting is divided into six types, the most important of which is the fasting of the month of Ramadan, an independent ordinance of Islam, an edict that must be practiced by all able adult Muslims. It is a duty that must be observed or compensated according to the laws of Shariah that deal with the issue. The other forms of fasting are voluntary actions determined by individual intention, tradition, and religious occasions; however, the act of fasting remains exactly the same regarding the form and duration of abstention.

The second class of Fasting is that directed to chastity and righteousness. This is the abstention and total refrain from everything related to profanity unsavory or vulgarity. This entails the profound training to programme all human senses away from obscenity and unsanctity. All human actions are directed to deeds of orthodox sacred qualities that are justified that are beneficial to mankind. The hearing, the vision, the thoughts should all abstain from wrong, and seek only the virtuous. All the faculties and functions of the individual become totally directed to the enlightenment and promotion of man's purpose in life. It is the fasting of the few.

The third form of Fasting is that of the mind, an elevated level of human endeavor to meditate in thought and exercise intellectual function in contemplative meditation into the deep fathoms of creation to learn and recognize the Divine Transcendent Providence. This form of Fasting penetrates the clouds of ignorance and perceives enlightenment of true knowledge. This form of fasting is that of the very few, the fasting of the scholars of reality.

The fourth category of Fasting is the fasting of the heart, the highest order of love. The abstention of the heart to love nothing other than Love for the Supreme Being. The human heart, mind, soul become saturated only with the Love of Allah; rejecting and

physical and mental strength of the man, into the most tender merciful seat of affection with deep capacity of emotion. Such evidences of mercy and deep emotion in the life of the great man were always related and associated with the heavy sense of duty. Other evidences showed an independent deep seated emotion as fundamental human feeling. This quality of mercy was also towards animals, and several tales are related in this connection. Omar ibn Al-Khattab was therefore qualified by two outstanding qualities, extreme justice and the deep gentle clemency of mercy.

Omar ibn Al-Khattab had a deep rooted sense of guardian protectorship for everything that he regarded within the domain of his responsibility. This sense included the vigilant preservation towards the theo-political unity of the Ummah; his guardianship over every action or issue that was associated with justice, human rights, doctrinal dictates of Muslim teachings, and the preservation of all qualities of virtue and goodness. The dominating personality of the great man was instrumental in the implementation and practice of his austere sense of responsibility of guardian protectorship for issues and matters that were according to his optimized thought function, highly demanding to safeguards and protective guardianship.

The mental faculty of intelligent thought of Omar ibn Al-Khattab was totally utilized in decision for action, rather than for speculative analytical postulations and theorization. History has classified Omar ibn Al-Khattab not as a scientist, but as a great leader, a founder of a dominion, a maker of history, a champion of Islamic proliferation, a guardian of justice, a paradigm of mercy, and a yardstick by which all rulers of all great qualifications are measured. In all truth, no leader or ruler in human history can approach the eminence of Omar ibn Al-Khattab. His supreme devotion to faith, his extreme sense of justice, his utmost respect to human existence, his precise true understanding of life and death, and above all his perpetual consciousness of Divine Transcendent powers. These values, highly rated and optimized in the genesis of the psychological matrix of the great man, ultimately resulted into a personality trait of character of supremely unique qualification, a lattice structure of its own, a man of great distinction.

The great distinction of Omar ibn Al-Khattab are a leader of men, at the head authority of a juvenile state, responsible for its stability, progress, prosperity and the promotive proliferation of the doctrines of a new theism. This was the paramount crescendo of all distinctions,t he achievements of the great man navigating the Muslim Ummah through the most adverse conditions of heterogeneous conflicts, struggles and controversial issues to reach the climax of supreme success. He became the undisputed founder of the Islamic Empire where social justice profoundly prevailed, the champion of Muslim crusades, the instrument of the most coherent theo-political unity in history, and the humble subject of Allah walking the streets of Al-Madinah imposing law, order and social equality of dueness, seeking to know the affairs, tribulation and concerns of people, Ameer Al-Mumineen Omar ibn Al-Khattab dressed as the most common of men, lived as the poorest of men, disciplined his mind and heart with supreme piety, fear of Divine Providence and extreme sense of responsibility. A man of unique distinction, a sage and scholar of Muslim Theism bearing the doctrines of human enlightenment.

Arab, Islamic and World literature of historical archives are very rich in the biography of Omar ibn Al-Khattab. The distinctive manifest eminent personality of the great man, his life and achievement; make it very arduous if not beyond capability to write about the great man, to pay him homage of true worth and value. Omar ibn Al-Khattab the chart and compass of Islamic endeavor, the voice forever sounding across the centuries the real balance of human justice.

Al-Khattab was that of establishment, promotion, escalation, and geographical expansion of the Muslim faith. The ultimate achievements were beyond all expectations. The ingenuity and talents of the man responsible for these achievements were certainly most superior. This genius faculty of mastery and distinction was part of his deeds, and part of his constitution of character. A matrix select, unique in greatness, distinguished by awesomeness, commands respect, prestigious in appearance, authoritative in right, majestic in justice, and above all strictly dominating in implementing the doctrines of Islam. The impact of his psychological stability and strength on whoever encountered him was much more compelling than the impact of his physical strength and stature. However, the pontifical strength in body and mental stability was balanced by a heart of extreme mercy, leniency, ecumenical tolerance and true inherent kindness. His body built exhibits great physical strength with unusual tallness, distinct in voice, precise in words acutely rational in decision, gifted to the direct shortest channels of correctness. No enemy or friend could deny the greatness, the distinction of personality, the genius of the mind.

This characteristic uniqueness of Omar ibn Al-Khattab was selectively organized, promoted as cultural optimized faculties through the perpetual Islamic teaching which Omar ibn Al-Khattab experienced during his long companionship to the Prophet. The resulting deep piety, and true fear of the Creator were the maximum of truth and wisdom which Omar ibn Al-Khattab had achieved. By this faculty of knowledge, he was very sensitive, perceptive, and emotional; crying to tears on the sight of human misery, injustice, or despotic exploitation. The absolute submission to Allah in total belief, the continual feeling of Divine Transcendent Dominating Omniscient presence, the perpetual mental vision of life's reality, and the true concept of death, of the hereafter, were the basic themes of Omar ibn Al-Khattab's understanding of Islam. These basic themes were proliferated and ramified in his intellectual faculty into understandings of great dimensions. The honest perception of these understandings developed the personality of modesty, humbleness, mercy, justice, human dignity and rights. Such qualities developed into an aptitude of temperament that was extremely sensitive to any form of human injustice, indignation or suffering; a trait of character that was recalcitrant and refractory to human distress, anguish or grief. Omar ibn Al-Khattab was a paradigm of uniqueness in his physique, in his deeds and his characteristics by all calibres and all measures; a genius of distinction portraying the true milieu of Islamic profile.

Omar ibn Al-Khattab was a man of rare talents and unusual properties. His inner self was in total unison and conformity with his outer function and behaviour. Scholars of history describe his personality as highly characteristic of extreme justice, eminent in mercy, perceptive in wisdom, genuine in devotion, conscious of duty, deeply devoted to faith, intimately coherent to the dictates of Islamic doctrines. These superior qualities commanded the mental functions to become programmed into a single trait of character whose logistics were based on several channels of knowledge and inbred genetically qualified characteristics. This developed into a character of adamancy of decision in whatever was right and just according to rational analytical thought. This adamant character was not stone rigid, it was reversible, not according to mood or personal bias, but consequent upon the faculty of thought, and the true evidence of mental perceptive nuance. This adamancy was not a trait of character in the mind, it appeared always associated with the performance of duty. The quality of mercy was another of Omar ibn Al-Khattab outstanding characteristics. History relates several incidences of extreme mercy descending upon his heart from Divine Transcendent powers to turn the pontifical

OMAR IBN AL-KHATTAB

Man of Distinction

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The preordained destiny of the Arab nation was the association of the epiphany of the Muslim Theism with the initiation of potentialities of men of great distinction. The schooling of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) to the companions, their absolute belief and acceptance of prophetic teachings of Islamic doctrines; certainly brought out the best qualities and latent powers of these companions. However, in all modes of schooling, elements of distinctive abilities appear, and these segregate few men as a class of their own. Omar ibn Al-Khattab was one of those men of rare distinction in the history of mankind who established the fundamental ground plan for the formation of the Muslim Ummah and Islamic propagation. Omar ibn Al-Khattab gained excellence in qualities through genuine understanding, intimate coherence and optimal practice of Islamic doctrines, as fundamental fountains of true faith. These faculties were the matrix of ingenuity, craftsmanship, brilliance, justice, humbleness, honesty of the great man who was destined to command the successful strategy of Muslim crusades, the theo-political organization of a multi-tribe heterogeneous nation, the institution of the most precise form of individual and social justice and the attainment of the highest order of social stability.

Omar ibn Al-Khattab was a man who possessed great psychological strength and mental potentialities. His unpretentious modesty, liberal idealism, rectitude, and health of soul, restrained all actions of avaricious greedy transgression or injustice. He conceived the rational implications of true belief, respected the human identity, acknowledged human privileges confidentialities, honour, and liberal rights. Omar ibn Al-Khattab, the commanding personality in human history was the laureate scholar, the intelligent perceptive savant of Muslim culture, the prodigy of Islamic Theism, the paragon graduate of the schooling of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). His intimate association with the Prophet enhanced the maturity of faculties, developed the knowledge of Muslim doctrines, and established the intricate infrastructural epistemology and value theory of the Divine Revelation of the Holy Quran, and the Prophet's tradition. By understanding the supreme greatness of Omar ibn Al-Khattab, humanity may perceive how to conquer fear, defeat oppression, abolish injustice, promote freedom, understand human rights, and establish the bonds of love, mercy, sincerity, and magnanimity; the real medicament prescription of human emancipation.

The biography of Omar ibn Al-Khattab is very rich with actions and deeds of the first order of vital importance to the Muslim Ummah. The relics and annals of the great leader classify him as the founder of the Islamic Empire. The years of the Prophet and Abu Bakre were times of birth and nurturing the Muslim faith. The reign of Omar ibn

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 64, PART III

Rabie Al Awal *1412, HIJRAH*

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**
   Man of Distinction
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. **The Roots of Wisdom**
   Fasting is Safety
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الآخر ١٤١٢ هـ
اكتوبر ١٩٩١ م
الجزء الرابع
السنة الرابعة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

إله واحد وأمة واحدة

لا إله إلا الله

رحم الله ـ تعالى ـ « العقاد » كاتبنا العالم الأديب الذى أنهى دراسته عن « الشيوعية » ـ وقد ترك فيها أكثر من كتاب ومقال ـ بأنها مذهب « الانتهازية والاتجار بالضمائر[١] » . فكان هذا المبدأ وسيلتها الأولى لخدمة « المطامع الشخصية » لأعضاء الحزب الشيوعى فقط ، وللبقية من أفراد الشعب الذل والهوان .

كان لأصحابها حلم كبير يسعون لإقامته ، وساقوه للناس فى عبارات عدة من فلسفة « الجدل » لتقنع السذج بضرورة الشيوعية العالمية ، والانقلاب الشيوعى العالمى ، والحكومة العالمية الموحدة التى ينعم الناس جميعاً فى جنتها ، وجعلوا هذا « الانقلاب » ضرورة ، أى أنه أمر كائن لا محالة ، مهما حاول المحاولون صدّه .. إنه كالمطر فى الشتاء والقيظ فى الصيف كائن لا محالة ..

إلــه واحــد وأمــة واحــدة

وإذا الكائن أمر آخر تقرره عدالة السماء التى أبدته فيما يستحقه .. من هوان حقير تبدى فى (بيع لينين) « من يشترى لينين » كذا نقلت وكالات الأنباء ، لا وكالة واحدة ، ونشر الخبر صباح ١٥ من ربيع الأول ١٤١٢هـ ـ ٢٤/٩/١٩٩١م : عن موسكو :

« عرض الحزب الشيوعى السوفيتى على صالة مزادات كريستى البريطانية شراء تمثالين عملاقين ـ بطول عشرة أمتار ـ للينين مؤسس الدولة السوفيتية .

ومازالت الصالة مترددة فى عرض شراء هذه التماثيل » .

وانتهى الحلم العريض إلى نبذ « لينين » والتردد فى عرضه ، لقد سقط الرمز إلى الأبد .

وجاء درس السماء الثانى عندما قام الانقلاب الذى أطاح بضعة أيام بـ « جورباتشوف » فصفق الشيوعيون فى العالم وقالوا : إن ما يحدث بروسيا إنما هو تحقيق لمرحلة تاليةِ التطبيق فى الفكر الشيوعى ؛ فإذا بـ « يلتسين » يقضى ـ بمشيئة الله ـ وحده ـ على هذه الخرافة .

ليس ذلك فقط .

بل ليكون الشيوعيون ـ فى العالم كله ـ على « كف يلتسين » الذى نجح فى الاستيلاء على أهم الوثائق التى تثبت عمالتهم للكرملين والمبالغ المالية التى تقاضوها . ثم صدر الأمر بمصادرة أموال الحزب .

لقد توالى السقوط .. سقوط الشيوعية فى أوروبا الشرقية جميعاً ، وفى داخل الاتحاد السوفيتى ؛ فلم تكشف عن شعب واحد .. واحد فقط منها .. عاش حراً سعيداً داخل مجتمع يتمتع بالعدالة ..

سبحانك اللهم ..

لقد كشف السقوط عن حقيقة واحدة تبين منها قواعد الشيوعية حين تطبق على الشعب الفريسة فتنظر إليه من خلال خمس طبقات :

« طبقة الملاك الكبار ، طبقة الأغنياء ، طبقة متوسطى الحال ، طبقة الفقراء ، طبقة المعدمين » .

لتجعل منه الطبقة الأخيرة فقط .. وحيث لن يبقى له ـ بَعْدُ ـ إلا (نور) واحد يمده بالأمل ، ويؤكد له تغير الحال ، ويدفعه إلى التماس التغيير .. وهو « نور السماء » ... هو (الله) .

لذا كان العداء للذات الإلهية .

كان مقرراً أن يكون الإنسان فى قيود هذا النظام مجرداً من المال والدّين ..

وكان ذلك ضرورة ليقوم أى نظام شيوعى .

فلم يكن مصدر عدائهم للدين انه « افيون الشعوب » كما رددوا .. إنما كان العداء لأنه « مصدر المقاومة » الذى اقنع الإنسان الا يذل إلا لله .

وبما أن الله حى لا يموت فالمقاومة مستمرة والنتيجة حتمية .

كتب (بوريس باسترناك) روايته المشهورة (دكتور زيفاجو) ليحكى ـ وهو الروسى المعاصر ـ قصة الشعب السوفيتى فى ظل الحكومة الشيوعية ، وبدأ القصة من أولها ، فلما ذكر الأيام الأولى ، والاضطراب الواقع فى (موسكو) كتب عن القطار الذى بدأ يتحرك من موسكو بحمولته فقال :

« وظل القطار يسير ثلاثة ايام ولكنه لم يغادر موسكو » .

هذه كانت حقيقة يمكن تطبيقها بكل بساطة على سبعة عقود شيوعية أو ثمانية عاشتها شعوب عاشت

تحت حكم (الكرملين) ولم تتقدم إلى الأمام ؛ فكان قطار موسكو خيرا منها لأنه لم يتخلف إلى الوراء .. أما هذه الشعوب فقد تخلفت قرونا طويلة .. جداً .

وكتب السياسى الداهية (جون فوستر دالاس) - وزير خارجية الولايات المتحدة فى الخمسينيات - كتابه (حرب أم سلام) فقال فيه : « إن الجيش الأحمر نفسه ليس شيوعياً » .

وقال الناس : رجل عدو للشيوعية يريد أن ينفى حبها عن مواطنيها ..

وها هو الواقع يثبت لـ (باسترناك) و (دالاس) حقيقة الرؤية .

فأما بعد :

فليس يعنى انتهاز الشيوعية الاعتراف بحق الجمهوريات الإسلامية فى الحرية والاستقلال ، فإنه لا تزال الحرب الصليبية قائمة ضدهم ، بل وعلى أيدى الذين ضاقوا بعسف الشيوعية أنفسهم .

إن لنا - نحن المسلمين - جسداً ممتداً فى روسيا يموج فى جمهورياتها ففى أسيا منه :

أذربيجان - أوزبكستان - طاجيكستان - تركمانستان - قازاجستان - قرغسيا .

وفى أوربا :

داغستان - شاشان - كبارديا - بلكاريا - القرم .. وغيرها .. وغيرها .

هذه الجمهوريات وشعوبها الإسلامية لها فى أعناق المسلمين أجمعين حق الوقوف إلى جانبها فى ضوء ما هو مشروع من مساندة دولية لا تلقى بها فئة على أكتاف أخرى ، فكم تحملت مصر وحدها ..

لقد صدرت صحيفة (الصباح الأسبوعى) التونسية صباح الاثنين ٢٢ من صفر ١٤١٢ هـ - ٢/٩/١٩٩١ وفى صفحتها السادسة كتبت - تحت عنوان على ثلاثة أعمدة - تقول :

« نظرة روسية إلى الجمهوريات الإسلامية »

إلـه واحـد وأمـة واحـدة

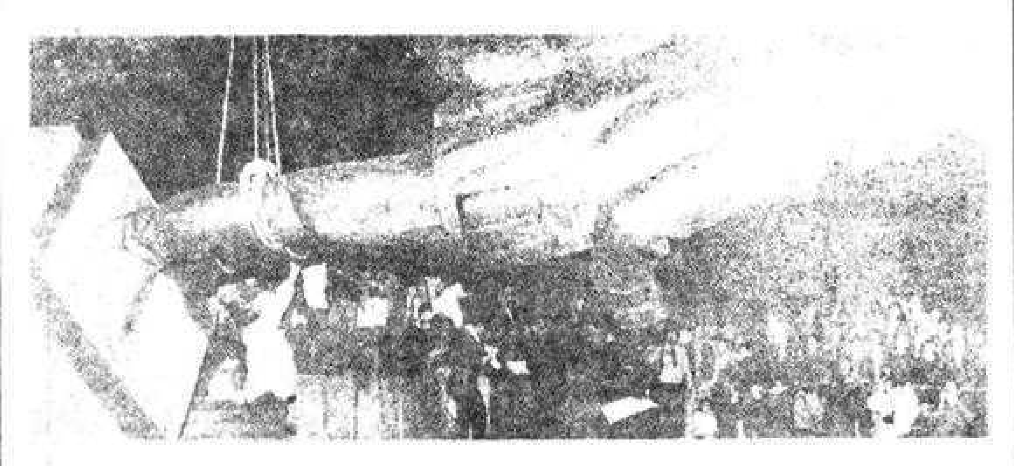

« القناة الأولى للتليفزيون الإيطالى (راى أونو) قدمت ليلة الاثنين الماضى برنامجا خاصا طويلا عن الوضع بالاتحاد السوفيتى بعد انقلاب « عصابة الثمانية » وبرز من خلال هذا البرنامج :

أن جمهورية روسيا التى يراسها بوريس يلتسين مرشحة للاضطلاع بدور كبير فى المستقبل ، وقد دعا نائب رئيس لجنة الشئون الخارجية فى برلمان روسيا للحديث عن بعض المواضيع، ومن بينها مسألة مستقبل دولة الاتحاد والجمهوريات .

هذا النائب اسمه « أوجينى ابرازموف » وهو من كبار مساعدى يلتسين .. قال :

« إن جمهوريات البلطيق الأوربية يجب أن تستقل استقلالا تاما ، وهذا ـ فى رأيه ـ .. يخدم الديمقراطية والحرية .

وكذلك أيضاً ، وربما بالنسبة لجمهورية أوكرانيا ومولدافيا .

[ولما وصل به الحديث إلى الجمهوريات التى يسكنها المسلمون من أصل تركى ، أو من سلالات أخرى] قال :

إن تلك الشعوب معتادة على (النظام التسلطى الأسياوى) الذى لا يتلاءم مع الديمقراطية والحرية ، وفى تلك الجمهوريات سيتم اتحاد (المافيا الحزبية الشيوعية) و (الأصولية الإسلامية) وذلك خطر على الديمقراطية وبالتالى : « لا يجب السماح لتلك الجمهوريات بالحصول على حريتها » .

فهل يترك المسلمون فى العالم إخوانهم المسلمين فى تلك الجمهوريات للمرة الثانية .

إنهم ـ إذا فعلوا ـ سيكونون تجاراً بدينهم كما قال الرئيس مبارك .

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد !!! .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) انظر : للأستاذ محمد سعيد اسماعيل ـ بلاد الإمام البخارى ماضيها وحاضرها .

(٢) وللأستاذ يوسف ولى شاه اورالكيراى ـ كارثة القرم الإسلامية .

الاحتفال بمولد الرسول
صلى الله عليه وسلم

فصل الرسالة الربانية

كلمة

الرئيس محمد حسني مبارك

في الاحتفال بذكرى مولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

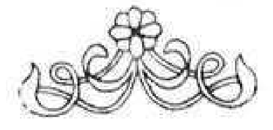

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

في احتفال الدولة بالمولد النبوي الشريف

فضل الرسالة الربانية

فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

ألقى الرئيس حسنى مبارك خطابا هاماً وشاملاً فى الاحتفال الدينى الكبير بذكرى المولد النبوى الشريف فيما يلى نصه :

الإمام الأكبر شيخ الأزهر

العلماء الأجلاء

الإخوة والأخوات .

إن من اعظم دواعى سعادتى . ان التقى بالدعاة والعلماء ، الذين هم حملة رسالة الحق وورثة الانبياء .. ويزيد من دواعى هذه السعادة ، ان يكون اللقاء للاحتفال بذكرى من أخلد الذكريات ومناسبة من امجد المناسبات ، وهى ذكرى ميلاد خير الأنام ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .. فليس من شك فى ان هذا الميلاد المبارك ، كان ميلادا للنور الذى يبدد الظلام ، وللحق الذى يزهق الباطل ، وللخير الذى يهزم الشر ، وللسلام الذى اراد الله أن يعيش به الناس فى امن وحب ووئام .

ولم يكن هذا الفيض الربانى الذى عم بميلاد محمد بن عبد الله ، محصوراً فى بلد معين أو جنس محدد ، وإنما كان مثل ضياء الشمس ، يبدأ من مكان لينتشر ويعم نوره كل مكان ، يشرق أول الأمر على البعض ، لينير فيما بعد الحياة للكل .. وهكذا كان محمد صلوات الله عليه ، فهو باعث الأمة العربية ، ومحرر الجماعة الإنسانية ، والمبشر بأسمى القيم للحضارة البشرية .. أشرقت طلعته الميمونة فى مكة ، وكان فى طفولته وصباه مثالاً للطهارة والشموخ ؛ لأن المولى سبحانه وتعالى كان يعده لحمل أعظم أمانة والقيام بأخطر رسالة ..

وبعد أن جاءه الوحى فى الاربعين من عمره ، صدع بأمر ربه ، فبدأ ينذر عشيرته الأقربين ، وينير بصائرهم بهدى السماء ، ثم راح يوسع دائرة النور إلى قريش وكل آل مكة ، ثم اتسعت دائرة الإشراق حتى وصلت إلى المدينة ، ومن المدينة انتشر الإشراق إلى كل العرب ، حتى تم توحيدهم بعد فرقة وإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى أنوار المدنية ، بعد تصحيح فكرهم بالتوحيد ، وتطهير عقولهم من

الشرك ، وبعد تصحيح خلقهم بفضائل الإسلام ، وتنقيتهم من رذائل الكفر ، وبعد ملء قلوبهم بروح السلام والحب ، وصرفها عن دواعي العداء والحرب .. وهكذا بعث محمد ـ صلوات الله عليه ـ الأمة العربية .

رسالة ربانية تحريرية

ثم تجاوزت دائرة النور بلاد العرب ومازالت تتسع شرقا وغربا ، وشمالاً وجنوبا ، بفضل الرسالة الربانية التحريرية ، التى حمل أمانتها محمد وخلفاؤه العظام ، حتى تم فك الأغلال عن الشعوب المغلوبة ، ورفع نير الاستبداد عن البلاد المقهورة ، واستضاءت بنور الإسلام الدولتان الكبريان اللتان كانتا تتحكمان فى العالم آنذاك ، واستظلت براية الإسلام معظم البلاد التى كانت تحت حكمهما ، وتحول المستعبدون والمستضعفون فى الأرض ، إلى محررين وغالبين ، وورث الأرض عباد الله الصالحون .

ولم يكن تحقيق ذلك إلا بالجهاد الحق الذى يأخذ ـ فى وعى ـ بروح الإسلام ، ويعرف كيف يحقق مقاصد الدين الحنيف .. إنه الجهاد لا من أجل العدوان على الغير أبدا ، ولا من أجل السيطرة أو البغى ، ولا من أجل السلب أو النهب ، أو الاستيلاء على أرض الغير ظلما وبهتانا ، ذلك أن الإسلام لا يعرف العدوان ولا يقر البغى .. كذلك لم يكن الجهاد الذى حمل رايته النبى وأصحابه ، من أجل حمل الآخرين على أن يتركوا دينهم ويعتنقوا بالقوة دين المجاهدين ، فالإسلام لا يسمح بغرس العقيدة فى القلوب بسنان الحراب وحد السيوف ، وإنما كان الجهاد فى عهد الرسول ، وفى عهود أصحابه الراشدين والتابعين الواعين ، إما للدفاع ضد المعتدين ، وإما للوقاية من مؤامرات الطامعين والغادرين ، وإما لتحرير المستعبدين والمقهورين ، الذين تسيطر عليهم قوى غاشمة ، وتحول بينهم وبين رؤية نور الإسلام ومعرفة دين رب العالمين .

أسس تحرير البشرية

وهكذا اتسعت دائرة الضياء الإلهى والنور المحمدى ، فتجاوز العرب إلى غير العرب . ومازالت الدائرة تتسع حتى عمت الإنسانية ، وتحقق وضع الأسس لتحرير البشرية .. وذلك بفضل تلك القيم الرفيعة ، التى جاهد من أجلها المجاهدون المسلمون الواعون ، والتى جاء بها محمد وحيا عن ربه ، ليؤكد للناس جميعاً حقهم فى الحفاظ على كرامتهم ، وليحصنهم ضد كل ما يسىء إلى إنسانيتهم ، إنها قيم للحرية والديمقراطية ، والمساواة والعدل ، والإخاء والسلام .

أما الحرية ، فمعروف أن الإسلام قد حرر الإنسان كياناً وعقلاً وضميراً ، فلا رق ولا عبودية ، وإنما كل الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، ثم لا تعطيل للعقل ولا تغييب للفكر ، وإنما الناس مكلفون بإعمال العقل تكليفهم بالعبادة ، ومطالبون بالتفكير مطالبتهم بالفريضة ، ثم لا سلطان لأحد مهما كان على ضمير الإنسان غير تقواه ومراقبته الله ، وما أصدق قول الرسول الكريم لابن عباس فيما معناه .. : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك ، لن ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك ، لن يضروك إلا بشىء كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

كلمة الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول

الديمقراطية ركيزة حياة المجتمع الإسلامى

وأما الديمقراطية فقد جعلها الإسلام ركيزة حياة المجتمع الإسلامى وقوام دولة الإسلام حين أمر بالشورى ، فلا استبداد برأى ، ولا تسلط لفرد ، ولا حكم لغير الجماعة ، وقد وصف الله المسلمين بقوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ بل أمر سبحانه رسوله الكريم ، أن يشاور أصحابه ولا ينفرد بالرأى ، ذلك رغم أنه نبى يوحى إليه من ربه بما يعصمه من الخطأ ، وما أروع قول الله تعالى لنبيه الكريم : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ ﴾ (آل عمران ـ ١٥٩) .

وأما المساواة ، فقد جعلها الإسلام ركنا أساسياً من أركان النظام الاجتماعى ، حين أقر التسوية بين الناس مهما اختلفت ألوانهم ، وأجناسهم ومواطنهم وثرواتهم ومناصبهم ، فالناس جميعاً من آدم وحواء ، ومن هذين الأبوين تكاثروا ، وجعلهم الله شعوبا وقبائل ، والناس جميعاً ـ بسبب أصلهم الواحد ـ متساوون كأسنان المشط ، « ليس لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى » ، إذا فلا امتياز لأحد على أحد إلا بمقدار تقواه ومراقبته لله ، وفى مقدمة ذلك الذى يتم به التميز ويتحقق التفضيل ، مقدار مايقدمه المرء للحياة والناس من عطاء ، وما أسمى قول الرسول الكريم ـ وكأنه يضيف بعدا جديدا إلى مفهوم التقوى ـ : « خير الناس أنفعهم للناس » .

الناس أمام القانون سواء

وأما العدل ، فقد بلغ به الإسلام حدود ذروته ، ووصل فيه إلى أقصى غاياته ، فالناس جميعاً محاسبون على ما يعملون ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[1] ، والناس جميعاً متساوون أمام القانون ، فلا طبقية ولا امتيازات ولا استثناءات ، فالقانون يحكم الجميع لأنه سيد الجميع ، الحاكم والمحكوم ، الكبير والصغير ، الغنى والفقير .

وقد اتسع مفهوم العدالة فى الإسلام ليشمل دائرة عريضة لم تكن معروفة من قبل ، وحسبنا هنا أن نتذكر وصية عمر بن الخطاب للقاضى أبى موسى الأشعرى ، تلك الوصية التى يقول فيها عمر : « آس بين الناس فى مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ، ثم هديت فيه إلى رشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل » .

وأما الإخاء ، فقد جعله الإسلام الأساس للعلاقات بين أبنائه ، « فالمسلم أخو المسلم » ، بل إن الإسلام ارتقى بالعلاقة بين أبنائه إلى ما هو أقوى من الصلة بين الأخ وأخيه ، حيث جعلها وحدة عضوية ، تفرض أن يكون كل فرد بالنسبة إلى الآخرين كالعضو بالنسبة لباقى أعضاء الجسد . وما أسمى قول الرسول الكريم ﷺ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

(١) سورة الزلزلة الآيات ٨ ، ٩ .

السلام هو الأصل فى العلاقة بين الجماعات

وأما السلام ، فقد أعلى الإسلام قيمته ، وجعله الأصل فى العلاقة بين الجماعات ، أما الحرب فهى الاستثناء الذى لا يلجأ إليه إلا لضرورة . وقد بلغ من تقدير المولى لقيمة السلام ، أن جعله أحد أسمائه الحسنى . ثم دعا إليه وحث عليه فى قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ . . . . ﴾[1] ، أما الحرب فلا تكون إلا رداً لعدوان أو دفاعاً عن النفس ، وفى هذا يقول المولى جل شأنه : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا . . ﴾[2] .

ولهذا لا يسوغ أن تستغل الحروب الإسلامية من بعض الجهلة والمفسدين ، أو المغامرين والطامعين ، فى تبرير العدوان على الآخرين باسم الجهاد ، فلا جهاد مع العدوان ، ولا جهاد مع البغى ، ولا إسلام يفرض على غير المسلمين بحد السيف ، فالله سبحانه يقول للناس جميعاً : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[3] ويقول لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[4] .. ويقول له ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فى شأن من وجب قتالهم دفاعاً أو وقاية أو تحريراً : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . . ﴾[5] بل يقول لنبيه فى شأن المقاتل المشرك الذى يخوض المعركة فعلاً ضد المسلمين : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾[6] .. كل ذلك لأن السلام هو أساس العلاقات وهو قيمة عليا من قيم الإسلام التى حرص عليها ، ودعا إليها ، وأراد أن يعيش المجتمع الإنسانى كله فى ظلها .

حققت الرسالة كل إنجاز عظيم

الإخـوة والأخـوات ..

إن الاحتفال بذكرى مولد النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى حققت رسالته كل هذا الإنجاز العظيم ، سنة حميدة نعتز بها ونحرص عليها ، ونسعد كل السعادة بالمشاركة فيها .. ومن أسباب هذا الحرص وتلك السعادة ، أنها مناسبة تذكرنا بالمثل الأعلى ، الذى يجب أن نسير على هديه ونقتدى به ، فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه للاستنارة بهذا النموذج الإنسانى الرفيع .. فكراً وسلوكاً ومنهجاً .

لقد بدأ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعلاج الفرد فى عقيدته وفى نفسه ، وفى ضميره ، وفى خلقه ، وذلك ليحقق بناء الإنسان الذى هو النواة الأولى فى بناء المجتمع .

ثم مضى ـ صلوات الله عليه ـ إلى علاج الأسرة ، فى علاقاتها ، وسلوكياتها ، وكل شئون حياتها ؛ لأنها هى الخلية الأساسية فى جسم المجتمع .

ثم اتبع ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذلك كله بعلاج المجتمع كله ، بصفته الكيان الأكبر الذى تتألف منه الأمة ، فأرسى لهذا المجتمع قيم الأخوة والتعاون والتكافل ، وغرس فيه مبادىء الحب والإيثار والمسئولية المشتركة .

---

(1) سورة يونس آية ٢٥ .
(2) سورة البقرة آية ١٩٠ .
(3) سورة البقرة آية ٢٥٦ .
(4) سورة يونس آية ٩٩ .
(5) سورة الأنفال آية ٦١ .
(6) سورة التوبة آية ٦ .

كلمة الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول

وعلى منوال هذا المجتمع الإسلامى الذى قام فى المدينة ، تآلفت المجتمعات الإسلامية المتعددة فى الأقاليم الأخرى ، فى مصر والمغرب والأندلس غرباً ، وفى الشام والعراق وفارس شرقاً ، ثم نما هذا المجتمع الإسلامى الكبير حتى أصبح لعدة قرون أرقى مجتمع ينضوى تحت راية أعظم دولة ، وكل ذلك بفضل رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعاليمها الرفيعة ، وبفضل التسامح الذى أبداه المسلمون الأول نحو غيرهم ، ونبذهم لمنطق الإكراه والإجبار ، ورفضهم للتعصب والتطرف ، وتقديسهم لحرية الرأى ، واحتكامهم إلى العقل ، فلا حجر على فكر ، ولا قيد على رأى ، ولا تسلط ولا إرهاب لنصير أو خصم .

دور كل الأطراف

وهنا نأخذ الدرس ونستلهم العبرة من الذكرى العطرة ، هنا يأتى دور كل الأطراف التى تتولى بناء الفرد : الأسرة والمدرسة ، وأجهزة الثقافة ووسائل الإعلام ، فهى جميعاً مطالبة برعاية الفرد وتصحيح فكره والسهر على بناء عقله وتربية ضميره وتصويب سلوكه ، لكى يتم مع الآخرين تجانسه ويتحقق مع باقى أفراد المجتمع توافقه ، ولكى تصح نظرته ويستقيم حكمه ويقوى إلى الوطن انتماؤه .

كذلك يأتى ـ ونحن نستلهم العبرة من الذكرى العطرة ـ دور كل الأطراف التى ترعى شئون الأسرة وتؤتمن على توجيه مسيرتها ورعاية علاقاتها ، ويأتى دور الآباء والمربين ، والمفكرين والمبدعين ، والدعاة والإعلاميين ، وكل من يعنيه أن تكون الأسرة مترابطة متعاونة منتمية مسئولة . يوقر فيها الصغير الكبير ، ويرحم الكبير الصغير ، وتعى تماما أنها خلية من خلايا الوطن . يجب أن تكون حية صحيحة قوية ؛ ليتألف منها ومن غيرها الوطن الحى الصحيح القوى .

كذلك يأتى دور المسئولين عن المجتمع والمأمولين لتحقيق نهضته ، من كوادر علمية ، وأجهزة ثقافية ، ووسائل إعلامية . ومؤسسات تنفيذية ، فهذه جميعا مطالبة بحماية المجتمع من الانحرافات ، ومحاربة كل ما يشوبه من خرافات أو سلبيات ، وتوجيهه إلى كل ما يجعل منه مجتمعا يشده الترابط ويعمر قلوب أبنائه الحب ، ويتجه فيه الجميع إلى ما فيه خير الجميع .

أسس جمع الشمل

ثم علينا أن نجمع الشمل على أساس من الصدق والمصارحة والحفاظ على أمانة العهد وشرف الكلمة ، ورفض سياسة المخادعة والمراوغة والافتئات على الحق والحرص على المكاسب الشخصية على حساب المصلحة الجماعية ، وعلينا أن نحرص على أن تكون علاقاتنا جميعا علاقة ترابط وثيق ، بل صلة أخوة حميمة ، لكى نندفع ـ فى مناخ صاف وشمل مجتمع ـ إلى التعاون الصادق والتكامل الحق ، شاعرين جميعا أننا أبناء أمة واحدة ، الكل فيها مسئول عن الكل تماما مثل أفراد الأسرة الحقيقية ، بل مثل أعضاء الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء .

الإخـــوة والأخـــوات :

إن التحديات التى تواجهنا فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الإنسانية تفرض علينا أن نعيد بناء الفرد ، ونحقق له التقدم ، ونعالج أمراض المجتمع ونوفر له كل عوامل الصحة ، ونعزز قوة الدولة ، ونهيىء لها جميع عناصر القوة ، ونجمع شتات الأمة حتى تصبح على قلب رجل واحد .

إن كثيراً من ابناء أمتنا يشغلون أنفسهم بالقشور ولا يهتمون باللباب ، ويتعلقون بالشكل ولا يعنون بالجوهر ، بل إنهم أحيانا يأخذون انفسهم بعوامل التفرق والتمزق ، أكثر من أخذهم بأسباب التجمع والتكتل ، ومن هنا وقفوا مكانهم وتقدم غيرهم ، بل فى كثير من الأحيان نراهم يتراجعون ، بينما الآخرون يزحفون بل يثبون ويقفزون ، حتى أوشكنا ـ بسبب هذه السلبيات ـ أن يتجاوزنا العصر ونخرج بهذا الجمود والقعود عن مسيرة التاريخ .

ماعذرنا... وقد أصبحت أمورنا بأيدينا

لقد كنا فى الماضى مكبلين باغلال الاستعمار ، معوقين بهذه الأغلال عن التقدم والنهوض والانطلاق ولكن ما عذرنا اليوم وقد أصبحت أمورنا بأيدينا بعد أن مزقنا أغلال الاستعمار عنا ؟!

ما عذرنا فى أن نظل حيث كنا ، وكلما تقدمنا خطوة تراجعنا خطوات !؟!

لعل الداء يكمن فى أن البعض يكتفى من الإسلام بالمتاجرة بمبادئه ، والتزييف لتعاليمه ، ومحاولة الكسب بالانتماء إليه والتظاهر بالحماسة له ، إلى درجة ادعاء الانتساب إلى نبيه .

إذاً ، علينا أن ننهض من الكبوة ونفيق من الصدمة ونعود إلى التماسك والترابط وجمع الشمل ، وبناء ما تهدم ، ولا أمل إلا فى استيعاب الدرس وانتزاع الأمل من بين أنقاض اليأس .

لا أمل إلا بالعودة الصادقة إلى تعاليم الإسلام وروحه السمحة .. إنها مبادىء الحق والعدل ، والتعاون والتكافؤ ، وجمع الشمل ، وتوحيد الصف ، وعدم الانخداع بالزيف والنفاق والكذب والدهاء ، وإقامة العلاقات الفردية ، والجماعية على أساس الصفاء والمحبة والإخاء .

القيم الإسلامية القويمة طريقنا إلى التخلص من الآفات

إن الإسلام فى جوهره هو قيم إنسانية رفيعة ، يتطهر بها الفرد ، من الخوف والحقد والكراهية ، ويتخلص بها المجتمع من الآفات المدمرة ، وعوامل الصراع والنزاع . وتهتدى بها الأسرة الدولية فى إقامة مجتمع جديد . يحقق للبشرية قدراً أكبر من الطمأنينة والأمان ، ويرسخ بنيان السلام بين مختلف الأمم والشعوب ، فلا حرب ولا قهر ولا تسلط ، ولا عنف ولا أذى ، بل مودة وإخاء وحسن جوار ، بصرف النظر عن تنوع الانتماءات والاجتهادات ، وتعاون بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فكلنا نواجه نفس الأخطار والتحديات .

إن القيم الإسلامية القويمة هى طريقنا إلى أن نأخذ مكاننا ـ كعرب ومسلمين ـ فى عالم اليوم الذى لا مكان فيه لجاهل ، ولا محل لخامل ، ولا دور لمتخلف ، ولا كرامة لتابع ولا أمن لضعيف ، ولا وزن لكيان صغير .

كلمة الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول

الإخوة والأخوات :

إننا نعيش اليوم فى عصر تعاظمت فيه التحديات التى تواجه الفرد والمجتمع ، وتعقدت فيه مشاكل الحياة فى كل جوانبها ، رغم التقدم الهائل الذى حدث فى مجالات العلم والمعرفة ، ولابد أن نتحرك جميعا لتصحيح هذا الوضع ، ونتفق معا على منهج يتيح لنا أن نسخر هذا التقدم غير المسبوق الذى بلغناه فى المجالات العلمية والتقنية لخدمة القضية الأساسية وهى جعل الإنسان أكثر قدرة على مواجهة المشاكل التى تعترض طريقه ، وأكثر إحساسا بالأمن والطمأنينة وأكثر أملا فى المستقبل .

عزائم الرجال قادرة على التغلب

إن الأمل لم يضع فى صحوة صادقة فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية فمهما كانت السلبيات التى تصيب بلادنا وأمتنا ، فإن عزائم الرجال قادرة على التغلب عليها ، بالإيمان الراسخ ، والقيم السامية والأخلاقيات الرفيعة ، التى جعلت الأمة الإسلامية ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

إن الأمر يحتاج إلى إدراك واع للمسئولية وأداء أفضل للأمانة ، ونحن نعاهد الله ونعاهد أنفسنا أن نؤدى هذه الأمانة على خير ما يكون الأداء .

فلتكن البداية من اليوم قبل الغد ، ولنعمل جميعا من أجل هذه الأمانة السامية ، كل فى موقعه : الوالد والمعلم والداعية والمفكر ، العالم والكاتب ، المشرع والمنفذ ، المحكوم والحاكم ، فالكل راع والكل مسئول عن رعيته .

أجل ، علينا جميعا أن نأخذ أنفسنا بمهمة الإصلاح وإعادة البناء ، والعمل الجاد من أجل إخراج أمتنا من غيبة العقل ، وتمزق الصف ، وضعف البنية ، وانحراف السلوك ، ولنعمل جميعا من أجل إقامة مجتمع إسلامى فاضل ثابت الأركان ، قادر على احتلال مركز مرموق بين الأمم والشعوب يتيح لأبنائه أن يحيوا حياة حافلة بالرقى والتقدم .

فهكذا نصبح بالفعل كما أراد لنا المولى : ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وهكذا نكون جديرين بالانتساب إلى الإسلام وقيمه وتعاليمه .

وهكذا يكون احتفالنا بميلاده ـ صلوات الله عليه ـ احتفالا عمليا ، حيث ننتفع بالذكرى كما أمر الله تبارك وتعالى حين قال لرسوله الأمين : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات ـ ٥٥) .

فلننتفع بالذكرى عملا لا قولا ، وإيجابا لا سلبا ، ولنترجم حبنا لصاحب الذكرى استلهاما لروح رسالته ، ومضيا فى طريق دعوته ، وتحقيقا لنبيل غايته .

والله من وراء القصد .. وهو الهادى إلى سواء السبيل .. وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

فى احتفال الدولة

بالمولد النبوى الشريف

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية .

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد :

لماذا الاحتفاء بهذه الليلة ؟

إذ نحتفى فى هذه الليلة بميلاد الرسول « محمد » صلى الله عليه وسلم ، فإنما نحتفى بنبى كان فى ولادته كل البُشْرَياتِ ، فأبوه (عبد الله) ـ فجاء بعبادة الله وحده ـ

وأمه (آمنة) فكان ذلك بشرى لأمن هذه الأمة وسلامتها.

وألْهَمَ الله جده عبد المطلب فسماه (محمدا) إنفاذا لأمره بأن يكون محمودا فى الأرض وفى السماء ، ولم يكن هذا الاسم شائعا عند العرب فى عصره .

وقابلتُه (الشفاء) أم عبد الرحمن بن عوف فكان فى مَقْدَمِهِ الشفاء والرحمة بأمته .

وأول من أرضعته (ثويبة) جارية عمه أبى لهب فكان فيها الفأل بالثواب لهذه الأمة .

وحاضنته (أم أيمن) ، فكان فيها الفأل باليمن والإقبال وانتشار الإسلام ، ثم آلت حضانته ورضاعته إلى (حليمة السعدية) فكان فى اسمها ولقبها بشريات له بالسعادة والحِلْم وبالعلم .

ثم رفع الله ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[1] رفع الله ذكره فكان اقتران اسمه

---

(١) سورة الشرح الآيات (١ ـ ٤) .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع كلمة التوحيد وهى : (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)حيث لا يتم دخول الإسلام إلا بهذه الكلمة .

رفع ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم رفع الله ذكره فتردد اسمه فى الصلوات ، ففى التشهد فى الصلوات : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ـ وفيها : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ـ وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، تحيات وصلوات وإعلاء لذكر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى فى عبادة الله (الصلاة) التى لايذكر فيها غير الله .

ولقد أعلى الله ذكره فقال ـ فى شأنه إيجابا وتوجيها للأمة وتوقيرا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢] .

فالصلاة والسلام ـ على رسول الله « محمد صلى الله عليه وسلم » عبادة ، وذكره عبادة ، فأى ذكر أرفع شأنا مما مَنَّ الله به على الرسول الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فهل مع هذه الرفعة التى منحه الله إياها نأتى فى عصرنا ويكتب بعض الناس (محمد) ويتحدثون عن (محمد) كأنهم ينادون شخصا عاديا أو يتحدثون عن شخص عادى مع أن الله علم أصحابه ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[٣] أدبا للأمة أن يوقروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والا يذكروه إلا بما أمر الله به (ياأيها النبى ـ ياأيها الرسول) فهل نستجيب لأمر الله ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ ذكر ورفعة لشأنه وتكريم لقدره لأنه عظيم قدره « صلى الله عليه وسلم » .

الاقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كانت كلمات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومبادئه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[٤]فلم يعرف بفحش القول ، ولم يعرف بالخروج عن الرحمة والأدب مع الناس فهو أسوتنا وقدوتنا .. فهل نتبعه فى هذا ونقتدى به ؟ هل نعلم أولادنا أن يقولوا للناس ، حسنا وأن ينشأوا على ذلك ؟ هل نتعلم جميعا هذا الأدب الربانى الذى وجهه الله إلى الأمة ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ .

إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ذا خلق أو هو الخلق بل هو يقول عن نفسه ـ صلى الله عليه

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٦ . (٣) سورة النور آية ٦٣ . (٤) سورة البقرة آية ٨٣ .

وسلم - : « إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق » ، ذلك لأن الأخلاق الحسنة ، الأخلاق الكريمة هى صمام الأمن والأمان فى هذه الأمة ، وهى التى تقود الأمة إلى أحسن المسالك وإلى أطيب الثمرات هى التى تجعل الحياة سهلة طيبة متعاونة متساندة فى المسرات والمضرات فهل يكون لنا من هذه الوصية نصيب نتخذه ونعمل به وقد قيل :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فالأخلاق تقتضينا أن نوقر ذكرى الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

توقير الكتاب العزيز والسنة الشريفة

فهل لنا ان نوقر القرآن الكريم ؟؟ ليس توقيرنا أن نحمله فى سيارتنا ، أو نضعه فى بيوتنا ، أو على مكاتبنا وإنما أن نحمله فى صدورنا، وأن نعمل بما فيه ، وأن نأخذ أسرنا ومجتمعنا على التربية على نبراسه .

والسنة المطهرة التى جاءت شرحا وبيانا لكتاب الله ، هل لنا أن نوقرها فلا يتجرأ أحد على أن يمتهنها او يحاكمها بعقله ، مهما كان عقله ، هل لنا أن نفعل ذلك ؟

نأمل أن نقول - فى القرآن وفى السنة - القول الحسن الذى يناسب توقير القرآن الكريم ، ويناسب وقار السنة المطهرة ولا يأتى أحد ليقول : أحاكم القرآن بعقلى أو أحاكم السنة بعقلى ! إذا كنا نحتفى الليلة بهذه الذكرى المباركة ، ذكرى ميلاد الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن معالم هذه الذكرى وهذا الاحتفاء ينبغى أن تكون فى أن نقتدى به ، وأن نوقر ما تركه لنا وأن نعمل به، نقتدى لنهتدى .

كل عام وأنتم بخير سيادة الرئيس .

وكل عام وأنتم بخير أيها الحفل الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الأزهــر الشريف
(جاد الحق على جاد الحق)

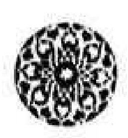

قبس من أنوار النبوة

لا تزكوا أنفسكم

للشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة رضى الله عنه : « إن زينب بنت أبى سلمة كان اسمها برة . فقيل تزكى نفسها ، فسماها رسول الله - ﷺ - زينب » .

- رواه البخارى ومسلم -

وعن محمد بن عمرو بن عطاء ، قال : سميت ابنتى برة فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : إن رسول الله - ﷺ - نهى عن هذا الاسم،وسميت برة ، فقال رسول الله - ﷺ - : لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم ، فقالوا : بم نسميها ، قال : سموها زينب » .

- رواه مسلم -

إن الحديث عن النفس أو عن الغير - بالتزكية - قد يشتط بصاحبه فيجعله يزكى نفسه أو غيره بما لا يعلم ، أو يتجاوز الحق والصواب وهذا يؤدى إلى الإعجاب والكبر ، وتضييع العمل ، وترك الازدياد من الفضل ، ففى البخارى من حديث أبى بكرة أن رجلا ذكر عند النبى - ﷺ - فأثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبى - ﷺ - :

« ويحك قطعت عنق صاحبك إن كان أحد مادحا لا محالة فليقل : أحسب كذا وكذا ، إن كان يرى أنه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا يزكى على الله أحدا » .

لقد نهى الإسلام عن الإفراط فى المدح بما ليس فيه حتى يظن الممدوح أنه كذلك ، وعلى هذا - تأول العلماء قوله - ﷺ - : « احثوا التراب فى وجوه المداحين » أن المراد به : المداحون لغيرهم فى وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم ، أما ذكر الإنسان بما فيه من الفعل الحسن ، واللفظ المحمود ليكون منه ترغيبا له فى أمثاله ، وتحريضا للناس على الاقتداء به فليس بمدح . ولقد مدح النبى فى الشعر والنثر ، ولم يحث فى وجوه المداحين التراب ولا أمر به ، كما مدح هو أيضا أصحابه فقال : « إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع » .

وأما قوله - ﷺ - فى صحيح الحديث : لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وقولوا : عبد الله ورسوله » .

فمعناه - كما جاء فى تفسير القرطبى - لا تصفونى بما ليس فىَّ من الصفات ، تلتمسون بذلك مدحى ، كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه فنسبوه إلى أنه ابن الله فكفروا وضلوا ، وهذا يقتضى أن من رفع امرءاً فوق حده وتجاوز مقداره بما ليس فيه فمعتد آثم ؛ لأن ذلك لو جاز فى أحد لكان أولى الخلق بذلك رسول الله - ﷺ » .

إن مما نهى عنه النبى - ﷺ - : مجاوزة الحد فى الإطراء . فقد ورد أن أم العلاء الانصارية قالت فى عثمان بن مظعون - رضى الله عنه - حينما مات رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك ، فقال النبى - ﷺ : « وما يدريك أن الله أكرمه ؟ فقالت : بأبى أنت يارسول الله ، فمن يكرمه الله ؟ فقال - عليه الصلاة والسلام : « أما هو فقد جاءه اليقين ، والله إنى لأرجو له الخير ، والله ما أدرى - وأنا رسول الله - ما يفعل بى » قالت : فوالله لاأزكى أحداً بعده أبداً . رواه الإمام أحمد .

والخطر الأكبر أن يزكى الإنسان نفسه فينساق فى الحديث عنها ، فيذكر من أعماله ومفاخره بالحق وبالباطل ، فإذا ذكر الناس أحداً فى الجود ادعى أنه حاتم ، وإذا ذكر بالعلم أحداً ، زعم أنه البخارى فى الحديث ، وأبو حنيفة فى الفقه ، يعدد مناقبه ، ويزكى نفسه ويروى ما قيل فيه من المدح والثناء .

« لقد مر أحد العباد بقوم يذكرونه بقيام الليل كله . وكان يقوم نصفه ، فاستغفر الله مما قيل فيه ، وعاهد ربه أن يقوم الليل كله ، وعجيب أمر من قيل فيه الخير وليس فيه ، كيف يفرح ؟ وأمر من يقول الخير فى نفسه وليس فيه أعجب !

وإذا كان الحديث يبين لنا أن النبى - ﷺ - قد كره أن يزكى الإنسان نفسه بالاسم ، فكيف إذا كان بالصفات والدعاوى الكاذبة ، ومادح نفسه كاذب ولو صدق .

لقد كره النبى - عليه الصلاة والسلام - من المرأة أن يكون اسمها بَرَّة - فقال : لا تزكوا انفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم ، فقالوا : بم نسميها ؟ فقال - ﷺ : سموها زينب .

ولقد كان - ﷺ : يعجبه الاسم الحسن ويكره الاسم الخبيث فكان لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - زوجة اسمها (عاصية) فسماها النبى - ﷺ - (جميلة) ، كما سمى حربا (سلما) وشهابا (هشاما) كما سمى المضطجع (المنبعث)، وارضا عفرة سماها (خضرة)، وشِعْب الضلالة سماها (شعب الهدى)، وحزن سماه (سهلا).

وقال : ﷺ - فيما رواه مسلم وأبو داود والترمذى والطبرانى - « أحب الأسماء إلى الله ما تعبد له ، وأصدقها همام وحارث » .

وقال - عليه الصلاة والسلام : أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن . « وجاء فى - زاد المعاد - أن النبى - ﷺ - كان يستحب الاسم الحسن وأمر إذا أبردوا إليه بريداً أن يكون حسن الاسم ، حسن الوجه . وكان يأخذ المعانى

البقية ص ٤٦٨

المتعصبون فى غفلة عن
الحق المبين

للأستاذ
محمد صابر البرديسى

عن قتادة ان رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه :

« إنى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم ، وامروهم ان يشركوا بى غيرى » ـ رواه مسلم والإمام احمد .

اولاً ـ اللغة :

١ ـ حنفاء : يوحدون الله .. الإله الواحد .

٢ ـ اجتالتهم : ادارتهم ، وحولتهم عن قصدهم .

ثانياً ـ ما يشتمل عليه الحديث :

١ ـ المتعصبون فى غفلة من الله الحق .

٢ ـ ذكر الإنسان لله ، ليس استحضارا لغائب .

٣ ـ انعم اهل الدنيا ، واشدهم بؤسا فيها .

البيـــــان

١ ـ المتعصبون فى غفلة عن الله الحق :

إن فى ذكر الله ـ تعالى ـ ودوامه واستحضاره فى نفس المسلم وقلبه حصناً يأمن معه المؤمن من الزلل ، كما يأمن ايضاً من مكر شرار الخلق ، وفى الغفلة عن ذكره تعالى ـ مفارقة لهذا الحصن تؤدى بالإنسان إلى نسيان نفسه فمعصية ربه ، فإن الغفلة عن الله غفلة عن الحق المبين .

وإذا كان بعض الناس مذهولين عن الحق المبين المصاحب لهم المحيط بهم ، فقد استبدلوا الغفلة ببصيرة تقود إلى الهدى والرشاد .

وقد أكثر القرآن الكريم من لفت الأنظار إلى هذه الغفلة وما يترتب عليها حتى يتقيها المؤمن ، فقال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ سورة الحج آية رقم ٤٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ .. سورة البروج آية رقم ٢٠ .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ﴾ سورة النمل آية رقم ٨١ .

وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ سورة الحديد آية رقم ٤ .

سبحانه بصير بما نعمل ، وهو معنا حيثما كنا .. الا تعين هذه الحقائق على صدق المعرفة بالله سبحانه وتعالى .

٢ ـ ذكر الإنسان لله ليس استحضارا لغائب :

وذكر الإنسان لله ليس استحضاراً لغائب ، فإنه سبحانه يقول عن نفسه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وإنما هو استحضار من الإنسان الغافل لوعيه هو ليفيق من غفلته فيحظى بحصن الله ، لكن الغافلين أوغلوا في غفلتهم وعسير عليهم أن يلجئوا إلى الهدى ، ولكن الله لطيف بعباده .

وعادة مايكون الغافلون متعصبين لما هم فيه ، والله غنى عنهم : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ . سورة الشورى آية رقم ٢٠ .

إن الله يرزق الصالح والطالح والمؤمن والكافر ، وقد وهبهم الله الحياة وكفل لهم الرزق ـ ولو منع رزقه عن العاصين والمارقين والكافرين لما استطاعوا أن يرزقوا أنفسهم ، ولماتوا عريا وجوعا وعطشا ، وعجزوا عن أسباب توفير الحياة الضرورية ، وهى أسباب ييسرها الله ـ تعالى ـ لهم ، وليسوا بقادرين على إنشائها وممارستها بغير إرادته سبحانه وتعالى ، فإنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد .

جعل الله ـ تعالى ـ الآخرة حرثا والدنيا حرثا ، يختار المرء منهما ما يشاء ، ويجعل الله لمن يريد الدنيا ما يشاء حسب إرادته .

فمن كان يريد حرث الآخرة ، عمل فيه ، وزاد له الله في حرثه ، وأعانه عليه بنيته ، وبارك له فيه بعمله ، وكان له مع حرث الآخرة رزقه المكتوب له في هذه الدنيا لا يحرم منه شيئاً ، حيث يرجو وجه الله في تثميره وتصريفه والاستمتاع به والإنفاق منه .

ومن كان يريد حرث الدنيا أعطاه الله من عرض الدنيا رزقه المكتوب له ، لا يحرم منه شيئاً وليس له في الآخرة من نصيب ، فهو لم يعمل لحرث الآخرة شيئاً ليحظى له بجائزة ، والأمر في النهاية مرتبط بالحق الذى هو من عند الله .

انعم اهل الدنيا ، واشدهم بؤسا فيها :

قد يعد الإنسان ماتملكه يداه نعمة ، ولكن النعمة في الحقيقة هى فيما يمكن الإنسان من السعادة الأخروية ، من إيمان بالله ورسوله ، وعمل بتعاليم دين الإسـلام ، ومن أداء الواجبات ، والتمسك بمكارم الأخلاق فأما ما وهبه الله للإنسان من الصحة والسلامة من كل مكروه ، وما أغدق عليه من وسائل النعيم ، من مال وبنين ، وزوجة وجاه ، فهذه النعم متى صاحبتها الهداية والرشاد ، وروعى فيهـا الواجبات والحقوق والشكر نالت من الله التوفيق والتأييد .

ولا تأييد ولا تأبيد لنعمة مكفورة وابطر ينأى عن الحق ويهدى إلى الجبروت ، وقد ضرب الله ـ تعالى ـ في ذلك مثلاً بـ(قارون) وأمثاله ، ممن أعمتهم الضلالة فظنوا أنهم أصحاب الأسباب ثم تمادى بهم الغرور فظنوا أنهم صانعوها . أولئك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وأولئك هم الفاسقون .

فأما المؤمنون ـ وهم عادة قلة ـ لا ينسون فضل الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ سورة البقرة آية رقم ٢٤٣ .

نرجو الله أن يبصرنا بالحق ..

والله الموفق .

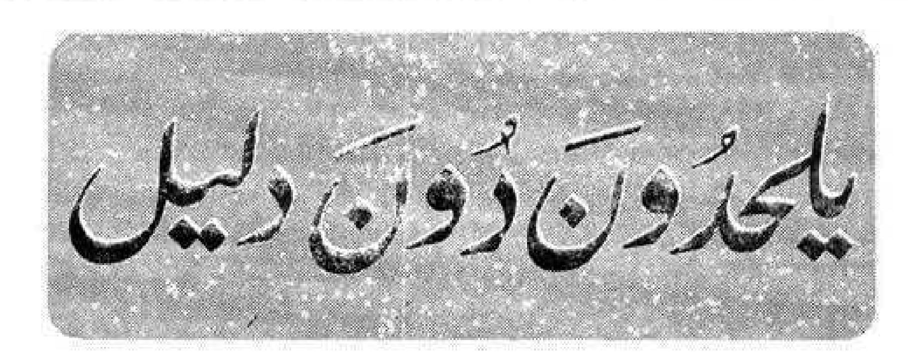

يلحدون دون دليل

للدكتور
محمد رجب البيومى

كان الإلحاد المارق فيما قبل ، يتخذ البحوث العلمية مداراً لشكوكه ، فما تجد نظرية منحرفة ، حتى يتسابق المتسرعون دون بصر علمى إلى تاييدها ، وتتوالى الصحف مشحونة بالأفكار المضطربة ، والنقول المتعارضة ، لتصل إلى هدفها المريض ، والقارىء الحصيف يلمس شبهات الزيغ بين السطور فيميز الطيب من الخبيث ، أما القارىء السطحى فتتقاذفه الشكوك ، حتى يجد من يهديه ..

اجل ، كانت البحوث العلمية مدار الشك المغرض ، ولكننا نرى القصة الأدبية تسهم بدورها فى هذا المجال ، فقد انتشرت بدعة الإلحاد فى بعض الروايات الهابطة ، وهو إلحاد لا يكلف القصاص عناء ما ، لأنه لا يلتزم بمنطق علمى واضح ، بل يجعل الأشخاص يتحاورون كما يتفق لهم الحديث ، فتتناثر عبارات الإلحاد من أفواههم مبتورة شاذة ، وتتوالى عبارات الرجس فى مواقف متتالية لتحدث أثرها الخادع بالتكرار لدى من لم يتحصن بالمعرفة الحقة ، وإذا كانت الرواية تطبع آلاف النسخ ، وتجد آلاف القراء ، فإن الحريق سيمتد لهيبه المدمر إلى قرائها وأكثرهم من المراهقين والمراهقات .

لقد كتب الأستاذ أحمد بهجت فى جريدة « الأهرام » نقداً هادفاً لقصة جديدة تنكر وجود الله ، وقيامة اليوم الآخر ، وتتهكم بالجنة والنار . كما تعرض أنبياء الله واحداً واحداً لتهزأ بمعجزاتهم ، ويتعاظم المؤلف فوق قدره القمىء فيجعل نفسه أستاذاً لرسل الله ، مستهزئاً بنار إبراهيم وسفينة نوح ، وهدهد سليمان ، وكأن هذه الأشياء الثابتة ونظائرها المعجزة لم تكن حقائق راسخة جاء بها التنزيل الحميد ، ثم يستطرد الفنان المزعوم إلى تفاهات سخيفة ليخرج بنتيجة كاذبة : هى أنه لا إله ولا رسل ، ولا بعث ولا جزاء ولا عقاب .

وليست هذه الأفكار بادىء ذى بدء مما يستغرب ، فالمنكرون الجاحدون للألوهية واليوم الآخر ، ولأنبياء الله ورسله ذوو عهد بعيد فى الإنسانية وما أتى رسول إلا كذبه قوم وآمن به أقوام ، وماأكثر ماتحمل رسل الله من العناء فى بسط الأدلة المقنعة دون أن يجدوا مناقشاً يستهدف الصواب بل ما أكثر ماجوبه الأنبياء بمن ينكرون البعث والجزاء ، دون دليل على

الإنكار ، إذ يقولون فيما حكى الله عنهم فى كتابه الكريم : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ، ولكن المستغرب أن يأتى روائى ناشىء بمضحكات ساخرة تبتعد عن المنطق ثم يلح فى تكرارها ، دون سأم ، كما أنه ليس من المستغرب أن تؤلف رواية تتحدث عن الجنة والنار وتعقد مقابلات خيالية لزعماء التاريخ ، وحواريى الرسل والأنبياء ، فقد اشتهر هذا الضرب من التأليف شرقاً وغرباً ، وألفت عنه الدراسات المقارنة فى الآداب المختلفة ، وأقربها إلى الذهن ما قيل عن تأثير حديث المعراج فى كوميديا « دانتى »الإلهية ورسالة الغفران لأبى العلاء ، ولكن المستغرب أن يؤلف ناشىء عابث رواية تتحدث عن الجنة والنار ليسب الأنبياء والمرسلين ، ولينكر الذات الإلهية ، ويجزم بانتفاء البعث والجزاء ، ثم يتاح لهذه الرواية أن تذاع ، وتجد من يشير إليها من المجندين مدافعاً ، متذرعاً بما يزعمه من حرية الفكر ، على نحو ما نألف فى حياتنا الثقافية منذ انتشر وباء الإلحاد مما زكمت به الأنوف حيناً من الدهر ، وفى يقينى أن المؤلف العابث لم يسطر هراءه إلا اعتماداً على قوم يشاركونه منحاه ، وهو فى نفسه سعيد بترداد الحديث عنه ، سواء كان الحديث تأييداً أو تفنيداً ، فقد أضيف اسمه إلى أنصار الرأى الحر ودعاة التقدم والنهوض .. وإذا أراد القارىء أن يقف على نمط من تفكير هؤلاء العابثين ، فإنى أنقل له ما زعمه بعض (المغرورين) ممن يصطنعون الحوار المريض فى تأكيد الإلحاد الكافر ، حين قال على لسان بعض الشخصيات : إن « جاجارين » الروسى صعد إلى السماء ودار بعينه فى الفضاء فلم يجد الله !!

وكأن الكاتب قد جاء بفلق الصبح حين استشهد برحلة « جاجارين » الشاب المادى الماركسى ، وما درى أن « جاجارين » قد اختير للرحلة ، لا لكفاءة عقلية ولا لمزية إنسانية ، بل لأنه ذو جسم قوى يتحمل مرهقات الرحلة فى أعلى طبقات الجو ، فمثله مثل الحصان القوى الذى يختار لقطع مسافة طويلة ، ثم ينتهى دوره بانتهاء الرحلة ! فهل إذا قال إنه لم ير الله ، يكون كلامه موضع استشهاد ، وقد اعترف بقوله إنه يجهل كل شىء عن الله ! أكان لرب العزة مكان خاص ، حتى يجده غائباً عنه ، أم كان يرى بالعيان ، وهو الذى لا تدركه الأبصار ! أما كان الأولى أن نسكت عن تسجيل خزى فاضح ينطق بالجهل والغباء ! بل كان الأولى أن نعتبر قائله ذا بلاهة رعناء !

هذا نمط مما يقال ! أفنعتد هذا التخريف العابث دليل حرية وارتقاء ، أم أنه آية تهور وانتكاس !؟ لقد وجدنا من الأغرار من رحب بهذا التخريف العابث وعمل على نشره فى أكثر من مجال ، وهم قوم نعرفهم بسيماهم ، كما نعرفهم فى لحن القول وصريحه معاً ، فكيف يجهلون ! ولهم فيما يسمى بالفن الأدبى زملاء يشاركونهم سوء النية إذ يلبسون الحق بالباطل ، عن خداع يعرفون أبعاده عن يقين ، فليس كتاب الرواية وحدهم من نعنيهم بالمؤاخذة الجادة على ما يثيرون من شبهات لا يعرفون أبعادها ، وإنما يسوقون الحوار العابر لا لتمحيص الحقائق فى ضوء النقاش الهادف ، بل لإثارة الشكوك دون يقين ، ليس هؤلاء وحدهم ، فإن هناك فريقاً من الشعراء قد سبقوا القوم إلى إذاعة الأراجيف الغائمة ، فكل من يعرف الوزن العروضى ، ويزعم لنفسه صفة التجديد ، يظن أن التساؤل عن المجهول باب من أبواب الفلسفة الشعرية ،

يلحـدون دون دليل

فيفجأ القارىء بأسئلة عن أصل الكون ؟ ماالبداية ؟ ماالنهاية ؟ ويعلن انه ليس يدرى ؟

بل ربما تطرق فى نزق إلى قيوم السموات والأرض ، فتساءل من هو ؟ وفى أى مكان ؟ وكيف أوجد الكون ؟ تساءل تساؤل المشكك ، لا تساؤل من ينشد الحقيقة ؟ ويعتقد أنه بذلك العبث قد أصبح الشاعر الفيلسوف ؟ ولعل الشاعر العراقى جميل صدقى الزهاوى كان أوسع من خاضوا فى هذه الأراجيف دون بصيرة ، وقد زار مصر فى العشرينيات ، وفسحت له جريدة السياسة مجالاً ممتداً لقصائده الإلحادية ثم كانت الطامة حين نشر قصيدة تحت عنوان الطبيعة ، يقرر فيها أنها هى القوة الموجودة للكون ! ولم يشأ العلامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى أن يسكت على هذا الهذر ، فوجه للشاعر كتاباً على صفحات السياسة يدعوه إلى محاورة علمية تدور حول ماجاء عن الطبيعة فى قصيدته ، ورجاه أن يذكر البراهين التى اهتدى إليها لتكون موضع مناقشة جادة ! أفيدرى القارىء ماذا كان جواب الشاعر الفيلسوف ، إنه رد معتذراً بالمرض ، ومعلناً انه يزور مصر للراحة لا للجدل ، وأنه يقدر حماسة الأستاذ محمد فريد وجدى لإيمانه راجياً أن يتركه هادئاً ؟! أفلو كان الشاعر المتفلسف ذا اقتناع بإلحاده ومالكاً لبراهينه وأدلته ، أكان يؤثر الانسحاب فى استخذاء !

هذا شأن أكبر شعراء التساؤل الإلحادى ، فما ظنك بمن لا يبلغون مبلغه من الدراسة والتجربة والجلد على المصاولة والحجاج ! إنهم يتعللون بالمادية الصماء ، وبأنهم لا يؤمنون إلا بما يحسون ، كأن الحواس وحدها ، هى المقياس ، فلو قلت لهم إن الإنسان مزود بحواسه منذ خلق ، وقد أتى عليه حين من الدهر لا يعرف أرضاً يسكنها زملاؤه فى الإنسانية وهو يشترك معهم فى سكنى كوكب واحد ، بل أتى عليه حين من الدهر لا يعرف شيئاً عن الجراثيم والميكروبات ، ولا يدرك ماهية الكهرباء والمغناطيس والذرة ! فهل كانت هذه الأشياء غير موجودة لأنها لا تدرك بالحواس حينئذ ، أو أن الوجود ملىء بالمساتير المجهولة ، وأن العلم إذا كشف طبقة من هذه المساتير ، فأمامه عدة طبقات ، حتى تنجلى السجوف شيئاً فشيئاً تصديقاً لقول الله ـ عز وجل ـ ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

وإذا كانت بعض الصحف الذائعة تُحبذ نشر الترهات الإلحادية وتفسح لها أوسع مكان ، فإن هذه الصحف لا تنشد الحقيقة لذاتها فى شىء ، إذ أنها حين تنشر هذا العبث ، تمتنع امتناعا كريهاً عن نشر ما تتمخض عنه الأحداث العالمية ، حين يدعو الحدث إلى الإيمان واليقين ، فقد عقدت المؤتمرات العلمية قرابة عامين فى أمريكا لتزييف نظرية أصل الأنواع ، ودحض ما اهتدى إليه (دارون) فيما يسمى بنظرية التطور ، وأصبح الشك فى هذه النظرية أصلاً ثابتاً لا شبهة فيه ، حتى امتنعت أكثر المدارس هناك عن تدريسها كمسألة ذات يقين ، وقام أحد أولياء الأمور فى (كاليفورنيا) برفع قضية على إحدى المدارس التى لا تزال تدرس النظرية دون أن تقدم للطلاب ما دار حولها من الشكوك والاعتراضات ، وجاء حكم القاضى المنصف صريحاً فى الجزم بأن نظرية التطور من قبيل

الاحتمالات الفرضية التى لم تصل إلى درجة الإثبات ، وأن على المدارس أن تتجنب تقرير ما جاء بها وكأنه حق ، أجل أصدرت محكمة (سكرامنتو) هذا الحكم الدامغ ، ورحبت به الجرائد الأمريكية ودعت المدارس والجامعات إلى الالتزام به ، وتناقلت الصحف فى أوروبا القضية فى كل مكان ، ولكن بعض صحف العرب فى بلاد الإسلام لم تشأ أن تشير إلى ما ذاع وشاع ! مع انها لا تكاد تسمع أكذوبة دنيئة تحاك حول قضية دينية حتى تفسح لها شتى المجالات ! انقول بعد ذلك إن الإلحاد الدينى هدف مقصود لدى بعض صحفنا الواسعة الانتشار ؟ وأن ما تنشره فى رمضان من البحوث الهامشية لا يخرج عن إتجار كاذب يراد به الكسب المادى دون إيمان صريح بما يقال ، إننا لو قلنا بذلك لوجدنا الأدلة الواضحة التى تعلن انفصام هذه الصحف عن صراط الحق ، وجدناها صريحة فى إذاعتها الأراجيف ، وإغفالها اليقين من حقائق الدين الحنيف ، ولئن اشتد أسفنا لهذا التجاهل الغريب ، فإن سرورنا ليكتمل حين نرى الأفذاذ من أئمة العلم التجريبي ، يملكون من الأدلة المقنعة ، والبراهين الدامغة ما يشفى صدور قوم مؤمنين .

لندع شكوك الأغرار من ذوى العواطف المضطربة إلى يقين العلماء الأفذاذ ممن درسوا قضايا الكون ، وخفايا التركيب الإنسانى دراسة مطمئنة أوصلتهم إلى اليقين الجازم بوجود خالق مدبر ، يبدع العالم على أحسن نظام ، وأدق ترتيب ، وحين نجد بعض الشذوذ فى مؤلفات ذوى الدراسات الإنسانية من علماء النفس وعلماء الاجتماع ، فإننا لا نحفل بهذا الشذوذ الذى تطل أفاعيه من السطور نافثة سمومها القاتلة ، لأن أصحاب الدراسات الإنسانية جميعهم نظريون لا يعتمدون على التجارب الصادقة ، والمجاهر الدقيقة ، كما يعتمد علماء الطبيعة ، وأساتذة التشريح ، فالشطحات الفكرية لدى من يؤمنون بالمادية من أمثال فرويد ودوركهايم لا تزن شيئاً فى ميزان الأثبات الثقات من ذوى المشاهدة التجريبية ، والمسائل الرياضية ذات النتائج الصحيحة ، لذلك نجد لهؤلاء العلماء يقيناً ثابتاً فى خالق الكون ، وإيماناً مطمئناً بإله مدبر يحيط بكل شىء علما ، حيث لا تعذب عنه غائبة فى السماء والأرض .

لقد نشر الدكتور (دنبرت) البحاثة الألمانى إحصاء تفصيلياً لآراء مائتين وتسعين عالماً من كبار رجال الفلسفة والطبيعة والطب فى القرون الأربعة الأخيرة ، ليصل إلى ما استقر فى وجدانهم من العقيدة الثابتة ، فاتضح له أن اثنين وتسعين فى المائة من هؤلاء الكبار يؤمنون كل الإيمان بفاطر السموات والأرض ، وهى نسبة ممتازة تتضاءل جوارها ثمانية فى المائة ما بين متردد ، وجاحد ، كما جاء فى خاتمة هذا البحث تسجيل لرأى العلامة الكبير (باستور) صاحب الاكتشافات الطبية الباهرة فى القرن الماضى حيث قال : إن العلم الصحيح لا يمكن أن يكون مادياً ، ولكنه على النقيض من ذلك يؤدى إلى زيادة العلم بمن أبدع الكون وأداره على أحسن نظام ، وينطق بكمال الحكمة التى خلقت النواميس الطبيعية للوجود فى كمال لا حد له » .

وليس هذا الكمال مما يوصف به التدبير الكونى جزافاً دون دليل ، فإن النظر المتعاقب فى دقائق الكون ينطق بهذا الكمال المطلق نطقاً صريحاً يدعمه الدليل ، ودونك بعض الأمثلة إن الأرض التى تدور حول محورها بمعدل ألف ميل فى الساعة الواحدة ، لو أبطأ دورانها عن مقداره المحدد ساعة من زمن لانتقلت أشعة الشمس إلى

يلحدون دون دليل

الأرض فأتت على الأخضر واليابس ، وإن بعد الأرض عن حرارة الشمس التى تصل درجتها إلى اثنى عشرة الف درجة يتيح لها أن تنعم بالدفء وأن تتجنب الاحتراق ، فإذا جمدت الشمس دون أن تجرى لمستقر لها ، وإذا قربت اليابسة شيئاً ما عن موضعها الأصلى ، فإن الفناء محقق محتوم ! فمن ضبط الموقعين على نحو يمنع الاضطراب ؟ أهى المصادفة ! أم التدبير الحكيم ؟ والقمر يبعد عن الأرض مائتى ألف وتسعة وثلاثين من الأميال ، فلو تحرك موضعه قريباً منها ذات مرة لتعرضت الأرض إلى موجات المد من المحيطات الزاخرة حولها ، ولغرقت جميعها فى طوفان لا يبقى ولا يذر ، فمن منع هذا الخطر ؟ أهى المصادفة أم التدبير الحكيم ؟!

ونحن نتحدث عن الغلاف الجوى الآن ونرى أنه معرض للثقوب ، بما يرتفع إليه من المواد المهلكة ، فهل نعلم أن هذا الغلاف قد اختير اختياراً دقيقاً ، بحيث لو كان أخف كثافة مما هو عليه الآن لسمح للشهب أن تجتازه لترمى الأرض بالنار والدمار ، ولن تستطيع مقاومتها أدوات الإطفاء ، لأنها حينئذ بمثابة فأر ضئيل أمام أسد هوال !

هذا عن الكون فقط ، فما ظنك بعجائب الخلق فى دنيا الإنسان والحيوان والشجر والنبات مما سجلت فيه مئات الكتب ، ودارت حوله آلاف البحوث التى كتبها علماء متخصصون يلمسون القدرة القادرة فى كل نبضة دم ، ورجفة قلب ، واهتزاز غصن ، ورحلة طير ، وهجرة سمك ، ونسمة هواء ، أفنترك ذلك كله ، لنصدم بين الآونة والآونة بكاتب عابث ينشر رواية مسفة ، لا تحمل ذرة ضئيلة من بوارق الفن الأدبى ، بل ترجم الناس بهراء مجنون ، أو نفاجأ بمتشاعر يدعى التفلسف حين يتساءل فى بلاهة : من أنا ؟

ومن أين جئت ؟ وكأنه لم يسمع الجواب الحاسم تنطق به مشاهد الكون قبل أن تسجله بحوث الثقات ، أليس من الخبل الخابل أن نحتفل بكل ساخر عابث ، لا لشىء إلا لأنه يصد عن سبيل الله ، ويفتح باب الشهوات لمن يسرهم أن تنتهى الحياة دون مثوبة أو عقاب ، بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ، حين يسأل أيان يوم القيامة ؟ وسيراه عياناً إذا برق البصر ، وخسف القمر ،

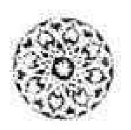

النفس الإنسانية

حرمتها وموقف الإسلام من المعتدى عليها

لفضيلة الدكتور
محمد أحمد جمعة

لقد اقتضت حكمته سبحانه ان يخلق المخلوقات ويبدع الكائنات بإتقان وإحكام وفى كمال وانسجام . ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(1) واخبرنا سبحانه بانه ما خلق خلقه ولا ابدع كائناته لهوا ولا لعبا قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾(2) وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾(3) .

النفس الإنسانية بين تكريمها والمحافظة عليها :

وتجلت حكمته سبحانه فى خلقه لهذا الإنسان على فطرته التى فطره عليها فخلقه فسواه فعدله فى اى صورة ما شاء ركبه : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(4) ، ثم افاض عليه من نعمه فكرمه واجتباه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ ﴾(5) .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾(6) ، وتعهده ورعاه بتعاقب الملائكة عليه ليلاً ونهارا : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(7) . وميزه على غيره بما أودع فيه من وسائل الإدراك وأسباب المعرفة : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(8) ومن الإنسان اصطفى الله رسله وانزل عليهم كتبه : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾(9) واجتبى عباده وحفظهم من كيد الشيطان : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾(10) وجعل اكرمهم عنده

---

(1) سورة النمل اية ٨٨ .
(2) سورة الانبياء اية ١٦ .
(3) سورة ص اية ٢٧ .
(4) سورة المؤمنون اية ١٤ .
(5) سورة الإسراء اية ٧٠ .
(6) سورة الجاثية اية ١٣ .
(7) سورة الانفطار الايات ١٠ : ١٢ .
(8) سورة النحل اية ٧٨ .
(9) سورة الحج اية ٧٥ .
(10) سورة الحجر اية ٤٢ .

﴿ وموقف الإسلام من المعتدى عليها

اتقاهم ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[11] فخلق الإنسان إذن لم يكن عبثا ووجوده لم يكن إلا لحكمة ... قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[12] فلا عجب إذن أن كانت النفس الإنسانية فى شرع الله مقدسة يجب حمايتها والمحافظة عليها والدفاع من أجلها وألا نعرضها موارد التهلكة كما يقول سبحانه : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[13] ، وأن التعدى عليها ظلم وقتلها حرام وحل دمها بغير حق كفر وأن من يستبيح ذلك إنما يجرم فى حق الإنسانية كافة . وفى حق المجتمع جميعا يقول سبحانه : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .. ﴾[14] .

قتل النفس .. انتهاك وخروج على تعاليم الإسلام :

وظاهرة التعدى على النفس فى المجتمع الإنسانى إنما هى خروج على تلك القوانين وتعد على كل الحدود واستباحة للحرمات ومجاهرة لله سبحانه بالمعاصى ومخالفة للفطرة التى فطر الله الناس عليها وخلع لربقة الطاعة والولاء لرب العالمين .

فالله قد حرم علينا قتل النفس إلا بالحق فى أكثر من آية فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴾[15] حتى التى يحل قتلها بالحق كالزانى المحصن والقاتل لغيره المستبيح دمه لا يحل لنا كأفراد أن نباشر قتله وإنما ذلك لولى الأمر أو من ينوب عنه . ونهانا سبحانه عن قتل النفس ـ بقوله سبحانه : ﴿ .. وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[16] وتوعد على ذلك بالعذاب فى الآخرة فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾[17] .

فالدنيا تهون على الله ويهون زوالها عن قتل رجل سجد لله سجدة .. وعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتل النفس من السبع الموبقات قرينات الشرك بالله فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ .. « **اجتنبوا السبع الموبقات . قيل يارسول الله : وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل أموال اليتيم . والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** »[18] وفى « حجة الوداع » بين حرمة ذلك وحذرنا مغبته فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ **إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا إن كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة ..** »[19] .

وعلى هذا فظاهرة الانتحار مثلا من الموبقات المهلكات ، ومرتكبها مخالف للفطرة التى خلقه الله عليها فجاهد بالمعصية غير آبه بحدوده غير مستجيب لشرعه .

ومهما كانت الدوافع والأسباب من شدة مرض لازمه أو قهر أو عوز أو جور وظلم منعه

---

(11) سورة الحجرات آية ١٣ .
(12) سورة المؤمنون آية ١١٥ .
(13) سورة البقرة آية ١٩٥ .
(14) سورة المائدة آية ٣٢ .
(15) سورة الأنعام آية ١٥١ .
(16) سورة النساء آية ٢٩ .
(17) سورة النساء آية ٣٠ .
(18) رواه البخارى ومسلم .
(19) رواه مسلم .

حقه وحرمه مما له ، أو فقدان عزيز يحبه ، أو مال أو متاع تعب من أجله ، أو فوات منصب أو مفارقة جاه وسلطان ...

أو غير ذلك من الأسباب والدوافع فإنه لا يجوز له أن يقتل نفسه أو يعجل بحياته ويستجيب لنداء الشيطان متبعا فى ذلك هواه متجاهلاً فطرته غافلا عن هذا التحذير الإلهى :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢٠]

موقف الإسلام من الاعتداء على النفس :

فمن خالف ما نهى الله عنه من قتل النفس الإنسانية وإزهاق الروح البشرية أو بإتلاف لبعض الأعضاء أو الإصابة بجرح أو خلافه .

فمن فعل شيئاً من ذلك سيما القتل فقد ارتكب أعظم الذنوب فليس بعد الكفر ذنب أعظم من قتل المؤمن وإزهاق روحه ، وجدير به أن يكون أهلا لهذا العقاب الذى توعده الله سبحانه به فى الحياة الآخرة .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٢١] .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة الدماء** »[٢٢] .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **لا يزال المسلم فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما** »[٢٣] .

ولقد وقف الإسلام من هذا الجرم موقفا حاسما :

فإن الجناية ـ القتل ـ عن عمد .. بمعنى أن القاتل أصاب المؤمن بشىء من شأنه القتل كحديدة أو عصا غليظة أو ألقى عليه حجرا ثقيلاً أو رماه من شاهق أو أغرقه فى ماء أو حرقه بالنار أو خنقه بيده أو قدم له سما فى الطعام أو شراب فمات بذلك . فقد وجب عليه القود واستحق القصاص . لقول الله تعالى :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٢٤] .

ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يود وإما أن يقاد** » .

وإن كانت الجناية عن شبه عمد بمعنى أن الجانى قصد ضربه بما لا يقتل غالبا ولم يرد قتله .

كأن ضربه بعصا خفيفة أو لكمه بيده أو أوقعه فى ماء قليل أو صاح فى وجهه أو هدد فمات بسبب واحدة من هذه الأمور .

وجب على الجانى الدية على عاقلته والكفارة عليه مع إثمه ... مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ﴾[٢٥] .

أما إن كانت الجناية عن خطأ بأن فعل ما يباح فعله كصيد أو رماية فطاش السهم أو الطلقة فأصاب شخصا فمات ..

وجب عليه الدية المخففة فى مال العاقلة وليس عليه إثم لعدم قصده القتل لمباشرته أمرا مباحا ، وإذا وجب للمسلم دم خير بين ثلاثة : أن يقاد له لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

---

(٢٠) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

(٢١) سورة النساء آية ٩٣ .

(٢٢) متفق عليه .

(٢٣) رواه البخارى .

(٢٤) سورة المائدة آية ٤٥ .

(٢٥) سورة النساء آية ٩٢ .

ومـوقف الإسلام من المعتدى عليها

الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾[٢٦] .

أو دفع الدية لقوله تعالى : ﴿ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾[٢٧] .

أو العفو لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾[٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾[٢٩] .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من أصيب بدم أو خبل ـ أى جرح ـ فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : اما ان يقتص او ياخذ العقل ـ اى الدية ـ او يعفو فإن اراد الرابعة فخذوا على يديه »[٣٠] .

وقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ . . ﴾[٣١] .

موقف الإسلام من ظاهرة الانتحار :

ولقد توعد الله ورسوله مرتكب جريمة الانتحار الذى قتل نفسه وعجل بحياته وأزهق روحه بأشد أنواع العذاب فى الآخرة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو ملعون مطرود من رحمة الله ، حرام عليه الجنة مخلد فى النار وأن عذابه فيها يكون بما قتل به نفسه وأزهق به روحه ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة »[٣٢] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجا بها بطنه يوم القيامة فى نار جهنم خالدا مخلداً فيها ابداً ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابداً »[٣٣] .

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار والذى يطعن نفسه يطعن نفسه فى النار ، والذى يقتحم يقتحم فى النار »[٣٤] .

وفى الصحيحين قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فجز بها يده فما رقا الدم ـ جف ـ حتى مات قال الله عز وجل : « بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة »[٣٥] ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾[٣٦] .

ويحدثنا جابر بن سمرة « رضى الله عنه » ان رجلا كانت به جراحة فأتى قرنا له ـ جعبة السهام ـ فأخذ مشقصا فذبح به نفسه فلم يصل عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فهذه النصوص تدلنا على مدى غضب الله سبحانه وغضب رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على من لجأ إلى وسيلة الانتحار ليخلص بها نفسه من هذه الحياة ويفارق بها الدنيا ويبتعد عن كل ما من شأنه يسىء إليه ويؤله .

---

(٢٦) سورة البقرة آية ١٧٨ .
(٢٧) سورة النساء آية ٩٢ .
(٢٨) سورة البقرة آية ١٧٨ .
(٢٩) سورة الشورى آية ٤٠ .
(٣٠) رواه أحمد .
(٣١) سورة النور آية ٢١ .
(٣٢) البخارى .
(٣٣) رواه البخارى ومسلم .
(٣٤) رواه البخارى .
(٣٥) رواه البخارى ومسلم .
(٣٦) سورة النساء آية ٣٠ .

الانتحار : جبن وخور لا شجاعة وإقدام :

ويخطىء من يظن – حتى ولو كان ذلك هو المنتحر ذاته – أن هذه شجاعة نادرة واجه بها اقسى الظروف وأسوأ المصائب والمصاعب فأراح نفسه منها وخلص ذاته من تبعاتها وجعل لهذه المتاعب والأسباب نهاية . خطط لها ودبر وعزم عليها فى إصرار نادر وعزيمة قوية وجراة قلما توجد فى إنسان فكان بعمله هذا فوق المصاعب وفوق المتاعب وفوق الأحداث لانه استطاع ان يخلفها كلها وراءه بقتله نفسه وإزهاقه روحه .

ونقول : إن هذا التصرف السىء ليس من الشجاعة فى شىء ولا يمت إليها بسبب من قريب أو من بعيد . وإنما كان هذا منه هو عين الجبن والخور والضعف والخذلان فقد ثبت ضعفه وخذلانه امام بعض أحداث الزمن ونكبات الايام مع انها سنة الله فى خلقه كما يقول سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾(٣٧) .

فما أن ضاق عليه رزقه وتقتر عليه دخله إلا هلع وفزع وضجر وسخط ، وما أن ابتلى بالمرض واختبر فى العافية إلا وييئس وقنط مثيله فى ذلك الزانى والسارق وشارب الخمر يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** ... » أو كما قال ...(٣٨) .

تعاليم الإسلام : هادية منجية :

فلو كان عنده أدنى صلة بالله لأحسن الظن حتى آخر لحظة فى حياته كما يأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – « **لا يموتن احدكم إلا وهو يحسن بالله الظن** » .

ولو كان على قرب من تعاليم دينه لا نتفع بقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث يقول : « **لا يتمنين احدكم الموت لضر اصابه – فإن كان لابد فاعلا فليقل : اللهم احينى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى** »(٣٩) .

بل ولو كان على مقتضى الفطرة التى فطره الله عليها يوم خلقه لكان منه بدل أن يورد نفسه موارد التهلكة ذليلة رخيصة هينة مطرودة من رحمة الله ، محرومة من الجنة ، مخلدة فى النار أن يقدمها غالية عزيزة زكية لتحقيق هدف سام وغاية عليا فى نصرة الدين أو تأييد حق أو حماية وطن أو دفاع عن مقدسات ، وحينئذ يكون موته حياة وحرمانه عطاء ونهايته جنة عرضها الأرض والسماء ويكون ضمن من وعدهم الله تعالى فى قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(٤٠) .

وحتى لا نغتر بفعل طاعة ، ولا نقنط من رحمة بعد معصية نضع نصب أعيننا وأمام بصائرنا قوله – صلى الله عليه وسلم – : « **إن احدكم يجمع خلقه فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات : يكتب رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد فو الذى لا إله غيره إن احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها ، وإن احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها** »(٤١) .

---

(٣٧) سورة محمد آية ٣١ .

(٣٨) رواه البخارى ومسلم .

(٣٩) رواه البخارى ومسلم .

(٤٠) سورة البقرة آية ١٥٧ .

(٤١) رواه مسلم .

إكرام القادم إلى المجلس بالقيام

في ضوء سنة خير الأنام

للدكتور
عبد البصير خليفة حسن

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين .

وبعد .. فقد أمر الله المؤمنين بالتفسح في المجالس فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[1] ، « فعلى المؤمن أن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق عن مكانه وموضعه »[2] . قال - صلى الله عليه وسلم - : « لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه »[3] ، « وكان ابن عمر - رضى الله عنهما - يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه »[4] .

وهذه مبادىء عليا ، ومثل عظمى دعا إليها الإسلام ، وحث عليها سيد الأنام ، وإذا كانت توسعة المجلس أدباً رفيعاً من آداب الإسلام ، فماذا عن إكرام القادم واستقباله بالقيام ؟

إنك في حياتك العملية واختلاط الناس ومعاملاتهم ، قد تصادف مَنْ تنسب إليه رذيلة كِبْر أو سوء خلق ؛ لأنه اعتاد عدم القيام لمن يدخل عليه . كما قد تشاهد من تمعر وجهه وتصبب عرقه أو من ذهب مغاضباً وتألى حلفة ألا يدخل على فلان مجلسه لأنه لم يقم له ، كما قد ترى من يتقبل عدم القيام بقبول حسن ، ويحمله لصاحبه على محمل حسن .

و« بين يديك أيها القارىء الكريم » ..

وهذه توجيهات رسول رب العالمين ، « فلا يزال الناس على الطريقة ما اتبعوا الأثر »[5] .

---

(١) سورة المجادلة آية ١١ .

(٢) « تفسير القرطبي » ٩/٦٤٦٧ ، ط دار الشعب .

(٣) « البخاري » ، الاستئذان - لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ١١/٦٢ ، « مسلم » ، كتاب الأدب - تحريم إقامة الإنسان من موضعه ١٤/١٦٠ .

(٤) « البخاري » ، الاستئذان - لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ١١/٦٢ .

(٥) « الحلية لأبي نعيم » ٣/٣٠٠ ط دار الفكر ، جامع بيان العلم وفضله ص ٤٠٩ ط دار الكتب الإسلامية .

وقال مجاهد : « ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك ، إلا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ » [6] . أسأل الله تعالى أن يعصمني من ضلة الأفهام ، وزلة الأقلام ، وأن يجعل هذا خالصاً لوجهه الكريم .

أولاً : أحاديث أرشدت إلى القيام :

الحديث الأول : عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : « لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليه ، وكان قريباً فجاء على حمار ، فلما دنا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قوموا إلى سيدكم » [7] .

الحديث الثاني : حديث كعب لما تخلف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة تبوك ، وفيه : « لما بشرت بالتوبة انطلقت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتلقاني الناس فوجاً فوجا يهنئونني بالتوبة يقولون : لتهنك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، ما قام إليّ رجل من المهاجرين ، ولا أنساها لطلحة » [8] .

الحديث الثالث : عن عبدالله بن الزبير في قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل ـ رضي الله عنه ـ قال : فلما دنا من مكة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : « يأتي عليكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً ، فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استبشر ، ووثب له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائماً على رجليه فرحاً بقدومه » [9] .

الحديث الرابع : روى أبو داود بسنده عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجلس معنا في المسجد يحدثنا ، فإذا قام قمنا قياما حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه ، فحدثنا يوماً فقمنا حين قام فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه ، فجبذه بردائه فحمر رقبته ، قال أبو هريرة : وكان رداء خشناً ، فالتفت فقال له الأعرابي : احمل لي على بعيري هذين ، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك » [10] الحديث .

---

(٦) « المدخل للبيهقي » ص ١٩٤ ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي .

(٧) أخرجه « البخاري » ، الجهاد ـ باب إذا نزل العدو على حكم رجل ٦/١٦٥ . مناقب الأنصار ـ مناقب سعد بن معاذ ٧/١٢٣ ، المغازي ـ مرجع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأحزاب ٧/٤١١ ، وفي الاستئذان ـ قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قوموا إلى سيدكم ١١/٤٩ من فتح الباري ط السلفية . مسلم في الجهاد ـ إجلاء اليهود من الحجاز ١٢/٩٢ـ٩٣ بشرح النووي ط المطبعة المصرية ، أحمد ٣/٧١ .

(٨) « البخاري » ، « المغازي » ـ حديث كعب ٨/١٣ ، مسلم ، التوبة ـ حديث كعب ١٧/٧٨ ـ ١٠١ .

(٩) « الحاكم في المستدرك » ، معرفة الصحابة ـ مناقب عكرمة ٣/٢٤١ ، المدخل إلى السنن الكبرى ـ باب ما يذكر في القيام لأهل العلم ص ٣٩٨ ، واللفظ للبيهقي .

(١٠) أخرجه أبو داود ، الأدب ـ الحلم وأخلاق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ١٣/١٣٢ ـ ١٣٣ من نسخة عون المعبود ، وأخرجه النسائي ، القسامة ـ القود من الجبذة ٨ / ٣٣ ـ ٣٤ ، والبيهقي في المدخل ـ باب ما يذكر في القيام لأهل العلم ص ٤٠١ ، قال الدارقطني : تفرد به محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة فقال : ثقة ، وقال مرة : ليس به بأس ، قيل : وأبوه ؟ قال : لا أعرفه . وسئل أبو حاتم الرازي عن محمد بن هلال ، قال : صالح ، وأبوه ليس بالمشهور . « عون الباري » ١٣/١٣٣ ـ ١٣٤ في أثناء التعليق على الحديث رقم ٤٧٥٥ .

إكرام القادم إلى المجلس

الحديث الخامس : روى أبو داود بسنده عن عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأجلسه بين يديه » (١١) .

الحديث السادس : روى الترمذي بسنده عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت : « ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلّاً وهدياً برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت :

وكانت إذا دخلت على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام إليها ، فقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها . فلما مرض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخلت فاطمة فأكبت عليه فقبلته ، ثم رفعت رأسها فبكت ، ثم أكبت عليه ثم رفعت رأسها فضحكت ، فقلت : إن كنت لأظن أن هذه من أعقل نسائنا ، فإذا هي من النساء ، فلما توفي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت لها : أرأيت حين أكببت على النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ ، فرفعت رأسك فبكيت ، ثم أكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت ، ما حملك على ذلك ؟ قالت : إني إذن لبذرة ، أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت ، ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقا به وذلك حين ضحكت » (١٢) . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عائشة .

ثانياً : أحاديث أرشدت إلى عدم القيام :

الحديث الأول : أخرج الترمذي عن أنس قال : « ما كان شخص في الدنيا أحب إليهم رؤيته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلموا منه كراهيته لذلك » (١٣) .

الحديث الثاني : أخرج أبو داود بسنده عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : « خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متوكئاً على عصا ، فقمنا إليه فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضا » (١٤) .

الحديث الثالث : أخرج أبو داود بسنده عن أبي مجلز ، قال : « دخل معاوية بيتاً فيه عبدالله

---

(١١) « أبو داود » ، الأدب ـ بر الوالدين ١٤/٥٤ من عون المعبود . قال المنذري : هذا معضل عمر بن السائب يروى عن التابعين . انظر عون المعبود .

(١٢) « أبو داود » ، الأدب ـ باب القيام ١٤/١٢٨ ـ ١٢٩ ، الترمذي ـ المناقب ـ فضل فاطمة ١٠/٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، الحاكم ، معرفة الصحابة ـ مناقب فاطمة ٣/١٥٤ ، وقال : على شرط الشيخين ، وصححه الذهبي .

(١٣) أخرجه الترمذي ، الأدب ـ كراهية قيام الرجل للرجل ٨/٢٩ ، وقال : حسن صحيح غريب .

(١٤) أخرجه أبو داود ، الأدب ـ الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك ١٤/١٤٣ ، وأخرجه ابن ماجه ، الدعاء ـ فضل الدعاء ٢/١٢٦١ ، وذكر الحافظ في « الفتح » أن الطبري أجاب عنه بأنه حديث ضعيف مضطرب السند . فتح الباري ١١/٥٠ .

ابن الزبير وعبدالله بن عامر ، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير ، فقال معاوية - رضى الله عنه - : اجلس يا ابن عامر ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » (١٥) .

آراء العلماء واستنباطاتهم من الأحاديث السابقة :

بعد أن ذكرت هذه الطائفة من أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يدل بعضها على جواز القيام ، ويدل بعضها الآخر على منع القيام - يحسن بنا أن نقدم للقارىء نماذج من آراء العلماء في هذه المسألة ، فأقول وبالله التوفيق :

ترجم البخارى فى الأدب المفرد ، فقال : « باب فى قيام الرجل لأخيه » (١٦) ، كما ترجم أبو داود : « باب القيام » (١٧) ، وكذا صنع البيهقى فى كتاب المدخل حيث بوب : « باب ما يذكر فى القيام لأهل العلم وغيرهم على وجه الإكرام » (١٨) ، ونقل قول الإمام مسلم فى تعقيبه على حديث « قوموا إلى سيدكم » : « لا أعلم فى قيام الرجل للرجل حديثاً أصح من هذا ، وهذا القيام على وجه البر ، لا على وجه التعظيم ، أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأنصار أن يقوموا إلى سيدهم » . أ هـ .

وقال الخطابى فى معالم السنن فى شرح حديث « قوموا إلى سيدكم » : « فيه من العلم أن قول الرجل لصاحبه : ياسيد غير محظور إذا كان صاحبه خَيِّراً فاضلاً ، وإنما جاءت الكراهية فى تسويد الرجل الفاجر ، وفيه أن قيام المرء بين يدى الرئيس الفاضل ، والولى العادل ، وقيام المتعلم للعالم مستحب غير مكروه ، وإنما جاءت الكراهية فيمن كان بخلاف هذه الصفات » (١٩) .

وقال النووى فى الأذكار : « وأما إكرام الداخل بالقيام ، فالذى نختاره أنه مستحب لمن كان فيه فضيلة ظاهرة من علم أو صلاح أو شرف أو ولاية ونحو ذلك ، ويكون هذا القيام للبر والإكرام والاحترام ، لا للرياء والإعظام ، وعلى هذا استمر عمل السلف والخلف » (٢٠) .

وقال البيهقى : « القيام على وجه البر والإكرام جائز ، كقيام الأنصار لسعد ، وطلحة لكعب ، ولا ينبغى لمن يقام له أن يعتقد استحقاقه لذلك ، حتى إن ترك القيام حنق عليه أو عاتبه أو شكاه ، قال أبو عبدالله : وضابط ذلك أن كل أمر ندب الشرع المكلف بالمشى إليه ، فتأخر حتى قدم المأمور لأجله ، فالقيام إليه يكون عوضاً عن المشى الذى فات » (٢١) .

وبوب الترمذى - رحمه الله - على حديث أنس فقال : باب فى كراهته قيام الرجل للرجل ، وترجم لحديث معاوية ، باب كراهية القيام للناس » (٢٢) .

---

(١٥) أخرجه أبو داود فى الأدب - قيام الرجل للرجل ١٤٢/١٤ ، وأخرجه الترمذى ، الأدب - كراهية قيام الرجل للرجل ٣٠/٨ ، وقال : حسن .

(١٦) الأدب المفرد ص ٢٧٧ .

(١٧) سنن أبى داود ١٢٥/١٤ .

(١٨) « المدخل » للبيهقى ص ٣٩٨ .

(١٩) « معالم السنن » ١٥٥/٤ ط المكتبة العلمية .

(٢٠) « الأذكار » ص ٢٢٩ ط مكتبة جمهورية مصر العربية .

(٢١) « فتح البارى » ٥٢/١١ .

(٢٢) « سنن الترمذى » ٢٩/٨ من تحفة الأحوذى .

♦ إكرام القادم إلى المجلس

وقال ابن الحاج فى كتاب المدخل : « وينبغى للعالم أن يتحرز فى نفسه بالفعل ، وفيمن جالسه بالقول ، من هذه البدعة التى عمت بها البلوى ، وكثر وقوعها عند الصغير والكبير منا ، ممن يعرف العلم وممن لا يعرفه ، أعنى فى الأكثر إلا من وفقه الله - وقليل ما هم - وهو هذا القيام الذى اعتاد بعضنا لبعض فى المجالس والمحافل ؛ لأنه لم يكن من فعل من مضى ، والخير كله فى الاتباع لهم » (٢٣) .

وقال ابن الحاج فى المدخل أيضاً : « وقد وقع لمالك - رحمه الله تعالى - فى العتبية من (كتاب النكاح) أنه سئل عن الرجل تكون له المرأة الحريصة المبالغة فى تأدية حقه ، فإذا رأته داخلاً تلقته فأخذت عنه ثيابه ونزعت نعليه ، ولم تزل قائمة حتى يجلس ، فقال : أما تلقيها إياه ونزعها ثيابه ونعليه فلا أرى فى ذلك بأسا ، وأما قيامها فلا أرى ذلك ، ولا أرى أن تفعله ، هذا من التجبر والسلطان .

فقلت : والله ما ذلك شأنه ولا يشتهى هذه الحالة ، ولكنها تريد إكرامه وتوقيره وتأدية حقه ، وإنه لينهاها عن ذلك .

فقال لى : كيف استقامتها فى غير ذلك ؟

فقلت له : من أقوم الناس طريقة فى كل أمرها .

فقال : تؤدى حقه فى غير هذا ، وأما هذا فلا أرى أن تفعله ، إن هذا من فعل الجبابرة ، وبعض هؤلاء يكون الناس جلوساً ينتظرونه فإذا طلع عليهم قاموا له حتى يجلس ، فلا خير فى هذا ولا أحبه ، وليس هذا من أمر الإسلام ، فأرى أن تدع هذا وتؤدى حقه فى غير ذلك ، وليس هذا من الذى أخبر الله تعالى عنه : ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٢٤) .

قال عمر بن الخطاب للدابة التى ركب : ما نزلت عنها حتى تغيرت ، قال مالك : ولعمر فضله » (٢٥) ا . هـ .

وقال ابن كثير - رحمه الله - فى شرحه لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(٢٦) . « وقد اختلف الفقهاء فى جواز القيام للوارد إذا جاء ، على أقوال : فمنهم من رخص فى ذلك محتجاً بحديث « قوموا إلى سيدكم » ، ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث : (من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) . ومنهم من فصل فقال : يجوز عند القدوم من سفر ، وللحاكم فى محل ولايته ، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ ، فإنه لما استقدمه - صلى الله عليه وسلم - حاكماً فى بنى قريظة فرآه مقبلاً ، قال للمسلمين : قوموا إلى سيدكم ، وما ذلك إلا ليكون أنفذ لحكمه ، والله أعلم ، فأما اتخاذه ديدنا فإنه من شعار العجم » (٢٧) .

وقال الغزالى فى الإحياء :

« القيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام » . ا . هـ (٢٨) .

---

(٢٣) انظر : « المدخل » لابن الحاج ١/١٥٨ .
(٢٤) سورة النمل آية ٤٠ .
(٢٥) « المدخل » لابن الحاج ١/١٩٣ - ١٩٤ .
(٢٦) سورة المجادلة آية ١١ .
(٢٧) « تفسير ابن كثير » ٤/٣٢٥ .
(٢٨) « إحياء علوم الدين » ٦/١٠٠٨ ط دار الشعب .

قال الحافظ في الفتح : « وهو تفصيل حسن » [٢٩] .

وقال ابن رشد في البيان والتحصيل : « القيام للرجل على أربعة أوجه : وجه يكون القيام فيه محظوراً ، ووجه يكون فيه مكروها ، ووجه يكون فيه جائزاً ، ووجه يكون فيه حسناً ، فأما الوجه الذى يكون فيه محظوراً لا يحل ، فهو أن يقوم إكباراً وتعظيماً لمن يجب أن يقام إليه تكبراً وتجبراً على القائمين إليه . وأما الوجه الذى يكون القيام فيه مكروهاً ، فهو أن يقوم إكباراً وتعظيماً وإجلالاً لمن لا يحب أن يقام إليه ولا يتكبر على القائمين إليه ، فهذا يكره للتشبه بفعل الجبابرة ، وما يخشى أن يدخله من تغيير نفس المقوم إليه ، وأما الوجه الذى يكون القيام فيه جائزاً ، فهو أن يقوم تجلة وإكباراً لمن لا يريد ذلك ولا يشبه حاله حال الجبابرة ، ويؤمن أن تتغير نفس المقوم إليه لذلك ، وهذه صفة معدومة إلا من كان بالنبوة معصوماً ؛ لأنه إذا تغيرت نفس عمر ـ رضى الله عنه ـ بالدابة التى ركب عليها فمن سواه بذلك أحرى . وأما الوجه الذى يكون القيام فيه حسناً فهو أن يقوم الرجل إلى القادم عليه من سفر فرحاً بقدومه ليسلم عليه ، أو إلى القادم عليه مصاب بمصيبة ليعزيه بمصابه ، وما أشبه ذلك ، فعلى هذا يتخرج ما ورد في هذا الباب من الآثار ولا يتعارض شيء منها » [٣٠] .

وبعد ماعرضناه لبعض أحاديث جواز القيام للقادم للمجلس وبعض أحاديث المنع ، وبيان استنباطات العلماء ، ومناقشتهم لأحاديث المنع والجواز نقول : إن تفصيل ابن رشد ـ رحمه الله ـ المذكور في هذه المسألة هو أسلم طريق للجمع ، وبه يحصل التوفيق بين هذه الأحاديث التى في ظاهرها التعارض ، فتحمل أحاديث الجواز على حالات معينة ، وأحاديث المنع على مواقف أخرى اقتضت ذلك .

وإذن فالمنع ليس على وجه الإطلاق والإباحة ليست كذلك ، وبهذا المسلك الحسن تلتقى وجهة نظر العلماء وتجتمع كلمة الفقهاء ، والله أعلم ، وبالله التوفيق ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

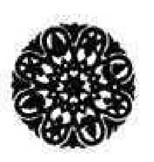

(٢٩) « فتح البارى » ٥٤/١١ .

(٣٠) انظر : المدخل لابن الحاج ١٦٨/١ .

للأستاذ/ توفيق إسلام يحيى

ذكرنا فى المقال السابق أن الصربيين فى شهر مارس من العلم الماضى وضعوا دستوراً جديداً ، قضوا من خلاله على الحكم الذاتى من غير موافقة ريلسة الاتحاد اليوغوسلافى ، وهى القناة الشرعية الوحيدة لكل تغيير يراد إيجاده . زعيم الصرب الشيوعى بدا التحرش بالمسلمين الألبانيين فى النصف الثانى من العلم الثامن والثمانين بدرجات متفاوتة[1] . وكان يبلغ هذا التحرش فى بعض الأيلم إلى درجة استخدام الأسلحة الخفيفة والثقيلة البرية والجوية ضد الألبانيين المسلمين العزل من السلاح إلا سلاح الإيمان بحقهم فى أن يعيشوا كما تعيش الشعوب التى تتكون يوغوسلافيا منها ، وقرارات الريلسة العامة تعطيهم هذا الحق . وكان زعيم الصرب الشيوعى يدعى ـ لتبرير موقفه من المسلمين الألبانيين ـ أن المسلمين الألبانيين يعتدون على الصرب الموجودين فى « كوسوفو » . وأكبر دليل على عدم صحة هذا الادعاء عدم حدوث شىء من ذلك فى أثناء حكم « تيتو » الذى كان يعامل جميع الشعوب بنسب متساوية . بعد صدور الدستور الجديد بدا يزداد هذا التحرش يوما بعد يوم إلى أن وصل إلى الذروة فى اليوم الثانى من يوليه علم ١٩٩٠ م . وهو اليوم الذى يسميه المسلمون الألبانيون يوم « المأساة الكبرى » .

---

(١) راجع تفصيل ذلك بمجلة الأزهر الغراء عددى رمضان وشوال سنة ١٤٠٩ هـ ص ٩٨٩ وص ١١١٠ ومابعدهما .

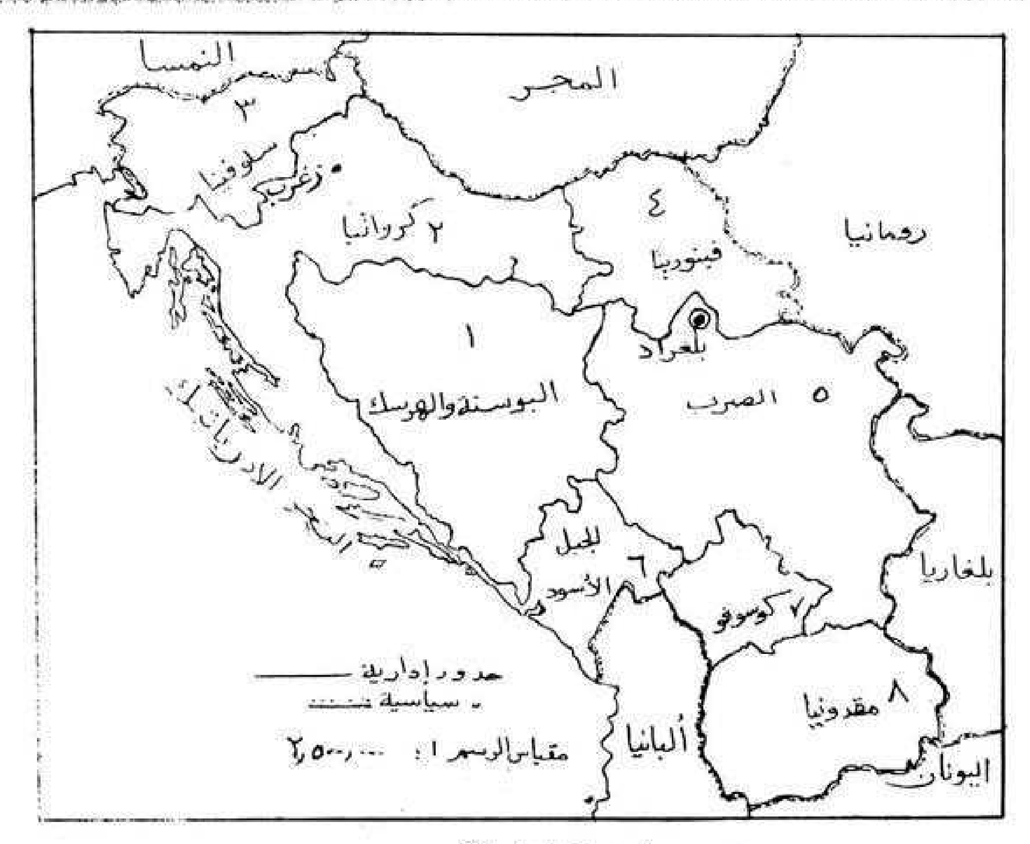

الجمهوريات اليوغوسلافية

يوم « المأساة الكبرى »

المتتبع لأحوال المسلمين فى يوغوسلافيا يرى العجب العجاب ، يقضى على حريات وكيان المسلمين فى « كوسوفو » والشرق ساكت هادىء . ويتحرش الصربيون بسكان « سلووينيا » و « كرواتيا » والغرب هادر صاخب ، ياللعجب !!

فى يوم الاثنين الثانى من يوليه ١٩٩٠ م ـ وهو يوم وقفة عيد الأضحى المبارك فتح أريج عيد الأضحى المبارك باب دار كل مسلم فى الدنيا فعطرها بأفخر أنواع الروائح الزكية وملأها بالفرح والأنس والمحبة . أما المسلمون فى « كوسوفو » فقد اقتحمت المأساة الكبرى باب دار كل مسلم فملأتها بالآلام والفواجع والدموع . وزاد بلواهم أن إخوانهم المسلمين غير عابئين بالنكبة التى أصابتهم فى هذا اليوم الحالك السواد بالنسبة لهم ، كأنهم لم يسمعوا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[٢] . صدقت

(٢) رواه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب .

موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

يارسول الله فيما قلت ولكن أين الآذان الصاغية ؟

ماذا حدث فى هذا اليوم الحالك السواد ؟

فى هذا اليوم بلغ النزاع الذى بدأ بعد رحيل « تيتو » والمسلح أحيانا بين الجمهورية الصربية الطامعة فى التهام إقليم « كوسوفو » وجعله تحت حكمها المباشر مستخدمة أسلحتها البرية والجوية/ وبين شعب « كوسوفو » الأعزل من السلاح ، فى هذا اليوم بلغ هذا النزاع آخر المدى : يكون الشعب أو لا يكون . لذلك عقد نواب الشعب فى هذا اليوم جلسة لتقرير المصير . وبعد تداول الكلمات وتبادل الآراء اتفقوا جميعا على رأى واحد هو الاستقلال وإنشاء الجمهورية السابعة التى لايمنع قيامها القانون الأساسى للاتحاد اليوغوسلافى إذا كان ذلك باختيار الشعب ، ووضعوا الصيغة التاريخية للقرار النهائى تمهيدا لإعلانه رسميا . وصلت أخبار ما يدور فى الجلسة عن طريق أجهزة التصنت الحديثة إلى القيادة الصربية فأمرت الجيش بحصار البرلمان وطرد نواب الشعب وإغلاقه وفى الوقت الذى وقف رئيس الجلسة لإعلان قرار نواب الشعب رسميا . فى هذا الوقت اقتحمت الجيوش الصربية البرلمان وطردوا نواب الشعب ومزقوا المستندات والأوراق الموجودة . وألغوا الحكم الذاتى ، وقبضوا على الحاكم العام . وعلى رئيس الوزراء والوزراء ، واقتحموا المنازل يعتقلون الشبان والمثقفين ، ويدمرون ما يقع تحت أعينهم ، وأما سلب ما غلا ثمنه وخف حمله فحدّث عنه ولاحرج ، وأغلقوا فى نفس الليلة ـ ليلة وقفة عرفات ـ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، ووضعوا « كوسوفو » تحت حكمهم المباشر ، وأحلوا الصربيين محل الألبانيين فى جميع الوظائف الإدارية . هكذا قضى مسلمو « كوسوفو » ليلة عيد الأضحى المبارك وأيامه فى مأساة موجعة أليمة تفتت الأكباد . هاجت مؤسسات الغرب مستنكرة ما حدث فى إقليم « كوسوفو » ، ولو شاركت المؤسسات الإسلامية فى هذا الاستنكار بصورة ما ـ علما بأن مأساة الخليج لم تكن وقعت ـ لتقهقرت الجمهورية الصربية متعللة بأية حجة حفاظا على ماء وجهها . لكن سكوت الشرق وهدوءه رغم هدير الغرب وصخبه جعل زعيم الصرب الشيوعى يظن أن العالم الإسلامى غير مبال بما حدث ، والعالم الغربى وإن كان صاخبا يمكنه التفاهم معه بحجة أنه يحمى الغرب من هجمات المسلمين .

زعيم الصرب الشيوعى إنما يخدع نفسه لأن الجيش الصربى لم يستطع أن يحمى الغرب من العثمانيين الذين اكتسحوا ـ بعد معركة « كوسوفو » بقرن تقريبا ـ الصرب والبوسنة والهرسك والمجر[٣] إلى أن وصلوا إلى فيينا . وإذا كان زعيم الصرب الشيوعى لم يقرأ التاريخ فليسأل مستشاريه قبل أن يقول كلاما يتفاكه به الغربيون ويتمازحون .

زعيم الصرب الشيوعى يعلن الحرب على الإسلام

قال هذا الزعيم فى العام الماضى : « إننا قد بدأنا الجولة الثانية من معركة « كوسوفو » ضد

---

(٣) يذكر التاريخ أن العثمانيين استولوا على المجر سنة ١٥٢٦ بعد المعركة المعروفة بـ « موهكز » وكانت معركة فاصلة قتل فيها ملك المجر « لويس الثانى » ، فأقام السلطان سليمان القانونى على البلاد ملكاً من أهلها هو الملك « جان زابولى » ، ولم يعين على البلاد ملكاً من أبنائه أو إخوته كما كان يفعل ملوك أوروبا .

المسلمين » . ولما كانت هذه العبارة قاصرة عن الإفصاح عن المعنى الذى يقصده صاحبها تولى احد اعضاء النهضة الصربية تفسير عبارته وإفصاح ما يقصده فقال : إن الصراع فى « كوسوفو » ليس بين الصرب والألبان . وإنما بين الإسلام والمسيحية . بهذا التفسير يتضح جليا مايقصده الزعيم الشيوعى بعبارته السابقة وهو إعلان الحرب على الإسلام .

ونحن بدورنا نطمئن هذا الزعيم بأن القضاء على الإسلام عاجلا أو آجلا أمر مستحيل . وإذا كان يجهل ذلك لقلة بضاعته فى التاريخ فليسأل مستشاريه المؤرخين ليبينوا له أن من كان أعظم منه شأنا وأقوى نفوذاً واشد خطرا - وهو فرديناند الأسبانى - عجز عن القضاء على الإسلام وعلى الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية بل ظهر الإسلام والفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية بصورة أجلى فى مناطق أخرى بدخول التتار فى الإسلام ، واشتداد عروة الدولة العثمانية التى استولت على البلقان وأخضعت المجر ووصلت إلى عاصمة النمسا بعد مائة وثلاثين عاما من فشل فرديناند الأسبانى من تحقيق طموحاته ، لأن الإسلام سيبقى شامخا فى العلو شموخ قمة « افرست » ، راسخا فى القاعدة رسوخ جبال هيمالايا إلى أن تقوم القيامة ، لأن الله سبحانه وتعالى .. أخبرنا بذلك حيث قال فى كتابه الكريم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٤]

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .

« التوبة - ٣٣ - والصف ٩ »

زعيم الصرب الشيوعى بدا يعتدى على شيوخ الإسلام فى « كوسوفو »

زعيم الصرب الشيوعى حينما أعلن الحرب على الإسلام كان قاصداً مايعنى بدليل انه طلب من اتباعه التحرش بعلماء الإسلام الأجلاء والاعتداء عليهم من غير أن يتدبر ما يمكن أن يترتب على هذا الاعتداء من عواقب وخيمة بسبب جرح مشاعر وأحاسيس مليار مسلم فى العالم . ومهما كان من أمرهم ، وخلافاتهم مع بعضهم فلهم دون شك مكانتهم وكلمتهم لدى المؤسسات العالمية المختلفة ، والمحافل الدولية السياسية .

العلماء الذين اعْتُدِىَ عليهم

١ - الشيخ انور رجبى من ائمة مدينة « جيلانى » قبضوا عليه لأنه حينما خرج من مسجده وجد حشوداً من الألبانيين يتظاهرون ضد طغيان الصرب فاشترك مع المتظاهرين للدفاع عن حقوق الألبانيين وكيانهم ومؤسساتهم الدينية والسياسية والإدارية . قبضوا عليه وقدموه أمام محكمة صورية حكمت عليه بالسجن ، وبعد أن قضى فى السجن عاما كاملا افرجوا عنه وطردوه من الوظيفة .

٢ - فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ رجب بويا - ابن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تلقى بها العلوم إلى أن نال درجة الدكتوراه - وهو الآن يتولى رياسة المشيخة الإسلامية والإفتاء بإقليم « كوسوفو » اعتدى عليه أتباع زعيم الصرب الشيوعى وعلى زوجته وأولاده قبل أسابيع فى أثناء عودته إلى العاصمة « برشتنه » عقب الإجازة الأسبوعية . وأُذكِّر رئيس وأساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - بالاعتداء على أحد ابنائها وهو يتقلد أعلى منصب دينى فى « كوسوفو » .

٣ - الشيخ عبد الله إسماعيل إمام مسجد الحميدية كان عائدا إلى منزله بإحدى ضواحى العاصمة « برشتنه » فأحاطت بسيارته القوات

---

(٤) الآية ٩ من سورة الحجر .

موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

العربية بحجة التفتيش ، ثم أخذوا يضايقونه بالفاظ .. ثم تحولت المضايقة إلى ضرب مبرح لدرجة أنه لم يستطع الوقوف ليركب سيارته ، فحُمِلَ إلى منزله ولزم فراشه أسبوعين . ولم يسترد نشاطه كاملا إلا بعد شهر . وإن لم تتخذ المؤسسات الإسلامية موقفا حازما فإن الخرق قد يتسع .

الإسلام دين الحرية والهداية والتراحم لا دين العنف والإكراه والتلاحم

الإسلام الذى أعلن زعيم الحرب الشيوعى الحرب عليه هو دين الله الواحد الأحد ، مالك الكون كله ، لو عرفه زعيم الحرب الشيوعى على حقيقته لما حاربه ، بل قدره . ولو رفض قبوله . التتار حاربوا الإسلام حربا شعواء . ولما عرفوه على حقيقته أسرعوا ـ كبارهم وصغارهم . رجالهم ونساؤهم ـ إلى اعتناقه مختارين ، وعملهم هذا أكبر دليل على صدق قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[5] . وحقيقة الإسلام متشعبه الجوانب أحاول أن أذكر بعضا منها باختصار غير مخل فأقول:

أولاً : الإسلام دين الحرية ، وقد جعل الإسلام لها مكانة عليا فى الحياة . ودليل ذلك لو أن مسلما تقدم إلى القاضى وادعى أن اللقيط الموجود عنده هو عبده ، وتقدم ذمى مدعيا أنه ابنه حكم القاضى بثبوت نسبه من الذمى[6] وسلمه له وكان حراً . ولو حكم به للمسلم لكان عبداً وربما بقى عبداً طول حياته .

هكذا ملكت الشريعة الإسلامية لهذا اللقيط شرف الحرية التى لا يستطيع أن ينالها بنفسه ، لأنها بيد سيده أما شرف الإسلام فإنه يستطيع أن يناله باختياره عند بلوغه رغم أنف سيده .

ثانياً : الإسلام دين الهداية إلى الصراط المستقيم ، الله عز وجل هو الذى خلق الإنسان وهو أعلم بأحواله وبما هو فى حاجة إليه لينجح فى حياته من الإنسان نفسه لذلك أرسل إليه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليهديه إلى الصراط المستقيم ، ويبين له المنهج الإلهى الذى يسير عليه فى عمله ليسعد فى دنياه وآخرته .

ثالثا : الإسلام دين التراحم حيث قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[7] . وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[8] .. وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »[9] . الدين وحده هو الذى يملأ القلب بالرحمة والألفة والمودة والحب .

رابعا : الإسلام ليس دين العنف كما يدعى الجاحدون بل هو دين الرفق واللين واللطف والصفح والعفو قال الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[10] . وليس فوق هذا اللطف لطف بين الناس أبدا .

خامسا : الإسلام ليس دين الإكراه ، بل هو دين الحرية كما سبق ذكره . وإذا دار الأمر بين الحرية والدين فالإسلام يملك الإنسان الحرية لأنها بيد سيده لابيده . أما الإسلام فإنه

---

(٥) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٦) راجع الجزء الرابع من شرح الزيلعى على الكنز ص ٣٣٤ .

(٧) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٨) الآية ١٠ من سورة الحجرات .

(٩) رواه الترمذى فى أبواب البر والصلة .

(١٠) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف .

يستطيع اعتناقه باختياره عند بلوغه لانه بيده لا بيد سيده . ولا يذكر التاريخ الصادق أن شخصا ما أكره على اعتناق الإسلام . وإذا وجد في التاريخ شيء من ذلك فهو من افتراءات الحاقدين على الإسلام .

سادسا : الإسلام ليس دين التلاحم والقتال إلا في حالتين اثنتين كلتاهما تعتبر حالة دفاع شرعي عن النفس والدفاع عن النفس مشروع من لدن آدم « عليه السلام » إلى قيام الساعة .

الحالة الأولى : الدفاع عن الدعاة والمبلغين الذين يأمرهم الإسلام بأن يدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويأمرهم بالصبر على العنت الذي قد يلقونه ، ويأمرهم بغض الطرف عما يسمعون من عبارات غير لائقة ولا يردون عليهم بمثلها . والنبي – صلى الله عليه وسلم – قوبل من بعض المشركين بألفاظ نابية ، منها الإجرام ، والله – عز وجل – أمره أن يرد عليهم رداً مثالياً في الأدب وحسن الخلق والحوار حيث قال له : ﴿ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[11]

وفي حالة الاعتداء على الدعاة ومنعهم من نشر الدعوة أذن الإسلام للمسلمين أن يحاربوا المعتدين للدفاع عن الدعاة الذين أمرهم الإسلام بنشر الدعوة بين الناس جميعاً .

الحالة الثانية : إذا اعتدى على المسلمين في أرواحهم أو أعراضهم أو أموالهم أو أرضهم ، أذن الإسلام للمسلمين أن يحاربوا المعتدين ويردوهم إلى ديارهم . والآيات القرآنية الكريمة كلها تفيد هذا المعنى . واكتفى بذكر آية واحدة منها وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[12] . هذه الآية الكريمة تامر المسلمين بأن يصنعوا كل أنواع الأسلحة بالغة مابلغت قيمتها لانها للدفاع عن النفس والعرض والمال .. الخ ، وما كان كذلك كان في سبيل الله ، ولهذا يرد الله – عز وجل – إليهم ما أنفقوه ، ولا يظلمهم أحد لأنهم – بما عندهم من أسلحة فتاكة صنعوها بأمر الله – تعالى – لهم – أقوياء يرهبهم أعداؤهم فلا يفكرون في الاعتداء عليهم ، وبفضل قوتهم يعيشون في أمان ، ويسلمون من ظلم أعدائهم .

هكذا تحدث القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً عن نظرية « السلم المسلح » .. الإسلام لا يحارب لإراقة الدماء ، وإنما يحارب لحفظ كيانه وحماية معتنقيه ، وإذا اعتدى عليهم أوجب على المسلمين جميعاً – لأنهم كمثل الجسد الواحد – أن يهبوا لرد المعتدين كما حصل في الحروب الصليبية التي تحركت جحافلها من أوروبا ومعها ملوكها وأمراؤها إلى الشرق لمحاربة المسلمين في عقر دارهم .

بعد هذا البيان الوجيز الواضح لا ينبغي لزعيم الصرب وأعوانه أن يدعوا أن الإسلام دين إراقة الدماء . أما القتال الذي يدور بين المسلمين في بعض الفترات فهو كالقتال الدائر بين الانجليز والأيرلنديين ، وكلهم مسيحيون ، وكالقتال الدائر بين الصربيين والكرواتيين وكلهم مسيحيون .

---

(١١) الآية ٢٥ من سورة سبأ .

(١٢) الآية ٦٠ من سورة الأنفال .

حول شهادات الاستثمار

بقلم المستشار الدكتور
أحمد محمد إبراهيم

نشرت الصحف المصرية يوم الجمعة ١٩٨٩/٩/٨ البيان الذى أصدره الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية عن الحكم الشرعى لعائد شهادات الاستثمار . وجاء فى ختام البيان :

وعما قريب ـ بإذن الله ـ سنتحدث ، بعد الرجوع إلى الخبراء من الاقتصاديين والفقهاء ، عن جوانب أخرى من المعاملات التى تجرى فى البنوك والمصارف ، فإنها متعددة المسالك ، متنوعة المقاصد .

ووفاء بهذا الوعد اصدر المفتى كتابه عن (معاملات البنوك وأحكامها الشرعية) وقال فى أوله : ايها القارىء الكريم ، إذا كان لك راى او تعليق على هذا الكتاب فارجو ان تبعث به إلى المؤلف .

واستجابة منى لما طلبه المفتى أعددت هذا التعليق على الكتاب ، ولئن كان المفتى قد طلب أن يرسل الرأى أو التعليق إليه على (دار الإفتاء المصرية) ، غير أنى آثرت نشر تعليقى على الكتاب ليكون تحت نظر من يهتمون بالموضوع ، لعلهم يجدون فيه نفعا أو يصححون فيه خطأ . وأبادر إلى إيضاح **أن هذا التعليق يقتصر على مناقشة آراء وأقوال جاءت بالكتاب رأيتها جديرة بالمناقشة ، ولا ينصب بصفة أساسية على حكم عائد المعاملات التى بحثها المفتى** فقد نشر الكثير عن ذلك .

ومن آخر ما نشر فى هذا الشأن ـ فيما أعلم ـ فتوى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر التى جاء فيها .

إن من الربا المحرم شرعا ان تاخذ وزارة التموين من الجمعية التعاونية الإسلامية بمحافظة الجيزة فائدة ٦٪ عن قرض مقداره مائة الف من الجنيهات منحته الوزارة للجمعية لتشغيلها فى تمويل المواد الغذائية التى تعمل فيها الجمعية ؛ لأن ذلك مما يدخل فى نطاق القروض بفائدة مشروطة محددة فتكون عقداً اشتمل على الربا فصار محرما . كما ان القول بانه لا ربا بين المصالح الحكومية ؛ لأن الحكومة تقرض الحكومة غير صحيح ، لأن القرض بفائدة مشروطة محددة مقدما يدخل فى معنى الربا شرعا وقانونا . والربا والتعامل به محرم فى الإسلام بين الأفراد والجماعات والدول . ولم يرد فى النصوص الشرعية استثناء طائفة من الناس او الحكومة او مصلحة من مصالحها أو

هيئاتها من سريان تحريم التعامل بالربا . (مجلة الأزهر : عدد ذى الحجة ١٤١٠ هـ يوليو ١٩٩٠ م) .

كما شكلت فى كلية الشريعة والقانون لجنة من علماء المذاهب الثلاثة : الشافعى والمالكى والحنفى - بناء على طلب مجلس جامعة الأزهر - لبيان الحكم الشرعى فى شهادة الاستثمار ذات العائد المجموعة (ب) التى أودعها السيد المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى بالبنك الأهلى المصرى ، على أن تكون وقفا لصالح مركز إعاقة الطفولة بجامعة الأزهر ينتفع بعائدها - ودرست اللجنة طبيعة هذه الشهادة فى ضوء مبادىء الشريعة الإسلامية وقواعدها ، ورأت بالإجماع : أن هذه الشهادة لا يتفق التعامل بها مع مبادىء الشريعة وقواعدها ، ويتضح ذلك من دراسة طبيعتها ، فهى عبارة عن صك يتم شراؤه بقيمة محددة ، ويلتزم البنك بأن يدفع للمشترى فائدة سنوية أو نصف سنوية ، تحدد هذه الفائدة مقدما عند الشراء ، ولمدة سريان الصك مودعا بالبنك ، كما يلتزم البنك بإرجاع قيمة الشهادة كاملة عند انتهاء مدتها ، وليس لذلك علاقة بأعمال البنك من ربح أو خسارة . فتبين للجنة من دراسة طبيعتها أنها تمثل قرضا جر نفعا . والقاعدة الشرعية : أن كل قرض جر نفعا يكون ربا ، والربا محرم فيكون التعامل بها محرما . وليست من القراض المشروع ؛ لأن الفائدة المقدرة فيها ليست جزءاً من الربح ، وإنما هى تعطى سواء ربح المال أم خسر أو لم يربح شيئا ، أما القراض المشروع فالجزء المقدر المشترط إنما يكون جزءا نسبيا من الربح ..

ويرفع هذه الدراسة إلى فضيلة الأستاذ الدكتور مدير الجامعة كتب يقول : إنه لا خلاف فى حرمة هذه المعاملة ، لكننا نريد الرأى فى أن المتبرع اتخذ هذه الوسيلة ، وتم التسجيل والكتابة بأنها وقف لا تباع ، فهل نقبل العائد المخصص للأطفال المعاقين خاصة اليتامى منهم أم لا ؟ مع العلم بأن قبول العائد يخلعه من الإثم .

وتدارست اللجنة السابقة التى رأت حرمة هذا العائد ، وجهة النظر هذه وانتهت إلى القول بأن وجهة النظر المذكورة غير سليمة ، ولا يصح أن يبنى عليها قبول التبرع . والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل . (مجلة الأزهر - عدد شعبان ١٤١١ هـ فبراير - مارس ١٩٩١ م) .

وانتقل الآن إلى التعقيب على أهم ما رأيته جديرا بذلك فى كتاب المفتى .

أولا : التحريف فى الفتوى :

تضمن كتاب المفتى البيان الذى نشرته الصحف يوم ١٩٨٩/٩/٨ ووصف فى الكتاب بأنه فتوى صدرت عن دار الإفتاء فى ١٩٨٩/٩/٦ . ولاشك فى أن هذه الفتوى سجلت فى سجلات دار الإفتاء بالنص الذى نشر فى الصحف .. وتعد على هذا الأساس وثيقة رسمية لا يجوز إجراء أى تغيير فيها . وإذا جاز الاستشهاد بشق مما جاء بالفتوى ، فإنه لا يجوز التعديل فيها بالحذف أو بالإضافة إذا أريد نشرها كاملة . ويصبح التعديل فيها تحريفا لها إذا شمل آراء كانت محل مناقشة وتفنيدا ممن اعترضوا على الفتوى ، ونشرت اعتراضاتهم فى بعض الصحف أو المجلات أو الكتب .

وإذا رجعنا إلى نص الفتوى كما نشرت فى الكتاب ، نجد أن المفتى قد حذف أجزاء منها دون أن يشير إلى ذلك أو ينبه إليه . وقد كان عليه - إن عنت له ملاحظات على فتواه - أن يذكر

حــول شهــادات الاستثمــار

ذلك فى هوامش الكتاب أو عقب نشر الفتوى ، أما حذف اجزاء منها ، فهو أمر لا يمكن قبوله . ويزداد الأمر خطورة إذا جُهِّلَ المفتى هذا الحذف ولم يشر إليه .

لقد تضمن البيان ـ او الفتوى ـ كما نشر فى الصحف نص الأسئلة التى وجهها المفتى إلى رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى المصرى ، والإجابة عنها . وكان نص السؤال الأخير هو :

هل شهادات الاستثمار تعتبر قرضاً او وديعة أذِنَ صاحبها باستثمار قيمتها ؟

وكان نص الإجابة :

شهادات الاستثمار تعتبر وديعة أذِنَ صاحبها باستثمار قيمتها .

وخلا الكتاب من هذا السؤال والإجابة عنه .

كما جاء فى البيان الذى نشر فى الصحف : وقد يسأل سائل فيقول : وما رأى دار الإفتاء المصرية فى شأن التعامل فى شهادات الاستثمار ، وفى شأن التعامل فى أرباحها بعد هذا العرض الطويل ؟

« والجواب : **إن دار الإفتاء قد اقترحت على المسئولين بالبنك الأهلى ان يتخذوا الإجراءات اللازمة لتسمية عائد الأرباح التى تعطى لأصحاب شهادات الاستثمار بالعائد الاستثمارى او بالربح الاستثمارى . وان يحذفوا كلمة « فائدة » لارتباطها فى الأذهان بشبهة الربا . مع اعترافنا بان العبرة فى المعاملات بحقيقتها وليست بالفاظها واسمائها .**

« **وان ينشئوا شهادة رابعة يسمونها بالشهادة ذات العائد المتغير ، او غير الثابت ولا ينص فيها مقدما على ربح معين ، وإنما تخضع الارباح فيها للزيادة والنقص ، وبذلك يكونون قد فتحوا الابواب امام جميع المعاملات التى تطمئن النفوس إلى سلامتها . وقد ابدى المسئولون عن هذه الشهادات ـ مشكورين ـ ارتياحهم لهذين الاقتراحين ووعدوا بتنفيذهما فى اقرب وقت** » .

« وبناء على ما سبق فإن دار الإفتاء المصرية ، ترى أن المعاملات فى شهادات الاستثمار وفيما يشبهها كصناديق التوفير جائزة شرعا . وأن ارباحها كذلك حلال وجائزة شرعا » .

واقتصر الكتاب على إيراد ما يأتى :

« وقد يسأل سائل فيقول : وما رأى دار الإفتاء المصرية فى شأن التعامل فى شهادات الاستثمار ، وفى شأن ارباحها بعد هذا العرض الطويل .

والجواب : إن دار الإفتاء المصرية ، بناء على ما سبق من آراء ، ترى : **ان المعاملات فى شهادات الاستثمار ، وفيما يشبهها كصناديق التوفير ، جائزة شرعا . وأن ارباحها كذلك حلال جائزة شرعا .**

وجاء فى الفتوى ايضا ـ كما نشرت فى الصحف .

« ومن كل ما سبق يتبين لنا أن الدافع لإنشاء شهادات الاستثمار ـ كما جاء فى خطاب السيد رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى ـ هو حاجة الدولة إلى المال لتمويل خطة التنمية لدعم الوعى الإدخارى ، وأن الدولة هى التى تقوم بدفع الأرباح لأصحاب هذه الشهادات . **وأن شهادات الاستثمار تعتبر وديعة اذن صاحبها باستثمار قيمتها . وليست قرضا منه للبنك** » .

ولما نشرت الفتوى فى الكتاب حذف منها « وأن شهادات الاستثمار تعتبر وديعة اذن صاحبها باستثمار قيمتها وليست قرضا منه للبنك » .

أسباب الحذف في الفتوى :

وإني أعتقد أن حذف ما حذف من الفتوى يرجع إلى ما يأتي :

١ - هوجم المفتي بسبب توجيه السؤال الرابع إلى مجلس إدارة البنك الأهلي ؛ لأنه يستفسر منه عن تكييف شهادات الاستثمار ، وهل هي قرض أو وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها ، مع أن تكييف المعاملة هو من صميم اختصاص المفتي ، ومن الواجب عليه أن يقوم بذلك ، وكل ما يحق له أن يطلبه من رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي هو **بيان وقائع المعاملة وعناصرها** ليتولى هو تكييفها في ضوء ذلك - وقد أدى حذف السؤال والإجابة عنه إلى حذف ما جاء متعلقا به في الفتوى وهو قول المفتي : إن شهادات الاستثمار كما جاء في خطاب السيد رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي .. تعتبر وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها وليست قرضا منه للبنك .

٢ - كانت الصيغة التي وجه بها السؤال لرئيس مجلس إدارة البنك الأهلي موضع استنكار من الناحية الفقهية ، ومما قيل في ذلك :

« **أغرب سؤال للمفتي ، يشهد ببعده عن** الفقه ، ومعانيه ، وآفاقه ، وأعماقه ، ومضامينه ومراميه ، يقول المفتي : هل شهادات الاستثمار تعتبر قرضا ؟ أو هي وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها ؟ يافقهاء هذا الزمان ، أرجو أن تفسروا لي سؤال المفتي هذا ، فإن مآل السؤال وتفسيره ، وعاقبته ، أنه يشبه القول الآتي : هل شهادات الاستثمار تعتبر قرضا أو تعتبر قرضا : ولا تندهش أيها القارئ ، لأن الوديعة التي أذن صاحبها باستثمار قيمتها لا تخرج عن أنها قرض » .

٣ - قال المفتي في كتابه : إن « ما يسميه الناس بالوديعة الاستثمارية ، وأن من حق صاحبها إذا أودعها البنك أو غيره أن يأخذ عليها ربحا . فهذا اصطلاح شائع ليس له سند لا من أصول اللغة ولا من قواعد الشريعة » ، وقد استتبع هذا الرأي أن يحذف المفتي من الفتوى ما يتعلق بالوديعة التي أذن باستثمارها ، ودرءا للتعارض بين ما جاء في الفتوى وما جاء في الكتاب في هذا الصدد .

٤ - يرجع حذف الاقتراح الخاص بتغيير مسمى عائد شهادات الاستثمار إلى أنه وصف بأنه كمن اقترح كتابة ملح على وعاء السكر حتى لا يقترب منه النمل .

٥ - ويرجع حذف اقتراح إنشاء شهادة رابعة ذات عائد متغير ، إلى ما قيل : من أن في هذا دليلا على عدم اطمئنانه إلى مشروعية عائد الشهادات الثلاث الموجودة فعلا .

ثانيا : وديعة النقود التي يؤذن في استعمالها :

أورد المفتي في كتابه أن مما اعترض به على فتواه أن المادة ١٢٦ من القانون المدني المصري تنص على أن الوديعة قرض .

وأجاب عن ذلك بقوله : « أنا أتكلم باسم الأحكام الشرعية ، ولا أتكلم باسم المواد القانونية . ومع ذلك فكل ما تقصده هذه المادة - كما قال خبراء القانون المدني - أن الوديعة إذا هلكت بسبب التقصير أو الإهمال من المودع عنده ، كان عليه ضمانها ، كما أن من عليه ديون لغيره ملزم بسدادها له . وعلى هذا فإن المادة لا علاقة لها بشهادات الاستثمار ولنا على هذا الموضوع ملاحظات ثلاث هي :

١ - أن نص المادة ١٢٦ من القانون المدني ليس (الوديعة قرض) ولا أظن أن أحداً من الذين عقبوا عليه أورد نص المادة المذكورة بجملة (الوديعة قرض) .

إن نص المادة المذكورة هو : **إذا كانت الوديعة مبلغا من النقود ، أو أي شيء آخر**

حول شهادات الاستثمار

مما يهلك بالاستعمال ، وكان المودع عنده مأذونا فى استعمالها اعتبر العقد قرضا .

٢ ـ إن خبراء القانون المدنى الذين قالوا للمفتى : إن كل ما تقصده المادة ١٢٦ هو أن الوديعة إذا هلكت بسبب التقصير أو الإهمال من المودع عنده كان عليه ضمانها ، هؤلاء الخبراء :

إما أن يكونوا غير أهل لأن يوصفوا بأنهم رجال قانون .

وإما أن يكونوا قد تعمدوا تضليل المفتى والسخرية منه .

واعتقد أن المفتى لو كان قد قرأ المادة ١٢٦ لأدرك ذلك فى الحال ، فنص المادة واضح لا يحتاج فى فهم المراد منه إلى خبراء فى القانون المدنى : فقد نص القانون المدنى على التزامات المودع عنده تحت عنوان خاص بذلك . وذكرها فى المواد من ٧١٩ إلى ٧٢٣ . أما المادة ٧٢٦ فجاءت تحت عنوان (بعض أنواع الوديعة) وهذه المادة يستحيل أن يكون المقصود منها أن يضمن المودع عنده الوديعة إذا هلكت بسبب تقصيره أو إهماله ؛ لأنها تبين الحكم إذا أجيز للمودع عنده له من مالكها أن يهلكها عمداً ؛ لأن الإذن باستعمالها يبيح تعمد إهلاكها ، فالوديعة كما جاء فى نص المادة مما يهلك بالاستعمال .

٣ ـ إن اعتبار وديعة النقود وغيرها مما يهلك بالاستعمال قرضا إذا أذن صاحبها للمودع عنده فى استعمالها ، هو حكم قال به فقهاء الشريعة قبل أن توجد فى مصر قوانين مدنية ؛ فقد قرروا أن المودع لديه إذا أذن له المودع باستعمال الوديعة فاستثمرها ، فإنه يستثمرها لحساب نفسه ، والربح كله له ، وهو لا يتملك المال إلا إذا كان قد وهب له ، أو أعطى له قرضا ، وإذا كان لم يوهب له فلم يبق إلا أن يكون قرضا . كما قالوا : إنه إذا أذن المودع للمودع لديه فى التصرف فى الوديعة واستعمالها فاستعملها بحسب الإذن ، صارت عارية مضمونة ، وعارية النقود وكل ما يهلك بالاستعمال قرض .

ثالثا : عن فتاوى المفتى السابقة على البيان :

نشرت صحيفة الأهرام يوم ١٩٨٩/٦/١ مقالا بعنوان « حول تحديد ربح القرض والوديعة الاستثمارية » كتبه الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق ، ورئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب آنذاك قال فيه : إنه يود أن يطرح موضوعا على إخوانه العلماء لبحثه وإبداء الرأى فيه ، وهو موضوع تحريم القرض أو الوديعة إذا كان محددا بنسبة ٩٪ أو ١٠٪ وبعد أن أورد ما لديه من أفكار خلص إلى القول :

« والنتيجة النهائية لهذا المنطق الواقعى ، أو التحديد الذى اعتبرناه علة التحريم مع الأفراد لا يصلح أساسا لتحريم التعامل مع المصارف ، لعدم وجود أى ضرر عليها منه ، وما دامت علة التحريم فى التعامل مع الأفراد وهى الضرر غير موجودة فى التعامل مع المصارف ، فيكون التعامل فى المصارف وأشباهها من المؤسسات ، وتقدير ربح منها مقدما حلالا غير حرام ، مادامت تستثمر الأموال فى أعمال جائزة شرعا . هذه وجهة نظر مطروحة لدى كثير من المفكرين » .

فما رأى إخوانى من العلماء والاقتصاديين فيها ؟

وقد أثار هذا المقال مناقشات كثيرة فى الصحف والمجلات بين مؤيد ومعارض . ونشرت الصحف أن دار الإفتاء تبحث هذا الموضوع ،

وأجرى مندوب صحيفة الشعب حديثا مع المفتى نشر يوم ١٩٨٩/٩/١٢ تحت عنوان (آخر حديث مع المفتى قبل صدور الفتوى) جاء فيه : كانت بداية الحوار بيننا :

قلت له : لماذا جعلت القضية الفوائد الربوية للبنوك أولوية دون كثير من القضايا الأخرى ؟

« قال : لقد كتب الدكتور النمر مقالا ، وكان لابد لدار الإفتاء أن تتحرك » .

ونجد لهذا السبب فى تحرك دار الإفتاء صدى فى البيان الذى أصدره المفتى ، فقد بدأه بقوله :

« كثر الكلام فى هذه الأيام عن المعاملات فى البنوك والمصارف ولما يترتب على ذلك من أرباح ، وقد رأت دار الإفتاء المصرية أن تقول كلمتها فى بعض هذه المعاملات ، بعد أن خاض فيها من يحسن الكلام ومن لا يحسن » .

وتحدث المفتى فى كتابه عما دفعه لبحث حكم شهادات الاستثمار فقال :

فى أوائل ١٩٨٧ ، وبعد بضعة شهور من تعيينى فى وظيفة الإفتاء ، اذكر أنى كنت مسافرا إلى الإسكندرية لحضور بعض الندوات العلمية ، فالتف عدد كبير من الناس حولى فى القطار ، وطلبوا منى إصدار فتوى فى التعامل مع البنوك ، ولاسيما شهادات الاستثمار : لأن الناس فى حيرة من أمرهم ، بسبب اختلاف الآراء فى شأن التعامل مع البنوك ، ووعدتهم بأنى سأبذل جهدى فى توضيح الحكم الشرعى لهذه المعاملات .

ونُشرت للمفتى ـ فيما أعلم ـ ست فتاوى عن هذه المعاملات فى المدة من ١٧ ديسمبر ١٩٨٧ إلى ١٩ مارس ١٩٨٩ ، اثنتان منها نشرتا فى مجلة « اللواء الإسلامى » فى العدد الصادر فى ٢٥ ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٨٧ م . أعادت نشرها (مجلة التوحيد) بعد نشر بيان المفتى :

الأولى منها خاصة بالتعامل مع بنك ناصر .

والثانية تتعلق بشهادات الاستثمار .

والأربع الباقية جمعها الدكتور عبد الحميد الغزالى فى كتابه عن (الأرباح والفوائد المصرفية بين التحليل الاقتصادى والحكم الشرعى .

وموضوع هذه الفتاوى كالآتى :

واحدة تاريخها ١٩٨٩/١/١٥ تتعلق بفوائد المال الذى يودع فى البنوك .

واثنتان تاريخهما ١٩٨٩/٢/٢٠ تتعلقان بشهادات الاستثمار .

والأخيرة وتاريخها ١٩٨٩/٣/١٢ تتعلق بموقف الإسلام من استثمار الأموال بشهادات الاستثمار التى يصدرها البنك الأهلى ، وشهادات الإدخار الدولارية التى يصدرها بنك مصر ، والفروع الإسلامية للبنوك العادية والبنوك الإسلامية .

ويستخلص من هذه الفتاوى أن المفتى كان يرى أن :

١ ـ الاستثمار فى مشروعات صناعية دون تحديد فائدة مقدما ، بل يبقى خاضعا لواقع الربح أو الخسارة كل عام ، جائز شرعا ، ويخلو هذا التعامل من الربا لأن الربح محتمل والخسارة كذلك محتملة .

٢ ـ الوصف القانونى الصحيح لشهادات الاستثمار ذات الفوائد المحددة زمانا ومقدارا انها قرض بفائدة .

٣ ـ إيداع الأموال فى البنوك أو إقراضها ، أو الاقتراض منها بأى صورة من الصور مقابل فائدة محددة زمنا ومقدارا يعتبر قرضا بفائدة .

٤ ـ فوائد شهادات الاستثمار ذات الفوائد المحددة ، وكذلك فوائد التوفير والإيداع بفائدة ، والسندات الدولارية تدخل فى نطاق الربا المحرم شرعا ، وهى أموال خبيثة لا يجوز التبرع منها لبناء المساجد ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ويجب التخلص منها عن طريق الصدقة .

حـــول شهـــادات الاستثمـــار

وينصح كل مسلم بأن يتحرى الطريق الحلال لاستثمار ماله ، والبعد عن كل ما فيه شبهة الحرام ، لأنه مسئول يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه .

٥ ـ القول بأن هذه الفائدة تعتبر مكافأة من ولى الأمر ، غير وارد بالنسبة للشهادات ذات العائد المحدد مقدما ، لاسيما وقد وصف بأنه فائدة بواقع كذا فى المائة .

وإذا رجعنا إلى البيان الذى أصدره المفتى ، وإلى كتابه عن معاملات البنوك وأحكامها الشرعية نجده قد انتهى إلى مخالفة كل ما استخلص عن فتاواه السابقة :

فنفى وصف القرض عن كل هذه المعاملات ، وقال فى بيانه : إن شهادات الاستثمار تعتبر وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها وليست قرضا ، ثم قال عنها فى كتابه : إن ما يسميه البعض الوديعة الاستثمارية لا أساس له من المصطلحات اللغوية أو الشرعية ، وإنما هو من المصطلحات التى شاعت بين الناس دون أن يكون لها أساس لغوى أو شرعى .

وذكر أن شريعة الإسلام لا تعرف شيئا اسمه القروض الإنتاجية أو الاستهلاكية .

كما قرر أن تحديد الربح ـ مقدما ـ حلال وجائز شرعا ، وأنه لا يوجد نص من القرآن أو السنة يمنع من أن يقوم أحد المتعاقدين فى المضاربة بتحديد الربح مقدما ، سواء كان هذا التحديد صادرا من صاحب المال أو من صاحب العمل ، كما لا يوجد إجماع أو قياس تطمئن إليه النفس يمنع من ذلك مادام تحديد الربح قد تم باختيار الطرفين ورضاهما المشروع .

وقال فى آخر البيان : إنه من الخير أن يشترى الإنسان شهادات الاستثمار بنية مساعدة الدولة فى مشروعاتها النافعة لكافة أفراد المجتمع ، وأن يتقبل ما تمنحه له الدولة من أرباح فى نظير ذلك ، على أنها لون من التشجيع له على مساعدته لها فيما يعود عليه وعلى غيره بالخير والفائدة ، وفى الحديث الشريف « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه » .

وأنا لا أريد من هذا التعقيب مناقشة أسباب عدول المفتى عن آرائه التى تضمنتها فتاواه السابقة ، ولكن الذى يعنينى هو معرفة هل الفتاوى التى صدرت عن المفتى من ديسمبر ١٩٨٧ إلى مارس ١٩٨٩ كانت بعد دراسة ليخرج الناس من حيرتهم ، واستجابة لطلب من التفوا حوله فى القطار ، وقال لهم بأنه سيبذل جهده فى توضيح الحكم الشرعى لهذه المعاملات ، أو أنها صدرت قبل أن يقوم بدراسة أحكام هذه المعاملات ؟

وإذا كانت قد صدرت بعد دراسة فما الذى دفعه إلى إعادة بحثها من جديد ، وخصوصا أن آخر أربع فتاوى (من يناير إلى مارس ١٩٨٩) لم يكن مدادها قد جف بعد .

كان قد توافر لدى انطباع بأن الفتاوى السابقة على البيان لم تسبقها دراسة ، وأن المفتى اطلع على فتاوى من سبقوه ، ولم يقم لديه من الأسباب ما يدعو لمخالفتهم ، فأفتى بمثل ما أفتوا . ونشأ هذا الانطباع من قول المفتى فى فتواه الأخيرة : « إن الأمانة العلمية تقتضى عدم الفتوى فى مثل هذه الأمور إلا بعد سؤال القائمين على أمرها والخبراء فى شئونها ، إذ الحكم على الشىء فرع عن تصوره ، فأرسلت إلى السيد الأستاذ رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى المصرى أسئلة معينة عن هذه الشهادات ، فأجاب عليها سيادته مشكورا بما يلى ..

إن هذه العبارات قاطعة الدلالة على أنه لم يكن لديه تصور عن هذه المعاملات ، فاستفسر عن ذلك من الخبراء في شئونها .

ودعم هذا الانطباع أن هذا هو منهج المفتي حتى اليوم ، فقد أورد في فتواه ، ما أفتى به الشيخ محمود شلتوت يرحمه الله عن أرباح صندوق التوفير ، وعقب عليها بقوله : « لاشك أن أرباح شهادات الاستثمار تطابق من كل الوجوه صندوق التوفير الذى قال فضيلته : إنها حلال ولا حرمة فيها . كما أنه قال - في فتواه ، ومازال يردد في كتابه : إن المعاملات في شهادات الاستثمار ، وفيما يشبهها كصناديق التوفير جائزة شرعا ، وأن أرباحها كذلك حلال وجائزة شرعا إما لأنها : مضاربة شرعية . كما قال فضيلة الشيخ عبد العظيم بركة وغيره .... وإما لأنها معاملة حديثة نافعة للأفراد وللأمة وليس فيها استغلال من أحد طرفى التعامل للآخر - كما قال فضيلة الدكتور محمد سلام مدكور وغيره .

وهذا الحكم الذى انتهى إليه المفتى يفيد أنه لم يستطع أن يقطع برأى في وصف هذه المعاملات حتى اليوم ، واكتفى بأن يقول : إنها قد تكون معاملة مستحدثة ، أو قد تكون مضاربة مع أن الوصفين لا يجتمعان ، فالقول بأنها معاملة مستحدثة يعنى أنها ليست مضاربة ، والمضاربة عرفها العرب في الجاهلية وأقرها الرسول عليه الصلاة والسلام وعنى فقهاء المسلمين ببيان أحكامها .

وأخيرا صار الانطباع الذى قام لدى من أن المفتى في فتاواه السابقة - سار على نهج من سبقه من المفتين حقيقة مؤكدة - وذلك على الأقل بالنسبة للفتويين المنشورتين في (اللواء الإسلامى) في ديسمبر ١٩٨٧ ، ففى أثناء مراجعتى للفتاوى التى صدرت في هذا الموضوع وجدت أن الفتويين المنشورتين في (اللواء الإسلامى) متطابقتان تماما مع فتويين أصدرهما فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق عندما كان مفتيا .

أولاهما : خاصة ببنك ناصر الاجتماعى صدرت في ٢٧ ذى القعدة ١٣٩٩ - ١٨ أكتوبر ١٩٧٩ .

والفتوى الثانية : خاصة بشهادات الاستثمار وصدرت في ١٠ صفر ١٤٠٠ - ٩ ديسمبر ١٩٧٩ وهما منشورتان في المجلد التاسع من الفتاوى الإسلامية من دار الافتاء التى تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية برقم ١٢٥١ و ١٢٥٢ في الصفحات ٣٣٣٤ و ٣٣٣٥ و ٣٣٣٦ .

ولا يفوتنى أن أشير إلى أنه مما يلفت النظر أن السؤال الذى وجه للشيخ جاد الحق كان مقتصرا على : « معرفة حكم عائد شهادات الاستثمار » ولكنه استطرد في إجابته عن السؤال إلى : « بيان حكم فوائد التوفير أو الإيداع بفائدة » ، ونجد هذا الاستطراد في فتوى المفتى رغم أن السؤال لم يتطرق إلى فوائد التوفير أو الإيداع بفائدة . وفي هذا ما يؤكد أن المفتى قد أصدر فتاواه السابقة قبل أن يكون لديه تصور عن المعاملات التى أفتى فيها ، ولما توافر لديه تصور عنها تغير رأيه في شأنها وانقلبت أحكامها من الشيء إلى ضده .

وهنا يحق لى أن أتساءل :

كيف اطمأنت نفس المفتى إلى إصدار فتاواه السابقة .

وما الذى منعه من الاستفسار عن عناصرها برغم وعده في أوائل ١٩٨٧ بأنه سيعمل على تجلية أحكامها .

ولماذا لم يشمر عن ذراعيه ويستفسر عنها من الخبراء في شئونها إلا بعد أن كتب الدكتور عبد المنعم النمر عن انتفاء علة التجريم فيها ؟

الفتاوى

إعداد: أحمد السيد تقى الدين

حكمة تعدد الزوجات

س : تسأل القارئة محاسن . م . ج عن حكمة تعدد الزوجات فى الإسلام والهدف من إباحة الطلاق ؟

ج : تعدد الزوجات كان موجوداً قبل الإسلام بدون حدود أو بعدد كبير - وهو كذلك موجود عند أهل الكتاب ، ولا تزال نصوصه واضحة فى « العهد القديم » المتداول إلى يومنا هذا ، فأبقى الإسلام عليه للحاجة إليه ، لكنه نظمه وجعل له حدودا وشروطا فلا يتجاوز أربع زوجات مع اشتراط العدل والقدرة .

وفى التعدد تيسير يرفع الحرج ، ويلبى داعى الضرورة ، وتيسيره قد يعود على الزوج أو الزوجة أو كليهما كالزوج يريد ذرية وزوجته عقيم ، وهو لا يحب مفارقتها فيضم إليها أخرى ، وقد تكون مريضة مرضا يمنعها حاجته، والزوج يريدها ، ولا يرغب فراقها فمن الخير أن يضم إليها أخرى ... الخ .

وفيه مصلحة للزوجة أيضا إذا كان طلاقها لمرضها أو عقمها سيعرضها إلى أخطار اقتصادية أو أخلاقية ، وقد يكثر النساء لفقد أزواجهن فى الحروب وغيرها ونذكر - بهذه المناسبة ، وحين كان الرئيس السادات سكرتيراً للمؤتمر الإسلامى أوائل الخمسينيات أن طلبت إليه ألمانيا الغربية تشريعات الإسلام بصدد تعدد الزوجات نظراً لما فقدته من شبابها أثناء الحرب العالمية الثانية ، وليس من شك أن العلى القدير المشرع هذا الأمر وغيره إنما شرع ما شرع لما فيه مصلحة إنسانية لا تقتضى استفسار المؤمن عن حكمتها ، مدفوعا فى ذلك بما يروجه المغرضون ،

ذلك أن المغرضين إنما يروجون مايروجون ضد الإسلام لرغبتهم فى تأكيد أن الإسلام ليس دينا سماويا وإنما هو شرعة أرضية من تفكير محمد [صلى الله عليه وسلم] . ونحن نبرأ من هذا الفكر الأثيم معتقدين تماما أن الإسلام شرعة الله وحده القائل لرسوله - صلى الله عليه وسلم :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ آل عمران - ١٢٨ .

من قال : إنى برىء من دين الإسلام

س : ما حكم الإسلام فى رجل قال : إنى برىء من دين الإسلام إن كنت كاذباً وهل يكفر إن كذب ؟

ج : مثل هذا الحلف منهى عنه شرعا ، وفيه يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « من حلف فقال : إنى برىء من الإسلام فإن كان كاذبا فهو كما قال وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالماً » رواه أبو داود .

وهو إن قصد بيمينه هذا العزم على الكفر فهو كافر فى الحال .

وهذا ليس بيمين عند مالك والشافعى ، ولا تجب فيه كفارة ، وقائله آثم إن لم يقصد به العزم على الكفر وعليه أن ينطق بالشهادتين ندبا .

مال الزوجة

س : ما حكم الإسلام فى زوج اعتاد أخذ مال زوجته بدعوى مواجهة أعباء الحياة على الرغم من رفضها ذلك ، وهل هذا الرفض من الزوجة يعنى نشوزها ؟

[م ١٠ ـ ح]

ج : لا يجوز للزوج أخذ أموال زوجته لأى غرض كان ، إلا بموافقتها هى ، فإذا لم توافق حرم على الزوج الانتفاع به ، ذلك أن ملكية الزوجة محترمة لايجوز التعدى عليها ، والله يقول ـ فى المهر الذى يعطيه الزوج لها : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ (النساء ٤) .

ويقول جل شأنه : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا . وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (النساء ٢٠ ، ٢١) .

أما النشوز فهو رفض الزوجة الدخول فى طاعة زوجها وهجرها لمنزل الزوجية دون مبرر شرعى وعلى هذا فإن رفض الزوجة منح أموالها لزوجها لا يجعلها ناشزاً .

السنن المؤكدة وغير المؤكدة

س : سمعت أن للصلاة سننا مؤكدة ، وأخرى غير مؤكدة ، فما الفرق بينهما ؟ وهل من تركها يحاسب على تركها ؟

ج : السنة المؤكدة هى التى واظب عليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يتركها إلا مرة أو مرتين فى حياته ، كركعتى الفجر والضحى والوتر عند الجمهور ، والسنة غير المؤكدة هى التى لم يواظب عليها كسنة العصر القبلية وسنة العشاء القبلية .

ومعلوم أن السنة بكلا نوعيها يثاب المرء على فعلها ولا يعاقب على تركها وهذا رأى جمهور العلماء .

الفتاوى

فضل تأخير صلاة العشاء

س : ما تفسير الحديث الشريف « لو لم اشق على امتى لأخرت العشاء » .

ج : هذا الحديث صحيح وقد ورد بألفاظ مختلفة تؤدى نفس المعنى ، منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « لولا ان اشق على امتى لأمرتهم ان يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل او نصفه » رواه احمد والترمذى . والحديث يدل على أن من الأفضل للمسلم تاخير صلاة العشاء إلى نصف الليل ، مالم ينم قبل ذلك . فإن كان ينام فعليه أن يصليها قبل أن ينام ، لأن النوم قد يفوت على النائم الصلاة فى الوقت المستحب . فإن وجد من يوقظه فيه فلا كراهة .

وإن صلى العشاء فى اول وقتها المعروف ـ وهو بعد مغيب الشفق الأحمر ـ جاز بلا كراهة ، وإن كان فى جماعة كان له ثوابها .

والجماعة فى اول وقتها افضل من التأخير إلى نصف الليل إن تأكد انه يصلى فيه منفردا لحديث « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » .

فصلاة العشاء جماعة فى نصف الليل اكثر ثواباً ، يليه صلاتها جماعة فى اول وقتها . فصلاتها فرادى فى نصف الليل . ثم صلاتها فرادى فى اول وقتها . ثم صلاتها فرادى قبل وقت الفجر . بهذا الترتيب .

خروج الزوجة بلا محرم

س : هل يجوز خروج المراة إلى الأسواق بدون محرم ؟

امتثال عبد الرحمن ـ كفر الشيخ

ج : الممنوع خروج المراة فى سفر بدون محرم ، أما ذهابها إلى الأسواق فلا يحتاج إلى محرم ، وإنما يحتاج إلى إذن الزوج فقط ، وعليها ان تكون فى خروجها لقضاء المصالح أو العمل محافظة على كل الآداب الإسلامية .

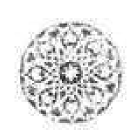

من أعلام الأزهر

الشاعر والعالم والأديب والمربي
أحمد عبد اللطيف بدر

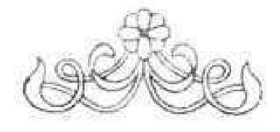

شيخنا عبد العظيم الشناوي

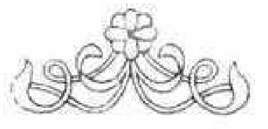

الشيخ محمد يوسف البنوري وجهوده العلمية

أحمد عبد اللطيف بدر

للأستاذ محمد شاور ربيع

قضى جل حياته فى مدينته الباسلة العزيزة الغالية « بور سعيد » ، فقد ولد بها فى مطلع العقد الثانى من هذا القرن ، وعاين فيها ثورة ١٩١٩ ، كما عاين الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ وفيها أيضاً شهد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ، ثم العدوان الغادر الذليل ١٩٦٧ . وتنقل وثورة ١٩٥٢ مابين دمياط والسويس والزقازيق وسمالوط وطما واسوان وحلوان ، ووجد نماذج بشرية تختلف طباعاً واتجاها ، ونوازع وسلوكا ، فصور التجربات فى صدق واخلاص وامانة . ونظم فى ذلك « ارجوزة » شعرية فريدة فى الشعر العربى ، تصور تاريخا صادقا فى أسلوب شعرى شائق سلس . اهداها إلى الشاعر المغرد الأستاذ « فاروق شوشة » وفى الإهداء يقول :

صوت به السحر يسرى فى قوافيه
تنغيمه الشعر يشدو الطير من فيه
سبحان ربى له سر يحيط به
والقلب يهفو إليه من تناجيه
فى رقة عاطفت بالحب أفئدة
عند الصباح على شوق توافيه
« فاروق » يشدو بألحان منغمة
إن الصفاء تجلى عن تناغيه
إذا تحدث كانت كل رائعة
فيها الجمال على قول يواتيه
إن المواهب جل الله مبدعها
عنها السمو بقلب فى تساميه
صار الطريق على نور بمشرقه
والزهر يألق فى أحلى مغانيه

والشاعر الرقيق الفرد الأستاذ « فاروق شوشة » ، المراقب العام للبرامج الثقافية بإذاعة

جمهورية مصر العربية والمشرف على الأركان الجهيرة : حياتنا الثقافية ـ لغتنا الجميلة ـ كلمات على الطريق .

مؤلفات الشاعر

والشاعر الكبير « أحمد عبد اللطيف بدر » له مؤلفات عديدة فى « الأدب » نثرا وشعرا وزجلا ، منها : « مرآة الماضى » أصدره عام (١٩٣٣) و« أزجال بدر » عام (١٩٣٤) و« فوضى الأدب فى مصر » (١٩٣٦) ومجموعة قصص بدر للأطفال (١٩٤٣) أصدرها بعد تخرجه فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف (١٩٤٢) . والمرأة والشعب (١٩٤٦) وخواطر بدر (١٩٥٠) وديوان « ترانيم السحر » (١٩٥٧) .

وله بجانب الكتب الأدبية ، كتب « علمية » منها المطالعة التوجيهية (١٩٥٢) والمنير فى الإنشاء والتعبير (١٩٥٦) وتراجم أدبية (١٩٥٧) وله بجانب هذين رسائل وقصص دينية منها قصة « يوسف » عليه السلام ، وقصة « سليمان » عليه السلام ، وقصة أيوب عليه السلام ، ونحو « مجد الإسلام » وقبس من « نور القرآن » ، وغير ذلك كثير . والإحاطة بكل مؤلفاته التى تربو على الخمسين كتابا شىء يكاد يكون مستحيلاً أو شبه مستحيل فلنشر إلى بعض مؤلفاته ، ولنتعرف على بعض نماذج منها .

فهو يقول فى ديوانه « ترانيم السحر » معرفا الشعر .

الشعر فى مدلوله الأسمى متلاق مع الشعور ، فهو مصور للعاطفة الإنسانية ، ومعبر عن النزعة الفلسفية ، ومحقق إلى المثل العليا . والشعر الحديث يجب أن يكون صورة لحياة العصر فى موضوعه ، ولغته ، وخياله ، وأسلوبه ، واتجاهه حتى يمكنه تسجيل عمل خالد له خصائصه ومميزاته .

صدى الوجدان

استمع إليه وهو يقول من صدى الوجدان تحت عنوان : من أنا يا إلهى ؟

من أنا فى الكون والكون رحيب
إننى فى الكون إنسان غريب
من أنا فى موكب محتشد
يا إلهى ؟ أنت لى خير مجيب .

وفيها يقول :

يا إلهى قد عرفت من أنا ؟
بعد أن طاف مع الفود المشيب
اننى فى الكون عبد خاضع
مرتجٍ ـ ياسيدى ـ أن تستجيب
تعجب النفس بما تعرفه
اين منها ذلك الكون العجيب
غاب عنها عالم الغيب الذى
تختفى الأرواح فيه وتغيب

وهنا تطالعنا بواكير شعره « الصوفى » الذى لازمه طول حياته ، وقد كتب فيه كتابا مستقلاً باسم « سفينة النجا لمن إلى ربه التجا » الذى يقول فى ختامه :

نجواك ربى
يشدو بها قلبى
يامصدر الحب
فى البعد والقرب

ومما قاله فى « تصاوير الحياة » « الوردة الحمراء » وفيها يقول :

من اعلام الأزهر

الشاعر أحمد عبداللطيف بدر

بل الندى أعطافها
حتى أبان شفافها
وبدت بحمرة مهجتى
يبغى البعاد قطافها

ومن الشعر « الإنسانى » « دمعة ولوعة » ، وهى مهداة إلى روح خالد الذكر المجاهد فى سبيل الله الشيخ محمود ابى العيون » :

قد عز الصبر فى خطب اصبت به
والدمع قد فاض من عينى فعزانى
تبكى العيون « عيونا » غاب مشرقها
فى مغرب الغيب القاها وتلقانى
تلك العيون « أبوها » نوره الق
فيه متاع لعينى بل لإنسانى
صفاته الغر أعيت كل ذى لسن
ووصفه فى سمو النفس أعيانى
فى جنة الخلد روح مشرق نعم
يضحى على الفور فى روح وريحان

ومن « اذعاته الدولية » تحت عنوان « كبائر الأمم الكبرى » :

كبائرها فى نار حرب تثيرها
بأطماعها حتى يغير مغيرها
فأين عهود السلم حتى تعيدها ؟
وأين مجير الحق منها يجيرها ؟
تريد بناء فوق انقاض ظلمها
وتبغى اقتسام الزور فيما يضيرها
لقد غرها وهم ، واغرى غرورها
تهاويل ما يقوى عليه نعيرها

فهل علمت أين المصير بحربها ؟
وهل عرفت أن الفناء مصيرها ؟

واما « قيثار الحب » فنجده يقول قصيدة بعنوان « حبى » :

حبى من القلب فى شدوى وإنشادى
حبى مع [الصمت] فيه إسعادى
احببت للروح حبا صغته نغما
فى لوعة الصب بل فى ظلمة الصادى
الحب سر خفى لست أعرفه
الحب لحن طهور صاغه الشادى

وفى « ثورة الشعر » تحت عنوان « ممتاز » يرد على حامديه وقد فاز بتقدير ممتاز من القاضى المنصف الأستاذ « أمين محمود » المفتش بوزارة التربية والتعليم :

إن « الامين » محال أن يحابينى
وهو المبرز يبغى العلم إبرازا
ابرزت علمى بمجهودى ومعرفتى
وأيكم زاد فوق الجهد فامتازا
اتحمدون بما لم تفعلوا عرضا
والله يسأل : كيف الحمد قد جازا ؟

أما « الملحمة الخالدة » فى تصوير معركة « بور سعيد » الماجدة فقد استهلها بقوله :

تعز فؤادى بعد نصر مؤزر
فقد شرد الباغى بقهر مقدر
تعز وجدد عزمة بعد عزمة
وهز يراع الفخر فى كل مفخر
تعز فقد عزت لنا هام راية
ترف على الأبطال دون تحسر

وصور فيها المعركة منذ بدأت ببطش وجنون ، وحصار وترويع ، وما عاناه البورسعيديون من صبر وحرمان ، وما قام به الفدائيون من بسالة

وشجاعة ، حتى انسحب العدو الغادر ، وارتفعت راية النصر .

وأما « الأناشيد » فكثيرة ، ومنها « نشيد القناة » الذى يقول فى مطلعه :

نحن أبناء القناة
مصدر الخير العميم
نحن نسعى للحياة
نبتنى العز المقيم
سعينا سعى حميد
فى ركاب الأمل
عن منانا لانحيد
والمنى بالعمل
نحن فى الدنيا مثال للجهاد
نركب الصعب لنرقى بالبلاد
نحن للغرب منار الأمم
نحن للشرق مثال الهمم
نطلب المجد العظيم

الرجز

وهناك لون من الشعر يقال له الرجز ، ويزعم بعض النقاد : أنه أول ماقالته العرب من الشعر ، ومن هذا البحر ما نظمه كثير من العلماء من قواعد العلم ومنه ألفية ابن مالك فى النحو ، والشاطبية فى القراءات . وقد نظم منه شاعرنا أحمد ارجوزته « الحياة والوطن والناس » عام ١٩٧٤ وقدمها الشاعر بقوله :

إن أصدق الشعر ما صور المشاعر ، معاطفا التجربة ، وحياة الإنسان متصلة بتجربته على مدى وجوده ، وقد صفت هذه الأرجوزة مع انفعال صادق فى استرجاع كل حادث أثر فى نفسى على الرغم من تباعد الزمن ، وأن عمق التجربة لا يمكن أن يغطيها النسيان ، وبخاصة إذا اتصلت بحياة الوطن والناس ، وقد بدأها بقوله بين « البيت والفطرة » :

إنى اهتديت بين أسرة التقى
فى فطرة والقلب صاف فاتقى
قد كان لى « الجد » بمهدى مؤنسا
عن متعة القلب رحيما ماقسا
يحيا مع النفس بلطف ملطفا
فى رقة الطبع بنبع قد صفا
إن لم يجدنى قال : أين « أحمد » ؟
فى لهفة أصحو وعينى تشهد
العطف يحدونى وعيشى أرغد
والمجد يحبونى وبيتى أمجد

وقال عن « أبيه »

اما « ابى » الأبى بعد أن مضى
« جدى » تولى راضيا بما انقضى
فى « بور سعيد » صار نجما لامعا
فى وعظه كان مبينا رائعا
يتلو « كتاب الله » فى قداسته
مبينا مفسرا لآيته

وبجانب الشعر والرجز والزجل برع الشاعر فى النثر بجميع فنونه : الأدبية والعلمية ، ومارس التأليف وتدوين المصنفات القيمة ، فكتب فى الدين وكتب فى التربية ، باعتباره من رجال الدين العارفين المتصوفة ، ذوى النظرات الثاقبة ، وباعتباره من رجال التربية والتعليم وكبار الموجهين ومن أصحاب التجربة الصادقة .

نداء المؤمنين

ومما كتبه فى الدين كتابه القيم « نداء المؤمنين » فى القرآن الكريم . الذى أصدره فى ذى الحجة سنة ١٣٨٩ هـ يناير ١٩٧٠ وقال فى

من اعلام الأزهر

الشاعر أحمد عبداللطيف بدر

تقديمه الذى نشره فى جريدة الأخبار يوم ١٩٦٨/٨/٣ :

إن الإيمان فى أسمى مدلوله يدل على الاعتقاد الصادق الذى يلازمه العمل الخالص ، فالصدق متصل بسلامة العقيدة ، والإخلاص مرتبط بحسن السلوك ، والتصديق القاطع تتبعه بالضرورة الثقة المطلقة ، ولهذا اختلفت مراتب الإيمان على قدر درجات المؤمنين فى الصدق والسلامة والوثوق .

ولقد جاء فى القرآن الكريم ـ النداء مشرفا صفة الإيمان بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . والأسلوب القرآنى يتميز بدقة اختيار ألفاظه ، وقوة تلاحمها ، وتآلف صوغها ، فالإشعار بالصلة على الموصول فى الذين آمنوا يعطى الدلالة على مدى مكانة المؤمنين الذين يستمعـون القول فيتبعـون أحسنه ، حتى يستجيبوا إلى داعى الله ما داموا صادقى النية مخلصى العمل واثقين فى الجزاء ، وإن كل أمر أو نهى بعد النداء بالإيمان ، وكل توجيه رشيد مرشد إنما يحث بالإيماءة على وجوب العمل وفق الأمر والنهى ، والتوجيه والترشيد ويرى المتأمل فى جلال الآيات القرآنية أن كل مايرد بعد نداء ياأيها الناس يكون مرتبطا بإيقاظ الغفلة ، وينير الإدراك وصحوة التأمل .

إن جلال التفسير لآيات الله يحتاج إلى إشراق روحى ينير العقل حتى يتعرف عليه فيهتدى إلى بدائع مافيها ، وروائع خافيها ، ثم يعبر عنها بحسب طاقته البشرية بما يدفع إلى القلوب الرهبة فتعرف أن الكلام الإلهى مجلل بالجلال ، ومنته إلى الكمال فى لفظه ومعناه ، وإشارته وفحواه ، لهذا كان العمل هو التوفيق فى نور الإيمان العميق .

وقد بينت تلك المقدمة مذهب الأديب الشاعر العالم فى تفسيره ، وأسلوبه الواضح الجلى الدقيق ، الذى لا يترك بعده زيادة لمستزيد ، وقد تتبع القرآن الكريم من فاتحته إلى خاتمته فلم يترك آية تبدأ بنداء المؤمنين ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلا وبينها وجلاها واستخلص منها الفوائد الكثيرة . وإليك مثالاً مما كتب ..

طاعة الله ورسولـــه

قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الآية ٥٩ من سورة النساء]

إن الامتثال لما أمر الله تعالى به مرتبط بأمر الرسول الذى لا ينطق عن الهوى ، وكل من تولى أمر المسلمين مادام مطبقا لتشريع الحكيم من دون خروج على أحكامه ، إذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، ويقول الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ : حق على الرعية إطاعة الإمام مادام قد حكم بما انزل الله وأدى الأمانة . وبهذا يتبين جلال موضوعية السياق بين الآية السابقة وهذه الآية إذ الحاكم والمحكوم سواء فى اتباع امر السماء ، والمراد بأولى الأمر كل من يقوم بشأن المسلمين فى أمور دينهم وصلاح أحوالهم .

البقية ص ٤٥٢

شيخنا عبد العظيم الشناوي

وعليك من نور الإله جلالة

أ.د. مصطفى أحمد خليل النماس

بقية من الوفاء تؤذن بان الدنيا لا تزال بخير إذ نعاود ذكرى شيخ النحاة في عصره ، فلا نذكره اليوم كذكرانا له منذ اعوام ..

كنا نذكره بشرا سويا حيا يغمرنا بنشاطه ..

اما اليوم فنذكره روحا سارية وفضيلة سامية : في حياته الباقية ، وهي حياة لا تحدها تلكم الطاقة المادية ، ولا تاسرها الأواصر الادمية : بل حياة ابدية خالدة سعيدة - بمشيئة الله : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت - ٦٤ -

لقد كنت اذكره فيما مضى من الاعوام فاذكر فيه الأستاذ العالم والمعلم والوالد والرجل والصديق اما اليوم فإنما يحضرني منه صفاته ، وكم هي نادرة وعزيزة ، فما كان عبد العظيم عبد الهوى ، ولا عبد المنفعة الرابحة ، والفرصة السانحة ، إنما هو عبد «العظيم» سبحانه .

ولذا كان عظيم الأثر ؛ فكان للكبير أخا ، وللصغير أبا ، وكان بالجميع بَرا ، عف اللسان واسع الصدر بعيد النظر ، كبير القلب شريف النفس ، أحفظ ما يكون على كرامته وكرامة من معه .

كان رجلا بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معاني الرجولة الكاملة والمروءة الفاضلة ، قوى الشخصية ، مبرزا في جميع نواحيه ، وبخاصة في (النحو والصرف) من علوم العربية ، كانت حياته كلها مواقف تاريخية مشهودة سطرت له صفحات مجد خالد من الشرف سواء كان مقيما بالأزهر في القاهرة ، أم خارجها في ليبيا أو المملكة

من أعلام الأزهر

السعودية :

كأنك من كل النفوس مـركب
فأنت من كل النفـوس حبيب

كان محبا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولآل البيت فآثر أن يسكن معظم حياته فى حى السيدة عائشة فى شقة متواضعة ، ولما سئل عن السر فى ذلك قال : « إنى أحب أن أكون مجاورا لآل البيت والعترة الطاهرة » ..

ولما كان شيخا (للنحو والصرف) فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام - ، كان يتخذ من مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - مكانا معروفا غربى المنبر ليكون قريبا فى مجلسه من الروضة الشريفة وبيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - والكل يعرف مكانه يقصده من أراد فيذهب إليه يسأله عن عويصة فى اللغة فيحل له غامضها ، ويشرح له دقائقها ، وكأن العربية لديه - وحده - فيبسط من سرها المحجوب وكنزها المجهول ؛ فيخيل للمستمع إليه أنه يقرأ من كتاب ، وإنما هو العلم وحكمته - يضيء المولى به عقل من يشاء . ويحضرنى الآن نادرة من نوادر أخلاقه العالية : حبه الحق وأهله وحرصه على العدل بين طلابه ، ذهب أحد تلامذته المقربين الذين كان يشرف عليهم ، وكانت تربطه بالشيخ علاقة وطيدة وصداقة قديمة ، فطلب من الشيخ أن يقدم مناقشته للرسالة على زميل له لا تربطه بالشيخ نفس الدرجة من الصداقة ، وظل يلح على الشيخ ، ويحيل عليه من يؤثر فيه عله يقبل أن يجامله على حساب زميله ، فكان رد الشيخ (يافلان) « لقد كتبت تقرير زميلك قبلك ، وشكلت لجنة مناقشته قبلك ، وأنا لا أجامل أحدا على حساب أحد) .

فأما علمه - رحمه الله - فحدث عنه ولاحرج ، كان معطاء لا يمل السؤال ، فهو حجة فى النحو والصرف واللغة ، ثقة فى كل ما يقول ، شهد له بذلك أساتذته أقطاب الأزهر من أمثال : الشيخ حمروش رحمه الله ، والشيخ الشربينى ، والشيخ محيى الدين عبد الحميد . فهو سيبويه زمانه وحجة عصره ، كثير القراءة فى دقائق المسائل المشكلة ، لا يحب أن يقرأ قراءة تخصصية فى غير العربية ، ولما اختير للتدريس فى الدراسات العليا فى جامعة البيضا بليبيا آثر أن يقرأ لطلابه مقدمة (القاموس المحيط) لما حوت من المعلومات اللغوية والقضايا العلمية الهامة ، وكما أشاد بمقدمة القاموس المحيط أشاد بما ورد فى نهاية القاموس من الكم الهائل (الظروف) التى استخدم بعضها (اسم فعل أمر) ولم يوردها نحاة ؛ لأن الرجل جمع حبات العقد المنفرط مما يدل على أن الشيخ كان إذا قرأ كتابا فإنه يستوعبه ليكون ذخيرة للقاصى والدانى .

تراه إذا ماجئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

هو البحر من اى النواحى أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله

وأذكر أنه وجهنا فى جانب النقد لما اكتشفه من زيادة دست على صاحب العقد الفريد بعد وفاته . ولا زال هذا الكتاب مرتعا لمن لا يتقون الله فقد أدخلوا فيه أخيراً تعليقا للأستاذ سعيد العريان - رحمه الله - فى طبعة بعد وفاته .

شيخنا العظيم :

أفنيت حياتك تعد للغة وعلومها دعاة يحبونها ويتعشقونها سوف يكونون - بمشيئة الله - على

خطاك يمدون صراطك فتعيش العربية بين الناس على خير حال بما خلدته من خلق ، وما تركته من عظيم الأثر .

مؤلفات الشيخ :

حاولت جاهدا أن أجمع ماخلفه فى علوم العربية وكأنى أجمع حبات عقد منفرط فلقد ترك آثاراً علمية تدل على علو كعبه ، وكانت كتبه كأنها صفوف ولائد عليها فصوص من قلائد ملأت فراغاً فى المكتبة العربية ؛ فما قرأت كتاب رجل إلا عرفت مقدار عقله ؛ لأن عقول الرجال فى أطراف أقلامها وانظر للشيخ :

١ - (التعريف بفن التصريف) على التصغير والنسب وهمزة الوصل والإمالة والكتاب يعتبر بمثابة دراسة صرفية فى كتاب سيبويه .

٢ - (الموضح فى الدراسات اللغوية) والكتاب عبارة عن محاضرات فى تفسير بعض سور القرآن الكريم ، ونشر بعضها فى مجلة الأزهر .

٣ - التطبيقات على قواعد اللغة العربية

٤ - الهمزة وأثرها وأحوالها فى لغة العرب تحت رقم ٨٣٤١ فى كلية اللغة العربية .

٥ - كما قام الشيخ بتحقيق كتاب (المصباح المنير) وعلق عليه تعليقات لغوية مفيدة ، ورد إليه ما اختصر فى طبعة وزارة المعارف المصرية فصار تاما كاملا على يديه .

٦ - وله تعليقات مفيدة على كتاب (نشأة النحو) للشيخ محمد الطنطاوى .

هذا ولا يفوتنا أن آخر حياته كان مسك الختام حيث أشرف على لجنة المصحف الشريف فى المدينة المنورة (مجمع المصحف الذى أنشأه خادم الحرمين الشريفين فى المدينة المنورة) على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ففى ذمة الله انت ياشيخنا وفى كنفه وفى سناه وفى رضاه وفى جنبات رضوانه رجاء ما قدمت للعربية وطلابها ، ولقاء ما أسديت لها من إخلاص وتفان ، وكفاء ما حققت من البحوث والرسائل العلمية التى أشرفت عليها .

لقد كانت مجالستك غنيمة وصحبتك سليمة ومؤاخاتك كريمة .

فعليك من نور الإله جلالة
تعنو لديك لعزها العظماء
ومحبة غدت القلوب بأسرها
أسرى لها وانقادت الأهواء

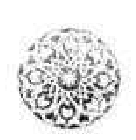

من أعلام الدعوة الإسلامية

الشيخ محمد يوسف البنوري

وجهوده العلمية

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز عزت عبد الجليل

هو محمد يوسف بن محمد بن زكريا البنوري .

والبنوري نسبة إلى بلدة ـ « بنور » ـ قرية من قرى « البنجاب الشرقي » من ولاية بتيالة من ولايات الهند .

ولقب كذلك بالبشاوري نسبة إلى مدينة ـ « بشاور » عاصمة الحدود الشمالية الغربية في « باكستان » المتاخمة للحدود مع « افغانستان » ، وتقع على مسافة ثلاثة عشر ميلا من ممر « خيبر » المعروف في التاريخ .

ومما هو معروف ان للبيئة اثرها في تكوين الفرد فقد نشا الشيخ محمد يوسف البنوري في اسرة علمية حملت لواء العلم ، وورثته الابناء والاحفاد .

حفظ العلامة البنوري القرآن الكريم في صغره ، وتلقى مبادىء العلوم على ابيه وخاله ، ثم رحل مع ابيه إلى «أفغانستان» ، وبعد العودة إلى « بشاور » تلقى دروسه على أشهر العلماء هناك في ذلك الوقت ، ثم رحل إلى مدينة « جلال آباد في أفغانستان » ، وانتقل بعد ذلك إلى « الهند » ، والتحق بمدرسة دار العلوم ديوبند التي لقبت « بقرطبة الهند » ، وأزهر آسيا .

وبعد ذلك توجه إلى ـ « دابيل » ـ من أعمال « بومباى » محط كبار العلماء ، وموئلهم ، ولا يخفى على أى مُهتم بالدراسات الإسلامية دور رجال « الجامعة الإسلامية » في « دابيل » وشهرتهم في علوم الشريعة وكانت رحلته فيما بعد إلى « كشمير » ، ولم يمكث بها طويلا .

وقد تبوأ الشيخ البنوري مناصب عديدة أذكر منها الآتى : ـ

(١) رئيسا لجمعية العلماء في إقليم « بشاور » .

(٢) رئيسا لجمعية علماء الهند في « كجرات » .

(٣) عين عضوا بارزا في المجمع العربي « بدمشق » .

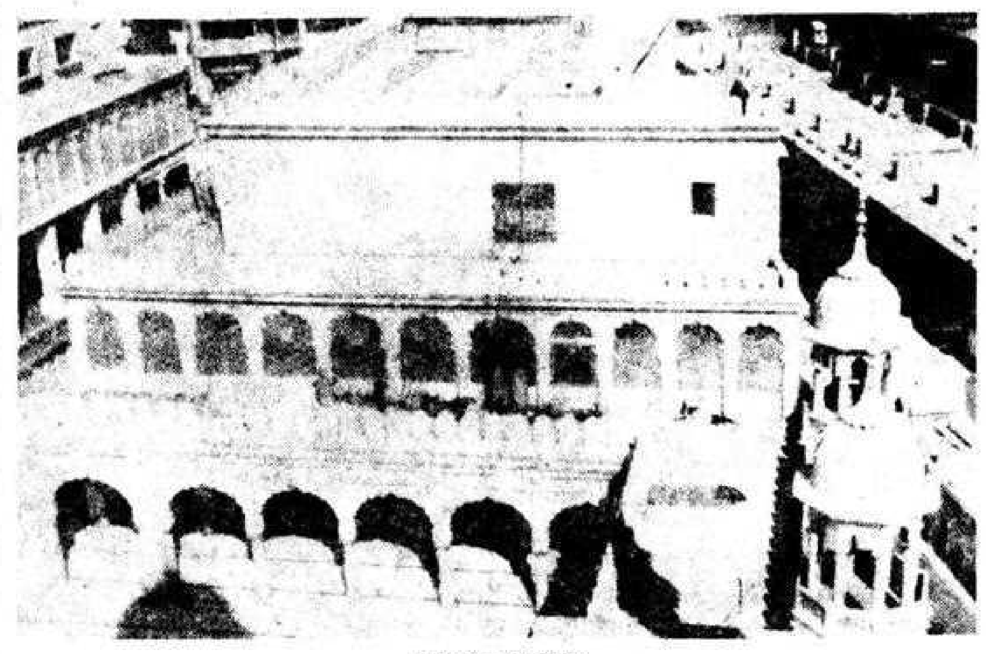

جامعة العلوم الإسلامية

(٤) عين كذلك عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

(٥) اختير عضوا بجامعة كراتشى فى لجنة انتخاب المدرسين بكلية الدراسات الإسلامية والعربية .

وغير ذلك من المناصب التى بلغت اكثر من ستة عشر منصبا علميا وقد كان الشيخ البنورى شخصية علمية بارزة .

قال عنه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة : « كان ـ رحمه الله ـ كنز العلوم والفضائل لكل مستفيد ، وكان رأيه ثاقبا ، وفكره مصباحا وضاء ، أنار السبيل للسالكين والمستهدين » .
كان ـ رحمه الله ـ محدثا ، وكان فى منهجه يهتم بالسند والرجال ، والدقة فى الرواية والبحث والتأمل ، وكان صاحب باع طويل فى شرح الحديث الشريف وتدريسه .

كما كان الشيخ البنورى مفسرا وكانت له مواقف من السير سيد أحمد خان بسبب التفسير الذى ألفه ، وكذلك مع مولانا ابو الكلام آزاد ورد على كتابه ـ « ترجمان البيان » فى كتابه ـ « يتيمة البيان فى علم القرآن » ، كما انتقد أبو الأعلى المودودى على كتابه فى التفسير « تفهيم القرآن » .

والبنورى كذلك كان فقيها له اهتمام بالغ بعلم الفقه وأصوله وقد وصفه من ترجم له بالفقيه ، وكان حنفى المذهب ، يفتى به ، ويرجحه على غيره دون تعصب .

من أعلام الدعوة الإسلامية

وكان البنورى اديبا وشاعرا ، وله آثار فى الأدب العربى ، وأذكر هنا نموذجا من قصائده فى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم :

كأن نجوما أومضت فى الغياهب
عيون الأفاعى أو رءوس العقارب
إذا ما اتتنى ازمة مدلهمة
تحيط بنفسى من جميع الجوانب
تطلبت هل من ناصر أو مساعد
ألوذ به من خوف سوء العواقب
فلست أرى إلا الحبيب محمداً
رسول آله الخلق جم المناصب

وغير ذلك من القصائد فى مختلف اغراض الشعر العربى وللشيخ البنورى مؤلفات عديدة فى مختلف العلوم الدينية والأدبية .

- **ومن ذلك فى علم الحديث الشريف الآتى : -**
- مقدمة فيض البارى وتحقيقه .
- **تحقيق نصب الراية « للزيلعى » .**
- **مقدمة اوجز المسالك فى « موطا مالك » .**
- مقدمة لامع الدرارى على « جامع البخارى » .
- **مقدمة بذل المجهود فى « حل ابى داود » .**
- **مقدمة السنة ومكانتها فى التشريع .**
- **ترتيب وتبويب** مع إخراج وتصحيح « العرف الشذى شرح الترمذى » .
- **التعليق على « سنن ابى داود » ، لازال مخطوطا ،**
- **تحقيق وتخريج لمعانى الآثار للطحاوى .**
- **« لب اللباب لما يقول الترمذى » - وغير ذلك كثير وكثير اتركه خوف الإطالة .**
- **آثاره فى الفقه : -**
- **« الفتاوى على مدى سنوات طويلة » .**
- **« بغية الاريب فى مسائل القبلة والمحاريب » .**
- **« مقدمة للسعاية فى كشف ما فى شرح الوقاية » .**
- **« مقدمة فى عقد الجيد فى ادلة الاجتهاد والتقليد » .**
- **الاسماع إلى خصائص حجة الوداع » .**

وله فى العقائد :

- **موقف الأمة الإسلامية .**
- **مقدمة عقيدة الإسلام وعدة مقدمات اخرى .**

وللشيخ البنورى دور هام فى بناء المراكز الإسلامية والمساجد وإيفاد المبعوثين إلى جهات مختلفة لنشر الدعوة الإسلامية خاصة فى « أفريقيا » و « أوروبا » و « أمريكا » ومن أبرز خدماته مواجهته « للقاديانية » بالكلمة والتحرك المضاد والمباشر ودوره الفعال فى حركة - ختم النبوة - حتى انتخب بالإجماع رئيسا لمجلس ختم النبوة الدولى .

وقد أسس - عليه رحمة الله - « جامعة العلوم الإسلامية » - بمدينة « كراتشى » فى الثالث من شهر المحرم سنة ١٣٧٤ هـ وتعد الآن من المفاخر الإسلامية فى باكستان لما تتمتع به من سمعة علمية وثقة المجتمع الباكستانى فيها ،

البقية ص ٤٦٨

الشعرُ والشعراء

رشاد محمد يوسف

في الفخر والاعتزاز

انها مصر

سؤال إلى أخت ممتحنة

فى الفخر والاعتزاز

للشريف الرضى

لغير العُلا منى القلَى والتجنُّبُ ... ولولا العُلا ما كنتُ فى الحبِّ ارغبُ

إذا الله لم يعذرك فيما ترومُهُ ... فما الناس إلا عاذل ومؤنب

ملكت بحلمى فرصة ما استرقها ... من الدهر مفتول الذراعين اغلب

فإن تك سنى ما تطاول باعها ... فلى من وراء المجد قلب مذرب

فحسبى انى فى الأعادى مبغض ... وانى إلى غر المعالى محبب

وللحلم اوقات ، وللجهل مثلها ... ولكن ايامى إلى الحلم اقرب

يصول على الجاهلون ، واعتلى ... ويعجم فىَّ القائلون واعرب

يرون احتمالى غصة ، ويزيدهم ... لواعج ضغن اننى لست اغضب

ولا اعرف الفحشاء إلا بوصفها ... ولا انطق العوراء والقلب مغضب

تحلم عن كر القوارص شيمتى ... كان معيد الذم بالمدح مطنب

لسانى حصاة يقرع الجهل بالحجا ... إذا نال منى العاضه المتوثب

ولست براض ان تمس عزائمى ... فضالات ما يعطى الزمان ويسلب

غرائب آداب حبانى بحفظها ... زمانى وصرف الدهر نعم المؤدب

الشاعر : هو الشريف الرضى : الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب اشراف بغداد واشعر بنى هاشم فى عصره توفى سنة ٤٠٦ هـ وهو استاذ الشاعر ، مهيار الديلمى ، الذى تخرج على يديه فى الشعر واسلم ايضاً على يديه .

القصيدة : الشاعر هنا يفخر بعلمه وحلمه وصبره وانه حبيب إلى اهل المعالى بغيض إلى الجاهلين ، وهو هنا يشيد بالخلق القويم والخلال الطيبة والاعراض عن الفحشاء وقوارص القول ، وانه لا تمس عزائمه ولا تثنيه عن معالى الأمور الفضالات الدنيوية ، وكلها ركائز ودعائم لدولة الخلق التى تسمو بالنفوس والارواح .

إنها مصر

للشاعر: رشاد محمد يوسف

لن تنالوا من أرضها أو سماها ... لن تنالوا من حسنها أو بهاها
لن تنالوا من فكرها أو حجاها ... لن تنالوا من عزمها أو قواها
إنها مصر والكنانة اسم ... طاب من قاله ومن أسماها
إنها مصر في ضمير الليالي ... أنبتت أرضها وأعطت يداها
أغدقت في العطاء علما وفنا ... فسما الكون من زكيّ هداها
شعبها صانع الحضارة يحيا ... شامخ الهام كبرياء وجاها

*

إنها مصر ما استكانت لضيم ... أو أذلت لدى الخطوب جباها
كم على أرضها توالت جيوش ... وغزاة بخيلها تتباهى
ثم عادت كسيرة الخطو كلمى ... ودروس في الحرب لا تنساها

*

لن تنالوا من دينها فهو حق ... ويقين بفكرها وحجاها
عرفت ربها قديما وعاشت ... وهدى الله في عميق حشاها
وترى الدين طاقة وحياة ... شمل الناس أمنها ورخاها

*

أيها المارقون شلت يمين ... تتمنى تخريبها أو أذاها
أيها الغادرون ثوبوا وعودوا ... لحياة الأمان فوق رباها
فتحت صدرها لكل غريب ... تتلقاه بالحنان يداها
أرضعتكم من نيلها العذب صفوا ... فاستدرتم تعكرون المياها
منحتكم من الأمان حياة ... لا يرى مثلها بأرض سواها
صانها الله في السنين الخوالي ... ورعى الله غرسها وحماها

*

يا بني مصر مصركم تتأذى ... كسر الغدر والجحود خطاها
بددوا الغيم عن سماها وصدوا ... نذر الشر أن تنال ثراها
وانهضوا للفداء عزما وقلبا ... ما استحق الحياة من ينساها
إنها مصر عزة وانتماء ... كل قلب بها شهيد هواها

سؤال إلى أمة ممتحنة

شعر: السيد الصديق حافظ

السؤال :

ما بال امر الارض فى يد معشر
نقموا على الإسلام نهج رشاده ؟!
جلبوا عليه بخيلهم وبرجلهم
وتحكموا فى جنده وبلاده

★★★

الجواب :

قد قال - ما معناه - جل جلاله
وهو العليم بقصده ومراده:
ولقد كتبنا فى « الزبور » ، وقبله
فى «الذكر» ان الأرض إرث عباده
الصالحين المهتدين بهديه
من جاهدوا فى الله حق جهاده

★★★

ميراث ارض الله ليس لأمة
هدمت من الإسلام ركن عماده
نفضت يديها من بواعث مجدها :
علم الجهاد ، وسيفه ، ونجاده !
فجثت على قدم الهوان ذليلة
وتمرغت فى شوكه وقتاده
هانت وإن رجالها عدد الحصى
لكنهم فى قدره وعداده !
ديست كرامتها ودنس قدسها
وتصاغرت لعدوها وعناده

«ألقت إليه بنفسها ونفيسها»[1]

ترجو صداقته وفضل وداده

وتعللت بالصبر بعد نفاده

وتقاعست عن حربه وجلاده

من هان عند «يهود» شر عصابة

بصق الزمان على عريض[2] وساده !

زمر اليهود على الفساد بقاؤها

وفناؤها في فقده وكساده !

هم مخلب الأقوى وهم حلفاؤه

مهما تظاهر للورى بحياده !

★★★

تعقيب :

لولا بقية عزة وكرامة

وإباء سيف مل طول رقاده !

وفتى حجارة أرضه مدد له

يبني طريف المجد فوق تلاده[3]

لترجل التاريخ يمشي صاغراً

في أرضنا عن عرشه وجواده !

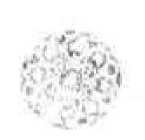

---

(١) الشطر الأول لشوقي .

(٢) وساده العريض .كناية عن الغباء .

(٣) الطريف = الجديد . والتلاد ومثله التالد = القديم والبيت إشارة لبطولة أطفال الحجارة .

العلوم الكونية في التراث الإسلامي

أ. د. أحمد فؤاد باشا

قال - تعالى - في القرآن الكريم : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (سورة الملك : ١٥) ومشى علماء المسلمين في مناكب الأرض لينظروا عظمة الله في خلقه ، ويدرسوا عن طريق الرحلات والأسفار كل ما يعرض لهم من معالم الأرض وظواهرها ، ويدونوا مشاهداتهم وخلاصة تجاربهم واكتشافاتهم ليطلع عليها الخلف وتتواصل مسيرة البناء والإعمار ، فكانت مؤلفاتهم أساسا لعلمين عظيمين عُرفا فيما بعد بعلم الجغرافيا (Geography) وعلم الجيولوجيا (Geology) .

أما الجغرافيا فهي : العلم الذي يعنى عموماً بدراسة سطح الكرة الأرضية وخصائص البلدان والأقاليم وسكانها ، بينما يعنى علم الجيولوجيا بالبحث في تاريخ الأرض ودراسة المواد والطبقات المكونة لها والتعرف على كل ما يرتبط بذلك من ظواهر تحدث تحت أو فوق سطحها .

وحتى لا يختلط الأمر بين مآثر علماء الحضارة الإسلامية في علمي الجغرافيا والجيولوجيا لتشابه مادتهما في مراحلها الأولى فإننا سنبين بإيجاز حظ كل منهما على حدة في تراثنا الإسلامي .

أولا - الجغرافيا :

قام علم الجغرافيا ، أو « تقويم البلدان » كما عرف عند العرب ، على الرحلات إلى الأقطار والبلدان المختلفة ودراسة تضاريسها ووديانها وأنهارها وخلجانها وحدودها وجبالها وسهولها ومشاهدة عادات سكانها ومعتقداتهم وثرواتهم ومواصلاتهم ، والتعرف على مناخ تلك البلاد ومواقع مدنها الكبرى وأهميتها من مختلف النواحي الاقتصادية والصناعية و « الاستراتيجية » . ومنذ القرن الأول للهجرة (الموافق القرن الثامن الميلادي) اتسعت معرفة المسلمين بأقسام الأرض وصفاتها نتيجة لاتساع فتوحاتهم ، وعرفوا منذ ذلك الحين عمل الخرائط وقراءتها ، فيروى أنه لما غزا قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة بخارى صعب عليه فتحها ، فكتب بذلك إلى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق ، فكتب إليه الحجاج يطلب منه أن يصورها (أي يرسم خارطتها وما حولها) ويرسل صورتها إليه ، وقد أشار الحجاج على قتيبة بطريقة فتحها سنة ٩٠ هـ .

كذلك تميز « الجغرافيون » فى الحضارة الإسلامية بنظرتهم العلمية الواقعية لمختلف الموضوعات الجغرافية ، مثال ذلك معالجتهم لتأثير العوامل البيئية على حياة الناس وأفكارهم وسلوكهم ومحاولة الربط بين البيئة والنشاط البشرى ، مما جعل بعض الباحثين المعاصرين يشهد لهم بفضل السبق فى تناول مبادىء الجغرافيا البشرية الحديثة ، وقد ورد الكثير من الآراء فى هذا المجال للمسعودى فى « كتاب التنبيه » وللمقدسى فى « أحسن التقاسيم » ولابن رسته فى « كتاب الأعلاق النفيسة » ولابن خلدون فى « المقدمة » ، كما يعزى إلى الإدريسى فضل الريادة فى الربط بين الجغرافيا الوصفية والجغرافيا الرياضية والفلكية ، ويعتبر كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » عن أقاليم العالم كلها ـ طبقا لما جاء فى دائرة المعارف الفرنسية ـ « أوفى كتاب جغرافى تركه العرب ، وإن ما يحتويه من تحديد المسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية فى القرون الوسطى » . فقد أتم الشريف الإدريسى تأليف هذا الكتاب فى أوائل عام ١١٤٥ م بناء على طلب روجر الثانى ملك صقلية وإيطاليا وشمالى أفريقيا ، وقدمه له مشتملا على سبعين خريطة تفوق خرائط « بطليموس » الشهيرة فى دقتها ووضوحها وقلة أخطائها ، وقدم معها خريطته الشهيرة للعالم التى نحتها على شكل كرة من الفضة قطرها متران وجعلها تقرب من وضعها العلمى الصحيح الذى هى عليه اليوم ، وبقيت خريطة الإدريسى ثلاثة قرون تسد الفراغ فى الغرب كنموذج يهتدى به ، ووصفها العلامة الألمانى « ميللر » بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة ذات أثر كبير فى تصوير الدنيا للأوروبيين[1] .

وهناك من بين علماء المسلمين فى عصر النهضة الإسلامية من أولى عناية خاصة بجغرافية منطقة بعينها أو قطر بذاته ، فقد كتب لسان اليمن الهمدانى « صفة جزيرة العرب » ، وكتب أبو الريحان البيرونى عن « الهند » ، وترك أحمد بن فضلان رسالة وصفت أحوالاً طبيعية واجتماعية فى بقاع من الأرض فى تركيا وروسيا ذهب إليها أيام الخليفة المقتدر .

على أن أهم ما نودّ التأكيد عليه فى هذا العرض الخاطف لتطور الفكر الجغرافى إبان عصر النهضة الإسلامية هو حرص علماء المسلمين على اتباع المنهج التجريبى فى البحث والتنقيب وصولاً إلى المعلومات الجغرافية السليمة على أساس علمى قوامه الملاحظة والتجربة الميدانية واستخلاص النتائج . ويكفى أن نعلم ـ فيما تقول المستشرقة الألمانية سيجريد هونكه ـ أن الناس فى أوروبا لم يعرفوا لزمن طويل الجغرافيا المؤسسة على المشاهدة والتجربة ، فلم تكن خرائط الأديرة ترسم الأرض طبقا لفهمهم للإنجيل إلا على أنها قطعة من الأرض يحيط بها بحر عالمى وفى وسطها الجنة ، وبينما كان الغرب عاكفا خلف أسوار الأديرة يبحث عن الجغرافيا فيما كتبه الأقدمون ، كان عالم كالمقدسى مثلاً يجوب الأرض طولاً وعرضا ليكتب فى القرن العاشر كتابا فى جغرافية الأرض وشعوبها ، اتخذ

---

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل حول المؤلفات التراثية المذكورة وغيرها راجع :

ـ د . صلاح الدين الشامى ، الإسلام والفكر الجغرافى العربى ، الأسكندرية ١٩٧٩ .

ـ س . م . ضياء الدين علوى ، الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، تعريب وتحقيق الدكتورين عبدالله الغنيم وطه جاد ، الكويت ١٩٨٠ .

ـ د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤

ـ عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ .

أساسيات علوم الأرض

مادته من تجاربه ومشاهداته الخاصة فقط[٢] .

وهاهو أبو عبدالله المقدسي يحدثنا عن المنهج الذي اتبعه في تأليف كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » - وقد ترجم هذا الكتاب إلى كثير من اللغات الأوروبية - فيقول في مقدمته : « أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة وتحريت جهدى الصواب ، واستعنت بفهم أولى الألباب ، ووصفت ما شاهدته وعرفته ، فما وقع عليه اتفاق أثبته ، وما اختلفوا فيه نبذته ، ومالم يكن بدٌ من الوصول إليه والوقوف عليه قصدته ، ومالم يقر في قلبي ولم يقبله عقلى أسندته إلى الذى ذكره .. وما تم لى جمعه إلا بعد جولاتى في البلدان ، ودخولى أقاليم الإسلام ، ولقائى العلماء ، وخدمتى الملوك ، ومجالستى القضاة ودرسى على الفقهاء .. مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل أحد .. وتفطنى في الألسن والألوان حتى رتبتها ، وتدبرى في الكور حتى فصلتها ، وبحثى عن الأخرجة حتى أحصيتها » . وعن الخرائط الملوّنة التى رسمها المقدسى للدول التى زارها ، واستخدم فيها الرموز وطرق التعبير الاصطلاحى عن التضاريس كى يمكن فهمها على الوجه الصحيح ، يقول : « ... ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة ، وبحارها المالحة بالخضرة ، وأنهارها المعروفة بالزرقة ، وجبالها المشهورة بالغبرة ، ليقرب الوصف إلى الأفهام »[٣] .

وهنا قد يبدو للبعض أن دور التجربة في البحث الجغرافى غير واضح وضوحه في أبحاث العلوم الطبيعية الأخرى وتطورها ، إلا أن الجغرافى المعاصر يرى في الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الدراسة الميدانية ويجعل من الجغرافيا علما عمليا يمتلك - كأى علم تجريبى - المعمل أو المختبر متمثلا في الرحلة الجغرافية الميدانية إلى المساحة المعنية ، في إطار الواقع الجغرافى الطبيعى والبشرى ، وفي ضوء هذه الرؤية المعاصرة يتأكد لنا سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى إرساء مفهوم البحث الجغرافى وإنجازه عن طريق الرحلة الميدانية ، وذلك قبل الجغرافى المعروف « اسكندر همبولت » الذى يعده أهل الاختصاص واحداً من عمالقة الجغرافيا في القرن التاسع عشر الميلادى ، وينسب إليه البعض أُبوّة الرحلة الجغرافية المتخصصة ، عندما خرج في الرحلة التى غطت مساحات من أمريكا الشمالية وشرق أوروبا وسيبريا ، وعاد منها لكى يصبح جغرافيا مرموقاً[٤] .

ثانيا - الجيولوجيا :

غالبا ما نقرأ في المؤلفات الجيولوجية أن نظرية الكوارث Catastrophism كانت تشكل الفلسفة السائدة قديما لتفسير التغيرات التى تحدث لسطح الكرة الأرضية بمرور الزمن . فالملامح المتمثلة في الجبال والأخاديد التى نعرف اليوم أنها تأخذ وقتا طويلاً لتتكون ، كانت تفسَّر على أنها نشأت عن طريق كوارث عالمية هائلة كالزلازل والبراكين وغيرها ، تحدث بمسببات غير معروفة ، ولم تعد مثيلاتها تحدث في الوقت الحاضر ، وقد نشأت هذه الفلسفة كمحاولة للربط بين معدلات التغير التى تطرأ على القشرة الأرضية وبين الأفكار السائدة آنذاك في الغرب حول عمر الأرض ، فقد أعلن القسيس جيمس أشر سنة ١٦٥٤ م أن عمر الأرض هو ٦٠٠٠ سنة تقريباً

(٢) سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١ .

(٣) د . أحمد فؤاد باشا ، المرجع السابق .

(٤) د . صلاح الدين الشامى ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الدراسات الميدانية ، الاسكندرية ١٩٨٢ .

حيث أنها قد خلقت سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد حسب زعمه ، وأعلن قسيس آخر أن الأرض قد خلقت بالتحديد في تمام الساعة التاسعة صباحاً من يوم ٢٦ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد(٥) . وتتلخص هذه العلاقة الوهمية بين عمر الأرض ونظرية الكوارث في أن تجميع الأحداث والتغييرات الهائلة التي شهدتها الأرض خلال فترة قصيرة تعد بآلاف السنين قد تحتاج إلى فلسفة تناسب المقام ، وهذه الفلسفة تعتمد على التغيرات العنيفة والمفاجئة .

من ناحية أخرى ، غالبا ما يزعم المؤرخون لعلم الجيولوجيا الحديث أن مولده تم على أيدي العالم الاسكتلندي جيمس هاتون James Hutton في عام ١٧٨٥ م عندما أعلن عن تفسير جديد لحدوث تغيرات سطح الأرض على أساس نظرية الانتظام Uniformitarianism الذي يُعبَّر عنه عادة بأن « الحاضر هو مفتاح الماضي » The present is the key to the past . وتعني هذه النظرية ببساطة أن القوانين الطبيعية والكيميائية والحياتية السائدة في الحاضر هي نفسها التي كانت سائدة في الماضي ، ومن ثم فإن القوى والأساليب التي نراها اليوم تغير شكل الأرض قد سادت بنفس الطريقة في الماضي ، وبقيت كما هي دائما ، وقد حاول « هاتون » أن يقدم أمثلة تؤكد صحة آرائه وتبين أن القوى التي تبدو صغيرة ، إذا ما استمرت لفترات طويلة من الزمن فإنها تنتج آثاراً تعادل تلك التي تسببها الكوارث المفاجئة ، فالجبال مثلا تتشكل وتذوى بواسطة عوامل التعرية وفعل المياه الجارية ، وأن بقاياها تنقل إلى المحيطات بواسطة عمليات يمكن مشاهدتها . وإن قبول مبدأ الانتظام مبدئيا بهذه الصورة العامة يعني قبول تاريخ طويل جدا للأرض لأن العملية المؤثرة ـ رغم تفاوت حدتها ـ تستغرق وقتا طويلا لتبني أو تزيل الملامح الأساسية لوجه الأرض . وهذا بطبيعة الحال يتعارض مع آراء الكنيسة التي تحدد زمنا قصيراً لا يتناسب مع الزمن الجيولوجي الموغل في القدم لبلايين السنين طبقا للتقديرات العلمية والتجريبية الحديثة .

وإلى هذا الحد من رواية « مولد الجيولوجيا الحديثة » يقول تاربوك ولوتجنز في كتابهما « الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية » : « وقبل ظهور نظرية هاتون المتعلقة بالأرض لم يوضح أحد علاقة الجيولوجيا بالطول المفرط في الزمن »(٦) . وهنا يأتي دورنا لإيضاح بطلان هذه المقولة وبعدها التام عن الحقيقة التي يشهد بها تاريخ العلم والحضارة كما يرويه المنصفون . والأدلة الدامغة سوف نستخلصها من عيون تراثنا الإسلامي لتكون أبلغ رد على مثل تلك الدعاوى والافتراءات التي تحاول بشتى الطرق إسقاط الدور الإسلامي الرائد وتأثيره في حركة التاريخ الإنساني .

يقول أبو الريحان البيروني (٩٧٢ ـ ١٠٤٨) عن الأرض : « ولا نعلم من أحوالها إلا ما نشاهد من الآثار التي تحتاج في حصولها إلى مدد طويلة ، وإن تناهت في الطرفين ، كالجبال الشامخة المتركبة من الرضراض الملس المختلفة الألوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها ، فإن من تأمل الأمر من وجهة وأتاه من بابه علم أن الرضراض والحصى هي حجارة تتكسر من

---

(٥) Edward J.Tarbuk & Frederick K.Lutgens; « The Earth. An Introduction to physical Geology, Charles E.Merrill publishing Company (1984)

انظر الترجمة العربية لهذا الكتاب ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، طرابلس ليبيا ١٩٨٩ . وكنا نتمنى أن ينوه في الترجمة العربية هذه إلى ريادة علماء الحضارة الإسلامية فيما يتعلق بوضع الكثير من المفاهيم الجيولوجية التي ينسب الكتاب اكتشافها زوراً إلى « هاتون » وغيره على نحو ما سنوضح فيما بعد ، خاصة إذا ما علمنا أن الكتاب المذكور يعتبر من المراجع العامة الحديثة التي يعتمد عليها الطلاب في المراحل الأولى لدراسة علم الجيولوجيا .

(٦) المرجع السابق .

أساسيات علــوم الأرض

الجبال بالانصداع والانصدام ، ثم يكثر عليها جرى الماء وهبوب الرياح ويدوم احتكاكها فتبلى ، ويأخذ البلى فيها من جهة زواياها وحروفها حتى يذهب بها(فتدملكها)، وأن الفتات التى تتميز عنها هى الرمال ثم التراب ، وأن ذلك الرضراض لما اجتمع فى مسايل الأودية حتى انكبست بها وتخللها الرمال والتراب فانعجنت بها واندفنت فيها وعلتها السيول فصارت فى القرار والعمق بعد أن كانت من وجه الأرض فوق ... وإذا وجدنا جبلا متجبلا من هذه الحجارات الملس ، وما اكثره فيما بينها ، علمنا أن تكونه على ما وصفناه ، وأنه تردد سافلاً مرة وعاليا أخرى ،

وكل تلك الأحوال بالضرورة ذوات أزمان مديدة غير مضبوطة الكمية ، وتحت تغايير غير معلومة الكيفية ، ولها تتناوب العمارة على بقاع الأرض ، فإن أجزاءها إذا انتقلت من موضع إلى آخر انتقل معه ثقلها فاختلف على جوانبها »[٧] .

ويرى إخوان الصفا ، أن الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الأزمان والدهور ، تنشف رطوباتها وتزداد جفافاً ويبساً ، وتنقطع وتنكسر ، وخاصة عند انقضاض الصواعق ، وتصير أحجاراً وصخوراً أو حصى ورمالا ، ثم إن الأمطار والسيول تحط تلك الصخور إلى بطون الأودية والأنهار ، ويحمل ذلك شدة جريانها إلى البحار والغدران والآجام ، وأن البحار ، لشدة أمواجها وشدة أضطرابها وفورانها ، تبسط تلك الرمال والطين والحصى فى قعرها سافا (طبقة) على ساف بطول الزمان والدهور ، ويتلبد وينعقد وينبت فى قعور البحار جبالا وتلالا »[٨] .

بمثل هذه النصوص وما جرى مجراها فى ثنايا سطور التراث الإسلامى نجد الكثير من الآراء والمفاهيم العلمية التى أسهم بها علماء المسلمين فى وضع أصول « النظرية الجيومورفولوجية » الحديثة التى تقضى بأن تطور اشكال سطح الأرض يعتمد على عوامل التعرية والإرساب والحركات الأرضية التى تؤثر على مدى طويل جدا من الزمن . وفى ضوء هذا المعنى يمكن القول بأن هذه الآراء تضمنت ما يعرفه علم الجيولوجيا الحديث من أن الجبال تصبح أرضا والأرض تصبح بحراً ثم تصبح أرضا مرة أخرى وذلك فى إطار نظرية التغير النسبى لليابس والماء ، وهى من النظريات الحديثة التى تعتمد على الحركات الرأسية (أى الانغمار والانحسار) والحركات الأفقية (أى الحركات البانية للجبال) .

هذا بالإضافة إلى معلومات جيولوجية أخرى وردت فى كتب التراث الإسلامى تتعلق بالحفريات Fossils وتتابع الطبقات Superposition وتزحزح القارات Continental drift والآبار الارتوازية[٩] وتصنيف الصخور والمعادن وتوزيعها ، إلى غير ذلك من الموضوعات والمؤلفات الهامة التى يضيق المقام هنا عن مجرد الإشارة إليها ، وندعو الله تعالى أن يوفقنا ، أو يوفق غيرنا ، إلى الحديث عنها فى دراسات مستقلة ، فما أحوجنا فى هذا الزمان إلى أن نتخذ من أسلافنا القدوة والمثل وندعو الأجيال إلى أن تحذو حذوهم فى حب العلم والحرص على طلبه والتفانى من أجله .

(٧) البيرونى ، (أبو الريحان) محمد بن أحمد ، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن ، توثيق محمد بن تاويت الطبخى ، طبع بأنقره عن نسخة مكتبة السلطان محمد الفاتح .

Dogus Ltd. Sirketl Matbaasi - Ankara - 1962 .

(٨) مجموعة رسائل اخوان الصفا ، بومباى ١٣٠٥ هـ ، جـ ٢ ص ٩٢ ، ٩٤ ، عن س . م . ضياء الدين علوى ، مرجع سابق .

(٩) تجدر الإشارة هنا إلى كتاب « انباط المياه الخفية » ، لمحمد بن الحاسب الكرخى ، حيدر أباد ١٣٥٩ هـ ، الذى ضمنه آراء قيمة فى مجال المساحة والمياه الجوفية .

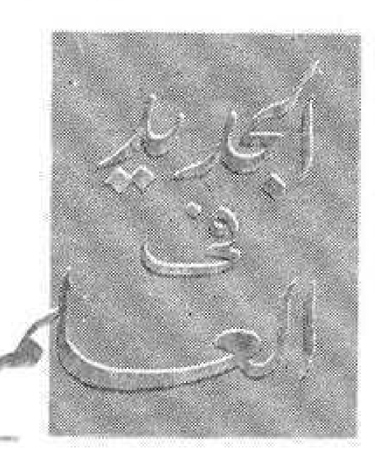

إعداد
د. نجوى السيد أحمد

رصد جسم غريب فى الفضاء الكونى

تمكن فريق دولى من علماء الفلك فى بريطانيا وأمريكا من رصد جسم غامض ، يُعدّ من أكثر الأجسام لمعاناً فى الفضاء الخارجى ، ولكنه يبدو باهتا عند رؤيته من الأرض .

ذكر العلماء أن الطاقة المنبعثة من هذا الجسم تعادل الطاقة المنبعثة من مجرة « درب التبانة » بحوالى ٣٠ ألف مرة . ويُعتقد أن يكون هذا الجسم داخل مجرة فى طور التكوين .

جهاز للتخاطب عن طريق الموجات فوق الصوتية

تقوم إحدى الشركات الأمريكية بتطوير جهاز يستخدم « التكنولوجيا » فوق الصوتية ويساعد على السمع ويحول الكلمات إلى أصوات تفوق بشكل طبيعى القدرة القصوى لحاسة السمع عند الإنسان .

أجرى الباحثون تجاربهم باستخدام الجهاز الجديد على ثمانية وعشرين شخصا يتمتعون بحاسة سمع طبية ، وخمسة عشر من كبار السن يعانون من صمم جزئى و تسعة صم تماما ، ووجدوا أن الجميع تمكنوا على الأقل من فهم بعض الكلام الذى نقل لهم بالموجات فوق الصوتية ، وقد يكون هذا الجهاز أملا جديدا للمصابين بالصمم الشديد .

(الجزر) و (البنجر) للوقاية من سرطان الرئة

نصح علماء مركز أبحاث السرطان بجامعة (هاواى) الأمريكية - المواطنين بتناول الخضروات الطازجة وبخاصة التى تحتوى على فيتامين « أ » ، مثل الجزر والبنجر ، للوقاية من

الجديد فى العلم والتقنية

الإصابة بمرض سرطان الرئة الذى يقضى سنويا على حوالى مائة وعشرين الف مواطن أمريكى . وقد قارن علماء المركز فى أبحاثهم بين وجبات الغذاء التى يتناولها نحو عشرين وثلثمائة من المصابين بسرطان الرئة وما يتناوله اكثر من ٨٦٠ من الأصحاء مع أخذ العوامل التى تزيد من التعرض للإصابة كالتدخين فى الاعتبار ، وجد ان وجبة الغذاء الغنية بالخضروات تقى من سرطان الرئة .

توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية فى الفضاء

يسعى العلماء فى الاتحاد السوفيتى إلى تنمية صناعة الطاقة عن طريق بناء (محطات شمسية فى المدارات الكونية) ومن المتوقع أن يساعد هذا على إقامة (بطاريات شمسية) بأحجام كبيرة للغاية على سطح الأرض . ذلك أن التيار الكهربائى الذى ستولده الطاقة الشمسية سيتحول إلى شعاع طاقة موجَّه فى مجال الأمواج الدقيقة بمستقبل هوائى للالتقاط ، ومن ثم يحول من جديد إلى تيار كهربائى ، وهو تيار ثابت وليس متغيراً . ويؤكد العلماء انه بذلك يمكن الاستغناء لا عن (المحطات الكهربائية) على الأرض فحسب ، بل وعن (خطوط نقل الكهرباء العالية الجهد) التي تتطلب كميات كبيرة من المعدن وتشكل خطراً على الكائنات الحية . ويمكن توجيه اشعة الطاقة إلى اى نقطة على سطح الأرض بواسطة الأقمار الصناعية .

استخدام جديد للأشعة تحت الحمراء

ظهر مؤخراً جهاز جديد لمنع حدوث الخلل النمائى الخطير الذي يصيب عادة أكثر من ١٠٪ من أطفال الولادات المبكرة بسبب عدم تدفق الدم الغنى بالاكسجين إلى الدماغ بشكل طبيعى . يعمل هذا الجهاز على مراقبة تدفق الدم باستخدام ضوء قريب من الأشعة تحت الحمراء ، ومجسات فائقة الحساسية يمكنها ضبط الكميات الدقيقة من هذا الضوء .

إنتاج (ليزر) جديد بالأشعة السينية

من المعروف أن أجهزة الليزر البصرى تعطى ضوءاً شديد التركيز ذا طول موجى محدد . ويتميز تطور هذه التقنية بالتقدم المستمر فى اتجاه الأطوال الموجية القصيرة ، لكن اختراع ليزر الأشعة السينية ظل أملا يراود أحلام العلماء إلى أن تمكنوا من تحقيقه مؤخراً فى إطار الأبحاث المعملية الماضية ، ويجرى تطويره حاليا للحصول على ليزرات تنتج حزماً ذات اطوال موجيه أقصر بمئات المرات من الأطوال الموجية للضوء المرئى .

يتوقع ان يكون لأجهزة الليزر ذات الأمواج القصيرة تطبيقات متنوعة من أهمها إنتاج صور مجسمة (هولوجرامات) Holograms لوحدات البناء البيولوجية الدقيقة التى لا يمكن دراستها بمجهر الضوء المرئى ، وعندما تصبح ليزرات الأشعة السينية موثوق بها وذات مردود اقتصادى جيد سيكون لها العديد من التطبيقات الهامة .

بلاستيك جديد لامتصاص بقع البترول

أعلنت شركة يابانية فى طوكيو أنها أنتجت نوعا جديدا من البلاستيك يمكن أن يستخدم فى امتصاص بقع البترول وسائر المواد الضارة بالبيئة . وأوضح الباحثون أن هذا النوع الجديد من البلاستيك يمكنه أن يمتص ما يصل إلى عشرة أمثال وزنه من البترول والبنزين والزيوت النباتية والمذيبات التى يعد عنصر (الهالوجين) أساسا لها .

أضاف المسئولون أنه ما إن يمتص هذا البلاستيك أى مادة فإنها لا يمكن أن تتسرب منه مرة أخرى وذلك نظرا ؛ لأنها تصبح محاصرة فى داخل التركيب الجزيئى لهذا المركب الكيميائى .

خطر تآكل طبقة الأوزون على المحاصيل الزراعية

ذكر باحثون أستراليون أن بعض المحاصيل الزراعية كالقمح والبازلاء ستتعرض لأضرار خطيرة نتيجة تآكل طبقة الأوزون التى تحمى الكرة الأرضية . حيث ثبت بعد تعرض القمح والبازلاء معمليا للأشعة فوق البنفسجية لمدة ثمانية أيام متصلة أن المحاصيل فقدت ٥٥٪ من مادة الكلوروفيل التى تساعد النبات على القيام بعملية التمثيل الضوئى .

أخطار التحدث بصوت مرتفع

بعد الكثير من الدراسات العلمية أعلن أطباء أمراض القلب فى (لندن) أن التحدث بصوت مرتفع لمدة ساعتين يحدث اضطرابات بالقلب تعادل المجهود الذى يبذله القلب فى الجرى السريع لمسافة ٤ كيلو مترات .

آلة تصوير الرؤية فى الأماكن المليئة بالدخان

توصلت إحدى الشركات البريطانية إلى إنتاج آلة تصوير حرارية ، تمكن رجال الإطفاء من الرؤية فى الأماكن المليئة بالدخان الكثيف الذى يحجب الرؤية وتعمل « الكاميرا » ببطارية تستمر فى العمل لمدة ساعة ، وتثبت فوق خوذة رجال الإطفاء بحيث تصور الحريق بعد أن تنقى الصورة من الدخان عن طريق مرشحات خاصة تنقل الصورة أمام عيون رجال الإطفاء .

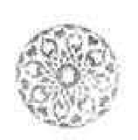

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« هكذا صلوا »

قيل لبعض التابعين : إنا نجد وسوسة فى الصلاة .

قال : أنا أجد ذلك

فقيل له : ما الذى تجده ؟

قال : أجد ذكر الجنة والنار وكأنى واقف بين يدى ربى !!

فقالوا له : إنا نجد ذكر الدنيا وحوائجها .

فقال : لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلىّ من أن يعلم الله ذلك من قلبى .

« أجهل من قومى قومك »

قال معاوية يوما لرجل من أهل اليمن ، ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة .

فقال : أجهل من قومى قومك الذين قالوا لما دعاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - للإيمان : ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ولم يقولوا : « إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه » .

« أوجع بيت هجاء »

قال عبد الملك بن مروان : ما هجانى أحد بأوجع من بيت هجانى به ابن الزبير وهو :

فإن تصبك من الأيام جائحة
لم نبك منك على دنيا ولا دين

« كم فقار ظهرك ؟ »

قال رجل لأعرابى : ما أحسبك تعرف كم تصلى فى كل يوم وليلة ؟

فقال له : فإن عرفت أتجعل لى على نفسك مسألة ؟

قال : نعم !!

قال :

إن الصلاة أربع وأربع
ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال : صدقت .. هات مسألتك .

قال له : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدرى .

قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك .

« هذا الذي أعطاه حقه »

اختصم أعرابيان إلى بعض الولاة فى دَيْنٍ لأحدهما على صاحبه ، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق فقال له المدعى : دعنى من هذه الأيمان ، واحلف بما أقول لك ، لاترك الله لك خُفًّا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا ، واحتُك من أهلك ومالك حت الورق من الشجر إن لم يكن لى هذا الحق قِبَلك .

فأعطاه حقه ولم يحلف له .

« أحسى »

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر مايرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

« مفاخرة يمن ومضر »

قال الأبرشى الكلبى لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك وهما عند هشام بن عبد الملك فقال له خالد : قل .

فقال الأبرشى : لنا البيت (يريد الركن

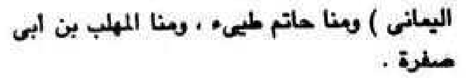

اليمانى) ومنا حاتم طيىء ، ومنا المهلب بن أبى صفرة .

قال خالد بن صفوان : منا النبى المرسل - صلى الله عليه وسلم - وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل .

قال الأبرشى : لا فاخرت مضريا بعدك .

« قالوا ... »

- أفة النصح أن يكون جدالا ، وأذاه أن يكون جهارا .
- إن الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، وإن العطية بعد المنع أجمل من المنع بعد الإعطاء ، وإن الإقدام على العمل بعد التأنى فيه ، أحسن من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه .
- إن من البلّية أن يكون الرأى بيد من يملكه دون من يبصره .
- إذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك .
- الحكيم الصالح لا يخادع أحدا ، والعاقل الكامل لا يخدعه أحد .

« دعاء »

اللهم أنت غياثى ، فبك أستغيث ، وأنت ملاذى فبك ألوذ ، وأنت عياذى فبك أعوذ .

أعوذ بك من خِزيك ومن كشف سترك ، ونسيان ذكرك ، والانصراف عن شكرك .

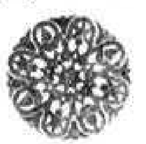

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

من توجيهات القرآن

فى تربية الخلق

لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ليس من الإنصاف القول بأن رسالة الإسلام تعنى بالعبادات فقط ، فهذا فهم خاطىء نابع عن فكر قاصر بحقيقة الإسلام رسالة ومنهاجا ، فللإسلام جانب علمى لتوجيه الحياة بكل تفاصيلها إلى اسمى مكانة ينشدها الناس ، والعقيدة وهى لب الإسلام يبرزها ويعلن حقيقتها الجانب العملى ، وهذا الجانب يتمثل فى الخلق ، فالخلق دليل على صدق الإيمان ، ولن يأتى التعرف على هذا الجانب إلا بالتعامل .

وقد وضح ذلك فى دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ سلوكا وخلقا ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران ـ ١٥٩ .

فالمسالمة ، ورقة الطبع ، ولطف المعشر أقرب الوسائل إلى امتلاك القلوب وتأليف الجماعات .

وفى تتبع لما جاء به القرآن الكريم من توجيهات خلقية قال الكاتب ـ رحمه الله :

أ ـ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ .

ب ـ ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .

قف معى أمام هاتين الآيتين ، واستشعر بوجدانك بعدما بين الفريقين ، ثم صاحبنى فى الموازنة بين المقامين ، علنا نهتدى من وراء ذلك إلى ماهنا من توجيه نحو أخلاق هى ذات الشأن فى التفريق بين فريق وفريق .

شعار هذا المقال ينم عن وعظ ، ويوحى بأنه للترغيب والترهيب ، ولئن كان ذلك المعنى شاخصا فيما اكتب ، فإن القصد الذى عنيته بالذات ، وأردت القارىء على أن يؤازرنى فيه هو أن نواصل ما بدأنا من تتبع ما هنا من توجيهات خلقية سيقت إلينا فى تأكيد من القول ، ولكنا على جفوة منها أو تجاهل ، حتى كأنها لم تكن لنا وبنا ، أو كأننا فى حل منها عملا والتزاما .

(أ) ينساق إلى بعض الأذهان أن القرآن حينما يتحدث عن المتقين ، إنما يقصد خصوص القائمين برسوم الإسلام من صلاة وزكاة ونحوهما ، وإن وهن فيهم جانب الأخلاق ، وأنه حينما يتحدث عن نقائص المنافقين لا يعنى بهم سوى المنافقين فى الإسلام ، على عهد الرسول ﷺ ، وإن توفرت كثرتهم بيننا فى هذه الأزمان .

ولو صح ذلك لكانت الفضيلة أرخص ما يدعيه الأدعياء ، ولوجدت جمهرة الأشرار يزحمون خيار الناس فى مناقبهم ، ويحتلون من الشرف منازلهم .

ولكن القرآن وضع للفضيلة حدودها ومعالمها ، وماز الخبيث من الطيب ، بما ذكر من خصائص النفوس ، واختلاف النزعات ، فإذا توارت عن بعض العقول حدود الفضيلة ، أو تعامت عن معالمها بصائر ، أو تطاول نفر من الحمقى فزعموا لأنفسهم أكثر مما لها ، فلن يكون ذلك طامسا لما رسم القرآن ، ولن يخلط الأوضاع التى تأبى أن تتبدل ، والتى ستظل فى حماية الدين ، وفى رعاية العلم ، وستظل كذلك مادام عقل يزن ، وضمير يحكم .

ليس الأمر كما فهم أولئك الذين زعموا أن دعوة القرآن إلى الخير ، تقف عند فرائض قد يؤديها من لا يحسنها ، وقد يباهى بها من يسير فى حياته على مناهضتها ، ولا يستشعر بشىء مما توحى به فى رسمها ، وفى معناها وأهدافها ، وإنما القرآن أوسع رحاباً مما تخيلوا وأسمى مأربا مما فهموا .

فهو ينظر فى الإنسان إلى عقيدته وعمله ، ويعتبر الخلق جانبا من العمل ، ناظرا إلى أثره فى الوجود ، وما ينجم عنه من خير أو شر ، فهو لا يحكم على الخلق ، ولا يرتب عليه جزاء إلا بقدر ما يتحقق من ورائه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

ثم يرى القرآن فيما علمنا أن الخلق ـ العمل ـ من متعلقات العقيدة وفيه تتمثل قوتها ، أو يبدو ضعفها ، وعلى ذلك ترى القرآن حينما يذكر المتقين ليشيد بهم ، وحينما يبشرهم بما أعد لهم فى أخراهم ، إنما يقصد بهم أولئك الذين صحت عقيدتهم ، وسلمت من شوائب الدخل طويتهم ، فكان مظهرها خالصا وصادقا فيما يبدو من خلق كريم ، وما يبدو من عمل حميد .

وما من شك فى أن العقيدة مصدر الإلهام للجوارح ، وصاحبة السلطان فى التوجيه ، فتدفع إلى الخير وتحببه إلى النفس ، أو تذود عنه وترغب عن سواه .

وإلى هنا يتضح أن العقيدة وحدها ، أو عملا طيبا لا تكون العقيدة مبعثه ، أو لا يكون مشفوعا بخلق حسن ، شىء من ذلك وحده لا يكفى لانتظام صاحبه فى المتقين ، ولا ينهض شأنه أن يأبه القرآن لذكره ، والإشادة به ، واستنهاض العزائم ، وإيقاظ النفوس لأن تترسم آثاره ، وتتأسى بصنيعه .

وقد تقرر عند أولى العلم أن الإيمان عقيدة ، وقول ، وعمل ؛ فإذا ما اعتور النقص واحداً من هذه الثلاث امتنع أن يوصف بالتقوى ؛ إذ التقوى هى كمال الإيمان .

نعم تكون تقوى نسبية فى مقابلة من يكون أقل من ذلك منزلة ، ولكن ليست التقوى التى يردد

من روائع الماضي

من توجيهات القرآن في تربية الخلق

القرآن امتداحها ، ويقام لها الوزن الراجح في اصطلاح علم الأخلاق .

ولدينا المثل لتطبيق هذا ، فإن خيار الناس الذين امتلأت الدنيا بذكرهم ، وجرت على لسان الزمن سيرتهم ، كان امتيازهم بعد العقيدة بادياً من ناحية الخلق .

وكانت أخلاقهم نماذج للإنسانية الكاملة ، ومعالم وضاءة لهداية الناس ، لا في جانب دون جانب ، بل في جوانب الحياة عامة ، وفي كل شأن يتصل به شئون الجماعات ، وقد رأينا القرآن حينما يعرض الثناء على المتقين ، يذكر أول ما يذكر ناحية الخلق ، فهو يمتدح فيهم كظم الغيظ ، والعفو عن الناس ، والإعراض عن اللغو ، وعفة اللسان ، ويذكر لهم الإيثار والقناعة ، والإخلاص وحب الخير للناس والوفاء ونقاء السريرة ، وقوة العاطفة ، والصبر، والرضا ، ويذكر كل ما يعتبره الدين من كمال الدين وكل ما يراه علم الأخلاق من محاسن الأخلاق .

ونرى القرآن حينما يختص النبي محمداً ـ صلوات الله عليه ـ بذكر مناقبه ، يمتدح فيه الرحمة ولين الجانب وسعة الحلم ، وجميل الصفح ، ويجمل ذلك وما إليه من شمائله الكريمة في قوله : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

وفي ذلك توجيه لنا إلى أن المسالمة ، ورقة الطبع ، ولطف المعشر أقرب الوسائل إلى امتلاك القلوب ، وتأليف الجماعات .

ثم في مقام آخر يعمد القرآن إلى الإحاطة بكل ما يتأتى أن يمدح به النبي ، ويطوى ذلك في أيسر عبارة تجرى على اللسان فيقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

فهذا نمط القرآن حين يتحدث عن التقوى والمتقين ؛ إذ يذكر أعمالهم وخصالهم ، ولا يقف عند ذلك التحديد الضيق الذى يقف عنده الذهن الكليل .

ومع أن القرآن ينثر أوصاف المتقين في مواضع كثيرة من آياته ، ويبث مدائحهم في ألوان عدة من الثناء ، فقد نراه يوجز كل ذلك في وعد كريم يشف عما لهم عند الله من قدر ، كفاء ما تجملوا به من خلق . أفرأيت قولا أحفل بالرضا ، وأدل على سمو المنزلة من قوله ، فقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ؛ بل هناك من حسن التقدير ، وبالغ الوصف ما هو أحفل وأعجب ، وحسبك قوله عز شأنه : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ الآية فكأنهم غير مجزيين بقدر أعمالهم فحسب ، بل لهم الآمال الفسيحة ، والمطامع الممتدة ، والرغبات المستجابة ـ ذلك جزاء المحسنين .

فليتنبه إلى ذلك من كان يظن أن التلون بلون الدين في عبادة جافة ، أو في زهادة لا يؤازرها خلق ، أو في تزمت وغرور ، أو في تكاسل مع الإسراف في حسن الظن بعفو الله ، من كان يظن أن شيئاً من ذلك يرقى به إلى مكان يروقه من الإيمان ، أو ينهض به إلى منزلة أعدت لمن عرفوا الدين دينا وخلقا ، فهو دون الفهم الصحيح ، والنظر الصائب ببون شاسع وأمد بعيد .

(ب) ذلك هو المقام الكريم من مقامين ، فأين منه مقام آخرين على طرف مضاد ؟ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ؟

إن القرآن في دعوته إلى تزكية النفس ، يستحثنا على الصدق فيما ننتحل من قول وعمل ، وينأى بنا عن مساوىء الدعوى المصطنعة ، والتقنع بالكمال المدخول ، مع الركون إلى

سفساف الخلق ، والاحتيال فى جلب الثناء من غير طريقه .

يرى القرآن فيما يتجه إلينا به أن هذا اللون الزائف من الخلق المموه ، شر ما يطمس معالم الإنسانية وقد كرمها الله ، وأقبح ما ينتاب المجتمع من تحلل النفسيات ، والتبجح فى قلب الأوضاع ، والطغيان على المبادىء القويمة التى هى موازين الكرامات والتى تعتبر من مباهج الحياة .

وما كانت أقدار الناس متمايزة فى قياس العقل ، ولا كانت القيم الأدبية على تفاوت بين إنسان وإنسان ، بل بين الإنسان والحيوان الأعجم إلا لأن هناك مدارك وحساسية توفرت فى جانب دون جانب ، وبرزت آثارها فى فرد أو جماعة أكثر مما توفرت وبرزت فى آخرين .

فهذا إنسان أينع فيه الخلق الفاضل ، حتى ارتقى فى مكانته لدى من يقدره ، واقترب فى إنسانيته أن يكون ملائكيا ، وذاك آخر هبطت فيه المدارك ، والحساسية ، وذبلت نفسيته حتى ارتكس إلى سفل ، وكان محسوبا على الإنسانية وهو ثقل على عاتقها ، ومخزاة فى وجهها ، أو كانت حياته شقوة تلحق بمجتمعه ، وتكدر العيش على من يبتغون العيش مطمئنا فى ظلال رفيهة من حسن الأخلاق .

يسوقنا ذلك ، أو يسوقنا إلى ذلك ما صنع القرآن فى حديثه عن النفاق وأهله ، فقد انتهج مع المنافقين أقسى مما انتهج مع أهل الكفر الصراح .

ليس لأن الكافرين بدعوة القرآن أحب إليه ممن نافقوا ، ولكن لأن الكفر الصراح يعتبر من الوجهة الاجتماعية عنادا سافرا وعداء مكشوفا ، أما النفاق فعداء ملفوف ، وضغن كامن ، فيه ما فى الكفر الصراح من قبح ، وفيه فوق ذلك مكر يبيتونه ، وشباك ينصبونها وراء ذلك الود البراق .

وكثيراً ما يقع المسالم المطمئن فى حبال النفاق ، إذا استنام إلى ظاهره ، ولم يفطن إلى خباياه أنه من الهين على المرء أن يتحاشى عدوا سافرا أكثر مما يتحاشى عدوا كامنا .

لذلك كان النفاق مهينا غاية المهانة وكان بغيضا نهاية البغض ، فليس فيه شىء يخفف من سوء ما به ، ولا يجتمع مع النفاق اعتزاز بشخصية ، ولا احتفاظ بكرامة ، ولا خشية من معرة .

ذكر القرآن من أوصاف المنافق ما كشف عن شخصية متأرجحة ، لا تملكها عقيدة ، ولم يثبتها إيمان ، فهى بين وسوسة وقتية ، ورعدة لازمة ، ويظل المنافق بين وسوسته وخوفه مفكك الشخصية ، مائع الخلق ، غير متماسك الرأى ، وهو إزاء اضطرابه ذلك يحاول أن يستند إلى غيره : كمن يلعب برأسه دوار ، أو كمن خارت قواه عن الوقوف ؛ فلم يتمالك أن ينهض على قدميه ، فمد يده إلى جانب ، والأخرى إلى جانب ، ثم ترهل فى حركته ليقف كما يقف الأقوياء وليس هو من الأقوياء .

يحرص المنافق على أن يمالىء هذا وذاك ، ويلتمس الرضا هنا وهناك ، فهو مع كل زامر يرقص ، ومع كل منشد يطرب ، وأنى يكون إنسان من كان كذلك ، أو على شىء من ذلك ؟

وليس أصدق من قول الله فيمن ينافق : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ ولا يحسبن حاسب أن النفاق جملة نقائص تتجمع فى شخص ، بل النفاق خصال وضيعة ، فمن تجمعت لديه فهو ممعن فى نفاقه ، ومن ابتلى منها بشىء فهو منافق إلى حد ما ، والنفاق شر كله وإن كان هينا على من اقترفه أو اقترف منه طرفا يسيرا .

ذكر القرآن أوصاف النفاق فى مناسبات من آياته : فأنت تراه يقول عن المنافقين : ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ويقول : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ، ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ

من روائع الملغى

من توجيهات القرآن فى تربية الخلق

﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ ، ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ، ﴿ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ ، ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ ، ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ ، ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ .

وهكذا من الآيات التى تشهد على المنافق بالضعة ، وتعطيك من صوره أنه : مراء وكذاب ، ونفعى ومتصنع ومريض القلب ، وما إلى ذلك مما يعافه السمع الكريم ، وتتأوه من هوله الجماعات ، فهل بعد هاته الدنايا يعرض للمنافق شأن أو يقام له حساب ؟

من كان كذلك فهو دون الغير فى الاعتبار ، بل هو دون الغير حتى فى الهوان ، فقد يكون خصم له قدر ، وقد يكون خصم تتخطاه الأنظار. ويتجاوزه الحديث حتى فى عداد الخصوم لو كانوا شرفاء ، فإذا رأيت القرآن يؤكد لك أن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار فقد سلك بهم مسلكهم ، ووضعهم فى أخراهم حيث وضعوا أنفسهم فى دنياهم ، وجعل قرارهم فى الدرك الأسفل ، بعد أن جعل مثوى المتقين فى مقام أمين ، ولم يكن هناك بين هؤلاء وأولاء سوى كرامة وأخلاق .. واليوم يابعد ما بين مقام ومقام !

من أعلام الأزهـر « بقية »

وهكذا يمضى حتى يقول فى ختام شرحه لهذه الآية : ولما كان رد الأحكام إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة قاطعا السبيل على المبعدين فى التأويل والمحرفين جعل فيه الخير ، وكان أحمد عاقبة من التأويل البعيد ، الذي يحيل الشريعة إلى اجتهاد بشرى لا تثبت فيه . مع أن الدستور الأول محفوظ برعاية الله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

العلم معرفة وسلوك

وكما كان شاعرنا عالما دقيقا كان « مربيا » فاضلا وموجها رائدا ، وقد نشر الكثير من آرائه القيمة فى مجلة « الرائد » تحت عنوان « اتجاهات تربوية علمية » ، ومن موضوع له بعنوان « العلم معرفة وسلوك » يقول :

إن معنى التوجيه الذهاب إلى جهة . والسلوك فى جملته مرتبط بالفضائل ونحن حين نؤدى واجبنا العلمى فى وضوح وبساطة ويسر إنما نربى أبناء هذا الجيل على المسلك الذاهب إلى الحق فى نور اليقين . وللكلام بقية بعون الله وفتوحه ورضاه » .

وامتد عطاؤه عشرات السنين ، واختير « معلما مثاليا » ، ثم اختير « رائدا من الرواد الأوائل » ، وقد حياه الرئيس السادات تحية خاصة عند تكريمه . وقد تخرج ـ رحمه الله ـ فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٢ وكتب مع نوابغ زملائه فى الأزهر « محمد فهمى عبد اللطيف » و « أحمد الشرباصى » ، وغيرهما حتى قبل تخرجهم كتبوا فى مجلة الصباح لصاحبها مصطفى القشاش ، ولم يترك القلم من يده منذ ذلك اليوم إلى أن انتقل إلى جوار ربه فى ١٩٩١/٨/١٧ . وكان موسوعة علمية وأدبية تتحرك بين الناس ، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه أحسن الجزاء لما قدمه لدينه ولأمته .

اللغة والأدب والنقد

التشريع اللغوي في نموه وانتشاره وتنوعه

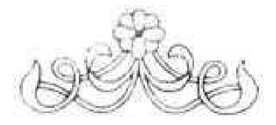

المسلمون في الولايات المتحدة

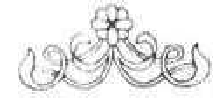

التشريع اللغوى

فى نموه وانتشاره وتنوعه

للدكتور
توفيق محمد شاهين

ويجرنا الحديث إلى قضية التكاثر والانتشار اللغوى مع الحديث عن قضية النشوء والارتقاء؛ ويسميها الدكتور المسدى (نظرية النشوء والتناسل)[1] وهى تكرس توالى نقاط الديمومة، وروابط التعاقب فيها أكثر مما تحتكم إلى منطلق الزمن فى أصل نشاته.

وهذه النظرية تقوم على افتراض تحرك الوجود اللغوى على محور الزمن قبل اكتمال الظاهرة اللغوية ذاتها، لأنها لا تولد بالطفرة التلقائية، اى انها لم توجد فى لحظة معينة بصفة متكاملة، وإنما وجدت كوحدات فى اصل النشاة، ثم اعقبها التوالد والتكاثر، كالخلية التى تتكاثر، ودراستها حينئذ كدراسة اى ظاهرة من ظواهر المجتمع الذى نعيشه، ونرى تدرج الظواهر والامور فيه على نحو متدرج يتكامل ويتكاثر وينتشر.

فإخوان الصفا حملوا الرئيس المدبر، وخلطاءه، ومن يلوذ بهم من بعدهم مسئولية الإشاعة والبث، حتى تعم الظاهرة اللغوية، ويذهبون إلى أن منشأ اللغة هو الرمز بحروف، هى ضرب من الأرقام الهندية فى الحساب، يتوصل بها إلى معرفة أسماء الأشياء وصفاتها، وتدرج ذلك إلى كلام بسيط محدود طبقا لقانون الحاجة والاضطرار، ويشبهون ذلك بشجرة نبتت وتفرعت وتفرقت فروعها، وكثرت أوراقها وثمارها، وتقسمها الاقوام فأخذ كل قوم بحسب ما اتفق لهم فى أصول مواليدهم[2].

والحاجة الملحة عند الإنسان هى الدافع الأول

(١) افاق عربية ص ٥٩.

(٢) رسائل إخوان الصفا ٣/١٤١ - ١٥٠.

لتوالد اللغة وتكاثرها ، يقول الجاحظ : (كثر كلام الناس واختلفت صور ألفاظهم ، ومخارج كلامهم ، ومقادير أصواتهم : فى اللين والشدة ، وفى المد والقطع .. إنما هو بسبب : كثرة حاجاتهم ولكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف ألفاظهم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم)(٣) .

والأديب اللغوى الشيخ عبد الله العلايلى - أمد الله فى عمره - يرينا صورة لهذا التدرج - كنظرة عقلانية - فيها قريب معقول ، وبالتالى فيها خيال خصيب ، عالج فى هذه الصورة الأحادية فى أصول اللغة والثنائية والثلاثية ، ويخلص منها إلى أن اللغة - بعامة ، قد مرت فى ثلاثة أدوار ، موجزها :

الدور الأول : أدنى المقاطع ، وهو المقطع البسيط الأحادى ، الذى هو أحد حروف الجدول الهجائى ، والتى أخذت منه كل لغة ما يناسبها ، مثل (بَ) فى العربية ، و (B A) فى الانجليزية مثلاً . وكل صوت أو مقطع عبر عن معنى ودلالة فى الطور البدائى الفطرى للإنسان ، حين اضطر إلى ذلك ، ويقول مثلاً : «ع» يدل على الحيوانات الزئيرية ، و«و» يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين ، وعنه نشأ الفعل «وو» فى العبرية بمعنى وصل .

والدور الثانى : ذو المقطعين ، أى صامتين + مصوتين ، أو مصوت واحد ، وذلك ناشىء عن تطور المقاطع الأحادية إلى ثنائية ، فمعنى المثال السابق (عوا) حيوان مفترس يواصل التصويت ، ويضرب الشيخ العلايلى مثلاً آخر لمعنى كلمة (سمك) ، فالسين بمعنى الدعامة ومطلق القوى ، و(الميم) ترمز للمياه ، و(الكاف) للكف أى مطلق التبسيط فى الصغر ، فالمعنى : كف الماء القوى ، وهو تصوير صحيح عن السمك .

والدور الثالث : دور طويل يمثل إنسان العصر الحجرى وما تلاه حتى تم نضج الإنسان واكتمل عقله ، ولطوله قسمه الشيخ العلايلى إلى حلقات خمس ، هى :

الحلقة الأولى : من العصر الحجرى إلى البرونزى ، وفيه استعمل الإنسان المقطع الواحد والمقطعين .

والحلقة الثانية : كثرت المفردات ، وعرفت الكتابة ، وتركبت الجمل وذلك فى العصر الحديدى .

والحلقة الثالثة : فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف ، وعرف الاشتقاق ، وأتقن الكتابة .

والحلقة الرابعة : تم فيها نضجه اللغوى ، وتمكن من الاشتقاق ، وأكسب اللغة حيوية .

والحلقة الخامسة : اكتملت اللغات الحية ، ولم تعد بحاجة لمستزيد ، وكمن فيها غناؤها وكفايتها(٤) .

هذه نظرية الشيخ العلايلى ، وفيها خيال خصيب لا يبعد ولا يعد الحقيقة كثيراً فى نظرنا .

وعلى هذا المنوال كان بحث فريق من علماء اللغة ، مثل (جير سن) ، الذى دارت أبحاثه ودراساته حول (لغة الطفل) ، و(لغة القبائل البدائية) و(دراسة تاريخية التطور اللغوى) ، للوصول بذلك إلى معرفة تطور اللغة وانتشارها فضلاً عن منشأها ومبتداها(٥) وكلها - فى الواقع ظنون ، وإن كانت ظنونا قوية ، إلا أنها لا ترجع إلى اليقين بحال ؛ لأن البحث فى هذا الجانب

---

(٣) الحيوان للجاحظ جـ ٤ ص ٢١ .

(٤) مقدمة لدرس لغة العرب ، للشيخ العلايلى ص ١١٠ وما بعدها .

(٥) اللغة والمجتمع د . محمود السعران ص ٤١ .

في نموه وانتشاره وتنوعه

اللغوى - كما هو معلوم - بحث غيبى ميتافيزيقى ، لأنه لا يعتمد على الأسلوب العلمى التجريبى حتى يكون من الأبحاث العلمية الدقيقة ، فكانت لذلك كل النظريات تعطى جانبا يقرب من الحقيقة ، ويميط جانبا من الحجب الضاربة على الواقع اللغوى فى منشئه وتدرجه ؛ لأنه ظن راجح ولم يعارض بما هو ارجح ، كما أسلفنا من قبل .

والفيلسوف الإسلامى أبو نصر الفارابى أصل من قبل مرحلة الادوار والمراحل التى قطعها الإنسان فى الإبانة عن نفسه ، بحسب العادة ، وضرورة التعايش الاجتماعى ، والتكيف الطبيعى والبيولوجى والاستعدادات الفطرية ، على نحو ما فصل الشيخ العلايلى حديثا .

فالإنسان - عند الفارابى موجود قبل اللغة ، والتى هى ظاهرة عارضة وطارئة على الإنسان ومجتمعه ، واحتاج الإنسان إلى (أن يعرف غيره ما فى ضميره ، أو مقصوده بضميره ، فاستعمل الإشارة فى الدلالة ، وفزع معها إلى التصويت اللغوى ، والذى هو أساس الحروف ، ومنها تألفت الكلمات وترقت بالتولد من البسيط إلى المركب ، حتى تكاملت الظاهرة ، وبلغت الذروة فى الكمال ، من الترقى المحسوس إلى المعقول ، حديثا ، وخطابة وشعرا وفلسفة)[٦] .

وتعددت اللغات - بعدئذ - بخاصية الانسلاخ والتعدد ، بفضل بعدى الزمان والمكان - متى ؟ واين - كاساس تفتيشى لكل معضلة وقضية ، أو رمز للزمن والمحيط فيقر الإمام ابن حزم مبدأ التكاثر انطلاقا من :

(لغة واحدة مترادفة الأسماء على المسميات ، ثم صارت لغات كثيرة .. ويعزو هذه الظاهرة إلى مبدأ تبادل ابنية اللغة : على طول الازمان ، واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم[٧] .

وافضى هذا التكاثر إلى تعدد اللغات بحيث تفرقت المظاهر اللسانية فى أجناس النطق واشكاله ، حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس وجهارة ، أو حدة ورخاوة ، أو فصاحة ولكنة ، او نظم وأسلوب ، أو غير ذلك من صفات النطق وأحواله ، كما يقرره العلامة الزمخشرى[٨] .

ومن قبله قرر ابن جنى ذلك التغير الطارىء على الظاهرة اللغوية ، مثلها فى ذلك مثل الكائن الحى فيما يعتوره ، كما قال : « ... وهذا ونحوه مما يدلك على تنقل الأحوال بهذه اللغة ، واعتراض الأحداث عليها ، وكثرة تغيرها وتحولها»[٩] ويعبر ابن جنى عما يسمى بقانون التناسب الطردى ، او التناسب بين التواتر والاستحالة فى آن واحد ، بقوله : (وهم لما كثر استعماله أشد تغييرا)[١٠] اى ومن حقه حين كثر استعماله أن يثبت ، لا العكس .. لكن الأمر فى هذا أصبح كقانون ؛ لأن التراكم الكمى للحدث اللغوى فى الزمن هو رصيدها وجوهر حياتها ، ولكن التغير هو الدليل على حيويتها وثرائها ، وقدرتها على النماء الذاتى (والديناميكية).

ومن مظاهر الانتشار التداخل اللغوى .. ومعنى التداخل : أن تتركب لغة ثالثة هى خليط من لغتين ، واللغة هنا بمعنى اللهجة ، أى أن التداخل إنما يكون فى إطار اللغة الواحدة ، يقول ابن جنى : (ثم تلاقى أصحاب اللغتين ، فسمع

(٦) الحروف للفارابى ١٣٥ .
(٧) الاحكام لابن حزم ١/١٣١ .
(٨) الكشاف للزمخشرى ٢/٥٠٦ .
(٩) الخصائص لابن جنى ١/٢١٥ .
(١٠) السابق ٣/٣٤ .

هذا لغة هذا ، وهذا لغة هذا ، فأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمه إلى لغته ؛ فتركبت هناك لغة ثالثة)[11] .

وتداخل اللغات قائم على سنن ، ومن ثم فلم يفزع منه علماء اللغة ، بل وصفوا مظاهره ، وعللوا أسبابه ، وذكروا أمثلته .

وإنما التغيير أو المسخ هو الذى أفزع العلماء ، ومن ثم نشطوا لجمع اللغة وضبطها ، وبخاصة عند الذين تأخر بهم الزمن فأقلقهم قانون التغير الطاغى ، ويصور الحيرة العلامة ابن منظور الأفريقى المصرى (٦٣٠ ـ ٧١١) هـ ، حيث يقول :

(فإننى لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية ، وضبط فضلها ؛ إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز ، والسنة النبوية ، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان ، ويخالف فيه اللسان النية . وذلك لما رأيته قد غلب فى هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان ، حتى لقد أصبح اللحن فى الكلام يعد لحنا مردودا ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا ، وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية ، وتفاصحوا فى غير اللغة العربية ، فجمعت هذا الكتاب فى زمن أهله بغير لغته يفخرون . وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون . وسميته لسان العرب)[12] .

فهو متأثر (عقيدة) فى ضرورة الحفاظ على وعاء الإسلام بجمعه وضبطه ، ومشفق من هذا التغير الذى استشرى ، والحيرة فى ظاهرة التنافر والتوافق بين اللسان والنية ، وعاتب على إهمال العرب والمسلمين للغة القرآن والسنة .

وهذا التغيير الحتمى أدركه وعى الفكر العربى ، كما يصوره الدكتور المسدى بقوله : (وليس أدل على وعى الفكر العربى بحتمية التغير اللغوى من تصوير المعجميين بالحافز الذى كان يستنفرهم لوضع قواميسهم ، وخاصة من تأخر فى الزمن نسبيا منهم ، إذ انتهى إذ ذاك مشكل جمع اللغة خشية التشتت أو الاندثار بعد أن تكاملت منظومة التراث العربى على مر قرون عدة) .. وضرب المثل بابن منظور ، الذى أصبحت حيرته الناموس القهار الذى للزمن على الظاهرة اللغوية .. وصوره بغاية الدقة عند إبراز ظاهرتى التوافق والتنافر بين النية واللسان ، وهو مجمع الأشكال فى تحولات الظاهرة اللغوية[13] .

ويقرر ذلك الناموس فى صراحة القاضى عبد الجبار ، حين يقول عن سلطان هذا الناموس وجبروته : (العرف أقوى من اللغة ؛ لأنه يرد على اللغة فيغير حكمها)[14] .

ويسلم الزملكانى لهذا السلطان كأنه حتمية لازمة بقوله :

(لكل زمان أهل وعادة فى مقالهم ومجارى استعمالهم)[15] .

وهذا ما يفسر نشوء اللهجات وانشقاقها من اللغة الأم ، ثم تتسع مسافة الخلف وتتباعد ، وإن حملت الملامح والسمات الأساسية ، وقد يسعفها الدهر بحادث جليل فتصبح أمًّا أو بدرا تختفى النجوم حولها ، كما حدث للقرشية بالنسبة للهجات الأخرى فى اللغة العربية ، وقديما قال الشاعر :

وكم فى العرس أبهى من عروس
ولكن للعروس الدهر ساعد

وإذا فطن اللغويون لسبب طغيان لهجة على أخرى ، أو خط لغة فى الذيوع والانتشار ، بسبب

(١١) الخصائص ١/٢١٥ .
(١٢) مقدمة قاموس لسان العرب .
(١٣) آفاق عربية د . المسدى ص ٦٢ .
(١٤) المغنى ٦/٩٨ .
(١٥) البرهان ٩٣ .

التشريع اللغوى

في نموه وانتشاره وتنوعه

الكثرة أو الغلبة والانبهار .. فقد ادرك مفكرونا القدماء ذلك :

فابن خلدون يرى المخالطة أو الغلبة : المخالطة للكثرة في الاجتماع ، والغلبة في المحرك الحضارى والتفوق العسكرى بين الجماعات اللغوية المتغايرة :

فابن خلدون يرى أن اختلاط العرب بغيرهم في الفتح وغيره غير ملكتهم اللغوية (بما ألقى إليها السمع من المخالفات التى للمستعربين ، والسمع أبو الملكات اللسانية) وكان التغاير (بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليها باعتياد السمع) حتى (فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم ، وسبب فسادها : أن الناشىء من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التى كانت للعرب ، فيعبر بها عن مقصوده ؛ لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ، ويسمع كيفيات العرب أيضاً ؛ فاختلط عليه الأمر ؛ وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة)[16] .

فالاختلاط أدى إلى فساد الملكات ، والسمع أبو الملكات اللسانية على نحو ما يقرره علم اللغة الحديث ، والتأثير والتأثر متبادلان ، والنتيجة هى التشقق واستحداث لهجات جديدة تنفصل أو تظل على اتصال واهٍ أو متين من اللهجة الأم .

وعن تأثير قانون الصراع والغلبة وأثره على اللغة واللهجات ، يقرر العلامة ابن خلدون بقوله :

(اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المختلطين بها) ويسوق دليلا على ذلك بغلبة العربية على ألسنة الأمم الأخرى حين عزت وبذت الدولة الإسلامية على غيرها (والدين والملة صورة للوجود والملك ، وكلها مواد له ، والصورة مقدمة على المادة ، والدين إنما يستفاد من الشريعة ، وهى بلسان العرب) ، وحين ضعف سلطان الأمة الإسلامية ، وتولى أمردولتهم غير من أقاموا دعائم دينهم ، (وملك التتر والغول بالمشرق ، ولم يكونوا على دين الإسلام .. ذهب ذلك المرجح ، وفسدت اللغة العربية على الإطلاق) فلم يبق له ـ في ممالك العراق وما وراءه (أثر ولا عين ، حتى أن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمى ، وكذا تدريسه في المجالس)[17] .

فاللغة تعيش كما يعيش الكائن الحى ، بما هى خصيصة الإنسان ، فإن ارتقى الإنسان ، وقوى ، توفرت عناصر البقاء والحياة والقوة والنماء للغة والعكس بالعكس ، ويعبر عن هذا صراحة ـ أيضاً ـ العلامة ابن حزم الأندلسى بقوله :

(إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم ، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم :

فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها ، قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم .

وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم ، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل في خدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر ، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم)[18] .

وما ينطبق على العربية ينطبق على غيرها ، كاللاتينية وما تفرع عنها مثلاً .

---

(16) المقدمة ص ٥٥٥ ـ ٥٥٧ .

(17) المقدمة ص ٣٨٠ .

(18) الاحكام ١/٣١ .

وإن الناظر فى حال الأمم الإسلامية والعربية التى وقعت تحت نير الاستعمار الغربى أو الشرقى ، ليرى مصداق كلام وتقرير العملاقين : ابن خلدون وابن حزم ، وكيف أن اللسان العربى مسخ ، وأن فرقة اللهجات ازدادت اتساعا ، وبعدت الأصول اللغوية عن اللغة الأم ، فأصبحت مشوهة ، أغرت الضالين بالقول بالتخلى عن اللغة العربية الفصحى وعزلها فيما تبقى لها فى حيز ضيق وعاشت بين أهلها غريبة الملامح والسمات والانتماء الروحى ، وحتى من أقبل عليها مسوقا بالعاطفة الدينية من غير أبنائها .. ما إن سار قدما فى تعلمها حتى وقع فى حيرة وبلبلة ، حين وجدها حية فى الكتب والخط العلمانى ، وميتة على لسان أهلها والجاهلين بأمرها حين يعايش تخاطبهم بلهجات عامية ، ويعاين جهلهم بأبسط قواعدها ، والنتيجة : أنه تعلم العربية ، وهى لغة قوم لا يعون عنها شيئاً ، ويستغربون أو لا يفهمون التخاطب بها ولا يعون التعاطف معها .

وحيا الله جهود أفراد نافحوا وجاهدوا فى سبيلها فى ظلمات العواصف التى ألمت بها وبأهلها، فأرسوا قواعدها وحافظوا عليها ، ودافعوا عنها ، وأمدوها بجرعات الحياة ، وشدوا من عضدها ، فاستقامت ، واحتضنها أقوام أنست إليهم وأنسوا لها ، أمثال : الأفغانى ، والشيخ عبده ، والشيخ طاهر الجزائرى ، وابن باديس ، والرافعى ، والكيلانى وغيرهم من أبنائهم فى العصر الحديث ، حين اهتموا وعاونتهم المجامع اللغوية على حياة اللغة وإحيائها من منظور لسانى ووطنى .. وبالتالى عاونت المعاهد والجامعات وفى مقدمتها الأزهر من منظور لسانى وعقيدى .. وكان المنتوج الإنسانى باهرا فى إحياء العربية .. وحبذا لو جاء تلامذة للرواد يضربون على نفس الوتر ، ويعزفون نفس المنظومة .. إذن لتبدل حال العربية إلى الذيوع والانتشار ، بمعاونة القمة والقاع ، وتعاون الأجهزة المختصة والقادرة على إرساء حجر الأساس والزاوية فى بناء صرح العربية .. فقد تنازع البقاء والذيوع والانتشار فى ميدان الكون اليوم لغات غطت مساحات المعمورة كلها كلغات سائدة رائدة يرفدها العون المادى والأدبى والدفع القوى ، كالانجليزية ، والفرنسية ، والأسبانية .

فإذا عاملنا العربية ككائن حى ، وأوليناها الرعاية والعناية اللائقتين ، وعاملناها من منطلق لسانى ومن منطلق إيمانى .. سيصير الحال غير الحال ، وما ذلك على الله بعزيز .

ونسوق فى الختام قول الفيلسوف الألمانى : إن وجود أمة من الأمم بوجود (إنيتها) التى هى شخصيتها ، وإن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة : الدين ، واللغة وحب الوطن .

إن اللغة هى رمز وجود الأمة ، إن الذى يفقد لغته ينتهى به الأمر إلى الذوبان ؛ لأن اللغة هى القوة الطبيعية الأولى لأمة ما ، فهى صدى روحها وأصالتها ، وهى لسان شخصيتها والحافظة لتراثها .. ويقول : إن العبد يأخذ لغة سيده .. وإن فقدان أمة للغتها .. هو فقدان وعيها ، وإنيتها ، وذاتيتها .. هى العروة الوثقى التى تربط بين الأحياء ، وتصل بالأموات ، ويكتب بها سجل الأمم (من كتابه : نداء إلى الأمة الألمانية) .

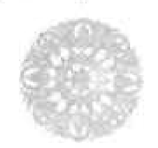

المسلمون

في الولايات المتحدة الأمريكية

٢

الأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

ولسنوات عديدة كان المركز الإسلامى ضحية تهديدات بالقنابل ، ومحاولة حرق واحدة على الأقل ؛ كما كان الثمن ـ مع مساجد أخرى ـ أكثر فداحة ، فقد أشعل الحارقون النار بأحد المساجد فى (كورونا) فى مقاطعة الملكات بمدينة (نيويورك) . وذلك بعد اختطاف سفينة الركاب الإيطالية (أكيلى لاورو) فى البحر المتوسط عام ١٩٨٥ .

وفى أوائل هذا العام بعد اختطاف الطائرة T W A مزقت قنبلة موقوتة أحشاء مسجد فى (هُيُوسْتُنْ) ، وفى الربيع الماضى أتلفت قنبلة حارقة المركز الإسلامى غير الحصين فى كوينسى بولاية (ماساشوستْ) حيث وُضِعَتْ فى وقت متأخر من إحدى ليالى رمضان الذى يُعرِّفُه الكاتب بقوله : إنه الشهر القمرى التاسع الذى يصوم فيه المسلمون من الفجر إلى الغسق وهو شهر يزدان فيه التقويم الإسلامى بذكرياته العطرة وانتصاراته عبر تاريخ المسلمين الحافل .

وقد حاول المجلس الإسلامى بـ (لوس انجلوس) مقاومة سوء الفهم هذا بطرق عديدة أهمها : إصدار وتوزيع مجلة إخبارية أسبوعية تسمى (الإسلام) وهى مجلة ذات أسلوب معين برامجية توزع على محطات (التلفاز) بتسع مدن .

والبرنامج من بنات أفكار (نذير خاجا) وهو طبيب يدرس بأحد مدارس الطب بـ (كاليفورنيا) كما قام بإنشاء (خدمة المعلومات الإسلامية) عام ١٩٨٥ .

وعلى جهاز بعيادة دكتور خاجا أخذ شريط لأحد العروض القديمة فى الدوران ، وفى هذا الشريط المرئى يرى مغنى الأغانى الشعبية سابقا (كات استيفينز) الذى اعتنق الإسلام مؤخراً ، وأسمى نفسه (يوسف إسلام) ، وقد اعتلى إحدى المنصات وانهمك فى شرح وتوضيح أساسيات الإسلام ومبادئه .

كذلك تم تصوير (يوسف إسلام) فى إعلانات المركز الإسلامى فيما يسمى بشريط الشهر الذى يصدره النادى . ويسمى أحد شرائط (الفيديو) تلك (الإسلام .. مستقبل البشرية) .

وفى هذه الأيام أخذ المركز ينخرط بقوة فى المسائل السياسية من خلال العمل الإبداعى الذى لم يتجاوز السنتين والمسمى (مجلس الشئون العامة للمسلمين) . والذى يديره (سلام المراياتى) وهو مهاجر عراقى يبلغ من العمر ثلاثين عاما ، ومنتقد صريح لسياسات بلاده . كما يقوم المركز بدعوة السياسيين من مختلف المشارب والاتجاهات والدرجات من أعضاء مجالس مدن إلى ممثلين برلمانيين بمختلف الولايات وذلك لزيارة ومناقشة شتى القضايا .

وكما دخلوا فى التنافس للتسجيل كناخبين . كذلك اشتغل أعضاء عدة فى الحملات السياسية الانتخابية الخاصة بترشيح (جى سى جاكسون) للرئاسة عام ١٩٨٨ . وقد تحدث (السيد جاكسون) فى المركز مرتين ، وحض المسلمين على الدخول فى المعترك السياسى بشكل أكثر تأثيراً .

ويقدم (السيد المراياتى) بعض الأمثلة التى يدعى الكاتب أنه حين النظر إليها كلياً يتضح لنا مدى صعوبة تصنيف وتحديد ورقة عمل سياسية يمكن للمسلمين أن يكون لهم بها دور فى المعترك السياسى الأمريكى .

فهو يدين عقوبة الإعدام ويقول : إنها تطبق طبيقا تعسفياً على السود بشكل خاص ، كما ينتقد الشذوذ الجنسى ، ويتحدث عن الضرر الذى يسببه الاختلاط الجنسى بين غير المتزوجين فى المجتمع الأمريكى .

ويضيف : أنه طبقا للشريعة الإسلامية : فإن المطلوب من الرجال والنساء التواضع فى الهندام . وتشتد الحاجة للبساطة فى الأمور الشخصية وتبرز فى التحدث إلى المسلمين خصوصا النساء اللاتى يؤكدن أن البساطة فى اللباس هى من الأسباب التى حببت إليهن ارتداء غطاء الرأس أى (الحجاب) . ولا يشاهد أى أسلوب فردى معين فيما يخص الملابس فى رواد المركز وذلك بعد ظهيرة الجمعة التى أطلق عليها الكاتب (سبت المسلمين) ، وهو زعم باطل ، حيث أنه ليس للمسلمين سبت بل عيد أسبوعى وهو يوم الجمعة . . ويشبه الكاتب الجموع الغفيرة فى هذا اليوم باجتماع للأمم المتحدة ، حيث يتدفق المصلون من كل لون وجنس إلى المبنى . . الرجال فى شتى أنواع الملابس من بدل العمل إلى الأردية القطنية البيضاء ، والنساء فى أحذية عالية الأكعب وقد ارتدين أردية مناطق الشرق الأوسط وافية الطول فضفاضة ، وأحجبة ضافية وقورة ، لكنه يلفت النظر إلى أنه لم ير امرأة تغطى وجهها . وتتمتع المرأة المسلمة فى هذا البلد بقدر أكبر من الحرية التى لا تتاح لمثيلاتها فى بلاد عربية أو إسلامية أخرى كالسعودية وإيران مثلا .

الولايات المتحدة الأمريكية

وتقول (دونا علي) : وهي ربة بيت ومحاسبة في (جالف بورت) بـ (ولاية نيزوري) : إن

الكثير من النساء اليوم في العالم الإسلامي يعانين الكبت والظلم ، لكنها سرعان ما تستدرك قائلة : وليس هذا بالطبع مما نادى به الإسلام من مبادىء وإنما هو ما أسمته بدور المثقفين والثقافة . ونحن نرى أن الصواب قد جانبها في ذلك ، فالمرأة المسلمة في هذا العصر ومنذ القرون الأولى للإسلام تتبوأ أعلى المناصب ، ويوكل إليها مايناسب قدراتها من أعمال ، . ثم يواصل الكاتب وصفا ليوم الجمعة حيث يقول :

إن الحشد البالغ أكثر من ألف من البشر ينطلق خارج الحجرة الرئيسية حيث مكان واسع ليس به إلا سجادة بسطت ، وكوة تحدد جهة الشرق وهو اتجاه مكة المكرمة .

ويملأ المصلون الصالة الرئيسية وغرفة مؤتمرات كبيرة خلفها ، وحيث تؤدى الصلوات بالعربية ؛ فإن المؤمنين يتابعون شعائر من القيام والركوع والسجود ، وقد اصطف الرجال في المقدمة تليهم النساء في المؤخرة . وأسفل الممر القصير في مكتب (مصباح الدريني) توجد صورة طولها ياردة للمسجد الحرام بمكة بالسعودية ، وقد شغلت هذه الصورة حائطا بأكمله ، ويشير (السيد الدريني) مدير المركز إلى أن مايشاهده النظارة بالصورة هو المسجد الحرام الذي تحول إلى خلية نحل تزخر بالحجاج الذين يؤدون فريضة الحج وهي رحلة إلى مكة يفرضها الإسلام على كل مسلم قادر مستطيع .

ويأتي المسلمون لأداء هذه الفريضة من كل بقاع الأرض : بعيدها وقريبها كجنوب أفريقيا والاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية وحتى جنوب الباسفيك والهند .

وإذا نظرنا إلى تنـوع القادمين لأداء الفريضة ؛ فإن هناك مكانا واحداً يشبه ذلك في تنوع واختلاف قاصديه ألا وهو كما يقول الدريني : الولايات المتحدة غير أنه فات الكاتب ـ ومن أخذ عنه ـ أن يبين : أن ثمة فرقا جوهريا بين من ذهب لأداء فريضة من فرائض الله ، وبين من ذهب لعمل دنيوي محض وهو لا يدري عن الدين شيئاً . وعلى مدى ثلاث سنوات مضت ، عَمِلَ الدريني-كما يوضح-شاهدا على تحول الفين وخمسمائة فرد جاءوا إلى المركز لإشهار إسلامهم .

وكبينة على ما يقول : يدفع مجموعة من الملفات على مكتبه ترجع إلى الشهر الماضي كل منها قد أرفق به صورة . ويقول الكاتب : إن ممن رأيت في أعلى الملفات صورة رجل أبيض يعمل مهندساً،ومحاسبة فلبينية،ونجاراً أسود وامرأة يابانية لم تحدد وظيفتها . وفوق توقيع المشهر لإسلامه توجد شهادته وهو النطق بالعقيدة التي على المسلم الجديد أن يعلن بها حيث يقول بالحرف الواحد : (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله) وأحيانا مايقول المسلمون بالمركز الإسلامي : إن الأمريكان يرتاحون أكثر إلى الإسلام حينما يعلمون أن الدين الإسلامي انتشر سلماً واطمئنانا في هذه البلاد لأكثر من ثلثمائة عام ، وذلك منذ جاء به الرقيق من جنوب أفريقيا .

وهو موضوع يشغف به المسلمون السود الذين يقولون : إن الإسلام يردهم إلى جذورهم الإفريقية ، ويجعلهم على صلة بها . وأحد هؤلاء يدعى (صابر محمد) ، وكان سابقا طالبَ فصل

دراسي تعميدى فى أطلنطا ، وهو يكتب لجريدة (المسلم) وهى جريدة إسلامية يقول : أعتقد أن الدين الإسلامى يمثل جزءاً لا يتجزأ من الذاكرة الجينية[1] للأمـريكيين من أصل إفريقى .

فلقد قُدمت إلينا النصرانية جاهزة يراد غرسها فينا .

فلم يُربَّ النصارى على متون المراكب كما حدث للمسلمين الذين تحملوا عبء نشر الدعوة الإسلامية .

ويكتسب الإسلام عدداً يخشى بأسه من الامريكيين السود . وتأثير ذلك على المجتمع الإسلامى هناك واضح .

هذا وقد قامت (المنارة) وهى مجلة فصلية توزع فى شتى أنحاء أمريكا ، ويصدرها المركز الإسلامى ـ بنشر صورة لـ (نيلسون مانديلا) على غلافها الخارجى فى أوائل هذا العام وفى أحدث أعدادها الصادرة مؤخراً مقالاً عنوانه : (تحية إلى مالكولم العاشر) الذى يصف اعتناقه للإسلام فى الفصول الأخيرة من سيرته الذاتية .

ويعتبر عدد من المعتنقين السود للإسلام مسلمين سود سابقاً ، وهم ـ حاليا ـ أعضاء ينتمون إلى (أمة الإسلام) هذه الأمة طائفة قومية من السود كان لها دور بارز فى الستينيات هؤلاء فى نظر الكثير من المسلمين الآن يعتبرون[2] جماعة غير مؤهلـة ، ومقرهـا (شيكاغو) . إذ بعد عام ١٩٧٥ قاد زعماؤها الكثير من أعضائها إلى ترك وهجر فلسفتهم الانفصالية المتشـددة حسب زعم الكاتب والانضمام إلى التيار العام للمسلمين .

ولا تزال لـ (أمة الإسلام) تلك بقية من وجود تحت قيادة شخص يدعى (لويس فرحان) .

إن التآلف الذى يسود أوساط المسلمين المهاجرين فى المركز الإسلامى والذى اختلط فيه البيض بالسود لايمتد أثره بالضرورة كما يقول الكاتب : إلى مساجد أخرى ، . ففى مدن كثيرة تقع المساجد بالقرب من الجيرات[3] التى يغلب عليها أو تصطبغ بصفات مجموعة بذاتها كالمصريين أو اللبنانيين إذ أنهاتمثل اهتماماتهم وترعى شئونهم ومصالحهم .

ويقول (داود خليل الله) المعتنق للإسلام وهو من (كمتن) المجاورة بولاية (كاليفورنيا) : إنه لاحظ أن فى هذه التجمعات الإقليمية للمسلمين ـ ميل كل فرد ميلاً فطريا وطبيعياً إلى مجموعته الأصلية ، وأوضح مثل على ذلك الأمريكان ذوو الأصول الإفريقية والهنود والباكستانيون .

ولإزالة ما يفصل بين هذه التجمعات من حواجز نظم داود خليل الله دورة كرة السلة الإسلامية بين مساجد جنوب كاليفورنيا وهو أمر يأمل نشره فى شتى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ، ويهدف المركز الإسلامى إلى كسر الحواجز الفاصلة بين الأطفال المسلمين من جنسيات مختلفة وتعليمهم الإسلام وقيمه وذلك عن طريق (الأفق الجديد) وهى مدرسة ابتدائية ملحقة بالمركز ، ومنذ أن تأسست عام ١٩٨٣ وهى تعمل حتى الآن ، وتضم حوالى ١٠٠ تلميذ ، وذات صباح وفى أحد الفصول الدراسية بها ، والذى تم تزويده باثنين من الحواسب

---

(١) أى الوراثية ....

(٢) غير معترف بها رسميا ؛ لأنها لا تملك مؤهلات الجماعة والتنظيم .

(٣) جمع جيرة .

الولايات المتحدة الأمريكية

تصل إليه عربة ذات لون من ألوان السمك الذهبى ، وقد حملت مجموعة من مراسلى شركة الإذاعة الأمريكية A . B . C لتقوم بزيارة المدرسة . وفى البداية تقوم مجموعة من الأطفال بتحية الزوار بالتحية الإسلامية المعروفة السلام عليكم ، ويقوم (أمير) وهو أحد الصبيان بالمدرسة يرتدى (قميص تيشرت) مزخرفا بالرسومات مزدانا بالرسومات الجميلة بإلقاء عبارة بالإفريقية ، وتقوم المدرسة (سامية عبد الله) المنهمكة بشرح أحد دروس الأخلاق بالتأكيد على أن النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الأسوة والقدوة فى كل شيء ، ثم تأخذ فى تصوير مظاهر كرمه مع الناس ورأفته بالحيوان والطير ورحمته بكل مافى الكون ، خاصة تلاميذها على وضع هذه المثل والقيم نصب أعينهم للعمل بها فى حياتهم اليومية . ثم يعلق الطفل أمير على ذلك بعبارة رقيقة يقول فيها : وقد قاطع معلمته : يعنى إذا كنت عطوفاً طيبا فسيدخلك الله الجنة ، ويمنحك من الطعام واللعب ماتشاء .

ويقول (مجدى الأتربى) الذى يرأس اللجنة التعليمية بالمسجد : إن اليوم المدرسى عندنا يزيد ٩٠ دقيقة على ماسواه من أيام بالمدارس المحلية العامة الأخرى ، مما يتيح فسحة من الوقت للمعلمين كى يركزوا على الدين والأخلاقيات .

لكنه - يضيف - وبالطبع فليس القصد من ذلك أن تكون المدرسة مأوى دائماً . ومن ثم فليس بها إلا سنوات الابتدائية الست المعروفة فقط ، فنحن نرى - والكلام لـ (مجدى الأتربى) - أنه بعد سن الثانية عشرة يكون الوقت قد حان لكل من الفتى والفتاة أن يواجه المجتمع بنفسه ، ويعايشه ويتكيف معه - محاولاً التأثير فيه تأثيراً إيجابياً .

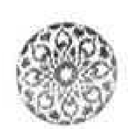

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

شهد الرئيس محمد حسنى مبارك احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف الذى أقيم بحديقة الخالدين بالدرّاسة ، شهد الاحتفال مع سيادته : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، والأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء ، وفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية ، وفضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ، ولفيف من علماء الأزهر الشريف والأوقاف .

بدأت وقائع الاحتفال بتلاوة آى الذكر الحكيم ، ثم ألقيت كلمة الفائزين فى المسابقة الدينية التى نظمتها وزارة الأوقاف بهذه المناسبة الكريمة .

ثم ألقى صبرى إدريس كوتش مفتى ألبانيا كلمة المكرمين من العلماء ، فشكر السيد الرئيس على تكريمه للعلم وللعلماء ، وعلى ما تقدمه مصر من مساندة ودعم للمسلمين الألبان .

ثم ألقى فضيلة الدكتور وزير الأوقاف كلمة الوزارة فى ذكرى ميلاد الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » مؤكدا أن المسلمين تعلموا من صاحب الذكرى العطرة أن العنف لا يصلح طريقا إلى الدين ، وأنه لن تقوم به دنيا ، ولن تستقيم به حياة الأمم .

بعد ذلك قام السيد الرئيس بتوزيع أوسمة العلوم والفنون من الطبقة الأولى على المكرمين من علماء الإسلام والتى منحتها لهم الدولة ..

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة جامعة أكد فيها فضيلته على أن الأخلاق تقتضينا أن نوقر ذكرى الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » وأن نوقر ما جاء به وما تركه لنا وأن نعمل به تكريما لقدره ؛ لأنه عظيم قدره « صلى الله عليه وسلم » .

ثم ألقى السيد الرئيس كلمة دعا فيها سيادته أبناء الأمة الإسلامية إلى البدء فى إقامة مجتمع إسلامى فاضل ثابت الأركان قادر على احتلال مركز مرموق بين الأمم والشعوب .

وقال سيادته : إن التحديات التى تواجهنا فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الإنسانية تفرض علينا أن نعيد بناء الفرد ، ونعالج أمراض المجتمع وأن نجمع شتات الأمة .

ودعا الرئيس فى ختام كلمته إلى الانتفاع بهذه الذكرى العطرة عملا لا قولا وإيجابا لا سلبا ،

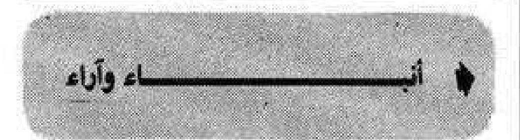

كما دعا إلى ترجمة الحب لصاحب هذه الذكرى استلهاماً لروح رسالته ، ومضياً فى طريق دعوته ، « صلى الله عليه وسلم » ..

الإمام الأكبر يلتقى ووفد غينيا كوناكرى

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه ووفد غينيا كوناكرى برئاسة السيد إبراهيم كمارا مدير الثقافة بالرابطة الإسلامية الوطنية وعضوية كل من الحاج هارون سيلا مدير المساجد فى غينيا كوناكرى ، والسيدة / مريم كمارا رئيس وفد وزارة التعاون الدولى .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة التربية الوطنية كما تم بحث طلب المساعدة من الأزهر الشريف للمركز الثقافى الكبير الذى انشىء مؤخراً فى غينيا كوناكرى بمساعدة المملكة العربية السعودية ويمتد نشاطه لدول غرب أفريقيا ، وسيتم افتتاحه فى شهر ديسمبر المقبل .

وفى نهاية اللقاء قدم الوفد الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر الشريف من مساعدات لدولة غينيا كوناكرى فى مجالى التعليم والدعوة .

الإمام الأكبر يلتقى ووفد بروناى

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ووفد سلطنة بروناى برئاسة السيد سفير السلطنة بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث كافة أوجه التعاون بين الأزهر الشريف وسلطنة بروناى ، وقد قدم السيد السفير الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر من مساعدات لطلاب بروناى فى مجال التعليم .

كما تم بحث الخطوات التى اتخذت بشأن مشروع طبع المصحف الشريف الذى تعتزم سلطنة بروناى القيام به .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بمتابعة الموضوع ، وما تم بشأنه حتى يمكن الحصول على إذن الطبع من الأزهر الشريف .

توفير الاعتمادات المالية لاستكمال إنشاء مكتبة الأزهر الشريف

أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك توجيهات للحكومة تقضى بضرورة توفير الاعتمادات المالية اللازمة لاستكمال إنشاء مكتبة الأزهر الشريف على المستوى اللائق لتضم المراجع الإسلامية والتاريخية .

جاء ذلك أثناء افتتاح سيادته لمبنى دار الإفتاء الجديدة بحديقة الخالدين بالدرّاسة .

أنباء العالم الإسلامى

محمد على كلاى للملاكمين : تفرغوا للعبادة !

أعرب محمد على كلاى بطل العالم السابق فى الملاكمة عن سعادته بزيارة مصر أرض العروبة والإسلام ، وأنه يعتز بهذه الزيارة تلبية لدعوة رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة وبشرف الرئيس مبارك .

ووجه كلمة إلى الملاكمين الشبان قال فيها : تفرغوا إلى عبادة الله واتركوا هذه اللعبة .

وأضاف : أنه يقوم بجولة يزور خلالها كلا من السعودية وتونس والبحرين والكويت كما سعد كثيرا بزيارته لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وعن مشروعاته الإسلامية قال : إن مؤسسة محمد على لها الآن أكثر من ٣٠٠ مسجد و ٥٠ ألف مؤسسة ومدرسة لتعليم الدين الإسلامى ، وقال ـ عن آخر نشاطاته الآن : إنه يقوم ببناء مسجد فى شيكاغو و(أكاديمية) لتعليم الإسلام .

آلاف الأطفال المسلمين يتعلمون القرآن فى المدارس الإسلامية الألمانية

ذكرت إذاعة (كولون) الألمانية والتى تبث إرسالها باللغة العربية إلى دول الشرق الأوسط : أن عدد المسلمين فى ألمانيا حوالى ٤٪ من إجمالى عدد السكان ، وأن الإسلام يمثل الديانة الثالثة بعد الكاثوليكية والبروتستانتية فى ألمانيا .

ويبلغ عدد الجمعيات والمؤسسات والتجمعات الإسلامية فى ألمانيا (٤٠٠) جمعية .

وهناك عشرات المساجد والمراكز الإسلامية وتبلغ نسبة المنتسبين إلى هذه التجمعات من المسلمين أكثر من ٢٠٪ من عدد المسلمين فى ألمانيا .

ويعتبر المركز الإسلامى الثقافى فى كولون من أنشط المنظمات الإسلامية بألمانيا بالإضافة إلى حوالى ٣٠٠ قاعة للصلاة فى برلين وغيرها ، وتنتظم تحت لواء هذه المدارس والجمعيات والمراكز الإسلامية دراسات إسلامية تشمل : تحفيظ القرآن للأطفال المسلمين ودراسة الفقه الإسلامى وعلوم القرآن .

نائب مسلم بيوغوسلافيا يدعو الأمة الإسلامية لفتح جامعاتها الإسلامية لطلاب العلوم الإسلامية اليوغسلافية

دعا الدكتور / بنيازا شكريج العضو المسلم بالبرلمان اليوغسلافى فى مقابلة أجرتها معه جريدة « المسلمين » : الجامعات الإسلامية لفتح أبوابها للدارسين المسلمين من يوغوسلافيا لتلقى العلوم الإسلامية بها .

وذكر د / بنيازا أن عدد المسلمين فى يوغسلافيا ٥ ملايين مسلم من مجموع ٢٠ مليون هم تعداد سكان يوغوسلافيا .

وأوضح الدكتور / بنيازا أن الإسلام فى يوغوسلافيا بدأ يتحرر من أغلال الحكم الشيوعى السابق ، وهو يمر الآن بمنعطف خطير فلابد أن يتزود المسلمون بيوغوسلافيا بالعلوم الإسلامية عن طريق الدراسة والكتب وإنشاء الجمعيات الإسلامية .

هذا ، وللعلم ؛ فإن (الصربيين) ناقمون أشد النقمة على المسلمين ، ويوجهون غاراتهم المتتالية عليهم فى مختلف بقاع تجمعهم الكبير الذى سبق لمجلة الأزهر أن كتبت عنه .

وبالمناسبة فإن عدد المسلمين أضعاف ما ذكره د . بنيازا بكثير ... مجلة الأزهر .

معهد العلوم الإسلامية والعربية فى واشنطن بأمريكا ينظم دورات لحديثى الإسلام

نظم معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن دورات فى المواد الإسلامية ، وتنشئة الداعية المسلم لحديثى الإسلام فى أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية .

قبس من أنوار النبوة - بقية -

من أسمائها فى المنام واليقظة ، كما رأى أنه وأصحابه فى دار عقبة بن رافع فأتوا برطب من رطب ابن طاب ، فأوله بأن لهم العاقبة فى الدنيا والرفعة فى الآخرة . وأن الدين الذى قد اختاره الله لهم قد أرطب وطاب » .

كما تأول سهولة الأمر - يوم الحديبية من مجىء سهيل بن عمرو إليه ، فكان الأمر كذلك ، وقد أمر - ﷺ - أمته بتحسين أسمائهم ، وأخبر أنهم يدعون يوم القيامة بها .

ولقد كان - ﷺ - يكره الأسماء المنكرة .. ويمنع أمته من الأسباب التى توجب لهم سماع المكروه ، وهذا أولى من التسمية بيسار من هو من أعسر الناس ، وبنجيح من لانجاح عنده ، وبرباح من هو من الخاسرين ؛ فيكون قد وقع فى الكذب عليه وعلى الله .

وقد يطالب بمقتضى اسمه فلا يوجد عنده فيجعل ذلك سببا فى ذمه وسبه ، كما قد يظن المسمى فى نفسه انه كذلك فيقع فى تزكية نفسه وتعظيمها ويرفعها على غيره . وهذا هو المعنى الذى نهى النبى لأجله أن يسمى - برة - وقال : لا تزكوا انفسكم الله أعلم بأهل البر منكم .

وعلى هذا فتكره التسمية بالتقى والمتقى والمطيع والطائع والمحسن والمخلص والرشيد والسديد وغيرها .

وسميته صالحا فاغتدى
بضد اسمه فى الورى سائرا
وظن بأن اسمه ساتر
لأوصافه فغدا شاهرا

فهل نقتدى برسول الله - ﷺ - الذى كان يتخير فى خطابه ، ويختار لأمته أحسن الالفاظ وأجملها ، ويكره أن يستعمل اللفظ الشريف فى حق من ليس مستحقا له .

من أعلام الدعوة الإسلامية - بقية -

وكانت قبل ذلك تسمى المدرسة العربية الإسلامية أسسها بعد تقسيم الهند وباكستان .

وكانت وفاته - رحمه الله - فى الثالث عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧ م ، وقد وافته المنية وهو يتهيأ للسفر إلى القاهرة لحضور مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية .

ومما قيل فى رثائه :-

رضينا بالقضاء من القدير
اله الخلق علام خبير
بموت الشيخ يوسف بن بنور
نظيف البشرة الصافى الضمير
فلا نسلو بشىء بكاء فى فقيد
بكل تفجع منا جدير .
وإن شئنا بكاء دم عليه
بكيناه على خطب كبير
وأهل العلم فى حزن عظيم
وساح بالصبر ماهو القصير
جوى علما ورشداً ثم تقوى
قنوعا فى المعيشة باليسير
وما احد يضاهيه بوصف
ولا يدنوه فى علم غزير

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خير الجزاء .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● إله واحد وأمة واحدة — للدكتور على أحمد الخطيب	٣٦٩
الاحتفال بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم	
● كلمة السيد رئيس الجمهورية	٣٧٤
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر	٣٨١
● قبس من أنوار النبوة — للشيخ على حامد عبد الرحيم	٣٨٤
● الحق المبين — للأستاذ محمد صابر البرديسي	٣٨٦
● يلحدون دون دليل — للدكتور محمد رجب البيومى	٣٨٨
● النفس الإنسانية حرمتها وموقف الإسلام من المعتدى عليها — لفضيلة الدكتور محمد أحمد جمعه	٣٩٢
● إكرام القادم إلى المجلس بالقيام في ضوء سنة خير الأنام — للدكتور عبد البصير خليفة حسن	٣٩٨
● موقف المسلمين في يوغسلافيا — للأستاذ / توفيق إسلام يحيى	٤٠٤
● حول شهادات الاستثمار — بقلم المستشار الدكتور أحمد محمد إبراهيم	٤١٠
● الفتاوى — إعداد أحمد السيد تقى الدين	٤١٨
من أعلام الأزهر	
● الشاعر والعالم والأديب أحمد عبد اللطيف بدر — للأستاذ محمد شاور ربيع	٤٢٢
● فضيلة الشيخ عبد العظيم الشناوى — للأستاذ الدكتور مصطفى أحمد خليل النماس	٤٢٧
● فضيلة الشيخ محمد يوسف البنورى — للأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت عبد الجليل	٤٣٠
الشعر والشعراء — إشراف رشاد محمد يوسف	
● في الفخر والاعتزاز — للشريف الرضى	٤٣٤
● إنها مصر — للشاعر رشاد محمد يوسف	٤٣٥
● سؤال إلى أمة ممتحنة — شعر : السيد الصديق حافظ	٤٣٦
العلوم الكونية	
● أساسيات علوم الأرض — للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٤٣٨
● الجديد في العلم والتقنية — إعداد : د . نجوى السيد أحمد	٤٤٣
● طرائف ومواقف — للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٤٤٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر: توجيهات القرآن في تربية الخُلق — إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات	٤٤٨
اللغة والأدب والنقد	
● التشريع اللغوى في نموه وانتشاره وتنوعه — للدكتور / توفيق محمد شاهين	٤٥٤
● المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية — للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٤٦٠
● أنباء وآراء — إعداد : عبد المنعم فودة، مصطفى عبد المجيد	٤٦٥
القسم الانجليزي — إشراف د . أنس النجار	
● المقالة الثانية : للأستاذ سيد مصطفى مصطفى	٤٧٣
● المقالة الأولى : للدكتور أنس مصطفى النجار	٤٧٨

normal process of natural selection, the most wise and the most learned reach the ranks of leadership, to bear the responsibility of the Ummah. At this rank, they are not immune of criticism according to the dictates of Muslim canon law of jurisprudence.

Education and pursuit of knowledge is a major tenet of the Holy Quran, and prime practice of the Prophet. Every Muslim woman, and man should seek learning. In several of the Prophet's Hadith, Muslims are urged to learn, to gain knowledge. Knowledge is the substance of reason, and reasoning is the process of rational thought, the most profound function of mankind. Knowledge enables the mind to distinguish and differentiate, lightens the path of understanding, it is our milieu in solitude, a companion in loneliness, the guide to confidence, the strength in adversity, and an ornament in human society. "Say! are those who have knowledge equal to those who have no knowledge?" (Surat Al-Zunmar, XXXIX, 9). "Lo! the angels do lower their wings to him who seeks knowledge" (Hadith of the Prophet).The Muslim Faith promotes mankind to the proper gear of action in the daily life through knowledge, education and cultivation of the mind. Miracles in the light of Islamic thought are not a proof of Divinity much less do they violate the laws of nature which are ordained by Allah. They are evidences of phenomenal human proficiency towards the Transcendent; the path and laws of which are obscured from the multitudes. Miracles are not at all landmarks in Muslim belief; the Holy Quran, and the Prophet's Tradition are the only sources of Islam doctrinal teachings.

The Islamic culture through its genuine origin urges the human mind to observe the phenomena of nature, the cosmic expanse, the wonders of creation, the unity of universal forces, the mystery of birth life and death, and all the integral complexity of interdependance of the various systems into a perfection of law and order. Man is not the sovereign of this creation; his provinces of free will, free thought, effort, are but delegated powers within an Absolute Sovereignty, the Sovereignty of Allah, the Creator, the Sustainer of the Universe. Mankind does not realize the marvels of his natural conditions, and the providence surrounding him, because they never fail to function. The breath inhaled, the nerve impulse, the heart beat, the vision, the function of the mind, are all patterns of existance determined by definite laws of action that man never made, nor can he stop. Mankind is absorbed in interests of restricted sphere of energy, like an insect, idolizing his own restricted sphere, seeking providence that will only back him in his special aim, oblivious of the grand milieu around him, the needs and purpose of the whole creation.

The whole theme of Islamic Culture is to incarnate within the Mulim understanding the concept that there is a sacred purpose for creation. Within the framework of this understanding, mankind must have knowledge to give effort to conform with the Divine Will and purpose of Creation; only then can mankind hope for success, prosperity, enlightement, and emancipation from ignorance, hatred, fears, doubts and uncertainties.

teachings and traditions of Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), the Messenger of Islam. This sacred instruction entails the understanding that the term "Islamic Culture" constitutes the doctrines of the Muslim Theism as dictated by the Holy Quran, and also the Traditions of the Prophet Muhammad. The vast expanse of this understanding encompasses every detail of human existance, the body mind soul and spirit, the birth life and death, the reward punishment and forgiveness. Islamic doctrines are not mere religious aspirations and expressions separated from human existance; they are translated into a practical organized integrated system that is divinely optimized to appeal to the natural inborn instincts of mankind.

Islamic culture does not differentiate between secular and religious education. All tuition was brought into the unification of knowledge; since all knowledge is the knowledge of the Transcendent Creator Allah. The glory of Islam was that it gave the various disciplines of science the same ground that it gave to the study of the Quran, Hadith, and Jurisprudence. The Mosque was the university of Islam during the grand old days, where within its precincts, all disciplines of knowledge were being studied. This unity and glorification of all learning gave the old Muslim scholars the particular qualities of insight, sagacity widsom, profound mental capacity, the calm serenity, and liberty in tranquility. In the Holy Quran, the distinction is drawn only between right and wrong, virtue and vice, beneficial and harmful, that which is useful to man's growth and cultivation and that which is detrimental and noxious to mankind. The rational doctrinal teachnigs of the Muslim Theism appeal to the human mind to practice the rational process of thought. The human experiences in the history of mankind prove that freedom of thought and ecumenic conceptualization are obsolutely necessary for human progress. These experiences also prove that nations who undermine and deviate from Credence of Faith, deteriorate in disintegration. The words of the Holy Quran repeatedly address the intelligent understanding, the mental faculty, the comprehensive reasoning, and thought organization of the human mind. There is no doctrine in Muslim Theism that does not conform with the rock bottom stratum of human reality.

Contrary to Western schools of thought, Islam has proved that Credence of Faith and rationally justified freedom of thought are perfectly compatible. During the frontier centuries of Muslim civilization, an intense form of Belief was combined with free thought in every aspect of human life. The gift of thought bestowed upon mankind by the Al-Mighty Creator "Allah" should be exalted by every individual as the most unique faculty of creation. This supreme faculty of "Thought" should be optimally utilized, justifiably exploited, and rationally functioned for the cultivation, enlightenment and emancipation of the human race. The key to such human civilized profound felicity; is the confident Belief in the Absolute, the Beneficient, Merciful Creator. There is no hierarchy in Islam; every individual is directly related to the Creator; every individual possesses the same prerogatives, and bears the same responsibilities. Through the

nature. The elemental teachings of these Divine precepts have been ordained as a message transmitted to mankind according to human mental tolerance, needs, and development; predestined at a certain time of human history. The last of these Divine Theisms was that of Islam, trransmitted to mankind through an Angelic mediūn to formulate a Divine Message to the whole humanity. The Holy Quran, the scripture manifesto of that theism was revealed to Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) in protracted sessions of Revelation, according to timely cause, effect, and purpose. The Muslim Theism constitutes an integrated complete rational comprehensive system of belief materializing within itsef all the requirements for an ecumenic, decorous stable dignified purposeful human life.

The Islamic Culture promotes all functioning human faculties for the cultivation not only of individuals, or individual groups, but in reality for the entire human race. The doctrines of the Holy Quran provide guidance for knowledge is all disciplines of human life, and light the path of the individuls to felicity in the hereafter. Islamic precepts promote the performance of mental faculties, and proliferate the thought into deep knowledge of the Truth and Reality. Islamic teachnigs present a way of life which specifically aims át human enlightenment, social stability, justice, prosperity, and purpose oriented scientific progress. The detailed ingredients of Islamic precepts are provided in a number of commands and prohibitions covering evry vocation of man's daily life; social, political, educational, economical, work performance, associations, behaviour, psychic patterns, traits of character; and everything that is effectively related to human existance. The intricate most wonderous creation of the human body by a Divine pragramme of meticulous precision of exactness; requires a corresponding Divine pragramme for the performance, conduct, behaviour, beliefs, and manifestations of the life of that human body. For such purpose, the Divine doctrines of ordinances and prohibitions were instituted with comprehensive detail in the articles of Muslin faith. These articles of faith address both the bodily and spirituial constitution of mankind. The implicit obediance of a certain injunction of the Sacred Law must establish success within the sphere of that injunction. The injunctions of the Islamic Culture attribute to all facets of human life. Accordingly, realization of purpose, success and felicity in life and the hereafter are attained to the extent the individual, the group, or the society adopt and implement the teachnigs of Islam in their daily life and associations.

The core substance of Islamic credence is the absolute confident submission, reliance and dependence to the Absolute Supreme Transcendent Being "Allah". This genuine submission develops into devotion, adoration, hommage, veneration, reverence and worship. The verses of the Holy Quran are the Words of Allah which have been acclaimed, proclaimed and communicated to mankind at large. The sacred scripture of the Holy Revelation of the Quran constitutes the complete doctrines of Islamic Theism. This Holy Book emphatically instructs that Muslims should intimately adhere to the

THEME OF ISLAMIC CULTURE

Part I

By: Saad Moustafa Moustafa M.D.

The concept of culture means the refined enlightenment and cultivation of the human mind. This entails the promotion of the human faculty of thought to superior profound rational levels of function. The human race has experienced several different cultures throughout history. Some of these cultures were of Divine origin transmitted to mankind as divine ordinances and commandments through Divinely selected Prophets. All Divine theologies possess the sacred quality of purification and sanctification of the human race as prodromal to betterment enrichment and civlization of human thought, behaviour, and conduct. Other cultures are construed by man's efforts as a trial to establish for himself a hierarchic structure of life that appears to have an organized backbone. Within this framework, the human race may during limited instances gain purpose and transient equilbrium stability in life, but in general, mankind becomes lost in the entropy of chaos and ambiguity of purpose.

Divine cultures fundamentally originate from One Divine Source. They are characterized by possessing a unified integrated system of doctrines in sequential orderly continuity, forming an articulated comprehensively coherent matrix for human thought, to emancipate man from the dark crevices of ignorance to the light of reality. Divine cultures originated as very simple primitive ordinances compatible with human intellect at the early phases of human history; and gradually developed in congeniality with the promoted faculty of the mind. Man made cultures are sporadic, short lived, mostly agnostic to human nature, and provide a form of unharmonious association incompetent to satisfy the needs of human life. These man formulated system of ideas are sporadic, singular in purpose, have failed to satify the majority fraction of society, even in the most urging necessities. These systems of ideas, have repeatedly failed. For centuries, mankind has been striving hard in a struggle for emancipation from despotic exploitation, for human rights, social justice, equity, self sufficiency, for real freedom and for preservation of dignity and of values. All ideologies formulated by man have failed to bring about even limited achievement for the prosperity, culture and stability of human societies.

Despite all erroneous refractory opinions regarding the intimate institution of Divine cultures as a modus operandi for the management operation associations of human life; it remains a definite actuality that the provisions of these cultures are most eligibile consistent and harmonious with the fundamental needs and psychic traits of human

groups, psychology of men, and the complete panorama of all conditions. The selection of the army leaders according to talent and expert craftsmanship, was an issue of great concern to Omar, nevertheless, he advised on the overall planning of strategy, scheming and alternatives of maneuverability. Above all, Omar ibn Al-Khattab carried the full responsibility ; giving the men the freedom to act, helping them towards a unified direction of thought, and providing for them a continual state of self confidence as commander on the battleground.

At the head of the Muslim state, Omar ibn Al Khattab concerned himself with every minute detail of the affairs of the Ummah. This was an outstanding characteristic of his nature, bringing him actually close to the people, walking their roads, entering their homes, meeting their families, listening to their talks, discerning their worries and diagnosing their complaints. Omar ibn Al Khattab Amir Al-Momineen even during the crescendo of his reign, could pass unknown through the alleys of Al-Madinah. His humble character, simple common dress, without guard or pomp, presented him as an ordinary common muslim in the large expanse of the Muslim Ummah.

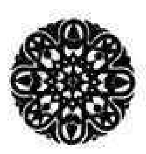

Quran; or following the tradition of the Prophet; or the outcome of knowledge, wisdom, piety, acuteness of thought and mental performance of the man in position. The institution of justice among individuals of the various social classes of the nation, and the establishment of an organized hierarchy of human rights, were issues of distinct supreme prominent seriousness and gravity. Justice and human rights were instituted throughout the nation with utmost precision and perfection.

The practice of consultation is basically a Divine command. In the text of the Holy Quran several verses indicate the precept of consultation, and consequently muslim teachings dictate consultation as mandatory. The practice of consultation was observed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as directed by the Holy Quran. Abu Bakre Al-Siddiq adhered strictly to the traditions of the Prophet, and exercised consultation in all matters dealing with issues of state. During the administration of Omar ibn Al-Khattab, consultation was highly developed and proliferated to become a major front of government. Omar appointed a permanent council of men of knowledge and wisdom, close companions, to the Prophet, men of piety and profound perception of Islamic teachings. This council convened whenever necessary to discuss, provide opinion, advance rational thought, answer inquiries of interrogations, and pass legislative motions. Omar ibn Al-Khattab advanced the practice of consultation to become an art of state authority. He consulted friends and foes, and through his clairvoyance of instinctive light of perception, he could discern by his faculty of dialectic rationality the brightness of light; it did not matter who carried the lantern. Omar ibn Al-Khattab was unquestionably the man who established the basic constitution of advisory bodies and consultative councils. These functioned to provide guidance, appraisal, judgement and attitude of thought on all major issues concerning state administration. Sometimes, Omar ibn Al-Khattab solicited opinion from individual persons in matters of specific nature. The art of consultation to pursue thought, advise, guidance and the mental attitude, is one that demands expert talent to present the problem issue, and to harvest the most rational commendable and praiseworthy opinions.

The reign of Omar ibn Al-Khattab was characterized as the period of great triumphs. The Muslim warriors during Omar's regency had expanded the territorial boundaries outside the Arab Peninsula. They defeated the Persian military machine on the Persian mainland; and overpowered the might of the Roman legions in Syria, Palestine and Egypt. The brilliant competence, true understanding of responsibility and proficient instinctive faculties of piety and faith; were in reality the foundation of supreme success of Omar ibn Al-Khattab in achieving those triumphs. During his residence at Al-Madinah, Omar was in continuous contact with army commanders on the various fields of crusade. He had the knowledge of all details, the situation of the Muslim warriors, their opponents, the geography, nature of terrain, environment , population density, friendly and alien

syntax, the rhetoric, the diction, the phraseology, the prose and verse were all purified to preserve and maintain the Arabic language fundamentally precise and correct to be used by the Muslim Nation as the language of the Holy Quran. Omar ibn Al-Khattab instructed the formulation of the Arabic grammar. The Arabic language as the language of the Holy Quran was used wherever Muslims were present. This common foundation of language and divine scripture formulated a coherent matrix of social unity of harmony in expression and grace in belief. The heterogeneity of origin of the Muslim Nation dissolved in the crucible of unity of language and theism. This theosocio-political unity promoted the linguistic literary elegance of the Arabic language. The heritage of the Arab language including Quranic interpretations is very rich with scholars and theologians of non-arab descent. The perceptive thought of Omar ibn Al-Khattab recognized the paramount consequence of preserving the linguistic excellence of the Arabic language, the language of the Divine Scripture of the Holy Quran, the torch and lantern on the path of human existence. The Arabic language ranks as the richest in phraseology, meanings, syntax, grammar, and the sources of meanings and idioms. The most profound form, style, and literary elegance of the Arabic language, is that of the Holy Quran.

The historical frontiers of the Islamic Nation commenced during the reign of Omar ibn Al-Khattab. The patterns of constitutions instituted were previously unknown to Arabs. The articles of such constitution were precise implementations of the doctrines of Muslim Theism. A new civilization was growing for the enlightenment, freedom and justice for mankind. The hierarchic governmental structure was established to provide an articulated integrated system of management, planning, and transaction. The whole system was coherent throughout the territorial expanse of the Islamic Nation by a mail courier service. The fiscal frame and social economics were controlled with uniform methodology in compliance with the dictates of Islamic Shariah which is based upon fundamental articles of the Holy Quran. The backbone of the hierarchic governmental structure of Omar ibn Al-Khattab were absolute consummate justice, and the practice of deliberative consultation. Both these managerial functions became profoundly optimized meticulously implemented by Omar ibn Al-Khattab. He wisely perceived that the perpetual progress of a nation was utterly dependant on justice and consultative authority.

The matters of judiciary nature were left to men of knowledge, honour, wisdom, and distinctive selection. The supreme authority of judicial administration was totally separated from the authority of the state. The independent function of the judiciary system provided it with qualities of honour, respect and sanctity. The individuals that carried the responsibility of this potentate sovereign office were selected with scrupulous accuracy and meticulous thoroughness. Nevertheless, Omar ibn Al-Khattab formulated a modus operandi for the manipulation process of the judiciary procedure. The operational channels of this modus operandi was strictly based on Divine Doctrines depicted from the

Omar ibn Al-Khattab followed Abu Bakre Al-Siddiq as the man to administer and govern the Muslim people at the most critical of all conditions. At the time of his death, he was indeed the founder of the Islamic Nation, the undisputed architect planner of the Islamic form of government, the connoisseur statesman, and the paradigm of true faith, humbleness and responsibility. During his life, Muslim warriors reached the eastern plains of Persia, the borders of Turkestan and the Caspean Sea north, and the complete dominion of the Nile Valley to the west. This vast widespread territorial expansion imposed a demand for more elaborate form of governmental administration. Omar ibn Al-Khattab was cognizant of the need for this radical transformation in administrative form and function; and fully perceptive of the dimensions underlying the task. His prime concern was to cultivate the growing roots of Muslim Theism that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had ingrained, and that Abu Bakre had firmly established and preserved.

The supreme achievements of Omar ibn Al-Khattab are in reality far beyond the limited margins of any chronology. The gigantic structure of the Muslim Nation, the responsibilities and forms of administrative offices, and the justified optimal implementation of Muslim teachings in judicial and socio-economic functions, resulted into a condition of social security and stability unparalleled in human history. The responsibility of Omar ibn Al-Khattab towards the Muslim Nation started long before his nomination to be the head of the state. He was a close companion to the Prophet, and minister to Abu Bakre during which periods he was actually helping, and in fact establishing the fundamental precepts of the Muslim Nation that was envisaged. The capability of Omar ibn Al-Khattab for administrative governmental structural framework was a unique intrinsic talent that manifested itself to formulate part of his intellectual constitution. A man from the desert to embark on a matter of grave importance and responsibility without prior knowledge nor experience; yet to be guided by purity of faith, humbleness and sagacious wisdom; to the most profound forms of administrative governmental structure.

The compilation of the Holy Quran remains as the most eminent achievement in the life of Omar ibn Al-Khattab by which he preserved the Divine Scripture of Islam, the Holy Quran, the manifesto for human enlightenment, the spirit of confidence, justice and freedom, the doctrinal canon of Muslim Theism. Through the insistent advice, rational thinking and devoted approach, he succeeded to gain the willing enthusiastic approval of Abu Bakre Al-Siddiq to order the compilation of the Holy Quran. This achievement was in fact the fundamental building brick from which the whole integrated matrix of the Islamic Nation originated, structured and perpetually maintained. The Arabic language being the language of the Holy Revelation was also preserved as well. The grammar, the

Omar Ibn Al-Khattab

Omar and The Islamic Nation

Part I

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar; M.D., Ph.D.

During the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), the fundamental seeds of Muslim Theism were being cultivated. The Divine text of the Holy Quran was being revealed to the Prophet, and through that Revelation was the embodiment of the doctrines of the Islamic faith. The Prophet through Divine command proclaimed these doctrines; and summoned people, in fact all mankind, to learn, to know, to think, and to formulate a belief in the precepts of Islam. The epoch of the Prophet was programmed entirely to establish the rootings and the fundamental elements of the Muslim faith on the soil of the Arab peninsula. The culture and schooling advanced by the Prophet to his companions, established a community of men and women, who were confident in belief, and devoted to their faith. Those companions were the pioneer vanguards who finally established a pan-tribal allegiance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from all tribes resident on the Arab Peninsula. The Muslim Theism was therefore ascertained beyond regression.

During the life of Abu Bakre Al-Siddiq, the fundamental principles of the Islamic faith were firmly established; and after the war of the apostates, there was a unity of theism among the Arab tribes of the Peninsula. Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rasul-Allah promoted the idea of security for the juvenile Muslim community; and originated the concept of the theopolitical unity between the Arab tribes of the peninsula and those in the north resident in Iraq, Syria and Palestine. The propagation of Islam was the cardinal design objective of Abu Bakre, and for such purpose, Muslim crusades started. The Khalifate period of Abu Bakre was short, his efforts were essentially to secure the foundations and doctrines of the Muslim faith in continuity to what the Prophet had already started; and also to further the summons to the words of Allah beyond the limits of the Peninsula. The administrative patterns of the Khalifate were yet very simple, the tribal concept of government was yet dominant, and the daily life of people accorded with Islamic teachings. The Muslim faith during these early years after the death of the Prophet was still relatively limited geographically, and in the numbers of its followers.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part IV

Rabie Al Akher 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

Omar and the Islamic Nation (Part I).

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Theme of Islamic Culture

By: Saad Moustafa Moustafa.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

مصرى في رحاب البيت

عرف هذا المصرى الكريم بكُنْيته ، فهو ، أبو رافع ، وغَلبتْ عليه ، وكان - رضى الله عنه - من سادات الصحابة - رضوان الله عليهم - صحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحوا من عشر سنين : فقد روى ابن حجر - رحمه الله - انه اسلم قبل (بدر) وشهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أُحُداً) ومابعدها

ونلمح من حديثه الشخصى انه اقام بمكة زمناً ليس باليسير عند العباس - رضى الله عنه - وإتقانه للعربية واضح فيما رَوَى وما رُوِى عنه.

حَمَلَ - رضى الله عنه - من عِلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فثبت له ثمانية وستون حديثاً رَوَى منها البخارى ومسلم واحمد بن حنبل وغيرهم .

ومشاهدته للغزوات جعلته يقص طرفاً من حديثها - رضى الله عنه - وكان شجاعاً على أدب جم يعى به مقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويستفيد من علمه .

كذلك يحفظ تاريخُ الصحابة ، ومتونُ الحديث - شيئاً من اسماء اولاده الذين رَوَوْا عنه ، وشيئاً من اسماء حَفَدَته ، ويعتبر اولاده : الحسن ، ورافع الذى تَكَنَّى به ، وعبدالله ، والمعتمر وعلى ، من سادات المدينة واشرافها ، وعَقِبُهُ فيهم - رضوان الله عليهم .

قال - عنه - الحسن البصرى : كان قبطياً . ا هـ .

ولا يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن اسمه ، لذا اضطرب النقل فيه بين : ثابت - هرمز - إبراهيم - أسلم .

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٠٥٤٧٣ / ٩٠٠٥٠٦
جمادى الأولى ١٤١٢ هـ
نوفمبر ١٩٩١ م
الجزء الخامس
السنة الرابعة والستون

والحق ـ كما أشار الجاحظ ـ رحمه الله ـ أن الأمم غيرَ العرب لم تكن تُعْنَى بأنسابها عناية العرب بحفظها ، لذا كان انتسابهم إلى بلدانهم أوضح من اهتمامهم بذكر آبائهم وأجدادهم ، فيقال : فلان السجستانى .. والمروزى .. والتركستانى .. الخ ويحدث ـ رضى الله عنه ـ عن نفسه فيقول :

ـ « كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا ؛ فأسلمتُ ، وأسلمَتْ أم الفضل ، وكان العباس قد أسلم ، ولكنه كان يهاب قومه ، وكان يكتم إسلامه » .

وأبو رافع هو الذى بشر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإسلام العباس ، ثم صار أبو رافع مولى [1] لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وكان ـ رضى الله عنه ـ فخوراً بهذه الموالاة ، ويقول :

ـ « أنا مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

وهذه الموالاة أوجبت عليه من أحكام آل البيت ، فَحَرُمَ عليهِ ماحَرُمَ عليهم كالصدقة ، فلا يتناول من أموال الزكاة شيئاً .

بعثَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأرقمَ الزهرى أو ابنَ أبى الأرقم ساعياً ليأتى بأموال الزكاة ، ومعروف أن للسُعاة جزءاً من مال الزكاة ، فقال هذا الساعى لأبى رافع : ألا تصحبنى تصيب ؟ أى تستحق مالاً ..

قال أبو رافع : حتى أذكرَ ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فذكرتُ ذلك فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة ، وإن مَوْلَى القوم من أنفسهم » .

أى « لا تحل لك الصدقة كما لا تحل لنا » .

وكم فى العبارة من إشارة لمنزلة أبى رافع ـ رضى الله عنه ـ :

فأبو رافع كبنى هاشم وبنى المطلب آل البيت

روت أم كلثوم ابنة على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ حديث جدها ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إنا أهل بيت نهينا عن الصدقة ، وإن مَوَالِيَنَا من أنفسنا ؛ فلا تأكل الصدقة » .

يخاطب بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مولاه مهران .

وفى حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ بالموطأ :

« لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هى أوساخ الناس » . قال الإمام الزرقانى ـ شارح الموطأ :

« وهم منزهون عن ذلك صيانة لمنصبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنها تنبىء عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه » . أ هـ . ولا أعز فى الخلق من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ثم آله ومن لحق بهم [2] . توفى أبو رافع سنة أربعين .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) كلمة مولى اختيار إسلامى رفيع القدر يدور معناه على النُصْرَة والموالاة والقرابة ، ومارتبط بذلك من المعانى الكريمة ، لذا لم يحمل لَفْظُهُ غضاضةً لأحد .

ذلك أن لفظ « مولاى » يستخدمه كلا الرجلين : من كان سيداً ، ومن كان رقيقاً فى الأصل ثم نال حريته ؛ لذا كان مختلفاً تماماً عن لفظة « سيدى » التى تنص صراحة على السيادة فتوحى بالمعنى المضاد مباشرة .

جاء ـ فى اللسان :

« والمولى : مولى النعمة ، وهو المُعْتِقُ ... والمولى : المُعْتَق لأنه ينزل منزلة ابن العم يجب عليك أن تنصره ... » .

(٢) انظر مسند أحمد ٣ / ٤٤٨ ـ ٤/٤ ٣٤ ـ ٦/ ٧ ، ٨ ، ٩ : ٣٩ ، صحيح مسلم ٣/ ١١٧ ـ موطأ مالك بشرح الزرقانى ٤/ ٤٢٧ ، سنن النسائى ٥/ ١١٥ . أسد الغابة ١/ ٥٢ ، ٩٣ ، تهذيب التهذيب ١٢/ ٥٢ .

العالم الإسلامى والمستقبل

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الجيوشى

« كلمة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى - نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر - فى ندوة .. العالم الإسلامى والمستقبل » التى اقيمت بـ « فندق شبرد » فى الخامس من ربيع الآخر ١٤١٢هـ - ١٣/١٠/١٩٩١م ، بدعوة من « مركز البحوث والدراسات السياسية » .

السيد الدكتور محمد الشريف - امين عام جمعية الدعوة الإسلامية .

الأستاذ الدكتور احمد الغندور - رئيس مجلس إدارة مركز الدراسات والبحوث السياسية .

الأستاذ الدكتور على الدين هلال - مدير مركز الدراسات والبحوث السياسية .

الأستاذ مختار عزيز - امين عام مركز دراسات العالم الإسلامى .

الأساتذة العلماء والباحثون من السيدات والسادة .

يسرنى أن أحمل إليكم تحيات فضيلة الإمام الأكبر ، وتمنياته الطيبة لندوتكم بالتوفيق والنجاح ولولا امور عرضت حالت بين فضيلته وبين الحضور لكان يسره أن يشارككم افتتاح ندوتكم هذه .

الحمد لله ، منه نستمد العون والسداد ، ونسأله التوفيق إلى العمل النافع ، والمنهج القويم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من دعا إلى العلم والعمل ، تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وبعد .. فإن كل غيور فى عالمنا الإسلامى يشغله التفكير فى مستقبل هذا العالم ، وسط هذه التحولات الكبرى التى يشهدها العالم فى عصرنا

العالم الإسلامي والمستقبل

الحاضر، والتى شملت كل ألوان النشاط الإنسانى فى مجالاته المتعددة سواء كانت أنظمة سياسية أو أوضاعاً اجتماعية أو مناهج فكرية وثقافية أو وسائل إعلامية أو اكتشافات علمية تفوق كل ما يستطيع الخيال البشرى أن يحلق فيه، وكل ذلك يتتابع أمام أعيننا، ويأتى إلينا من مجتمعات أخرى غير مجتمعاتنا مما يجعلنا نتساءل : أين نحن من هذا الطوفان وما هو دورنا فيه، وهل من سبيل إلى أن يكون لنا نحن المسلمين إسهام فى توجيه هذا المستقبل بما يعود بالخير على عالمنا الإسلامى وعلى المجتمع الإنسانى كله، وهل لدينا من الوسائل والإمكانات ما يجعلنا ننهض بهذا العبء، ونؤدى هذه الرسالة ؟ أم أننا سنظل فى ساحة المتفرجين ننظر إلى ما يموج به العالم، نظرة الحالم المبهور ؟

ومن أجل ذلك كان لزاما علينا أن نزجى الشكر والتقدير إلى هذه الكوكبة من العلماء والباحثين الذين فكروا فى إعداد هذه الندوة التى تحاول - كما يبدو من البحوث المطروحة أمامكم - أن ترسم طريقاً مستقبليا لعالمنا الإسلامى حتى ينهض بواجبه فى صنع الحضارة الإنسانية المعاصرة على أسس من هدى كتابنا وسنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، هذه الأسس التى تضمنها قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .. تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى، ولعل بعض من يستمع إلى هذه الكلمات يقول وما علاقة هذا التوجيه بما نحن فيه، ونحن نواجه تحديا حضاريا فى التقنية والعلوم ووسائل الإعلام، وما يزخر به العالم من مخترعات وما يطلع علينا به كل يوم من مكتشفات، ونبادر فنقول رداً على هذا التساؤل الذى قد يمرّ بخاطر البعض أن كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - قد تضمنتا الأسس التى توجه إلى تحقيق ما نرجوه لمستقبل عالمنا الإسلامى، فالذى يمعن النظر فى القرآن الكريم يجد آياته تدعو إلى الفكر والنظر والبحث والتأمل وحث العقل على التفكير فى جنبات الأرض والسماء وطوايا النفس الإنسانية من مثل قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ وهذا نموذج وأمثاله عشرات النماذج فى الكتاب العزيز تدعو إلى التأمل والبحث والاستنتاج، وفى ظنى أن علماء الجيولوجيا وطبقات الأرض وعلماء الفضاء وعلماء النفس والدراسات الإنسانية سيجدون بداية مشجعة حينما يقرءون الآيات الكريمة : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ. وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ .

وسنجد فى السُّنَّة مثل هذا وحسبنا أن نذكركم بما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها »، وبقوله : « ما من أحد يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة إلى يوم القيامة » .

ولقد حفل تراثنا الإسلامى بآثار علمائنا وباحثينا فى كل مجالات المعارف والعلوم الإنسانية من طبية إلى هندسية إلى زراعية إلى اقتصادية إلى صيدلية حتى قادوا ركب الحضارة

عدة قرون من الزمان استجابة لتوجيهات القرآن والسنة وعلى ضوء اكتشافاتهم وبحوثهم قامت الحضارة المعاصرة ، وقد سجلوا آثارهم فى اللغة العربية حتى كانت لغة العلم والحضارة ، وكان كل باحث فى جانب من جوانب المعرفة إذا أراد أن يستكمل أدواته ويبرز فى ميدانه كان لا بد له أن يدرس اللغة العربية ليقف على آثار هؤلاء العلماء كما يفعل الباحثون منا فى ايامنا هذه حينما يتابعون آثار العلماء فى لغاتهم المختلفة ، فإذا أردنا أن نأخذ بنصيبنا فى صنع المستقبل وبناء الحضارة الإنسانية على هدى من قيمنا ومثلنا ومبادئنا ، فعلى علمائنا وباحثينا أن يسجلوا آثارهم وفكرهم بلغتهم فإذا شعر العالم أن هناك جديداً فى العلم أو الاقتصاد أو الدراسات الإنسانية قد كتب بهذه اللغة ، فسيسعى إلى أن يتعرف عليها ليقف على آثار علمائها كما فعل من قبل ، وبذلك تعود لغتنا كما كانت لغة الحضارة والعلم .

وهنا أرى لزاما عليَّ أن أشير إلى ما تميزت به الحضارة الإسلامية عن سواها من الحضارات وهذا التميز يبدو واضحاً فى أن العالم المسلم يضع فى اعتباره أن ما يصل إليه من نتائج إنما يقصد به أن يحقق سعادة الإنسان على هذه الأرض وأن ينال بما قدم رضى الله لأنه أسهم فى تيسير الحياة على عباده سواء كان ذلك عن طريق عقار جديد يكتشفه يخفف به آلام المرضى أو طريق ناجح فى استغلال الأرض لتقدم للناس ما يحتاجونه من غذاء أو وسيلة سهلة تعاون الناس على التغلب على مشقات الانتقال أو تسهيل وسائل الاتصال أو غير ذلك مما يستغرق النشاط الإنسانى بكل جوانبه ، أما ما نشهده من سباق محموم بين صناع الحضارة المادية المعاصرة فإنه لا يكفيهم ما يصيب الإنسان من ويلات من آثار الدمار الذى توقعه مكتشفاتهم بالإنسان والبيئة والحيوان والنبات ، والسبب فى ذلك فيما أعتقد أن الباحث المسلم إنما ينطلق فى تفكيره إلى البحث والاستنتاج فى هدى من الوحى وتوجيه السماء،أما الباحثون الآخرون فقد طرحوا هذا الإحساس جانبا ، ولذلك زادت معاناة الإنسان على هذه الأرض ، نريد الباحث المسلم الذى يقرأ ويفهم ويطبق قول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أيها العلماء والباحثون المسلمون ، إن الأمة فى حاجة الآن ومستقبلا إلى منهج متكامل فى الاقتصاد الإسلامى يقدم للعالم حلولا لمشاكله ، وهذا المنهج تجد أصوله مبثوثة فى كتب فقهائنا سواء فى كتب الفقه العامة أو كتب الفقه المتخصصة مثل كتب الأموال وكتب الخراج مستهدية بنصوص القرآن والسنة .

نريد منهجاً واضحاً فى التربية قائما على أسس من قيمنا وأخلاقنا وقد قدم علماؤنا القدامى لأبناء جيلهم ما يحتاجون إليه ، وأصبح علماء التربية المعاصرون مطالبين بأن يقدموا أسلوبا فى التربية يتحاشى الأخطاء التى وقع فيها علماء الغرب من أمثال [جون ديوى] وسواه ، نريد إعلاما يوصل الفكر الإسلامى والسلوك الإسلامى والخلق الإسلامى فى نفوس الأجيال حتى تتميز شخصيتها وتخدم مجتمعاتها .

لقد شهد هذا العقد تغيرات جذرية فى نظم الحكم والنظريات السياسية والاقتصادية وانهارت نظم ظلت عقوداً من الزمن تدعو إلى قيمها وترغم الناس عليها ولم تلبث أن تلاشت بعد أن فشلت فيما كانت تدعو إليه ، وتبين للقائمين عليها أنهم كانوا يعيشون وهماً

العالم الإسلامى والمستقبل

وخيالات ، كما أن النظام القائم فى الجانب الآخر من العالم ليس هو النظام الأمثل فإنه يحمل عوامل ضعفه وانهياره وقد تنبه بعض الباحثين فى تلك البلاد إلى المستقبل المظلم الذى ينتظر أجيالهم لو استمروا فى طريقهم حتى رأينا بعض الباحثين من الأمريكان واليابانيين ينبهون إلى ذلك ، وكتب بعضهم يقول : « أمة تعيش فى خطر » محذراً من المستقبل وهذا يدعوكم أيها العلماء والباحثون أن تأخذوا بزمام المبادرة وتقدموا النموذج الذى يحقق للعالم الإسلامى مستقبلا أفضل وللعالم رخاء وأمنا .

بلاد المسلمين غنية بمواردها لكنها مثقلة بمشاكلها وخلافاتها لأن اتجاهاتها موزعة بين نظريات من هنا ومن هناك ، ولا يجمع شتاتها ويقضى على تنازعها إلا إذا أخذت منهجها فى الحكم والسياسة والاقتصاد والإعلام والتربية والبحث من منابعها الأصيلة التى هيأها لها الإسلام حتى نخرج من هذا الضياع الذى نعانيه على الرغم مما بين يديها من عوامل النجاح ولله در شوقى حين قال :

بأيديهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

إن بعض بلاد المسلمين صالح لأن يقدم للعالم الإسلامى كله ما يحتاجه من غذاء ومع هذا فالأمة تستورد غذاءها من غيرها وفى العالم الإسلامى مصادر الثروة التى تكفل لأى مجتمع أن يعيش فى رخاء ورغد ولكنه دائما يعتمد على الآخرين ويأخذ عنهم وهذا دوركم أيها العلماء والباحثون وقد بدأتم الطريق سدد الله خطاكم

وأنجح مسعاكم وحقق للعالم الإسلامى بفضل هذه الخطى المخلصة مستقبلا أكرم وقدرة على رد الطامعين المتربصين . ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

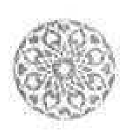

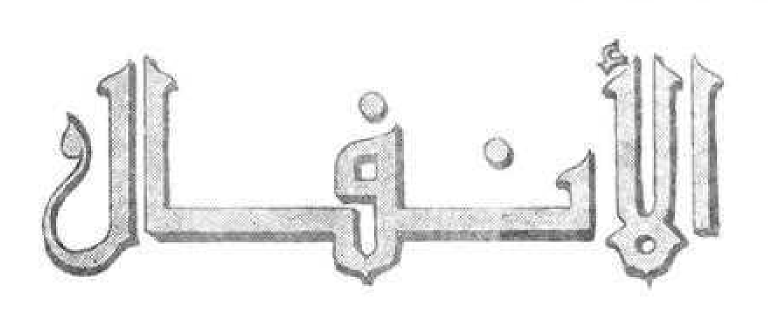

للأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبي*

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

هذا اول حديث تفسير ، اكتبه لمجلة الازهر ، وهى مجلة عزيزة علىّ وعلى كل ازهرى وكل مسلم .

ولا أملك إلا ان أسال الله ـ تعالى ـ أن يمدنى بعونه لاقوم بهذا الواجب وان يتقبله منى ويعيننى عليه .

وكنت إذ عزمت ان اكتب قد انتهيت فى قراءتى القرانية إلى اول سورة الأنفال . فرايت أن ابدا بها حديثى مستعينا بالله وحده .

وسورة الأنفال نزلت فى شأن غزوة بدر ، وكان ابن عباس يقول : هى سورة بدر ، لأنها تحدثت عن غنائم حربها وطريق توزيعها ، وكانت أول غزوة ، وغنيمتها أول الغنائم ، وقد تحدثت السورة عن مواقف أخرى من هذه المعركة .

والأنفال جمع نفل (بفتح الفاء وسكونها أيضا) ـ والنفل له معان عديدة ، منها التطوع والزيادة على الواجب ، وسميت لذلك الصلوات غير المفروضة نوافل . ويقال لولد الولد نافلة ، لأنه زيادة على الولد الأول . وغنيمة الحرب نافلة . لأنها زيادة فيما أحله الله لهذه الأمة ، ولأنها كسب دنيوى زائد على الجزاء الأخروى الذى يناله المجاهدون من الله فى الآخرة .

والنفل أيضا اليمين ، ومنه الحديث . فتبرئكم يهود بنفل خمسين منهم .

ويأتى بمعنى الانتفاء ، يقال : انتفل من هذا الأمر أى نفاه عن نفسه ، ومنه الحديث : « فانتفل من ولدها » أى نفاه عن نفسه .

وهو أيضا نوع من النبات .

* الكاتب عضو لجنة الفتوى

(١) الانفال ـ ١

الأنفـــال

اقرب معانى الكلمة :

واقرب المعانى للكلمة ههنا انها الغنائم ، وذلك ما ارتضاه غير واحد من الصحابة والتابعين واللغويين .

ومعانيها بوجه عام : تدور على ما يأخذه المحاربون من أعدائهم . وقد تخصص بنوع معين من ذلك .

انها ما نَفَّله رسول الله ـ ﷺ ـ المقاتل من سلب قتيله ، زائدا على سهمه من المغنم .

ومنه ان يقول الإمام تحريضا على الحرب وتشجيعا : من قتل قتيلا فله سلبه .

او ان يقول للسرية : ما اصبتم من الأعداء فهو لكم ، او لكم منه نصفه او اقل او اكثر . وهذا لا يخمس كالغنيمة .

ومنه ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد ابق أو دابة شاردة أو نحو ذلك فهذه نوافل ؛ لانها شىء زائد آل إلى المسلمين ، وما تحصل عليه السرايا التى تتقدم الجيش لتستطلع مكامن الأعداء وخبايا الطريق ، فإذا وقع فى أيديهم شىء من مال العدو فهو نفل زائد جاء من غير حرب .

وقيل : هى الزيادة التى يؤثر بها الإمام بعض الجيش لمصلحة يراها ، وقيل غير ذلك . وكلها ـ كما قلنا ـ دائرة حول أسلاب الحرب .

سبب النزول :

وجاء فى سبب نزول السورة أقوال لا تفارق هذا المعنى ، وقد تكون كل الأحداث التى رويت صحيحة وأن السورة نزلت لها جميعا .

قال ابو أمامة : سألت عبادة عن الأنفال ، فقال : فينا أصحاب بدر نزلت . اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله منا وجعله إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقسمه بين المسلمين عن بواء ـ أى عن سواء .

وجاء عن عبادة بن الصامت أنه قال : خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويَقْتُلون ، واقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ـ ﷺ ـ (يحمونه حتى) لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها فليس لأحد غيرنا فيها نصيب .

وقال الذين خرجوا فى طلب العدو : لستم بأحق بها منا ، نحن منعنا العدو وهزمناهم .

وقال الذين أحدقوا برسول الله ـ ﷺ ـ خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ،وقد كنا فئتكم وردء كم ، لو قهركم العدو لانحزتم إلينا .

وفئة الرجل قومه وأصحابه الذين يحتمى بهم ، وجاء فى هذه السورة : ﴿ . . . . . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾[1] وجاء ايضا ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾[2]

وقال عمر لجيش المسلمين وقد رجعوا مندحرين : انا فئتكم . يريد لستم فارين مولين الأعداء ادباركم .

وجاء فى سبب نزول السورة ايضا ان سعد بن ابى وقاص قال : اغتنم اصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ غنيمة عظيمة . فإذا فيها سيف ، فأخذته فأتيت به النبى ، فقلت : نفِّلنى هذا السيف ـ اى اعطنيه نافلة زائدة عما آخذ من الغنيمة ـ فأنا من علمت حاله ، يعرض بشجاعته وإخلاصه فى الجهاد ، فقال : رُدَّه من حيث اخذته .

قال سعد : فانطلقت حتى أردت أن القيه فى

(١) الأنفال ـ ١٦

(٢) الأنفال ـ ١٩

القبض[1] ـ لا متنى نفسى . فرجعت إليه فقلت : أعطنيه ، فشد رسول الله ـ ﷺ ـ لى قائلا : رده من حيث أخذته . فانطلقت حتى أردت أن ألقيه فى القبض لامتنى نفسى ، فرجعت إليه فقلت : أعطنيه ، قال : فشد لى صوته وقال : رده من حيث أخذته ، فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ . . . . ﴾

ورواية ثانية فى هذا أن عميرا أخا سعد ـ وكان ابن ست عشرة سنة ـ قتل يوم بدر ـ قتله العاص ابن سعيد ، فقتل سعد العاص وأخذ سيفه وكان سيفا ثمينا يسمى (ذا الكُتَيْفَة) فأتى به رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له : أذهب فاطرحه فى القبض . قال سعد : فرجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله ، من قتل أخى وذهاب سَلَبى ، فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال : فقال لى رسول الله ـ ﷺ ـ اذهب فخذ سلبك ـ أى السيف .

وتنسب رواية مثلها إلى مالك بن ربيعة قال : أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر ، وكان يسمى (المرزبان) ، فلما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل ، أقبلت به فألقيته ، فرآه الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ، فسأله رسول الله ـ ﷺ ـ فأعطاه إياه ـ أى بعد نزول السورة .

وهناك روايات أخرى . وقلنا : قد تكون كلها صحيحة ، وكل ذلك كان قبل أن تنزل آية التخميس : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ . . . ﴾ .

ومهما يكن من شأن هذه الروايات كلها ـ ما ذكرنا منها ومالم نذكر ، فإنها تعكس صورة من إخلاص الصحابة ، وحرصهم على الا يأخذوا شيئا من الغنيمة إلا بإذن رسول الله ـ ثم هو ـ ﷺ ـ لم يقض بشىء إلا بعد أن أوحى الله إليه ، وفى بعض الروايات قال لسعد : لا هو لى ولا لك » .

والسؤال عن الأنفال يعنى السؤال ، عن حكمها وطريقة التصرف فيها ، وحين جعلها الله ـ سبحانه ـ لله ولرسوله ، جعل حكمها كما يبينه الله ويقضى به ، ورسوله هو المبلغ عنه ، وبهذا أذِنَ فى أخذ ما كان قد منعه .

قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ . . . . ﴾ .

أى دعوا النزاع والتخاصم فى متاع الحياة الدنيا ، فذلك مما يقيكم من سخط الله .

والتقوى : مأخوذة من الوقاية ، وتفسيرها بالخوف أخذ من المعنى اللازم ، لأن من اتقى الله ترك ما يغضبه خوفا من عقابه .

وإصلاح ذات البين : يعنى إصلاح ما بينهم من التخاصم والنزاع فتلك شئون مشتركة بينهم . كل طرف منهم له حظ فيها ، وهذا التعبير جار فى اللغة العربية ، فهم يصفون (الأسرار) بأنها ذات الصدور ، أى المستكنة فيها ، ويقولون : بثه ذات نفسه أى أسراره ، واسقنى ذا إنائك ، أى الماء الذى فيه .

والآية ـ بوجه عام ـ تأمر بالمصافاة والمودة ، والتنزه عن متاع الحياة الدنيا ، ومحاربو بدر جاهدوا أساسا لدفع عدوهم وحماية دينهم ، فلا ينبغى أن تكون الغنائم مثار خصومة واختلاف بينهم .

أما الشرط فى قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فيعنى إن كنتم كاملى الإيمان محصلين ما يتطلبه من ورع وعفة نفس ، ولا يعنى مجرد وجوده لأنهم مؤمنون مصدقون ، وإيمانهم هو الذى وجههم للجهاد ، وهذا التعبير جار فى كلامنا ، تقول للمحارب : إن كنت محاربا فنازل فلانا ، وتقول للقارىء : إن كنت قارئا فرتل قرآنك ، تريد إن كنت شجاعا حقا أو قارئا قراءة مستوفاة . والله أعلم .

---

[1] القبض بفتح الباء ما جمع من الغنيمة .

قبس من أنوار النبوة

سلعة الله غالية

للشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ ، وَمَنْ أَدْلَجَ ، بَلَغَ المَنْزِلَ . أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ . أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ» .

رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

أدلج : سار من أول الليل ، والمراد التشمير والجد فى الطاعة .

أرسل الله تبارك وتعالى ، رسوله محمدا ﷺ للناس بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فهدى الله به للإيمان قوما أخلصوا لله ، وبادروا بالطاعة ، فنجوا وفازوا ، لأنهم توجهوا إلى الله بكليتهم فى كل ما يفعلون ، وما يتركون ، يرجون رحمة الله ويخافون عقابه ، كما قال عز من قائل : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ سورة السجدة ١٦ .

روى الإمام أحمد والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ - سورة المؤمنون ٥٧/ ٦٠ .

أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق ؟ قال : « لا ياابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » .

سئل أحد العلماء حاتم الأصم عن صلاته فقال : « إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء ، وأتيت المصلى فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم إلى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبى ، والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائى ، وأظنها آخر

صلاتى ، فأتمها بين الخوف والرجاء اتم خشوع ثم لا ادرى بعد أمقبولة منى أم مردودة عليّ » ؟!

والخوف من اللّه تعالى : هو من أهم صفات المتقين ، قال اللّه تعالى فى محكم كتابه : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ سورة يونس ٦٢/٦٤ .

وكلما استشعر المؤمن عظمة اللّه وكبرياءه كان أشد خوفا لله وأعظم خشية له ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة فاطر ٢٨ .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ تعالى : فى قول اللّه عز وجل فى سورة النازعات : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ اى خاف القيام بين يدى الله عز وجل ، وخاف حكم الله فيه ، ونهى النفس عن هواها وردها إلى طاعة مولاها ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ اى منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء .

فمن خاف ربه وخالقه امتنع عن الكذب والغيبة وكلام الفضول ، وشغل لسانه بذكر الله وتلاوة القرآن ، وشغل قلبه بالإيمان ، وأخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الناس . ولا ينظر إلى الحرام . ولا يأكل إلا طيبا ، ولا تمتد يده إلا إلى ما فيه طاعة لله عز وجل ولا يمشى فى معصية .

الخائف من الله ـ يهرب إليه ـ فيجعل عبادته خالصة لوجه الله ، بعيدة عن الرياء والنفاق ، قال الفقيه السمرقندى ـ رحمه اللّه تعالى : من عمل الحسنة يحتاج إلى الخوف من اربعة اشياء ، فما ظنك بمن يعمل السيئة :

أولها : عدم القبول لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ سورة المائدة ٢٧ .

ثانيها : خوف الرياء ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ سورة البينة ٥ .

ثالثها : خوف عدم المجيء بعمل الصالحات : فإن اللّه تعالى يقول : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ سورة الأنعام ١٦٠ ـ حيث اشترط المجيء بها إلى الآخرة .

رابعها : خوف الخذلان فى الطاعة ؛ لأنه لا يدرى هل يوفق لها أم لا . يقول اللّه تعالى : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود ٨٨ .

وإذا كان المسلم على هذه الحال من الخوف من الله عز وجل ، فإنه يكون قويا بالله شجاعا يجهر بالحق ، وينكر المنكر دون تهيب من أحد أو خوف من مخلوق ، وإذا كان فى الأمة من يجهر بالحق ويدعو إليه ويعمل على نشره ، فإن الباطل سيتوارى كما تتوارى ظلمات الليل عند طلوع الفجر الصادق ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ الأحزاب ٣٩ .

ومما لاشك فيه أن هذا الخوف ينتج أطيب الثمار التى لا تستطيع القوانين تحقيقها ـ مهما كانت صارمة ـ فإن الخوف من الله يخلق الضمير الحى الذى يجعل من الإنسان رقيبا على نفسه ، يشعر بمعية الله ، يرى حركاته وسكناته وهذا هو الإحسان الذى قال فيه الرسول ﷺ : «الإحسان

البقية ص ٥٢٥

د. محمود عبد المتجلى خليفة *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد : فقد ثار خلاف بين عدد من الفقهاء فى حكم من احكام المواريث وهو التخارج فاحببت ان افصل الحكم فيه موضحا له بالصور التى تظهر حقيقته، وترفع الخلاف فيه، والله يهدينا جميعا سواء السبيل .

التخـــارج :

هو فى اللغة مأخوذ من كلمة الخروج ضد الدخول .

وهو تفاعل بين اثنين فاكثر، على أن يُخرِجَ احدهما الآخر من مكان أو من شىء مشترك بينهما .

اما التخارج فى اصطلاح الفقهاء فهو :

أن يتصالح الورثة على خروج بعضهم وترك نصيبه فى التركة مقابل مال يأخذه من التركة أو من غيرها .

وسبب التخارج : طلب الوارث الخارج من بقية الورثة ذلك عند رضاهم به وبناء على هذا التعريف للتخارج فإنه يكون عقد قسمة بين الخارج وبقية الورثة إذا كان المقابل المدفوع للخارج من التركة .

ويكون التخارج عقد بيع إذا كان المقابل المدفوع للخارج من غير التركة سواء أكان هذا المقابل من الورثة الباقين جميعا أم كان من بعضهم والدليل على جواز التخارج أثر رواه محمد علاء الدين بن عابدين فى كتابه (قرة عيون الأخيار لتكملة رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) جـ ٢ ص ٢٤٤ .

وذلك أن عبد الرحمن بن عوف الصحابى الجليل - رضى الله - تعالى - عنه - طلق امراته تماضر بنت أصبغ بن عمرو الكلابية فى مرض موته طلاقا ثلاثا فكان طلاقا بائنا، واصبحت هذه الزوجة بهذا الطلاق أجنبية منه لا ترث منه شيئا إذا مات،

ثم مات سيدنا عبد الرحمن فى هذا المرض وتماضر فى عدتها منه فَوَرَّثَهَا عثمانُ رضى الله تعالى عنه وكانت مع ثلاث نسوة أخر فصالحها الورثة عن نصيبها من التركة وكان ذلك بحضور

* الكاتب عضو لجنة الفتوى .

الصحابة ، وكانت المصالحة على ثمانين ألف دينار ، وأن ذلك كان نصف حقها إذ كان لها ربع الثمن ١/٣٢ من التركة وهو يقدر بمبلغ ١٦٠ الف دينار .

وللتخارج ثلاث صور :

الأولى : أن يكون التخارج مع أحد الورثة فيتفق الخارج مع هذا الوارث على ترك نصيبه له مقابل مال يدفعه له من خارج التركة .

فيأخذ التخارج في هذه الصورة حكم البيع ، إذ باع (الخارج) نصيبه إلى هذا الوارث بهذا الثمن المعلوم .

وبذلك يكون للوارث نصيبه في التركة ميراثا ونصيب هذا الخارج شراء ، ومثال ذلك : إذا مات شخص عن ابنين وبنت ، فتخارج أحد الابنين مع أخته وتركت حصتها مقابل مال دفعه إليها ، قسمت التركة بين الورثة للذكر ضعف الأنثى تعصيبا أي إلى خمسة أسهم للبنت خمسها ولكل ابن خمسان .

وقد باعت البنت نصيبها لأحد أخويها فيكون لذلك الأخ نصيبها وهو خمس التركة مضافا إلى نصيبه وهو الخمسان ، فيكون له ثلاثة أخماس التركة .

الثانية : أن يكون التخارج مع باقي الورثة جميعا ، فيتفق الخارج معهم على ترك نصيبه لهم مقابل مال يدفعونه له من خارج التركة .

ويأخذ التخارج في هذه الصورة حكم البيع أيضاً ، إذ باع الخارج نصيبه إليهم بهذا الثمن فيتملكون نصيبه ويقسمونه بينهم حسبما جاء في عقد التخارج ، فيقسم بينهم بنسبة انصبائهم في التركة إذا كان المال المدفوع للخارج بهذه النسبة .

أو بنسبة ما دفع كل منهم إلى الخارج إذا لم يلتزموا في المال المدفوع نسبة انصبائهم .

فإذا خلا عقد التخارج من النص على طريقة التقسيم قسم بينهم نصيب الخارج بالتساوي ، لأنهم قد اشتروه شركة بينهم ولم يبينوا نصيب كل واحد منهم والشركة بحسب الأصل تقتضي المساواة بين الشركاء ويحمل الأمر على أن المال المدفوع منهم كان بالتساوي بينهم ، إذ لو كان الأمر على خلاف ذلك لنصوا عليه في عقد التخارج .

مثال يوضح هذه الصورة :

إذا توفي شخص عن ثلاثة أبناء وبنتين فتخارج الأبناء وإحدى البنتين مع البنت الأخرى بمال دفعوه من خارج التركة . قسمت التركة بينهم للذكر ضعف الأنثى فتقسم إلى ثمانية أجزاء لكل ابن جزءان ولكل بنت جزء .

ويأخذ كل منهم نصيبه ما عدا البنت التي خرجت فإن سهمها يقسم بين البنت والأبناء الباقين للذكر ضعف الأنثى إذا كان المال المدفوع بنسبة انصبائهم .

فإذا كانت البنت الباقية قد دفعت لأختها ضعف ما دفعه الابن الواحد قسم نصيب البنت الخارجة بنسبة ما دفعوا فيكون للبنت الباقية في هذا المثال ضعف ما يأخذه الابن .

أما إذا لم ينص في عقد التخارج على طريقة التقسيم اقتسم الأبناء والبنت نصيب البنت الخارجة بالتساوي .

الثالثة : أن يكون التخارج مع باقي الورثة ، ولكن يتفق الخارج معهم على أخذ جزء من التركة نقودا أو منقولا أو عقارا أي بيتا أو أرضا للزراعة أو للمباني في مقابل نصيبه .

والتخارج في هذه الصورة يكون قسمة غير كاملة بين الخارج الذي فرز نصيبه وبين باقي الورثة الذين يملكون الباقي على الشيوع .

خـروج وريـث أو التخـارج

وهذه الصورة هى أكثر صور التخارج وقوعا .

وفى هذه الحالة تحل مسألة الميراث ليعرف نصيب كل وارث ومن ضمنهم الوارث الخارج ، ثم تستبعد سهام الوارث الخارج ويقسم الباقى من التركة بين باقى الورثة بنسبة سهامهم فى حالة وجود الوارث الخارج .

والمثال الذى يوضح هذه الصورة كالآتى :

توفيت امرأة عن زوجها وأمها وعمها الشقيق .

وكانت تركتها ٦٠ فدانا[1] ومبلغا من النقود .

فتخارج الزوج مع بقية الورثة على أن يأخذ النقود ويترك نصيبه من الأرض الزراعية .

مع ملاحظة الأصل أن له نصيبا فى الأرض الزراعية وأن بقية الورثة لهم نصيب فى النقود فسيتنازل عن نصيبه فى الأرض وسيتنازلون عن نصيبهم فى النقود .

ولهذا تحل المسألة كالمعتاد وكأن الزوج لم يخرج .

فيكون للزوج النصف فرضا لعدم الفرع الوارث وللأم الثلث فرضا لعدم وجود فرع وارث أو جمع من الإخوة وللعم الشقيق الباقى تعصيبا .

فيكون للزوج ثلاثة أسهم من أصل التركة وهو ستة .

وللأم سهمان وللعم سهم واحد .

ثم تستبعد سهام الزوج الذى تخارج فى مقابل أخذه للنقود ويقسم باقى التركة وهو ٦٠ فدانا على الأم والعم الشقيق بنسبة سهامهما حال وجود الزوج أى بنسبة ٢ ـ ١ فيكون للأم ٤٠ فدانا وللعم ٢٠ فدانا .

هذا ولا يصح تقسيم باقى التركة بين الأم والعم الشقيق بنسبة ميراثهما حال عدم وجود الزوج وكأن الزوج لم يكن .

وذلك لأن هذا الزوج أخذ جزءا من التركة ، فإهمال وجوده يؤدى إلى أن للأم ثلث هذه الأرض وهو ٢٠ فدانا فرضا .

وللعم الباقى وهو الثلثان تعصيبا ٤٠ فدانا .

وهذا لا يتفق مع الأنصبة الشرعية الثابتة لهم ولا مع ما يقتضيه عقد التخارج ، لأن الأم والعم قد تركا نصيبهما فى النقود بنسبة ميراثهما مع وجود الزوج فى مقابل نصيبه فى الأفدنة .

فيكون لهما باقى التركة وهو ٦٠ فدانا .

ولذلك فهما يرثان فى الباقى بهذه النسبة ٢ ـ ١ لأنه قد آل إليهما نصيب الزوج بهذه النسبة .

ولو كانت الأم هى التى خرجت من التركة قسم الباقى بين الزوج والعم الشقيق بنسبة نصيبهما حال وجود الأم أى بنسبة ٣ ـ ١ فيكون للزوج ٤٥ فدانا وللعم ١٥ فدانا .

ولو اعتبرنا الأم كأن لم تكن لكان للزوج نصف الباقى مع انه يستحق نصف التركة كلها بما فيها نصيبه فى النقود التى أخذتها الأم .

ولو كان العم هو الذى خرج قسم الباقى بين الزوج والأم بنسبة ميراثهما مع وجود العم أى بنسبة ٣ ـ ٢ فيكون للزوج ٣٦ فدانا وللأم ٢٤ فدانا .

ولو اعتبرنا العم كأن لم يكن لأخذ الزوج نصف الباقى بعد نصيب العم مع أنه يستحق نصف التركة كلها بما فيها نصيبه فى النقود التى أخذها العم .

هذا ولا يغترن احد بما ذكره العالم الحنفى الكبير الشيخ عبد الله بن محمود بن مودود فى كتابه الاختيار جـ ٢ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

حيث قال : ومن صالح من الورثة على شىء من التركة فاطرحه كأن لم يكن ثم اقسم الباقى على

(١) الفدان = ٤٢٠٠ متر مربع .

سهام الباقين . فإذا ماتت امرأة عن زوج وأم وعم ثم صالح الزوج عن نصيبه من التركة على ما فى ذمته من المهر فاطرحه كأنها ماتت عن أم وعم واقسم التركة بينهما للأم الثلث والباقى للعم .

وهذا سهو من صاحب الاختيار لأن للأم والعم نصيبا فيما فى ذمته من مؤخر الصداق كما أن للزوج نصيبا فى بقية التركة فقد ترك نصيبه من بقية التركة فى مقابل مؤخر الصداق كما أن الأم والعم تركا نصيبهما فى مؤخر الصداق فى مقابل بقية التركة .

ولهذا جاء فى تعليقات المرحوم الشيخ محمود أبى دقيقة على هذا الكلام بقوله : والصواب أن يقول : للأم الثلثان وللعم الثلث كما هو المنصوص فى المذهب الحنفى من غير خلاف . وهو غلط مشهور من صاحب الاختيار وجل من لا ينسى ولا يغلط جل جلاله .

هذا وقد ورد التخارج فى قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ م فى المادة ٤٨ ونصها كالآتى :

التخارج هو أن يتصالح الورثة على إخراج بعضهم من الميراث على شىء معلوم ، فإذا تخارج أحد الورثة مع آخر منهم استحق نصيبه وحل محله فى التركة .

وإذا تخارج أحد الورثة مع باقيهم ؛ فإن كان المدفوع له من التركة قسم نصيبه بينهم بنسبة أنصبائهم فيها .

وإن كان المدفوع من مالهم ولم ينص فى عقد التخارج على طريقة قسمة نصيب الخارج قسم عليهم بالسوية بينهم . ١ هـ

هذا ويلاحظ أن المادة ٤٨ لم تصرح بحكم ما إذا كان بدل التخارج من خارج التركة وقد نص فى عقد التخارج مع باقى الورثة على طريقة تقسيم نصيب الخارج بينهم بنسبة أنصبائهم أو بنسبة ما دفعوه لظهور حكمه .

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

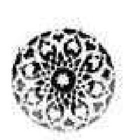

للشيخ :
محمد حسام الدين

العلم بفقه الخلاف هو العلم بوجوه نظر الأئمة للمسائل والوقائع ، وطرائق الاستنباط لديهم للحكم فى كل مسألة ، ومآخذ كل منهم فى الاستدلال لها .
ولا يكون الرجل فقيها - على الأصل فى معنى الفقيه - إلا إذا كان عالما بالخلاف فيما سبقه من آراء .

روى ابن عبد البر[1] الأندلسى بسنده عن سعيد بن أبى عروبة قال : « من لم يسمع الاختلاف فلا تَعُدُّوه عالما » .

وعن قتادة قال : « من لم يعرف الاختلاف لم يَشُمَّ أنفُه الفقه » .

وبسنده عن عطاء قال : « لاينبغى لأحد أن يفتى حتى يكون عالماً باختلاف الناس ، فإنه إن لم يكن كذلك رَدَّ من العلم ما هو أوْثَقُ من الذى فى يديه » .

وبسنده عن أبى أيوب السختيانى قال : « أجْسَرُ الناس على الفتوى أقلهم علما باختلاف العلماء ، وأمْسَكُ الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء » وبسنده عن ابن عيينة مِثْلَه .

وعن ابن الماجشون : « كانوا يقولون : لا يكون فقيها فى الحَادِثِ مَنْ لَمْ يكن عالما بالماضى »[2] .

ويقول الشافعى (رحمه الله) : « لا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما قضى قبله من

(١) الإمام الحافظ : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . انظر « جامع بيان العلم وفضله » جـ ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ - السلفية بالمدينة المنورة - ط - ٢ - ١٩٦٨ م .

(٢) المصدر السابق .

السُّنَنْ ، واقاويل السلف ، وإجماع الناس ، واختلافهم »[٣] .

ولقد اهتم العلماء بمعرفة الخلاف بين الفقهاء ، ومصدر تغاير الرأى لديهم فى كل مسألة .

كما عقد أصحاب المذاهب المختلفة لهذا الغرض لقاءات جرت فيها مناظرات ، ومُطَارَحَاتٌ ، ومُقَارَنَاتٌ بين الآراء .

واشتهرت فى هذا المجال مناظرات جرت بين فقهاء الشافعية والحنفية حضرها العلماء ، والأمراء .

ولقد كتب الشافعى (رحمه الله) فى فقه الخلاف ، وعقد له كتبا وابواباً منها : (كتاب ما اختلف فيه ابو حنيفة وابن ابى ليلى عن ابى يوسف) و(كتاب اختلاف عبد الله بن مسعود) و(كتاب اختلاف مالك والشافعى) ، و(باب خلاف ابن عباس فى البيوع) و(باب خلاف عمر ابن عبد العزيز فى عشور أهل الذمة) ، و(باب خلاف سعيد وأبى بكر فى الإيلاء) و(كتاب الرد على محمد بن الحسن) و(كتاب سير الأوزاعى)[٤] وغيرها .

ولا ينبغى أن يتبادر إلى الذهن أن الشافعى ـ رحمه الله ـ قصد فى هذا العَرْضِ أن يَعيبَ مذهباً ، أو مَنْحى ، أو رأيا من آراء السلف ، فقد كان الشافعى ورعا بعيداً عن هذه المظان ، وقد شغل نفسه فيما كتبه فى هذا المجال بِعرضِ الرأى ، ومَأْخذِه من الدليل .

ولم يزد على البيان شيئا سوى أن يَشْرَحَ وَجْهَ الترجيح لما ذهب إليه ، أو لما اختاره من آراء الفقهاء .

وكثيرا ما كان يعرض الآراء وملمحها من الدليل ، ويكتفى بهذا ويقف موقف الحياد فلا يعلق على الآراء بشىء ما لم يكن هو طرفا من أطراف الخلاف فى المسألة .

ونحن إذا نظرنا إلى مقال الشافعى فى : « كتاب اختلاف مالك والشافعى »[٥] مثلا وجدناه يَعْرِضُ لنوعين من الخلاف .

أحدهما : خلاف مالك والشافعى مع غيرهما ، وذلك فيما اتفق عليه هذان الإمامان ، وكان الخلاف فيه مع غيرهما .

والثانى : ما وقع فيه الخلاف بين الشافعى « رحمه الله » وبين اتباع مالك « رضى الله عنه » .

ومثال النوع الأول : ما جاء فى « كتاب الأقضية »[٦] فقد احتج الشافعى لرأيه ورأى مالك بالقضاء باليمين مع الشاهد ، وناقش حجة من خالفهما فى هذه المسألة : قال الشافعى (أخبرنا مالك عن جعفر بن محمد عن ابيه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قضى باليمين مع الشاهد ، فأخذنا نحن وأنتم[٧] به ، وإنما

---

(٣) الرسالة للشافعى ص ٥٠٨ تحقيق وشرح الشيخ أحمد شاكر ـ ط ١٩٧٩ م .

(٤) انظر الأم ـ الجزء السابع ـ ط دار الشعب .

(٥) الأم ١٧٧/٧ .

(٦) الأم ١٨٢/٧ .

(٧) المخاطب بهذه العبارة هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى صاحب الشافعى ، وراوية كتبه ، ولد سنة ١٧٤ هـ واتصل بخدمة الشافعى ، وحمل عنه الكثير ، وكان قد تلقى من قبل عن عبد الله بن وهب ، وأسد بن موسى ، ويحيى بن حسان وجماعة من اتباع مالك « رضى الله عنه » فكان على مذهبهم قبل أن يحضر الشافعى إلى مصر ، وكان الربيع يسأل الشافعى عما يفرق بين رأيه ورأى المالكية فى بعض المسائل فخاطبه الشافعى على اعتباره مالكيا ـ توفى الربيع سنة ٢٧٠ هـ ـ طبقات الشافعية ١٣٢/٢ ـ الحلبى ـ حسن المحاضرة ٣٤٨/١ ـ بروكلمان جـ ٢ ـ المعارف .

فقــــه الخــــلاف

أخذنا نحن به مِنْ قِبَلِ أنا رويناه من طريق المكيين متصلا[8] صحيحاً ، وخالفنا فيه بعض الناس ، فما احتيج فى شىء منه قط علمته أكثر من حُجَجِهِ فيه ، وفى ثلاث مسائل معه :

فزعم أن القرآن يدل على أن لا يجوز أقلُّ من شاهدين ، أو شاهد وامرأتين .

وزعم أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال اليمين على المدَّعَى عليه ، وقال له عمر ، فكان هذا دلالة على أن لا تجوز يمين إلا على المدَّعَى عليه ولا يَحْلِفُ مُدَّعٍ .

واحتج بابن شهاب ، وعطاء ، وعروة ، وهما رجلا[9] مكة والمدينة فى زمانهما انكراه غاية النُّكْرَةِ .

واحتج بأن لم يُحْفَظْ عن أبى بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان فيه شىء يُوَافِقُه ، ولا عن عَلِيٍّ من وجه يصح عنده ، ولا عن واحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من وجه يصح ، ولا عن ابن المسيب ولا القاسم ، ولا أكثر التابعين وبأنا[10] أحلفنا فى المال ، ولم نحلف فى غيره .

فكانت حجتى عليه أن قلت : الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثابتة ، وما ثبت عن رسول الله لم يُوْهِنْهُ أن لا يوجد عند غيره ، ولم يَتَأَوَّلْ معه قرآن ، ولم يَدْفَعْه أن أَنْكَرَهُ عروة ، وابن شهاب ، وعطاء ، لأنه ليس فى الإنكار حجة ، إنما الحجة فى الخبر لا فى الإنكار)[11] ا . هـ .

وأما النوع الثانى من النقاش الذى أجراه الشافعى فى « كتاب اختلاف مالك والشافعى » فهو الخلاف مع أصحاب مالك فى بعض المسائل ومثاله ما جاء فى باب : « النكاح بولى »[12] .

قال الربيع بن سليمان : « سألت الشافعى عن النكاح فقال : كل نكاح بغير ولى فهو باطل . فقلت : وما الحجة فى ذلك ؟ قال : أحاديث ثابتة : فأما من حديث مالك : فإن مالكا أخبرنا عن عبد الله بن الفضل عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبى « صلى الله عليه وسلم » قال : (الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تُسْتَأْذَنُ فى نفسها وإِذْنُهَا صِمَاتها) .

وأخبرنا مالك بَلَغَهُ أن ابن المسيب كان يقول : قال عمر بن الخطاب : لا تُنْكَحُ المرأة إلا بإِذْنِ وليها ، أو ذِى الرَّأى من أهلها ، أو السلطان .

« قال الشافعى » وثَبَّتُمْ هذا ، وقُلْتُم : لا يجوز نكاح إلا بولى ... .

« قال الشافعى » أخبرنا مسلم بن خالد ، وعبد المجيد عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن ابن شهاب عن عُرْوَةَ عن عائشة عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « إيما امرأة نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهاَ فنِكَاحُهَا باطل .. ثلاثا » .

وأخبرنا مسلم وسعيد عن ابن جريج عن عكرمة قال : جمع الطريق ركبا فيهم امرأة ثيب فجعلت أمرها بيد رجل ، فزوجها رجلا ، فجلد عمر النَّاكِحَ ، والمُنْكِحَ ، وفَرَّقَ بينهما .

أخبرنا مسلم عن ابن خيثم ، عن سعيد بن

---

(٨) أى متصل الاسناد .

(٩) أى عطاء وعروة .

(١٠) أى واحتج بأن احلفنا فى المال .

(١١) الام ١٨٢/٧ ـ ١٨٣ ط . الشعب .

(١٢) الام ٢٠٦/٧ ط ـ الشعب .

جبير عن ابن عباس قال : لا نكاح إلا بولى مُرْشِد ، وشَاهِدَىْ عدل .

وهذا قول العامة بالمدينة ومكة .

قلت للشافعى[١٣] : نحن نقول فى الدَّنِيَّةِ لا بأس أن تَنْكِحَ بغير ولى ، ونَفْسَخُه فى الشَّرِيفَةِ[١٤] .

فقال الشافعى : عدتم لِمَا سَدَدْتُم[١٥] من أمر الأولياء فنقضتموه ، فقلتم : لا بأس أن تنكح الدَّنِيَّةُ بِغَيْرِ وَلِىٍّ ، فأما الشريفة فلا .

السنة والآثار على كل امرأة[١٦] .. فمن أمركم أن تخصوا الشريفة بالحياطة لها واتباع الحديث فيها ؟ وتخالفون الحديث عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وعمن بعده فى الدنية ؟

أرأيتم لو قال لكم قائل : بل أجيز نكاح الدَّنِيَّةِ إلَّا بِوَلِىٍّ ، لأنها أقرب من أن تُدَلِّسَ بالنكاح ، وتَصِيرَ إلى المكروه من الشريفة التى تَسْتَحِى على شَرَفِها ، وتخاف من يمنعها . أما كان أقرب إلى أن يكون أصاب منكم ؟ .. فإن الخطأ فى هذا القول لأَبْيَنُ من أنْ يَحْتَاجَ إلى تبيينه بأكثر من حكايته .

النساء مُحَرَّمَاتُ الفُرُوجِ إلا بما أُبِيحَتْ به الفروج من النكاح بالأولياء والشهود والرضا .

ولا فرق بَيْنَ ما يَحْرُمُ منهن وعليهن فى شَرِيفَةٍ ولا وَضِيعَةٍ . وحق الله عليهن وفيهن كلهن واحد ؛ لا يحل لواحدة منهن ، ولا يحرم منها إلا بما حل للأخرى وحرم منها .ا .هـ .

هذا : وأما الخلافيات التى طرحها الشافعى ولم يكن طرفا فيها فمثالها ما جاء فى كتاب : (ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبى ليلى عن أبى يوسف رحمهم الله تعالى) .

ومنه ما جاء فى باب السلم : « قال الشافعى » رحمه الله تعالى : وإذا كان لرجل على رجل طعام أسلم إليه فيه ، فأخذ بعض طعامه ، وبعض رأس ماله . فإن أبا حنيفة « رضى الله عنه » كان يقول : هو جائز .. بلغنا عن عبد الله بن عباس « رضى الله عنهما » ، أنه قال : ذلك المعروف الحسن الجميل . وبه يأخذ . وكان ابن أبى ليلى يقول : إذا أخذ بعض رأس ماله فقد فسد السلم ، ويأخذ رأس ماله كله » .

وعَلَّقَ الشَّافِعىُّ على هذا بما يؤيد رأى أبى حنيفة ، فقال : (سئل عن هذا ابن عباس فلم ير به بأسا ، وقال : هذا المعروف الحسن الجميل وقول ابن عباس القياس[١٧] ، وخالفه فيه غيره)[١٨] .

وفى باب الزكاة[١٩] : قال الشافعى « رحمه الله » : وإذا كان على رجل دَيْنٌ أَلْفُ درهم ، وفى يده أَلْفُ درهم فإن أبا حنيفة « رضى الله تعالى عنه » كان يقول ليس عليه زكاة فيما فى يديه حتى يخرج دَيْنَهُ فَيُزَكِّيه ، وكان ابن أبى ليلى يقول : عليه فيما فى يديه الزكاة .

عَقَّبَ الشافعى على هذا بقوله : وإذا كان فى يَدَىْ رجل ألف درهم ، وعليه مثلها ، فلا زكاة

---

(١٣) القائل هو الربيع بن سليمان .

(١٤) قال القطب الدردير : « الدنيئة هى الخالية من الجمال والمال والحسب والنسب : وقال بعضهم : تكون من قوم فقراء شأنهم خدمة الناس ، ولا ديانة لهم ولا صيانة » وانظر الصاوى على الشرح الصغير للدردير .

(١٥) أى إلى ما كان لكم من رأى سديد .

(١٦) أى دلالة السنة والآثار على الحكم عامة فى كل امرأة .

(١٧) أى هو القياس

(١٨) الأم ٩٨/٧ .

(١٩) الأم ١٣١/٧ .

فقـــه الخـــلاف

عليه ، وإن كانت المسألة بحالها ، وله دَيْنُ أَلْفُ درهم ، فلو عَجَّلَ الزكاة كان أحَبَّ إليَّ ، وله ان يؤخرها حتى يَقْبِضَ ماله ، فإنْ قَبضه زَكَّى مما فى يديه . وإن تَلِفَ لم يكن عليه فيه زكاة .

« قال الربيع » آخِرُ قَوْلِ الشافعى : إذا كانت فى يديه ألفٌ وعليه ألفٌ فعليه الزكاة .

وفى موضع آخر قال الشافعى : ولو أن رجلا له مائتا درهم ، وعَشْرَةُ مَثَاقِيل ذهبا فإن أبى حنيفة كان يقول : إذا حال عليه الحول يُضيفُ بعضه إلى بعض ، ويُزَكِّيهِ كله[20] .

وقال ابن أبى ليلى : هذان مالان مختلفان تجب الزكاة على الدراهم ، ولا تجب على الذهب .

وقال أبو يوسف : فيه الزكاة كله . الا ترى أن التاجر يكون له المتاع للتجارة وهو مختلف ، فيقومه ، ويضيف بعضه إلى بعض ويزكيه ؟ وكذلك الذهب والفضة ، وقد بلغنا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انه أمر رجلا تاجراً أن يقوم تجارته عند الحول فيزكيها » . ا هـ .

هذه نماذِجُ مما كَتَبَه الشافعى فى فقه الخلاف .

وقد يتشابه هذا العلم بما يسمى اليوم بالفقه المقارن ، لكن يُفَرِّقُ بينهما أن فقه الخلاف لا يكتفى بعرض آراء الفقهاء فى المسألة لكنما يهتم فى الأصل ببيان مأخذ الأئمة من الدليل ، ومثارات اختلافهم ، ومواقع اجتهادهم فيها .

كما أنه قد يلتبس بعلم الجدل الفقهى الذى يهتم بمذاهب الأئمة فى الأصول ، والتفاوتِ بينها فى الأخذ بالأدلة الشرعية الفرعية ، أو فى تقديم بعض الأدلة على بعض ..

أما علم الخلاف فإنه يهتم بآراء وحجج العلماء عند تناول المسائل والفروع .

قال حاجى خليفة : « علم الجدل علم باحث عن الطرق التى يقتدر بها على إبرام ، ونَقْضِ الأدلة الفقهية ، وهو من فروع علم النظر . ومَبْنَى لعلم الخلاف »[21] .

قال ابن خلدون[22] : « وأما الخلافات : فاعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كَثُرَ فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم ، خِلافاً لابُدَّ من وقوعه ـ لما قدمناه ـ واتسع ذلك فى الملة اتساعا عظيما ، وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاءوا منهم .

ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار ، وكانوا بِمَكانٍ مِنْ حسن الظن بهم ، اقتصر الناس على تقليدهم . ومنعوا من تقليد سواهم ، لذهاب الاجتهاد لصعوبته ، وتشعب العلوم ـ التى هى مواده ـ باتصال الزمن . وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعة .

فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصُولَ المِلّةِ ،

---

(٢٠) من المشهور فقها أن نصاب الذهب للزكاة عشرون مثقالا وأن نصاب الفضة مائتا درهم .

(٢١) كشف الظنون ١/٥٧٩ . وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى مادة ـ جدل .

(٢٢) المقدمة ص ٤٥٦ ـ ط . المكتبة التجارية مصر .

وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها ، والآخذين بأحكامها مجرى الخلاف فى النصوص الشرعية والأصول الفقهية .

وجرت بينهم المناظرات فى تصحيح كل منهم مذهب إمامه ، تجرى على أصول صحيحة ، وطرائق قويمة يحتج بها كل على مذهبه ....

فتارة يكون الخلاف بين الشافعى ومالك ، وأبو حنيفة يوافق أحدهما ، وتارة بين مالك وأبو حنيفة ، والشافعى يوافق أحدهما وتارة بين الشافعى وأبى حنيفة ، ومالك يوافق أحدهما .

وكان فى هذه المناظرات بيان مآخذ هؤلاء الأئمة ، ومثارات اختلافهم ، ومواقع اجتهادهم .
كـان هـذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات . ولابد لصاحبه من معرفة القواعد التى يتوصل بها إلى استنباط الأحكام ، كما يحتاج إليها المجتهد ، لأن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط ، وصاحب الخلافيات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلته .

وهو لعمرى علم جليل الفائدة فى معرفة مآخذ الأئمة ، وأدلتهم ، ومِرَانِ المُطَالِعِين له على الاستدلال عليه .

وتآليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تآليف المالكية[٢٣] .... وللغزالى « رحمه الله تعالى » فيه كتاب : (المآخذ) ولأبى زيد الدبوسى كتاب : « التعليقة » ولابن القصار من شيوخ المالكية : « عيون الأدلة » .

وقد جمع ابن الساعاتى[٢٤] فى مختصره فى أصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلافى مُدْرجاً فى كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافيات) . ا . هـ .

هذا : وبالله التوفيق ..

---

(٢٣) للقاضى عبد الوهاب ـ المالكى ـ تآليف جامعة فى علم الخلاف . وهو العلامة الفقيه الحافظ الحجة ، النظار الأديب الشاعر القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى ، المالكى ، ولد سنة ٣٦٢ هـ فى بغداد ، وتوفى سنة ٤٢٢ هـ بالقاهرة ، رحمه الله .

وله كتب كثيرة فى المذهب المالكى ، والخلاف ، والأصول وغيرها ، وقد اشتهر منها . فى الخلاف : (النصرة لمذهب امام دار الهجرة ، وأوائل الأدلة فى مسائل الخلاف بين فقهاء الملة ، والإشراف على نكت مسائل الخلاف » ـ انظر الوفيات لابن خلكان ٢١٩/٣ . وحسن المحاضرة ـ ٢/فقهاء المالكية .

(٢٤) هو الإمام العلامة مظفر الدين أبو العباس أحمد بن على بن تغلب البغدادى المنشأ والوفاة المعروف بابن الساعاتى الحنفى الأصولى المتكلم المتوفى سنة ٦٩٤ هـ رحمه الله اشتهر والده بعلم الهيئة ، وعمل الساعات ، فلقب بالساعاتى ، كان العلامة أبو العباس الساعاتى ثقة حافظا متقنا لمذهبه ـ الحنفى ـ فى الفروع والأصول وله « مجمع البحرين وملتقى النهرين » فى الفقه ، جمع فيه بين مختصر القدورى ، ومنظومة النسفى فى الخلاف مع زوائده ، ورتبه على طريقة يعرف منها الخلاف بين أبى حنيفة وأصحابه : أبى يوسف ، ومحمد ، وزفر وكذلك بين الأئمة الأربعة على ما جاء فى كشف الظنون ، وله فى الفقه والأصول وغيرهما تآليف نافعة ـ رحمه الله ـ انظر الطبقات .

■ روسيا شيء ، والاتحاد السوفيتي شيء آخر

إنهما في المجال العلمي والدولي شيء واحد ، ولكنهما من ناحية الواقع والتاريخ شيئان مختلفان .

كانت روسيا دويلة محدودة المساحة والقدرة ، تقع في الركن الشمالي الشرقي من أوروبا ، ولا تزيد أرضها على مليوني كيلو متر مربع وهي سهول فسيحة تقوم فيها بعض التلال التي تعد مركز تقسيم المياه .

وقد أخذت روسيا اسمها من تلك الأراضي التي انتشر فيها الروس السلاف في القرون الأولى للميلاد ، إذ شملت :

منطقة ينتشر فيها الروس الكبار حول قاعدتهم « موسكو » .

وأخرى ينتشر فيها (الأوكران) الذين يتوزعون في الجنوب الغربي حول عاصمتهم « كيف » .

وثالثة للروس البيض الذين يقيمون في الغرب حول حاضرتهم « منسك » .

وكانوا يدينون بالوثنية ، وكانت تجاورها من جميع الجهات قبائل قليلة العدد ، وعندما جاء

أ.د. محمد عبد الحليم العدوى

التتار في القرن السابع الهجري (١٣ م) استقرت بعض قبائلهم في المناطق الشرقية والجنوبية ، ففرضوا سيطرتهم على الروس وتقدموا نحو الغرب وأعطى الروس الجزية عن يد وهم صاغرون .

وبعد مدة تزايد عدد الروس إذ كانوا يومذاك كثيري النسل ، وضاقت بهم الأرض فانتهزوا فرصة وهن التتار فشرعوا يتوسعون في الأرض حتى وصلوا إلى جبال الأورال في الشرق وسواحل البحر الأسود في الجنوب ، وضموا نتيجة هذا التوسع مناطق إسلامية ، وقد أطلق على المنطقة جميعها اسم روسيا : وهي منطقة ذات رقعة فيحاء بعيدة المدى .

أما الاتحاد السوفيتي فيطلق على تلك المساحة الشاسعة التي احتلها الروس بقوة الحديد والنار وسلبوها من أيدي المسلمين حتى صارت تطل على البلطيق غرباً ، وعلى

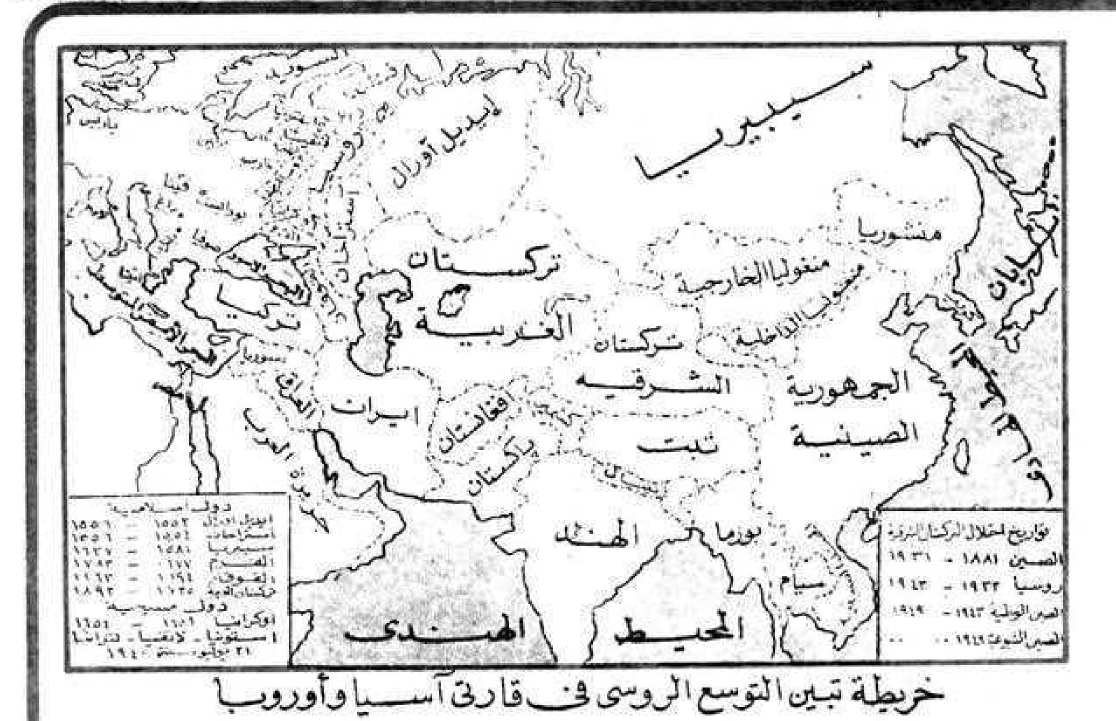

خريطة تبين التوسع الروسى فى قارتى آسيا وأوروبا

المحيط الهادى شرقاً ، وحتى بلغ حجم هذه الأرض الآن خمسة عشر ضعفاً من حجمها الأول [١] .

فتشغل مساحة قدرها ٢,٢٤٠,٢٠٠ كيلو متر موزعة على قارتى آسيا وأوروبا ، وهذه المساحة تعادل سدس اليابس تقريباً .

ويبلغ عدد سكانه الآن ما يقرب من ٣٠٠ مليون ، ويشكل المسلمون خمس سكانه تقريباً (اكثر من ستين مليوناً) ، ويعيش ٧٥٪ من مسلمى الاتحاد السوفيتي فى آسيا الوسطى (تركستان الغربية) .

ويبلغ طول الأراضى السوفيتية بين بحر البلطيق والمحيط الهادى حوالى ١٠آلاف كيلو متر ، وعرضها يتراوح بين (٣٠٠٠) كيلو متر ، (٤٥٠٠) كيلو متر ، واصبح الاتحاد السوفيتي مكوناً من ١٥ جمهورية منها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها ، هذا بالإضافة إلى الاقاليم الملحقة بالخمس عشرة جمهورية ، ولقد استولى السوفييت على مساحة ٤,٥٣٨,٦٠٠ كم من البلاد الإسلامية ، والوحدات السياسية التى استولى عليها السوفييت من الأراضى الإسلامية فى قارة آسيا هى :

(أذربيجان ، أوزبكستان ، طاجيكستان ، تركمانستان ، قازاكستان ، قرغيزيا ، جورجيا ، ارمينيا ، والست الأولى ذات أغلبية مسلمة ، والأخيرتان كانتا تابعتين لحكم إسلامى خلال فترات مختلفة .

(١) محمد الغزالى : الإسلام فى وجه الزحف الأحمر .

♦ جمهوريـــة أذربيجـــان

وفى قارة أوروبا : داغستان ، شاشان ، كباردبا ، بلكاريا ، القرم ، مارى وأدمورت ، تشوفاشيا ، تتاريا بشكريا ، ادنبرج ، أستينا الشمالية [٢] .

هذا بالإضافة إلى منطقة سيبيريا التى تعتبر أكبر أقاليم العالم مساحة .. وهى تتبع جمهورية روسيا الاتحادية كما سيأتى :

وتضم الجمهوريات الإسلامية معظم المواد الخام بالاتحاد السوفيتي حيث الغنى فى المواد الطبيعية لدرجة السيطرة على معظم الخامات ، فينتج من البلدان الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز أكثر من ٥٠٪ من (نفط) الاتحاد السوفيتي ، ٩٥٪ من (اليورانيوم) ، ٧٦٪ من (النحاس) ، ١٠٠٪ من (الزئبق) ، ٨٦٪ من (الرصاص والقصدير) ، ٩٠٪ من (معدن الكروم) ، ٧٨٪ من (الصوف) ، ٩٦٪ من (الحرير) المنتج من الاتحاد السوفيتي ، وأكثر من ٣٧٪ من خام (الحديد) ، ٢٧٪ من (فحم السوفييت) [٣] .

* سياسة الاستيلاء على الأراضى الإسلامية :

(١) فى عهد القياصرة :

بدأت محاولات روسيا فى عهد بطرس الأول لضم الأراضى الإسلامية ، بدأت كمرحلة أولى منذ سنة ١١٨٨ هـ ـ ١٧٤١ م حتى سنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٨٥٢ م .

ثم حركة الضم الثانية ، وكانت ضد الخانات وانتهت امبراطورية بوغر فى سنة ١٢٨٥ هـ ـ ١٨٦٥م ، ثم الاستيلاء على البامير فى سنة ١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٧ م .

وفى أثناء هذه المراحل استولى الروس على القرم سنة ١١٩٨ هـ ـ ١٧٨٣ م واستولوا على قرغيزيا فى أواخر القرن الثامن الميلادى ، وعلى جبال القفقاس فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وتم الاستيلاء على منطقة التركستان فى أواخر سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٨٨١ م [٤] .

ولقد أمضى الروس (١٨٢) سنة فى إخضاع منطقة التركستان الإسلامية .

واستولت روسيا القيصرية على منطقة قفقاسيا سنة ١٢٨٠ هـ ـ ١٨٦٣ م .

(٢) فى عهد الشيوعيين :

أخذ السوفييت فى احتلال البلدان الإسلامية الواحدة بعد الأخرى .. ففى سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م امتد نفوذهم إلى (أذربيجان) التى أصبحت جمهورية اتحادية سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .

كما تحولت (أوزبكستان) إلى جمهورية اتحادية سنة ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٤ م .

واستولوا على (طاجيكستان) فى سنة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م ، وأصبحت جمهورية اتحادية سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م .

واتحدت تركمانستان سنة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م . وامتد نفوذهم إلى قازاكستان سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م . واتحدت فى سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .

---

(٢) منتصر الكتانى ـ المسلمون فى المعسكر الشيوعى ص ٦٨ ، البلدان الإسلامية ص ٧٥١ .

(٣) البلدان الإسلامية ص ٣١٢ ، ٧٣٢ ، الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص ١٠٩ ، الأقليات المسلمة : سيد بكر ٢٦٨/٢٦٩ .

(٤) الكتانى / المسلمون فى المعسكر الشيوعى ص ٥٧ .

وضمت جمهورية قرغيزيا للاتحاد فى سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .

وهكذا شهدت الفترة المحصورة بين سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٣٥٥ هـ ضم هذه البلاد الإسلامية .

وفى سنة ١٣٣٨ هـ ـ ١٩١٩ م استولى السوفييت على (باشكيريا) و(تتاريا) .

وفى سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م ألغوا (جمهورية القرم) بعد الحرب العالمية الثانية ، ونقلوا معظم سكانها إلى سيبيريا .

وضموا (داغستان) سنة ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م .

وهكذا احتل الشيوعيون السوفييت البلدان الإسلامية ، وتم ذلك فى فترة تقدر بحوالى ست عشرة سنة ، بينما استغرق القياصرة (١٨٣) سنة لبسط نفوذهم على المناطق الإسلامية بوسط آسيا (٥) ، والسياسة الروسية فى هذا الميدان جزء من المخطط العالمى الصليبى للإتيان على الإسلام كله ودك قواعده .

وقد تكفل الاستعمار الغربى بمحاربة الإسلام فى أفريقيا كلها وجنوب آسيا، ومن حسن حظ المسلمين فى هذه البلاد أن كتاباً كثيراً فضحوا هذه الغارة ونبهوا إلى أخطارها .

أما مسلمو أواسط آسيا وشمالها ، فقد نشب القتال بينهم وبين الروس خلال قرنين مشئومين كَالِحَيْن ، داخ فيها المسلمون وذلوا واستهلكوا ، وذلك كله وراء حجب من الصمت ، تشقها بين الحين والحين صيحات الفارين من الاضطهاد أو المنسحبين من أرض المعركة بعدما طال بلاؤهم وسقط لواؤهم .

كان المسلمون ضحية تعصب القياصرة قبل الثورة التى أطاحت بهم ، ثم كانوا بعد انتصار الشيوعية فى روسيا ضحية الإلحاد الذى يكره الدين كله ولا سيما (الإسلام) .

ومضى الروس فى طريقهم يسابقون إخوانهم من غرب أوروبا فى الانقضاض على هذه البلاد الإسلامية وتقطيع أوصالها . (٦)

... وها نحن ـ بتوفيق من الله وعون منه ـ نبسط الحديث عن أحوال المسلمين فى هذه الجمهوريات ليتعرف عليهم أبناء العالم الإسلامى وليمدوا إليهم يد العون والمساعدة وليوثقوا الصلة بهم حتى لا يخطئوا مرتين : مرة حين تركوهم يسقطون فى ظل الشيوعية ، وأخرى حين يصمتون حاليا على ما يحاك لهم ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

(١) جمهورية أذربيجان :

هى إحدى الجمهوريات الإسلامية وقد تأسست فى عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) ثم اتحدت مع جمهورية روسيا خلال الفترة من عام ١٣٤١ هـ إلى عام ١٣٥٥ هـ (١٩٢٢ ـ ١٩٣٦ م) ، إلى أن أصبحت جمهورية اتحادية فى نطاق الاتحاد السوفيتى فى عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

* موقعها :

تقع أذربيجان فى الجنوب الشرقى من قفقاسيا وهى تشرف على جزء كبير من الساحل الغربى لبحر (قزوين) وتمتد أراضيها داخله فيما يعرف بشبه جزيرة : (بشيرون) .

* مساحتها :

ومساحة أذربيجان ٨٦,٦٣٠ كم ، وضمن هذه المساحة الأراضى التابعة لها فى حكم ذاتى مثل جمهورية (ناختشفان) وإقليم قرة باخ .

---

(٥) الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا . سيد بكر .

(٦) الشيخ محمد الغزالى : الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ١١٠ / ١١١ .

جمهورية أذربيجان

وعاصمة أذربيجان هى « باكو » على بحر قزوين وعدد سكانها ١,٠٤٦,٠٠٠ تقريبا .

وجمهورية أذربيجان تحيط بها من الغرب جمهورية أرمنية ، ومن الشمال الغربى جمهورية جورجيا ، ومن الشمال جمهورية داغستان وكل هذه من جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، ولأذربيجان حدود مشتركة مع إيران .

* **سكانها :**

يبلغ عدد السكان ثمانية ملايين تقريبا فى أول سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ، ويتكون السكان من الأذربيجان ونسبتهم ٧٤٪ كما يوجد (الاكراد) فى سفوح جبال أذربيجان ، ثم التتار الذين يسكنون عند مصب نهركورا ، وفى مدينة باكو ، وهناك مستعمرون روس أيضا ، وتسود اللغة الأذربيجانية بين السكان وهى لغة تركية ، أما اللغة الروسية فلها المرتبة الثانية فى البلاد بعد الأذربيجانية ، وإلى جانب ذلك تتكلم بعض الأقليات لغاتها كالأرمنية والجورجية .

* **نسبة المسلمين :**

ويدين بالإسلام نحو ٧٨٪ من مجموع السكان فى أذربيجان ، وعنصر الأذربيجانيين جميع أفراده مسلمون ، بينهم من الشيعة نسبة لها اعتبارها ، أما ديانات الأقليات فتأتى فى مقدمتها النصرانية ، التى يعتنقها الأرمن وجورجيون ثم تأتى أخيرا اليهودية ، ومعتنقوها فئة قليلة .

ويتولى الإشراف على أمور المسلمين الدينية فى مناطق القفقاس مجلس منهم مقره مدينة باكو ، وتقوم مجالس متشابهة فى مناطق تجمع المسلمين الأخرى مثل طشقند « أوزبكستان » « واوفا » « باشكيريا » « ويونياكسك» « دغستان » ويرأس كل من هذه المجالس المفتى العام للمسلمين فى المنطقة .

* **الاقتصاد :**

الزراعة هى دعامة اقتصاد أذربيجان وتتمثل فى (الحبوب) و (القطن) ، و (الشاى) الذى يزرع فى السهول المطلة على بحر قزوين ، كما يزرع (العنب) ، والعديد من أصناف الفاكهة والحمضيات والخضر ويشتغل بعض السكان بالرعى ، ولذلك قامت صناعة الصوف ، واللحوم .

وهى غنية بالبترول والغاز الطبيعى والرواسب المعدنية ، المشتملة على خامات الحديد ، والبوكسايت وغيرها ، ولهذا توجد صناعات عديدة للحديد والصلب والآلات الثقيلة ، ومشتقات البترول[٧] .

.. كيف ومتى وصل الإسلام إلى أذربيجان :

بعد معركة نهاوند وهزيمة الفرس انساح المسلمون يفتحون باسم الله حتى بلغوا بلاد القفقاس سنة ٢٢ هـ / ٦٤٤ م وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

يقول البلاذرى نقلا عن المدائنى رواية الزهرى « لما هزم الله المشركين بـ (نهاوند) ، رجع الناس إلى أمصارهم وبقى أهل الكوفة مع (حذيفة بن اليمان) رضى الله عنه فغزا أذربيجان فصالحوه على مائة الف كما روى الواقدى : أن المغيرة بن شعبة غزا أذربيجان من الكوفة عام ٢٢ هـ « ففتحها عنوة ووضع عليها الخراج » .

وروى (ابن الكلبى) عن (أبى مخنف) :

(٧) انظر البلدان الإسلامية ص ٢٢٠ ومابعدها ، والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى د . محمد على الباز .

أن (المغيرة) - رضى الله عنه - غزا أذربيجان سنة عشرين ففتحها ، ثم أنهم كفروا فغزاها (الأشعث بن قيس الكندى) - رضى الله عنه - وصالحهم على صلح المغيرة ، ومضى صلح الأشعث إلى اليوم .

وروى المدائنى أن الخليفة عمر بن الخطاب قد استعمل (عتبة بن فرقد السلمى) - رضى الله عنه - على أذربيجان بعد حذيفة ، فلما استخلف (عثمان) رضى الله عنه استعمل (الوليد بن عقبة بن ابى معيط) - رضى الله عنه - الذى غزا أذربيجان حين نقض أهلها عام ٢٥ هـ ، وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة ، وذكر أن الوليد بن عقبة ولى (الأشعث بن قيس) أذربيجان وأمده بجيش عظيم من أهل الكوفة لتأمين فتح أذربيجان ، ففتحها على مثل صلح حذيفة وعتبة إبن فرقد وأسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء والديوان - وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام .

ثم تولى (سعيد بن العاص) فغزا أهل أذربيجان .

ثم ولى (على بن أبى طالب) الأشعث أذربيجان ، فلما قدمها وجد اكثرها قد أسلموا وقراوا القرآن ، فأنزل أردبيل من أهل العطاء والديوان من العرب ومصرها وبنى مسجدها إلا انه وسع بعد ذلك .

ولما نزلت العرب أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصريين والشام وغلب كل قوم على ما أمكنهم ، وقد وصلت فتوح المسلمين إلى مدينة (باب الأبواب) (دربنت) حاليا وهى ثغر على بحر الخزر ، وشملت جميع بلاد شروان وجزءا من (الداغستان) ، كما شملت بلاد الأرمن والكرج وبلغ المسلمون بلنجر قاعدة الخزر ، واصبحت مدينة (تفليس) قاعدة الحكم الإسلامى فى المنطقة بعد أن أمن فتحها (حبيب ابن مسيلمة) إذ وجهه لذلك (معاوية بن أبى سفيان) - رضى الله عنه - والى الشام والجزيرة فى خلافة عثمان .

واضطلع الولاة بدعوة الناس إلى الإسلام ، واستمر انتشار الإسلام حتى بلغ (قبرطاى) ثم (كوبا) ، وقد كانت المنازعات الداخلية التى تعرض لحكام المسلمين تؤثر على سير الفتوح بطبيعة الحال .

وفى خلافة (هشام بن عبد الملك) اضطلع (مسلمة) أخو الخليفة بتوطيد الحكم الإسلامى فى تلك الديار التى كانت تدعى وقتذاك بالدربند ، ووصلت فتوح المسلمين إلى بلاد الداغستان فى عام ١٠٥ هـ/ـ ٧٢٣ م ، وصالح مسلمة أهل خيزان وأمر بحصنها فهدم ، واتخذه لنفسه ضياعا وهى اليوم تعرف بخور خيزان ، وسالمه ملوك الجبال ، وصمد لمدينة الباب ففتحها وكان فى ألف أهل بيت من الخزر فحاصرهم وأسكن مسلمة مدينة الباب والأبواب أربعة وعشرين ألفا من أهل الشام على العطاء .. وقد ولى الثغر بعد ذلك (مروان بن محمد) فواصل الجهاد فى بلاد الخزر ، فأظهر عظيم الخزر الإسلام ووادع مروان على أن أقره فى مملكته ، وتابع مروان غزواته ، وأقيمت الثغور على بحر الخزر « قزوين » لتكون قواعد لحماية ديار الإسلام من جهة ، ومنطلقا لنشر دعوته فى تلك الأرجاء من جهة أخرى[8]

وهكذا أصبح الحكم الإسلامى مستقرا بقفقاسيا فى أواخر عهد الدولة الأموية ، وانتشرت اللغة العربية خلف الإسلام ، حيث أخذت العناصر العربية المهاجرة فى دعمها ، وهكذا كان انتشار الإسلام

(٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٠٩ - ٢١٣ ، ٢١٧ - ٢٢٥ .

جمهوريـــة أذربيجـــان

في منطقة اذربيجان اسرع من انتشاره في غيرها .

وفي عهد العباسيين استمر ازدهار الدعوة الإسلامية ، وسار العباسيون على نهج الأمويين ، وقد تولى منطقة الحدود الشمالية (يزيد بن أسيد) السلمي ، وذلك في خلافة (أبي جعفر المنصور) ، واتخذ من أذربيجان قاعدة لمد الإسلام إلى الشمال [٩] ، واستمر نشاط أذربيجان كقاعدة لبث الإسلام في المنطقة ، وتولى أمر المنطقة القائد العباسي (بغا الكبير) ، ونهج الأسلوب السابق في نشر الدعوة الإسلامية ، وظهرت أسر وطنية برزت في حكم أذربيجان في مستهل القرن الخامس الهجري [١٠] وزادت هجراتهم إليها وفي سنة ٥٣١ هـ - ١١٣٦ م كانت أذربيجان من نصيب الأتابك ايلدكوز ، ثم غزاها جلال الدين خوارزم شاه في سنة ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م ، ثم حكمها المغول في سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م اصبحت جزءا من امبراطوريتهم ثم أصبحت من أهم معاقل الصوفيين في سنة ٩١٧ هـ / ١٥٠٢م ، وبعدهم حكمها العثمانيون حكماً اسمياً [١١] .

أذربيجان والاحتلال الروسي :

وظلت أذربيجان تحت الحكم الإسلامي منذ ذلك العهد إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي عندما بدأت روسيا تحتل أجزاء من القوقاس ومن اذربيجان ، وقد خضعت أذربيجان لحكم روسيا القيصرية منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، عندما تحولت أذربيجان إلى مجموعة من الخانيات الصغيرة المتنافسة ، فسهل عندئذ ابتلاعها رغم مقاومة الأهالي بل وحكامها المحليين مقاومة باسلة ، ففي عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١م) فرضت روسيا القيصرية حمايتها على القوقاز الجنوبية ، وجورجيا (بلاد كرج أو الشراكسة) وهاجموا خانية كنجة في أذربيجان ورغم دفاع ملكها (جواد خان) دفاعاً بطولياً واستشهاده في المعركة مع الفين من جنوده البواسل ، إلا أن نتيجة المعركة كانت لصالح القوات الامبراطورية الروسية الضخمة . وقد غيروا اسم (كنجة) إلى (اليزاوتيل) على اسم زوجة القيصر الكسندر الأول .

وتوالى سقوط خانيات أذربيجان واحدة إثر الأخرى فسقطت :

خانتا باكو وكوبا سنة ١٢٢١ هـ - ١٨٠٦ م .

وخانية شكي سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٥ م .

وخانية شماص سنة ١٢٣٦ هـ - ١٨٢٠ م .

وخانية قارابغ سنة ١٢٣٨ هـ - ١٨٢٢ م .

وقام الأهالي بمقاومات عدة واغتالوا القائد الروسي الجنرال سيسانوف ، ولكن ذلك أدى إلى مزيد من البطش بهم ، ومصادرة أملاكهم وأراضيهم حتى أن المؤرخ الروسي فادايف الأستاذ بمعهد التاريخ والفلسفة في أكاديمية العلوم السوفيتية اعترف بما فعله أجداده من جرائم فقال :

« من الجلي أن الذين حلوا في الحكم محل

---

(٩) انتشار الإسلام حول بحر قزوين ص ٢٤٤ . حامد غنيم أبو سعيد .

(١٠) الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا لسيد بكر ٣٣٤ / ٣٣٥ .

(١١) دائرة المعارف الإسلامية (كتاب الشعب) جـ ١ ص ٣٠ .

الخانات من قوادنا المركزيين المختارين من بين الضباط الروس والذين أخذوا يطبقون فى أذربيجان ، وغيرها من المناطق الإسلامية التى احتلوها فى تلك الفترة مطبقين نواة السياسة القيصرية الرجعية الجائرة .. كانوا يعاملون الأهالى أسوأ معاملة ، فكان الموظفون من رجال حكومة القيصر يرسون فى القوقاز الجنوبية قواعد نظم الاستعمار بتنفيذهم أساليب عسكرية إقطاعية ، وأما الادعاء القائل بأن الثقافة الروسية قد أثرت على تطور الثقافة الآذَريَّة منذ انضمام (احتلال) أذربيجان إلى روسياً فهراء لا يمثل الحقيقة » .

(الثـــورات)

قامت ثورات متعددة ضد الحكم القيصرى الاستبدادى فى جميع المناطق الإسلامية ومنها أذربيجان وعمت الثورة روسيا والمناطق المحتلة عام ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٥ م .

وفى تلك الفترة تكونت عدة تنظيمات إسلامية اهمها (جماعة المسلمين لعموم روسيا) التى تراسها السياسى الأذرى (على مروان طوبجى باشا) ، وكان هدف هذه الجماعة ضمان الحقوق السياسية والوطنية والدينية لمسلمى روسيا .

وفى ٣ يونية ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ م أصدر القيصر نيقولا الثانى قراراً بحل البرلمان الروسي وتعديل قوانين الانتخابات ، وكان نتيجة ذلك أن نقص عدد ممثلى المسلمين فى روسيا (وهم خمس السكان تقريباً) من عشرة أشخاص إلى ستة أشخاص فقط .

وقد جاء منشور رئيس الوزراء الروسى آنذاك سوليبين ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م توضيحاً لسياسة روسيا القيصرية ، ومن بعدها البلشفية بل وجميع الدول النصرانية إزاء الإسلام والمسلمين وجاء فى هذا المنشور مايلى :

ـ « أن الصراع القائم بين العالمين المسيحى والإسلامى لم ينشأ لسبب دينى فقط ، بل علينا أن ندرك أنه صراع له طبيعة سياسية وثقافية دولية ، وهنا يكمن بالتأكيد السر فى النجاح الذى أحرزته الدعوة الإسلامية فى الآونة الأخيرة ، وأن لنجاح هذه الدعوة فى وطننا روسيا لخطورة كبرى .. إذ أن مسلمى روسيا ، وإن كانوا ينقسمون فيما بينهم إلى شعوب وقبائل مختلفة تتحدث بلهجات تختلف عن بعضها بعض الاختلاف إلا اننا يجب الا ننسى إطلاقاً انهم جميعاً من أصل تركى واحد يتحدث الجميع نفس لغته » .

وفى عام ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦ م بعد ثورة عام ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٥ م الإصلاحية التى منحت المناطق المحتلة فى روسيا حق تأليف الجمعيات السياسية أرسل وزير الداخلية آنذاك يحذر من إعطاء هذه التراخيص للمناطق الإسلامية ، ويأمر بإلقاء القبض على (دعاة هذه الحركات الإسلامية الخارجة على القانون) ، واعتبرهم جواسيس وعملاء لدولة أجنبية هى دولة الخلافة العثمانية . وهى نفس النغمة التى تتكرر اليوم [١٢] .

وانفجرت الثورة فى روسيا فى فبراير سنة ١٣٣٦ هـ ـ ١٩١٧ م ، وذلك قبل استيلاء البلاشفة عليها ، وتحويلها لصالحهم فى اكتوبر

---

(١٢) نبه رئيس التحرير فى افتتاحية عدد ربيع الآخر إلى ماقرره مساعد يلتسين أوجيني ابرازموق الذى أعلن ـ بصدد الجمهوريات الإسلامية ، أنه « لا يجب السماح لتلك الجمهوريات بالحصول على حريتها » .. نفس السياسة ، وسوف نراها أيضاً قائمة بالنسبة للجمهوريات الإسلامية فى أوروبا تحت أى مسمى .

وهكذا يعيد التاريخ نفسه .. ولا عذر لأحد ...

جمهوريــة أذربيجـــان

من نفس العام ، وانعقد مؤتمر مسلمى روسيا من واحد إلى أحد عشر مايو وقدموا مشروع الاستقلال الداخلى لمسلمى روسيا ضمن كيان روسيا الفيدرالية . وقد قدم المشروع (محمد رسول زادة) ، ووافق عليه المؤتمرون بأغلبية ساحقة .

وسقطت ثورة فبراير ١٣٣٦ هـ ـ ١٩١٧ م ، واستولت عليها قوات لينين وتحولت الثورة الديمقراطية إلى ثورة حمراء ..... ووعد لينين المسلمين بحكومات مستقلة ، وبالحرية الدينية التامة إن هم ساعدوا ثورته وقاوموا قوات الأمير دينكين .

ولم يكد يمضى شهر واحد على استيلائهم على مقاليد الأمور فى روسيا ، وعلى وجه التحديد فى ٧ ديسمبر سنة ١٩١٧ ، حتى اصدر مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء له مغزاه موجهاً إلى الشعوب فى روسيا من المسلمين ، وكان من بين من وقعوه لينين وستالين ، وقد جاء فيه :

« إن امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك ان تنهار والأرض التى تسبتند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل ناراً ، وفى وجه هذه الأحداث الجسام نتجه بأنظارنا إليكم أنتم يامسلمى روسيا والشرق انتم يا من تشقون الأرض وتكدحون ، وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق انتم له اهل » .

« ايها المسلمون فى روسيا » .

« انتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم واعتدى على عقائدكم وعاداتكم وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم » .

« ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم وحرية نظمكم القومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم لا يطغى عليها طاغ ولا يعتدى عليها معتد » .

« هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل إن ذلك من حقكم إن كنتم فاعلين » .

« واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق سائر أفراد الشعب الروسى تحميها الثورة بكل ما اوتيت من عزم وقوة ، وبكل ما يتوافر لها من وسائل ، جند أشداء ، ومجالس للعمال ، ومندوبين عن الفلاحين ، وإذن فشدوا بأزر هذه الثورة ، وخذوا بساعد حكومتها الشرعية » .

ايها المسلمون فى الشرق ..

« أيها الفرس والأتراك والعرب والهندوس / انتم جميعاً يا من وطىء الأوروبيون القراصنة ارضكم ، وتاجروا بأرواحهم وأملاككم وحرياتكم قرناً بعد قرن » ..

« حذار ان تضيعوا وقتكم دون أن تلقوا عن كاهلكم نيرّ المستبدين والظالمين الذين استبدوا بكم وبأوطانكم .. » .

« إياكم أن تدعوهم يسلبونكم ماأوتيتم من خير بعد اليوم » ..

« وعليكم من اليوم أن تشيدوا صرح كيانكم بأنفسكم وبطريقتكم الخاصة وفق ما تحبون وتختارون » .

« فإن من حقكم أن تفعلوا وإنكم لفاعلون فها هو مستقبلكم فى ايديكم » .

« أيها الرفاق ..... أيها الإخوة .... » .

« لنتقدم سوياً فى عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطي » .

« إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة فى أرجاء العالم ..... » .

« أيها المسلمون فى روسيا ..... » .

« أيها المسلمون فى الشرق ...... » .

« إننا ونحن نسير فى الطريق الذى يؤدى بالعالم إلى بعث جديد نتطلع إليكم لنلتمس عندكم العطف والعون » .

ولا يجوز أن يمر هذا النداء دون تدبر وتدارس .

فإن حكام روسيا الجدد اعترفوا بما اقترفه الحكم الدينى السابق من دنايا وآثام فى جنب المسلمين ، وبشروا بانتهاء عهد الآلام والمصائب [١٣] .

وفعلاً قام المسلمون بمحاربة قوات الحلفاء وقوات روسيا البيضاء ، وأعلنوا استقلال بلادهم فى (القوقاز) ، وفى (بخارى) ، وفى (جورجيا) ، (بلاد الكرج) ، وفى (أذربيجان) .

وأعلنت القوقاز استقلالها فى مايو ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م وتبعتها (جورجيا) فى ٢٦ مايو ١٣٣٧ / ١٩١٨ ، وحاول لينين إثارة الفتنة بالإيعاز إلى العناصر المتعاونة معه ، وتدبير القوميسير الشيوعى ستيبان شادميان بمهمة عرقلة حركة الاستقلال ، وإثارة الفتنة فى (باكو) ، وما حولها ، حتى يتمكن لينين من إخضاع قوات روسيا البيضاء فى أماكن أخرى ، وكانت مذبحة مارس ١٩١٨م التى استشهد فيها ١٨,٠٠٠ مسلم فى (باكو) فقط تم بعدها السيطرة على هذه الفتنة الشيوعية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨ م بفضل معاونة القوات التركية « بقيادة نورى باشا » رغم أن تركيا كانت قد خسرت الحرب تقريباً وتوجهت القوات البريطانية من إيران لمحاربة الأتراك ، وتم انسحاب القوات التركية فى نوفمبر سنة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨م . ثم انسحب البريطانيون فى أغسطس ١٣٣٨هـ ـ ١٩١٩م ، نتيجة المقاومة المستمرة وبقيت هذه الجمهورية مستقلة لمدة عامين ، عندما اجتاحتها قوات لينين فى ٢٧ أبريل سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠م ، واعترف الحلفاء ومؤتمر فرساى اعترافاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض باستقلال أذربيجان واعترف بها لينين كذلك بل وطلب منها مساعدته فى القضاء على قوات روسيا البيضاء .... فلما تم له التخلص من أعدائه قام بالهجوم عليها بجحافل قواته الحمراء ، واحتلها فى أبريل سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م ، تماماً كما فعلت روسيا اليوم عندما دخلت أفغانستان بأكثر من عميل لها مدعية انه طلب معونتها ، وهكذا تشكلت جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية فى ٢٨ ابريل ١٣٣٨ هـ ـ ١٩٢٠ م ، ثم ضمت مع (جورجيا) و(أرمنيا) فى مارس ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٢ م ـ لتؤلف جمهورية القفقاس التى ألغيت بعد ذلك ، وضمت مباشرة إلى الاتحاد السوفيتي ، وكذلك فعل لينين منذ ستين عاماً . ودخل أذربيجان بجحافله ، واحتل القوقاز وقال : إن لجنة الثورة التى طلبت معونته .

وازدادت حدة المقاومة الشعبية الإسلامية ضد هذا الغزو الروسى تماماً كما يفعل المجاهدون الأفغان اليوم . ولكن القوات الروسية ذات الأسلحة الفتاكة استطاعت أن تقضى على هذه المقاومة رغم قيام اكثر من ٥٢ ثورة للشعب الأذربيجانى المسلم ، تحت سمع وبصر الدول العربية والغربية دون أن تحرك ساكناً ، وهى ترى الدب الروسى يبتلع الأراضى الإسلامية ويحتل عسكرياً دولاً مستقلة معترفاً بها من الدول الغربية ذاتها بل ومن حكومة لينين نفسه .

ولا يزال التعاون وثيقاً بين روسيا والدول

(١٣) الشيخ محمد الغزالى : الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ١٢٤ ـ ١٢٥ .

♦ جمهورية أذربيجان

الغربية في هذا الميدان ، لإضعاف بلاد المسلمين واقتسام ثرواتها ، ونحن للأسف لا نقرأ التاريخ ، وإذا قرأناه لم نفقهه ، وإذا فقهناه لم نتعظ .

فكما هوت عروش الكافرين والظالمين هوت الشيوعية الملحدة وظهر زيفها وخداعها ، وزلزل الله الأرض من تحت أقدام أصحابها ، ومن تعلق بأذيالهم وصبت عليهم اللعنات ، وديست أصنام مؤسسيها بالنعال ونفضت شعوب الاتحاد السوفيتي غبار الذل والاستعباد عن كاهلها .. إثر الانقلاب الفاشل الذى قاده نفر من أذناب الشيوعية على زعيمهم جورباتشوف أواخر الشهر الماضي - أغسطس ١٩٩١ .

وقامت جمهوريات البلطيق الثلاث - (ليتوانيا) ، (استونيا) ، و(لاتيفيا) ، بإعلان استقلالها واعترفت قيادة الاتحاد السوفيتي بهذا الاستقلال وسارعت دول العالم تقودها أمريكا ودول المجموعة الأوروبية بالاعتراف وباركته الأمم المتحدة وحذت الجمهوريات الإسلامية (أذربيجان ، اوزبكستان ، قرغيزيا) ، حذوها فأعلنت استقلالها وارتفع صوت الحق والإسلام بها .. ولكن ياللعجب ، لِمَ لم تسارع دول العالم ومن بينها الدول الإسلامية إلى الاعتراف باستقلال الجمهوريات الإسلامية أسوة بغيرها ؟..

ولم يعترف قادة الاتحاد السوفيتي كذلك ، ترى (لماذا ؟)

لعل الأيام القادمة تكشف عن هذا السر المخبوء ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

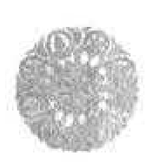

ناصح أمين

دروس للدعاة إلى الله

للشيخ
أحمد بن محمد طاحون

إن دين الله رحمة ، وفي بيان حقيقة الإسلام ، قال الله عز وجل لنبيه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1] وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - في وصف بعثته إلى الناس : « إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا »[2].

إن إنقاذ الناس من الكفر رحمة ، وإن إرشاد الضال رحمة ، وإن التثبيت على الصراط المستقيم بعد حيرة الشك رحمة ، وإن إخراج الإنسان من فتنة الشهوات وحيرة الشبهات رحمة ، وإن توبة العاصي رحمة ، وإن الهداية بعد العمى والضلال رحمة ، وإن العلم النافع بعد الجهل رحمة ، وإن من الرحمة الإخلاص والتآخي والتراحم والتكافل والتعاطف والعدالة والتعاون على جلب الخير ودفع الضر ، ومن الرحمة أن يعيش المرء مع قوم من أخص صفاتهم الصدق والأمانة ، والوفاء بالعهد ، والرفق بالضعيف ، ورعاية الحقوق ، وإعانة المحتاج ، ومن خصالهم : النجدة والشرف وكف الجوارح عن الأذى والشر ، والسعي في مصالح الناس ، والحفاظ على كرامات الناس ، وتوقير الكبير ، والحنو على الصغير ، وإعطاء كل ذي حق حقه .

ومن الرحمة أن تقدم النصيحة للمخطىء ، وأن يوعظ الغافل ، وأن ينبه الشارد ، وأن يُدَلَّ الناس دوماً على الخير ، وأن يؤمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر .

وإن الداعي إلى دين الله عز وجل يكون رحيماً بالعباد ، حكيماً ، واسع الصدر ، صدوقاً ، مخلصاً ، يبدأ بنفسه ، ويتمنى الخير للعدو والصديق لأن الداعي يسعى لخير الناس ◄

(١) الأنبياء : ١٠٧

(٢) أبو يعلى والبيهقي

﴿ دروس للدعاة إلى الله

جميعاً ، ويدعوهم إلى ما أحبه لنفسه ورضيه لروحه مما فيه صلاح الدنيا ، وسعادة الآخرة ، فهو يعيش لدعوته يرجو رحمة الله وفضله .. إنه

طريق النور ، طريق الأنبياء والمرسلين ، ومن معالمه الأساسية : ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ . وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ . إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ .

فقد أسمع هذا الداعي الأمين الصالح الناس معتقده الصحيح المؤسس على الدليل والبرهان قبل أن يفارق الدنيا ، وكأنه يريد أن يقول : الاهل بلغت ، اللهم فاشهد .

لقد شافه هذه الداعي الأمين قومه بذلك ، وصدع بالحق إظهاراً للثبات على الدين وعدم المبالاة بما يصدر عن المتعنتين ، وإن إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين في : ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الأصنام أرباباً ، أي : إني آمنت بربكم الذي خلقكم ﴿ فَاسْمَعُونِ ﴾ أي : فاسمعوا قولي ، فإني لا ابالي بما يكون منكم بعد ذلك ، وقيل : مراده دعوتهم إلى الخير الذي اختاره لنفسه ، وقيل المراد : واسمعوا جميع ما قلته واقبلوه .

ويحتمل أن يكون الخطاب للرسل بقوله : ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أي : الذي أرسلكم ﴿ فَاسْمَعُونِ ﴾ أي : فاشهدوا لي بذلك عنده ، قال بعضهم : بل خاطب بذلك الرسل ، وقال لهم : اسمعوا قولي ، لتشهدوا لي بما اقول لكم عند ربي ، إني آمنت بربكم واتبعتكم .

لقد كان هذا الداعي الأمين قوي الحجة ، ساطع البرهان ، صادق اللهجة ، ثابت الجنان ، عظيم الرغبة في الخير لنفسه وللناس ، اعتصم بحبل الله ، وأخلص العمل لله ، وثابر في الدعاء إلى الله حتى حظي بالشهادة ، ونال الكرامة ، وفاز بالرضوان ، وفرح بلقاء ربه ، فقد ضاقت صدور الملحدين ، وتحير امام الحجة البالغة الحاقدون المناوئون فوثبوا على الرجل الصالح وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن له أحد من القوم يمنع عنه ، ويرد هجمتهم الشرسة .

ونقل عن قتادة أن قتله كان رجما بالحجارة ، وظل القلب الطاهر يهتف (اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون) فلم يزالوا به حتى فاضت روحه إلى بارئها ، وهو يقول ذلك .

وقيل : حرقوه حرقاً ، وقال الكلبي : حفروا حفرة ، وجعلوه فيها . وردموا فوقه التراب فمات ردما ، وقيل : نشروه بالمنشار وقيل : قتلوه بوطء الأرجل .

وجاءته البشرى ، واستقبلته ملائكة الرحمة ، ووجد داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، لقد كان رحيماً بالناس فرحمه رب الناس : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ فلما شاهدها ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ أي بغفران ربي لي ، فما مع الفعل بمنزلة المصدر ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي ﴾ وقيل : ما : اسم موصول بمعنى الذي والعائد من الصلة محذوف أي : ياليت قومي يعلمون بالذي غفر لي به ـ أي بسببه ـ ربي ، أو بالذي غفره ، أي : بالغفران الذي غفره لي ربي ، والمراد تعظيم مغفرته تعالى له فتؤول إلى المصدرية .

لقد أذهب الله عن حبيب حزن الدنيا وسقمها

ونصبها ، وهو المؤمن الناصح ، فلما عاين من كرامة الله تمنى على الله ان يعلم قومه ما عاين من الكرامة والرحمة والرضوان : ﴿ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ وفى معنى تمنيه قولان : أحدهما أنه تمنى أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته ، الثانى : تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله . قال ابن عباس : نصح قومه فى حياته بقوله : ﴿ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ وبعد مماته فى قوله : ﴿ يَالَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ رواه ابن ابى حاتم « ابن كثير » . ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل ـ عليه ـ من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم ، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل ، فرحمه الله ورضى عنه ، فلقد كان حريصا على هداية قومه .

إن حبيبا وأمثاله من الدعاة المخلصين لعقيدتهم هم أشبه بالمنارات على الطريق ، وفى سيرهم عبرة وعظة ، والواعظ الناجح هو الذى يقتبس ، وعلى طريق هذه النماذج العالية يجتهد فى السير ، ومن كتاب ربنا نتعلم ، ومن سنة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نتزود ، وإن هذه الآية الكريمة فيها تنبيه عظيم ، ودلالة على وجوب كظم الغيظ ، والحلم على أهل الجهل ، والترؤف على من ادخل نفسه فى غمار الأشرار واهل البغى ، والتشمر فى تخليصه ، والتلطف فى افتدائه ، والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه ، الا نرى كيف نصح حبيب لقومه فى حياته وبعد موته ؟ الا نرى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل والهلاك وهم كفرة عبدة أوثان ؟

الا نذكر فى هذا المقام الحبيب المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد اشتد أذى قومه ، وهو الناصح الأمين الرحيم بهم فلم يدع عليهم فى أشد الأوقات حرجاً ، وكان يدعو لهم بالهداية « اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون ، لعل الله يخرج من اصلابهم من يعبد الله » ، وروى عنه عندما طلب منه بعض المسلمين الدعاء على الكفار فى غزوة احد انه قال : « إنما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا » .

إننا فى اشد الحاجة إلى هذه المناهج العالية ، وأن الدعاة إلى الله يجب عليهم أن يلزموا نفس الطريق طريق المرسلين والصديقين فى الرحمة بالناس ، والرفق بهم ، والتلطف فى إرشادهم ، وفى الوصول إلى القلوب والعقول بالقول الحسن ، والكلم الطيب ، والحكمة ، والدليل والبرهان ، ولين الجانب ، والإخلاص والصبر ، وتحمل الأذى والمشقة مع حسن التوكل على الله ، وتفويض الأمر إليه وحده ، وإن الله عز وجل ناصر أولياءه .

وقد أخبر الله عز وجل انه تعالى انتقم من قوم حبيب بعد قتلهم إياه غضباً منه عليهم ، لأنهم كذبوا رسله ، وقتلوا وليه ، قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنۢ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ اى : إنه سبحانه ما انزل عليهم وما احتاج فى إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم ، بل الأمر كان ايسر من ذلك : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ اى : فأهلك الله أهل هذه القرية بصيحة الملك ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية ، جزاء تعنتهم ، ومكابرتهم ، وقتلهم الناصح الأمين ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ معناه : وما كان يصح فى حكمتنا ان ننزل فى إهلاك قوم حبيب جنداً من السماء ، وذلك أن الله أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض ، وما ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة ، وأوجبته المصلحة ، الا ترى

البقية ص ٥٦٢٠

الجوع والمسلمون

داخل الوطن الشيوعي (*)

فرض الروس نكبة الجوع على مسلمي القِرَم Crimée فرضا ، وأحدثوا الجوع بينهم عمداً ، وهذه الكارثة - وإن كانت مماثلة لما حدث على ضفاف (نهر فولغا) وما يجاورها من بلاد ، ولكن الفارق عظيم فى المسببات : فإن ما ظهر فى البلاد الأوكرانية فى حوض (فولغا) كان قحطا سببه غياب الأمطار ، اما بالنسبة لمسلمي القرم فكان سياسة مرسومة .. قال الكاتب .

ظهر القحط فى نفس السنة فى حوض فولغا ، وتكلمت عنه الجرائد العالمية بإسهاب ، ومات الالوف المؤلفة من سكانها لأن أراضيها الزراعية الواسعة الأطراف ، وإن هى زرعت لم تنزل عليها أمطار بقدر كاف فذبلت المزروعات واحترقت من شدة الحرارة ، ثم بسط الجوع سلطانه على السكان ، وهذا مضافاً إليه اضطراب الأمن وسيادة الخراب وهما الشيئان اللذان أصابا الإنسان والحيوان إصابة بالغة من جراء الحروب الدائمة والتطاحنات السياسية والأزمات المحلية فى روسيا .

ولكن الأراضى القرمية ، بصفتها شبه جزيرة فى وسط البحر ، ليست واسعة الأرجاء كالأراضى الأوكرانية فى الشرق والشمال وإنما هى بفضل انهرها وبما حولها من البحرين الأسود وآزاق والبحيرات وبفضل ريها وطقس سهولها وتأثير جبالها وشواطئها حديقة ممتازة تحفظ فى العادة للأراضى رطوبتها ولو أن الأمطار نزلت قليلا مثل ما حدث فى تلك السنة .

فهذه العوامل المجتمعة كفلت للجزيرة فى تلك السنة بالذات ما يكفى لشعبها البائس من المؤن والذخائر التى نبتت فعلا فى حدائقها وسهولها وجبالها . غير أن الروسيين الذين فكروا فى جميع أنواع الأسلحة لاستعمالها فى تحطيم مقاومة الامة لجأوا هذه المرة لحيلة تجويع أهل البلاد ، وهى من أشد أنواع الأسلحة الفتاكة التى فاقت فى قوتها قنبلة هيروشيما الذرية والتى امتازت بها الشيوعية طيلة ظلمها على الشعوب البائسة فى الاتحاد السوفييتى ، فنقلوا من القرم كفايتها من الأرزاق إلى روسيا بالقوة دون أن يتركوا لغالبية

(*) هذا الفصل عن كتاب « كارثة القرم الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى » للأستاذ يوسف ولى شاه اور الكيراى - مطبعة الصاوى بعابدين بالقاهرة اغسطس ١٩٥٠ نشر مكتبة الخانجى .

السكان ما يتعيشون به ، ولو كان في استطاعتهم نقل أسماك البحر التي استعان بها القرميون كثيراً في فترة الجوع لما ترددوا في عمله لحظة إن سياسة التجويع في الاتحاد السوفييتي ، كما ترونها فيما بعد ، نكبة يرتعش لسماعها الشعب ويفقد أمامها توازنه تماماً .

أيها القارىء الكريم ! انصب من روحك رقيبا يطالع من بُعد ، زوجك التي وصل بها اليأس إلى درجة أن يدها تمتد بالجناية على وليدها الذي يتضور ألماً من شدة الجوع ويتلوى أمامها فتقتله ، وبعد التهامها إياه ، تركن عظامه في ركن لتبكيه وتدمع عيناها دماً لمصيرها المحتوم !؟

فماذا كنت تعمل انت بالذات إن أحسست بما كانت تحسه هذه الأم المسكينة ، أو كنت فعلا من ضحايا الجوع ؟!

هل من أم تقتل طفلها لتتغذى على لحمه ؟!

نعم حدث كل ذلك في القرم لهول المجاعة ، كانت أهوالا غير غريبة بالنسبة لمن فتك بهم الجوع في هذه البلاد التي لم يفهم الكثير في العالم آلامها حتى في أحرج أوقاتها وأشد محنتها . فمن ضحايا الجوع رجال انقذوا ولا يزالون إلى اليوم على قيد الحياة في مصر وغيرها ، وشاهدوا هذه الأهوال بعيون تسكب اليوم جفونها دموعاً ساخنة لذكرها ....

عصفت عواصف هذه المجاعة التي أثارها الروس في القرم عمداً مع سبق الإصرار في سنة ١٩٢١ [الداخلة] في ١٩٢٢ ، ونشرت (جريدة إزفستيا) في نسختها الصادرة يوم ١٥ يولية ١٩٢٢ تقرير (كالينين) الذي زار القرم في محنتها حيث قال :

« بلغ في يناير عدد الذين أصابتهم محنة الجوع ثلثمائة ألف واثنين ، مات منهم ١٤,٤١٣ شخصاً .

أما في شهر مارس فارتفع عددهم إلى ثلثمائة وتسعة وسبعين ألف شخص مات منهم ١٩,٩٠٢ شخصاً .

وبلغ في شهر إبريل ثلثمائة وسبعة وسبعين الف شخص مات منهم ١٢,٧٥٤ شخصاً .

« وفي شهر يونية بلغ ثلثمائة واثنين وتسعين الفا واثنين وسبعين شخصاً » .

وجاء في اقواله أيضاً أن أكل لحم الإنسان لم يكن من الحوادث التي يستغرب لها أو يبدو [امْرِاً] عجيباً في بابه .

كانت المجاعة في القرم في سنة ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ ، كما تكلمت عنها جريدة « برافدا » في نسختها الصادرة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٢٨ ، تشبه في شدتها مجاعة حوض فولغا .

واثبتت اللجان المشرفة على إسعاف منكوبي القرم في محنتهم إصابة ١٠ ٪ من البالغين المتوسطين . ومات سكان بعض المدن والقرى بنسبة ٥٠ ٪ .

وجاء في كتاب « بوتون قريم » الذي نشر في القرم عام ١٩٢٩ ما يفيد بأن القرم اضاعت في هذه الكارثة ٢١ ٪ من سكانها اي بمقدار ١٥٠,٠٠٠ شخص ، وذلك على لسان العالم الروسي (فولوغدين) هاجر منهم إلى الخارج خمسون الف شخص إنقاذاً لأرواحهم ، ومات الباقي من هول المجاعة وشدة الكارثة لهذا السبب خفضت نسبة سكان المدن إلى ٢٤,٦ ٪ ونسبة سكان القرى إلى ١٨ ٪ وذكر (فولوغدين) اعدادا جد مهمة بخصوص تناقص الأهالي في المدن وقال :

إن نسبة السكان التي فقدتها مدينة باغجه سراي ٥٥٪

إن نسبة السكان التي فقدتها مدينة قاراصو بازار ٤٨٪

الجوع والمسلمون داخل الوطن الشيوعى

إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة كوزلوه ٤٣٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة أسكى قريم ٤١٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة كفه ٣٦٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة بالتا ٢٩٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة كرتش ٢٨٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة آقمسجد ١٣٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة آقيار ١١٪

يرى المرء فى هذه المعلومات الإحصائية الواردة فى المصادر الشيوعية الرسمية أن عدد السكان فى آقيار خفض بنسبة (١١ ٪) بينما فى باغجه سراى وهى مدينة إسلامية محضة خفض بنسبة (٥٥٪) ولو نمعن النظر فى كون هاتين المدينتين موصولتين بسكة الحديد ، وأن المسافة التى تفصل بينهما لا تزيد فى الواقع على ساعتين ، ولو نلاحظ أيضاً زيادة نسبة الموتى الذين فتك بهم الجوع فى المدن التى تألفت أغلبيتها من المسلمين نجد أن هذه الأعداد تكشف لنا عن أسرار سوف تشكو الإنسانية إلى خالقها [من] هذه الفظائع وتلك الجنايات التى ارتكبتها موسكو لتفرض من ورائها الجوع المصطنع فى سبيل القضاء على القرم ...

عندما رأى الأتراك إتجار الروس الفاحش معهم ، إذ أن الروس كانوا يقدمون إليهم طعاماً قليلا جداً مقابل الأثمان الباهظة الخارجة عن حد المعقول ، ذهبوا إلى أوكرانيا وابتاعوا لهم المؤن اللازمة لسد رمق الجوع ، وعادوا بها فى طريقهم إلى القرم ، ولكن الإدارة الشيوعية صادرت هذه الأرزاق قبل وصول القافلة إلى البلاد .

أيها القراء !

اعلموا أن الإنسان ليعجز عن تصوير سلوك البلاشفة وسوء معاملتهم لأهل البلاد ، ويلح على ضميرى أن أذكر للقراء الحادثة الأليمة التالية للمرة الأخرى وهى مثل من الأمثلة الكثيرة التى لا حصر لها .

كان (حوض تساريتسين) أى (ستالينغراد) اليوم تقدم إلى الصليب الأحمر الإيطالى طالباً إسعاف المصابين فيه بالجوع . وبهذه المناسبة كرر الإيطاليون طلبهم ، وألحوا على البلاشفة فى السماح لهم بمد يد المساعدة الإنسانية على القرم أيضاً . ولكن طلبهم هذا رفض كل مرة رفضاً باتاً كما سبق أن صرح البابا بذلك لحضرة صاحب المعالى جعفر بك سيد أحمد حين قابله فى فاتيكان .

استقر البلاشفة فى القرم ، ولم يأمنوا جانب الأتراك المسلمين ، فأتوا إلى رياسة الجمهورية بشيوعى مجرى يدعى (بلا كون) ولكن ما لبثوا أن احتاطوا ، فأحلوا محله عام ١٩٢٢ (ولى إبراهيم القرمى) الذى راح يحاول إقناع الروس بوجوب التخلى عن سياسة العنف وعدم مساس كرامة القرم باسكان اليهود وغيرهم فيه ، وظل يجادل رئيساً لغاية ١٩٢٧ تلك السنة التى ثار على الحزب الشيوعى لسياسته الجارحة لكرامة الجمهورية القرمية ، واستعمل فى خطاباته السرية التى جرت بينه وبين الكرملين لهجة شديدة وحججا كاتمة للأنفاس ، فقبض عليه مع رجال حكومته وأمنائه ، وطار بهم « تشيكا » فى طائرة مسلحة خاصة إلى موسكو حيث أعدموا .

وبذلك عاد الإرهاب من جديد ، ونفذ ستالين ما أراده من إسكان خمسة وثلاثين ألف يهودى فى (أراضى أوقاف القرم) بمنطقة جانكوى ليشتغلوا فيها بالزراعة ! وقال ولى إبراهيم بسخرية لجلاديه قبيل إعدامه :

« نعم إنى عارف أن الدب حين ينوى افتراس ولده يُمَرِّغُهُ فى الطين كى يتجاهل أنه ابنه » .

ألبانيا الإسلامية

وأخوة الإسلام

للشيخ
توفيق إسلام يحيى

بعد ظلمة دامسة ، وحياة قاسية وعزلة موحشة استغرقت قريباً من خمسين عاماً ، تمكن الشعب الالبانى المسلم من القضاء على الشيوعية ، واستئصال جذورها ، ليتنسم أريج الحرية ، ويعيش حياة الإنسان التى احرقتها الشيوعية تماماً لعقود كثيرة ، كان الشعب الالبانى خلالها الات بلا إرادة امام طواغيت تعد على الأصابع خلفها زبانية لها شهوات بلا مشاعر ، وأهداف بلا وسائل وحمية بلا شرف .

وما تهادى النسيم المنشود حتى عز على أعداء الإسلام أن يتركوه ينعم بحياته على ما فيها من شدة وشظف ، وعلى ماينتظرها من متاعب ترتيب الدولة لبناء جديد شريف - حتى فوجىء هذا الشعب بما لم يكن فى حسبانه ..

لقد فرغت أوروبا الصليبية من الشيوعية ، ونفضت أيديها من خرابها فاتجهت بكليتها إلى الإسلام ، وأسرعت بحشد جيش من مندوبى الجمعيات التبشيرية العالمية يجتازون حدود البانيا من جهات متعددة كالبرق الخاطف ، وانتشروا فى طول البلاد وعرضها ، وأسسوا فى كل قرية رئيسية ، وفى كل مدينة مراكز للتبشير وملأوها بهدايا كثيرة مختلفة الأنواع من كساء وغذاء ودواء ولعب ترفيهية للأطفال ، وقبل أن تنفد هذه المواد من المراكز تأتى الحافلات متتابعة محمولة بالبدائل ، بدأوا يوزعون الهدايا على سكان البلاد الأكثر احتياجاً على انها هدايا إنسانية سريعة لإنقاذهم من الهلاك الذى يهدد كثيراً من المناطق بسبب الجوع والبرد والمرض ، ثم توسعوا فأقاموا الموائد وبعدها يقومون بتقديم الهدايا ، وتعليق السلاسل - وبكل سلسلة صليب - على أعناق أطفال المسلمين ملوحين بأنه قد أن الأوان للعودة إلى النصرانية بعد أن أجبر

ألبانيا الإسلامية وأخوة الإسلام

أباؤهم وأجدادهم على اعتناق الإسلام بالسيف من قبل المسلمين الإرهابيين ـ كذا .

ثم توسعوا فى الإفصاح وأعلنوا عن مكنون ما فى نفوسهم صراحة بأنه على الألبانيين أن يتنصروا جبراً ، كما أجبر أباؤهم على اعتناق الإسلام بالسيف ، ولا شك أن مندوبى الهيئات التبشيرية حينما يقولون هذا الكلام لا يقولونه من عند أنفسهم ، وإنما يرددون أوامر هيئة الرياسة العليا للتبشير والتنصير ، ويلوحون بتعليقهم السلاسل مع الصلبان على أعناق أطفال المسلمين إلى أن الحروب الصليبية التى بدأت سنة ١٠٩٦ ميلادية لا تزال دائرة إلى نهاية القرن العشرين .

فهل يتدبر ذلك المسلمون ؟

هيئة الرياسة العليا للتبشير تصر على الإسراع فى التنصير

الرياسة العليا العالمية للتبشير تحسب لكل شىء حساباً ، تطالب المبشرين بالإسراع فى تنفيذ عملية التنصير حيث إن الوقت مناسب جداً لأن المشاكل الكثيرة التى تشغل العالمين الإسلامى والعربى وخلافاتهم مع بعضهم تستغرق جميع أوقـاتهم ، ولا تترك لهم فـرصة يتمكنـون ـ خلالها ـ من جمع الكلمة وتوحيد الصف ، بل ولا الانتباه إلى ما يجرى لفريق من إخوانهم فى

لينين : سقوط الزعيم فى ليتوانيا

انور خوجة : سقوط التابع فى تيرانا

ألبانيا ، كما لا ينتبهون إلى مايجرى لفريق آخر من إخوانهم فى يوغوسلافيا ، وهم مسلمو « كوسوفو » ومسلمو « البوسنة والهرسك » .

رياسة الجمعيات التبشيرية لم تترك المبشرين يفعلون مايشاءون بل أعطتهم منهجاً محدداً ، ووضعتهم تحت رقابة مشددة لإجبارهم على تنفيذ أهداف الرياسة بأقصى سرعة ، ترسل إليهم بين

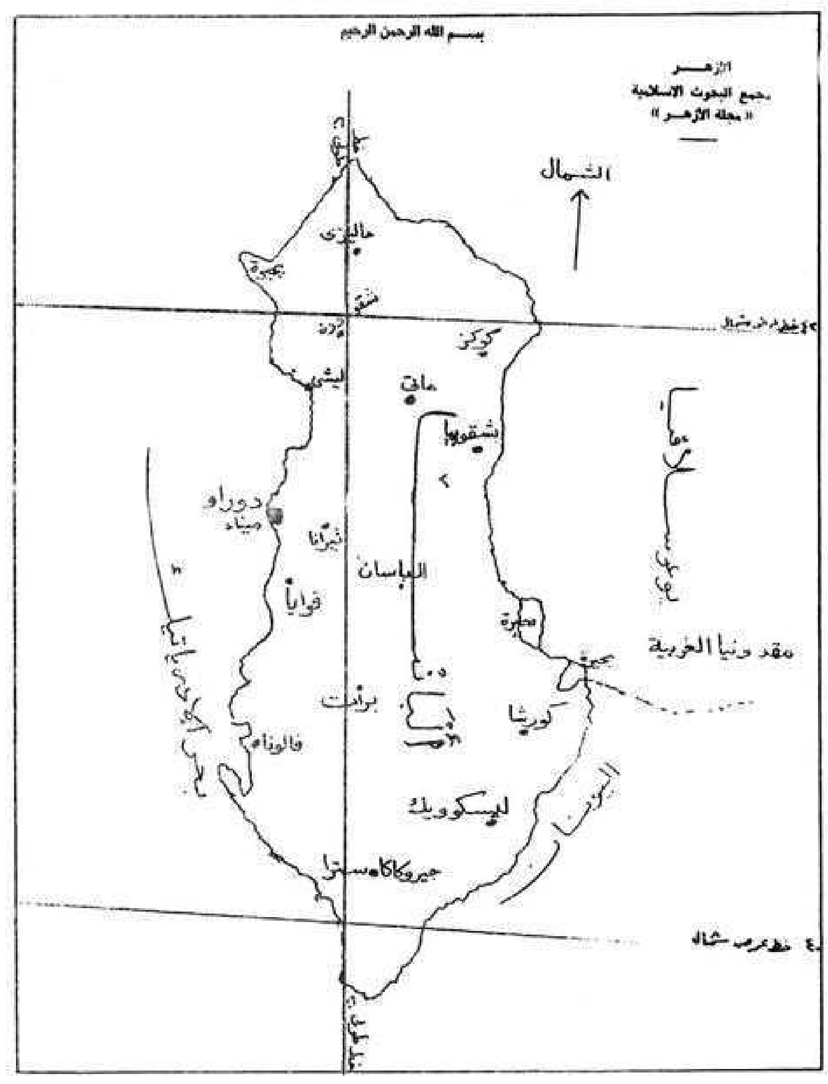

وقت وآخر مشرفين ليروا بأعينهم مدى نجاحهم فى مهمتهم ، بل إن الرياسة لم تكتف بإرسال مبشرين ، وإنما ارسلت أيضاً مبشرات ليسهل الاتصال بالمسلمات الألبانيات ، وعلى رأسهن الراهبة العالمية الشهيرة « الأم ـ أمهم ـ تريزا » ، تدخل المنازل وتختلط بالنساء ، وتعلق على أعناق الرضع السلاسل الصليبية .

ألبانيا الإسلامية

فى حاجة إلى دعم قوى ومستمر

إن المسلمين الألبان فى موقف بالغ الحرج . إنهم فى حاجة ماسة وسريعة إلى دعم لإصلاح ما خربته الشيوعية .

ألبانيا الاسلامية وأخوة الاسلام

ثم إنهم فى حاجة إلى دعم قوى ومستمر للدفاع عن دينهم ضد أولئك المبشرين الذين جاءوا إلى بلدهم محاولين شراء دينهم بما يقدمون من مساعدات باسم الإنسانية .

أيها الإخوة الألبان ..

ثقوا كل الثقة .. إن تمسككم بالصبر على النوازل ، واستعانتكم بالله « عز وجل » على التخلص منها خير وسيلة لاجتياز هذه الأهوال ، والخروج منها إلى بر السلام : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ وإن الله لمع الصابرين ولا تقنطوا من رحمة الله ، فهو ـ عز وجل ـ « إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » وفى الأمة الإسلامية رجال نوادر يعرفون موضع الحاجة فيهوون إليها بما تريد وما الله بغافل عما يعملون .. مَنْ كَنَزَ .. ومَنْ أَنفق ... وخير النفقة عون فى سبيل الله ... للإسلام وأهله ..

اللقاء مع سماحة مفتى

ألبانيا الأكبر

كنت شديد الحرص على اللقاء بسماحة الشيخ صالح كوتشى مفتى ألبانيا ورئيس الهيئة الشرعية بها لأسمع منه حقيقة الحال فى ألبانيا وفظائع الشيوعية وأهوالها التى وقعت فيها ، وتم اللقاء ـ والحمد لله ـ واستعرض سماحة المفتى الأكبر الأهوال التى مر بها الشعب الألبانى المسلم نحو خمسين عاماً حتى أنقذه الله ـ عز وجل ـ من المآسى التى لا تخطر على البال .

وسماحة المفتى الأكبر قضى أكثر من عشرين سنة فى (زنزانة) لا يعلم إلا الله « سبحانه » حالها ، وماحصل فيها ، وذكر أن الشيوعية أفسدت فى هذا المدى الطويل كل شئ حتى وصل إلى أجمل ما فى الإنسان ، وهو الضمير ، واستطرد فضيلة المفتى الأكبر يقول : إن بعض المسئولين الآن ـ وإن كانوا من قبل من أقطاب الشيوعيين ـ إلا أنهم بعد أن هداهم الله أقسموا على أن يبذلوا كل ما فى جهدهم ووسعهم من فكر وطاقة لاستئصال جذور الشيوعية [1] ، وإعادة الإسلام والشرعية ، ونشر الحب بين أفراد الشعب والأمن والطمأنينة ، وتحقيق المعيشة اللائقة بالألبانيين ، وذلك بتحسين حالتهم العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ليرفع الألبانيون هاماتهم عالية أمام المجتمع الأوروبى .

ويبدو من حديث سماحة المفتى الأكبر أن الحالة الآن ـ وإن كانت مطمئنة ـ لكن الخوف لا يزال يعاود الناس من نكسة موجعة لا قدر الله ؛ لأن بعض المسئولين ، وإن كانوا فعلاً صادقين فى أقوالهم وأفعالهم [1] إلا أن طائفة أخرى ممن كانوا من أقطاب الشيوعية لا يزالون محتفظين بمناصبهم الكبيرة ويتظاهرون بأنهم يحمدون الله كثيراً على تخلصهم من الشيوعية وأهوالها . لكن بعض أعمالهم يلوح منها أنهم يتحينون الفرص للاستيلاء على السلطة من جديد ، وبسط الاستبداد والهيمنة كرة أخرى .

(١) يبدو أن سماحة المفتى حسن الظن أكثر كثيراً مما ينبغى أن يكون .

ويستمر فضيلة المفتى قائلاً : إنه وهو مفتى ألبانيا ورئيس المشيخة الإسلامية لا يزال حتى الآن يدير الشئون الدينية من الفندق الذى ينام فيه ، وطالب المسئولين مراراً وتكراراً بتحديد مركز رسمى للمشيخة الإسلامية يكون جديراً باستقبال كبار الضيوف الذين يزورون ألبانيا ، ويطلبون الاتصال بكبار المسئولين عن الشئون الدينية الإسلامية . ويقول فضيلة المفتى : إننى فى منتهى الخجل لعدم استطاعتى استقبال كبار ضيوف المسلمين . وكلما طالبت المسئولين بتحديد هذا المركز أسمع منهم كلمة (نعم) و(عن قريب) ولا شىء بعد ذلك ولا أزال أدير الشئون من الفندق الذى أنام فيه . وكلام سماحة المفتى الأكبر يحمل فى ثناياه إلى العالمين : الإسلامى والعربى وإلى كل من يعمل لإرساء قواعد الديمقراطية فى العالم إشارة إلى الإسراع بإرسال المعونات إلى ألبانيا قبل أن تقع الكارثة الجديدة ..

بيان إجمالى

بما خربته الشيوعية

علمت من خلال حوارى مع سماحة المفتى الأكبر الشيخ « صالح كوتشى » أن الشيوعية فى ألبانيا دمرت كل شىء له علاقة أو اتصال بشعائر الدين الإسلامى ، وإصلاحها يحتاج إلى زمن وإلى مجهودات شاقة ومساعدات عينية ومادية كثيرة نذكر هنا بالإجمال شيئاً من الخراب الذى أصاب المصالح الإسلامية .

أولاً : المساجد : ٩٠٪ منها أصابها التخريب الكامل تقريباً ، ولم يبق منها إلا بعض الجدران بسبب تغيير معالمها ، ثم استعمالها (ملاهى) أو دوراً (للسينما) أو نوادى أو حظائر للبهائم ، وبمضى الزمن (٥٠ عاماً) تداعت وتساقطت . وبعض المساجد فى حاجة إلى تجديد مآذنها وأبوابها ونوافذها ومنابرها وطلائها .

ثانياً : المعاهد : وللعلم يطلق الشعب الألبانى على المعهد الدينى اسم « المدرسة » ، ويطلق على المدارس التابعة لوزارة التعليم اسم « شكولا » ، هذا وبالنسبة للمعهد العالى الإسلامى بالعاصمة والمعاهد التى تتبع بعض المساجد تهدم هذا وذاك .

ثالثاً : الجهل بالتكاليف الدينية : كل من ولد بعد سنة ١٩٣٥ ميلادية ، وهم يشكلون الآن ٨٠٪ من سكان ألبانيا لم يتعلموا قراءة وكتابة كلمة واحدة عربية ، وبالتالى لم يتعلموا شيئاً من العبادات لإلغاء التعليم الدينى بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم عقب الحرب العالمية الثانية ، وإذا كان هناك الآن من يحفظ سوراً قصيرة أو آيات صغيرة فعن طريق التلقين من أبيه أو أخيه سراً فى البيوت . ولإزالة هذا الجهل لابد من بناء المعاهد وإعادة تشغيلها .

المعونات التى يرجى أن يقدمها الموسرون والجامعات والمؤسسات الدينية والخيرية

أولاً : المشيخة الإسلامية فى ألبانيا تلتمس من جميع المؤسسات العلمية « جامعات ومعاهد » فى العالمين الإسلامى والعربى أن تفتح أبواب جامعاتها ومعاهدها لاستقبال أبناء ألبانيا

● ألبانيا الإسلامية وأخوة الإسلام

للالتحاق بها ، ولا تكتفى بإعطـائهم منحا دراسية ، بل تقوم بالإشراف التام عليهم ، وتساعدهم بمدرسين خصوصيين فى غير أوقات الدراسة [1] حتى يتمكنوا من استيعاب أكبر قدر ممكن من المعلومات فى أقصر وقت ليعودوا إلى بلادهم ، ويتولوا تدريس ماتعلموه لأبناء ألبانيا فى المعاهد الجديدة ، وتخصص الجامعات للمتفوقين منهم فى معاهدها منحاً ليلتحقوا بالجامعات والدراسات العليا .

ثانياً : تلتمس المشيخة الإسلامية أن تتكرم المؤسسات العلمية بإرسال وعاظ وأئمة ليتولوا إرشاد المسلمين وهدايتهم إلى الطريق المستقيم ، يعلمونهم كيفية أداء الصلوات وشروطها وكيفية الصيام .. الخ وإمدادهم بمعلومات إسلامية عن الدين ، ومكارم الأخلاق لتنوير عقولهم وتطهيرها من الخـرافات التى حشـا بها المبشرون والشيوعيون عقولهم من قبل ، وإذا كانت الرياسة العالمية للتبشير أرسلت راهبات إلى ألبانيا لمحاولة تنصير المسلمات الألبانيات ، فيستحسن ـ نظراً لظروف ألبانيا ـ أن يرد الأزهر الشريف عليها بإرسال عدد من الداعيات ـ خريجات قسم أصول الدين ـ ليقمن بإعطاء دروس شفوية للمسلمات الألبانيات لإفساد محاولة الراهبات اللاتى وصلن برياسة الراهبة العالمية الشهيرة من التأثير فى عقول المسلمات ، وليعلم الكل : أن بالأزهر علماء وعالمات .

ثالثاً : تتكرم المؤسسات الدينية بإهداء الكتب المقرر تدريسها بالمعاهد التى ستنشأ إن شاء الله « تعالى » عن قريب .

رابعاً : تتولى المؤسسات الدينية إقامة مكتبة علمية عامة فى العاصمة « تيرانا » وجمع أمهات الكتب والتراث العلمى الموجودة عند أحفاد علماء المسلمين الألبانيين ، وهم على استعداد لإهدائها إلى المكتبة العامة تخليداً لذكرى أجدادهم « رحمهم الله تعالى » ، وتتولى المؤسسات العلمية إمداد المكتبة بحاجتها .

خامساً : تخصص المؤسسات الدينية جوائز للطلاب الألبانيين الذين يدرسون داخل ألبانيا ويحفظون القرآن الكـريم ، ويتفوقـون فى دراساتهم كمنح مالية ، أو أداء عمرة ، أو الحج لما لذلك من أثر عظيم فى تشجيع الطلاب على حفظ القرآن الكريم ، واستيعاب المعلومات .

سادساً : ذكرنا فيما سبق أن المبشرين

---

(١) فعل ذلك الأزهر الشريف قبل الحرب العالمية الثانية حينما أرسلت المشيخة الإسلامية فى ألبانيا بعثة إلى الأزهر الشريف فوجدت إدارة البعوث الإسلامية فى ذلك الوقت أن أعضاء البعثة فى حاجة إلى تعلم اللغة العربية حتى يتمكنوا من فهم شروح المدرسين . لذلك خصصت مدرساً يلازم الطلاب ويدرس لهم ويتخاطب معهم ، بهذه الطريقة تمكن الطلاب فعلاً من اللغة العربية ونجحوا فى دراساتهم بكلية أصول الدين . منهم المرحوم (حسن سلام) حصل على الشهادة العالمية ، والتحق بتخصص المادة لكن الأجل لم يمهله فلقى الله تعالى سنة ١٩٤٢ .. ومنهم المرحوم (حسنى خوجا) حصل على الشهادة العالمية ، وعلى الإجازة فى الوعظ والإرشاد ، وقام بواجبه فى أمريكا إلى أن لقى الله قبل عامين .

ـ وكذا الراهبات ـ يتقربون إلى أطفال المسلمين ، يداعبونهم بكلمة ثم يعلقون على أعناقهم سلاسل ، بكل سلسلة صليب . لذلك يرجى من أثرياء المسلمين والمؤسسات الخيرية والصناعية التكرم بعمل شرعى مقابل ذلك يهدى للأطفال لينصرفوا عن هؤلاء الراهبات ..

كلمة أخيرة :

هذه هى حالة ألبانيا الحقيقية الآن والأنظار متجهة إلى العالمين الإسلامى والعربى مترقبة وصول معوناتهما لتضميد جراح المسلمين الألبانيين الدينية والغذائية والصحية لصرفهم عن الحاجة إلى معونة المبشرين .

وبهذه الطريقة تتوثق الروابط بين الشعوب الإسلامية والشعب الألبانى ليطمئن إلى أن له إخوة مخلصين يشاركونه بجهدهم ومالهم عن طيب خاطر عاملين بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « .... والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه » [1] . وجزى الله المحسنين خير الجزاء ..

سلعة الله غالية

بقية

أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

بخلاف القوانين فإنها لا تراعى إلا حيث يخاف الإنسان من الوقوع فى قبضة السلطات التى تنفذ القوانين ، فإذا وجدت فرصة سانحة يأمن فيها على نفسه هتك حرمة القوانين وخرج عليها دون مبالاة،ولهذا سجل الله المغفرة والرحمة للخائفين منه ، وجعل لهم الأجر الكبير قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ الملك ١٢ .

قال الإمام الغزالى فى كتابه الإحياء : « إنه ـ أى الخوف ـ يقمع الشهوات ، ويكدر اللذات فتصير عن المعاصى ، ويجعلها مكروهة كما يصير العسل مكروها ، إذا علم أن فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ، ويذل القلب ويستكين ، ويفارقه الكبر والحقد والحسد ، وتصير شغله المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ النور ٥٢ .

قال المظهرى من خاف الله فليهرب من المعاصى إلى طاعته تعالى ، لأنه ينشد سلعة ، رفيعة القيمة ـ وهى الجنة ـ وهى عزيزة لا يليق بثمنها إلا بذل النفس والمال .. ومن خطب الحسناء لم يغله المهر .

هذه وصية جامعة من الرسول الكريم لأمته فى كيفية السير والسلوك إلى الله ، تغنى عن كل شىء ولا يغنى عنها شىء .

فاللهم وفقنا لما يرضيك عنا ، ووفقنا لصالح القول والعمل ، إنك على كل شىء قدير ، واجعلنا من ورثة جنة النعيم ، الذين ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

(١) جزء من حديث طويل ذكره الإمام النووى فى كتابه « الأربعين النووية » منقولاً عن مسلم .

"أشدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا"

ملامح النظام السياسي للدولة اليهودية

بقلم لواء. أ. ح
دكتور/ فوزي محمد طايل

في ليلة السبت الخامس من « إيار » عام ٥٧٠٨ (بالتقويم العبرى) ، الموافق الرابع عشر من مايو عام ١٩٤٨ م وقع ثمانية وثلاثون شخصية صهيونية بارزة وثيقة (إعلان قيام دولة جديدة على ارض « فلسطين ») اطلق عليها اسم (إسرائيل) . كان ذلك في مدينة (تل ابيب) التي صارت عاصمة للدولة الجديدة .

ولا تعد إقامة « الدولة العبرية » الغاية النهائية « للصهيونية » ، بل هي الخطوة الأولى الضرورية - من وجهة نظرهم - لإقامة « ملك إسرائيل » أو ما يسمونه « بإسرائيل الكبرى » على ما يطلقون عليه « أرض الميعاد » التي تمتد « من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[1] وليست هذه سوى الخطوة الوسيطة « للغاية الصهيونية » .. وهي السيطرة على العالم بأسره ، وهي غاية لا يكادون يخفونها .

لقد مضى زمن طويل والمسلمون يعزفون عن دراسة هذا الكيان دراسة علمية متأنية ، يسبرون من خلالها أغوار هؤلاء القوم الذين تداعوا إلى هذه المنطقة ليقيموا فيها نظاماً سياسياً يحمل في طياته - بكل المقاييس - منهاجاً يخالف منهاجنا ، وقيماً تخالف قيمنا ، ومصالح تتعارض ومصالحنا ، وأهدافاً تعرض امننا للخطر . ولئن كان قد فاتنا ما فات فلنبدأ دون حرج أو تقصير في التعرف على كنه ما يحمله لنا هذا الكيان من خطر داهم . ولعل إحدى الزوايا الهامة التي يمكن النظر إليه منها هي التعرف على ملامح نظامه السياسي .

مقومات النظام السياسي لإسرائيل وقيمه العليا وثقافة شعبه :

لعل جماع هذه الأمور كلها يتلخص في كلمة « الصهيونية » ، تلك التي تعني ببساطة تغيير مكان إقامة « معظم يهود العالم » - مما يطلقون

(١) سفر التكوين / الإصحاح الخامس عشر النص رقم ١٨ .

عليه « الشتات » « Diaspora » - إلى « صهيون »[٢] .. هو مجرد رمز لضرورة استيلاء « اليهود » على القدس وما حولها .

١ - السند القانونى والمساندة السياسية :

وقد أعلن « تيودورهرتصل » فى أغسطس ١٨٩٧ م الهدف المباشر للصهيونية ، والذى تصور أن يتحقق من خلال « برنامج » يستغرق خمسين عاماً ، فكان هذا الهدف هو « إنشاء » وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين يتمتع بحماية القانون العام وحدد وسائل تحقيق هذا الهدف فى أربع وسائل :

● تشجيع الاستيطان المنظم لأرض فلسطين بواسطة عمال الزراعة والصناع والحرفيين اليهود[٣] .. وقد تحقق هذا الهدف تدريجياً فبعد أن كان اليهود فى فلسطين قرابة خمسة وعشرين ألفا عام ١٨٨٢ م (حوالى ٠.٣١٪ من يهود العالم) صاروا ثلاثة ملايين وثلاثة أعشار المليون عام ١٩٨٢ م (قرابة ٢٣٪ من يهود العالم) . ويتوقع زيادتهم إلى أكثر من أربعة ملايين ونصف المليون بحلول عام ١٩٩٢ م ، وذلك من خلال استمرار الهجرة المنظمة من كل أرجاء العالم ، خاصة من « الاتحاد السوفيتى » و« أوروبا الشرقية » .

● إقامة منظمة واتحاد لكل يهود العالم بما يتمشى مع القوانين المحلية .. وبالفعل أنشئت « المنظمة الصهيونية العالمية » عام ١٩١٩ م ، و« الوكالة اليهودية » عام ١٩٢٩ م ، فضلا عن مؤسسات صهيونية أخرى .. بموافقة ومباركة « المجتمع الدولى » .

● تقوية الإحساس باليهودية ، والشعور بالقومية اليهودية ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد .

● اتخاذ الخطوات للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق « هدف الصهيونية » وقد تم ذلك من خلال الاتفاقية البريطانية / الفرنسية التى تمت سراً بين وزيرى خارجيتهما (سايكس وبيكو) عام ١٩١٦ ، ثم إصدار بريطانيا « لتصريح بلفور » سراً أيضاً فى نوفمبر ١٩١٧ . وقد تم الاعتراف بهذه الأمور من خلال صك الانتداب على « فلسطين » ، الذى وافقت عليه « عصبة الأمم » فى ٢٤ يوليو ١٩٢٢ م . وأخيرا أصدرت « الجمعية العامة للأمم المتحدة » قرارها رقم ٢/١٨١ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى « دولة يهودية » و« دولة عربية » ، وجعلت « للقدس » كياناً مستقلا تحت إشراف « الأمم المتحدة » . وقد استمد « اليهود » السند

---

(٢) اسم التل الذى أقيم عليه « بيت المقدس » وينطق اسمه بالعبرية « تصيون » ، وبالفرنسية Sion وبالانجليزية Zion . وإليه نسب « ناثان » النمساوى اسم الحركة عام ١٨٩٠ م ، وذلك قبل أن ينشر تيودورهرتصل كتابه « الدولة اليهودية » بنحو ست سنوات داعيا إلى المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ م فى مدينة « بازل » بسويسرا .

(٣) كانت أولى الهجرات المنظمة قد بدأت - رغم رفض « السلطان عبد الحميد » لها - فى الفترة من (١٨٨٢ حتى ١٩٠٣) وقامت بتنظيمها « جمعيات أحباء صهيون » (حوفيفى تصيون) ، وتكونت من قرابة عشرين ألف يهودى جاءوا من « روسيا » وأوروبا الشرقية واستقروا فى مستوطنات أقاموها « بالجليل الأعلى » . ثم كانت الهجرة الثانية فى المدة من ١٩٠٤ حتى ١٩١٤ ليصبح عدد اليهود خمسة وثمانين ألفا ثم الهجرة الثالثة فى المدة من ١٩١٩ حتى ١٩٢٣ ، وهؤلاء أسسوا « مستوطنات العمال » (موشاف عوفديم) ، ثم الهجرة الرابعة (١٩٢٤ - ١٩٣١) فالخامسة (١٩٣٢ - ١٩٣٩) .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

القانونى الدولى لإقامة دولتهم من هذا القرار الذى نصوا عليه فى إعلان قيام الدولة فى ١٤ مايو ١٩٤٨ م .

٢ ـ الطبيعة اليهودية للنظام السياسى فى إسرائيل :

انساق بعض مفكرى أمتنا ـ لأسباب غير واقعية ولا تستند إلى أساس علمى ـ وراء محاولة وصف « الصهيونية » بأنها حركة « قومية علمانية » ، وبالتالى تصبح الدولة التى تمخضت عنها ، وهى « إسرائيل » دولة « علمانية » هى الأخرى .. وهذا قول نفاه كل « مفكرى اليهود » حتى الملحدين منهم[٤] ، فمن يراجع كل الكتابات « الصهيونية » ـ قبل إقامة دولتهم ـ لن يشك للحظة فى الطبيعة اليهودية للحركة ولا لأهدافها ، ويكفى للتدليل على هذا أن جوهر الفكرة الصهيونية هو عودة يهود العالم إلى « أرض الميعاد » .

ولعل من يقرأ الجملة الأولى لإعلان الدولة يجدها تنص على أن :

« أرض إسرائيل كانت هى المكان الذى ولد فيه الشعب اليهودى » .

ومن يواصل القراءة سوف يجد فى عجز وثيقة إعلان الدولة مايلى :

« سوف تكون دولة إسرائيل مفتوحة للهجرة اليهودية .. وسوف تؤسس على الحرية ، والعدل ، والسلام كما تصورها انبياء إسرائيل » .

وما من زعيم إسرائيلى إلا واكد يهودية الدولة اعتباراً من « بن جوريون » حتى « يتصحق شامير » . اضف إلى ذلك أن المادة السابعة والسبعين من مشروع الدستور الإسرائيلى تنص على أن :

« القوانين يجب أن تكون مطابقة للتعاليم الأساسية للشريعة اليهودية » .

ولعل ما يحسم هذه الجزئية ما قاله البروفيسور « آشـيرآريان » أستـاذ العلوم السياسية بجامعة تل أبيب والعميد السابق لكلية العلوم الاجتماعية فى كتابه : « Politics in Israel The Second Generation » والذى صدر عام ١٩٨٥ م :

« إن الفصل بين الدين والدولة فى إسرائيل أمر يستحيل إقامة الدليل عليه ، وأن العكس هو الواقع الذى يستند إلى اعتبارات تاريخية ، وأخرى « أيديولوجية » ، وثالثة سياسيـة ، ورابعة تنظيمية » .. وفصّل هذه الأسباب تفصيلا .

اما عن التطبيق العملى فى الحياة فنجد نفس الكاتب يذكر لنا أن : « معظم اليهود فى إسرائيل يمارسون يهوديتهم كأسلوب حياة » ومع اعتبارنا لراى الكاتب اليهودى ، والذى اعتمد فيه على المشاهدة والمعايشة ، **فاننا يجب الا ننسى**

---

(٤) فمثلا يعتبر بعض مفكرينا أن « تيودور هرتصل » كان حظه من التدين ضئيلا ، او انه كان ملحدا . وحسبنا هنا ما قاله فى المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ ، الذى كان يتولى رئاسته : « إن الصهيونية عودة إلى اليهودية قبل أن تكون عودة إلى الوطن اليهودى » .

أوصاف « القرآن الكريم » لهم وأهمها : الظلم ، وعدم الوفاء بالعهد ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والإفساد فى الأرض ، وتحريف ما أنزل الله والميل إلى مخالفة تعاليمه دائما .. بل إننا يجب ألا ننسى ما سطرته النسخ المعاصرة « للتوراة » التى وصفتهم بصفات منها : **التمرد والتذمر وصلابة الرقبة ، والميل إلى الشر ، والغلظة والميل للإثم والخطيئة ، والعصيان الدائم .. إلخ** .

ومن ناحية أخرى فإن تطبيق « الشريعة اليهودية » « هاهلخا » كمنهاج حياة متكامل من خلال صياغتها فى صورة قوانين يطلقون عليها « القوانين الزرقاء » هو أمر واقع ، ومنها القوانين التى تراعى أحكام « السبت » والأعياد الدينية ، وإعفاء النساء المتدينات من التجنيد ، ومنع تربية أو ذبح الخنازير ، ومراعاة الطعام الحلال (الكوشير) ، وإلغاء القانون الذى كان ينظم الإجهاض .

أضف إلى ذلك ما يلتزم به المهاجرون إلى إسرائيل من تغيير أسمائهم إلى أسماء عبرية ، ثم الاهتمام بتحديد : « من هو اليهودى ؟ » وعلى حين أن أكثر من ثلثى المنشآت التعليمية فى إسرائيل منشآت تعليمية دينية ، نجد أن الباقى يدرس التوراة والتلمود والتاريخ اليهودى فى عدد ساعات لا يقل عن ربع إجمالى عدد ساعات الدراسة فى المنهج .

ينتج عن هذه الحقائق أمور أهمها أنه :

● تم صياغة الأهداف القومية للدولة ، ونظرية الأمن القومى فيها ، والعقيدة القتالية لقواتها المسلحة ، وعلاقاتها الخارجية على أساس العقيدة اليهودية .

ـ أصبح ولاء اليهودى الموجود خارج « إسرائيل » هو « للدولة اليهودية » بصفة أساسية[٥] .

وهذا أمر فى غاية الخطورة فى ضوء حقيقة علو اليهود فى الأرض فى أيامنا هذه وتغلغلهم فى أجهزة صنع القرار السياسى ؛ بل والعمل به أحيانا ، فى كثير من دول أوروبا وأمريكا ، فضلا عن سيطرتهم على قطاعات عريضة فى مجالات الاقتصاد والمال والإعلام .

وإمعانا فى ضمان ذلكم الولاء ؛ فإن من حق أى يهودى فى العالم أن يحمل الجنسية الإسرائيلية حتى ولو لم يهاجر إلى إسرائيل .. ولو لم تطأ قدماه أرضها حتى لو لم تكن عنده هذه النية .

● يعتبر يهوديا ـ حسب قانون التسجيل الصادر فى ٣ يناير ١٩٦٠ من كانت أمه يهودية ، حتى ولو لم يكن يهوديا ، كذا يعتبر يهوديا كل من تهود .. وفى تقدير « الحاخاميم » اليهود أن اليهودى يظل يهوديا حتى لو انتحر .. فلا تنزع عنه .

● ومن نافلة القول أن نستنتج أن القيم العليا والثقافة السياسية فى إسرائيل مستمدة بالضرورة من العقيدة اليهودية .

---

(٥) من الأسباب الهامة لقوة جهاز الاستخبارات الإسرائيلى وقدرته على العمل على المستوى العالمى سهولة تجنيد اليهود الذين لا يعيشون فى « إسرائيل » ، وذلك اعتماداً على أنهم يعطون الولاء « للدولة اليهودية » فى المقام الأول . وهناك عدد غير قليل من الأمثلة منها قضية الجاسوس الأمريكى « جوناثان بوللارد » الذى تجسس على بلاده لصالح إسرائيل إلى أن قبض عليه متلبسا عام ١٩٨٦ م .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

٣ ـ منظومة القيم العليا في المجتمع الإسرائيلي وثقافته :

يتكون المجتمع الإسرائيلي من جماعات جاءت من كل صوب وحدب ، عاشوا في مجتمعات شتى ، وعايشوا ثقافات متباينة . من ناحية أخرى كان اليهود على مر القرون يحاولون الانعزال عن المجتمعات التي عاشوا فيها ، لذا نجد المجتمع الإسرائيلي يتفق اليهود فيه ـ وهم غالبية ـ حول أفكار وقيم لم تتأثر بمرور السنين ، واختلاف المجتمعات التي عاشوا فيها حياة شتات لم يتناولها بالتغيير أهمها :

(أ) فكرة السمو العنصري :

تشكل هذه الفكرة حجر الزاوية في الفكر والثقافة اليهوديتين . فحتى لو لم يكن اليهودي من الذين يمارسون أي قدر من العبادة فإنه يتصور انتماءه «لشعب الله المختار» .

وتصل درجة التعالي بهم حداً يعتبرون معه أن غير اليهود ليسوا سوى مخلوقات بين البشر والحيوانات ، ويطلقون عليهم اسم «الأغيار» أو بالعبرية «جوييم» ويبيحون التعامل معهم بأحط أنواع التعامل التي لا يجوز أن يتعامل اليهود بها فيما بينهم .

[راجع تفسيرهم وتحريفهم للنص ١٩ ، ٢٠ من الاصحاح ٢٢ سفر التثنية] .

وقد بلغ التعالي باليهود حد اعتبار أنهم جنس نقي ، أو هم على حد تعبير «هرتصل» في كتابه «الدولة اليهودية» :

«إنهم شعب لا يمكنه الاندماج في الشعوب الأخرى» .

قال أحد دعاة الصهيونية «ريتشارد جيمس جوتيل» في إحدى خطبه :

« إننا ننتمي إلى جنس يستطيع أن يفعل كل شيء إلا الفشل » .

والغريب أن اليهود يعتبرون أنفسهم فقط «الساميون» ويهددون كل من يتجرأ ويعادي السامية .

والغريب أيضاً أنهم يعتبرون أنفسهم معلمي البشرية وأساتذتها ومثلها الأعلى ، والأغرب منه أن ينظر إليهم قادة ومفكرو الغرب نفس النظرة وحسبنا أن نورد ما قاله «مارتن لوثر» مؤسس «المذهب البروتستانتي» في كتابه (عيسى ولد يهوديا) عام ١٥٢٣ م :

« شاءت الروح المقدسة أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريقهم وحدهم ، انهم الأطفال ونحن الضيوف والغرباء ، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها ، تماما كالمرأة الكنعانية » .

بل نجد «مسز تاتشر» تناشد أفراد الشعب الانجليزي في خطاب لها في مطلع عام ١٩٩٠ :

«أن يتخذوا من الجالية اليهودية في بريطانيا مثلاً أعلى يحتذى» !!

ولئن كان الأمر كذلك فليس غريبا أن نجد إعلان الدولة اليهودية وقد اشتملت فقرته الأولى على :

« ... من هنا خلق اليهود القيم الثقافية ذات

الدلالة القومية والعالمية ومنحوا العالم سفر الأسفار الخالد »[٦] .

« ... gave the world the eternal Book of Books»

(ب) فكرة أرض الميعاد :

وبجانب فكرة (السمو العنصرى) تهيمن فكرة (أرض الميعاد) على لب كل «صهيونى» أو كل مؤيد للصهيونية ، وتتكرر فكرة «أرض الميعاد» هذه فى عدد من المواضع **فى نسخ التوراة المعاصرة .**

يستند زعماء «إسرائيل» إلى هذه الفكرة فى اجتذاب الدعم والتأييد من الدول الأوروبية وغيرها فنجد :

«دافيد بن جوريون» يصرح فى مايو ١٩٦٢ بقوله : «إن إسرائيل قامت تحقيقا لنبوءات الكتاب المقدس» .

وتكرر جولدا مائير نفس المقولة فى أكتوبر ١٩٧١ بقولها : «لقد وجد هذا البلد تنفيذا لوعد الرب ذاته ؛ ولهذا لا يصح أن نسأله ايضاحا عن شرعية هذا الوجود» .

ناهيك عما يعلنه «يتصحق شامير» و«أريل شارون» وغيرهما هذه الأيام ـ رغم ما يذاع عن قرب عقد مؤتمر للسلام ـ من أنهم لن يتنازلوا عن شبر واحد من «يهودا والسامرة» (المقصود الضفة الغربية لنهر الأردن)، وأنه لا جدوى من الحديث عن «القدس» التى صارت ـ على حد تعبيرهم ـ عاصمة أبدية لإسرائيل .. الخ .

ولقد ارتبطت فكرة أرض الميعاد هذه ارتباطا وثيقا «بأمن إسرائيل» الذى يعتمد بدوره على فكرتى : «الحدود المتحركة» و«الطرد التدريجى لسكان الأرض»[٧] ، و«الحرب الدائمة» وعدم جواز مسالمة سكان الأرض[٨] .

(جـ) العــدل :

«العدل» قيمة عليا لدى كل النظم السياسية دون استثناء ، لكن مفهوم «العدل» ومضمونه يختلف من نظام سياسى لآخر ، وقد نحتكم إلى ما جاء بنسخ التوراة المعاصرة التى لا تقرر ممارسة «العدل» إلا بين اليهود فقط ، ففى سفر اللاويين/ الاصحاح التاسع/ ١٢ـ١٩ : «لا تغضب قريبك ولا تسلب ... لا ترتكبوا جورا فى القضاء ... بالعدل تحكم لقريبك .. لا تبغض أخاك فى قلبك ... لا تنقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك ....» متناسين ـ تماما ـ نصوص الكتاب فى وجود العدل المطلق بين البشر .

ولعل ما يلقاه العرب فى إسرائيل والأرض المحتلة من العنت والاضطهاد والجور ، فضلاً عن تعرضهم للطرد من أراضيهم ، ونسف بيوتهم وسلب ممتلكاتهم ، بل والجور فى القضاء إذا ما كانوا طرفا فى خصومة ـ كفيل أن يوضح لنا مفهوم «العدل» لدى إسرائيل .

ومن الأمور الثابتة بالدليل العملى أن «المحكمة العليا» فى إسرائيل تتنكب «طريق العدل» حينما تتعرض لقضية تمس «الأمن القومى» بأوسع مفهوم له فتتحول إلى جهاز يبرر عسف السلطات

(٦) يقصد بسفر الأسفار «العهد القديم» وهو يشتمل ـ حسبما يزعمون ـ على أسفار التوراة الخمسة وعدد آخر من الأسفار أحياناً نجدها ٣٤ سفرا ، وفى البعض الآخر نجدها أكثر من ذلك ، ٣٧ سفرا ، أو خلاف ذلك وذلك من حيث اعتبار بعضها أسفاراً قانونية ، والبعض لا ينطبق عليه ذلك .. وصدق الله العظيم فى وصفه بالتحريف .

(٧) العدد/ ٣٣/ ٥٥ ـ ٥٦ .

(٨) الخروج/ ٣٤ / ١٥ .

﴿ أشد الناس عداوة للذين آمنوا

الإسرائيلية بطرد السكان ، ونسف بيوتهم ، بل ونفيهم تماما خارج فلسطين .

أين هذا من عدل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ (المائدة/٨) .

(د) الحقوق والحريات الفردية :

فكرة الحقوق والحريات الفردية التى هى بمثابة العمود الفقرى «للديمقراطية الغربية» تعد قيمة عليا لدى اليهود ، بنفس مفهومها لدى الغرب[٩] ولا غرو فـ «الديمقراطية الغربية» ما هى إلا نتاج الحضارة الأوروبية اليهودية النصرانية .

يضاف إلى هذا حق كل يهودى فى الهجرة إلى إسرائيل بموجب قانون العودة الصادر فى ٥ يوليو ١٩٥٠ م ، ويحق له الحصول على الجنسية الإسرائيلية بموجب قانون الجنسية الصادر عام ١٩٥٢ م ، لكن الغريب انه لا يملك التنازل عن هذه الجنسية إلا بعد موافقة «وزير الداخلية الإسرائيلى» .

وإذا ما تعارضت فكرة الحقوق والحريات مع اعتبارات «الأمن القومى» ـ كثيراً ما يحدث هذا التعارض ـ تتغلب اعتبارات الأمن القومى على غيرها من الاعتبارات ، كما أن الشريعة اليهودية تعد أهم محدد لفكرة الحقوق والحريات الفردية . فإذا تعارضتا تغلبت أحكام الشريعة .

ومن أشهر الأمثلة : (عدم جواز مساواة المرأة بالرجل) كما يحدث عند الأوروبيين «نظريا» ، كما انه لا يوجد لدى إسرائيل «إعلان لحقوق الإنسان» للتعارض بين بعض ما بهذا الأخير و«الشريعة اليهودية» .

(هـ) الاشتراكية :

حوى «العهد القديم المتداول» عددا غير قليل من التعاليم التى يمكن أن توصف بأنها تدعو إلى الاشتراكية[١٠] ولا غرابة إذاً فى أن يتولى «كارل ماركس» (اليهودى) صياغة النظرية الاشتراكية التى عرفت باسمه ، ولئن كانت شيوعية «كارل ماركس» قد فشلت فى كثير من بلدان العالم ،

فإنها تلقى التطبيق الحرفى الناجح فى المستعمرات الإسرائيلية المسماه بـ «القيبوتص» التى يتم فيها العمل المشترك وتوزيع الإنتاج : «من كل حسب طاقته ، ولكل حسب احتياجه» ، ولا يوزع أجر نقدى .. وقد نتعرض بتفصيل أكبر لهذا النموذج فيما بعد .

ولقد ظل الفكر الاشتراكى ولايزال يلقى القبول لدى الشعب فى إسرائيل حتى بعد أن تولت حكومة حزب «الليكود» الحكم ، فمازال لحزب العمل الإسرائيلى ثقله ، ومازالت المزارع الجماعية من المعالم الرئيسية لإسرائيل ، ومازالت «الهستدروت»[١١] تهيمن على الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

---

(٩) يرجع لسلسلة مقالات «نظرة إسلامية للديمقراطيات الغربية» ، مجلة الأزهر ، ١٤١٠ هـ .

(١٠) سفر اللاويين/ ٢٥/ ٢٣ ، ٣١ ـ ٣٣ ـ تثنية الاشتراع/ ١٥/ ٥ ـ ٦ ـ ميخا/ ٢/ ١ ـ ٢ ـ أشعياء/ ٣٢/ ٢٠ .. الخ .

(١١) «الهستدروت» هى اختصار «للنقابة العامة للعمال العبريين بأرض إسرائيل» .

بذور التفكك فى المجتمع الإسرائيلى :

المجتمع الإسرائيلى مجتمع ملىء بالمتناقضات فعندهم (الفرق الدينية التى لا يعترف بعضها ببعض ولا يتزوج بعضها من بعض) ، كذلك نجد (الغلو فى الدين بغير الحق) عند بعض الطوائف مثل «النيتورى كارتا» الذين يعتزلون المجتمع بمدارسه ومؤسساته وبكل ما فيه وعندهم (شقاق اجتماعى) شبه كامل بين طائفتى «الاشكنازيم» ، و«السفارديم» ، فضلاً عن وصول طائفة ثالثة سوف تزيد هذا الشقاق عمقا هى طائفة «الفالاشا» ، ولكل طائفة الحاخام الأكبر الخاص بها ، وطريقة الحياة ومستوى المعيشة المختلف .. الخ . أضف إلى ذلك أن هناك (تعددا فى أسلوب ممارسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية) بين من يعيشون فى «القيبوتص» و«الموشاف»[١٢] وبين من يعيشون فى المدن ، وهناك (الليبراليون العلمانيون) و(الاشتراكيون الملحدون) .. الخ .

يقول الله تعالى : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر/١٤) .

هذا ويدرك قادة الدولة اليهودية هذه الحقائق جيداً ويعونها حق الوعى ، لذا فإنهم يحرصون على التخفيف من عوامل التفكك هذه باستخدام عدد من الآليات منها :

● التركيز على توحيد اللغة والحفاظ عليها ، وترسيخ الثقافة اليهودية باعتبار أن الثقافة واللغة هما ـ معا ـ مفتاح البقاء القومى .

● الحرص على أن يستمر الشعور بالخوف من الأخطار الخارجية لدى الإسرائيليين حتى يؤدى هذا إلى التماسك الداخلى ، ولقد بلغ الحد بهم إلى أن أصبحت إسرائيل بمثابة معسكر كبير فى (حالة استنفار) شبه دائم الكل فيه جنود : إما تحت السلاح ، وإما فى إجازة مدتها أحد عشر شهرا فى العام .

● العمل على رفع الروح المعنوية باعتبارها هدفا استراتيجيا ، وإذكاء روح الولاء والإرادة القومية .

● محاولة دمج الطوائف والشرائح والقطاعات الاجتماعية المتباينة من خلال وسائل متعددة للدمج والتأهيل الاجتماعى نفصلها فيما بعد بإذن الله .

تصويب

جاء فى عدد ربيع الآخر ١٤١٢ ص ٣٧١ ، السطر الثامن : (فليس يعنى انتهاز) وصحة العبارة : (فليس يعنى انهيار) .. إلخ ..

(١٢) القيبوتص : مستعمرة . الموشاف : المستوطنة وهى تعاونية .

٢

المستشار الدكتور
أحمد محمد إبراهيم

رابعا ـ تكييف العقد :

قال المفتى فى بيانه إن المعاملات فى شهادات الاستثمار وفيما يشبهها كصناديق التوفير جائزة شرعاً ، وإن أرباحها كذلك حلال وجائزة شرعا ، إما لأنها مضاربة شرعية كما قال الشيخ عبد العظيم بركة وغيره وإما لأنها معاملة حديثة نافعة للأفراد وللأمة . وليس فيها استغلال من أحد طرفى المعاملة للآخر ، كما قال فضيلة الدكتور محمد سلام مدكور وغيره .

وكان من المفروض أن يكون المفتى عندما أصدر كتابه ، قد انتهى إلى رأى معين فى تكييف هذه المعاملات وبيان وصفها الشرعى ، خصوصا وأنه ذكر فى ختام البيان انه وعما قريب ـ بإذن الله ـ سنتحدث ـ بعد الرجوع إلى الخبراء من الاقتصاديين والفقهاء ـ عن جوانب أخرى من المعاملات التى تجرى فى البنوك والمصارف . ولكن جاء الكتاب مردداً نفس الأقوال فيقول بالنسبة للأموال التى تقدم للمصارف وأخذ عائد عنها ، وبعض الفقهاء المحدثين كفضيلة المرحوم محمد سلام مدكور ، يرى أن مثل هذه المعاملة تعد من المعاملات المستحدثة التى اقتضتها ظروف الحياة وتطورها ، والتى لا تخضع لأى نوع من العقود المسماة وهى معاملة نافعة للفرد والمجتمع ولا يوجد ما يمنعها . وبعضهم كفضيلة المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف يرى أن مثل هذه المعاملة تدخل تحت باب المضاربة الشرعية ، إذ المال من جانب ، والعمل من جانب ، وتحديد الربح مقدما لا يفسد المضاربة .

وقال بالنسبة للرجل الثرى الذى يطلب من المصرف مبلغا من المال ليستثمره فى مشروعاته لا ليكون قرضا أو وديعة ، على أن يعطى البنك ١٠٪ سنويا من قيمة هذا المبلغ ، إن هذه المعاملة حلال ولا بأس بها ، والأرباح التى تترتب عليها حلال ولا بأس بها ، لأنها إما من باب المعاملات المستحدثة النافعة الحلال ، كما يرى بعض الفقهاء وإما من باب المضاربة الشرعية ، كما يرى أخرون ، لأن المال فيها من جانب والعمل من

جانب آخر ، وتحديد نسبة الربح مقدما لم يرد ما يمنع منه شرعا .

لقد كان من الواجب على المفتى أن يبين أركان هذه المعاملة المستحدثة وشروط صحتها ، وأن يبين بوضوح الفرق بينها وبين القرض ، والفرق بينها وبين المضاربة ، أما أن يظل مردداً أنها قد تكون كذا أو قد تكون كذا ، فأمر غير مقبول ، ويدل على عدم القدرة على البت فى الموضوع .

ولا يغير من ذلك ولا يعتبر تكييفا للمعاملة قوله : إن كل معاملة يقصد صاحب المال فيها تنمية ماله وزيادته بالطرق الشرعية ، فالاسم الصحيح لها : استثمار ، وليس وديعة استثمارية ، إذ الوديعة شىء والاستثمار شىء آخر .

إن تسمية المفتى فى كتابه لهذه المعاملات بأنها استثمار لا يعتبر تكييفا لها ولا بيانا لوصفها الشرعى ، ولا أدل على ذلك من أنه يقول إن الاستثمار معناه تنمية المال ، والعمل على زيادته ، كما ينمى صاحب الزرع زراعته حتى يحصل منه على الثمار ، وقد أفصح هو عن أن الاستثمار قد يتم فى عقود مسماة ، فنقل عن المعجم الوسيط أن « الاستثمار » استخدام المال فى الإنتاج إما مباشرة كشراء الآلات والمواد الأولية ، وإما بطريق غير مباشر كشراء الأسهم والسندات ، كما ذكر أن الاستثمار للأموال التى تصب فى خزائن البنوك له طرق متعددة ، من أهمها المشاركة والمرابحة والمضاربة ، ثم تحدث عن هذه العقود بشىء من التفصيل .

قد يقال إن الكتاب تضمن تكييفا لهذه المعاملات ، إذ جاء به أن أصحاب الأموال التى تقدم للمصارف وكلوا البنك عنهم فى أن يستثمر أموالهم ، ورضوا بالأرباح التى حددها لهم . ولكن يرد على ذلك بأن هذا التكييف يقدم وكالة لها أحكام لم يقل بها أحد ، فالوكالة كما يقول فقهاء الشريعة وعلماء القانون تتصرف فيها تصرفات الوكيل إلى الموكل إيجابا كانت هذه الآثار أو سلبا ، وللوكيل أجره إن كان يعمل بأجر ، أما أن تعود آثار التصرفات إلى الوكيل ويتحمل هو نتائجها ويعطى الوكيل للموكل (رب المال) مبلغا تحدد من قبل مقابل استثماره لهذا المال ، فهذا عقد آخر لا يمت إلى الوكالة بصلة من قريب أو من بعيد ، وأن الوصف الذى يمكن أن يوصف به هذا التصرف هو أن المصرف يستثمر المال لحسابه الخاص ، ويدفع لرب المال أجراً عن أمواله التى استثمرها البنك ، وتأجير النقود قرض ، وفى هذا المعنى يقول الجصاص : قال أصحابنا إذا أعاره دراهم ، فإن ذلك قرض ، ولذلك لم يجيزوا استئجار الدراهم لأنها قرض ، فكأنه استقرض دراهم على أن يرد عليه أكثر منها .

وأن وصف عائد النقود بأنه أجر ، أمر قالت به القوانين الوضعية ومن ذلك ما نصت عليه المادة ٥٤٢ من القانون المدنى المصرى من أنه على المقترض أن يدفع الفوائد المتفق عليها عند حلول مواعيد استحقاقها ، فإذا لم يكن هناك اتفاق على فوائد اعتبر القرض بغير أجر .

وتحدثت مواد أخرى عن أحكام القرض بأجر .

خامسا : الوقوع فى حيص بيص :

قال فى لسان العرب : وقع القوم فى حَيْصَ بَيْصَ ، وحِيصَ بِيصَ ، وحَيْصِ بَيْصِ ، وحَاصِ بَاصِ ، أى فى ضيق وشدة ، وقيل أى فى اختلاط من أمر لا مخرج لهم منه .

حـــول شهـادات الاستثمـار

وإننا إذا اعتبرنا المعاملات المصرفية وما ماثلها مضاربة ، فإننا نقع فى حيص بيص ، فالمضاربة نوع من الشركات ، والقانون المدنى المصرى يبطل الشركة التى يقطع فيها الربح لأحد الشركاء . إذ تنص المادة ٥١٥ منه على مايأتى .

١ ـ إذا اتفق على أن أحد الشركاء لا يساهم فى أرباح الشركة أو فى خسائرها كان عقد الشركة باطلا .

٢ ـ ويجوز الاتفاق على إعفاء الشريك الذى لم يقدم غير عمله من المساهمة فى الخسائر بشرط ان لا يكون قد تقرر له أجر على عمله .

وقد استقر قضاء محكمة النقض المصرية على أن العقد الذى يشترط فيه قدر من الربح لأحد المتعاقدين ، هو فى حقيقته قرض لا شركة ، لأنه يشترط لقيام الشركة أن توجد لدى الشركاء نية المشاركة فى نشاط ذى تبعة ، وأن يساهم كل شريك فى هذه التبعة ، فإذا اشترط أحد المتعاقدين الحصول فى نهاية مدة العقد على مادفعه لتمويل العمليات ، وعدم تحمله شيئا من التزامات الشركة ، وأن يقدم له المتعاقد الآخر شهريا قدراً معينا من المبلغ المدفوع . فإن وصف هذا المبلغ فى العقد بأنه ربح غير صحيح ، إذ الربح لا يكون مؤكدا ولا معروفا مقداره سلفا ، وهذا العقد هو فى حقيقته قرض ، والمبلغ المدفوع شهريا هو فائدة مستورة فى صورة ربح .

ولنا أن نتساءل عن الحكم إذا رأى أحد أطراف المعاملات المصرفية وماشابهها ، لسبب أو لآخر ، أن يطلب الحكم ببطلانها كشركة مضاربة ، استناداً إلى نص المادة ٥١٥ من القانون المدنى ، فدفع الطرف الآخر الدعوى بأن نص المادة المذكورة غير دستورى لمخالفته للمادة الثانية من الدستور التى تقضى بأن دين الدولة الإسلام ، ومبادىء الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى للتشريع ، واستند فى ذلك إلى فتوى المفتى التى اجازت قطع الربح .

إن المحكمة الدستورية ستجد أن نص المادة ٥١٥ من القانون المدنى يتفق مع ماسار عليه المسلمون منذ عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وما اتفقت عليه المذاهب الإسلامية ، ولكنه لا يتفق مع فتوى المفتى وعدد من العلماء المحدثين .

هل للمفتى أن يخرج المحكمة الدستورية مما تقع فيه من حيص بيص بسبب فتواه ، ويبين لها هل المادة ٥١٥ من القانون المدنى تتفق مع مبادىء الشريعة أو مخالفة لها ؟

سادسا ـ عن الإجماع فى عدم جواز قطع الربح :

قال المفتى فى اكثر من مكان فى كتابه : إنه لا يوجد إجماع تطمئن إليه النفوس لتحريم تحديد الربح مقدما ، مادام هذا التحديد قد تم باختيار الطرفين ورضائهما المشروع .

ويحق لنا ـ ودون أن نعرض لإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الحكم ـ أن نقول ، الا يكفى لاطمئنان نفس المفتى إلى هذا الحكم أنه هو ما التزمه الصحابة والتابعون ، وقال به جميع ائمة المذاهب الإسلامية وقدامى الفقهاء . ولم يعدل عن الأخذ به ـ كما يقول هو فى كتابه ـ إلا بعض الفقهاء المحدثين .

وفضلا عن ذلك فإن المفتى عند كلامه عن قول الصحابى كمصدر من مصادر الشريعة الإسلامية يقول : « الرأى الذى تطمئن إليه النفس ، أن قول الصحابى فى أمر اجتهادى لم

تتفق فيه كلمة الصحابة ليس بحجة ، ولكن علينا أن نأخذ بما لدينا من أقوالهم ، دون أن نخالف أقوالهم جميعا ، فإن مخالفة أقوالهم جميعا لا تصح ولا تليق » فما باله يخالف فى فتواه ما سار عليه الصحابة من عدم جواز قطع الربح فى المضاربة . لو أنه قال إن واحداً منهم أجاز ذلك فكانت فتواه متفقة مع رأيه فى حجية قول الصحابى ، ولكنه لم يذكر هو أو غيره أن أحد الصحابة قال بغير ذلك ـ كيف يتفق هذا المسلك منه مع قوله : إن مخالفة أقوالهم جميعا لا تصح ولا تليق .

وأغرب من ذلك أن المفتى ، الذى لم تطمئن نفسه إلى وجود إجماع على تحريم تحديد الربح مقدما ، يستدل على صحة ما يراه بحكم يقول إن الفقهاء أجمعوا عليه ، فإذا أورد قول هؤلاء الفقهاء وجدنا أن هذا القول يتضمن نفى وجود الإجماع الذى يقول به .

يقول المفتى : الذى أجمع عليه الفقهاء عند فساد عقد المضاربة بسبب تحديد الربح مقدما ، أن يصير العامل ـ وهو المستثمر فى المال ـ أجيرا عند صاحب المال ، وله أجره بالغا ما بلغ ، ولصاحب المال ما بقي من الربح فوق رأس ماله ، ونقل ما جاء فى فتح القدير عن ذلك وهو أن (عقد المضاربة يفسد باشتراط دراهم مسماة لأحد المتعاقدين ، والحكم فى كل موضع لا تصح فيه المضاربة ، وجوب أجر المثل للعامل والربح لرب المال لأنه نماء ملكه ، ولا يتجاوز بالأجر القدر المشروط عند أبى يوسف خلافا لمحمد) .

ألم ينتبه المفتى عند نقله هذه العبارات من فتح القدير إلى جملة (عند أبى يوسف خلافا لمحمد) ؟ إذاً لم يكن هناك إجماع فى مذهب واحد على ما يستحقه العامل فى المال إذا فسدت المضاربة ، فكيف يقال إن الذى أجمع عليه الفقهاء فى المضاربة الفاسدة هو أن للعامل فى المال أجره بالغا ما بلغ ؟ إن هذا القول هو رأى محمد أما أبو يوسف فيرى أنه لا يجوز أن يتجاوز أجر العامل القدر المشروط فى عقد الشركة ، وإن لم تربح فلا أجر له ، اعتبارا بالمضاربة الصحيحة ، فإنه إذا كان لا يستحق شيئاً : مع أنها فوق الفاسدة ، ففى الفاسدة أولى .

والاختلاف فى استحقاق العامل فى المال إذا فسدت المضاربة لا يقتصر على مذهب أبى حنيفة ، ففى مذهب أحمد رأيان كما عند أبى حنيفة .

ويرى ابن تيمية وابن القيم أن الصواب أنه يجب فى المضاربة الفاسدة ربح المثل ، فيعطى العامل ما جرت عليه العادة أن يعطاه مثله : إما نصفه ، أو ثلثه ، فأما أن يعطى شيئا مقدرا مضمونا فى ذمة المالك ، كما يعطى فى الإجارة والجعالة ، فهذا غلط ممن قاله ، وسبب غلطه ظنه أن هذه إجارة ، فأعطاه فى فاسدها عوض المثل كما يعطيه فى الصحيح المسمى . ومما يبين غلط هذا القول أن العامل قد يعمل عشر سنين أو أكثر ، فلو أعطى أجر المثل ، أعطى أضعاف رأس المال ، وهو فى الصحيحة لا يستحق إلا جزءاً من الربح ، إن كان هناك ربح . فكيف يستحق فى الفاسدة أضعاف ما يستحقه فى الصحيحة .

هل مع كل هذا الاختلاف فيما يستحقه العامل فى المال ، إذا فسدت المضاربة ، يقول المفتى إن الذى أجمع عليه الفقهاء عند فساد المضاربة بسبب تحديد الربح أن يستحق العامل فى المال أجره بالغا ما بلغ ، ثم يقول فى نفس الوقت أنه لا يوجد إجماع تطمئن إليه النفوس لتحريم تحديد الربح مقدما ، مع أنه لم يذكر أن أحداً من الفقهاء قال بغير ذلك سوى بعض الفقهاء المحدثين .

حـــول شهـــادات الاستثمـــار

سابعا ـ عن القياس فى عدم جواز قطع الربح :

كرر المفتى فى أكثر من موضع من كتابه انه لا يوجد قياس تطمئن إليه نفوسنا لتحريم المعاملة المصرفية التى تغل عائداً ثابتا لرب المال ، ففيها منافع للناس ، وليس فيها ما تأباه الشريعة التى تقوم على اليسر والسماحة والعدل .

وإنى اضع امامه قياسا أورده العلماء ، وانقل إليه ما قاله ابن تيمية فى هذا الصدد ، واثبته ابن القيم ايضا فى كتبه ، واطلب من المفتى أن يبين لنا وجه عدم اطمئنان نفسه إليه : « العمل الذى يقصد به المال ثلاثة انواع » :

أحدهـا : أن يكون مقصوداً معلوما مقدورا على تسليمه ، فهذه هى الإجارة اللازمة .

والثانى : أن يكون العمل مقصوداً ، لكنه مجهول أو غرر ، فهذه الجعالة ، وهى عقد جائز ليس بلازم ، فإذا قال من رد على عبدى الآبق فله مائة ، فقد يقدر على رده ، وقد لا يقدر وقد يرده من مكان قريب وقد يرده من مكان بعيد ، فلهذا لم تكن لازمة لكن جائزة .

واما النوع الثالث : فهو مالايقصد فيه العمل ، بل المقصود المال وهو المضاربة ، فإن رب المال ليس له قصد فى عمل العامل كما للجاعل والمستأجر قصد فى عمل العامل ، ولهذا لو عمل ما عمل ولم يربح ، لم يكن له شىء وإن سمى هذا جعالة بجزء مما يحصل من العمل كان نزاعا لفظيا ، بل هذه مشاركة ، هذا ينفع بدنه ، وهذا ينفع ماله ، وما قسم الله من الربح كان بينهما على الإشاعة . ولهذا لا يجوز أن يخص أحدهما بربح مقدر ، لأن هذا يخرجها عن العدل الواجب فى الشركة ، وهذا هو الذى نهى عنه ـ ﷺ ـ فى المزارعة ، فإنهم كانوا يشترطون لرب المال زرع بقعة بعينها ، وهى ماينبت على الماذيانات واقبال الجداول (اى مسايل المياه واوائل المساقى والأنهار الصغيرة) ونحو ذلك . ولهذا قال الليث ابن سعد وغيره : إن الذى نهى عنه ـ ﷺ ـ هو أمر إذا نظر فيه ذو البصر بالحلال والحرام علم انه لايجوز ، أو كما قال : فبين أن النهى عن ذلك موجب القياس ، فإن مثل هذا لو شرط فى المضاربة لم يجز ، لأن مبنى المشاركات على العدل ، فإذا خص أحدهما بربح دون الآخر لم يكن عدلا ، بخلاف ما إذا كان لكل منهما جزء شائع ، فإنهما يشتركان فى المغنم والمغرم ، فإن حصل ربح اشتركا فى المغنم ، وإن لم يحصل ربح اشتركا فى الحرمان ، وذهب نفع بدن هذا كما ذهب نفع مال هذا ، ولهذا كانت الوضيعة (اى الخسارة) على المال لأن ذلك فى مقابلة ذهاب نفع العامل (الفتاوى جـ ٢٠ ص ٥٠٧ و٥٠٨ ـ أعلام الموقعين جـ ٢ ص ٦) .

وواضح من هذا الذى اورده ابن تيمية أن شرط عدم جواز قطع الربح لأحد الشركاء ليس شرطا أدى إليه اجتهاد الفقهاء على ضوء المعاملات التى كانت سائدة فى أيامهم ، وإنما هو قياس للمضاربة على المزارعة ، وحكم المزارعة ثابت بحديث لاينازع فى صحته احد .

ثامنا : المجامع الفقهية ودار الإفتاء :

ذكر المفتى أن من بين ما اعترض به على فتواه ، أن دار الإفتاء ليس من اختصاصها الإفتاء فى تلك الأمور العامة . كمعاملات البنوك ، وإنما هذه الأمور من اختصاص المجامع العلمية ، وقد حسمت هذه المجامع القول فى مسألة فوائد البنوك ، وما كان يصح لدار الإفتاء أن تخوض فى مسألة حسم القول فيها .

وأجاب المفتى عن ذلك بقوله : إن هذا الكلام غير صحيح من أساسه ، فالمجامع العلمية لم تحسم هذه المسألة ، بدليل أن كثيراً من المسائل التى تتعلق بالمعاملات المصرفية مازال الخلاف قائما حولها . وأن دار الإفتاء المصرية قد انشئت منذ مائة سنة تقريبا ، اى انها وجدت وقت أن كانت هذه المجامع فى عالم الغيب . وجميع هذه المجامع إما من ابناء دار الإفتاء أو من أحفادها . ودار الإفتاء التى تفتى فى دماء الناس ليس كثيراً عليها أن تفتى فى أموالهم . ومع ذلك فدار الإفتاء تحترم آراء المجامع العلمية . متى كانت هذه الآراء مستندة إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح .

ولنا على هذه الإجابة ثلاث ملاحظات هى :

١ ــ كان على المفتى أن يناقش النصوص القانونية التى استند إليها القائلون بأن اختصاص دار الإفتاء لايمتد إلى المعاملات المصرفية ، ولايكفى أن يقول أن دار الإفتاء أنشئت قبل المجامع الفقهية . وأن المجامع من ابناء دار الإفتاء وأحفادها ، وانه ليس كثيراً على دار الإفتاء التى تفتى فى دماء الناس أن تفتى فى أموالهم ، فالاعتراض لايتعلق بالقدرة العلمية والاختصاص اذكر أن قانون الإجراءات الجنائية فى مصر يوجب على محكمة الجنايات قبل الحكم بالإعدام ، أن تأخذ رأى المفتى ، والمفتى الذى يجب أخذ رأيه هو المفتى على رأس العمل . فإذا طلبت المحكمة الرأى من شيخ الأزهر الذى كان يشغل من قبل وظيفة المفتى ، فإنها تكون قد خالفت القانون ، ورغم أن رأى المفتى ليس ملزما للمحكمة ، فإن الحكم الذى تصدره بعد أخذ رأى شيخ الأزهر يكون باطلا . ولايقبل القول ــ فى سبيل تصحيح حكم المحكمة ــ أن شيخ الأزهر الذى أخذت المحكمة رأيه ، كان يشغل من قبل وظيفة المفتى وهو أهل لإبداء الرأى فى القضية التى أخذ رأيه فيها . كما أن مستشارى محكمة الجنايات الذين يحق لهم الحكم بالإعدام ، لايحق لهم أن يحكموا بالغرامة فى جريمة اعتداء بالضرب ، إلا إذا كانت هذه الجريمة مرتبطة بجناية معروضة عليهم .

٢ ــ لو صح أن هناك مسائل تتعلق بالمعاملات المصرفية لم تحسم بعد ، فإن مما حسم منها حكم الفوائد المصرفية ، وأكتفى هنا بذكر ما قرره مجمع البحوث الإسلامية فى مؤتمره الثانى الذى عقد بالقاهرة فى عام ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م فى شأن المعاملات المصرفية ــ فمن قراراته المتعلقة بالفوائد :

١ ــ الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم ، لافرق فى ذلك بين مايسمى بالقرض الاستهلاكى ومايسمى بالقرض الإنتاجى . لأن نصوص الكتاب والسنة قاطعة فى تحريم النوعين .

٢ ــ الحسابات ذات الأجل ، وفتح الاعتماد بفائدة وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة ، كلها من المعاملات الربوية المحرمة .

ولايؤثر على ذلك أن يقول المفتى إن شريعة الإسلام لاتعرف شيئا اسمه القروض الإنتاجية أو الاستهلاكية ، وإنما الذى تعرفه أن القروض أو الديون تعطى للمحتاجين لضرورات الحياة . ولايصح لعاقل أن يقترض أو يستدين إلاّ من اجل ذلك ــ وأن ما يعطى للمصرف يكون لاستثماره ، وما يعطيه المصرف للأهالى هو ايضا بقصد الاستثمار والمشاركة فى الربح . هذا القول من المفتى لايغير شيئا من قرارات مجمع البحوث الإسلامية ، لأن المجمع عندما بَيَّنَ حكم الفائدة فى القروض الإنتاجية ، كان يعنى ما أسماه المفتى استثمارا ، والعبرة بالمسميات لا بالأسماء . والواقع أن المفتى اضطر إلى إنكار وجود ما يسمى بالقروض الإنتاجية أو

البقية ص ٥٥٩

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

● س : هل الالتفات فى الصلاة يبطلها أم لا ؟

إبراهيم عبدالصمد ـ البحيرة

جـ :يكره الالتفات أثناء الصلاة يمينا أو شمالا ، ولكنه لايبطلها ، فإذا بلغ إلى حد استدبار القبلة بصدره كان مبطلا لها ، روى البخارى عن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الالتفات فى الصلاة قال : هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » وإنما سمى الالتفات اختلاسا لأن المصلى يقبل على الله عز وجل ، ويترصد الشيطان فوات ذلك عليه فإذا التفت سلبه ذلك ، والحديث يدل على كراهة الالتفات فى الصلاة لأنه يتنافى مع الخشوع ، ولما فيه من الإعراض عن التوجه إلى الله والإقبال عليه ، لما أخرجه النسائى وأحمد وابن ماجه عن أبى ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « لايزال الله مقبلا على العبد فى صلاته ما لم يلتفت ، فإذا صرف وجهه انصرف » ، وأخرج الترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إياك والالتفات فى الصلاة فإنه هلكة » ، وذلك لإخلاله بأفضل العبادات ، وأى هلكة أعظم من هلكة الدين .

متى يجوز للمرأة المتزوجة أن تتزوج إذا غاب عنها زوجها

● س : انا سيدة متزوجة اختفى زوجى منذ خمسة اعوام او يزيد ، ولا اعلم مكانه ، ولا يراسلنى ، ولا ادرى احى هو ام ميت ، وانا لا ازال فى ريعان شبابى ، واخشى على نفسى من الانحراف ، فهل يجوز لى ان اتزوج زواجا عرفيا دون اللجوء إلى الطلاق ام لا ؟ وماذا افعل ؟

جـ : بما أن زوجك لايعرف مصيره ، ولا فى اى مكان هو ، ولا يراسلك ، وقد مضى على اختفائه خمسة أعوام أو يزيد ، وأنت مازلت فى ريعان شبابك وتخشين على نفسك من الانحراف والانغماس فى أوحال الرذيلة ، فإنه يجوز لك شرعا أيتها الأخت المسلمة أن ترفعى أمرك إلى القضاء فالقاضى ولى من لا ولى له ، وبعد أن يقوم بدراسة حالتك سيصدر حكما بطلاقك ، وبعد انقضاء عدتك لك أن تتزوجى بمن شئت ، واعلمى أنه لايجوز لك أن تتزوجى زواجا عرفيا

من غير أن ترفعى أمرك إلى القضاء ليصدر حكمه بالطلاق ، وإلا كان زواجك باطلا ويعتبر زنا وهو من الإثم بمكان كبير .

طلاق المكره لايقع

● س : ما راى الدين فى طلاق المكره ، حيث انه لو لم يستجب لمن اكرهه لاوقع به ضرراً عظيماً ؟وهل يجوز له ان يراجعها علما بأن الطلاق الذى صدر منه كان «بالثلاثة » ؟

محمود ا ح ـ سوهاج

ـ جـ : اتفق الفقهاء على أن الزوج البالغ العاقل المختار هو الذى يجوز له أن يطلق وأن طلاقه يقع ومن اكره على الطلاق لايقع طلاقه لأن المكره لا إرادة له ولا اختيار ، وهو فى الواقع ينفذ إرادة المكره ، فقد روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » أخرجه ابن ماجه وابن حبان ، والدارقطنى ، والطبرانى ، والحاكم ، وإلى هذا ذهب مالك والشافعى وأحمد وداود من فقهاء الأمصار وبه قال عمر بن الخطاب وابنه عبدالله ، وعلى بن أبى طالب وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ أجمعين وذلك خلافا للإمام أبى حنيفة وأصحابه فإنهم قالوا بوقوع طلاق المكره ، وعليه فإن هذا الرجل الذى طلق زوجته ثلاثا فى مجلس واحد تحت تأثير الإكراه لايكون طلاقه واقعا على ماذهب إليه جمهورالفقهاء وعلى القول بوقوعه عند أبى حنيفة فإنه يعتبر طلقة واحدة رجعية من الناحية القانونية ما لم تكن مكملة للثلاث فله أن يراجعها قبل انقضاء العدة فإذا انقضت العدة قبل المراجعة صار الطلاق بائنا بينونة صغرى بمعنى انه يعقد عليها من جديد بعد أخذ موافقتها

الاسلام لايمنع المرأة من تولى الوظائف

● س : ما راى الإسلام فى ممارسة المراة للوظائف العامة ؟

منى عبدالمجيد ـ المحلة

جـ : الشريعة الإسلامية لاترى مانعا من أن تعمل المرأة فى الميادين التى تستطيع أن تعمل فيها وتؤهلها لها كفاءتها ومواهبها الفطرية وتكوينها الانثوى كالطب والتدريس والتمريض لتزاوله مع بنات جنسها ، وكل مايطلب من المراة حال اختلاطها الضرورى بالرجال ، ومباشرة بعض الأعمال التى توكل إليها هو البعد عن التبرج وكل ما من شأنه أن يثير الفتنة محافظة على أخلاق المجتمع وحرصا على كرامة المراة نفسها ، وعلى أن يكون ذلك بموافقة زوجها .

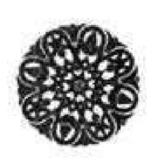

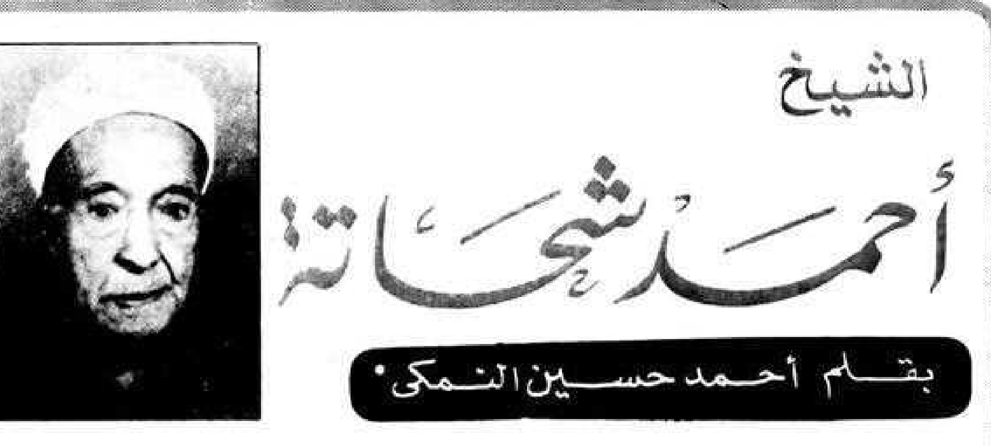

ولد هذا العالم الجليل بمدينة جرجا إحدى مدن الصعيد ، التابعة لمحافظة سوهاج ، عام ١٨٩٠م ، حفظ أحمد شحاته القرآن الكريم ولم يتجاوز الحادية عشرة ، وكان ذلك على يد والده الشيخ شحاته ، وكان والده يعمل محفظاً للقرآن الكريم ، وكان على درجة عالية من الفقه والعلم ، من ثم نشأ ابنه محباً للعلم ، لا سيما العلوم والدراسات الإسلامية .

بدأت علامات النبوغ والذكاء تبدو على الشيخ أحمد شحاته فى حبه للاطلاع والدرس ، وحفظ المتون والمنظومات فى دراسة وتجويد القرآن ولا سيما أن عصره كان عصراً مليئا بهذه المنظومات التى تقوم بتلخيص العلوم فى قوالب وأشعار تعليمية ، حتى إن الشيخ أصبح علما فريداً فى ذلك[1] .

ظل الشيخ أحمد شحاته بمدينة جرجا يتلقى على شيوخها علوم الدين والدنيا ، وكان من شيوخه الشيخ محمد بن حامد المراغى ، وكان آنذاك شيخ عصره ، وله العديد من المؤلفات فى علوم الدين والتفسير والحديث والفقه ، والقراءات والتاريخ والأدب ، ومن هذه المؤلفات ثلاثة كتب (مجلدات) عن تاريخ مدينة جرجا[2] تحت عنوان : تعطير النواحى والأرجاء بذكر من اشتهر من علماء ، وبعض أعيان جرجا » . وكان شيخنا أحمد شحاته تلميذاً لهذا العالم الجليل المراغى . والجدير بالذكر أن المراغى هذا من أقرباء الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر .

لم يرد أحمد شحاتة أن يكتفى بما حصله من علم على يد علماء جرجا ، فقد كان يطمح أن يصل إلى الذروة ، ويشعر أن ما حصله لم يعد كافياً لأن يركن إليه . لذا قرر السفر إلى الجامع الأحمدى بطنطا ، وهناك حصل من علم القراءات وعلوم القرآن بصفة عامة ، وعلى الرغم من ذلك أراد أن يختم طوافه بالدراسة فى الأزهر

* الكاتب : ماجستير فى التاريخ الإسلامى .

(١) توجد منظومات عديدة للشيخ فى علم تجويد القرآن ، والقراءات ، ولم تزل هذه المنظومات خطية تحتاج إلى من يحققها .

(٢) توجد هذه المجلدات مخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم : ١٠٦٤٩ ، ٣٥٠٩٦ ، ٤٧٩١٢ .

بالقاهرة . ورحل إلى هناك ومكث وتعلم ودرس على يد الكثيرين من علماء الأزهر الشريف . فدرس الأدب والنحو والصرف وعلوم اللغة والتفسير والحديث ، والأصول ، والفقه وغير ذلك . ثم عاد إلى جرجا ليجد أمامه مرة ثانية الشيخ المراغى الذى ظل تلميذا له حتى توفى الشيخ المراغى .

ومما ذكره الشيخ أحمد شحاته فى ديوانه[3] أن المراغى موسوعة علمية ، وله باع طويل فى العلم ، فقال :

نمقت راحتاه خمسين سفراً
كل سفر يطوى هدى واعتبارا
ويعلم التاريخ كان فريدا
مثلما كان فى الثوى[4] لا يبارى

حصل أحمد شحاته على إجازة بخط الشيخ المراغى وختمت بخاتمه يجيزه فى جميع مروياته[5] . وكان هذا الحبر الجليل عالما كبيراً فى فقه المالكية ، وتشير الإجازة إلى شهادة الأستاذ للتلميذ بتمكنه فى الفقه المالكى ، وشهادة أخرى بعلمه وأدبه .

ولما توفى الشيخ المراغى أحس الشيخ أحمد شحاته كأن الدنيا قد تغير لونها ، وكأنها قد خلت من العلماء ، فقال فى رثائه :

هات ياعين دمعك المدرارا
واسبقى فى مسيلك الأنهارا
وإذا جفت الدموع فهات
من مآقيك كالعقيق احمرارا
واترعى يانفوس علقم حزن
وانفثى ياضلوع فيك جمارا
وتفتت من الأسى يافؤادى
فلقد عضك الزمان مرارا
فعلى[6] من نحو عامين ولى
وتلاه ابن نوفل[7] فتوارى
بعده حافظ[8] ووالاه مولا
نا المراغى[9] فما وجدنا اصطبارا
فعجبت للتبر يدفن فى التر
بِ ولكن لا نغلب الأقدارا
فاهجعى ياصحائف العلم دهراً
إن حبر العلوم للقبر صارا
وَ احَدِيثَ الرسول فابك هماما
كان يوليك همه واقتدارا

وعلى اية حال ، كان الشيخ أحمد شحاته شاعرا نابغا ، ولا سيما فى نظم الشعر التعليمى ، حتى إنه ترك العديد من المنظومات التى كان يعتمد عليها تلاميذه الدارسون للقراءات ، والتجويد ، والفقه ولازالت هذه المنظومات مخطوطة[10] ، ومما هو جدير بالذكر أن هذا الرجل كان عاشقاً للكتابة ، بيد أنه لم

---

(٣) لم يزل هذا الديوان مخطوطا بيد الشيخ ، ونعده للتحقيق والنشر .

(٤) الثوى : ثوى بالمكان يثوى بالكسر (ثواء) ، و(ثويا) مضى أى أقام به . « مختار الصحاح ، ص ٩٠ مادة ثوى » .

(٥) هذه الإجازة لدى صورة منها حصلت عليها من الشيخ محمد الطاهر أحمد شحاته . ووجدناها ضمن مخطوطات مبعثرة فى مكتبة الشيخ . ووجدنا إجازة أخرى بخط يد الشيخ أحمد شحاته لأحد تلاميذه الذين أتموا قراءة المصحف على يد الشيخ بعد دراسة القراءات العشر ، والأربعة الشواذ كذلك ولكن يبدو أن صاحبها لم يحصل عليها ، ولا ندرى سر بقائها لدى الشيخ وحرمان صاحب منه .

(٦) على : هو الشيخ على الملوك ، أحد الشيوخ الذين تلقى عنهم أحمد علم القراءات،ويقال:إن على الملوك لم يعلم غير قراءة ورش ، ثم تدور الأيام ويتعلم أحمد شحاتة القراءات كلها بشواذها ، ثم يعلم أستاذه بطلب منه ما تعلمه تلميذه أحمد من القراءات .

(٧) نوفل : هو الشيخ إبراهيم نوفل ، وابنه محمود نوفل ، وكانا من أكابر العلماء الصوفية بجرجا .

(٨) حافظ : أحد شيوخ أحمد شحاتة .

(٩) هو محمد بن محمد بن حامد المراغى .

(١٠) وجد منها بعض نسخ مطبوعة ، ويبدو أن ذلك كان تيسيراً لطلابه .

من اعلام الأزهر

أحمـــد شحاتـــة

يفكر إطلاقا لأن ينشر ما يكتب ، ولكنه فى نفس الوقت لم يكن ليتراجع لأن يراسل الصحف او المجلات العلمية التى نشرت له بعض مقالاته فى الرد على الذين نادوا بكتابه المصحف الشريف على الرسم العصرى[11] .

كان الشيخ احمد جريئا قويا فى الحق ، وكانت علاقاته الشخصية لا تمنعه من الرد على كل من يتصدى لقراءة القرآن وتجويده ، ثم يلحن فيه ، وإن كان ذلك من أقرب المقربين . وروى انه كان يذهب إلى السهرات الليلية فى الاحتفالات الكبرى يستمع إلى الشيخ القارىء ، فإذا ظل الشيخ احمد شحاته إلى آخر السهرة ، فإن ذلك معناه أن الشيخ كان راضيا عن قراءة الشيخ « القارىء » ، وحينئذ ينال القارىء إعجاب الناس لأنهم ادركوا بمعرفتهم عن هذه الميزة التى يتميز بها الشيخ احمد شحاته على كل علماء القراءات فى بلده ، وكذلك علماء تجويد القرآن انه نال إعجاب الشيخ احمد شحاته .

احمد شحاته شاعراً :

كان الشيخ احمد شحاته له شعره الجيد ، حتى إن القارىء إذا قراه علم أن كاتبه شاعر مطبوع ، لا يتكلف فيه ، وإلى جانب اهتمامه بالشعر التعليمى كان مهتما بالشعر « مديحاً - ورثاء » - وهجاء - وشعرا صوفياً » وله ديوان ضخم يعطينا فيه صورة واضحة عن عصره ومجتمعه .

كان شعره يأخذ طابعا مميزا ، فلا غرابة فى اللفظ ولا غموض فى المعانى ومع ذلك كان شعره يذخر بالصور والتراكيب ، وكان شعره نابعا عن صدق فى الإحساس وتجربة وجدانية لا افتعال فيها ، وإذا قرانا مرثيته فى الشيخ محمد سليمان التى يقول فيها :

ياواعظا صدقت فى الوعظ همته
فطاب غرسك أن طابت نواياكا[12]
نشرت علمك لا تبغى المراء به
حتى قمعت بسيف الحق افاكا
وقمت بالوعظ بالحسنى فكان له
زهر القبول ومرعيا بسقياكا
ياأيها الواعظ المحبوب تكرمة
قد صغتها فيك تقديرا لمعناكا
سر باسمى شفيع الخلق مغتبطا
مهما بعدت ففى الأفكار مرآكا

هنا نجد حلاوة المعانى والصور ، وصدقا فى التعبير ، فإنه لم يكتب الشعر من أجل العطايا والنوال وإنما كان يكتب شعره تحت لحظات تأثر ، وفى مواضع اخرى نجد الشيخ أحمد شحاته يعبر عن رأيه السياسى ، حتى إنه عرض نفسه للسجن والمساءلة اكثر من مرة ، مما جعله يفصل من عمله ، وحورب فى لقمة عيشه ، وعمل محفظا للقرآن حتى لا يخضع فى رأيه لضغوط الحكام ، وتوفى الشيخ أحمد شحاته إلى رحمة الله تعالى فى ١٨/٧/١٩٧٢م وترك لنا تراثا يحتاج للتحقيق ، فهل من معين ؟!

(١١) راجع ردوده فى مجلة الإسلام عدد ١٦ ، يوليو ، ١٩٣٦ م ص ١٤ - ١٦ وأعداد أخرى من نفس المجلة .

(١٢) نوايا : جمع نواة ، والشيخ يريد هنا النية التى جمعها نيات ، وليست نوايا ، وفى الحديث الذى رواه البخارى يقول : « انما الأعمال بالنيات .... » « البخارى جـ ١ ص ٩ »

تقديم/ عادل خفاجة

زائر من سنكيانج

حَلَّ - بمصر ضيفاً كريماً - الحاج محمد صالح - مدير المعهد الإسلامي ونائب رئيس المجمع العلمى للأبحاث الدينية بسنكيانج - بجمهورية الصين الشعبية - قادماً منها ، تلبية لدعوة مصر ؛ للاشتراك في الاحتفال بالمولد النبوى الشريف .

وقد حظى بتكريم السيد رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك ؛ الذى منحه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في السابع من شهر ربيع الأول من هذا العام

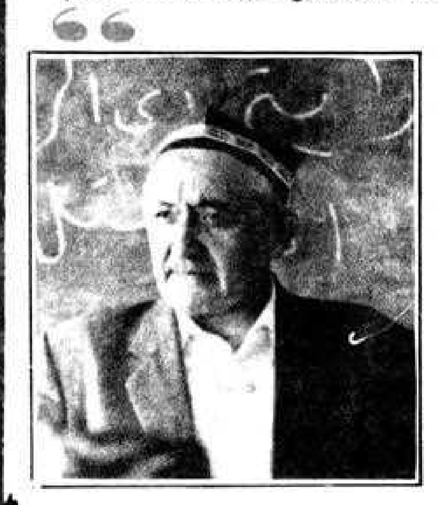

وقد هيأ الله لنا فرصة للقائه فاغتنمناها بغية التعريف بإخوة لنا شرح الله صدورهم إلى الإسلام من قديم ، وتعريفاً به ، قال فضيلته :

- إنه يعمل مديراً للمعهد الإسلامى بـ(سنكيانج) بمدينة (اورومتشى) بجمهورية الصين الشعبية .
- حفظ فضيلته القرآن الكريم عندما بلغ سن الحادية عشرة ، ثم شرع في تعلم اللغة العربية على يدى والده - رحمه الله - الذى كان عالماً كبيراً من علماء بلده .
- ثم التحق بمعهد العلوم الإسلامية بالعاصمة الصينية « بكين » .

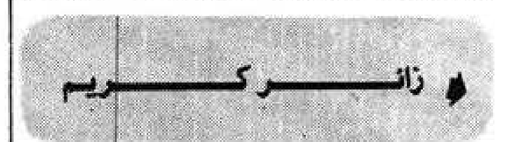

● ثم عمل باحثاً بمعهد العلوم الاجتماعية .

● فمديراً للمعهد الإسلامى الذى يعمل استاذاً فيه لمادتى : الحديث والتفسير .. وغيرهما من العلوم الإسلامية والعربية . ومن أعماله :

● ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الأيغورية .(١)

● وترجمة « جواهر البخارى بشرح القسطلانى » وهى سبعمائة حديث مختارة من صحيح البخارى لفضيلة الشيخ عمارة .

● وترجم « نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين » تأليف محمد بك الخضرى التى تنشرها تباعاً وحالياً مجلة الأزهر .

وقد طبع من كل من هذه الأعمال مائتا ألف نسخة ، لاقت إقبالاً كبيراً من المسلمين فى الصين .

● وله أيضاً تفسير جزءى « عم » و« تبارك » طبع منهما سبعون ألف نسخة .

● وانتهى مؤخراً من إعداد معجم « عربى - أيغورى » مازال تحت الطبع .

وسألته عما إذا كان قد زار مصر من قبل ؟ .

فأجاب : « كم كنت مولعاً أن أدرس فى مصر ، وفى الجامع الأزهر ، ولكن لم تتح لى هذه الفرصة ، وهذه أول مرة أزور فيها بلد الأزهر » .

وعما إذا كان يوجد « مفتى » فى الصين يضطلع بأمور المسلمين هناك ؟

قال فضيلته : لا يوجد مفتى فى الصين ، بل هناك جمعيات إسلامية تشرف على جميع القضايا الإسلامية ، وهناك إدارات دينية حكومية إقليمية تتبع الإدارة المركزية . كما أننا - فى الصين - لا يفوتنا أن نحتفل بالعيدين ومولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى البيوت وفى المساجد ، وفى مولده - صلى الله عليه وسلم - يقرأون « الختم الصغير » ، وهو بعض آيات من القرآن الكريم ، ثم يقرأون (المولد النبوى) للبرزنجى « باللغة العربية » . كما يقرءونه فى مناسبات دينية أخرى ..

● وعن شهر رمضان .. قال فضيلته : إنهم فى بعض المساجد يحرصون على تلاوة القرآن الكريم كاملاً موزعاً على الشهر كله فى صلاة التراويح ، وهم يصلونها عشرين ركعة ، وأضاف : إن المذهب السائد هناك هو المذهب الحنفى .

ثم انتقل حديثنا إلى معهد العلوم الإسلامية ، الذى يشرف عليه فضيلته ، ويضطلع بإدارته ، فقال :

● « معهد العلوم الإسلامية» بمنطقة سنكيانج » بمدينة « أورومتش » هو المعهد الوحيد من هذا النوع فى المنطقة ، وقد أنشىء حديثاً سنة ١٩٨٧ م أى منذ أربع سنوات ، وحظى باهتمام بالغ من الشباب ، فالتحق به فى العام الأول تسعون طالباً ، ونسعى إلى توسعته .

● مدة الدراسة بالمعهد خمس سنوات (بعد الثانوية) .

● ويهتم المعهد بتخريج أئمة المساجد ، والعاملين بالتدريس فى المدارس الإسلامية المحلية .

● تقام بالمعهد دورات تدريبية - على فترتين - لأئمة المساجد ، مدة كل منهما خمسة أشهر لكل دورة .

● وبالمعهد مكتبة أنشئت حديثاً تضم العديد من الكتب الإسلامية والدراسية والثقافية .

(١) اللغة الأيغورية : هى اللغة الشائعة بين أهل سنكيانج ، وهى لهجة من اللغة التركية (مجلة الأزهر) .

المواد الدراسية بالمعهد:

وعن المواد الدراسية قال : يدرس الطلاب (اللغة العربية ـ والنحو والصرف ـ وعلوم البلاغة والفقه ـ وأصول الفقه ـ والحديث وقواعده والتفسير ـ والتوحيد والقراءة والتجويد ـ والتاريخ الإسلامي) ، بالإضافة إلى المواد الثقافية مثل اللغة الصينية ـ والجغرافيا ـ والتاريخ .

ويقيم الطلاب بالمعهد إقامة دائمة ؛ حتى تتوافر لهم فرصة التحصيل الجاد ، وتتولى الحكومة دفع الرواتب وجميع نفقات الدارسين .

طريقة تدريس اللغة العربية لأبناء الصين :

وقال فضيلته : إن اللغة العربية هى أشرف اللغات ؛ لأنها لغة القرآن الكريم ، ولغة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولذلك يجب على كل من أراد أن يتعلم العلوم الدينية أن يتعلم اللغة العربية أولاً .

أما عن طريقة تعليمها ، فإنا نعتمد على الطريقة المتبعة ، وهى تعليم الحروف الهجائية فى (الكتاتيب) ، عن طريق تدريس كتاب [قاعدة بغدادية] ، وعن طريقه يتعلمون القراءة أيضاً ، ويشتمل الكتاب نفسه على جزء « عم » والكتاب يطبع فى الصين والهند وباكستان .

كذلك نقوم بتدريس العربية بطرق حديثة .

وتدرس مادة التوحيد من كتاب « التوحيد » للإمام محمد عبده ، بالإضافة إلى دروس التجويد التى تدرسها بعض الجامعات الإسلامية .

وفى الأدب تم إضافة الأدب العربى الحديث إلى جانب الأدب العربى القديم ، ويحصل الطالب ـ حالياً ـ على شهادة تفيد تخرجه ، فأما فى الماضى فلم يكن للطلاب امتحان بل ثمة حفل تتم فيه إجازة الطالب ، كما كان الحال فى الأزهر قديماً .

ومضى يتحدث عن والده فقال :

كتب والدى ـ رحمه الله ـ قصيدة يحثنى على حفظ (الفية ابن مالك) ، كان مطلعها :

مسائل النحو فى الفية جمعت
فيها قواعد ما من غيرها سمعت
محمد قد تسمى باسم جامعها
فذا دليل على عليائه ارتفعت

وكذلك كتب ـ رحمه الله ـ قصيدة أخرى يشجعنى فيها على تحصيل « هداية النحو » وكان مطلعها :

هداية النحو ضاعت من مسائلها
عقول أهل العلا والفضل والأدب
لا سيما منهموابنى ذا محمد السد
باق فى الجد والإخلاص والطلب .
ابقاه ربى مدى الأيام مرتدياً
بحلة العلم فينا عالى الرتب

قلت لفضيلته : يبدو أن والدكم ـ رحمه الله ـ كان شاعراً مُجيداً ، فأجابنى مبتسماً : كان شاعراً نحريراً ، وكان عالماً من علماء بلده ، حضر ضمن الوفد الصينى الذى زار مصر عام ١٩٥٥ ، وقال قصيدة عن مصر اذكر منها هذه الأبيات :

وما مصر إلا جنة عبقرية
تجلت بأنوار الهدى والمعارف
فأعجبنا الأهرام فيها وسرنا
لقاء الكرام الأتقياء الأشارف
نحارير سباقون فى العلم والهدى
فأكرم بها من كل هادٍ وعارف

ثم استطرد قائلاً : لقد تألمت كثيراً لوفاته ، ورثيته بأبيات منها :

كنت أشكو الفراق إذ أنت حى
كيف لى الصبر فيك بعد وفاة

زائـــــر كـــــريم

قد تركت ابنك الحزين غريباً
في بحار (الحموم)[1] والحسرات
نوّر الله تربة أنت فيها
وسقاها بوابل الهاطلات
من رضاء ورحمة ونوال
وصنوف الاكرام والنعمات
يجمع الله بيننا يوم حشر
في رياض الفردوس والجنات

فقلت : يبدو لي أن فضيلتكم محب للشعر ، فبادلني قائلاً : « من شابه أباه فما ظلم » . ثم استطرد قائلاً : « لقد ألقيت قصيدتين بين يدي العاهل المغربي الملك الحسن الثاني » .

كان مطلع الأولى :

جئت من أقصى بلاد الصين إذ
كنت مشغوفاً بحب المغرب
إنني جئت لألقى إخوة
رحبوا بي كالشقيق الأقرب

ومطلع الثانية :

فيض الدموع على الخدين هتان
من لوعة الحب قلبي اليوم ولهان
ارنو إلى المغرب الأقصى المحبب إذ
تأججت في فؤادي منه نيران
هواك يلهمني شعراً فيعذب لي
به غناء وتغريد وألحان

وعندما حضرت إلى مصر كتبت قصيدة « تحية المولد الكريم » وهي قصيدة في مدح الرسول الأعظم ، جاء فيها :

بَسَمَ الزمان بمولد المختار
والكون أشرق ليله كنهار
نجم تلألأ في دياجير الدجى
بدر تألق في سماء فخار
تهفو القلوب مدى الزمان إلى هدى
الهادي الشفيع السيد المختار
والله شرف قدر خير الأنبيا
فوق السماء علاه والأقمار
أوصافه الغر الحسان مضيئة
كالشمس تشرق في انتصاف نهار
كم من ليال عاشها متفرداً
متقربا متعبداً في الغار
قد قام فيهم داعيا يدعو إلى الـ
توحيد والإخلاص والإيثار
نشر الفضيلة والعدالة والهدى
ومحا الظلام بساطع الأنوار
من يتبع هُدَى الرسول فإنه
يحظى برضوان الإله البارى
يامصر ياخير البلاد ومنبع الـ
عرفان والفضلاء والأخيار
قدمت للإسلام أعلام الهدى
ياموطن العلماء والأبرار

قلت لفضيلته : يبدو أنكم تبذلون جهداً في التدريس بالمعهد ـ فضلاً عما سبق ، قال :

« إنني أدرس التاريخ الإسلامي والأدب العربي أيضاً ، وإن كان واجبي خدمة العلوم الإسلامية أولاً ، يشجعني ويدفعني إلى ذلك الحديث النبوي الشريف :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

(١) لعله يقصد الهموم .

الشعرُ والشعراء

رشاد محمد يوسف

إن ربك لبالمرصاد

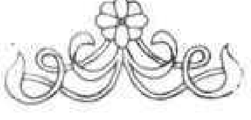

ألم تستشق من فكرك المضيء حسامًا

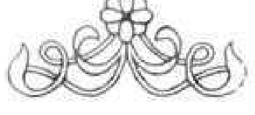

أيها الإنسان

إن ربك لبالمرصاد

للشاعر المصرى

السيد الصديق حافظ

قد يبتلى اللهُ الشعوبَ إذا طغَتْ بالظالمين !
سيفاً يُجرِّدُهُ على أعناق قومٍ فاسقين !
حتى إذا فرحوا بما أوتوا مَضَوْا فى الهالكين !
فكلاهما - الجلاد والمجلود - بالسُّوءى قمين[1] !

***

الشعب يصنع كُلَّ طاغيةٍ وصدَّامٍ مهين
ويعود يصرخ من مظالمهم فلا يجد المعين !
والناس إن صَلَحَتْ وُلاتُهُمُو اقاموا صالحين !
فإذا تولى الأمرَ شيطانٌ تَوَلَّوْا مفسدين !

***

شعب «العراق» بما جنى «الهدَّام» مأخوذٌ رهين !
قد فرطوا فى جنب خالقهم فمزَّقهم عِزِين[2] !
إن القرى إن اسرفت أُخِذت بذنب المترفين !

***

ما كان «صدَّام» ليصدم وحده تلك السنين
فَلَقَلَّمَا[3] يَقْوَى الطغاةُ بغير عون المجرمين !
القاسطين ويحسبون نفوسَهم فى المقسطين[4]
مردوا على مرض التعالى واهتضام الآخرين !

---

(١) قمين = جدير بها واهل لها .

(٢) فرقهم «عزين» «عن اليمين وعن الشمال عزين» اى جماعات .

(٣) قلَّ ما = اى من القليل جداً .

(٤) القاسطون = الظالمون

المقسطون = العادلون مردوا = اعتادوا . اهتضام = ظلم .

امتشق حرفك المضيء حساماً

شعر أحمد محمود مبارك

كيف تغضى عن فتنة وبلاء وتجنى الأعداء والعملاء
ووجوه يُخْفِى وداد كذوب حِقْدُها السارى فى كرات الدماء
ويوارى قناعها ظلمات قد كساها الخداع ثوب الضياء

*

قد تعالى فى ساحة الحرف صوتٌ يتباهى باللُّكْنَةِ الشوهاء
ويشيع الغثاء فى أفق الفكر ويرمى بالغيم وجه الصفاء
يطعن الضاد والتراث ويزرى بعطاء الأجداد والآباء
ويبث التغريب سما زعافا فى يراع الكتاب والشعراء
يدعى أنه يريد جديدا وخلاصا من ربقة القدماء
وجديد الدَّعِىِّ غَثٌّ قمىءٌ وخليق بجفوة وازدراء

*

بَدِّدِ الغيم يايراعا أصيلا بالجديد الجدير بالاحتذاء
من جذور الصلاح والخير ينمو ثابت الأصل، سامقا فى السماء
عربى السمات ليس مريبا وَصَمَتْهُ ملامح الغرباء
شامخا يزدهى بأصل عريق لا يعانى مذلة اللقطاء

*

ها هى الضاد حولها ألف وغد بيديه أسنة البغضاء
والتراث المجيد قد حاصرته بدهاء جحافل الضراء
اشرع الحرف يا يراعا جسورا بقصيد مؤجج بالفداء

افتد الضاد إنها لغة القرآن من كل هجمة واعتداء
وادفع الكيد عن تراثك واكشف ما يحيكونه له فى الخفاء
وامتشق حرفك المضىء حساما فى سبيل الشريعة الغراء

أيها الإنسان

للشاعر
محمد عبد الرحمن صان الدين

ايهـا الإنسـان مـاذا تبتغـيـه مـن حـيـاة
حسنـهـا الخـلاب وهـم مثـل آل فـى فـلاة
خلفـه المخـدوع يعـدو لاهثـا ظامـى اللهـاة
يقحـم المحظـور والأشـواك فـى تـيـه الشتـات
ثـم يمضـى خـاوى الكفيـن فى غيـب الوفـاة

★★★

يـاتـرى هـل انـت صيـد فى الدنـا أم انـت شِصّ
يـاتـرى هـل انـت مسـروق بهـا أم انـت .. لِصّ !
هـل مـع الأحـداث صلـب شائـك أم انـت رَخْص
هل بسـفر الدهـر معنـى عابـر أم انـت .. نص
انـت مهمـا كنـت تبـدو فـى كمـال .. فيـك نقـص

★★★

كـم تـوارى الحـق عنـا فـى غيابـات الظنـون
هـاجس الحوبـاء[1] فينـا هـز اركـان اليقيـن
آفـة فـى النـاس كانـت لوثـة العقـل الرصيـن
كيـف يجـرى فـوق مـوج عـارم خـاوى السفيـن
ليـس يشـفى القلـب منهـا فـى حنـو غيـر ديـن

---

(١) الحوباء = النفس .

العلوم الكونية

التوجيه الإسلامي للعلوم ضرورة حضارية

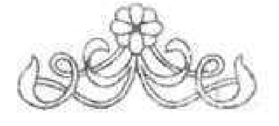

حقائق وآراء علمية حول كوكب المريخ

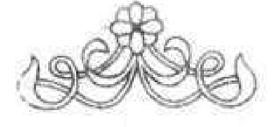

الجديد في العلم والتقنية

التوجيه الإسلامي للعلوم

ضـــرورة حضـــاريـــة

أ . د . أحمد فـؤاد باشـا

كثيراً ما يبدى أصحاب النزعة «العلمانية» عدم ارتياحهم للربط بين العلم والإسلام ، وهم يجدون مثلهم الأعلى في حضارة الغرب المادية التي روجت الاعتقاد بأن الانفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة ، وأن العلم بفروعه المختلفة لا يمكن إلا أن يكون «علمانيا» . لقد أدى هذا الاعتقاد الخاطىء في بلاد المسلمين إلى حالة من الركود العلمي شلت في ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار ، ولم يعد أمامنا الآن سوى الأخذ بالمنهج الإسلامي الرشيد في توجيه العلوم وتقنياتها ، فمثل هذا المنهج الرباني المتكامل هو الأقدر على تحقيق مستقبل أفضل للإنسانية ، تراعى فيه مصلحة الإنسان في كل مكان وزمان ، بغض النظر عن فوارق اللون والجنس والعقيدة . وليس هناك من شك في أن مثل هذا التصحيح الإسلامي لواقع الفكر الإنساني المعاصر سوف يكون له أجل الأثر في تصحيح وجهة العلوم وتقنياتها لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا مادرسوا الإسلام في حقائقه ، واستفادوا منه في إصلاح شئون حضارتهم . وعندئذ يكون التفكير العلمي لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقة بوصفه بحثا موضوعيا نزيها عن الحقيقة الخالصة أينما وجدت ، والإفادة منها فيما يعمر الحياة وينفع الناس ويعمق الإيمان بالله سبحانه وتعالى على هدى وبصيرة .

(*) الكاتب : أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة ، والمقال بمناسبة المؤتمر الذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر ، وفي رحابها عن « التوجيه الإسلامي للعلوم » .

معنى العلم وخصائصه فى الإسلام:

الأصل فى معنى لفظ «العلم» عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء ، وهو معنى مطلق غير مقيد بتخصيص معين . أما تصنيف العلوم إلى نقلية وعقلية ، أو نظرية وتجريبية ، أو شرعية وطبيعية وإنسانية ، أو غير ذلك ، فهو يضفى صفات تعبر عن موضوعات العلم أو مصادره أو الطرائق التى يحصل بها بحسب تناسبها وقرب بعضها من بعض . والعلوم التى يحث الإسلام على تحصيلها والاستفادة منها تشمل كل علم نافع يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح الموصول بالله الخالق سبحانه وتعالى ، ويمكّن ذلك الإنسان من القيام بواجبات الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ، يستوى فى هذا أن يكون العلم دينيا أو دنيويا ، مادام فى خدمة رسالة الإسلام ولصالح الحياة والإنسان . وإطلاق لفظ العلم جائز فى قوله تعالى :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1] ، كما ورد تحديد العلم النافع فى دعائه عليه الصلاة والسلام : « اللهم إنى أعوذ بك من أربع : من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع»[2] ومقياس النفع هنا ليس ذلك المعيار الفردى الذى نراه فى الفلسفة «البراجماتية» ، وخاصة عند «وليم جيمس» ، وإنما هو صالح مجموع الأمة الإسلامية وإقامة أمر الدين الإســلامى ، فمصلحة الأمة وقيام أمر الدين صنوان لا ينفصلان .

وتأكيد هذا المعنى الإسلامى للعلم نورده هنا لإظهار مدى القصور فى المفهوم الشائع عن العلم فى مختلف الفلسفات الوضعية عندما يقصد به فقط الاعتماد على الملاحظة والتجربة بغرض التوصل إلى قوانين عامة تفسر اطراد الظواهر المادية التى يحاول الإنسان دراستها ، وغالبا ما ينصرف الذهن حينئذ بصورة كلية إلى ما يطلق عليه «العلم الطبيعى» Natural science ذلك أن العلم من المنظور الإسلامى يكون شاملاً لقسمين رئيسيين من العلوم الجزئية هما :

١ - العلوم التى لا يمكن للمسلم إلا أن يتلقاها من مصدر ربانى ، وهى العلوم المتعلقة بالعقيدة والقيم والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية ونظام المجتمع والمصدر الرئيسى لهذه العلوم هو ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

٢ - علوم البحث فى ظواهر الكون والحياة ، وهى التى يظهرها الله سبحانه وتعالى على أيدى من يشاء من عباده عن طريق البحث المنهجى السليم فى عالم الشهادة[3] ، فيهتدى الإنسان إلى هذه العلوم بمداركه البشرية التى أنعم الله بها عليه ليبصر طريق المعرفة الصائبة ويفتح مغاليق الحضارة ، على أن تظل هذه العلوم الكونية فى عالم الشهادة دنيوية بعلاقاتها مع الأشياء ، وتعبدية فى نفس الوقت لصلتها بالخالق الواحد جل وعلا .

فريضة طلب العلم فى الإسلام:

فى ضوء هذا المعنى الشمولى للعلم الإسلامى الذى ينبغى على الأمة الإسلامية أن تحصله ، وأن تعلمه أبناءها ، لا نجد مبرراً لما يتردد أحياناً فى مجال الحديث عن العلم من تفرقة بين ما هو

(١) سورة طه : ١١٤

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٣) راجع فى ذلك : عبدالحليم الجندى ، القرآن والمنهج العلمى المعاصر ، دار المعارف ١٩٨٤ .

التوجيه الإسلامى للعلوم

فرض عين وما هو فرض كفاية . ذلك أن «الفروض العينية» فى الاصطلاحات الشرعية تعنى أنها واجبة على كل فرد بعينه ، له مثوبتها إن قام بها ، وعليه عقوبتها إن تركها أو فرط فيها ، كما أن معنى «الكفائية» فى المواضعات الفقهية ما أثيب عليها فاعلها ، ولم يعاقب عليها تاركها ، بشرط أن يوجد فى الأمة الإسلامية من هو قائم بها ، ساد مسد غيره فيها . أما إن لم يوجد من يقوم بها فإن التبعة عامة ، والمسئولية شاملة لكل أفراد الأمة المتأهلين لها بخلوهم من الموانع وسلامتهم من العوائق[٤] فالواجبات الكفائية تتطلب من الدولة أن توفر العدد الكافى من المؤهلين للنهوض بها كأحسن ما يكون الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة . وفرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب ، أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين ، وعلى من كلف به أن يستفرغ الوسع لإتمامه[٥] . وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانات التى سخرها الله فى الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين ، فإنها تكون قد قصرت فى أداء الأمانة أيما تقصير ، والأمة التى تعطل أداء فريضة إسلامية واجبة هى أمة تلقى بأيديها إلى التهلكة .

ارتباط العلم بالإيمان فى الإسلام:

وتأسيسا على هذا التصور الإسلامى لمعنى العلم ومكانته فى الإسلام يكون البحث العلمى مرتبطا دائما بإرادة الله سبحانه وتعالى التى تكفل لنا استمرارية السنن الكونية لنراقبها وندركها وننتفع بها فى حياتنا ، بعد أن نقف على طبيعة علاقاتها ونستدل بها على قدرة الخالق ووحدانيته ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[٦] . وهذا من شأنه أن يجعل الطريق مفتوحا دائما أمام تجدد العلم وتطوره ، على أن تظل العلاقة بين إرادة الله واطراد سننه واضحة جلية ، يفسر بها المؤمنون كل ما لا يقوى العقل البشرى على استيعابه من قضايا الغيب والمعجزات التى أخبر بها الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم أو جاءت على لسان نبيه الأمى الصادق الأمين . والباحث المؤمن الموصول بربه هو الذى يبحث فى اطمئنان ونقاء عن محور الوحدانية فى الوجود بأجمعه لأنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق المطلق ، وهو مصدر كل الحقائق الجزئية التى أمرنا بالبحث عنها واستقرائها فى وحدة النظام بين الظواهر الكونية المختلفة . ومن ثم فإن هذا الباحث المسلم سوف يجد فى نفسه دافعا أقوى مما يجد سواه نحو بلوغ تعميمات أو قوانين علمية من مجموعة محددة من الوقائع ، إيمانا منه بأن كل ما فى الكون من قوانين مستمد من إرادة الله ومتوقف عليها . وهذا لا يتوفر مثلا لباحث آخر ينطلق فى تفكيره من مبدأ « الحتمية » الوضعى الذى يفترض أن صدق أحداث الكون مستقل عن الزمان والمكان على نحو ما تؤكده قوانين الحركة والجاذبية لنيوتن ، ثم يكون عليه أن يبحث عن مبدأ جديد ينطلق منه فى تفكيره عندما ينتقل العلم إلى مرحلة جديدة من تطوره تتميز فيها القوانين بالنسبية والاحتمالية واللاحتمية ، وتبعد فيها الأسباب المباشرة عن متناول إدراكنا

(٤) الشيخ ابوبكر جابر الجزائرى ، العلم والعلماء ، دار الكتب السلفية ، القاهرة (المقدمة بتاريخ ١٤٠٣ هـ) .
(٥) الشيخ محمد الغزالى ، مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٣ .
(٦) سورة فصلت : ٥٣ .

البشرى المحدود ، على نحو ما نجد الآن فى قوانين الذرة والنواة وعالم المتناهيات فى الصغر ، أو قوانين الأفلاك والمجرات وعالم المتناهيات فى الكبر .

حدود العلم فى الإسلام :

إن أخطر ما واجه المعرفة البشرية فى تاريخها هو الخلط بين مصادرها والخطأ فى تناول مناهجها ، حيث دنست الفطرة الحنيفة المؤمنة بالله والموحدة له عندما كان يراد اقتحام عالم الغيب بالوسائل التى لا تصلح إلا لعالم الشهادة . وكان من نتائج هذا الخلط الفكرى والخطأ المنهجى أن ظهرت النظريات والمذاهب الوضعية التى تجاهلت وجود القدرة الخالقة والمسيِّرة لظواهر الكون والحياة ، وأحالتها إلى مسمَّيات خيالية ، وإن كانت تحسبها علمية ، كالطبيعة والقوة الذاتية والعقل والغريزة والمصادفة وغيرها مما لا يتفق مع التصور الإسلامى . وما ظهور « العلمانية » فى الغرب ، لتجعل الانفصال التام بين العلم والدين شرطا من شروط قيام الحضارة ، إلا أحد الأمثلة لهذه الفلسفات الخابطة فى الظلام[٧] ، والتى انتقلت عدواها إلى المسلمين فى عهود الاستعمار البغيض ، ووجدت فى ديار الإسلام من يروِّج لها ويبشر بها حتى اليوم[٨] .

ومن يستقرىء تاريخ الفكر الإنسانى سوف يجد أن ما يضعه البشر لأنفسهم من مذاهب وفلسفات بمعزل عن هدى الله يحتاج دائما إلى التعديل والتبديل ليلهث وراء تلبية حاجات البشر المتطورة . أما المنهج الإسلامى - بربانيته - فهو يخالف فى أصل تكوينه وفى خصائصه تلك النظريات الوضعية ، لأن الذى شرعه يرى بلا حدود من الزمان والمكان ، ويعلم بلا عوائق من الجهل والقصور ، ويختار بلا تأثر من الشهوات والانفعالات ، ومن ثم فهو يضع للكينونة البشرية كلها ، فى جميع أزمانها وأطوارها ، أصلاً ثابتا تتطور هى فى حدوده وترتقى ، وتنمو وتتقدم دون أن تحتكّ بجدران هذا الإطار[٩] .

ولما كانت طبيعة العلوم الكونية تتطلب إجراء البحث والدراسات المكثفة على أجزاء محدودة جداً من الكون وظواهره ، وبمعزل عن بعضها البعض دون إلمام كاف من جانب الباحث بكافة الموضوعات المتصلة بموضوع البحث والعوامل المؤثرة عليه فإن إدراك الحقيقة الكاملة يظل دائما هدفا أسمى يسعى إليه العلماء من خلال عملية تصحيح مستمرة لمسيرة العلم تتم بتكافل جهودهم وتنافسهم الشريف فى السبق إلى كشوف علمية جديدة تلقى الضوء على حقائق جزئية فى الواقع الكونى الثابت . وقد أثبتت حركة التاريخ العلمى والتقنى للإنسان أن الكون يزداد مع التقدم العلمى اتساعاً وعمقاً ، مصداقا لما تشير إليه بعض معانى الآيات القرآنية الكريمة فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[١٠] ، وقوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى

---

(٧) راجع : د . يحيى هاشم فرغل ، حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب ، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف ١٩٨٩ م؛ د . محمد عمارة ، العلمانية ونهضتنا الحديثة ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٦ م

(٨) انظر على سبيل المثال ماكتبه د . عبدالعظيم أنيس بعنوان « هل يمكن أسلمة العلوم ؟ » ، وماكتبه د . فؤاد زكريا بعنوان « العلمانية ضرورة حضارية » ، فى الكتاب الثامن من سلسلة « قضايا فكرية » التى تصدرها دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٨٩ م .

(٩) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ، دار الشروق ، القاهرة ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م ، ص ٤١ .

(١٠) سورة الإسراء : ٨٥ .

التوجيه الإسلامى للعلوم

عِلْمًا ﴾[11] . وقوله : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[12] .

أهمية التوجيه الإسلامى للعلوم المعاصرة :

يرى بعض المحلّلين لواقع الحياة المعاصرة أن العلم لم يعد نشاطا منزويا تمارسه فئة قليلة نسبيا من البشر ، بل أصبح صناعة رئيسية ثقيلة ، أوْ قُلْ سلاحا حضاريا رهيبا ، تنفق عليه الدول فى سعة ، فارضة عليه إيجاد حلول لمشكلاتها فى الإنتاج والحرب ، ولا مانع لديها من أن تحيطه بسياج من السرّية والكتمان والاحتكار عندما يكون موضوع العلم متعلقا بأمْنها القومى ومركزها التقنى التنافسى[13] . ذلك لأن التقدم العلمى والتقنى لا يقتصر أثره على ما يحدثه من تغيرات كاسحة فى أنماط الحياة ، ولكنه أصبح يحل محل الجيوش فى تغيير مراكز القوى الصناعية والسياسية فى العالم . فها هو مركز الثقل الصناعى والتجارى ينتقل من المحيط الأطلنطى إلى المحيط الهادى فى شرق آسيا ، بعد أن صارت تجارة أمريكا مع اليابان وكوريا وتايوان وسنغافورة وتايلاند أكبر منها مع أوروبا ، ولذا تسرع الأخيرة بالاتحاد لكى تقوى على البقاء فى دائرة المنافسة . وإذا ما اتصل العلم والتقنية بالصناعة والتجارة والسياسة ، ودخلا فى دائرة الحسابات والأهمية الاستراتيجية ، فإنهما لا محالة متأثران بالاتجاهات والمصالح القومية لدرجة تجعل من الحرب بين البشر خطرا دائما محلقا فوق الرءوس ، بصرف النظر عما يبدو أحيانا من تقارب ظاهرى بين كتل العالم ومعسكراته ذات الفلسفات والأيديولوجيات المتصارعة .

من ناحية أخرى ، تدلنا نتائج الأبحاث الجارية حاليا فى مختلف فروع العلم على أن النظرة المادية للعالم فى سبيلها إلى التغيير مع بدايات القرن الحادى والعشرين وأن المرحلة القادمة من التفكير العلمى والتقنى سوف ترتبط بالكثير من المفاهيم « الميتافيزيقية » على نحو ما نجد فى الأبحاث والدراسات المتعلقة بأجيال الحاسبات والذكاء الاصطناعى ، وتعدد الأبعاد الخفية لمتّصل الزمان والمكان ، ونظريات أصل الكون وتمدده وتاريخه وغيرها . ومن المتوقع أن يؤدى هذا التوجه الجديد فى موضوعات العلم ومناهجه إلى الإطاحة بالكثير من النظريات العلمية الشهيرة والأنظمة الفلسفية القائمة عليها ، بعد أن أصبحت عاجزة عن تقديم إجابات وحلول شافية لقضايا ومشكلات جديدة لم تخطر على بال منظّريها من قبل ، مما سيكون له أكبر الأثر فى المستقبل القريب على وعى الإنسان وتصوّره لنفسه وللعالم الذى يعيش فيه .

وهناك أيضا الكثير من الممارسات الخاطئة فى حق العلم ، باعتباره نشاطا إنسانيا يعلو على كل ضروب الهوى والتميز فى البحث عن الحقيقة الخالصة ، لكن المجال هنا لا يتسع لسرد نماذج من هذه الممارسات المسيئة لتاريخ العلم

---

(11) سورة طه : ١١٤ .

(12) سورة يوسف : ٧٦ .

(13) راجع ماجاء تحت عنوان « العلم السرى » Secret Science فى مجلة العلوم ، مجلد ٦ ، ع ٢ ، الكويت ١٩٨٩ ، ص ٣٤ ، راجع أيضاً ماكتبناه عن مظاهر الاهتمام الدولى بتقنية الموصلات الفائقة Super Conductors فى مجلة العلم ، ع ١٨٢ ، (١٩٩١) .

واخلاقياته ، وهنا ، مرة أخرى نقول : إذا ما افتقد العلم موضوعية التأريخ له بحيدة ونزاهة ، باعتباره عملية ممتدة خلال الزمان ، يتعاقب على ادائها أجيال العلماء من مختلف الأمم ، فإنه لابد مخفق فى مهمته .

يتضح مما سبق أن العلم أصبح بحاجة إلى من يأخذ بيده إلى الصراط المستقيم ليؤدى رسالته نحو النظام العالمى الجديد . ومن هنا تأتى أهمية الدعوة إلى توجيه العلوم بعامة ، والعلوم الكونية بخاصة ، توجيها إسلامياً ، يزن كل شيء بميزان واحد هو ميزان الإسلام الذى سبق له أن انقذ امبراطوريات كبرى من الفناء ، وسبق لأسلافنا أن شيدوا على أساسه واحدة من أطول وأعظم الحضارات التى عرفها التاريخ .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : كيف يمكن توجيه العلوم المختلفة توجيها إسلاميا فى إطار نظام تعليمى متكامل وقادر على تحقيق غايات التربية الإسلامية الرشيدة وأهدافها ؟

هذا ماسوف نحاول الإجابة عليه فى العدد القادم بإذن الله .

حول شهادات الاستثمار . بقية .

الاستهلاكية لأنه يسلم بالقاعدة الشرعية التى تقول : (كل قرض جر نفعا فهو ربا) وأن وصف أى معاملة بأنها قرض توجب عليه أن يصف عائدها بأنه ربا ، فلم يجد مخرجا من هذا المأزق سوى أن ينفى وجود ما يسمى بالقروض الإنتاجية أو القروض الاستهلاكية .

٣ — يقول المفتى إن دار الإفتاء تحترم آراء المجامع العلمية ، متى كانت هذه الآراء مستندة إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح .

والمفتى الذى يعلق قبول دار الإفتاء لآراء المجامع العلمية على استنادها إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح ، لايرى ذلك بالنسبة لفتواه ، فقد قال فى مؤتمر عقد فى جامعة المنصورة : (ليس من الشرع أو الأخلاق معارضة هذا الرأى الذى انتهت إليه دار الإفتاء) الأهرام ١٩٨٩/٢/٧ .

بل إنه لم يرتض لنفسه أن يقول تلك العبارة التى أثرت عن كبار الأئمة وهى أن رأيه صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب ، فانتقى تعبيراً جديداً يبتعد به عن إمكان وصف آرائه بأنها خطأ فقال : ولا أقول بأن رأيى هو الصواب الذى لايحتمل الخطأ ، ورأى غيرى هو الخطأ الذى لايحتمل الصواب ، وإنما أقول هذا رأيى ورأى عشرات العلماء من قبل كفضيلة الشيخ محمود شلتوت ، وفضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف وغيرهما من العلماء (الأهرام ١٩٩٠/٥/١١) .

ومما يدعو إلى العجب أن المفتى الذى علق قبوله لقرارات المجامع العلمية على استنادها إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح ، مازال حتى اليوم عاجزا عن تكييف سندات الاستثمار وغيرها من المعاملات التى بحثها ، ومازال يقول إنها قد تكون معاملة مستحدثة كما قال فلان وفلان ، أو مضاربة كما قال فلان وفلان . وهؤلاء الذين يستند إلى أقوالهم ليسوا سوى أعضاء فى لجنة البحوث الفقهية فى مجمع البحوث الإسلامية وما تقدمه هذه اللجنة من آراء خاضع لتقدير المجمع الذى يرى المفتى أنه لايقبل قراراته إلا إذا جاءت مستندة إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح .

يتبع

د. مرفت السيد عوض *

فى الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٦٤ م اطلقت الولايات المتحدة مركبة الفضاء «مارينر - ٤» Mariner IV والتى بدات تدور اول الأمر حول الأرض كما تدور الاقمار الصناعية. ثم عاد صاروخها ينطلق فخرج بها عن جاذبية الارض وارسلها «تابعا» Satellite صناعيا جديداً يدور حول الشمس، كما تدور الأرض وبقية الكواكب، لتلتقى بالمريخ بعد نحو سبعة اشهر ونصف اى ٢٢٨ يوما، قطعت فيها نحواً من ٣٥٠ مليون ميل. وإذ واجهت المريخ، ذلك الكوكب الأحمر، انفتحت «كاميرتها» الفوتغرافية التلفازية، والتقطت لسطحه ٢٢ صورة وارسلتها تباعا إلى علماء الارض.

وتمضى مركبة الفضاء، وهى فى مدارها الشمسى خلف المريخ وتنقطع عندئذ صلتها بأهل الأرض لانقطاع الاتصال «الراديوى» بينهما، ثم تعود إلى الظهور من وراء المريخ، وتظل المركبة ماضية بعد ذلك فى فلكها الشمسى، مربوطة إلى الشمس بجاذبيتها.

المريخ لا يتعرض لتعرية مثل الأرض:

وقد كشفت هذه التجربة التاريخية الكبرى عن وجود حلقات دائرية كبيرة كأنها فوهات براكين، وكانت هذه الحلقات واضحة بينة الحدود والمعالم، منثورة على سطح ظاهر الاستواء يشبه سطح القمر. وكثرت الفوهات وتزاحمت وامتدت فى كل اتجاه، منها الكبيرة التى يبلغ قطرها حوالى ٨٠ ميلاً والصغيرة التى قطرها ثلاثة أميال، ومنها فوهات نتأت بأوسطها قمة، وأخرى ظلت أعماقها منبسطة. وقد فسر العلماء هذه الفوهات بأنها «نيازك» وقعت على سطح المريخ فصنعت فيه هذه الحفر فتراءت،

● الكاتبة: استاذ مساعد الميكانيكا الفضائية بقسم الفلك - كلية العلوم جامعة القاهرة.

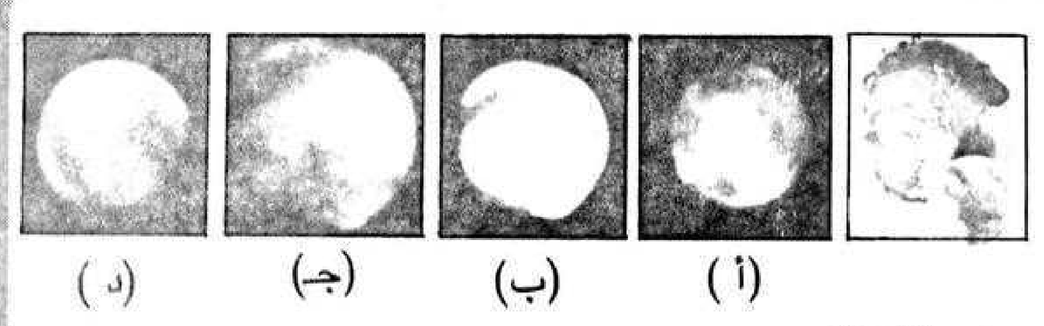

صور توضيحية :

(١) تبلغ مساحة سطح المريخ ٢٨٪ من مساحة سطح الأرض ولا تتعدى كتلته عشر كتلة الأرض.
(٢) يتألف جو المريخ من غيوم «بيضاء» مرتفعة وفي النادر من غيوم غبار واسعة الانتشار نرى في (أ) منطقة الغيوم التي تتكون كل صيف فوق «سرتيس ماجور» وتظهر (ب) و(جـ) هذه المنطقة إلى اليسار تغطيها الغيمة ذاتها . أما المنطقة الساطعة (د) فهي «البزيوم» .

كالفوهات ، وقدروا الزمن الذى مضى عليها فكان بين الفين إلى خمسة آلاف من ملايين السنين .

وإذا كانت الأرض أيضاً هدفا لمثل هذه النيازك التى ذهب الكثير من آثارها بفعل «التعرية» الهيولوجية ، حيث سوتها الأمطار وسوتها الرياح على مر السنين ، فإن سطح المريخ لم يتعرض لأمطار ولا رياح كالتى تعرض لها ظهر الأرض ، ومن ثم فلا «تعرية» فى المريخ مثل «التعرية» فى الأرض .

المريخ ليس له مغناطيسية كمغناطيسية الأرض :

دل الجهاز الذى حملته المركبة الفضائية للكشف عن المغناطيسية على أن المريخ لا تكاد تكون به مغناطيسية تحس ، فهو على نقيض الأرض التى تنسب مغناطيسيتها لما بجوفها من معدن منصهر هو دائم الدوران حول نفسه .
وإذن ، فقلب المريخ ليس مائعا وإنما هو جلمود أصم ، بينما يتميز سطح كوكب المريخ باللون الأحمر نظراً لوجود أكاسيد الحديد ضمن مكوناته ، والسطح صخرى يشبه البازلت ومتماسك وتوجد عليه آثار انسياب مواد بركانية ، وتختلف درجة حرارة السطح من الليل والنهار بمقدار يزيد عن الستين من الدرجات المئوية . وتتكون المناطق القطبية فى كوكب المريخ من المياه المتجمدة .

المريخ ليس حوله أحزمة من إشعاع كالتى حول الأرض :

وحملت مركبة الفضاء أجهزة تكشف الإلكترونات ، إذا هى اخترقت نطاقا به الكترونات ، وهى تقترب من المريخ ، لكن هذه الأجهزة لم تكشف عن شىء من أحزمة الإشعاع Radiation belts وهذه الأخيرة تناظر «أحزمة فان الن» Van Allen المعروفة تكريما لاسم العالم الذى كشفها ، تلك التى تلف الأرض على ارتفاع كبير من سطحها وتتألف من جسيمات ذرية منشؤها الشمس والفضاء ، فإذا هى

حقائق وآراء علمية حول كوكب المريخ

وصلت إلى الأرض ، وهى مغناطيس عظيم، له خطوط قوى مغناطيسية مديدة ، صادت هذه الخطوط تلك الجسيمات الذرية وحبستها فكانت تلك الأحزمة وقد سبق أن ذكرنا أن المريخ ليست به مغناطيسية تذكر، وهذا يتفق مع غياب الأحزمة .

صور لهياكل هرمية الشكل على سطح المريخ :

فى عام ١٩٧٢ م ، التقطت المحطة الفضائية الدولية ـ التى أطلقت آنذاك ـ صوراً للعديد من التكوينات على سطح المرتفع المريخى المعروف باسم «ايليزيوس» وقد وصف البعض هذه التكوينات بأنها حقل من الأهرامات رباعية الأوجه وقامت المحطة نفسها بتصوير أشكال ذات هياكل مستقيمة تشبه المنشآت الصناعية ، وذلك فى المنطقة الجنوبية للكوكب ، وفى عام ١٩٧٦ م التقطت صور فى منطقة نصف الكرة الشمالى للمريخ لأطلال مماثلة للأهرام المصرية فى شكلها .

وكان من الطبيعى أن تثير هذه الصور خيال الكثيرين ، فلا أحد يمكنه أن يجزم ما إذا كانت اهرام المريخ مجرد تكوينات چيولوچية أم لا ؟ وفى حالة ما إذا كانت هذه الآثار المريخية غير طبيعية ، فهل يعنى هذا أن مخلوقات أخرى من مكان آخر فى الوجود قد وصلت إلى المريخ وشيدت صروح هذه الآثار ؟

إن كوكبة من العلماء يتشككون فى كون أهرام المريخ الموجودة هناك أطلالاً صناعية ، إذ أن رحلات الفضاء التى تمت حتى وقتنا الحالى أثبتت عدم وجود حياة على أى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية التى تنتمى إليها أرضنا وجارنا «المريخ» ولعل القول الفصل فى مسألة نشأة التكوينات الهرمية على الكوكب الأحمر سوف يقطع به عندما يهبط الإنسان على سطح المريخ إذا قدر الله للإنسان ذلك .

وإن غداً لناظره قريب .

دروس للدعـــاة إلى الله « بتصرف »

إلى قوله تعالى من سورة العنكبوت : ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[3] .

إن الذين ضيعوا أمر الله ، وفرطوا فى جنبه سبحانه ، وماتوا على الضلال والشبهات يتحسرون ويندمون حين يعاينون العذاب يوم القيامة ، وقد جاءتهم الرسل فكذبوا وسخروا ، وقد نبه السياق من سورة يس العباد إلى ذلك ليتفكروا قبل فوات الأوان : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ثم دعاهم إلى الاعتبار بمصارع الكافرين : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ أى للحساب والجزاء .

فطوبى لمن قدم إيماناً صادقا وعملاً صالحاً ..

(٣) الآية : ٤٠ .

إعداد
د. نجوى السيد أحمد

علاج التشويهات الخلقية باستخدام الليزر

لقد كثرت وتنوعت استخدامات (أشعة الليزر) فى مجال الطب ، وكان آخرها علاج تلك التشويهات التى تظهر على وجوه بعض المواليد ، أو على أجسامهم وهم فى الأرحام قبل الولادة . وقد أمكن معالجة هذه البقع فى الأطفال ، بحيث ينمو هؤلاء دون مضاعفات قد تسببها لهم تلك التشويهات .

أثبتت الدراسات التى أجريت مؤخراً بكلية الطب (جامعة بوسطن) بالولايات المتحدة أن (أشعة الليزر) حققت نجاحا منقطع النظير ، إذ يستحيل على الإنسان اكتشاف مكان البقعة بعد محوها ، فالجلد يعود كما كان أصله فى ذلك المكان . وتشمل تلك التشويهات البقع و(الوحمات) واللطعات حمراء اللون التى كثيراً ما تغطى كل الوجه أو جزءاً منه .

بكتيريا تنظف البيئة من الإشعاع النووى

اكتشف علماء امريكا نوعا من (البكتيريا) يمكنه التهام المعادن المشعة وتنظيف البيئة من أخطارها . فقد اظهر الباحثون فى مؤسسة المسح الجيولوجى بـ (ولاية فيرجنيا) أن (البكتيريا) ذات القدرة على التهام الحديد تستطيع اكتساب ضعف الطاقة من التهام (اليورانيوم) وهى تنمو وتترعرع على (اليورانيوم) الذى تستخلصه من المحاليل محولة إياه إلى نوع صلب بالإمكان إزالته بسهولة . وبذلك يمكن أن تنتهى مشكلة النفايات النووية التى تؤرق العالم إذا ما كثفت الجهود لتطوير هذا الاكتشاف .

الجديد فى العلم والتقنية

من فوائد نبات الخرشوف

توصل فريق بحثى من قسم العلوم الصيدلية بالمركز القومى للبحوث إلى طريقة اقتصادية مبتكرة لاستخلاص مخلوط مواد فعالة من نبات الخرشوف تعالج أمراض الكبد والكلى حيث ثبت أنه يساعد على : إدرار البول ، وتخليص الجسم من الأملاح الزائدة وتخفيض نسبة الكولسترول فى الدم .

مضخة مياه تعمل بالطاقة الشمسية

نجح فريق بريطانى فى إنتاج أحدث مضخة تعمل بالطاقة الشمسية لضخ المياه من باطن الأرض والاستفادة منها فى الرى والشرب والاستخدامات الأخرى للمياه ليلا ونهاراً . وتتكون المضخة من مجموعة من الخلايا (الكهروضوئية) التى تحول أشعة الشمس إلى طاقة كهربائية تستخدم مباشرة فى تشغيل محرك متصل بمضخة تسحب المياه من باطن الأرض ، وفى غياب الشمس تعمل هذه المضخة بواسطة البطاريات .

الكشف عن الآثار تحت الأرض باستخدام تقنية الفضاء

أصبح باستطاعة الباحثين عن الآثار العثور على أماكن وجودها بواسطة أجهزة رصد حساسة مركبة على شاحنات أو مناطيد أو طائرات ، أو محمولة حتى فى الأقمار الصناعية ، وباستخدام مكثف للحواسيب يحول سيل المعلومات الرقمية المجموعة إلى صور قابلة للقراءة .

ومن أحدث الإنجازات فى هذا المجال ما أظهرته صور الرادار المحمول على المكوك الفضائى « كولومبيا » من وجود مجارى أنهار قديمة مدفونة تحت رمال الصحراء المصرية الجنوبية وشمال غرب السودان ، حيث عثر المنقبون على فؤوس يدوية وأدوات أخرى من صنع الإنسان فى العصر الحجرى .

حمض « التنيك » للوقاية من حساسية القطط

من المعروف أن القط كلما لعق فروته لينظفها بلسانه الخشن ترك عليها طبقة رقيقة من (البروتينات) التى تنتجها الغدد اللعابية والدهنية للحيوان ، ويمكن لهذه البروتينات أن تتراكم على سجاد البيت وستائره ومفروشاته وهى تسبب دمع العين ومخاط الأنف وصعوبة التنفس التى تميز الحساسية من القطط عند عشرات ، وربما مئات الملايين من الناس فى أنحاء العالم .

لهذا ينصح بمعالجة سجاد المنزل ومفروشاته برذاذ يحتوى على حمض « التنيك » Tannic acid المتوفر تجاريا فى الأسواق ، وهو مركب يوجد فى البلوط والسنديان والبن والكاكاو والشاى .

سيارات تعمل بالغاز الطبيعى للحد من التلوث البيئى

بدأت بعض ولايات أمريكا تنفيذ قانون الهواء النقى الذى يلزم شركات صناعة السيارات

باستبدال وقود (الجازولين) بالغازات الطبيعية . وتتوقع رابطة شركات الوقود الأمريكية أن تشهد أمريكا فى العقد القادم تسيير ما لا يقل عن ١٠ ملايين سيارة بالغازات الطبيعية ، أو الطاقة الكهربائية بدلا من (الجازولين) .

لبن الأم يحتوى على أقوى المضادات الحيوية

اكتشف باحثون يابانيون وجود مضاد حيوى قوى جداً فى لبن الأم يمكنه أن يقضى خلال ساعة واحدة على كل أنواع البكتريا المسببة لتسمم الطعام . وسمى الفريق اليابانى الباحث هذا المضاد الحيوى « لاكتوفيلسين » Lectoafelicine وهو مشتق من « اللاكتوفيلين » Lactofeline الذى يشكل ٧٠٪ من البروتين الموجود فى لبن الأم الأول بعد الولادة .

اظهر هذا المضاد الحيوى أيضاً فعالية ضد البكتيريا المسببة للإسهال الذى هو من الأسباب الشائعة لوفيات الأطفال فى العالم الثالث فى حين تم التأكد من انه لا يمس البكتيريا النافعة بسوء .

تفسيرات علمية جديدة لأمراض القلب الفجائية

اكتشف رواد المكوك الفضائى « كولومبيا » بعد تسعة أيام من الأبحاث الطبية المكثفة خلال رحلتهم الفضائية ، أن ضغط الدم حول القلب فى الفضاء كان أقل بكثير مما هو متوقع ، وقد ظهر ذلك فى الساعات الأولى القليلة من رحلة المكوك .

عن انعدام الوزن قال الدكتور « دروجافنى » أخصائى القلب وهو أحد الذين شاركوا فى الرحلة أن السوائل اتجهت نحو النصف العلوى من جسمه ولذلك توقع العلماء أن يرتفع ضغط دمه ، لكن العكس حدث ، فقد كان ضغط دمه أقل مما لو كان واقفا على الأرض . واضاف إن هذه المعلومات تعنى أنه يمكن للعلماء توقع تفسيرات جديدة بنظام أوعية القلب وما يحدث من أمراض فجائية له .

البورون عنصر هام لتقوية العظام

ظهر أخيراً أن عنصر (البورون) ليس أساسيا فى حياة النباتات فقط ، كما كان يعتقد فى السابق ، بل هو عنصر حيوى أيضا بالنسبة لامتصاص الكالسيوم عند البشر ، وبالتالى ؛ فإن بإمكانه أن يمنع الإصابة بترقق أو (مسامية العظم Osteoporosis) ومن المعلوم أن البقول والخضروات الليفية والفواكه وخصوصاً التفاح والعنب ، تشكل مصدراً اساسياً من مصادر البورون . وتتراوح الجرعات الآمنة والملائمة من البورون بين ١ ، ٣ مليجرام يوميا ، ويسهل الحصول على هذه الكميات بتناول وجبات متوازنة ويحذر العلماء فى نفس الوقت من أن تناول جرعات كبيرة من البورون على شكل مواد مضافة قد يكون أمراً فيه الكثير من الخطورة .

إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات

إن دين الإسلام يحارب الفقر والجهل والمرض والرذيلة والظلم ويرسم أفضل الطرق لكسب هذه الحرب . وذلك بالعمل على إيجاد جيل غنى قوى يتسلح بالعلم . ويتحصن بالفضيلة وينأى عن الرذيلة ليقيم أمة فاضلة لها حاكم يؤمن الخائف وينصف المظلوم وينشر العدل والسلام والمحبة بين الناس .

ولن يتأتى ذلك إلا إذا كنا أمة القول منها مطابق للعمل . وإلا صدق علينا قول الله تعالى :
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(١)

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

١ ـ العلم والعمل :

ما أكثر العلماء فينا وما أقل العاملين ! نعرف النحو دقيقه وجليله ، ولكنا لا نعرف أن نقيم ألسنتنا إذا تحدثنا ؛ ونعرف المنطق قديمه وحديثه ، وكيف يتركب الدليل من مقدمات تكون عنها نتائجها ، ولا نعرف مع هذا أن نكون منطقيين عملياً فى تفكيرنا ؛ ونحذق علوم البلاغة ، وأن لكل مقام مقالا ، وأن الكلام يكون بليغاً إذا توفر فيه كذا وكذا ، فإذا أخذنا فى الكلام جاء ما ننطق به سقيما عليلا ؛ وعرفنا الأخلاق وأصولها ، والفضائل وطرقها ، والغرائز والأمزجة والعواطف وعلاجها ، ولكن عجزنا عن تكوين الضمائر الحية المستقيمة فى نفوس طلابنا وقرائنا ؛ والفقه وعلم الحلال والحرام حفظنا الكثير من متونه ، وقتلنا بحثا الكثير من شروحه ، ولكنا فى سيرتنا ومعاملاتنا لا نتفق وما عرفنا من الشريعة ؛ ونعرف كيف تدار المعاهد والمدارس ، وكيف ينشأ التلميذ على الطاعة والنظام ، وكيف يجب أن تكون العلاقة بين المدرس والتلميذ والرئيس والمرءوس ، ولكن لم يتبع منا كثير يعتبرون بحق إداريين حازمين محبوبين ممن تحت أيديهم ؛ ونعرف أن صحراء مصر وتربتها

(١) سورة الصف الآيتان ٢ ـ ٣

غنية بالمعادن المختلفة ، ولكننا لا ننقب فى جد عنها ؛ وخزان أسوان نعلم علم اليقين ، منذ زمان وأزمان ، أنه يمكن الإفادة منه فى توليد الكهرباء ، فيكون مصدر رغد وسعادة وقوة للأمة . ولكنا حتى الآن لم يتم لنا شىء فى هذا السبيل أو نحتفل كل عام بعيدى الهجرة والمولد ، ونذكر جاهدين فى هاتين المناسبتين العظيمتين كثيراً من مزايا الإسلام وأمجاده ، ولكن لا يستطيع أن يزعم الكثير منا أنه يحقق فى نفسه بعض هذه المزايا ويحاول أن يفيد حقاً من هذه الأمجاد ؛ ومنا الطبيب وهو بحكم عمله رسول رحمة ، وقد كان يسمى قديما باسم الحكيم وهو اسم من أسماء الله عز وجل ، والفيلسوف أو مدرس الفلسفة التى تقوم على البحث عن الحكمة والتوفر عليها وطلب الحقيقة وحبها ، ولكن أصبح الكثير من الأطباء ودعاة الفلسفة بعيدين عن الرحمة والحكمة والحقيقة !

علام تدل كل هذه المثل التى انتزعناها من واقع الحياة الفردية والاجتماعية ، وسواها كثير ؟ إنها تدل على أننا أمة تقول ولا تفعل ، وكَبُر ذلك مقتا عند الله ما أكثر من يتكلّم منا حتى الآن عن خطورة اختلاط البنات والبنين ، وبناته يملأن دور اللهو البرىء وغير البرىء ويجلسن مع الشبان جنبا لجنب فى المعاهد الأجنبية والجامعة ! ومن يتكلم فى الراديو حاثا على البر بالفقراء ومساعدة المكروبين بلهجة تلين الأفئدة الجامدة ، ولكنه يأبى أن ينزل عن بعض ما يأخذ من أجر على ما يذيع للغاية التى يدعو إليها !

ياقوم ، ليس بمثل هذا تتقدم الأمة ويسعد الشعب ! نحن فى حاجة إلى من يؤمن بما يقول إيمانا يدفعه إلى العمل به ، وإلا فليوفر على نفسه وعلينا عناء القول ! نحن فى حاجة إلى علماء وخطباء ودعاة إصلاح مؤمنين بعلمهم ، ويكونون بأعمالهم قدى صالحة لغيرهم ، فينفعون وينفع الله بهم . نحن فى حاجة إلى نفوس شريفة تعرف للعلم قيمته ، فتطهر به ، ثم تصدر عنه فى كل ما تعمل .

وقع نظرى منذ أيام على كتاب «فى أخلاق العلماء» للمغفور له الشيخ محمد سليمان ، فأعجبنى ما صدره به من كلمة يقدمها لابنه ، كلمة تتصل بموضوع ما نتحدث به الآن . لهذا أنقل بعضها ، ففيها عظة وتذكرة لمن يريد أن يتذكر ، وجمال وخير لمن يحب أن يرى ويسمع .

يقول - رحمة الله له ورضوانه عليه : « واعلم يابنى أن نور العلم أن تستقبله نفس مستعدة له ، فهى التى تستنير به ، وتشعه على الناس . إنه يصفيها فتصفى ، وتكون به نورانية من ومض الله نور السموات والأرض ، كالمنار يهدى الضال ، وينير الدلج فيسلخ الظلام ، وهذه وظيفة العلم . إنه يطهر النفوس كالبوتقة تصهر الذهب ، فيذهب ما له من خبث ، ثم يكرم حتى يتعامل به الناس ، وحتى يكون الثمن الذى يوازن به كل عرض فى الدنيا . أما العلم الذى تستقبله النفوس الصلدة المظلمة ، فهو الذى لا يضر ولا ينفع ، ومثله يابنى مثل ما ترى من لعب الصبيان بالمرآة إذا عكسوها على الشمس ، ألا ترى الشعاع المنعكس منها يعشى ويحرق ؟ ذلك أن وجه المرآة صلد لا ينفذ منه النور ، وقلبها أسود لا يقبله ، فارتد بذلك على الآخرين ناراً ونقمة ، ليست الغاية من العلم أن تعلم فحسب ، بل الغاية أن تعمل بما تعلم من الخير ، وأن تكون بعلمك قدوة الخير لقومك ، القدوة التى تؤثر فى الناس بالتأسى . فكن كما تحب أن يعرف عنك ، بالحقيقة الواقعة ، لا بالقول الموضوع ولا بالعمل المصنوع ، بل بالإخلاص فى صفاء النفس وتربية الضمير» .

وهذا كلام جليل من رجل مجرب عرف الدنيا وعرفته ، وخالط الكثير من جميع طبقات الناس

كلمات الدكتور محمد يوسف موسى

حاكمين ومحكومين ، فهو يجل عن التعليق ، بل لعل التعليق عليه - إن حاولناه - أن يفسده ، وعسى أن ينفع الله به بعض قارئيه .

٢ - الصلة بين العلم والعمل :

والكلام على العلم والعمل على النحو الذى قدمنا ، يجر إلى الحديث عما بينهما من علاقة وصلة : أهى صلة المعلول بعلته ، فكلما وجدت هذه وجد ذاك ؛ أى كلما كان العلم بأن كذا خير ، حصل العمل وفق هذا العلم ، وذلك كما يرى سقراط مؤسس علم الأخلاق ؟ أم أن الأمر ليس كذلك ، كما يرى أرسطو المعلم الأول وأنصاره ؛ فقد يعلم الإنسان ولا يعمل ، وقد يعمل على ضد ما يعلم .

إن كان كلام سقراط هو الحق ، فلا تفسير لوقوعنا فى الإثم أخلاقياً ، أى لتقصيرنا فى العمل ، إلا أننا لا نؤمن بما نعلمه إيمانا يقينياً . وإن كان الحق فى جانب المعلم الأول ، وأن الخطأ الأخلاقى ليس مرجعه إلا إلى قوة الهوى وأسر الشهوة ، فقد عزب عنا العقل وغلبتنا الشهوات على أمرنا !

وأرى الخير والحيطة لأنفسنا أن نعمل على استكمال علمنا بالخير حتى يكون علماً لا يلابسه شك ، ويقيناً لا يخالطه ريب ، فيدفعنا ذلك للعمل على وفقه ؛ وأن نأخذ فى ذات الوقت فى العمل على إضعاف الهوى ودواعيه التى تصرفنا عن استلهام العقل واتباعه، وتدفعنا لأسر الشهوات وفتنتها .

ومما يعين على درك الغاية التى نرجو ، إدمان المطالعة فى كتب التراجم إن هذه الأسفار عباب علم ، وصفحات مجد وفخار للإسلام وعلمائه ، هؤلاء العلماء الذين خالط الإيمان قلوبهم ،

فعرفوا الله حق معرفته ، وتجلت لهم الدنيا على حقيقتها فرأوها شيئاً تافها لا يوازن بشىء من الكرامة والمروءة . إن هذه الأسفار مليئة بأخبار جلة العلماء ، ومواقفهم مع الأمراء والسلاطين والخلفاء حتى فى عصور الاستبداد ، وكيف كانوا لا يرعون إلا الله وحقه والعلم وكرامته ، فعزوا وعزت بهم البلاد ، وسعدوا وسعدت بهم الأمة .

إن فى كتب سيرة المصطفى وأبطال الإسلام ، وترجمات العلماء الأعلام ، لغذاء النفوس ، ومتعة للقلوب ، وحافزاً للاعتزاز بالإسلام والتشبه برجالاته . وكم يكون جميلا وخيراً إذا جلونا للناشئة بعض هذه السير ، واتخذنا من أصحابها مثلاً علياً لنا ، وكنا لهم قدًى طيبة عملية !

٣ - يشعر البعض منا بأنه غريب عن الناس ، هين عليهم ؛ فإذا ضمه مجلس بآخرين ليسوا على لونه فى الثقافة رأيته يلم ثيابه ، ويتداخل فى نفسه ، ويرى السلامة منهم غنيمة ، والانصراف من المجلس نجاة وراحة ، لماذا هذا الإحساس ؟ وما عوامله ؟

لعل أهم عوامل هذا الإحساس لدى من يحسه ، هو شعوره بأنه يعيش فى دنيا غير دنيا الناس ، فهو فى واد وهم فى واد آخر ، وهو لهذا ثقيل عليهم برم بهم ، إذ يعلمون ما لا يعلم من المعارف المتعددة الألوان ، وربما أنكروا عليه أن ما يعلمه ذو غناء فى هذه الحياة .

ونعتقد أن فى هذه النظرة الثقيلة غير قليل من التجنى والمغالاة ، كما أنها كانت تصدق فى

الماضي أكثر من الزمن الحاضر ، الذى صار فيه الأزهرى يشارك مشاركة طيبة فى درس ألوان المعارف التى لابد منها للثقافة العامة ، فضلاً عن دراسة ما تخصص فيه من علوم .

على أن هذا لا يمنع من أن نقول إننا لازلنا ملومين من بعض النواحى ، إذ نبذل كثيراً من مجهودنا العقلى وزمننا الدراسى فى تعلم وتعليم ما لا يجدى ، سواء من ناحية المادة نفسها موضوع التعليم ، أو من ناحية طريقة تعليمها .

ولنترك الآن أحد أعلام الأزهر وأفذاذه ، وهو المغفور له العلامة الشيخ حسين والى ، يضرب المثل لذلك من عناية الأزهريين بعلم الكلام عناية أعنتوا أنفسهم بها ، وأضاعوا بسببها كثيراً من الوقت والجهد كان من الخير أن ينفقا فى العلم الناجع المفيد . يقول السيد الأستاذ فى الجزء الأول من كتاب التوحيد :

« علم الكلام حادث فى الملة الإسلامية ، ومشى فيه الناس صوراً بعد صور ، وكل منهم يقرر صحة العقائد ويستنهض الحجج والأدلة ، وما فعلوا ذلك إلا لوجود خصوم من المبتدعة وغيرهم فكانوا معذورين فيما كتبوا . أما الآن فقد ذهبت تلك الخصوم وجاءت خصوم آخرون ، فلا يليق فرض الذاهب حاضرا وترك الحاضر الذى لا يرده إلا كتاب الله إذا بينه الراد وكان له عقل ! أما تلك الكتب ، فإن فيها حجبا كثيفة تمنع النور وتحدث الظلمة ، وربما قضت على اعتقاد صحيح ثابت .

أمن العقل والحزم أن يتوجه الإنسان إلى مباراة خصم موهوم ، ويترك الخصم الذى ضيق عليه المسالك وأوشك أن يميته موتا ؟ إن هذا لهو البلاء المبين ! أمن الحزم الرد على فرقة من فرق المسلمين ليس لها اسم أو وجود إلا فى الكتب ، وترك الرد على طاعن موجود الآن ؟ أمن الحزم أن يضيع الإنسان عمره فى الاشتغال بخصوم موهومة وإن كانوا ناجين لأنهم غير كافرين ؟ أمن الحزم أن يبحث الإنسان فى الجوهر والعرض ، ولا يبحث فى الكتاب والسنة ليستفيد علماً خيراً من هذا نافعاً فى كل وقت ؟ .. إن الجوهر والعرض أصبحا فى نسيان بجانب الكهرباء وغيرها مما عرف اليوم ، فهل أخذوا فى معرفة ذلك حتى يفيدهم فى الكلام ما أفادهم ذاك ؟ حاش لله أن يأخذوا !

إن كانت معرفة ذلك نافعة فى علم الكلام ولها دخل فى منازع الاعتقاد ، ولا إخال ذلك صحيحاً ، فليصرف الحاكم أو جماعة المسلمين طائفة من الناس لدراسته ليقوموا بهذا العبء ، ولا يتركوا طلاب العلم فى شقاء وبلاء ، ولا فائدة لهم تعود إلا استهزاء الناس بهم والحط من شأنهم » .

وبعد ! فهذا كلام لا يحسن كثير من الناس أن يقولوا مثله ، وهذا رأى يعز على الكثيرين فى سداده وصراحته ، فلنجعله خاتمة الحديث اليوم .

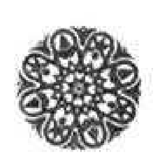

للأستاذ/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

«صفاء اليقين»

لبعض السلف :

إن لله أقواما أنعم عليهم فعرفوه ، وشرح صدورهم فأطاعوه ، وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر له .

فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة .

«مفاخر العرب»

قال خاتمة أدباء الأندلس «لسان الدين بن الخطيب» العرب لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى ، إنما فخرها : عدو يُغلب ، وثناء يُجلب وجُزُرٌ تنحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بقدر الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفنى النشب ، وتمزقت الأثواب ، ومكلت الخيل العراب وكل الذى فوق التراب تراب ، وبقيت المحاسن تروى وتنقل ، والأعراض تجلى وتصقل .

«دعاء يضيق به إبليس»

كان محمد بن واسع - رضى الله عنه - يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم فَأَيِّسْهُ منا كما أيسته من رحمتك ، وقنطه منا كما قنطه من عفوك ، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك ؛ إنك على كل شيء قدير .

«عداوة اللئام»

نسب إلى الإمام الشافعي - رضى الله عنه - هذه الأبيات :

بـلاء ليس يشبـهـه بـلاء
عـداوة غـيـر ذى عـرض ودين
يبيحـك منه عـرضـا لم يَصُنْـهُ
ويـرتع منـك فى عِرْضٍ مصـون

«ما أشتهى من الدنيا»

قال محمد بن واسع : ما أشتهى من الدنيا إلا ثلاثة : أخا إن تعوجت قومنى ، وقوتا من الرزق

عفوا من غير تبعة ، وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها .

«شىء من الحكمة»

- للفقر نور مادمت تستره ، فإذا أظهرته ذهب نوره .
- أضر الأشياء صحبة عالم غافل أو صوفى جاهل .
- لا تعم عن نقصان نفسك فتطغى .
- من لم يستعن بالله على نفسه صرعته .
- من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه .
- الدعوى من رعونة النفس .
- من تزين بزائل فهو مغرور .

«متى تجب الجنة ؟»

روى أن الأوزاعى لقى إبراهيم بن أدهم وعلى رأسه حزمة حطب .

فقال : ياأبا إسحاق إلى متى هذا .... ؟ إخوانك يكفونك .. !

فقال : دعنى عن هذا ياأبا عمرو ، فإنه بلغنى أنه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة .

«شعر الحكمة»

حيل ابن آدم فى الحياة كثيرة
والموت يقطع حيلة المحتال
فإذا بليت ببذل وجهك سائلا
فابذله للمتكرم المفضال
واصبر على غير الزمان فإنما
فرج الشدائد مثل حَلِّ عقال

«دعاء»

اللهم اجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين ، واجعلنا يوم الفزع الأكبر آمنين ، وأوصلنا برحمتك وكرمك إلى جنات النعيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

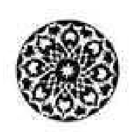

في الأدب المقارن

للأستاذ/ عبد الصبور الكاشف

موضوع واحد عثرنا عليه بين شاعرين ، وعلى وجه الدقة بين الشاعرة الإنجليزية كريستينا چورچينا روزيتي Christina Georgina Rosetti .

عاشت الفترة (١٨٣٠ ـ ١٨٩٤) ، لذا تعتبر من شعراء القرن التاسع عشر ، فهي من شعراء عصر الملكة فيكتوريا ، وهي تختلف عن اخيها الشاعر Rosetti في اتجاه كل منهما ، وإن اجتمعا في الرومانسية ، ويعتبر اخوها اعظم شاعر إنجليزي في كتابة (السوناتات[1] Sonnets) بعد (شكسبير) و (وردزورث Wordsworth) .

والشاعر الذى نَقْرِنُهُ بـ (كريستينا) هو الشاعر العربى (إيليا ابو ماضى) الذى عاش الفترة (١٨٨٩ ـ ١٩٥٧م) ، وشهرته فى عالم الأدب العربى مشهودة ، فهو أحد أعلام المهجر ، ويمتاز بخفة الروح وسلاسة العبارة ، واختيار الوزن المناسب جداً لقصائده .

والموضوع الذى عثرنا عليه يدور حول وصية إلى حبيب .

وهذا هو النص الإنجليزى وترجمته :

---

(١) قصيدة من اربعة عشر بيتا تقريبا .

When I am dead my dearest,
Sing no sad songs for me,
Plant thou no roses at my head,
Nor Shady Cypris tree,
Be the green grass above me
With Showers and dew drops wet,
And if thou wilt remember,
And if thou wilt forget,
I shall not see the shadows,
I shall not feel the rain,
I shall not hear the nightingale
Sing on as if in pain,
And dreaming through the twilight
That doth not rise nor set,
Haply I may remember,
And haply may forget .

عندما اموت يا أعز الناس عليّ
لا تُغَنِّ من اجلى اغانى حزينة
بل ولاتزرع زهورا عند راسى
ولا حتى ذلك الصبار الظليل
وحسبى هذا النجيل الخَضِر من فوق قبرى
تُبَلِّله الأمطار وقطرات الندى
وتَذكُرنى إذا شئت
وكذا انسانى إذا شئت
فسوف لا أرى الظلال
ولن اشعر بالأمطار
ولن اسمع الكروان
يغنى اغانيه الشجية
فسأحلم فى ظلمة القبر
التى لا تشرق ولا تغرب
وربما اتذكرك
وربما أنساك

وهذا هو النص العربى لإيليا أبى ماضى ، قال :

إنْ أنَا اغمض الحِمام جفونى ... وذَوَى صوتُ مصرعى فى المدينة
وتَمَشَّى فى الأرض دارا فدارا ... فسمعتِ دَوِيَّه ورنينه
لا تصيحى : واحسرتاه لئلا ... يدرك السامعون ماتضمرينه
وإذا زُرْتِنِي وابصرت وجهى ... قد محا الموتُ شَكَّهُ ويقينه
ورأيت الصحاب جِائين حولى ... يندبون الفتى الذى تعرفينه
وتعالى العويل حولك ممن ... مارسوه واصبحوا يحسنونه
لا تَشُقِّىَ علىَّ ثوبك حزنا ... لا ، ولا تذرق الدموع الثخينه
غالبى اليأس واجلسى عند نعشى ... بسكون إنى احب السكينه
إن للصمت فى المأتم معنىً ... تَتَعَزَّى به النفوس الحزينه
ولقول العُزال عنك : بخيلٌ ... هو خير من قولهم : مسكينه
وإذا خفت ان يثور بك الوجد ... فتبدو اسرارُنا المكنونه
فارجعى واسكبى دموعك سرا ... وامسحى باليدين ماتسكبينه
يا ابنة الفجر من احبك مَيْتٌ ... ولانت بمثل هذا مهينه

وصية إلى حبيب

إن بين القصيدتين خطوطا يؤدى بعضها إلى بعض ، وهى تفسح الطريق لمعانٍ تتفرع عنها ، وهذا واضح فيما خطته كريستينا .

فالموضوع واحد .

وفى كل منهما يختلف المخاطب فهو عند كريستينا رجل ، وعند إيليا امرأة ، فقد طلبت إلى (رجلها) أن يأْسُوَ جرحه إذا هى ماتت ، وألا يجهد نفسه فى ذكراها فلايغنى من أجلها ، أو يزرع صبارا فوق قبرها .

إنه يُغْنِيها عن ذلك ما فوق قبرها من نجيل ونَدَى .

ثم هى تسمح له ألا يقيم على وفاء لها ، فهو حر إزاءها : نسيها أو تذكرها وحسبها أن تقيم بقبرها .

وبعد :

فهذه المعانى موجودة فى قصيدة إيليا ، وغنى عن البيان أن إيليا يستطيع أن يأتى بعكسها ويضعه فى قصيدته ، ويزيد شيئا أو أكثر من بيئته العربية كشق الجيوب والندب حتى تكون أرفع شأنا من النادبين صناعة .

وليس بعيداً أن يطلع إيليا على هذه القصيدة ، فهو يتقن الإنجليزية وعاش فى أدبها دهرا ، وكلا الشاعرين : كريستينا وإيليا من شعراء الرومانسية والحق يقال :

إن إيليا استطاع أن يصوغ معانى قصيدته صياغة عربية على مستوى عالٍ ، مختارا لها بحر الخفيف الذى أعانه على شجوه وجمال تصويره الذى يبدو بطيئا تارة فى جمال رائع :

وتمشى فى الأرض دارا فدارا   فسمعت دويه ورنينه

وسريعا أخرى فى الأبيات التالية .

إنه على أى حال : شاعر مفلق ...

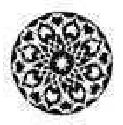

المقرر على الصف الثالث الإعدادى

د. مبروك عطية أحمد أبو زيد •

الحمد لله ولى النعم ، والصلاة والسلام على النبى الأكرم ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير من مشى على قدم ، إلى يوم الفوز والندم

وبعـــد :

فهذه نظرات علمية متواضعة فى كتاب « قواعد اللغة العربية » الذى قررت وزارة التربية والتعليم تدريسه لطلاب وطالبات الصف الثالث الاعدادى ، وهو من تأليف الدكتور محمود فهمى حجازى ، والدكتور رشدى أحمد طعيمة ، والأستاذ عبد الرءوف محمد الغمراوى والأستاذ محمود أمين القوصى ، وقد بذل الأساتذة فى تأليف هذا الكتاب جهداً يذكر فيشكر ، حيث قاموا على بصيرة بتسهيل قواعد العربية ، وتقريبها إلى عقل الناشىء مهتدين بقرارات مجمع اللغة العربية المصرى ، والتى سجلوا منها أربعة فى الصفحة الثانية من الكتاب ، وقد اشتمل الكتاب على ثمانى وحدات ، اشتملت الوحدة الأولى على تدريبات تمهيدية ، والوحدة الثامنة على تطبيقات شاملة ، وأما الوحدات الست فخصصت لأبواب المنهج وهى بترتيب الكتاب التوابع « النعت الحقيقى والتوكيد والعطف والبدل » والعدد وكناياته « كم » بقسميها ، والتراكيب « النداء والمدح والذم والتعجب ، والاستفهام وأحرف الجـواب » ، والمصادر والمشتقات والتدريب على ألف الوصل وهمزة القطع ، والتدريب على معرفة أصول الكلمات ، والكشف عن معناها فى المعجم الوجيز .

وبغض النظر عن اختيار الموضوعات السابقة أقول مستعيناً بالله تعالى : لقد وقفت على مواضع قصور شوهت جمال الكتاب ، وهى كما يأتى :

١ ـ لجوء الأساتذة إلى القضية النحوية المتنازع

● الكاتب مدرس اللغويات بجامعة الأزهر ـ كلية البنات الإسلامية ـ بسوهاج

وقفات مع كتاب (قواعد اللغة العربية)

فيها ، ومجال ذلك الدراسات العليا ، أو العالية ، وليس مجاله تعليم الصغار .

فقد جاءت أمثلة التوكيد اللفظى قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ وقوله عز من قائل : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ وانظر ص ٢٣ من الكتاب وهذه الأمثلة على رأى من يجيز فى التوكيد اللفظى الفصل بحرف العاطف بين الجملة المؤكدة ، والجملة المؤكِّدة ، فهذه قضية خلافية ، حيث أجاز ذلك جماعة منهم ابن مالك .

الا ترى إلى قول الجمل فى حاشيته عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾(١) : « تأكيد لفظى كما زعمه ابن مالك ولا يضر توسط حرف العطف ، والنحويون يأبون هذا ، ولا يسمونه إلا عطفاً وإن افاد التأكيد »(٢) .

والذين اجازوا الفصل بـ « ثم » أو الفاء اشترطوا عدم اللبس يقول الفاكهى : « فإن حصل لبس وجب تركه كـ « ضربت زيداً ، ضربت زيداً » ؛ إذ لو جىء به لتوهم تكرار الضرب منك ، والغرض أنه لم يقع منك إلا مرة واحدة »(٣) .

ولا أود بسط الكلام فى هذه القضية ، فيكفى انها موضع اختلاف ومناقشة بين العلماء ، الأمر الذى لا طاقة لطالب تلك المرحلة به ، ثم إن الأمثلة السابقة ـ على القول بجواز التوكيد اللفظى فيها ـ خاصة بتكرار الجمل ، ولم يذكر المؤلفون أمثلة لتوكيد الاسم أو الفعل ، أو الحرف ، وقد رأيت أن مطالعة الطالب فى أمهات كتب النحو أسهل له من مطالعته كتاب الوزارة ، ففى ارتشاف الضرب لأبى حيان ما نصه : « التوكيد اللفظى يكون فى المفرد ، والمركب غير الجملة ، والجملة ، ويشمل المفرد الاسم والفعل ، والحرف ، ويكون فى المعرفة والنكرة ، فمن توكيد الاسم :

أخاك أخاك إن من لا أخا له
[كساع إلى الهيجا بغير سلاح]

ومن توكيد الفعل :

[فأين إلى أين النجاة ببغلتى]
أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس

ومن توكيد الحرف :

لا لا أبوح بحب بثنة إنها
[أخذت علىّ مواثقا وعهودا]

ومن توكيد المركب غير الجملة :

فحتام حتام العناء المطول .

ومن توكيد الجملة :

قم قائما قم قائما(٤) .

ولست مبالغاً إذا قلت إن القراءة فى كتاب أبى حيان أحسن ، وأنفع للدارس الصغير الذى سوف يسأل هذا السؤال : ما إعراب « ثم كلا سيعلمون » هل « ثم » حرف عطف ، والجملة بعدها معطوفة ، أم « ثم » حرف عطف وما بعدها توكيد لفظى ، يأخذ حكم ماقبله ، فلا محل له من الإعراب ؟!

---

(١) النبأ : ٤ ، ٥

(٢) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ٤ / ٤٧١

(٣) شرح الفاكهى لقطر الندى ٢ / ٢٢٣

(٤) ارتشاف الضرب ٢ / ٦١٥ ، ٦١٦

٢ ـ وجود أخطاء منهجية فى التدريبات والتطبيقات ، ففى ص ٣٤ السؤال الرابع ، ونصه : « اجعل التمييز فى كل جملة مما يأتى بدلاً ، واضبطه بالشكل مع بيان نوعه » ، وهذه العبارة التى هى دليل الطالب تفيد أن كل جملة وردت فى السؤال مشتملة على تمييز ، وعلى الطالب أن يحول هذا التمييز إلى بدل ثم يضبطه بالشكل ، ويبين نوعه ، لكن ذلك لم يحدث فى أول جملة فى السؤال وهى « حسن الرجل كلامه » فإن هذه الجملة ليس بها تمييز ، وإنما هى إجابة ، فالصواب أن تكون جملة السؤال : « حسن الرجل كلاما » لكى تكون مشتملة على تمييز ، فإن قال قائل : إن ذلك مقصود بغرض اختبار الطالب ، وقياس قدرته وما إلى ذلك ونحوه من الأساليب المثالية فى التربية قلت : كان ينبغى أن يغير السؤال . ومن ذلك ما تجده فى ص ٥٦ ، حيث جاء السؤال الأول فى ضوء عبارة طيبة ذات معنى يقول : « عين أساليب المدح والذم فى العبارة » وليس فى العبارة أسلوب مدح واحد ، وكان بإمكانه أن يقول : « عين أساليب المدح أو الذم أو أن يضيف إلى العبارة جملة أو جملتين فى المدح ، إذ أنها ليست تنزيلاً . وتتوالى الأسئلة وتتعدد على هذا النحو أو على أسوأ منه ، ففى الصفحة السادسة والخمسين نفسها السؤال (حـ) يقول : كيف تعرف المخصوص فى تلك الأساليب .

أقول : إن واضع هذا السؤال لم يجد شيئاً يقوله فسبق قلمه إلى وضعه ، وفى الصفحة نفسها وضع خطا تحت كلمتى « محبة » فى قوله « لأنها تكسبك محبة » و « جلساء » . فى قوله : « وتجنب جلساء السوء » والمطلوب إعرابهما وهما ـ كما هو واضح لكل من له أدنى دراية بالنحو ـ مفعول به وكان بإمكانه أن يزحلق الخط إلى اية كلمة أخرى فى العبارة بغرض التنويع ، والتدريب على معرفة أكثر من منصوب ، وهكذا . وفى الصفحة نفسها ، يقول السؤال الرابع : عين فيمايلى المخصوص بالمدح أو الذم وأعربه ، ومن ذلك الأسلوب (هـ) بئس من له فى كل قِدْرٍ مغرفة (يقال للمتدخل فيما لا يعنيه) فأين المخصوص هنا ؟! مع ملاحظة انه لم يشر فى القاعدة إلى جواز حذفه إن علم .

٣ ـ عدم مراعاة قواعد العربية ، وحفظ الذوق ، وتنميته عند طالب تلك المرحلة ، ألا ترى إلى السؤال السادس ص ٦١ ونصه . قال الشاعر :

ما انضر الروض إبان الربيع وقد
سقاه ماء الغوادى فهو ريان

(أ) ضع بدل « ما أفعل » فى الأمثلة السابقة « افعل به » وغير ما يلزم .

(ب) أعرب ما تحته خط .

هذا هو السؤال برمته ، ليرى قارىء هذا المقال معى فساده من أكثر من وجه ، فهو يقول « ضع بدل ما افعل فى الأمثلة السابقة » ولا يوجد سوى مثال واحد هو هذا البيت ولو وضع الطالب « افعل به » موضع « ما أفعله » فقرأ البيت هكذا .

« انضر بالروض إبان الربيع وقد .. .. .. » لكسر البيت ، وفى ذلك ما لا يخفى من إفساد ذوق الطلاب .

ولو أن الغرض من هذا السؤال تدريب الطالب على استبدال صيغة بأخرى لكان مجال النثر ، أو الشعر بشرط الا يخل هذا الاستبدال بوزنه .

٤ ـ عدم المحافظة على النص المقدس ، القرآن الكريم ، وأقول ذلك صراحة ، لما ورد فى كتاب « قواعد اللغة العربية » وقد تمثل فى مظهرين .

الأول : تعريض النص للعبث والخطأ ، واقرأ ما جاء فى ص ٤٠ ، ٤١ ونصه :

٣ ـ ضع بدل الأرقام فى الجمل الآتية ألفاظاً عربية واضبطها وتمييزها بالشكل .

(ب) [والصواب أ] : « واختار موسى قومه (٧٠) رجلاً لميقاتنا » .

وقفات مع كتاب (قواعد اللغة العربية)

(ب) « إن هذا أخى له (٩٩) نعجة ولى نعجة واحدة » .

(حـ) « ولبثوا فى كهفهم (٣٠٠) سنين وازدادوا (٩)» .

(د) « احتفلنا بالذكرى الـ (١٧) لإنشاء الجامعة » .

والملاحظ فيما ورد فى « أ ، ب ، حـ » من آيات أنه يعرض النص الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى الخطأ فقد يكتب الطالب (٧٠) فى السؤال (أ) : سبعون ، وقد يكتب فى (حـ) « تسعة » لا « تسعاً » ، وهو إن فعل ذلك أصاب القاعدة وأخطأ فيما لا يتسامح الخطأ فيه ، فإن القاعدة أن المعدود إذا لم يذكر جاز إثبات التاء وإسقاطها ، وقد ورد بالإسقاط قوله عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر »[٥] ، فلماذا نعرض القرآن الكريم لمثل ذلك ؟

والثانى : عدم العناية بالنص القرآنى من حيث الضبط ، وكتابة الآيات ، فمعظم الكلمات القرآنية غير مضبوطة ، إلى جانب عدم الاهتمام بكتابتها ، خذ مثلاً ماجاء فى ص ٢٥ السؤال الثانى (أ) « علم أدم الأسماء كلها » وما ضرهم لو كتبوا الواو .

فحافظوا على النص : إذ الآية : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة : ٣١ ، وماضرهم لو صدروا الآيات بعبارة « قال تعالى » لتنبيه التلميذ إلى النص ، فيستحضر الخشوع ، ويقبل عليه الاهتمام ، ويفرق بين النصوص ، فليس كل تلاميذنا يحفظون القرآن الكريم .

● وانظر إلى ما جاء فى ص ٢٩ السؤال الثانى (ب) حيث جاء النص هكذا : « وعد الله حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن » ، والصواب ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ التوبة : ١١١ . ولو تأملت ـ عزيزى القارئ ـ شكل السؤال ـ لأدركت معى عدم العناية بالنص القرآنى ، فالسؤال نصه :

استخرج ممايلى كلًا من المعطوف والمعطوف عليه وحرف العطف :

(أ) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم .

(ب) وعد الله حقا فى التوراة والانجيل والقرآن « على ما فيه من خطأ بيناه » .

(حـ) يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

ما الذى يضر لو أنهم كتبوا الآية بتمامها من سورة التوبة ، أو صورت من المصحف الشريف حتى لا يقدموا ويؤخروا فى كلام الله فإن (حـ) فى الآية قبل (ب) وليست هناك ضرورة لارتكاب مثل هذا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة : ١١١ .

٥ ـ التجوز فى التعبير بالمصطلحات النحوية ، ففى درس النداء ص ٤٨ جاء فى العلم المفرد قول الكتاب : « فهو منادى مبنى على الضمة » والضمة ليست علامة بناء ، فلو سلمنا جدلاً

---

(٥) صحيح مسلم (كتاب الصوم / باب استحباب صوم ستة ايام من شوال اتباعاً لرمضان) والحديث رواه أبو أيوب الانصارى وانظر كتابنا (العدد وكناياته فى ضوء القرآن الكريم) صـ ١٧ ط المطبعة الفنية سنة ١٩٩٠

بظاهرة التجديد قرأنا في ص ٥٢ ، ٥٣ في نماذج أعربها المؤلفون : أي : منادى مبني على الضم ، و« إنسان » منادى نكرة مقصودة مبني على الضم ولا أشك في أن ذلك يحدث الاضطراب ، واقرأ القاعدة في ص ٥٥ ونصها : « قد يكون فاعل نعم وبئس اسماً محلى بـ « أل » أو مضافاً إلى المحلى بها أو أن يكون ضميراً أو « ما » الموصولة ولاحظ مافيها من ضعف التركيب ، والنقصان ، فلو حذفت « قد » و« أن يكون » ، وزيدت « من »الموصولة أيضاً لكان أسلم وأوفى ، فإن قيل : قد اقتصرنا على « ما » ، قلت فلم جاء السؤال بـ« من » في ص ٥٧ « هـ » من السؤال الرابع .

٦ ـ عدم العناية باختيار العبارات ، التي صدرت في التدريب والتطبيق ، فبعضها منقول عن فكر أصحابه دون تصرف كما في ص ٢٩ « رحم الله زماناً كان فيه الأب آمراً لأسرة وناهيها ، فلا راد لقوله ولا مناهض لرأيه » ، ولو أنها غيرت إلى « لا أحد من أفراد أسرته يرد له قولاً ، أو يناهض له رأيا » لكان أولى ؛ إذ الذي لا راد لقوله الله الواحد القهار وحده لا شريك له ، وبعضها أبعد مايكون عن ثقافة التلميذ ومعرفته كما في ص ١١٣ حيث تحدثت العبارة عن أبي جعفر النحاس ، وذكرت من مؤلفاته « تفسير أبيات سيبويه » ، وتحدثت عن تقطيعه الشعر وعلمه بالعروض ، دون أدنى تفسير للمصطلحات ، أو تعريف بسيبويه ، ولو في سطر واحد مادمنا أخلصنا النية في تثقيف الصغار ، وربطهم بأسلافهم من العلماء النابغين ، كما أن الكتاب قد خلا تماماً من إيضاح مبهم ، ومن تفسير غامض ورد في تلك العبارات والإعراب فرع المعنى ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ورود كلمة « هِمْيان » ص ٦٥ دون تفسير معناها وهو ما يشد على الوسط ويوضع فيه النفقة كما جاء في لسان العرب (هـ ، م ، ن) وانظر ص ١١٤ ، السؤال السادس ، وص ١١٩ السؤال الثامن وص ١٢٣ السؤال التاسع وص ١٢٥ السؤال الرابع وغير ذلك كثير .

٧ ـ كثرة الأخطاء الإملائية واللغوية ، وعلى سبيل المثال دُعَيتُ س ١ ، ص ٢١ والصواب : دُعِيتُ .

ادْعُ إلى سبيل ربك س ١٤ ص ٢١ والصواب : ادْعُ بهمزة وصل .

اطل من نافذة القطار س ١٧ ص ٢١ والصواب : أطل من نافذة القطار .

وَمِنْ حَوْلِهِ س ٤ ص ٢٢ والصواب : وَمَنْ حَوْلَه . ضمير حيٌ س ٧ ص ٢٢ والصواب : ضميرٍ حيٍّ .

والأمر يطول ، ولا يتسع له المجال هنا ، فالكتاب في حاجة إلى مراجعة دقيقة ، إذ لا يعقل أن تجد أخطاء بهذا العدد في كتاب خصص في قواعد العربية .

وبعد فإذا كانت وزارة التربية والتعليم قد نهضت مشكورة بالكتاب المدرسي ، فصحا بعد سبات طويل ، وخرج إلى الوجود في ثوب قشيب ، فإننا من باب محاولة الوصول إلى الكمال نقدم هذه الملاحظات راجين للقائمين على أمر الكتب خصوصاً كتب النحو المزيد من التقدم والرقي . وبالله التوفيق .

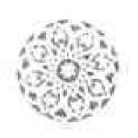

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

تشكيل اللجنة العليا برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● تم تشكيل اللجنة العليا للدعوة الإسلامية برياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وعضوية فضيلة الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .

وقد تقرر تشكيل أمانة عامة برياسة فضيلة الأستاذ الدكتور حامد جامع وكيل الأزهر وأمانات فرعية للتوعية الدينية بمختلف محافظات الجمهورية .

وأعلن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن تنظيم قوافل للتوعية تضم مختلف التخصصات إلى جانب علماء الأزهر لتجوب المحافظات .

كما أعلن عن قيام فضيلته بزيارات لكافة محافظات مصر لمتابعة أعمال هذه القوافل طوال العام .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس المحكمة الشرعية بقطاع غزة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر ، سماحة الشيخ كمال سعيد الأغا رئيس محكمة الاستئناف الشرعية العليا بقطاع غزة وذلك بمكتب فضيلته .

تم خلال اللقاء بحث إمكانية إيفاد بعثات من الأزهر الشريف لقطاع غزة وتدريس العلوم الدينية المقررة على طلاب الأزهر بالجامعة الإسلامية بغزة ، والعمل على زيادة عدد طلاب القطاع المقبولين بجامعة الأزهر .

١٦ يناير إجازة نصف العام بالمعاهد الأزهرية

● وافق فضيلة الإمام الأكبر على أن تبدأ إجازة نصف العام لطلاب المعاهد الأزهرية بمختلف المراحل للعام الدراسى ١٩٩٢/٩١ عقب انتهاء دروس يوم الخميس الموافق ١٦ من يناير القادم على أن تستأنف الدراسة صباح يوم السبت الموافق الأول من فبراير القادم .

مؤسسة محمد على كلاى

● وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على إمداد مؤسسة محمد على كلاى الإسلامية باحتياجاتها من المعلمين والكتب والمناهج الدراسية للعلوم العربية والإسلامية .

وأعرب فضيلة الإمام الأكبر عن سعادته

بالجهود المشكورة التى تقوم بها مؤسسة محمد على كلاى الإسلامية من خدمات جليلة للدعوة الإسلامية بالولايات المتحدة الأمريكية .

جدير بالذكر أن المؤسسة التى انشأها بطل العالم السابق فى الملاكمة تضم حاليا اكثر من (مائتى) مسجد إلى جانب عدد من المدارس لتعليم الإسلام . وقد آكد كلاى على أن همه الأول العمل على نشر الإسلام فى العالم .

« مفتى أذربيجان يطالب رسميا »
بالإسلام دينا رسميا للدولة

● طالب الشيخ شكر الله باشا زاده رئيس الإدارة الإسلامية والمفتى العام فى تنقاسيا بإعلان الإسلام دينا رسميا لأذربيجان .

وقد تقدم المفتى العام بهذا الطلب للجهات الرسمية كما طالب فضيلته بإعادة المؤسسات الإسلامية المصادرة من المسلمين إبان الحكم الشيوعى فى أذربيجان وتتضمن الممتلكات والأوقاف التابعة للمساجد والمؤسسات الإسلامية حيث تم استخدامها فى أغراض غير دينية بواسطة الشيوعيين .

تعتبر مطالب الشيخ زاده اختبارا صعبا يكشف عن نوايا الحكام الجدد الذين يدينون لأوامر (يلتسين) فى وجوب أن تبقى الجمهوريات الإسلامية تحت حكم ديكتاتورى ، راجع افتتاحية عدد ربيع الآخر ص ٣٧٢ تصريح اوجينى ابرازموف وانظر نفس الخط فى سلب حرية المسلمين فى معارك الصرب ضد كوسوفو الجمهورية الإسلامية بيوغسلافيا .. والخط نفسه فى البانيا فى الرد على مطالب مفتيها .

العدد الحالى عن البانيا .

« مركز إسلامى جديد بمدريد »

● انتهى العمل فى بناء مركز إسلامى ثقافى بالعاصمة الأسبانية (مدريد) .

يتميز المركز الجديد بأنه يعد من أكبر المراكز الإسلامية فى أوروبا وهو يشغل موقعا فريداً بالعاصمة مدريد ويحتوى على مكتبة كبيرة تضم أمهات الكتب الإسلامية ومركزا ثقافيا يتلقى فيه ابناء المسلمين العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم .

ويوجد بالمركز قسم للفتوى للرد على أسئلة المسلمين بمدريد للتفقه فى دينهم وإشهار الإسلام للمسلمين الجدد .

الجدير بالذكر أن الإذاعة اللندنية قد تناقلت الخبر عن وكالة الأنباء الإسلامية .

مجلة الأزهر :

وجدير بالذكر ايضا أن العاصمة مدريد مهتمة جداً بترجمة كل صغيرة وكبيرة يكتبها مسلم لتتخذ ذريعة فيما يثيره المستشرقون ضد الإسلام فى خطهم الجديد الذى يعنى بالإثارة مستندة إلى كلمة مسلم حتى لا يحتج عليهم . تعرف هذه الطريقة فى فن الإثارة بـ (جذر الكذب) .. أستاذها قديما (جوبلز) مدير دعاية الفوهرر (هتلر) .

عالم مسلم من الهند يسجل أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أقراص كمبيوتر

● قام العالم المسلم محمد مصطفى الأزمى العظمى الهندى الجنسية بتسجيل أحاديث

أنبـــاء وآراء

رسول الله (ﷺ) من الكتب الصحاح (صحيح البخارى ومسلم وسنن النسائى وأبى داود والترمذى وابن ماجه ومسند أحمد بن حنبل) على أقراص كمبيوتر وسماها مكتبة الحديث الأليكترونى .

تم ذلك بولاية كولورادو الأمريكية .

ويمكن استرجاع هذه الأحاديث حسب المواضيع بسهولة وفيها ترجمات للأحاديث بلغات الأردو والهندى والبنغالى والإنجليزي والفرنسى والألمانى والملايو والبشتو والتركى .

إقامة أول مسجد فى (ويندهوك) عاصمة ناميبيا منذ استقلالها

● أقيم فى (ويندهوك) عاصمة ناميبيا أول مسجد منذ استقلالها فى أوائل هذا العام ، ويشمل المسجد مركزاً إسلاميا كبيرا شاملا .

وسيفتتح قريبا ذلك المركز الإسلامى فى « ويندهوك » .

تكلف المسجد مبلغ أربعين مليون دولار ، ويشتمل على قاعة اجتماعات ومدرسة ومركز تدريب ومكتبة إسلامية كبيرة .

والجدير بالذكر : أن عدد المسلمين فى « ويندهوك » حوالى ألف شخص .

افتتح عدد من الدول الإسلامية سفارات لها فى « ويندهوك » ، منها مصر وليبيا والجزائر وتونس وإيران .

الإسلام فى بلجيكا

● فى مقابلة بثتها إذاعة مونت كارلو بالعربية عن انتشار الإسلام فى بلجيكا . ذكرت أن الإسلام قد انتشر فى بلجيكا بعد الحرب العالمية الثانية عن طريق المهاجرين المسلمين الذين استوطنوا فى بلجيكا فقد لجأ إليها كثير من الألبان المسلمين الفارين من الحكم الشيوعى فى بلادهم ، كذلك تدفقت البعثات الدبلوماسية من الدول الإسلامية على بلجيكا وكان لها أكبر الأثر فى تنمية العلاقات الإسلامية بشكل ملاحظ .

يبلغ عدد المسلمين فى بلجيكا نحوا من مليونى مسلم ، وبها أكثر من ٤٠ ألف طفل مسلم ولدوا على أرضها ، وصاروا يحملون الجنسية البلجيكية تلقائيا .

قامت مجموعة من المسلمين فى بروكسل بتأسيس منظمة إسلامية باسم المركز الثقافى الإسلامى وحصلت الجالية على اعتراف من الحكومة البلجيكية بالمركز منذ عام ١٩٦٧ م كذلك اعترفت الحكومة بالدين الإسلامى دينا رسمياً بجانب الديانة الكاثوليكية .

يضم المركز مكتبة كبيرة ومدرسة لتعليم أبناء المسلمين القرآن وعلومه واللغة العربية وقاعة اجتماعات لتدارس أحوال المسلمين فى بروكسل .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية « مصرى فى رحاب آل البيت »	
د . على أحمد الخطيب	٤٨١
العالم الإسلامى والمستقبل	
د . محمد إبراهيم الجيوشى	٤٨٣
الانفصـــال	
د . عبد الجليل شلبى	٤٨٧
قبس من أنوار النبوة « سلعة الله غالية »	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	٤٩٠
التراضى على خروج وريث أو التخارج	
د . محمود عبد المتجلى خليفة	٤٩٢
فقه الخـلاف	
للشيخ محمد حسام الدين	٤٩٦
الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى « جمهورية أذربيجان »	
أ . د . محمد عبد العليم العدوى	٥٠٢
ناصح أمين « دروس للدعاة إلى الله »	
للشيخ أحمد بن محمد طاحون	٥١٢
الجوع والمسلمون داخل الوطن الشيوعى	٥١٦
ألبانيا الإسلامية وأخوة الإسلام	
للشيخ توفيق إسلام يحيى	٥١٩
أشد الناس عداوة للذين آمنوا « ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية »	
لواء أ . ح . د . فوزى محمد طايل	٥٢٦
حول شهادات الاستثمار	
د . أحمد محمد إبراهيم	٥٣٤
الفـــتاوى	
إعداد أحمد السيد تقى الدين	٥٤٠
من أعلام الأزهر « الشيخ أحمد شحاتة »	
للأستاذ أحمد حسين النمكى	٥٤٢
زائـر كريــم	
للأستاذ عادل خفاجة	٥٤٥
الشـعر والشـعراء	
إشراف رشاد يوسف	
إن ربك لبالمرصاد	
للشاعر السيد الصديق حافظ	٥٥٠
امتشق حرفك المضىء حساماً	
للشاعر أحمد محمود مبارك	٥٥١
أيهـا الإنســان	
للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين	٥٥٢
العـلوم الكونيــة	
التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة حضارية	
أ . د . أحمد فؤاد باشا	٥٥٤
حقائق وآراء علمية حول كوكب المريخ	
د . ميرفت السيد عوض	٥٦٠
الجديد فى العلم والتقنية	
إعداد : د . نجوى السيد أحمد	٥٦٣
من روائع الماضى لمجلة « الأزهر » كلمات لحضرة	
الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى	٥٦٦
طرائـف ومواقـف	
أ . عبدالحفيظ محمد عبدالحليم	٥٧٠
فى الأدب المقارن « وصية إلى حبيب »	
للأستاذ عبدالصبور الكاشف	٥٧٢
وقفات مع كتاب « قواعد اللغة العربية »	
د . مبروك عطية أحمد أبوزيد	٥٧٥
أنباء وآراء	
إعداد : عبدالمنعم فودة	
مصطفى عبدالمجيد	٥٨٠
القســم الفرنســاوى	
المقالة الثانية	
للأستاذة هدى حسين	٥٩٠
المقالة الأولى	
للأستاذة رقية جبر	٥٩٨
القســم الانجليــزى	
إشراف د . أنس النجار	
المقالة الثانية	
للأستاذ سعد مصطفى مصطفى	٦٠٢
المقالة الأولى	
د . أنس مصطفى النجار	٦٠٦

J'implore Allah de nous guider dans la voie du respect de notre Prophète - salut et bénédiction sur lui .

De nous inscrire parmi ses adeptes, ses alliés et ceux qui défendent ses principes .

De faire que nous soyons obéissants à ses ordres .

De ne pas nous priver de son intercession en notre faveur dans l'autre monde .

Hoda Hussein chaaraoui

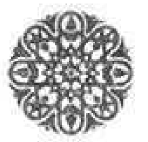

Au croyant ayant répondu juste, ils disent « Regarde . voilà la résidence qui t'était destinée en Enfer, Allah te l'a remplacée par celle là au Paradis » .

Quant à l'hypocrite ou au mécréant, qui répond « Je ne sais pas, je disais ce qui disaient les gens !» , les anges diront :

« Tu n'as rien su, rien lu » . C'est alors qu'ils lui assèneront des coups avec des barres de fer qui lui feront pousser des cris entendus par tout le voisinage, à l'exception des djins et des humains .

III - Supplice ou félicité de la tombe

Le supplice de la tombe est une terrible réalité que l'homme doit affronter . Le Prophète - salut et bénédiction sur lui - ne cessait dans ses invocations de demander à Allah de le protéger contre le supplice de la tombe. Son but était d'enseigner à la communauté sans l'ombre d'un doute que cela aura lieu inévitablement . Il nous a appris que la tombe peut-être un jardin du Paradis ou un abîme de l'Enfer . Il nous a appris aussi, que ce fait est infaillible, même si l'homme a été mangé dans les ventres des bêtes féroces, ou même dans les gésiers des oiseaux, car celui qui peut anéantir a le même pouvoir de ressusciter .

IX - Le Paradis et l'Enfer

Le Paradis et l'Enfer sont les deux demeures éternelles destinées aux hommes qui seront soit retribués, soit châtiés. Le Seigneur les a créés et les a préparés pour accueillir leurs hôtes ...

Allah dans le Saint Coran a dit que le Paradis a huit portes et lorsque les croyants y parviendront, les anges gardiens leur diront ; « Paix sur vous ! Jouissez de la félicité, soyez heureux ici où vous serez immortels » .

Quant à l'Enfer, il y a sept portes[1] sur lesquelles veillent des anges qui ne désobéissent pas aux commandements d'Allah ils sont soumis à Allah et exécutent Ses ordres .

(1) Pourquoi le paradis a - t - il huit portes alors que l'Enfer n'en a que sept ?
Cette inégalité s'explique par le fait que la Miséricorde d'Allah surpasse son Châtiment .

Et cependant la tradition là - dessus est unanime malgré la durée pour révéler le défi et malgré l'acharnement des adversaires et leur zèle, ces derniers furent frappés d'impuissance et s'en retournèrent vaincus .

L'apparition d'un Livre pareil dans la bouche d'un illetré est le plus grand miracle et la preuve la plus convaincante que ce livre n'est pas l'oeuvre d'un humain mais plutôt un rayon de la science divine, une sagesse émanant du Seigneur et exprimée par la bouche de ce Prophète illetré . Le Coran vénéré constitue l'Eternel, et le plus éclatant miracle du Prophète . C'est le Livre qui renferme les nouvelles du passé et celles de l'avenir ainsi que la Loi qui gère notre vie .

Il représente l'argument certifié de la véracité de la mission de Mohammad - salut et bénédiction sur lui dans toutes les époques .

Guidés par des telles preuves, il faut obéir au Prophète, le vénérer, le respecter et suivre son exemple en ce qui concerne les préceptes de la vie d'ici - bas. Voici en quoi il nous a ordonné de croire :

I - Le mérite des Compagnons du Prophète qu'Allah soit satisfait d'eux

Allah a choisi pour Son Prophète - salut et bénédiction sur lui - des compagnons. Ils ont été les défenseurs, les partisans et les alliés du Prophète C'est grâce à eux que l'Islam fut soutenu et s'est répandu, c'est grâce à eux que les paroles du Prophète furent transmises, se sont propagées et ont été retenues par coeur; c'est grâce à eux que le Coran fut appris de génération en génération . Leur mérite dépasse celui de tout le reste de la communauté . Le musulman doit donc les honorer, les respecter et n'en parler qu'avec égards. On doit s'abstenir de parler de leurs défauts et des différends qui les ont opposés ou des guerres qu'ils ont engagées . Le Prophète - salut et bénédiction sur lui - a averti ceux qui viendront après eux en disant « Craignez Allah en mes compagnons, ne les prenez pas pour cibles après moi . Quiconque leur nuit, c'est à moi qu'il porte préjudice, celui qui me porte atteinte, c'est Allah qu'il vise et alors il sera promptement châtié» .

II - L'épreuve du tombeau

L'homme dans sa tombe endure des suplices et subit un interrogatoire par deux anges, chargés de cette mission .

Le Prophète - salut et bénédiction sur lui - nous l'a confirmé; voici ce qu'il dit :
« L'homme à peine déposé dans sa tombe, alors que les siens viennent à peine de le quitter, entend les bruits de leurs pas, voit deux anges se présenter à lui, ils le font assoir sur son séant et lui posent les questions suivantes :
« Qui était ton Dieu ? Quelle était ta religion ? Que disais - tu de cet homme » ? (i. e. Mohammad - salut et bénédiction sur lui) Puis ils lui montrent deux résidences l'une en Enfer et l'autre au Paradis;.

IV - Croyance en la Véracité du Message du Prophète Salut et bénédiction sur Lui

La reconnaissance du Prophète nous oblige à nous incliner devant ses instructions et à les accepter .

Mohammad - salut et bénédiction sur lui - vivait en Arabie, il ne se distingua jamais comme prédicateur, ni comme orateur. Il était réputé parmi les siens pour sa modestie, sa sobriété, son calme, son amabilité, si bien qu'on l'avait surnommé « Le sincère et le probe ». Jusqu'à l'âge de quarante ans, les gens de La Mecque ne virent en lui qu'un homme d'une excellente nature . Ce fut lui que le Seigneur choisit pour la Révélation, car, sur le plan moral, le Prophète doit-être le meilleur membre de la communauté. La miséricorde d'Allah s'est répandue sur toute l'humanité lorsqu'Il a envoyé Mohammad - salut et bénédiction sur lui - avec le Message destiné aussi bien aux hommes qu'aux génies .

Pour prouver la véracité du Message de Mohammad - salut et bénédiction sur lui - Allah l'a appuyé par des miracles dont l'un est éternel, Il l'a préféré aux autres Prophètes, comme Il a préféré sa communauté à toutes les autres. Son Message est le dernier de toutes les missions prophétiques antérieures, point de Prophète après lui et la législation coranique annule toutes les autres législations. Même la profession de foi Islamique est considérée nulle si elle n'est pas suivie par l'attestation «que Mohammad est Son Messager» .

La Révélation qu'il reçut de son vivant fut conservée dans la mémoire de ses compagnons, fut également inscrite sur des feuilles de palmier, sur des morceaux de cuir, ect ....

De sorte, que le Coran dont nous disposons aujourd'hui est identique à celui qui lui fut révélé. Pas une syllabe n'a été altérée, car Allah Lui - Même en a garantie la conservation .

Le Coran fut révélé dans un siècle qui se distingue de tous ceux qui l'ont précédé par le grand nombre d'hommes élégants et habiles dans l'art de la parole. Le don de l'esprit et le talent naturel s'exaltaient dans la force de la parole et son pouvoir à toucher les consciences et à subjuger les esprits . Mohammad - salut et bénédiction sur lui - lança aux maîtres de la parole un défi. Ce défi consiste à lui présenter quelque chose de comparable en beauté et en éloquence aux sourates du Coran ou même à la plus courte d'entre elles. Il était en leur pouvoir de réunir autant de savants ou d'orateurs qu'ils le voulaient pour composer un morceau pouvant soutenir le défi .

Mais pourquoi ne peut - on pas se fier dans ce domaine à la raison humaine ? Parce que Allah en créant le cerveau de l'homme a prévu ses facultés et ses pouvoirs : ils consistent à reconnaître l'utile du nuisible au moyen de l'expérience et de l'observation. Ces derniers se basent sur les sens qui permettent d'acquérir les informations et de communiquer ce qui est compréhensible. Or, les hommes selon leur faculté d'intelligence et de raisonnement diffèrent les uns des autres. Ils sont tous confondus devant ce qui échappe à leurs sens .... Or, les hommes sont incapables de s'entendre quand il s'agit de déterminer la Vérité . Comment donc cette raison humaine limitée et insuffisante arriverait - elle à connaître, Son Créateur, Ses Attributs, Ses Actes, ce qu'Il attend de Ses Créatures, les châtiments, les récompenses et le chemin droit qui mène à la félicité en ce monde et dans celui de l'au - delà ? Pour cela Allah a jugé nécessaire d'envoyer des Prophètes afin de faire reconnaîre le Créateur à Ses créatures et d'apprendre aux hommes la manière dont il faut adorer Allah et Lui obéir .

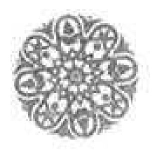

L'homme, dont la raison et les sens sont sains, ne peut pas connaître tous les détails de ses facultés physiques ou morales, ni la relation qui existe entre le système nerveux et musculaire dans son corps .

Ainsi il existe une différence entre le mouvement déterministe du diaphragme et les battements du coeur et les mouvements purement volontaires comme le changement de position. Il y a une différence entre ce qui est volontaire et ce qui est involontaire. On en déduit donc que les actions humaines sont une création de la volonté d'Allah mais qu'elles sont en même temps les conséquences de la raison de l'homme : il les réalise par sa volonté et les accomplit librement .

c) Les actions des humains leur sont attribuées, mais elles sont conformes à la volonté d'Allah . Tout ce qui se produit dans cet univers a été voulu par Allah . Mais cela ne veut pas dire qu' Allah approuve les mauvaises actions : Allah a pourtant permis que les méchancetés soient commises, mais il n'a pas ordonné de les faire. Nous distinguons ici, la différence qui existe entre une permission et un ordre. Allah a ordonné aux anges de se prosterner devant Adam, ils se prosternèrent tous. Ainsi Allah a ordonné la prosternation, mais n'a pas voulu que Satan se soumette. Il arrive qu'Il n'ordonne pas, mais veut que cet acte se produise. Ainsi Allah a voulu qu'Adam soit chassé du Paradis à cause de désobéir ni de croire aux propos de Satan (Ibis) et cela, malgré les avertissements qu'il a reçu de son Seigneur .

d) Allah a créé les humains et les a chargés de certaines obligations .

S'Il le voulait, la terre et le ciel n'existeraient pas, et s'Il le voulait, Il aurait pu imposer aux humains des charges qui sont au - dessus de leur force .

Il aurait pu leur imposer des devoirs qu'ils ne peuvent supporter ou encore les accabler de douleur et de supplice dans ce monde, ensuite leur infliger tous les châtiments de l'enfer dans l'autre monde ... Et cela sans motif, sans qu'ils aient commis aucun crime ni aucun péché ...

Car Allah n'a point à rendre compte de ce qu'Il fait, alors que les humains seront interrogés sur leurs actions .

Allah existait alors que le monde était un néant... Il a le droit d'agir et de faire ce qui Lui plait, Il est le Maître Absolu du Royaume .

Il règne en Maître Absolu dans Son propre Royaume. N'est - il point juste de disposer à Son gré de Ses propres biens ?

e) Allah - Gloire à Lui - a demandé à Ses serviteurs de Le reconnaîre et de Lui obéir et cela grâce à la jurisprudence et par simple transmission et non par l'intelligence et la raison .

Al-Tawhid
ou
La Foi en L'unicité d'Allah

Hoda Hussein Chaaraoui

– 2 –

III Foi dans les actes d'Allah

Nous avons prouvé que l'Etre Suprême - Gloire à lui - est doué d'Onnipotence de Lui procèdent la création et le commandement,. Il est doué aussi d'Omniscience mais Son Savoir est inhérent à Son Existence, tout ce qui est créé est conforme à la conception qu'Il s'en fait Il est le Vivant et l'Eternel dans le passé comme dans l'avenir. Mais Sa vie n'est point comparable à celle de Ses créatures L'assoupissement ni le sommeil n'ont d'emprise sur Lui, Son Pouvoir s'étend à tout le royaume des cieux et de la terre . Sa science embrasse toute chose, il est impossible qu'un fait quelconque échappe à Sa volonté Les évènements ont lieu conformément à Sa volonté sans réflexion ni préparation préalables. Il n'a point besoin d'organes comme ceux des créatures pour voir ni pour entendre. Il est Celui qui entend tout et partout, Il est Celui qui voit tout et partout, Il entend sans avoir besoin d'oreille, Il voit sans avoir besoin d'yeux comme c'est le cas pour les créatures .

Nous comprendrons mieux les Actes d'Allah en méditant sur les points suivants :

a) Il est Créateur de tout ce qui existe dans l'Univers. Tout ce qui existe en dehors d'Allah n'a été créé que par Lui .

Allah pourvoit aux besoins de tout ce qu'Il crée : Il a créé les créatures et leurs actes, il a déterminé leur sort et leurs moyens de subsistance. Il les a doués de facultés .

Il n'existe point d'animal sur terre, ni dans l'eau ni même dans les entrailles de sa mère, à qui Allah ne donne l'instinct de trouver sa nourriture et la possibilité de s'en saisir et d'en tirer profit. Par exemple l'abeille et le miel... L'araignée et sa toile... La fourmi et son mouvement incessant... La lune et son orbite ainsi que tous les autres êtres, sont tributaires d'Allah dans leur mode d'existence (de la plus petite bête, jusqu'à l'homme, la créature la plus parfaite) .

b) Les actions des humains bien qu'elles soient des créations d'Allah, soumises à Son pouvoir, leur sont attribuées dans la mesure où elles sont accomplies librement.

Cette fierté et cet orgueil des Arabes s'expliquent en grande partie par leur origine et surtout par l'Islam lui-même . Ils étaient en effet convaincus de posséder, par leur religion et la culture qu'elle véhicule, la forme la plus noble et la plus parfaite pour parfaite pour offrir un culte à Allah. De plus, les docteurs de l'Islam ont toujours défendu farouchement le patrimoine traditionnel afin de maintenir la pureté et la rigueur du dogme et de la loi islamiques .

Au contact des Musulmans, les Occidentaux du Moyen-Age éprouvaient un sentiment d'infériorité; aussi ont-ils cherché à discréditer l'Islam. Pierre le Vénérable, Abbé de Cluny, fut l'un de ceux qui ont le plus contribué à fixer cette image, et le pélérinage à St Jean de Compostelle était principalement une tentative pour prouver la force de la foi chrétienne .

Cette réputation qu'ils donnaient à l'Islam ne reflétait en fait que l'ignorance et les ténèbres dans lesquels était plongé l'Occident chrétien médiéval avant les conquêtes arabes .

Par la suite, lorsque le volume et l'étendue de transactions commencèrent à croître entre l'Islam et l'Occident, l'Europe découvrit la vraie nature de cette civilisation et les valeurs authentiques véhiculées par le monde musulman .

Toutefois, le monde occidental, fortement marqué par cette image erronée de l'Islam donnée par l'Eglise médiévale, continuera longtemps à ignorer, voire mépriser, les temps forts de la civilisation musulmane : les jugements de bien des Occidentaux sur l'Islam sont longtemps restés marqués par des déviations et des obscurcissements intellectuels ou collectifs .

A ceux qui prétendent que les gloires de cette civilisation ne sont en rien redevables à l'Islam lui-même et qu'elles sont dues à l'apport d'autres civlisations (en particulier grecque et indoiranienne), on peut rappeler – pour le moins – que les Arabes ont servi de relais à ces cultures et qu'ils ont ranimé un flambeau qui, sans eux, risquait de s'éteindre .

D'autre part, en élargissant singulièrement l'horizon intellectuel de l'Occident, ils ont frayé leur route à l'Humanisme et à la Renaissance .

Ce n'est que bien plus tard que des penseurs intègres comme Louis Massignon manifesteront la volonté de mieux connaitre, et en toute sympathie intellectuelle et objective, la vraie valeur de la culture islamique .

A l'époque actuelle, le monde musulman est en train de reprendre conscience de sa valeur : et de tirer se force de son passé lumineux .

Dr. Rokaya Gabr

pour « la dame des pensées » et ne reflétait nullement la condition humble et répendante de la femme en France. Cette conception de l'amour était donc « étrangère » à la société française.

Ce parallélisme s'explique par les relations étroites qui liaient la France du sud et du sud-ouest avec l'Espagne, et par les voyages et les séjours prolongés de troubadours, comme Marcabru, en Espagne .

Cette influence se remarque également chez le troubadour Guillaume IX qui connaissait les terres d'Islam et avait même appris quelques rudiments d'arabe (on a trouvé 4 vers d'arabe hispanique dans l'une de ses chansons) .

D'ailleurs, la langue des troubadours du Midi de la France était étroitement apparentée au Catalan : une école catalane de poésie courtoise apparut vers 1170;.

Il n'y a pas à se dissimuler les objections que peuvent soulever ces hypothèses qui sont pourtant très vraisemblabes. En effet, pourquoi la société féodale française répugnerait-elle à emprunter à la civilisation arabe sa poésie et ses sources d'inspiration alors qu'elle lui devait déjà tant de choses ?

Ajoutons à cela que les histoires arabes diffusées par traductions et renforcées par la transmission orale justifient les similitudes de sentiments poétiques et de sujets d'inspiration .

D'autre part, on n'ignore point que la musique arabe connut son âge d'or en Andalousie. On venait de tous les coins d'Europe étudier la musique à Cordoue, à l'école des grands maîtres arabes où les grands ouvrages sur la musique étaient traduits en latin (8) . D'ailleurs un grand nombre d'instruments de musique portent des noms d'origine arabe (le luth dont s'accompagnent les chants des troubadours, n'est autre que «al-ud») .

Rappelons enfin que la vie de faste et d'opulence des Arabes et leur magnifique civilisation ont enflammé l'imagination des Européens, contribuant ainsi à l'éveil du génie romantique chez ces peuples .

CONCLUSION

Le monde musulman continua longtemps à rayonner intellectuellement par ses sciences, sa philosophie et son art, sur le monde occidental .

Etant donné l'étendue du territoire conquis par les Arabes, les Européens pensaient que les Musulmans repésentaient le tiers des habitants de la terre .

Conscients de l'absolue supériorité de leurs croyances et de leurs coutûmes, les Arabes ont imposé, non seulement, leur langue, mais encore leur mode de vie et de pensée à la majorité des états conquis .

(8) Al Farabi, Al Kindi et Avicenne comptent parmi les plus célèbres penseurs arabes qui aient écrit sur la musique, les rythmes, l'harmonie, etc...

paradoxalement — celui qui a le plus subi l'influence de ce penseur musulman .

Comme on peut s'en rendre compte, c'est en vain que l'Eglise tenta d'éteindre les lumières philosophiques venues de l'Orient .

D'ailleurs, les premiers philosophes mystiques occidentaux du XIIIème siècle avaient étudié la philosophie arabe à l'Université de Paris .

Cependant ce n'est pas uniquement dans le domaine des sciences, de la philosophie et de la pensée mystique que les Arabes ont laissé leur empreinte sur la pensée occidentale .

Aujourd'hui on a maintes preuves qu'un grand nombre de théologiens et de poètes médiévaux ont largement puisé dans les sujets et l'inspiration poétique des Arabes .

Rappelons tout d'abord que l'admiration des Occidentaux pour les beautés de la langue arabe les amena à négliger le latin. C'est ainsi que naquirent progressivement les langues nationales européennes où l'on retrouve encore un nombre important de mots d'origine arabe .

Comme la culture arabe avait hérité du patrimoine des grands poètes de l'époque pré-islamique, leur supériorité littéraire par rapport aux Chrétiens du règne de Charlemagne était évidente .

La littérature arabe était infiniment supérieure à la poésie européenne en langue vulgaire. Les princes normonds furent conquis par le raffinement, l'art et la richesse d'inspiration de la poésie arabe. Cette dernière devint à Palerme la poésie courtoise par excellence. Dante lui-même affirmait que la poésie courtoise par excellence. Dante lui-même affirmait que la poésie italienneétait née en Sicile où la poésie arabe était hautement appréciée .

Les états latins ont connu pour la première fois la poésie rimée grâce aux Arabes qu'ils côtoyaient en Sicile, en Andalousie et dans les Baléares .

Les grands poèmes épiques espagnols étaient soit inspirés, soit traduits de l'arabe, et la langue arabe demeura longtemps la langue traditionnelle de l'amour, de la poésie et de la science, aussi bien en Sicile qu'en Italie, en Provence, à Byzance et même au coeur de l'Allemagne,

Ainsi l'amour platonique qui a participé au développement ultérieur de l'amour « courtois » en Europe occidentale avait ses racines dans la littérature arabe andalouse.

Cet idéal courtois dans la littérature arabe exprime une tendance au mysticisme, il représente une forme d'évasion romantique et un frein aux instincts. Ainsi l'Islam donnait l'exemple d'élaboration mystiques des thèmes courtois .

Or, on a remarqué un parallélisme poétique entre la poésie hispano-arabe et celle des troubadours du sud de la France. Cette dernière célébrait l'amour platonique et chaste

On peut déduire de cela une vérité importante : Le Coran incite l'homme à une vision réaliste des phénomènes. Cette invitation à tirer parti du pouvoir des sens a poussé certains penseurs musulmans à réagir contre la philosophie et la logique grecques .

Les écoles philosophiques occidentales ont trouvé dans la pensée arabe une matière et des sujets nouveaux, (en particulier le monde de la métaphysique) .

Less philosophes scolastiques de l'Europe médiévale (tels que Albert le Grand et St Thomas d'Aquin) ont largement puisé dans le système philosophique des Arabes .

L'oeuvre d'Al-Ghazzali Ihya Ouloum eddine ou la Régénération des sciences religieuses (505 Hg-1111 JC) a été traduite en latin en 1150 Jc, c'est-à- dire moins de quarante ans après la mort de l'auteur. Elle provoqua l'admiration des philosophes juifs et chrétiens qui connurent très tôt ses principales doctrines :

Al-Ghazzali a exprimé cette idée que le doute est le point de départ de tout savoir. Ainsi cette découverte, bien avant Descartes, avait été faite par un philosophe musulman .

D'autre part, pour lui, Allah est la principale cause de tout .

Enfin, Al-Ghazzali plaçait la philosophie (falsafa) en marge de la religion .

Pourtant si Al-Ghazzali a connu une certaine vogue auprès des hommes d'Eglise, il n'en fut pas de même pour d'autres philosophes musulmans comme Avicenne et surtout Averroès, dont les idées étaient accueillies avec une certaine méfiance .

En effet, alors que certains philosophes musulmans comme Avicenne avaient tenté d'établir un rapprochement entre les principes des religions révélées et les théories d'Aristote, Averroès exprima intégralement la pensée d'Aristote qui niait toute récompense et tout châtiment en dehors de la vie terrestre. Comme ses opinions allaient à l'encontre de celles des ecclésiastiques, elles firent scandale et on l'accusa d'hérésie (ainsi qu'Aristota) et l'Eglise prit des mesures contre les averroistes condamnés comme hérétiques .

Or, la philosophie d'Averroès a poussé nombre d'occidentaux à secouer le joug des enseignements de l'Eglise en revendiquant pour l'homme le droit à la liberté de pensée et à l'application de la raison fondée sur l'expérience .

L'influence de ce philosophe fut moins considérable dans le monde musulman qu'en Europe où il était devenu le meilleur modèle du libre-penseur .

Les ouvrages d'Averroès ont été traduits en hébreu et en latin et l'on compte — à Venise seulement — plus de cinquante réimpressions .

Sa philosophie libérait la pensée de l'Occident chrétien et lui ouvrait la voie de la recherche .

Son influence fut particulièrement sensible sur St Thomas d'Aquin. Bien que ce théologien chrétien ait longtemps combattu les idées d'Averroès, il fut — assez

En outre, beaucoup de noms de tissus et d'objets de luxe ont gardé une origine arabe. Une grande partie du vocabulaire du vêtement, de la parure et des objets de luxe est empruntée à l'arabe. D'ailleurs la plupart des mots français d'origine arabe sont entrés dans la langue par l'intermédiaire du castillan; et l'arabe de son côté avait largement contribué à la formation du vocabulaire castillan .

D'autre part, les emprunts de plusieurs termes techniques à l'arabe révèlent les différentes formes de progrès et les réalisations des Arabes à l'époque médiévale .

On a aujourd'hui la certitude que les savants européens du XIIème siècle avaient tiré un grand profit de la science des Arabes. C'est dans ce but qu'ils s'intéressaient à la lecture des ouvrages scientifiques arabes traduits en latin. Ainsi la science médiévale est tributaire aux Arabes des notions de médecine, d'alchimie et de mathématiques. Le Pape Sylvestre II fut le premier des Occidentaux à apprendre et à calculer avac les chiffres «arabes» qu'il avait appris à la frontière espagnole. L'Europe a par la suite adopté ces chiffres; ainsi que le «zéro», les décimales et l'algèbre. Elle doit aux Arabes l'usage de la boussole et de la poudre .

Notons aussi, à titre d'exemple, qu'on cultivait le papyrus en Sicile et que c'est grâce aux Arabes que l'Italie connut l'industrie du papier en 1153 .

On doit à Abbas Ibn Farnas la découverte du procédé de fabrication du cristal .

Il est aujourd'hui confirmé que l'Occident doit sa renaissance dans les domaines des sciences et des arts à la civilisation arabomusulmane .

Les styles islamiques imposés à l'architecture des pays conquis se répandirent en France et en Italie grâce aux artisans mozarabes .

L'art roman chrétien a en effet emprunté à l'Islam hispanomagrébin un grand nombre de ses formes architecturales les plus typiques .

Par ailleurs, l'expérimentation scientifique fut introduite par les penseurs musulmans qui préconisaient la spécialisation .

En affirmant dans le Coran que la nature est la principale source de savoir, l'Islam a ouvert la voie à la recherche fondée sur la méthode expérimentale. Plusieurs versets du Coran expliquent comment la science et la sagesse s'acquièrent par l'observation des phénomènes naturels : le soleil; la lune, la lumière, l'homme, etc...(5) .

La parole divine apprend au musulman qu'il ne doit point rester aveugle à ces Signes de la toute-puissance divine, mais qu'il faut plutôt les observer et en tirer des leçons .(6) .

(5) Voir les sourates correspondantes dans le Coran .

(6) Voir Sourate la loi 25 (ver. 73) «Ceux qui ne deviennent pas sourds et aveugles dès qu'on leur rappelle le Signes des leur Seigneur .

Les deux traducteurs les plus célèbres de cette époque furent : Dominique Gonzalve de Ségovie qui était secondé par deux arabisants : Avendeath (Ibi Daoud), et Jean (Juan) de Séville. Gonzalve choisissait les ouvrages à traduire et donnait au texte latin sa forme définitive (i.e. corrigeait le texte latin), alors deux autres commençaient par faire une traduction littérale des textes arabes en latin C'est-à-dire qu'on dégrossit l'oeuvre en appliquant le mot latin sur le mot arabe. On pense d'ailleurs que toutes les traductions au XIIème siècle se faisaient de la sorte .

Quant au second traducteur, ce fut Gérard de Crémone, un italien installé à Tolède jusqu'à sa mort en 1187. On lui doit la traduction d'une centaine d'ouvrages .

Ce mouvement de traduction s'étendit bientôt à d'autres régions d'Espagne et ne se limita plus aux Juifs ni aux Mozarabes. Ainsi on mentionne Adelard de Bath, un Anglais, un savant de l'est de Tyrol, Hermann le Dalmatien et Robert de Chester qui ont tous contribué à la traduction des grands penseurs de l'Islam (Al Razi, Al Farabi, Al Ghazzali ...) .

On ne peut pas dire que la traduction des ouvrages arabes se faisait selon une stratégie bien définie. Cependant on peut affirmer que lorsque l'Europe prit pour la première fois contact avec la civilisation arabo-islamique, elle se trouva devant un nombre impressionnant de textes arabes traduits et couvrant tous les domaines .

Ainsi, en un seul siècle, les penseurs musulmans constituèrent les bases de toutes les sciences occidentales .

Jusqu'au XVème siècle la connaissance de l'arabe était mise à profait à cette fin, avec une efficacité remarquable. Ces traductions d'Europe pour mettre à profit le savoir des Arabes. On commença à s'intéresser à cette nouvelle civilisation, étudiant avec avidité et enthousiasme tout ce nouveau savoir apporté par les conquérants venus de l'Orient .

La civilisation islamique apparaissait comme un creuset où s'était déposé le savoir universel et où fleurissaient toutes les sciences .

III. L'Occident et l'héritage arabo-islamique

L'Islam a exercé une influence à la fois sociale, économique, spirituelle, littéraire et artistique sur les états chrétiens limitrophes de l'empire musulman médiéval .

Les Croisades mirent en présence la civilisation islamique et la société encore féodale du monde européen. Au contact des Arabes, les rudes coutumes de la noblesse d'Europe s'affinèrent ils empruntèrent à leur rivaux non seulement le goût du luxe et de l'aisance, mais encore les moeurs chevaleresques et la délicatesse des sentiments.

Ces contacts eurent des conséquences économiques et idéologiques. Le goût culturel des Européens s'affina grâce à l'apport culturel arabo-ilsamique.

Cette aristocratie pleine de vertus guerrières, relativement inculte et grossière, découvrit les notions de civilité, de courtoisie et de respect de la femme.

Les grands centres de traduction

Les deux plus grands centres de traduction de l'arabe vers le latin furent sans conteste la Sicile et l'Andalousie .

L'empereur Frédéric II s'était entouré de philosophes, d'artistes, de savants juifs et musulmans et surtout de traducteurs. En effet, c'est du XIIIème siècle que date à Palerme le grand mouvement de traduction : un grand nombre d'ouvrages sur l'astrologie, les mathématiques ainsi que des récits de voyages furent traduits de l'arabe .

Rappelons que lorsque Tolède fut reprise aux Arabes, plusieurs juifs et Musulmans qui parlaient l'arabe y demeurèrent : ils contribuèrent à la traduction d'un grand nombre d'ouvrages .

Il est certain que les Juifs qui entretenaient de bonnes relations avec les Arabes, jouèrent un grand rôle dans la propagation de la culture arabo-islamique. Certains étudièrent les sciences et la philosophie auprès de savants arabes et le plus souvent utilisaient la langue arabe ou la langue romane dans leurs écrits.

On a ainsi trouvé des traductions hébraïques d'ouvrages scientifiques arabes qui datent du XIIème siècle .

Rappelons qu'à cette époque une communauté géographique unissait les hommes dans l'espace méditerrannéen : Juifs, Chrétiens et Musulmans se côtoyaient sans cesse .

Mais c'est surtout en Espagne musulmane que prendra naissance toute une littérature juive d'expression arabe, recouvrant les domaines de la philosophie, de la théologie et de la spiritualité .

En Espagne, des traducteurs ont collaboré activement au grand mouvement de la traduction au XIIIème siècle entrepris sous le règne d'Alphonse X, .

Ce prince éclairé fit entreprendre par une équipe de Juifs, de Musulmans et de Chrétiens, tout un travail de traduction et d'adaptation en langue castillane du patrimoine arabe. Il fonda en outre, à Séville, un institut d'études latines et arabes .

D'autre part, Raymondo (archevêque de Tolède de 1123 à 1151) commença à encourager les chercheurs à venir à Tolède en fondant dans la première moitié . Du XIIème siècle, un grand centre de traduction où l'on traduisait les ouvrages arabes importants en latin. Il fit ainsi traduire les oeuvres d'Al Farabi, Avicenne et Al Ghazzali entre autres .

Robert de Ketton acheva la traduction du sens Coran en 1143. Pour accomplir ce travail long et difficile, il était assisté d'un musulman dont on ne révéla jamais le nom. On traduisit également dans l'abbaye de Cluny une généalogie du Prophète Mohammad, la Risala d'Al-Kindi .

RAYONNEMENT DE LA CIVILISATION ISLAMIQUE

SUR L'OCCIDENT MEDIEVAL

Par
Dr Rokeya GABR

– 2 –

Rôle de la traduction dans la transmission du patrimoine islamique

Il est bon de rappeler que c'est grâce aux traductions latines de l'arabe et de l'hébreu que les grands ouvrages de l'Antiquité grecque ont été conservés et transmis au Moyen-Age chrétien .

En effet, la traduction du patrimoine grec se fit en passant par la langue syriaque ou par le sancrit à l'arabe .

Les premières traductions arabes d'ouvrages anciens commencèrent au début du 8ème siècle : c'étaient des livres de médecine et d'alchimie. Par la suite les traductions du grec vers l'arabe portèrent principalement sur deux domaines : la philosophie (Platon et Aristote, en particulier) et les sciences (astrologie, astronomie, physique et mathématiques) .

Notons que les non-musulmans arabisés fournirent une importante contribution à l'oeuvre de traduction des ouvrages grecs .

Ce vaste effort de traduction permit aux penseurs musulmans de tirer parti de la science et de la logique grecques pour mettre au point leur argumentation de défense du dogme .

D'un autre côté, les savants arabes, grâce à leurs propres recherches fondées sur l'expérimentation et l'observation, accruent considérablement les connaissances qui leur avaient été transmises (grecques, hindoues iraniennes et chinoises) .

Les traductions répondaient aux besoins d'un grand nombre de chercheurs et de savants qui vont par la suite contribuer au mouvement de la Renaissance en Europe .

Les grandes universités fondées à Florence, à Bologne, à Paris, à Oxford et à Cambridage contribuèrent par la suite à l'expansion du mouvement scientifique en Occident .

REVUE AL-AZHAR

Section Française

CONTENU

D[r] Rokaya GABR
1 - Rayonnement de la civilisation islamique
sur l'occident Médieval (2ème partie)

Mme Hoda Hussein Chaaraoui
2 - La foi en L'unicité d'Allah (2ème partie)

Al-Mizan, the Divine Balance of absolute justice is an attribute quality of Divine Providence, the appellations The Judge, the Just, The Equitable, provide an indication of the supreme ubiquity of Al-Mizan in cosmic order. The preservation of the concept of Al-Mizan is instituted as a fundamental ordinance of Islamic culture. The "balance of justice" must be practiced by human society with precision. Mankind must observe due balance of actions, transactions, and conduct. Al-Mizan is also figuratively expressive of the mathematical infrastructural profoundness of creation, its meticulous precision of balance and temporal sequences. In every infinitismal process of creation, there is a mechanism ordained by a perfect balance of Divine attribute. The entire matrix of Muslim doctrinal teachings of culture is structured on equity, balance, equilibrium and precise quantitation in all channels of human interrelations. The conservation of Al-Mizan in the social life of mankind establishes and maintains the cementing coherence of the unity of the Ummah.

The concept of "Ummah" in Islamic thought is a basic fundamental structure. This perceives the universality of the social order of Islam, enveloping the whole of mankind without exception. Every born human is either a member of the Muslim social order, or a potential member whose recruitment is the duty of other members. The Ummah is the Universal Community of Islam which is maintained by the universality tendencies of Islamic social order. The totalism of such tendencies, holds Islamic culture relevant to every area of human function, including all activities at all times and places. The ecumenic freedom of the social order of Islam qualifies it to include all fractions of human society. There is no compulsive coercion of people within the Muslim society or outside that society; interrelation are specially organized. Within the domain of the Muslim Ummah, however, regimentation is legitimate in issues and areas of implementation of Islamic teachings. The concept of the Ummah is the source of Muslim's rights as well as his duties; and it is the pool within which these rights and duties are exercised. The Ummah is not a society of birth, geography or language, it is a cultural moral fraternity of free association of individuals, actualizing and establishing for themselves and for humanity the whole realm of values according to Islamic teachings. The individual is not born into the Ummah by random; the individual elects and decides to join that association of Ummah after rational thought. The Ummah is a community by decision, a selective social order chosen by an individual through rational thought, to be the code of life. True understanding of Islamic culture renders every intelligent thinking man a Muslim.

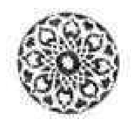

angelic moral goodness of mankind will evolve in love, magnanimity, patience and forgiveness; the seraphic radiant splendor of character will illuminate with a celestial aura, an added quality to mankind of superb distinction. A quality attribute that elevates the human element from the earthly enslaving confinement of mundane life, to the higher ranks of spiritual freedom.

The Kernel of Islamic Theism is the doctrine of "Tawhid", the precise affirmation that there is no god but Allah The Creator, the Transcendent, the Sanctuary, the All-Knowing, The All-Cognizant... The doctrine of Tawhid is the moving scepter that embraces every aspect of a Muslim's life, it is the heart of the whole spectrum of human experience. This supremacy of "Tawhid" is illustrated in the general view of reality and truth of existence, of history, of space and time, and of destiny. All the entire wealth, culture, learning, wisdom, and civilization of Islamic is compressed in this very short statement [La ilaha illa Allah], there is no god but Allah. The basic tenet of Islamic culture derived from the concept of Tawhid, is that it purified Theism absolutely immaculate of all doubts regarding the transcendence and unicity of the Godhead. This precisely testifies Allah as the sole Creator of the universe; and establishes the maxim of equalizing all humans as creatures of Allah, endowed with the same qualities of humanity and same social standing. The cultural value analysis of the statement of Tawhid (La ilaha illa Allah) reveals three basic significant connotations. The first is that Creation is the material actualized by the Absolute Divine Will, it is therefore perfect and impeccable. The moral vision and value actions of the human society is a Divine purpose of creation. As an instrument to the realization of this purpose, the preservation and enhancement of values becomes an implicit incumbent obligation on the part of mankind. The second is that mankind stands on a clear path of understanding without perplexity or predicament. Tawheed embraces the concept that pursuit of Divine Will will lead humanity to felicity, and promises reward in this world and the hereafter. The third is that Tawhid expresses the Divine Will as the same for all creatures without discrimination. The theme of Tawhid affirms the total utter disparity between Creator and creature, and precisely classifies mankind as servant subject in the infinite Dominion of the Creator.

One major consequence of Tawhid is man's quest and pursuit of Divine Injunctions. This entails the formulation of a cultural paradigm of various dimensions determined by man's most intimate needs of economic, emotional, spiritual, instinctive, social affectionate, ambitious and axiological requirements. The dominance of one component over the other depends upon the prevalent social patterns, ethnic structures and ontological attitudes. The doctrines of Muslim theism teach that man's existence is far more comprehensive than his physical life per se; which is confined to a short limited span of time between birth and death. Man's existence transcends the limits of physical death. This understanding gives purpose, design, obligation, and meaning to human life, and determines the character of man's collective culture and its primary constituents. The entire purpose of man's physical existence is to attain felicity in life and acceptance on the Day of Judgement. The physical life is the manuscript in which is written every single syllable of man's entire actions in life with accurate precision. The Day of judgement will witness the unfolding of the manuscript and the establishment of Al-Mizan, the Divine Balance of absolute justice.

THEMES OF ISLAMIC CULTURE

Part II

By: Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The total structural matrix of Islamic Culture aims to impregnate within the mental faculty of mankind the vision that there is a sanctified justified Divinely ordained purpose of creation. The whole complex fabric of Islamic doctrinal teachings are provided as an articulate documentary for the refinement and cultivated enlightenment of the human mental perception. The specific strings of this fabric accrue to the most elemental intellectual and spiritual constitution of man. This nature of Islamic cultural system coins it with the quality of universality, as an optional justified guiding perceptive standards. True understanding of Islamic injunctions renders every intelligent thinking man a Muslim. The unique quality of Islamic culture is that despite its theocratic origin, it is intimately associated with all provinces of human existence in this life and the hereafter. Islam is not a remote idea of worship contemplated at times and discarded at others; it is an actuality, a practical complete knowledgeable culture, practiced with intimate devoted conviction at all hours during life. The entire thesis of Islamic culture is dedicated to the refinement of human character, to seek a life of values, to attain social grace, and maintain mutual standards of human compassion.

The substance of Islamic culture is genuine knowledge, the fountain of which is credence in the All-knowing Creator. The whole magnificent cosmic creation is only a minute morsel of the infinite knowledge of Allah. The Divine Message of Islam to mankind constitutes precise well defined precepts and injunctions which are directly related to the conduct, behaviour and performance of mankind during life on earth. The prime purpose of human creation is worship, submission and devoted reverence to the Creator. The reward and punishment in the Hereafter is according to the intentions, conduct, deeds of action during life on earth when the mind recognizes the true path of belief, it becomes enlightened by the Light of Allah, the Light of Divine Knowledge, the perceptive cognizance of Reality. The reality of the true dimensions of the human being; these dimensions range from infinite powers and capabilities, to the infinitesimal weakness of a microscopic insect or a grain of sand.

It is therefore evident that the theme of Islamic culture is dedicated to tutor the human mind to a disciplined function, a broad ecumenic unselfish magnanimous rightfully just paradigm of conduct. Values as honesty, chastity, justice, purity of thought, love, humbleness, moderation, preservation of dignity, self respect, self confidence, self restraint, self judgement, avoidance of over-indulgence, and above all the true perceptive realization of the purpose and reality of human creation. With such cultural elements in mind, human society will attain levels of grace and refinement that will surpass the material limits of the human body to touch the delicate filaments of the human spirit. The

life in pursuit of sustenance is a basic injunction of the Holy Quran. The self respect, worth and stateliness of an individual in society is achieved by honest arduous toil for self support. No work is inferior or servile, the only requirement of work is legitimacy, honesty and dedication. These axioms were inculcated and intimately practiced during that era of enlightment in Islamic history.

The doctrines of the Muslim Theism was dominantly practiced throughout the expansive territories of the Muslim nation. These doctrines provided allowance for freedom of belief for both Jews and Christians being "the people of the Book". These enjoyed the same sanctions as Muslims except they had to pay the "Jiziah". The non-believers groups mostly resident in the Persian mainland belonging to "Incendiarism Cults" were progressively extinguishing. These groups were confronted with the rational teachings, the Divine tenets of Islam, the doctrines that address human innate discriminate intelligence. The propagation of Islam came about because of the rationalism of deductive reasoning, the implication of its teachings to every detail of human life, and the objective universality of its precepts. Throughout the territories of the Muslim Nation, Islam was explained, educated and practiced. An era of enlightenment, cultivation, authentic genuiness and conformity to fact and reality; a period of felicity prosperity and social stability.

Omar ibn Al-Khattab was in his greatness above all difficulties and surmounted all obstacles. he possessed the abilities to defeat adversities and the intelligent astute sagacity to scheme, plan and organize for unprecedented unpredictable circumstances. His most intimate concern was the daily life of the people, their needs, worries, complaints, afflictions, and any acts of individual or social injustice. His extreme meticulous perception of responsibility to the duties of his position was a supreme quality of his nature. The characteristic devoted conviction of a deep rooted certainty of Belief, rendered everything in his mental function and actions conform with the maxim of Divine Transcendence. The whole texture of the mind, body and soul; retreated with humility, humbleness and servility only to the Supreme Being "Allah". This was the source of the real confident strength of Omar ibn Al-Khattab; the man entrusted with the responsibility of the unity, prosperity of a whole nation. The man who was acclaimed as the founder of the Islamic Nation.

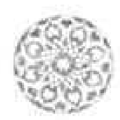

commissioners were placed under constant surveillance and guidance regarding their administrative dispensation, managerial competence, uncorrupt conduct and moral goodness.

The institution of the fundamental elements of justice was a sovereign issue to Omar ibn Al-Khattab. A constitution of absolute justice, a Divine command of judiciary doctrines implemented according to the jurisprudence of the injunctions of the Holy Quran. He selected the men, the most pious learned men of intelligence and inherent wisdom. He constituted a protocol of the sequential processes of judiciary procedures; based on the ordinances of the Holy Quran, the traditions of the Prophet, the consensus of opinion in similar issues, and lastly one's own genuine true devoted honest effort in judgement. Omar ibn Al-Khattab set examples of exhortation about the conduct and mental discipline of the judge, through his long previous experience in judiciary matters. Justice, the supreme form of equity, truth in action, the right reason applied to command and prohibition in social conduct, the firm profound continuous desire to render to everyone that which is his due. All these concepts were highly stipulated dictates basic provisions, obligatory mandates in the structural institution of justice during the reign of Omar ibn Al-Khattab. The prevalent dominant belief that justice is the most profound form of moral goodness, the fundamental element for human dignity and respect, and the precursor to freedom. Justice is a Divine dictate that must be instituted by the state authority, it is the foundation upon which the perpetual sovereignty of the state is structured.

The other two offices of fiscal matters, and theological tutorship, were very well programmed disciplined functions. These were practiced very strictly according to precise doctrinal teachings of Muslim Theorems. There was very little room for personal effort in the understanding of the implementation of the procedure. Other governmental institutions were also organized during the time of Omar ibn Al-Khattab. These included the whole network of governmental administrative functions, statistical programs were introduced to study age groups, sexes, marital status, living conditions, educational abilities, and population densities in the various territories constituting the Muslim Ummah. Evaluation plans were designed to study the various histories, cultures, and group psychology of the various groups of different origins and different creedal beliefs. A national treasury was founded, and a system of monetization was established. Reformation schemes for urban planning, housing projects, civil services of roads bridges and irrigation systems were introduced; and also projects for regional and national development were expanded. All these assignments were directed and staffed by native citizens with complete freedom of action within the boundaries of righteousness, values, and social benefits.

The activities of trade and commerce were encouraged according to liberal transactions within the frame of legitimate dealings. The right of land ownership was a privilege only of the native citizens of the land. This preserved the national economy of every territory, and encouraged people to work towards prosperity. Institutions for the poor and disabled were organized and the necessary budgets were provided for that purpose from the funds of the Zakah, the Jiziah, and other portals of internal revenue, according to the specific condition of every region. The fundamental purpose was to limit poverty, and to maintain at least a status of providing the minimal requirements for the poor fractions of the society. Work and industrious effort on the part of the individuals was highly encouraged. No individual should remain as a parasite to live on the efforts of others. This concept was highly indoctrinated as a common understanding, formulating a milieu of social serious zealousness, dignity, and responsibility. The need to practice an occupation in the walk of

The significant importance of these governmental entities demanded optional selection, rigorous control, and perpetual supervision on the part of the state authority at Al-Madinah. Before dictating a methodization of function for these offices, Omar ibn Al-Khattab structured a discipline for himself, a doctrinal concept that Authority is a heavy responsibility, a predicament of adversity, it should be practiced with firmness, without despotism, lenient tolerance, without weakness; and that the man in whom the state authority was invested, would be responsible for the attendance of the affairs of people to every detail. Omar ibn Al-Khattab in his public addresses, and in Friday prayer Sermons, advised the Ummah to instate justice among themselves, and to transact with honesty, to avoid the process of legal actions and judiciary procedures. The whole felicity of a nation lies in three matters; the enactment of trust, the firm enforcement of authority, and govern according to Divine Injunctions. The prosperity of money lies in three, to be obtained rightly, spend rightly and purified from corruption.

Omar ibn Al-Khattab attended Haj every year. During that season, he convened with all the officials, to converse, audit, interrogate, seek knowledge on certain issues, discuss matters, and demand explanations in problems of public complaints. The representative fractions of the Muslim Nation present during the Haj season acted as a cross-sectional portrayal of the Muslim Nation, coming from the different provincial territories constituting the Ummah. These representative fractions of the Muslim public assembled during the Haj season annually to meet with Omar ibn Al-Khattab, to be in his audience, to consult in conference, deliberate in dialogue, advance complaints, and attend the grand assembly where all issues related to justice and prosperity of the Ummah are discussed with precision. Omar ibn Al-Khattab presided in person every year to implement the administration of justice throughout the Muslim Nation. That was acclaimed as a very successful practice. To this extent, Omar ibn Al-Khattab was consciously apprehensive of the sacred responsibility invested in him as the man at the head of the State Authority. The most suitable man for government is one who is munificent with magnanimity, resolute in justice, perceptive to channels of soundness, knowledgeable in the Divine doctrines of Faith, consultative in opinion, and humble in character; that was Omar ibn Al-Khattab.

The choice and selection of the men to be entrusted with governmental offices were subject to a very meticulous process of scrutiny and rigorous discrimination. They were elected with optimal judgement, and possessed the qualities that justified their selection. Despite this careful conscientious process of selection, Omar ibn Al-Khattab continually supervised and watched over the performance of the officials he appointed. He interrogated them in person when he summoned them individually to his audience; he asked their people about their performance; and he delegated deputies as Muhammad ibn Masslamah to inquire about the conduct, practice and inactments of these appointed officers. Omar ibn Al-Khattab was famous for his vigilant superincumbent command and guidance of the men who were appointed to hold major government offices. The trusteeship of an assignment is the perception of duty and efficiency in performance; it is not pompous ceremonious superiority over people. Omar ibn Al-Khattab continuously reminded the commissioners with the words "Keep your door open and personally attend the needs of people. You are but one of them, Allah has entrusted you with the heaviest burden; Allah is the Witness of honesty and intentions". Besides these admonitions, these

Omar ibn Al-Khattab

Omar and the Muslim Nation

Part II

By: Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The extensive territorial expanse in the reign of Omar ibn Al-Khattab included various heterogeneous population groups of different phylogenetic tribal and racial ethnic descent. The geographical, historical, cultural, economical, environments and social psychology of these population groups was distinctly dissimilar and characteristically non-uniform. The creedal beliefs of these populations were fundamentally contradictory antithesis. The fanaticism of fire-worship "Idolatry Incendiarism" was dominant in Persia, protected by the tyrant sovereignty of the long dominance of the Persian Imperial rule. The cradle of Christianity was in Palestine, and its Divine teachings extended to the surrounding lands of Syria and Egypt. The Muslim doctrinal teachings were indoctrinated into these territories as a primal purpose of the Muslim crusades. The words of Allah had to be proclaimed, and mankind must be summoned to hear and comprehend the very acme, zenith and summit of all the Divine Messages. This was mediated through Muslim Crusades in those territories. The ultimate outcome of Muslim Crusades during the regency of Omar ibn Al-Khattab was the absolute collapse of the Persian-Imperial regime, and the defeat of the Roman Byzantine Empire in Palestine, Syria and Egypt. The final inclusion of these territories under the auspices of the Islamic Khalifate at Al-Madinah, justified the need for further responsibilities, requirements for governmental disciplines, and hierarchic structures. These were developed gradually according to need, purpose and the optimal benefit in prospective.

Omar ibn Al-Khattab organized four main entities of governmental offices to be established in all provinces nominated within the territorial expanse of the Muslim Nation. One office was the Regional Governor, the Commissioner, acting on behalf of Ameer Al-Moumineen, administrating the affairs of government, and in command of Muslim warriors resident in the territory. The second was the person responsible for the judiciary affairs of people; the man to establish justice between people, Muslim and non-Muslim alike. The third was the person assigned to manage all the functions of the fiscal and monetary matters. The fourth person was entrusted to teach Muslims the tenets of Islam and doctrines of the Muslim faith. The constitutional social laws and traditions implemented were totally based on the Divine injunctions of Islamic Jurisdiction, and Jurisprudence. The status of office of these commissions, and the functional responsibility of the persons entrusted, was absolutely independent from state authority.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part V

Jumadah Al Ullah,1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

Omar and the Muslim Nation (Part II).

By: Anas Moustafa El Naggar.

2.Theme of Islamic Culture

By: Saad Moustafa Moustafa.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

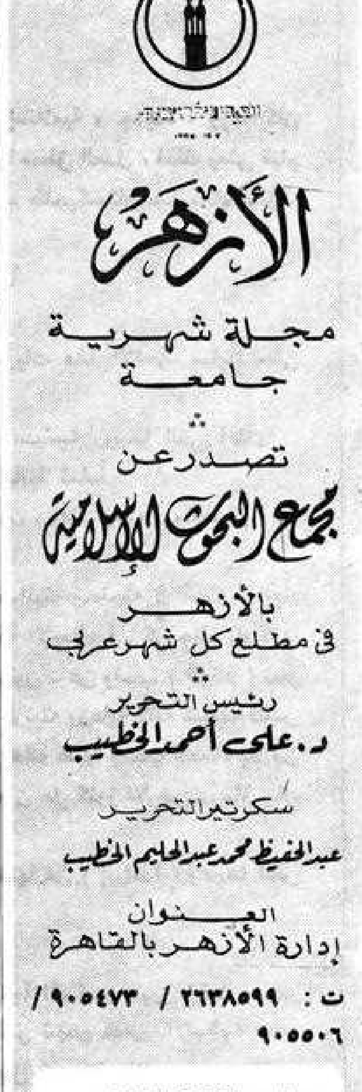

الإسلام في عالمه الجديد

ونريد بـ «العالم الجديد» عالم الأوضاع الناشئة في أعقاب الحوادث التي صرعت كبرى دول الكتلة الشرقية، فتفتتت بها «القوة الثانية»، وانسلخ عنها أكثر من جمهورية أبت إلا الاستقلال، وانتهت تلك الكتلة إلى «حال سلم» لاتهدد بحال عالم الكتلة الغربية، أو عالم الأحلاف الكائنة الذى يمقت «الشيوعية» مقتنا لها، ثم كان - ولايزال - أشد مقتا للإسلام وأهله. وخلا الميدان لكبرى دول الغرب لتبيض وتصفر - كما يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - مستشهداً :

خلا لك الجو فبيضى واصفرى

وبينما كانت الكتلة الشرقية تتنفس بصعوبة داخل حجرة إنعاش لا قيمة لها، كانت الدولة في الطرف المقابل تعد سياستها لبسط نفوذ أشمل لتكون قبضتها على العالم أشد قوة وأقوى إحكاما، والله - وحده - الذى يعلم : أين ومتى تأتى القوة الثانية .. ليكون العالم - في أرضه - بين قوتين .. كما كان دائماً.

الإسلام في عالمه الجديد

والإسلام ـ في هذا العالم الجديد ـ ينتظر نشأة «جمهوريات إسلامية» جديدة ، وإذا كان ما نسمعه ـ ليل نهار ـ من أبواق الدعاية السوفيتية حقيقة يسيطر عليها منطق العدل ، فذلك يعني قيام الجمهوريات الإسلامية التالية ، في آسيا : أذربيجان ـ أوزبكستان ـ طاجيكستان ـ تركمانستان ـ قازاجستان ـ قرغسيا ..

وفي أوروبا : داغستان ـ شاشان ـ كبارديا ـ القرم ... الخ ،

بالإضافة إلى ما للإسلام من جاليات ضخمة في غيرها من جمهوريات هذا الاتحاد سابقا حتى سيبريا ... وما سوف ينشأ في يوجوسلافيا .

وهذه الجمهوريات ـ عموما ـ تتربع عليها (حكومة ظل) لتنفيذ سياسة روسيا التي أعلنها .. أو جيني ابرازموف .. مساعد يلتسين[1] . مثلها مثل الكائن في ألبانيا تماماً .

وأيا ما كان ... فهذه الجمهوريات أمانة لها حقوق في أعناق المسلمين ، ولا ـ والله ـ مايفيد إزاءها عذر ، ولو كان حقا .

إن المسلمين كيان طاهر ، قوي الروح بعقيدته ، وثباته لله على وحدانيته.وحاجته في أعناق أغنياء المسلمين هي حاجة الكفالة ، نسميها : الكفالة الإسلامية . أو .. الزعامة الإسلامية . كلُّ جائز ، ولكنها زعامة عليها حقوق وواجبات ، تماثل تلك التي يقررها فقهاؤنا ـ حين يقولون ـ عن واجب (الوالد) نحو ولده : « عليه نفقته حتى يصير قادراً على الكسب » . فضلا عن حسن تربيته ورعاية كافة شئونه فليس الأمر ـ إذاً ـ أمر (معونة) مؤقتة ، فبئست الكلمة .. إن هذه الزعامة كفالة عليها واجب العطاء بلا من ولا دعاية .. وهذه الجمهوريات وغيرها ـ وإن افتقر أهلوها ـ فإنهم قابعون على كنوز الأرض .. ما في ذلك شك ..

وينبغي الا ننسى أنه حين تهاوت الشيوعية في شرق أوروبا وانحسر ظلها عن (إيرلندا) وغيرها أعلن الغرب في أتم صراحة أنه سيخصص مساعداته لهذه الدول ..

فأين ـ في المقابل ـ أغنياء المسلمين .. ؟!

إن للواجب ـ في أعناق المسلمين ـ أن يدرسوا ـ بإحصاء دقيق ـ حاجة المسلمين لتبرز عمليا مصادر معاناتهم ، ثم يقيموا بينهم المنشآت العلمية والعملية المختلفة لتجبر الكسور حتى تنهض شعوب الإسلام ، صحة وعلماً وكياناً وقوة ؛ فتتبوأ مكانها الذي أحب الله ـ تعالى ـ ولا سبيل إلى ذلك إلا بوضع « العلم التطبيقي » بينها فيثمر ثَمَرُهُ ، فيجد كل مسلم صناعة في يده تكون عزا لنفسه وقوة لأمته .

هذه واجبات الزعامة الإسلامية إن أرادها العرب ، وسوف تبقى بينهم ما أدَّوْا حقها ، فإن هي أُهملت فلا عليها أن تقول : وداعا ... وإذا قالتها لن تعود ... فثمة كَتَفٌ آخر أعلن رسميا عن هذه الجمهوريات أنها .. أولى بالرعاية ..

د. علي أحمد الخطيب

(١) انظر عدد ربيع الآخر ١٤١٢هـ من مجلة الأزهر ص ٣٧٢ .

كلمة السيد الرئيس

محمد حسني مبارك

بمناسبة ذكرى مرور مائة عام على إنشاء

كلية دار العلوم

اساتذة الجامعة الأجلاء

الإخوة والأخوات الأعزاء

ابنائى وبناتى ، مناط الأمل ومعقد الرجاء .

إن من اعظم دواعى السعادة ، ان التقى بكم فى رحاب الجامعة الام ، بين سدنة العلم ، وحماة المعرفة ، وحملة مشاعل التقدم .. ويضاعف من سعادتى ، أن يكون اللقاء من اجل الاحتفال بكلية جامعية عريقة ، تجاوزت مائة عام من عمرها المبارك .

فالذى لا شك فيه ، ان هذه اللقاءات تعيد إلى ذاكرتنا - بكل الاعتزاز والفخر - دور المؤسسات العلمية المصرية فى القيادة والريادة ، وإضاءة الطريق نحو النهضة الحديثة ، ولقاء اليوم يبعث فى النفس شعورا غامرا بالرضى والسعادة ، ففيه نستعيد ذكرى ميلاد مؤسسة علمية شامخة ، اسهمت بجهد ملموس فى الحياة الفكرية العصرية ، وفى تقدم المسيرة العلمية والفنية ، وخاصة فى ميدان اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

إنها دار العلوم ، التى بدأت حياتها الحافلة قبيل بداية الربع الأخير من القرن الماضى ، واصبحت منذ إنشائها من ركائز المؤسسة العلمية المصرية فى العصر الحديث ، تلك المؤسسة التى كانت اولى المؤسسات العلمية الحديثة والتى شكلت القاعدة الصلبة التى قامت على دعائمها الجامعة المصرية ، اولى الجامعات الحديثة فى الوطن العربى كله ..

ولا يمكن ان ينسى هنا دور الأزهر الشريف ، لأن كثيرين من الطلاب الذين التحقوا بمعاهد المؤسسة الحديثة ، كانوا من نوابغ طلبته ، كما كان عدد من الأساتذة فى هذه المؤسسات من علمائه الأجلاء ، وحسبنا هنا ان نذكر رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده ، لنعرف فضل الأزهر فى الريادة العلمية ، والمشاركة فى تحديث المسيرة الفكرية ، منذ هذه المرحلة المبكرة من مراحل النهضة المصرية ، ومن هنا كان الأزهر - منذ البداية بمثابة المنبع العلمى الفياض ، والأساس التراثى الحضارى الراسخ ..

نص خطاب السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

وفوق كل هذا ، يأتى دور الأزهر فى بلورة وترسيخ القيم العلمية الرفيعة ، وفى مقدمتها حرية الفكر والبحث العلمى ، ونزاهة القصد ، والتعفف عن الهوى والغرض ، والتجرد لتحصيل العلم والاستزادة من المعرفة ، والتسامح وسعة الصدر فى التعامل مع الآراء والاجتهادات المختلفة ، والتواضع فى التعبير عن المواقف والاختيارات المتباينة ، والأمانة فى تقرير الحقائق العلمية ، وتلك سمات جعلت الأزهر منارة حقيقية للعلم ، ومركزا للإشعاع فى كل بقاع العالم الإسلامى .

وبقيام الجامعة المصرية تحققت لمصر الريادة العلمية بوجهيها القديم والمعاصر ، فبعد أن كانت بلد الأزهر الشريف ، أقدم الجامعات فى العالم ، أصبحت أيضا موطن الجامعة المصرية ، أولى الجامعات الحديثة فى المنطقة ، وكما كان الأزهر أعرق مركز لعلوم الدين واللغة فى العالم الإسلامى ، ظهرت الجامعة المصرية ، كأول صرح من نوعه فى الوطن العربى ، ولم تكن هذه الريادة مجرد سبق تاريخى زمنى ، بل إنها فى جوهرها عطاء ثرى خصب ، تمثل فى المشاركة فى تأسيس الجامعات الإسلامية والعربية ، وفى الإسهام فيها بالتعليم والتنمية والتطوير .. ومازال هذا الدور يؤدى - بفضل الله - على أفضل وجه وفى أحسن صورة ، بل إنه تعزز وتضاعف مع تنامى الجامعات العربية والإسلامية ، وهذا وضع طبيعى ، لأن الإنجازات المصرية فى مجالات الفكر والإبداع الثقافى ليست حكرا على أبناء مصر ، بل إنها ملك للعرب والمسلمين أجمعين .

وبفضل المؤسسات العلمية المصرية ، ازدهرت الحياة العلمية فى مصر ازدهارا يدعو إلى الإعجاب ، ويجعل لمصر مكان الصدارة فى هذه المنطقة من العالم ، بعد أن بلغ عدد الجامعات المصرية إحدى عشرة جامعة ، كما تعددت الكليات الأزهرية حتى أصبحت اليوم سبعا وثلاثين كلية ، بعد أن تطورت الجامعة الأزهرية العريقة ، تدرس فيها العلوم الإسلامية والعربية ، والمواد العملية والتجريبية على السواء .

وإلى جانب الجامعات المدنية العديدة ، والكليات الأزهرية الكثيرة ، تنوعت المعاهد العالية وتكاثرت على أرض مصر ، حتى بلغ عدد من يتلقون العلم فى مرحلته العالية نحو ثلاثة أرباع المليون ، وهذا العدد الكبير من الدارسين يتصاعد ويتنامى من قاعدة عريضة جدا من الدارسين فى المرحلة قبل العالية ، حيث وصل عدد التلاميذ فى المدارس المصرية بمراحلها المختلفة إلى نحو اثنى عشر مليونا ، وتؤكد هذه الطفرة فى التعليم المصرى حقيقة ثابتة عن مصر منذ فجر التاريخ ، وهى أنها أولا وقبل كل شىء ، بلد علم وفكر وحضارة ، ولم يحدث فى أى مرحلة من تاريخ الشعب المصرى أن اقتصر اهتمامه على البناء المادى والإنجازات الصماء ، بل إنه وجهه - فى المقام الأول - إلى جوهر الحضارة وأساسها المتين ، وهو غرس القيم الأخلاقية والروحية السامية ، وتأسيس الرقى على العلم والمعرفة ، والتركيز أولا وآخرا على بناء الإنسان ، لأن الوطن القوى الشامخ لا يبنيه إلا المواطنون الراسخون الأشداء .

ولذلك ، فإن مصر تحرص تماما على وضع التعليم والثقافة فى طليعة أولوياتها وهمومها ، كما أنها

تسعى إلى تطوير نظم التعليم فى شتى المراحل ، باعتبار أن التعليم هو ركيزة التقدم ، وهو الشرط الأساسى الذى لا غنى عنه لملاحقة كل تطور ، وهو العنصر الذى يحكم قدرتنا على مواجهة تحديات العصر بقوة واقتدار .

ونحن لا نستطيع أن نتجاهل أن المجتمع البشرى يشهد فى هذه المرحلة من تاريخه ثورة علمية وتقنية هائلة ، تمتد إلى شتى جوانب الحياة ، وتصوغ تصورنا جميعا للمستقبل ، ولذلك فإنه لابد من أخذ هذا بعين الاعتبار ونحن نتصدى لقضية إصلاح التعليم فى مصر ، التى تعنى فى الحقيقة والواقع إعادة تشكيل الحياة فى ربوع هذا البلد المجيد .

لقد وجهنا اهتمامنا فترات طويلة للتوسع الكمى فى التعليم ، إزاء الواقع الذى كان قائما حتى بداية النصف الثانى من هذا القرن ، وهو انتشار الأمية فى البلاد ، وحرمان جماهير عريضة من التعليم الأساسى ، وقد آن الأوان لتوجيه قدر أكبر من اهتمامنا وجهدنا إلى مستوى التعليم فى مصر ، والتركيز على تنمية قدرة الطالب على استيعاب حقائق الحياة المعاصرة وتطويرها بما يخدم قضية التطوير والتنمية ، وبما يتوامم مع التحديات المتجددة ، وبعبارة أخرى فلم يعد المطلوب هو التركيز على حجم المعلومات التى تشحن فى ذهن الطالب ، بل إن التحدى الحقيقى هو تنمية قدراته الذهنية ، بحيث يصبح مؤهلا لاستنباط المعلومات وتحليلها ، والانطلاق منها إلى آفاق جديدة فى الزمان والمكان ، وبذلك يصبح أكثر قدرة على التعامل مع هذا العالم المتغير .

ويتصل بهذا أيضا ، وجوب النهوض بالتعليم الفنى فى مصر ، وجعله عنصر جذب للقاعدة العريضة من أبناء الشعب ، لأنه هو الذى يتيح إعداد الشباب المصرى لمواجهة احتياجات العصر فى داخل الوطن ، وعلى امتداد المنطقة التى نعيش فيها ، بل وفى كل بقاع الأرض .

ولعلكم تتابعون الجهود التى نبذلها مع الدول الصديقة بهدف حثها على مساندة عملية تطوير التعليم الفنى فى مصر ، وأذكر فى هذا المقام - على وجه الخصوص - الحديث الذى دار بينى وبين المستشار الألمانى الصديق هيلموت كول ، والذى كشف عن اهتمام ألمانيا بالمساهمة معنا فى هذا العمل الكبير ، واستعدادها لإمدادنا بالخبرات والمعدات اللازمة لتحقيق هذا التطوير على النحو الذى يتفق مع احتياجاتنا وآمالنا فى مستقبل أفضل ، وأود أن أغتنم هذه الفرصة لأعبر عن تقديرنا لهذا الموقف البناء من دولة صديقة ، تربطنا بها أوثق الروابط والعلاقات .

ولعل من المناسب أن أطرح عليكم وعلى جمهور المثقفين فى مصر ثلاث قضايا أخرى ، تتصل مباشرة باهتماماتكم الفكرية والمهنية :

وتتعلق القضية الأولى بإعداد المدرسين القادرين على تنفيذ الخطة التى توضع لإصلاح التعليم وتطويره ، فتلك نقطة البداية فى أى إصلاح ، وبدونها تصبح الخطط الموضوعة مجرد حبر على ورق ، ومجموعة من الافتراضات النظرية ، التى لا تربطها أدنى صلة بالواقع الذى نعيشه وننشده .

أما القضية الثانية ، فهى قضية إحياء الاهتمام باللغة العربية وعلومها ، ففى الوقت الذى تتزايد فيه الحاجة للإلمام باللغات الأجنبية واستيعاب علومها وآدابها ، يتعين علينا - من باب أولى - أن نبعث لدى

نـص خطـاب السيـد الرئيـس محمـد حسنـى مبـارك

الأجيال الجديدة الاهتمام بإتقان لغتها العربية ، ونوفر لها القدرة على أن تنهل من نبعها الفياض وتراثها الغنى ، لأن اللغة هى أساس كل ثقافة وحضارة .

وتتعلق القضية الثالثة بالنهج الذى يتبع لغرس الثقافة الدينية فى نفوس طلاب العلم وهم فى مرحلة الطفولة ، بحيث تتعمق لديهم القيم الرفيعة النابعة من الدين ، ولا يقتصر الأمر على حشد كم هائل من النصوص التى تعجز عقولهم عن استيعابها والاستفادة بها فى حياتهم فى الحاضر والمستقبل ، بل تغوص القيم والمثاليات الدينية داخل أعماقهم ، ويصبح أحد الروافد الرئيسية التى تشكل منهج سلوكهم ومعايير نظرتهم إلى الأشياء .

وأنتم جميعا مدعوون - بل مطالبون - بالإدلاء بدلوكم فى هذه القضايا وغيرها مما يتصل بمستقبل التعليم والثقافة فى مصر ، ولكم أن تأخذوا المبادرة فى طرح الأفكار النيرة والافتراضات البناءة ، سواء على المستوى الفردى أو على صعيد المؤسسات العريقة التى تتشرفون بالانتماء إليها ، ويجب أن يكون منطلقنا فى هذا التوجه هو أن الاهتمام بمستقبل العلم والثقافة فى مصر هو فرض واجب على كل مصرى ومصرية ، لأن مستقبل التعليم هو مستقبل الوطن ، وليس منا من لا يكترث بمستقبل هذه الأمة ، التى كانت خير أمة أخرجت للناس .

وبعد هذا ، ترد قضية أخرى لا تقل خطورة وأهمية ، وهى تعميق الصلة وتعزيز الجسور بين الجامعات والمعاهد ومؤسسات البحث العلمى من جانب ، ومؤسسات الإنتاج والخدمات من جانب آخر ، يستوى فى هذا المؤسسات الرسمية والأهلية ، وشركات القطاع العام والخاص ، فهى جميعا تشترك فى أدائها لرسالة قومية واحدة ، وهى الارتقاء بنوعية الحياة على أرض مصر ، وتحسين الأداء الاقتصادى فى كل أرجائها لصالح جماهير الشعب الغفيرة التى هى شغلنا الشاغل ليلا ونهارا ، والمهم أن نضع نصب أعيننا على الدوام أن البحث العلمى لا يؤدى رسالة كاملة إلا إذا وظف فى خدمة الحياة ، شأنها فى هذا شأن الأدب وسائر فروع المعرفة . وليس معنى هذا ، التقليل من قيمة مجالات الدراسات الإنسانية والنظرية ، ولكن معناه وجوب مراعاة التوازن والاهتمام بالأولويات وتمكين الشباب - من خلال ما يتعلمون ويدرسون - أن يعملوا من أجل حياة أفضل لهم ولبلدهم ولأمتنا جمعاء .

ويكفى للدلالة على اهتمامنا بالدراسات الإنسانية والنظرية ، ما نقوم به اليوم من الحفاوة بكلية دار العلوم ، صاحبة الدور الرائد فى هذه الدراسات ، وهو دور يدعو إلى الإعجاب ويستحق كل تقدير .. فدار العلوم قد قامت - وعلى امتداد أكثر من قرن من الزمان - بأداء رسالتها فى مجال اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، وذلك إلى جانب الكليات والمعاهد والأقسام الجامعية الأخرى ، التى تعمل فى نفس المجال ، ولكل منها طابعه المميز ، وعطاؤه الذى لا ينكر ، ودوره الملموس الذى نقدره حق قدره .

لقد قامت دار العلوم برسالتها فى المجال التعليمى ، والمجال الجامعى الأكاديمى ، والمجال الأدبى

والثقاف ، وتألق من أبنائها كثير في كل هذه المجالات ، ونسأل الله تعالى أن يهيىء لهم مزيدا من العطاء والإنجاز ، حتى تتواصل مسيرة العطاء التى قادها حفنى ناصف ومحمد المهدى ، ومحمد الخضرى ، ثم جيل إبراهيم مدكور ، ومهدى علام ، وعلى عبدالواحد وافى ، ومن جاء بعدهم من أجيال مازالت على الطريق لم تبلغ منتهاه .

وإزاء ما قامت به دار العلوم على امتداد تاريخها الطويل ، وفى شتى جوانب حياتنا العلمية والثقافية والفنية ، فإن دورها يعتبر دون شك دورا مشرقا ومضيئا ، يستحق الإعزاز والتقدير ، هذا إلى جانب دورها الأساسى ، فى الحفاظ على اللغة العربية ودفعها إلى مزيد من التطور والتجديد ، ولذا ، فقد استحقت فى ماضيها تحية الإمام محمد عبده ـ أحد كبار رواد التجديد والتنوير ـ الذى قال فى تقرير له عن دار العلوم : « إن باحثا مدققا إذا أراد أن يعرف أين تموت اللغة العربية وأين تحيا ، لوجدها تموت فى كل مكان ، ووجدها تحيا فى هذا المكان » .

وفى رأيى أن تحية الإمام محمد عبده ، لم تقصد إلى الانتقاص من قدر أى من الكليات والمعاهد الجليلة الأخرى ، التى تعمل فى حقل اللغة العربية ، وإنما هى نوع من التقدير لدار العلوم فى مجال التكريم ، وهو تقدير لا ينال من دور الكليات والمعاهد الأخرى ، التى أنشىء معظمها فى تاريخ لاحق ، ووجهت اهتماما خاصا إلى تعليم اللغة العربية وتخريج متخصصين فيها وفى أدبها ، وكلها كليات ومعاهد لها دورها وقيمتها ، وجهودها التى تستوجب الثناء والتبجيل .

وبعد ، فإننى أحيى دار العلوم ذات التاريخ العريق ، والحاضر الحافل ، والمستقبل المأمول ، كما أحيى جامعة القاهرة ، التى احتضنت هذه الكلية العريقة ، وهيأت لها وسائل التطور والنماء والتقدم .

الإخوة والأخوات الأعزاء :

إن اللغة والثقافة والفنون والآداب هى أدوات الحضارة الإنسانية ، لتعزيز روابط البشرية وغرس قيم الحق والخير ، وخلق تفاهم متبادل بين الشعوب ، ليساعد على قيام عالم أكثر أمنا وسلاما يصون حضارة الإنسان ، ويزيل العقبات التى تحول دون إسهام كل الشعوب فى ركب التقدم الإنسانى .

إن مسئولية الإنسان على الأرض هى أن يعمر ويبنى ، وأن يتواصل مع عالمه لما فيه منافع الناس وخير البشرية ، وأن يقدم السلام على الحرب ، بشرط أن يكون عادلا متكافئا ، يعطى لكل ذى حق حقه ، ويحدد له مسئولياته والتزاماته .

من هذا المنطلق كان انحيازنا لضرورة العمل من أجل إيجاد سلام عادل وشامل فى الشرق الأوسط ، ينهى الصراع الدامى الذى استنزف طاقات شعوبنا لأكثر من نصف قرن ، ويحفظ لكل الأطراف حقوقها ، ويؤهلها للإسهام الإيجابى فى مسيرة عالم جديد ، ينبذ الحرب والشقاق ويدعو إلى السلام والتعاون .

نص خطاب السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

سعينا إلى هذا الهدف ، فى أوج انتصار أكتوبر العظيم ، لكى نؤكد للعالم كله أن مصر تحارب لا من أجل الحرب فى ذاتها ، ولكن من أجل أن ينتصر السلام العادل الذى يصون الحقوق ويحمى المصالح .

ومضينا على هذا الطريق رغم العقبات الضخمة التى واجهتنا ، ورغم ميراث طويل وعميق من الأحقاد والكراهية والمخاوف المتبادلة ، ثقة منا فى سلامة الهدف ، ولكى نثبت للجميع أن السلام ليس هدفا مستحيلا ، وأنه يمكن أن ينهض وأن يقوم لأنه فى صالح كل الشعوب .

الإخوة والأخوات

إن مصر التى اختارت السلام هدفا استراتيجيا ثابتا ، ترى فى انعقاد مؤتمر مدريد حدثا تاريخيا بالغ الأهمية فى مسار الشرق الأوسط ، وفرصة لا تعوض لإنجاز مصالحة تاريخية بين شعوبه ، تحمى سلام المنطقة واستقرارها ، وتساعد على حفظ السلام والأمن الدوليين ، وتسهم فى بزوغ عالم جديد أكثر عدالة واستقرارا .

إننا نرحب بانعقاد المؤتمر وبالمشاركة النشطة فى أعماله ونعتبره البداية الصحيحة لإنجاز سلام شامل ، يحفظ لكل الشعوب حقوقها العادلة ، يستوى فى ذلك حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وحق الشعب الإسرائيلى فى وجود آمن مستقر .

إننا نتطلع إلى أن يكون المؤتمر بداية لمرحلة جديدة فى تاريخ الشرق الأوسط ، تخلو من الشكوك والهواجس والمفاهيم البالية ، وتفتح الباب أمام علاقات جديدة ، تربط كل دول المنطقة وشعوبها على أساس من التعايش وحسن الجوار ، والتعاون المشترك البناء لما فيه سلام المنطقة وازدهارها .

كذلك فإننا نثق فى أن السلام العادل والشامل سوف يكون فى صالح كل الأطراف .. فى صالح الفلسطينيين ، الذين يعانون عسف الاحتلال ، ويتوقون إلى حقهم فى تقرير المصير .. وفى صالح الإسرائيليين ، الذين يتوقون إلى سلام آمن ، ويتطلعون إلى علاقات طبيعية مع جيرانهم العرب .. وفى صالح كل الشعوب العربية ، التى تتوق إلى تكريس جهودها لمسيرة مستقرة متواصلة على طريق التنمية والديمقراطية .

إننا على يقين من أن السلام الذى ننشده لن يكون الهدف المستحيل ، إن تغلبت عوامل الحكمة ، وخلصت النوايا ، وأدركت كل الأطراف أن الحرب والكراهية والصراع لا تحقق الأمن ، ولا تصون المستقبل ، وأن ما يصون المستقبل ويحقق الأمن هو سلام متكافىء يعيد الأرض لأصحابها ، ويحفظ الحقوق العربية والإسلامية والمسيحية فى القدس ، ويحقق الأمن للجميع ، ويؤهل المنطقة لمرحلة جديدة ، تفتح الباب واسعا أمام تعاون الشعوب .

إن وقف بناء المستوطنات فى الضفة وغزة والجولان ، سوف يكون خطوة فى الاتجاه الصحيح ، تدعم الثقة المتبادلة بين الأطراف المعنية ، وتضاعف الأمل فى إمكان الوصول إلى سلام حقيقى ، وتعطى دفعة قوية للمفاوضات الثنائية التى تجرى داخل اللجان .

إننا نعرف أن الطريق لن يكون سهلا أو قصيرا ، وأن التفاوض سوف يكون شاقا ومضنيا ، لكننا نأمل أن تتغلب كل الأطراف على مخاوفها ، لأنه لا شئ يعدل السلام الذى هو أمل كل الشعوب .

إننا نعرف أيضا أن هناك من يريدون إفشال مساعى السلام وتخريبها ، لأن السلام يناقض أفكارهم القديمة ، أو لأنه يقضى على مصالحهم ، لكننا نأمل ألا تترك الأطراف المعنية الفرصة لهؤلاء لكى يقوضوا هذا الأمل الكبير ، وهذه الفرصة التاريخية الفريدة التى يصعب تكرارها .

إن مصر تعتبر انعقاد هذا المؤتمر تتويجا لجهود شاقة ، طويلة ، حملت مصر الكثير من أعبائها ، كى يساند المجتمع الدولى فكرة انعقاد المؤتمر ، ويؤازرها بالمشاركة فى إقناع كل الأطراف بضرورة انعقاده .

إننا نحيى دور الرئيس الأمريكى بوش وإدارته التى بذلت جهدا كبيرا ، من أجل إقناع كل الأطراف بضرورة المشاركة ، كما نحيى اشتراك الرئيس السوفييتى جورباتشوف ، ونعتبر رئاستهما للمؤتمر ، دلالة ذات مغزى على اهتمام العالم كله بسلام الشرق الأوسط ، وحرصه على إنجاز هذا الهدف العظيم .

الإخوة والأخوات

إن مصر التى سعت إلى السلام الشامل وهى فى أوج انتصار أكتوبر العظيم ، واثقة من صحة مبادراتها على هذا الطريق ، لتأمل أن يوفق المؤتمر فى بلوغ أهدافه ، لأن مصر تعرف من خلال تضحياتها الجسام معنى الحرب وتبعاتها ، كما أنها تعرف من خلال تجربتها فى السلام ، أن السلام يعنى البناء والتقدم ، ويعنى الاستقرار والديمقراطية ، وأنه لا شئ يمكن أن يعدل السلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

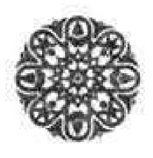

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

تواترت الانباء عن اقتحام قوات من الشرطة والمخابرات وحرس الحدود الإسرائيلى مبنى المحكمة الشرعية بالقدس الشريف بفلسطين بعد ظهر يوم الاثنين ١٨/١١/١٩٩١ م والاستيلاء على العديد من الملفات والوثائق الخاصة بالمحكمة ومنها وثائق تاريخية واثرية يرجع تاريخها إلى اكثر من خمسمائة عام ، وان القوات المهاجمة للمحكمة قد عبثت وعاثت فسادا فى السجلات والملفات .

وإذ كانت المحاكم الشرعية بوجه عام فى البلاد الإسلامية إنما تحتوى على الوثائق الخاصة بالزواج والطلاق والكثير من المستندات الرسمية للممتلكات ومن بينها الحجج الرسمية للأوقاف الشرعية ، وكانت تلك المستندات تراثا إنسانياً وتاريخيا يحتفظ بمكونات الأسر فيما بينها ويحفظ الحقوق فى اعيان الأموال لاسيما الأوقاف الخيرية والأهلية ، فهى مع هذا كله سجلات تاريخية تعبر عن المسار الاجتماعى للمواطنين الذين يتعاملون مع هذه المحاكم فى مصالحهم المتنوعة ، ولم تكن هذه المحاكم - وعلى الأخص محكمة القدس الشرعية - مقرا لإدارة الحرب ، ولامخبا للاسلحة ولا الذخائر ، ولا ملجا للمحاربين حتى تهاجمها تلك القوات المتنوعة الإسرائيلية ، وتعبث بمحتوياتها . وتستولى عليها وتعيث فيها إتلافا وإفساداً .

إن العالم المتحضر ينبغى ان يقف وقفة حازمة مع هؤلاء الذين انتهكوا حرمة دور القضاء وقداستها واستهانوا بمقدرات وقيم الإنسانية ، وارتكبوا اغلظ الآثام وتخلوا عما تفرضه الأمانة والشجاعة بالا يروعوا المسالمين ويحفظوا عليهم ولهم امانات الناس وحقوقهم التى تحتويها تلك السجلات والملفات التى انتهبوها او اتلفوها .

باستنكار التعدى على
المحكمة الشرعية بالقدس

إن الأزهر الشريف ليأسف أشد الأسف لتخلى هؤلاء الطغاة الذين بَعُدوا وتجرَّدوا عن كل الصفات الحميدة فى الإنسان وانحدروا فى تصرفاتهم وعدوانهم على محكمة القدس الشرعية نهبا وإتلافا ، ويدعوهم أن يفيقوا ويعدلوا عما فعلوا من آثام وما ارتكبوا من جرائم ، ويعيدوا

ما انتهبوا من دار المحكمة الشرعية بالقدس إليها كاملة وسالمة غير منقوصة ، ويحذرهم من العبث بتلك السجلات والمستندات ويدعو كافة الحكومات الإسلامية والعربية إلى اتخاذ الإجراءات التى تخولها المعاهدات والمواثيق الدولية لردع هذا العدوان واسترداد تلك المنهوبات من الملفات والسجلات وتضمين الحكومة الإسرائيلية بالتعويضات عن الإتلاف الذى وقع على مبنى المحكمة ومحتوياتها .

وإن الأزهر الشريف ليدعو منظمة الأمم المتحدة وفروعها ـ لاسيما تلك المعنية بالتراث الإنسانى كاليونسكو ـ للتدخل لاسترداد ما استولت عليه تلك القوات المعتدية على المحكمة الشرعية بالقدس الشريف ويحملها مسئولية التراخى ويذكرها بحكم التاريخ إن هى تخلت عن مهمتها فى هذه الحالة ، وهى من أولى الهيئات التى تقوم على حماية التراث الإنسانى .

ويدعو الأزهر الشريف الشعوب العربية والإسلامية ، بل وكل الشعوب التى تنادى بالسلام أن تقف ضد هذا العدوان ، وأن تتنادى وتتعاون على مؤازرة الفلسطينيين وحمايتهم .

وإذ يرفض الأزهر الشريف هذا السلوك والعدوان الإسرائيلى المؤثم فى وقت يجرى التفاوض فيه نحو إقرار السلام ، وإزالة أسباب العدوان وآثاره ليدعو الفلسطينيين إلى اليقظة والحرص على ممتلكاتهم وأموالهم والدفاع عنها ولو بأجسادهم .

والله ناصركم ولن يتركم أعمالكم فى جهادكم .

شيـخ الأزهـــر

« جاد الحق على جاد الحق »

علامات المؤمنين وجزاؤهم

للدكتور: عبد الجليل شلبى

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

اشتملت الآية السابقة على ثلاث صفات ربطت بها الإيمان الكامل ، هذه الصفات هى ، تقوى الله ، وإصلاح ذات البين ، والإذعان والطاعة لكل ما أمر به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبلّغه عن ربه ، وهذه الآية استئناف لبيان حقيقة المؤمنين الكاملى الإيمان ، واشتملت على خمس صفات كل صفة منها تستدعى وقوفا لديها وتأملا فى حقيقتها .

والصفة الأولى: أنهم لكمال إيمانهم تَوْجَل قلوبُهم عند ذكر الله تعالى ، وذكر الله ـ سبحانه ـ يشمل الذكر باللسان، والتذكر بالقلب ، ويعنى الأول أنه كلما سُمِع اسم الله ـ جل جلاله ـ مجردا عن صفاته الدالة على عظمته والموحية بحسابه وعذابه ، اضطرب قلبه واهتز خشية منه وإجلالا له ، فإذا وصف مع ذكر اسمه بالجبار أو المتكبر أو الحسيب ، أو كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، أو نحو ذلك ، كان هذا أكثر فاعلية فى نفسه .

وقد يكون ذكر الله بمعنى تذكره ، فهو من الذُّكر ـ بضم الذال ـ كما فى قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ والمعنى إذن انه كلما تذكر عظمة الله ـ سبحانه ـ وجلاله اعتراه هذا الوجل .

والوجل هو: استشعار الخوف والفزع من عذاب الله ، أو هو: توقع أمر مؤلم رهيب فى المستقبل ، وبحسب شدة الخوف وضعفه تكون قوة هذا الشعور وضعفه ، ووصفت أم الدرداء والسيدة عائشة الوجل بأنه: كاحتراق السعفة ، وقال بعض الصالحين : إنى لأعلم متى يستجاب لى ما ادعو به ، ولما سئل كيف يعرف ذلك ؟ قال : إذا اقشعر جلدى ووجل قلبى وفاضت عيناى ، فذلك حين يستجاب لى ، ونقلت استجابة الدعاء

فى هذا الموقف عن أم الدرداء والسيدة عائشة أيضا ، قالت أم الدرداء لشهر بن حوشب وقد أجابه بما سبق : أما تجد له قشعريرة ؟ قال : بلى ، قالت : فادع الله فإن الدعاء يستجاب عند ذلك ، وقالت أم المؤمنين : ما الوجل فى القلب إلا كضرية السعفة ، فاذا وجل أحدكم - بمعنى إذا أحس بهذا الشعور - فليدع عند ذلك .

وليس هذا الشعور خاصا بتذكر الإثم - أيا كان نوعه - وخوف العقاب ، ولكن هناك منزلة أعلى من ذلك وأسمى ، وأقرب إلى الله الخالق - أن يتذكر الإنسان عظمة الله وجليل نعمائه وبديع صنعه وعزة سلطانه ، فيخفق قلبه وتهتز نفسه وتفيض عيناه بالدموع ، وليس الناس فى هذا سواء ، بل هناك القلوب الغافلة التى رانت عليها ماديات الحياة الدنيا حتى أنستها حساب الآخرة وانتقام الخالق الجبار : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ .... ﴾ الآية وبين هؤلاء وبين الشعور بجلال الله حجب ثقيلة ، لايخفف من ثقلها وشدة كثافتها إلا موالاة العبادة والتدبر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ، وبعض الناس يؤدى الفرائض غافلا لاهيا ويخيل إليه أنه فعل شيئا عظيما ، وبعض يصلى ويصوم وينفق ويتصدق .. ويصبر على مايناله .. ويرى كل ذلك قليلا فى جانب الله ، ويتذكر دائما وقوفه بين يدى ربه فيخشع قلبه وتلين جوانحه ، كما قال الله - سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ فهو وجل مقترن بالعمل .

والمتعبدون الذين مارسوا أعمال القربى إلى الله ، يقولون: إن أشد أنواع العبادات فاعلية فى النفس وإيقاظا لمشاعر الخوف والوجل قيام الليل وقراءة القرآن بتمعن وتدبر ، فقيام الليل عبادة بعيدة عن الرياء خالصة لله ، وقراءة القرآن أو حتى الاستماع إليه . استماع لله وشعور بحلاوة كلامه ، وكل ذلك لايكون إلا مع التدبر وحسن الفهم .. ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

فالقلوب إذن ينالها الوجل من خوف عقاب الله ومن تذكر رحمته ، وبقدر ما تدرك النفس من جلاله وعظمته الا ترى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو المعصوم من الذنوب ، كان يبكى لسماع القرآن ولتلاوته ؟ و ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وجاء فى تفسير الآية عن الإمام السدى . أن المؤمن إذا هم بمظلمة قيل له : اتق الله ، فكف ووجل قلبه .. وأولى أن تكون الآية أوسع من ذلك دلالة وإحاطة فسواء قيل له: اتق الله ، أو انبعثت فى نفسه ذكرى الله ، كف عن الإثم الذى هم به ، وهذا قريب من قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ .

علامات المؤمنين وجزاؤهم

واكثر استعمال الفعل « وَجِل » أن يكون بوزن عَلِم يعلَم وفَرِح يفرح ، وفى القران قول الملائكة لإبراهيم - عليه السلام : ﴿ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ .... ﴾ وجاء فى المضارع ايضا يَيْجَل بالياء ، ويأجل بجعلها الفا ، كما جاء ييجل - بكسر ياء المضارع ، ويقال فى المصدر : وجلا - كفرحا ، وموجلا ، وموجلة - مصدرا واسم مكان - وتقبلوا كسر المضارع فى (ييجل) لوجود ياءين ، ولغة بنى اسد كسرها فهم يقولون : انا إيجل ونحن نيجل ، ورجل وجل كفرح ، وأوجل كأحمر ، ولكن لايقولون امراة وجلاء كحمراء ، وإنما يقولون امراة وجلة ، وقلوب وجلة .

والصفة الثانية:أنهم يزداد إيمانهم كلما تليت عليهم آيات الله ، فما هذه الزيادة،وما كيفيتها ؟

من المعروف أن الإيمان يطلق على التصديق والاعتقاد ، ولكنه يطلق ايضا فى عرف الشرع على مجموع العلم والاعتقاد والعمل بموجبهما ، وسياق الكلام يعين المراد مما يذكر إن كان شيئا واحدا أو غير واحد ، وللعلماء فى زيادة الإيمان ونقصه اقوال واسعة لسنا بصدد تفصيلها ، وبوجه الإجمال انفرد الإمام أبو حنيفة وبعض صحبه بقولهم:إن الإيمان هو التصديق ووجود العقيدة ، وهذا لايزيد ولا ينقص ، وموقف الشخص بين أمرين إما مصدق فهو مؤمن أو غير مصدق فهو كافر ، ولم يوافق الآخرون على هذا الرأى ، وقالوا بزيادة الإيمان ونقصه سواء فى العقيدة ، أو فى العلم بحقائق الإيمان وفروعه .
وممن اختار رأى أبى حنيفة إمام الحرمين وعدد من المتكلمين ، قالوا: إن الإيمان هو التصديق الراسخ الذى يصل حد الجزم والإذعان ، وليس وراء ذلك رسوخ فهو إذن لا يزيد ولا ينقص ، وتفاوته هو تفاوت الطاعات وكثرة إتيانها ، صلاة وصدقة وصوما ومما عزز به هؤلاء رأيهم أن وفد ثقيف حينما وفدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألوه عما إذا كان الإيمان يزيد وينقص ، فقال : الإيمان مكمل فى القلب ونقصانه كفر ، وقد تأولوا الاحاديث والآيات الدالة على زيادته ونقصه ، بأنه بحسب الدوام والثبات وطول الزمان وتكرر الأعمال على ماسبق ، وهى أيضا بزيادة مايؤمن به الشخص ، فالذى لديه معلومات وتفاصيل اوسع قد آمن بأشياء لم يؤمن بها الذين لايعرفونه ، والصحابة الذين ماتوا أول الإسلام بمكة أو المدينة فاتتهم أشياء لم تكن أوحيت بعد ، وهم قطعا مؤمنون .

وَبَطلُ هذا الدفاع وصاحب تشريحه هو إمام الحرمين الجوينى .
أما الآخرون فلهم ادلة اقوى ، من العقل ومن الكتاب والسنة .

فلا يستسيغ شخص أن يسوى إيمان رجل الشارع أو مرتكبى المعاصى الكبرى بإيمان العباد الصالحين والأنبياء ، ولو كان لهم إيمان قوى ما ارتكبوا الآثام ، ثم وضوح البراهين وكثرتها مما يعمق التصديق ويقوى الثقة ، ومراتب اليقين متفاوتة : علم اليقين،وحق اليقين،وعين اليقين ، وليس مع أى مرتبة منها شك ، وقد جاء فى الحديث : لو وزن إيمان ابى بكر بإيمان هذه الامة لرجح إيمان ابى بكر ، وفى القرآن الكريم :

﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إيمانًا ﴾ ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ والاستقامة كالإيمان،وفى حديث لابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : قلنا يارسول الله،إن الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم ، يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى يدخل صاحبه النار .

والخلاف فى هذا طويل ، ونحن أميل إلى القول بزيادته ونقصانه ، وعقيدة الشخص الواحد ترسخ فى بعض المواقف،وتهن وتتزعزع فى بعض آخر .

والصفة الثالثة:هى التوكل على الله وحده ، وقدمت الآية الظرف إيذانا بالحصر ، أى لايتوكلون إلا عليه . والتوكل ـ كما قيل ـ أعلى مقامات التوحيد؛فمن كان ذا يقين ثابت فى الله ، وعقيدة خالصة بأنه مدبر كل شىء اطمأن إلى حكمه ، ورضى بكل مايحدث له ، ويتوجه إلى الله وحده فى كل مقصد له .

والصفة الرابعة: هى إقامة الصلاة ، أى أداؤها مقومة كاملة فى صورتها وأركانها من القراءة والركوع والسجود وما إلى ذلك ، ثم استيفاؤها خشوعا وخشية وتدبرا ، ولذا قال الله فى سورة « المؤمنون » : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فهما صفتان لابد منهما معا . وهذه هى الصلاة التى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، أما مجرد الحركات والقراءة ، مع شرود الذهن وغيبة الخشوع ، فليس من الإقامة فى شىء .

والصفة الخامسة:هى الإنفاق فى وجوه البر ، سواء فى ذلك الزكاة المفروضة أو الصدقة المسنونة ـ والزكاة محك ثبات العقيدة ؛ لأن المال شقيق النفس ، والنفس البشرية لاتشبع من جمعه . ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى الثالث ، ثم هى ضنينة به ، ولا يسخو به للخير إلا ذوو الإيمان العميق .

ومن كملت له هذه الصفات الخمس كانت دليلا على كمال إيمانه : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ أى المستكملين لحقيقة الإيمان ، ولا يستكملها الإنسان إلا بعد طول رياضة للنفس وجهاد طويل . وقد سئل الحسن البصرى : أمؤمن أنت ؟ فقال لسائله : الإيمان إيمانان . فإن كنت تسألنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب ... فأنا مؤمن ، وإن كنت تسألنى عن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ... ﴾ فوالله ما أدرى:أنا منهم أم الآية

وجزاء هؤلاء المؤمنين أنهم لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

والدرجات هى:منازل الرفعة ، وكونها مضمونة لهم عند ربهم مما يؤذن بعلو منزلتها ، أى لهم درجات عالية عظيمة عند من رباهم بنعمه وفضله ، ودرجات الصالحين متفاوتة عند الله كما قال سبحانه :(هم درجات عند الله)ـ(نرفع درجات من نشاء).(انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) (أى فى الدنيا) ـ (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا).

والمغفرة هى مسامحتهم فيما فرط منهم ، ويتحمل الله عنهم بمنه وكرمه ذنوبهم الخفيفة نحو العباد ، وكل ما كان من اللَّمَم .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾.

والرزق الكريم هو رزق الجنة ، والكريم تأتى صفة لكل شىء عظيم مقدر والله ـ سبحانه ـ رب العرش الكريم ، وكل شىء سَوِيٍّ خال من أى قبح فهو كريم .

وحيث استكمل هؤلاء المؤمنون هذه الصفات فرزقهم من علو المكانة والمثوبة مضمون لدى الله خالق الكون الذى لايضيع أجر من أحسن عملا .

قبس من أنوار النبوة

أغنى الناس من اتقى الله

الشيخ: على حامد عبد الرحيم

عن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قال ـ قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ ، فَرَّقَ اللَّهُ عليه أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يُؤْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ .

وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِى قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَةٌ » .

رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

هَمَّهُ : ما يحرص عليه . فَرَّقَ : شتت وشعب .

نظم الإسلام شئون الإنسان كَلَبِنَة فى بناء مجتمعه ، وَقَدَّرَ حاجته وحاجة المجتمع إليه ، ووضع له على هذا الأساس قواعد تنظم سلوكه ونشاطه فى كل ناحية من نواحى حياته ليرفع عن كاهله الحيرة والقلق فى توجيه سلوكه ونشاطه ، لقد رسم الإسلام للإنسان طريقه إلى عبادة خالقه وشكره على ما أنعم به عليه مما يتقلب فيه من يوم مولده إلى أن يموت .

ورسم له طريق الاستمتاع بالحياة كإنسان له غرائز ورغبات فى الحدود التى لا تؤذيه ولا تضر بإخوانه ممن لابد له من معايشتهم ومعاشرتهم ، وشئون الإنسان تختلف فى أهميتها لتعلقها بحياته ومعاشه وحاجاته وكمالياته ، فكانت عناية الإسلام بضبطها ورعاية أهميتها لتسير فى طريق مستقيم يُؤْمَنُ فيه الزلل والفوضى ضمانا لسلامة الجماعة .

ولما كان أهم شئون الإنسان تحصيل الرزق واكتساب المال ، إذ عليه تتوقف حياة الإنسان ، وتحقيق مطالبه ورفاهيته من أكل وشرب ولباس وسكن وغيره . ولما كان الإنسان بحكم طبيعته وضروراته حريصا على الاكتساب لجمع المال ، ولو أرخى له العنان فى هذا السبيل لما وقف عند

حد ، ولما اقتنع بغاية ، لما كان الأمر كذلك عُنِىَ الإسلام أشد العناية بأن يضع من الأحكام والإرشادات والزواجر والعظات ما يخفف من حدة هذا الحرص ، ويكفكف من غلوائه حتى تسلم الجماعة من آثار الجشع فيه والتهالك على جمعه .

إن الإسلام-حين أباح للإنسان جمع المال والاستمتاع بطيبات الحياة ؛ ليأكل ويشرب ويلبس ويتزوج وينعم بمباهج الدنيا ومسراتها ، .. وأباح له أن يجعل المال من مواضع اهتمامه- ... لم يبح له أن يجعل اهتمامه كله مصروفا إليه ، يفكر فيه ليله ونهاره ، وغدوه ورواحه ، حتى ينسى حقوق ربه ، وحقوق مجتمعه ، فيهدر قيمه ، ويبتعد عن معانى الشرف والكرامة ، وينزلق فى مهاوى الرذيلة والفجور ، ويقع فى حمأة الجريمة ، ويتصف بصنوف الانحلال التى شاعت بين كثير من الناس كالسرقة والنصب والاختلاس ، واستغلال النفوذ ، والرشوة ، وتجارة المخدرات وتعاطيها.لقد أصبح جمع المال هو القيمة الأساسية لدى كثير من أصحاب النفوس الضعيفة ، حتى وجدت وسائل جمع المال من الرذيلة والمخدرات والجرائم البشعة طريقها الواسع الذى نجد بعض الناس يسيرون فيه علانية ، وبغير حياء .

إن كل من يصرف همه كله إلى الدنيا والتكاثر فيها والحرص عليها والاشتغال بجمع حطامها وإن كثر ماله فهو فى ضنك وفقر فى قلبه مهما كثر ماله وطفح غناه .

إن كل من ضعف لديه الوازع الدينى ، وتضافرت عليه أسباب الجشع والطمع وأغرته الدعاية الكاذبة بالغنى والثراء ، وأدارت رأسه الدعاوى الزائفة بأسباب اللهو والعبث فجن جنونه بالمال ، يتزود به فى سبل الغواية ، فأصبح المال معبوده وهام به وجعله لا يبالى مم جمعه ولا فيم انفقه .

إن من كان كذلك اضنى نفسه ونغص عيشه وبلبل خاطره ، وشتت فكره ولم يبلغ مرامه فى إشباع نهمه ، وأتعب قلبه وجسمه . فهو يأكل ولا يشبع وصار فقره بين عينيه فى جميع أحواله ، وأهلكه الشح فأسقطه من المجتمع الذى يعيش فيه ، وأصبح من خوف الفقر فى فقر ، ومن خوف الذل فى ذل ، ومن كان كذلك أضحى ممن عناهم الحديث الشريف بقوله ﷺ : « من كانت الدنيا همه ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له » .

أما من يجعل الآخرة همه فإنه يراقب الله ، ويسعى متوكلا على الله ، لكسب الرزق الحلال متصفابالقناعة والرضا بما قسم الله فقد سَعِدَ بحاله ، وهدأ باله وكان الله معه بالتوفيق والسداد ، ورأى أنه بالقليل مما أُعطِى غنى ، وهو غنى حقا بقناعته ، وهذا هو الذى أعطاه الله الدّين ، ومن أعطاه الدين فقد أحبه .

روى ابن حبان فى صحيحه ، أن النبى - ﷺ - قال لأبى ذر«يا أبا ذر»أترى كثرة المال هو الغنى ؟ قال : قلت : نعم ، قال : وترى قلة المال هو الفقر ؟ ، قال : قلت : نعم يارسول الله ، قال إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب » .

إن المؤمن الموفق للخير والعمل الصالح يحيا حياة طيبة سعيدة فى الدنيا مهما كان حظه من متاعها قليلا ، وأنه فى الآخرة من السعداء .

البقية ص ٧٠١

فقه الأصول والفروع

للشيخ/ محمد حسام الدين

● لا يعظم قدر الفقيه إلا إذا كان على علم بالأصول التى تتخرج عليها الفروع لدى المذاهب الفقهية .

ويدخل فى هذه الأصول القواعد الفقهية العامة التى ارتاها كل مذهب .

فالشريعة الإسلامية ـ على حد تعبير القراق[1] : (قد اشتملت على أصول وفروع ، وأصولها قسمان : أحدهما : المسمى بأصول الفقه ، وهو فى غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة ، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح ، ونحو الأمر : للوجوب ، والنهى : للتحريم ، والصيغة الخاصة للعموم ، ونحو ذلك .

وما خرج عن هذا النمط إلا كون القياس حجة ، وخبر الواحد ، وصفات المجتهدين .

والقسم الثانى : قواعد كلية فقهية جليلة كثيرة العدد ، عظيمة المدد ، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه ، ولكل قاعدة من الفروع فى الشريعة ما لايحصى ، ولم يذكر منها شيء فى أصول الفقه ، وإن اتفقت الإشارة إليها هنالك على سبيل الإجمال) ا هـ .

والفرق بين القواعد الأصولية ، والقواعد الفقهية ، أن القاعدة الأصولية تستند إلى دليل مباشر . نصا من قرآن أو سنة ، أو استنباطا منهما ، أو قياسا على حكم تقرر فيهما .

فالقاعدة الأصولية قاعدة تبين الوجه لإعمال الدليل الشرعى الأصلى أو التبعى .

كما تبين ما قد يعرض له من إطلاق أو تقييد .

ومثالها قولهم : المطلق يحمل على المقيد ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والخبر المتواتر يفيد العلم بمُخْبَره ، والأمر للوجوب إلا أن يصرفه عن الوجوب صارف ، وكذلك النهى فى التحريم ، وعموم النص يتخصص بفعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

أما القواعد الفقهية : فهى قواعد استقرائية

---

(١) شهاب الدين ابو العباس احمد بن العلاء الصنهاجى المشهور بالقرافى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ وانظر « الفروق » المقدمة .

تكشف عن مقاصد الشرع بصفة عامة،ولا يتحدد نطاق عملها بموضوع بذاته .

مثالها قولهم : الأمور بمقاصدها ـ والأعمال بالنيات ـ الأصل براءة الذمة ، الأصل فى الشك عدم الفعل . المشقة تجلب التيسير ـ إذا ضاق الأمر اتسع ـ العادة مُحَكَّمَةٌ ـ إذا اجتمع الحلال والحرام غُلِّبَ الحرام ـ الرخص لا تناط بالمعاصى .. وهكذا .

هذه القواعد الفقهية تختلف من مذهب إلى مذهب ، ويتفاوت الأئمة ـ رحمهم الله ـ فى تقريرها ، فتتقارب وتتباعد بها أصول المذاهب الفقهية ، وتأتى على هذا النمط أحكام الفروع تبعا لتخريجها على هذه الأصول متقاربة ، أو متباعدة .

وعلى هذا فإن اختلاف المُفْتِين لا يأتى عفوا أو تحكما ، ولكنه ناتج من تطبيق القواعد التى ترتكز عليها أصول كل مذهب .

ومن هنا يأتى التحذير للمجتهد المُقَيَّد فى مذهب إمامه ـ فضلا عمن يكون دون مستوى المجتهد دراية بالمذهب ـ يأتى التحذير له أن يتجاوز فى استدلاله أصول إمامه وقواعده ، أو أن يُخَرِّجَ ـ عَلَى النصوص أو القواعد استقلالا ـ إذا وجد نصا للإمام فى المسألة أو نظيرها .

وقد تعرض الإمام ابن الصلاح لمراتب المجتهدين والمفتين .

فوصف المجتهد المطلق الذى يتأدى به فرض الكفاية بأنه: هو المجتهد المستقل بإدراك الأحكام من الأدلة الشرعية من غير تقليد ولا تقييد .

وقال : (ومنذ دهر طويل طوى بساط المفتى المستقل ، والمجتهد المطلق ، وأفضى أمر الفتوى إلى الفقهاء المنتسبين إلى أئمة المذاهب المتبوعة)[٢] .

ثم وصف ابن الصلاح المفتى الذى ينتسب إلى مذهب ما ، وذكر له أربع أحوال : الحال الأولى : أن لايكون مقلدا لإمامه لا فى المذهب ، ولا فى دليله ، لكنه انتسب إلى المذهب لسلوك طريقه فى الاجتهاد .

وقال : (وفتوى المنتسبين فى هذه الحال فى حكم فتوى المجتهد المستقل المطلق ، يعمل بها ، ويعتد بها فى الإجماع والخلاف)[٣] .

والحال الثانية : (أن يكون مجتهدا مقيدا فى مذهب إمامه ، يستقل بتقرير مذهبه بالدليل ، غير أنه لا يتجاوز فى أدلته أصول إمامه وقواعده ... فإذا استدل بدليل أمامه لا يبحث عن معارض له ، ولا يستوفى النظر فى شروطه، وقد اتخذ نصوص إمامه أصولا يستنبط منها ، كما يفعل المجتهد المستقل بنصوص الشارع)[٤] .

واعتد ابن الصلاح بقول هذا الرجل فى الفتوى ، لكنه لا يعتد به فى إحياء العلوم التى منها استمداد الفتوى .

وأجاز له أن (يفتى فيما لم يجده من أحكام الوقائع منصوصا لإمامه بما يخرجه على مذهبه)[٥] .

---

(٢) نقلا عن « المسودة » فى أصول الفقه ، لإبن تيمية ، مطبعة المدنى بالقاهرة سنة ١٩٨٣ م ـ صفحة ٤٨٧ ، ٤٨٨ ..

(٣) نقلا عن « المسودة » فى أصول الفقه ، لإبن تيمية ، مطبعة المدنى بالقاهرة ، سنة ١٩٨٣ ـ صفحة ٤٨٩ .

(٤) المصدر السابق صفحة ٤٨٩ .

(٥) المصدر السابق صفحة ٤٨٩ .

فقــه الأصـــول

أما الحال الثالثة : فهى حال من يكون حافظا للمذهب ، عارفا بأدلته ، لكنه قَصُرَ عن درجة المجتهدين ، لقصور حفظه ، أو تصرفه ، أو معرفته بأصول الفقه وهى مرتبة المصنفين إلى أواخر المائة الخامسة .

والحال الرابعة : (حال من يحفظ المذهب ويفهمه فى واضحات المسائل ومشكلاتها غير أنه مقصر فى تقرير أدلته ، فهذا يعتمد نقله وفتواه فى نصوص الإمام وتفريعات أصحابه المجتهدين فى مذهبه)[٦] ..

وهكذا يقرر ابن الصلاح ما عليه الاتفاق من أن مجتهد المذهب لا يصح له أن يتجاوز فى أدلته أصول إمامه وقواعده .

وأن فقيه المذهب إنما يجوز له فقط أن يعتمد فى نقله وفتواه على نصوص إمامه وتفريعات أصحابه المجتهدين فى مذهبه .

ورأى ابن الصلاح أن هذا الفقيه كاف فى العصور المتأخرة ونقل عن أبى المعالى الجوينى قوله : (يبعد أن تقع واقعة لم ينص على حكمها فى المذهب ، ولا هى فى معنى شىء من المنصوص عليه فيه من غير فرق ، ولا هى مندرجة تحت شىء من ضوابطه)[٧] .

فالضابط للفتوى على ما يراه ابن الصلاح : أن تعتمد على أصول مذهب ، أو تنقل عن فروعه ، أو تكون الواقعة مندرجة تحت شىء من ضوابطه ، وأصوله فتخرج على هذا الأصل فرعا .. له .

أما هذه الفوضى الضاربة على غير هدى الجانحة إلى الهوى والرأى الكليل ، فليست من الفتوى الشرعية على نظام .

وعلى هذا،فإن أصول كل مذهب هى قواعده الشرعية التى يبنى عليها أحكامه ويخرج فروعه .

وقد اجتهد أصحاب المذاهب فى تحرير قواعدهم ، وأوضحوا الفروق فيما بينها ، وذكروا الأشباه والنظائر من فروعها .

ومما نجده فى هذا المجال كتاب : « الفروق » لشهاب الدين أبى العباس أحمد بن أبى العلاء الصنهاجى المشهور بالقرافى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ .

وقد قال فى مقدمته : (وعوائد الفضلاء وضع كتب للفروق بين الفروع ، وهذا فى الفروق بين القواعد وتلخيصها ، فله من الشرف على تلك الكتب شرف الأصول على الفروع وسميته لذلك : أنوار البروق فى أنواء الفروق .. وجمعت فيه من القواعد خمسمائة وثمانى وأربعين قاعدة ، أوضحت كل قاعدة بما يناسبها من الفروع)[٨] .

ومن ذلك كتاب : (الأشباه والنظائر) فى قواعد وفروع فقه الشافعية لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

ومثله كتاب (الأشباه والنظائر) الفقهية على مذهب الحنفية ، لزين العابدين بن إبراهيم ابن نجيم المصرى المتوفى سنة ٩٧٠ هـ وكان قد سبق هؤلاء الإمام شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجانى الشافعى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ فوضع

---

(٦) المصدر السابق صفحة ٤٩٠ .

(٧) نقلا عن « المسودة » فى أصول الفقه ، لابن تيمية ، مطبعة المدنى بالقاهرة ، سنة ١٩٨٣ ـ صفحة ٤٩٠ .

(٨) الفروق للقرافى ١ / ٤ دار المعرفة ـ بيروت ـ

كتابه : (تخريج الفروع على الأصول) فى مذهبى أبى حنيفة والشافعى .

واهتم الزنجانى بالمسائل الأصولية التى ترجع إليها الفروع فى كل قاعدة ، وذكر الحجة الأصولية لكل من الجانبين ، ثم رد الفروع فى كل مسألة إلى أصلها المذهبى .

فجاء عمله فقها ، وتأصيلا دقيقا مثل : (ذهب الشافعى - رضى الله عنه ، وجماهير أهل السنة إلى أن الطهارة ، والنجاسة ، وسائر المعانى الشرعية ، كالرِّق والملك والعتق والحرية ، وسائر الأحكام الشرعية ، ككون المحل طاهرا أو نجسا وكون الشخص حرا ، أو مملوكا مرقوقا ، ليست من صفات الأعيان المنسوبة إليها ، بل أثبتها الله تحكما وتعبدا ، غير معللة .. ولا تصل أراؤنا الكليلة وعقولنا الضعيفة ، وأفكارنا القاصرة إلى الوقوف على حقائقها ، وما يتعلق بها من مصالح العباد ، فذلك حاصل ضمنا وتبعا ، لا أصلا ومقصودا ، إذ ليست المصلحة واجبة الحصول فى حكمه ...

وذهب المنتمون إلى أبى حنيفة - رضى الله عنه - من علماء الأصول إلى أن الأحكام الشرعية صفات للمحال والأعيان المنسوبة إليها ، أثبتها الله تعالى ، وشرعها معللة بصالح العباد لا غير ..

كما أن الحسن ، والقبح ، والوجوب ، والحظر ، والندب ، والكراهة ، والإباحة من صفات الأفعال التى تضاف إليها .

غير انهم قسموا أحكام الأفعال إلى : ما يعرف بمجرد العقل ، وإلى ما يعرف بأدلة الشرع .. أما أحكام الأعيان : فقد اتفقوا على أنها كلها تعرف بأدلة شرعية ، ولا تعرف بمجرد العقل ، وانها كلها تثبت بإثبات الله تعالى[٩] .

وإذا تمهدت هذه القاعدة فنقول[١٠] : الشافعى - رضى الله عنه - حيث رأى أن التعبد فى الأحكام هو الأصل غَلَّبَ احتمال التعبد ، وبنى مسائله فى الفروع عليه .

وأبو حنيفة - رضى الله عنه - حيث رأى أن التعليل هو الأصل بنى مسائله فى الفروع عليه ، فتفرع عن الأصلين المذكورين مسائل :

منها : أن الماء يتعين لإزالة النجاسة عند الشافعى - رضى الله عنه ، ولا يلحق غيره به تغليبا للتعبد .

وقال ابو حنيفة - رضى الله عنه : يلحق به كل مائع طاهر مزيل للعين والأثر ، تغليبا للتعليل .

ومنها : أن زكاة ما لا يؤكل لحمه لا تفيد طهارة الجلد « عندنا » مراعاة للتعبد .

وعندهم يطهر تشوفا إلى تعليل الطهارة بسفح الدم والرطوبات المتعفنة[١١] .

ومنها : انه يمتنع الإبدال فى باب الزكوات ، ولا يجزىء إخراج القيم « عندنا » لظهور احتمال التعبد بالتشريك بين الفقراء والأغنياء فى جنس المال .

وعندهم : يجزىء[١٢] .

أما ابن رجب الحنبلى[١٣] : فله كتاب القواعد . وقد كتب فى مقدمته :

(أما بعد : فهذه قواعد مهمة ، وفوائد جمة تضبط للفقيه أصول المذهب ، وتطلعه من مآخذ الفقه على ما كان قد تغيب ، وتنظم له منثور المسائل فى سلك واحد)[١٤] .

البقية ص ٦٨٩

---

(٩) تخريج الأصول على الفروع - لشهاب الدين محمود بن أحمد الزنجانى - صفحة ٣٨ - ٤٠ بتحقيق الدكتور محمد اديب صالح - الطبعة الرابعة - مؤسسة الرسالة - بيروت .

(١٠) القائل هو الزنجانى .

(١١) المصدر السابق ص ٤١ ، ٤٣ .

(١٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

(١٣) الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥ هـ .

(١٤) القواعد لابن رجب - الطبعة الاولى سنة ١٩٧٢ م - مطبعة الكليات الأزهرية ص ٢ .

حول شهادات الاستثمار

٣

بقلم المستشار أحمد محمد محمد إبراهيم

تاسعا : عن المساهمة فى الخسائر :

جاء فى الفتوى « وإذا حدثت له (للعامل فى المال) خسارة خارجة عن إرادته فيتحمل المتعاملون معه نصيبهم من هذه الخسارة ما فى ذلك شك .

وقال فى أكثر من موضع فى كتابه انه إذا حدثت خسارة فى استثمار المال وثبتت هذه الخسارة بطريق صحيح يحكم به الخبراء العدول. وجب على صاحب المال أن يتحمل مايحكم به هؤلاء العدول بالنسبة للخسارة . اما إذا كانت هذه الخسارة بسبب الإهمال او الخيانة . أو غير ذلك من الأسباب التى لايقرها الخبراء العدول ، فصاحب المال ليس مسئولا عن إهمال المهملين وخيانة الخائنين ، ومن حقه أن يأخذ الربح الذى تم عليه الاتفاق كاملا غير منقوص .

ولما كان الذى لاشك فيه طبقا للقوانين والقرارات التى تنظم المعاملات المصرفية ، وشهادات الاستثمار ، وصناديق توفير البريد ، أن رب المال يأخذ العائد المتفق عليه ، كما أن من حقه أن يسترد المال الذى قدمه لهذه الجهات كاملا ، فإنى أطلب من المفتى أن يبين حكم هذه المعاملات على هذا الأساس القانونى الذى لاشك فيه .

كما أضع تحت نظره أقوال بعض المسئولين فى بنك الاستثمار القومى عن الخسائر التى يتحملها البنك بسبب شهادات الاستثمار ، ليبين لنا المفتى على ضوئها مدى استحقاق أصحاب هذه الشهادات للعائد ، ومدى تحملهم لنصيبهم من هذه الخسائر :

صرح السيد ظافر البشرى نائب رئيس مجلس إدارة بنك الاستثمار القومى والعضو المنتدب أن التزايد المستمر فى الإقبال على شهادات الاستثمار ، ونظرا لأنها تتمتع بأعلى عائد ، يمثل فى نفس الوقت عبئا على بنك الاستثمار القومى يقدر بنحو ٢٣٥ مليون جنيه ، يتمثل فى الفرق بين سعر فائدة الإقتراض وقدره ١٦٫٢٥٪ إلى جانب تكاليف الدعاية والإعلان والإدارة ، وسعر فائدة الاقراض لجهات الإسناد وقدره ٧٪ .

كما صرح نصر طنطاوى الوكيل الأول لبنك

الاستثمار بأن مجلس إدارة البنك سيناقش مذكرة بقصر بيع شهادات الاستثمار على الأشخاص الطبيعيين ، وذلك للعديد من الأسباب ومنها : أن بنك الاستثمار القومى يتحمل سنويا خسائر تزيد على ٨٠٠ مليون جنيه نتيجة إعادة إقراضه لحصيلة شهادات الاستثمار بمعدل فائدة أقل مما يؤديه عن هذه الشهادات (الأهرام ٢/٦/١٩٩٠) .

وأعتقد أنه لن يخفى على المفتى أن المسئولين فى بنك الاستثمار القومى يستخدمون كلمات إقتراض ، إقراض ، فائدة .

ولا يختلف الوضع بالنسبة لودائع صندوق توفير البريد ، فقد نشرت صحيفة الأهرام ١٩٨٢/٢/١٣ حديثا اجرته مع المهندس جلال فيظى رئيس الهيئة القومية للبريد قال فيه انه وقت أن كانت هيئة البريد تعطى فائدة قدرها ٤,٥٪ لأصحاب المدخرات ، كان بنك الاستثمار القومى الذى تحول إليه ٩٠٪ من جملة المدخرات فى صندوق التوفير يعطى البريد عنها نسبة فائدة قدرها ٤,٥٪ وكان الموقف وقتها محتملا إلى حد ما ، نتيجة قيام هيئة البريد باستثمار الـ ١٠٪ الباقية من المدخرات ، وتعطى من العائد المبالغ اللازمة للخدمات من أوراق ومطبوعات وغيرها ـ والغريب أنه بعد أن ارتفعت نسبة الفائدة فى صندوق توفير البريد إلى ٦٪ ثم إلى ٨٪ ثم إلى ١٠٪ أخيرا ، لكى لايهرب الناس منها إلى الأوعية الادخارية الأخرى فى البنوك ، ظل العائد الذى يعطيه بنك الاستثمار القومى لصندوق توفير البريد ثابتا لم يزد على ٤,٥٪ سنويا ، ومعنى هذا أن الفارق بين الـ ٤,٥٪ التى يؤديها بنك الاستثمار ، ونسبة الـ ٦٪ ثم الـ ٨٪ ثم الـ ١٠٪ اخيرا التى يدفعها صندوق التوفير للمدخرين لابد أن تدفعها هيئة البريد ـ وسدا لهذا الحجز يطلب رئيس الهيئة ، ذلك من وزارة المالية ، وقد بلغت ديون هيئة البريد لخزانة الدولة (حتى يوم نشر الحديث) مبلغ (سبعة عشر مليونا من الجنيهات) (ولست أعلم مقدار الخسارة بعد أن صارت نسبة الفائدة تزيد على ١١٪) .

وقد علق محرر الأهرام على هذا الوضع بقوله : معالجات متضادة وغريبة لقضية تشجيع المدخرين برفع سعر الفائدة فى صندوق توفير البريد ، فبينما تزيدها الحكومة على هيئة البريد ، تصر على تثبيتها فى بنك الاستثمار القومى ، ثم تقوم بسد العجز من جهة حكومية أخرى تحت بند (ديون للحكومة) . هل يمكن أن يواجه العقل البشرى لغزا محيرا يستعصى على الحل اكثر من هذا ؟ من يدين من ؟ ومن اين تسد جهة حكومية ديونها للحكومة التى فرضت عليها الدين ؟ ولماذا كل هذا (اللف والدوران) الذى لايستطيع عبقرى أن يجد تفسيرا مقنعا له ؟

عاشرا : حول عدول بعض العلماء عن آرائهم :

١ ـ الشيخ محمود شلتوت :

أورد المفتى فى فتواه راى للشيخ محمود شلتوت ـ يرحمه الله ـ فى أرباح صندوق التوفير ، ثم قال : ولا شك أن أرباح شهادات الاستثمار تطابق من كل الوجوه أرباح صندوق التوفير التى قال فضيلته بأنها حلال ولا حرمة فيها .

وذكر بعض الذين ناقشوا فتوى المفتى أن الشيخ محمود شلتوت قد رجع عن فتواه الخاصة بحل أرباح صندوق التوفير . واشار المفتى إلى

حـــول شهـــادات الاستثمـــار

ذلك فى كتابه ثم قال : والجواب : أن هذا القول لا أساس له من الصحة ، وأقل ما يقال فى صاحبه أنه إنسان غير أمين ويلقى القول بدون دليل .

وصاحب هذا الجواب هو فضيلة الأستاذ أحمد نصار ، مدير مكتب فضيلة الشيخ شلتوت رحمه الله ، وزوج ابنته ، والمشرف على طبع مؤلفاته ، والمصاحب له حتى يوم وفاته رحمه الله .

ويبدو لى أن هذا الوصف الذى وصف به الذين قالوا بعدول الشيخ محمود شلتوت عن رأيه فى أرباح صندوق التوفير ، قد قيل أخيرا من الأستاذ أحمد نصار للمفتى ، لأن ما قاله الأستاذ أحمد نصار من قبل فى موضوع عدول الشيخ شلتوت عن فتواه ، لم يكن بهذه الصيغة النابية ، فما سبق نشره عن نفى العدول عن الفتوى كان : (والإمام الراحل لم يرجع عن هذه الفتوى ولا عن غيرها ، وقد نشرت كتابه الذى طبع مرتين فى حياته ، الثانية فى أخرياتها ـ وهى مستندة إلى استدلالات فقهية كما هى عادة الإمام الراحل فى كل فتاواه ، وباب البحث مفتوح للجميع (الأهرام ١٩٧٩/٥/٩) .

كما أن ما أورده الدكتور عبدالمنعم النمر عن هذا الموضوع هو : (وقد أشيع أنه رجع عنه قبل وفاته وهو بالمستشفى . ولكن أولاده وأصهاره الذين لازموه حتى وفاته ، كذبوا هذه الشائعة ، وقالوا لى بالتحديد : إنه أوصانا بشىء آخر بخصوص طبع كتاب الفتاوى فى المستقبل ، ليس هو هذا الموضوع ، ونفذوا الوصية فعلا فى الطبعات الجديدة (اسلام لاشيوعية هامش ٢٠٤) .

وأرى أنه كان من الواجب على المفتى أن لاينقل عن الأستاذ أحمد نصار نفيه عدول الشيخ محمود شلتوت عن فتواه بالصيغة التى نشرها فى كتابه ، قبل أن يتعرف من هم الذين أقل مايقال فيهم أنهم غير أمناء . والأدهى من ذلك أن المفتى لم يقف عند نقل العبارة بصيغتها المجافية لأخلاق العلماء ، فقد تطوع لإرشاد من يريد أن يسمع هذه العبارات بنفسه ، إلى عنوان الأستاذ أحمد نصار ليرددها على أسماعهم .

وأورد فيما يلى أقوال من تحت يدى مصادر أقوالهم من هؤلاء الذين أقل ما يقال فيهم أنهم غير أمناء » .

١ ـ يقول الدكتور على السالوس فى شأن تناقض فتاوى الشيخ شلتوت : وهنا أمر هام عرفته وأريد أن يعرفه المسلمون :

« فقد سألت فضيلة الشيخ سيد سابق عن سبب هذا التناقض فقال : إن فتوى التحليل صدرت ، بعد أن أفهموا الإمام أن هيئة توفير البريد تستثمر هذه الأموال وتأخذ جزءا من الأرباح وتعطى المودعين الجزء الآخر .

ثم قال : وبعد هذا ، سألت الدكتور عيسى عبده رحمه الله ، فذكر أن هيئة البريد تودع الأموال فى البنوك ، وتأخذ فوائدها ، ولا تقوم بأى استثمار .

« ثم أضاف فضيلة الشيخ سيد سابق : وما الفرق بين أخذ الفوائد الربوية من البنوك مباشرة وبين أخذ جزء منها عن طريق هيئة البريد ؟ .

« ثم حدثنى فضيلة الشيخ صلاح أبو إسماعيل بأن فضيلة الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله ، ذكر فى ندوة لواء الإسلام أنه التقى بالشيخ شلتوت وناقشه فى فتوى التحليل ، واقتنع بتحريم فوائد دفتر البريد ورأى حذفها ، فعارضه قائلا : لا بل تبقى الفتوى وتثبت تراجعك عنها ، فمن قرأ الفتوى قرأ التراجع .

واتفق الشيخان على هذا :

« وذكر الشيخ أبو زهرة هذا الموضوع أكثر من مرة فى لجنة الفقه بمجمع البحوث الإسلامية ، وكان الأمين آنذاك الشيخ صلاح أبو إسماعيل (حكم ودائع البنوك وشهادات

الاستثمار فى الفقه الإسلامى من ١١٣ و١١٤ . وزع هدية مع عدد ربيع الآخر سنة ١٤١٠ من مجلة الأزهر) .

٢ ـ قال الشيخ صلاح ابو إسماعيل ـ رحمه الله ـ وفتوى الشيخ محمود شلتوت فى ارباح صندوق التوفير قد تراجع عنها وحكم بربوية هذه الأرباح ، وطلب حذف فتواه من بين فتاواه . لكن الشيخ محمد ابو زهرة اقترح عليه ، وقد تراجع عن فتواه أن تبقى الفتوى وان يثبت بجانبها تراجعه عنها ، حتى يقرأ التراجع كل من قرأ الفتوى (مجلة الاعتصام ـ عدد ربيع الأول ١٤١٠ هـ اكتوبر ١٩٨٩ ص٢٥) .

٣ ـ ومن فتاوى الدكتور محمد الفحام أن مواطنا عراقيا سأل عن فوائد صندوق التوفير ويقول إنه قرأ فى كتاب الفتوى لأحد علماء العصر السابقين رأيا بإباحتها لانها فى راى فضيلته ليست ربا ، فأجابه عن ذلك بقوله :

والجواب اننا تناولنا هذا الموضوع فى كثير من اعداد منبر الإسلام وفى فتاوانا التى تصدر من مكتبنا ، وقررنا واكدنا ان الفوائد ربا والربا محرم كله كثيره وقليله . وقد قال الله تعالى فى الآيات التى نزلت فى تحريم الربا : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

وبالنسبة للرأى المخالف الذى يرى حل هذه الفوائد ، والذى ينسب لأحد علماء عصرنا السابقين ، فإن مبلغ علمنا ان فضيلته رجع فى آخر حياته عن رأيه الجديد إلى رأيه القديم القائل بحرمة هذه الفوائد ، وأنها من المال الخبيث وطلب من المحيطين به أن ينصوا على ذلك حين إعادة طبع كتبه (مجلة منار الإسلام عدد ربيع اول ١٣٩٣ ـ ابريل ١٩٧٣) .

٤ ـ وقال الدكتور عبدالحليم محمود ـ يرحمه الله ـ فى إحدى فتاواه : إن هذا الباب فى مجلة منبر الإسلام (باب الفتاوى) تناول هذا الموضوع فى أعداد كثيرة سابقة ، وأكد ومازال يذكر أن فوائد الأموال المودعة بصناديق التوفير أو البنوك ربا وأن الربا محرم بصريح القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة ، وإذا كان لأحد علماء العصر السابقين رأى آخر فى هذا الموضوع ، فقد رجع ـ رحمه الله ـ عن رأيه الأخير إلى رأيه السابق الذى ينص على أن الفوائد على الأموال المودعة مال خبيث لا يجوز الانتفاع به فى أى وجه من وجوه الانتفاع . وقد أوصى رحمه الله ـ كما علمنا ـ المحيطين به أن يشيروا إلى ذلك حين إعادة طبع كتبه (مجلة منبر الإسلام عدد ربيع ثان ١٣٩٣) .

ترى هل يرى المفتى أن هؤلاء العلماء يحق له أو لغيره أن يصفهم بأن أقل ما يقال فيهم أنهم من غير الأمناء ؟

٢ ـ الشيخ عبدالوهاب خلاف :

عول المفتى ، فى تأييد رأيه فى إباحة عائد المعاملات المصرفية وما ماثلها على مقالين نشرهما الشيخ عبدالوهاب خلاف ـ رحمه الله ـ فى مجلة لواء الإسلام . ولما كان قد نشر أن الشيخ عبدالوهاب خلاف عدل عن رأيه دون أن يشير المفتى إلى ذلك ـ وقد يرجع ذلك إلى انه لم يطلع على مانشر عن هذا العدول ـ فقد رأيت أنه من المناسب أن انقل ما جاء فى ندوة مجلة لواء الإسلام التى ناقشت فتوى الشيخ محمود شلتوت التى اباح فيها أرباح صندوق توفير البريد .

قال الأستاذ صبرى عابدين : الذى اريد أن اقوله فى هذه المسألة أنه قد سبق لهذه الندوات عدة مرات أن بحثت موضوع الربا ، وفى كل مرة كانت تسفر النتيجة بالإجماع على تحريم جميع انواع الربا من غير اختلاف . واذكر أن المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف كان معنا فى بحث هذه المسألة ، وكان له رأى خاص فى بعض انواع الربا ، ولكن للحقيقة أقول إنه بعد ما استمع إلى ما قاله إخواننا جميعا رجع إلى رأيهم

يتبع

ذو الجناحين

جعفر بن أبي طالب

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز غنيم

كان جعفر بن ابى طالب هاشميا من جهة[1] ابيه ، وهاشميا من جهة امه ؛ فابوه هو ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

وامه هى فاطمة بنت اسد بن هاشم .

وكان له ثلاثة إخوة : « على » وهو اخوه لامه وابيه ، « وطالب » و« عقيل » وهما اخواه من ابيه وحسب .

وكان بين « طالب » و« عقيل » عشر سنين[2] ، وبين « عقيل » و« جعفر » عشر سنين والامر كذلك بين « جعفر » و« علىّ » .

وقد اتفق الرواة على أن ابا طالب كان كثير العيال[3] قليل المال . لا يكاد ما يكسبه يغطى نفقاته ونفقات أبنائه وبناته ، وأن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد كان يعرف هذا اكثر من غيره ، لأنه تربى فى بيته[4] ، وقضى شبابه وشطرا من طفولته فى كفالته ، وتحت ظلال حمايته ورعايته ، ومن اجل هذا فإن اهل مكة لما أرْمَلُوا مشى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى العباس بن عبد المطلب وقال له : إن أخاك ابا طالب كما ترى من كثرة العيال وقلة المال ، فإن شئت أخذت من ابنائه رجلا ، وأخذت من ابنائه رجلاً .

ولما بلغ الخبر ابا طالب قال[5] : دعا لى « طالباً » و« عقيلا » ، وخذا من تشاءان ، فضم محمد ـ ﷺ ـ إليه « علياً » ، وضم العباس إليه « جعفرا » ، وظل كل منهما فى حجر صاحبه حتى جاء الإسلام فأوى إليه « علىٌّ » ، وانضوى تحت لوائه ، وراح من فَوْرِهِ يدعو إليه « جعفراً » ، ويزينه فى قلبه حتى انْقَادَ له ودخل فيه .

ويقول الرواة إن « جعفرا » قد أسلم وله من العمر عشرون سنة ، وإن إسلامه قد كان ولما يدخل النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه دار الأرقم بن أبى الأرقم[6] ، والدليل على أن دخول « جعفر » فى الإيمان قد كان وهو فى هذه السن هو أنه قد استشهد فى « مؤتة » وهو فى الأربعين ، أو فى العام الذى يليه[7] ، والمدة من البعثة حتى هذه الغزوة لا تتجاوز العشرين سنة ، ومهما يكن من شىء فإن « جعفر » منذ

---

(١) « الطبقات الكبرى » ـ لابن سعد ـ جـ ٤ ص ٣٤ ط دار بيروت للطباعة والنشر .

(٢) « الاستيعاب فى أسماء الأصحاب » ـ لابن عبد البر ـ جـ١ ص ٢١٠ ط دار الفكر « بيروت » .

(٣) « السيرة النبوية » ـ لابن هشام ـ جـ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

(٤) « السيرة النبوية » ـ لابن هشام ـ جـ ١ ص ١٦٤ .

(٥) « السيرة النبوية » ـ لابن هشام ـ جـ ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٦) « الطبقات الكبرى » ـ لابن سعد ـ جـ ٤ ص ٣٤ .

(٧) « الاستيعاب » ـ لابن عبد البر ـ جـ ١ ص ٢١٢ .

آوى إلى ظل الإسلام الحنيف حتى غادر مكة مهاجراً إلى الحبشة وهو ملازم للنبى - عليه الصلاة والسلام - لا يكاد يفارقه .

فقد كان يصاحبه فى شعاب مكة ، وكان يجلس إليه فى دار « الأرقم » بن أبى « الأرقم » ، وهذا هو السر فيما أوتيه « جعفر » من فصاحة اللسان ، وغزارة البيان ، وحدة العقل ، وتوقد الذهن ، وسرعة البديهة ، وقوة العارضة ، وحسن الخلق ، واستقامة السلوك ، وهذه القدرة الفائقة على إقناع من يحدثه ، وإفحام من يجادله ، وقد تكون هذه المزايا وغيرها هى السبب الذى من أجله أمَّره[8] النبى - عليه الصلاة والسلام - على رفاقه الذين أذن لهم فى الهجرة إلى أرض النجاشى بعد أن استضعفهم الناس واضطهدوهم وأذاقوهم من التنكيل والتعذيب ما يعجز الصبر عن احتماله وتضيق النفس عن احتوائه ، والاستمرار فى العيش معه .

ويقول الرواة : إن « جعفر » - رضى الله عنه - قد حمل امرأته[9] « أسماء بنت عميس » معه إلى الحبشة ، وأنها قد أنجبت له فيها « عبد الله » ومنه كان عقبه ، وعونا ، ومحمداً ، ولا عقب لهما .

والرواة مختلفون فى خروج « جعفر » إلى الحبشة ، أكان فى المرة الأولى أم فى الثانية ؟[10] ، وفى الرجل الذى دار الحوار بينه وبين « النجاشى » ، أكان هو أم « عثمان بن عفان »[11] وفى الشخص الذى رافق « ابن العاص » لاستعادة المسلمين أهو « عمارة بن الوليد » ، أم « عبد الله بن أبى ربيعة »[12] ؟

والذى تسكن إليه النفس ، ويستريح إليه البحث والدرس هو أن خروج « جعفر » إلى الحبشة قد كان فى المرة الأولى ، وأنه هو الذى حاور « النجاشى » وناب عن أصحابه فى التحدث إليه .

أما رفيق « عمرو بن العاص » فإن خير ما انتهى إليه العلماء بالنسبة له هو أن السفارة إلى « النجاشى » لم تكن مرة واحدة ، وإنما كانت مرتين[13] ، وأن « عمارة » قد كان فى إحداهما ، وكان « ابن أبى ربيعة » فى الثانية .

ويظهر أن المشركين قد كانوا على يقين من أن المسلمين لن يقيموا فى الحبشة إلا يسيرا ، وأنهم سرعان ما تضنيهم الغربة ويشقيهم الفراق ، ويعودون مرة أخرى إلى مسقط رءوسهم وموطن آبائهم وأجدادهم ، فلما طاب لهم المقام وتبسمت فى وجوههم الأيام أكل الغيظ قلوبهم ، ونهش الحقد نفوسهم ، وجمعوا الهدايا للنجاشى ، وبطارقته ، وكلفوا عمراً وعمارة بالذهاب إلى الحبشة واستعادة المهاجرين منها ، وقد أبى الله إلا أن يزرع البغض فى قلب كل من هذين الرسولين نحو الآخر .

انطلق عمرو إلى البطارقة ودفع إلى كل منهم هديته ، ورجاهم أن يؤيدوه فى مجلس الملك ، واستأذن على النجاشى ، فلما مثل بين يديه ، وقدم الهدايا إليه قال : أيها الملك إن غِلْمَةً من قومنا سفهاء ، فارقوا دين آبائهم وأجدادهم ، ولجئوا إلى أرضك ، وقد بعثنا[14] أشراف قومنا إليك لتردهم إليهم .

---

(8) « البداية والنهاية » - لابن كثير - جـ ٣ ص ٦٧ ، ٧٠ ط مكتبة المعارف « بيروت » .
(9) « الطبقات الكبرى » - لابن سعد - جـ ٤ ص ٣٤ .
(10) « البداية والنهاية » - لابن كثير - جـ ٣ ص ٦٧
(11) « البداية والنهاية » - لابن كثير - جـ ٣ - ص ٧٧ .
(12) « البداية والنهاية » - مرجع سبق ذكره - جـ ٣ ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .
(13) « البداية والنهاية » مرجع سبق ذكره جـ ٣ ص ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ .
(14) « البداية والنهاية » - لابن كثير - جـ ٣ ص ٦٦ ، ٩٩ .

ذو الجناحين

جعفر بن أبي طالب

قال الملك : والله لا أردهم حتى أحضرهم وأسألهم ، فإن كانوا كما قلت دفعتهم إليك ، وإلا فلا أطردهم من بلادى ، وقد لاذوا بى ، وآثرونى على غيرى وجاء « جعفر » ورفاقه . فلما أسمعهم الملك مقالة عمرو فيهم .

قال « جعفر » : أيها الملك لقد كنا نعبد الأصنام ، ونؤله الأوثان ، ونأكل الميتة ، ونلعب الميسر ، ونأتى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فبعث الله إلينا رجلا منا ، نعرفه ونعرف آباءه وأجداده ، فدعانا إلى عبادة الرحمن ونهانا عن عبادة الأوثان ، وأمرنا أن ندع الزنا والربا وكل منكر من القول والعمل ، فصدقناه ودخلنا فى دينه ، وكان « جعفر » يقول ما يقول فى عبارات مؤثرة تهز الأنفس ، وتثير العواطف والمشاعر ، وتفعل فى قلب الملك وبطارقته فعل السحر .

فقال الملك : فاقرأ علينا شيئا مما نزل على صاحبك ، فراح يتلو من كتاب الله ما حضره . فبكى الملك وبكت بطارقته ، حتى بلل الدمع لحاهم .

وقال الملك « لعمرو »: والله ما عدا هذا الذى سمعت ما نزل على « موسى » و« عيسى » وإنهما ليخرجان من مشكاة واحدة ، خذ هداياك وعد إلى قومك ، فوالله لا أعيدهم إليهم أبداً ، وإنهم لفى حمايتى ما أقاموا فى أرضى ، وآثرونى على غيرى ، من آذاهم غرم ، ومن أساء إليهم عوقب .

وعلى الرغم من هذا الإخفاق الذى أصاب « عمرو » وهذه النتيجة السيئة التى انتهى إليها فإنه لم ييأس ولم يقنط ودخل على الملك مرة أخرى .

وقال له : إن « جعفرا » وأصحابه يقولون فى « عيسى » و« مريم » قولا عظيما ، فغضب الملك وبعث إلى القوم فلما حضروا بين يديه قال لهم : ما تقولون فى « عيسى » وأمه ؟ فقال « جعفر » : ما نقول فيهما إلا ما قال الله فى كتابه ، واستفتح سورة « مريم » وراح يتلو ، و« النجاشى » يهز رأسه وينكت الأرض بعود فى يده ويقول : هذا والله هو الحق الذى لا أعرف غيره ، والذى لا ينبغى أن يتجاوز إلى سواه ، وعاد « عمرو » وصاحبه يجران أذيال الخيبة ، ويلعنان الوقت الذى أمضياه فى أرض الحبشة ، وهاجر النبى ـ ﷺ ـ وأصحابه إلى المدينة و« جعفر » ورفاقه بين أكناف « النجاشى » لا يسىء إليهم أحد ، ولا ينال من مكانتهم خسيس ولا شريف . ومضت غزوة « بدر » ، وغزوة « أحد » وغزوة « الأحزاب » ، و« جعفر » ورفاقه لايزالون فى مهجرهم الكريم ، وتحت حماية هذا الملك العظيم ، حتى إذا غاظ البطارقة انتصارُ الملك للإسلام ، وإلقاؤه ثوب حمايته ورعايته على أهله فى بلاده ، وتجمعوا لحربه ، استأجر « النجاشى » سفينة ودعا إليه « جعفر » ورفاقه وقال : تعلمون حبى لكم ، وحدبى عليكم ، ودفاعى عنكم ، وقد وقع بينى وبين بطارقتى ما ترون ، وإنى أخشى أن تميل كفَّةُ الحرب إلى صالحهم ، فينالكم منهم ما تكرهون ، وإنى قد استأجرت لكم هذه السفينة فعودوا إلى مأمنكم من أرضكم . فإن نصرنى الله فذلك ما تحبون وأحب ، وإن كان الأمر غير ذلك لم يمسسكم سوء وركب القوم السفينة ، ووصلوا إلى المدينة وكان النبى ـ ﷺ ـ قد عاد إليها فور فتحه « لخيبر » فلما رأى « جعفر » التزمه وقبله وقال : والله ما أدرى بأيهما أسر ، بفتح « خيبر » أم بعودة « جعفر »(١٥) . وأسهم له ولأصحابه فى غنائم هذه المعركة ولم يكونوا قد شاركوا فيها . وقد شاء الله ألا يطول بقاء « جعفر » إلى جانب

---

(١٥) « الطبقات الكبرى » جـ ٤ صـ ٣٥ ، « البداية والنهاية » ـ لابن كثير جـ ٣ ص ٧٢ .

النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى « يثرب » بل لقد شاء الله ألا تطول حياته بعد عودته فإن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد بعث إلى ذات « الطلح[١٦] » ، وهى بليدة على اطراف الشام خمسة عشر رجلا من اصحابه يتلون على اهلها القرآن ويعلمونهم احكام الإسلام ، فوثبوا عليهم فقاتلوهم ورووا سيوفهم ورماحهم من دمائهم وهز هذا الخطب الجلل فؤاد النبى ـ صلوات الله عليه ـ واشتد حزنه على من قتل من اصحابه وما كاد الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يختفى وجرحه يندمل حتى اصابته فاجعة أخرى ، فقد بعث كتابا إلى امير بصرى[١٧] يدعوه فيه إلى الإسلام ويحذره من الوقوف بينه وبين رعاياه . ولم يكتف هذا الأمير بالرفض والإعراض وحسب وإنما قتل رسول النبى ـ صلوات الله عليه ـ أو سلط عليه من قتله . ولاجدال فيما تركه هذا الحدث وسابقه فى نفس النبى واصحابه من الوقع السيىء والاثر الشديد وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا لم يؤدب هؤلاء الأعداء ويقلم أظفارهم ، فإن هذه الاعتداءات سوف يكون لها ما بعدها من الاجتراء على دولة الإسلام والنيل من رعاياها واعتراض الدعوة الجديدة حتى لا تمضى إلى اهدافها ولا تصل إلى مراميها وأغراضها . ولهذا رأينا رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يحشد ثلاثة الاف[١٨] من خيرة أصحابه ويؤمر عليهم : « زيد بن حارثة » و« جعفر بن أبى طالب » و« عبد الله بن رواحة » ويأمرهم أن ينطلقوا حتى يأتوا أطراف الشام ويغيروا على القبائل المتنصرة ، ومن يقف إلى جانبها ويشد أزرها من جند الروم . ولأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد كان يعرف أن هذه المهمة ليست سهلة ولا هى مما يمكن إنجازها فى يسر وبساطة وأن المسلمين قد يواجهون ما لا قبل لهم به من متنصرة العرب ، وفيالق الروم فإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد قال لأصحابه قبل مغادرتهم ارض المدينة : « إن اميركم « زيد بن حارثة » فإن قتل فالأمير « جعفر بن ابى طالب » فإن قتل « فعبد الله بن رواحة » فإن قتل فليؤمر المسلمون عليهم من يختارون . » .

وفى جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة وفى يوم الجمعة على سبيل التحديد غادرت هذه الغزوة أو هذه السرية الجرف ميممة وجهها شطر الشام ولما بلغت « مُعان » جاءتها الأخبار أن « شرحبيل بن عمرو » قد تهيأ للقائها فى مائة ألف وتهيأ « هرقل » أو أخوه « تيودور » فى جيش مثله ، فاجتمع وجوه المسلمين وتشاوروا : أيمضون حتى يلاقوا عدوهم أم يبعثون إلى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من يتعرف رأيه فينفذونه ؟ ولما طال الحوار قال « عبد الله بن رواحة » ياقوم والله إن التى تكرهون لا التى خرجتم تطلبون الشهادة ، وإنا ما نقاتل الناس بعدد ولا عدة وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذى دخلنا فيه وانقدنا له ، واثرت هذه الكلمات القوية فى أنفس القوم فساروا حتى بلغوا « مؤتة » وهى القرية التى دارت فيها رحى المعركة . وقد أخذ الراية « زيد بن حارثة » وقاتل حتى قُتل ـ ورأى « جعفر » ذلك فنزل عن فرس له شقراء وعرقبها فكانت أول فرس عرقبت فى الإسلام وأخذ اللواء وانغمس فى صفوف الأعداء وهو يقول :[١٩] :

يـا حبـذا الجنـة واقتـرابـهـا
طيبـة وبـاردا شرابـهـا

---

(١٦) « الطبقات الكبرى » ـ لابن سعد جـ ٢ ص ١٢٧ ، ص ١٢٨ .

(١٧) « الطبقات الكبرى » ـ لابن سعد ـ جـ ٢ ص ١٢٨ .

(١٨) « السيرة النبوية » ـ لابن هشام ـ جـ ٤ ص ٧ ، « الطبقات الكبرى » ـ لابن سعد جـ ٢ ص ١٢٨ .

(١٩) « البداية والنهاية » لابن كثير جـ ٤ ص ٢٤٤ .

ذو الجنــاحــين

جـعـفـر بن أبى طـالب

والـروم روم قـد دنـا عـذابـهـا
كـافـرة بـعـيـدة أنـسـابـهـا
علىّ إن لاقيتها ضِرابها

ويقول الرواة : إن جعفرا قد طفق يقاتل حتى قطعت يمينه[٢٠] فتناول الراية بشماله فلما قطعت هى الأخرى تناولها بين عضضيه وراح ينغمس فى صفوف الأعداء حتى انقض عليه أحد الروم فضربه فشطره شطرين ، وقبل أن تصل أنباء المعركة إلى المدينة صعد رسول الله - ﷺ - المنبر[٢١] وحدث أصحابه عن الجيش وأنبأهم أن زيداً قد قتل ، وأن جعفراً قد قتل هو الآخر ولكنه لم يمت حتى بتر الأعداء ذراعيه فأبدله الله منهما جناحين فهو يطير بهما مع الملائكة ، فأطلق عليه من هذه اللحظة ذو الجناحين . وتحدث النبى - ﷺ - مرة أخرى عن أمراء « مؤتة » وذكر استشهاد « زيد » و« جعفر » و« ابن رواحة » ، وأعلن أنه رأى هؤلاء الثلاثة على سرر متقابلين فى الجنة لكنه لمح فى عنق ابن رواحة ازورارا فسئل عنه فقال : إن نفسه قد عافت الموت وحنت إلى الحياة لكنها ما لبثت أن سكنت واتجهت نحو الشهادة[٢٢] .

ومهما يكن من شىء فإن المسلمين لما عرفوا خبر « جعفر » كثر البكاء عليه حتى بعث النبى إلى نسائه من ينهاهن عن ذلك وأعلن - صلوات الله عليه - أن أبناءه فى كفالته . ودعا لامرأته فخلف عليها « أبو بكر » وأنجب منها « محمداً » ولما مات خلف عليها « على » وأنجب منها « عونا » .

وقد كان رسول الله - ﷺ - يطرى « جعفرا » ويسميه أبا المساكين[٢٣] لرعايته للفقراء وعطفه عليهم وتقديمه الطعام لهم ، وكان يقول « لجعفر » : لقد أشبه خَلْقُكَ خَلْقى[٢٤] وأشبه خُلُقُكَ خُلُقِى .

فرحم الله هذا الصحابى الكريم فقد كان من السابقين الأولين وكان من المكافحين والمجاهدين . وكان ممن باعوا أنفسهم لله وأخلصوا قلوبهم له .

وقد أبى الله إلا أن يكرمه فى الدنيا والآخرة . فأعطاه جناحين يطير بهما فى أجواء الجنة كما يشاء .

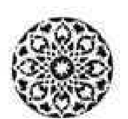

(٢٠) « الاستيعاب » - لابن عبد البر - جـ ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ . « البداية والنهاية » - لابن كثير - جـ ٤ ص ٢٤٤ .
(٢١) « البداية والنهاية » - لابن كثير جـ ٤ ص ٢٥٤ ، ٢٥٩ .
(٢٢) « الطبقات الكبرى » - لابن سعد - جـ ٤ ص ٤٠ ، ٤١ .
(٢٣) « الإصابة فى تميز الصحابة » - لابن حجر - جـ ١ - ص ٢٣٧ - ط دار الفكر « بيروت » .
(٢٤) « الطبقات الكبرى » - لابن سعد - جـ ٤ ص ٣٦ .

مشيخة علماء أسيوط

أو معهد أسيوط العلمي الديني

بصعيد مصر

دراسة وثائقية

بقلم الدكتور
مجاهد توفيق الجندى

اجنُّ إلى ارض الصعيد واهلها
ويزداد شوقى حين تبدو قبابها
وتذكرها فى ظلمة الليل مهجتى
فتجرى دموعى إذ يزيد التهابها
وما صعبت يوما علىَّ مَلَمَّة
وشاهدتها إلَّا وهانت صعابها
بلاد بها كان الشباب مساعدى
على نيل آمال عزيز طِلَابُهَا
وقضيت صفو العيش فى عرصاتها
لـذلك يحلـو للفؤاد رحابهـا
مواطن اهلى ثم صحبى وجيرتى
واوَّل ارض مَسَّ جلدى ترابها

وبهذه الأبيات بدأ الإدفوى كتابه « الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد »[1] والدارس لهذا الكتاب يعجب اشد العجب لهذه النهضة العلمية التى كانت ـ ومازالت ـ فى صعيد مصر متمثلة فى المدرسة الإسلامية فى جرجا واسنا وقوص وادفو وأسوان وغيرها من بلدان هذا الإقليم العظيم وهى نهضة لا تقل بحال عما كان يدور فى مصر أو فى القاهرة فى تلك العصور الزاهية الزاهرة ..

ويتميز أهل صعيد مصر بالحمِّية والنشاط والهمة والعصبية والشهامة ومساعدة الجار وحفظ الذمار .. ويتميزون كذلك بالقوة والفتوة والصبر على العمل ولهم جلد عجيب فى تنفيذ المهام الموكولة إليهم والمشاريع المنوطة بهم .. وهم عدة مصر فى حروبها لما يتميزون به من الشجاعة عند الشدة .. وهم ركاب الأخطار ، لا يهابون الموت أوقع عليهم أم وقعوا عليه .. وقد عشت بينهم سنين عددا وخبرتهم ولستهم عن

(١) للشيخ الإمام أبى الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الإدفوى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ تحقيق سعد محمد حسن مراجعة الدكتور طه الحاجرى ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ بالقاهرة ٨٠٦ صفحات .

مشيخة علماء أسيوط

قرب فهم الرجال الشجعان الأبطال .. ولا نعجب إذن من المثل العربى القائل : « أهل صعيد مصر يمدونها بالرجال وأهل الوجه البحرى يمدونها بالمال » ، ويتميزون كذلك بالكرم الحاتمى فإكرام الضيف وتكريم الغريب سجية وطبيعة فيهم .

وهذا هو العلامة الشيخ خالد الأزهرى الجرجاوى[٢] المتوفى سنة ٩٠٥ هـ والذى كان يعمل وقادا بالجامع الأزهر يشعل القناديل لتضيىء لطلاب العلم وفى مرة سقطت منه فتيلة بزيتها على أحد الطلاب .. فشتمه الطالب وعَيّره بالجهل .. فغضب الشيخ خالد وغلى الدم فى عروقه وأخذته الحمية ، وصار يجلس فى حلقات العلم - مع كبر سنه - حتى أصبح علما من أعلام الأزهر يشار إليه بالبنان حيث أصبح فريد دهره ووحيد عصره .. ولسهولة مؤلفاته حازت شهرة كبيرة وكانت تدرس فى الأزهر إلى وقت قريب فقد بارك الله فيها وطوفت الآفاق .

وبعض الرجال يتنصلون من صعيدهم ويغيّرون جلدهم مع أنهم الأساس فى القاهرة وغيرها وفى كل مدن مصر يعملون بالتجارة الرابحة ويمتلكون المحلات والدكاكين والشركات .. وهم النبراس فهم حملة لواء الإسلام فى كل مكان على كل التراب الإسلامى فى كل الدول الإسلامية .

وعلى سبيل المثال : عرب بنى سليم وبنى هلال الذين رحلوا من صعيد مصر سنة ٤٠٠ هـ تقريباً إلى بلاد المغرب العربى (ليبيا وتونس والجزائر ومراكش)[٣] واستقروا هناك ولم يعودوا إليها إلا لطلب العلم أو مروراً بها لأداء فريضة الحج هؤلاء حافظوا على لغة القرآن وعلومه وتراث الإسلام الخالد وسنة محمد صلى الله عليه وسلم فهم الخطباء البلغاء الذين لا يشق لهم غبار وحملة مشاعل الدعوة والجهاد والمرابطة فى بلاد المغرب العربى .. وآل العدوى فى كراتشى فى الباكستان لهم مطبعة عربية تنشر الثقافة العربية الإسلامية .. فهى منبر إسلامى لشعب يتعطش للعربية وغير هؤلاء وأولئك كثير .. جند مجهولون رزقهم الله عقلا متفتحا وقلبا مخلصا ونية صادقة .

صعيد مصر
وطلب العلم فى العصر الحديث

الصعيد واد مستطيل ، قليل العرض ، وأهله محافظون ، متدينون محبون للعلم الدينى ، وهؤلاء العلماء ، المتفرقون ها هنا ، وها هناك ، فى بلاد الصعيد ، لا يشبعون نهم الناس للعلم ، لقلة عددهم ، وضعف جهدهم ، وهيهات هيهات أن يؤدى هؤلاء ، ما يؤديه الأزهر الشريف .

لقد كان القليلون ، هم الذين يبعثون بأبنائهم إلى الأزهر ، ليغترفوا من بحاره الزاخرة ، ثم ليعودوا بعد سنوات ، علماء يرفعون شأن عائلاتهم وبلادهم . ولاستطالة الصعيد ، وسوء المواصلات فيه ، وبعد الشقة ، كان الناس يجدون المشقات المرهقة ، فى إرسال بنيهم إلى القاهرة ، حيث الأزهر ، والطالب الصعيدى إذا ما هيىء له ، أن يلتحق به ، كان مضطرا أن يهجر بلده ومعشره ، على أن يبقى بعيدا عنهم عشر

---

(٢) ترجمنا له فى رسالتنا للدكتوراه (الحركة العلمية فى مصر فى عهد المماليك البرجية ودور الأزهر فيها) تحت الطبع سنة ١٩٨١ م . جـ ٢ ص ١٢٥٧ وذكرنا مؤلفاته بأرقامها فى مكتبة الأزهر .

(٣) كتبنا بحثا عن العلاقات القديمة بين القاهرة وبلاد المغرب العربى تعرضنا فى مقدمته لعرب بنى هلال وبنى سليم بمجلة الدراسات الإسلامية بإسلام اباد عدد يناير - مارس سنة ١٩٨٦ .

سنوات أو أكثر ، فيتركهم في ميعة الصبا ، ثم يعود إليهم ، وقد اشتعل رأسه شيبا ، ولكنه يعود وقد أصبح عالما ، يجتمع الناس لاستقباله ، وتتوارد الوفود للترحيب به ويتسابق أهل بلده للثم يده .

هذا المصاعب التي تنتظر طالب الصعيد ، وما يتبعها من نفقات وتضحيات ، لا يستطيعها الفقراء من الناس ، وهم الأكثرون . لذا كان علماء الصعيد ، أقلية قليلة ، إذا قيسوا إلى إخوانهم علماء الوجه البحرى .

من أجل ذلك ، كان الناس في صعيد مصر ، يتمنون أن ينشأ لهم معهد قريب ، يجرى في نظامه وتعليمه ، على سنن الأزهر ، حتى يمكن لهم أن يعلموا أبناءهم ، هذا التعليم الديني الذى يحبون .

لم تزل تلك رغبة ، تتلجلج في صدور الناس حتى شاء الله إنفاذها فكانت صفحة ذهبية ناصعة ، من صفحات سلطان مصر المعظم السلطان حسين كامل فهو الذى قلد الصعيد تلك المفخرة . وهو الذى يدين له الصعيد ، بإنشاء معهد أسيوط .

توطئة
مدينة أسيوط*

أسيوط ، بلد عريق في القدم ، متوغل في أحشاء الزمن ، كانت أيام مجد الفراعنة ، مستقرا لطائفة من الأمراء الأقوياء ، وتلك آثارهم قائمة في الجبل الغربي ، تشهد بسطوتهم وقوة جانبهم . ومنها ظهر العلماء النابغون ومن فلاسفتها الفيلسوف « فلوطين » .

كما كانت منذ القدم ، المركز الرئيسى لتجارة السودان والواحات وبلاد المغرب ، إليها تفد القوافل . عن طريق الصحراء والجبل ، موقرة بتجارة تلك الجهات :

ولما أشرقت على الكون أنوار الإسلام . وخفقت في مصر ألوية العروبة ، كان أهل أسيوط أول المستجيبين . فكان عهد إسلامها . مبدأ إسعادها . فقدمت للعلم وللقضاء طائفة كبيرة من العلماء الأجلاء فمن هؤلاء العلماء : الأستاذ جلال الدين السيوطى . ووالده والشيخ الصلاحى الحسنى . والشيخ ابن الصلاحى . والشيخ محمد رضوان .

وقد عرفت بخصب أرضها . وكثرة خيراتها . حتى وصفها أحد العمال للرشيد . بأنها أخصب البقاع في المملكة الإسلامية المترامية الأطراف ، وفي تلك القرون ، وقفها أبو بكر الماردانى ، بأراضيها ومزارعها على الحرمين الشريفين . وفي العصور المتأخرة ، كانت إحدى الرهائن في ديون مصر .

توطنها جماعة من المماليك الأشداء البأس . وابتنوا بها قلاعا وحصونا .. وبها كانت إحدى المواقع الفاصلة في تاريخ المماليك وإنك لترى في أسيوط ارتفاعاً في بعض مناطقها ، وتلك هى بقايا هذه الحصون ، وعلى انقاضها بنى الناس مساكنهم فيما بعد .

وكما عرفت بخصب أرضها ، اشتهرت بالتفنن في التجارة وتنمية الثروة[4] وبحب العلم وكثرة العلماء ، ومن مشاهير علمائها ، في القرن الماضى الشيخ على القوصى . والشيخ على الشطبى[5] والشيخ محمود قراعه[6] والشيخ

● كتبنا شيئا عن مدينة أسيوط في تقديمنا لتصدير السيوطى بمجلة الأزهر سنة ١٩٨٣

(٤) اسم أسيوط في اليونانية : « ليكو بوليس » أى مدينة الذئاب ، لأن أهلها كانوا يحترمون الذئاب ويقدسونها .

(٥) كان الشيخ الشطبى قاضي أسيوط وهو الجد الثالث للشيخ محمد حسين النجار ، ولأسرة خشبة بأسيوط ، ولدولة محمد باشا محمود وأشقائه .

(٦) الشيخ محمود قراعة هو رأس تلك الشجرة المباركة ، التى أنجبت جمهرة كريمة من العلماء الأجلاء .

مشيخة علماء أسيوط

حسن بشنك . عليهم رحمة الله . وقد كانوا يقومون بالتدريس والتعليم فى مسجد سيدى جلال . والشيخ أحمد الزقيم . وكان يقوم بالتدريس فى مسجد القاضى .

وفى أوائل هذا القرن ، نفقت فيها سوق العلم ، وكثرت الدروس العلمية ، وعمرت المساجد بالطلاب الوافدين من شتى الأنحاء ليرتشفوا من معين علومها . وكان أساتذة هذا العهد هم حضرات : الشيخ على الطويجى ، والشيخ طاهر حسن شريت ، والشيخ على الطويل والشيخ عبدالعاطى التليت ، والشيخ عبدالمجيد سليم ، والشيخ حسن الكراك الذى تخصص فى تعليم القراءات[7] .

ولقد أدى هؤلاء العلماء الاجلاء ، واجبهم خير اداء ، فلقوا ربهم مرضيا عنهم ، مذكورين بالخير ، من تلاميذهم الكثيرين .

والشيخ عبدالمجيد سليم ، آتاه الله بسطة فى الرزق ، فلم تشغله شواغل العيش ، وذلك يسر له أن يهب نفسه كلها للعلم ، فكثرت دروسه ، وكثر تلاميذه ، حتى بلغوا المئات ، لم يتقاض من أحد منهم أجرا بل كان يشمل فقراءهم ببره ورعايته . وكان مسجد المجاهدين فى عهده . معهداً علمياً زاخراً بالطلاب .

على هؤلاء الأعلام ، تلقى الناس علوم الفقه والنحو ، والتفسير والحديث ، والنحو والصرف ، والبلاغة والمنطق .

ومن علمائها الذين تولوا مناصب القضاء والإفتاء والتدريس ، الشيخ مصطفى حميده ، والشيخ مليجى على ، والشيخ عبدالـرازق حميده ، والشيخ بيومى أبو النجا ، والشيخ محمد حسنين الغندقلى ، وغيرهم كثيرون .

وعرض الوادى فى مقابلتها يبلغ ١٩٧٨٩ مترا .

وكان مساحة المدينة سنة ١٨٩٧ م ٢٧٠ فدانا ، وسكانها أربعين ألفاً .

وأسيوط : بلد عظيم الشأن . تجثم على الشط الغربى لنهر النيل ويمتد عمرانها منه ـ غربا ـ إلى سفح الجبل .

وهى عاصمة الصعيد وزهرته . ورابعة المدائن فى القطر المصرى . لا يفضلها نظاما . وعمرانا . وسكانا . سـوى القاهـرة المعزيـة . وثغر الأسكندرية وطنطا فمبانيها تقوم على مساحة شاسعة من الأرض تزيد على ١٥٦٠ فدانا . ويقطنها من الساكنين مائة الف[8] . أو يزيدون . اكثريتهم من المسلمين .

وإنك إذا سرت فى جنباتها . راعك ما ترى . مناظر رائعة . وشوارع واسعة . بيوت عامرات . قصور شامخات . تحف بها الحدائق والبساتين . تجارة رائجة ، وصناعات متنوعة ، ونشاط عظيم ، شوارعها ذات عدد . تخترقها من الشرق للغرب ، ومن الشمال للجنوب ، تجمعها ميادين رحبة الأرجاء . ويقوم فى وسطها متنزه رائع بهيج ، واسع الجنبات ، كان منذ سنوات بركة آسنة ثم استحالت إلى جنة ، ذات غصون وأشجار ، وظلال وأزهار ، يفزع الناس إليها إذا جنهم الحر ، ويتفرقون فى جنباتها ، مستمتعين بأريجها وبهائها ، وبهجتها وهوائها .

وفى شمالها ، يقوم على نهر النيل ، سد منيع (خزان) يحتجز من خلفه ماء النهر ، لينفق منه

---

(٧) توفى الشيخ طاهر سنة ١٩١٤ والشيخ عبدالمجيد سنة ١٩١٧ والشيخ الطويل سنة ١٩٢١ والشيخ عبدالعاطى سنة ١٩٢٦ .

(٨) كان ذلك سنة ١٩٣٧ م وقد تغيرت الأحوال بعد ذلك كثيراً .

بحساب إذا جاء موسم الرى . ويبلغ طول هذا الخزان ٨٨٠ مترا وعرضه ٨ أمتار وبه مائة عين وعشر ، وممر كبير للسفن :

أما مساجدها وزواياها فتزيد عن الخمسين عدا ، وهى تزين المدينة بمآذنها الشاهقة . واكبر تلك المساجد ، المسجد الأموى . واكثرها زوارا مسجد جلال الدين السيوطى . وأشهر هذه المساجد ، مسجد اليوسفى . والمجذوب . والقاضى . والمجاهدين . والقرمانى . ومكرم والنميس . والمغربى . أما التعليم فيها فحسبك أن تعلم انها تعج بمدارس البنين والبنات ، أولية ، وابتدائية ، وثانوية ، حكومية وأهلية ، وزينة هؤلاء معهد أسيوط . ثم حسبك أن تعلم ان بها اكثر من عشرة آلاف تلميذ وتلميذة ، يتلقون العلم والثقافة ، ويزينون الطرقات فى تزاحمهم جيئة وذهابا . صباحا ومساء .

وكثير من زعماء مصر ، ورجال الجهاد فيها ، من أسيوط ظهروا وفى أحضانها ربوا ، وبين ربوعها درجوا ، وفيها بيوت عرفت بالعلم الدينى ، حتى صار سمة لها . منها بيت قراعة ، ودرة عقدهم المفتى الأكبر أستاذ الأساتذة الشيخ عبدالرحمن قراعة ـ رحمه الله رحمة واسعة ومنها بيت حميده وعلى رأسهم حضرة الشيخ أحمد محمد حميده شيخ علماء أسيوط .

إنشاء معهد أسيوط الدينى(٩)

أجمعت كلمة الناس على ضرورة وجود معهد دينى فى أسيوط عاصمة الصعيد ، وبدأت الفكرة تتقدم فتصير عملا نافذاً فجمعوا ألفاً وخمسمائة جنيه ، من الأعيان والأهلين وأودعوها خزانة الأوقاف ، ثم كتبوا العرائض ورفعوها إلى أولى الأمر ملتمسين منهم إنشاء معهد فى أسيوط(١٠) جاعلين ما جمعوا من مال ، نواة لتنفيذ تلك الفكرة التى هى أمنية للجميع .

وصل إلى مسامع عظمة السلطان حسين كامل الذى اقتنع بأن الصعيد محتاج حقا إلى معهد دينى تشع منه انوار الهداية على سكان مصر العليا فأصدر امراً سلطانيا فى ٩ ذى القعدة ١٣٣٣ هـ (١٩ سبتمبر ١٩١٥ م) بإنشاء معهد أسيوط .

ذاعت هذه البشرى بين الناس فغمرتهم موجة من السرور ، ولاعجب فالشعب المسلم المتعصب لدينه يفرحه ويشرح صدره أن يجد على مقربة منه ازهراً صغيراً ، يضم شمل أبنائهم ويبث فيهم الخلق والعلم والدين .

وقد عين المرحوم الشيخ محمد شريت شيخا للمعهد الجديد وعين معه خمسة مدرسين هم أصحاب الفضيلة : الشيخ أحمد حميدة والموحوم الشيخ محمود قراعة ، والشيخ محمد عبدالله الجهنى ، والشيخ فراج سيد عبدالرسول والشيخ محمد فاضل بشنك وعين له كاتب واحد هو حسن افندى حلمى وملاحظ هو الشيخ أحمد إبراهيم سرور(١١) .

وبلغ عدد المتقدمين فى بدء افتتاحه نحو المائتين اكثرهم من قرى مديرية أسيوط ،

البقية ص ٦٧٥

(٩) رجعنا فى بحثنا هذا إلى محاضر جلسات مجلس الأزهر الأعلى وقراراته سنة ١٩١٥ م راجع للتوسع ص ٢٦٢ ـ ٢٦٥ طبع مطبعة الصباح ش خيرت بالقاهرة ، سنة ١٩١٦ ص ٤ ـ ٥ طبع مطبعة النهضة بشارع عبدالعزيز بمصر وكذلك اعتمدنا فى مادتنا العلمية فى هذا الموضوع على كتاب تاريخ معهد أسيوط الدينى منذ إنشائه قامت بجمعه وطبعه مطبعة الجهاد الإسلامية بأسيوط تحت إشراف محمد حسين النجار من علماء المعهد سنة ١٣٥٦ هـ ، « نظام الدراسة قديما وحديثا بالجامع الأزهر ، بحث قدم للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر سنة ١٩٨٣ تأليف د . مجاهد توفيق الجندى ص ٧٧٨ ـ ٧٩٤ تحت الطبع .

(١٠) كان ممن لهم الفضل الأكبر فى ايجاد هذا المعهد وإنشائه المرحوم محمود بك خشبة وسيد باشا خشبة والأستاذ محمود بسيونى .

(١١) راجع قرار مجلس الأزهر الأعلى بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٣٣٣ هـ ـ ٩ سبتمبر سنة ١٩١٥ م بإنشاء معهد أسيوط والمدرسون الذين ندبوا للتدريس به نمرته الخصوصية (١١١) .

جمهورية أوزبكستان

للأستاذ الدكتور
محمد عبد العليم العدوى

* موقعها :

تقع جمهورية أوزبكستان فى الجزء الجنوبى الشرقى من الاتحاد السوفيتى .

* مساحتها :

تبلغ مساحتها ٤٤٧,٤٠٠ كم مربع وتتألف من منطقة الشرقى وتميل تدريجيا نحو الشمال الغربى حتى صحراء تزيل قوم .. ونجد سهل طوران على ضفاف بحيرة خوارزم وتضم وحدات سياسية مختلفة منها إمارة بخارى وسمرقند وخوارزم . وقد أصبحت جمهورية اتحادية فى عام ١٣٤١ هـ ٢٧/١٠/١٩٢٤ م[١] .

سكانها :

وعدد سكانها حسب إحصاء سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م هو ٢١ مليون نسمة .

* التخطيط الروسى :

وقد لوحظ أن الروس يحاولون باستمرار تغيير معالم تلك الديار ، ومحو الطابع الإسلامى ، ولا سيما فى المدن ذات المجد الإسلامى العربى كبخارى وسمرقند وطشقند ولكن المسلمين الصابرين يجاهدون بكل ما أوتوا من قوة ..

وكان من أثر ذلك الجهاد أن نقل الروس العاصمة من سمرقند لتغيير الطابع الإسلامى لمدينتهم .. ولأن حوالى نصف مليون روسى قد نزحوا إلى طشقند واستوطنوا بين سكانها عنوة ، ووصلوا فى الآونة الأخيرة إلى أكثر من مليون وستمائة الف نسمة[٢] .

ولجمهورية أوزبكستان حدود مشتركة مع أفغانستان وطاجكستان فى الجنوب ومحاطة بالجمهوريات الإسلامية فى النواحى الأخرى حيث تقع إلى شمالها (قازاكستان) وفى الشرق (فرغيزيا) وفى جنوبها الغربى (تركمانستان) ورغبة فى تفتيت وحدة أراضى المسلمين كان هذا التقسيم الغريب .

---

(١) البلدان الإسلامية ص ٣٢٥ .

(٢) الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا ص ٣٠٠ .

عناصر السكان :

ويتكون السكان من عناصر مختلفة أكبرها (الأوزبك) الذين يمثلون ٦٥,٥ ٪ من مجموع السكان . يليهم (الروس) الذين يمثلون ١٢,٥ ٪ و (التتار) ٤,٩ ٪ و (القازاخ) ٤ ٪ و (الطاجيك) ٣,٨ ٪ و (كاراكلياك) ٢,٥ ٪ . وينتشر الروس في معظم المدن ، ولاسيما العاصمة طشقند ، وأكثر من ٨٨ ٪ من السكان مسلمون من أهل السنة وجميع الأوزبك مسلمون .

* اللغة :

يتكلم (الأوزبك) اللغة التركية ، وهي اللغة الرسمية للجمهورية ، وتنتشر إلى جانبها اللغة الروسية بينما يتكلم باقى الفئات اللغات الخاصة بكل منها[٣] .

* الحالة الاقتصادية :

تعتبر (أوزبكستان) في مقدمة الجمهوريات الإسلامية من حيث تعداد سكانها وتقدمها الاقتصادى ، ففيها ثروة زراعية وحيوانية هائلة إذ انها تقع في منطقة كثيرة الأنهار كثيرة المراعى متصلة الخضرة حتى وصفها ياقوت والمقدسى والاصطخرى بأنها أجمل مناطق الدنيا وأكثرها خضرة .

وتنتج اوزبكستان ثلاثة ملايين طن من (القطن) سنويا أى ٦٨ ٪ من جملة إنتاج الاتحاد السوفيتى بأكمله من القطن . وربع مليون طن من (القمح) ، ومائة وستون الف طن من (الذرة) ومختلف أنواع (الفاكهة) ، وكمية هائلة من البنجر (الشوندر السكرى) وبها تسعة ملايين رأس من الغنم ومليونين ونصف المليون من البقر كما توجد المزارع الشاسعة لشجر التوت الذى تربى عليه دودة القز ، مما يجعلها تنتج ثلث الحرير الذي ينتجه الاتحاد السوفيتى .

كما أن الثروة الحيوانية ساعدت على إنتاج الصوف الذى يمثل ثلث إنتاج الاتحاد ، كما يزرع (القنب) وتنتج ٨٥ ٪ من جملة اليافه التى ينتجها الاتحاد السوفيتى .

وبجانب الثروة الزراعية والحيوانية توجد الثروة المعدنية كالنحاس والذهب والبوكسايت كما أنها غنية بموارد الطاقة من البترول والغاز الطبيعى والفحم والكهرباء .. ويستخرج الفحم الذى يقدر بستة ملايين طن بالقرب من طشقند بينما يستخرج البترول والغاز الطبيعى من الحقول الواقعة في منطقة بخارى . وخيفا وفي صحراء كيزل كوم وتعد الأنهار أهم مصدر طبيعى لتوليد الطاقة الهيدوكهربية .

ولهذا قامت صناعات متعددة في البلاد كصناعة الحديد والصلب وكثير من الصناعات الثقيلة وغيرها كصناعة الأسمنت وتكرير النحاس والأسمدة ومشتقات البترول . والأدوات الدقيقة .

* أهم المدن :

١ ـ طشقند العاصمة وعدد سكانها يزيد على مليون وستمائة الف نسمة ، وتقع على رافد لنهر (سيحون) بالقرب من حدود قازاكستان ،

---

(٣) المسلمون في الاتحاد السوفيتى جـ ١ ص (٣٦٢) . د . محمد البار .

جمهـورية أوزبكستـــان

ولهذه المدينة تاريخ حافل بأمجاد الإسلام وبالثقافة الإسلامية وهي الآن ذات مبان شاهقة ومنتزهات جميلة وتقع وسط إقليم زراعى وتعد مركزا صناعيا هاما .

٢ ـ **سمرقند** على نهر (زراقشان) رافد (جيحون) ، وكانت عاصمة لتيمور لنك ، وبها مبان وآثار تاريخية تعود إلى القرنين الثامن والتاسع للهجرة ، ويتجلى فيها الفن المعمارى الإسلامى ، وكانت سمرقند ايضا منارة من منارات الإسلام في العلم والمعرفة ، وتضم الآن مركزا للبحث العلمي ومعاهد علمية ، وعدد سكانها يزيد على ربع مليون نسمة .

٣ ـ **بخارى** وتقع في واحة جميلة يخترقها (زراقشان) احد روافد نهر (جيحون) وكفى بخارى فخرا أن تنجب الإمام البخارى وأمثاله من علماء المسلمين الأعلام ..

ولا تزال بخارى في قلوب المسلمين ، وقد كانت مساجدها ومدارسها ملء السمع والبصر وظلت لمئات السنين مركزا إسلاميا ممتازاً لا يقل عن القاهرة وبغداد في تزويد الراغبين بعلوم الإسلام وثقافته ، وقد تعرضت هذه المدينة للتخريب في عام ٦١٦ هـ على يد جنكيز خان فلما فتحها الأوزبك في عام ٩٠٥ هـ أبْقَوْا سمرقند عاصمة لهم ..

ومضى على بخارى حين من الدهر ذخرت فيه بنحو (١٩٧) مسجدا و (١٦٧) مدرسة لكن لم يبق فيها الآن سوى مسجد واحد ومدرسة واحدة[٤] . ليراهما من يزور بخارى التى غدت تأخذ طابع غيرها من المدن السوفيتية ..

متى وكيف وصل الإسلام إلى اوزبكستان ؟ وبلاد ما وراء النهر ؟

وصل الإسلام إلى أوزبكستان بعد أن فتح الله على المسلمين خراسان في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقيادة (الأحنف بن قيس) ـ رضى الله عنه ـ الذى وصل إلى مدينة (هراة) ثم (مرو) ، وفي خلافة (عثمان بن عفان) رضى الله عنه عاود الأحنف الفتح في سنة ٣٠ هـ حتى وصل إلى اعلى نهر جيحون واستولى على (طخارستان) ، وفتح (الطالقان) صُلْحاً ، ثم سار إلى بلخ فصالحهم فلما بلغ أمره أهل ما وراء النهر طلبوا إليه ان يصالحهم ففعل .

ولما استقر الأمر ، لـ (معاوية بن أبى سفيان) ـ رضى الله عنه ـ ضم إلى عبدالله بن عامر خراسان مع البصرة .. إلى أن تولى زياد بن أبى سفيان ـ رضى الله عنه البصرة في عام ٤٥ هـ ففرق عماله على أنحاء خراسان وولى عليها (الحَكَم بن عمرو الغفارى) وكان عفيفا وله صحبة رضى الله عنه فمات بها في سنة خمسين ، وكان الحَكَم أول من صلى وراء النهر .. ثم وَلَّى معاويةُ سعيد بن عثمان خراسان فقطع النهر ، وكان أول من قطعه بجنده[٥] .

وثمة روايات لليعقوبى وغيره تجعل أول من عبر نهر جيحون عبدالله بن زياد وذلك سنة ٥٤ هـ ـ ٦٧٤ م أثناء ولايته خراسان في خلافة معاوية ـ رضى الله عنه ـ ويذكر انه حاصر بخارى ثم فتح (بيكند) التى تقع بين بخارى ونهر

(٤) البلدان الإسلامية ص ٣٣٣ .

(٥) فتوح البلدان : ٢٩٧ ـ ٤٠١ .

جيحون ، وقد انتهى حصار بخارى بمصالحة أهلها للمسلمين .

واعقب ذلك عبور سعيد بن عثمان بن عفان عام ٥٥ هـ - ٦٧٥ م وقد أغار على بخارى وسمرقند[٦] ثم تتابعت الغزوات على تلك المنطقة حينما ولى الحجاج بن يوسف خراسان .

وفى عهد الوليد بن عبدالملك تولى قتيبة بن مسلم الباهلى أمر خراسان عام ٨٨ فعبر النهر فى المرحلة الأولى من جهاده ٨٣ - ٨٤ هـ واستعاد منطقة (طخارستان) ثم استعاد بخارى فى سنة ٨٧ - ٩٠ هـ واستطاع فى المرحلة الثالثة ٩٠ - ٩٣ هـ ان يرفع راية الإسلام فى حوض نهر جيحون ، وتوجت فتوحاته فى المرحلة الرابعة من جهاده ٩٤ - ٩٦ هـ . بتوجيه الحملات إلى (ولايات سيحون) ودانت له بلاد (أوزبكستان) ونجح فى نشر الدعوة الإسلامية وثبت دعائم الإسلام بها ، وبنى أول مسجد فى بخارى عام ٩٤ هـ وواصل مسيرته حتى فتح مدينة كاشغر وقارب تخوم الصين[٧] .

ومن روائع عدالة الإسلام الدولية وتجاوز مثالية شريعته فى الحرب كل تصور ما روى من أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز لما استخلف ، وفد عليه قوم من أهل (سمرقند) فرفعوا إليه شكواهم ان قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله ان ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء ، فكره أهل سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم[٨] .

وفى ولاية المعتصم بالله العباسى هدى الله كثيرا من قبائل التركستان إلى الإسلام ، واستخدم الأتراك جندا فى جيشه ، وقام (السامانيون) بنقل الدعوة الإسلامية إلى آفاق جديدة فى بلاد التركستان ، واخذ أحد أمراء السامانيين ، وهو « ساتوف » على عاتقه نشر الدعوة الإسلامية حتى حدود الصين ، ثم جاء دور السلاجقة بعد ذلك فى القرن الرابع الهجرى[٩] .

وكان إسلام خانات المغول دفعة جديدة مدت حدود الإسلام إلى مناطق أبعد فقد أسلم (بركة خان) حفيد جنكيز خان فى سنة ٨٣٠ هـ - ١٤٢٢ م وعرفت دولته باسم امبراطورية « التون أردو الإسلامية » ، وتوالى بعد ذلك خانات المغول .

وانقسمت تلك الامبراطورية - بعد أن أصابها الضعف بسبب التنازع والاختلاف إلى دويلات كان منها الدول الأوزبكية ، ودولة بلاقوندى فى الشمال الغربى من تركبستان وسيبيريا ، وسميت بخانات سيبيريا ، ودولة قازاكستان ، ودولة سلاطين قازانى ودولة بنى جفتاى ودولة بابورشاه فى جنوب التركستان ، وهكذا ضعفت امبراطورية المغول وتفتت أوصالها مما سهل على الروس غزوها واحدة تلو الأخرى[١٠]

(٦) تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٢٨١ وتاريخ دول الإسلام للذهبى جـ ١ ص ٢٢ ومعجم البلدان لياقوت جـ ٢ ص ٨٤ ، فتوح البلدان للبلاذرى ص ٤٠٧ .

(٧) البلدان الإسلامية ص ٣٢٨ .

(٨) المرجع السابق ص ٤١١ والبلدان الإسلامية ص ٣٢٩ .

(٩) انتشار الإسلام حول بحر قزوين ص ٢٤٤/٢٤٥ وانظر الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا ص ٤٠٦ .

(١٠) القصة الحقيقية لحياة المسلمين فى ظل الحكم الروسى الصينى ص ١٧ نقلا عن الأقليات المسلمة فى آسيا ، الإسلام الفاتح .

جمهـــورية أوزبكستـــــــــان

* الاحتلال الروسى :

إن ضعف هذه الدول شىء واستمساك أهلها بالإسلام شىء آخر ؛ فقد ظلوا على إسلامهم لا يتحولون عنه وفى القرن التاسع عشر الميلادى بدأ الاحتلال الروسى لمدن أوزبكستان حيث سقطت طشقند (الشاش سنة ١٢٨٣ هـ ـ ١٨٦٥ م وسمرقند سنة ١٢٨٥ هـ ـ ١٨٦٨ م وفرضت روسيا حمايتها على (خانية بخارى) عام ١٢٩٠ هـ ـ ١٨٧٣ م) .

وفى العام التالى بسطت حمايتها على خانية خيـوه (خـوارزم) واحتلت (خـوقنـد) و (فرغانة) بعد معارك دامت عاما كاملا سنة ١٢٩١ هـ ـ ١٨٧٤م ، مما دفع بالقوات الروسية إلى الانتقام من هذه المدينة الباسلة فأزالوها من الوجود،وأبادوا سكانها عن بكرة أبيهم إلا من استطاع منهم الفرار من هذا المصير البائس ، واستخدموا هذه الأساليب الوحشية فى كل منطقة يستولون عليها ، ويقومون بإحلال الروس محل السكان الأصليين .. ولم يستكن المسلمون بل أخذوا يجاهدون المحتل الغاصب،وقاموا بعشرات الثورات،وأظهر العلماء مقاومة باسلة ومستترة ضد الطغيان الروسى الذى دنس هذه الديار بقوة النار والحديد .

وعندما قامت الثورة الشيوعية فى اكتوبر سنة ١٣٣٦ هـ ـ ١٩١٧ م تحولت حامية طشقند الروسية إلى صف البلاشفة الشيوعيين ، وتبعها المستوطنون الروس برغم انتماءاتهم الطبقية المعادية والمناقضة للشيوعية حيث كانوا من كبار الملاك والضباط وموظفى دولة القياصرة إلا أن الانتماء العرقى كان فوق كل اعتبار فضلا عن الوحدة الاستعمارية ضد المسلمين سواء كانت من الأوروبى الـرأسمـالى ، أم الشيـوعى البلشفى ، أم الروسى القيصرى .

واعلنت بقية المناطق قيام دولة التركستان المستقلة بقيادة علماء الدين والصوفية والمثقفين وكانت قاعدتها مدينة خوقند ، وفى فبراير ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ قام الروس بهدم مدينة خوقند للمرة الثانية .. وأبادوا سكانها،وقاموا بأفظع الجرائم والمنكرات واغتصبوا الفتيات المسلمات العفيفات ، وقاموا بأفظع من منكرات الصين فى التركستان الشرقية (سنكيانج) التى أُجْبِرت المسلماتُ فيها على (الزواج الباطل) بالصينيين ، واندلعت شرارة الثورة لتعم كل مدن التركستان،وعرفت باسم ثورة (البصمة جه) أو (التسمستية) ودامت من سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م،و انضم إليها زكى والدى طوقان رئيس أول دولة فى البشكير . وأذورباشا وزير الحربية التركى فى أثناء الحرب العالمية الأولى .

وفى ٣٠ أبريل ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ تغير اسم كراى تركستان ليصبح جمهورية تركستان .

وسقطت بخارى عام ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢ م أمام جحافل لينين ، كما سقطت خيوة عام ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م .

جمهورية أوزبكستان :

وقد كانت أراضى هذه الجمهورية موزعة قبل ذلك بين خانية بخارى وخانية خيوة وحكومة التركستان العامة (كراى تركستان) التى كانت خاضعة مباشرة للحكم العسكرى الـروسى والقيصرى منذ سنة ١٣٠٤ هـ ـ ١٨٨٦ م وكانت خانية خيوة وبخارى غير داخلتين فى جمهورية أوزبكستان، وفى سنة

ـ ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م أصدر ستالين مرسوما بتكوين جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفيتية الفيدرالية ضاما إليها أراضي خانية خيوة ، وخانية بخارى ، وجمهورية طاجيكستان ذات الحكم الذاتي .

وفى السنة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م قرر ستالين فصل طاجيكستان عن ازبكستان وجعلها جمهورية فيدرالية سوفيتية .

ومرة أخرى قرر ستالين تغيير حدود أوزبكستان فأضاف إليها جمهورية كاركلباك[11] . الذاتية الحكم وذلك عام ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م وذلك لتتغير المعالم الجغرافية والسياسية لمناطق المسلمين حسب أهواء حفنة من الحكام الطغاة الجبابرة الملحدين .

الحالة الدينية فى أوزبكستان :

ذكرنا من قبل أن أوزبكستان تضم معظم المدن الإسلامية ذات التاريخ الحافل بالأمجاد كبخارى وسمرقند وترمذ وطشقند وخوارزم وخوقند ، وصار مجدها الإسلامى أثرا بعد عين ، ولم يبق فى أوزبكستان إلا المدرستان الوحيدتان فى الاتحاد السوفيتى اللتين يسمح فيهما بتدريس المواد الدينية ـ تحت رقابة الشيوعيين وهما مدرسة .. (أمير عرب) فى بخارى، ومدرسة الإمام البخارى فى طشقند، ويتخذ مفتى أوزبكستان طشقند مقرا له، ويعتبر بمثابة المفتى العام لجميع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ..

وقد عمد النظام الشيوعى إلى هدم المساجد التى كانت مقامة فى أنحاء أوزبكستان، والتى كانت منارات يهتدى بها فى مدن الإسلام الزاهرة .. وشن حربا ضروسا ضد الإسلام والمسلمين، وفرض الشيوعيون دراسة الإلحاد والشيوعية فى المدارس ، ومنع الدين منعا باتا .

وتؤدى وسائل الإعلام وصحافته التى لم تكن يوما فى خدمة الإسلام والمسلمين دورا أساسيا فى تشويه حقائق الإسلام ورجالاته، وتقوم بنشر مئات الكتب المناهضة للدين الإسلامى ، واشتد ذلك فى السنوات العشر الأخيرة .

ولا تزال أوزبكستان برغم كل هذه التحديات هى البلد الأكثر محافظة فى الاتحاد السوفيتى على العادات الإسلامية مثل: الختان وطريقة الزواج ودفن الموتى[12] .

ويقوم بعض المسلمين سرا بالدعوة إلى الله وإقامة المساجد وحلقات قراءة القرآن الكريم .. ولكن الشيوعيين الملحدين لا يكفون عن مطاردة المسلمين للقضاء على أى أثر للدين .

وهيهات ..

فإن الله جلت قدرته حافظٌ كتابه ، ناصرٌ دينه وهو سبحانه يحق الحق ويبطل الباطل، وها نحن الآن نرى ونسمع كيف هوت عروش الشيوعية وكيف شيعها أصحابها إلى مثواها الأخير؟ وصدق الله العظيم : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

---

(١١) من كتاب « المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى » وانظر المسلمون فى الاتحاد السوفيتى جـ ١ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٥ .

(١٢) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى جـ ١ ص ٣٥٨ .

كشمير المسلمة

للأستاذ
ماهر زكريا الشيمى

تعتبر مشكلة كشمير المسلمة إحدى النتائج السيئة التى تمخض عنها الاستعمار البريطانى ، الذى تسلط على شبه القارة الهندية واستنزف ثرواتها اكثر من ثلاثة قرون . فقد خلف من ورائه مشكلات جسيمة تعانى منها الشعوب قبل الدول بعد رحيله عنها وحصولها على الاستقلال .

الخلفية التاريخية :

يدعى الهنادكة أن الهند بلادهم وبلاد اجدادهم (كما يدعى اليهود ذلك بالنسبة لفلسطين) ، وقد صرح زعماؤهم بذلك وقالوا « إن الهند بلادنا ، وعلى المسلمين أن يرتدوا عن دينهم ويعودوا إلى دين آبائهم واجدادهم لانهم من أصل هندوكى ، أو ان يرحلوا عن الهند إلى الجزيرة العربية بلاد المسلمين »[١]

والواقع أن التاريخ القديم للهند تحيط به الغيوم الكثيفة . ولكن المؤرخين اعتبروا أن تاريخ هجرة (الآريين) ـ وهم اجداد الهنادكة ـ إلى الهند ، هو بدء تاريخ هذه البلاد . واعتبروا أن (الدراوريين) ـ وهم سكان البلاد قبل مجىء الآريين ـ لايستحقون العناية التاريخية لبدائيتهم .

ولكن المرجح أن سكان الهند الأصليين يرجعون فى أصلهم إلى عناصر وافدة من استراليا وسومطرة وسيلان . وهم قصار القامة ، عريضو الأنوف ، سمر البشرة . ومازال أحفادهم وأحفاد الدراوريين موجودين فى جنوب الهند إلى اليوم . ومازالوا يتكلمون لغاتهم القديمة التى ترجع فى أصولها إلى لغات أهل جزر المحيط الهادى والمحيط الهندى .

والمعتقد أن الدراوريين قد أتوا من الشمال والغرب ، بعد أن نزحوا من شواطىء البحر المتوسط ، ووصلوا إلى شمال الهند ، واستقروا هناك نحو ثلاثة آلاف سنة ، وذلك بعد أن طردوا السكان الأصليين إلى الجنوب . ثم انقرضوا باستيلاء الآريين على الهند ودفعهم إلى الجنوب .

ويرجح أن استيلاء الآريين على الهند كان فى الألف الثانية قبل الميلاد . وأن أصولهم ترجع إلى عناصر من وسط آسيا ومن آسيا الصغرى . ويقول بعض المؤرخين : إنهم من سكان شرق اوروبا والمجر والنمسا وسموهم (الهنود الجرمانيين) . وقد سموا أنفسهم باسم (آرى) اى المختار أو الممتاز . وسموا سكان البلاد

● الكاتب مستشار أول الجغرافيا بالأزهر

(١) « مأساة كشمير » د . إحسان حقى .

الأصليين (ويسو) أى السمر[٢] . وقد احتقروا الدراوريين واستعبدوهم ونبذوهم ، ثم انقلبت هذه « السياسة الاجتماعية » إلى « عقيدة دينية » قامت عليها الديانة الهندوكية .

وقد تعرضت البلاد للغزو التترى الذى جاء من الشرق . ثم جاء الإسلام إلى البلاد فى القرن الرابع عشر الميلادى . ففى عهد معاوية - رضى الله عنه - فتح المسلمون مناطق « بلوجستان » و« السند » ، وتقدموا شمالاً إلى « افغانستان » . وفى عهد العباسيين انسلخت السند عن الخلافة وانقسمت إلى إمارتين مستقلتين . وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت فيها الشعوبية وخصوصاً « القرامطة » الذى أفسدوا إسلامهم بأن خلطوه بالهندوكية ، واستمر حكمهم نحو أربعة قرون . ولكن جاء السلاطين الغوريون واستعادوا السند واستولوا على « البنجاب » وتوغلوا فى الهند حتى « دلهى » وطبعوا البلاد بالطابع الإسلامى[٣] .

ثم تفككت البلاد إلى إمارات . واستقل كل أمير بإمارته إلى أن جاء المغول واستولوا على البلاد كلها ، وأخضعوا الأمراء لسلطانهم ولم تخضع الهند كلها لحاكم واحد إلا زمن المغول وزمن الاستعمار البريطانى . وقد استمر حكم المغول ما يزيد على ثلاثة قرون طبعوا الهند فيها بطابع إسلامى خاص ، وتركوا آثارا خالدة منها مدينة (تاج محل) . وتركوا فيها لغة جديدة هى اللغة (الأوردية) . ثم جاء الاستعمار البريطانى عام ١٦١٢ م الذى بدأ بإنشاء مركز تجارى قرب (بومبى) ثم تشييد قلعة حربية حيث توجد مدينة (مدراس) الآن ، فكانت هذه القلعة أول حجر فى بناء الامبراطورية البريطانية .

الجنس واللغة :

وشبه القارة الهندية يكتظ بالسكان اكتظاظا عظيما بالإضافة إلى اختلاطهم وتنوعهم جنسيا . فهم ينتمون فى الغالب إلى مجموعة السلالات القوقازية ، إلا أنه توجد بينهم عناصر جنسية أخرى كثيرة لدرجة يمكن اعتبار الهند معها متحفا بشريا يصل فيه التنوع السلالى إلى درجة عالية . ويصاحب هذا تنوع آخر فى اللغة إذ يوجد بها أكثر من (٢٢٥) لغة . منها ما يرجع إلى أصول هندية أوروبية ، ومنها ما يرجع إلى أصول محلية قديمة ، ومنها ما يرجع إلى أصول من التبت وبورما . ولذلك فقد اتخذوا اللغة الانجليزية وسيلة للتفاهم عند تعذر استخدام اللغات الهندية . وقد أدى ذلك إلى أن يفقد الكيان البشرى فى الهند وحدة الفكر[٤] .

الدين :

وفى شبه القارة الهندية تتعدد الديانات وتتنوع من ديانات سماوية أهمها (الإسلام) ، إلى ديانات ومعتقدات تنبع من فلسفة أو حكمة قديمة . وتعمق الفروق الدينية الفواصل التى تمزق هذا الكيان البشرى ، وعدا الدين الإسلامى الحنيف تعتبر (الهندوكية) أكثر الأديان انتشارا فى الهند . وقد انبثقت عنها ديانتان هما (البوذية) التى تقوم على المبادىء الأخلاقية وتنكر وجود الله . و (الجينية) أو ديانة (جين) التى هى على نقيض البوذية إذ لم

---

(٢) كما سمى الرومان سكان شمال افريقيا « البربر »
(٣) « مأساة كشمير » د . إحسان حقى .
(٤) « دراسات فى الجغرافيا السياسية » د . صلاح الدين الشامى ص ٣٨٨

كشمــــــــــير المسلمة

تكتف بالإيمان (بالروح الأعظم) وإنما ادعت أن لكل شيء روحا حتى الجماد . وفي مطلع القرن السادس عشر ظهرت ديانة أخرى هي (السيكهية) أو (السيخية) .

ظهور مشكلة كشمير :

في ١٥ اغسطس ١٩٤٧ رحل الاستعمار البريطاني عن الهند بعد أن قسمها إلى دولتين : (باكستان) و (هندوستان) على أساس أن المناطق ذات الأغلبية المسلمة تنضم إلى باكستان ، والمناطق ذات الأغلبية غير المسلمة تنضم إلى هندوستان .

وصاحب هذه الفترة عمليات بطش رهيبة وإبادة للمسلمين[٥] قام بها الهنادكة والسيخ . ففي اليوم الثالث من أغسطس ١٩٤٧ قامت الهيئة الهندوكية الإرهابية (راشتريا سيواك سانج) وزعماؤها بتأييد من حليفهم القوى السردار (باتل) نائب رئيس وزراء الهند وزعيم حزب المؤتمر الهندي بمذبحة للمسلمين في (باتيالا) شرقي البنجاب ، وقد استشهد في هذا اليوم وحدة مالا يقل عن ١٤ الف مسلم . وخلال الأسابيع السبعة من أول اغسطس إلى ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ استشهد من المسلمين ما لا يقل عن مائة الف في ولاية باتيالا وحدها . وامتدت عمليات الإبادة إلى ولايات السيخ المجاورة شرقي البنجاب ، فكانت عصابات السيخ والهندوس المسلحة تصاحبها سيارات النقل المحملة بالبترول تهاجم بيوت وقرى المسلمين وتحرقها حتى أنها أحرقت ١٥ قرية ، كما كانوا يذبحون المئات من المسلمين كل يوم ، كذلك أرغموا الآلاف على الهروب إلى الغرب . وقد كتبت جريدة (التايمز) اللندنية يوم ٢٥ اغسطس ١٩٤٧ يصف مراسلها هذه المذبحة « إن الضباط البريطانيين يصفون هذه المذبحة شرق البنجاب بأنها أفظع ألف مرة من كل ما شاهدوه خلال الحرب العالمية » .

وكان من نتيجة تقسيم الهند أن خرجت باكستان مقطعة الأوصال ، قسم شرقي وهو مقاطعة البنغال مساحته (٥٤٥٠١) ميل مربع به حوالي ٥٠ (خمسين مليون) مسلم . وقسم غربي مساحته (٣١٠٢٣٦) ميلا مربعا به حوالي ٤٥ (خمسة واربعين مليون) مسلم . وبقي في هندوستان أكثر من ٥٠ (خمسين مليونا) من المسلمين .

وقد كان تمزيق أراضي باكستان على هذا النحو ، ووجود أكثر من (٩٠٠) ميل من الأراضي الهندية تفصل بين شطريها سببا أساسياً أدى إلى انفصال القسم الشرقي عام ١٩٧٢ مكونا دولة بنجلاديش مما زاد في إضعاف باكستان . وغني عن القول أن الهند هي التي حبذت وشدت أزر العصيان والتمرد لكي تجني ثمرة الانفصال ضعفا يؤمن أوضاعها على حساب كل من باكستان وبنجلاديش .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأراضي التي قسمت إلى دولتي باكستان وهندوستان لم تكن كل أراضي شبه القارة الهندية ، وإنما كانت المستعمرة الانجليزية فقط . ولم تكن كل الهند مستعمرة انجليزية ، بل كان هناك إلى جانب

(٥) « مأساة كشمير » عبد القادر خان ـ ترجمة إبراهيم نوار مطبعة مصر ١٩٤٨

المستعمرة التى يحكمها الانجليز حكما مباشرا ٥٦٥ إمارة يحكمها امراء مستقلون ، منهم الهنادكة ومنهم المسلمون . وقد ترك الانجليز وضع هذه الإمارات كما هو ، وثبتوا امراءها ، مكافأة لهم على تعاونهم معهم .

ولما حدث التقسيم ترك الانجليز هذه الإمارات على وضعها الذى كانت عليه . وكانت فى جملتها تشغل مساحة (٤٥,٣٪) من مساحة شبه القارة الهندية ، وبها ما يزيد على مائة مليون نسمة . وبمقتضى وثيقة الاستقلال ، كان من حق هذه الإمارات أن تبقى مستقلة عن الدولتين باكستان والهند . او أن تنضم كل إمارة إلى الدولة التى توجد هذه الإمارة داخلها أو بالقرب منها ، وقد حدث هذا وتم فعلا ، لأنه لم يكن فى استطاعة اى إمارة ان تقاوم قوة الدولة التى تحيط بها أو تجاورها . ولم يبق إلا اربع إمارات كان لها وضع خاص وهى : « كپورتهلة » و « جوناكده » و « حيدر اباد » و « كشمير » .

إمارة كپورتهلة : تقع داخل أراضى دولة الهند . وغالبية سكانها مسلمون (٦٣٪) . وقد خشى أميرها الهندوكى أن تطالب رعيته بالاندماج فى باكستان فاستخدم الإبادة والبطش بالمسلمين حتى لا يرتفع فيها صوت معارض إذا ما انضم إلى الهند . وهكذا ادمجت هذه الإمارة فى دولة الهند .

إمارة جوناكده : إمارة صغيرة مساحتها ١٢ الف كيلو متر مربع وتعدادها حوالى ٨٠٠ الف نسمة . معظمهم من الهنادكة واميرها مسلم . وقد اختارت فعلا الانضمام إلى باكستان رغم أن الإمارة لاتتاخم باكستان بل تقع على شاطىء البحر بين بومبى وكراتشى . فلما شعرت الهند بذلك أرسلت قوة عسكرية غزت الإمارة . وفى ظل هذه القوة أجرت استفتاء صوريا أسفر عن ضم الإمارة إلى الهند .

إمارة حيدر اباد : فى شبه القارة الهندية بلدتان بهذا الاسم . الأولى تقع قرب (كراتشى) ، أما الثانية فتوجد، وسط الهند وهى عاصمة مقاطعة (دكن) وهى المقصودة هنا .

ويطلق عليها اسم حيدر أباد دكن او إمارة حيدر أباد . وهى ليست مثل غيرها من الإمارات ، بل هى فى الواقع امبراطورية ، إذ كان لها امراء صغار تابعين لها . ومساحتها تزيد على ٨٣ الف ميل مرّبع ، وسكانها حوالى ٢٠ (عشرين مليون نسمة) . وبالرغم من أن معظم سكان الإمارة كانوا من الهنادكة إلا أن أميرها كان مسلما وكان محبوبا لعدالته . وقد أعلنت الإمارة رغبتها فى البقاء مستقلة عن الدولتين . وكان هذا حقا من حقوقها بموجب وثيقة الاستقلال . ولكن الهند أطلقت جيوشها وغزت الإمارة فى ١٣ سبتمبر ١٩٤٨ مدعية انها تقوم بعمل بوليسى لتأديب العصاة . وهكذا تم القضاء على هذه الإمارة وضمت عنوة إلى الكيان السياسى للهند .

يتبع

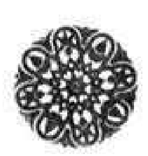

"أشد الناس عداوة للذين آمنوا"

للدولة اليهودية

■ ٢ ■

بقلم لواء . أ . ح . دكتور
فوزى محمد طايل

نشأت « مدينات يسرائيل » (أى دولة إسرائيل) نشأة غريبة ، وتطورت تطوراً سريعاً ، فلقد رسم « تيودور هرتصل » ملامح هذه الدولة فى كتابه « الدولة اليهودية » الذى ظهر عام ١٨٦٦ م ، ثم دعا « للمؤتمر الصهيونى الأول » الذى عقد فى « بازل » بـ « سويسرا » عام ١٨٩٧ م ليخرج من المؤتمر قائلاً : « لقد أنشأت الدولة اليهودية .. ربما بعد خمس سنوات ، وبالتأكيد بعد خمسين سنة سوف يعرف كل الناس » .

ولقد كان هناك تنسيق خفى مريب بين « الصهيونية العالمية » و « الامبريالية » ، فما أن قامت الحرب العالمية الثانية حتى اتفق السير « مارك سايكس » Mark Sykes وزير خارجية « بريطانيا » ، والسيد « شارل چورچ بيكو » « Charles Georges- Picot » وزير خارجية « فرنسا » عام ١٩١٦ على تقسيم « دولة الخلافة الإسلامية » وتقطيع أوصالها ، ووقعا فيما بينهما اتفاقاً سرياً عرف باسميهما وكان أهم ما فيه إنشاء « لبنان » ككيان مستقل عن « سوريا » ، وتقسيم « العراق » إلى « دولة كردية » فى الشمال ، « وسنية » فى الوسط ، « وشيعية » فى الجنوب ، كذا إقامة « شرق الأردن » ، كإمارة مستقلة ، وفصل « فلسطين » لتوضع تحت الانتداب البريطانى .

من ناحية أخرى سعى الدكتور « حاييم ڤايتصمان » « chaim Weizmann » لدى بريطانيا لاستصدار وعد « بوطن قومى لليهود » فى « فلسطين » ، وكان الثمن الذى دفع مقدماً هو قيام القاضى « الأمريكى » « لويس براندیز » « Louis Brandies » ، وكان زعماء من « المنظمة الصهيونية العالمية » ، وأكبر مستشارى الرئيس الأمريكى « وودرو ويلسن » « Woodrow Wilson » ، قام بإقناع الأخير بأن تدخل « الولايات المتحدة الأمريكية » ، الحرب إلى جانب الحلفاء ، فكان هذا فى ابريل ١٩١٧م ، فأصدر اللورد « آرثر چيمس بلفور » « Arthur J.Balfour » وعده المشئوم ووجهه للرأسمالى البريطانى « اللورد روتشيلد » فى

الثانى من نوفمبر ١٩١٧ م ، وكان الأخير ممثلاً للمنظمة الصهيونية العالمية فى تلقيه لهذا الوعد .

وعلى الرغم من أن السكان العرب كانوا يشكلون ٩٢٪ من « شعب فلسطين » ، وكان هؤلاء يمتلكون ٩٨٪ من « أرض فلسطين » ، فقد تقدمت « المنظمة الصهيونية العالمية » لمؤتمر صلح « باريس » عام ١٩١٩ م لتحدد الأرض التى سيقام عليها « الوطن القومى اليهودى » كما يلى :

كل « فلسطين » ، وجنوب لبنان بما فى ذلك مدينتا « صور » و« صيدا » ، و« منابع مياه نهر الأردن » ، و« جبل الهرمون » ، والجزء الجنوبى من « نهر الليطانى » ، ومرتفعات « الجولان » ، بما فى ذلك « مدينة القنيطرة » ، و« نهر اليرموك » ، والعيون الساخنة فى « الحمة » ، وكل « وادى الأردن » ، و« البحر الميت » ، والمرتفعات الشرقية حتى « ضواحى عمان » ، وجنوباً على طول « سكة حديد الحجاز » حتى « خليج العقبة » ، ومن « العريش » حتى « شرم الشيخ » على « خليج العقبة » .. هذا .. لمن ألقى السمع وهو شهيد !!!

ولم توافق (عصبة الأمم) على هذه الحدود ، لكنها أعطت بريطانيا انتداباً على فلسطين .. بل وفى ظل هذا الانتداب تمت الهجرات اليهودية ، وطرد السكان العرب ، وأعلن اليهود دولتهم عام ١٩٤٨ ، كما ذكرنا فى المقال السابق ..

السلطات العامة فى إسرائيل .. من يحكم إسرائيل ؟

وحتى تستكمل « الدولة اليهودية » مقوماتها القانونية بعد أن تم جلب « الشعب » من الشتات ، وتم الحصول على « الأرض » بالشراء تارة ، وبالاغتصاب وطرد السكان تارة أخرى ، ومن خلال الاستيلاء على مزيد من الأرض خلال حرب عام ٤٨/١٩٤٩ م تارة ثالثة ، ذهبوا يقيمون « السلطات العامة » .

وعلى الرغم من قيام السلطات العامة ، فى صورتها النهائية ، فى « إسرائيل » منذ عام ١٩٤٩ م ، فإنها دولة بلا دستور مكتوب ، ويرجع هذا إلى أن (مسودة الدستور) التى تم إعدادها آنذاك لم تستطع التوفيق بين من كانوا ينـادون بتطبيق « الشريعـة اليهـوديـة » (هـا هلخاه) مبـاشرة ، وبين غـيرهم من « العلمانيين » الذين كانوا متأثرين بثقافات البلدان التى جاءوا منها : لذا فقد استمرت المناقشات فى هذا الأمر منذ شهر ديسمبر ١٩٤٨ م حتى ١٣ يونيو ١٩٥٠م ، إذ ذاك صدر قرار سُمّى بقرار « هارارى » « Harari » (نسبة للعضو الذى قدمه) ، ومفاده عدم التعجل فى إصدار دستور مكتوب ، بل السير فى هذا الاتجاه « خطوة خطوة » ، فوضع عوضاً عن ذلك « قانون أساسى » مرن جداً ، ومجموعة من « القوانين الدستورية » .. وكلها يمكن للسلطة التشريعية أن تعدلها بأغلبية معينة .

ويمكن القول بأنه ، بالنظر إلى الشكل العام للسلطات العامة فى إسرائيل وأسلوب وصولها لحكم البلاد ، فإسرائيل جمهورية ديمقراطية نيابية (برلمانية) تتوزع السلطة العامة فيها على ثلاث هيئات :

★ السند القانونى لقيام «دولة إسرائيل» ، كما جاء فى إعلان قيام الدولة ، هو قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ م وهذا يقسم فلسطين ستة أجزاء : ثلاثة منها (يعادل ٥٦٪ من إجمالى فلسطين) يقيم اليهود عليها دولتهم ، وثلاثة أجزاء (تعادل ٤٣٪ من مساحة فلسطين) تقام عليها «الدولة العربية» ، وتبقى «القدس» كيانا خاصا تابعا للأمم المتحدة .

ملامح النظام السياسي للدولة اليهودية

١ ـ السلطة التشريعية :

وهى تتكون من مجلس واحد يطلق عليه بالعبرية « الكنيست » ، وهى كلمة تعنى « الجمعية » ، وقد أنشىء أول « كنيست » فى يناير ١٩٤٩ م، وعقد أول اجتماعاته فى شهر فبراير . ومقر « الكنيست » حالياً مدينة « القدس » ، وهو يتكون من ١٢٠ عضواً ـ على غرار « الجمعية الكبرى » ، التى أنشأها « عزرا » (عزير) عندما أسس « الدولة اليهودية » الثانية عام ٤٥٨ ق . م ـ ومدة « الكنيست » أربعة أعوام ، إذا استكمل مدته ، وينتخب أعضاؤه بالاقتراع السرى المباشر من خلال دوائر حزبية مغلقة (أى لا يجوز تعديل أولويات المرشحين بداخلها) ، باعتبار إسرائيل كلها دائرة انتخابية واحدة ، ويخرج الفائزون فى الانتخابات بحسب حصول كل قائمة على نسبة معينة من الأصوات الصحيحة (أى بنظام التمثيل النسبى) .

ويشترط فى عضو الكنيست الا تقل سنه عن إحدى وعشرين سنة ، والا يكون قد صدرت ضده أحكام قضائية ، والا يكون من المشتغلين بالوظائف العامة الرئيسة (كرئيس الدولة ـ الحاخاميم ـ القضاة ـ كبار الموظفين المدنيين ـ ضباط القوات المسلحة) ، ولئن كان يسمح للمرأة بترشيح نفسها بلا قيود إلا أن الأحزاب الدينية تعارض ذلك ؛ لأنه لا يتفق والشريعة اليهودية .

ويمكن لكل من بلغ سن الثامنة عشرة فأكثر أن يدلى بصوته فى الانتخابات التى تجرى يوم الثلاثاء الثالث من شهر « حشفن » « Chesh-ven » من العام الذى تنتهى فيه مدة « الكنيست » . ويوم الانتخابات يوم عطلة رسمية يتسم بالهدوء ، وتحظر فيه المظاهرات ، أو الدعاية الانتخابية ، أو عقد الاجتماعات ، أو استخدام مكبرات الصوت ، ويمنع فيه بيع الخمور ، ويمنح الموظف المدنى « المرشح » إجازة مائة يوم حتى تاريخ إعلان النتيجة الذى يكون خلال أربعة عشر يوماً تالية ليوم التصويت ، ويعد المواطن الإسرائيلى واحداً من أكثر ناخبى العالم إقبالاً على الانتخابات ، إذ يشعر بعدالتها ، وبأن نتيجتها تعكس الاتجاه الحقيقى للرأى العام ولقوى المجتمع .

وينعقد « الكنيست » مرتين فى العام : الأولى خلال أربعة أسابيع بعد « عيد المظال » جمع « مظلة » ، والثانية خلال أربعة أسابيع بعد « يوم الاستقلال » (أى يوم قيام الدولة) ، بمدة إجمالية قدرها ثمانية شهور ، ويتم الاجتماع ثلاث مرات فى الأسبوع ، وتصدر القرارات بالأغلبية البسيطة للأعضاء الحاضرين مهما كان عددهم صغيراً .

وبرغم أن « الكنيست » هو المختص الأصيل بالتشريع ، فإن له أن يفوض بعض اختصاصاته إلى وزير منفرد (أو إلى الوزارة مجتمعة) كى يصد (تصدر) اللوائح التنفيذية لقوانين بعينها . وتصبح نافذة ولها قوة القانون اعتماداً على الرضاء الضمنى « للكنيست » .

ويعمل « الكنيست » من خلال لجان منتخبة من أعضاء المجلس ، ويحرم العرب (بوصفهم أعضاء غير مأمونين) من عضوية اللجان الحساسة كلجنة الخارجية والأمن ، واللجنة المالية .. ويتم هذا الحرمان من خلال إصدار (قانون العدد) ، وبموجبه لا يحق لحزب معين أن يكون له تمثيل فى لجنة بعينها ما لم يكن له

عدد معين من المقاعد يحدد في القانون المذكور في أول اجتماع « للكنيست » بعد انتخابه ، وتقوم هذه « اللجان الدائمة » بمراجعة سياسة الحكومة ، وإجراء التحقيق والاستقصاء اللازمين وتقديم التوصيات ، كما أنها تظل تعمل في غياب الكنيست مع استمرار اتصالها بالوزارات للحصول على المعلومات ومناقشاتها بعيداً عن الشعب وعن الصحافة .

ومع ذلك فإن الاعتبارات الأمنية تجعل دور اللجان ، خاصة لجنة الخارجية والأمن القومي ، دوراً هامشياً .

٢ ـ السلطة التنفيذية :

(أ) رئيس الدولـة :

وظيفة شرفية ، لكنه رمز الدولة ، ومن هنا يسقط عنه انتماؤه الحزبي بمجرد انتخابه بواسطة « الكنيست » في اقتراع سري ، يصبح بعده رئيساً لمدة خمس سنوات . ويكفي أن يحصل أي من المرشحين لهذا المنصب على (٦١) صوتاً في ذلكم الاقتراع بغض النظر عن أعضاء الكنيست الحاضرين آنذاك . ويجوز إعادة انتخاب رئيس الدولة لمدة ثانية فقط ؛ وهذا ما لم يحدث في تاريخها سوى للرئيس الحالي « حاييم هرتصوج » الذي أعيد انتخابه عام ١٩٨٨ م .

ولا يوجد نص قانوني يحدد صلاحيات رئيس الدولة ، فهو يراس ولا يحكم ، سوى أن له حق منح العفو ، وسلطة تعيين شخص رئيس الوزراء ، وهذه سلطة صورية ؛ لأنه يحدد بموجب نتيجة انتخابات الكنيست ، فهو عادة رئيس الحزب الذي يحصل على أغلبية مقاعد الكنيست .. ويقـوم رئيس الدولـة أيضـاً بالاستقبالات الرسمية وتلقي أوراق اعتماد السفراء .

وليس لرئيس الدولة حق مغادرة البلاد دون إذن من مجلس الوزراء ، وعند استقالته يقدم طلباً لرئيس الكنيست .

ويحل رئيس الكنيست محل رئيس الوزراء في حالة غيابه ، أو خلو منصبه ، وللكنيست حق توجيه الاتهام إلى رئيس الدولة بأغلبية ثلاثة ارباع الحاضرين بالجلسة ، وله حق إقصائه من منصبه بأغلبية ثلاثة ارباع كل المجلس (٩٠ عضواً) ، وللمجلس أن يعفيه من منصبه لأسباب صحية بأغلبية ثلثي الأعضاء (٨٠ عضواً) .

(ب) مجلس الوزراء :

يتكون مجلس الوزراء الإسرائيلي من رئيس (.زعيم الحزب الفائز في الانتخابات ، وزعيم الأغلبية في الكنيست ، أو على الأقل زعيم أكبر حزب حائز على مقاعد فيه) ، ووزراء ، وقد تكون الوزارة مشكلة من حزب واحد أو وزراء من أحزاب مختلفة (وزارة ائتلافية) . وقد يكون أعضاء الوزارة أعضاء في الكنيست في نفس الوقت ، وقد لا يكون البعض أعضاء في الكنيست .

ولا يملك رئيس الوزراء حق إقالة وزير أو أكثر إلا إذا خالف شروط الائتلاف بأن أعطى صوته في الكنيست ضد الوزارة .

وتمارس الوزارة أعمالها اليومية من خلال الوزراء أو من خلال مجلس الوزراء ، بيد أن إعداد القرارات يتم من خلال ما يسمى « بالوزارة المصغرة » ، وهي تتكون من اثني عشر وزيراً تجتمع في هيئة لجنة للتشاور حول القرار الواجب اتخاذه ، وبعد ذلك يعرض القرار على الوزارة مجتمعة للموافقة عليه . ويؤدي مدير مكتب رئيس الوزراء دوراً هاماً في هذه العملية ،

ملامح النظام السياسي للدولة اليهودية

وقد تلجأ الوزارة إلى تشكيل لجان وزارية لبحث الأمور الأكثر تعقيداً ، وأهم هذه اللجان « لجنة الخارجية والأمن » التى تكاد تكون لجنة دائمة تعمل فى غير أوقات انعقاد الوزارة .. وهناك لجنتان هامتان أخريان هما : « اللجنة الوزارية للاستيطان » و« لجنة شئون القدس » .

٣ ـ السلطة القضائية :

تعكس السلطة القضائية ـ بحق ـ التناقض والتفكك داخل المجتمع المدنى الإسرائيلى ، فلدى إسرائيل قضاء مدنى (علمانى) يسمى القاضى فيه « شوفِطْ » ، و(قضاء دينى) يسمى القاضى فيه « دايان » ، وهذا الأخير ينقسم إلى قضاء خاص « بالاشكنازيم » ، وآخر خاص « بالسفارادیم » (*) ، فضلاً عن (قضاء خاص) بالمسلمين ، وآخر (خاص بالنصارى) ، وثالث (خاص « بالدروز ») ، وهناك محاكم عسكرية ومحاكم خاصة ، ومحاكم بلديات ، وأخيراً هناك « محاكم تحكيم » تبنى احكامها على قواعد « العدل » وعلى « العُرْف » والتقاليد السارية .

وهناك ثلاث درجات للتقاضى : قضاء جزئى ، وقضاء إقليمى (استئناف) ، وقضاء عالٍ .. والقضاة بصفة عامة ـ غير قابلين للعزل ، لكنهم يحالون للمعاش فى سن السبعين ، بينما يحال القضاة فى المحاكم الدينية للمعاش فى سن الخامسة والسبعين . ويحصل القضاة على مرتبات عالية ، فمرتب رئيس المحكمة العليا يساوى مرتب رئيس الوزراء . ولا ينقل أى قاض إلا بموافقة رئيس المحكمة العليا ، وليس لأية جهة أن تتدخل فى أعمال القضاء ، بيد أن الاعتبارات الأمنية والسياسية قد توجه الأمور من وراء الستار .

وتقع القوانين المستمدة من الشريعة (ماهلخاه) على قمة تدرج القوانين ، ولايطبق سواها فى (المحاكم الحاخامية) لكن لا تطبق الشريعة الإسلامية فى محاكم المسلمين ، كما لا تطبق أحكام «المذاهب النصرانية» أو «الدرزية» فى محاكمهم إلا فى مجال الأحوال الشخصية ، وتلتزم هذه المحاكم فى خلاف ذلك «بقوانين الدولة» .

و«محكمة العدل العليا» هى أعلى سلطة قضائية فى مجال القضايا المدنية والجنائية (فهى لا تـرأس المحاكم الحاخامية) ، وتتمتع باختصاصات «محكمة النقض» و«مجلس الدولة» و«المحكمة الدستورية العليا» (برغم عدم وجود دستور مكتوب) اعتمادا على قواعد العدالة كما انها قد تمارس العمل كمحكمة أول درجة احياناً .. اى تتعرض للوقائع وللابسات الدعوى .. واحكامها نهائية ويصدرها أحد عشر قاضيا .

★ «الاشكنازيم» جمع «اشكنازى» وهم ينسبون إلى «اشكناز» اى «ألمانيا» ، لكن الاصطلاح ينصرف إلى كل اليهود الذين جاءوا من أصل أوروبى ، وكانت لغتهم هى «اليديش» وهى خليط من الألمانية والعبرية وهم يمثلون ٨٥٪ من يهود العالم ـ ١٢٪ منهم فقط فى إسرائيل وهم يمثلون قرابة ٤٥٪ من سكانها .

أما «السفاراديم» فجمع «سفارادى» نسبة إلى «سفاراد» أى «أسبانيا» ، وهم اليهود الذين عاشوا فى ظل «الدولة الإسلامية» فى «الأندلس» وغيرها ، ولغة بعضهم «اللادينو» وهى خليط بين الأسبانية والعبرية ، وبعضهم يتكلم العربية ، ويعيش ثلثاهم الآن فى إسرائيل (٥٥٪ من سكانها) وهم يمثلون ١٥٪ من يهود العالم .

وتعد أحكام المحكمة العليا ملزمة لكل السلطات ولسائر المحاكم الأخرى ، بيد أن المحكمة ذاتها لا تلتزم بأحكامها السابقة ، ولا بالمبادىء القانونية التى تقرها فى أحكامها .

التوازن السياسى والدستورى بين السلطات :

إن عدم وجود دستور مكتوب ، وقيام حكومات ائتلافية باستمرار يعتبران عاملان من عوامل عدم الاستقرار ، بيد أن السلطات العامة فى إسرائيل قد صممت - ربما منذ قيام الحكومة المؤقتة - على أساس إقامة عدد من التوازنات التى تتغلب على العيبين المذكورين . وربما يساعد على هذا أن إسرائيل لا تزال تعتبر نفسها فى مرحلة التعبئة والصراع التى تعمل فيها على تثبيت دعائم الدولة ككيان غريب فى محيط معادٍ لها ، يختلف معها كل الاختلاف فى القيم والمصالح والأهداف . يضاف إلى ذلك أن الأحزاب والمجتمع الإسرائيلى جميعا يتخذون شكل تدرج هرمى تقف على قمته «صفوة» elite من الشخصيات «الكاريزمية» charismatic (أى البطولية التى تلهب مشاعر الجماهير) ، وإسرائيل مازال لديها رصيد من هؤلاء فعندما قصر «حزب العمل» الذى حكم إسرائيل منذ قيامها حتى عام ١٩٧٧ م - قصر عن أن يخرج مثل هذه الشخصيات فى أعقاب خروج «جولدا مائير» من الحكم ، ظهر ما سمى «بأزمة التعاقب» (الخلافة) crisis of succession فتقدم إلى قمة المجتمع شخصيات من «الحرس القديم» («بيجين» ، ثم «شامير») من حزب «الليكود» فى حركة أطلقوا عليها «الهبوط العبرى» «Hebrew parachuting» .

من ناحية أخرى نجد أن «الكنيست» يتمتع بسلطات واسعة ، ساعد عليها غياب الدستور ، لكنه لا يستخدمها فى مواجهة الوزارة من الناحية العملية ، ومع ذلك فبإمكان الكنيست أن يدير دفة الأمور فى البلاد ، من خلال لجانه ، إذا ما وجد وضع تغييت فيه الوزارة لسبب ما أو آخر .

ويمكن القول بأن حالة التعبئة العامة والاستنفار الدائم التى تعيشها إسرائيل منذ قيامها جعلت السلطات مركزة فى يد مجلس الوزراء حتى يصبح قادرا على سرعة اتخاذ القرارات ومواجهة الأزمات ، وفى المقابل فإنه بينما يملك الكنيست - الذى تسيطر عليه الوزارة عمليا - أن يحاسب الوزارة من خلال طرح الثقة فيها ، فإن هذه الوزارة لا تملك حل «الكنيست» ، الذى فضلاً عن هذا يستطيع أن يمد فترة بقائه ؛ لأن حله لا يكون إلا بموجب قانون يصدره «الكنيست» نفسه ، ويحدد فيه موعد الانتخابات ، وموعد انعقاد المجلس الجديد .. ومع ذلك فمن الناحية العملية يمكن لرئيس الوزراء أن يدعو لانتخابات جديدة - فى أى وقت - ولا يملك المجلس (الكنيست) إلا أن يستجيب ؛ لأن الوزارة تملك تحريك الأغلبية فيه .

وبينما نجد الحكومة لا تستطيع ممارسة عملها رسميا إلا بعد أن تحصل على الثقة فى برنامجها من قبل المجلس ، الذى يملك السؤال والاستجواب والتحقيق والاقتراع بعدم الثقة فى وزير أو فى كل مجلس الوزراء ؛ فإن الحكومة (الوزارة) تتخذ جل القرارات المصيرية ، بل ومعظم القرارات اليومية بعيدا عن المجلس ، بل وإن رقابة «الكنيست» على الأمور المتعلقة بالأمن القومى تكاد تكون منعدمة .

وتتولى الوزارة - من الناحية العملية - قيادة أعمال الكنيست فى معظم الأمور الحيوية ، بما فى ذلك أمور التشريع ، كما أن للوزارة سلطة الدخول فى اتفاقيات دون الرجوع للكنيست إلا للموافقة النهائية بعد إبرام المعاهدة وعادة ما يكون هذا إجراء شكليا .

البقية ص ٧٠١

لواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

● المنشئات الاقتصادية من القواعد الاستراتيجية التى تقوم عليها التنمية وبناء القدرات الدفاعية فى الوقت نفسه ، من أجل ذلك فإن المحافظة عليها وتامين سلامة معداتها والعناية بها وصيانتها ضرورة حيوية وامانة عظمى .

ولقد سبقت حكمة الله أن تكون الأمة الإسلامية أمة قوية عزيزة الجانب فأمرها بإعداد القوة والمرابطة التى توقع الرهبة فى قلوب الأعداء فقال جل شأنه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ . . ﴾[1] ، فلفظ قوة فى هذه الآية الكريمة لفظ شامل ، فقد ورد مطلقاً بغير تحديد بحيث يفهم منه أنه لا يقتصر على القوة العسكرية فحسب ، بل يشتمل أيضا على القوة الاقتصادية والقوة الاجتماعية والقوة السياسية وغيرها من مصادر القوة .

وبذلك تكون المنشئات الاقتصادية من « أدوات القوة الشاملة » التى يريدها الإسلام ، هذا فضلاً عن اهميتها العظمى للدفاع لأن القوات المسلحة تحتاج إلى قاعدة اقتصادية قوية ، تكون قادرة على تلبية احتياجاتها بكفاءة مهما طال أمد الحرب .

● هذا الارتباط الوثيق بين القوة العسكرية والقوة الاقتصادية يوجه إلى أن تكون القوات المسلحة على أعلى درجة من الكفاءة القتالية[2] ، كما يوجه ـ فى الوقت نفسه ـ إلى أن تكون القاعدة الاقتصادية على أعلى درجة من « الكفاية الإنتاجية » .

● وترتيبا على ما تقدم يمكن أن نقول إن الأمر يتطلب أن تكون معدات القوات المسلحة واسلحتها على أعلى درجات الصلاحية والكفاءة والاستعداد القتالى ، كما يتطلب ـ فى الوقت نفسه ـ أن تكون أدوات ومعدات القاعدة

(١) الآية الكريمة : ٦٠ من سورة الأنفال .

(٢) الكفاءة القتالية Combat Efficiency تعبر عن قدرة القوات المسلحة على القتال وعلى تحقيق الأهداف المقررة ، ويعتبر المقياس العلمى للكفاءة القتالية العالية هو « قدرة القوات المسلحة على إحراز النصر فى الحرب بدون أو بأقل خسائر ممكنة فى الأرواح والمعدات وفى أقل وقت » .

الاقتصادية على أعلى درجة من الصلاحية والكفاءة » فى العمل والإنتاج » .

ضرورة المحافظة على المعدات :

● ويتضح مما تقدم أن المحافظة على المعدات « ضرورة استراتيجية حيوية » وخاصة إذا تأملنا العوامل الآتية :

١ ـ بالنظر إلى التقدم المذهل فى العلوم والتقنية فى هذا العصر فقد أصبحت معدات القوات المسلحة ومعدات المنشئات الاقتصادية على درجة من التقدم والتعقيد ضاعفت من أهمية صيانتها والعناية بها والدقة والحرص عند استخدامها .

٢ ـ إن صلاحية المعدات وكفاءتها تسهم ـ مع العوامل الأخرى ـ فى تحقيق أعلى مستويات الإنتاج بطريقة اقتصادية اى « بأقل قدر من التكاليف او الخسائر » ، وذلك هو أمل كل القادة والمديرين .

٣ ـ إن من أهم مقومات الروح المعنوية للعاملين ، ثقتهم فى المعدات التى يعملون عليها من حيث كفاءتها فى العمل وتحقيق الأهداف الإنتاجية المقررة ، وتلك أمور تعتمد إلى حد كبير على مستوى صلاحية هذه المعدات وكفاءتها ، فالعامل ، إذا تأكد من أن الآلة التى فى يده « لن تخذله » ، أثناء العمل ، زادت ثقته فيها ، وقويت ـ بالتالى ـ عزيمته وإرادته فى العمل الإيجابى بإخلاص وحيوية دافقة .

توجيهات الإسلام :

● والحق أن المحافظة على المعدات والعناية بها وصيانتها من التلف لها شأن عظيم فى الإسلام وهو ما نوضحه فيمايلى :

أولاً : ربط المحافظة على المعدات بالعقيدة :

● لقد عنى الإسلام بتنمية أقوى الدوافع فى نفس المسلم نحو المحافظة على المعدات على نحو يختلف تماما عن دوافع الحافز المادى أو اللوائح والقوانين ، « فهو يربط هذه الأعمال بالعقيدة والإيمان » بحيث يقبل المسلم عليها بكل حماسة وإيجابية وإخلاص وإتقان لكى يحظى بمرضاة الله سبحانه .

● فالمعدات فى نظر الإسلام « أمانة » فى عنق المسلم ، حتى يحافظ على « أدوات القوة » التى أمر الله تعالى بإعدادها : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ . . ﴾ .

● ويحذر الإسلام من خيانة هذه الأمانة بإهمال العناية بالمعدات أو إساءة استخدامها ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣] ومن قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الا لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له »[٤] . وقوله : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »[٥] .

ثانيا : المحافظة على قوة الردع الإسلامية :

● ولما كان القصد من إعداد القوة الشاملة هو إيقاع الرهبة فى قلوب الأعداء وردعهم فإن من أهم مقومات النجاح فى تحقيق هذا الهدف هو أن تكون أسلحة القوات المسلحة ومعدات المنشئات الاقتصادية على أعلى درجة من الصلاحية والكفاءة فى كل وقت وتحت كل الظروف ، وهكذا

(٣) الآية الكريمة : ٢٧ من سورة الأنفال .
(٤) الحديث : رواه أحمد .
(٥) الحديث : رواه الشيخان .

المحافظة على المنشآت الاقتصادية

تكون المحافظة على المعدات وصيانتها محافظة على قوة الردع للمسلمين .

ثالثا : رفع كفاءة العاملين :

● عند علماء الإدارة قول مشهور هو : « الإنسان سيد الآلة » ، وعند الخبراء العسكريين - في الوقت نفسه - قول مشهور هو : « إن العبرة ليست بالمدفع بل بالرجال الذين وراء ذلك المدفع » .

من أجل ذلك كان الاهتمام برفع مستوى العاملين بالتدريب المستمر من أهم أسباب تحقيق الكفاية في الإنتاج . وهو في الوقت نفسه من أسباب المحافظة على المعدات وصيانتها والعناية بها ، فالمعدات الجيدة في يد غير الكفء تفقد قيمتها وفاعليتها وتتعرض للتلف مما يشكل « خسارة اقتصادية » وضعفا في الطاقة الإنتاجية .

● والإسلام يحث على إتقان التدريب لبلوغ أعلى مستوى من الكفاءة في الأداء ، وهو بعض ما يفهم من قول الله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[6] ، ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »[7] .

ومن مقتضيات هذا التوجيه الإسلامي ألا يكتفي المسلم بالمستوى الذي بلغه ، بل عليه أن يُجَوِّد فيه ، ويرفع من مستواه بالمزيد من المعرفة والمران واكتساب المهارات ، فقد أمر الله تعالى نبيه - وهو قدوة المسلمين - أن يقول : « ربي زدني علما » ، وهذه المسئولية تقع على عاتق الفرد كما تقع على عاتق رؤسائه ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[8] والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[9] .

● وفي هذا المجال أيضا يحث الإسلام على « استمرار التدريب » لأنه يحقق فائدتين كبيرتين : **الأولى** : هي المحافظة على مستوى كفاءة العامل ليكون قادرا على الأداء الصحيح ، **والثانية** : هي دعم هذه الكفاءة والارتقاء بها إلى مستوى أفضل ، وذلك ما يفهم من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يحذر المسلمين من الانقطاع عن التدريب على الرمي : « من علم الرمي ثم تركه فليس منا ، أو فقد عصى »[10] ، وقوله أيضا : « من ترك الرمي بعد ما علمه فإنما هي نعمة جحدها »[11] .

رابعا : النهي عن إساءة استخدام المعدات :

● وينهى الإسلام عن إساءة استخدام المعدات ومن ذلك استخدامها في غير الغرض الذي صممت من أجله ، أو مخالفة قواعد التشغيل التي وضعها صانعوها ، وذلك ما يستخلص - على سبيل المثال - من نهي الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الإساءة إلى الخيل والبهائم :

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن إخصاء الخيل والبهائم ، ثم قال ابن عمر : فيهما نماء الخلق »[12] .

---

(٦) الآية الكريمة : ١٩٥ من سورة البقرة .
(٧) الحديث : رواه أبو يعلى .
(٨) الآية الكريمة : ٩٣ من سورة النحل .
(٩) الحديث : رواه الخمسة .
(١٠) الحديث : رواه أحمد ومسلم عن عقبة بن عامر .
(١١) الحديث : رواه أبو داود وغيره .
(١٢) الحديث : رواه أحمد .

وعنه أيضاً أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة »[١٣] .. وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل إلا ثلاثة : رمية عن قوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، فإنهن من الحق »[١٤] ، وقال أيضاً : « أفضل دينار ينفقه الرجل : دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله »[١٥] .

خامسا : ضرورة إجراء الصيانة الدورية للمعدات :

● قال ابن إسحاق (في مجال الحديث عن غزوة أحد) : « فلما انتهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أهله (أي بعد المعركة) ، ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دَمَه يابُنَيَّة ، فو الله لقد صَدَقَني اليوم » وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا أيضا ، فاغسلي عنه دمه ، فو الله لقد صدقني اليوم ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لئن كنتَ صدقت القتال ، لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة »[١٦] .. فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلف ابنته فاطمة بأن تغسل الدم عن سيفه « فور عودته » من المعركة مباشرة يوم أحد ، وفضلا عما في ذلك من تنويه بأهمية الصيانة ودورها في المحافظة على صلاحية الأسلحة والمعدات ، فإنه يرشد إلى أن « استعادة كفاءة المعدات بعد استخدامها أمر حيوي لا يحتمل التأجيل » .

● إن الإسلام يطلب أن تكون أسلحة المسلمين ومعداتهم على درجة عالية من الكفاءة والاستعداد للعمل « بصفة مستمرة وفي كل وقت » . ومما يؤكد ذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاد من معركة أحد على موعد مع العدو للقاء بعد عام ، فقد قال أبو سفيان بعد المعركة : « إن موعدكم بدر للعام القابل » فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجل من أصحابه : قل نعم ، هو بيننا وبينكم موعد »[١٧] ... وبذلك يمكن أن يقول قائل : ليس هناك ما يدعو إلى العجلة في أي أمر من أمور الجيش أو استعداده مادام أمام المسلمين وقت طويل (عام كامل) إلى أن يحين موعد المعركة المقبلة وذلك « باتفاق الطرفين » ، لكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر بأن تجرى الصيانة لسيفه فور انتهاء المعركة وقبل أن ينقشع غبارها حرصا منه على « المحافظة على درجة الاستعداد العالية للمسلمين وأسلحتهم ومعداتهم » .

● ثم إن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وقول علي ـ رضي الله عنه ـ بعده) : « والله لقد صدقني اليوم » فيه إشعار بأن كفاءة السلاح والمعدات تعتمد اعتماداً كبيراً على العناية بها وصيانتها ، وبأن هذه الكفاءة تضعف وتقل بتأخير الصيانة أو التهاون فيها ، وبأنه يمكن الإبقاء عليها « بالمبادرة بإجراء عمليات الصيانة » دون إبطاء حتى « تصدق صاحبها » في كل مهمة جديدة « ولاتخذله » ، كما قدمنا .

● وحتى « تصدق » المعدات صاحبها ، فمن الضروري أن تكون صيانتها متقنة إلى أقصى حدود الإتقان ، من أجل ذلك رأينا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يوضح » لابنته فاطمة رضي الله عنها « كيفية » إجراء الصيانة اللازمة ،

(١٣) الحديث : متفق عليه .
(١٤) الحديث : رواه الخمسة .
(١٥) الحديث : رواه مسلم .
(١٦) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الثاني (جـ٣ ، جـ٤) ص ١٠٠ .
(١٧) المرجع السابق ص ٩٤ .

المحافظة على المنشئات الاقتصادية

ثم « يُنمى » فى نفسها أقوى الدوافع إلى إتقان عملها بالإشادة بما أداه السلاح من دور عظيم فى قتال العدو، وهذا المعنى يتضح كذلك من الأحاديث التى وردت بشأن الأسلحة التى كانت مستخدمة فى جيش الإسلام وقتئذ :

— السيف : « ... واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف »(١٨) .

— القوس : « الا إن القوة الرمى وكررها ثلاثاً »(١٩) .

« إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فى عمله الخير، والرامى به، والمُمِدُّ به، فارموا واركبوا وإن ترموا احب إلىَّ من أن تركبوا »(٢٠) .

— الرمح : « جُعل رزقى تحت ظل رمحى »(٢١) .

سادسا : أمن المنشئات والمعدات :

● ويوجه الإسلام إلى تأمين المنشئات والمعدات ضد الأخطار المختلفة وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾(٢٢) .. وقوله : ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾(٢٣) ومن الإجراءات التى تتخذ فى مجال الأمن مايلى :

١ - وضع نظام دقيق لحراسة المنشئات والمعدات مع وجود وسائل اتصال سريعة ومباشرة بين الحراس وإدارتهم مع استخدام أحدث نظم الإنذار والمراقبة مثل العيون التليفزيونية والأشعة غير المرئية والموجات فوق الصوتية .

٢ - وضع نظام دقيق للتحكم والسيطرة على الدخول إلى المنشئات والخروج منها .

٣ - اتخاذ إجراءات الوقاية من الحريق وإطفائها بأحدث الوسائل وأسرعها .

٤ - اتخاذ إجراءات الأمن الصناعى ووضع قواعد الأمان الكافية التى تحقق سلامة الأفراد والمعدات ووقايتهم من الحوادث .

٥ - اتخاذ تدابير « أمن المعلومات » التى تستهدف منع تسرب أية معلومات عن المنشئات والمعدات، لأنه من المسلم به أن أية عمليات تستهدف تخريبها أو إلحاق الضرر بها لا يمكن أن تتم إلا بناء على معلومات دقيقة يتم الحصول عليها مسبقاً .

● ولابد من التنويه بأن مما يساعد على إنجاح إجراءات تأمين المنشئات والمعدات أن تعنى الإدارة « بغرس وعى الأمن » لدى جميع العاملين وحثهم على « التعاون الإيجابى » معها وسرعة الإبلاغ عن أى بادرة خطر يهدد المنشأة .

---

(١٨) الحديث : رواه البخارى .
(١٩) الحديث : رواه مسلم .
(٢٠) الحديث : رواه الخمسة .
(٢١) الحديث : رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما .
(٢٢) الآية الكريمة : ٧١ من سورة النساء .
(٢٣) الآية الكريمة : ١٠٢ من سورة النساء .

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

السماح بالنظر إلى المرأة قبل الخطبة

● س : ماهى الحكمة فى ان ينظر الخاطب إلى من يريد الزواج بها ، وما الذى يباح رؤيته منها ؟ وهل يباح لها ان تنظر إلى من يريد خطبتها ام لا ؟

عبدالرءوف محمد ـ الشرقية

جـ : يباح شرعا للخاطب أن ينظر من مخطوبته أو إلى من يريد الزواج بها إلى الوجه والكفين مع حضور ذى محرم منها ، لأن ذلك مما يجعل الحياة الزوجية محفوفة بالسعادة ، محوطة بالمسرة والهناء ، أما الوجه : فإنه يستدل بالنظر إليه على الجمال أو الدمامة ، وأما الكفان : فلأنه يستدل بهما على خصوبة البدن أو هزاله ، وهذا النظر ندب إليه الشرع ورغب فيه ، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها مايدعوه إلى نكاحها فليفعل ، قال جابر : فخطبت امرأة من بنى سلمة ، فكنت اختبىء لها حتى رأيت منها بعض مادعانى إليها » رواه أبو داود . وعن المغيرة بن شعبة : « انه خطب امرأة فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنظرت إليها ؟ قال : لا ، قال: انظر إليها فإنه احرى أن يؤدم بينكما » ، اى اجدر أن يدوم الوفاق بينكما ، رواه النسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه .

وأما بقية الصفات الخلقية فتعرف بالوصف والاستيصاف والتحرى ، أو بواسطة بعض افراد ممن هم موضع ثقة من الأقرباء كالأم والأخت والعمة والخالة ، وقد بعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم سليم إلى امرأة فقال : « انظرى إلى عرقوبيها وشمى معاطفها » ، اى ناصية العنق ، وفى رواية : « شمى عوارضها » اى الأسنان فى عرض الفم والمراد به اختبار رائحة الفم . رواه أحمد والحاكم والطبرانى والبيهقى .

وللمرأة ايضا أن تنظر إلى خاطبها فإنه يعجبها منه مثل ما يعجبه منها ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لاتزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فإنه يعجبهن منهم مايعجبهم منهن » .

الفتـــــــــــــاوى

الدين وليس المؤهل الجامعى

● س : انا فتاة حاصلة على شهادة الليسانس . تقدم لخطبتى شاب مستقيم ذو خلق ودين وفى نفس مستوانا الاجتماعى فضلا عن ادبه الجم ولكنه لايحمل شهادة عليا وإن كان على جانب لاباس به من الثقافة الإسلامية وقد رفضه والدى بحجة انه لايحمل شهادة جامعية مثلى . فماذا افعل ؟ هل ارفضه لمجرد انه لايحمل شهادة ام اعارض والدى واوافق عليه ؟ وهل الشهادة العليا هى الميزان الذى يوزن به الرجال ؟

ع . ا . م الاسكندرية

جـ : روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لاتنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن : قالوا : يارسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » لقد أعطى الإسلام للمرأة حرية الاختيار فيمن ترغب الزواج منه فلا يجوز أن ترغم على الزواج بغير إذنها ، ولايتم العقد إلا بموافقتها ورضاها مادامت تحسن الاختيار ، روى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن جارية أتت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكرت أن اباها زوجها،وهى كارهة،فخيرها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يجوز للأب أن يجبر ابنته على الزواج عند الكراهة ، بل لابد من أخذ رأيها أو العمل على إقناعها مع مراعاة الكفاءة ، وإذا كان اختيار الزوجة الصالحة مطلوبا بالنسبة لمن يريد الزواج ، فإن اختيار الزوج الصالح لمن يراد الزواج منها أشد طلبا ، روى الترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » وعلى والد هذه الفتاة أن يوافق على خطبة ذلك الشاب المتدين لابنته مادام المستوى الاجتماعى على حد سواء ولا يجعل عدم حصوله على الشهادة العليا حائلا دون تحقيق رغبتها وخاصة أن الشاب على خلق ، ولهذه الفتاة أن تستعين ببعض العقلاء من اقاربها لمحاولة إقناع والدها بالموافقة على ذلك الشاب ليكون زوجا لها .

مواريث

س : ١ ـ توفى رجل عن زوجته وابنتيه وابنه .

٢ ـ ثم توفيت إحدى البنتين عن زوجها وابنتيها وأمها وأخيها الشقيق وأختها من ابيها .

٣ ـ ثم توفيت إحدى البنتين فى المسالة الثانية عن والدها وشقيقتها وجدتها لأمها وخالها الشقيق وخالتها لأبيها .

٤ ـ ثم توفيت البنت الثانية فى المسالة الثانية عن والدها وجدتها لأمها وخالها الشقيق وخالتها لأبيها .

محمد عبد الحميد ـ المنصورة

ج : ١ ـ لزوجة المتوفى الأول من تركته الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى لأولاده تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين .

٢ ـ ولزوج المتوفاة الثانية من تركتها الربع فرضا ولأمها السدس فرضا لوجود الفرع الوارث ولبنتيها الثلثان فرضا بالسوية بينهما وقد دخل فى المسالة العول ، فأصلها من اثنى عشر وتعول

إلى ثلاثة عشر تنقسم إليها تركة هذه المتوفاة ، للزوج منها ثلاثة أسهم ، وللأم سهمان ، وللبنتين ثمانية الأسهم ولا شيء للأخ الشقيق ولا للأخت لأب .

٣ ـ ولجدة المتوفاة الثالثة لأمها من تركتها السدس فرضا والباقي لوالدها تعصيبا ولا شيء لأختها الشقيقة ولا لخالها الشقيق ولا لخالتها لأبيها .

٤ ـ ولجدة المتوفاة الرابعة لأمها من تركتها السدس فرضا والباقي لوالدها تعصيبا ولا شيء لخالها الشقيق ولا لخالتها لأبيها .

وهذا إذا لم يكن لأحد من المتوفين وارث آخر . والله أعلم .

زكاة

س : شخص له رصيد من المال تجب فيه الزكاة ، ويقوم بالمعاونة في الإنفاق على أسرة والده بمبلغ من المال شهرياً نظراً لوفاة والده ، وطلب السائل الإفادة عما إذا كان يمكن إدخال هذا المبلغ تحت بند الزكاة ، فهل يمكن إعطاؤها أيضاً لابنه البالغ وهو فقير ولا يوجد لديه مورد رزق ؟

ج : حددت الآية الكريمة مصارف الزكاة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

كما نص الفقهاء على أن المزكى لا يدفع زكاته إلى أصله وإن علا أو إلى فرعه وإن سفل أو إلى زوجته لأن المنافع بينهم متصلة فلا يحق التمليك على الكمال ويجوز له أن يدفع زكاته إلى من سوى هؤلاء من القرابة كالإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات الفقراء ويستحب ألا يخصهم وحدهم بها وإنما يضم إليهم فقراء آخرين .

وعلى هذا التفصيل فإذا كانت الأسرة التى يعنيها السائل في سؤاله هي أصله وإن علا أو فرعه وإن سفل أو زوجه فلا يجوز أن يحسب ما أعطاهم إياه على سبيل المعاونة من الزكاة كما لايجوز أن يعطيهم من مال الزكاة شيئاً لما سبق بيانه ـ أما إذا كانوا غير هؤلاء من الأقارب وكانوا فقراء فإنه يجوز له أن يعطيهم من زكاة ماله ويستحب أن يضم إليهم فقراء آخرين

من أتى ساحرا فقد كفر

س : ما حكم الإسلام فيمن يلجأ إلى السحر لإيذاء الآخرين ؟

« عبد اللطيف الشفيع ـ سوهاج »

ج : السحر هو تسخير الجان للإضرار بخلق من مخلوقات الله تعالى والسحر محرم ولا يجوز فعله لما فيه من الإضرار بالغير ولما فيه من التلفظ بألفاظ محرمة تخرج الإنسان عن الإيمان ، ولذلك كانت عقوبته القتل .

وكان ابن مسعود يردد ويقول « من أتى ساحرا أو كاهنا أو عرافا فصدقه ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

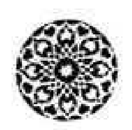

الشعر والشعراء

للشاعرة : جليلة رضا

اجل هو الله اهواه واهواه ... أني اسير فإن القلب ماواه

عانيت فيه رغابا جاوزت املى ... لا المجد يبلغها قدرا ولا الجاه

فاسدل ستارك يادهرى على بصرى ... واهبط بليلك واستجمع خفاياه

وانت ياساعد الإعصار ، ياغضبا ... في هوة اليأس كم القى ضحاياه

صوب سهامك نحو القلب في شطط ... ومزق اليوم في عنف بقاياه

هيهات للقلب أن يخشاك قاتله ... وأن يئن ، وأن يفضى بشكواه

من اين ينفذ سهم في جوانحه ... وهو المليء بنور الله مولاه

الشمس تسطع في جنبيه ضاحكة ... والعطر يقطر مسكا من زواياه

اليوم ياقلب لا انواء ترهبني ... ولا رياح ولا بحر وامواه

إني على شاطئ الإيمان آمنة ... معي المنجى معي الحامي ، معي الله

يانفس خافى الله

للشاعر : أبى نواس

يانفس خافى الله واتئدى واسعى لنفسك سعى مجتهد
من كان جمع المال همته لم يخلُ من غم ومن كمد
ياطالب الدنيا ليجمعها جمحت بك الآمال فاقتصد
لو لم تكن لله متهما لم تمس محتاجا إلى أحد
فاقصد فلست بمدرك املا إلا بعون الواحد الصمد
والقصد احسن ما عملت به فاسلك سبيل الخير واجتهد
والحرص يفقر اهله حسدا والرزق اقصى غاية الحسد

• • •

سبحان علام الغيوب عجبا لتصريف الخطوب
تعدو على قطف النفوس وتجتنى ثمر القلوب
يانفس توبى قبل أن لا تستطيعى أن تتوبى
واستغفرى لذنوبك الرحمن غفار الذنوب
إن الحوادث كالرياح عليك دائمة الهبوب
والموت شرع واحد والخلق مختلفو الضروب

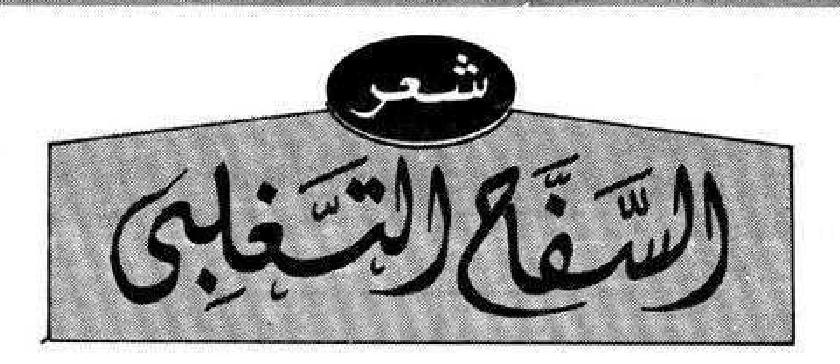

جمع وتحقيق الأستاذ
أيمن محمد ميدان

ترجمته :

هو سَلَمَة بن خالد بن كعب بن زهير بن تَيْم بن اسامة بن مالك بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب[1] ؛ لقب بالسفاح يوم الكلاب الاول لانه ، سفح ماء اصحابه وقال : لاماء لكم دون الكُلاب ،[2] وذكر محمد بن حبيب انه كان مصاباً بالبرص[3] .

والسفاح التغلبى واحد من اقدم شعراء العربية وفرسانها حيث ارتبط ذكره باقدم الاحداث التى شهدتها شبه جزيرة العرب ، وعمّر إلى ان ، عاش إلى عهد امرىء القيس ، ولما ثارت الحرب بين بنى الحارث الكندى اعمام امرىء القيس كان هو من رؤسائها .. وقيل : إن السفاح قتل فى آخر يوم الكلاب نحو سنة ٥٥٥م ،[4] .

وقد كان فارساً ذائع الصيت ، سامق المكانة ، اختاره كليب لقيادة مقدمته يوم خزازى ، وأمره أن يعلو قمة جبل خزازى فيوقد بها النار ليهتدى الجيش بناره . وقال له : إن غشيك العدو فأوقد نارين وعندما علم سلمة استنفر قبائل مذحج ، وقدم بها صوب خزازى مهاجماً إياه ليلاً ، فأوقد السفاح نارين ، فباغتهم كليب بجموع ربيعة وانهزمت جموع اليمن .

وشارك السفاح أيضاً فى وقعات الكلاب والاقطانتين[5] ، وذكر ابن قتيبة : ، إن السفاح كان يخطب فى حرب بكر وتغلب ،[6] .

---

(١) الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، ١/٥٢١ .
(٢) المحبر ص ٣٠٠ وبدائع البداية ص ١٧٥ .
(٣) المحبر ص ٣٠٠ .
(٤) شعراء النصرانية ١/١٨٣ .
(٥) معجم البلدان ١/٣٣٨ .
(٦) شعراء النصرانية ١/١٨٣ .

(١)

قال السفاح التغلبى : - الوافر -

وليلةَ بِتُّ أُوقِدُ فى خَـزازى
هَـدِيتُ كـتـائـبـاً مـتـحـيراتِ(٧)
ضللن من السُّهـادِ وكن لولا
سهاد القوم احسب هاديات(٨)
فكن مع الصباح على جذام
ولخم بـالسيـوف مشهـراتِ(٩)

(٢)

قال السفاح التغلبى :* - المتقارب -

وردنـا الكُـلابَ عـلى قـومنـا
بأحسن وِرْدٍ لِهَيْجا شعارا(١٠)

□□ قالها يوم خزازى ، مظهراً الدور البطولى الذى قام به السفاح التغلبى ، والنهاية الأليمة لجموع مذحج . وكان كليب قد قلده قيادة مقدمته ، وأمره أن يوقد على خزازى ليهتدوا بناره . وقال له : إن غشيك العدو فارفع نارين ، وبلغ مذحج اجتماع ربيعة ومسيرها فاقبلوا بجموعهم .. وهاجمت خزازى ، فأشعل السفاح نارين ، فأقبل كليب واقتتلوا قتالا شديداً ، وانهزمت جموع مذحج .

(٧) خزاز وخزازى : كلاهما جبل كانت العرب توقد عليه غداة الغارة وخزاز ومتالع وكير اجبال ثلاثة بطخفة ما بين البصرة إلى مكة ، فمتالع عن يمين الطريق الذاهب إلى مكة ، وكير عن شماله . وخزاز بنحر الطريق إلا أنها لا يمر الناس عليها . وبخزازى كانت للعرب وقعة شهيرة . وهديت : ارشدت والكتائب : واحدها كتيبة ، والكتيبة : هى الجماعة المستخيرة من الخيل اى فى حيز على حدة ، وقيل الكتيبة : جماعة الخيل إذا اغارت من المائة إلى الألف والكتيبة : الجيش . ومتحيرات : لم تهتد إلى سبيلها .

ورد البيت بروايته السابقة فى : كتاب بكر وتغلب ٢٤ ، ونقائض جرير والفرزدق ص ١٠٩٥ ، والكامل فى التاريخ لابن الاثير ٥٢١/١ .

(٨) ضللن : تهن او اخطأن الطريق . والسهاد : نقيض الرقاد ، قال الجوهرى : السهاد الأرق . والسهد : بضم السين والهاء : القليل من النوم . ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والفرزدق ص ١٠٩٥ ، والكامل فى التاريخ لابن الاثير ٥٢١/١ . وبرواية ثانية فى كتاب بكر وتغلب ص ٢٤ :

ـــــــ وهن لولا ـــــــ امست ـــــــ

وبرواية ثالثة فى : شعراء النصرانية ١٨٢/١

ظللن ـــــــ ـــــــ

(٩) جذام : قبيلة من اليمن تنزل بجبال حِسْمَى وتزعم نساب مُضَر انهم من مَعَدّ : قال الكميت يذكر انتقالهم إلى اليمن :

نـعـاء* جـذامـاً غـيـر مـوت ولا قتـل
ولكـن فـراقـا للـدعـائـم والأصـل

وقال ابن سيده : جذام حى من اليمن ، قيل هم من ولد أسد بن خذيمة ، وكانوا اكثر الناس إبلاً . ولخم : حى من جذام . قال ابن سيده : لخم حى من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب فى الجاهلية ، وهم آل عمرو بن عدى بن نصر اللخمى ، وقال ابو منصور : ملوك لخم كانوا نزلوا الحيرة وهم آل منذر . ومشهرات : مسلولات .

ورد البيت بروايته السابقة فى « شعراء النصرانية » ١٨٢/١ ، وبرواية ثانية فى كتاب بكر وتغلب ص ٢٤ :

فملن ـــــــ ـــــــ

● شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤٣٣

(١٠) وردنا : أشرفنا على ماء الكُلاب ، ورد ماء كذا وبلد كذا إذا أشرف عليه ، دخله أو لم يدخله . والكُلاب : ماء بين الكوفة والبصرة على بضع عشرة ليلة من اليمامة . الهيجاء : بالمد والقصر الحرب لأنها موطن غضب ، فأثر السفاح أن يأتى بها مقصورة : ليستقيم وزن البيت . والشعار : العلامة فى الحرب وغيرها ، وشعار العساكر أن يسموا لها علامة ينصبونها ليعرف بها الرجل رفقته .

ورد البيت بروايته السابقة فى : شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤٣٣ ، ونقائض جرير والفرزدق ، ص ٤٥٧ .

شعر السفاح التغلبى

وقـد جمعـوا جمعَـهم كلَّـه
وجمع الرِّبابِ لنا مُسْتعارا(١١)

(٣)

قال السفاح التغلبى :* ـ الكامل ـ

ابنى ابى سـعـد وأنتم إخـوة
وعتاب بعد اليوم شىء افقمُ(١٢)

هـلا بخـيركـم كففتـم شركـم
عنى ولم يهتك لكم بى محرم(١٣)

هـلا خشيتم أن أصادف مثلها
منكم فتتـركـكم كمن لا يعلـم(١٤)

ملـؤا مــن الاقطـانتـين رَكيّـةً
منـا وابـوا سـالمين وغُنّمُوا(١٥)

قتلـوا تَـعَنّيَـةً بِظَنّـةٍ واحـد
تلك المعطر من أسِرّتها الدم(١٦)

فيـدى لكم رَهْنٌ بيـوم مُفسِـد
وبـوقعـة فيهـا عقـاب صَيْلَم(١٧)

---

(١١) الرباب : قال أبو عبيد سموا ربابا لانهم جاءوا برب فاكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه ، وهم تيم وعدى وعُكْل . وأما أبو عبيدة : فإنه قال:سموا بذلك لترابهم اى تعاهدهم . وقال الأصمعى : سموا بذلك لانهم ادخلوا أيديهم فى رُبٍّ وتعاقدوا وتحالفوا عليه . وقال ثعلب : سموا ربابا بكسر الراء : لانهم تربّبوا اى تجمعوا ربة ربة وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة : ضبة وثور وعكل وتيم وعدى . ويضيف ابن منظور رأيا لا يتفق وما ذهب إليه العلماء فيقول : والرباب أحياء ضبة سموا بذلك لتفرقهم ؛ لأن الربة : الفرقة .

ورد البيت بروايته السابقة فى : شرح المفضليات لابن الأنبارى ٤٣٣ ونقائض جرير والفرزدق ٤٥٧ .

● نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ .

قال السفاح هذه الأبيات بعد أن علم بقذف الزبان لجيف ـ خمسين بيتا من تغلب فى ركية يقال لها الاقطانتين ، ثاراً لابن عمرو وإخوته الذين قتلهم كثيف بن زهير التغلبى بلطمة لطمه إياها عمرو بن الزبان بن مجالد الذهلى .

(١٢) العتاب : اللوم ، وافقم : اى متفاقم ، وأشار أبو تمام إلى رواية ثانية للبيت وهى « وبعد القتل أمر افقم » . وورد البيت برواية ثالثة فى « أمثال العرب » للمفضل الضبى ص ٧٦ .

بنى ـــــــــــ ـــــــــــ

(١٤) ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ . وبرواية ثانية فى : أمثال العرب للضبى ص ٧٦ وشعراء النصرانية ١٨٢/١ :

ـــــ يصادف ـــــ ـــــ فيتركْكم ـــــ

(١٥) الاقطانتين : موضع معروف بناحية الرقة فيه قتل الزبان الذهلى خمسة وأربعين بيتا من بنى تغلب بابنه عمرو بن زبان . وقد أخطأ البكرى فى لفظه إذ كتبه « الاقطانيون » . وكذا ابن الانبارى إذ كتبه « الأقطاعتين » وعلق قائلاً : يوم الاقطاعتين وهو يوم الدهيم يوم قتل بنو الزبان : وهم سبعة ، وجعلت رءوسهم على ناقة يقال لها الدهيم فتشاءموا بها ، فصارت مثلاً .. وكانوا يأتون كل ليلة ببيض فلما قتلهم بنو تغلب حملوا رءوسهم عليها ثم اقبلت مع الليل : فقال أبوهم الزبان بن الحارث بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة : أظن بنى أصابوا بيضا . فقال لغلامه : انظر فإذا الرءوس . فقال : « آخر البَزّ على القلوص » .

ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ ، وأمثال العرب للضبى ٧٦ ، وشعراء النصرانية ١٨٢/١ ـ ١٨٣ .

(١٦) قتلوا تعنية : أى قسراً وقهراً . والظنة : التهمة . والأسرة : واحدها سرير وهو المضجع ، وقيل : مستقر الرأس ، والعنق . ورد البيت بروايته السابقة فى نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ .

(١٧) الرهن : قال ابن سيده : الرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . والجمع رُهون ورِهان ورُهُن . والعقاب الصيلم : الشديد المستأصل . ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ .

تخريج المقطعة :

الأبيات كلها وردت فى « نقائض جرير والأخطل » ص ٤٣ . والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ وردت فى « أمثال العرب » للمفضل الضبى ص ٧٦ ، وشعراء النصرانية ١٨٢/١ ـ ١٨٣ .

(٤)

قال السفاح التغلبي :* ـ البسيط ـ

هلّا سألتَ وريب الدهرِ ذو غِيَرٍ
أنّ كيف صفقتنا ذهل بن شيبانا(١٨)

صدّوا عن الماءِ ما يسقون ذا كَلَمٍ
ونحن نسقي على الأحساءِ كَلْمانا(١٩)

في كل حي من الحيين أبهة
ونحن أكثر مغبوطاً وجذلانا(٢٠)

أما بنو الحِصْنِ إذ شالتْ نعامتُهم
فيخرج المرءُ من ثوبيه عُرْيانا(٢١)

أما الربابُ فولونا ظهورَهم
وأجزرونا أبا سلمى وسفيانا(٢٢)

---

* شرح المفضليات لابن الأنباري ص ٤٣٣ قال هذه الأبيات يوم الكُلاب الأول ، يذكر ما آلت إليه الأمور من هزيمة ساحقة منى بها شرحبيل الملك وأتباعه من بني بكر : ذهل بن شيبان وبني الحصن : ثعلبة بن عكابة والرباب .

(١٨) ريب الدهر : صروفه وحوادثه ، وذو غير : أي صروفه دائمة الذهاب والحلول . والصعقة : الغشية ؛ والصاعقة : الموت ، وقال آخرون : كل عذاب مهلك صاعقة ، وقيل : الصاعقة العذاب . وذهل هو ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة حي من بكر بن وائل .

ورد البيت بروايته السابقة في : «شرح المفضليات» لابن الأنباري ٤٣٣، وبرواية ثانية في «نقائض جرير والفرزدق» ص ٤٥٧ .

ــــــــ ذو غير ــــــــ صعقتنا ــــــــ

(١٩) صدوا : امتنعوا . وذا كلم : الجريح . والكَلْمَى : مفردها كليم وهو الجريح ، فعيل بمعنى مفعول . والأحساء : مفردها الحسي وقال ابن الأعرابي : هو الرمل المتراكم أسفله جبل صلد فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ، فإذا اشتد الحر نُبِث وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع باردا عذبا ؛ وقال الأزهري : وقد رأيت بالبادية أحساء كثيرة على هذه الصفة . ورد البيت بروايته السابقة فقط في شرح المفضليات ص ٤٢٣ .

(٢٠) مغبوط : مسرور ، والغبطة : حسن الحال ، والغبطة : المسرة والجذلان : المنتصب الرأس فرحا . ورد البيت بروايته السابقة فقط في شرح المفضليات ص ٤٣٣ .

(٢١) بنو الحصن : أبناء ثعلبة بن عكابة وهم «شيبان وذهل وقيس والحارث ، ودخل بنوه في بني أنمار بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وأمهم رقاش وهي البرشاء بنت الحارث بن العتيك بن غنم بن تغلب ، وتيم الله بن ثعلبة ، وأمه الجذماء وهي أسماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة بن أدبن طابخة بن إلياس بن مضر ، سميتا بذلك لأنهما كانتا ضرتين ، فقعدتا تصطليان ، فتشاجرتا ، فنفضحت أسماء على وجه رقاش الجمر ، فتبرش وجهها : فسميت البرشاء . فضربتها رقاش فقطعت يدها ، فسميت الجذماء » جمهرة أنساب العرب ص ٣١٤ .

وشالت نعامتهم : خفت منازلهم منهم ويقال للقوم : إذا خفوا ومضوا : شالت نعامتهم . وشالت نعامتهم : إذا تفرقت كلمتهم . وشالت نعامتهم إذا ذهب عزهم . يقال : شالت نعامتهم : إذا ماتوا وتفرقوا ولم يبق منهم إلا بقية . والنعامة : الجماعة .

ورد البيت بروايته السابقة في : شرح المفضليات لابن الأنباري ص ٤٣٣ ، ونقائض جرير والفرزدق ص ٤٥٧ .

(٢٢) الرباب : قال أبو عبيد سموا ربابا لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه وهم تيم وعدي وعكل . وأما أبو عبيدة فإن قال : سموا بذلك لترابهم أي تعاهدهم . قال الأصمعي : سموا بذلك لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا وتحالفوا عليه . وقال ثعلب سموا ربابا بكسر الراء : لأنهم تربوا أي تجمعوا ربة ربة وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة : ضبة وثور وعكل وتيم وعدي . ويضيف ابن منظور تفسيرا لا يتفق وما التقى حوله العلماء فيقول : والرباب : أحياء ضبة سموا بذلك لتفرقهم : لأن الربة : الفرقة .

ولى : أدبر . والظهور : واحدها ظهر ، والظهر من كل شيء خلاف البطن ، والظهر من الإنسان من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره . أجزرونا : وهبونا أبا سلمى وسفيان لنقطعهما قطعا قطعا . أبو سلمى : من بني رياح أحد بني هرمى بن رياح ،وسفيان : هو ابن حارثة بن سليط بن يربوع .

ورد البيت بروايته السابقة في شرح المفضليات لابن الأنباري ص ٤٣٣ ، «ونقائض جرير والفرزدق» ص ٤٥٧ .

□ □ نقائض جرير والأخطل ص ٤٤ .

قال هذه الأبيات في شأن بني الزبان الذين قتلهم كثيف بن زهير التغلبي بلطمة لطمة إياها عمرو بن الزبان .. موجها الحديث لعمرو بن لأي التميمي .

(٥)

قال السفاح التغلبي : ـ الوافر ـ

الا من مبلغ عمروَ بن لأيٍ
بأن بيان غِلْمَتهم لدينا(٢٣)

فلم نقتلهمُ بدمٍ ولكن
للؤمهم وهونهم علينا(٢٤)

فإنى لن يفارقنى نُبالٌ
يرى التَّعداءَ والتقريبَ دينا(٢٥)

جلبنا الخيلَ من حلفاء قَرْنٍ
ونوردها لظاهرة حنينا(٢٦)

فلما أن اتينا على تُمَيْلٍ
تأزَّرْنَ المجاسِدَ وارتدينا(٢٧)

(٦)

قال السفاح التغلبي : ـ السريع ـ

إن الكُلابَ ماؤنا فَخَلُّوه
وساجراً واللهِ لن تحلوه

---

(٢٣) البيان : ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها . وغلمة : واحدها غلام : قال ابن سيده : الغلام الطار الشارب ، وقيل : من حين يولد إلى أن يشيب والجمع : اغلمة وغلمة وغلمان .

ورد البيت بروايته السابقة في : نقائض جرير والأخطل ص ٤٤ وبرواية ثانية في «أمثال العرب» للمفضل الضبي ص ٧٦ .

ـــــــــــــ فإن ـــــــــــــ

وبرواية ثالثة في «شعراء النصرانية» ١٨٣/١ :

ـــــــــــــ فإن ـــــــــــــ فتيتهم ـــــــــــــ

(٢٤) نقتلهم بدم : نقتلهم بثار . واللؤم : ضد العتق والكرم ، واللئيم: الدنيء الأصل الشحيح النفس . والهون : الذل والضعف والاستخفاف من الحضارة . ورد البيت بروايته السابقة في : نقائض جرير والأخطل ٤٤ وامثال العرب» للمفضل الضبي ص ٧٦ ، وشعراء النصرانية ١٨٣/١ .

(٢٥) التعداء : ارتفاع الفرس في عدوه . والتقريب : قال الأصمعي : إذا رفع الفرس يديه معاً ووضعهما معاً فذلك التقريب ، وقال أبو زيد : إذا رجم الأرض رجما فهو التقريب .

ورد البيت بروايته السابقة في : نقائض جرير والأخطل ص٤٤ وعلق أبو تمام بقوله «نبال : فرسه» . وبرواية ثانية في امثال العرب للمفضل الضبي ص ٧٦ ، وشعراء النصرانية ١٨٣/١ :

وإنى ـــــــــــــ نُباك ـــــــــــــ

وكلاهما تصحيف ، والصحيح ما أورده ابن الكلبي في «انساب الخيل» ص ٨٧ ـ ٨٨ حيث يقول عند الحديث عن خيول تغلب: «ومنها النباك فرس خالد بن الشماخ بن خالد التغلبي ، وله يقول :

فإني لن يفارقني نباك
يرى التقريب والتعداء دينا

وفي التاج مادة (ن ب ك) رواية رابعة ، فيقول :

ونباك كغراب فرس السفاح بن خالد وفيه يقول :

فإن لن يفارقني نباك
يخال الشد والتقريب دينا

والشد : الحُضْر والعدو ، والحُضْر : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢٦) جلبنا : سقنا الإبل والخيل ، والجلب : سَوْقُ الشيء من موضع إلى آخر . والحلفاء : نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص ينبت في مغايض الماء والنزوز . وقرن : اسم موضع ....

وأيضاً جبل معروف .. وأنا أرجح أن تكون حلفاء قرن مكانا تجلب منه الخيول الكريمة . ورد البيت بروايته السابقة في : نقائض جرير والأخطل ص ٤٤ .

(٢٧) تميل : قبيلة . تأزرن : تلحفن . والمجاسد : واحدها مِجْسَد ، والمجسد : الثوب الذي يلي جسد المرأة . ورد البيت بروايته السابقة في «نقائض جرير والأخطل» ص ٤٤ .

□□ قال السفاح هذا البيت عندما أشرف على ماء الكُلاب وهو يقود قومه بني تغلب . والكُلاب : ماء بين الكوفة والبصرة على بضعة عشر يوما من اليمامة فيه كان يوم الكُلاب الأول والثاني، وإنما سمى الكُلاب لما لقوا فيه من الشر.وساجر : اسم موضع . ولن تحلوه : لن تقيموا فيه .

ورد البيت السابق في : شرح المفضليات لابن الأنباري ٤٣٠ ، ونقائض جرير والفرزدق ص ٤٥٤ ، والأغاني (التقدم) ٦١/١١ ، وشعراء النصرانية ١٨٢/١ .

مشيخة علماء أسيوط - بقية -

والقليلون من مديرية جرجا ، وقد عقد امتحان القبول بمنزل فضيلة المرحوم الشيخ محمد شريت شيخ المعهد ، فنجح من المتقدمين ١٥٤ طالبا ، ومنهم تكونت النواة التى شيد من فوقها هذا الصرح العتيد .

وفى شهر المحرم ١٣٣٤ هـ - أكتوبر ١٩١٥ م اتخذ المعهد مسجد اليوسفى مستقرا للدراسة ، وقسم الطلاب إلى خمسة فصول بعدد المدرسين ، وكان اكثر الطلاب على المذهب الحنفى ، وأقلهم على مذهب الشافعى ، والباقون على مذهب مالك ، ولم يلتحق أحد بمذهب ابن حنبل .

واقبل الطلاب والأساتذة على دروسهم بشغف ولذة ، وسرور عظيم ، وهم ينتظرون اليوم الذى تقام فيه حفلة افتتاح المعهد ، بصفة رسمية وتطلع الطلاب الصغار إلى هذا اليوم الذى يمتعون فيه أنظارهم برؤية شيخ الإسلام والكبراء والعلماء .

وفى يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٥ كان يوما مشهودا زخرت فيه أسيوط بالقادمين من رجالات مصر وأعيان الصعيد وتجمعت جموع الشعب فى مسجد اليوسفى وفيما حواليه . وخطب الناس يومئذ خطباء كثيرون على راسهم شيخ الإسلام الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر والمرحوم الشيخ محمد شريت والشيخ سليمان العبد والشيخ على قراعة . كما حضر من كبار العلماء العدد الكبير . وسارت الدراسة من بعد سيرا جميلا موفقا .

الأوقاف والتبرعات على معهد اسيوط

والذى لا ريب فيه أن كثيراً من طلاب المعهد من بيئات فقيرة وهؤلاء فى اشد حاجة إلى العون والمساعدة ليستطيعوا الاستمرار فى طلب العلم الدينى .

لهذا فكر القائمون بشئون المعهد فى ضرورة السعى للحصول على وقفيات وتبرعات من ذوى الثروة واليسار . ليكون منها المدد الذى يستعين به الفقراء من الطلاب .

فتألفت لهذا الغرض لجنة على رأسها المرحوم الشيخ شريت . ومن اعضائها المرحوم محمود بك خشبة . وأحمد مختار حجازى بك (وكيل المديرية وقتئذ) وطافت البلاد تحث الأغنياء على التبرع ومساعدة المعهد وقد كتب الله لها التوفيق فى مهمتها . ولم يخلف المحسنون الظن فيهم . وكان الذين وفقهم الله . وكتب لهم الخلود . هم هؤلاء الذين نطالعك بأسمائهم . وبما أوقفوه أو تبرعوا به :

فدان	جنيه فى العام	
١٠		المرحوم محمود بك خشبه
١٠		أحمد باشا جاد الرب
١٠		المرحوم مصطفى بك عمرو
١٠		المرحوم الشيخ أحمد بدير
١٠		حفنى باشا الطرزى
٥		الأستاذ محمود بك بسيونى
٥		المرحوم يونس أفندى سلامة
٢		الشيخ سيد على معوض
	٦٠	همام بك حسين
	٥٠	سيد باشا خشبه
	٥٠	الست نفوسه الطرزى
	٦	المرحوم سعد أفندى محمد
٦٢ فدانا	١٦٦ جنيها	

وهذه حركة مباركة ، لو أنها استمرت لأتت بوقف كبير ، ولكنها وقفت عند هذا الحد ، وجزى الله المحسنين خيراً .

يتبع

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور محمود بن الشريف

بقلم : صفوت جودة أحمد

انتقل إلى جوار ربه راضيا مرضيا صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور / محمود بن الشريف بعد حياة مباركة طيبة حافلة بالعطاء .

مولده : ولد فى ٢٢ مايو ١٩٢٢ م بمحافظة الاسكندرية من أسرة كريمة والده الشيخ محمد الشريف من كبار علماء الأزهر - وصهر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق .

حياته : حفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة من حياته . تخرج فى جامعة الأزهر ونال الشهادة العالية من كلية اللغة العربية عام ١٩٤٥ م ثم نال شهادة تخصص التدريس من كلية اللغة العربية ١٩٤٧ م .

منحته جامعة الأزهر معادلة درجة الماجستير من كلية أصول الدين عام ١٩٦٥ تقديراً لكتبه الإسلامية التى أصدرها .

ثم نال الشهادة العالمية « الدكتوراة » من كلية أصول الدين سنة ١٩٦٩ م فى التفسير وعلوم القرآن عن رسالته « الاديان فى القرآن » وحصل على تقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى .

- تولى التدريس فى جميع مراحل التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى والتعليم . كما تولى تدريس اللغة العربية فى التعليم الأجنبى بمدارس الليسيه فرانسيه بالقاهرة .

- عين عضواً فنياً بإدارة حماية الشباب بوزارة التربية والتعليم .

- ثم عين "سكرتير" تحرير جريدة الطلبة العرب بوزارة التربية المركزية .

- ثم عين مراقبا مساعدا بمراقبة الكتاب بوزارة التعليم العالى .

- ثم عين أستاذاً للغة العربية والأدب العربى بالمعهد العالى للاقتصاد المنزلى .

- عمل أستاذاً فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر - بالقاهرة .

- وبعد سن المعاش عمل أستاذاً متفرغا بقسم الدراسات العليا بنفس الكلية إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى .

- قام بتدريس الثقافة الإسلامية والعربية معاراً من جامعة الأزهر إلى جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية - جامعة أم درمان بالسودان - جامعة قطر - جامعة صنعاء باليمن .

- ألقى العديد من المحاضرات فى رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

- مثل جامعة الأزهر فى مؤتمر المنظمات الإسلامية الذى أقامته رابطة العالم الإسلامى بمكة سنة ١٣٩٤ م .

- رشحته جامعة الأزهر عام ١٩٨٤ م لنيل جائزة الملك فيصل العالمية فى الدراسات الإسلامية .

- قام بزيارة عديد من المراكز الإسلامية فى اسبانيا ، وواشنطن ، ونيويورك ، ونيوجرسى .

- كما أسهم فى الندوات الرمضانية بدعوة من دولة الإمارات العربية المتحدة .

- له إسهاماته فى أحاديث التليفزيون الدينية ، وفى الأحاديث الإذاعية بالكويت وصوت الإسلام بالسعودية ، وأحاديث دينية تذاع حالياً فى برامج : أحاديث الصباح ، ورأى الدين ، ومقدمة التلاوة التى تذاع بالبرنامج العام بالإذاعة المصرية .

أشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراة بجامعة الأزهر .

الأستاذ الدكتور
محمود بن الشريف

- وكان آخر ما كتبه فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود بن الشريف مقالا تحت عنوان « النور المحمدى » نشر فى مجلة التصوف الإسلامى قبل وفاته بيوم واحد .

أهم مؤلفاته : له مؤلفاته العديدة فى المكتبة القرآنية والإسلامية والأدبية .

● **فى تفسير القرآن الكريم :**

١ - إطلالة على سورة يس .
٢ - المؤمنون آيات وأحاديث .
٣ - مع فتوحات سورة الفتح .
٤ - أضواء على سورة الفرقان .
٥ - تفسير القرآن الكريم - لم يطبع بعد .

● **فى الدراسات القرآنية :**

١ - الأمثال فى القرآن .
٢ - الدعاء فى القرآن .

البقية ص ٦٩٢

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« قالوا .... »

● قد أمن الحرمان ؛ من سأل الرحمن .

● اطلب وجه الله فى كل ما أنت صانع وإلا فعملك كله ضائع .

● أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فى مودة من لا ينفعه ، وقبل مدح من لا يعرفه .

● رب صدقة من بين فَكَّيك ؛ خير من صدقة من بين كفيك .

● استهينوا بالموت ؛ فإن مرارته فى خوفه .

● من شكرك فيما لم تفعله . فاحذر أن يذمك فيما تفعله .

● عمل فيه رياء ، ليس عليه ضياء .

« نحن بنو الأرض »

قيل للإمام جعفر الصادق - رضى الله عنه : ما بال الناس ، فى الغلاء يزداد جوعهم بخلاف العادة فى الرخص ... !!

فقال : لأنهم خلقوا من الأرض - وهم بنوها - فإذا اقحطت اقحطوا ، وإذا أخصبت أخصبوا .

« تهديد بالدعاء »

أخذ لرجل من العرب مال ، فكتب إلى آخذه : ياهذا ؛ إن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب ، فإما رددته ، وإما عرضت اسمك على الله - تعالى - كل يوم وليلة خمس مرات .

« تجارة العطر »

قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطر ؛ إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه .

« كناية .. وتعريض »

مرض زياد ، فدخل عليه شُرَيح القاضى يعوده فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع يسأله كيف تركت الأمير ؟ .

قال : تركته يأمر وينهى .

فقال مسروق : إن شريحا صاحب تعريض فاسألوه فسألوه ، قال : تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء .

« حياء المعتذر »

سأل رجل ابن العلاء حاجة فوعده بها ، ثم تعذرت عليه ، فلقيه الرجل ، وقال : وعدتنى وعدا فلم تُنْجِزْه .. !!

فقال ابن العلاء : فمن أولى بالغم ، أنا أو أنت ؟

قال له الرجل : أنا .

فقال ابن العلاء : بل أنا أولى بالغم ؛ لأنى وعدتك ، فَأُبْتَ أنت بفرح الوعد ، وأبتُ أنا بهم الإنجاز ؛ ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة ، فلقيتنى مدلا ؛ ولقيتك محتشما ، فصرتُ أولى منك بالغم .

« همة عظيمة »

عكف أحد أولاد الملوك على الحياة فى المقابر ، فلما سُئِل : ألك همة .. ؟

قال : همتى عظيمة .

قيل : ماهى ... ؟

قال : حياة لا موت معها ، وشباب لا هرم بعده ، وغنى بلا فقر ، وصحة بغير سقم ، وسرور لا يشوبه كدر .

« عجبت »

ولقد عجبت من الزمان وفعله
فى حط ذى شرف ورفعة أرذل
كطبيعة الميزان فى أفعاله
يضع الرواجح والنواقص تعتلى

« ثلاث من كن فيه كن عليه »

● البغى

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ﴾ .

● والمكر

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

● والنكث

قال الله عز وجل : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .

« خير الأمور »

- لا خير فى القول إلا مع العمل .
- ولا خير فى المال إلا مع الجود .
- ولا خير فى الصدق إلا مع الوفاء .
- ولا خير فى الفقه إلا مع الورع .
- ولا خير فى الصدقة إلا مع حسن النية .
- ولا خير فى الحياة إلا مع الصحة .

« دعاء »

اللهم ياهادى المضلين ، وياراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين .

نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

القرآن وقواعد النحو

لفضيلة الشيخ : محمد محمد المدني

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

القرآن رسالة . فمن شاء ان يفهمه على هذا النهج فقد وقف بنفسه على مواطن العظمة ، ومواطن الإعجاز فى كتابنا العزيز . وعلى من شاء ان يعرف اثره فى اللغة العربية فليطالع ذلك الأثر فى حياة المسلمين عقيدة وسلوكاً ، يرى ذلك واضحاً جلياً ، ولكن قد تقصر الأفهام عن المراد من آية . فيظن ظان انها جاءت على غير ما تعارف عليه لغوياً .

وقد يكل البصر ان يمتد إلى إعجاز نحوى جاء فى ثنايا آية فيرى كتابنا الكريم قد تجاوز النحو ، وإنما هذا قصور الإنسان ، وكتاب الله تعالى اعلى واجل .. إنه كتاب الله .. وما كان من عند الله فمحال ان يناله تجاوز او خطأ او مجافاة للذوق النحوى ، قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ :

قرأت فى جريدة البلاغ كلمة فى مقال للدكتور زكى مبارك ، يذكر فيها ان القرآن الكريم ربما تخطى قواعد النحو لغرض موسيقي ، ومثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [1] ، والشاهد فى قوله : « وأكن » بالجزم مع أنه معطوف على منصوب هو قوله : « فأصدق » ، كما مثل بقوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [2] حيث كان

(١) المنافقون الآية ١٠ .

(٢) الفجر الآيات من ١ ـ ٤ .

القياس أن تكون « والليل إذا يسرى » بإثبات الياء .

وهذا الموضوع : موضوع الزعم بأن القرآن قد يتخطى القواعد النحوية ليس بالجديد ، فكثيراً ما نجد بعض المفسرين يخوض فيه مقرراً ما يراه إثباتاً أو نفياً ، وقد مر بى قريباً الاشتغال بذلك حينما كنت مكلفاً بالنظر فى كتاب « الفرقان » الذى صودر ، وقد جاء صاحبه بكثير من الآيات التى زعم أن فيها مخالفة للقواعد فى معرض الإزراء بالقراءات ، أو التهجين لما فعله الأصحاب فى رسم المصحف ، والحمد لله الذى وفق لإظهار شأن هذا الكتاب ، وضعف ما جاء به ، حتى حكم مجلس الدولة برفض طلب التعويض ، وإلغاء المصادرة ، بعد دفاع طويل ومذكرات مختلفة . وقد تحدثت عن هذا الموضوع من قبل فلا أعود إليه . وإنما أريد أن أقول : إن مثل من يقرر أن القرآن قد تخطى قواعد النحو كمثل من يقرر أنه تخطى قواعد الأصول ، وكلاهما مخطىء ، لأن الأصولى حين يقرر قاعدة ، فإنما يقررها بعد تتبع ما يدل عليها من كتاب الله وسنة رسوله ، وما يقضى به الفهم فيها ، فإما أن يكون تتبعه صحيحاً كاملاً فلا نجد خلافاً بين القاعدة التى قررها ، وآية ما من الكتاب الكريم ، وإما أن يكون تتبعه ناقصاً فنجد خلافاً بين القاعدة وبعض ما جاء فى القرآن ، وحينئذ لا يقال إن القرآن خرج على قواعد الأصول ، ولكن يقال إن هذه القواعد قصرت فى التتبع أو قصر أصحابها ، وكان عليهم أن يكونوا أدق فى وضع القاعدة .

وربما كان الأمر بالنسبة للقواعد النحوية أوضح ، فإن النحو هو القواعد المستنبطة من كلام العرب للأحوال الإعرابية والبنائية التى يكون عليها الكلام ، ولا شك أن القرآن الكريم هو أول حجة فى جواز شىء أو عدم جوازه ، وإذا كان بعض القواعد النحوية ليس له شاهد إلا كلمة أو بيت من الشعر نطق به أعرابى ، فما بالك بشىء يجيء به القرآن الكريم .

وأذكر على سبيل الاستطراف ما قرأته قديماً فى بعض كتب الأدب من أن الفرزدق كان يمزح مع عبد الله بن اسحق النحوى - فيما أظن - فقال له :

ولو كان عبد الله مولى هجوته
ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له عبد الله : لقد أخطأت فأصلح خطأك . إنما هى « مولى موالٍ » لا « مولى مواليا » فأجابه الفرزدق على الفور : إن علىَّ أن أقول ، وإن عليك أن تضع القاعدة .

يشير بذلك إلى أن الشاعر المحتج بقوله يقول ما شاء على فطرته وسجيته ، ولا يعد قوله خطأ ولا لحنا ، ولو خالف قاعدة مشهورة عند النحاة .

ولذلك يقتصد بعد المتحدثين فى هذا فيقولون : جاء كذا على الكثير ، وخالف كذا القاعدة المشهورة ، إلى غير ذلك من العبارات التى لا يفهم منها التخطئة من قريب أو من بعيد .

بعد هذا ننظر فى الآيتين اللتين استشهد بهما الدكتور زكى مبارك لنعلم هل خالفتنا القواعد حقاً ؟

قال الطبرسى فى تفسير مجمع البيان ، وهو بصدد الكلام عن قوله تعالى : ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ قرأ أبو عمرو : وأكونَ ، بالنصب ، والباقون : وأكن ، بالجزم .. والحجة - أى حجة القراءتين - أن من قرأ وأكنْ عطفه على موضع قوله (فأصدق)، لأنه فى موضع فعل مجزوم ، ألا ترى أنك إذا قلت : أخّرنى أصَّدَّقْ ، كان جزما بأنه جواب الجزاء ، وقد أغنى السؤال عن ذكر الشرط ، والتقدير : أخرنى فإنك أن تؤخرنى أصدق ، فلما كان الفعل

من روائع الماضى

﴿ القرآن وقواعد النحو

المنتصب بعد الفاء فى موضع فعل مجزوم بأنه جواب الشرط ، حُمِل قوله « واكن » عليه ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ ﴾ لما كان فلا هادى له فى موضع فعل مجزوم ، حمل « ويذرهم » عليه ... ومثل ذلك قول الشاعر :

أيـاً سلكت فإننى لـك كـاشـح
وعلى انتقاصـك فى الحياة وأزدد

حُمل « وأزدد » على موضع الفاء وما بعدها ، وأما قول أبى عمرو « وأكون » فإنما حمله على اللفظ دون الموضع ، وكان الحمل على اللفظ أولى لظهوره فى اللفظ وقربه .

فمن هذا الذى ذكره الطبرسى فى توجيه قراءة الجزم يتبين أن لا خطأ ولا تخطى وأزيد ما ذكره إيضاحا فى ناحية ما يشير إليه بقوله إن « اكن » فى موضع الجزم فأقول : إن إيراد ما قبل هذه الجملة يعين على فهم المراد ، فالله تعالى يقول فى سورة المنافقين :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٣) .

فهذه الآيات تتحدث عن شأن الإنفاق والتصدق وما يجب على المؤمنين فيه ، مقابلة بذلك ما جاء قبلها فى قوله تعالى عن المنافقين : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ فهى تبنى الصلاح وعدمه فى هذا المقام على التصدق والبذل ، والضن والبخل ، فمن تصدق وبذل فهو الصالح ، ومن بخل وأبى فهو المنافق الخادع ، فإذا قال امرؤ حين يأتيه الموت « رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » كان المعنى الذى يوحى به السياق ، والذى يأتى فى ذهن قائل هذا الكلام : وإن أصدق أكن من الصالحين ، وتقدير الكلام بحسب ترتيب المعنى المفهوم من جو الآيات : أخرنى فإنك إن أخرتنى سأتصدق ، وإن أتصدق أكن من الصالحين ، فالمراد الربط بين الصدقة والكون من الصالحين ، وليس المراد حصول الصدقة والكون من الصالحين بعد التأخير وإنما يقال ذلك فى قراءة « وأكون » .

أما قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ فيقول فيه الطبرسى أيضا :

« قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائى « والليل إذا يسرى » بإثبات الياء فى الوصل وحذفها فى الوقف ، وقرأ ابن كثير ويعقوب بإثبات الياء فى الوصل والوقف ، والباقون بالحذف فيهما .

ثم وجَّه هذه القراءات ، فذكر أن قراءة حذف الياء ترجع إلى قاعدة ذكرها سيبويه من أن ما لايحذف فى الكلام وما يختار فيه الا بحذف نحو القاضى بالألف واللام ؛ يحذف إذا كان فى قافية او فاصلة ، قال سيبويه : والفاصلة نحو « الليل إذا يسر » و « يوم التناد » و « الكبير المتعال » فإذا كان شىء من ذلك فى كلام تام شبه بالفاصلة ، فحسن حذفها ، نحو قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ .

بهذا يتبين أن القاعدة لا تضيق عن حذف الياء كما زعم من زعم ، والله المستعان .

(٣) المنافقون الآيات من ٩ - ١١ .

العلوم الكونية

التوجيه الإسلامي

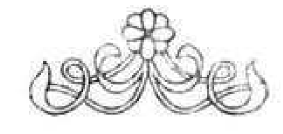

الجديد في العلم

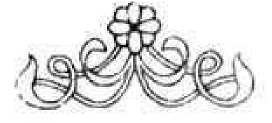

تأخير الجسم

التوجيه الإسلامي للعلوم

ضـــرورة حضـــاريـــة

أ. د. أحمد فؤاد باشا

تحدثنا في المقال السابق عن أهمية التوجيه الإسلامي للعلوم بعامة، والعلوم الكونية بخاصة، من أجل أن يستعيد العلم طبيعته الحقة بوصفه بحثا موضوعيا عن الحقيقة الخالصة أينما وجدت، والإفادة منها فيما يعمر الحياة وينفع الناس ويعمق الإيمان بالله سبحانه وتعالى على هدى وبصيرة. وتوقف بنا الحديث عند سؤال محدد هو: كيف يمكن توجيه العلوم المختلفة توجيها إسلاميا في إطار نظام تعليمي متكامل وقادر على تحقيق غايات وأهداف التربية الإسلامية الرشيدة؟ والإجابة على هذا السؤال تتطلب الإلمام الواعي بعدة قضايا هامة سوف نعرض لها تباعاً دون إسهاب.

أولاً: مظاهر الاهتمام العالمي بقضايا التربية والتعليم:

إن نظرة عابرة إلى ما يجري في أماكن عدة من العالم تبين لنا مدى الاهتمام المتمحور حول إعادة تقويم العملية التعليمية من مختلف جوانبها بعد أن أصبحت عاجزة عن الوفاء بالآمال المعقودة عليها في التوفيق بين مواكبة ركب التقدم العلمي والتقني من جهة، وبين المحافظة على إنسانية الإنسان وقيمه من جهة أخرى. وعندما تخضع العملية التعليمية، حتى في أكثر الدول تقدما، للفحص والمراجعة بصورة مستمرة، فإن ذلك يكون بغرض الكشف عن مواطن القوة للاستزادة منها، والتعرف على مواطن الضعف للتخلص منها، والوقوف على المستوى الحقيقي لكفاية

الأداء والقدرة على بلوغ الأهداف مع الحفاظ على الجمع بين تحديث الثقافة الذاتية وتأصيلها فى نفوس النشء . ويكفى أن نسوق المثال على ذلك بما جاء فى التقرير النهائى للجنة تقييم مؤسسات التعليم النظامى فى الولايات المتحدة الأمريكية من أنه : « لو قامت (قوة معادية) بفرض أداء تعليمى قليل الجودة على الشعب الأمريكى لاعتبر ذلك مدعاة للحرب ، ولكن ذلك يحدث الآن من خلالنا نحن الذين سمحنا به . لقد بددنا هذراً المكاسب التى حصلنا عليها فى رفع مستوى التحصيل التعليمى لطلابنا بعد التحدى الذى واجهناه بإطلاق القمر الصناعى (سبوتنيك)(*) إن هذا التدنى فى قبول تلك المستويات من التعليم عمل بلا تفكير وعملية نزع لسلاح التعليم »[1] .

وعندما يقترح « هتشنجر » Hichinger ، احد أعلام التربية الأمريكيين ، تصوراً لإصلاح التعليم يقضى باعتبار المدرسة الثانوية المخطط لها بعناية فائقة فى أوروبا مثالاً يجب أن يحتذى فى أمريكا ، فإنه يواجه باعتراضات شديدة على أساس أن مثل هذا التصور لا يلبى حاجات طلاب التعليم العام فى أمريكا من الأقليات التى تنتمى إلى أصول ثقافية مختلفة ، ولهذا فهو لا يخدم مواقع العمل فى الثقافة الأمريكية المعاصرة التى تتسم بالتقدم العلمى والتقنى ، فضلا عن أنه يعكس ظلال الثقافة الغربية بوجه عام ويحرم الأمريكيين من التعرف على ثقافات الأمم التى تؤدى فيها أمريكا دوراً ما ، قل أو كبر[2] . ومن أبرز مظاهر الاهتمام العالمى بالتأصيل للعلم والتقنية كجزء لا يتجزأ من عملية التأصيل المتصلة بإصلاح مسار العلم والتعليم تلك الدعوة المعلنة حاليا لإحياء تراث المبرزين من رجال العلم والتقنية أمثال نيوتن فى انجلترا ، وجاليليو فى إيطاليا ، وجاوس فى ألمانيا ، ولابلاس فى فرنسا ، وغيرهم[3] .

واقع التربية والتعليم فى الأمة الإسلامية :

وإذا ما أجلنا النظر الآن لاستعراض واقع التعليم العام فى الأمة العربية والإسلامية فإن النشرات الإحصائية توضح لنا أن جهدا ملحوظاً يبذل فى تعميم التعليم وتوسيع رقعة انتشاره ، لكن الدراسات التحليلية والتقويمية تؤكد لنا ـ مع الواقع الملموس ـ أن هذا التطور الكمى لا يواكبه تطور نوعى يفى باحتياجات الأمة ويقيلها من عثرتها ، وأن الفجوة واسعة بين الهدف والتطبيق[4] . وتعزى الدراسات العالمية

(*) أطلق الاتحاد السوفيتى قمره الصناعى (سبوتنيك) عام ١٩٥٧ م إيذاناً ببدء عهد جديد فى أبحاث الفضاء الكونى . وقد شكل هذا الإنجاز العلمى والتقنى فى حينه تحدياً كبيراً للولايات المتحدة الأمريكية التى واجهته بإنشاء وكالة الفضاء الأمريكية وتحديد هدف لها يتمثل فى إنزال إنسان على سطح القمر بنهاية عقد الستينيات ، الأمر الذى تحقق بالفعل فى رحلة « أبوللو » عام ١٩٦٩ م .

(١) د . يوسف عبد المعطي ، أمة معرضة للخطر ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٤ ، عن د . محمد أحمد الرشيد ، التربية ومستقبل الأمة العربية ، عالم الفكر ، مجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت ١٩٨٨ .

(٢) د . أحمد المهدى عبد الحليم ، نحو اتجاهات حديثة فى سياسة التعليم العام وبرامجه ومناهجه ، عالم الفكر ، المجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت ١٩٨٨ ، ص ص ١٧ ـ ٤٦ .

(٣) Im pact of science on society, unesco, no.160 (1990)

(٤) ـ مكتب اليونسكو الإقليمى للتربية فى البلاد العربية ، التربية الجديدة ، العددان ٤٠ ، ٤١ (١٩٨٧) .

ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، استراتيجية تطوير التربية العربية ، ١٩٧٩ .

التوجيـه الاســلامى

المقارنة هذا العجز الذى يصيب نظام التربية والتعليم فى دول العالم الثالث عموما إلى أن كثيرا من الدول النامية قد غدت معرضا عالميا كبيرا لأشتات من النماذج والفلسفات التعليمية الوافدة من كل انحاء العالم الصناعى ، وأنها تحاول تطبيقها كما هى ، أو مرتدية شعارات التجديد والتطوير فى بيئة تختلف عن بيئاتها الأصلية(*)

إن منهج التأصيل الواعى للثقافة والعلوم يكاد يكون غائبا فى أغلب مجتمعات العالم الإسلامى ، حتى وإن كان هدفا ينص عليه فى « الاستراتيجيات » وفى توصيات الندوات والمؤتمرات . وكيف يمكن الاتفاق على منهج محدد الخطوات والغايات فى وسط ثقافى وفكرى باهت الهوية لا يزال بحاجة إلى اسم ونسب ؟!!

إن الحوار والجدل العقيم لايزالا دائرين فى سبيل إقرار أبسط مبادىء التفكير العلمى السليم الذى يدفع بالأمة نحو التقدم والرقى ، بينما نجد التقدم نفسه عند الآخرين يركب الآن صاروخا ومكوك فضاء ، ويسافر نحو الشمس والقمر والكواكب البعيدة ..!!

من هنا يبدأ التوجيه الإسلامى للعلوم :

يتضح لنا مما سبق انه إذا ما أردنا الاستفادة من تجارب المجتمعات المتقدمة فى اعتبار التعليم العام اداة لتأكيد الثقافة الذاتية وتجديدها ، يكون علينا أن نعول على ثقافتنا الإسلامية وليس على ثقافة الغير ، وأن ننطلق من التصورات والمعتقدات والقيم التى يؤمن بها أبناء أمتنا الإسلامية لتكون زادهم الحقيقى فى العمل والكفاح من أجل حياة أفضل . ويقينى أن هذا هو ما يجب أن يمثل حجر الزاوية فى فكر الصحوة الإسلامية المعاصرة التى تؤمن بدور العلم فى صنع التقدم ، وتدعو إلى الأخذ به بنية ومنهجا ، على أن يبدأ الإصلاح بإعادة نظر شاملة وفورية فى جميع المناهج الدراسية لتنقيتها من أى مفاهيم غير إسلامية وإعادة صياغتها بعد تحديد أهدافها ومحتواها وأساليب تدريسها وتعلمها وعملية تقويمها فى ضوء التصور الإسلامى المستند إلى كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين . إن المنهج الإسلامى قد احتضن حضارة المسلمين الأولى ، ولا يزال قادرا على ابتعاث حضارة جديدة إذا ما أدركنا الحاجة الماسة إلى إحياء تراثنا الإسلامى وتنقيته وتوسيع دائرته وترشيد العقول المفكرة به فى إطار الإلمام الواعى بحقائق الواقع المعاش ، وباحتياجات الأمة وآمالها ، وباتجاهات الفكر العالمى وفلسفاته دونما أدنى إنبهار بأية نماذج غربية أو شرقية . وعندئذ فقط سوف ينكسر حاجز الجمود فيما يمكن أن يسمى بنظام التعليم السلمى ، وتزول حالة التشاؤم من ثقافة مستسلمة ، وتنتقل الامة إلى وضع جديد يحدوها الأمل والتفاؤل بنهضة حضارية جديدة ، تحقق إرادة الله فى ترقية الحياة على الأرض ، وترسى قواعد المنهج الإلهى الذى يتناسق مع الناموس الكونى العام .

ولايزال للحديث بقية فى العدد القادم بإذن الله .

(*) كومز ، فيليب ، ترجمة حربى ، محمد خيرى وآخرين ، ازمة العالم فى التعليم من منظور الثمانينيات ، الرياض ، دار المريخ ١٩٨٧ ، عن د . احمد المهدى عبد الحليم ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د . نجوى السيد أحمد

استخدام المطاط لمقاومة أخطار الزلازل

أعلنت رابطة بحوث منتجى المطاط الماليزية عن نجاحها في إنتاج أعمدة من المطاط الطبيعي ترتكز عليها المبانى أثناء إقامتها وذلك لامتصاص الصدمات الأرضية الناتجة عن الزلازل وبالتالى توفير الحماية للمبنى .. وقد فاز هذا التصميم بجائزة الاستحقاق من معهد المطاط والبلاستيك البريطاني باعتباره من أكثر التصميمات نجاحا لمواجهة الهزات الأرضية .

جهاز جديد لتنقية الهواء

انتجت إحدى الشركات العالمية جهازا الكترونيا متطورا وصغير الحجم لتنقية الهواء في المنزل والمكتب بطريقة طبيعية . يصدر الجهاز تريليونات من الأيونات المشحونة السالبة التى تعمل كأنها مغناطيس يجذب إليها ذرات الرمل الدقيقة والدخان والغبار . حجم الجهاز ١,٥ × ٣ بوصة ومزود بمؤشر ضوئى يمكن تثبيته مباشرة بدون سلك في فيشة الكهرباء . قال العلماء إن جهازا واحدا يكفى لتنقية هواء حجرة .

القمامة لانتاج الطاقة

أعلنت إحدى الشركات البريطانية للكهرباء بالتعاون مع شركة ستيج الألمانية عن نجاحها في توليد الطاقة من مشروعات القمامة في بريطانيا . وقال المتحدث باسم الشركة البريطانية أن البريطانيين ينتجون حوالى ٥٠ مليون طن من القمامة الصلبة كل عام وهو ما يمكن تحويله إلى طاقة تعادل ١٣ مليون طن من الفحم أى ما يكفى لاحتياجات مدينة كبيرة .

الكاتبة باحثة بالمركز القومى للبحوث

الجديد في العلم والتقنية

علاج الأسنان بأشعة الليزر

صممت شركة امريكية آلة جديدة تستخدم في علاج الأسنان بدون ألم عن طريق بث نبضات الليزر لمدة واحد على عشرة آلاف من الثانية فتزيل الأنسجة المسوسة بسرعة اكبر من السرعة التي تنتقل بها الإشارات العصبية من الأسنان لمراكز الإحساس بالمخ .

سيارة إطفاء من البلاستيك

تمكنت إحدى الشركات الأمريكية من إنتاج سيارة لإطفاء الحرائق في المناطق النائية والجبلية التي يصعب وصول سيارات الإطفاء العادية إليها . وتمتاز السيارة الجديدة بأنها خفيفة الوزن وقوية لمقاومة المخاطر التي تواجهها في المناطق الجبلية ، بالإضافة إلى أنها صغيرة الحجم ويمكنها الوصول إلى أصعب المناطق وأضيقها مساحة فهي أخف من السيارات المستخدمة بحوالي طنين نظرا لاستخدام الالومنيوم والبلاستيك المقوى غير القابل للاحتراق في صناعة أجزاء كبيرة منها ، وهي مزودة بكل ما تحتاج إليه سيارة الإطفاء المعتادة وخاصة تلك التي يحتاج إليها رجل الإطفاء في المناطق المعزولة .

آلة تصوير فائقة السرعة

صمم الباحثون في معامل باتلي الألكترونية نظاما الكترونيا كاملا يمكنه التصوير بسرعات عالية جداً تصل إلى عدة أضعاف سرعة آلات التصوير التقليدية . يعتمد النظام الجديد على آلة تصوير فيديو تصل سرعتها إلى ١٢ الف إطار في الثانية الواحدة مما يعني إمكانية تجميد أي صورة مهما كانت سرعة أحداثها ، مثل انفجار بالون أو انفجار طلق ناري . وتختزن ذاكرة الحاسب الآلي ٤٠٩٦ صورة متتابعة حيث يمكن أن يعاد عرضها ثانية بأي ترتيب أو ترسل إلى التخزين الالكتروني وبذلك يحقق النظام الجديد السرعة العالية جدا ، وقلة التكاليف بشكل ملموس .

أحدث طريقة لعلاج انسداد الشرايين

نجحت مستشفى جامعة « جراتس » بالنمسا في استخدام طريقة جديدة لعلاج انسداد الشرايين في الأطراف عن طريق إدخال مجس في الأوعية الدموية المسدودة ، حيث ينطلق من المجس شعاع الليزر الذي يؤدي إلى زيادة الحرارة داخل هذه الأوعية ويترتب عليه تبخر الانسداد ثبت نجاح هذه التجربة بنسبة ٨٠٪ بعد أن تم تجربتها على ٣٠٠ مريض خلال الأربع سنوات الأخيرة .

من فوائد الألياف النباتية

تشير الأبحاث الطبية إلى أن الألياف النباتية تلعب دوراً هاما في الوقاية من أمراض القلب حيث إنها تساعد على تخفيض نسبة الكولسترول والدهون الضارة في الدم ، كما تساعد مرضى السكر على تنظيم عملية امتصاص المواد السكرية في الأمعاء مما يؤدي إلى تقليل احتياجات مريض السكر إلى تعاطي الأدوية . وقد أثبتت الأبحاث الطبية أن الألياف النباتية

تقوم بالحماية من الإصابة بمرض القولون عن طريق احتجاز المواد السامة التى تؤدى إلى مثل هذه الإصابة وتقصير مدة احتكاك هذه المواد بالقولون . ومن ناحية أخرى قد تساعد الألياف النباتية على تخفيف الوزن لأنها تزيد من حجم الغذاء دون زيادة السعرات الحرارية الأمر الذى يساعد على الشعور بالشبع .

زراعة الأنسجة تقنية جديدة لانتاج القطن

اكتشف علماء البيولوجيا بجامعة « تكساس » طريقة جديدة لاستنبات ألياف القطن فى المعمل عن طريق زراعة خلايا مفردة لنبات القطن فى أنابيب تحتوى على بيئة مغذية مكونة من أملاح معدنية وسكر وهرمونات نباتية ، وفى خلال مدة تتراوح بين ٣ ـ ٥ أسابيع تمتلىء الأنبوبة التى زرعت فيها الخلايا بألياف مبتلة من القطن .

والآن يجرى التجارب لإنتاج ألياف القطن ذات المواصفات الخاصة حسب الطلب من حيث الطول والقوة عن طريق تغير بعض مكونات البيئة المغذية مما يؤدى إلى تغير فى صفات الياف القطن الناتجة من زراعة الأنسجة بالمعمل .

فقه الأصول والفروع ـ بقية ـ

وفى قواعد ابن رجب كثير مما يشتغل بالنظر فيه رجال الفقه القانونى ، والفقه الدستورى .

ومن هذا قوله فى القاعدة الحادية والستين : (المتصرف تصرفا عاما على الناس كلهم .. وهو الإمام .. هل يكون تصرفه عليهم بطريق الوكالة لهم ؟ أو بطريق الولاية عليهم ... ؟ فى ذلك وجهان . وخرج الآمدى[١٥] روايتين بناء على أن خطأه[١٦] : هل هو على عاقلته[١٧] ؟ أو فى بيت المال ؟ .

لأنا إن جعلناه على عاقلته فهو متصرف بنفسه .. وإن جعلناه فى بيت المال فهو متصرف بوكالته : لهم ـ أى للناس ـ وعليهم . فلا يضمن لهم ، ولا يُهْدَرُ خطؤه ، فيجب فى بيت المال .

واختيار القاضى[١٨] أنه متصرف بالوكالة لعمومهم[١٩]) .

والمعنى أن الإمام وكيل عن الأمة وبيعته إنما تمثل عقد وكالة ..

والله ولى التوفيق

(١٥) سيف الدين أبو الحسن على بن أبى على بن محمد الآمدى ـ صاحب كتاب : (الإحكام فى أصول الأحكام) .

(١٦) أى خطأ الإمام .

(١٧) أى ضامن يقع الضمان على عاقلته .

(١٨) القاضى أبو يعلى محمد بن أبى الحسين الفراء الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

(١٩) بالوكالة عمن بايعه ومن لم يبايعه .

تأخر الحَمْل والعقم

د. أحمد رجاء عبد الحميد

يعتبر العقم إحدى المشكلات الصحية الهامة فى العالم الإسلامى ، وقد حث الدين الإسلامى الحنيف على الزواج وتكوين الأسرة لعمارة الكون ، اورد ذلك القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويوجد نوعان من العقم :

الأول : يظهر إذا مر عام كامل-او اكثر-من الزواج مع وجود جماع منتظم ، وبدون استخدام اية طريقة لمنع الحمل ، ثم لا يحدث حمل .

الثانى : العقم الثانوى : ويبدو إذا مر عامان كاملان او اكثر على عدم الحمل ، مع وجود جماع منتظم ، وبدون استخدام اية طريقة لمنع الحمل ، ولم يحدث حمل ، وذلك بعد آخر ولادة .

وفى اعتقادى إن إطلاق لفظ «العقم» على كل الحالات تسمية تعوزها الدقة ، ولفظ «تأخر الحمل» هو التسمية الصحيحة إلا فى حالة وجود سبب دائم لعدم الإنجاب فيطلق على هذه الحالة لفظ «عقم» .

وأسباب تأخر الحمل كثيرة ومختلفة ، منها : ما هو بسيط مثل الجهل بوظائف الاعضاء التناسلية ، وبخاصة فترة التبويض عند المرأة ، أو غياب الزوج لعمل بعيد عن الزوجة ، وبخاصة فى فترات (التبويض) ثم اسباب أكثر صعوبة مثل ضعف التبويض أو الالتهابات بالحوض إلى أسباب يستحيل فيها العلاج مثل بعض العيوب الخِلْقِية أو عيوب فى (الكروموزومات) .

الطرق الشعبية فى علاج العقم :

يرتد العالم فى هذه الآونة ـ طلبا للشفاء ـ إلى الأعشاب والعلاج الشعبى هربا من الكيماويات والأدوية الحديثة بمضاعفاتها الجانبية .

وفى خلال ممارستى للمهنة وأبحاثى فى مجال العقم ، وصلت إلى نتيجة : أنه إذا كان العلاج الشعبى له فوائد كثيرة ، ويجب تشجيع الناس عليه فى الأمراض المختلفة إلا أنه فى حالة العقم لا يمكنني أن اشجع أو أحبذ استعماله ، ودعونا نستعرض بعض الأمثلة :

فى اثناء إجراء بحثى عن الطرق الشعبية لعلاج العقم فى الريف المصرى وجدنا طرقا كثيرة قمنا بتقسيمها طلبا لاستيعابها وتصنيفها بسهولة ـ إلى :

١ ـ وسائل عن طريق المهبل .

٢ ـ وسائل سطحية «عن طريق الفم أو الاستحمام» .

٣ ـ وسائل تعتمد على الدجل والسحر والغيبيات .

أما الوسائل التى تعتمد على الدجل والسحر والغيبيات فكثيرة ومتعددة تتراوح ما بين أحجبة وتمائم ، وزيارة قبور بعض المشايخ مثل (الشيخ أبو السعود) فى مصر القديمة ، إلى (عمل زار)[١] ، وزيارة بعض الأحجار والاستحمام عليها منها «حجر بمدينة ههيا»[٢] ، و(فك عملات)[٣] ونزول المقبرة لقلب جمجمة متوفى وواضح طبعا أن هذه الطرق لا فائدة منها ، وهذا ينطبق أيضاً على طريقة الاستحمام بطلع النخل «أجنة النخل» أو براعم الزهور وبخاصة زهور البرتقال .

كذلك يوجد أسوأ ما يمكن تخيله وهو الاستحمام بـ (ليفة)[٤] استعملت فى غسل مُتَوَفَّى ، وكذلك الاستحمام بالماء الناتج عن غسله ، وتخيل معى الحالة النفسية الهائلة التى تكون فيها السيدة فى هذه الأثناء .

وهناك طرق ذات تأثر سلبى كبير تستخدم بمواد مختلفة عن طريق المهبل ، وقد تعددت هذه المواد فى ضوء دراساتنا فهى : لبوس (عبارة عن قطنة ملوثة بدم فتاة بكر) ، أو دم ناتج عن عملية ختان» أو الجلوس فوق مشيمة امرأة وضعت حديثا ؛ أو لبوس من لبن امرأة وضعت حديثا ، إلى استعمال غسول مهبلى ناتج عن غسل (عدة حَلّاق) القرية» أو لبوس (سكر نبات) أو بصلة ، أو رأس مشيمة .... أو .... الصوفة .

ولنا وقفة عند الصوفة والشائعات كثيرة عنها : هل هى طريقة للتلقيح الصناعى من غير الزوج بأن يضع الدجال سائلا منويا لرجل قادر على الإخصاب[٥] ، وفى دراستنا لم نجد هذا النوع ، ووجدنا صوفة بها حِلْبَة وملح وسكر ونوع من الأسفلت ومواد أخرى غريبة .

والمثير للاهتمام أننا وجدنا بين مستعملات هذه الوسائل نسبة كبيرة على درجة من التعليم والثقافة ، ومثلهن من ذوات المستوى المادى والاجتماعى المرتفع الذى يجعلهن يدركن مدى الضرر الذى يحيق بهن من استعمال مثل هذه الطرق .

وبفحص السيدات اللاتى استعملن وسائل داخل المهبل وجدت نسبة الالتهابات فى المهبل ، وعنق الرحم والرحم ومتعلقاته ـ عالية نسبيا عن أولئك اللاتى لم يستعملن وسائل داخل المهبل .

وهذا ما دفعنى إلى كتابة هذه السلسلة من المقالات .

وفى هذه السلسلة سوف نقوم بإذن الله بشرح تفصيلى علمى ودقيق وفى نفس الوقت مبسط للأسباب التى تؤدى إلى تأخر الحمل مع الإشارة إلى طرق علاجها ، وذلك حتى يتسنى للزوجين معرفة الطريق الصحيح للعلاج فلا يقعان ضحية للدجل أو الابتزاز وكذلك لكى لا يستهلكا وقتا طويلا فى المرور ـ إلى هدفهما ـ على قائمة طويلة بدءاً من الأطباء والمستشفيات ، ونهاية بالدجالين والمشعوذين .

وتبدأ هذه السلسلة بشرح مبسط للجهاز التناسلى للرجل والمرأة ووظائفه لدى كل منهما ثم يليها أسباب العقم فى الرجال ثم أسباب العقم فى النساء ثم طرق العلاج المختلفة .

---

(١) هو حفل نسوى يصحبه إيقاع طبل صاخب بشدة يزعمون أنه كفيل بطرد «العفاريت» !

(٢) مدينة بالوجه البحرى .

(٣) أى فك أعمال السحر .. وكل ذلك من الأفكار الشعبية الدنيا .

(٤) أعشاب خيطية يتخذ منها حفنة تستعمل فى الدلك أثناء الاستحمام .

(٥) سبق لفضيلة الإمام الأكبر أن أفتى فى هذه الجريمة بمجلة الأزهر عدد صفر ١٤١١هـ سبتمبر ١٩٩٠م بعنوان ـ الحمل عن طريق صوفة .

من أعلام الأزهر
فضيلة الأستاذ الدكتور محمود بن الشريف بتية .

٣ ـ الحب فى القرآن .
٤ ـ الأديان فى القرآن .
٥ ـ الفرقان فى القرآن .
٦ ـ اليهود فى القرآن .
٧ ـ الشعب الملعون فى القرآن .
٨ ـ الحياة البرزخية فى القرآن .
٩ ـ القصة فى القرآن .
١٠ ـ القرآن ودنيا المرأة .
١١ ـ القرآن وحياتنا الثالثة .
١٢ ـ الصبر فى القرآن .
١٣ ـ الإمام الطبرى .
١٤ ـ الرسول ـ ﷺ ـ فى القرآن .

● فى الدراسات النبوية :

١ ـ من جوامع الكلم .

● فى الدراسات الإسلامية :

١ ـ الإسلام والحياة الجنسية .
٢ ـ الإسلام والأسرة .
٣ ـ بدر الغزوة الإسلامية الأولى .
٤ ـ فدائيات إسلامية « أسماء بنت أبى بكر ـ نسيبة بنت كعب » .

كتب محققة فى التصوف الإسلامى بالاشتراك مع فضيلة الإمام الأكبر عبد الحليم محمود :

١ ـ الرسالة القشيرية .
٢ ـ عبث المواهب العلمية .
٣ ـ عوارف المعارف .
٤ ـ شرح حكم ابن عطاء الله .
٥ ـ قرة العين .

● فى الدراسات الأدبية والتراجم :

١ ـ رواد خالدون .
٢ ـ خليل مطران أستاذ شوقى وحافظ .
٣ ـ خليل مطران شاعر الحرية .
٤ ـ رائد الفضاء .
٥ ـ الفقاعى .. أصغر فدائى مصرى .
٦ ـ أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً .
٧ ـ الملخص الوافى فى النقد والأدب .
٨ ـ أدب محمود تيمور للحقيقة والتاريخ .

● وكان آخر ما صدر لفضيلته :

١ ـ من حديث القرآن . إلى من نزل عليه القرآن . ـ ﷺ ـ
٢ ـ من معين القرآن « صور وأقضية وقيم ومفاهيم » الجزء الأول .
٣ ـ من حصاد المكتبة القرآنية .

● وله كتب لم تطبع منها :

١ ـ المختصر الشريف فى علوم الحديث .
٢ ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .
٣ـ تحقيق كتاب الأذكياء لابن الجوزى .
٤ ـ تحقيق المخطوطة التركية : « النوادر واللطائف فى تفسير آيات القرآن التى احتوت على النكات والطرائف » .

اللغة والأدب والنقد

صدى وصية إلى حبيب

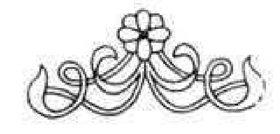

نظرات في النظرات

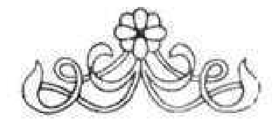

لحظات طيبات مع الإمام زين العابدين علي بن الحسين

صدى وصية إلى حبيب

ظهر العدد الماضى جمادى الأولى ١٤١٢هـ ، وفى صفحته رقم (٥٧٢) مقال : «فى الأدب المقارن» .

وعقب نحو أسبوع من صدور العدد تلقت إدارة التحرير بضع رسائل تختلف وجهات النظر فيها ، ونقف منها نحو اتجاهات ثلاثة كان كل اتجاه منها فى حاجة إلى حديث :

(أ) كتب الشاعر احمد مصطفى حافظ إلى الأستاذ الدكتور رئيس التحرير يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء تحية طيبة وبعد :

فقد استوقفنى بالعدد الجديد الذى صدر بالأمس النص الانجليزى المنشور به ، للشاعرة الانجليزية كريستينا روزيتى ، والترجمة النثرية البليغة التى نشرت معه .. إلا أننى تمنيت ـ فيما بينى وبين نفسى ـ على الأستاذ الفاضل ، صاحب الدراسة المقارنة ، لو أنه حاول ترجمة هذا النص شعرا ، لتصبح المقارنة أمتع بين هذا النص ، وقصيدة (إيليا أبى ماضى) المنشورة معه .. ولذا فقد أخذت على عاتقى إنجاز هذا الأمر ، بنفس الوزن والقافية التى شدا بها أبو ماضى.. لأن ترجمة النص الانجليزى ـ بصفة عامة ـ ترجمة شعرية ، كان ـ ولايزال ـ رأيى وشغفى منذ عدة سنوات ، بل إن ديوانىّ :(ما ابقت الأيام) الذى نشره المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٣ و(أنداء وظلال) الذى نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ يحتوى كل منهما على قصائد لعيون الشعر العالمى ، تستغرق نصف الديوانين تقريباً .

وكم يسعدنى إهداء الترجمة الشعرية ـ الفورية لنص كريستينا روزيتى ، للأستاذ صاحب الدراسة المقارنة .. وشكراً .

ملاحظة : كلمة twilight تعنى معنى (الفجر) أو (الشفق)[1] وليس ظلمة القبر كما جاء بالترجمة النثرية و haply تعنى مصادفة أو اتفاقا .

(١) للأستاذ عبد الصبور تحفظ بالنسبة لترجمة هذه الكلمة .

وصية إلى حبيب
للشاعرة الانجليزية كريستينا روزيتى
ترجمة : أحمد مصطفى حافظ

إن أتانى الردى .. وصرتُ دَفِينهْ
فدع الندب .. والأغانى الحزينهْ
قُرْبَ راسى .. لا تغرس الزهر .. حسبى
سندسىٌّ الأعشاب يزجى فتونه
جَادَهُ الغيثُ والندى .. باخضلال
فوق رمسى .. فصرت أنشد لينه
وظلال الصبار لست أبالى
أن توارى .. فتاتك المستكينة
وتذكر - إذا أردت - أو اجنح
لسلو .. يُنسى الشجىَّ .. شجونه
فأنا لست أدرك الظل ولا الغَيْـ
ـثَ .. وقد أطبق الفؤادُ جفونه

* * *

كروانى .. الذى شجانى مليا
فى حياتى .. ماعدت أدرى لحونه
ذلك الفجر فى ثرى أحلامى
صار لا يعرف الشعاعُ عيونه !
ذكرياتى قد تستبينى اتفاقا
فى انفرادى .. بعزلة وسكينة
ربما بدَّدت صداها الليالى
والمنايا .. تُنسى الفؤاد .. حنينه

واعتقد بعد ذلك ، أن الشقة بعيدة إلى حد ما بين هذا النص ، ونص إيليا ابو ماضى .. والمشابهة محدودة فى بعض المقاطع .

وكتب الأستاذ محمد عبد الوهاب جنيدى :
طالعنا باهتمام بالغ مقالة الأستاذ عبد الصبور الكاشف بعدد الأزهر الغراء الصادر فى جمادى الأولى سنة ١٤١٢ هـ ، وقد ترجم فيها الأستاذ الكاشف نصا شعريا عن الانجليزية للشاعرة كريستينا روزيتى ، ونشر معه نصا آخر للشاعر المهجرى الكبير إيليا ابو ماضى ، وبعد قيامه بموازنة موجزة بين النصين انتهى إلى الراى بأن أبا ماضى قد تأثر بالنص الانجليزى فى أبياته تأثرا يدنو من الاقتباس بعد إجراء بعض التعديل .

ونرى أن الكاتب الفاضل قد نأى عن السبيل حيث إن الشاعر إيليا ابو ماضى أعظم من أن يعمد إلى مثل ما انتهى إليه كاتبنا الفاضل وإن كانت هناك مشابهة طفيفة حول الفكرة إلا أن «البعرة هنا لا تدل على البعير» وكما نعلم جميعا فهناك ما يسمى «بتوارد الخواطر» وخاصة فى المعانى الإنسانية العامة ، وإن كان هذا التوارد غير واضح المعالم والحدود فى تلك الموازنة .

وفى رسالة الأستاذ/ محمد عبد الوهاب جنيدى نقاط :

الأولى : أن المقارنة أو الموازنة بين النصين جعلت الكاتب ينتهى إلى الراى بأن أبا ماضى قد تأثر بالنص الانجليزى فى أبياته تأثرا يدنو من الاقتباس .

الثانية : أن الشاعر أبا ماضى أعظم من أن يعمد إلى مثل ما انتهى إليه كاتبنا الفاضل .

الثالثة : أن هناك مشابهة طفيفة حول الفكرة .

الرابعة : أن ثمة توارد خواطر ، وخاصة فى المعانى الإنسانية العامة .

صدى وصية إلى حبيب

وبعد : فإن الشعر لدى أولئك العمالقة يرتفع عن مستوى المعانى الإنسانية العامة ويفسح لنفسه النظرة فى مجال المعانى الرفيعة داخل دقائق النفس الإنسانية ، وبهذا العمق تكون له أجواؤه العليا التى لا يسمو إليها كل إنسان ، وتجعل من العمل الأدبى عملا عاليا .

على أن توارد الخواطر لا يمكن أن يكون له قوة التطابق التى تحيط بالفكرة الوجدانية ، كل هذه الإحاطة التى لا نعتبرها مجال مشابهة طفيفة ، وللأستاذ محمد عبد الوهاب رأيه الذى لا يسعنا إلا احترامه .

ثم إن كاتبنا الذى قدم الدراسة لم يجزم أبداً باتهام أبى ماضى بالأخذ عن كريستينا ، كما لا يستطيع الأستاذ محمد عبد الوهاب أن يقطع بعدم تأثر اى إنسان بما يقراه ويعجب به ، لاسيما إن كان متسما بالروعة فى شىء يحبه ، وقديما قال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم

ثم هذا شعر ذواقة هو الأستاذ أحمد مصطفى حافظ لم تكن له نفس الرؤية التى ابداها الأستاذ جنيدى ، ولو انه لمح طعنا فى ابى ماضى لانبرى يدافع عنه .

وقد اتحف الأستاذ محمد عبد الوهاب جنيدى الباب بقصيدة للأستاذ محمد فضل إسماعيل - رحمه الله - نرجو أن تكون موضوع دراسة عندما تسمح الظروف .

وأخيراً أبدى البعض ملاحظة فحواها : كيف تنشر مجلة الأزهر مثل هذا ؟! ولست ارى : أكان هذا إعجابا ، أم تعجبا ، أم استنكارا ؟

نقول : هذا الباب من أبواب المجلة فتح للغة والأدب والنقد .

وللأزهر الشريف جامعة تمثل كلية اللغة العربية أحد أعمدتها،وهى معنية بدراسة الأدب المقارن . ثم نشأت بعدها بالأزهر كلية اللغات والترجمة ، وهذه المجلة تمثل الأزهر بكامل اختصاصاته : دينا ولغة وأدبا وعلما

وأخيراً كان فضيلة الإمام الأكبر السابق الدكتور محمد الفحام - وهو يحمل إجازة الدكتوراة من السوربون - يدرس مادة الأدب المقارن بكلية اللغة العربية ، وشرفنا بالتلمذة عليه فى هذه المادة عام ١٩٥٦/٥٥ ثم كان من بعده الأستاذ الدكتور غنيمى هلالى .. لذا كان الأدب المقارن أحد اهتماماتنا .

د. على أحمد الخطيب

تصويب

(أ) جاء ص (٣٩١) عدد ربيع الآخر ١٤١٢ قوله : ولا يعذب ..
والصواب : ولا يعزب

(ب) وص (٤٨٦) بعدد جمادى الأولى ١٤١٢ قوله : بايديهم نوران ..
والصواب بايمانهم نوران .
رجاء التصويب .

تأليف: محمد لطفى جمعة

ونظرات فى النظرات

بقلم: السيد حسن قرون

هذا الكتاب «نظرات عصرية فى القرآن الكريم» يحتاج منا إلى دراسات والوقوف عند كل مسالة، والتامل عند كل تشريع والإلمام بما حوى من معلومات عصرية سنشير إلى بعضها اثناء ما نعرض من مناهج الكتاب .

والمؤلف المرحوم محمد لطفى جمعة من الرواد الذين حملوا شعلة التنوير ، فهو فى القمة مع السادة النجباء :

العقاد والمازنى وحسين هيكل وزكى مبارك والجارم وغيرهم ممن يحلو الكلام بذكرهم ، والرائد المتفتح الذهن فى قضايا الدين والأدب والسياسة محمد لطفى جمعة كان من اعلام المحاماة وزعماء الوطنية ، وحسبك ان تعلم انه شارك مصطفى كامل ومحمد فريد العمل فى القضية الوطنية داخل البلاد وخارجها ، ولم يمنعه كل ذلك واكثر منه عن التفكير فى القرآن الكريم ودراسة تفاسيره والتاليف فى شرح ما له صلة بعلم العصر الحديث والكشوف العلمية التى ظهرت فيه واعتز بها من اظهروها وقدموها للناس معقولة ومحسوسة .

والكتاب من مطبوعات ١٩٩١ ولكنك تقرا تسجيلا لتاليفه فى آخر صفحة منه المختومة بتلك العبارة التى تحمل الدعاء وهو :

« اللهم إنا نسألك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء حزننا وذهاب همنا وغمنا ، وأن تجيرنا من الفتن المعتلة ما ظهر منها وما بطن بفضلك ياأكرم الأكرمين » .

الثلاثاء ١٠ من رجب سنة ١٣٦١ - الموافق ١٣ يوليو سنة ١٩٤٣ .

وقد صدر الكتاب بمقدمات أولها «تقديم بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جادالحق على جاد الحق شيخ الأزهر» .

نظـــرات فـــى النظـــرات

وهى مقدمة تحدثت عن القرآن الذى لا تفنى عجائبه والذى حوى كل شىء، ونشأت فى ظله وحوله علوم ومعارف متنوعة ، ثم أومأ إلى المؤلف محمد لطفى جمعة الذى كان من الرواد الذين تَفَيَّئُوا ظل القرآن الوارف ، ثم اشار إلى محتويات الكتاب فى عبارات انيقة واسلوب رشيق امتاز به صاحب الفضيلة ، ولصاحب الفضيلة زمالة بنجل المؤلف المستشار (رابح محمد لطفى جمعة) افصح عنها بلفظ منير، وختم التقديم بما يليق بقلمه وما نهفو إلى عطائه فكان الختام حديثا شريفا رواه ابو هريرة : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له » ، وعلق عليه بتلك العبارة الهادفة :

« ولاشك أن من بر الابن بأبيه هذا الصنيع الذى قام به السيد المستشار رابح لطفى جمعة من نشر هذا المؤلف الجم الفائدة للإسلام والمسلمين حتى يكمل الانتفاع بما فيه من علم وحكمة وجلاء للعقيدة والشريعة » .

وتحت هذه العبارة التوقيع والتاريخ - غرة رمضان ١٤١٠ - ٢٨ مارس ١٩٩٠ .

ومعنى هذا أن الكتاب قام بطبعه نجله الأستاذ رابح ، وبه نال المؤلف اتصال عمله للانتفاع به ونال الدعاء وقد تكون له الثالثة ، رحمه الله، واطال الله فى عمر نجله رابح المفكر والقانونى والأديب ، وكتاب نظرات عصرية فى القرآن الكريم يقع فى ٥٥٨ صفحة ، وقدم له صاحب الفضيلة الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر كما قدمنا آنفا ، وفيه مقدمتان اخريان أولاهما لنجل المؤلف الأستاذ رابح وهى مقدمة تدل على دراسة واسعة فى تاريخ التفسير ابتداء بالمفسر الأول محمد ﷺ وانتهاء بصاحب النظرات العصرية مشيرا فيها إلى تتابع العصور والمفسرين كما اشار إلى تسرب الإسرائيليات، وجهد المخلصين من العلماء فى تنقية تفسير القرآن من شوائب اهل الكتاب واساطيرهم ، ثم اشار إلى انواع التفسير فى العصر العباسى ، ومحاولات التجديد فى العصر الحديث ومدى التوفيق فى هذا التجديد ، ثم خلص إلى الكتاب الذى نحن بصدده فتحدث عنه حديث العالم ببواطن اموره ، ولخص لنا قضاياه وموضوعاته فى هذه البنود :

١ - توحيد الله وتقرير حرية الاعتقاد .

٢ - وصف المؤمنين، وما أعد لهم من نعيم الجنة، ووصف الكافرين وما أعد لهم من عذاب النار .

٣ - إظهار تعظيم القرآن لشأن العقل وجعله أساسا لفهم الأحكام والتدبر والتفكر والتأمل .

٤ - رفع شأن الإنسان بتقرير مبدأ المساواة بين جميع الطبقات وأن التفاضل بينها إنما يكون بالتقوى والعمل الصالح .

٥ - سرد تواريخ الأنبياء السابقين وتمجيدهم والتصديق بهم وعدم التفريق بينهم بغرض الاعتبار بهم وبجهادهم مع أقوامهم والاقتداء بهم مواساة للنبى وتشجيعه وتطمينه .

٦ - وصف حياة الجاهلية ونظامها وتكذيب قريش للنبى .

٧ - بيان أخلاق النبى وتنسكه وإنسانيته وبعض المسائل البدنية والزوجية فى حياة النبى

٨ - بيان بلاغة وإعجاز أسلوب القرآن .

٩ - بيـان القوانـين والنواميس العـامة والأنظمة الطبيعية بالبحث فيها، وتدبرها وذكر آيات الله فى الكون وخلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر والنجوم والكواكب والبحار ، وخلق الإنسان والحيوان والنبات والطير والحشرات، وتصريف الرياح وتسخير

السحاب وإنزال المطر وغير ذلك من الآيات الكونية التى كانت مجهولة فى عصر التنزيل وكشف عنها العلم الحديث .

١٠ ـ الرد على دعاوى المستشرقين وشبهاتهم عن الوحى المحمدى ، وعن الحدود فى الشريعة الإسلامية وغير ذلك من الشبهات والأباطيل .

ويختتم الأستاذ رابح تقديمه برجاء أن يكون وُفِّقَ فى هذا العمل ، سائلا المولى ـ عز وجل ـ أن يتغمد المؤلف برحمته . والمكان والتاريخ بصحبة التوقيع (مصر الجديدة ١٩٩٠) .

وقد نقلت لك ولى هذه البنود وتلك الكلمات لأنها صادرة من ابن يكاد يكون قد رافق أباه أثناء تأليف الكتاب ، فكم من مرة نجد المؤلف يخاطب ابنه عند فكرة جديدة ، أو عندما يحتاج الأمر إلى وقفة وتوضيح بأن يقول ـ كما جاء فى سورة النحل حين تعرض لبلقيس ـ :

«يابنى رابح إلى أين تقودنا أقوال المفسرين ؟ فبعد زعم الهداية لبلقيس تنتهى إلى إزالة الشعر لتنعيم جسد العروس قبل أن يدخل عليها هذا النبى ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ج ٦ تفسير ابن كثير والبغوى» .

وإذا علمنا أن الابن حين ذاك كان فى المرحلة الثانوية حق لنا أن نذكر صلته بهذا الكتاب منذ صباه ، وأبناء لطفى جمعة كلهم على ثقافة عالية ، ومنهم الصحفى المعروف الأستاذ زكريا لطفى جمعة ، ولكن الأستاذ رابح هو الذى عُنِىَ بمؤلفات والده منذ الصغر ، والأب يخاطبه كأنه أستاذ فى التفسير وصناعة القلم .

وأنا لا يمكننى أن أعرض لك الكتاب فى مقال ، ولا أقدر على مناقشة قضاياه فى فصل من الفصول ، فهو كتاب ضاف حوى القديم والجديد معا ، فلقد تناول المؤلف ـ رحمه الله ـ القرآن سورة سورة بدأ بالفاتحة وختمه بالمعوذتين ، ومن طريف كلام المؤلف فى ذلك قوله :

« وإننى أشعر أن المعوذتين بمثابة القفل والمفتاح لأحكام القرآن وختامه ، كما أن البسملة خير فاتحة وباب ؛ فإن أسلوب المعوذتين يشعر باتخاذ الحيطة فى نسج محكم متشابه ودق مسامير من أصوات أحرف وكلمات أظهر ما فيها حرف السين الذى هو كأسنان المفتاح ، كما أن سورة الفلق يكثر فيها حرف القاف كأنها تشير إلى دق الأقفال وصوت الغلق ، وهذه إرادة سابقة لله سبحانه أن تتفق حروف المعوذتين لإتمام هذه الغاية . غير أن وصف الله عز وجل فى سورة الناس بأنه «رب» و«ملك» و«إله» يعطى تلك المعوذة قوة : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَٰهِ النَّاسِ ﴾ وذكر الشيطان فى ختامها يجعل الخير مقابلا للشر ومواجها له ومتغلبا عليه حتما» .

وهذا كلام يقوله المؤلف بعد رحلة طويلة مع سور القرآن وآياته مصحوبة بتأملاته وتجلياته أيضاً ووقوفه على أسرار الثروة اللغوية .

وقد بدأ المؤلف نظراته العصرية فى القرآن الكريم بفصل من أنفع الفصول لمن يريد الحقيقة الباهرة ، والبراهين الساطعة عنوانه «فضل القرآن» يقع فى سبع وعشرين صفحة ، جعله المؤلف مقدمة كتابه ، وهى مقدمة فيها جهد وفيها علم وفيها حوار ، وحديث عن الوحى وموقف المستشرقين منه ، وقد فَنَّد مزاعمهم ، وبين فضلهم ، كما تحدث عن موقف المشركين منه حين نزل غضا بمكة أو المدينة ، وجعل موقف بعض المستشرقين كموقف كفار مكة ، ونفى أن يكون محمد قد تلقى تعليما من أحد كما ذكر القرآن ، وبين كيف كان النبى ﷺ يتلقى الوحي وكيف ينقله إلى أصحابه ؟ وتحدث عن جمع القرآن على عهد أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما ، وأشار فى ختامه إلى عظماء المفسرين أمثال الطبرى والزمخشرى والبيضاوى والبغوى وابن كثير والقرطبى والشوكانى يقول : ولا نبالغ إذا قلنا : إن عدد المفسرين بلغ الوفا وكثير منها منشور ، وأكثر منها مخطوط . ولكن القرآن لا يزال

نظـــرات فـــى النظـــرات

محتاجا إلى التفسير فى ضوء العلم الحديث والاكتشافات والاختراعات والتطورات الاقتصادية والسياسية ، وكانت آخر محاولة من هذا القبيل هو ما صنعه الشيخ طنطاوى جوهرى والأستاذ محمد فريد وجدى ، أما عدد المستشرقين الذين خدموا القرآن ، بعضهم بحسن نية وبعضهم رغم أنفه فكثير جداً .

وأحسن ترجمة فرنسية لمعانى هذا الكتاب الكريم ترجمة ماردوريس الأرمنى المتفرنس ، وفى الانجليزية : سيل ولين ، ورد ويل وبالمر ، والترجمات الألمانية أدق وأكد عناية .

والحمد لله على كل هذا ، وأنا أعتقد أن الكتب المذكورة عربية وأجنبية اطلع عليها المؤلف ونفحنا بميزتها .

مع ملاحظة هامة : أن المؤلف كتب هذا الفصل فى رجب سنة ١٣٦٢ هـ .

وللكتاب جاذبية تدعوك لمعاودة قراءته مرة بعد مرة ، ولا غرو فهو حديث تحت راية القرآن ، وحين أكتب عنه أود بشبق النفس أن يشاركنى غيرى فى الحديث عنه والحوار حول ما جاء به ، وأنتهز الفرصة فأصنع نماذج من نظرات المؤلف العصرية ، وقد أكون معه وقد أخالفه فمجال القول ذو براح ومراح .

ففى سوررة البقرة نظر فقال : وترد فى القرآن الكريم كلمة : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ آية ٨٣ ، أو ﴿ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ سورة آل عمران آية ٨١ ، وفى سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ آية ٧ .

فما معنى الميثاق ؟ يقول : ليس معنى الميثاق هنا اتفاق بين الله سبحانه وتعالى وبين الأشخاص المذكورين إنما معناه أوامر الله كما ورد فى سفر التثنية إصحاح ٤ نبذة ١٣ «وأخبركم بعهده الذى أمركم أن تعملوا به الكلمات العشر وكتبه على لوحى حجر» فالعهد هنا فى لغة التوراة هو الميثاق فى لغة القرآن ، ومعناه فى الاثنين الأوامر والنواهى الإلهية ، ويستمر فى الاستشهاد من كلمات التوراة ، مؤكدا أن العهد والميثاق هو أوامر الله لعبيده . فليس الله سبحانه وتعالى بحاجة لأن يأخذ عهودا من أنبيائه أو ملائكته أو عباده ؛ بل يأمرهم أمرا أو ينهاهم نهيا ، وإنما ذكر «الميثاق» تشريفا لبنى آدم بحسبان أنه كائن عاقل مسئول عن أقواله وأفعاله وعهوده ، ويذكر عهد الله لعباده وأنه تعطف وتكرم وترحم ، فيقول ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[1] لإدخال الاطمئنان إلى قلوبهم وتقديم الرحمة بين أيديهم ليتحرروا من أغلال العبودية البشرية ، ثم يقول : ولذا نرى أن المواثيق المذكورة فى القرآن ترمى دائما إلى خير العبيد ، فمثلا يقول الله سبحانه وتعالى فى آية ٨٤ من سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ وكذلك آية ٨٥ من نفس السورة ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ ﴾ ويقال فى تفسير ذلك إن اليهود بالمدينة المنورة كانوا قبيلتين كبيرتين : قريظة وبنى النضير فقريظة حالفت الأوس ، والنضير حالفت الخزرج ، وجميعهم حالفوا النبي ﷺ فكتب دستور المدينة المعروف باسم الصحيفة ، وتاريخه السنة الثانية للهجرة .

يتبع

(١) سورة الأنعام : ١٢

أغنى الناس من أتقى الله - بقية -

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل - ٩٧ .

إن من توكل على الله وراقبه كان الله معه ورزقه من حيث لا يحتسب تصديقا لوعده في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ الطلاق ٢ ، ٣ .

ومن اتقى الله وآمن وصدق بوعده رزقه الله من واسع فضله ، قال سبحانه في سورة الأعراف الآية ٩٦ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

لقد ضل كثير من الناس في أمر المال وأهمهم شأنه، وأسرفوا على أنفسهم فيه ولم يتهيبوا مدخلا من مداخله، ونسوا تعاليم الله وأعرضوا عن ذكره فكان لهم مآلهم . كما قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ . وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ طه ١٢٤ ، ١٢٧ .

ولو راقبوا الله ووثقوا بما عنده لبارك لهم فيه وهنأهم به تصديقا بوعده حيث يقول حكاية عن نوح عليه السلام :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ نوح ١٠ ، ١١ .

وإيمانا بقول الله تعالى في الحديث القدسي الذي يقول فيه رب العزة « يادنيا من خدمني فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه »[1].

ملامح النظام السياسي للدولة اليهودية - بقية -

هذا ومن وسائل إحداث التوازن بين السلطات العامة في إسرائيل وجود وظيفة «مراقب عام الدولة»★ الذي يقدم تقريره السنوي للسلطة التشريعية عن نتائج متابعته لإنفاق السلطة التنفيذية من ميزانية الدولة ، وتمتد رقابته إلى أية مؤسسة تشترك الحكومة في إدارتها .

ويتلقى «مراقب عام الدولة» شكاوى المواطنين .. وهذا أمر يتيح فرصة للرقابة الشعبية على أعمال الحكومة ومؤسساتها .

هذا وتتم الرقابة القضائية على أعمال الحكومة والمجالس المحلية ، فتصبح اللوائح التي تصدر عن أي من هذه الجهات عرضة لرقابة «المشروعية» ولقضاء «الإلغاء» ، وتمتد رقابة القضاء أيضاً إلى بعض القوانين ، وإلى كل القرارات التي تمس الحريات العامة والحقوق .

وبذا نكون قد عرفنا من يحكم إسرائيل ؟ أما كيف تحكم إسرائيل ؟

فهذا ما أرجو أن أعالجه في المقال القادم بإذن الله .. ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف / ٧٦) .

---

(١) رواه القضاعي عن ابن مسعود

★ يرشحه الكنيست ويعينه رئيس الدولة لمدة خمس سنوات ، ويصير من يوم تعيينه تابعا للكنيست ويحظر عليه القيام بأي نشاط سياسي أو اقتصادي أو إداري خارج الكنيست طوال فترة انتدابه وبعد انتهائها بثلاث سنوات . وهو يخطر الجهات التي يراقبها بالمخالفات والأخطاء لإزالتها قبل أن يقدم تقريره عنها .

لحظات طيبات مع الإمام

زين العابدين على بن الحسين

إعداد: عادل خفاجة

قال فيه الفرزدق - إذ قال هشام بن عبد الملك : من هذا ؟

هذا الذى تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ
والبيتُ يعرفُهُ والحلُّ والحَرَمُ
هذا ابن خير عِبَادِ اللهِ كُلِّهم
هذا التَّقِى النَّقِى الطاهِرُ العَلَمُ

يَكادُ يُمسِكهُ عِرفانُ راحتِهِ
عند الحطيم إذا ماجاء يَسْتَلِمُ
إذا رآته قريشٌ قال قائلُها :

إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
إن عُدّ أهلُ التقى كانوا أئمتهم
أو قيل : من خيرُ أهل الأرض قيل : هم

هذا ابن فاطمةَ إن كنتَ جاهلَهُ
بجدّه أنبياء الله قد ختموا

وليس قولُك : من هذا بضائرِهِ
العربُ تعرفُ مَنْ أنكرتَ والعجمُ

يغضى حياءً ويغضى من مهابتهِ
ولا يكلم إلا حين يبتسمُ
ما قال : (لا) قط إلا فى تشهده
لولا التشهد كانت (لاؤه)نعم

إنه الإمام ابن الإمام ابن الإمام : زين العابدين على ابن الإمام الحسين شهيد كربلاء وسيد شهداء أهل الجنة ابن الإمام على - كرم الله وجهه . وسبب إنشاد الفرزدق لتلك الأبيات : أن هشام بن عبدالملك حج قبيل ولايته الخلافة ، فكان - إذا أراد استلام الحجر - زوحم عليه ، وإذا دنا علىُّ بن الحسين من الحجر تفرقوا عنه إجلالا له ، فوجم لها هشام وقال : من هذا ؟ فما أعرفه ، فأنشأ الفرزدق يقول هذه الأبيات .

فأمر هشام بحبسه ، فحبس بعسفان ، وبعث إليه علىُّ بن الحسين باثنى عشر ألف درهم وقال : اعذر أبا فراس . فردها وقال : ماقلت ذلك إلا غضبا لله ولرسوله . فردها إليه وقال : بحقى عليك لما قبلتها ، فقد علم الله نيتك ورأى مكانك . فقبلها .

نسبه :

أبوه .. الحسين بن على - كرم الله وجهه - ابن أبى طالب بن عبدالمطلب بن هشام بن عبد مناف .

أمه .. سلَّامة **سُلافة** بنت ملك الفرس يزدجرد .

مولده : ولد فى نحو سنة ثمان وثلاثين .

قال ابن سعد : هو علىٌّ الأصغر ، وأما أخوه علىٌّ الأكبر ، فقتل مع أبيه بـ « كربلاء » .

شدة خشيته الله :

عاش الإمام علىٌّ بن الحسين فى إطار من خشية الله التى يجب أن يتصف بها كل مؤمن ، وكانت خشيته لله عظيمة .

روى العتبى عن أبيه أنه قال : كان على بن الحسين إذا فرغ من وضوئه للصلاة ، وصار بين وضوئه وصلاته ، أخذته رعدة ونفضة . فقيل له فى ذلك ، فقال : ويحكم ، أتدرون إلى من أقوم ؟ ومن أريد أن أناجى ؟

وإذا كانت الرعدة تأخذه قبيل صلاته ووقوفه بين يدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فما باله لو ذهب إلى الله ضيفاً ملبيا نداءه ؟

يصف لنا هذه الحالة مصعب بن عبدالله ، عن مالك ، فيقول : « أحرم علىٌّ بن الحسين ، فلما أراد أن يلبى ، قالها ، فأغمى عليه ، وسقط من ناقته فهُشِّم . فلم يزل به بعض ذلك حتى قضى حجته .

ويروى أن أبا نوح الأنصارى ، قال : وقع حريق فى بيت فيه علىٌّ بن الحسين وهو ساجد ، فجعلوا يقولون : ياابن رسول الله النار . فما رفع رأسه حتى طفئت . فقيل له فى ذلك ، فقال : ألهتنى عنها النار الأخرى .

حبـــه للفقـــراء :

كان ابن الحسين محبا للفقراء ؛ إذ كان يراهم نقلة أمواله إلى الآخرة بغير أجر . ولعل حبه هذا يبين من قول المنهال الطائى : إن على بن الحسين كان إذا ناول الصدقة السائل ، قبله ثم ناوله . إلا أنه كان قليلا ما يُرى وهو يعطى الفقراء ، حتى رمي بالبخل ؛ وذلك أنه كان يفضل صدقة السر ، ويؤثرها على صدقة العلن .

قال شيبة بن نعامة : كان على بن الحسين يُبَخَّل (*) فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة .

إن الذين بخلوه ، هم الذين لم يروا أعماله ليلا ، فهذا أبو حمزة الثمالى يقول : كان على بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ، ويقول : إن صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل .

وقال بعضهم : مافقدنا صدقة السر ، حتى توفى علىٌّ ، فلما مات وجدوا بظهره آثاراً مما كان يحمل بالليل .

نظرته إلى العلم :

لعل نظرة الإمام علىٍّ بن الحسين تتضح من ذلك الحديث الذى دار بينه وبين الزهرى ، عندما قال : حدثت علىَّ بن الحسين بحديث فلما فرغت قال : أحسنت ! هكذا حُدِّثناه ، قلت : ما أرانى إلا حدثتك بحديث أنت أعلم به منى !! قال : لاتقل ذاك ، فليس (ما) لا يعرف من العلم ، إنما العلم (ما)عرف وتواطأت عليه الألسن .

وكان ـ رحمه الله ـ يتتبع العلم حيث كان ، فكان يجلس إلى زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير يوماً : « غفر الله لك أنت سيد الناس

(*) بخَّله : رماه بالبخل ونسبه إليه . لسان العرب مادة (بخل)

زين العابدين على بن الحسين

وأفضلهم ، تذهب إلى هذا العبد[1] فتجلس معه ؟ - فقال : إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه فى دينه .

ولم يكن العلم فى نظره مجرد حفظه ومدارسته ونشره ، حتى (تتواطأ) عليه الألسن ، إنما العمل به هو جوهره ، لذلك لما حدث بحديث أبى هريرة « من اعتق نسمة مؤمنة أعتق الله كل عضو منها بعضو منه من النار ، حتى فرجه بفرجه » نجده يعمد إلى غلام له فيعتقه ، وكان عبدالله بن جعفر قد عرض عليه فيه عشرة آلاف درهم .

غزارة علمه :

وعى الإمام علىٌّ من العلم الكثير ؛ فقد كان يقول : « إن العلم ينبغى أن يتبع حيث ما كان » . ولعل الشاهد على غزارة علمه ، ما قاله الزهرى : « دخلنا على علىِّ بن الحسين بن على . فقال : يازهرى فيم كنتم ؟ قلت : تذاكرنا الصوم ، فأجمع رأيى ورأى أصحابى على أنه ليس من الصوم شىء واجب إلا شهر رمضان . فقال : يازهرى ليس كما قلتم » ، ثم بين أن له وجوها كثيرة منها ماهو واجب ، وماهو حرام وماهو بالخيار . ذكر أبو نعيم من الصوم الواجب : صوم رمضان ، وصيام شهرين متتابعين - يعنى فى قتل الخطأ لمن لم يجد العتق - قال تعالى : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ . . . النساء /٩٢ وصيام ثلاثة أيام فى كفارة اليمين - لمن لم يجد الإطعام - قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ . . . ﴾ المائدة/ ٨٩

وذكر من الصوم الذى صاحبه بالخيار :

* صوم الاثنين والخميس ، وصوم ستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم يوم عرفه ، وصوم يوم عاشوراء ... الخ .

بعـــض اقـــواله :

* « إن الجسد إذا لم يمرض أشر [2] ، ولا خير فى جسد يَأْشَرُ » .

* « لايقولن أحدكم اللهم تصدق علىّ بالجنة ، فإنما يتصدق أصحاب الذنوب ؛ ولكن ليقولن : **اللهم ارزقنى الجنة ، اللهم مُنَّ علىَّ بالجنة** » .

* إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوما عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار » .

وقد سئل يوما عن كثرة بكائه ، فقال : لاتلومونى فإن يعقوب فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات ، وقد نظرت إلى اربعة عشر رجلا من أهل بيتى [أى ماتوا] فى غزاة واحدة ؛ أفترون حزنهم يذهب من قلبى ؟

ولعل ذلك مادفعه لأن يقول :

* « فقد الأحبة غربة » .

رأيه فيمن بالغ فى حب الإمام على - كرم الله وجهه - وآله :

كان الإمام علىّ بن الحسين حريصا على تصحيح المفاهيم الخاطئة التى أرساها أهل الأهواء ، والصقوها فى حق الإمام علىّ بن أبى طالب - كرم الله وجهه - ، فكان يرد على ذلك بشدة ووضوح . يقول :

---

(١) يقصد زيد بن اسلم ، مولى عمر بن الخطاب .

(٢) الأشَرُ : البطر ، وقيل : أشد البطر . (لسان العرب : مادة أشر) .

جاءني رجل قائلا : جئتك في حاجة ، وما جئت حاجا ولا معتمرا ، قلت : وماهي ؟ قال : جئت لأسألك متى يبعث عليّ ؟ فقلت : يبعث ـ والله ـ يوم القيامة ، ثم تهمه نفسه .

وهاهو يقول : يامعشر أهل العراق ، يامعشر أهل الكوفة ، أحبونا حب الإسلام ، ولا ترفعونا فوق حقنا .

ومرة أخرى ، وقد اجتمع عليه ناس ، فرددوا ذلك فقال : « أحبونا حب الإسلام ـ لله ـ عز وجل ـ فإنه مابرح بنا حبكم حتى صار علينا عارا .

مـــن ادعيتـــه :

« اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوائح العيون علانيتي ، وتقبح في خفيات العيون سريرتي ؛ اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إليّ ، فإذا عُدْتُ ، فَعُدْ عليّ » .

* « اللهم لاتكلني إلى نفسي ، فأعجز عنها ، ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني » .

* « عبيدك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك » سمعه طاووس يقول ذلك وهو ساجد في الحِجْر ، قال : فوالله مادعوت بها في كرب قط إلا كُشِفَ عني .

نصيحتـــه لابنـــه :

يابني اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ، ولا تُجب أخاك إلى الأمر الذي مضرته عليك أكثر من منفعته له » .

مـــن روى عنهـــم :

حَدَّثَ عن أبيه الحسين الشهيد ، وكان معه يوم كائنة كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة ، وكان يومئذ موعوكا فلم يقاتل ، ولا تعرضوا له ، بل أحضروه مع آله إلى دمشق ، وحَدَّث أيضا عن جده مرسلا ، وعن صفية أم المؤمنين ، وذلك في « الصحيحين » وعن أبي هريرة ، وعائشة وروايته عنها في «مسلم » ، وعن أبي رافع ، وعمّه الحسن ، وعبد الله بن عباس ، وأم سلمة ، والمِسْوَر بن مخرمة ، وزينب بنت أبي سلمة ، وطائفة . وعن مروان بن الحكم ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن مرجانة ، وذكوان مولى عائشة ، وعمرو بن عثمان ابن عفان ، (وليس بالمكثر من الرواية).

وروى عنـــه :

أولاده : أبو جعفر محمد ؛ وعمر ؛ وزيد المقتول ، وعبدالله ، والزهري ، وعمرو بن دينار ، والحكم بن عتيبة ، وزيد بن أسلم ، ويحيى بن سعيد ، وأبو الزناد ، وعلي بن جُدْعان ، ومسلم البطين ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعاصم بن عبيدالله ، وعاصم بن عمر بن قتادة بن النُّعمان ، وأبوه عمر والقعقاع بن حكيم ، وأبو الأسود يتيمُ عروة ، وهشام بن عروة ، وأبو الزبير المكي ، وأبو حازم الأعرج ، وعبدالله بن مسلم بن هرمز ، ومحمد بن الفرات التميمي ، والمنهال بن عمرو ، وخلق سواهم .

بعض ما رواه :

عن عليّ بن الحسين أن الحسن بن عليّ أخبره أن عليّ بن طالب ـ رضي الله عنهم ـ أخبره أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : طرقه وفاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لهما : « ألا تصليان؟ » . قال عليّ فقلت : يارسول الله إنما أنفسنا بيد الله ـ عز وجل ـ فإن شاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قلت ذلك له ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول :

زين العابدين على بن الحسين

« وكان الإنسان أكثر شىء جدلا »[٣] صحيح متفق عليه .

* عن علىّ بن الحسين أن عمرو بن عثمان أخبره أن أسامة بن زيد أخبره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال« لايرث المسلمُ الكافرَ » .

* عن علىّ بن الحسين أن صفية - رضى الله عنها - أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلا تزوره - وهو معتكف فى المسجد - فحدثته قالت ثم قمت فقام معى - وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد - فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبى - صلى الله عليه وسلم - أسرعا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « على رِسْلِكما إنها صفية بنت حيى ، فقالا : سبحان الله يارسول الله ! فقال : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا » . أو قال شراً - لفظ معمر ، وهو من صحاح حديث الزهرى ، متفق عليه .

* عن علىّ بن الحسين قال : « أخبرنى رجل من أهل العلم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم لعظمة الرحمن عز وجل ، فلا يكون لرجل من بنى آدم فيه إلا موضع قدميه ، ثم أُدعى أول الناس فأخر ساجدا ، ثم يؤذن لى فأقول : يارب ، أخبرنى جبريل هذا - وجبريل عن يمين العرش ووالله ماراه قط قبلها : أنك أرسلته إلىّ . وجبريل ساكت لايتكلم ، ثم يؤذن لى فى الشفاعة ، فأقول : أى رب ، عبادك عبدوك فى أطراف الأرض ، فذلك المقام المحمود » . صحيح تفرد بهذه الألفاظ علىّ ابن الحسين لم يروه عنه إلا الزهرى ولاعنه إلا إبراهيم بن سعد ، وعلىّ بن الحسين هو أفضل وأتقى من أن يروه عن رجل لايعتمده فينسبه إلى العلم ويطلق القول به .

وكان - رحمه الله - ورعا شديد الورع ، حتى أن رجلا حينما قال لابن المسيب : مارأيتُ أوْرَع من فلان ، قال : هل رأيتَ علىّ بن الحسين ؟ قال : لا ، قال : مارأيتُ أورع منه » .

وقال عنه الزهرى : «مارأيت قرشيا أفضل من علىّ بن الحسين » .

وقال عمرو بن ثابت : «كان لايضرب بعيره من المدينة إلى مكة » .

وكان معتدا بنفسه ، يحب المظهر الطيب ، فكان يعتم ويرخى منها خلف ظهره .

وكان يلبس فى الصيف ثوبين ممشقين من ثياب مصر ويتلو :﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ الأعراف /٣٢ .

وفـــاتــــه :

قال الواقدى ، والبخارى مات سنة أربع وتسعين وقال أبو جعفر الباقر : عاش أبى (ثمانيا وخمسين سنة) وقبره بالبقيع ، ولا عقب للحسين إلا من قبل ابنه زين العابدين .

---

(٣) سورة الكهف آية ٥٤ .

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ إيفان قوليس سفير تشيكوسلوفاكيا بالقاهرة .. وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

فى بداية اللقاء أعرب السيد السفير عن سعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر مؤكداً على اهمية الدور الذى يقوم به الأزهر الشريف ..

وقد نقل السيد السفير رغبة رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا فى القيام بزيارة الأزهر الشريف خلال زيارته القادمة لمصر فى نهاية هذا العام ، وذلك للتباحث وتبادل الآراء والتعرف على دور الإسلام فى العالم الحديث .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن ترحيبه بالسيد رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا فى أى وقت ..

وقد دار خلال اللقاء حوار مفيد حول عملية السلام فى الشرق الأوسط أوضح فيه فضيلة الإمام الأكبر موقف الإسلام من قضية الحرية واحترام حقوق الإنسان .

وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تبليغ الرئيس التشيكى تحيات الأزهر وترحيب مصر بزيارته لها ..

الامام الأكبر يلتقى والسيد سفير تركيا بالقاهـرة

استقبل فضيلة الإمـام الأكبر الشيـخ جـاد الحق على جـاد الحق شيخ الأزهـر السيد / ميثان ميكيك سفير تركيا بالقاهرة ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر ..

وقد أعرب السيد السفير عن امتنانه بهذا اللقاء وأعلن انه يحمل تحيات المسئولين الأتراك والشعب التركى لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف ..

وأوضح أن هذه اللقاءات تعبر عن الصلات الطيبة بين الشعبين المصرى والتركى الممتدة عبر التاريخ الطويل ..

كما أعرب عن سعادته للعمل للمرة الثانية فى مصر التى يكن لها كل حب وتقدير .

وقد دار اللقاء فى جو ودى تبادل فيه فضيلة الإمام الأكبر وضيفه الآراء والمعلومات من أجل التنسيق بين الأزهر والهيئات التعليمية فى تركيا ..

فى نهاية اللقاء أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن تمنياته للسيد السفير بإقامة طيبة فى القاهرة راجياً له دوام التوفيق ..

أنبـــــاء وآراء

الأزهـر يدين العدوان الاسـرائيلى على المحكمة الشرعية بالقـدس

طالب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر العالم المتحضر أن يقف وقفة حازمة مع إسرائيل لانتهاكها حرمة دور القضاء وقداستها ..

وطالب فضيلته الأمم المتحدة بالتدخل لاسترداد ما استولت عليه القوات الإسرائيلية المعتدية على المحكمة الشرعية بالقدس الشريف .

ودعا فضيلة الإمام الأكبر فى بيان أصدره فى الثالث والعشرين من نوفمبر الماضى ، الشعوب العربية والإسلامية وكل الشعوب التى تنادى بالسلام أن تقف ضد هذا العدوان وأن تتعاون لمؤازرة الفلسطينيين وحمايتهم ..

واختتم فضيلته البيان بأن الأزهر يرفض هذا السلوك الإسرائيلى فى وقت يجرى فيه التفاوض نحو إقرار السلام ويدعو الفلسطينيين إلى اليقظة والحرص على ممتلكاتهم والذود عنها ..

أنباء العالم الاسلامى

احتفلت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جادالحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، رئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية باختتام الدورة العالمية الخامسة عشرة للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى اشترك فيها أئمة ووعاظ من دول جزر القمر - مدغشقر - وسيراليون - وأوغندا - وتنزانيا - زائير - جيبوتى - كوت ديفوار ، فى المدة من أول أغسطس ١٩٩١ م ولمدة ثلاثة أشهر .

وقد درس الأئمة والوعاظ خلال مدة الدورة العلوم الإسلامية ومقارنة الأديان والخطابة العملية والنظرية ، وكذلك تاريخ التشريع ونظم الحكم فى الإسلام والاستشراق .

وقد تحدث فى الحفل أحد السادة الأئمة نيابة عن الدارسين فى الدورة ، فشكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وحكومة جمهورية مصر العربية على استضافتهم للدورة والفكرة التى تربط أئمة ووعاظ العالم الإسلامى بكعبة العلم الإسلامى فى العالم (الأزهر الشريف) .

ثم خُتم الحفل بكلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، فحث المشاركين فى الدورة على تحرى الدقة فى الفتوى وأن يكونوا على اتصال دائم بالأزهر الشريف فى كل ما يعن لهم من مشاكل تعوق الدعوة الإسلامية فى بلادهم وتمنى لهم دوام التوفيق فى عملهم .

ثم قام فضيلته فى ختام الحفل بتوزيع شهادات إتمام الدورة على السادة الأئمة والوعاظ المشاركين فى الدورة .

* * *

إحدى المحاكم الهندية تمنع إقامة معبد هندى مكان مسجد قديم

قضت حكمة الله العلى القدير فى الكون أنه لا يصح إلا الصحيح .. فقد منعت إحدى المحاكم الهندية المتطرفين الهندوس من إقامة معبد لهم مكان مسجد (بابرى) بمدينة (ايوريا) ، والذى تم بناؤه فى القرن السادس عشر .

وقد ابلغت الحكومة الهندية بحكم المحكمة هذه لتنفيذه .

الجدير بالذكر : -

أن المسلمين الهنود رغم كثرتهم إلا أنهم يتعرضون لمحاولات اضطهاد كثيرة من المتطرفين الهندوس ، وقد حاول الهندوس فى محاولات كثيرة هدم بعض المساجد لإقامة معابد لهم بدلاً من المساجد .

« والله غالب على أمره »

« أئمة ووعاظ من أفريقيا وآسيا وأوروبا لحضور الدورة التدريبية السادسة عشرة التى ينظمها الأزهر الشريف

تنظم الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر رئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية ، الدورة السادسة عشرة للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى فى المدة من ١٩٩١/١٢/١م ، وحتى آخر شهر فبراير ١٩٩٢ م ، ويشترك فى هذه الدورة أئمة ووعاظ من دول :- نيجيريا - وغينيا كوناكرى - توجو - الصين - الاتحاد السوفيتي - ألبانيا .

ويقوم بالتدريس فى هذه الدورة علماء الدعوة الإسلامية فى مصر - ومقر الدورة - مدينة البعوث الإسلامية بالأزهر .

وقد يتلقى الأئمة والوعاظ خلال هذه الدورة دروساً فى الدعوة الإسلامية والاستشراق واللغة العربية وعلوم القرآن ونظم الحكم فى الإسلام وتاريخ التشريع وتجويد القرآن الكريم والفقه المقارن والحديث وعلومه .

ويتسلم كل إمام مكتبة إسلامية بها أمهات الكتب ، وذلك ليستعين بها فى أداء رسالته عند رجوعه إلى بلده .

* * *

« بدء أعمال القمة الاسلامية فى شهر ديسمبر بداكار

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أن مؤتمر القمة الإسلامى سيعقد اجتماعاً بمشيئة الله فى (داكار) عاصمة السنغال فى شهر ديسمبر من هذا العام .

ومن المقرر أن تشترك فى المؤتمر جميع الدول الإسلامية الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

والجدير بالذكر : -

ولأول مرة سوف تشترك الجمهوريات الإسلامية السوفيتية كمراقب تمهيداً لانضمامها إلى منظمة المؤتمر الإسلامى .

ويؤكد الخبراء أن اشتراك وفود من الجمهوريات الإسلامية السوفيتية كمراقبين فى المؤتمر يعد اعترافاً جماعياً من جميع الدول الإسلامية المشتركة باستقلال هذه الجمهوريات عن الاتحاد السوفيتي .

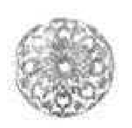

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية « الإسلام فى عالمه الجديد » د . على احمد الخطيب	٦٠٩
كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة ذكرى مرور ١٠٠ عام على إنشاء كلية دار العلوم	٦١١
بيان من الأزهر الشريف باستنكار التعدى على المحكمة الشرعية بالقدس لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	٦١٨
علامات المؤمنين وجزاؤهم د . عبد الجليل شلبى	٦٢٠
قبس من أنوار النبوة « أغنى الناس من اتقى الله » الشيخ على حامد عبد الرحيم	٦٢٤
فقه الأصول والفروع الشيخ محمد حسام الدين	٦٢٦
حول شهادات الاستثمار للمستشار احمد محمد إبراهيم	٦٣٠
ذو الجناحين « جعفر بن أبى طالب » د . عبد العزيز غنيم	٦٣٤
مشيخة علماء أسيوط بقلم د . مجاهد توفيق الجندى	٦٣٩
الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى د . محمد عبد العليم العدوى	٦٤٤
كشمير المسلمة أ . ماهر زكريا الشيمى	٦٥٠
اشد الناس عداوة للذين آمنوا لواء أ . ح فوزى محمد طايل	٦٥٤
المحافظة على المنشآت الاقتصادية لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ	٦٦٠
الفتـــاوى إعداد احمد السيد تقى الدين	٦٦٥
الشعر والشعراء	
اشراف رشاد يوسف	
شـاطـىء الإيمـــان للشاعرة جليلة رضا	٦٦٨
يانفس خاف الله للشاعر ابى نواس	٦٦٩
شعر السفاح التغلبى تحقيق ايمن ميدان	٦٧٠
من اعلام الأزهر « د . محمود بن الشريف » بقلم صفوت جودة احمد	٦٧٦
طرائف ومواقف أ . عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٦٧٨
من روائع الماضى « القرآن وقواعد النحو » للشيخ محمد محمد المدنى	٦٨٠
العلوم الكونية	
التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة حضارية أ . د احمد فؤاد باشا	٦٨٤
الجديد فى العلم والتقنية د . نجوى السيد احمد	٦٨٧
تأخر الحمل والعقم د . احمد رجاء عبد الحميد	٦٩٠
اللغة والأدب والنقد	
صدى وصية إلى حبيب	٦٩٤
نظرات عصرية فى القرآن الكريم بقلم السيد حسن قرون	٦٩٧
لحظات طيبات مع الإمام : زين العابدين بن على بن الحسين إعداد : عادل خفاجة	٧٠٢
انبـــــاء وآراء إعداد : عبد المنعم فودة مصطفى عبد المجيد	٧٠٧
القسم الفرنسى	
المقالة الثانية : هدى حسنين	٧١٥
المقالة الأولى : رقية جبر	٧٢٤
القسم الانجليزى	
اشراف د . انس النجار	
المقالة الثانية : د . علية شليفر	٧٣٠
المقالة الأولى : سعد مصطفى مصطفى	٧٣٤

père doit le marier et lui laisser ensuite le choix de continuer à vivre sous sa tutelle ou de jouir de sa liberté en se frayant seul un chemin dans la vie .

Toutes ces directives sont confirmées par le Coran et la Sunna, : Ainsi, on trouve daus le coran :

- « [Les mères allaitent leurs enfants deux années entières pour qui veut parfaire l'allaitement. Au père de l'enfant il incombe de pouvoir à la nourriture et à l'habillement de la manière reconnue convenable] » .

le sens du verset 233
La VACHE

- [Croyants! Préservez- vous, ainsi que les vôtres d'un feu auquel hommes et pierres serviront de combustibles : un brasier gardé par des anges gigantesques et violents qui n'enfreignent en rien les ordres d'Allah et exécutent ce qui leur est commandé] .

Le sens du verset 6
L'interdiction

Ce dernier verset recommande à l'homme de préserver toute sa famille de l'Enfer. On y parvient par la soumission à Allah, degré qu'on ne peut atteindre que si l'on est instruit de ses devoirs . Comme l'enfant, est aussi un membre de la famille, ce verset prouve la nécessité» pour le père d'instruire son enfant, de l'éduquer, de le conseiller, de l'exhorter à faire le bien, à obéir à Allah et à son Prophète mais aussi de le préserver de l'hérésie, des péchés et du mal pour le mettre à l'abri du supplice de l'enfer .

Le verset cité ci-dessus : [Les mères allaitent leurs enfants deux années entières ....] , fait mention du devoir du père de pourvoir aux dépenses de son enfant. C'est pour cette raison que la mère nourricière est rétribuée .

Le Prophète salut et bénédiction sur lui a dit :

— Cinq pratiques inhérentes à la nature humaine à savoir : la circoncision, l'épilation du pubis, le rasage des moustaches, la taille des ongles et l'épilation des aisselles .

— Traitez vos enfants avec égards car ils sont des dons qui vous sont offerts .

— Quand vous faites des dons à vos enfants, soyez équitables .

Habituez vos enfants à accomplir la prière dès l'âge de 7 ans. Punissez-les à l'âge de 10 ans, s'ils la négligent, et séparez-les au lit . En ce qui concerne le devoir paternel, le Prophète- salut et bénédiction sur lui a dit : «Il est du devoir du père de bien élever son enfant et de lui donner un beau nom» .

Omar Iben khattab dit à ce sujet : «Le père doit apprendre à son enfant l'écriture et le tir. Il ne doit le nourrir que de ce qui est pur et licite. Choisissez vos épouses dans de bonnes familles, car le caractère est héréditaire et récessif .

«J'implore Allah de nous guider vers le droit chemin afin que nous soyons soumis à Ses ordres à Ses commandements .

Seigneur! Accorde-nous Tes bienfaits dans ce monde et dans celui de l'au-delà et que Ton salut, Ta bénédiction et Grâce soient accordés à l'homme par excellence, à Mohammad salut et bénédiction sur lui- et à tous ceux qui défendent ses principes j'usqu'au Jour Dernier» .

Hoda Chaaroui

femmes de se rendre aux mosquées. Quand l'une d'elles demande la permission de s'y rendre, autorisez - la» .

(لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وإذا استاذنت امراة احدكم إلى المسجد فلا يمنعها) .

3 - La femme doit veiller à ne jamais trahir son époux à prendre soin de ses enfants de ses biens et de tout ce qui concerne le foyer de son mari. Allah a prescrit cela : «Les femmes vertueuses, restent fidèles à leurs époux absents et maintiennent intact ce que Allah a prescrit de sauvegarder» .

Le sens du verset 34 -
Les Femmes

﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ .

Le Prophète - salut et bénédiction sur lui - a dit aussi : «Il est de votre droit d'exiger qu'elles n'autorisent pas celui que vous ne désirez pas, de fouler vos tapis, ni de s'introduire chez vous» .

(فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون) .

LE COMPORTEMENT AU LIT.

1 - Il convient de flirter avec sa femme pour éveiller son désir. Le Prophète - salut et bénédiction sur lui- dit : «Que l'un de vous n'assaille pas sa femme comme une brute. Dépêchez un messaget ! mais quel messager, Envoyé d'Allah, lui demanda-t-on? C'est le baiser c'est la conversation intime répondit le Prophète- salut et bénédiction sur lui» .

2 - Il faut dire, avant d'approcher sa femme «Bismillah! au nom d'Allah Seigneur ! Préserves-en ce que tu nous accordes comme enfant» .

Si le mari prononce cette formule avant d'approcher sa femme, Satan n'aura aucun pouvoir sur leur enfant, si Allah décide de leur en accorder un de cette copulation .

(اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا) .

3 - Il est interdit d'approcher l'épouse en période de menstrues ni de lochies avant qu'elle ne soit complètement purifiée et lavée . Mais, il est permis au mari de jouir de sa femme - en état de menstrues ou de lochies sans attouchement des organes sexuels .

Allah dit «tenez - vous à l'écart de vos compagnes en période de menstrues et ne les approchez qu'une fois qu'elles se seront purifiées» .

Le sens du verset 222
La Vache

﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ .

COMPORTEMENT ENVERS LES ENFANTS.

L'enfant a aussi des droits sur son père. Celui- ci doit faire bon choix de la mère, donner un nom convenable à son enfant, célébrer à son attention la cérémonie d'Al-Akika, (qui est le sacrifice d'un mouton le 7ème jour de sa naissance) le circoncire, le traiter avec amour et douceur, veiller à son entretien, bien l'élever, lui donner une formation culturelle et morale satisfaisante, l'habituer à appliquer les enseignements de l'Islam, à en pratiquer le culte et les actes surérogatoires. Quand l'enfant atteint l'âge mûr, le

protéger sa chasteté et sa pudeur, la préserver de toute corruption morale ou religieuse, ne jamais lui permettre ni désobéissance à Allah ni libertinage. Il est le responsable chargé de sa protection. Le Prophète-salut et bènédiction sur lui- a dit : «L'homme est gouverneur dans sa famille. Il lui sera demandé compte de ses responsabilités» .

4 - Si le mari a plus d'une femme, il est tenu d'être équitable juste entre elles, dans la nourriture, le logement, les rapports sexuels et l'habillement. Une équité absolue doit être observée car Allah éprouve toute injustice. Il dit : «Si vous craignez d'être pratiaux, que ce soit alors une seule épouse» .

le sens du verset 3
Les Femmes

Le Prophète - salut et bénédiction sur lui- fit cette recommandation en faveur des femmes : « Le meilleur d'entre vous est celui qui se conduit le mieux envers sa femme. Je suis meilleur que vous envers ma famille» .

(خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلي) .

5 - Il ne doit jamais trahir le secret de sa femme, ni révéler ses défauts. Il est son homme de confiance chargé de la protéger et de la défendre .

Le Prophète - salut et bénédiction sur lui-a dit : «L'homme le plus désavantagé, le Jour de la Résurrection est celui qui, après s'être confié à sa femme et que celle -ci a fait de même, se met à trahir son secret» .

(أن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امراته وتفضى إليه ثم ينشر سرها) ؟

B) Les Droits du mari sur sa femme :

1 - La femme doit obéissance à son mari en tout ce qui n'est point illicite. Le Prophète - salut et bénédiction sur lui-dit :

«S'il m'avait été permis d'ordonner à quelqu'un de se prosterner devant un autre, c'est bien à la femme que j'aurais ordonné de se prosterner devant son mari» .

(لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها)

Il a dit aussi : «Quand l'épouse ne répond pas au désir sexuel de son mari et que celui-ci passe la nuit mécontent d'elle, les anges ne cessent de la maudire j'usqu'au matin» .

(إذا دعا الرجل امراته إلى فراشه فلم تاته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) .

2 - La femme doit garder le foyer conjugal, ne pas le quitter sans le consentement de son époux. Si elle sort, elle est appelée à baisser le regard, à ne pas causer de mal, ni prononcer des propos vulgaires et indécents. Elle doit bien traiter les proches parents de son mari, car, manquer d'égards envers eux, c'est se conduire mal envers son époux. Le Prophète - salut et bénédiction sur lui a dit :

«La meilleure épouse est celle qui te réjouit quand tu la regardes, quand tu lui donnes un ordre, elle s'y conforme et quand tu t'absentes, elle préserve aussi bien ton honneur que tes biens» .

(خير النساء إذا نظرت إليها سرتك وإذا امرتها اطاعتك)

Il dit aussi : «N'empêchez pas les

﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيراً ﴾ .

Un homme demanda au Prophète salut et bénédiction sur lui-: Quels droits a la femme de l'un d'entre nous sur son mari ?

- Il doit la nourrir quand il se nourrit, dit-il, l'habiller quand il s'habille, éviter le visage quand il la corrige. Il ne doit ni l'avilir ni la mettre en quarantaine que chez elle . Il dit aussi :

- Les droits qu' elles ont sur vous, c'est de les traiter aimablement, de les habiller et de les nourrir .

- L'homme croyant ne doit pas haïr sa femme : s'il trouve en elle un défaut, il a également une qualité qui le satisfait.

2 -Il doit l'instruire de l'essentiel de sa religion, si elle l'ignorait, ou lui permettre d'assister aux cercles d'instruction tenus dans les mosquées. Son besoin de consolider sa foi et de purifier son âme, n'est pas moindre que la nourriture qu'il lui fournit .

3 - Le mari doit encourager sa femme à suivre les enseignements de l'Islam et la ligne de conduite et à suivre il doit même exiger cela d'elle fermement. Il ne doit pas lui permettre de paraître daus une tenue indécente, de faire parade de ses charmes, de fréquenter des hommes qui sont suscepti bles légalement de l'épouser . Il doit

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾

Voici également cette exhortation du Prophète - salut et bénédiction sur lui - qui dit "Recommandez - vous réciproquement de bien traiter les femmes" .

Le Musulman se conduit de la sorte en signe de soumission à Allah . Quant aux droits particuliers exigés de part et d'autre, ils sont comme suit :

A) Les droits de l'épouse sur son mari .

Le Musulman est tenu de traiter convenablement sa femme, selon la prescription d'Allah .

Il doit la nourrir et la vêtir comme il le fait pour lui-même. Dans le cas où la femme brave les ordres de son mari, les dédaigne et se montre inflexible, il doit la ramener à la raison par les moyens qu'Allah lui a permis d'employer, c'est à-dire il l'exhorte sans l'insulter ni l'humilier, il l'abandome dans le lit coujugal. Si, malgré cela elle se montre intraitable, il la corrige mais sans brutalité : I.e. ni lui causer une blessure, ni la priver de l'usage d'un membre ou d'un sens; et il ne doit point la frapper sur le visage. Voici ce que prescrit le **coran :** [Pour celles dont vous craignez l'inconduite, vous pourrez les blâmer, leur tourner le dos dans le lit, les corriger même, si besoin est. Si elles se sont soumises, vous ne tenterez plus rien contre elles. Allah est si haut si grand] .

Le sens du verset 34
Les Femmes

LES RELATIONS ENTRE EPOUX.

Le Musulman reconnaît les bons rapports qui doivent régner entre les époux. Chacun d'eux a des droits sur l'autre. Allah les a signalés ainsi : [Les femmes ont autant de droits que de devoirs vis-à-vis de leurs époux. Une certaine prééminence demeure acquise aux hommes]
le sens du verset 228 laVache

« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم »

Ce verset a fixé à chaque conjoint des droits qui lui sont propres, mais il a reconnu des droits spécifiques aux hommes dans certaines conditions. A l'occasion de son pèlerinage d'adieu, le Prophète - salut et bénédiction sur lui a mentionné ces droits en ces termes «Vous avez des droits sur vos femmes et elles ont des droits sur vous». Quelques - uns de ces droits sont communs, d'autres sont particuliers à chacun d'entre vous .

LES DROITS RÉCIPROQUES :
1 - LA FIDÉLITÉ .

Chacun des deux époux doit, à son conjoint, une fidélité absolue. La vie conjugale est une cellule sociale. La fidélité, la sincérité la franchise et la loyauté sont de rigueur dans la vie publique comme dans la vie privée des deux époux .

2 - L'AMOUR .

Chacun éprouve envers l'autre la meilleure part d'amour et de tendresse, et cela pour toute la vie. Allah a dit : [C'est un signe de lui que d'avoir créé pour vous des épouses, issues de vous-mêmes, auprès desquelles vous délassez. Il a suscité entre vous et elles affection et bonté] .
le sens du verset 21 Les Bysantins

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

3 - LA CONFIANCE RÉCIPROQUE :

Chacun des deux époux doit avoir une entière en son conjoint, une confiance qui n'admet aucun doute ni en sa franchise ni en sa fidélité. Chacun des deux doit considérer l'autre comme une partie de lui-même .

Partant de ce principe comment ne pas avoir confiance en soi-même? L'homme peut-il se duper lui-même ?

4 - LA CIVILITÉ COUTUMIERE .

Les deux époux doivent observer les actes de civilité coutumière telles que la sérénité de visage, le doux langage, la bienveillance et le respect. Ce sont là les rapports prescrits par le CORAN qui recommande [Vivez avec elles en bons rapports] .
le sens du verset
Les Femmes

pour dire qu'Abou-Bakr ordonna à Zaïd de ne point se fier uniquement à la mémoire, mais de chercher pour chaque verset deux témoins, copies écrites chez deux personnes. Il annonça dans la ville que tous coux qui possédaient des fragments écrits du Coran devaient les montrer à Zaïd. Un récit précise que ceci se passait à la grande mosquée[28], où Omar adjurait les témoins de dire si leurs copies avaient été contrôlées par le Prophète. Un autre récit affirme qu'Omar lui-même présenta un texte sur la lapidation des adultères, mais faute d'autres témoins[29], on le rejeta[30]. La copie préparée pour Abou-Bakr s'appelle généralement Mushaf[31] (lieu, ou collection, des feuilles), mais parfois également Rab'a[32] qui selon la racine signifie "la in 4[0]". Selon Ibn Kathîr[33], ce la signifie la collection des cahiers. Pour l'époque d'Othmân, on partle non seulement de deux scribes[34] principaux, mais même de quatre[53], probablement pour classifier les textes écrits sur des objets disparates. On parle également de douze[36] membres, probablement pour préparer plusieurs exemplaires. Selon les sources, c'est 4 ou 7 exemplaires[37] qu'Othmân envoya dans les grands centres de son immense empire, s'étendant de la Transoxiane jusqu'en Andalousie[38]. Il ordonna même de détruire les copies qui ne se conformaient pas à l'édition officielle[39].

A la lecture des divers récits, on a cette impression[40] que ce que Zaïd cherchait ce n'était pas seulement des fragments écrits du Coran, mais des rédactions de première main, sous la dictée personnelle du Prophète. Un récit[41] dut même qu'Abou-Bakr en trouva des feuilles dans la maison du Prophète, et qu'il les relia par un fil. Il n'existait apparemment pas de texte complet, sinon on ne se serait pas donné la peine de chercher des fragments parmi le public.

(Voir suite)

Dr Rokaya GABR

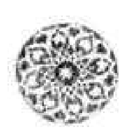

Obayy Ibn Ka'b, et disaient des choses que les Irakiens n'avaient pas entendues; ces derniers les ont donc accusés de mécréance . De même les Irakiens, qui suivent la lecture d'Ibn Mas'oud et lisent des choses que n'ont pas entendues les Syriens ; et les Syriens les ont accusés de mécréance. Zaïd ajoute : Othmân ibn Affân m'ordonna alors d'écrire pour lui un Coran, et me dit : Je te donnerai comme aide un homme intelligent et de goût littéraire . Ecrivez tous deux le Coran . Toutes les fois qu'il y aura une divergence entre vous deux, référez-m'en . Il nomma pour cela Abân Ibn Saïd Ibn Al-Aas — (également scribe du Prophète). Lorsque les deux (scribes) arrivèrent au verset (II,247) sur l'arche d'alliance, Zaïd dit : C'est tâbouh, et Abân dit : Non, c'est tâbout. Puis nous en référâmes àd Othmân, qui l'écrivit tâbout. Zaïd ajoute : Quand je l'eus terminé, je le collationnai. A ce moment je m'aperçus qu'il y manquait le verset (XXXIII, 23). Je l'ai présenté aux Mohâjirs, pour demander (s'ils le possédaient par écrit), mais je ne l'ai trouvé chez aucun d'eux. Puis je l'ai présenté aux Ansâr, pour demander (s'ils le possédaient), mais je ne l'ai pas trouvé chez eux non plus, sauf chez Khozaïma, c'est-à-dire fils de Thâbit. Alors je l'écrivis. Ensuite je le collationnai encore une fois, et je trouvai qu'il y manquait deux versets (IX. 128-9)[24]. Je me suis adressé anx Mohâjirs, mais n'ai trouvé ces (versets) chez aucun d'eux. Puis je me suis adressé aux Ansâr, pour leur demander à ce sujet. Chez eux non plus, je ne les ai pas frouvés, sauf chez un autre homme du même nom Khozaïfma. lors je les écrivis à la fin de la sourate 9. Si (au lieu de 2), il y avait eu 3 versets, je les aurais constitués en une sourate indépendante. Ensuite Othman demanda à Hafsa de lui prêter le volume (d'Omar), et jura qu'il le lui rendrait. Alors elle le lui donna. Othmân le collationna avec la (nouvelle copie), mais n'y trouva aucune différence. Il rendit donc le volume à Hafsa, et il en fut tout à fait heureux. Puis il ordonna au public de transcrire leurs copies du Coran (à partir de cette édition) .

Relevons quelques divergences ou détails supplémentaires d'après d'autres sources, comme Bokhâri, etc. La transcription sur des cahiers date du temps d'Abou-Bake et non pas d'Omar ce dernier possédant la copie confectionnée pour Abou Bakr Omar[26] songea à publier une édition officielle, mair mourut avant de le faire; cela revint donc à son successeur Othmân, La rédaction d'Othmân ne fut pas faite indépendamment du texte gardé par Hafsa, avec lequel elle aurait été collationnée par la suite, elle n'a été que la transcription de ce même texte, avec amélioration de l'orthographe de certains mots. Un récit dit[27] que lors de la première rédaction, Zaïd refusa de travailler si Omar ne collaborait pas avec lui. Les sources sont unanimes

préoccupaient l'attention du gouvernement et de la communauté . La bataille de Yamâma, contre l'imposteur Mosailima, fut particulièrement sanglante : cent mille ennemis contre treize mille Musulmans . Ceux-ci ne purent résister . Alors les Musulmans de la première heure, donc connaissant davantage le Coran, décidèrent de se séparer du gros de la troupe . Ils furent au nombre de trois mille et se placèrent sous le commandement de Sâlim, des plus grands connaisseurs du Coran . On les appelle les bataillons des connaisseurs du Coran . Sept cents de ces commandos de suicide périrent en compagnie de leur commandant, mais l'armée ennemie fut aussi anéantie .

Reportons-nous au scribe particulier du Prophète, Zaîd ibn Thâbit, qui dit (cf. Commentaire de Tabari I, 20) :
« Quand un certain nombre des compagnons du Prophète eurent été tués dans la bataille de Yamâma, Omar se rendit auprès du (calife) Abou-Bakr et dit : Les compagnons de l'Envoyé d'Allah tombent à Yamâma à la façon des papillons dans le feu, et je crains qu'ils le fassent toujours s'ils rencontraient une occasion (pareille) de se faire tuer, cependant qu'ils sont les porteurs du Coran. Ainsi le Coran sera perdu et oublié. Si tu le réunissais et le faisait écrire ... ! Abou-Bakr s'enfuit, et dit : « Ferais-je ce que n'a pas fait l'envoyé d'Allah ? » Ils échangèrent (des arguments) là-dessus . Ensuite Abou-Bakr fit venir Zaîd ibn Thâbit, qui rapporte : je me rendis chez lui cependant qu' Omar était tout prêt . Alors Abou- Bakr me dit : Celui-ci (: Omar) insiste pour que je fasse quelque chose que je refuse : Tu as été le scribe de la Révélation . Si tu es d'accord avec lui, je vous suivrai tous deux. Mais si tu es d'accord avec moi, je n'entreprendrai pas cette chose. Puis Abou-Bakr raconta le dire d'Omar, tandis que ce dernier se taisait. Je m'enfuis de cette (suggestion), et dis : « Fera-t-il ce que n'a pas fait l'Envoyé d'Allah ? jusqu'à ce qu'Omar dit un mot : Quel mal à vous si vous faites cela ?» Nous réfléchîmes, puis dîmes : Par Allah il n'y a pas de mal contre nous en cela. Zaîd ajoute : Abou-Bakr m'ordonna, et le l'écrivis lur des morceaux de cuir des omoplates et des nervures médiales de dattiers . Quand Abou-Bakr mourut et qu'Omar lui succéda, ce dernier l'écrivit en un seul volume (mushaf), qui resta chez lui . Quand lui aussi mourut, il resta chez (sa fille) Hafsa, veuve du Prophète . Puis Hodhaifa Ibn al-Yamân rentra après avoir participé — (en l'an 25 ou 30, selon les chroniqueurs) — à l'expédition contre l'Arménie, mais avant même d'aller dans sa maison (à Médine), il se rendit chez (le calife) Othmân, et lui dit : O calife, prends soin des gens ! Et lui de dire : « Qu'y a-t-il ? » Hodhaifa dit : « J'ai participé à l'expédition contre l'Arménie, expédition où il y avait des Irakiens tout comme des Syriens . Mais les Syriens suivaient la lecture coranique selon

Le papier n'existait pas encore, et les Musulmans de la Mecque pré-hégirienne, puis ceux de Médine se servaient, chacun selon ses moyens, de différents objets pour copier pour eux le texte du Coran : morceaux de parchemin et de cuir tanné, tablettes de bois, omoplates de chameaux, espèces de pierres blanches assez tendres pour que l'on y puisse graver facilement le texte, nervures médianes des dattiers, morceaux de poteries brisées, et ainsi de suite. (Un grand spécialiste de la question, le professeur Manâzir Ahsan Gîlâni pense que l'emploi d'os se de pierres était motivé par le souci de la conservation : une chose gravée risquait moins l'effacement qu'une chose écrite. De même le parchemin et le cuir étaient plus solides que le papyrus . Comme la Révélation ne se faisait que par fragments, on la notait provisoirement sur de menus objets, en attendant l'achèvement de la sourate, pour la copier ensuite sur des matériaux plus convenables) .

Evidemment tous les Musulmans de la première époque n'étaient pas également doués pour des vocations intellectuelles. Réaliste, Muhammad n'exigea pas non plus que tout un chacun prit toujours sans exception copie des révélations. Les uns étaient illettrés, les autres trop occupés à gagner leur vie, d'autres encore habitaient trop loin de la résidence du Prophète pour être quotidiennement au courant des nouvelles révélations, dont certaines furent reçues lors des voyages de Muhammad. Tout cela explique pourquoi personne ne possédait le texte complet : certains fragments chez les uns, et d'autres chez les autres, — par centaines déjà au temps de Muhammad .

Mais simultanément Muhammad insistait pour que l'on apprit par coeur le texte, afin de pouvoir le réciter lors des offices liturgiques. Là aussi il n'était pas obligatoire de se remémorer le texte tout entier : les uns apprenaient certaines sourates, d'autres certaines autres, mais quelques-uns la totalité des sourates. On dit[21] qu'au temps de la mort du Prophète, 4 à 8 Ansâr (tribu d'origine médinoise), dont une femme[22], étaient (sachant par coeur le texte tout entier, plus volumineux que le entateuque et les quatre Évangiles réunis); le nombre chez les Muhâjirs (d'origine mecquoise) n'est pas mentionné, mais ne doit pas être moins important .

C'est par cette double méthode que Muhammad voulut assurer la conservation de l'intégrité du texte du Coran : par écrit et de mémoire. Les fautes de graphie pouvaient être rectifiées par le texte appris par cœur, et les déficiences de la mémoire par référence au texte écrit. Cette lecture ou récitation pieuse se pratiquait toute la vie; elle se perpétua de génération en génération, jusqu'à nos jours : on étudie le texte devant un maître attitré, qui certifie l'authenticité du texte appris. Nous y reviendrons .

A la mort du Prophète, on n'y pensa pas tout de suite : les guerres dites de l'Apostasie, commencées dès les derniers mois de la vie de Muhammad,

Le Coran fut chose écrite même avant l'Hédine. Le Coran (XXV, 5, LVI. 79, XCVIII, 2, etc.) en témoigne. Mais on ne sait pas la date exacte où Muhammad pensa à faire rédiger par écrit les révélations qu'il recevait. On en parle déjà en l'an 5 de l'apostolat (8 avant l'Hégire), et on dit que la copie de la sourate 20 (chronologiquement 54) que possédait la soeur d'Omar fut à l'origine de la conversion d'Omar à l'Islam. Ibn Ishac cite cela en même temps qu'une autre explication du motif de sa conversion, où n'est pas question de documents écrits, et l'auteur ne sait pas lequel des deux récits est à préférer. Mais le premier récit est rapporté par d'autres sources aussi (mentionnées par Suhilī)[15], où l'on précise que le document contenait au moins encore une sourate (la 81, chronologiquement 7). Il ne faut pas oublier que la toute première révélation eut pour thème l'éloge de la plume comme moyen de connaissance humaine. De là le souci du Prophète pour la conservation du Coran par écrit. Et. en effet, la sourate 80 (chronologiquement 24) parle aux versets 11-16 des copies écrites du Coran .

Les sources[16] sont d'accord pour dire que toutes les fois qu'un fragment de Coran était révélé, le Prophète appelait un de ses compagnons lettrés, et le lui dictait, tout en précisant la palce exacte du nouveau fragment dans l'ensemble déjà reçu. Rappelons que Muhammad n'a pas voulu une codification mécanique, par ordre chronologique, des révélations, mais un order qui donne aux passages une suite logique, et un développement cohérent, selon le style particulier du Coran. Les récits précisent[17] qu'après la dictée, Muhammad demandait au scribe de lui lire ce qu'il avait noté, pour pouvoir corriger les déficiences s'il y en avait .

Un autre célèbre récit[18] nous dit que le Prophète récitait chaque année, au mois de Ramadân, devant Gibril tout le Coran (révélé jusqu'alors), et qu'à ce moment la mémoire de Muhammad devenait en fait de Coran "plus féconde que le vent portant la pluie"; que le Ramadân qui précéda sa mort, Gibril le lui fit réciter par deux fois, chose dont Muhammad conclut à l'achèvement définitif de sa mission et à une mort prochaine. Ce récit implique tout au moins que lors du saint mois des jeûnes, le Prophète s'occupait chaque année de la révision du texte tout entier. On sait que des l'époque du Prophète les Musulmans prirent l'habitude de veiller, le mois de Ramadan, par des offices surérogatoires, en récitant le Coran tout entier. Plusieurs sources ajoutent que lors de cette dernière collation (arda)[19], son scribe Zaid[02] était présent. D'autres parlent de nombreux autres personnages aussi. Faut-il penser que le Prophète récitait le texte, en présence de ses compagnons collationnant leurs copies, et de Gibril prêt à intervenir s'il oubliait quelque chose ?

datant du Prophète, quelqu'un alors se rappelait des faits décisifs pour le problème. Dans la deuxième génération, les mémoires furent amalgamès, mais conservèrent les indications sur leur provenance. Plus tard, des codes plus vastes furent rédigés, selon les narrateurs, selon les sujets„ et ainsi de suite. On élabora une science de critique du Hadith, pour connaître l'authenticité de chaque récit individuel, pour en déterminer la date chronologique. en vue de déclarer lors d'un conflit entre deux récits egalement authentiques, lequel était abrogeant et lequel abrogéou limité à un cas particulier, et ainsi de suite .

Lors du dernier pèlerinage, Muhammad s'était adressé à cent quarante mille Musulmans. On peut avoir par là une idée du nombre des Musulmans à cette époque. Un spécialiste de l'époque classique nous assure que parmi ces centaines de milliers de compagnons du Prophète, plus de cent mille ont laissé de plus ou moins nombreux récits sur le Prophète[11]

Les codes du Hadîth sont nombreux. Ceux qui furent préparés par Bokhâri, Muslim, Tirmidhî, Abou-Dâoud, Nasâï et Ibn-Mâja — et surtout les deux premiers — ont trouvé la confiance la plus grande au sein de la communauté musulmane. Le plus ancien qui soit parvenu jusqu'à nous est la Sahîfa d'Abou-Huraira (mort 58 H.) à son élève Hammâm ibn Munabbih (m. 101 H.), document qui prouve l'authenticité impeccable des données des auteurs postérieurs comme Bokhâri, Muslim, etc .

Supposons que Bokhâri dise : Je tiens d'Ahmad Ibn Hanbal, qui le tient d'Abdar-Razzâc, qui le tient de Ma'mar, qui le tient de Hammâm, qui le tient d'Abou-Huraira, que le Prophète a dit telle ou telle chose. Depuis la fin de la deuxième guerre mondiale, on a découvert les manuscrits de Hammâm, de Ma'mar et d'Abdar Razzâc, — l'ouvrage d'Ahmad étant depuis longtemps connu. Or, en cherchant dans ces sources antérieures à Bokhâri, on constate que Bokhâri n'a ni menti ni ramassé le simple folklore de son époque : il se repose sur des sources écrites et authentiques .

IV - Histoire de la Rédaction du Coran :

HISTOIRE DE LA RÉDACTION DU CORAN

La toute première révélation, comportant les cinq premiers versets, très courts, de la sourate 96, resta gravée dans la mémoire de Muhammad, et il a dû la répéter souvent quand il racontait l'évènement à ses amis. Il y eut ensuite une interruption de trois ans, après quoi les révélations reprirent leur cours, et cela continua pendant kes derniers vingt ans, dont dix à Médine, de la vie de Muhammad .

rien de sa propre impulsion : tout, en lui, est Révélation à lui adressée. A partir de ce verset, et d'autres encore, la personne du Prophète prend une importance particulière au sein de l'Islam. Car non seulement ce qu'il dit, mais même ce qu'il fait ou tolère devient loi pour sa communauté, pour toujours.

Mais Muhammad faisait lui-même une distinction dans ce qu'il communiquait à sa communauté : pour certains messages, il disait : C'est d'Allah ; parfois, en attendant une Révélation, il faisait de lui-même effort de déduction de bon sens. Il arriva parfois qu'Allah n'approuva pas la décision prise par le Prophète, et immédiatement une Révélation vint la corriger, pour que sa communauté ne voile pas la volonté divine. Il y a donc distinction nette entre la personne publique du messager d'Allah et la personne privée de Muhammad - distinction pourtant sans grande portée, car si l'initiative privée du Prophète n'était pas abrogée par une Révélation, la communauté n'avait pas les moyens de savoir s'il s'agissait d'une opinion personnelle du Prophète, approuvée par Allah, ou de quelque chose basée dès l'origine sur la Révélation.

En outre, même la Révélation fut divisée par Muhammad en deux catégories très nettes : de certains cas, il disait : C'est d'Allah ; écrivez-le et apprenez-le par cœur pour le réciter liturgiquement dans les offices de prière-et c'est le Coran; ; des autres cas, il disait : Faites-le : même sans rien dire, il le pratiquait lui-même, et n'en ordonnait pas la codification. De la la différence entre la Révélation révélation récitée *(wahy matlour ,* la Révélation non-récitée *(wahy ghair matiou)* C'est cette dernière catégorie ainsi que les récits sur la pratique du Prophète en général (Même ses initiatives "privées") qu'on appelle indifféremment Hadîth ou Sunna.

"Hadîth" signifie la parole ; et Sunna signifie la conduite ou le comportement. il s'agit des deux à la fois, mais comme la langue arabe ne possédait pas un mot pour comprendre à la fois la parole et le comportement de quelqu'un, on emploie ici les deux termes dans le même sens. (il y a une subdivision du. Hadîth : parfois le Prophète, disait : Allah dit..., sans pourtant en ordonner l'inclusion dans le Coran. On appelle ce Hadîth : qudsi, c. - à-d. parole sainte).

Mohammad prit lui-même soin de la codification du Coran, non pas de celle du Hadîth. Ce dernier provient des mémoires privés de ses compagnons, sans critère autre que leurs propres capacités. Certains compagnons du Prophète, comme Abdullah ibn Amr[9] ou Anas ibn Mâlik[10], commencèrent la rédaction de leurs mémoires sur les paroles et les actions du Prophète dès son vivant; d'autres n'en sentirent le besoin qu'après sa mort; d'autres encore communiquèrent leurs connaissances oralement à leurs élèves ou, lorsqu'on cherchait un précédent

tour : "lorsque la révélation se faisait au Prophète, il transpirait, même au jour le plus froid[3]. Un autre ajoute : le Prophète pesait alors si lourd que si par hasard il se trouvait sur sa chamelle, elle préférait s'agenouiller, et si elle s'obstinait, alors ses jambes se courbaient, et l'on craignait qu'elles n'aillent craquer. Un autre compagnon précise : un jour je me trouvais auprès de lui, sa cuisse posant sur la mienne, à cause de l'affluence dans la salle (on est assis à même le sol, jambes repliées). Tout à coup l'état de révélation le saisit, et je sentais un poids écrasant qui devait briser mon fémur. Par Allah s'il ne s'était pas agi du Messager d'Allah j'aurais poussé des cris de douleur et retiré ma jambe[5].

Quelquefois le Prophète s'étendait sur le dos, et l'on couvrait son visage de drap[6], mais ce fut plutôt rare. En général, il restait sur place, assis, immobile, et on le voyait pris d'extase, mais en quelques instants, il revenait à son éat normal[7].

C'est en état de pureté spirituelle et rituelle du Prophère que l'archange se présentait. Khadija, première épouse de Mohammad, rapporte[8] : "Au début de sa mission. Lorsqu'il me parla des visites de l'ange, je lui dis : Peux-tu me faire signe, lors d'une prochaine visite ¿ Un jour, il me dit : Le voilà qui apparaît : Je dis à Mohammad de' s'asseoir à ma droite. puis demandai : Le vois-tu ? Il dit : Oui. je le fis asseoir à ma gauche, devant moi, et derrière moi, et posai toujours la même question, recevant la même réponse. Ensuite je pris mon mari dans mes bras et tout à coup il dit : Non, je ne le vois plus. Je compris alors que vraiment c'était un ange, car le Diable ne se serait jamais éloigné de nous lors de notre intimité conjugale.

II La durée de la Révélation du Coran :

Le Coran ne fut pas révéle tout à la fois, mais en fragments pendant vingt-trois ans (610-632) - Mohammad était né en 569 - et cela de la façon si chère aux juristes : chaque révélation à l'occasion même où l'on en avait besoin, et pour trancher un problème concret. Il aurait été bien absurde qu'à l'occasion d'un décès quand il aurait fallu promulguer la loi d'héritage, révélation eût été fait d'une loi pénale !

Le Coran que nous possédons se divise en 114 chapitres de dimensions très variées. Les chapitres eux-mêmes n'étaient pas toujours révélés en entir ; parfois plusieurs sourates furent à la fois objet de révélations fragmentaires; on les codifiait selon les directives du Prophète lui-même. Nous y reviendrons. Ce travail de compilation dura toute la vie missionnaire du Prophète, et le tout date de l'époque de Prophète lui-même : après sa mort la révélation cessa, et la communauté n'avait aucun droit d'ajouter ou de supprimer.

III La Coran et la Sunna

Selon le Coran, Mohammad ne dit

(1) Quelques aspects de la Science du Coran

Préambule .

Mohammad Hamidullah est célèbre dans les milieux qui s'intéressent aux études islamiques.

Professeur à l'Université d'Istambul, il est l'auteur d'une interprétation du Coran en langue française, publiée en l'an 1399 de l'Hégire (1973 J.C) Dans l'introduction de cet ouvrage, Hamidullah présente une excellente étude sur la Révélation et l'histoire de la rédaction du Coran .

Vu l'importance et l'intérêt d'une telle recherche faite par cet éminent savant, nous nous proposons à d'en présnter des extraits en vue d'en faire profiter le plus grand nombre de Musulmans .

Quelques aspects de la Science du Coran :

Le Coran est la "Parole incréé d'Allah" révélée à Son Envoyé, Mohammad (à lui bénédiction et salut) destinée à devenir le Livre Saint de la communauté Musulmane .

I - Comment eut lieu la Révélation ?

Voici ce que nous apprend Hamidullah à ce sujet :

Allah est transcendant et au-delà de toute perception humaine. Pourtant Il est plus près de l'homme que sa veine jugulaire (Coran, L, 16) : et c'est à Lui qu'il faut obéir. Par Sa grâce, Allah a choisi d'Allah temps en temps, chez tous les peuples, des hommes pour recevoir les révélations du message divin pour ensuite le communiquer à leurs peuples. Allah charge les messagers célestes, les anges, surtout l'archange Gibril (étymologiquement "Puissance d'Allah de transmettre le message de d'Allah au messager-homme, au prohète[2].

Mohammad a dit lui-même à diverses reprises à ses compagnons : la révélation se fait de différentes façons : parfois Gibril Prend la forme d'un homme, qui me parle comme parle un homme, parfois commè un être particulier, doté d'ailes, et je retiens tout ce qu'il me dit. D'autres fois, j'entends comme une cloche sonner dans mes oreilles - et c'est là la plus dure les épreuves - et tout, comme si c'était gravé dans ma mémoire.

Ses compagnons repportent à leur

REVUE AL-AZHAR

Section Française

CONTENU

Dr Rokaya GABR
1) Quelques aspects de la Science du
Coran (voir suite) .

Mme Hoda Hussein Chaaraoui
2) Les Rapports Entre Les Epoux

And the Most Merciful never, never forsakes. For when the babe was nigh,
when Maryam was to deliver, Allah protected them
when those around her said : You have brought us a shocking thing.
Thus it was in time that Isa be protected and justified.
Maryam had perception from her Lord and then,
Mercy, by virtue of the words of a prophet :
I am a Sign from Allah, and He gave me knowledge
and Allah is the Best of Teachers.
And I was sent (as a messenger) to mislead not, nor trouble-make,
nor was I sent through indecency.
nor was I sent through sin (*).

According to classical scholars, Maryam is one of the great symbols of devoutness, sincerity and aubmission in Islam because of her extensive trust and belief in the miracles of Allah. In addition, to her belief in the message that was conveyed to her by Jibril about her ensuing conception of Isa and his purpose. Furthermore, she maintained her faith in spite of the insults peretrated against her by her own people, and thus she is emphasized in the text of the Holy Quran as a spiritual example for mankind. Maryam together with her son is a unified symbol to mankind of the power of Allah over all his creations. And Maryam as an individual is revered in Islam as a spiritual light in her own right.

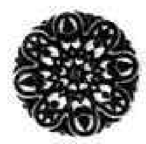

(*) The author's translation of this poem, was re-cast into poetic form by S. Abdullah Schleifer.

of Aaron).(*) But, Allah redeemed Maryam, the Faithful, in the speech of the baby, the meanings of the original Arabic Text of the Holy Quran are :

" Then she pointed to him. They said : How can we talk to one who is in the cradle, a young boy ?
"He spoke : Lo ! I am the slave of Allah. He hath given me the Scripture and hath appointed me a Prophet",
"And hath made me blessed wheresover I may be, and hath enjoined upon me prayer and almsgiving so long as I remain alive"
"And (hath made me) dutiful, kind to my mother, and not arrogant or troublesome." (19 , 29-32).

The following poem by Umayyah highlights the spiritual and miraculous nature of Maryam's life :

"And in your din, Allah, Subhanallah, the Lord of Maryam, made
Maryam and the slave, Isa Ibn Maryam, a Sign, Clear, Proof.

Maryam, who turned in repentance to her Lord, lived thereupon in chastity,
and He exalted her above the carping crowd.
She had no wish nor even thought of marriage, nor passion or
Platonic Company with men.
So Maryam lived, apart from any guradian kin, dwelling alone for her Lord
at the land's edge of desolation.
Her presence veiled from the traveller by night and even so by day.

A messenger from beyond this world and appetites, came down while all else slept :
Worry not, nor deny an angel from the Lord of Ad an Jurhum,
Heed and receive what you are asked to accept, for I am a messenger
from the Most Merciful, come with a son.

Said Maryam : How is this to be ?
I am neither with child, nor wayward nor a whore.

I give myself to the Most Merciful; if you be His messenger, then sit indeed, or go.

So he praised Allah and dazzled her and breathing deep his breath,
deep to her cloak's pit.
By him she became with child; an act for which there is no twin.

(*) In an effort to make sure that the unknowledgeable amongst the believers do not make the error of assuming that Maryam was actually the sister of Aaron, the scholars stress the great time span between the eras in which the two lived and explain that it is a reference to her pious ancestors and her position at the Temple.

Maryam's dedication by her mother, Hannah, to the sole purpose of worship, even before she was born, was an indication, a foretoken, of the kind of life she was to lead. Hannah's request was accepted, thus, according to Islam, making Maryam the only female of Bani Isra'il to have been given this honor. "Allah accepted her from her mother as one concecrated to Him and made her physically beautiful and made it easy for her and placed her among the pious of His subjects to learn knowlege, goodness and His religion from them. Therefore, He made Zakariyya her guardian so that she could gain this knowledge and piety from him. Zakariyya was the spiritual guide of Maryam bint Imran, Imran being her ancestral name, representing a people whom Allah chose because of their religion, because they had surrendered to the Will of Allah, the believers with respect to their acceptance of the Oneness of Allah and to their obedience to Him.

Maryam represents the epitome of sincerity in her faith. This outstanding strength of faith, which was to be tested throughout her life, was most pointedly examined when she was but more than a child. First, the angel, Jibril (Gabriel), (Alayhi as-salam), appears in the form of a perfect Man in order not to chock her with his true angelic form so that she would be able to accept what he was about to tell her. Nevertheless, Maryam, the pure, was frightened and prayed to her Lord for protection from this seeming mortal, and apparent stranger. Jibril then explained who he was and what Allah had sent him to do. Upon hearing this news, Maryam submitted immediately to the Will of her Lord, and Jibril breathed (blew) some of the Spirit of Allah into the hollow of the sleeve of her garment, and Allah's command : "Kun Fa Yakun" (Be ! And so it is), she conceived.

Then, when the labor pains came upon her, Maryam, the Pure, withdrew alone to give birth. There under a palm tree, fearing, that she would be suspected (by the people) of evil in her religion and abused, reproached, and this would tempt her (i.e., to lose her strength of faith), and that her family would suffer because of the slander associating her with adultery as this would be ruinous for them, she cried out to her Lord. This experience was the supreme test of Maryam's faith. It was such a severe test that Allah took mercy on her and provided her with food and drink. Having done so, He commanded her to fast, a fast which included not speaking to anyone for a day, a fast which was to replenish her faith such that she, Maryam, the Virgin, would be able to present to her people her newly-born baby. Finally, she set off with the infant to face the slanderous accusations of her people. In this context, the meanings of the original Arabic Text of the Holy Quran are :

"Then she brought him to her own folk, carrying him. They said : O Maryam ! Thou hast come with an amazing thing".
"O sister of Harun ! Thy father was not a wicked man nor was thy mother a harlot". (19 : 27-28).

Upon seeing her with this child, and having no knowledge of her having married anyoene, they accused her and slandered her using the epithet : Ya Ukhta Harun (O sister

The question may arise as to why Maryam, who was born to be eternally free of sin, devoted herself so staunchly to worship. Maryam's worship was an indication of her full submission to her Lord's command of obedience.

Therefore, Maryam's intense worship indicates both her desire to fulfill her Lord's command, and her gratefulnes for having been chosen for her unique position above the women of the worlds.

In Arabic, Maryam is entitled, "Al-Batul". She is called the Virgin Mary in the Christian context, thus stressing the physical aspect of her purity. The Arabic word, Al-Batul implies more. According to Lisan Al-Arab, the root of Batul, "batala", means to sever, or to cut off.

Lisan Al Arab further states that "Al-Batul min an-nisa" is the woman who separates herself from men, having no desire or need for them; thus, Maryam, "Al-Adhra" (the Virgin), was called "Al-Batul" because of her abstention from marriage, her severance from all concern with worldy affairs in order to worship Allah. "Batul" may also refer to physical beauty, in additon to spiritual excellence; consequently, she is described as the most beautiful and the most excellent of the women of her time.

The fact that Maryam was chosen to abstain from marriage and sever ties with worldly affairs distinguishes her in the Islamic context, as it places her outside the realm of what is generally advised for the believers, male or female. In Islam, the injunction for the Muslim is to be morally chaste before mariage; then to marry if possible, preserving this chastity in the sense of abstaining from extra-marital relations. In this context, the following meanings of the Arabic Text of the Holy Quran indicate :

"Let those who find not the wherewithal for marriage keep themselves
chaste until Allah gives them means...." (24 : 33).
" For men and women who guard their chastity..... For them has
Allah prepared forgiveness and great reward." (33 : 35).

The Qur'anic injunctions of the Arabic Text of the meanings of (24 : 33) and (33 : 35) apply to both men and women; thus, Muslim women are normally expected to marry, even re-marry in case of widowhood or divorce. The extraordinary status of Maryam who was designated never to marry, but to remain together with her son. The exceptions to this condition are found in the special status of the widows of the Prophet who were prohibited from re-marrying after his death; according to a Quranic command whose meanings of the Arabic Text are :

"Nor is it right for you that ye should annoy the Messenger of Allah,
or that ye should ever marry his widows after him. (33 : 53).

SAYYIDAH MARYAM,
THE ISLAMIC SYMBOL OF PURITY AND FAITH

By Dr. Aliah Schleifer

Maryam, the mother of Isa (Jesus), (alayhima as-salam), symbolizes a variety of lofty charactersitics to the traditional scholars of Islam. She has been described as the outstanding example of the mother, and she exemplifies the qualities of submission, devoutness, fait,.purity, righteousness, saintliness. Two of her attributes, have been chosen for the focus of this article; her purity and her faith. As texts about Maryam are found in the Holy Qur'an and the honourable Hadith, there is a substantial amount of classical commentary on the subject. The meanings of the Arabic Text of the Holy Quran

"And when the angels said: O Maryam! Lo ! Allah hath chosen thee and purified thee, and hath preferred thee above the women of all nations." meaning of verse (3 : 42).

Explications of the meaning of "purified thee" describe a range of characteristics of physical, moral and spiritual purification, Maryam was purified from any bad habits, and from the touch of man and the accusations of her people. She was purified from rebellious disbelief (kufr), and she was purified from sin, from the blemishes that are found in the religion of other women.

The following sound hadith emphasizes the exent of Maryam's purity, from birth to death :

"Abu Hurayrah narrated that the Messenger of Allah - (Alayhi Al-Salatu Wal-Salam) said : Each person, when his mother gives birth to him, is an instinctive believer. And his parents later make him a Jew or a Christian or a Magian (Fire worshipper); and if his parents are Muslims, then he will be a Muslim. Each person, when his mother gives birth to him, is struck by Satan in his sides, except Maryam and her son." (Muslim).

This Hadith stresses the Islamic doctrinal point that everyone is born pure of sin, but Satan immediately interferes, except in the case of Maryam and Isa, and also that it is one's environemt and upbringing that attempt to maintain the purity or distort it.

its precise explanation remains only in Allah's Knowledge and Providence; it is beyond the bracket of human conceptualization. The unity of life of every creation, and the unity of sustenance are preordained, and prequantified within The Supreme Soverign Equitable order of creation. All created things, animate and inanimate depend on Allah for their existence, this dependence can be construed as their continual utterance of Praise to Allah, of their figurative or actual prostration in devout worship to Allah.

The relation of esteem, love, and respect incumbent upon mankind towards parents is another theme of Islamic culture of major significance. The provisions of such injunction are among the doctrinal teachings of the Holy Quran. It is a Divine Ordinance, a Decree fom Allah, that parents should be treated with kindness, respect, dignity, honour, and to bestow upon them tenderness and genuine gratitude. This conduct ranks as an act of piety of the highest spiritual grace. The form of behaviour towards parents is a perpetual phenomenon of human life from one generation to another. Human generations do not only inherit genetic characteristics, they also inherit their own previous forms of behaviour towards their parents. It is a debt to be paid, an account that must be settled by Divine Justice.

Human life is a complete integrated complex systems of actions, events, interactions, mass and energy transfers, physical and spiritual changes; and all this within a perfect orderly system of conservation, within itself and with the infinite order of cosmic creation. The exact detailed multidimensional mechanisms that take place within this system is certainly beyond human recognition. This understanding must be evisaged with the maximum supreme value for human development of thought and rationality. This value is the vehicle and expression of Divine Wisdom, Transcendent Omniscence, Absolute Equity, Sovereign Guidance, Supreme Light.

Mankind is endowed with senses, rationatity of thought and understanding, and within him is the Transcendent Spirit. The purpose of man's creation is tremendous, he is the crown of creation, deputized to be the vicegerent of Allah on earth. Through this function, the natural human seraphic, divine, ethical actions must prevail. Indeed, through his physical nature, man must enjoy nature in all its forms. However, this enjoyment must be regularized by limits of appropriate priority, necessity and valuation. All acts must pertain to morals and values. There should be no theft, no cheating or monoply, no hording, no exploitation, no egotism or selfishness, no extravagance, wastefulness, or ostentatious consumption. Unchastity is condemned, and also all acts of vice and malice. The preservation of rights and justice, social stability, human fraternity, education, work, sense of duty, patience, and family integrity are all themes of Islamic culture. The greatness of Islamic culture originates from the greatness of the Islamic Theism itself, to develop firm conviction, to make the effort to strive for the fulfillment of the injunctions and ordinances of the Supreme Transcendent Light of Sovereignty.

are vócally resonated by the tongue, and echoed in the silence of the conscious mind. Not only mankind utters Praise to Allah; indeed everything in the infinite realms of the cosmic creation is in continual perpetual incessant Praise to Allah. Every atom, molecuke and particle in the vast universe are in permanent everlasting constant rhythm, uttering Praise to Allah, however we humans may not understand their language of praise. The ultimate purpose of "Praise to Allah" is to preserve the human seraphic element of mankind in unison and harmony with The Transcendent Light of the Absolute Supreme Being to become part of the integrated system of creation, in which every sybatamic body exhibits a sepecific phenomena which is its language of Praise to Allah.

The first aspect that emerges from the confident belief in Unicity of The Supreme Being is the absolute undisputable fact and reality of dictum that every individual human life has a specified period of time. This is the precise duration of one's life. Every human individual has a predetermined span of life to live; such is ordained by Divine Providence. Allah alone is the Life-Giver, and He alone is the Life-Taker. No power exists that can lengthen or shorten human life to one more extra breath. Everything is accurately defined and precisely predetermined with Divine Exactness. Every muscle contraction, every blink of the eye, every syllable uttered every morsel ingested; every atom of oxygen breathed; everything in human life is preordained by Divine Will, The Equitable, The All-Cognizant. Human life, a brief spell, a walking shadow, a grave responsibility for those who think. The Islamic understanding of life affirms that mankind is a guest in this world, an ephemeral visitor, whose departure from life is inevitable, determined only by Absolute Omnisciense. Such conceptualization entails the deep insight perception that mankind during life must conform with the Divine doctorines and injunctions stipulated and ordained by The Creator. Mankind is the vicegerent of Allah on earth because of his exclusive possession of the faculty of rational thought. For this, mankind has been entrusted with the Responsibility (Amanah) for which he will be judged by his conduct in life as a believer, a hypocrite, or an unbeliever. The believers are those who profess faith, and bring forth the fruits of their faith to their ambient life. The unbelievers are those who openly deny Faith, and form whom therefore no cultural fruits of faith are expected. The hypocrites are those who profess faith but do not strive to bring the fruits of faith into human life.

The second aspect that emerges from the confident belief in the Unicity of Allah, is the ultimate truth and actuality that man's sustenance in life is quantified by the Equitable Creator. Everything is prescribed by its measure, its character and destiny. No creature creeps on earth but Allah provides for its sustenance; He knows its purpose and destiny, preordained in His eternal order. Allah, The Sustainer, The Cherisher, provides sustenance to all ; this includes all means of physical, moral, intellectual, spiritual, and opulence growth and development according to His All-Cognizant Equitable will. To some, Allah grants in abundance, to others, the provision is constrained. Allah's Will is supreme, the quantified measure of sustenance for individual humans is precisely quantized. The scarcity or abundance is a matter that must be accepted with sincere content;

mankind assumes a cosmic function of paramount importance. This responsibility of obligation entrusted upon mankind constitutes all the actions, intentions, thought, the entire life, and the totality of human performance. This responsibility of obligation "Taklif" is exclusive without limits, the whole universe is the field of human function of responsibility. The characteristic paradigm of humanity in Islamic ontology is structured upon the meaning and content of "Taklif". Man's acceptance of the burden of "Taklif" promotes him to a higher level than the rest of creation, indeed higher than the angels. Only mankind is capable of "Taklif", and this fact constitutes the cosmic significance of humanity. The Islamic concept of humanism is genuinely unique; it is structured on "Taklif", and defines the value of mankind in terms of virtues. It also evaluates the virtues and ideals of human life in terms of human nature, without glorified idolization or malicious defamation. This Islamic concept of humanity is very different to the Christian concept which debases mankind with the "original sin"; and which was absolutized in order to require the incarnation and crucifixion of god for the redemption and atonement of mankind. The whole paradigm of Islamic culture is organized an "Taklif", addressing the faculty of thought as the superior master function of mankind.

In the monolithic uniform system of Islam, religious injunctions are an integral inseparable part of human life. These injunctions organize the conceptual understandings required for the performance of every infinitesimal action, intention or thought. The primal understanding in Islamic knowledge is the Unity of Truth, the ultimate principle of the Unity of The Divine Being. Fom this nucleus of Reality manifests the different phases of religious experience and the different levels of certainty of conviction. The life of the individual is constantly under the All-Seeing vision of Allah, under the norms of the Divine Will, and under the everlasting shadow of impending judgement according to the Divine balance of absolute justice. This is the optimized milieu of human self-discipline and functional self-motivation. Every order of nature is sustained by Divine Absolute Knowledge, where Transcendent Power provides mankined with the vast rich ground for action. The gates of knowledge of the sciences of the wonders of creation are wide open for experimental exploitation and development. All the facts and values, all become synthesized as one evidence of Tructh proceeding from Allah and fulfilling His Will. This means that every atom in the entire cosmos moves by Divine agency, in a Divine dependency, and for a value that is of a Divine Will. Such imderstanding is the essence of Islamic Culture, it is the Reality of the collective mind, and the ground plan upon which Islamic thought is structured.

Mankind is required to praise Allah for the infinite bounties provided for the service of the human race; everything in creation is harnessed to serve mankind. The statements "Praise be to Allah" (Alhamdu Lillah), "Allah is most supreme" (Allahu Akbar), "No power and no sustenance except from Allah" (La Hawla, Wala Quwata Illa Bellah); are uttered repeatedly by Muslims through the day, following every Salat. These statements

THEMES OF ISLAMIC CULTURE
Part III

By: Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The concept of the "Ummah" in Islamic doctrines provides the patterns of the fundamental basic intigrated social infrastructure that originates from the primordial element of the unequivocal conviction that there is no god but Allah, (La ilaha illa Allah). The binding matrix of the complete lattice of consmic creation including the totality of human existence is the outcome of that Primal Truth. This conviction entrusts the human cognitive function wtih a consistent milieu of conceptualization, characterized by its universality in nature and in function. Consequently, the cohesive unity of thought between individuals within the society will harmonize its ultimate performance into unison of propagation. Within the primordial element of unequivocal conviction that (there is no god but Allah) lies the nucleus of the conceptual understanding of Creation towards which the harmonized unison of propagation is directed, and upon which it is structured.

This holds that Allah alone is the sole Creator who gave everything its existence, who is the ultimate cause of every event, and the final End of all that is. Allah "The First" has the precedence, from His Being all else came to exist. Ultimately Allah is "The Last", all beings shall return to him, he disposes of their destiny. Allah is "The Evident" whose Existence and Omnipresence are established by evidence through the exercise of logic; yet His Presence can be visualized through perception of the senses. This conviction entails the conscious absolute understanding of its implications to realize that everything that surrounds us whether things or events, all that takes place in the natural, social and physical fields, and all that happens in the infinite realms of cosmic creation is the action of Allah, determined by His Will, discharged by His Power, for the fulfillment of His Purpose. Humans are not creators, they can neither give nor take away, they act as agents; and the moral worth or unworth of human deeds individually or collectively is exclusively the human responsibility.

Obedience to Allah and the observance of Divine injunctions are the objective pursuit of human life. Man has been invested with Divine trust, the fulfillment of the ethical aspect of Divine Will; whose very nature requires that it must be accomplished in the freedom of man's liberal elective volition. This function is the ultimate purpose of human existence, man's definition of the true meaning of his life. By virtue of this trust,

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol 64, Part VI

Jumadah Al Akhirah, 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

(The editor of the English Section advances his apolgeies for not publishing the article on Omar Ibn Al-Khattab, this month, for unavoidable reasons).

1.Theme of Islamic Culture (Part III)

By: Saad Moustafa Moustafa.

2- Sayyidah Maryam, The Islamic Symbol of Purity and Faith

BY : Aliah Schleifer

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

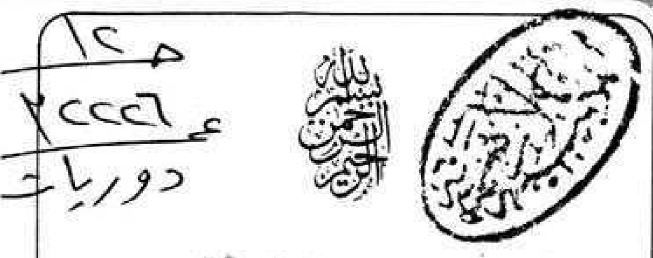

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رجب ١٤١٢ هـ

يناير ١٩٩٢ م

الجزء السابع

السنة الرابعة والستون

العظة وكبار النفوس

ونعني بـ « كِبَار النفوس » نفوسا تعرف في ذاتها ـ قيمتها ـ فلا يَغْلُو بها سَفَهٌ إلى غرور الكبر ، ولا تَسْفُلُ بها أَثَرَةٌ إلى دناءة الجهل ، وبمعرفتها لقيمتها عَرَفَتْ حُدودَها ، فقامت بواجبها امانة مُؤَدَّاةً ، ووِزْراً تتخفف عنه ، فإن نَزَغَهَا شيطان فما أسرع ماترعوى وتنقاد لطبيعة الخير فيها فتثوب إلى الله ـ تعالى مجده ، وتبارك عزه .

من تلك النفوس النادرة ابو ايوب سليمان بن عبد الملك الخليفة المرواني . كان جميلا مهيبا ، تانق يوم جُمُعَةٍ في ملبسه حتى اعجبته نفسه فَزُهِيَ بها لحظة إلى ان مرت إحدى نسائه ، فقال لها : كيف تَرَيْنَ امير المؤمنين ؟ قالت : اراه مُنَى النفس وقرة العين ، لولا ما قال الشاعر !

قال : وما قال ؟ قالت : قال :

انتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تبقى

غيرَ أن لابقاءَ للإنسانِ

ليس انّا يُريبُنا منك شيءٌ

عَلِمَ اللهُ . غيرَ انك فانِ

فدمعت عيناه ، وخرج على الناس باكيا .

العظمة وكبار النفوس

وَلِرُشْدِهِ هذا قَرَّب إليه ابنَ عمه عُمرَ بن عبد العزيز ، وجعله وزيره ومُشِيرَهُ ، فكان نعم الوزير والمشير الحريص على سداد ابن عمه وصلاح رعيته .

اصطحبه فى حجة له .. فلما كان الموقف الرهيب بـ « عرفات » رَعَدَت السماءُ لمطر فارتجف سليمان حتى القى بصدره على رحله جزعا ، فقال عمر : هذه (الرَّعْدَةُ) جاءت برحمة ؛ فكيف لو جاءت بِسَخْطَةٍ ؟! فلما عَلاَ براسه نظر إلى الناس فإذا هم كثير ، فقال : ما اكثرَ الناسَ !!

فقال عمر : خُصَماؤك ياأمير المؤمنين !! فقال له سليمان : ابتلاك اللهُ بهم !!

وأُجيبت الدعوة فإذا عُمر أمير المؤمنين ، وحاكمهم شرقا وغربا ، واعلمهم بثقل الأمانة ، واشدهم خشيةً لله ، واطوعهم لله فى عِبادِهِ ، وافقرهم مالاً فى رعيته ، فلم يَعْلُ به السفهُ إلى غرور الكبر ، ولم تَسْفُل به الأَثَرَةُ إلى دناءة الجهل ، فلم يبق فى الرعية مكروب ولا ذو حاجة .

وهو ـ مع ذلك كله ـ لم يفعل المستحيل ، إنما عمل بإمكانياته وهو القوى الأمين .

ولعله ـ وحيد عصره ـ الذى يمكنه أن يعتذر لله ـ الرحيم ، فيقول : « يارب كنتُ افقر رعيتك حتى مَلَكُوا ما لم أمْلِك ، وتمتعوا بما صرفَتْنِي عنه خشيتُك ، ونَعِمُوا باهليهم بما رغبتُ عنه رغبة فيك ، فلولا ما انزلت فى قلوب أهلى من حب لى لعشتُ بلا أنيس ، وهذا مال الزكاة جمعناه ، فلم نجد فقيرا يستحقه لولا تأويل وفقنا إليه .

يارب هأنذا والرعية خصمائى بين يديك ، لا اعلم أحداً تطاول إلى حقك حتى زجرته فرددتُهُ إلى الوفاء لك ، ولا أعلم محسنا فى دينك لم انتفع به ، ولا عالما بكتابك وسنة نبيك إلا اجللتُهُ فلم اهْزَأ به ، ولم أتطاول عليه ، ولم اسكت على سخرية به ، ولم اشجع عَلَى لَمْزٍ فيه .

ويارب . هذه أمتك عاشت معى على انقى من الراحة ، فما ضاقتْ بالعيش ، ولا نَفَرَتْ من الوطن .

يارب ، ولم أجعل لأعداء دينك سبيلا علىَّ ولا على أمتك،فلم يكن لهم منى إلا الصَّغار الذى اردتَهُ لهم ، وهل نَفَرَ من هديك إلا صاغراً اذل » .

ومضى العُمْرُ بِعُمر حتى إذا كانت النهاية سمعته فاطمة بنت عبد الملك زوجه يقرأ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ـ القصص ٨٣ ـ فأقبلت عليه ؛ فإذا هو قد اقبل بوجهه إلى القِبْلة وغمضَ عينيه بإحدى يديه ، وضَمَّ فَاهُ بالأخرى .

كان قُبِضَ .

رحمه الله الرحمن الرحيم .

د. على أحمد الخطيب

فى شهر رجب الفرد كانت منحة أذهبت المحنة

بقلم: صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

● هاهو هلال شهر رجب الفرد الذى بين جُمَادَى وشعبان ، قد أهله الله على خلقه فى أرضه هلالا وليدا ، ينمو كسُنَّةِ الله فى كونه حتى يكتمل نوره ويفيض ضَوْؤُهُ هدايةً للسارين ، وإرشادا للسالكين .

● ورجب من الأشهر الحرم التى كرمها الله وشرفها وأعلى ذكرها وقدرها فى القرآن الكريم، ففى سورة التوبة قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(١) .

● وفى هذا الشهر الحرام كانت منة الله على الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتكريمه بالإسراء به إلى بيت المقدس وصلاته بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وعلى إمامهم إيذانا بسير الإنسانية إلى وحدة الدين .

● ولقد تحدث القرآن عن هذا فى سورة الإسراء فقال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٢) .

---

(١) الآية : ٣٦ .
(٢) الآية : ١ .

في شهر رجب الفرد كانت منحة أذهبت المحنة

● ثم كان العروج به إلى السموات العلا تشريفا ورفعة مكان، وعلو منزلة على ما تشير إليه الآيات في سورة النجم .

● ولقد وقع حادث الإسراء إلى بيت المقدس والعروج إلى السموات العُلا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن بلغ الجهد منه مبلغه ، وتواكبت المعوقات، وتشابكت في سبيل نشر دينه الإسلام : فهؤلاء كبار القوم ، بل وسفهاؤهم يتعهدون مجالسه بالتضييق والاستهزاء ، ويطاردون من آمنوا به ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، وهاهو عمه أبو طالب قد نزل به قضاء الله ، فصار تحت الثرى، وهاهى زوجه خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ قد حُمَّ القضاء فيها ، وطَمَّ البلاء بموتها ، وقد كانا اقوى البصراء بأمره والمؤازرين لدعوته ، والعاملين على حمايته ، فَزَوْجُهُ هذه كانت نعم الأنيس والجليس ، تعينه على هذا الأمر، وتشد من عزمه ، استمع إليها وهي تقول له ـ غداة بدء الرسالة، وإثر عودته من غار حراء : « كلا والله لن يخزيك الله ابدا ؟ إنك لتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر » .. وتسرع معه إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ليسمع منه الجديد المفيد الوافد به إلى الناس بالبر والرحمة والعدل .

● وهذا عمه أبو طالب ومواقفه في تأييده ودفاعه عنه في منتديات القوم ومجالسهم مما قد حفلت بها مدونات السير والتاريخ .

● في ظلال هذه الأنواء كانت رحمة الله برسوله ﷺ بالإسراء والمعراج تسرية عنه، وتثبيتا لقلبه .

● هذه الرحلة المباركة تحمل لأمة الإسلام الكثير الوفير من الدروس التى يزداد بها المؤمنون إيمانا .

● بهذه الدروس يعلمنا الله سبحانه وتعالى انه الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء، وانه الإله المعبود المنزه عن كل نقيصة ، تنزيها كاملا ، وانه ـ وحده ـ الذى تعنو له الجِباهُ وتخضع .

● وفي فرض الصلاة في هذه الرحلة السماوية إلى الملا الاعلى آية على أن عبادة الله تسمو بالعباد إلى أعلى المراتب ، وفيها يتحقق الذكر الدائم الذى يؤتى ثماره في فكر المؤمن وسلوكه، وهى تكريم للإنسانية في ذات الرسول المكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتكريم لعقل الإنسان الذى اتخذه القرآن الكريم موئلا للعلم والتكليفات بالمشروع من العبادات وأحكام الشريعة ، وهو الوسيلة التى بها استخلف الله الإنسان لإعمار هذه الحياة .

● هذه الرحلة تدعو المسلمين إلى توثيق الإيمان بالغيب وتأكيده حتى يستكن في قلوبهم اتباعا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستقبالا للرحمة المهداة ، والنعمة المسداة إلى الإنسانية جمعاء ، باعتباره بشرا رسولا قدوة في عباداته ومعاملاته واخلاقه وسلوكه وصفاء نفسه ، فيتمسك بعقيدته وبشريعته وبكتابه القرآن .

● وَدَعُونا من أولئك الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، فافتروا على الله وعلى رسوله وعلى دينه وسخروا من تشريعه وأحكامه وذهبوا يصدون عن سبيل الله إما بالغلو في الدين أو بالتفريط فيما أمروا به أو بارتكاب ما نهوا عنه .

● لتكن ذكرى الإسراء والمعراج برسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حافزا للمسلمين إلى المزيد من الترابط والتساند والتكافل ؛ بل والتكامل فقد أسبغ الله عليهم صفة الأخوة .

● لتكن هذه الذكرى دافعا إلى أن تحاسب الأمة نفسها : ماذا خسرت من الانحراف عن أحكام الإسلام ؟

● إن التاجر الناجح هو الذى يضبط دفاتر أعماله ، حتى يستظهر العائد والفاقد،ويميز الخبيث من الطيب ، فاسْتَظْهِرُوا ـ أمة الإسلام ـ هل ازددتم قوة بميلكم عن منهج الله ؟ أو ضللتم الطريق إلى العودة إليه ؟.

● ألم يكن الإسراء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيت المقدس ، فأين أنتم من هذا البيت ؟ كيف استحللتم العزوف عن نصرته،وإمداد حراسه وحماته أطفال الحجارة ؟ أين أنتم وبيت المقدس ، يقتحمه شذاذ الآفاق كل يوم ويبذلون النفس والنفيس للسيطرة عليه ، بل وهدمه ؟ .

● إن بيتَ المقدس عِرْضُ هذه الأمة وأهلَه فى ذمتها.

● ألا إنهم يحيطون هذه المقدسات بأجسادهم وأرواحهم .

● فلتكن أمة الإسلام لهم سندا ومددا ولتصمد فى وجه الصعوبات والمعوقات والمناورات ، فلا يصرفها عن استرداد القدس،وسائر الأرض العربية المحتلة أية عوائق أو أية خلافات يفتعلها أولئك المعوقون الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ فإن الواجب التعامل مع الحق وباسمه لاسترداده ، ذلك قدر أمة الإسلام وزعمائها المعاصرين ولا يضركم أيها الزعماء المخلصون لقضايا هذه الأمة من ضل إذا اهتديتم ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣] .

فى شهر رجب الفرد يجب ألا تصرف الأحفال التى تقام هنا وهناك فى ذكرى الإسراء والمعراج عن استظهار العلل التى تسرى فى جسم الأمة،والانحراف عن الإسلام حتى طاف بها وطوقها يذكيه أولئك الذين استهوتهم الشياطين ، فأملت عليهم ذلك الإفك الذى ينشرون لا يَرْعَوْنَ فى الله إلاً ولا ذمة : ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

إن هذا الغلاء والأزمة الاقتصادية التى تقاسى منها الأمة الإسلامية ابتلاء من الله بعد أن ظهر فيها التهجم على دينه الإسلام،والمجاهرة بالمعاصى ، والمفاخرة بارتكابها والمبالغة فى استباحة المحرمات من الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، بل قد ظهر من يجاهر بالقول المنافى لأدب الإسلام المحرض على انتهاك ما حرم الله-وهو فى موضع القدوة-وكأنه لم يسمع قول الله سبحانه فى القرآن :

﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾[٤] .

وقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الذى أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين وأن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول:يافلان عملت البارحة كذا وكذا،وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » ثم هل قرأ هؤلاء المجاهرون بآثامهم مشاهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ليلة الإسراء والمعراج لأصحاب السيئات ومنهم المجاهرون .

◆

---

(٣) من الآية ٢٠٠ سورة آل عمران .

(٤) الآية ١٤٨ سورة النساء .

♦ في شهر رجب الفرد كانت منحة أذهبت المحنة

أين القدوة المفترضة فى القادة ، كل فى موقعه . إنها القدوة فى كل شىء فى الانضباط فى القول وفى العمل ، فى السلوك ، فى الأخلاق فى الالتزام بالآداب والأعراف القويمة ، لاسيما أدب الإسلام الذى ارتضاه الله للناس طريقا مستقيما .

إنها مسئولية ومن لم يفِ بها وتفلت منها يكون قد خان الأمانة التى حملها .

ثم هل لهؤلاء الذين غاض الحياء من وجوههم فذهبوا ينشرون على الناس سيئاتهم،ويتباهون بآثامهم أن يعرفوا أن صنيعهم هذا ليس من الحرية الشخصية،ولا من حرية الكلمة التى قدسها الإسلام،وذاد عنها وضرب لها الأمثال .

فقد وصف الله سبحانه فى كتابه الكلمة الطيبة التى تؤتى ثمرتها الطيبة ، لا تلك الكلمة الخبيثة التى هى كالشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .. ثم هلا احتفت الأمة فى شهر رجب بالدروس التى تستفاد من صنع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه فى هذا الشهر من عام العسرة فيواجهوا واقعهم وما حاق وأحاط بهم من مصاعب ومتاعب سياسية واجتماعية واقتصادية فاستلهموا الرشد حتى يهيىء الله لهم من كل هم فرجا ، ومن كل كرب مخرجا ،

أفلا ينظرون إلى مَنْ حولهم مِمَّنْ استهانوا بهم ؟

.. فهذه المذابح فى الهند التى تباد فيها قرى المسلمين بأكملها،وفى كشمير وفى فلسطين،وفى أفغانستان ويوغسلافيا ، ظلم وظلمات تخيم على المسلمين فى كل مكان ممن يتنادون بحقوق الإنسان ويتباهون بأنهم دعاة العدالة والديمقراطية مع أن أفعالهم تناقض أقوالهم لبئس ما كانوا يفعلون .

ليكن شهر رجب شهر تذكرة ننهض بها إلى التخلى عما فرطنا فيه،والتحلى بما نستقيم به على الإسلام عقيدة وشريعة ، فإن من تخلى عن الباطل ، واستمسك وتحلى بالحق كان الله معه . ومن سُنَّة الله فى خلقه أن يأخذ بيد من استقاموا على الطريق القويم . وصدق الله سبحانه فقد قال فى كتابه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[5] وقال :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾[6] .

وقال : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[7] .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٥) من الآية ١١ من سورة الرعد .

(٦) من الآية ٢٥١ سورة البقرة .

(٧) من الآية ٤٠ سورة الحج .

مقدمة لبدر

لفضيلة الأستاذ
الدكتور عبد الجليل شلبي

﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ .

بينت السورة في بدايتها أن قسمة الأنفال وتوزيعها بين المحاربين أمر مرده إلى الله ورسوله ، وكان الشبان المحاربون في بدر - يريدونها لأنفسهم ، لأنهم هم الذين حاربوا وهزموا عدوهم ، وكان الذين وقفوا من ورائهم يحمونهم ويحمون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد جمعوا منها ماجمعوا ، وقالوا لولا حمايتنا ظهور المحاربين وموقفنا وراءهم ما أحرزوا نصرا ، فبين الله - سبحانه - أن قسمة الأنفال ليست إليهم ، وإنما هي لله ورسوله ، وكان في ذلك خير لهم أى خير ، به تألفت قلوبهم ، وطابت أنفسهم ، ورسخ إخاؤهم ومودتهم ، ولم يكونوا أول أمرهم يدركون ذلك ، بل كره كل فريق منهم أن يشاركه الفريق الآخر .

والآية هنا تشبه خروجهم إلى لقاء عدوهم يوم بدر بهذا الموقف ، إذ طلب إليهم أن يوجهوا إلى شيء ثقيل عليهم وهو خير لهم . ففريق منهم كانوا راغبين عن الحرب وملاقاة الأعداء المسلحين ، وكانوا يؤثرون الاستيلاء على قافلة ابى سفيان العائدة من الشام ، يرون أن خيرها كثير ومشقتها قليلة ، فليس مع ابى سفيان محاربون ، وغنيمتهم منه سهلة المنال ، فهؤلاء هم الكارهون للقتال . ولكن الله - سبحانه - وهو اعلم بخيرهم منهم . - يريد إحقاق الحق وتثبيت

مقدمة بـــدر

الإسلام وفى ذلك ماهو خير لهم من قافلة أبى سفيان وصحبه.

وقبل أن نمضى فى تفسير الآية نورد اعتـراضـات المستشرقين واتبـاعهـم من المستغربين . قالوا ـ فى كثير من التبجح : إن محمداً عقب هجرته إلى يثرب اصبح قاطع طريق واحْيَا عادات جاهلية حاربها من قبل ، استساغ قطع الطريق على أبى سفيان ونهب تجارته وترصد قوافل التجارة المكية شرقا وغربا(١) .

ولكننا نذكر أمرين ذوى اهمية فى هذا الصدد .

أولهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج من مكة ، وخرج المسلمون والمهاجرون ـ قبله وبعده ـ وتركوا اموالهم وديارهم فاستولى عليها مشركو مكة بغير وجه ، وإذن فالمسلمون فى حل من مصادرة أموال المكيين فى مقابلة عدوانهم عليهم وأخذهم أموالهم ، انتقاما لما نالهم من تشريد ونهب ممتلكات .

والأمر الثانى أن المسلمين فى المدينة والقـرشيين فى مكـة اصبحـوا طـائفتين متحاربتين ـ بعضهم لبعض عدو ـ وفى حال إعلان الحرب بين جماعتين ، تنال كل طائفة من عدوها ما تستطيع ، والقرشيون هم الذين بدأوا العداء ، وكانوا يصدون المسلمين عن الحج والقدوم إلى مكة للطواف حول الكعبة ، فلم يكن بد للمسلمين أن يدافعوا عن حريتهم الدينية والاجتماعية ، وأن يخضدوا شوكة عدوهم كى يأمنوا شره ، ويأمنوا على انفسهم .

لم يكن المسلمون إذن قطاع طريق ، ولم يحاربوا غير القرشيين الذين حاربوهم . ثم إن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب رسالة كلف ببلاغها ، وكلف ان يجاهد فى سبيلها ونشرها بين الوثنيين ، وقد أمره الله الذى القى عليه أعباء الرسالة ان يضطلع بهذا الواجب ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وكلف المسلمون ايضا بهذا الجهاد ﴿ وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ .

فالجهاد أمر حتمى لكل دعوة ، والمسيحية الآن تنشر بالقوة فى غير مكان ، وجزر الفيلبين مسرح الآن للقوى الأمريكية تحارب الإسلام فيها بغير هوادة ، ولو كان الجهاد قائما بين المسلمين ، ما كانت بلاد المسلمين فى اى مكان فريسة للمعتدين ، والقاعدة الإسلامية العامة انه لو اعتدى على امرأة مسلمة فى اقصى المغرب لوجب على المسلمين فى اقصى المشرق ان يهبوا لنصرها .

الجهاد اساس من اسس الإسلام كما انه اساس الدعوة لكل مبدأ .

ثم إن نبى الإسلام ـ بعد هذا الجهاد الطويل والحروب المستمرة لم يترك لنفسه شيئا بل مات ودرعه مرهونة عند يهودى ، وقال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة ، وكان فى بيته ثمانية دراهم يوم أن مات ، فأمر بإخراجها صدقة قبل أن يموت ، ووضعها فى يده وقال : ما ظن محمد بربه إذا مات وفى بيته هذه الدراهم .

(١) من المستغربين الذين توسعوا فى هذه التهمة « أبكار السقاف » فى كتابها « العقل البشرى فى مراحله التطورية » .

أمثل هذا يوصف بأنه قاطع طريق ؟

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد ترصد أبا سفيان متجها بقافلة إلى الشام فأفلت منه ، فظل يتحين عودتها ، وبث عيونه يستطلعون أنباءها ، فلما علم بها مقبلة ندب المسلمين إليها ، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن يُنْفِلَكُموهَا . أى يمنحكم إياها نافلة .

وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه حتى بلغوا وادى ذِفْران - وكان أبو سفيان قد خشى المسلمين وتوقع مقابلتهم له ، فأرسل إلى أهل مكة يستنفرهم لمعونته واستنقاذه . ومال بقافلته إلى ساحل البحر متحاشيا المرور بالمدينة . وكان من الممكن أن ينتهى الموقف إلى هذا الحد ، ولكن القرشيين رغم ما علموه من نجاة القافلة أصروا على حرب المسلمين . وعبأوا جيشا ثقيلا للقضاء عليهم ، وتزعم أبو جهل هذه الدعوة وصاح فى قومه : النجاء النجاء على كل صعب وذلول ، عيركم هى أموالكم إن أصابها محمد فلن تفلحوا بعدها أبداً ، وخرج بمن معه ، فقيل له : إن العير قد نجت فارجع بالناس ، فقال : لا والله لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ، ونقيم القينات والمعازف ببدر[٢] فيتسامع الناس بمخرجنا ، وأن محمداً لم يصب العير وأنا قد أعضضناه[٣] فمضى ومن معه إلى بدر - وبدر يومئذ ماء تجتمع فيه العرب لسوق لهم تستمر يوما كل سنة .

وأوحى الله إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن الله وعدهم إحدى الطائفتين ، إما العير وإما قريشا ، وقد أفلتت العير ، فلم يبق إلا قريش ، وقريش خرجت على كل صعب وذلول ، والمسلمون لم يستعدوا لحرب .

واستشار - صلى الله عليه وسلم - قومه ، ماتقولون ، العير أحب إليكم أم النفير ؟ قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو وكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ردهم وكرر قوله ، فقالوا عليك بالعير ودع العدو ، والله مالنا طاقة بقتاله ، ولكنا أردنا العير .

كان الغضب باديا على وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن أبا بكر قام فقال وأحسن ، وفعل عمر فعله ، وقام المقداد بن عمرو الذى يسمى ابن الأسود - وهو من المهاجرين فقال : لا نقول كما قال قوم موسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » ، قال أبو أيوب الأنصارى بعد ذلك ، فتمنينا معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال المقداد فذاك أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم !

وكرر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كيف ترون » ، وفطن الأنصار أنه يعنيهم ، فقام سعد بن معاذ (الأوسى) فقال : يارسول الله إيانا تريد ؟ والذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لى بها علم ، ولكن سِرْ حيثُ أمرك الله ، فلئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : « اذهب أنت وربك ... » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذى أحدث الله إليك فامض له ، صل حبال من شئت واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ماشئت .

(٢) المعازف جمع مِعْزَف ، وهى آلات المزمار ونحوه ، والقينات : المغنيات .

(٣) قهرناه بقوة سيوفنا .

مقدمة بدر

وقام سعد بن عبادة الخزرجى فقال مثل ذلك ايضا .

وفى هذا نزلت الآية : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ .

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يكرر : اشيروا على مترقبا إجابة الانصار ، لانهم حين بايعوه يوم العقبة قالوا : إنا برءاء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا .... وكان النبى يتخوف الا يرى الانصار عليهم نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من الأعداء .

وقد سر بخطبة سعد بن معاذ لأنه وضح فيها أن الانصار معه فى كل مكان يريد ، كما أشار إلى قوتهم وشدة بأسهم ، جاء فى كلامه : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، ... امض لما أمرك الله به ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما يتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر عند الحرب صدق[4] عند اللقاء ، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك .. » .

وهذا حديث ينبىء عن صدق الإيمان وشدة الإخلاص .

لم يكن المسلمون إذن كلهم كارهين لهذه الحرب ، ولكن فريقا منهم كانوا كذلك .

أخرج الله نبيه ورسوله - صلى الله عليه وسلم - من بيته - مسكنه أو المدينة فهى ايضا بيته - خروجا متلبسا بالحق ، والعمل له ، والحال أن بعضاً من المؤمنين كارهون هذا الخروج .

وقد جزع هؤلاء جزعا شديداً ، وأخذوا يحاجون النبى بأنهم لم يخرجوا لحرب ولم يستعدوا لها ، وإنما خرجوا للعير ، وأنه لم يذكر لهم قتالا ، فيستعدوا له - وقد وعد الله نبيه إحدى الطائفتين - إما العير وإما قريشا - ولكنهم أرادوا تثبيت الطائفة الموعودة فى العير ، وهذا خطأ لأن الحق قد تبين بإفلات العير - وبه تعينت طائفة قريش . ولم يبق وجه للمجادلة ، ولكن الخوف والجزع والرهبة تملكتهم كأنما يساقون لموتهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

هم يريدون الطائفة التى ليست بذات شوكة ، لينالوا من مالها ، ولكن الله - سبحانه - يريد إحقاق الدين وتثبيته ، وأخذ مال العير ليس إلا كسبا رخيصا مهما كثر .

قال الزمخشرى : .. يريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور ، والا تَلْقَوْا مايرزؤكم فى ابدانكم وأموالكم ، والله - عز وجل يريد لكم معالى الأمور ومايرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق ... وشتان مابين المرادين .

فَعَل الله ذلك ليحق الحق ويثبته - وهو الإسلام ، ويزيل الباطل ويمحقه - وهو الشرك .

رغم أنوف المشركين ، وقد تحقق ذلك بهزيمتهم يوم بدر ، ذهب صناديدهم وحُطِّمَتْ كبرياؤهم .

ولم يكن الاستيلاء على العير ليحدث شيئاً من هذا ، لا يُثَبِّتُ الإسلام ولا يمحق الشرك .

هذه بداية غزوة بدر ، ويأتى حديث الموقعة بعد .

(٤) جمع صبور وصدوق ، ويراد بالصدق الثبات والشدة .

قبس من أنوار النبوة

الكسب

حلاله - وحرامه

للشيخ/على حامد عبد الرحيم

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله قسم بينكم اخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ولمن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من احب ، فمن أعطاه الله الدين فقد احبه ، والذى نفسى بيده لا يُسْلِمَ عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يامن جاره بوائقه .

قيل : وما بوائقه ؟ قال : غشمه وظلمه ، ولا اكتسب عبد مالا حراما فتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفقه فيبارك له فيه ، ولايدعه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله تعالى لايمحو السيىء بالسيىء ، ولكن يمحو السىء بالحسن ، وإن الخبيث لايمحو الخبيث ، رواه الإمام احمد والبزار .

من اكتسب مالا من غير حله فوضعه فى غير حقه فذاك الداء العضال ، ومن اكتسب من حله فوضعه فى حقه فمثل ذلك مثل الغيث ينزل .

سئل النبى - صلى الله عليه وسلم - عن « البر » - والبر : اسم جامع لأصول الخير والفضائل - فقال : البر حسن الخلق ، فعن النواس بن سمعان - رضى الله عنه - قال : سألت النبى - صلى الله عليه وسلم - عن البر والإثم ؟ فقال : البر حسن الخلق ، والإثم ماحاك فى نفسك وكرهت أن يطلع الناس عليه - رواه مسلم .

وقد يطلق حسن الخلق ويراد به التخلق بأخلاق الشريعة ، والتأدب بآداب الله التى أدب بها عباده وأودعها فى كتابه الكريم ، من مثل قوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الآيات آل عمران : ١٣٣ : ١٣٦ .

قبس من انوار النبوة

♦ الكسب . حلاله وحرامه

وقوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الاعراف . ١٩٩ .

وقول الله ـ عز وجل ـ فى سورة النحل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ٩٠ .

قال العلماء : من حسن الخلق طلاقة الوجه وبذل الندى ـ العطاء ـ وكف الأذى وعن الأوزاعى : حسن الخلق : البذل والعطية والبشر الحسن .

وقال الإمام أحمد : حسن الخلق الا تغضب والا تحقد .

وإذا كان السعى على العيش وطلب الرزق فرضا لازما أوجبه المولى ـ عز وجل ـ حيث قال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ الجمعة ١٠ وحيث قال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ الملك ١٥ ـ إلا ان الإنسان كثيرا ما يفتن بالمال ويسرى حبه فى دمه ولحمه ، ويخالط قلبه ، فيتخذ من المال حاكما مطاعا ، وإماما متبعا ، تقدم اوامره على أوامر الدين ، وتنفذ أحكامه ولو أسخطت رب العالمين ، وأضرت بالناس وأفسدت الأخلاق ، وذهبت بالكرامة وأخلت بالمعايير ، حتى تسمع من يقول : إنما السعادة فى المال وينسى واجبه نحو الله .

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقى هو السعيد

وليست كثرة المال أو قلته دليلا على حب الله أو بغضه للعبد ، ولا هى دليلا على سعادة او شقاء ، وحسبك أن تقرأ قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . كَلَّا ﴾ الفجر الآيات ١٥ ـ ١٧ .

إنه جل وعلا ـ يعطى الدنيا لمن يحبه ومن لا يحبه ، فهو يرزق الطائع والعاصى وينعم على المسلم وغير المسلم والمؤمن والمشرك . لأن الدنيا لا قيمة لهاإلا بقدر مايحصله العبد من الصالحات فيها : ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء .

إن الإسلام يعلمنا أن المال وسيلة لا غاية وبداية لا نهاية ، وليس خيرا لذاته ، بل خيره فى الاستغناء به عن الناس ثم فى الإنفاق ومساعدة المحتاج وليس شرا لذاته ، بل شره فى الشح والبخل والطغيان والغرور وإنفاقه فى الفسق والفجور ، والتعالى والزور .

إن المال قد يفتح لصاحبه ابواب النعيم ، وقد يفتح له أبواب الجحيم ، فإذا جمع من حله ، وانفق فى حقه فنعم المال الصالح للرجل الصالح . يبارك الله فيه ، لما فيه من خير قال تعالى :

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ الإسراء ٢٦

وقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ـ ٢١٥ ـ وقد صور لنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا المعنى تصويرا دقيقا فى قوله : « الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله ، وأنفقه فى حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أحله الله دار الهوان » رواه البيهقى عن ابن عمر .

فإذا سلك الإنسان الطرق الحكيمة التى تتفق ومكارم الأخلاق حقق مقاصد الشريعة الغراء ، إذ ليس محظورا عليه أن يسلك كل طريق مشروع لكسب المال ، ومن أجل ذلك كان الغنى الشاكر وهو الذى يتصرف فى المال كسبا وإنفاقا بالطرق المشروعة ، أفضل من الفقير الصابر الذى لا يجد ما ينفقه .

ونأخذ من كل ماتقدم : أن السعى فى الحياة والجد فى طلب الرزق وزيادة المال من طرقه المشروعة أمر محمود فى الدين ، لأنه وسيلة العمار فى الأرض والنهوض بما على الناس من تبعات نحو أهليهم ومن يعولونهم ، ونحو المجتمع بالمساهمة فى تخفيف آلام البائسين والمحرومين بالبذل والعطاء والإنفاق فى سبيل الخير والبر وفى ذلك سعادة الدارين .

وليس كذلك كسبه من حرام كالغصب والانتهاب والاختلاس أو الخيانة أو السرقة أو الفسق والخداع وتطفيف الكيل والميـزان والرشوة ، فذلك ووسائله كلها حرام ، فإذا تصدق منه فإن صدقته مردودة لأن المال السيىء لايمحو السيئات .

وإذا تركه لذريته فهو زاده إلى النار يوم لاينفع فيه مال ولابنون . وفى صحيح مسلم : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع فقال : « إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه ، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار .

يحذر الرسول الكريم من يكتسب المال الحرام ثم يحاول أن يجعل منه قربات يتقرب بها إلى الله ـ تعالى وهو سبحانه لايقبل إلا طيبا ، فأما المال الخبيث فإنه لايصلح إلا للنار .

روى أبو داود . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من اكتسب مالا من مأثم فوصل به رحمه ، أو تصدق به ، أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك كله فقذف به فى جهنم » .

اللهم ارزقنا عملا حلالا وكسبا حلالا ونجاة من النار ، إنك على كل شىء قدير .

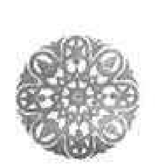

وسائل الاجتهاد في الفقه الإسلامي

للأستاذ الدكتور
محمد الدسوقي

عرضت في عدد شوال المنصرم من مجلة الأزهر الغراء للحديث عن اهمية علم الأصول ، ومصادر الأحكام التي لا اختلاف عليها بين الفقهاء ، وتلك التي يأخذ بها جمهورهم ، ثم أومأت إلى المصادر المختلف فيها ، وخصصت موضوع الاستحسان بدراسة انتهيت فيها إلى أن هذا الموضوع لا ينبغي أن يفرد في علم الأصول بدراسة ، وأن الجدل الذي دار حوله بين الفقهاء لا جدوى منه ، وأن الاختلاف بينهم فيه اختلاف شكلي .

وفي هذه الكلمة أعرض لمصدر آخر من مصادر الاجتهاد أو وسيلة من وسائله ، وهو المصلحة المرسلة ، وقد اختلف العلماء في هذا المصدر ، وما كان لهم أن يختلفوا ، لأن رعاية هذه المصلحة من أهم مقاصد التشريع العامة .

المصلحة المرسلة :

مما لا مراء فيه أن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد ، فلو استقرأنا موارد الشريعة الدالة على مقاصدها من التشريع لاستبان لنا من كليات دلائلها ، ومن جزئياتها أن المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة ، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه ، وهو نوع الإنسان ، ويشمل صلاحه ، صلاح عقله ، وصلاح عمله ، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه[1] .

والنصوص القرآنية والحديثية التي تبين أن مقصد الشريعة هو الإصلاح وإزالة الفساد كثيرة ، فالحق تبارك وتعالى لا يشرع عبثاً ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ، ولا يشرع لمجرد الرغبة في أن يشرع ، ولكن ليحقق لخلقه مصالح معينة لا تستقيم حياتهم بدونها .

لقد أرسل الله الأنبياء هداة مصلحين مبشرين ومنذرين ، وكانت محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وكان بعثته رحمة للناس أجمعين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2] ﴿ يَاأَيُّهَا

(1) انظر مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ الطاهر بن عاشور ص ٦٣ طـ الدار التونسية .

(2) الآية : ١٠٧ من سورة الأنبياء .

النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

فالشريعة التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم هدى ورحمة من الله ، إنها لخير الناس وسعادتهم فى العاجل والآجل .

قال الإمام الدهلوى : وكل مصلحة حثنا الشرع عليها ، وكل مفسدة ردعنا عنها فإن ذلك لا يخلو من الرجوع إلى أحد أصول ثلاثة : **أولها** : تهذيب النفس ، **وثانيها** : إعلاء كلمة الحق ، **وثالثها** : انتظام أمر الناس[٤] .

إن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح الناس عاجلاً أو آجلاً ، وذلك بجلب النفع لهم ، أو لدفع الضرر والفساد عنهم ، ومن ثم فإن مقاصد الشريعة ، أى ما تهدف إليه من وراء أحكامها أو الغاية مِنْهَا لا تخرج عن رعاية تلك المصالح ، حتى صار العلم بذلك علماً ضرورياً ، وأصبح من المجمع عليه بين جمهور المجتهدين أنه إذا تحققت المصلحة فثم شرع الله .

وتجدر الإشارة إلى أمرين يتعلقان برعاية المصلحة فى التشريع الإسلامى قبل الحديث عن أنواع المصلحة ، وموقف العلماء من المصلحة المرسلة ، والأمران هما[٥] :

أولاً : إن المصالح إنما اعتبرت مصالح من حيث وضعها الشارع كذلك ، لا من حيث إدراك المكلف ، إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات وتتأثر بالأهواء والرغبات ، ولهذا كانت المصلحة المعتبرة شرعاً هى الثابتة بالنص أو المشابهة ، والمقاربة لما ثبتت به .

والمصلحة الحقيقية لا يمكن أن تصادم نصاً قطعياً فى ثبوته ودلالته ، وما قد يبدو من تعارض بين نص ومصلحة فإن مرده إما إلى عدم فهم النص فهماً سليماً ، وإما إلى أن ما يعد مصلحة ليس فى الواقع إلا هوى حاول القائلون به أن يضفوا عليه رداء المصلحة .

ثانياً : إن مصلحة المجموع هى الأساس فى التشريع ولذا تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند تعارض المصلحتين ، فنفع الجماعة مقدم على نفع الفرد ، ولهذا شرعت العقوبات والحدود - وإن آلمت بعض الناس - ليأمن سائرهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم[٧] .

أنواع المصالح :

تنقسم المصالح باعتبارات مختلفة إلى أنواع ، فهى من حيث قوتها فى ذاتها تنقسم إلى ضرورية وحاجية وتحسينية ، والضرورية هى التى تقوم عليها حياة الناس ، بحيث إذا تخلفت اختل نظام الحياة ، وعمت الفوضى . وتنحصر المصالح الضرورية فى المحافظة على خمسة أشياء هى : الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

أما المصالح الحاجية فهى كل ما يحتاج إليه الناس لرفع الحرج والضيق والمشقة عنهم ، وهذا يعنى أن تخلف هذه المصالح لا يترتب عليه اختلال نظام الحياة كالمصالح الضرورية ، وإنما

---

(٣) الآية : ٥٧ من سورة يونس .

(٤) حجة الله البالغة جـ ١ ص ٢٧٢ تحقيق الشيخ سيد سابق .

(٥) انظر أصول الفقه الإسلامى للدكتور وهبة الزحيلى جـ ٢ ص ١٠١٧ طـ دمشق .

(٦) أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٥٨ طـ دار الفكر العربى .

(٧) أصول التشريع الإسلامى للشيخ على حسب الله ص ٣١٠ طـ دار المعارف .

وسائل الاجتهاد في الفقه الإسلامي

يصيبهم العنت وعدم السعة ، وتشمل هذه المصالح جميع ما شرعه الإسلام من رخص كإباحة الفطر مع السفر والمرض في رمضان ، كما تشمل كل ما أبيح من معاملات لتبادل المنافع وتيسير وسائل الحياة .

ويراد بالمصالح التحسينية كل ما يتعلق بمحاسن العادات وتقتضيه المروءات كاستحباب لبس الجديد من الثياب في العيدين ، والتنزه عن أكل ذي ريح كريهة والنهي عن الغش والتبرج وخروج المرأة بزينتها في الطرقات .

وتلك المصالح على تفاوت قوتها ومراتبها يكمل بعضها بعضا ، فلا غنى للمصالح الضرورية عن المصالح الحاجية ، وهذه لا غنى لها عن التحسينية ، ولكن المصالح الضرورية هي الأساس ، والأصل لغيرها من المصالح ، فعليها يتوقف نظام الحياة ، وبدونها يختل هذا النظام ، على حين لا يترتب على فقد المصالح الحاجية إلا الحرج والضيق دون اختلال نظام الحياة .

أما المصالح التحسينية فلا يترتب على تخلفها أن تختل الحياة الإنسانية ، أو أن يقع الناس في عنت ومشقة ، وإنما يترتب على ذلك خروج الناس عن مناهج الكمال في الحياة .

وتنقسم المصالح باعتبار الشارع لها ثلاثة أنواع :

١ ـ مصلحة معتبرة ، وهي التي دلت النصوص عليها أو على جنسها .

٢ ـ مصلحة ملغاة ، وهي ماجاءت النصوص بإبطالها .

٣ ـ مصلحة مرسلة ، وهي ماسكت النص عنها ، فلم يرد بشأنها مايدل على اعتبارها أو إلغائها .

ويؤخذ على هذا التقسيم اعتبار ماأبطله الشارع مصلحة ملغاة ، وذلك أن الأمر الباطل لا ينبغي أن يوصف بأنه مصلحة ملغاة ، فالشارع لا يلغي مصلحة ، وإنما يلغي مفسدة ، ولهذا لا أرى أن يعد هذا النوع من أقسام المصلحة ، ولا أرى أن يدخل ضمن الحديث عن المصلحة في الشريعة .

وإذا كان إطلاق المصلحة المرسلة على ما لم يرد نص باعتباره أو بإلغائه فإن الشريعة التي جاءت لمصلحة العباد في المعاش والمعاد قد بينت نصوصها بعض المصالح أومأت إليها ، ودلت نصوص أخرى بمجموعها على كل مصلحة تحقق خيرا للجماعة ، ومن ثم لا تكون هناك مصلحة ـ مرسلة ، أي مصلحة لا يمكن أن تندرج تحت نصوص الشريعة أو مقاصدها .

فالمصلحة الشرعية مقيدة بالنصوص أو المقاصد العامة(٨) وهي في حالة اندراجها تحت هذه المقاصد توصف بالإرسال تمييزاً لها عن المصلحة المقيدة بالنصوص صراحة ، وهذا اصطلاح ولا مشاحة فيه ، وإنما أشرت إليه لأؤكد أن الشريعة لم تهمل مصلحة من المصالح ، وأن نصوصها وقواعدها ومقاصدها تستوعب كل مجالات النشاط الإنساني ، وتطوير الحياة البشرية ، وأنها من ثم صالحة للتطبيق الدائم .

ولا يختلف العلماء في المصلحة التي دلت عليها النصوص بأسلوب مباشر ، وإنمايختلفون

---

(٨) انظر مقاصد الشريعة للأستاذ علال الفاسي .

فى المصلحة التى لم تعرض لها الشريعة بهذا الأسلوب ، وهل يمكن الحكم بالمشروعية بناء على هذه المصلحة ، أو أن التعويل عليها فى استنباط الأحكام قد يفتح بابا للأهواء والمفاسد .

والذين يرون أن المصلحة المرسلة تعد دليلاً شرعياً ، ووسيلة من وسائل الاجتهاد ، وحجة يبنى عليها الحكم يستدلون بجملة من الأدلة من أهمها :

١ ـ مادامت الشريعة قد جاءت لتحقيق مصالح الناس ، ومادامت هذه المصالح تتجدد وتتعدد ، وتتغير بتغير الزمان والمكان فإنه إذا وجدت مصلحة لا مراء فيها ، فإنها تكون دليلاً شرعياً يعول عليه فى الاجتهاد ، والقول بغير ذلك يؤدى إلى جمود الشريعة ، وتعطيل مصالح الناس المتجددة ، وعدم تحقيق الخير لهم فى حياتهم الدنيا ، وحياتهم الآخرة .

٢ ـ إن الصحابة رضوان الله عليهم لم يختلفوا حول الأخذ بالمصلحة المرسلة وكانت لهم اجتهاداتهم التى تقوم على مراعاة هذه المصلحة ، ومن هذه الاجتهادات جمع ابى بكر الصحف المتفرقة التى كتب فيها الصحابة القرآن فى مصحف واحد ، محافظة على كتاب الله ، وخوفا عليه من أن يضيع منه شيء بعد أن استحر القتل بالقراء فى حروب الردة ، وقد قال عمر بن الخطاب الذى أشار على الصديق بجمع القرآن ، وتحرج هذا من ان يفعل امراً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الجمع : « إنه والله خير »(٩) اى مصلحة للإسلام كذلك دون عمر الدواوين ، واتخذ السجون ووضع الخراج ، وجمع عثمان بن عفان المسلمين على مصحف واحد بعد أن ظهرت بوادر الخلاف حول القراءة بالأحرف التى أنزل عليها القرآن ، وكل هذا رعاية لمصلحة المسلمين .

وذهب على بن أبى طالب إلى تضمين الصناع ، وهم الذين يعهد إليهم بعمل نظير أجر كالخياط والنجار ـ ضمنهم ما يضيع من أمتعة الناس التى تكون تحت أيديهم ، حتى يحافظوا عليها ، ولا يفرطوا فيها ، وأثر عنه فى ذلك أنه قال : لا يصلح الناس إلا ذاك(١٠) .

وينكر بعض العلماء حجية المصالح المرسلة ، ويستند فى هذا إلى أدلة منها :

١ ـ أن الشريعة قد كملت واشتملت على كل المصالح ، والقول بأن هناك مصلحة لم يرد من الشارع مايدل على اعتبارها يتنافى مع كمال الشريعة ، ومثل هذه المصلحة إذا ظهرت تكون وهمية لا حقيقية ، ومن ثم لا يصح بناء الأحكام الشرعية عليها .

٢ ـ إن القول بالمصلحة المرسلة دليلاً شرعياً قد يفتح الباب أمام الذين فى قلوبهم مرض من أهل الأهواء ، فيدخلون مايريدون من هذا الباب ، وبذلك يدخل الفساد على الشريعة ، وقد يؤدى هذا إلى الاستهانة بأحكامها أو التفريط فيها(١١) .

وبالإضافة إلى ذلك يفتح الاعتداد بالمصالح المرسلة فى التشريع باب الخلاف على مصراعيه بين الفقهاء ، لأن هذه المصالح تختلف باختلاف

(٩)

(١٠) انظر المصلحة فى التشريع الإسلامى للدكتور مصطفى زيد ص ٢١ طـ دار الفكر العربى .

(١١) انظر علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص ١٩٠ طـ دار القلم الكويت .

وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى

الزمان والمكان والأمر الواحد فى عصر واحد ، قد يكون فى مكان مصلحة ، وفى آخر مفسدة ، وهذا الخلاف ينال من وحدة الشريعة وصلاحيتها للتطبيق الدائم .

والذين رجحوا حجية المصالح المرسلة ، واتخذوها وسيلة من وسائل الاجتهاد ردوا تلك الشبهات التى اثارها المنكرون لحجية هذه المصالح ، وهم إلى هذا وضعوا بعض الضوابط أو الشروط للمصالح المرسلة ، حتى لا تختلط بغيرها من المفاسد[١٢] .

أما الشبهة الأولى وهى أن الشريعة قد كملت ، وكل المصالح دل على اعتبارها نص أو قياس ، وما سوى ذلك فهو وهم لا ينبغى بناء الأحكام عليه ، يرد عليها بأن القول بالمصالح المرسلة لا يتعارض مع كمال الشريعة ، بل هو الذى يحقق كمالها ، والشريعة لعمومها كانت صالحة لكل عصر ومصر ، ومن شواهد هذه الصلاحية أنها قامت على اليسر ، ومراعاة كل مافيه خير ، فإذا جد أمر وحقق للأمة مصلحة ، ولكن لم يدل على اعتباره بذاته نص أو حمل على نص وطرحناه أو حكمنا عليه بعدم المشروعية فقد قضينا على الشريعة بالجمود ، وأنها كما يقول أعداؤها جاءت لعصر خاص وبيئة خاصة ، فلا تصلح لكل زمان وكل مكان .

وأما الخوف من أن يتخذ أهل الأهواء المصالح المرسلة ذريعة للفساد وتشريع الأحكام وفقاً للرغبات الذاتية فإن هذا الخوف لا يجب أن يحول دون مراعاة مصالح الناس ، وذلك بمنع هؤلاء من الإفتاء ، فهم خطر على الشريعة ، ويجب على أهل الذكر أن يحذروا من شرهم ، ويحولوا بينهم وبين تحريف الكلم عن مواضعه .

شروط العمل بالمصلحة :

لاختلاف العلماء حول حجية المصلحة المرسلة ، لجأ القائلون بحجيتها إلى وضع بعض الشروط والضوابط التى ينبغى مراعاتها عند الأخذ بالمصلحة والاعتداد بها فى استنباط الأحكام ، وأهم هذه الشروط :

١ ـ أن تكون المصلحة حقيقية وليست وهمية ، ومعنى هذا أن يكون تشريع الحكم فى الواقعة محققاً للنفع ، أو دارئاً للفساد ، أما مجرد التوهم أن التشريع يجلب نفعا من غير موازنة بين ما يجلبه من نفع أو ضرر ، فهذا يعد بناء على مصلحة متوهمة ، ومثل هذه المصلحة مايذهب إليه البعض من منع الزوج من تطليق زوجته ، وإعطاء حق التطليق للقاضى فى جميع الحالات ، فإن القول بأن فى هذا مصلحة ، قول غير مسلم ، فالأخذ به يؤدى إلى مفاسد ترد على الأسرة والمجتمع ، وتقضى على العلاقة الزوجية بأنها لا تعرف المودة والرحمة والرغبة المتبادلة .

٢ ـ أن تكون المصلحة عامة فإذا كانت خاصة فلا يعتد بها ، وتعتبر المصلحة عامة إذا كان بناء الحكم عليها يحقق منفعة لأكبر عدد من الناس ، أو يدفع ضرراً .

وليس لمصلحة فرد أو أفراد قلائل منهم .

٣ ـ أن تكون المصلحة ملائمة لمقاصد الشارع ، بأن تكون من جنس المصالح التى جاء بها

(١٢) المصدر السابق .

وليست غريبة عنها ، ولو لم يشهد لها دليل خاص ، فلا اعتبار لمصلحة لا تتفق مع مقاصد الإسلام .

٤ ـ الا تعارض المصلحة حكماً أو مبدأ ثبت بالنص أو الإجماع ، فلا يصح مثلاً اعتبار المصلحة التى تنادى بالمساواة بين الذكر والأنثى فى الميراث ، لأن هذه المصلحة تعارض نصا قرانيا يجعل للذكر مثل حظ الانثيين(١٣) على أن الذين يحتجون بالمصلحة المرسلة ، ويضعون لمراعاتها تلك الضوابط يقصرون العمل بها على المعاملات دون العبادات ، وذلك أن المصلحة فى المعاملات يمكن إدراكها بخلاف العبادات التى تنظم علاقة الإنسان بخالقه ، ومن ثم لا يصح إنشاء عبادة لم يأت بها نص بدعوى أن فيها مصلحة ، لأن العبادة الخالصة يقصد بها التقرب إلى الله ، وهذا أمر لا يعرف إلا منه سبحانه ، يقول الطوفى : وإنما اعتبرنا المصلحة فى المعاملات دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشارع خاص به ، و لايمكن معرفة حقه كما وكيفا وزمانا ومكانا إلا من جهته فيأتى به العبد على مارسم له ، وهذا بخلاف حقوق المكلفين فإن أحكامها سياسية شرعية ، وضعت لمصالحهم وكانت هى المعتبرة ، وعلى تحقيقها المعول(١٤) .

وجملة القول أن العمل بالمصلحة المرسلة لا يكون إلا عند عدم وجود نص أو إجماع على الحكم ، ولهذا كانت لها أهميتها فى الاجتهاد ، لأنها تتيح مواجهة كل ما يطرأ من وقائع جديدة وحاجات عارضة ، ولذلك أخذ بها الفقهاء فى جميع المذاهب كما قال الزركشى وإن تفاوتت درجات الأخذ بين مذهب وآخر .

إن صلاحية الشريعة للتطبيق الدائم تعنى أن لها فى كل جديد لم تتناوله النصوص بأسلوب صريح حكما ، ولذا كان الأخذ بالمصلحة المرسلة التى وإن لم يشهد لها نص صريح تشهد لها النصوص على وجه الإجمال ، وكذلك القواعد الكلية والمقاصد العامة هو التعبير السليم عن صلاحية الشريعة للتطبيق ، وهو التأكيد على أن الله فى كل مسألة حكما ، قال الإمام الغزالى : فقد تبين أن كل مصلحة مرسلة فلا بد أن تشهد أصول الشريعة لردها أو قبولها(١٥) .

والذى لا مراء فيه أن مراعاة المصلحة المرسلة فى عصرنا على نحو سديد لا يكون إلا طريق الاجتهاد الجماعى ، فهو السبيل إلى التعرف على المصلحة الحقيقية التى تلائم مقاصد الشارع ، ولا تعارض حكما ثبت بالنص ، ويحول بين أهل الأهواء وما يريدون من اباطيل باسم المصلحة .

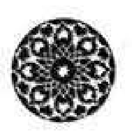

(١٣) انظر علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص ١٩٢ .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) انظر المتحول للإمام الغزالى ٣٦٣ ط دمشق .

حول شهادات الاستثمار

٤

بقلم المستشار أحمد محمد محمد إبراهيم

فى ثلاث مقالات سابقة تحدث السيد المستشار فى شأن معاملات البنوك وشهادات الاستثمار . وتناول الآراء التى اعتمد عليها استنادا إلى أدلة وبراهين من منهج الرسول - ﷺ - وعمل الصحابة والتابعين ، وكبار الأئمة والفقهاء عن تلك المعاملات من حيث الحل والحرمة وهاهو يواصل الحديث عن آراء العلماء مفندا ما يخالف المنهج الصحيح ، فيقول :

٣ - الشيخ إبراهيم زكى الدين بدوى :

قال المفتى فى كتابه : إن المتتبع لأقوال العلماء يرى اختلافا كبيرا فى تحديد صور الربا المحرم شرعا ، وحرص على أن يذكر أن فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم زكى الدين بدوى - الأستاذ السابق بكلية الحقوق - قدم بحثا طويلا قارب المائة صفحة عن « نظرية الربا المحرم فى الشريعة الإسلامية » نشرته مجلة القانون والاقتصاد فى سنتها التاسعة ثم نقل عنه بعض ما جاء فى بحثه . ومن ذلك : « من أدق المشكلات الإسلامية التى أثارت الخلاف بين الباحثين فى مختلف العصور ، مشكلة تحديد الربا المحرم شرعا ، فقد كانت آيات تحريمه من آخر ما نزل من القرآن ... » ولقد حمل الورع الصحابة والتابعين وكبار الأئمة على النهى عن كل ما هو موضع شبهة من المعاملات . ولم يفرق غالبية الفقهاء بين ما كان النهى عنه لذاته ، لتحقق الربا القطعى فيه ، وما نهى عنه سدا للذريعة إلى الربا الحقيقى ، فاعتبر الكل حراما . وهذا الطريق فى الاجتهاد غير مقبول فى المعاملات التى الأصل فيها الإباحة ، لأنها تتعلق بمصالح الناس المالية وما تواضعوا على ضرورته لهم فلا حرام إلا ما حرمه الشرع ، ولا يكفى مجرد الاشتباه للقول بالتحريم » .

إن العبارات التى نقلها المفتى من بحث الشيخ إبراهيم زكى الدين بدوى تفيد أن له رأيا فى الربا خالف فيه الصحابة والتابعين وكبار الأئمة الذين دفعهم الورع إلى النهى عن كل ماهو موضع شبهة من المعاملات - وهذا صحيح ، ولكن هل ظل الشيخ إبراهيم زكى الدين على آرائه أو عدل عنها ؟ .

إن الأقوال التى نقلها المفتى من البحث فى الصفحات الثلاث الأولى من القسم الأول من البحث الذى نشر فى العدد الرابع من المجلة ،

الذى صدر فى صفر ١٣٥٨ . أبريل ١٩٣٩ واعتقد أنه إذا كان من بين المصادر التى رجع إليها المفتى مجلة متخصصة صدرت منذ أكثر من خمسين عاما ، ولا توجد حاليا إلا عند من عاصروا صدورها أو فى المكتبات العامة ، فإنه من الصعب تصور أنه لم تقع عين المفتى ، أو لم يصل إلى علمه أن الشيخ إبراهيم زكى الدين قد أصدر كتابا فى نفس الموضوع وبنفس العنوان ، قام بنشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سنة ١٣٨٣ - ١٩٦٠ وقد عدل فيه الشيخ إبراهيم زكى الدين عن آرائه التى تبناها فى بحثه وقام بتفنيدها وبيان فسادها ، وتحدث عن سبب ذلك فقال : كان فى نيتى منذ نشر المقال ، أن أجعل منه نواة لرسالة أحصل بها على الدكتوراه فى الحقوق ولكننى لم افعل ، ولعل ما صدنى عن ذلك - إلى جانب شواغل الحياة الكثيرة - ريب كان يعتمل فى نفسى من صحة الآراء الواردة فى المقال ومطابقتها لحكم الشرع . ولم أكن أعلم مبعث ذلك الريب فى صحة مقال نشر فى مجلة كانت ، وماتزال ، أولى المجلات القانونية فى مصر . ولم يقو أحد من رجال الشريعة أو سواهم على التعرض لها بنقد أو تفنيد ، إلى أن نشر للمرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف (أستاذ الشريعة الأسبق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة) مقالان فى الربا بمجلة لواء الإسلام (عددى ابريل ومايو ١٩٥١) وقد نحا فيهما نحو القول بحل الفائدة ، وإن كان قد سلك للوصول إلى هذه النتيجة طريقا غير الذى سلكته ، ولم أقتنع بإفضاء ذلك الطريق الذى سلكه إلى النتيجة التى انتهى إليها . فكتبت مقالا فى الرد عليه ، ثم جرنى ذلك إلى إعادة بحث الموضوع كله من جديد ، ماكتبته انا ، وما كتبه سواى ممن يتوجهون الوجهة نفسها : وهناك فتح الله علىَّ بما لم ينكشف لى من قبل ، فوقفت على سر ارتيابى فى صحة رايى السابق ، وتورعى عن أن أجعل منه رسالة للدكتوراه ، وعرفت أنى لم أكن قد تقصيت دراسة الموضوع . ولا أحسنت الاستنباط فيه ، ومن ثم انكشف لى فساد ذلك فعدلت عنه منذ ذلك الحين ، إلى الراى الذى عليه جمهور علماء المسلمين ، من المفسرين والمحدثين والفقهاء . وحمدت الله - جلت نعماؤه - على أن هدانى إلى الحق بعد ما صدنى عنه ، قبل ذلك ، عن التمسك بالباطل والتردى فيه فحال - جلت قدرته - بينى وبين الكتابة على أساسه الواهى مرة أخرى .

٤ - الدكتور عبدالحليم محمود :

ومما يتصل بآراء العلماء - وإن لم يذكر فى كتاب المفتى - مانشر أن المفتى قال فى المؤتمر الموسع الذى عقد بجامعة المنصورة : إن شهادات الاستثمار حلال ، وأن هذه الفتوى لم تصدر من فراغ وأنه رجع إليها لراى المرحوم الدكتور عبدالحليم محمود ومجموعة من كبار علماء المسلمين ، وأنه ليس من الشرع ولا من الأخلاق معارضة هذا الراى الذى انتهت إليه دار الإفتاء . (الأهرام ١٩٨٩/١٢/٧) .

وإنى أطمع أن يدلنى المفتى مشكورا على المصدر الذى نقل عنه راى الدكتور عبدالحليم محمود ، لأن ما أعلمه أنه امتنع عن إبداء رايه فى شهادات الاستثمار ، فقد أجرى معه الأستاذ فهمى هويدى حديثا صحفيا جاء فيه قوله : موضوع الفوائد والتأمين وشهادات الاستثمار لايزال معروضا على مجمع البحوث الإسلامية . وباعتبارى رئيسا للمجمع ، فأنا ملزم بالقرار الذى سينتهى إليه الأمر الذى يمنعنى من أن أدلى برأى فى الموضوع الآن . لكننى مع ذلك أقول إن القضية ليست فى البنوك وشركات التأمين . القضية أكبر من ذلك بكثير ، وهى تكمن أساسا فى الإصلاح الإسلامى ككل . نحن نترك المشكلة

حــول شهـــادات الاستثـمــار

الأصلية ونتصدى للجزئيات . اين هو المجتمع الإسلامى فى بلادنا ؟ سأل شيخ الأزهر ، ثم اضـف : الا يتعارض مع تعاليم الإسلام تقديم الخمور ولعب الميسر فى الفنادق ، وما يجرى فى شارع الهرم . ذلك كله غير (الخلاعة) الشائعة فى السينما والتليفزيون . نحن فى حاجة إلى إصلاح إسلامى شامل يتناول كل جوانب حياتنا ، فى التعليم ، فى التشريع ، ومختلف مظاهر السلوك ... (الأهرام ٢٣/٥/١٩٧٥) .

حادى عشر : التسعير - تضمين الصناع ضالة الإبل :

ذكر المفتى ان شريعة الإسلام تقوم على رعاية مصالح الناس فى كل زمان ومكان . وقد تبدو هذه الرعاية فى ظاهرها ، مخالفة لبعض النصوص التى وردت عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ومن الأمثلة على ذلك ماأخرجه اصحاب السنن - بسند صحيح - عن أنس - رضى الله عنه - قال : قال الناس : يارسول الله ، غلا السعر فسعِّر لنا ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله هو المسعر القابض ، الباسط ، الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس احد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم ولا مال » فأنت ترى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يجبهم إلى ما طلبوه من تسعير السلع ، إذ الأصل عدم التسعير ، وترك السعر لقانون العرض والطلب . إلا أن كثيراً من الفقهاء اجازوا لولى الأمر تسعير السلع إذا غالى التجار فى الأسعار ، أو احتكروا ما لا غنى للناس عنه ، أو تذرعوا بأمثال هذا الحديث لإشباع مطامعهم .. وقياساً على ما تقدم ، فإن لولى الأمر - إذا رأى بعد استشارة الخبراء العدول - أن مصلحة الناس تقتضى أن تحدد البنوك الارباح مقدماً لمن يتعاملون معها ، فله أن يكلفها بذلك رعاية للناس ، وحفظاً لأموالهم وحقوقهم ومنعاً للنزاع والخصام بين البنوك وبين المتعاملين معها ، وهى مقاصد شرعية معتبرة .

وقال ايضاً إن الصناع كانوا فى أول الأمر لا يضمنون إذا ما اتلفوا ما تحت أيديهم ، فلما كثر إتلافهم لما تحت أيديهم وتضرر اصحاب السلع ، امر أولياء الأمور بتضمين الصناع محافظة على أموال الناس . وهذا معنى قول الإمام على : « لا يصلح الناس إلا ذاك » ، وكما تدخل الحكام فى تضمين الصناع لما يهلك تحت ايديهم بسبب إهمالهم ، بأن حكموا عليهم بأن يدفعوا لأصحاب السلع قيمتها ، فإن لولى الأمر فى زماننا هذا الذى خربت فيه الذمم أن يتدخل فى عقد المضاربة ، فلا يجعل المال أمانة عند المضارب ، إذا هلك كان هلاكه على صاحبه ، بل له أن يفرض الضمانات الكافية لحفظ أموال الناس ، ومن هذه تحديد نسبة الربح مقدما . وان يكون رأس المال مضموناً . وهذا اللون من التدخل يندرج تحت باب المصالح المرسلة .

ونظراً لأن بعض من ينهجون نهج المفتى يضيفون مثالاً آخر هو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن التقاط ضالة الإبل ، إلا أن عثمان بن عفان وعليا - رضى الله عنهما - أمرا بالتقاطها . فقد رايت ان اضم هذا التصرف إلى التصرفين اللذين ذكرهما المفتى وأن ابين - بتوفيق من الله - وجه الحق فى ذلك .

١ - التســعير :

« عن أنس - رضى الله عنه - قال : غلا السعر فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يارسول الله لو سعرت ؟ فقال : إن الله هو القابض ، الباسط ، الرازق ، المسعر ، وإنى

لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبنى أحد بمظلمة أظلمتها إياه فى دم ولا مال » .

وعن معمر بن عبدالله أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من احتكر فهو خاطىء » .

وإذا كان الأصل أن أسعار السلع تخضع فى الظروف العادية للعرض والطلب ، إلا أنه قد تتغير الظروف الاقتصادية بحيث تكون السلع محتكرة ، أو فى حكم المحتكرة ، ولما كان الاحتكار محرماً ، فإنه يحق لولى الأمر فى مثل هذه الظروف أن يسعر السلع ، وأن يضرب على يد من وصفهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخاطئين ، دون أن يوصف تصرف ولى الأمر بأنه خرج على ما سار عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من امتناعه عن التسعير .

ولما كان المفتى قد أشار إلى الرجوع إلى كتاب الحسبة لابن تيمية وإلى كتاب الطرق الحكمية لابن القيم ، فإننى أنقل عنهما بعض ما قالاه فى موضوع التسعير ، وأثبتنا به أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سعر عندما اقتضى الأمر ذلك .

يقول ابن تيمية وابن القيم ـ والعبارات من كتاب الحسبة ـ أن التسعير منه ما هو ظلم لا يجوز ، ومنه ما هو عدل جائز . فإذا تضمن ظلم الناس وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه ، أو منعهم مما أباحه الله فهو حرام . وإذا تضمن التسعير العدل بين الناس مثل : إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل ، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ زيادة على عوض المثل فهو جائز بل واجب . فأما الأول : فمثل ما روى أنس قال : (غلا السعر فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فقالوا يارسول الله : لو سعرت ؟ فقال : إن الله هو القابض ، الباسط ، الرازق ، المسعر ، وإنى لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبنى أحد بمظلمة ظلمته إياها فى دم ولا مال) ، فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم ، وقد ارتفع سعره : إما لقلة الشىء ، وإما لكثرة الخلق ، فهذا إلى الله ، فإلزام الخلق أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بغير حق .

وأما الثانى : فمثل أن يمتنع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس إليها . لا بزيادة على القيمة المعروفة ، فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل ، ولا معنى للتسعير إلا إلزامهم بقيمة المثل فيجب أن يلتزموا بما ألزمهم الله به .

ووصف الإمامان مَنْ منع التسعير مطلقاً استناداً إلى الحديث السابق ذكره بأنه قد غلط ، لأن هذه قضية معينة ، وليست لفظاً عاماً ، وليس فيها أن أحداً امتنع عن بيع يجب عليه ، أو عمل يجب عليه ، أو طلب فى ذلك أكثر من عوض المثل .

ومما استدلا به على جواز التسعير ، ما ورد فى الصحيحين عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (من أعتق شركا له فى عبد ، وكان له من المال ما يبلغ ثمن العبد ، قوم عليه قيمة عدل لا وكس ولا شطط ، فأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد ، وإلا فقد عتق منه ما عتق) ، فهذا لما وجب عليه أن يملك شريكه عتق نصيبه الذى لم يعتقه لتكمل الحرية فى العبد ، قدر عوضه بأن يقوم جميع العبد قيمة عدل لا وكس ولا شطط ، ويعطى قسطه من القسمة . فإن حق الشريك فى نصف القيمة ، لا فى قيمة النصف عند جماهير العلماء ، كمالك وأبى حنيفة وأحمد ، ولهذا قال هؤلاء : كل ما لا يمكن قسمه يباع ويقسم ثمنه ، إذا طلب أحد الشركاء ذلك ، ويجبر الممتنع على البيع ، وحكى عن بعض المالكية ذلك إجماعاً ، لأن حق الشريك فى نصف القيمة ، كما دل عليه هذا الحديث الصحيح ، ولا يمكن إعطاؤه ذلك إلا ببيع الجميع . فإذا كان الشارع يوجب إخراج الشىء من ملك مالكه بعوض المثل لحاجة الشريك إلى اعتاق ذلك . وليس للمالك المطالبة بالزيادة على نصف القيمة ، فكيف بمن حاجته أعظم من الحاجة إلى اعتاق

حـول شـهادات الاسـتثمار

ذلك النصيب ، مثل حاجة المضطر إلى الطعام واللباس وغير ذلك ، وهذا الذى أمر به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تقويم الجميع بقيمة المثل هو حقيقة التسعير .

كما أوردا أمثلة أخرى يمكن للمفتى ولغيره من الباحثين الرجوع إليها .

٢ ـ تضمين الصنـــاع :

يقصد بعدم تضمين الصانع أن يده على المتاع المسلم إليه لتصنيعه أو إخلاصه تعتبر يد أمين ، وهو بهذا الوصف لا يسأل عن ضياع أو تلف السلعة التى أعطيت له إلا إذا تعدى أو فرط . أما الضامن فإن التزامه يكون فى ذمته فيسأل عن الضياع أو التلف ، ولو كان ذلك راجعاً إلى سبب لا يد له فيه ، ولم يكن يستطيع دفعه ، فالوكيل يده يد أمين وهو لا يسأل إلا إذا تعدى أو فرط ، وعلى الموكل إثبات التعدى أو التفريط ، أما المقترض أو المغتصب فإن التزامهما للوفاء بالقرض أو رد المال المغتصب مضمون فى ذمتهما ، وعليهما أن يقوما بذلك ولو كان المال المقترض أو المغتصب قد ضاع أو تلف بقوة قاهرة .

وأول ما يجب إبرازه فى موضوع تضمين الصناع هو قول الإمام الشافعى ـ كما جاء فى كتاب الأم : (الصانع والأجير لا يضمن بحال إلا ما جنت يده ، كما يضمن المودع ما جنت يده ، وليس فى هذا سنة أعلمها ، ولا أثر يصح عند أهل الحديث عن أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . وقد روى فيه شىء عن عمرو عن على ، ليس يثبت عند أهل الحديث عنهما) جـ ٣ ص ٢٦١ .

وقد اختلف الفقهاء فى تضمين الصناع وما يضيع أو يتلف مما تحت أيديهم من متاع عهد إليهم بتصنيعه أو إصلاحه ، بل إننا نجد أن فقهاء المذهب الواحد اختلفوا فى ذلك ، فمنهم من قال بالضمان ومنهم من قال بعدمه .

وإذا رجعنا إلى أدلة من قالوا بالضمان نجد من بينهم من استند فى ذلك إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (على اليد ما أخذت حتى ترده) وإلى أن ضمان الصانع يرجع إلى أنه يأخذ أجرا على عمله . ومنهم من يستدل بما روى عن عمر أو على .

ثم إن الذين قالوا بتضمين الصناع لم يطبقوا عليهم أحكام الضمان ، فهم لم يضمنوهم إلا ما ينشأ عن تعديهم أو تفريطهم ، أما ما يحدث لما تحت يدهم من متاع لسبب قاهر لم يكن فى وسعهم منعه ولم يكن لهم يد فيه فإنهم لا يضمنونه ، على أن عليهم إثبات ذلك . وفى هذا المعنى جاءت الذين قالوا بتضمين الصناع . وأورد فيما يلى بعض أقوالهم فى هذا الصدد .

جاء فى بدائع الصانع أن أبا يوسف ومحمد قالا بضمان الصناع ، لأن هؤلاء الأجراء الذين يسلم إليهم المال من غير شهود ، تخاف الخيانة منهم ، فلو علموا أنهم لا يضمنون لهلكت أموال الناس ، لأنهم لا يعجزون عن دعوى الهلاك ، وهذا المعنى لا يوجد فى الحرق الغالب والغرق الغالب أو نصوص مكابرين ـ وعند أبى حنيفة الأصل أنه لا يجب الضمان إلا على المتعدى .

وجاءت فى المدونة الكبرى : قلت أرأيت الصناع فى السوق : الخياطين والقصارين والصواغين إذا ضاع ما أخذوا للناس يعملونه بالأجر ، وأقاموا البينة على ضياعه ، أيكون عليهم ضمان أم لا ؟

قال : قال مالك : إذا قامت لهم البينة بذلك فلا

ضمان عليهم . وهو بمنزلة الرهن . قلت : أرأيت القصار إذا قرض الفأر الثوب عنده ، أيضمن أم لا ؟ قال : قال مالك : يضمن القصار ، إلا أن يأتى أمر من أمر الله تقوم عليه بينة . فالقصار لا يضمن إذا جاء أمر من أمر الله تقوم عليه بينة ، والفأر من يعلم أنه قرضه ؟ فهو على القصار إلا أن تقوم للقصار بينة أن الفأر قرضه بمعرفة تعرف أنه قرض الفأر ، من غير أن يكون ضيع الثياب حتى قرضه الفأر . (قال) فإن قامت له البينة بحال ما ، ووصفت فلا يكون عليه ضمان .. قلت : أرأيت الصناع مما أصاب المتاع عندهم من أمر الله مثل التلف والحريق والسرقة وما أشبهه فأقاموا على ذلك البينة ؟ قال مالك : لا ضمان عليهم إذا قامت لهم بينة على ذلك ولم يفرطوا .

وقال فى المغنى : أنه اختلفت الرواية عن أحمد فى الأجير المشترك إذا تلف العين من حرزه من غير تعد منه ولا تفريط ، فروى عنه لا يضمن ، نص عليه فى رواية منصور ، وروى عن أحمد : أن كان هلاكه بما استطاع ضمنه ، وإن كان عدواً أو غرقاً فلا ضمان ، وقال أحمد - رحمه الله - فى رواية أبى طالب : إذا جنت يده أو ضاع من بين متاعه ضمنه ، وإن كان عدواً أو غرقاً فلا ضمان .

ويتبين من هذا القول أن من ذهبوا إلى تضمين الصناع طبقوا عليهم أحكام الأمين ، فهم لا يضمنون إلا إذا تعدوا أو فرطوا ، غير أنه لما كان الصناع يعملون بعيداً عن أصحاب المتاع ، ومن الصعب على هؤلاء أن يثبتوا أن ضياع المتاع أو تلفه ناشىء عن التعدى من الصانع أو تفريطه ، فى حين أنه لا يصعب على الصانع - وهو الذى يعلم سبب الضياع أو التلف - أن يثبت أن ذلك يرجع إلى سبب لا يد له فيه ، ولم يكن فى وسعه منعه ، فقد رأى القائلون بتضمين الصناع أن عليهم أن يثبتوا أن الضياع أو التلف لا يرجع إلى تعديهم أو تفريط منهم ، وأنه حدث بسبب لم يكونوا يستطيعون له دفعاً .

ويتضح مما تقدم أن الأثر المترتب على تضمين الصناع يقتصر على نقل عبء الإثبات من على أصحاب المتاع إلى الصناع ، فلم يعد الأولون مكلفين بإثبات تعدى الصناع أو تفريطهم ، وصار على الصناع إثبات سبب عدم ضمانهم لضياع المتاع الذى سلم إليهم أو تلفه - أما باقى أحكام عدم الضمان فلم تتغير ، مازال الصناع لا يضمنون إلا تعديهم أو تفريطهم . ويمتنع الضمان إذا أقاموا البينة على أن الضياع أو التلف يرجع إلى أمر من أمر الله كحرق غالب أو غرق غالب أو ما ماثل ذلك من أسباب أدت إلى ضياع المتاع أو تلفه .

٣ - ضـالـة الإبـــل :

عن يزيد ، مولى المنبعث أنه سمع زيد بن خالد يقول : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن اللقطة الذهب أو الورق ؟ فقال : اعرف وكاءها وعفاصها ، ثم عرفها سنة . فإن لم تعرف فاستنفقها ، ولتكن وديعة عندك ، فإن جاء طالبها يوماً من الدهر فأدها له . وسأله عن ضالة الإبل ؟

فقال : مالك ولها ؟ دعها ، فإن معها حذاءها وسقاها ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها ، وسأله عن الشاة فقال : خذها ، فإنما هى لك أو لأخيك أو للذئب ..

لقد بين هذا الحديث النبوى الشريف أحكام اللقطة ، وفرق فى الحكم بين ضالة الإبل ، وبين ضالة الشاة ، فقال بالتقاط ضالة الشاة وعدم التقاط ضالة الابل ، وذكر علة هذه التفرقة فى الحكم ، وأنها مدى تعرض كل منها للضياع ، فأباح التقاط ضالة الشاة لتعرضها للضياع فهى لا تستطيع الصبر على الجوع والعطش ، كما

البقية ص ٨٤١

جمهورية القرم الإسلامية

إعداد: عادل خفاجة

موقعها :

تقع هذه الجزيرة الخضراء في البحر الاسود شمال تركيا على بعد ثلثمائة ميل على التقريب من الشاطىء التركي الشمالي ، ويحيطها غربا وجنوبا البحر الاسود ، وشرقا مضيق كرتش وبحر أزاق الذى يفصل بينها وبين القوقاز ، وتتصل شمالاً باوكرانيا عن طريق برزخ اورقابي (بريكوب) الذى يتسع عرضه من خمسة إلى ستة كيلومترات .

مساحتها :

تبلغ مساحتها سبعة وعشرين الف كيلومتر مربع ، وهو ما يزيد على ثلثي مساحة سويسرا ، وتنقسم هذه المساحة إلى ثلاثة اقسام :

القسم الأول :

سهل منبسط في الشمال يزينه العشب الأخضر وتمر خلاله نهيرات صغيرة . وهذا القسم غني بالحيوانات الأليفة والوحشية ومختلف الطيور ، وتراب هذا القسم صلصالي ، ينبت فيه العديد من النباتات والخضر والحبوب ؛ لذلك وصفها هيرودوت بأنها مخزن العالم فيما تنبته .

القسم الثاني :

منطقة الجبال والشواطىء ، حيث توجد الخضرة وينابيع المياه والغابات التى تكسوها أجناس لا حصر لها من نباتات الجبال التى تستخرج منها العطور والكثير من المواد الكيميائية . فعلى سبيل المثال يوجد في جبالها ٢١٠ أنواع من الخوخ و ٣٣٠ نوعاً من التفاح و ٤٥٠ نوعاً من العنب ، وللقارىء أن يستنتج

الأعداد الهائلة للنباتات الطبية ، ومدى تنوع العقاقير المستخرجة منها .

وغابات القرم مع شواطئها تؤلف منطقة ممتازة للاستشفاء ؛ يتردد عليها الآلاف من المصابين والمصطافين .

القسم الثالث :

وهى منطقة الوديان والتلال ، وهى تجمع بين صفات القسمين الأول والثانى .

الحالة الاقتصادية :

إن الموقع المتميز الذى تمتاز به القرم ، لكونها منطقة جمعت بين المناطق الجبلية وبين الوديان جعلت من هذه الأرض مخزن العالم فيما تنبت كما قال هيرودوت .

لذلك تكثر فيها أشجار اللوز ، والبندق ، والبلوط ، والصنوبر ، والزان ، والتين والكروم والورود ، والجوز والتفاح والكمثرى والفراولة ، والخوخ ، والبرقوق ، والسفرجل وأجناس أخرى من نباتات الجبال . وكل ما من شأنه تقوية اقتصاد البلاد . إضافة إلى ذلك توجد :

* مناجم الحديد :

التى احتلت الدرجة الثالثة بعد مناجم اللورين الفرنسى ومناجم نيوقائد لاند الأمريكى ؛ حيث تأتى بعدهما مناجم كرتش فى القرم .

* خام الكبريت :

ويوجد بكميات كبيرة فى شبه جزيرة كرتش بالقرب من جبل « أوبوك » .

* زيت البترول :

ويوجد زيت البترول بكميات كبيرة فى منطقة كرتش ، وقد اكتشف البترول فى هذه المنطقة منذ عهد بعيد ، حيث تم أول بحث جيولوجى للمنطقة سنة ١٨٨١ م فأنشىء فى المنطقة أول مصنع بها لتكرير البترول .

* الفحم الحجرى :

يوجد الفحم الحجرى بكميات وفيرة وخاصة فى ضواحى أقمسجد ، وأهم مناجمه « بش أو » .

* استخراج الملح :

وعلى البحيرات المالحة التى يزيد عددها على مائة بحيرة والتى تصل مساحتها إلى ١٩ الف هكتار ، تقوم صناعات استخراج الملح بالإضافة إلى عدد من المواد الطبية الأخرى .

* صيد الأسماك :

كما تقوم على تلك البحيرات ، حرفة صيد الأسماك ، حيث تكثر أسماك (باربونيا) (كالكان) و (تيرس) وغيرها ويقوم على هذه الحرفة العديد من المصانع لحفظ الأسماك .

القرم المسلمة :

إن عهد القرم بالإسلام أقدم من قيامها كدولة مستقلة حيث كانت القرم بلدة داخل نطاق إمبراطورية يحكمها (بركة خان) الذى هداه الله إلى الإسلام فاعتنقه دينا له وتبعه أشياعه ورعاياه عام ١٢٦٢ ميلادية ، وكان يحكم القرم فى هذه الأثناء نائب الأمير (اديكه) .

دولة القرم المستقلة :

قامت دولة القرم عام ١٤٢٨ م كدولة مستقلة ، ونصب الحاج « منكلى كيراى » (خاناً) عليها ـ أى ملكا ـ ويتصل نسبه بجنكيز خان ، ثم توارث ابناؤه العرش القرمى جيلا بعد

جمهورية القرم الإسلامية

جيل حتى بلغ عددهم تسعة وستين خانا .

ازدهرت البلاد أثناء حكمهم لها ، وترعرعت وتعمرت بالمدنية الإسلامية الطاهرة فأصبحت تعيش فى كنف الطمأنينة وسلام العز الدائم . مراعية حسن الجوار وقوانين التجارة .

كان أبناؤها أشداء أقوياء يعلمون كيف يذودون عن وطنهم ويردعون المعتدى ، وكان ممن ذاق شدتهم وعلم قوتهم أمراء أوكرانيا وموسكو حينما تناسى هؤلاء الأمراء حقوق جيرانهم وبخاصة على الحدود الإسلامية مثل (القازان) و(أسترخان) لقد اضطرت القرم حيال ذلك إلى إخضاع موسكو دون أن تعمد إلى خرق القواعد الإسلامية المفروضة على المتحاربين .

التخطيط الروسى :

لم يكن الروس ليهنأوا بالاً مع وجود دولة قوية مثل دولة القرم على حدودهم ! وفكروا فى القضاء على هذه القلعة الإسلامية ، وحاولوا الاستيلاء عليها بالقوة فجهزوا جيشاً جراراً وأغاروا عليها فى عام ١٦٧٧ م فباءت محاولتهم بالفشل ولحقتهم هزيمة نكراء ؛ بفضل إيمان جنود القرم ، وشجاعة (سليم كيراى) الذى كان على عرش القرم فى تلك الآونة .

لم يرتدع الروس إزاء هذه الهزيمة فأعادوا الكرة عام ١٧٣٦ م فذاقوا نفس الهزيمة ، ثم أغاروا للمرة الثالثة ما بين عامى (١٧٣٧ ـ ١٧٣٨) بقيادة الفيلد مارشال (لاسسى) ، ولم يكن للفيلد مارشال (لاسسى) حظ أفضل من سابقيه ، فمُنى بفشل ذريع . وأعاد الروس اعتداءهم للمرة الرابعة عام ١٧٧١ بقيادة (دولغوروكى) فضرب ألف قرية وعدداً من المدن وكان هذا الإجرام الحربى فى قصف المدنيين هو ما دفع العالم الروسى (ماركوف) إلى وصف شنائع الاعتداء الروسى ،على القرم الإسلامية .

ضم القرم إلى روسيا :

كانت القرم دولة كاملة الأركان ترتبط بمن تشاء من الدول وتوقع المعاهدات وفقاً لما تتطلبه مصالح القرميين السياسية والتجارية ، وكان من هذه الاتفاقيات ، معاهدة (عدم اعتداء) بينها وبين الدولة الروسية القيصرية .

تلك المعاهدة التى نقضتها الامبراطورة (كاترين الثانية) بالاستيلاء على القرم وأعلنت ذلك بعد الاعتداء لا قبله ، هذا الاعتداء الذى يعتبر خامس اعتداء أنهك القرميين الذين لم تكن بين أيديهم مساعدات كافية ولننظر إلى ترجمة بعض أجزاء منشور ٨ أبريل ١٧٨٣ الخاص بذلك ، يقول المنشور :

« نعلن نحن كاترين الثانية امبراطورة روسيا وحاكمتها المطلقة ما يأتى :

فى الحرب الأخيرة التى نشبت بيننا وبين الباب العالى العثمانى انتصرت جيوشنا البواسل ، فازت عليه ، وخولت لنا حق الاحتفاظ التام بالقرم .. لذلك أرانى فى حل من تعهداتى الخاصة بالتخلى عن القرم وترك شعوبها الإسلامية حرة مستقلة . وأجد من حقى أن أعود فيما أعطيت وأن أضع يدى على هذا الإقليم الذى استحقه ثمرة الفوز العسكرى »[1] .

وهكذا ، ظُلم القرم وأهله ، ونكل بالمسلمين وأُحرقت المدن والقرى ونُهبت الدور والقصور ، وهتكت الأعراض ، .وذبح الجنرال المغير ثلاثين

(١) يوسف ولى شاه : كارثة القرم الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى القاهرة ١٩٥٠ .

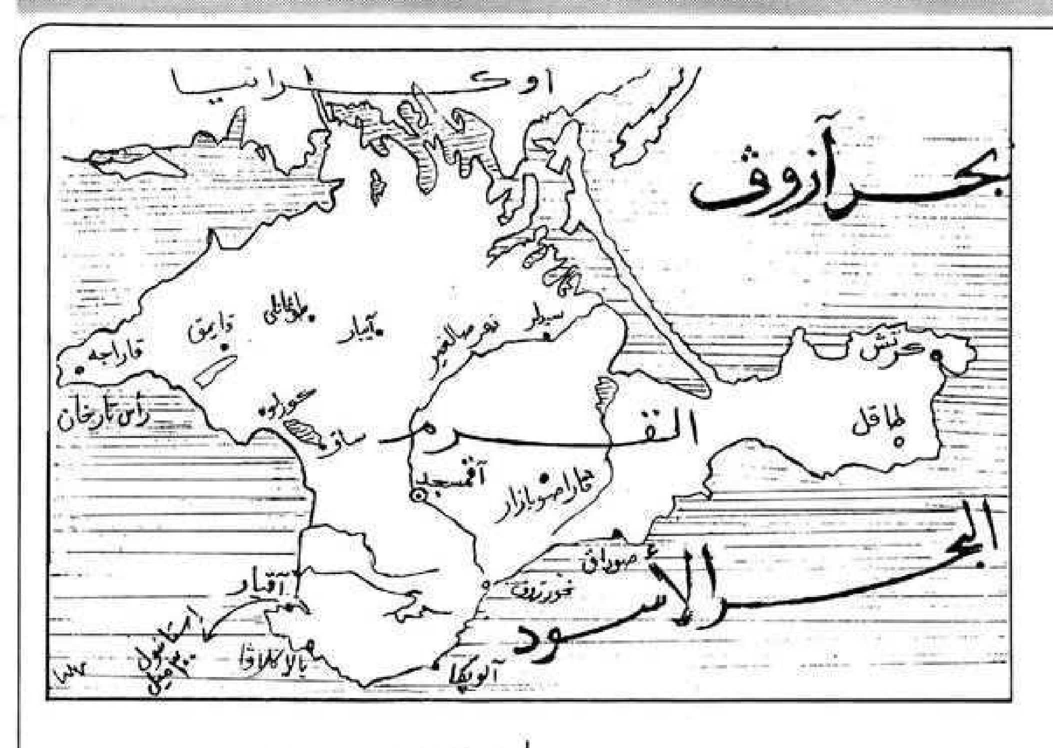

الف مسلم بين أطفال ونساء وعجائز في ليلة واحدة على نهر (قاراصو بازار) وأمام هذا الظلم الفادح والفظائع والتنكيل والعذاب ، اضطر ٣٠٠,٠٠٠ من مسلمي القرم إلى هجر بلادهم إلى البلدان المجاورة ولم يكن ما فعلته الامبراطورة كاترين الثانية وأمرت به غريبا على مسلمي القرم ، فقد كان امتداداً لمخطط روسي لا يهدف فقط إلى الاستيلاء على القرم ، بل يهدف أيضا إلى نفي أهلها . فقد سبق كاترين الثانية ، الامبراطور (إلى الكسي ميخايلوفتش) قيصر روسيا حيث أجبر المسلمين في عهده على قبول دينه ، وفوق ذلك قام بإحراق القرآن الكريم ، والمساجد ، وسلخ بشرة المسلمين .

لم يستطع الشعب القرمي المسلم الصمود في وجه الروس أكثر من هذا : فبدأت الهجرات تتوالى كلما ازداد طغيان الروس مالكي زمام الحكم ، وكان أهم هذه الهجرات ماتم في الأعوام (١٧٩٠ ـ ١٨١٣ ـ ١٨٦٠ ـ ١٨٦٣ ـ ١٩٠٥ ـ ١٩٢١) ولم تقف محاولات الروس عند هذا الحد ، بل تغيرت وتشكلت وفق الأحوال ، فلجأوا إلى الغش للوصول إلى تنفيذ خطتهم لنفي هذا الشعب المسلم ، فقد أخذت الدولة الروسية عقب إلحاق القرم بالامبراطورية الروسية في أواخر القرن الثامن عشر تدعو الشعب القرمي بالهجرة إلى تركيا باسم سلطانها ، وتبث بين الشعب القرمي وكلاءها من الأرمن والروم الذين تنكروا في أزياء علماء ، وتظاهروا بأنهم رسل السلطان ، وكانوا ممن يجيدون اللغة التركية إجادة تامة بالإضافة إلى إتقانهم قراءة سور القرآن الكريم على أتم وجه ، ويخاطبونهم قائلين : « أيها المسلمون ، يجب عليكم ألا تظلوا تحت حكم الكفرة ، إذ أن الدين يمنع الخضوع لهم ، وقد جهز السلطان أراضي وبيوتاً في الأناضول ويدعو كل واحد منكم أن يلبي دعوته » وانطلت الحيلة

جمهورية القرم الإسلامية

على القرميين ، فهاجر قسم كبير منهم قاصدين الأرض البيضاء ـ أى الإسلامية ـ وضاع ثلثهم فى أعاصير البحر الأسود !!

التخطيط لتجويع مسلمى القرم :

خطط الروس لتجويع هذا الشعب المسلم ، وفرضوا عليه الجوع فرضاً ففى عام ١٩٢١ راح ضحية الجوع مائة ألف شخص ماتوا فى الطرقات العامة والحقول بحثاً عن شىء يسدون به رمقهم !! نعم ، لقد ظهر القحط فى هذه السنة فى حوض الفولغا ، وبسط الجوع سلطانه على السكان ، ولكن ما حدث فى القرم شىء مخطط ؛ حيث نقل الروس من القرم ماجادت به الأرض فى هذه السنة ـ لجودتها وطيب مناخها ـ من حبوب وغيرها إلى روسيا بالقوة دون أن يتركوا لغالبية السكان مايتعيشون به !! وقد دفع ذلك الأتراك إلى شراء الكميات اللازمة من الطعام لسد رمق إخوانهم ، وذهبوا بها إلى القرم ، إلا أن الإدارة الشيوعية صادرت هذه المؤن قبل وصول القافلة إلى البلاد ؛ ليبقى القرم يعانى المجاعة والقرم اليوم إحدى الجمهوريات الإسلامية .. فهل يعنى المسلمون بها بعد السقوط الذريع للشيوعية ، وتكالب الاستعمار الجديد على الجمهوريات الإسلامية ..؟!

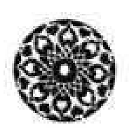

"أشد الناس عداوة للذين آمنوا"

للدولة اليهودية

بقلم لواء . أ . ح . دكتور
فوزي محمد طايل

عرضنا في المقال الأول من هذه الدراسة للثقافة السياسية وللقيم العليا في « الدولة اليهودية » .

وفي المقال الثاني حاولنا الإجابة على سؤال : من يحكم « إسرائيل » ، فعرضنا للسلطات العامة وللعلاقات الدستورية والسياسية فيما بينها ، ونحن في هذا المقال على موعد لنحاول الإجابة على سؤال : كيف تُحكم إسرائيل ؟

الأحزاب السياسية :

يصدق من يقول: إن الحياة السياسية في إسرائيل هي حياة سياسة الأحزاب ، وسياسة الأحزاب هذه هي سياسة « النخبة السياسية » . ولا غرو ، فهذا ميراث تاريخي ورثه اليهود منذ فجر تاريخهم . وفي هذا يقول الله-تعالى-في كتابه العزيز :

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة / ٦٠) .

ذلك بأن الله تعالى قد كتب عليهم الفرقة والتحزب إلى يوم القيامة فقال جل شأنه ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الاعراف/١٦٨) .

ويبلغ عدد الأحزاب والقوائم[1] التي تدخل ◄

(١) القائمة اصطلاح فني يطلق على مجموعة تسعى سويا من أجل الحصول على مقعد في المجلس التشريعي (الكنيست) ، ولايضمهم حزب سياسي .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

الانتخابات أحيانا مايزيد على الثلاثين ، بيد أنه لايسمح لمن لايحصل على نسبة ١٪ من الأصوات على الأقل بالمشاركة فى مقاعد (الكنيست) . وكثيرا ما نسمع عن انشقاقات داخل الحزب الواحد ، فينتج عن ذلك أحزاب جديدة ، وأحيانا ما يحدث ائتلاف بين حزبين او اكثر لتكوين كتلة واحدة مثل « كتلة الليكود » التى تحكم إسرائيل الآن ، « وكتلة المعراخ » التى حكمت إسرائيل حتى عام ١٩٧٧ .

ونظراً لهذا التحزب المفرط فإنه يستحيل على حزب واحد أن يحصل على واحد وستين مقعدا فى « الكنيست » (أى الأغلبية المطلقة) حتى يمكنه تأليف الوزارة ، لذا فالوزارة الإسرائيلية دائما « وزارة ائتلافية » .. أى تتشكل من وزراء تابعين لأكثر من حزب سياسى واحد ، توزع بينهم المناصب الوزارية بناء على مفاوضات تسبق تشكيل الوزارة .

وعلى الرغم من التحزب الشديد ، فإن كل الأحزاب فى إسرائيل تجتمع حول « الفكرة الصهيونية ».. لذا فهى توزع الأدوار السياسية فيما بينها ، فيظن البعض أن هناك من يميل منهم إلى التسامح فى سبيل إعادة الحقوق أو بعض الحقوق المغتصبة للفلسطينيين ، وهناك من يتشدد ... وهذا خطأ كبير وقع فيه الكثيرون منا ولايزالون ، وقد أطلق الإسرائيليون ـ خداعا ـ على الفريق الأول فى هذه اللعبة المتقنة اسم « الحمائم » ، وعلى الفريق الثانى اسم « الصقور » .

وحينما يطلق على بعض الأحزاب السياسية فى إسرائيل:انها يمينية ، وعلى أخرى:انها يسارية ، فإن هذا التقسيم ينصرف إلى مدى التشدد فى حرفية تنفيذ الفكرة الصهيونية التى تقوم أساسا على إحلال اكبر قدر ممكن من يهود العالم محل العرب فى المنطقة التى يدعون انها « ارض الميعاد » ... فالكل يؤمن بهذه الفكرة ويعمل على تنفيذها .. لكن البعض يرى التدرج واستخدام اساليب خداعية على مدى طويل . والبعض الآخر يرى الإسراع بتنفيذ الفكرة والطرد الفورى لسكان هذه الأرض من مسلمين ونصارى .

فالحكم على حزب إسرائيلى بأنه يمينى يعنى انه يتشدد فى تطبيق « الشريعة اليهودية » (هاهلخاه) ، ويطالب بالإسراع فى وضع « الفكرة الصهيونية » موضع التنفيذ .. على أن اكثر الأحزاب تطرفا تجاه « اليسار » لاينكر هذين المطلبين بوصفهما غاية قيام الدولة اليهودية ... وإلا لما كان اتباع هذا الحزب « اليسارى » قد تركوا أوطانهم وهاجروا إلى فلسطين .

والأحزاب الإسرائيلية هى أحزاب جماهيرية ، هرمية التنظيم يقف على قمة كل منها شخصية صهيونية قوية ذات تاريخ مشهود له فى هذا المجال . وتتلقى هذه الأحزاب معونات مالية من المنظمات اليهودية خارج إسرائيل تستخدمها فى عمليات التأهيل الاجتماعى والسياسى للمواطنين من خلال تنظيم : حركات الشباب ، وإنشاء المدارس ، والنوادى الرياضية والملاهى ، وتأدية الخدمات الاجتماعية ، وبث الروح الصهيونية لدى أعضاء الحزب من خلال الندوات والمحاضرات والمناقشات الثقافية ، ومن خلال الصحافة .

ولعل من أهم واجبات الأحزاب السياسية فى

إسرائيل أنها تقوم بعملية « التجنيد السياسى » وانتقاء وتأهيل القادة ودفعهم لتولى المناصب العامة .. كما أنها تقوم بصناعة « الرأى العام » وتقوية « الإرادة الوطنية » .

ويشارك المواطن الإسرائيلى فى اتخاذ القرار السياسى بشكل غير مباشر من خلال إقباله على الانضمام إلى حزب سياسى أو حركة أو جماعة سياسية ، وتحوله من حزب إلى آخر بمعدل عال يفوق كل المعدلات العالمية فى هذا المجال ، ومن خلال الإقبال الشديد على الانتخابات الذى يزيد عادة على ٨٠٪ من إجمالى الناخبين المدرجين فى جدول الانتخاب .

هذا ، ويميل معظم « السفارديم » إلى إعطاء أصواتهم لكتلة الليكود فى حين يميل معظم « الاشكنازيم » إلى إعطاء أصواتهم إلى « حزب العمل » ، أو « التكتل العمالى » (المعراخ) .... وتذهب باقى الأصوات للأحزاب الأخرى وللقوائم السياسية .

ولعل من المفيد أن نلقى الضوء على أهم الأحزاب السياسية فى إسرائيل :

١ - **حزب العمل** ، وأطلق عليه أيضا « التحالف العمالى » (المعراخ) فى فترات تاريخية كانت فيها كل الأحزاب العمالية متآلفة فى كتلة واحدة .

والحزب الرئيس فى هذا التحالف هو حزب « ماباى » Mapai وهو اختصار عبرى لـ « حزب عمال أرض إسرائيل » ونشأ عام ١٩٣٠ م من اندماج حركتى « عمال صهيون » ، و « العامل النشيط » اللتين ظهرتا منذ عام ١٩٠٦ م .

وقد انضم لهذا الحزب حزب عمالى آخر هو حزب « مابام» Mapam أى « حزب العمال المتحدين » ، وانفصل عنه حزب «راف» أى « قائمة العمال الإسرائيلية » الذى عاد فانضم إليها ... الخ

وقد تولى هذا الحزب حكم إسرائيل منذ نشأتها ، كحزب مهيمن ، حتى ضعفت شعبيته فى أعقاب حرب رمضان ١٣٩٣ هـ (أكتوبر ١٩٧٣) وخسر انتخابات عام ١٩٧٧ م . ومن أهم قادة هذا التحالف « دافيد بن جوريون » ، « وموشى شاريت » ، « وليفى إشكول » ، «وموشى ديان » ، و« جولدا مئير » ، « ويتصحق رابين » ، « وشمعون بيريس » الرئيس الحالى للحزب .

٢ - **كتلة ليكود** وهى تجمع لمجموعة أحزاب متشددة فى موقفها إزاء إقامة « إسرائيل الكبرى » بحدودها « التوراتية » ، كما يزعمون . وبذا فهى كتلة يمينية ، لايفوقها فى تشددها سوى الأحزاب الدينية والحركات اليهودية الأكثر تطرفا مثل « هتحيا » ، و «شاس» ، و« جوش إيمونيم » ... إلخ .

وتضم « الكتلة » حزب « حيروت » أى « الحرية » الذى كان يرأسه « مناحيم بيجن » منذ عام ١٩٤٨ ، والذى انضم إليه «حزب الأحرار» فيما بعد ليكونا ما سمى بكتلة « جاحال » التى انضم إليها أيضا « حزب الصهيونيين العموميين » .

وشاركت كتلة « جاحال » فى الحكومة الائتلافية عام ١٩٦٧ ، وانضم إليها حزب « لاعام » الذى انشق عن حزب « راف » بسبب عودة الأخير إلى «تحالف العمل » عام ١٩٦٨ م .

وقد ظهرت « كتلة ليكود » كحزب قوى تحت قيادة « مناحيم بيجن » منذ عام ١٩٧٣ م لتتولى الحكم منذ عام ١٩٧٧ م ، ثم انتقلت قيادتها إلى «يتصحق شامير » منذ عام ١٩٨١ م وحتى الآن .

وتلتزم « كتلة ليكود » ببرنامج عمل يتضمن

﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا﴾

ضرورة إقامة «إسرائيل الكبرى» عاصمتها «القدس» الموحدة، وعدم قبول أى تقسيم «للوطن العبرى» الذى يشكل وحدة جغرافية وتاريخية. وأن على الجيل الحالى أن يعمل على عودة الشعب اليهودى المشتت إلى وطنه المحرر. وأن «التوراة» يجب أن تكون دستور الدولة.

٣ ـ **الأحزاب الدينية**، وما أكثرها، وهى رغم صغرها تعد ضرورية وهامة لإحداث الائتلاف الحكومى. وبدونها لايمكن لأى من الحزبين الكبيرين تشكيل وزارة تحكم البلاد.

ولعل القاسم المشترك الأعظم لهذه الأحزاب هو دعوتها لتحويل كل القوانين فى إسرائيل إلى قوانين مستمدة من الشريعة اليهودية، كما أنها ما قامت جميعها إلا لتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، وتأمين الاستيطان فيها وعدم السماح لأية حكومة إسرائيلية باتخاذ قرار يتضمن التنازل عن الأرض ولو مقابل السلام.

ومن أهم هذه الأحزاب حزب «مفدال» أى (الحزب القومى الدينى)، وحزب «مزراحى» (حزب المركز الروحى)، و«جماعة إسرائيل» (أجودات يسرائيل)، وحزب «تامى»، وحزب «شاس» الذى كان يترأسه الحاخام «مئير كاهانا»... الخ.

٤ ـ وفضلا عن هذا توجد بعض الأحزاب الشيوعية مثل حزبى «ماكى» و«راقح»، وحزب «العرب الديمقراطيين» الذى أطلق على نفسه «حزب التقدم والتنمية»، و«حزب التقدم والعمل» الذى أطلق على نفسه «حزب التعاون والأخوة».... الخ وكلها أحزاب هامشية مثلها مثل بعض الحركات الأخرى ذات التأثير الدعائى الأجوف مثل «حركة السلام الآن»... ويقابلها حركات هامشية متطرفة مثل «جوش إيمونيم»، «والحشمونائيم»، وحركة «أومتص»، و«مانوف».. الخ.

قوى الضغط ومجموعات المصالح:

لقوى الضغط ومجموعات المصالح ـ رغم أنها تعد بالمئات ـ تأثير محدود ومحكوم فى مجال صنع واتخاذ القرار السياسى، ويرجع ذلك إلى المركزية الشديدة للنظام السياسى الإسرائيلى، وإلى سيطرة الأحزاب على الحياة السياسية، كذا إلى قلة الموضوعات التى تترك دون بحث ومعالجة فى إطار مؤسسات السلطات العامة، وأخيرا فإن رؤساء مجموعات المصالح وقوى الضغط هم أنفسهم قادة الأحزاب أو الشخصيات القوية فيها.. لذا ينحصر عمل هؤلاء فى التأثير لإشراك شخصيات غير رسمية فى عملية صنع واتخاذ القرار السياسى. ولعل أهم التنظيمات وأكثرها تأثيرا تتمثل فيما يلى:

١ ـ **الهستدروت**:

وهى كلمة عبرية تعنى «النقابة» واسمها الكامل «النقابة العامة للعمال العبريين بأرض إسرائيل». وهى ليست نقابة العمال الوحيدة هناك، لكنها أكبر هذه النقابات بحيث تبدو الأخريات بالنسبة لها ضئيلة الحجم جدا.

تأسست «الهستدروت» عام ١٩٢٠م بهدف تنظيم دور العمال فى الحركة الصهيونية، وارتبطت «النقابة» «بحزب العمل» فى بداية نشأتها، وقد بلغ[٢] عدد أعضائها عند

(٢) توسعت علاقاتها الآن بالأحزاب الأخرى إلى درجة أن ثلاثة أرباع أعضاء الكنيست هم فى نفس الوقت أعضاء «بالهستدروت»... وهناك من يطلق عليها الآن: «اتحاد الشعب الإسرائيلى».

التأسيس ٤٤٣٣ عضوا ، وهى تضم الآن أكثر من مليون ونصف المليون (حوالى ٨٠٪ من قوة العمل فى إسرائيل) ، وينضم العرب المقيمون فى إسرائيل إلى هذه النقابة ... وبجانب دورها كنقابة عمال فإنها تمارس نشاطات اقتصادية واجتماعية واسعة ، بل إن لها علاقات خارجية من خلال منظمات الأمم المتحدة المانحة للمعونة لاتقل أهمية وخطورة عن علاقات وزارة الخارجية الإسرائيلية :

« والهستدروت » هى أكبر مستخدم مدنى ، وأكبر مستثمر رأسمالى من خلال امتلاكها « لشركة العمال » (حفرات عوفديم) Hevrat ovdim .. لذا فإن لها قوة اقتصادية واجتماعية هائلة[٣] .

وهى تسيطر على التأمين الصحى من خلال منظمة « صندوق المرضى » (قوبات حوليم) التى تقدم خدماتها الصحية لقرابة ٧٥٪ من المواطنين ، ويتبعها ثلث مستشفيات إسرائيل .

وللهستدروت فروع فى جميع البلاد التى بها جاليات يهودية كبيرة ، ومكتبها الدائم فى « نيويورك » يطلق عليه « بيت هاهستدروت » ، ويقوم بنشاط سياسى واستخباراتى سرى ، ويعمل على دفع اليهود إلى المناصب القيادية الكبرى فى نقابات العمال الأمريكية .

وللهستدروت حزب فى بريطانيا يسمى « بوعيل تصيون » أى عامل صهيون . بعض أعضائه أعضاء فى حزب العمال البريطانى فى نفس الوقت .

وللهستدروت علاقات قوية مع الأحزاب الاشتراكية فى كل أنحاء العالم ، وتوفد الخبراء والفنيين إلى مختلف بلدان العالم للمساهمة فى المشروعات التى تتولى منظمات الأمم المتحدة المانحة للمعونة تمويلها .

٢ ـ المؤسسة العسكرية

اعتمدت إسرائيل على استخدام القوة العسكرية لإقامة الدولة ولتأمينها ولتحقيق أهدافها ، فقد شكلت العصابات المسلحة (الهاجاناه ـ شتيرن ـ الأرجون ... الخ) فى المجتمع اليهودى الاستيطانى بفلسطين « اليشوف » وقد أفرزت هذه العصابات الزعماء والقادة الذين تولوا أعلى المناصب منذ عام ١٩٤٨م وحتى الآن . وصارت أولوية « سياسة الدفاع » ـ على حد تعبير « آشير آريان » عميد كلية العلوم الاجتماعية بجامعة تل « أبيب » ـ بمثابة « جزء من منهاج الحياة فى إسرائيل » Part of the Israeli way of life وصار موضوع الدفاع ـ فى نظر المواطن الإسرائيلى ـ هو الموضوع الأهم ، وغلفت الرموز العسكرية (القوة ـ التضحية ـ البطولة ... الخ) منظومة القيم ، والثقافة فى إسرائيل ، على حد تعبير « آريان » .

وبالإضافة إلى أن وزير الدفاع الإسرائيلى يعد ثانى أو ثالث أهم شخصية هناك ، فإن عدداً كبيراً من كبار القادة السابقين يرأسون أهم الأحزاب ، ويتولون مناصب وزارية هامة كالزراعة ، والاستيطان ، والخارجية ، بل والتعليم أحيانا ، فضلا عن منصب رئيس الدولة أو رئيس الوزراء أو المنصبين معا أحيانا[٤] وإذا ما أضفنا لذلك أن « مجمع الصناعات

---

(٣) تسيطر الهستدروت على ٧٥٪ من الإنتاج الزراعى ، و٢٥٪ من الإنتاج الصناعى ، و٤٠٪ من أعمال البناء ، و٩٩٪ من المواصلات العامة .

(٤) ضمت الوزارة التى شكلت عام ١٩٨٨ م احد عشر عضوا من القادة العسكريين السابقين فضلا عن رئيس الدولة . ومن هؤلاء خمسة وزراء دفاع ، وثلاثة رؤساء اركان سابقين .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

العسكرية » ، والذى يضم أهم الصناعات فى إسرائيل تسيطر عليه المؤسسة العسكرية ، وإذا ما علمنا أن المسرحين من الخدمة العسكرية يمثلون ٤٠٪ من العاملين بشركات الأعمال الكبيرة ، و ٨٠٪ من العاملين بالشركات الحكومية ، و٩٠٪ من العاملين بجهاز النقل ، بما فى ذلك الطيران المدنى ، لأمكننا القول بكل بساطة أن « إسرائيل معسكر كبير » ، للعسكريين فيه اليد الطولى فى حكم البلاد ... ناهيك عن سيطرتهم الكاملة تقريبا على مجتمع الاستخبارات الذى يعد بمثابة كل حواس صانعى ومتخذى القرار ، فضلا عما يحيكه من أعمال سرية فى هذا المجال .

٣ ـ المؤسسة الدينية :

يتعدى دور المؤسسة الدينية فى إسرائيل مجرد التأثير الاجتماعى إلى التأثير فى الحياة السياسية ككل ، بل وفى مجال الدفاع والأمن القومى ، باعتبار الصهيونية فكرة يهودية فى لحمتها وسداها .

وعلى الرغم من أن عدد مقاعد الأحزاب الدينية فى الكنيست لايتجاوز الآن ثمانية عشر مقعدا ، إلا أن تأثير المؤسسة الدينية فى تطبيق الشريعة اليهودية ، وفى الاستيطان ، والهجرة ، وتهويد مدينة القدس ، والإعداد لبناء الهيكل الثالث على انقاض المسجد الأقصى يتزايد يوما بعد يوم .

هذا ولايتخذ قرار سياسى فى إسرائيل إلا والبعد الدينى فيه يكون جوهريا ... وتقوم الخلافات والمناظرات بين صانعى القرار وبين متخذى القرار حول مدى « يهودية » القرار كما يقول « آشير آريان » .

Religion is a central issue in Israeli political life.. the broad consensus within the Jewish population that Israel should be a Jewish state. The conflict is over the degree of Jewishness. »

ويعتبر منصب « وزير الأديان » من المناصب ذات الأهمية السياسية والقانونية ... ونظرا لخطورته فى هذه الأيام فقد تولاه رئيس الوزراء «يتصحق شامير» نفسه ... الذى عاد فدعم وزارته بأحد الوزراء « المتطرفين » ليعمل وزيرا دون وزارة هو « ريحافام زعيفى » .

صنع واتخاذ القرار السياسى :

يتسم صنع القرار السياسى فى إسرائيل بالتعقيد ، وباحتوائه على أبعاد أمنية ، وعقائدية ، واستراتيجية ، واقتصادية ، ونفسية واجتماعية فى آن واحد . وتشارك فيه بشكل أو بآخر مختلف مؤسسات الدولة وتنظيماتها ، والمؤسسات الصهيونية (خارج الدولة) . بيدأن عملية اتخاذ القرار التى تلى ذلك مباشرة تناط بمجموعة صغيرة يراسها رئيس الوزراء ، وتقوم باختيار البديل الذى تراه مناسبا ... وغالبا ماتعمل فى منزل رئيس الوزراء .

ولا تخلو عملية صنع القرار واتخاذه من صراعات شخصية ومنافسات مريرة . ومن ناحية أخرى فإن كبار الشخصيات التى لاتشغل مراكز رسمية فى أجهزة السلطة العامة تشارك عادة بالرأى والنصيحة والمشورة .

وتمر عملية صنع القرار السياسى بمرحلة أولية لجمع البيانات والمعلومات وتحليلها ، وتوقع الأزمات ، ووضع بدائل الحلول ، وهذه يُشارك فيها مجتمع الاستخبارات ، ومراكز الأبحاث الاستراتيجية والخبراء والفنيون والاستشاريون بمختلف الوزارات .

أما عملية اتخاذ القرار فيشارك فيها رئيس الوزراء ، ووزيرا الخارجية والدفاع ، وزعيما « حزب العمل » (ماباى) ، «والليكود »[٥] ، وأمين عام « الهستدروت » ، وآخرون يختارون حسب طبيعة القرار وخطورته ، وتستمع هذه المجموعة لتقرير ممن تراه ، ويلعب مدير مكتب رئيس الوزراء فى هذا المجال دورا خطيرا إذ يضع الأفكار الرئيسية التى تعرض للمناقشة ، ويرتب البدائل .

أما مرحلة وضع القرار موضع التنفيذ وتحديد الوقت المناسب لذلك فتتحكم فيها مجموعة من الاعتبارات مثل : الظروف السياسية الخارجية ، ومدى تقبل الرأى العام ، ومدى تأثير جماعات الضغط والمصالح ... الخ .

هذا وتشارك المنظمة الصهيونية العالمية فى وضع الاستراتيجية العامة للدولة اليهودية ، وفى اتخاذ القرارات المصيرية . وقد نظم القانون الإسرائيلى هذه المشاركة منذ عام ١٩٥٢ م ، كما صدر عام ١٩٥٤ م ميثاق للتعاون بين الحكومة الإسرائيلية والمنظمة ، باعتبار الأخيرة « الحكومة القومية العليا » التى تقوم باستنفار يهود العالم وتحريكهم كقوى ضاغطة عالمية فى الوقت المناسب .

لقد أدت ظروف نشأة إسرائيل ، والتأييد شبه الكامل من قبل دول الربع الشمالى للكرة الأرضية إلى إحداث قدر كبير من التوازن بين السياسة الداخلية فى الدولة اليهودية وبين تحقيقها للأمن القومى ... وهذا مانحاول معالجته فى المقال القادم بإذن الله .

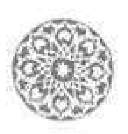

---

(٥) عادة مايكون أحدهما هو نفسه رئيس الوزراء . وفى الوقت الحالى يرأس زعيم حزب « الليكود » « يتصحق شامير » الوزارة بينما يرأس « شمعون بيريس » « حزب العمل » .

قضية كشمير المسلمة

٢

للأستاذ
ماهر زكريا الشيمى

اما بالنسبة لكشمير فقد ادركت الهند اهميتها الاستراتيجية والاقتصادية ، ولذلك عملت جاهدة للاستيلاء عليها حتى تتمكن من الهيمنة والسيطرة على باكستان ومقدراتها .

إمارة كشمير

الموقع وأهميته : تقع كشمير فى أقصى شمال الهند . بين دائرتى عرض ٣٢ ° ، ٣٨° شمالا ، وبين خطى طول ٧٢° ، ٨٠° شرقا . فى منطقة ذات أهمية استراتيجية كبيرة حيث تجاور الهند من الجنوب الشرقى ، والصين من الشمال الشرقى ، والاتحاد السوفيتى من الشمال الغربى ، وجمهورية باكستان الإسلامية من الجنوب الغربى ، حيث يمتد خط الحدود بينهما لأكثر من (٧٠٠) سبعمائة كيلو متر ، بينما تمتد حدودها مع الهند إلى ٣٠٠ كيلومتر فقط .

وهى أرض مضرسة وعرة صاعدة إلى عقدة بامير الجبلية ، وسلاسل جبال هيمالايا . ومعنى هذا انها تقع فى موقع جغرافى حساس من حيث سيطرتها على الممرات التى تعبر هذه المرتفعات الشاهقة والتى تصل بين أرض الهند وأرض الصين من وراء الجبال ، ويوجد بها سهلان أو واديان هما وادى جامو ووادى كشمير . كما تجرى بها الأنهار الثلاثة السند وجيلم وجناب (تشناب) التى تكفل الحياة فى دولة باكستان .

ولهذا كله تنظر الهند إلى كشمير باهتمام ، وتعقد عليها أهمية كبرى من الناحية الاستراتيجية . مثلما تنظر باكستان إليها باهتمام أكثر وتعقد عليها أهمية أكبر من الناحية الاقتصادية ، لاعتقادها أن من أهم مقومات التقدم الاقتصادى : السيطرة على كشمير واستغلال مساقط المياه فى الروافد النهرية لتوليد الكهرباء . بالإضافة إلى أن التفوق الكبير فى أعداد المسلمين فى كشمير يشعر باكستان بالتعاطف مع سكانها ، ويذكرها دائما بواجبها نحوهم .

المساحة والسكان : تبلغ مساحة كشمير نحو ٨٤٤٧١ ميلا مربعا . أى أنها أكبر من مساحة هولندا وبلجيكا والدنمارك مجتمعة وأكبر من

● الكاتب مستشار أول الجغرافيا بالأزهر .

مساحة بنجلايش (٥٤٥٠١ ميل مربع) ويبلغ عدد سكانها اكثر من ١٢ مليون نسمة[1] وهم موزعون على النحو التالى :

فى كشمير نفسها - أى بخلاف مقاطعة جامو - تبلغ نسبة المسلمين ٩٣,٥٪ من مجموع السكان بها . وفى مقاطعة جامو تبلغ نسبة المسلمين ٣٢٪ من مجموع سكانها ، بينما نجد أن منطقة (جلجت) وهى المنطقة الجبلية الواقعة فى الشمال الغربى والتى يتاخم جزء منها حدود الاتحاد السوفيتى نجد أن جميع سكانها من المسلمين . وعموما فإذا نظرنا إلى الإمارة بأكملها فإن نسبة المسلمين فيها تبلغ ٧٨٪[2] .

ويعتمدون فى حياتهم على القمح والأرز والقطن والرعى . وشعب كشمير فقير بوجه عام ، وهناك عدة لغات محلية ، ولكن الأردو والكشميرية هما أهم لغتين ، والعاصمة سرينجار وتقع فى القطاع الهندى ، وجلجت عاصمة القطاع الباكستانى .

وكانت إمارة كشمير زمن الاستعمار الإنجليزى مقسمة إداريا إلى ثلاث مناطق هى : جامو وكشمير ومنطقة الحدود ، وأما اليوم فقد أصبحت تنقسم إلى قسمين هما : كشمير الحرة ، وهو القسم الذى أعلن انفصاله عن الإمارة الأم - كما سيأتى ذكره - وهذا القسم يلى باكستان مباشرة ، ومساحته حوالى ثلث مساحة الإمارة . أما القسم الآخر وهو يمثل ثلثى مساحة الإمارة ، فقد استولت عليه الهند - كما سيأتى ذكره - ويشمل مقاطعتى جامو وكشمير ، وحاليا يطلق اسم كشمير عليهما معا (جامو وكشمير) ،

وهذا القسم هو موضوع النزاع بين باكستان والهند إلى الآن .

التطور التاريخى لامارة كشمير :

عاشت إمارة كشمير منذ عام ١٣١٠ إلى عام ١٨١٩ ميلادية بلادا إسلامية يحكمها امراء مسلمون تارة حكما مستقلا ، وتارة أخرى فى ظل اباطرة المغول ، وقد آل أمرها فى ١٦ مارس ١٨٤٦ م إلى الأمير (المهراجا) الهندوكى غلاب سنج الذى نصبه الإنجليز حاكما على الإمارة على أن يدفع لهم مقابل ذلك مبلغ سبعة ونصف مليون روبية ، وفق معاهدة عقدت بينهما تقضى ايضا بأن يتولى الإنجليز حمايته . وهكذا جاءت أسرة

(١) مجلة « المختار الإسلامى » العدد ٩١ - اغسطس ١٩٩٠ ص ٤٨ . بينما يقرر الكاتب يحيى جاد الله عددهم بـ ١١ مليونا فى كلمته (المسلمون فى كشمير) بالأهرام العدد ٣٨١١٣ فى ١٤ ابرايل ١٩٩١ ص ١١ .

(٢) « مأساة كشمير » عبد القادر خان - ترجمة إبراهيم نوار .

كشمير المسلمة

سنج إلى الإمارة ، وإذا كانت قد اشترتها بهذا المبلغ ، فإن الحفيد قد سلمها إلى الهند بلا مقابل . إذ كان يحكمها قبل التقسيم مباشرة (هرى سنج) الذى كان طاغية فاسدا ، جعل البلاد فى حالة سياسية واقتصادية وإدارية سيئة ، ولذلك قامت الثورة ضده فى عام ١٩٣٠ ، ولكنه استعان بالانجليز لإخمادها .

وفى عام ١٩٤٧ عندما انحسر الاستعمار الانجليزى عن الهند ، وتم التقسيم ، كانت رغبة سكان الإمارة واتجاههم واضحا نحو الانضمام إلى باكستان ، ولكن الأمير الهندوكى اتصل بزعماء الهند لكى يضم الإمارة إليها ، مما أدى إلى قيام الثورة فى أغسطس ١٩٤٧ تطالب بالانضمام إلى باكستان ، ولكن القوات الهندية زحفت على الإمارة لإخماد الثورة . فقتلت أكثر من ٢٧٠ ألف مسلم . وقد نشرت جريدة (التايمز) اللندنية يوم ١٠ أكتوبر ١٩٤٧ رسالة لمراسلها هناك قال فيها : « إن ٢٣٧ ألف مسلم قد قتلوا بطريقة منظمة فى عملية إبادة جماعية على يد قوات (الدوجرا) الهندوكية والتى كان يرأسها المهراجا نفسه والتى استقدمها من الهند حيث أشعلوا النيران فى قرى بأكملها [٣] .

وفى ظل هذه الظروف المأساوية نشأت « حركة تحرير جامو وكشميرى . وكانت تستهدف إنقاذ هذه الإمارة المسلمة من براثن الحكم الهندوسى ، وضمها إلى دولة باكستان المسلمة ، ويقول مؤسس حركة تحرير جامو وكشمير (غلام عباس) : « إن حركة تحرير كشمير ليست إلا حركة إسلامية قامت على أسس إسلامية وتحت شعار (إلى الإسلام من جديد) ، وقد عرضنا هذه الحركة على العالم باسم الإسلام دما قلبا وقالبا » .

وكان من نتيجة حرب الإبادة التى شنها الهندوس ضد المسلمين أن لجأت أعداد كبيرة من سكان الإمارة المسلمين إلى باكستان التى أرسلت جيشا معظمه من رجال القبائل ، استطاعوا أن يقهروا القوات الهندية ويحرروا قسما من الإمارة تأسست فيه حكومة باسم كشمير الحرة أو (آزاد كشمير) فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٧ .

وفر المهراجا الهندوكى إلى جامو وأرسل فى ٢٢ أكتوبر ١٩٤٧ كتابا إلى حاكم الهند الإنجليزى اللورد (مونتباتن) يعلنه فيه برغبته فى ضم الإمارة إلى الهند ، وفى ٢٦ أكتوبر أرسلت الهند بالتواطؤ مع الإنجليز - مندوبا عنها يحمل وثيقة الانضمام للمهراجا للتوقيع عليها . وتم ذلك وأقرت الهند هذا الانضمام فى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧ . وتضمنت وثيقة الانضمام مادة تنص على أن يستفتى شعب كشمير لتقرير مصيره .

وكان مؤتمر مسلمى جامو وكشمير قد قام باتخاذ قرار بانضمام الولاية إلى دولة باكستان وذلك فى ١٩ يولية ١٩٤٧ . كما قرر الشبان المسلمون فى الولاية أن يقوموا بالجهاد لتحرير الولاية وضمها إلى دولة باكستان الإسلامية . إلا أن الأمير الهندوسى سارع بتوقيع الاتفاقية المشار إليها لضم الولاية إلى الهند بالتواطؤ مع نهرو والإنجليز .

(٣) « مأساة كشمير » سفارة الباكستان ١٩٦٥ .

وترى باكستان أن اتفاقية الضم هذه باطلة لأنها تخالف الاتفاقيات التى تم بناء عليها تقسيم شبه القارة الهندية إلى باكستان والهند وفقا لديانة أغلبية السكان فى المناطق المختلفة . كما أن هذه الاتفاقية تتعارض مع رغبات أغلبية السكان المسلمين فى الولاية الذين اتخذوا قرارا بضم الولاية إلى باكستان . أضف إلى ذلك أن الحاكم الهندوسى لإمارة كشمير لم يكن له الحق فى توقيع تلك الاتفاقية والتواطؤ مع نهرو والإنجليز على حساب رغبات سكان الولاية .

كما ترى باكستان أن من حق كشمير أن تنضم إلى باكستان للأسباب الآتية :

- أنها جزء لايتجزأ من باكستان ، فكشمير تعتبر امتدادا جغرافيا طبيعيا لها .

- أنها تمثل الحدود الطبيعية لباكستان .

- أن أنهار باكستان الثلاثة (السند وجيلم وجناب) تنبع من كشمير .

- أن ٧٨٪ من سكانها مسلمون ، وأن هذه الأكثرية الساحقة تريد الانضمام إلى باكستان .

- أن علاقات البلدين الاقتصادية مرتبطة ارتباطا وثيقا إذ تعتبر باكستان منفذا لكشمير على العالم الخارجى عن طريق البحر حيث إن ميناء كراتشى يخدم اقتصاد كشمير أيضا .

- كما أن هناك العلاقات الاجتماعية بين البلدين والعادات والتقاليد واحدة ولغاتهم متشابهة ودينهم الإسلام .

يتبع

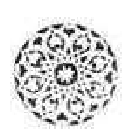

مشيخة علماء أسيوط

أو معهد أسيوط العلمى الدينى بصعيد مصر

دراسة وثائقية

ـ ٢ ـ

بقلم الدكتور
مجاهد توفيق الجندى

مكتبة المعهد :

بعد أشهر من ابتداء العام الدراسى حضر الشيخ عبدالرحمن قراعة ـ مدير المعاهد الدينية وقتئذ ـ فسره ما رأى ، إلا أنه وجد المعهد خاليا من المكتبة يستعين بها الأساتذة ويستعير منها فقراء الطلبة ومجتهدوهم ، وأبلغ ذلك للسلطان حسين كامل منشىء المعهد وراعيه فأمر بشراء الف كتاب واوقفها على المعهد وبهذا وجد للمعهد مكتبة عامرة وأسندت أمانتها للشيخ محمد فاضل بشنك المدرس بالمعهد . وفى يوليو ١٩٢٨ عين الشيخ أحمد محمد شريت أمينا للمكتبة وهو لا يـزال الأمـين عليهـا حتى ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م .

ولقد بلغت مجلداتها سنة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م نحو اربعة آلاف مجلد فى مختلف العلوم والفنون .

غير أنها فى حاجة إلى متابعة النهضة العلمية الحديثة ، لأنها فقيرة جدا إلى المؤلفات الكثيرة ، التى ظهرت فى السنين الأخيرة ، فى العلم والأدب والفنون .

وهى فى حاجة ايضا إلى الاشتراك فى المجلات العلمية والأدبية والدينية ، فالمجلات اليوم تحمل ثقافة ليست تؤخذ من الكتب بسهولة ووزارة المعارف تشترك لمكاتبها فى المجلات كلها . فأحرى بمعهد العلم والدين ان يشترك لمكتبته فى المجلات .

وهى بعد فى حاجة إلى قاعة للمطالعة وإلى وضع نظام نافع للإعارة ، فكل ذلك ما يستأهل الاهتمام من شيوخ المعهد ، لتكون الفائدة أتم واعم .

المعهد فى خطواته الأولى :

ظل المعهد ينمو ويكثر طلابه عاما فعاما ، حتى تكامل فيه القسم الأولى ، بلغت سنوات الدراسة

فيه خمسا سنة ١٩٢٠ فيها ثلثمائة طالب ، عمرت بهم مساجد اليوسفى وجلال الدين وبلغ عدد أساتذته ١٦ مدرسا ، وفى هذه الفترة استأجر المعهد مكانا لإدارته ، يقع فى منتصف السكة الجديدة ، ثم تركه إلى إدارة فخمة ، فى منزل كحيلة بشارع العدلية بأسيوط ، وفى هذا العهد كانت ميزانية المعهد ميزانية ضئيلة متواضعة مقدارها ٥١٦ جنيها فى العام او تزيد قليلا .

حينما كان مسجد اليوسفى هو المستقر الوحيد لطلاب المعهد كان فى استطاعة الشيخ أن يشرف عليه إشرافاً تاماً وفى كل وقت ، فلما كثر عدد الطلاب وتعددت مساجد الدراسة ، أصبح من العسير مراقبة المعهد كله عن كثب مراقبة دقيقة ولكن ما الحيلة ؟ وليس فى المدينة كلها مسجد يسع الطلاب جميعاً .

هناك على مقربة من المسجد اليوسفى مسجد معطل مهمل وهو واسع الأرجاء متباعد الجوانب ، فلم لا يجدد ، ذلك هو الجامع العمرى او المسجد الأموى أو الجامع الكبير وذلك هو الذى اتجهت الافكار إليه ثم تبودلت الآراء فى أمره فسارت الفكرة فى طريق العمل .

وبدأت عملية جمع التبرعات لبناء المسجد فجمعت اللجنة المشكلة لذلك تسعة آلاف جنيه ، وابتدأ العمل فى عمارة المسجد حتى افتتح فى ١٣ اغسطس ١٩٢٣ ، وهذا المسجد هو اكبر مساجد أسيوط بل وفى الصعيد كله به من العمد ٧٠ عاموداً ومساحته تبلغ ثلاثة آلاف متر وله بابان كبيران فى جهته الشرقية ، وبين البابين تقوم مئذنة المسجد الشاهقة المتناسقة .

الأساتذة الأول فى معهد أسيوط :

١ ـ المرحوم الشيخ محمد شريت : ولد سنة ١٨٦٩ م بقرية ريفا التابعة لمركز أسيوط ، والتحق سنة ١٨٨٩ بالأزهر الشريف وتتلمذ لأعلام علمائه منهم الشيخ البشرى والشيخ الرفاعى والشيخ البولاقى والشيخ العدوى . وحصل على شهادة العالمية سنة ١٩٠٢ م ثم اشتغل مدرسا بالازهر وفى سنة ١٩٠٦ اختير مدرسا بمعهد الأسكندرية ، ووقع الاختيار عليه ليكون أول شيخ لمعهد أسيوط ، وتمكن من تثبيت اقدام المعهد ، ورفع شأنه وبقى شيخا له إلى سنة ١٩٢٠ حتى تم القسم الأولى كله بسنواته الخمس .

وفى سنة ١٩٢٠ رقى وكيلا لمعهد طنطا ، وبقى هنالك حتى لقى ربه فى ١٩٢٢/١٢/١٩ وله من العمر ٥٤ سنة . ثم نقل جثمانه إلى اسيوط حيث دفن هناك بريفا .

٢ ـ الشيخ محمود أحمد قراعة : كان مولده سنة ١٨٧٣ ، وفى سنة ١٨٨٧ ألحق بالأزهر فتلقى العلم عن كبار شيوخه وممن تتلمذ لهم : الشيخ محمد عبده والشيخ البحراوى والشيخ ابو خطوة والشيخ الطويل ، والشيخ المطيعى ، وحصل على شهادة العالمية سنة ١٩٠٨ ثم ابتدأ يلقى الدروس بالجامع الأزهر فى العام التالى . ولما انشىء معهد أسيوط اختير ليخدم المعهد الناشىء بنفوذه وعلمه ، وقد بقى مدرسا به إلى سنة ١٩٢٧ حيث نقل إلى القسم الثانوى بالمعهد الأزهرى بالقاهرة . وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٥ لقى ربه وعمره اثنان وستون عاما .

٣ ـ الشيخ أحمد محمد حميدة : ولد عام ١٨٧٥ فى أسرة علمية عريقة ، وفى ١٨٩١ بعثه والده إلى الأزهر الشريف فتلقى العلم هنالك على

مشيخة علماء أسيوط

أساطين العلماء ومنهم : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد حسنين والشيخ أبو الفضل . وفى سنة ١٩٠٨ نال شهادة العالمية وبعد أشهر عين مدرسا واقتعد كرسيه بين أساتذة الأزهر وسرعان ما تبدت كفاءته فاختص به معهد الأسكندرية ، وفى سنة ١٩١٥ يوم أسس معهد أسيوط تطلعت إليه الأنظار فنقل مدرسا به ليضمنوا للمعهد نشأة صالحة ، وخطى موفقة ، فكان فضيلته شيخ المعهد ، العضد المساند ، والظهير المساعد .

٤ ـ الشيخ محمد عبدالله يوسف الجهنى : أصله عربى صميم من قبائل العرب بالصعيد ، ولد بجهينة سنة ١٨٨٨ م بعثه والده إلى الأزهر سنة ١٩٠٨ ، وفى سنة ١٩١٤ نال شهادة العالمية ، ثم نقل إلى معهد أسيوط وبقى به إلى سنة ١٩٢٨ .

المعهد الدينى فى الخطوات الثانية ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣ :

(أ) القسم الثانوى : تم إنشاء القسم الثانوى فى ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩ هـ ـ ٨ مارس ١٩٢١ م[١٢] إذ أنشىء السنة الأولى من القسم الثانوى بالمعهد على أن تبدأ فى الدراسة فى العام الجديد بانتقال طلاب السنة الخامسة من القسم الأولى إلى السنة الأولى من القسم الثانوى . وفى يونيو ١٩٢٢ تقررا أن ينشأ للمعهد مجلس إدارة ليكون عونا لشيخه على تسيير الأعمال ـ وقد تألف هذا المجلس من الأساتذة : الشيخ أحمد حميدة والشيخ محمد حسن الدكرورى والشيخ عبدالعزيز متولى (المدرسين بالمعهد) والأستاذ وكيل المدرسة الثانوية واسمه حسين محمد .

وقد بلغ عدد طلاب المعهد سنة ١٩٢٢ : ٣٦٤ طالبا ، منهم ٥٤ فى القسم الثانوى ، ٣١٢ فى القسم الابتدائى والمدرسون وقتئذ ، ستة عشر مدرسا ، وفى سنة ١٩٢٣ حول طلاب الصعيد من المنيا فصاعدا ـ إلى معهد أسيوط ـ فغصت بهم المدينة وخطا المعهد خطوة واسعة فبلغت سنواته الدراسية عشرا وبلغ عدد الطلاب ١١٧٧ (٣٤٧ ثانوى ، ٨٣٠ ابتدائى) وبلغ عدد المدرسين نحو السبعين ، وارتفعت ميزانيته إلى ١٠٢٠٤ جنيهات واحتل المعهد بدروسه مساجد : اليوسفى وسيدى جلال ، ولطفى ، والقاضى ، ومكرم ، والمجاهدين ، وخلاصة والفانزية . وفى هذا العهد كانت إدارة المعهد فى منزل الشيخ القوصى بشارع شكرى على مقربة من الجامع الكبير .

(ب) **مساكن الطلاب** : وقد استطاع الشيخ الجبالى بنفوذه أن يأخذ من ولاة الأمور تنازلا عن المديرية القديمة لتكون مسكنا للفقراء من الطلاب (وهى التى كانت مواجهة لمقر الإسعاف) وقد تبرع عبدالله النميس بإصلاحها على حسابه وانفق عليها ٧٠٠ جنيه حتى صلحت للسكنى واستقر بها كثير من الطلاب فى اغسطس ١٩٢١ . ولما ضاقت بمن فيها أمكنه أن يأخذ تنازلا عن مستشفى الحميات القديم ليسكن فيه من لم يجد مكانا هناك . ومما يجدر ذكره أن هذا المستشفى هو الذى بودلت به القطعة التى شيد عليها المعهد الجديد على شاطىء النيل بالحمراء .

(١٢) راجع قرار مجلس الأزهر الأعلى رقم ٧٧ بإنشاء قسم ثانوى فى معهد أسيوط وأن يبدأ بالدراسة فى سنته الأولى من أول السنة الدراسية المقبلة ، كان شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى .

(جـ) مرتبات الطلاب : كان ريع أوقاف المعهد يرد فى مواعيد منتظمة ، وكلما ورد منه شىء ، وزع على الطلاب قل أم كثر ، وقد أراد الشيخ الجبالى خدمة الطلاب فسعى سعيه المشكور حتى تقرر للطلاب مرتب ثابت (جراية) يصرف لهم كل شهر ، من السنة الثالثة إلى العاشرة عوضا عن ريع الأوقاف ، ولا تزال هذه المرتبات تصرف للطلاب حتى اليوم ليستعينوا بها على شئون الحياة أو ليشتروا بها الكتب العلمية والأدبية . هذه السنوات الثلاث فى هذا العهد ، عهد الشيخ الجبالى ، تقدم المعهد تقدما مدهشا وعجيبا فكملت سنواته واجتمع شمله ووجدت مساكن للطلاب وتقررت لهم مرتبات ، واتجهت بكليتهم نحو العلم وحده ، وإنها لصفحة ناصعة لهذا العهد الذهبى ، عهد الشيخ الجبالى .

المعهد الدينى فى الخطوة الثالثة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠ :

بعد نقل الشيخ الجبالى إلى معهد الزقازيق* فى اكتوبر ١٩٢٥ عين الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى خلفا له فى مشيخة معهد أسيوط ، وأول ما فكر فيه الشيخ الأحمدى هو أن يكون لمعهد أسيوط دار خاصة ، تتفق والنظم الدراسية الحديثة . ولما كان ذلك يقتضى المال الوفير والزمن الكثير لتنفيذه ، فقد عمل جهده على نقل الدراسة من المساجد إلى الدور والقصور . ولقد فاوض الحكومة فى عقد صفقة مبادلة ، بأن يتنازل لها المعهد ، عن مستشفى الحميات ، على أن تتنازل له عن مقر خفر السواحل ، الواقع على شاطىء النيل فى جنوب الحمراء وقد تم التبادل فعلا فى يونية ١٩٢٤ . وتلك هى البقعة التى شيد عليها المعهد الجديد .

ثم استأجر دارا للدراسة فى شارع النميس (وذلك سنة ١٩٢٦) ومن بعدها استأجر قصر مراد بك ثابت . ثم منزل تهامى خشبة بشارع ثابت بك . وقد استقرت الدراسة فى القصرين الأخيرين مدة كبيرة .

فللشيخ الأحمدى الفضل فى نقل الدراسة من عهدها الأول وعهد الجلوس على الحصير فى المساجد ، إلى الحالة النظامية بفصولها وتختها فى تلك القصور الشامخة ذات الحدائق الغناء .

وفى سنة ١٩٢٥ أنشئت أقسام التخصص بالمعاهد ، لتخريج معلمين للمدارس الالزامية ، وانشىء فى معهد أسيوط قسم ، استمر عامين وخرج عدداً كبيراً من المعلمين ، بعد أن حصلوا منه على كفاءة التعليم ، وكانت الدراسة لطلاب التخصص فى « المساكن » بميدان المجذوب .

وفى يوليو ١٩٢٨ عين الأستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخا للجامع الأزهر ، خلفا للشيخ أبو الفضل الذى انتقل إلى رحمة الله فكان لهذا التعيين أثر ظاهر ، أوجد فى المعاهد كلها روحا جديدة ، وتوثبا للنهوض بعد الركود .

فتقرر نقل الشيخ الأحمدى شيخا لمعهد طنطا ، وتعيين الشيخ إبراهيم حمروش شيخا لمعهد أسيوط ، وذلك فى ٢٢ محرم ١٣٤٧ هـ ـ ١٠ يوليو ١٩٢٨ م .

ولم يطل عهد الشيخ حمروش فى معهد أسيوط فنقل فى ١٥ ديسمبر ١٩٢٨ شيخا لمعهد الزقازيق ، وعين المرحوم الشيخ عبدالحكم عطا خلفا له فى مشيخة معهد أسيوط .

وفى عهد الشيخ المراغى ، أعد قانون جديد لاصلاح الأزهر والمعاهد فوقفت فى سبيله بعض العقبات فاستقال من وظيفته . وعين الشيخ الأحمدى شيخا للجامع الأزهر فى هذا التاريخ (٧ اكتوبر ١٩٢٩ م) .

* سنفرد بحثا لمشيخة علماء الزقازيق أو معهد الزقازيق الدينى ـ بحول الله تعالى ـ عقب هذا البحث مباشرة ولانه يلى معهد أسيوط فى الأقدمية ، فقد أنشىء معهد الزقازيق سنة ١٩٢٥ م وذلك إذا كان فى العمر بقية (الباحث) .

مشيخة علماء أسيوط

وقد نقل الشيخ عبدالحكم شيخا لمعهد الزقازيق ، وعين الشيخ محمود الدينارى شيخا لمعهد أسيوط ، فى ٣ رجب ١٣٤٨ هـ ـ ٤ ديسمبر ١٩٢٩ م . حيث وضع حجر الأساس لمعهد أسيوط ملك مصر أنذاك (فؤاد الأول) فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٠ م .

وفى يونيو ١٩٣١ تقرر نقل الشيخ الدينارى شيخا لمعهد طنطا وخلفه فى أسيوط الشيخ محمد سليمان السرتى ، وقد بذل جهده حتى جمع شمل الطلاب المتفرقين فى الدور المختلفة ، فاستأجر المدرسة الابتدائية القديمة ، ونقل الدراسة إليها فى اغسطس ١٩٣٢ .

إلى هنا ينتهى الدور الثالث من ادوار معهد أسيوط .

المعهد الدينى فى الدور الرابع : (تشييد المعهد الجديد) ١٩٣١ ـ ١٩٣٧ :

سارت عمارة المعهد بنشاط فى جميع مراحله وان بدأ فى أول الأمر بطيئا نسبيا . وبعد بضعة أشهر تم بناء المدرسة الابتدائية ، وحضر اسماعيل صدقى ـ رئيس الوزراء أنذاك ـ لافتتاحها فجمعته إحدى الحفلات بفضيلة الشيخ السرتى شيخ المعهد ، وقد تعمد فضيلته فتح باب الحديث عن بناء المعهد وتعطيل العمل فيه . وقد استطاع الشيخ السرتى أن يحرج صدقى باشا أمام الملا ، إذ قال له : لقد وضع جلالة الملك الحجر الأساسى للمعهد وللمدرسة الابتدائية فى يوم واحد ، وها قد تمت المدرسة ولم يصنع فى المعهد شىء . فهل يضع جلالته الأساس فى معهد ليهمل ؟ وهل المدرسة أجدر بالعناية من معهد العلم والدين فى عهد الملك فؤاد ، ولم يزل بالوزير حتى وعد باعتماد المال اللازم للمعهد ، وما هى إلا أيام حتى رصد الاعتماد ، وبدأ العمل فى ظلال من اهتمام الملك فؤاد ورعايته لمعهد أسيوط .

وفى سنة ١٩٣٤ اعتزم الملك فؤاد الرحلة إلى الصعيد لافتتاح خزان أسوان بعد تعليته ، ولافتتاح المعهد الدينى بأسيوط ، بعد تمام بنائه ، وهكذا انجز بناء المعهد بسرعة ، بيد أن أحداث السياسة ومرض الملك فؤاد منعتا الملك من حضور حفل الافتتاح .

وهكذا انتقل المعهد بطلابه وإدارته إلى ذلك الصرح المشيد المشرف على النيل فى شهر اكتوبر ١٩٣٨ . واستقر الشيخ السرتى فى أسيوط حتى نقل إلى معهد الزقازيق فى ١٨ فبراير ١٩٣٥ وخلفه الشيخ أبو العيون إبان الثورة العنيفة فى الأزهر والمعاهد ضد الشيخ الأحمدى شيخ الأزهر .

وفى ١٩ مايو ١٩٣٥ عين الشيخ فرغلى الريدى شيخا لمعهد أسيوط ، ونقل الشيخ أبو العيون شيخا لمعهد الزقازيق . وفى ١٨ مايو ١٩٣٨ نقل الشيخ الريدى شيخا لمعهد القاهرة وخلفه فى معهد أسيوط الشيخ عبدالهادى الضرغامى ، وفى ١٩ يونيو ١٩٣٧ تقرر إحالة الشيخ الضرغامى إلى التقاعد لسوء إدارته ، وعين الشيخ أحمد محمد حميده خلفا له .

شيوخ المعهد :

١ ـ المرحوم الشيخ محمد شريت (سبق الحديث عنه) .

٢ ـ الشيخ إبراهيم الجبالى :

ولد فى الرحمانية بحيرة سنة ١٨٧٨ م ، وبعد حفظه للقرآن أرسل فى سنة ١٨٩٠ يتلقى العلم فى الأزهر ، ونال العالمية بدرجة ممتازة عام ١٩٠٤ ،

ثم كان خامس خمسة هم الذين رفعوا لواء النظام فى معهد الأسكندرية وعنهم أخذ ، فعم المعاهد الدينية وآثاره فى الاسكندرية مذكورة .

وقد دعى سنة ١٩١٩ لتدريس فن الخطابة وللتنظيم فى قسم الوعظ والخطابة فى الأزهر الشريف فأبلى فى ذلك البلاء الحسن .

وفى سبتمبر ١٩٢٠ عين شيخا لمعهد أسيوط ، فكانت أيامه هى العصر الذهبى للمعهد ، إذ بسعيه أوجد القسم الثانوى فيه ، ووجدت المساكن للطلاب ، ورتبت لهم المرتبات الشهرية ، وزاد عدد طلبته من ثلثمائة إلى ١١٧٧ وعدد أساتذته إلى ٧٠ ، وانتقلت ميزانيته من ٥١٦ جنيها إلى عشرة آلاف جنيه . وتم فى عهده بناء المسجد الأموى وافتتح للدراسة فيه ، وفى أكتوبر سنة ١٩٢٣ نقل من معهد أسيوط ، فتنقل بين مشيخة معهد الزقازيق ، فرياسة التفتيش بالمعاهد ، ثم عين عضوا بمجلس الشيوخ ، فمفتشا كبيراً بوزارة المعارف فشيخا لمعهد الزقازيق ، وقد ندب لرياسة امتحان شهادة العالمية سنة ١٩٢٧ ، فحدثت أحداث وقامت حوله الدسائس فأحيل إلى المعاش سنة ١٩٢٨ .

ثم ظهرت الحاجة إلى كفاءته ، وإلى علمه ، فطلب بعد بضعة أشهر للتدريس فى أقسام التخصص ، ثم دعى إلى تحرير مجلة الأزهر . كما عين رئيسا لبعثة الأزهر إلى الهند لبحث مشكلة إسلام المنبوذين هناك . وبينما هو فى بلاد الهند تقرر منحه عضوية جماعة « كبار العلماء » فى ٨ مارس ١٩٣٧ وبعد ذلك بقليل عين وكيلا لكلية أصول الدين .

٣ ـ الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى :

نشأ فى أسرة عريقة فى العلم والثروة ، وقد ولى مشيخة معهد طنطا فى سن مبكرة ، وبقى شيخا له إلى أن نقل شيخا لمعهد أسيوط سنة ١٩٢٣ فأحسن الناس استقباله وراقهم فيه فخامة مظهره وفصاحة منطقة وسخاء يده . بيد أنه نقل من المعهد بعد قليل .

وإن له على معهد أسيوط فضلين :

أولهما : إنه نقل الدراسة من المساجد ، وانقذ الطلاب من افتراش الحصر واستأجر للدراسة قصورا فخمة واسعة فى مناطق عامرة .

ثانيهما : إنه تنازل للحكومة عن مستشفى الحميات وأخذ بدله تلك البقعة التى اقيم عليها المعهد الجديد .

ولما عين الشيخ المراغى شيخا للأزهر سنة ١٩٢٨ وشاع الخبر فى أسيوط ، اتفق أن أصيب الشيخ الأحمدى بمرض شديد أثار حوله الأقاويل ، إلى أن شفى منه وبعد قليل نقل شيخا لمعهد طنطا .

وفى اكتوبر ١٩٢٩ استقال الشيخ المراغى وعين الشيخ الأحمدى شيخا للأزهر ، بيد أنه استهل عهده بفصل سبعين عالما من أفاضل العلماء بالأزهر ، فأخذ الناس عليه المأخذ وثار عليه العلماء والطلبة حتى استقال من منصبه فى ٢٨ أبريل ١٩٣٥ .

٤ ـ الشيخ إبراهيم حمروش :

ولد عام ١٨٨١ م فى بلدة الخوالد ـ ايتاى البارود ـ بحيرة ، من أسرة طيبة ، وبعد أن استوعب كتاب الله التحق بالأزهر سنة ١٨٩٢ م فنال منه شهادة العالمية سنة ١٩٠٦ م وفى سنة ١٩٠٨ م عين مدرسا بمدرسة القضاء الشرعى ، وبقى بها أستاذا ممتازاً إلى سنة ١٩١٦ م ، حيث انتخب قاضيا شرعيا يمثل العدل ويرفع رايته إلى عام ١٩٢٨ م .

ولما القيت مقاليد الأزهر إلى الشيخ المراغى آثر المعاهد بالشيخ حمروش فعين شيخا لمعهد أسيوط فى أكتوبر ١٩٢٨ م ، ولم يطل بأسيوط عهده ، فنقل فى ديسمبر من نفس العام شيخا لمعهد الزقازيق ، وبعد عام ونصف عين مفتشا

مشيخـــة علمـــاء أسيـــوط

بالمعاهد ، وبعد سنتين انشئت كليات الأزهر فانتخب شيخا لكلية اللغة العربية[١٣] .

ولتضلعه فى اللغة العربية انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية من يوم إنشائه .

٥ ـ المرحوم الشيخ عبدالحكيم عطا :

كان مولده سنة ١٨٦٥ فى نواى ـ ملوى ـ أسيوط ، من اسرة كريمة فوالده كان عالما جليلا مشهورا بالتقوى والعلم والجراة . وارسله والده سنة ١٨٧٩ إلى الأزهر ليأخذ عن العلماء الأعلام وابتدأ نجمه يتألق بين طلاب العلم فى الأزهر . وقد حصل على العالمية الممتازة سنة ١٨٩٥ م واتخذ مكانه بين المدرسين فى الأزهر فعمرت دروسه وغصت بالمئات من تلاميذه .

وقد مكث يدرس فى الأزهر قرابة الثلاثين عاما ورفض غير مرة أن يلى الوظائف ، وصدف عن التنعم فى بحبوحة المرتبات ، متلذذا بخدمة العلم وتخريج العلماء . حتى قبل بعد إلحاح مشيخة القسم الثانوى سنة ١٩٢٠ م ، ثم جمع بين مشيخة القسم الثانوى والقسم العالى .

وفى سنة ١٩٢٨ م عين شيخا لمعهد اسيوط فبقى به سنة إلى أن نقل إلى معهد الزقازيق ، وقد أحيل إلى المعاش بعد حين . وكان من العلماء المقدمين ، فى هيئة كبار العلماء ، وهو بحق شيخ الشيوخ بلامراء ، لكثرة من اخذ عنه من الأساتذة ، وكان عالما متقنا دقيقا وعى كتاب الله وحفظه وألم بالكتب الأزهرية كبيرها وصغيرها متونها وشروحها وحواشيها إلماما عجيبا ـ كأنه استظهرها عن ظهر قلب ، وذلك راجع إلى قوة عقله وشدة ذكائه وجلده ، وقد انتقل إلى رحمة الله فى ١٠ ذى الحجة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م .

٦ ـ المرحوم الشيخ محمود الدينارى :

كان مولده فى قاى ـ بنى سويف سنة ١٨٧٥ وبين ربوعها نشأ وحفظ القرآن الكريم ثم مكث سنة فى طنطا يجود حفظه وقراءته ، وفى سنة ١٨٨٨ ألحق بالأزهر الشريف وصار ينهل العلم حتى سنة ١٩٠٤ حين نال العالمية بدرجة ممتازة . وفى هذه السنة عين مدرسا فى الأزهر ثم اختير مدرسا بمعهد الأسكندرية ، واستمر بها إلى سنة ١٩١١ م ، ثم نقل مراقباً للقسم النظامى الجديد بالأزهر فكان عونا وظهيرا للشيخ محمد شاكر على تركيز النظام .

وفى سنة ١٩٢٠ م ، عين شيخا للقسم الأولى فعضوا فى مجلس إدارة الأزهر ، ثم اضيفت إليه مشيخة القسم المؤقت ، وفى سنة ١٩٢٥ م ، عين شيخا للقسم العالى ، ثم اختير مفتشا للمعاهد الدينية عام ١٩٢٨ م ، وفى ديسمبر ١٩٢٩ م ، عين شيخا لمعهد أسيوط ، فظهر فيه حزمه وكفاءته وسار المعهد فى عهده سيرا حميداً واحبه الأساتذة والطلاب جميعاً ، وظهرت فى المعهد روح الجد والنظام .

وفى يونيو ١٩٣١ م ، نقل شيخا لمعهد طنطا فعالج الروح الثائرة فى الطلاب بحكمته ، ثم عنى بإنشاء جمعيات المحافظة على القرآن الكريم فى طنطا وما حواليها . وفى سنة ١٩٣٤ م ، قدم رسالة فى البلاغة عين على اثرها عضوا فى جماعة كبار العلماء وفى سنة ١٩٣٦ م ، انعم عليه

---

(١٣) وتكريما لهذا الشيخ الجليل وتخليدا لذكره خصصت كلية اللغة العربية الأم بالقاهرة أكبر مدرجاتها بالدور الأول فى مواجهة الداخل وأسمته باسم الشيخ إبراهيم حمروش ، وهو ضخم فخم يتسع لستمائة شخص تقريبا وتناقش به رسائل التخصص والعالمية ومؤتمرات الشعر ـ راجع ما كتبناه عن تاريخ هذه الكلية فى حولية كلية اللغة العربية رقم ٣ بمناسبة العيد الالفى للأزهر (الباحث) .

بكسوة التشريفة الأولى . ولقد كان من المشهود لهم بالقوة في العلم والدقة في الإدارة كما عرف بالدهاء وحسن السياسة . إلى أن استجاب لنداء ربه بعد هذا الجهد المبرور في فجر ٢٧ رمضان ١٣٥٥ هـ (ديسمبر ١٩٣٦ م) بمدينة طنطا .

٧ ـ الشيخ محمد سليمان السرتى[١٤] :

عين مدرسا بالمعاهد عام ١٩٠٧ م ، وتنقل بين وظائف التدريس والمراقبة ، وفي ١٢ يونيو ١٩٣١ م ، عين شيخا لمعهد أسيوط ، وهو الذى جمع الدراسة من الدور المتفرقة إلى مكان واحد هو المدرسة الابتدائية القديمة ، وبفضله ابتدأ العمل في بناء المعهد الجديد بعد تعطيله ، وفي عهده انتقل المعهد من تلك الأماكن المستأجرة لدراسته وإدارته إلى ذلك الصرح المشيد على نهر النيل .

وله بأسيوط مواقف مشهودة في الغيرة على الدين ومن أجمل آثاره جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، فقد أسسها وتعهدها إلى أن نمت وترعرعت ، والمدرسة الإسلامية الابتدائية بأسيوط ، لن تنسى تشجيعه لها وفضله عليها ، وقد نقل شيخا لمعهد الزقازيق ، فشيخا لمعهد الأسكندرية ، ثم نقل شيخا لمعهد طنطا حتى أحيل إلى التقاعد في ١٠ يونيو ١٩٣٧ م .

٨ ـ الشيخ محمود أبو العيون :

من أسرة طيبة معروفة بالعلم والتقى ، ولد في دشلوط ، ديروط ، أسيوط ، لقد تخرج من الأزهر وعين مدرسا به سنة ١٩٠٩ م ، وتنقل في وظائفه فاشتغل مدرسا ومفتشا . وفي فبراير ١٩٣٥ م ندب شيخا لمعهد أسيوط ، والطلاب في ثورة عنيفة أيام الشيخ الأحمدى ، وقد استطاع بمهارته وحسن سياسته أن يستميل الطلاب إلى جانبه خصوصا بعد انتصارهم بعودة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، ولقد نقل بعد ذلك إلى معهد الزقازيق والطلاب يتمنون بقاءه لما رأوا من عظيم يقظته وسلامة تفكيره وصادق رغبته في النهوض بالمعهد . ولقد ساهم في الحركة الوطنية يوم دعا داعى الثورة سنة ١٩١٩ فكان من كتابها ومن خطبائها الملهبين وساهم في الحركة الوطنية فكوته احيانا بنيرانها .

وله في محاربة البغاء مواقف نبيلة جاهد فيها احسن الجهاد وأبلى بلاء حسنا ، وكان يهز البلد بكتاباته الملتهبة في هذا الشأن ، حتى أوشك على النجاح ، لولا عقبات قامت من امتيازات الأجانب وسواها . ولما حان الوقت عاود الشيخ حملته فالعهد غير العهد والأمل في النجاح عظيم حتى قضى على البغاء تماما رحمه الله رحمة واسعة .

ولم يطل في أسيوط عهده فقد نقل شيخا لمعهد الزقازيق ، في ١٩ مايو ١٩٣٥ .

٩ ـ الشيخ أحمد محمد حميدة :

عف اللسان سليم التفكير عذب الحديث حكيم غاية الحكمة . ومعهد أسيوط لا شك سعيد بشيخه الجديد وهو يضع بين يديه آماله راجيا في عهده نهضة مباركة عامة شاملة في الخلق والعلم وفي أداء رسالة الأزهر على خير الوجوه .

بناء المعهد :

يحتل بقعة مساحتها أكثر من أربعة أفدنة يحيط به سور طوله ١٤٤ متراً وعرضه ١٢٠ مترا ، فإذا دخلت من الباب الملكى في الواجهة البحرية للسور ، وجدت أمامك منظراً رائعاً يستولى على مشاعرك ويملأ بالسرور القلب ،

البقية ص ٨١٩

---

(١٤) لدينا وثيقة بعد وفاته تحمل أسماء أولاد الشيخ ذكوراً وإناثا وزوجتيه حيث قسم عليهم المعاش تقسيما شرعيا (الباحث) .

الخُلُق ماله وما عليه

الخُلُق : هو السجية من الأوصاف الباطنية بخلاف الخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام . فهذا الأخير اسم للصفات الظاهرية ، وتعلق الكمال بالأول اكثر منه بالثانى .

هذا وللقاضى عياض فى الشفاء تعريف لِلْخُلُق يقول فيه : هو الاعتدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف اطرافها .

وعرفه حجة الإسلام الإمام الغزالى . بأنه هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خُلُقا حسنا ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة ـ التى هى المصدر ـ خلقا سيئا .

أما قول الشيخ ابن حجر : الخلق ملكة نفسانية ينشأ عنها جميل الأفعال . إنما هو تعريف للخلق الحسن لا لمطلق الخلق .

وقد جمع بعض العلماء علامات حسن الخلق فقال : هو أن يكون الإنسان كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، بَرًّا وصولا وقورا ، صبورا شكورا ،

للأستاذ/
محمد زين العابدين محمد العزازى

رَضِيًّا حليما رفيقا عفيفا ، لا لعّانا ولا سبّابا ، ولا نمّاما ولا مغتابا ، ولا عجولا ولا حقودا ، ولا بخيلا ولا حسودا ، يحب فى الله ويبغض فى الله ، ويرضى فى الله ويغضب فى الله .

وقد بلغ المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدرجة القصوى وحاز قصب السبق فى حسن الخلق بشهادة الخالق جل وعلا : كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحلم الناس ، وأشجع الناس ، واعدل الناس وأسخى الناس ، وأعَفُّ الناس واعفاهم ، وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، وكان أشد الناس حياء ، لا يُثبت بصره فى وجه احد ، ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو جرعة لبن أو فخذ ارنب ويأكلها ولا يأكل الصدقة ، ولا يستكبر عن إجابة الأَمَةِ والمسكين ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، وكان يقبل بوجهه على أشر القوم يتألفهم بذلك . كما ذكره صاحب الشمائل .

ويكفيه فخرا هذا الوسام وتلك الشهادة من احكم الحاكمين إذ قال عز من قائل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة القلم : ٤) .

يقول الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية : ... مسألتان .

الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد . على خلق . على دين عظيم من الأديان ، ليس دين أحب إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه ، وفي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ : أن خلقه كان القرآن ، وقال على ـ رضي الله عنه ـ وعطية : هو أدب القرآن ، وقيل : هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم ، وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من امر الله وينتهي عنه مما نهى الله عنه . وقيل : اى إنك على طبع كريم ، وسئلت عائشة عن خلقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقرات : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى عشر آيات ، وقالت : ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مادعاه أحد من الصحابة إلا قال : لبيك ؛ ولذا قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . ولم يُذكر خُلُق محمود إلا وكان للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه الحظ الأوفر ، وقال الجنيد : سمي خلقه عظيماً ؛ لأنه لم تكن له همة سوى الله ـ تعالى ـ وقيل : لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ، وقيل : لأنه امتثل امر الله ـ تعالى ـ بقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[1] ، وقد روى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « أدبنى ربى تأديبا حسنا إذ قال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فلما قبلت ذلك منه قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] .

الثانية : روى الترمذى عن أبى ذر قال ؛ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

وعن أبى الدرداء أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء » حسن صحيح .

والحديث موصول للإمام القرطبي قال : ... وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : « تقوى الله وحسن الخلق » .

وسِئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال : « الفم والفرج » .

وعن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا . قال : وإن من أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » قالوا : يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون[3] ، فما المتفيهقون ؟

قال : المتكبرون .

ولقد بين لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافهافعن سهل بن سعد أن رسول اله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يحب معالى الأخلاق ويبغض سفسافها » رواه البيهقى وقد ذكر صاحب الشمائل قال : حدثنا قتيبة بن سعيد أنبأنا جعفر بن سليمان الضبعى عن ثابت عن أنس بن مالك قال : خدمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين فما قال لى اف قط ،

(1) الأعراف ١٩٩ .

(2) مصدر الحديث الشريف هو الإمام القرطبي .

(3) المتشدق الذى يتطاول على الناس في الكلام .

الخلق ماله وماعليه

وما قال لشيء صنعته : لم صنعته . ولا لشيء تركته : لم تركته . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ولا مَسَسْتُ خزًّا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا شممت مِسْكًا قط ولا عِطْرًا كان أطيب من عَرَقِ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال على ـ رضى الله عنه ـ : ياعجبا لرجل مسلم ! يجيئه أخوه المسلم فى حاجة ، فلا يجد نفسه للخير أهلا ، فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا ، لقد كان ينبغى أن يسارع إلى مكارم الأخلاق ، فإنها مما تدل على سبيل النجاة ، فقال له رجل : أسمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : نعم ، وما هو خير منه ، لما أُتى بسبايا طيء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقفت جارية فى السبى ، فقالت : يامحمد إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى بنت سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الذمار ، ويفك العانى ، ويشبع الجائع ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا ، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها ؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » فقام ابو بردة بن نيار فقال : يارسول الله ، اللهُ يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال : « والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق » .

قال ابن لقمان الحكيم لأبيه : ياأبت أى الخصال من الإنسان خير ؟ قال : الدين ، قال : فإذا كانتا اثنتين ؟ قال : الدين والمال ، قال : فإذا كانت ثلاثا ؟ قال : الدين والمال والحياء ، قال : فإذا كانت أربعا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق . قال : فإذا كانت خمسا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء . قال : فإذا كانت ستا ؟ قال : يابنى من اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقى وتقى ، ولله ولىّ ، ومن الشيطان برىء .

وعن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : من كان فيه أربع خصال أبدل الله سيئاته حسنات يوم القيامة . الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق .

وحكى عن شقيق البلخى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كانت له امرأة سيئة الخلق فقيل له : لم لا تفارقها ، وهى تؤذيك بسوء خلقها فقال : إن كانت سيئة الخلق فأنا حسن الخلق ، لوفارقتها صرت مثلها ، ومع ذلك أخاف أن لا يمسكها أحد غيرى لسوء خلقها .

وقال أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة ، وهو غير عابد ، وإن العبد ليبلغ أسفل درك فى جهنم بسوء خلقه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا خلقا حسنا يكون فى ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

رزق الله موجود فى كل مناكب الأرض

س : يسال محمود عبد القوى من المحلة عن انه يعمل فى احد الملاهى الليلية كمحاسب ومقر عمله بعيد عن الملهى نوعا ما إلا انه يخشى الفتنة من كثرة ما يسمعه من امور منكرة . فهل يترك العمل برغم انه لم يجد سواه ام يبقى فيه . وما حكم الإسلام فى ذلك ؟

ج : إذا كنت صاحب دين قوى وأنت تعمل قريباً من الأماكن التى ترتكب فيها المعاصى فعليك أن تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالوسيلة الممكنة التى لا تنتج ضرراً عليك او تؤدى إلى منكر أشد فذلك من أنواع الجهاد .

أما إذا كنت غير قوى فى دينك وتخشى أن تقع فى المنكر ، فعليك أن تترك العمل فى هذا المكان الموبوء بالمعاصى ، واطلب رزقك فى مكان آخر فدينك اولى بالحفاظ عليه .

مثل ذلك مثل الذين يعملون أو يعيشون فى مجتمع أجنبى لا يدين بالإسلام ويقارف المنكرات ، فالقوى فى دينه يحافظ على نفسه وقد يدعو هناك إلى الخير ، والضعيف لا يهمه دينه بل همه الأول هو الكسب وبخاصة إذا كان مغريا .

قال تعالى فى تجنب اجتماعات الكافرين والمنحرفين : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ « النساء ١٤٠ » .

يقول القرطبى فى تفسيره : فكل من جلس فى مجلس معصية ولم ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها ، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغى أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ﴾

الفتـــــــــــاوى

آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ « الأنعام ٦٨ » .

يقول القرطبى : قال ابن العربى : وهذا دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحل ؛ وروى أبو عبد الله الحاكم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » .

فبطل بهذا كله قول من زعم أن مجالستهم جائزة إذا صانوا أسماعهم .

وروى ابن ماجه والترمذى وأبو داود أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سُئل عن معنى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ « المائدة ١٠٥ » .

فقال : « ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، فإن من ورائكم أياما ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » .

فالخلاصة أنك إن استطعت أن تقوم بواجب النصح ولم تخف على نفسك من التورط فى المعصية مثلهم ، كان لك العمل فى هذا الوسط ، وإن سكت عن المنكر وجاملتهم وخفت على نفسك أن تعصى مثلهم وجب عليك مفارقة هذا المكان ، ورزق الله موجود فى كل مناكب الأرض .

القنــوت

س : ما القنوت المسنون فى صلاة الصبح ؟ وما الأذكار المشروعة التى تكون بعد الفراغ من الصلاة ؟

« أحمد سعيد ـ المنوفية »

ج : القنوت وهو مايكون عند الشافعية بعد الرفع من الركوع فى الركعة الثانية ونصه كما رواه أحمد وأهل السنن وغيرهم : من حديث الحسن بن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت ، فإنك تقضى ولا يقضى عليك ، وأنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، وصلى الله على النبى محمد .

قال الترمذى هذا حديث حسن قال : ولا يعرف عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القنوت شىء أحسن من هذا .

ويجوز للمصلى أن يدعو الله بما شاء من الأدعية المأثورة وغيرها .

وأما بالنسبة للأذكار بعد الفراغ من الصلاة فقد وردت فيها عدة آثار ، منها ما رواه الطبرانى عن على رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من قرأ آية الكرسى فى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله » أى حفظه » إلى الصلاة الأخرى ، وروى أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين : فتلك تسع وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

من مات فى أحد الحرمين بعث آمنا

س : ما حكم الدين فى تمنى الإنسان ان يكون موته فى احد الحرمين الشريفين ؟ وما مدى صحة الخبر : « من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمناً » ؟

« على حسن عبد الوهاب ـ البحيرة »

ج : لا حرج فى ان يطلب الإنسان من الله ـ عز وجل ـ أن يكون موته فى أحد الحرمين المكى او المدنى مع حسن صلته بالله ـ تعالى ـ ويكون ذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ووقوفه عند الحدود الشرعية والآداب الإسلامية ومراقبته فى السر والعلن .

روى البخارى فى صحيحه عن حفصة أم المؤمنين أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : « اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فقلت : أنى هذا ؟ فقال : يأتينى من الله إن شاء » .

وحديث : « من مات فى أحد الحرمين بعث آمنا يوم القيامة » رواه الطبرانى عن جابر بن عبد الله الانصارى .

النهى عن صبغ الشعر باللون الأسود

س : ما الحكمة فى ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن اللون الأسود فى صبغة الشعر ؟

« عبد العزيز محمد ـ المنصورة »

ج : يباح شرعا للإنسان أن يخضب شعر رأسه ولحيته بالحناء إذا اراد ذلك وكذلك الشأن بالنسبة للمرأة ، فلها أن تخضب شعر رأسها بالحناء ، بخلاف السواد ، لأن الخضاب بالسواد يظهر الشخص فى أقل من سنه الطبيعية وهو نوع من الخداع ، وقد نهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك .

روى مسلم عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : اتى بأبى قحافة والد ابى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثُّغَامة بياضا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيروا هذا واجتنبوا السواد . والثغامة نبت ابيض الزهر .

المحرر : ذكر ابن القيم ـ فى زاد المعاد أن واحداً من آل البيت خضب بالسواد . والذى يبدو أن استخدام الصبغ لا يباح إذا كان فيه تحايل للغش فى مقام الخطبة ، أو ما شابهه فأما إذا كان فى موطن يستحب فيه إظهار القوة كالجهاد ، أو استخدم لغير غش مطلقا فلا شيء فيه والله أعلم .

البقية ص ٨٠٦

الإسراءُ والمعراجُ

رحلة النور.. وأرض الفداء

– يقول عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى :

سَرَيْتَ من حرم ليلاً إلى حرم كما سرى البدر فى داج من الظلم
وبِتَّ ترقى إلى أن نلْت منزلة من قاب قوسين لم تُدرَكْ ولم تُرَم
وقدَّمتْك جميع الأنبياء بها والرُّسْلُ تقديم مخدوم على خدم
وانت تخترق السبع الطباق بهم فى موكب كنت فيه صاحب العلم
كيما تفوز بوصل اى مستتر عن العيون وسر اى مكتتم
فحزت كل فخار غير مشترك وجزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما وُلِّيتَ من رتب وعز إدراك ما اُولِيتَ من نعم
بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا من العناية ركنا غير منهدم

•••••••

– ويقول فضيلة الإمام الاكبر الأسبق الشيخ محمد الخضر حسين يستفز الهمم ويثير العزائم لتحرير القدس وارض الإسراء من الاحتلال الانجليزى ثم الإسرائيلى :

من مبلغ الحنفاء امة احمد نَبَأً يطير له الفؤاد هباء
لاتنجدوهم بالتحسر وحده إنّ التحسر لا يزيح عناء
لاتنهض الأوطان من كبواتها إلا على ايد تفيض سخاء
ومتى أرى قومى قد استبقوا العلا بسخاء كَفٍّ يكشف اللأواء
انَام عن إسعافهم والدِّين قد عقد ائتلافا بيننا وإخاء
افبعد فتح ابن الوليد وصحبه للقدس وعد يستحق وفاء

ـ اما امير الشعراء احمد شوقى فيخاطب النبى الكريم قائلاً :

يا ايها المسرى به شرفا إلى ... ما لا تنال الشمسُ والجوزاء
يتساءلون وأنتَ اطهر هيكل : ... بالروح أم بالهيكل الإسراء ؟
بهما سموتَ مطهرين كلاهما ... نور وروحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة ... واللهُ يفعل مايرى ويشاء
تَغْشَى الغيوبَ من العوالم كلما ... طويتَ سماء قلدتك سماء
الله هيا من حظيرة قدسه ... نُزُلاً لذاتك لم يجزه علاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم ... حاشا لغيرك موعد ولقاء

•••••••

ـ ويتناول الشاعر الفارس محمود سامى البارودى هذا المشهد الرائع فيقول :

وحبذا ليلة الإسراء حين سرى ... ليلاً إلى المسجد الأقصى بلا اتم(1)
راى به من كرام الرسل طائفة ... فامهم ثم صلى خاشعا بهم
بل حبذا نهضة المعراج حين سما ... به إلى مشهد فى العز لم يُرَم
سما إلى الفلك الاعلى فنال به ... قدرا يجل عن التشبيه فى العِظَمَ
وسار فى سبحات النور مرتقياً ... إلى مدارج اعيت كل معتزم
وفاز بالجوهر المكنون من كَلِمٍ ... ليست إذا قرنت بالوصف كالكلم

•••••••

ـ والشاعر الإسلامى الأستاذعبد الله شمس الدين وصف أحداث هذه الرحلة المباركة قائلاً :

يا ايها السارى وملء فؤاده ... شوق يؤج تبتلا ويزيد
حيران يسال والدموع تجيبه ... والغيب معتصم هناك بعيد
هذا البراق فطر على صهواته ... واطو الفلا ، لم تعى طيّك بيد
المسجد الأقصى زهت جنباته ... وتضوات والأنبياء حشود
واصعد فابواب السماء تفتحت ... لا يعجز المعراج منك صعود
واستطلع السبع الطباق وخلّها ... للمنتهى ، حيث اللوا معقود
واسمع نداء الله جل جلاله ... وجنود ربك ركع وسجود
سبحانه يدنى إليه من اصطفى ... فهو المهيمن والانام عبيد
سبحانه كل الورى بيمينه ... يبدى الحياة كما يرى ويعيد

•••••••••

(1) إبطاء

الإســـراء والمعـــراج

ــ ويناجى شاعر إسلامى معاصر صاحب الإسراء ـ عليه الصلاة والسلام ـ قائلاً :

يـاصـاحـب الإسراء قلبـى مثقـل — والنفس تـذبـل عـودهـا الأكـدار
يـاصاحب الإسراء قـومـك اصبحـوا — والقلـب صخـر والنفـوس بـوار
نبـذوا عـهـودك خلفهـم وتفـرقـوا — شيـعـا وراء الخلـف وهـو دمـار
غفلـوا عن الشر المحيط بـارضهـم — فتسـاقطـت وتـداعـت الأقطـار
والقـدس فى الأسر المـهـين ذليلـة — ديسـت وهيـج جنـاحـهـا الطيـار
والمسجـد الأقصى تحـرق ركنـه — يـدعـو فـلا يحمى حمـاه جـوار
والشـام فى كـف الطـغـاة سَبِيَّـة" — بـعفـافـهـا يتـلاعـب الفجـار
وجـراح أنـدلس تـعـود مـريـرة — زاد الـعـداة وقلـت الأنصـار
يـاسيـدى المختـار هـل من نفحـة — كـى نستفيـق ويستفيـق الثـار

ــ ويناجى الشاعر رشاد يوسف النبى الكريم قائلاً :

نفسى فـداؤك والأيـام قـد عبسـت — فـلا مـعـين ولا إلـف ولا جـاه
راحت ، خديجة ، راح العم قد طفحت — عداوة القوم كم ضلوا وكم تاهـوا
أسرى بـك الله تكـريمـا وتسريـة — حتـى يثبت مـن للخـير مسـعـاه
واذهـل القوم مـا تـرويـه من خبـر — لا يـدركـون مـع الأصنـام فحـواه
اقبل ابا بكر واسمع لصاحبكم — مـا مثلـه مـرةً قـولا سمـعنـاه
يقول : أسرى بى للقـدس فى مـلا — وعـاد والفجـر لـم يظهـر محيـاه
وكم قطعنـا طريق الشـام من زمن — وكـل درب إلى الأقصى سلكنـاه
تمضى قـوافلنـا شـهـرا مثقلـة — فى رحلـة الصيف كم جهد بلـونـاه
وينطق الصدق والصديق فى ثقـة — إن كـان قال : فصدق كل دعـواه
ويعقـدون التحـدى خـاب ظنهمـو — صف مـا رأيت فإنـا قـد رأينـاه
وتـوشك العـين أن تنسى فيحملـه — لـك الملائـك قيـد الخطـو مـرآه
وتقبـل العـير والحـادى يقـول لهم — هـذا نـداء حقيقـى سمـعنـاه
ومـا وجـدنـا شرابـا كـان مـدخـرا — مـلء الـوعـاء كمـا كنـا تـركنـاه
من يصـدق اللهَ فى قـول وفى عمل — يبـارك اللـه دنيـاه وأخـراه

●●●●●●●

ـ ويحدثنا الشاعر الدكتور محمد كمال الدين إمام عن الولاء للقدس ولأرض فلسطين قائلا :

اى فلسطين ياصديقة قلبى ... لك قلبى والحب والكبرياء
ارضنا هذه وينطق فيها ... باسمنا النور والثرى والماء
ارضنا هذه وتحمل صوتى ... فى حماها البيوت والاحياء
ارضنا هذه وتسال عنى ... فى رباها السنابل الخضراء
ارضنا هذه وخطو جدودى ... كل حين فى دربها مشاء
ارض ياسين « دير ياسين » وجه ... حدثتنى عن جرحه الأشلاء
احرق المسجد الطهور وريعت ... صلوات وهدمت ابهاء
وخيول العدو تمشى عليه ... وبه الامس قد مشى الانبياء
نكبة أن يسود فيه يهود ... واسى ان تظلهم افياء
آه يامسجدى قد اهتز ركن ... فى حمى مكة وصاح قباء
اول القبلتين والمسجد الاقصى ... ومن للهدى به إسراء
يجثم الغاصبون فوق ثراها ... فعلى الأرض والسلام العفاء

●●●●●

ـ والشاعر محمد على احمد .. يؤكد أحقية الإنسان العربى فى ارض فلسطين قائلاً :

هذه ارضنا وهذا حمانا ... شتت الغدر اهله وصحابه
مزقت شمله الذئاب الضوارى ... واستحلت غذاءه وشرابه
سلبوا امنه وعاثوا فسادا ... ودمارا وشتتوا اربابه
كان بيتى هنا وكان رفاقى ... وزمان الصبا شربنا رضابه
كان حقلى على مدى الافق حقل ... تنتشى فيه خضرة جذابه
سنبلاتى بارضه راقصات ... وطيورى بارضه منسابه
يافلسطين والشباب غضوب ... سمم الحقد سهمه وحرابه
فى غد تزحف الجموع لهيبا ... تزحم الافق او تشق حجابه
ياحمى العرب فى غد نتلاقى ... يوم عيد بارضنا المخصابه
وغدا نملأ الديار أمانا ... وغدا يعرف السؤال جوابه

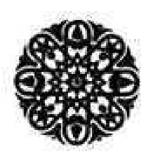

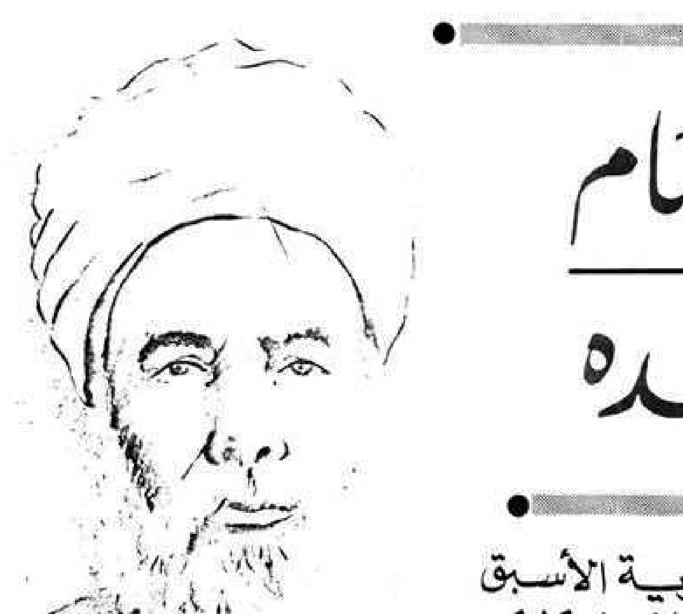

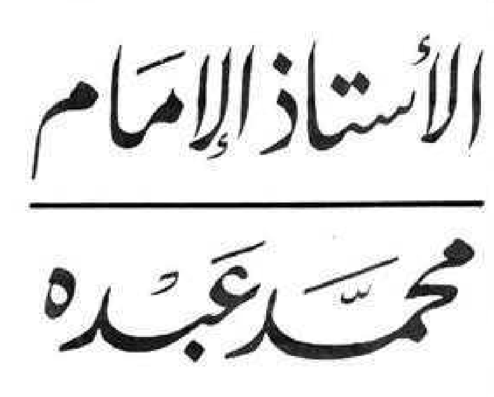

الأستاذ الإمام محمد عبده

مفتى الديار المصرية الأسبق
١٢٦٥ هـ - ١٣٢٣ او ١٨٥٠ م - ١٩٠٥ م

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

الأستاذ الإمام محمد عبده اعظم رجل ظهر فى مصر وما جاورها منذ خمسة قرون ، هكذا وصفه الأديب الكاتب عباس محمود العقاد، وقد راقه فيه غيرته على الحق ونجدته للضعيف وقلة اكتراثه للقيل والقال ، كما أثار إعجابه بخلقه فوق إعجابه بعلمه فإن الاقتداء بالأخلاق نافع لكل إنسان كائنا ما كان مذهبه فى الدراسة والتفكير[1] .

ولما ابعدت حكومة الخديوى توفيق السيد / جمال الدين الافغانى من البلاد فى ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٩ م سالوه عن وصيته فقال : (حسبكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالما)[2] .

اصل محتده وتاريخ ميلاده :

يحكى الأستاذ الإمام – رحمه الله – عن نفسه فى مذكراته فيقول : (إنى ابن عبده خيرالله

---

(١) كتاب (أنا) بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد – سلسلة كتاب الهلال يوليو سنة ١٩٦٤ صفحة ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) كتاب الأزهر جامعا وجامعة أو مصر فى ألف عام تأليف الأستاذ محمد كمال السيد صفحة ٢٥٣ طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

من سكان قرية « محل نصر » بمركز « شبراخيت » من مديرية (أى محافظة) « البحيرة » ، ووقر فى نفسى احترام والدى ونظرت إليه أجل الناس فى عينى وسكن من هيبته فى قلبى ما لا أجده لأحد من الناس عندى ، أما عوامل الاحترام وذلك الإجلال فاتذكر منها قلة الكلام امامى ووقارا كان فى الحركات والأعمال والهيئة ، والتنزه عن مخالطة الصغار من الناس ، ومشاهدتى أهل بلده يحترمونه ويبالغون فى توقيرهم إياه) رغم ما لاقاه هذا الوالد الأبى من عنت السلطات واضطهادها له فى عهد عباس الأول والى مصر وحفيد محمد على مما تسبب فى ضياع ماله ، وإلى هجرته من قريته فترة من الزمان حتى إذا ما هلك عباس الأول ، وتولى حكم مصر سعيد بن محمد على وارتد إلى الناس بعض الأمن عاد الأب إلى مسقط رأسه فوجد أطلالا وجدرانا مهدمة كانت يوما ، ما بيته فى قريته وفى أثناء هذه الهجرة تزوج وأقام فى قرية (شنترا) من أعمال محافظة الغربية حيث أنجب ابنه محمدا صاحب هذه السيرة عام ١٢٦٥ هجرية[٣] .

خطوات الأستاذ الإمام فى حفظ القرآن وتلقى العلم :

لما درج رحمه الله فى مدارج الصبا بعثه والده إلى من يحفظه القرآن الكريم فحفظه جميعه فى عامين ثم أرسله إلى طنطا لاستكمال تلقى العلوم الدينية فى المسجد الأحمدى بطنطا وكانت سنه وقتئذ أربعة عشر عاما ، فقضى به عاما ونصف العام تعثر خلالهما فى دراسته للأجرومية مما دفعه إلى العودة إلى قريته للاشتغال بالفلاحة فتزوج هناك فى عام ١٢٨٢ هجرية على نية الإقامة المستديمة بها[٤] .

والده يأسره بمتابعة تلقى العلم :

فوجىء الأستاذ الإمام بعد زواجه بأربعين يوما بأمر من والده يلزمه بأن يتابع علمه ، وأن يعود إلى طنطا من حيث أتى ، ثم حمله حملا على المسير إلى مركز العلم فى قلب إقليم الغربية ، وما أن قام بتنفيذ أمر والده وفصل عن قريته إلا قد ولى وجهه شطر محل إقامة أحد أخوال أبيه ، ويدعى الشيخ درويش ، وكان من رجال التصوف النابهين فعلم بأمر قريبه الذى حل ضيفا عليه فقرر هذا الشيخ أن يعالج حالة الجمود النفسى والانصراف عن الدرس التى علمها منه .

نجاح خال والده فى إقناعه بمتابعة تحصيل العلم :

يحكى الأستاذ الإمام عن هذه الفترة فيقول :

جاءنى هذا الشيخ (وهو خال أبيه الشيخ درويش) وبيده كتاب يحتوى على رسائل كتبها السيد محمد المدنى أحد أئمة الصوفية إلى بعض مريديه بالأطراف بخط مغربى دقيق ، وسألنى أن أقرأ له فيها شيئا لضعف بصره فدفعت طلبه بشدة ، ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منه أشد النفور ، ولما وضع الكتاب بين يدى رميته إلى بعيد .

لكن الشيخ تبسم وتجلى فى ألطف مظاهر الحلم ، ولم يزل بى حتى أخذت الكتاب ، وقرأت

(٣) كتاب الشهر الشيخ محمد عبده تأليف محمد صبيح طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه بدون تاريخ .

(٤) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .

من اعلام الأزهر

الإمام محمد عبده

منه بضعة أسطر فاندفع يفسر لى معانى ما قرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضى فتغلبه وتسبق إلى نفسى ، وبعد قليل جاء بعض شباب القرية يدعوننى إلى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة فى نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت إليهم .

وبعد العصر جاءنى الشيخ درويش بكتابه وألح علىَّ فى قراءة شىء منه فقرأت وفسر ثم تركته إلى اللعب ، لكنه جاء فى اليوم الثانى كما فعل فى اليوم الأول أما اليوم الثالث فقد بقيت أقرأ له فيه وهو يشرح لى معانى ما أقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها ، فقال لى : إنه فى حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها ، فطلبت منه إبقاء الكتاب معى فتركه ومضيت أقرأه ، وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها ، إلى أن جاء وقت الظهر وعصيت فى ذلك اليوم كل رغبة فى اللعب وهوى ينازعنى إلى البطالة ، وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه فأبان معناه على عادته وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة فى المطالعة والميل إلى الفهم ، ولم يأت على اليوم الخامس إلا وقد صار أبغض شىء إلىَّ ماكنت أحبه من لعب ولهو وفخفخة وزهو ، وعاد أحب شىء إلىَّ ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم) أ هـ .

وهكذا تمكن خال والده الشيخ درويش بذكائه الفطرى من أن يحل بكياسته وسعة صدره عقدة فى نفس الأستاذ الإمام وهو صغير ، كانت حياته كلها ترزح تحتها ، فقد كان خال والده السابق الإشارة إليه من أولئك الصوفية الرحالة سافر إلى صحراء « ليبيا » ووصل إلى « طرابلس » وتردد على زوايا الصوفية فى هذه الأنحاء حيث تلقى كثيرا من العلوم الدينية والسياسية عن رؤساء الفرق الصوفية ويبدو أنهم كانوا أهل استنارة وبصيرة نافذة فى ذلك الزمان .

ومما يذكر لهم بالفضل والعرفان عملهم الدءوب على نشر الإسلام فى مجاهل القارة الأفريقية من نحو مائة وخمسين عاما ، نشروا خلالها الزوايا والمساجد على خط عمودى يمتد من برقة فى الشمال حتى يصل إلى جنوب خط الاستواء بمسافة كبيرة[٥] .

وهم الذين قاوموا حركة التنصير بالقارة وحالوا دون نشر المسيحية بمقاومة عنيدة انتهت بأن تحول الكثير من سكان وسط القارة من وثنيين ومسيحيين إلى مسلمين ، والقارىء لتقارير المنصِّرين خلال المائة سنة الماضية يجدهم يشكون مرّ الشكوى إلى هيئاتهم الرئيسية ويفزعون إلى حكوماتهم فى أوروبا وأمريكا لتعاونهم على صد هذا التيار الجارف من نشاط الصوفية والذى كان يهدم فى أيام ما بناه المنصِّرون فى أجيال منفقين عليه الملايين من الأموال وباذلين فيه الأرواح[٦] .

قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[٧] .

وهكذا كانت الصوفية والله أعلم كيف صارت وأصبحت فى زماننا هذا .

---

(٥) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .
(٦) كتاب الغارة على العالم الإسلامى تأليف المرحوم محب الدين الخطيب .
(٧) سورة الأنفال ٣٦ .

عودته إلى استئناف العلم ووصوله إلى الأزهر حتى حصل على شهادته :

رجع الأستاذ الإمام إلى طنطا لاستئناف تلقى العلم والدرس ، ولم يلق هذه المرة صعوبة فيما يلقى فى ساحات العلم ، ثم سافر إلى القاهرة لاستكمال تحصيل العلوم فى رحاب الأزهر الشريف ، وكان كلما عاد من القاهرة إلى قريته فى الأجازات المقررة يقابله الشيخ درويش خال والده السابق الإشارة إليه فيناقشه فيما حصله من علم ، ثم يقول له : ما درست المنطق ؟ ما درست الحساب ؟ ما درست الهندسة ؟ ما درست كذا .. إلخ فيجيبه الأستاذ الإمام : (هذه العلوم غير معروفة الدراسة فى الأزهر ، فيرد عليه خال والده فى عزم وإصرار بأن طالب العلم لا يعجز عن تحصيله فى أى مكان ، مما دفعه عند عودته إلى القاهرة إلى التماس تلك الدراسات ومن حسن حظه أن تيسرت له سبلها عندما جاء السيد / جمال الدين الأفغانى إلى مصر فى أواخر سنة ١٢٨٦ هجرية فصحبه الأستاذ الإمام ، وأخذ يتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية والكلامية ، وذلك دون إخلال منه بالعلوم الإسلامية التى كان يتلقاها فى دراساته الأزهرية[٨] .

ولقد لمع بين أقرانه بذكائه الفطرى ، ونشاطه الجم ، ومثابرته على الدرس والتحصيل ، وظل على هذا المنوال أربعة أعوام استنبط فيها لنفسه طريقة تأتلف مع روحه وتتسق مع وجدانه وهو فى كل حال الدائب على البحث والإفادة[٩] .

ولما تقدم إلى الامتحان لنيل شهادة العالمية رأت اللجنة المشكلة لمناقشته من حسن الجواب عما سألوه فوق ما كانوا ينتظرون وطفقوا يناقشون ويراجعون وينتقلون به ويستطردون حتى صار الامتحان مناظرة ، وعندئذ حلف الشيخ العباسى أنه لم ير أحداً امتحن فى عصره مثله ، وأنه لو كان فوق الدرجة الأولى درجة ممتازة لاستحقها . وانتهت اللجنة إلى منحه شهادة عالمية الأزهر سنة ١٢٩٤ هـ التى توافق ١٨٧٧ ميلادية ، ولا غرو فى ذلك فلقد ميزه الله قبل كل شىء بقوة عقلية وشجاعة نفسية منقطعة النظير .

وكان إذا قرأ فهم ، وإذا ناقش حاول أن يتعرف على رأى مناظره وينتفع منه إن كانت منه فائدة ، وكان إلى جانب هذا الاستعداد القوى نشيطا متين البناء وهو ما اكتسبه من الريف ومقامه فيه وما ورثه عن أبيه من صحة البدن إذ كان يركب الخيل ويجد فى صحبتها لذة الفارس إذا انطلق ، فهذه القوى العقلية والروحية والبدنية هى التى جعلت مواجهته للحياة ، تأخذ لونا غير ما تعوده كل أقرانه ومعاصريه[١٠] .

الوظائف التى تقلدها بعد تخرجه من الأزهر والأعمال التى قام بها :

١ ـ أجازت شهادة العالمية التى حصل عليها أن يكون مدرسا فى الأزهر سنة ١٨٧٧ م ـ ١٢٩٤ هـ .

٢ ـ وفى السنة التالية عين مدرسا للتاريخ فى

---

(٨) كتاب الشهر ـ الشيخ محمد عبده ـ المرجع السابق .

(٩) كتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة للدكتور محمد كامل الفقى الجزء الثانى صفحة ١١٣ .

(١٠) كتاب الشهر ـ الشيخ محمد عبده ـ المرجع السابق .

الإمام محمد عبده

دار العلوم وكان ذلك فى سنة ١٢٩٥ هـ التى توافق سنة ١٨٧٨ م .

٣ ـ وفى نفس الوقت عين مدرسا للعلوم العربية فى مدرسة الألسن الخديوية . لكنه أبعد إلى قريته سنة ١٨٧٩ م لما قامت الحكومة بإبعاد السيد جمال الدين الافغانى عن البلاد بعد عزل الخديوى إسماعيل وتولية الخديوى توفيق وبذلك أبعد عن وظائف التدريس لما كان يجاهر به من آراء .

٤ ـ وفى عام ١٨٨٠ م عندما تولى رياض باشا رياسة مجلس النظار ـ أى مجلس الوزراء ـ أعاده إلى القاهرة والحقه بوظيفة محرر بجريدة الوقائع المصرية بعد أن ألغى قرار إبعاده ، إذ كان يعلم قدره وعلمه فحرر لغة كتابتها من السجع الذى كان سائدا على اقلام الكتاب وقتئذ .

٥ ـ وبعد فترة عين محررا أول بتلك الجريدة فكان له الإشراف على الصحف المصرية عربية ، وكذا اجنبية ، وهو منصب كبير يشبه منصب مدير المطبوعات فيما بعد .

٦ ـ لما ساءت الأمور فى عهد الخديوى توفيق وفشلت الثورة العرابية لم يتنكر لها ولم يهرب من مسئولية المشاركة فيها برغم نصائحه لأحمد عرابى بالاتزان والتعقل وعدم الشطط والتهور ، وباحتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢ م نفى إلى لبنان ، وتولى هناك التدريس فترة من الزمان فى بيروت .

٧ ـ ثم انتقل إلى باريس حيث شارك مع السيد جمال الدين الافغانى فى إصدار مجلة العروة الوثقى ، وقد صدر من هذه المجلة ثمانية عشر عددا حتى عام ١٣٠١ هجرية التى توافق سنة ١٨٨٤ ميلادية .

٨ ـ لما انتهت مدة نفيه عاد إلى مصر وعين قاضيا بالمحاكم الأهلية خلال حكم الخديوى توفيق .

٩ ـ وفى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى عين عضوا بمجلس إدارة الأزهر سنة ١٨٩٤ م فوفق إلى استصدار قانون سنة ١٨٩٥ م لإصلاح الأزهر فى مشيخة الشيخ حسونة النواوى .

١٠ ـ وفى سنة ١٨٩٩ م عين مفتيا للديار المصرية مع مواظبته على إلقاء الدروس بالأزهر(١١) .

تمسكه بزيه الأزهرى :

حدث فى خلال وزارة رياض باشا أن فوتح الأستاذ الإمام بأن يتخلى عن عمامته : لأن صاحب العمامة لا يرتقى إلى مراتب الرؤساء والنظار كلابس الطربوش فتمسك بزيه إلا إذا أريد له أن يتخلى عنه لأنه يعمل فى الحكومة فهو مستعد للبس الطربوش ولكن فى أوقات عمله الرسمى ثم يعود إلى زيه عندما يترك مقر الحكومة فقال له رياض باشا : (إننى لا أرضى لك الطربوش لأننى أحب أن يعلم الناس أنه يوجد تحت العمائم من العقول والأفهام ما يوجد تحت الطرابيش وغيرها)(١٢) .

(١١) كتاب الأزهر جامعا وجامعة او مصر فى الف عام المرجع السابق صفحة ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(١٢) كتاب الشهر ـــ الشيخ محمد عبده ـــ المرجع السابق .

حملته فى الصحافة على نظام التعليم :

اشتدت حملة الأستاذ الإمام على نظام التعليم فى وزارة المعارف حينئذ ـ وزارة التربية والتعليم حاليا ـ وذلك فى الجريدة الرسمية فزادت شكوى الشاكين منه إلى رياض باشا فوقف دونه ، ومد له فى أسباب الحصانة إذ رأى الحق فى جانبه ، ولما أصغى إلى رأى الأستاذ الإمام أمر بتأليف مجلس أعلى للمعارف جعله عضواً فيه يأخذ مجلسه بجوار الوزراء وعظماء الدولة ويظهر عليهم بمواهبه .

وقد حالفه التوفيق فى جعل وزارة المعارف المصرية مشرفة ورقيبة على المؤسسات التعليمية الاوروبية فى مصر وقتئذ ، وكانت ذات شأن كبير بما مد لها الخديوى إسماعيل من سلطان وما أغدق عليها من هبات وكانت وسيلة الأستاذ الإمام إلى فرض هذه الرقابة انه بدأ فاقترح إعانة تلك المدارس فمر قرار الإعانة على عجل ، ولما كانت الجلسة التالية رتب على هذه الإعانة نتيجتها وهى إشراف وزارة المعارف عليها[١٣] .

رأى الأستاذ الإمام فى الأحداث التى صاحبت الثورة العرابية :

كانت آراؤه تتركز فى ان اول ما يجب أن تبدأ به مصر النهوض بالتربية والاهتمام بالتعليم ، وذلك لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالعزيمة ، وحمل الحكومة على العدل والإصلاح وتعويد الأهالى على البحث فى المصالح العامة واستشارتها إياهم فى الامر بمجالس خاصة تنشأ فى المحافظات والمديريات .

وقد خاطب أحمد عرابى فى بعض مجادلاته له بقوله : (إن الأمة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة فى إدارة شئونها لما كانت لطلب ذلك بالقوة العسكرية معنى ، فما يطالب به رؤساء العسكرية الآن غير مشروع ؛ لأنه ليس تصويراً لاستعداد الأمة ومطلبها ويخشى أن يجر هذا الشغب على البلاد احتلالاً اجنبيا يسجل على مسببه اللعنة إلى يوم القيامة) وعندما سمع احمد عرابى من الشيخ هذا النذير تبسم وقال (أرجو الا استحق هذه اللعنة)[١٤] ، ووصل الأمر به إلى أن أرسل للأستاذ الإمام ضابطين يهددانه فى مقر عمله بإدارة جريدة الوقائع لكى يكف عن معارضته ، برغم أنه لم يكن من حزب القصر انصار الخديوى ، كما أن رياض باشا نفسه لم يكن من هذا الحزب أيضا وإنما كان وزيراً ذا كفاءة يلتجىء إليه الخديوى كلما ضاقت أمامه السبل فإذا انفسح أمامه الطريق وضع له العقبات لكى يحرجه ويبعده عن الحكم وليس اقطع فى التدليل على بعد الأستاذ الإمام عن الخديوى وحزبه من أن محامى العرابيين الإنجليزى استند فى دفاعه على مذكرات الأستاذ الإمام التى كانت كلها اتهاما للخديوى وحاشيته وسياسته وعلى المستندات الهامة التى وقعت له ، وفيها تجريح شديد لتصرفات القصر حتى إن المحكمة لم تروجها ـ وقد كشف لها الأستاذ الإمام عن هذه الصفحة ـ أن تحكم بالإعدام على زعماء الثورة العرابية وصفحة خصومها ليست

(١٣) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .
(١٤) كتاب الهلال دور الأزهر فى السياسة المصرية تأليف دكتور سعيد إسماعيل على صفحة ١٧٢ ـ ١٧٣ .

الإمام محمد عبده

فوق الشبهات ، وإن كانت فوق المحاكمات وقتئذ[15] .

لماذا تغير موقف الأستاذ الإمام من معارض لحركة العرابيين إلى مؤيد لها :

لمح - رحمه الله - فى الأفق حربا تقترب هى التى تنبأ بها - حربا مع انجلترا التى حذر أحمد عرابى من الاصطدام بها ، ولما لم يجد وسيلة لتفاديها انضم إلى صفوف الوطنيين فوضع يده فى يدهم ، وقرر أن يصطلى بنارها ، ولا يتخلى عن موقف الرجولة والشهامة - وحاشاه أن يكن ؛ لأن الوضع السياسى لم يكن محل رأى يُرى وإنما أصبح حياة وكرامة للأمة ، كلها فكان القوة الروحية فى وسط العرابيين يأخذ مواثيقهم ويحرر بياناتهم للأمة ولدول العالم ويحض بنى وطنه على الالتحاق بالجيش ويحمسهم للقتال .

ومن عجب أن عدته فى حملته القلمية كانت الوقائع المصرية جريدة الحكومة الرسمية ولما أخفقت الثورة العرابية ، واحتلت الجيوش الإنجليزية مدينة القاهرة قبض على الأستاذ الإمام مع من قبض عليه من العرابيين ، وأودع السجن حيث حوكم وصدر عليه الحكم بالنفى ثلاثة أعوام خارج مصر فسافر إلى بيروت وقام بالتدريس فيها فترة من الزمان ، ثم توجه إلى أوروبا حيث اجتمع مع صديقه السيد جمال الدين الأفغانى فى باريس واشتركا معاً فى إصدار مجلة العروة الوثقى كما قدمنا وكانت هذه المجلة لسان حال جمعية كَوَّناها فى المنفى بهذا الاسم ومن أهدافها العمل بكتاب الله ، والدعوة لنصرة دين الله ، وتقوية الروابط بين المسلمين فى كل مكان[16] .

الأستاذ الإمام يفاوض الانجليز بشأن خروجهم والجلاء عن مصر :

أحس بعض الساسة الانجليز بحملة العروة الوثقى على انجلترا وخطرها ، فدعوا الأستاذ الإمام ليقابل المسئولين الإنجليز فى لندن ، وجرت بينه وبينهم محادثات طويلة لم تكلل بالنجاح لإصرار انجلترا على موقفها بعدم الجلاء ، وإصرار الأستاذ الإمام على ضرورة الجلاء وخروجهم من مصر وكان مما قاله لهم : (إن المصريين لا يخطر على بال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه فى الدين والجنس)[17] .

كيف عاد الشيخ محمد عبده إلى مصر :

لما قامت ثورة السودان بقيادة السيد / محمد أحمد المهدى سعد بأخبارها الأستاذ الإمام والسيد جمال الدين الأفغانى ، وهما فى باريس وتم الاتصال بينهما وبين المهدى لأنه كان يسير فى نفس اتجاهات جمعية العروة الوثقى ، واتفقوا على أن يتوجه الشيخ محمد عبده إلى مصر متخفيا تمهيداً لذهابه إلى السودان وفعلا تم ذلك

(١٥) كتاب الشهر - الشيخ محمد عبده - المرجع السابق .

(١٦) كتاب جمال الدين الأفغانى وأثره فى العالم الإسلامى تأليف الدكتور عبدالباسط محمد حسن عميد كلية الدراسات جامعة الأزهر طبعة سنة ١٩٨٢ م صفحة ٤٦ .

(١٧) كتاب جمال الدين الأفغانى المرجع السابق صفحة ٥١ .

لكى يلحق به السيد جمال الدين الأفغانى فيجتمعا فى الخرطوم مع المهدى لتدعيم ثورته .

لكن الخطة فشلت فجأة بوفاة السيد / محمد أحمد المهدى مفجر الثورة ، وتعذر التفاهم مع « التعايشى » خليفته لذلك كرّ الشيخ محمد عبده راجعا إلى بيروت حيث استأنف سيرته الأولى فى الاشتغال بتربية النشء والتدريس والعمل على إصلاح التعليم وبث آرائه بين رواده ومريديه .

ولما انتهت مدة نفيه عاد إلى مصر وسكن فى شارع الشيخ ريحان بجوار ميدان عابدين ، وعندما سئل فى ذلك قال : (اخترنا هذا المكان لنناطح عابدين مناطحة) ولقد سعى بعض ذوى النوايا الحسنة لدى الخديوى توفيق ليعفو عنه ، فتم لهم ذلك ، وسمعوا الخديوى بعد العفو يقول (ما عفوت عن احد عفواً هو اشبه بالاعتذار منه بالعفو إلا هذا) وكانت فرصة ارادها الشيخ محمد عبده ليعود إلى تدريس العلم والاتصال بالشباب فى حلقات الدرس يلقنهم مبادئه لكن الخديوى ابى عليه ما اراد وقرر أن يبعده عن محيط التدريس فعينه قاضيا فى المحاكم الأهلية وقال عنه (إنى لا أحب أن يربى لى التلاميذ على افكاره السياسية)[١٨] .

بروز الأستاذ الإمام فى منصب القضاء وإعتداده بكرامته :

لم يلبث الشيخ محمد عبده أن ظهر فى هذا المجال ظهورا عظيما حتى وصل إلى درجة مستشار ، وجالس كبار القانونيين الذين تلقوا دروسهم على أحدث الطرق الأوروبية وكان الفرق بينه وبينهم أنهم يعرفون اللغة الفرنسية فتعلمها ، وكانت احكامه فى القضايا التى عرضت عليه لها شهرة كبيرة .

وكان شديد الاعتداد بكرامة منصبه ، لاسيما امام الاجانب فى وقت طغوا فيه على كل شىء فى مصر باسم ديونهم ، وبمعاونة الاحتلال الأجنبى ، وقد حدث مرة أن احدث احد الأجانب هرجا فى قاعة جلسة كان هو قاضيا فأمر من فوره بحبس هذا الأجنبى ، فهاجت الدنيا وماجت واتصل المستشار الانجليزى لوزارة الحقانية[١٩] بالأستاذ الإمام قائلا له : إن قناصل الدول احتجوا لدى وزارة الخارجية المصرية ورجاه الا يعرض الحكومة لمثل هذه الأزمة فأجابه بإصرار : إنه مادام جالسا على كرسى القضاء فهو لا يتردد مطلقا فى صيانة هذا الكرسى بكل ما يضعه القانون فى يده من روادع إذا تجرأ احد على المساس به[٢٠] .

تعيين الشيخ محمد عبده عضوا بمجلس إدارة الأزهر :

بعد وفاة الخديوى توفيق خلفه عباس حلمى الثانى واليا على مصر ، وفى عهده وافق على تعيين الأستاذ الإمام عضوا بمجلس إدارة الأزهر سنة ١٨٩٤ م فظل فيه أحد عشر عاما حتى وفاته وحتى بعد تعيينه مفتيا للديار المصرية عام ١٨٩٩ م مع المواظبة على إلقاء الدروس بالأزهر .

عمله على استصدار قانون إصلاح الأزهر عام ١٨٩٥ م :

كانت أولى الخطوات لإصلاح الأزهر صدور

(١٨) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .
(١٩) سميت وزارة العدل فيما بعد .
(٢٠) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق

الإمام محمد عبده

قانون عام ١٨٧٢ م خلال مشيخة الشيخ محمد المهدى العباسى فى عهد الخديوى إسماعيل وكان يتعلق بطريقة امتحان من يريد التدريس بالأزهر، ثم سعى الأستاذ الإمام خلال عمله بالإفتاء على استصدار قانون سنة ١٨٩٥ م لإصلاح الأزهر ايضاً وكان ذلك خلال مشيخة الشيخ حسونة النواوى ومن أهم عناصر ذلك القانون :

اولا : تشكيل مجلس لإدارة الأزهر من خمسة أعضاء غير الرئيس الذى هو شيخ الأزهر، وثلاثة من علماء الأزهر واثنان من العلماء الموظفين بالحكومة .

ثانيا : حدد هذا القانون شروط الانتساب للأزهر بأن لا يقل عمر الطالب عن خمسة عشر عاما، وأن يكون ملما بالقراءة والكتابة، وأن يكون حافظاً لنصف القرآن على الأقل إلا إذا كان كفيفا فيجب أن يكون حافظاً للقرآن كله .

ثالثا : أضاف علوما جديدة للتدريس به فأصبحت (٢٦) علما بدلا من (١١) علما .

١ ـ فأضاف إلى علوم الدين ـ التصوف والقراءات والتجويد ومصطلح الحديث .

٢ ـ وأضاف إلى علوم اللغة ـ العروض والقوافى وفقه اللغة والإنشاء .

٣ ـ كما أضيفت علوم أخرى هى الأخلاق وادب الحديث والمناظرة والتاريخ الإسلامى والحساب والجبر ومبادىء الهندسة والميقات والهيئة والرسم أى رسم المصحف[٢١] .

المؤلفات التى خلفها الشيخ محمد عبده :

لم يكن رحمه الله من المكثرين فى التأليف نظرا لانشغاله بالنواحى السياسية والإصلاحية ومع ذلك فقد ألف الكتب الآتية :

١ ـ تفسير جزء تبارك وجزء عم .

٢ ـ رسالة فى التوحيد وهى من أبلغ النماذج فى أسلوبها وقوة حجتها .

٣ ـ أملى تفسير سورة البقرة وآل عمران والنساء .

٤ ـ وقام بشرح كتاب نهج البلاغة المنسوب للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

٥ ـ شرح مقامات الهمذانى، بديع الزمان .

٦ ـ فلسفة الاجتماع والتاريخ وهو كتاب ألفه أيام تدريسه لمقدمة ابن خلدون فى مدرسة دار العلوم ـ وقد فقد هذا الكتاب عندما أمر الخديوى توفيق بنفى الأفغانى، وعزل الأستاذ الإمام وإبعاده إلى قريته وبلغ من أسفه على فقده أن يقول : أتمنى لو يحفظ هذا الكتاب من وقع فى يده وينسبه لنفسه ولو بعد موتى لينتفع به الناس .

٧ ـ نظام التربية والتعليم بمصر وهو رسالة فى أبلغ الطرق للتربية والتعليم .

٨ ـ الإسلام والرد على منتقديه وهو سلسلة مقالات نشرها فى صحيفة المؤيد سنة ١٩٠٠ م يرد بها على (مسيو هانوتو) وزير خارجية فرنسا فى ذلك الزمان فيما كتبه فى صحيفة (دى بارى) وقد ترجمها إلى الفرنسية وطبعت مرة ثانية بالعربية بعد أن أضيفت إليها مقالات أخرى له .

٩ ـ الإسلام والنصرانية وهو مجموعة مقالات حررها فى جريدة الأهرام عام ١٩٠٠ م، رداً على ما كان يكتبه (فرج انطون) فى مجلة الجامعة .

---

(٢١) كتاب الأزهر جامعا وجامعة او مصر فى الف عام المرجع السابق صفحة ٣٤٦ ـ ٣٤٨ .

١٠ ـ رسالة في وحدة الوجود وقد بين فيها مراتب الوجود وتعددها ونظامها العام .

١١ ـ حاشية عقائد الجلال الدواني ، وقد ألفها في علم الكلام وشرح مسائله وتحرير الخلاف بين المتكلمين .

١٢ ـ شرح كتاب البصائر النصيرية ، وهو شرح مختصر في المنطق أطلق عليه لفظ التعليقات وهو مكتوب بأسلوب رفيع كان قد قرأه درسا في الأزهر .

١٣ ـ تاريخ أسباب الثورة العرابية .

١٤ ـ ترجم إلى العربية رسالة الرد على الدهريين التي كتبها بالفارسية السيد جمال الدين الأفغاني وقد ساعده في ترجمتها (عارف أفندي أبو تواب) أحد أصدقائه من الأفغانيين .

١٥ ـ هذا عدا ما خلده من مقالاته الرائعة التي نشرها في صحف الأهرام والوقائع المصرية والعروة الوثقى وثمرات الفنون والمؤيد والمنار وغيرها[٢٢] .

وفاته :

لما تقدمت بالأستاذ الإمام السن بدأت الأمراض تناوشه حتى انتهت بمرض الكبد الذي ختم حياته ، وكان قد اعتزم الرحلة إلى أوروبا للعلاج وسافر إلى الأسكندرية فعلا للإبحار منها لكن تعذر عليه ركوب الباخرة لما كان يعانيه من آلام شديدة ، وكتم الأطباء الأمر عليه ، عندما قاموا بفحصه لكن لم يطل الكتمان فقد صعدت روحه إلى بارئها يوم ١١ يوليو سنة ١٩٠٥ م والتي توافق سنة ١٣٢٣ هجرية .

وبموته فقدت مصر والعالم الإسلامي رائد المدرسة الفكرية التي أقامها الأستاذ الإمام بهمته واجتهاده والتي سرعان ما بسطت نفوذها العلمي على بلاد الإسلام من بحار الصين في الشرق إلى شواطىء المحيط الأطلسي في الغرب ، فقد كان عبقرياً قَرَنَ حكمته العالية بالعمل المتصل الدءوب وتصدى لأوروبا وغاراتها المستمرة على عقائد الإسلام ، فدفعها دفعاً بأسلوبه الفذ وحجته القوية مما بهر الأوروبيين وهزهم من الأعماق ، ولفت أنظارهم بقوة لهذه النهضة العقلية الجبارة التي تحاججهم في القاهرة[٢٣] .

كما أن محاوراته وخطاباته التي كانت مع الفيلسوف الإنجليزي الشهير سبنسر وكذا مع أديب روسيا الكبير تولستوي جعلته شخصية فكرية عالمية .

ولا تحصى أسفاره التي لم تكن تنقطع إلى غرب أوروبا وشمال أفريقيا وتركيا ولبنان والسودان يسعى إليهم ويزورهم بنفسه ويحادثهم ويوجه حياتهم إلى ما ينفعهم ويزكيهم ويصلح أحوالهم حتى قيل عنه إنه كان كرابطة الخلافة في ربط العالم الإسلامي المترامي الأطراف بعضه ببعض بما أذاع من تعاليم وبث من أفكار حتى أن هذه الشعوب كانت تتأثر بما يحدث له أو يحدث معه كأنها تعيش معه ، وفي هذا المضمار ظهرت مصر متألقة في دنيا العلوم بأزهرها التليد الذي عقد لها ـ دائما لواء الفكر والتجديد في العالم الإسلامي كله .

(٢٢) كتاب الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة المرجع السابق صفحة ١٣٢ ـ ١٣٧ من الجزء الثاني .

(٢٣) لازال هذا الاهتمام بالإمام قائما حتى اليوم ، وآخر حدث له ما كان من أمر جامعة لندن التي طلبت إلى الدكتور خليل عبدالعال من أساتذة التاريخ ، بآداب الاسكندرية ، واستقدمته إلى لندن ليكتب عما إذا كان هناك علاقة بين حجة الله الدهلوي ومحمد عبده ، ذلك أن رسالة الدكتور خليل كانت عن الدهلوي بجامعة البنجاب .. وعلى أية حال يعد اهتمام الغرب أمر مريب . مجلة الأزهر .

الفتاوى - بقية

الخروج من الصلاة لاستكمال الوضوء

س : دخلت المسجد فوجدت الإمام يصلى بالناس فنويت ، ودخلت فى الصلاة ، وأثناء ركوعى لاحظت وتيقنت أن جزءا من قدمى لم يصله الماء أثناء الوضوء ، فهل أخرج من الصلاة لكى أستكمل وضوئى أم أمضى فى إتمام الصلاة ؟

« عبد الباقى حسين - سوهاج »

ج : نعم يجب عليك أن تخرج من الصلاة لأجل أن تستكمل وضوءك بغسل قدميك ؛ لأن غسل الرجلين إلى الكعبين من فرائض الوضوء ، ومادمت قد تيقنت - وأنت فى الصلاة ، أنك قد تركت جزءا من القدمين من غير أن يصيبهما الماء - فعليك أن تخرج من الصلاة لغسلهما ما لم يترتب على الخروج الإضرار بالمصلين واختراق الصفوف فعندئذ تنتظر حتى يسلم الإمام ، ثم تخرج لإكمال الوضوء وإن كان من الأفضل إعادته مراعاة للموالاة وخروجاً من عهدة الخلاف ثم إعادة الصلاة .

مواريث

س : توفيت امرأة سنة ١٩٩١ عن ثلاث بنات ، وأولاد بنت ، وأخ ، وأخت أشقاء ، وأخ وأخت لأب ، وأولاد أخ شقيق ، بنت أخت شقيقة فمن يرث وما نصيبه ؟

« محمود عبد الله عبد المنعم »

ج : فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل أمها بمقدار ماكانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ ، وبشرط ألا تكون الجدة قد أعطتهم شيئاً حال حياتها بدون عوض ، فتقسم التركة اثنى عشر جزءا ، منها جزءان وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والباقى وهو عشرة أجزاء هو الميراث للبنات الثلاث ، الثلثان فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخ والأخت الأشقاء تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى ، ولا شىء للأخ والأخت لأب لحجبهم بالأخ الشقيق كما لا شىء للذكور من أولاد الأخ الشقيق أيضاً لحجبهم بالأخ الشقيق ولا شىء للإناث من أولاد الأخ الشقيق ولا لبنت الأخت الشقيقة لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبيات .

س : توفى رجل سنة ١٩٩٠ م عن ابن ، بنتين ، أولاد ابن ، أولاد بنت ، فمن يرث وما نصيبه ؟

« عادل عبد العظيم »

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لكل من أولاد الابن وأولاد البنت المتوفين قبل والدهما بمقدار ماكان يستحقه أصل كل منهما لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول اغسطس لسنة ١٩٤٦ وبشرط الا يكون الجد قد أعطاهم شيئاً حال حياته بدون عوض ، وحيث إن نصيب الابن والبنت المتوفين يزيد على الثلث فترد الوصية الواجبة إلى الثلث فتقسم التركة تسعة أجزاء ، ثلاثة أجزاء وصية واجبة ، يخص أولاد الابن جزءان ويخص أولاد البنت جزء واحد يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والباقى وهو تسعة أجزاء هو الميراث للابن والبنتين الأحياء تعصيبا ، يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

العلوم الكونية

التوجيه الإسلامي للعلوم

الأمواج الكهرومغناطيسية

الجديد في العلم

التوجيه الإسلامي للعلوم

ضرورة حضارية

٣

أ.د. أحمد فؤاد باشا

حين يكون تأثير التربية والتعليم محدوداً في مسار الأمة ، فإن هذا يعني ضرورة الإسراع في اتخاذ الخطوات الجادة نحو تقويم ما تم ، وما لم يتم من خطط وبرامج أُعِدَّت أو تُعَدّ لأغراض التطوير والإصلاح .. وسوف نستكمل في هذا المقال طرح تصورنا حول أهمية التوجيه الإسلامي للعلوم باعتباره واجباً شرعياً وضرورة حضارية يُعوَّل في تحقيقهما بالدرجة الأولى على الأنظمة والمؤسسات التربوية والتعليمية المختلفة .

التصور الإسلامي للنهوض بتعليم العلوم :

إن التعليم حق أقرته الشريعة الإسلامية الغراء فكان الدعامة الأساسية لازدهار حضارة الإسلام ، كما أقره الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، ولا يقتصر هذا الحق الأساسي على مجرد الحصول على فرصة التعليم ، بل إن مفهومه يتسع ويمتد ليشمل توفير سبل النجاح في التعليم وتحقيق الأهداف المرجوة منه ، وهي من المنظور الإسلامي كل أهداف التربية الإسلامية وغاياتها المتمثلة في بلوغ الكمال الإنساني لأن الإسلام نفسه يمثل بلوغ الكمال الديني ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) .

ويأتي في مقدمة خصائص الكمال الإنساني الذي تنشده التربية الإسلامية الرشيدة تزويد الإنسان بأساسيات العلم النافع ، وإعداده الإعداد الصحيح ليكون الإنسان الصالح العابد

(١) سورة المائدة : ٣ .

لله حق عبادته ، والجدير بحمل الأمانة وتحقيق الإعمار فى الأرض . ولنا فى أسلافنا الذين تربوا على الإسلام أسوة حسنة لأنهم أدركوا أن الاهتمام بالعلم قضية تعبدية بالدرجة الأولى ، وليست مجرد الحصول على شيء من القوة الغاشمة أو التسلط الظالم فى هذه الدنيا ، فالذين يعيشون ويتعلمون ويعملون فى كنف الإيمان الخالص بالخالق الواحد وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، خيره وشره ، هم الذين يستطيعون - أكثر من غيرهم - مواصلة الترقى فى السلم المعرفى إلى غايته القصوى بإدراك حقيقة الوجود الإنسانى فى هذا الكون ، كما أرادها رب العالمين ، ومن ثم فهم القادرون - أكثر من غيرهم - على جنى كل ثمار المعرفة التى حصلوها دون أن يسيئوا استخدامها فى غير موضعها .

الانتقادات الموجهة لأنماط التعليم القائمة :

وأياً ما كان الأمر بالنسبة لأوجه العجز والقصور البادية حالياً فى أنماط التربية والتعليم بنوعيها النظامى وغير النظامى على المستوى العالمى [٢]، فإن الاعتقاد السائد منذ عقود خلت ، هو أن هذه الأنماط بصورتها الراهنة قد تأكد فشلها ، بل إنها أصبحت تمثل عقبة كأداء على طريق التنمية البشرية التى يقع عليها عبء تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع الإنسانى .

وتنصب الانتقادات الموجهة إلى أنماط التربية والتعليم القائمة فى الدول المتقدمة والنامية على حد سواء على عدم وضوح الأهداف التربوية ، أو على الأقل عدم توافر الوسائل الملائمة لتحقيقها ، فقد واجهت المدرسة التقليدية (النظامية) ، نتيجة قصورها الكمّى وضعفها النوعى ، انتقادات لاذعة من عدد كبير من المفكرين فى ميدان التربية ذاته ، ومن خارجه ، حتى طالب بعضهم « بموت المدرسة » ، كما طالب آخرون بإلغائها بسبب ما اتسمت به من اهتمام مفرط بالشكليات ، وتركيز شديد على المادة المجردة بدلاً من التركيز على المشكلات الحياتية ، واعتماد كبير على أساليب التلقين والحفظ بدلاً من التفاعل والحوار ، وتجاهل مقصود لاحتياجات المتعلمين ورغباتهم [٣] . وتوجَّه الانتقادات أيضاً إلى غلبة النزعة الموسوعية لتعليم كمّ كبير من المعارف فى الوقت الذى تتقادم فيه المعرفة نظراً لنموها المتسارع ، بالإضافة إلى أن اتساع حجم المنهج المدرسى أكثر من اللازم يُشكل بعض العبء على القدرة الاستيعابية للمتعلمين . وهذا من شأنه أن يحدث بعض الخلل فى التوازن المطلوب بين عناصر الموقف النظرى للمنهج الدراسى على أساس معالجة المعرفة العلمية بشكل يخدم كلا من المتعلم والمجتمع معاً [٤].

---

(٢) يقصد بالتعليم النظامى Formal Education نمط التعليم العام الذى يتم فى المدارس والمعاهد والجامعات النظامية : أما التعليم غير النظامى Non- Formal Education فيقصد به أى نشاط تعليمى منهجى يجرى خارج الإطار التقليدى لنظام التعليم العام . لمزيد من التفصيل راجع :
ـ سعاد خليل إسماعيل ، أنماط التعليم غير النظامى ، عالم الفكر ، المجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت (١٩٨٨) ، ص ١١٣ .

(٣) راجع فى ذلك :
Reimer Everott, « School Is Dead : Alternatives To Education.» Anchor Book Edition., New York, 1972 .
Illich Ivan, « Deschooling Society », Harper And Row, New York, 1970
عن : سعاد خليل إسماعيل ، مرجع سابق .

(٤) د . أحمد فؤاد باشا ، « علاقة العلم بالفلسفة الإسلامية ونصيب الفكر العلمى من التدريس الفلسفى العام » ، أعمال ندوة « نحو فلسفة إسلامية معاصرة » ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، القاهرة ١٩٨٩ .

التوجيه الإسلامى للعلوم

وهناك جزء كبير من الانتقادات الموجهة بشدة إلى نظم التعليم السائدة ينصب على برامج تربية المعلم باعتباره العنصر الأهم فى العملية التعليمية مهما تطورت وسائلها وتقنياتها . ذلك أن توسيع رقعة المدارس وانتشارها قد استوجب التوسع فى توظيف معلمين حسب الضرورة وليس حسب الكفاءة والخبرة فى أغلب الأحيان ، وحين كان المعلم فى بدايات التعليم النظامى رائداً فى محيطه وعالماً متميزاً بين أفراد مجتمعه وقدوة طيبة لأبنائه وتلاميذه ، فإنه فى هذا العصر قلّ أن يتمتع بكل المميزات التى كان ينعم بها سلفه ، بل إن كثيراً من الدراسات تشير إلى أن مهنة التعليم ليست ضمن المهن المتقدمة التى يقبل الناس عليها ، واستجابة للضغوط الملحة فى سد شواغر الوظائف التعليمية ، فإن التأهيل اللازم للمعلمين قد تأثر شكلاً ومضموناً نتيجة لقصر فترة الإعداد وقصور برامج التأهيل والتدريب . من ناحية أخرى ، يتعرض المعلمون بصورة مستمرة لكثير من التحديات الناجمة عن التغيرات المطردة فى المجتمع والتقنية ، ومن ثم فإنهم يظلون فى حاجة ماسة إلى تعلم مهارات جديدة وإلى اكتساب معارف واتجاهات حديثة لمواجهة ما يلاحظ من عدم اهتمام الطلاب بالتعليم وضعف مستوياتهم العلمية (٥) . ومن الطبيعى أن تؤدى كل هذه العوامل إلى أن يعانى المعلم من أزمة الانتماء إلى مهنة التعليم بالرغم من شغله إياها ، وأن يندر وجود المعلم القادر على ترجمة محتوى الكتاب المدرسى لما هو مطلوب .

إصلاح التعليم وإمكانية البعث الحضارى للأمة الاسلامية :

إن إمكانية البعث الحضارى للأمة الإسلامية يمكن أن تتحقق إذا ما أعيد ترشيد العقل الإسلامى لينطلق فى تفكيره ، كما كان ، من ثوابت الدين الإسلامى الحنيف : العقيدية والعملية ، ثم يتحرك فى إطار المتغيرات المرتبطة بهذه الثوابت والمناسبة لطبيعة العصر ، وإذا كان أصحاب التفسير المادى للتاريخ يقولون بحتمية سقوط الدول والحضارات بشكل أو بآخر إلى غير عودة ، فإن هذه المقولة لا تنطبق إلا على الحضارات المادية ذاتها ، على نحو ما نشهد الآن فى عصرنا من انهيار تام للماركسية والدائرين فى فلكها .

أما التفسير الدينى للصحوة الإسلامية الحضارية فقد فطن إليه ابن خلدون فى بادىء الأمر حين قال بأننا أمة لا يصلح حالها إلا على أساس الدين . لكن أساليب الغزو الفكرى تشيع عكس هذا ، لتباعد بيننا وبين الحضارة ولتحول بيننا وبين ما بلغه الآخرون . وهنا يكمن سر خطورة الاتجاه « العلمانى » ، الوافد إلينا والمتفشى بيننا ، على إمكانية نجاح الجهود الإصلاحية ، لأنه يفصل تماماً بين المقومات المادية لقيام النهضة والطاقات الروحية الخلاقة المغذية لها ، بل إنه ينفى الدين من مجال التأثير فى توجيه شئون الحياة الدنيا ، ويستدعى العلم وحده ويقدسه لكى يقوم بهذا التأثير ، وإذا كان هذا قد جاز فى مرحلة سابقة من تاريخ الغرب ، فإنه مرفوض رفضاً باتاً فى عرف الإسلام .

---

(٥) محمد الأحمد الرشيد ، التربية ومستقبل الأمة العربية ، عالم الفكر ، مجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت ، ١٩٨٨ ، ص ص ٥ ـ ١٥ .

ومادام طريق الإصلاح يبدأ بالتعليم والتربية ويعول عليهما ، فإن أول ما يجب الأخذ به ـ فى تصورنا ـ هو إيجاد حل لمشكلة ازدواجية التعليم فى العالم الإسلامى ، والمتمثل فى نظامين أحدهما دينى والآخر « علمانى » ، وذلك عن طريق المزج الكامل بين علوم الدين الإسلامى ومناهج العلم الحديث ، بمعنى أن تأتى المناهج التعليمية ، بما فيها مناهج العلوم الكونية والتقنية ، من واقع تصور إسلامى صحيح ينطلق من الاهتمام بتكوين عقلية إسلامية تنبذ التلقين والتقليد الأعمى ، وتعتز بحاستها النقدية واستقلالها الفكرى ، وتؤمن بأن ما وصلت إليه الحضارة المعاصرة من علوم وتقنيات ما هو إلا امتداد طبيعى لما حققته الحضارة الإسلامية التى كانت بدورها امتداداً لحضارات قديمة أقل نضجاً ، ومن ثم فليس هناك تناقض بين علوم الغرب المعاصرة وبين المناخ الفكرى الإسلامى ، على أن تعاد صياغة هذه العلوم ، المعارف ، ويفاد من تطبيقاتها وتقنياتها ، فى إطار إيمانى إسلامى يربطها بجذورها الإسلامية .

ولا يمكن الاطمئنان إلى علاج ناجع لظاهرة الازدواج التعليمى دون اعتماد اللغة العربية لغة للعلوم والتقنية فى جميع مراحل التعليم ، بما فيها مراحل التعليم العالى والدراسات العليا . فاللغة صورة من حياة أصحابها ، ترقى برقيّهم وتنحط بانحطاطهم . وانطلاقاً من مقولة أن اللغة القومية هى محور التعليم العام ، فإن أهل الاختصاص يؤكدون دورها الفعال فى نمو الفرد وتنمية ولائه لها ، بوصفها أبرز متطلبات الثقافة القومية والتواصل الثقافى ، وباعتبارها ـ أيضاً ـ أداة التعلم ووسيلة التعليم فى كل الأنظمة المعرفية أو مجالات المعرفة التى يتعرض لها الطلاب فى التعليم العام . ومن شأن اتقان اللغة القومية أن يجعل الفرد قادراً على التواصل مع أبناء ثقافته بصورة يتخطى فيها حدود الزمان والمكان ، وأن يساعده على استيعاب التراث الخاص بأمته فى مختلف مجالات المعرفة [6] ، ولقد قدَّر الله تعالى للغة العربية أن تكون وعاء الإسلام الحنيف ، تنتشر معه فى كل ربوع الأرض ، وتندفع بفضله إلى ارتياد آفاق العلوم ، ولم يطرأ عليها ما يخلع عنها هذا الثوب الذى كساها به الإسلام ، فهى لغة صالحة لتكون لغة العالمين ، صلاح الإسلام ليكون ديناً للعالمين .

ومرة أخرى نقول : إن لنا فى أسلافنا أسوة حسنة ، لقد وجدوا فى تراث من سبقوهم ما يمكن قراءته قراءة إسلامية ، واستطاعوا أن يقدموا علوماً وفنوناً وحضارة لها قيمتها العظيمة إلى الحد الذى جعلهم رواداً للطلائع الفكرية التى انتهت بأوروبا الحديثة إلى النهضة ، وكانت اللغة العربية أنذاك لغة دولية للعلم والحضارة ، بل إنها تركت آثاراً على لغات أخرى غربية . لماذا إذن لا نفعل كما فعل أسلافنا ؟ لماذا نقلنا عن الغرب أسماء لننزع عنها مضمونها ، ثم نطلقها على شىء عندنا ، مما قد يشبه ذلك المضمون لكنه ليس إياه ؟ وهذا خلط فكرى ، أو ننقل عنهم مضمونا فكرياً ثم نعطيه من عندنا اسماً يوهمنا بأن المضمون المنقول هو من غرسنا ؟ وهذا نفاق وغش فكرى ، أو ننقل عنهم شيئاً ما ، كالتقنية ، نقلاً أعمى نحاكى فيه القردة التى تقلد ما تراه حركة حركة ، ولا نراعى فيه هويتنا ومقوماتنا وأصول عقيدتنا ؟ وهذه ثالثة الأثافى ..!!

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [7] .

« صدق الله العظيم »

---

(٦) أحمد المهدى عبدالحليم ، « نحو اتجاهات حديثة فى سياسة التعليم العام وبرامجه ومناهجه » ، عالم الفكر ، مجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت ١٩٨٨ ، ص ص ١٧ ـ ٤٨ .

(٧) سورة آل عمران : ٨

الأمواج

إن دراسة الأمواج الكهرومغناطيسية واستخداماتها تتطور كل يوم وتساعد المعرفة المتعمقة لخواصها على التوصل لتطبيقات جديدة تتوالى بلا انقطاع فى مختلف المجالات .

ويرجع الفضل فى اكتشاف الأمواج الكهرومغناطيسية للعالم الإنجليزى « جيمس ماكسويل » (١٨٣١ - ١٨٧٩) الذى تمكن من صياغة معادلاته المعروفة لوصف خصائص هذه الأمواج .

ثم تمكن العالم الألمانى هرتز (١٨٥٧ - ١٨٩٤) من التوصل إلى توليد أمواج كهرومغناطيسية بواسطة ذبذبات كهربية متناهية فى السرعة ، ولها نفس الخواص التى عرّفها ماكسويل ، ثم جاء بعد ذلك العالم الإيطالى « اوجست ريجى » الذى اجرى عدة تجارب تقليدية ساعدته على تعريف تلك الامواج بمزيد من الدقة . واخيراً جاء « جوليلمو ماركونى » (١٨٩٤ - ١٩٣٧) الذى وضع تلك الامواج موضع التطبيق العملى فى صناعة جهاز للاتصال « اللاسلكى » .

وقد اوضحت التجارب ان الأمواج الكهرومغناطيسية تتكون من مجالات

إعداد: أستاذ دكتور
محمد عبد الرحمن سلامة

كهربية ومغناطيسية مترددة وتنتشر فى كل الاتجاهات خلال الفراغ والأوساط المادية على عكس الأمواج الصوتية التى تنتشر فقط خلال الأوساط المادية . وبصورة عامة فإن موجات الإشعاع الكهرومغناطيسى تنتقل بنفس السرعة دائما (سرعة الضوء = ٣٠٠,٠٠٠ كم / ث) وترتبط السرعة مع التردد والطول الموجى فى علاقة بسيطة على الصورة : السرعة = التردد × الطول الموجى . ويمثل (شكل ١) مختلف انواع الأمواج الكهرومغناطيسية ومراتبها فى الطيف الكهرومغناطيسى .

ويطلق على الأشعة فوق البنفسجية والضوء المرئى والأشعة تحت الحمراء مجتمعة اسم « الأشعة الضوئية » ، وأحيانا تعرف حزمة الطيف ذات الأطوال الموجية التى تقل عن ١٠٠ نانوميتر (واحد نانوميتر = $١٠^{-٩}$ متر) بمنطقة الإشعاع المؤين والمنطقة ذات الأطوال الموجية التى تزيد على ١٠٠ نانوميتر تعرف بحزمة

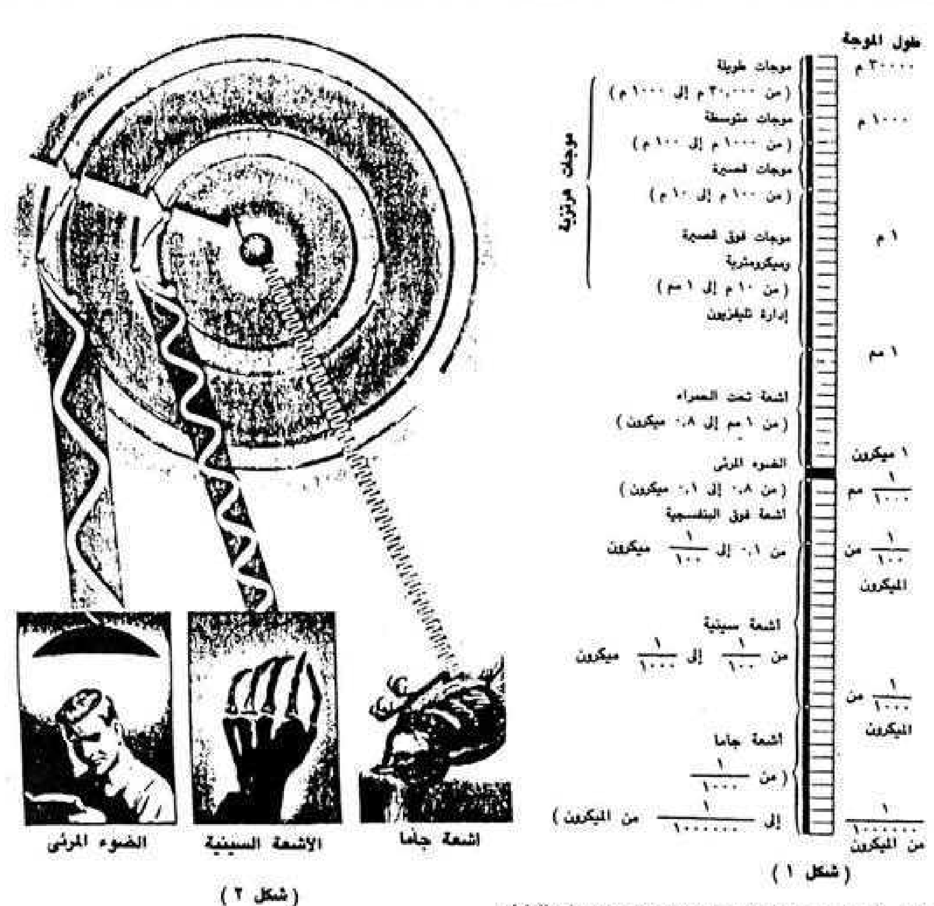

(شكل ٢)

(شكل ١)

مختلف انواع الموجات الكهرومغناطيسية ومراتبها والطيف

الإشعاع غير المؤين . وهذه المسميات تعتبر مفيدة لهؤلاء الذين يرغبون فى التمييز بين التأثيرات البيولوجية للأنواع المختلفة من الإشعاع .

ولتوضيح كيفية تولد الموجات الكهرومغناطيسية نسوق على سبيل المثال حالة توليد الموجات الهرتزية المستخدمة فى الإرسال الإذاعى والتليفزيونى والتى يتم الحصول عليها بواسطة (المذبذبات)* غير أن بعض الأمواج الكهرومغناطيسية قد تتولد فى مادة الخامة نفسها ، ويرجع مصدر هذه الموجات إلى ذرات المادة باعتبارها المجال الدائم الذى تتحرك فيه

* المذبذبات : اجهزة تتولد فيها حركة سريعة ومتغيرة لشحنات كهربية ، او بعبارة اخرى حركة تدفق وانتشار للكهارب فى اتجاهات متضادة .

الأمـــواج الكهرومغناطيسية

الالكترونات . ذلك أن كل ذرة تتكون من (نواة) و (الكترون) أو عدة (الكترونات) ويتحرك كل (الكترون) فى مسار مختلف فى بعده عن النواة ، وكلما كان المسار بعيداً عن النواة كانت طاقة الالكترون الذى يسير فيه أكبر ، وعندما تستقبل الذرة قدرا من الطاقة (على شكل حرارة أو تيار كهربى) فإن (الكتروناتها) تسرع فى حركتها وتتخذ لها مسارات أكثر بعدا عن النواة (أى ذات طاقة أكبر) وعندئذ تطرأ على الذرة المثارة حالة من النشاط الزائد ، وينتج عن ذلك فى وقت قصير للغاية أن يقفز الالكترون مرة أخرى إلى مساره الطبيعى ، وهذه القفزة تولد طاقة على شكل موجات كهرومغناطيسية تؤكد بالتالى إعادة التوازن للذرة ، وكلما قفزت الالكترونات عدداً أكبر من المسارات ، وكانت على مسارات أكثر بعداً عن النواة : فإن الطاقات الممتصة ثم المنبعثة تتزايد فى حين أن طول الموجات المتولدة يتناقص ، وهكذا تنتقل الموجات من الأشعة الحرارية (تحت الحمراء) الناتجة من قفزات الالكترونات الأبعد عن النواة إلى الأشعة الضوئية فالأشعة السينية وأخيراً إلى (أشعة جاما) وهذه الأشعة الأخيرة تبعثها نواة الذرة نفسها عندما تستثار أو تتفتت .

ويمثل (شكل ٢) رسما توضيحيا لكيفية انبعاث بعض الأمواج الكهرومغناطيسية فى صورها المختلفة من إحدى ذرات المادة .

ويمكن التعريف بمختلف أنواع الموجات الكهرومغناطيسية ومراتبها فى الطيف على النحو التالى :

(١) الأمواج الهرتزية :

إذا نظرنا إلى الأمواج الهرتزية فإننا نجد أن أطوالها تتراوح بين الأمواج الطويلة والمتوسطة والقصيرة المستخدمة فى الاتصالات والإرسال الإذاعى .

وفى بداية العهد بالتلغراف واللاسلكى كانت تستخدم الأمواج الطويلة (من ٣٠,٠٠٠ إلى ١٠٠٠ م تقريبا) وذلك لأنه كان من المعتقد أن تلك الأمواج هى الأنسب للإرسال البعيد نظراً لأنها تنطلق على طول سطح الكرة الأرضية وتجد مجالا مواتيا لسريانها فى طبقات الجو الأكثر كثافة ، وهى الطبقات الأقرب إلى الأرض .

أما إذا نظرنا للأمواج المتوسطة ذات المدى (من ١٠٠٠ إلى ١٠٠ م) فإننا نلاحظ أنها تبعد أكثر فى مسارها عن سطح الأرض فى حين نجد أن الأمواج القصيرة من ١٠٠ إلى ١٠ م) والأمواج فوق القصيرة من (١٠ م إلى ١ م) ترتفع فى خطوط مستقيمة . وقد ظلت الأمواج القصيرة غير مستخدمة زمنا طويلا ، إذ انه كان يُخشى أن تضيع فى الفضاء ، وكان هذا هو السبب الذى جعلها توهب دون قيد لهواة الاتصال بالراديو ، غير انه لوحظ أن هؤلاء الهواة يُغطون بتلك الأمواج القصيرة مجالات الاتصال ، وسرعان ما عرف السبب : فالأمواج القصيرة ترتفع فى الفضاء إلى مسافة من ٨٠ إلى ١٠٠ كم . وهناك تقابل طبقة هوائية متأينة تعرف بطبقة « كينلى ـ هيفيسايد » فترتد فى صورة أمواج إلى الأرض لتعود منها مرة ثانية إلى الهواء ، وهكذا تدور حول الكرة الأرضية بأكملها . ومن البديهى انه لا يمكن التقاط هذه الأمواج من مسافات بعيدة إلا إذا كانت المحطات التى ترسلها قوية بدرجة كافية . ومن المعروف أن معظم الإرسال الإذاعى واللاسلكى فى الوقت الحاضر يتم عبر المحيطات بواسطة الأمواج القصيرة .

ومن الجدير بالذكر أن الطبقة الهوائية التى تعكس الأمواج القصيرة تبدو ، وكأنها غطاء معدنى كبير ، وتسمح فى نفس الوقت بمرور الأمواج فوق القصيرة فمن المعروف أن الأمواج

التى طولها بضعة أمتار أو بضعة سنتيمترات لا تنتشر إلا فى اتجاه رأسى بالنسبة للهوائى ثم تضيع فى الفضاء الكونى . وإذا هى وجهت نحو الأرض فإنها تتخذ مسارها فى خط مستقيم إلى أن تقابل عائقا طبيعيا (سلسلة جبلية مثلا) فتصطدم به ثم ترتد بطريقة الأمواج الصوتية عندما ترتد على هيئة صدى . وتستخدم الأمواج فوق القصيرة فى الإرسال التليفزيونى ، لذلك فإننا نلاحظ أن هوائيات محطات الإرسال لم تكن تستطيع إرسال الصورة إلى أجهزة الاستقبال التى توجد خلف موانع طبيعية . وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة بابتكار فنى رائع تمثل فى تحقيق الاتصال المرئى عبر القارات لأول مرة فى شهر يوليو ١٩٦٢ بواسطة (التلستار) ، وهو أول قمر صناعى يستخدم فى الاتصال وحديثا أمكن استخدام الأمواج السنتيمترية (هى التى لا يزيد طولها على بضعة سنتيمترات) فى أجهزة الرادار ، حيث نجد أن الأمواج التى يطلقها جهاز الإرسال تأخذ مساراً مستقيما حتى إذا ما واجهت عائقا كطائرة مثلا فإنها ترتد إلى محطة الإرسال على شكل صدى ، وبذلك تظهر الطائرة على هيئة بقعة تتحرك فوق شاشة تشبه شاشة التليفزيون .

(٢) أمواج الميكروويف

وهى الأمواج التى يقع ترددها فى المدى من (٣٠٠ ميجا سيكل) إلى (٣٠٠ جيكاسيكل) ومن المعروف عن أمواج الراديو وأمواج الميكروويف أنها إشعاعات ذات خاصية غير مؤينة ، حيث أن طاقتها المنخفضة جدا لا تكفى لإحداث تأين فى المادة . وتدخل أمواج الميكروويف وأمواج الراديو فى كثير من التطبيقات التكنولوجية الحديثة مثل عمليات صهر المعادن واللحام والتجفيف واللصق وإنتاج البلاستيك والتعقيم . وقد أوضحت الدراسات أن أشعة الميكروويف لها بعض التأثيرات الضارة على صحة الإنسان تظهر أعراضها فى صورة الصداع والقلق النفسى والأرق وعدم القدرة على التركيز والشعور بالإعياء بصفة عامة . وقد ثبت أن التعرض لأشعة الميكروويف يمكن أن يكون له تأثير على إصابة العين بالمياه البيضاء (كتراكت) إذا تعرضت العين إلى هذه الأشعة بكثافات عالية تصل إلى ١٠٠ ملى وات / سم ..

(٣) أمواج الأشعة تحت الحمراء

ويطلق على الأشعة الحمراء اسم « الأشعة الحرارية » أو « الحرارة الإشعاعية » والواقع أن هذه الأمواج تشع حرارة ليس فقط خلال الهواء بل خلال الفراغ .

فالحرارة التى تصلنا من الشمس حرارة إشعاعية ناتجة من الأشعة تحت الحمراء التى تخترق الفضاء . والأشعة الحمراء لا توجد فى طيف الضوء الأبيض للشمس فحسب ولكنها تنبعث أيضا من جميع أجهزة التدفئة (المواقد والدفايات .... الخ) وحزمة الأشعة الحرارية يتراوح طول أمواجها من حوالى ١ مم إلى ٠,٨ ميكرون (الميكرون يساوى جزءاً من ألف جزء من المليمتر) وتستخدم الأشعة تحت الحمراء فى كثير من التطبيقات التكنولوجية فى الوقت الحاضر خاصة فى مجال الاستخدامات العسكرية .

(٤) الضوء المرئى :

وهو الذى تدركه العين البشرية ويتكون من ألوان الطيف التى نشاهدها فى « قوس قزح » . من الأحمر (٠,٨ ميكرون) إلى البنفسجى (٠,٤ ميكرون) .

(٥) الأشعة فوق البنفسجية :

تلى الأشعة فوق البنفسجية منطقة اللون البنفسجى عند طرف الضوء المرئى فى الطيف الكهرومغناطيسى ويبلغ مدى الطول الموجى لها

من ٠,٤ ميكرون إلى ٠,١ ميكرون .

ويمكن توليد هذه الأشعة صناعيا بطرق مختلفة من امثلتها مصابيح « بخار الزئبق » المعروفة .

ويمكن تقسيم طيف الأشعة فوق البنفسجية إلى المناطق الآتية والتى يسبب كل منها تاثيرات بيولوجية مختلفة :

اشعة فوق البنفسجية (أ) (٠,٣٢ ـ ٠,٤ ميكرون) وتعرف بمنطقة « الإشعاع الأسود » .

اشعة فوق البنفسجية (ب) (٠,٢٨ ـ ٠,٣٢ ميكرون وتعرف بمنطقة (الإشعاع الشمسى الحارق) .

اشعة فوق البنفسجية (ج) (٠,٢ ـ ٠,٢٨ ميكرون) وتعرف بمنطقة (إشعاع العلاج الطبى) .

لقد أثبتت الدراسات أن للأشعة فوق البنفسجية تأثيرات بيولوجية خاصة على العين والجلد . إن التأثيرات البيولوجية الحادة لهذه الأشعة على العين ، تتمثل فى سرطان ملتحمة العين ، واحيانا المياه البيضاء (كتراكت) . أما التأثيرات الحادة على الجلد فإنها تتمثل فى حروق الشمس والتى إذا كانت شديدة بدرجة كافية ، يمكن أن تؤدى إلى تحطيم سطح الجلد مسببة التهابات وحروقا من الدرجة الثانية . إن التغيرات المزمنة فى الجلد نتيجة التعرض للأشعة فوق البنفسجية يمكن أن ينتج عنه أورام الجلد السرطانية . وعلى الناحية الأخرى فقد أوضحت الدراسات أن التأثيرات الطبية للأشعة فوق البنفسيجة على الجلد هى المساعدة على تكوين فيتامين (د) والذى يسبب نقصه قصورا فى المقاومة الطبيعية لجسم الإنسان . وقد وجد أن الأطوال الموجية التى تقل عن ٠,٢ ميكرون ليس لها اى تأثيرات بيولوجية ملحوظة .

(٦) الأشعة السينية :

إن الأشعة السينية هى أمواج كهرومغناطيسية ذات طول موجى يتراوح بين ١٠ $^{-٥}$ إلى ١٠٠ انجستروم (الانجستروم = ١٠ $^{-٨}$ سم) .

وهذه الأشعة لها قدرة على النفاذ خلال الأجسام بكميات تتناسب وسمك الأجسام وعددها الذرى كما تتناسب ايضا مع طاقة هذه الأشعة . وتنقسم الأشعة السينية إلى نوعين :

ا ـ الأشعة السينية الناعمة :

ولها القدرة على اختراق المواد إلى سمك بسيط ويكشف عنها بالألواح الفوتوغرافية واجهزة قياسات الإشعاعات مثل عداد جاما . وتستخدم هذه الأشعة فى التشخيص الطبى الإشعاعى للجلد والانسجة القريبة جداً من سطح الجلد .

ب ـ الأشعة السينية العميقة :

وتستخدم فى أغراض العلاج بالإشعاع مثلها فى ذلك مثل اشعة جاما . ويتم الحصول على الأشعة السينية المستخدمة فى الفحوص الطبية بقذف هدف من معدن التنجستن بواسطة الكترونات عالية الطاقة لتوليد هذه الأشعة التى تركز فى حزمة وتوجه إلى الموقع المراد فحصه .

وتصدر أجهزة التليفزيون ، خاصة الملونة منها ، اشعة سينية ناعمة . لذلك تدرع الشاشة بزجاج خاص بغرض خفض مخاطر التعرض الإشعاعى بدرجة كبيرة .

(٧) اشعة جاما :

وهى شكل من اشكال الإشعاع الكهرومغناطيسى يشبه الأشعة السينية والضوء وموجات الراديو ، ولكنها تقع فى جزء مختلف من الطيف وذات أطوال موجية قصيرة جداً تتراوح بين ٣ × ١٠ $^{-٨}$ سم إلى ١٠ $^{-١١}$ سم او اقل .

وهذه الإشعاعات منشؤها نواة الذرة ، ولها قدرة اختراقية عالية وعموما يمكن أن تمر إشعاعات جاما خلال الجسم البشرى ، ولكنها غالبا ماتمتص بالكامل بواسطة سمك من الخرسانة المسلحة يساوى مترا واحداً .

إعداد : د. نجوى السيد أحمد

طريقة مصرية جديدة للكشف عن المياه الجوفية .

استخدمت فى مصر لأول مرة طريقة جديدة لتحديد مناطق وجود المياه الجوفية باستخدام الحس الإشعاعى للإنسان ، وذلك باستخدام قضيبين من المعدن ملتصقين ومزودين بإبرة معدنية فى نقطة التصاقهما تستقبل الإشعاع المنبعث من الأرض . ويؤثر هذا على الأعصاب فتحدث ذبذبة فى الجسم يمكن عن طريقها التعرف على أماكن تواجد المياه الجوفية بدقة شديدة . وتعتمد هذه الذبذبات على تغير كمية الإشعاع من طبقات صلبة إلى مائية مما يتسبب فى وقوع الإبرة على الأرض ليدل على مكان المياه الجوفية .

جهاز لقياس الذكاء

قام معهد الطب النفسى البريطانى بابتكار جهاز لقياس الذكاء . وتتمثل طريقة عمل الجهاز فى إظهار خطين بطولين مختلفين يختفيان عن الأنظار بسرعة وعلى الشخص المفحوص أن يحكم من منهما الأطول وكلما قصرت المدة التى يظهر فيها الخطان صعبت هذه المهمة . والفكرة هى أن الجهاز يقيس الحد الأدنى من الزمن لظهور الخطين على الشاشة الذى يتمكن فيه الشخص المفحوص من إعطاء الجواب الصحيح فى كل مرة . وقد جاء هذا الابتكار نتيجة أبحاث أجريت فى السبعينيات على الفطنة البصرية وبينت أن هذه المقدرة تعتمد على الذكاء .

****

كشف علمى مثير للتحكم فى الأمواج الكهرومغناطيسية .

حقق فريق عمل فرنسى إنجازا علمياً هاماً عندما تمكن من استخدام البللور لتحويل الأشعة تحت الحمراء غير المرئية إلى ضوء أخضر مرئى . وقد تم التوصل لهذه النتيجة المذهلة فى الحصول على محول للتردد الكهرومغناطيسى عند إنتاج

● باحثة بالمركز القومى للبحوث .

الجديد فى العلم والتقنية

بللورات من فوسفات البوتاسيوم والتيتانيوم فى فرن مرتفع الحرارة وعند انخفاض درجة حرارة البللور تبين أنه يلعب دورا مضاعفا للتردد إذ يحول الإشعاع تحت الأحمر الذى يصوره ليزر صلب (بتردد ٢,٨ × ١٠^١٤ هرتز) إلى إشعاع أخضر بتردد (٥,٦ × ١٠^١٤ هرتز) . ويثير هذا الإنجاز اهتمام الجراحين الذين سيصبح فى مقدورهم استعمال ترددين اثنين بدلا من تردد واحد لدى تدميرهم الأورام .

****

ساعة شمسية شاملة .

تم ابتكار ساعة شمسية جديدة تعطى الوقت الرسمى فى كافة دول العالم بدقة . وتتميز هذه الساعة بأنها سهلة القراءة طيلة النهار وخلال كافة أيام السنة سواء وضعت فى داخل الغرفة أم فى خارجها ويمكن صنعها بحجوم مختلفة .

****

دواء جديد لعلاج سرطان الدم .

توصل العلماء الأمريكيون إلى دواء لعلاج سرطان الدم (اللوكيميا) وذلك عن طريق إعادة الخلايا التى تتكاثر بشكل عشوائى إلى خلايا عادية مرة أخرى . أدى العلاج إلى تحسن تام فى حالة ٢٠ مريضا من بين ٢٣ مريضا تم تجربة الدواء عليهم . ويذكر أن خلايا الدم البيضاء تنمو عادة ثم تهدم وتموت ، ولكن فى حالة « اللوكيميا » فإن هذه الخلايا تظل فى حالة غير ناضجة ، ومن ثم تظل تنقسم وتتزايد وتزاحم الخلايا البيضاء العادية التى تكافح جراثيم الأمراض وخلايا الدم الحمراء التى تحمل الاكسجين . والعقار الجديد يؤدى إلى إمكانية أن تهدم تلك الخلايا المريضة غير الناضجة وتموت كالخلايا العادية تماماً .

****

رادار طائر لمراقبة التهريب .

أدخلت الجمارك الأمريكية فى خدمتها سلاحاً جديداً لمكافحة المخدرات وهو عبارة عن طائرة إنذار جوى مبكر مخصصة لكشف ومراقبة مئات الطائرات الصغيرة المستعملة فى تهريب المخدرات . هذه الطائرة مجهزة برادار كبير المدى مثبت فوق الطائرة ويبلغ قطره ٧,٣ متر وهو قادر على المسح بزاوية ٣٦٠ درجة ولا تستطيع أى طائرة أن تؤثر على حزمته الرادارية .

****

من الفوائد الطبية للحلبة .

تحتوى الحلبة على مادة الصابونين وهى مضادة للالتهابات ومقوية وملينة للأمعاء . ويفيد مغلى الحلبة فى علاج أمراض الصدر المزمنة والسعال والربو وضيق التنفس . ويفيد ايضا فى حالات فقر الدم وضعف البنية وفقدان الشهية . كما يستعمل مغلى الحلبة او مسحوقها فى علاج مرضى البول السكرى وتساعد على شفاء الجروح فيهم .

٩. دراسة حول المادة الشمعية في الأذن .

اكد الباحثون بمعهد جون هوبكنز بولاية ميريلاند الأمريكية أن الأطفال وصغار السن الذين تتراوح أعمارهم حول العاشرة لديهم مناعة كبيرة ضد التهابات وآلام الأذن نتيجة لإفرازها الزيوت الطبيعية المسئولة عن تكون المواد الشمعية التي تحمي الأذن . وحذر العلماء مرضى السكر من إهمال علاج أى آلام أو التهابات يشعرون بها في الأذن ، حيث أنها تسبب نقل هذه الالتهابات لعظام الغضاريف بالأذن وبالتالي تصل إلى الأنسجة الموجودة داخل الرأس وتؤثر عليها . وتؤكد الدراسة أن الماء والصابون يعملان على إذابة الزيوت الطبيعية بالأذن وبالتالي تفقد حصانتها ضد العدوى أو الإصابة بالأمراض .

****

اكتشاف بركان في قاع المحيط الهادى .

عثر الجيوفيزيائيون الأمريكيون على تدفق هائل من الحمم البركانية في قاع المحيط الهادى بقى غير معروف حتى الآن . وأشارت حساباتهم إلى أن حجم هذه الحمم يبلغ ١٥ كيلو مترا مكعبا ، أى ما يكفى لتغطية كل طرق الولايات المتحدة بغطاء سماكته عشرة أمتار . وتشير المقارنة إلى أن حجم تدفق الحمم هذا يساوى ثلاثة أضعاف متوسط ماتقذف به كل براكين الأرض في سنة واحدة .

مشيخة علماء أسيوط ـ بقية

حدائقه فيحاء واسعة الأرجاء يقوم في وسطها ثلاث عمائر شاهقات بديعات جميلات .

فإلى اليمين بعد أن تجاوز السور بنحو ستين مترا نجد قسم الدراسة وهو مؤلف من طابقين ، أما الطابق الثاني ففيه : قاعة كبرى للمحاضرات والسينما تتسع لثلاثمائة شخص . وفيه ١٥ حجرة للدراسة .

فإذا قطعت عشرة أمتار بعد مبنى الدراسة وجدت مبنى المساكن (القسم الداخلى) وهو عمارة شاهقة ، مؤلفة من ثلاثة أدوار ، وسترى في الدورين الثاني والثالث أربعة عنابر واسعة في كل منهما في كل عنبر من السرر خمسون سريرا ، لكل طالب سرير ، ويتبع كل سرير دولاب خاص لصاحبه ، يضع فيه كتبه وملابسه ويتبع ذلك حجرات للمراقبين والخدم ودورات مياه على أحدث نظام .

ويقابل العمارة من الجهة الشرقية مسجد المعهد وإنه ليعد تحفة فنية نادرة في هندسته ونظامه ، وهو مفروش بالسجاد المصرى الفاخر ويتسع لنحو خمسمائة من المصلين .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

الاستقامة

لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه
ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
رواه الأمام احمد عن انس رضى الله عنه

« إنى لا أذل العلم »

بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلى والى « بخارى » إلى محمد بن إسماعيل ، أن احمل إلى « كتاب الجامع والتاريخ » لأسمع منك .

فقال محمد بن إسماعيل لرسوله ، قل له : إنى لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فإن كانت له حاجة إلى شىء منه فليحضرنى فى مسجدى أو فى دارى ؛ فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من المجلس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة . إنى لا أكتم العلم : فكان سبب الوحشة بينهما .

« أخى »

إنك لن تستطيع أن تمنع طيور الهم من التحليق فوق رأسك ؛ لكنك تستطيع أن تمنعها من التعشيش داخل رأسك .

« إذا رأيت »

إذا رأيت الحكام يتنافسُون فى العدالة ، ويجتنبون الفسوق والجهل فتلك نعمة طائلة .

وإذا رأيت الجور فاشيا ، والعدل منكرا فتلك نعمة زائلة .

وإذا رأيت الإمام يجمع بين العدل والجور فى ولايته فتلك فتنة .

« الجهاد ضربان »

كان العز بن عبد السلام يقول للسلطان نجم الدين حين أكرم وفادته ، وطلب منه المهادنة : الجهاد ضربان : ضرب بالجدل والبيان ، وضرب بالسيف والسنان ، وسلاح العالم علمه ولسانه كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه .. وكما لايجوز للملوك إغماد أسلحتهم ، لايجوز للعلماء إغماد ألسنتهم .

« وصية »

أوصى الخليفة عبد الملك بن مروان بنيه عند وفاته قائلا :

أوصيكم بتقوى الله ، فإنها عصمة باقية ، وجنة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل في المعاد ، وهي أحصن كهف ، وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير ، مع سلامة الصدور ، والأخذ بجميل الأمور ، وإياكم والبغي والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضون ، وذو العز المكين .

« كناية .. ودعابة »

سئل ابن سيرين عن رجل .
فقال : توفي البارحة ، فلما رأى جزع السائل قال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ وإنما أردت بالوفاة النوم .

« الإقلال »

قيل : الغنى في الغربة وطن ، والمقِلُّ في أهله غريب .

وفيه قال الشاعر :

لعمري ما الغريب بذي التنائي
ولكن المقل هو الغريب
إذا ما المرء أَعْوَزَ ضاق ذرعا
بحاجته وأبعده القريب

« نصيحة »

قال بعض الحكماء لبنيه : لاتعادوا أحداً وإن ظننتم أنه لايضركم ، ولاتزهدوا في صداقة أحد وإن ظننتم أنه لاينفعكم ؛ فإنكم لاتدرون متى تخافون عداوة العدو ولا متى ترجون صداقة الصديق ؟

« الحب الكاذب »

قال أحد الحكماء :

١ ـ من ادعى أنه يحب الله ولم يتورع عن محارمه فهو كذاب .

٢ ـ ومن ادعى أنه يحب رسول الله ﷺ ولم يعمل بسنته فهو كذاب .

« ثقة في الله »

كان خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ لايبدأ معركة قبل أن يخير عدوه بين الاستسلام أو الحرب حسب تعاليم الإسلام ـ فيقول : إن معي رجالاً يحبون الموت كما تحبون الحياة فإن أبوا إلا القتال قال لهم : لو كنتم في السماء لرفعنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا .

« صاحب المال »

من أقوال العباس ـ رضي الله عنه ـ الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء خطؤه صواب وسيئاته حسنات .

أما المفلس فهو عندهم أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص ، لايسلم عليه إذا قدم ولا يسأل عنه إذا غاب ، إن حضر إزدروه وإن غضب صفعوه .

« دعاء »

اللهم طيبنا للقائك ، وأهلنا لولائك وأدخلنا مع المرحومين من أوليائك وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

شرك العقيدة وشرك العمل

لصاحب الفضيلة
الشيخ محمد محمد المدنى

إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات

حين نتلو كتاب الله حق تلاوته ، ونقرأ سنة نبينا ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى تمعن يستبين لنا المنهج السليم للعقيدة الصحيحة .

غير أن العالم المعاصر يتعرض فى هذه الفترة من التاريخ لتيارات فكرية متعددة وإلى تغير أساسى فى كثير من النظم والتقاليد التى تظهر لنا من وقت لآخر ، والعالم الإسلامى باعتباره صاحب عقيدة يدور شطر منها حول الترغيب والترهيب ، تعرض هو الآخر لهذا التيار الفكرى الجديد الذى يهب عليه من كل جانب .

وهذا التيار الذى لايخلو دوما من حمل بعض الأفكار الغريبة عن تعاليم ديننا بغية أن يخلط علينا الأمور فنفقد التمييز ويحدث الزلل .

لذلك أصبح لزاما على المسلم أن يفكر ويتروى فى تناوله لهذه الأمور حتى لايدخل فى دائرة الشرك المنهى عنه شرعا :

قال الأستاذ رحمه الله :

لا أظن أنه بقى على ظهر البسيطة من يعتقد أن هناك إلها مع الله يستحق العبادة والخضوع له كما يستحقها الله جل جلاله ، ولكن هناك نوعاً من الشرك مايزال باقياً ، وهو أشد خطورة من الناحية العلمية وأكبر ضرراً على المجتمع من شرك الأوثان والكواكب والأحجار .

بيان ذلك أن الشرك بالله واتخاذ غيره إلها نوعان :

شرك فى العقيدة ، وشرك فى العمل .

فأما شرك العقيدة : فهو أن يعتقد الإنسان أن مع الله إلها آخر يستحق العبادة والطاعة ، كهؤلاء الذين كانوا يعبدون الشمس والقمر والأشجار والأحجار وغير ذلك من التماثيل ، التى كانوا يصنعونها بأيديهم ثم يخضعون لها ، ويقفون أمامها خاشعين ، ويتخيلون رضاها وغضبها ، وبركاتها ولعناتها ، فترعد فرائصهم

منها خوفا وفَرَقا ، ولاشك أنه لا يوجد سفه وضلال يقع به الإنسان فى التخبط والعماية كهذه العقيدة : ولم نجد أحدا فى التاريخ يعتقدها إلا ذوو الأحلام الضعيفة والعقول السخيفة ، ولذلك يسخر الله منهم دائما ، ويصفهم بالجهل والعمى ، وأن لهم قلوبا لايعقلون بها ، وآذانا لايسمعون بها ، وأعينا لايبصرون بها ، وأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

وهذه العقيدة مودية بصاحبها فى الدنيا قبل أن تودى به فى الآخرة ، وحسبنا أن نتصور رجلا يعيش فى مجتمع مفكر — ولاسيما فى عصرنا الحاضر — وهو يؤمن فى قرارة نفسه بأن هذا الحجر أو ذاك إله يستحق منه العبادة ، ويملك له النفع والضرر ، إنه لاشك يكون فى سائر تصرفاته ذا عقلية ضئيلة ، وشخصية هزيلة ، ومثل هذا لايرجى منه أى خير ، بل هو دائما عرضة لجميع الشرور وألوان الفساد ، ولذلك يصور الله تعالى حال الشرك به تصويراً رائعا يمثل جميع معانى الحيرة والاضطراب والخوف والضعف والضلال فيقول : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ .

هذا هو شرك العقيدة ، وهو أول انحراف عن سواء السبيل ، وإليه يرجع كل اضطراب وكل شر وكل فساد فى هذه الحياة .

أما كونه أول انحراف عن سواء السبيل ، فذلك أن الفطر السليمة والعقول المستقيمة توحى بالإيمان بالله إيمانا صحيحا لايخالجه شك ، ولايفسده شرك ، فإن الإنسان مفكر ، وتفكيره يهديه إلى أنه لم يوجد إلا بمؤثر ، ولايجد شيئا أمامه يمكن أن يسند إليه هذا التأثير ، بل يجد كل ما حوله من الأشياء موجداً بعد عدم مثله تماما ، فيذعن فى قرارة نفسه لهذه القوة الغيبية التى تأتى الرسل وتنزل الأديان فتسميها الإله الذى خلق الخلق ، وتفكيره يهديه أيضا إلى قضية أخرى هى قضية الوحدانية ، فيؤمن بها إيمانا عقليا عن طريق النظر فى أدلتها المعروفة فإذا انحرف الإنسان عن حكم فطرته ، وعن حكم عقله وتفكيره فى هذا الشأن الذى يتصل بالعلاقة بينه وبين خالقه وموجده ، كان ذلك أول انحراف عن سواء السبيل .

وأما كون هذا الانحراف سبب كل اضطراب ، فإنه كما ذكرنا دليل على التياث العقل ، واعوجاج الفكر ، وباعث على سوء التصرف ، ولايمكن أن يعيش امرؤ فاقد العقل سيىء التصرف عيشة سعيدة صالحة بين قوم عقلاء يعرفون مايفعلون وما يتركون .

شرك العقيدة وشرك العمل

أما شرك العمل فهو إيثار ما سوى الله على الله ، وإن اعتقدت أن الله واحد ، وأن الأمر بيده ، فإنه لايكفى أن تؤمن النفس إيمانا سلبيا داخليا بأن الله هو مالك النواصى والأقدام ، ثم لايظهر لهذا الإيمان أثر فى التصرف والعمل ، بل يظهر فى الأعمال والتصرفات عكس ذلك ، كأن الإيمان هو ذلك الزعم القلبى الخفى الذى لا روح له ، ولاحياة به ، إنما الإيمان الحق هو الذى يحول بين صاحبه وبين إتيان المنكرات واقتراف الآثام .

ولذلك يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن »[1] ، ويقول فى حديث آخر : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قالوا من هو يارسول الله ؟ قال الذى لايأمن جاره

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

بوائقه » إلى غير ذلك من الأحاديث التى تربط الإيمان الحق الذى يعبد الله به بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ، وقد وصف القرآن الكريم المائلين إلى الأهواء ، المتبعين للشهوات بأوصاف العبودية لغير الله ، واتخاذ غيره إلهاً إذ يقول : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾(٣) ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(٤) ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(٥) ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾(٦) .

ووصفت السنة أيضاً هؤلاء بمثل ذلك فقد جاء فى بعض الأحاديث النبوية الصحيحة « تعس عبد الدينار والدرهم ، تعس عبد الخميصة » .

فهؤلاء مشركون ، وإشراكهم أضر على المجتمع من إشراك عابد الوثن ، والمعتقد فى الحجر ، لأن عابد الوثن يضر نفسه ، ويفسد حياته ، أما هؤلاء فإنهم يبثون الفساد والوهن فى صفوف المجتمع ، ويشيعون فيه الضعف والمنكر وسائر أصناف الرذيلة .

أقول هذا بمناسبة ما سرى فى مجتمعنا المصرى من فساد وأخلاق سيئة ، عمت الصغير والكبير ، وأصبح أمرها من التسليم والقبول فى المجتمع كأمر العقائد الثابتة ، ومن حاول التنفير عنها ، أو النصح بالتخلص منها ، عدّ فى قومه كالنافخ فى الرماد ، أو الضارب فى الحديد البارد ، ووجد من الناس من يلومه ، ويهجن فعله ، ويرميه بالتجاوز والاغترار .

وقد أصبحت مهمة العلماء ورجال الدين والإصلاح بذلك من المشقة والعسر بمكان ، وإلا فمن ذا الذى يستطيع أن يحول الناس عما ألفوه ، ودرجوا عليه من التعامل بغير ما شرع الله ، أو عن إباحة ما استباحوا من الحرمات باسم المدنية والحرية ، أو عن أخلاق الفجور التى منى بها الشباب ، وغض عنها الآباء والأمهات ، أو عن الفساد المتصل بالحاكمين فى الرشوة والمحسوبية ، والإهمال والتضييع ؟

إن الذى يريد أن يصلح شيئا من ذلك ، أو يحاول خلع الناس منه ؛ يُنظر إليه نظرة تعجب ، ويتهم بأنه يعيش فى زمان غير زمانه ، ويفكر بعقل غير عقول أهله ، وهكذا انقلب المنكر معروفا ، والمعروف منكراً ، واتبع الناس أهواءهم فاتخذوها آلهة ، وآثروها بالتقديم والطاعة على الله ، فليس ينفعهم أن يقولوا إنهم مؤمنون بالله رباً واحداً ، كما أنهم مؤمنون به خالقاً وموجداً .

إنى لأخشى أن يكون مجتمعنا قد آثر ما يسمونه الحرية أو المدنية على أمر الله وأحكام الله ، وإلا فقل لى بربك أيها القارىء : ما الذى يدعونا إلى التمسك بهذه الألوان الباهتة من المدنية الزائفة ، وقد أفضى بنا الأمر إلى كارثة الفضيلة والخلق ، حين هَمَّ بعض الفتيان فى حفلة أقامتها الدولة ببعض الفتيات المُجتَلبَات للرقص من أوروبا ؟

أتغرينا المدنية والرقى الكاذبان بأخلاقنا وآدابنا إلى هذا الحد ، ثم نتمسك بأخطائنا فى شأنهما تمسك المرء بعقيدته ، ونؤثرهما على الدين ؟

هذا هو الشرك بالله فى أخطر صوره ، فإياه فحاربوا أيها المؤمنون .

(٣) الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٤) الكهف آية ٢٨
(٥) الفرقان ٤٣ ـ ٤٤
(٦) الروم ٢٩ .

اللغة والأدب والنقد

نظرات عصرية في القرآن الكريم

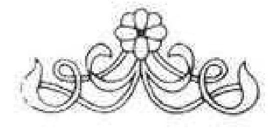

منهج ابن الأثير في تأليف كتابيه
الكامل في التاريخ وأسد الغابة
في معرفة الصحابة

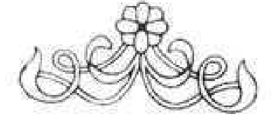

مع الأدب المقارن - جوائز الحصاد في مصر

تأليف: محمد لطفي جمعة

ونظرات في النظرات

بقلم: السيد حسن قرون

إن اليهود بالمدينة المنورة كانوا قبيلتين كبيرتين : قريظة ، وبنى النضير ، فقريظة حالفت الأوس ، والنضير حالفت الخزرج ، وجميعهم حالفوا النبى عليه الصلاة والسلام ، فكتب دستور المدينة المعروف باسم الصحيفة ، وتاريخه السنة الثانية للهجرة .

ثم أفاض فى الحديث عن هذا الدستور وأثره الكريم وما ترتب عليه من انتصار النبى على قريش وضمان وحدة المدينة بجميع عناصرها : المهاجرين والأنصار وأهل الكتاب من اليهود والمشركين من العرب الذين ليسوا لهؤلاء ولا إلى هؤلاء .

وهنا بين مكانة سورة البقرة لما ورد فيها من قواعد التشريع والسنن والآداب الإسلامية .. وكان حفاظها فى الطليعة الأولى من المسلمين كأنهم حزب سياسى ينادون فى المواقع الكبرى «ياأصحاب البقرة» ثم يشير إلى نقض الصحيفة من اليهود كأن لم يكفهم نقض مواثيق الله السالفة .

ويسير فى هذا النهج مبينا طبائعهم وسلوكهم وأنهم يحرصون على شىء واحد هو الإبقاء على حياة رجالهم ، وفى الحديث قال رسول الله ﷺ «أخذ الله على اليهود أربعة عهود ، ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء أسراهم فأعرضوا عن كل ما أقروا به إلا الفداء ، لأن حياة الرجال عندهم غالية يبذلون أى ثمن لإنقاذهم» وضرب الأمثلة بالدول التى تسير على نهجهم ، ونحن اليوم نرى ما يفعلون إزاء أسراهم ، وفى ٦ أكتوبر وحرب العبور سنة ١٩٧٣ شاهدنا حرصهم على إطلاق سراح أسراهم بكل حيلة . واقرأ من الكتاب ص ٧٤ وما تلاها .

وفى حديثه عن خلق آدم ص ١٢٢ من الكتاب قال : وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ فى الآية الأولى (من سورة النساء)

جعل بعض المفسرين يظنون أن الخلق للرجل والمرأة من روح واحد أو شخص واحد ارتكانا على بعض الأقوال الرمزية ، ونحن نميل إلى القول بأن «نفس» هنا يقصد بها من جنس واحد وهو الجنس الإنساني ، وبعد أن ذكر معنى نفس عند العرب من أنها يقصد بها حينا الروح فيقال «خرجت نفسه» أى روحه إلى بارئها ، ولا تخفى العلاقة بين النَّفْس والنَّفَس ، والنفس الدم يقال : سالت نفسه، وفى الحديث «ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه» والنفس الجسد ، ويقولون ثلاثة انفس ، فيذكرونه لأنهم يريدون به الانسان «مختار الصّحاح» والدليل على ما قدمنا أن المقصود بالنفس هو الجنس والنوع ما ورد فى الآية ٧٢ من سورة النحل ونصها : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ .

وأنا اعتقد أن ميله هذا لا يمنع الفهم الذى اتفق عليه علماؤنا وهو أن المراد بالنفس «آدم» والدليل من نفس الآية ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعنى حواء ، وللزمخشرى فى كشافه تساؤل هو : «فإن قلت : علام عطف قوله ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ؟ قلت : فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها ، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه ،والمعنى شعّبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى أنه أنشأها من تراب ، وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها .. والثانى أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب فى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ للذين بعث إليهم رسول الله ﷺ ، والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم من نفس الجنس المفرع عنه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ .

والنفس تذكر وتؤنث ، والزوج بدون التاء أفصح .

وآية النحل ٧٢ : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ لا تمنع المراد من خلق آدم ثم خلق حواء منه لأن جعل بمعنى خلق، ولاشك أن آدم وحواء من جنس واحد وهو الإنسان ، وابن كثير يقرر هذا ولا ينسى أن أصل الإنسان نفس واحدة هى آدم ، قال ابن كثير يذكر تعالى نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة ، ولكن من رحمته خلق من بنى آدم ذكورا وإناثا وجعل الإناث ازواجا للذكور .. وكما خلق الله عيسى ـ عليه السلام ـ بلا أب خلق حواء بلا أم ، وباب المعجزات مرجعه إلى الإيمان وصدق اليقين .

و« موريس بوكا» مؤلف كتاب «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم الحديث» يقرر فى ص ١٠٥ عند الحديث عن نسب المسيح : «أن نمو المسيح فى رحم أمه قد حدث خارج قوانين الطبيعة المشتركة بين كل الكائنات البشرية ؛ فالبويضة التى أنتجها مبيض أمه لم تحتج للالتقاء بحيوان منوى يأتى من أبيه ليشكل جنينا ثم طفلا قابلا للحياة ؛ إن الظاهرة التى تؤدى إلى ميلاد الكائن الحي دون تدخل من العنصر المخصب الذكر تسمى بالتلقيح الذاتى ، ويمكن ملاحظة التلقيح الذاتى فى عالم الحيوان تحت ظروف معينة وبعد أن وضح ومثّل قال : أما المسيح فهو حالة خاصة ؛ فقد كانت مريم أمًّا عذراء وما يقال عن المسيح وحاله يقال عن آدم وحواء ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ

﴿ نظـرات فـى النظـرات

مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (الآية ٥٩ من سورة آل عمران) .

ومن القضايا الكثيرة التى ذخر بها الكتاب موقف المسلم من المسلم ، يقول : وفى الآية ١٠٥ من سورة المائدة يقول تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ يعنى أمر المؤمنين بأن يصلحوا أنفسهم ، ومن أصلح نفسه فلا يضيره فساد غيره ، وهذه الآية تنطوى على حكمة وآداب اجتماعية بعدم التدخل فى شئون الغير إلا بالنصيحة والموعظة الحسنة والانصراف إلى إصلاح النفس وفعل الخير والعمل بما أمر به الله ، وينفى أن يكون فى الآية معنى من معانى الأنانية وإيثار السلامة والاهتمام بالنفس وعدم المبالاة بالآخرين ، كما أنه ليس فيها مستدل على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكنا ، ومن هنا قال سعيد بن المسيب (تابعى) إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل إذا اهتديت ، ثم يأتى برأى الصديق حين قام وقرأ الآية ، وأنكر أن توضع الآية فى غير موضعها قال : «وإنى سمعت رسول الله ﷺ قال : إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه» .

ويبدو لى أن هذه الآية الكريمة شغلت الصحابة والتابعين ، فهناك أكثر من سؤال عنها من نبى الإسلام صلوات الله عليه ، وقد أجاب كل سائل عنها ، وبقيت الحيرة عند بعضهم ، وقد ذكر المرحوم محمد لطفى جمعة أن من الصحابة رضوان الله عليهم مثل ابن مسعود وابن عمر وغيرهما من يرى أن تأويل هذه الآية لم يأت بعد ، أى لم يأت أوانه ، وفى تفسير الطبرى أن ابن مسعود قال : «لم يجئ تأويل هذه الآية بعد» إن القرآن أنزل حيث أُنزل ومنه أى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزل ، ومنه أى قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله - ﷺ - ومنه أى قد وقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من الساعة ومنه أى يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من الحساب والجنة والنار ؛ فمادامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا ؛ فإذا اختلفت القلوب والأهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه ، عند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية .

وتأويل الآية واضح فعلى الإنسان أن يراقب نفسه فى الطاعة والمعصية، وقيامه بالموعظة الحسنة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، وهنا لايضره من خالفه ، وقد وفق إلى ذلك المؤلف كما قدمنا قوله .

وفى نظراته فى الآية ٩٠ من سورة المائدة التى جاء فيها تحريم شرب الخمر ولعب القمار وذبح القرابين على الأنصاب والاستقسام بالأزلام عقد فصلا عنوانه «حكم المواد المخدرة» ص ١٥١ من الكتاب قال : إن اجماع الفقهاء على أن المخدرات كالحشيش والأفيون والكوكايين والهيروين وغيرها من المواد المخدرة بطبيعتها أو المخلقة تأخذ حكم الخمر فى التحريم ، لأنها جميعها تخامر العقل .

ورد على الواهمين أن تلك المواد لم يرد ذكرها فى الكتاب أو السنة ، لأن التحريم راجع إلى العلة التى من أجلها حرمت الخمر ؛ فكل ما خامر العقل وحجبه حرام . قال : وقد كشف الطب الحديث بما لا يدع مجالا لشك أو جدال عن أضرار أخرى جسمية يحدثها شرب الخمر فى

المعدة والكبد ، فضلاً عن الأضرار المادية التى تذهب الأموال فيما يضر ولا ينفع ، هذا علاوة على امتهان من يشرب الخمر بذهاب الحشمة والكرامة والوقار واحترام الناس . وقد أطال فى الكلام عن تحريم الخمر والمخدرات مستشهدا بالنصوص وأقوال السلف الصالح حتى عصر ابن تيمية الذى «سوى بين الخمر والمخدرات فى الحكم» فيعتبر محمد لطفى جمعة مثل الإمام مالك فى محاربته لكل مسكر ومفتر .

وفى حديثه عن «الذرة فى القرآن» قال : وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر الذرة فى بعض الآيات لتقريب وزن أعمال البشر من خير وشر كقوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وقد كتب من يفعل وهو خطأ (آية ٧ ـ ٨ سورة الزلزلة) وقوله فى الآية ٢٢ من سورة سبأ : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

قال : لم يحاول المفسرون الصالحون تفسير معنى الذرة ، وفهم بعضهم أنها شىء ضئيل الوزن جداً وأن المقصود من ذكرها ليست الذرة فى ذاتها ولكن إظهار العدل الإلهى والجزاء على الخير والعقاب على الشر ، وهنا تعرض لذكر استخدام القرآن مخلوقاته فى ضرب المثل أو الاستعارة لتقريب المعانى غير أن «الذرة» لها شأن آخر ؛ فإن الله سبحانه وتعالى أراد أن يلفت نظر الإنسان العاقل إلى الذرة التى يعلم عز وجل أنها مادة تركيب الكون وعنصر بناء أجزائه .

ثم ذكر تناول العلماء لها قديما وحديثا . وفى ضحى القرن العشرين تراكمت الأدلة وتواترت الحقائق المؤيدة واستشعرت الحجج الناهضة على أن كل ذرة تشبه تمام الشبه نظاما شمسيا مصغرا جداً ، وأفاض فى شرح تلك الظاهرة التى علمنا آثارها فى مسرح الحرب والمخترعات على مدى ثلاث صفحات ختمها بقوله :

«ومما تقدم يتضح لنا إعجاز القرآن بذكر «الذرة» وما هو أصغر منها فى الآية ٣ من تلك السورة الكريمة «سبأ» ولذلك قال سبحانه فى الآية ٦ منها : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .

وجاء الهامش بقلم الابن :

«كتب المؤلف هذا الكلام سنة ١٩٤٢ قبل اختراع القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية واستخدامات الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية» .

وكل ما كتبه عن التشريع والأحكام وقصص الأنبياء يرضى طالب الحقيقة والباحث عن وسائل الإيمان إلا أنى توقفت عند حديثه عن النمل وجند سليمان عليه السلام ، فهو يفسر قوله تعالى من سورة النمل الآية (١٧) : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ ﴾ بما لا نقوله فيقول ، ويظهر أن هذه رموز وأن الجن رجال مهرة صناع وأن الطير طرق مواصلات استثنائية وجواسيس ينشرهم فى البلاد ، وربما كان الهدهد أحدهم أو أحد الأمراء وفى الآية ١٨ يقول تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

ويقول لطفى جمعة : وأن وادى النمل هذا هو مكان أهل بالسكان مر به جيش سليمان وأنه سمع امرأة منهم تتكلم ؛ إذ ثبت بالعلم[1] أنه ليس للحيوان لغة فضلا عن أن يكون للحشرات لغة.. ونسى أننا فى إطار المعجزات هنا ، وأن سليمان ◄

(١) إن العلم إذا تأخر فى إثبات شىء لا يعنى ذلك عدم وجوده .. المحرر

نظـــرات فـــى النظـــرات

اعطى ملكا اختص به منه معرفته منطق الطير واستخدامه الريح والجن ، وأن ما حدث فى سورة النمل هو تطبيق لمعجزاته ، فالجن يعملون له والهدهد من قلم مخابراته ، وأنه سمع قول النملة فتبسم ضاحكا من قولها ، وأن إسلام بلقيس ورحيلها إلى سليمان لا يغض من نبوته ،

ومن الغريب أن لطفى جمعة تعب من اقوال المفسرين فى شأن بلقيس وسليمان حتى انه استنجد بابنه رابح قائلاً : «يابنى رابح إلى اين تقودنا أقوال المفسرين» ؟

والأستاذ محمد لطفى جمعة ككل الرواد من كتاب السيرة النبوية يقعون فى أخطاء أو هفوات تتصل بنسب قريش أو أنساب العرب على العموم .

فمثلاً عند حديثه عن مسجد الضرار ص ٢٠٢ يقول : ثم تنتقل السورة «التوبة» من الآية ١٠٧ ـ ١١٠ إلى ذكر مسجد الضرار الذى اقامه ابو عامر الراهب من «قبيلة الخزرج» والحقيقة ان أبا عامر الراهب من قبيلة «الأوس» ، ففى غزوة أحد جاء من مكة مع قريش معه غلمان من الأوس ،(وكان يعد قريشا انه لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان اول من لقيهم ابو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا ابو عامر . قالوا : فلا انعم الله بك عينا يافاسق ـ وكان ابو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ (الفاسق) فلما سمع ردهم عليه قال : أصاب قومى ليرى شر) وقومه الأوس لا الخزرج جـ ٣ سيرة ابن هشام ص ١٩ .

ومثلا فى حديثه عن سورة المسد كان كلامه : «وأبو لهب واسمه عبد العزى وهو عم النبى لأنه ابن عم لعبد المطلب فقيل تقريباً واختصارا إنه عم النبى عليه الصلاة والسلام . وهذه عادة لا تزال عند العرب ان عم الجد أو عم الأب يعد عما للحفيد أو الابن ، فمن ابوه إذن ؟

وانسب الحقيقى لأبى لهب أنه عم لرسول الله اى انه اخو عبد الله ، وإن كان من أم غير أم عبد الله . راجع أعمام الرسول وعماته فى السيرة النبوية لابن هشام ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ، واسد الغابة فى معرفة الصحابة وغير تلك الكتب فستجد ان ابا لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هشام وأمه لبنى امراة من خزاعة .

وهذه الكلمات لا تخدش من جمال الكتاب وجلاله ففيه كل ما يريده المسلم ليكون على درجة من فهم أساليب القرآن وما حوى من تشريع وأحكام وآداب ووصايا .

ورحم الله محمد لطفى جمعة وأبقى لنا نجله المستشار الأستاذ رابح ليحمل الشعلة ويتولى التنوير .. والله الموفق .

منهج ابن الأثير في تأليف كتابيه

الكامل في التاريخ وأسد الغابة في معرفة الصحابة

للدكتور : شكرى يوسف حسين أحمد

أولا : كتاب الكامل فى التاريخ

مؤلف هذا الكتاب القيم هو : عز الدين ابو الحسن على بن محمد بن محمد الشيبانى الجزرى المعروف بابن الاثير ، وهو أحد اعلام القرنين السادس والسابع الهجريين ، فقد ولد فى (الجزيرة)[1] سنة خمس وخمسين وخمسمائة من هجرة النبى - عليه الصلاة والسلام - ونشا بها ، وتوفى فى (الموصل)[2] فى شهر شوال سنة ثلاثين وستمائة .

وقد تربع هو واخواه على اريكة العلم والمعرفة فى زمنه ، فكان اخوه الأكبر مجد الدين إماماً فى الحديث ، وكان اخوه الأصغر ضياء الدين إماما فى اللغة والادب ، اما هو فقد انتهت إليه الرياسة فى التاريخ[3] .

(١) هى جزيرة ابن عمر ، ويقال لها الآن الجزيرة فقط ، وهى بلدة على الضفة اليمنى لنهر دجلة وتقع فوق الموصل ، والذى انشأ هذه المدينة وخلع عليها اسمه : الحسن بن عمر بن خطاب التغلبى ت سنة ٢٥٠ هـ ، وهذه الجزيرة يحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ، ثم عمل بها خندق أجرى فيه الماء ونصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من جميع جوانبها ، وهى مدينة حسنة البناء عامرة بالسكان تحيط بها بلاد خصبة وتحمل منها سفن دجلة صادراتها من العسل والزبد ، والبندق واللوز والفستق إلى الموصل . ياقوت : معجم البلدان .

(٢) الموصل : مدينة مشهورة بالعراق تتسم بكثرة الخلق وسعة الرقعة ، وهى محط رجال الركبان ، ومنها يتجه إلى جميع البلدان ، لأن القاصد إلى الشرق أو الغرب قل عدم مروره بها ، وسميت بالموصل لانها وصلت بين دجلة والفرات ، او لانها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل : لأن الملك الذى احدثها كان يسمى الموصل ، وكان اسمها فى ايام الفرس نواردشير ، واول من الحقها بالأمصار العظام وجعل لها ديوانا برأسه ونصب عليها جسرا ، ونصب طرقاتها وبنى لها سورا هو : مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ، وابنية هذه المدينة جيدة حسنة ، بهية المنظر ، لايكاد يستعمل الخشب فى سقوفها ، وليس للموصل عيب إلا قلة بساتينها وعدم جريان الماء فى رساتيقها وشدة حرها فى الصيف ، وعظم بردها فى الشتاء . ياقوت : معجم البلدان .

(٣) السبكى - طبقات الشافعية ٢/١٢٧ ط دار المعرفة بيروت - ابن خلكان - وفيات الأعيان ٣/٣٣ - ابن الأثير - أسد الغابة فى معرفة الصحابة ١/٧ ط الشعب ١٣٨٠ .

منهج ابن الأثير فى تأليف كتابيه

أما عن المنهج الذى سلكه فى تأليف هذا الكتاب : فمن يطالع المقدمة التى صدر بها كتابه الذى نحن بصدد الحديث عنه تتبين له الدوافع التى من أجلها نشط لتأليفه .

فهو قد قرأ التواريخ السابقة فوجدها ما بين مطول قد غرق فى بحر من الطرق والأسانيد .

ومختصر قد أغفل الكثير من الوقائع والأحداث .

كذلك لاحظ أن ماكتب منها فى الشرق قد أغفل ما جرى فى الغرب ، وما كتب فى الغرب قد أغفل ماجرى فى الشرق ، فنراه يقول :

« فإنى لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، مؤثراً للاطلاع على الجلى من حوادثها وخافيها ، مائلا إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة فى مطاويها ، فلما تأملتها رأيتها متباينة فى تحصيل الغرض ، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض ، فمن مُطوّل قد استقصى الطرق والروايات ، ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت ، ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات، والمشهور من الكائنات ، والشرقى منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربى قد أهمل أحوال الشرق ، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخا متصلا إلى وقته ، يحتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع مافيها من الإخلال والإملال، فلما رأيت الأمر كذلك شرعت فى تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب ، وما بينهما وأتى فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا » [٤] .

والجدير بالذكر ما لاحظه كذلك من أن التواريخ التى سبقته قد التزمت نسق السنين ، فكانت تؤرخ للحادثة الواحدة فى أعوام كثيرة ، فتذكر جزءا منها فى سنة وتذكر جزءا آخر فى سنة أخرى وربما فصلت السنوات المتعددة بين أجزاء الحادثة الواحدة ، فتأتى مبعثرة ومفرقة تشتت ذهن القارىء وتجهده فى الملاحقة والمتابعة والدليل على ذلك ما جاء به فى كتابه الكامل فيقول :

« ورأيتهم يذكرون الحادثة الواحدة فى سنين ، ويذكرون منها فى كل شهر أشياء ، فتأتى الحادثة مقطعة لايحصل منها على غرض ، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر ، فجمعت أنا الحادثة الواحدة فى موضع واحد ، وذكرت كل شىء منها فى أى شهر أو سنة كانت ، فأتت متناسقة متتابعة ، قد أخذ بعضها برقاب بعض »[٥] .

وواضح مما تقدم الأسباب التى نشطت همته ، وألهبت حماسته ، وجعلته يقوم بتأليف كتابه فى التاريخ ، والذى بدأه بذكر الوقت الذى ابتدىء فيه بعمل التاريخ فى الإسلام ، وأتبعه بالحديث عن الزمان فى ابتداء الخلق وماكان أوله ، ثم مضى فى حديثه فتكلم حول القلم وما خلق بعده حتى انتهى إلى آدم ، وراح بعد ذلك يستعرض الأحداث التاريخية حتى عصره الذى عاش فيه »[٦] .

ويلاحظ على هذا الكتاب أن صاحبه قد تخير مصادره ومراجعه ، فنراه قد اعتمد فى السبعة أجزاء الأولى منه . ومنذ بدايته حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، على تاريخ الطبرى ،فكان يعتمد

---

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١ ص ٢ ط بيروت سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

(٥) ابن الأثير : الكامل ١ / ٤ .

(٦) نفس المرجع من ص ١٠ إلى ص ٥٣ .

على أوضح رواياته ويكتبها بعد أن يضيف إليها ماليس فيها من الروايات الأخرى التى تضمها دفتا هذا الكتاب ، ليس هذا فحسب فقد كان يستعرض التواريخ الأخرى المشهورة ويضيف منها ماليس عند الطبرى كاعتماده على ماجاء به المسعودى [٧] والبلاذرى [٨] وابن الكلبى [٩] وغيرهم فى أخبارهم عن أيام العرب قبل الإسلام ، والوقائع بين قيس وتغلب فى القرن الأول الهجرى ، وغزو العرب للسند وغيرها [١٠] .

وكان لا يخالف هذه الطريقة إلا بالنسبة لما ينقله عما جرى بين أصحاب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد كان فى هذه لايتجاوز

---

(٧) المسعودى : هو ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى من ولد عبدالله بن مسعود صاحب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد اختلف فى نشأته الأولى ، فبينما يرى صاحب الفهرست أنه من أهل المغرب نجد أن صاحب معجم الأدباء يذكر أنه من أهل العراق ، ويدلل على قوله هذا بما ذكره المسعودى نفسه فى مروج الذهب فيقول : وقول محمد ابن اسحاق النديم : أنه من أهل المغرب : غلط لأن المسعودى قد ذكر فى الجزء الثانى من كتابه المعروف بمروج الذهب ـ وقد عدد فضائل الأقاليم ، ووصف هواها واعتدالها ـ ثم قال : واوسط الأقاليم إقليم بابل الذى مولدنا به وإن كانت ريب الأيام أنأت بيننا وبينه وباعدت مسافتنا عنه ، وولدت فى قلوبنا الحنين إليه ، إذ كان وطننا ومسقطنا ، وبعد انتهائه من قوله حول هذا الأمر يذكر : وهذا يدلك على أن الرجل بغدادى الأصل ، وقد انتقل إلى مصر فأقام بها ، وعلى أية حال قد ألف المسعودى كتبا عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر : كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر فى تحف الأشراف والملوك ، وكتاب ذخائر العلوم وما كان فى سالف الدهور ، وكتاب أخبار الأمم من العرب والعجم ، وكتاب أخبار الخوارج ، وكتاب أخبار الزمان ومن اباده الحدثان ، وتوفى رحمه الله سنة ٣٤٥ هـ ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٣ ص٩١ ط دار المأمون بالقاهرة ـ الطبعة الأخيرة ـ ابن النديم : الفهرست ص ٢١٩ ط الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ، المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص ٦٥ ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م .

(٨) البلاذرى : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى ، اختلف فى كنيته فقيل : أبو جعفر ، وقيل أبوبكر وأبو الحسن ، كان شاعرا وكاتبا ومترجما ينقل من الفارسية إلى العربية ليس هذا فحسب ، فقد كان راوية ونسابة ، نشأ فى بغداد وولد فى أواخر القرن الثانى للهجرة ، وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز والذى عهد إليه بتثقيف ابنه عبدالله الشاعر المشهور ، وكان جده جابر يكتب للخصيب صاحب خراج مصر ، وللبلاذرى مؤلفات أهمها : فتوح البلدان وهو أشهر كتبه ويظهر انه مختصر من كتاب أطول منه كان قد أخذ فى تأليفه ولم يتمه ، وسماه كتاب البلدان الكبير ثم اكتفى بهذا المختصر ، وله كتاب فى أنساب الأشراف وهو ليس مؤلفا تاريخيا متصل الحلقات ، ولكنه مجموع روايات فى إطار الأنساب ، وتوسعت حتى احتوت الأخبار والشعر والتراجم ، وقد تتلمذ هذا العالم على محمد بن سعد والمدائنى ، وسار على نهج أستاذه المدائنى ومؤلفاته خير دليل على ذلك إذ تشف عن اثر استاذه فى نفسه ، وعن مزاج النقد فى عصره ، وتوفى رحمه الله سنة ٢٧٩ هـ ابن النديم : الفهرست ص ١٦٤ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ ص ٩٢ ، د/محمد فضل : التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام ص ٩٣ ط الأمانة شبرا سنة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م ، الطبعة الأولى .

(٩) ابن الكلبى: أولا : محمد بن السائب الكلبى : هو أبوالنصر محمد بن السائب الكلبى بن بشر بن عمرو بن الحارث ابن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر ، من علماء الكوفة ، له باع كبير فى التفسير والأخبار وأيام الناس وعلم الأنساب ، كان له ابن يعرف بالعباس يروى عنه ، وقال هشام ابنه : قال لى أبى : أخذت نسب قريش عن أبى صالح وأخذه أبو صالح عن عقيل بن أبى طالب ، وأخذت نسب كنده عن أبى الكناس الكندى ، وأخذت نسب معد بن عدنان عن النجار بن أوس العدوانى وتوفى رحمه الله سنة ١٤٦ هـ بالكوفة . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٣٦ ، ابن النديم : الفهرست ص ١٤٠ ثانيا : هشام بن محمد بن السائب الكلبى :

هو : أبوالمنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر ـ عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها ، أخذ عن أبيه وعن غيره من الرواة مثل عوانة بن الحكم ، وأبومخنف ، وقد ألف كتبا عديدة منها على سبيل المثال : كتاب حلف عبدالمطلب وخزاعة ، وكتاب حلف الفضول ، وكتاب المنافرات ، وكتاب أولاد الخلفاء ، وكتاب المثالب ، وكتاب جمهرة الجمهرة ، واختلف فى سنة وفاته والأرجح أنها كانت سنة ٢٠٦ هـ . ابن النديم : الفهرست ص ١٤١ وما بعدها ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ص ١٣١ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ١٤/١ .

منهج ابن الأثير في تأليف كتابه

الطبرى إلى غيره ، وحجتنا فى هذا ما جاء به فى صدر كتابه فيقول -

« فابتدأت بالتاريخ الكبير الذى صنفه الإمام ابو جعفر الطبرى ، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه ، والمرجوع عند الاختلاف إليه ، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه ، لم اخل بترجمة واحدة منها ، وقد ذكر هو فى اكثر الحوادث روايات ذوات عدد ، كل رواية منها مثل التى قبلها او اقل منها ، وربما زاد الشيء اليسير او نقصه ، فقصدت أتم الروايات ، فنقلتها واضفت إليها من غيرها ماليس فيها ، واودعت كل شيء مكانه ، فجاء جميع ما فى تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا ، فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها واضفت منها إلى مانقلته من تاريخ الطبرى ماليس فيه ، ووضعت كل شيء منها موضعه ، إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنى لم اضف إلى مانقله ابو جعفر شيئا ، إلا مافيه زيادة بيان أو اسم إنسان ، أو ما لايطعن على أحد منهم فى نقله ، وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا ، والجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا »[١١] .

وبالإضافة إلى ماسبق ، فقد كان هذا العالم يترجم لكل حادثة كبيرة فى موضع واحد ولا يفرقها حسب السنين كما كان يفعل غيره ، ونسج على هذا المنوال لمن قصرت عهودهم من الملوك ، فكان يترجم لكل واحد منهم فى بداية التاريخ لعهده ، أما الحوادث الصغيرة فكان يجمعها فى نسق واحد ويترجم لها ترجمة واحدة فى آخر كل سنة ليس هذا فحسب ، بل كان يضبط الأسماءالمتفقة فى الرسم ، المختلفة فى النطق ضبطا يزيل عنها الإبهام والغموض ، ويترجم فى آخر كل سنة لمن توفى فيها من العلماء والوجهاء ، وقد كانت وجهة نظره تجاه هذه الأمور تتمثل فيما ذكره فى كتابه هذا ، فيقول : « وذكرت فى كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها ، فأما الحوادث الصغار التى لايحتمل منها كل شيء ترجمة ، فإنى أفردت لجميعها ترجمة واحدة فى آخر كل سنة ، وإذا ذكرت بعض من نبغ وملك قطرا من البلاد ولم تطل أيامه ، فإنى أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره ، لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به ، وذكرت فى آخر كل سنة من توفى فيها من مشهورى العلماء والأعيان والفضلاء ، وضبطت الأسماء المشتبهة المؤتلفة فى الخط ، المختلفة فى اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الإشكال ، ويغنى عن الأنقاط والأشكال »[١٢] .

وعلى أية حال فقد شاء المولى - سبحانه وتعالى - أن يعيش عز الدين هذا فى عصر تهافتت على المسلمين فيه الحملات المغولية من الشرق ، والحملات الصليبية من الغرب ، وكأن المسلمين قد وقعوا بين شقى الرحى ، فتأثرت عواطفه ومشاعره بهذه وتلك ، وظهرت ثمار هذا التأثر فيما جاد به قلمه السيال وهو يؤرخ لهذه الأخطار فنراه يقول فى أحداث سنة سبع عشرة وستمائة من الهجرة :

---

(١١) المرجع السابق حـ ١ ص ٤ .

(١٢) ابن الأثير : الكامل حـ ١ ص ٤ .

« ولقد بلى الإسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ، منها : هؤلاء التتر - قبحهم الله - اقبلوا من المشرق ففعلوا الأفعال التى يستعظمها كل من سمع بها ، وستراها مشروحة متصلة إن شاء الله تعالى ، ومنها : خروج الفرنج - لعنهم الله - من الغرب إلى الشام وقصدهم ديار مصر ، وملكهم ثغر دمياط منها ، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها ، لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم ، وقد ذكرناه سنة أربع عشرة وستمائة ، ومنها : أن الذى سلم من هاتين الطائفتين ، فالسيف بينهم مسلول ، والفتنة قائمة على ساق ، وقد ذكرناه أيضا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصرا من عنده ، فإن الناصر والمعين والذاب عن الإسلام معدوم : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾(١٣) الرعد ١١ .

ويقول : « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها ، فأنا اقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمى لم تلدنى ، وياليتنى مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا إلا أنى حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لايجدى نفعا ، فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقت الأيام والليالى عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها ، لكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا مايدانيها »(١٤) .

من أجل هذا كله كان كتاب الكامل فى التاريخ مصدرا لاسبيل إلى إغفاله ، ولا إلى غض الطرف عنه بالنسبة لكل باحث يؤرخ لهذه الحملات ، وسيظل أحد المصادر الرئيسية ، والأركان الأساسية فى التاريخ الإسلامى عامة ، وفى تاريخ الحملات المغولية والصليبية على وجه الخصوص .

يتبع

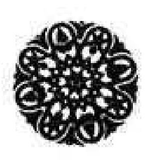

(١٣) ابن الأثير : الكامل : حـ ١٢ ص ٣٦٠ وما بعدها .

(١٤) ابن الأثير : الكامل : نفس الجزء ص ٣٥٨ .

مع الأدب المقارن

بواكير الحصاد في مصر

للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

أعطى الشرق للغرب الكثير فدان له: جوته بعبقريته في « الديوان الشرقى » الذى اغترف فيه من التراث الإسلامى حتى كَظَّ، ولم يكن هذا التراث نفسه بعيداً عن « تولستوى » أو « شو » والأمر - في تقديرى - لا يعدو ما عناه « ابن مسكويه » بقوله :

لئن تمنيتَ عيش الدهر اجمعه　　　وان تُغاين ماوَلّى من الحقَبِ
فانظر إلى سِيَرِ القوم الذين مَضَوْا　　　والْحَظْ كتابَاتهم من باطن الكُتُبِ

إلا أن إدمان النظر في الكتب ليس بمأمون العواقب ؛ فقد ينجم عنه التأثر العميق بفحواها ، وتسرب بعض محتوياتها إلى أعماق قاصية المراح من اللاشعور ، بعد التمثل والاستيعاب .. وبمضى الوقت ، يحدث أن القارىء الأديب - الذى يبدع بدوره آثارا أدبية خاصة به - يحدث أن « يُفْرِزَ » ، بوعى أو بغير وعى خلال العملية الإبداعية ، نتاجه مشبعا أو مُلقحا بإثارات أو نتف من نتاج الآخرين الذين اتيح له التوفر على دراسة آثارهم ، وتذوقها ، ثم نسيانها بعد ذلك .. وهنا يأتى دور الباحث في أسس وقواعد الأدب المقارن ، ليرى مدى التأثر أو الأصالة في هذا العمل الأدبى ، وهل يضاف إلى قائمة التجديد والابتكار ، أم إلى قائمة : الاقتباس والتقليد . ومن هذا المنعطف ، وبسببه ، نشبت المعركة بين عبد الرحمن شكرى،وصديق مرحلة (الثورة على القديم) : إبراهيم عبد القادر المازنى . فقد كان المازنى - كزميليه شكرى والعقاد - من أكثر الأدباء اطلاعا على الآداب الغربية ، عن طريق اللغة الإنجليزية ، التى كان يتقنها إتقانا تاما .. لدرجة انه : « يستطيع ان يفتح المرجع التاريخى في اللغة

الإنجليزية ، وأن يلخصه وهو يقرؤه ، وأن يترجمه وهو يلخصه ، وأن يكتبه على ورق الناسخة (أى الآلة الكاتبة) فى وقت واحد - وهى أربعة جهود يجمعها ذكاء المعلم النابغة فى لحظة واحدة : جهد القراءة ، وجهد التلخيص ، وجهد الترجمة ، وجهد التحضير .. كما يقول العقاد ، صديق عمر المازنى ، إلى أن يستطرد العقاد قائلا : « إلا أن السرعة فى الفهم والترجمة الصحيحة ، أهون ما فى هذه الملكة النادرة ، وأقول: "النادرة" - وينبغى أن أقول: "الوحيدة فى تاريخ الآداب العالمية" ، فإننى لا أعرف فى آداب المشرق أو المغرب ، نظيرا للمازنى ، فى هذه الملكة التى أسميها بعبقرية الترجمة » . ولاشك أن العقاد - وهو من هو - قد أصاب كبد الحقيقة فى وصفه لموهبة المازنى فى دقة وروعة الترجمة ، ولعل خير شاهد على ذلك ، ترجمته الأمينة البليغة ، للرباعية التى يقول فيها (الخيام) ، بترجمة فتزجرالد الإنجليزية ، عن الفارسية :

With them the seed of Wisdom did I sow and with my own hand land Laboufd it to grow,
and this was all the harvest that I reapd I came like Water, and like wind I go(1)

ويترجمها المازنى :

كم بذرنا حكمة العقل سواء وتعهدتُ بكفى النماء
تأمل : ها حصادى كله جئت كالماء ، وأمضى كالهواء

ونحسب أن المازنى من تأثره بالبيت الأخير ، استمد عنوان كتابيه . (قبض الريح) و(حصاد الهشيم) منه ، وعنوان كتابه الآخر الذى يدانيهما فى مغزى التسمية : (خيوط العنكبوت)(٢) .

وقد نجم عن إتقان المازنى للإنجليزية أن استوعب الكثير من عيون قصائدها ، والقصائد العالمية الأخرى المترجمة إلى الإنجليزية ، ومن ثم امتلأت مخيلته بالعديد من الصور والمعانى الشعرية المتباينة ولأنه كان إيجابيا ، أعنى سريع الاستجابة ، يقرأ ليكتب ، بحركة دائبة متوالية ؛ لأن الكتابة أصبحت حرفته وهوايته فى وقت معا ، بعد أن استقال من العمل بالتدريس ، وانقطع للكتابة والنظم ، لتحصيل معاشه .. فقد اختلط الحابل بالنابل ، وجاء كثير من قصائده حافلا وزاخرا بأخيلة أخرى ، جنبا إلى جنب مع أخيلته ، بتشابك وتلاحم عجيبين .. وفى هذا الصدد ، تقرر الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، فى رسالة الماجستير التى أعدتها عن (أدب المازنى) أنه : « مما يسترعى النظر أن المازنى حين استوحى بعض معانى شعراء الغرب ، الذين راقوه ، ونقل بعضها الآخر إلى العربية ، لم يشر إلى هذا فى حينه ، كدأبه فى تسجيل كل شىء يتعلق به ، وكما تقضى بذلك الأمانة العلمية ، والمازنى يعرف هذا جيداً ، ومن ثم فإغفاله ذكر المصدر الذى اقتبس منه ، لم يكن سهوا عارضا ، بل عمداً مقصودا ، ولعله خيل إليه أن العصر الذى أصدر فيه ديوانه ، يبعد عليه أن يفطن إلى السر ، لانشغاله عن أدب الغرب ، بتقليده للأدب

(١)ترجمها - فى خماسية - السيد / محمد السباعى ، قال : كم بذرنا حكمة الفكر البصير ● وسقيناها حيا العقل الغزير .
ما جنينا غير بهتان وزور ● ما علمنا غير أنا فى الملا .
شعل البرق خبت بعد التماع .

(٢) هذه وأمثالها كانت فى المجتمع المسلم رياح السخط على الأقدار التى عصفت حتى جاءت فى بعض الأغانى ، التى ترددها بعض الإذاعات العربية ، والأعجب أن المتحدثين بهذا الحديث يُطْرون العقل ثم يهوون إلى هذا الحضيض ، وحكمة الأقدار أن تَهْوى بالسفهاء - وربنا الحافظ - سبحانه وتعالى .

مع الأدب المقارن، بواكير الحصاد في مصر

العربى القديم .. وهو لا يزعم لنفسه ، أنه يكتب للأجيال المقبلة ، إذ هى : « أحق بأن يكتب لها ، منها .. »[٣]

وتستطرد الدكتورة نعمات فؤاد ، قائلة بعد ذلك : « ولكن المازنى لم يطل به الإغضاء ، فقد استدرك ، فى أخريات سنيه ، ما فاته ، فكتب عن إنتاجه الأول ـ شعره ونثره ـ يقول : « كان رأيى فى ذلك العهد دراسات فى الأغلب ، قوامها القراءة وحدها تقريبا ، وشعراً لا يصور النفس على حقيقتها ، ولا يعبر عنها تعبيرا صحيحا ؛ لأن الاقتباس فيه بالقديم ، من شرقى وغربى ، أكثر من الاستمداد من التجريب »[٤] .

وقد فطن المرحوم عبد الرحمن شكرى ـ بحكم سعة اطلاعه ـ إلى صنيع المازنى ، وتجرد من صلة الصداقة الوطيدة التى تربطهما سويا ، إيثارا للحق والأمانة العلمية ، فكتب يقول ، فى مقدمة ديوانه الخامس[٥] :

« لقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى ، التى عنوانها : (الشاعر المحتضر) البائية . التى نشرت فى عكاظ ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة « أدونيس » للشاعر « شلى » الإنجليزى ، كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها : « قبر الشعر » وهى منقولة عن « هينى » الشاعر الألمانى . ولفتنى أيضا آخر ، إلى قصيدة (فتى فى سباق الموت) وهى للشاعر « هود » الإنجليزى (وعَدَّدَ قصائد أُخَر) ..

ثم يستطرد شكرى قائلا : « وقد ذاعت هذه الأشياء ، ولو كنت أعلم أن المازنى تعمد أخذها ، لقلت : إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكن لا أصدق تعمد أخذها » . « ولا أظن أحداً يجهل مدحى المازنى وإيثارى إياه ، وإهدائى الجزء الثالث من ديوانى ، وصداقتى له ، ولكن .. هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته فى عمله ؛ لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد ، بما صنع فى ماضيه ، حتى يداوى ما فعل ، ويرد كل شىء إلى أصله ، وليس الاطلاع مقصورا على رجل دون رجل ، حتى يأمن المرء ظهور هذه الأشياء ، ولسنا فى قرية من قرى النمل ، حتى نختفى » .

ويقول فى مقال له بمجلة المقتطف : « اعتاد الناس أن يُقْرَنَ اسمى إلى اسم المازنى والعقاد ، للمودة التى بيننا ، ولكنها مودة لا تحمل كل واحد منا عيوب أخيه ، فحسب المرء منا عيوب نفسه » . « وقد نبهت المازنى إلى هذه القصائد ، فاعترف بها ، ولكنه قال : إنه نظمها وهو يظن أنها له ، ذلك أنه حفظ المعانى ، ونسى أنها لغيره ، فبينت له : أن الأبيات والمعانى متسلسلة ، والترجمة دقيقة جداً ، فأصر على فكرته السيكلوجية وقال : إن ذلك جائز فى علم السيكلوجيا ، ولكنه .. وعد أن يتجنب أمثال هذه المآخذ فى المستقبل ، ولم يف ، إذ أنه بعد ذلك أنشدنى قصيدة « إكليل الشوك » و« الغزال الأعمى » ، وهى أيضا من هذه المآخذ .

(٣) ، (٤) انظر كتاب (أدب المازنى) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ـ ط سنة ١٩٥٤ ص ١٠٠ ـ ١٠١ .
(٥) صدر عام ١٩١٨ .

وأسرَّها المازنى فى نفسه لشكرى ، وانتهز فرصة إصداره كتاب « الديوان » عام ١٩٢١ مع صديقه العقاد ، وقام بشن هجوم بالغ القسوة على شكرى ، يكفى عنوانه : (صنم الألاعيب) ، لنتبين منه ، انه لم يكن موضوعيا فى كتابته ، ولا حاجة بنا للاستشهاد (بفقرة منه) لإقذاعة . وهكذا انطبق على شكرى القول المأثور : (قول الحق لم يدع لى صاحبا) ..

وقد استشعر المازنى نفسه ، ما كان من قسوته فى هذا الهجوم ، حين انفثأ غضبه ، بمضى الأيام والسنين ، فكتب يقول عن (شكرى) : « لا اكتم القارىء انى انتقمت لنفسى شر انتقام ، وانى أسأت إلى شكرى أعظم إساءة ، وما كنت أستطيع أن أفعل غير ذلك » وبعد أن شفيت نفسى مما وجدت .. استرحت ، ونسيت الحكاية . » ويذكر لنا الأستاذ أنور الجندى ، مؤرخ المعارك الأدبية : أن المازنى حاول بعد مُضىِّ سنوات ، فى عام ١٩٣٠ على وجه التحديد ، أن يعوِّض شكرى عما أصابه من سهام ماضية ، ويرد له اعتباره ، فقام بإلقاء محاضرة عن التجديد فى الأدب العربى » وجعل موضوعها : (عبد الرحمن شكرى) ، ونشرها فى السياسة الأسبوعية »[٦] قال فيها عن شكرى إنه ، : (طليعة المدرسة الحديثة فى الشعر ، وعاتب مستر (جب) « المستشرق الإنجليزى » ، لأنه لم يُشر إلى فضله فى تقريره عن الأدب العربى المعاصر ، وأضاف : « قلت هذا عن شكرى ، وأنا لم أضع يدى فى يده ، منذ سنة ١٩١٩ إلى اليوم ، لأنى لا أحمل له ضغنا ، أو أَنْطَوِى له على حفيظة ، فما أحمل له ، أو لغيره ، شيئا من هذا القبيل .. بل لأنه هو شاء أن ينأى ويبتعد ، ولست استطيع أن أطارد أحدا بصداقة لا يريدها ، وأنا امرؤ ينسى المعركة بعد انتهائها ، يستوى فى ذلك أن أكون غالبا أو مغلوبا .. » .

وهكذا ، ينطبق على موقفى المازنى من شكرى وشعره ، المتناقضين ، ما عناه الشاعر العربى القديم ، بقوله :

تقول : هذا (مجاج النحل) .. تمدحه

وإن تذم .. تقل : (قىء الزنابير) !

ويضيف ألأستاذ أنور الجندى ، موقفا طيبا آخر للمازنى ، حينما فاء إلى نفسه ، فيقول : « ولم يلبث المازنى أن عاود الكتابة فى شأن شكرى وخصومته معه ، ولكنه لم يتعرض لاتهامه بالسرقة ، ولم يرد عليه ، فقال: إنه صرفنى عن المقلدين فى كل أمة ، وأغرانى بأصحاب المواهب والابتكار ، فصحح لى المقاييس ، وأقام الموازين الدقيقة ، وفتح عينى على الدنيا ومن فيها ، وكنت عَمِيًّا لا أنظر ، وإذا نظرت لا أرى .. وكان لفرط أدبه (أى شكرى) ، يتوخى معى سلوك الند ، ولا يتعالى تعالى الأستاذ على التلميذ . وكنت فقيراً ، فكان يعيرنى الكتب ، أو يُهْدنيها . »[٧] .

* * *

أما رد الفعل ، بعد مرور الأعوام ، على الطرف الآخر ، أعنى لدى عبد الرحمن شكرى ، بعدما تعرض له من هجوم عنيف ، وتأثره العميق ، نفسيا وأدبيا ، بهذا النقد ، أو التجريح . فقد جاء رد الفعل بين ثنايا أبيات قصيدة له ، من روائعه ، بعد أربعة عشر عاما ، نشرها بالرسالة[٨] ، تحت عنوان :

---

(٦) عدد أبريل سنة ١٩٣٠ .

(٧) أنظر مقال الأستاذ أنور الجندى عن المازنى ، بعدد مجلة المعارف اللبنانية ، المجلد الثالث ـ العدد ١٠ الصادر فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٣ .

(٨) العدد رقم ١١٢٠ الصادر فى ١٩٢٥/١٠/٢١ .

(بعد الإخاء والعداء) ، يقول فى مستهلها :

حنوت على الود الذى كان بيننا … وإن صد عنه .. ماجنينا من الود

ويصور بعد ذلك صداقتهما الوطيدة - شكرى والمازنى - بعد الجفاء والقطيعة :

وايقنت لا ينسى عدائى وماجنى … عدائى عليه ، من عناءٍ ومن جهد
ايلتئم الصخران ، فى اليمّ .. بعدما … تردد موج البحر .. بالصَّدْع والهدِّ

ثم يعطى الشعر العربى الحديث ، بعض أوابده فى الصداقة والأصدقاء ، التى تبقى على الدهر ، لروعة السبك وقوة الأسر ، وعمق المضمون ورهافته ، حين يستتلى قائلا ، بوجد مُذيب :

وكنا على ماكان من قُرْب انفس … كنهرين فى وادى الغضارة والورد
قد اقتربا مجرى وماء وعسجدا … من الشمس لألاء كلألاءة الود
إلى أن دعا داعى الحياة وإفنها … فحال بنا قصد السبيل عن القصد

إلى ان يقول :

وخِلّاننا مثل الجوارح ، أيهم … فقدْنا ، فبعض النفس فى ذلك الفقد
واكتم من آلام نَفْسىَ .. عزةً … إذا لم يُتِحْ لى ما أُزيل به وجدى

وبكلمة واحدة ، تحسم هذا الأمر ، فإن الشاعر الذى يعتمد على التذكر المتعمد ، أو على استدعاء المعانى والصور من شاعر بعينه ، يكون فى الغالب - كما يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة - معجبا بهذا الشاعر ، حافظا لشعره - يتكرر ورود معانيه وصوره فى ذهنه .. كما كان « جون كيتس » بالنسبة لشكسبير ، والمتنبى بالنسبة لأبى تمام[9] والمازنى كان معجبا بعديد من الشعراء ، والأدباء العالميين ، وبصفة خاصة ، بابن الرومى وبشار فى الأدب العربى .

كما أن المازنى كالرافعى ، وجد نفسه فى عالم النثر الرحيب ، يطلق نفسه على سجيتها ، فيجد مجالا لتفوقه وإبداعه .. أما الشعر ، فكان مجرد مرحلة عابرة فى حياته ، ايقن بعدها أن موهبته الحقيقية تكمن فى الشقيق الآخر للشعر ، أى فى النثر الفنى ، الذى تدفق فيه تدفق النهر فى انسيابه بعذوبة وعفوية وطلاوة ، استجابة لطبعه الذى يضيق بالقيود والسدود ، وليطلق العنان لقلمه ، ليقص لنا - فى قصص قصيرة ، وطويلة ، ما صادفه فى حياته الحافلة من صور وذكريات تنفك تردد أصداءها فى نفسه ، كل ذلك ببساطة وسلاسة ، وكأنها صديقه يحدثك فى جلسة خاصة ، بأمتع ضروب الحديث وشجونه . ومن ثم استطاع أن يعطينا من (ألف باء) اللغة العربية ، هذا الكم الممتع الشائق من فصوله ومقالاته وقصصه ، فى العديد من الصحف والمجلات ، وفى (إبراهيم الكاتب) و (إبراهيم الثانى) و (صندوق الدنيا) و (عود على بدء) وغيرها ومهما يكن من أمر ، فإن مقدرة (جماعة الديوان) : شكرى والعقاد والمازنى ، على ترجمة المختارات من القصائد والمقطوعات ، من عيون الشعر الأجنبى ، لازالت بحاجة - كما يقول الدكتور رجاء عبد المنعم جبر « إلى دراسة كاملة مقارنة ، تتجاوز دائرة العموميات الجوفاء ، إلى تقييم مدى التوفيق الذى أصابوه فى محاولاتهم ، ومنهجهم فى الانتخاب ، وفهمهم لخصائص الشعر التى ينبغى الاحتفاظ بها فى الترجمة - والأوزان التى اختاروها لنقل مترجماتهم .. »[10] .

وعسى أن نتمكن ، فى دراسة مقبلة ، من شق الطريق ، نحو تحقيق هذه الدراسة الممتعة المنشودة .

---

(٩) أنظر عدد مجلة المجلة رقم ١٢ الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ ص ٨٥ .

(١٠) أنظر دراسته القيمة بعنوان (قضية ترجمة الشعر) المنشورة بالسلسلة الثانية من الأبحاث الجامعية التى تحمل عنوان دراسات عربية وإسلامية ص ١٧٠ .

حول شهادات الاستثمار

• بقية •

انها معرضة لافتراس الذئب لها . وهذا هو المستفاد من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « خذها فإنما هى لك أو لأخيك أو للذئب » ، أما الإبل فعلى خلاف ذلك لأنها بحكم تكوينها الجسمانى تصبر على الجوع والعطش فمعها حذاؤها (أى خفها) وسقاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر ، كما أن احتمال افتراس الذئب لها ضئيل لأنها تستطيع أن تدفع الذئب عنها ، ولذلك خلا الحديث النبوى من الإشارة إلى أنها قد تكون للذئب .

وإن عناصر عدم ضياع الابل ـ كما يستفاد من الحديث النبوى هى إمكان بقائها على قيد الحياة ـ (معها حذاؤها وسقاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر) ـ والأمن من اعتداء الذئب عليها ، وقرب صاحبها منها يستطيع العثور عليها إن بحث عنها (دعها .. حتى يجدها ربها) ، ومن ثم فإنه إذا صارت الإبل معرضة للضياع لفقد أى عنصر من عناصر عدم الضياع ، فإن علة الحكم بتركها وعدم التقاطها تصبح غير قائمة ، ولما كانت المدينة فى عهد عثمان وعلى ـ رضى الله عنهما ـ قد تغير وضعها عما كانت عليه أيام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلم تعد منعزلة عما حولها ، إذ كثر المترددون عليها والمارُّون بها ، ومنهم الأمين وغير الأمين ، ولم يؤمن على الابل عدم ضياعها حتى يجدها ربها ، فقد وجب أن يتغير الحكم لتغير علته ، وفى هذا المعنى يقول الكاسانى صاحب بدائع الصنائع : وأما الحديث فالمراد منه أن يكون صاحبه قريباً منه ، الا ترى أنه قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (حتى يلقاها ربها) ، وإنما يقال ذلك إذا كان قريباً أو كان رجاء اللقاء قريباً ، والدليل عليه أنه لما سأله عن ضالة الغنم قال : خذها فإنها لك أو لأخيك أو للذئب ، دعاه إلى الأخذ ، ونبه على المعنى وهو خوف الضيعة وأنه غير موجود فى الإبل . والنص الوارد فيها أولى أن يكون وارداً فى الإبل وسائر البهائم دلالة . إلا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصل بينهما فى الجواب من حيث الصورة لهجوم الذئب على الغنم إذا لم يلقها ربها عادة بعيداً كان أو قريباً . وليست كذلك الإبل لأنها تذب عن نفسها .

* * * *

ويتضح مما تقدم أن الأمثلة السابقة التى تثار تبريراً لقطع الربح لأحد الشركاء لا تسعف الذين يستدلون بها على ما ذهبوا إليه ـ فالتسعير ـ كما أثبت ابن تيمية وابن القيم ، أخذ به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما توافرت أسباب ذلك ، كما أنه ليس فى التقاط ضالة الإبل خروج على الحديث الشريف الذى قال بعدم التقاطها لأن علة عدم الالتقاط فقدت أحد عناصرها ، فوجب أن يتغير الحكم لتغير العلة ، وأما عن تضمين الصناع فإنه ليس فى ذلك نص ثابت ، واختلفت الآراء فى التضمين وعدمه فى المذهب الواحد ، فضلاً عن أن القائلين بالتضمين لم يخرجوا عن أحكام الأمين ، إلا فى نقل عبء الإثبات من على صاحب المتاع إلى الصانع . فبعد أن كان صاحب المتاع مكلفاً بإثبات تعدى الصانع أو تفريطه ، صار الصانع هو المكلف بإثبات أن التلف أو الضياع راجع إلى تعديه أو تفريطه ، ويضمن إن عجز عن إثبات ذلك .

بطاقة لعالم من السلف

أبو علي شقيق البلخي

هو أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي، أحد العلماء العاملين الذين أُخْلِصَتْ - في قلوبهم - منزلة الدنيا، فقدروها حق قدرها، والتزموا النجاة منها بالبعد عن شهواتها، والتخلي عن زينتها، صحب من العلماء باقة عصرهم، والتزم العمل مع الزهد والورع، وحبب إليه الجهاد في سبيل الله فاندفع فيه حتى لقي الله الكريم المتعال.

لقي أبا حنيفة النعمان بن ثابت - رحمه الله - الذي ورث من علم ابن مسعود - رضي الله عنه - الكثير فجلس إليه، وإلى عباد بن كثير، وإبراهيم ابن أدهم وغيرهم.

كان شقيق موسراً صاحب ضياع، يعيش عيش المترفين، جال في الأرض وزار أكثر من بلد فتاجر بأرض الترك، واستقر فترة بـ (بَلْخ) بأفغانستان، ثم كانت حوادث الفقراء والضعفاء سببا في سلوكه، فمال إلى العبادة ثم انخرط فيها حتى كان يترك العمل متأثرا بما رآه من رزق يقضي به الله للعاجزين فلما تحدث بذلك إلى ابن أدهم، قال له ابن أدهم: أما سمعت قول النبي - ﷺ -: (اليد العليا خير من اليد السفلى)[1] ومن علامات المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها حتى يبلغ منازل الأبرار. فقال شقيق لابن أدهم: أنت أستاذنا ياأبا إسحاق.

العلماء الذين تأثر بهم :

في مقدمة هؤلاء: العالم الفذ، المحدث الثقة الإمام سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، العلم المجمع على إمامته المتقن الورع الحافظ، وسبق أن ذكرنا من الأئمة أبا حنيفة - رحمه الله.

ثم أبو يوسف إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي الثقة الثبت وورقاء بن عمر وعباد بن كثير ووهيب المكي - رحمهم الله.

تأثر من كل - على حدة - بأدب وعلم وسلوك التزمه في خاصة نفسه وممارسة حياته؛ فعرف بالصبر والرضا وعمق التأمل وكثرة الصيام وطيب النفس والتوكل على الله.

وقال - رحمه الله -: لو أن رجلا عاش مائتي سنة لا يعرف هذه الأربعة لم يَنْجُ: معرفة الله، ومعرفة النفس، ومعرفة أمر الله ونهيه، ومعرفة عدو الله وعدو النفس.

ولم يبال - في إطعام الفقراء - أن تتبدد ثروته .. كان محبا للضيفان، وله - في ذلك - عبارة مشهورة يقول فيها: ليس شيء أحب إليّ من الضيف؛ لأن رزقه على الله وأجره لي.

وكان - رحمه الله - من المجاهدين، بل كان من رءوس الغزاة، فجمع بذلك بين العلم والعمل والزهد والجهاد، وقتل - رحمه الله - في غزوة (كُولان)[2] سنة أربع وتسعين ومائة هجرية.

---

(١) رواه البخاري في الوصايا والرقاق، وأحمد في مسنده.

(٢) في ياقوت: بلدة طيبة في حدود بلاد الترك من ناحية ما وراء النهر.

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

٦٠ مليون جنيه لإعمار الجامع الأزهر الشريف

ترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر اجتماع اللجنة الوزارية العليا لإعمار وترميم الجامع الأزهر الشريف الذى شارك فيه السادة وزراء الإسكان والأوقاف والثقافة والمالية ومحافظ القاهرة وممثلون للأزهر وهيئة الآثار المصرية .

وقد تم فى هذا الاجتماع مناقشة تقارير اللجان والاتفاق على الشكل النهائى لمشروع الإعمار لهذا الصرح الإسلامى الكبير باعتباره اكبر المؤسسات الإسلامية فى العالم .

يتكلف مشروع الإعمار اكثر من ٦٠ مليون جنيه .

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية ألبانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / البيرو تسكا وزير خارجية ألبانيا يرافقه السيد سفير ألبانيا بالقاهرة وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

وقد رحب فضيلة الإمام الاكبر فى بداية اللقاء بعودة ألبانيا إلى الصف الإسلامى واشتراكها كعضو مراقب فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

وأعلن فضيلته عن عقد دورات لأعضاء السلك الدبلوماسى الألبانى فى القاهرة لتعلم اللغة العربية .

واكد فضيلته ان الأزهر مستعد لتقديم كل عون متاح لمسلمى ألبانيا،وأنه خصص هذا العام خمس منح دراسية لطلبة ألبانيا الراغبين فى الدراسة بالأزهر . تزيد إلى عشرين منحة فى العام الدراسى القادم .

وأعلن فضيلته عن إيفاد الأزهر بعض علمائه كمبعوثين إلى ألبانيا على نفقته .

كما أعلن فضيلته عن استعداد الأزهر لإعداد المناهج الدراسية لمراحل التعليم المختلفة فى ألبانيا وإيفاد المدرسين اللازمين لدور العلم هناك .

الإمام الأكبر يفتتح المؤتمر العلمى الدولى الثانى للهندسة بجامعة الأزهر

افتتح فضيلة الإمام الأكبر المؤتمر العلمى الدولى الثانى للهندسة الذى نظمته كلية الهندسة بجامعة الأزهر .

أنباء وآراء

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى ألقاها أن هذا المؤتمر يعد حلقة من حلقات الدراسة التى كان الأزهر إماما فيها كما كان قدوة لغيره من الجامعات والمدارس ، فالأزهر درج منذ إنشائه ليكون جامعا وجامعة لنشر العلوم .

وقد طالب فضيلته العلماء بالاحتفاظ بالفنون الإسلامية والتراث الإسلامى فى العمارة والإنشاءات،وأن تحتفظ الهندسة بسمات الشرق الإسلامية بكل ما تبتكر، وأن توجه الجديد للالتزام بذلك واستمرار المميزات الخاصة بالفنون الإسلامية .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الرئيس التشيكى فاتسلاف هافيل والوفد المرافق له وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف متمنيا له طيب الإقامة خلال زيارته للقاهرة .

ثم قام فضيلة الإمام الأكبر باستعراض تاريخ الأزهر منذ إنشائه معربا عن ترحيب الأزهر بالتعاون الثقافى مع تشيكوسلوفاكيا .

وقد أعرب الرئيس التشيكى عن شكره لفضيلة الإمام الأكبر لإتاحة الفرصة لهذا اللقاء معربا عن رغبته فى التعاون الثقافى،واحترام القيم الدينية والروحية .

أنباء العالم الاسلامى

أول مؤتمر إسلامى فى موسكو منذ أربعين عاما

ذكرت إذاعة موسكو التى تبث برامجها باللغة العربية أنه قد عقد بمدينة موسكو أول مؤتمر إسلامى غير حكومى لبلدان شرق أوروبا ، وذلك خلال الشهر الماضى،وشارك فيه رؤساء الإدارات الدينية بالاتحاد السوفيتى وكبار الشخصيات الدينية فى روسيا وتركيا وبولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا .

والهدف من هذا المؤتمر : وضع برنامج للتعاون بين دول شرق أوربا تحت شعار (العامل الإسلامى فى الأحداث فى شرق أوربا) .

• رئيس أفغانستان يرضخ لمطالب المجاهدين الأفغان •

فى مقابلة إذاعية للرئيس الأفغانى نجيب الله أجرتها معه الإذاعة البريطانية التى تبث برامجها باللغة العربية .

ذكر الرئيس الأفغانى فى المقابلة،أنه لا مانع لديه من تقديم استقالته إذا كان هذا يؤدى إلى استقرار البلاد ، وإعطاء الشعب الأفغانى حق تقرير مصيره،وإجراء انتخابات حرة فى البلاد تحت إشراف الأمم المتحدة .

والجدير بالذكر : أن المجاهدين الأفغان قد رفضوا التفاوض مع الحكومة الأفغانية بقيادة الرئيس نجيب الله ، ورفضوا أيضاً أن تحضر الحكومة المحادثات التى تجرى معهم فى موسكو .

«أحدث ترجمة أندونيسية لمعانى القرآن الكريم»

تمت ـ مؤخراً ـ ترجمة جديدة لمعانى القرآن الكريم باللغة الأندونيسية أعدها الدكتور عمر بكرى المتخصص فى الدراسات الإسلامية ، وتعد هذه الترجمة احدث ترجمة اندونيسية لمعانى القرآن الكريم منذ القرن السابع عشر .

وقد حذر الأزهر من تفسير القرآن الكريم وفقاً للنظريات العلمية والكونية، وذلك لخضوع هذه النظريات العلمية للتغيير المستمر وفقاً للتقدم العلمى والفكرى .

«إنشاء أول مركز للدراسات القرآنية بماليزيا»

وافقت الحكومة الماليزية على إقامة أول مركز للدراسات القرآنية فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا .

وذكر الشيخ زين العابدين عبد القادر وزير الشئون الدينية بماليزيا: أن المركز ينتظر أن يصبح جاهزاً بمشيئة الله خلال عام ١٩٩٣ م .

وذكر الشيخ زين العابدين أن الحكومة الماليزية قد أعادت عشرة آلاف نسخة من القرآن الكريم كانت قد طلبتها من الهند وباكستان ، لأنها لم تعد بالرسم العثمانى .

«تعريب التعليم الجامعى فى الجزائر خلال العام الدراسى ١٩٩٢ م/١٩٩٣ م

أعلن السيد / جلال اليابس وزير التعليم العالى الجزائرى أن السنة الجامعية الأولى ستكون معربة بكاملها مع بداية العام الدراسى القادم بمشيئة الله ١٩٩٢ م/١٩٩٣ م .

وذكر الوزير الجزائرى: أن التعريب فى الجزائر يكون جزئيا بسبب الافتقار إلى المراجع وأساتذة اللغة العربية .

وذكر السيد جلال اليابس للإذاعة الفرنسية « مونت كارلو » أن الدراسة باللغة العربية ضرورة تربوية اجتماعية ، وأن الوزارة بصدد عقد دورات تدريبية فى اللغة العربية للمدرسين .

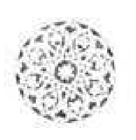

فهـرس العـدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « العظة وكبار النفوس »	
د . على أحمد الخطيب	٧٣٧
● فى شهر رجب الفرد كانت منحة اذهبت المحنة لفضيلة الإمام الاكبر الشيخ	
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر	٧٣٩
● معركـــة بدر	
د . عبد الجليل شلبى	٧٤٣
● قبس من انوار النبوة « الكسب حلاله وحرامه »	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	٧٤٧
● وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى	
د . محمد الدسوقى	٧٥٠
● حول شهادات الاستثمار	
المستشار أحمد محمد إبراهيم	٧٥٦
● الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى « جمهورية القرم الإسلامية »	
إعداد : عادل خفاجة	٧٦٢
● ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية	
لواء أ . ح / فوزى محمد طايل	٧٦٧
● قضية كشمير المسلمة	
أ . ماهر زكريا الشيمى	٧٧٤
● مشيخة علماء اسيوط	
د . مجاهد توفيق الجندى	٧٧٨
● الخلق ما له وما عليه	
الأستاذ محمد زين العابدين	٧٨٦
● الفتـــاوى	
الأستاذ أحمد السيد تقى الدين	٧٨٩
● الإسراء والمعراج	
إشراف : رشاد محمد يوسف	٧٩٢
● من اعلام الأزهر « الأستاذ الإمام محمد عبده »	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٧٩٦
العلوم الكونية	
● التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة حضارية	
أ . د . أحمد فؤاد باشا	٨٠٨
● الأمواج الكهرومغناطيسية	
إعداد الدكتور محمد عبد الرحمن سلامة	٨١٢
● الجديد فى العلم والتقنية	
إعداد الدكتورة نجوى السيد أحمد	٨١٧
● طرائف ومواقف	
الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٨٢٠
● من روائع الماضى فى مجلة الأزهر « شرك العقيدة وشرك العمل »	
إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٨٢٢
اللغة والأدب والنقد	
● نظرات عصرية فى القرآن الكريم	
للأستاذ السيد حسن قرون	٨٢٦
● منهج ابن الاثير فى تاليف كتابيه الكامل فى التاريخ واسد الغابة فى معرفة الصحابة	
للدكتور شكرى يوسف حسين أحمد	٨٣١
● من الأدب المقارن « بواكير الحصاد فى مصر »	
أ . أحمد مصطفى حافظ	٨٣٦
● بطاقة لعالم من السلف ابو على شقيق البلخى	
إعداد : سيد أحمد الغرباوى	٨٤٢
● أنباء وآراء	
إعداد : عبد المنعم فودة مصطفى عبد المجيد	٨٤٣
القسم الفرنساوى	
● المقالة الثانية	
بقلم : ليلى الحفناوى	٨٤٩
● المقالة الأولى	
الدكتورة رقية جبر	٨٥٣
القسم الانجليزى	
إشراف : د . أنس النجار	
● المقالة الثانية	
بقلم الأستاذ / لطفى سلطان	٨٥٨
● المقالة الأولى	
د . أنس النجار	٨٦٢

pendant que le prophète à lui bénédiction et salut affrontait les idolâtres et les athées qui ne croient en aucune religion ainsi que certains scriptu culaires dont la loie s'est affaiblie parce qu'ils ont oublié les messages de leurs prophètes et les ont falsifiés le Coran devait affronter tout ceux là et leur prouver qu'ils se sont égarés et gu'ils adorent des divinités qui ne leur sont d'aucun secours, mais plutôt des divinités fabriquées à partir d'une des matières les plus viles de la terre ... la pierre .

Alors que Allah gloire à Lui a honoré l'homme considérant comme présentant sur terre dans cet univers . C'est pour cette raison que le coran devait apprendre aux humains qu' ils seront réssuscités après la mort et qu'il y a un Paradis et un enfer et que la vraie vie n'est point en monde mais plutôt dans celui de l'au - delà. Il devait les prévenir du châtiment divin du Jour terrible où ils comparaitront devant lui et auquel personne ne pourra échapper . Il devait attirer leur attention sur les signes que Allah a placédans l'univers et qui prouvent Il est le créateur et il devait refuter les allégations des ralbins juifs qui, sous petexte de poser des questions visent en fait à attaquer l'slam . Les derniers pensaient qu'il était propable que Mohammed paix soit sur lui parle de son cru donc qu'il commet des erreurs . C'est pourquoi le Coran a été révélé dans le but d'assurer légalité entre tous humains or . le riche n'est point avantagé, quant au pauvre, il ne sera point lésé mais en fait les hommes sont totalement égaux devant Allah . Ceci fut le fondement du message de l'Islam à la mecque : la foi en un Allah unique et en Mohammed Son prophète et la consolidation de la foi durant la période où ils étaient une minorité faible et opprimé .

Et pour consolider leur foi, il fallait leur rappeler toujours qu' Allah les soutient ... S'ils meurent en martyrs, ils iront au paradis sans jugement : ainsi s'ils meurent musulmans ils iront au paradis; tandis que ceux qui resteront dans leurs incroyances subiront le châtiment en enfer .

En ce qui concerne la société médinoise, l'image diffère : l'Islam avait à affonter les incroyants, les paiens, les juifs qui ont falsifié la Bible ainsi qu'un nouvel adversaire les hypocrites .

Alors qu'il y avait une hostilité ignorante à la Mecque, à Médine l'Iislam devair faire face à une hostilité lucide, celles des hypocrites .

Il n'y avait pas d'hupocrisie à la Mecque : Le faible ne feint pas qui donc oserait prétendre qu'il est croyant tunt en étant incroyant pour s'escposer à la souffrance à la torture et à la persécution ? Mais à Médine, quand l'Islam s'est consolidé et soutenu par un état, l'hypocrisie est apparue dans la communauté .

Voici ce que dit la parole divine à ce sujet : « Parmi les bédouins qui nous entourent et parni les habitants des Medines, il y a des hypocrites obstinés, tu ne les connait pas, Nous nous les connaissons . Nous allons les châtier deux fois puis ils seront livrés à un terrible châtiment .

fut révélé le coran qui sert à guider les humains aux enseignements d'Allah .

Allah, Gloire à Lui a posé dans le Saint Coran une législation céleste destinée à l'humanité dans les messages divins Cette révélation du Coran a parachevé tous les messages divins du Saint Coran, ainsi cette dernière religion demeurera la législation pour ce monde et jusqu'à l'heure dernière . Ainsi le Coran a rapporté l'histoire de la création de la terre et des cieux et celle de l'homme, de même il nous a rapporté les récits des prophètes et des messagers qui ont précédé la révélation du Coran tant en rectifiant et modifiant les falsifications et les altérations qu'ils renferment .

Cela dans le but de les rendre conforme aux messages Allah a chargé ses prophètes de transmettre, d'abroger tout ce qui fut déformé par les hommes dans les messages qui ont précédé la révélation du Coran, de rectifier tout discours humain annexé et faussement attribué aux enseignements divins et de révéler ce que les rabins juifs et les prêtres chrétiens dans les religions précédentes ont dissimulés aux hommes .

Ainsi, le Coran dénonce toute altération, dissimulation , falsification ou addition humaine relative à la religion d'Allah dans les messages précédentes et il parachevé les enseignements divins afin que le Saint Coran soit la doctrine parfaite et complète par laquelle on voue un culte à Allah sur terre et qu'il renferme les enseignements divins depuis la création d'Aden jusqu'à l'Heure Dernier .

Les ulémas sont en désaccord quant à la classification de certains versets, sont ils mécquois ou bien médinois. Ceux qui ont considéré le temps comme critère ont dit que chaque sourate du Coran révélée à l'Envoyé, Allah paix soit sur lui après l'Hégire est dite médinoise même si cette sourate a été révélée à la Mecque .

Tandis que ceux qui ont considéré le lieu come critère ils ont dit que toute sourate révélée à la Mecque est médinoise et toute sourates révéleé à Médine est médinoise et ceci sans tenir compte du fait qu' elle a été révélée avant ou aprés l'Hégire car certaines sourates ont été révélée à l'Envoyé d'Allah paix soit sur lui alors qu'il était à la Mecque après l'hégire nous voyons bien qu'il n'existe point de différends entre les ulémas comme le prétendent certains, mais chaque groupe a pris ce sujet d'un certain point de vue ; les uns se sont placés du point de vue du lieu et les autres celui du temps et ils ne sont point en désaccord sur les sourates du Coran même ni sur ses versets . Si l'analyse de la sourate « La Vache » nous révèle qu'elle est une des premières Sourate révéleés à Médine . Elle présente à la fois des caractéristiques Mèdinoises et mécquoises . L'aspect Mécquois dans le Saint Coran insiste sur le dogme, car les versets et les sourates mécquoises ont été revélés

Le Coran .. Le dêlut et la fin de lacréation

Mme. LEYLA AL HEFNAOUI

Dans le Saint Coran, Allah gloire à lui nous a révélé l'histoire de la création de l'homme, de la terre et des cieux ainsi que celle de la désobéissance du satan . De même, Allah a corrigé les erreurs d'interprétation des messages précedents . C'est là l'interprétation donnée par le révérand cheikh M. M. charaoui de certains versets du coran .

Cheikh charaoui dit : « l'Islam a été révélé comme étant la dernière des religions destinée à devenir une législation parfaite en tout point pour l'humanité entière et cela jusquà l'Heure dernière, avec des aspects du surnaturel qu'Allah nous a dévoilé et nous a recommandé de n'en tirer la science que de Lui et des aspects de la science de ce monde qui nous a laissé le soin d'investiguer .

Le revérand cheikh Mohamed Metwali el Charaoui á ajouté : il y a deux éléments dans la vie, un élément qui réagit pour toi et un élément qui réagit par toi . Celui qui réagit pour toi t'est donné gratuitement, comme le soleil, l'air etc .... quant à celui qui réagit par toi, il faut que tu lui donnes pour recevoir en retour. Ainsi toutes les choses et tous ce qui se trouve sur la terre, il faut que tu laboures et que tu sèmes le grain afin d'obtenir une plante, que tu cherches à savoir ce qui est à l'intérieur de la terre et que tu réfléchisses attentivement aux aspects de l'univers pour tirer les lois qui le réagissent .... C'est ainsi que l'humanité progresse .

Le fait que le Coran débute par une sourate médinoise plutôt qu'une sourate mécquoise nécessite (exige) tout d'abord que nous saisissions la signification des termes «mécquois» et «médinois» Or, la Mecque et la Médine sont deux lieux saints - Le premier - a été témoin du début du message et de la révélation du Coran au prophète (paix soit sur lui) quant au second, c'est celui où émigra le prophète . Lorsqu'on parle de «Mecqnois» et «Médinois» dans le Saint Coran, il faut qu'on prenne en considération certaines choses : premièrement, les circonstances dans lesquelles le verset a été révélé, deuxièmement le lieu et trosièmennent le moment où il a éte révélé Ainsi action a lieu dans un lieu et un temps détermimés, elle est accomplie par quelqu'un et elle est subie par un autre, ainsi elle a une cause et suppose une capacité de l'accomplir. pour ce qui est de la révélation du Saint Coran, l'auteur c'est Allah, Gloire à Lui, et c'est à Mahammad paix soit sur lui que le Coran a été révélé . Quant au lieu c'est soit la Mecque, soit Médine, pour ce qui est du temps c'est celui où

tout comme il la contenta lorsqu'elle régnait de l'Atlantique au Pacifique ou presque en un seul et gigantesque empire. Elle y trouva tout pour ses dogmes, pour ses rites, pour sa vie sociale, pour ses lois et ses autres besoins.

On a dit et avec raison que la première sourate du Coran est le résumé, l'essence de l'ensemble du livre, et que cette petite sourate comporte 7 catégories de choses : hymnes, prières, lois, annonces, avertissements, paraboles et histoires. Grosso modo, cela représente la totalité des sujets que le Coran traite.

Il convient de souligner que le Coran ne demande pas que l'on croie pour croire, mais il répète sans cesse : réfléchissez, méditez, raisonnez, pensez, cherchez, et cela, même en matière de foi comme l'existence d'Allah transcendant et inconnaissable, l'au-delà et la résurrection.

Le thème central est évidemment le monothéisme pur : la foi en un Allah sans associés, ni icône, ni autres représentations matérielles de la Divinité.

Sa thèse est qu'Allah, en Sa bienveillante grâce, a donné à l'homme, entre au·es bienfaits, des guides, des prophètes ; qu. ceux-ci ont communiqué à l'humanité le message du Seigneur, qui a toujours et invariablement été celui de l'unicité d' Allah de la vie après la mort, et d'un comportement ici-bas à titre de provision pour l'au-delà ; que toutes les fois que le message divin s'est perdu au sein de la société humaine, pour cause de guerres, ou de déviations religieuses après la mort d'un prophète inspiré, etc., Allah en Son inépuisable miséricorde a renouvelé son message et suscité un nouveau prophète. Que depuis Adam jusqu'à Muhammad il n'y a qu'une suite ininterrompue de tels messagers, envoyés dans différents pays, Muhammad n'étant que le rénovateur et le confirmateur du même éternel et antique message. Il n'y a pas d'exclusivité : Allah a envoyé des messagers chez tous les peuples ; Il n'en a mentionné dans le Coran que quelques uns seulement, précisant qu'il y en eut d'autres encore. C'est ainsi qu'il dira que les Israélites furent à leur époque les élus d'Allah qui leur donna l'excellence au-dessus de tous les mondes, comme Il avait donné pareille excellence à d'autres auparavant. C'est également ainsi qu'il dira que Jésus-Christ eut une naissance immaculée, sans père. Et c'est ainsi qu'il lavera les biographies des anciens prophètes des calomnies d'immoralité ou de mécréance mentionées dans d'autres livres »

Nous espérons que ces quelques passages tirés de l'ouvrage de Hamidullah nous ont permis de jeter quelque lumière sur certains aspects de la science du Coran.

ROKEYA GABR

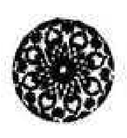

Ainsi nous dit Hamidullah

« il est parfois possible alors de lire un mot comme verbe actif ou passif, comme masculin ou féminin, et le contexte admet parfois plusieurs possibilités. Par exemple *yas'al* (Allah) demandera, peut se lire : *yus'al* (on) sera demandé, tus'*al* (elle) sera demandée. On en a trouvé un petit nombre de cas, mais dans aucun le sens du verset ne change, et l'on se demande si la découverte de telles variantes ne vient pas parfois de l'ingémosité des exégètes. »

Voici ce qu'il nous apprend sur la récitation du Coran.

LA RÉCITATION DU CORAN

« Il convient de dire quelques mots sur la récitation rituelle du Coran. Le Coran lui-même en parle à plusieurs reprises, par exemple, LXXIII, 4, XVII, 106, etc. Quant à la façon dont Muhammad le récitait, nous savons que : (1) il séparait nettement les versets, (2) il allongeait la prononciation des voyelles longues : bismillâ--- h'irrahmâ--- n'ir-rahî---m, (3) parfois lors de grande émotion, il réiterait le son(a) par exemple,a-a-a..

Voici quelques directives de Muhammad à ce propos : " N'est pas des nôtres qui ne chante pas le Coran ", ou " Allah n'a autorisé (ou : ne prête l'oreille à) rien comme il a autorisé un prophète à chanter le Coran ", ou " Ne le faites pas voler comme vole le sable, ni ne le coupez comme on coupe les vers d'un poème ", ou " Enjolivez le Coran par vos voix ", etc.

La récitation de Sâlim et celle d'Abou Mousa Al-Ach'ari étaient célèbres parmi leurs camarades. Un jour le Prophète dit à ce dernier : " M'as-tu vu hier soir quand je t'écoutais réciter le Coran ? Vraiment il t'a été donné une flûte *(mizmâr)* comme celles des gens de David ! " Abou Mousa répondit : " Par Allah, si j'avais su que tu m'écoutais, je l'aurais embelli d'embellissement ".

Il est à signaler que le Coran n'est pas en vers, mais qu'il possède mélodie, rythme et même rimes comme les poèmes. Il n'est pas en vers : ses lignes (versets) comportent parfois un seul mot, parfois plusieurs et jusqu'à toute une page. Il est d'un genre qui n'est ni prose ni poème, mais qui réunit les avantages des deux. Les meilleurs talents musulmans ont développé l'art de la récitation du Coran en une véritable science, avec une précision mathématique. Évidemment selon le contenu les mélodies doivent changer. Les savants ont trouvé les origines de ce chant dans le Nedjd (Arabie Centrale). Coupée du monde, cette région désertique a conservé encore son art primitif de lire les textes en prose arabe, et l'on prête au Prophète le conseil : " Récitez le Coran avec les mélodies et l'intonation des Arabes, et non pas avec celles des gens pervers (-professionnels de la distraction), ni des gens des deux Livres ".

L'écriture vocalisée est tellement précise en arabe qu'on n'a pas besoin de notation musicale pour réciter correctement le Coran, pour le chanter. Outre les signes de vocalisation, les éditions arabes du Coran marquent toujours ces autres signes conventionnels qui indiquent la correspondance des sons, l'allongement des voyelles lors des liaisons, et autres caractéristiques de la récitation artistique.»

Voici enfin quelques mots sur le contenu du Coran

LE CONTENU DU CORAN

Le Coran se donne pour un guide à l'homme dans la totalité de sa vie, temporelle aussi bien que spirituelle, individuelle et collective, à toutes les catégories d'hommes, dans tous les pays, et pour toujours ! Depuis le chef du gouvernement et le commandant jusqu'au simple citoyen et à l'homme de la rue, tout y trouve ce qui le concerne. Pour s'en convaincre, il suffit de rappeler que le Coran contenta comme loi la communauté musulmane alors qu'elle ne comportait que quelques persécutés,

lettres à graphies semblables. Mais longtemps avant lui les lettres administratives du calife Omar employaient ces points, comme nous le prouve un papyrus découvert en Égypte et conservé à Vienne (Autriche) qui est daté de l'an 22H./ 662. Deux autres documents de la même époque employant les points se trouvent à Berlin. Tout cela confirme l'authenticité de récit qui dit que c'est le Prophète lui-même qui enjoignait à ses scribes - y compris le futur calife Mo'âwiya, narrateur de ce récit - d'employer le *racch*, c.- à-d. les points sur les lettres trop semblables entre elles, afin de les distinguer. Les signes de vocalisation sont attribués au gouverneur al-Hajjâj ibn Yousuf (deuxième moitié du premier siècle de l'Hégire). Par ces deux réformes, l'alphabet arabe se rendit tellement parfait qu'un texte bien vocalisé, comme celui de Coran, est plus précis en caractère arabe qu'en n'importe quelle autre écriture du monde. N'oublions pas qu'entretemps le triple contrôle du texte coranique, par écrit, mémorisation et étude chez un moître, conservait son intégrité. Bientôt les Arabes découvrirent les procédés de fabriquer le papier en quantité abondante et à bon marché, pour se débarrasser des parchemins et des papyrus. Voilà ie secret de l'essor des sciences au Moyen Age chez eux.

Hamidullah explique ensuite comment le texte du Coran fut conservé et transmis jusqu'à nos jours .

LA TRANSMISSION ET LA CONSERVATION DU TEXTE

Contrairement à certaines autres communautés de l'antiquité, qui restreignaient la connaissance du livre religieux à une classe, à un clan, Muhammad préféra répandre cette connaissance dans toutes les couches de la communauté. Nous avons vu qu'il employa la double méthode écrit-mémoire. En outre, lui et ses successeurs au pouvoir attachaient la plus grande importance à la connaissance coranique pour tout emploi public et administratif, et prirent les dispositions nécessaires pour son enseignement.

Dès l'époque du Prophète, on ajouta une méthode additionnelle pour conserver l'intégrité du texte : savoir lire et posséder une copie du Coran ne suffisait pas; par contre il fallait l'étudier auprès des maîtres attitrés et obtenir un certificat de l'authenticité de la copie tout comme de la connaissance de la part de l'élève. Cette méthode a subsisté jusqu'à nos jours : à la fin des études, le maître octroie un diplôme, mentionnant toute la chaîne de ses maîtres et des maîtres de ses maîtres jusqu'au Propnète, et attestant la correction de la récitation, conforme à ce que lui-même a appris de son maître.

A travers la guerre, l'incendie, l'inondation et autres malheurs, les copies ou les fragments de la première époque sont venus jusqu'à nous. A Tachkent tout comme à Istanbul, Il y a des copies du Coran attribuées au calife Othmân : à Instanbul, à la Bibliothèque nationale de Paris, des fragments que les experts modernes datent du 2*e* et 3*e* siècles de l'Hégire. Il y a des copies très anciennes au Caire, à San'a, en Iran. en Afghnistan, etc. On les a comparées, et il est émouvant de constater que du Maroc à la Malaisie, de Tachkent à Ceylan, des millions d'exemplaires manuscrits ou imprimés existent qui n'offrent d'autres variantes que des fautes de copistes. Il y a également des centaines de milliers de Hâfiz (sachant le Coran par cœur) - dans la seule Turquie, plus de 150.000 en ce moment.... toujours indentiques, entre eux et avec le texte écrit.

Ajoutons que l'écriture arabe de l'époque mecquoise ne connaissait pas l'emploi généralisé des points diacritiques.

Quelques aspects de la Science du Coran (suite)

présenté par Dr. Rokeya Gabr

Nous poursuivons ici l'article tiré de l'introduction faite par Hamidullah pour son interprétation du discours coranique.

L'éminent savant musulman nous parle ainsi de :

L'ordre des versets et des Sourates :

Tout le monde s'accorde à dire qu'à l'interieur des sourates, les versets suivent l'ordre donné par Muhammad lui-même. Quant à l'ordre des sourates, certains auteurs ont eu l'impression qu'il provenait d'Othmân, car un récit dit ceci : "Sur une question, Othman répondit. La révélation fragmentaire de plusieurs sourates se faisait simultanément. Quand le prophète en recevait quelque chose, il appelait les scribes et disait : Mettez ces versets dans la sourate qui parle de telle et telle chose. La sourate 8 faisait partie de celles dont la révélation date du début de l'hégire et la sourate 9 de celles de la fin des révélations . Je pensais que celle-ci avait fait partie de celle-là. Le Prophète mourut et il ne nous fut pas clair que celle-ci eût fait partie de celle-là. Donc je les ai fait suivre sans toutefois y ajouter la ligne (distinctive) d'Au nom d'Allah .

Mais il s'agit de l'opinion personnelle d'Othmân pour expliquer l'absence de l'invocation de la miséricorde divine au début de la sourate 9, chose qu'on expliquerait mieux par le fait que cette sourate parle du désaveu et la dénonciation de certains pactes, et qu'il convient mal de le commencer par l'invocation à la miséricorde d Allah. Plusieurs faits luttent contre ce récit : d'abord, les meilleures sources, comme Bokhari et Muslim, n'en parlent pas. Un des narrateurs dans la chaine de transmission est inconnu. Les certificats d'études coraniques attestent toujours que l'ordre actuel des sourates est en provenance du Prophète. Le grand savant classique de Médine. l'Imâm Mâlik est formel là-dessus : la suite actuelle des sourates a été ordonnée par le Prophète .

Reppelons en passant le récit selon lequel le Prophète révisait chaque année, en compagnie de Gabriel, le texte du Coran, révision qui eut lieu par deux fois pendant la dernière année de sa vie. Chaque sourate constituant une unité indépendante, la question ne gêne pas l'authenticité du texte, chose qui nous intéresse ici.

voici ce qu'il nous apprend sur l'écriture du texte coranique :

Selon les données historiques, l'écriture fut introduite à La Mecque pour la première fois au temps des contemporains de Muhammad, un peu plus âgés que lui (Harb, père d'Abou Sufyân); et le Coran fut le premier livre jamais écrit en langue arabe ! Cela suffit pour expliquer les difficultés d'orthographe, au moment où une poussière de dialectes et de patois rendait l'écrivain perplexe. Rappelons que l'alphabet arabe a 28 lettres, mais on n'avait que 15 graphies et il fallait conjecturer les 13 autres : b, t, th, n et y, par exemple, avaient presque la même graphie (comme e, ë, é, è, ê en français s'il n'y avait pas d'accents). On ne saurait jamais trop admirer avec quel courage les Arabes gardèrent confiance en eux-mêmes. Dans une inscription à Tâïf du calife Moâwiya, en date de 51 H., on rencontre l'emploi de points diacritiques pour distinguer entre les

REVUE AL-AZHAR

Section Française

CONTENU

Dr Rokaya GABR
1) Quelques aspects de la Science du Coran .
2) Layla El HEFNAOUI
Le Coran .. le début et la fin de la création .

The work and effort of man whether simple or advancd must be planned with purpose of true beneifit to human society. Without that prerequiste, man's work and effort is futile by Islamic measures. The definition of benificial work is every action or intention on the part of mankind that brings about or is intended to bring about provision or prosperity to part or whole of the Human society. The channels of action must be legitimate and lawful according to the doctrines of Islamic Shariah. Consequent upon such a comprehensive selective understanding, all provinces of work are inclusively dignified and should be carried out with honour dignity pride and ambition. The key problem therefore becomes how efficiently the work is performed and not the type of work. All works of human functions are dignified with honour; except that which is marred by negligence, disrespect, purposelessness or that smeared by unlawful practices.

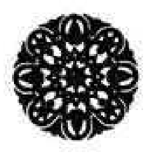

must be rationally understood in the light of Islamic conceptualization. The Prophet said: "Charity is not lawful for a rich man neither is it lawful for a healthy and able man". These sayings of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him,) indicate that the act of begging and idle social stagnation of tramping are absolutely rejected in Islam. There are priorities of precedence set out for the giving out of charity and for the precise distribution of the Zakat. The only case begging may be permitted is when a man is disabled and hard pressed and there is no other way to survive than asking for help. In fact; it is the responsibility of the Muslim society to look after the have-nots and the destitutes living within the society. One of the purposes of the five daily prayers in Islam is that the Muslims should meet each other and understand the need of the fellow men living in the neighbourhood. One may realise that they are handicapped in some way and are unable to work; a situation that demands organized assistance.

A good Muslim should be his brother's keeper. During all ages, of history, the Prophets of Allah preached that men are not free to use and spend their wealth aimlessly, but that the poorer sections of society have a right in their wealth and possessions. The Glorious Qur'an strongly condemns all those who go on collecting wealth without spending part of it in the way of Allah. The famous Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), "The upper hand is superior to the lower hand". This statement is figurative indicating the superiority of the person who provides and gives, over the person who fails to provide and takes. This is a frank candid summons for beneficial work which benifits the society. The aphorism of upper hand signifies work, effort, achievements, advances in knowledge in all disciplines and practices. It also implies the act of giving and provision.

The Islamic understanding of this Hadith purports to the concept that superiority in human life is attained essentially through work and effort; and that all avenues of work are essential and integrated to each other constituting the ground matrix of human advancement. The superiority of the upper hand is that of provision; a provision of every requirement in man's life. This is justified by Islamic doctrines to be a basic characteristic of man's duty; a universal paradigm of the ages from the time of man's creation till the day of judgement. The paramount question of all human existance; is what has every individual offered during his life for the cultivation and advancement, promotion and management of global resources? The fundamental requirement for such achievement is the genuine effort of work, endevour, strive and the inherent inertia of jihad. This action is considered a distinct component of the wholesome concept of Worship. Man's submission to Allah by necessity entails the effort to harness and utilize the elements and resources of creation in the service of mankind. Every human individual has a role to play in the infinite complex integration of the interlacing weave of the perpetual fabric of human life on earth. From the simple moulding of a brick, to the most elaborate scientific and technological advances, are all incremental constituents of the tremendous facade of man's civilization.

Prophet used to eat from the work done by his hands". He also said: "That one of you take his rope and go to the mountain and bring back a bundle of wood on his back and sell it, that Allah may thereby guard his person, is better for him than begging from men, whether they give him or not". Lady Aishah, wife of the Prophet, Mother of the Believers, was asked what the Messenger of Allah used to do at his house. She replied: "He used to work for his family, and serve them, and when the time for Salat came, he went out for prayers".

These traditions stress the obligation of every able-bodied man to seek a lawful livelihood for himself and his family and not to beg or depend on assistance or charity. He should not despise any lawful labour or regard it as below his dignity to do a certain kind of work. It is dishonourable to make oneself a burden on others. The companions of the Prophet were proud to do manual work. They performed their own labour. It is recorded that they and the Prophet himself worked with exhausting effort to build the mosque at Al-Madinah immediately after the Emigration from Meccah. Therefore, it is most unfitting for any Muslim to refuse to do manual labour when required. It is really astonishing to observe people prefer to sit in idle stagnation in an office building rather than to give the physical effort to do manual work.

For Muslims, the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) is indeed the best human exemplar model to be followed coherently in every tradition. This must be done with perceptive understanding of following the Prophet in action, and the comprehensive recognition of the value and concept of physical labour; and the dignity associated with it.The Messenger of Allah said: "Give the labourer his wages before his sweat dries". Here is another form of respect for labour employment which must therefore, according to Islamic law of Shariah, become highly legislated and organized. Wages and social rights of justice must be duely and timely fulfilled. Manual labour is provided in all human societies by the largest fraction of the population; who are usually of the less affluent poorer classes of the society. The needs and requirements of such category of people are very urgent, fundamental, and sustains their day to day existance. This dictates that immediate attention should optimally become provided to this major fraction of the society. This attention embraces all functions of life; and above all the sincere dignity and genuine respect that should be associated to the very nature of manual physical labour work that they perform in the various provinces of human life. This particular understanding should be expanded in practice to embrace the present situation of disrespect and dishonesty in several social situations in global labour order especially in developing countries. Any person trying to earn clean and lawful living should be treated with dignity, due respect and fairness.

It must be emphasized in this respect, that the livelihood that a Muslim has to earn must be through lawful and ligitimate means according to the Islamic Shariah. Otherwise, he will be deemed to have committed a sin. The concept of charity in Islam

The Dignity of Labour

By: Lotfi Ali Sultan, B.A., M.Ed., M.A.

Islam dignifies labour and exhorts Muslims to respect it. Every Muslim is asked to struggle in effort to earn his living. In this context, the Arabic text of the Glorious Qur'an means: "It is He Who has made the earth subservient for you, so traverse ye through its tracts, and enjoy the Sustenance which He furnishes: (Al-Mulk, LXVII: 15).

Again in another Surah, "That man can have nothing except what he strives for; that the fruit of his striving will soon come in sight..." (An-Najm, LIII: 39-40). The aphorisms used in these Holy verses indicate that mankind must strive in jihad to attain the fruits of his effort. In the above verses, it is made clear that the earth has been made managable to mankind through the nature of creation, and by implementing the rational mechanisms of Allah's knowledge in exploiting the infinite provisions of earth. The ultimate and optimal gain requires continuous effort and labour on the part of mankind. This understading is most essential in Muslim Theism, maximizing one major precept; a maximum which urges Muslims to work, to know, to research, to give the full effort to achieve the maximum benifit of Allah's creation. The attainment of this province of function entails knowledge, intellegence, rational thought, wisdom, perception, mental management; and above all; it requires genuine effort of physical, mental and psychological labour. The whole structure of this effort must be solidified with patience and perseverance. The concept of the dignity of labour in Islamic understanding doss not only embrace manual work in its limited sense, but also expands to include all and every effort to provide for the sustenance of mankind; and to harness all the functions of creation for the subservience of the human race.

The most basic and fundamental component of human life on earth is manual physical work; it is the most essential major requirement of the whole human output in the struggle for life; it is the basic foundation of the infrastructure of the whole civilization and culture of the human race. It is an honour to work, a dishonour to beg, or make oneself a burden on other people. The upper hand that gives is better than the lower one that takes. This is a maxim in Islamic teachings.

The Messenger of Allah said: "To try to earn a lawful livelihood is (also) an obligation like the other obligations of Islam. The Messenger of Allah also said: "No one has ever eaten better food than what he eats from the work done by his hands, and Dawud Allah's

reciprocally responsive mechanisms. All the forces of influence were imparting upon one another their own impacts. The Arabs of the peninsula were confronted with cultures and civilizations very different to their own tribal life style. The population groups inhabitants of Persia, Syria, and Egypt were exposed to the social habbits and traditions of the less developed Arab culture. The affluent richness of the new territories fascinated the Arabs with its spectacular grandoise flagrancy. The personality and character of all population groups was subject to strong forces that influenced their mental abilities, characters, motivations and traditions. From among the many of these sociocultural interactions, the institution of Islam had the most profound authoritative influence on the social evolution of transformation, cultural growth, intellectual promotion, and human abilities. This was the foundation and the media for the metamorphic renaissance that developed into all the territories where Islam was implemented and practiced. Omar Ibn-Khattab was the instrument directing the stability of the whole nation during that period of active transition of the metamorphic process. The implementation of Islam was the binding energy of the nation so widely spread in expanded extensive territories, and whose diverse cultures were actively interacting.

The domination of the Muslim culture was the ultimate outcome of the evolutionary transformation that took place in all human societies to which Islamic teachings were introduced and instituted. This culture embraced all functions of human life. During the administration of Omar Ibn Al-Khattab, an Islamic Empire was being established; an empire that actively promoted within its templates all the manifold resources of human faculties of knowledge, culture, art, sciences, languages, thought, and theism. That empire still remains, not as a territorial geographical unity of political power in world order, but as an empire of faith impregnated into the heart, spirit and thought of the multitudes of millions all over the globe, and of more millions to come. The rationality of the cultural elements of Islam will continue to invoke the cognitive function of perceptive human thought.

Omar Ibn Al-Khattab was the man who implemented the doctrines of the Muslim Theism to a depth which gave the fruit to the generations that followed. The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) carried the Divine Message of Islam, and summoned mankind to the Words of the Creator. The preservation of the precision of the articulate doctrinal teachings of Islam, was done by Abu Bakre Al-Siddiq. He also compiled the original authentic text of the Holy Revelation, and brought about a theopolitical allegiance among the Arab tribes of the peninsula. Omar Ibn Al-Khattab implemented the teachings of Islam according to the injunctions of the Holy Quran, and the traditions of the Prophet. He observed with meticulous care the optimal practice of Islamic principles as the essential elements of governance. With his genuine sincerity of absolute devoted dedication, he gained the unique place in the history of nations, as instrument of the Islamic renaissance.

proliferation of Islam into territories extending from the plains of central Asia east to the mid north African coast west, and from the Caspian sea north to the Indian Ocean south. These geographically extensive expansions brought about several heterogenous populations groups to live as subjects within on Islamic framework of policy, an Islamic culture, an Islamic family and social life, and an Islamic system of government. The whole complete milieu of human life had been changed towards an Islamic way of thinking, an Islamic rationality of thought, an islamic manner of conduct and behavior. During the time of Omar Ibn Al-Khattab, every single feature of human life was Islamic, in the lands where Islam had been introduced. The Revelation of the Holy Quran, and the Divine injunctions therein, were self indoctrinated to become integrated into the culture, psychology, thought, and mental function of the Muslim individual and the Muslim society.

Omar Ibn A-Khattab was the instrument to implement the Muslim Theism to its minute detail, to become a way of life. There were catalytical factors and promoting agents that helped to bring about the rapid process of metamorphic renaissance. The most paramount of these promoting agents was the absolute rigid implementation of wholesome justice in all functions of human life. This became the supreme scepter, the emblem of authority, the prominent greatness of prerogative, the facultative right of power. This justice during the time of Omar Ibn Al-Khattab was certainly unique; it embraced man woman and child, rich and poor, old and young, masters and bourgeoisie, muslim and non-muslim. The implementation of the injunctions of Muslim Theism brought about a soild coherent theopolitical unity, and socioeconomic intergration amongst the previously heterogenous population groups. This coherence could not have been established by any extrinsic force or power; it is the coherence of Belief, a unity of fate, a unity of the maxims of Divine precepts for the life of mankind.

Omar Ibn Al-Khattab established and practiced Islamic doctrinal teachings as the foundations of worship, the foundation of individual and social life, economy, trade, and every function of life. For Muslims and non-muslims, the laws of governance were the Islamic tenets of jurisdiction and jurisprudence. This policy promoted the socioeconomic and theopolitical mechanisms enhancing the rapid development of the transformation that was manifested throughout the territories governed by Islam. This administration was characterized by the genuine sincere efforts of Omar Ibn Al-Khattab in all functions of governance, political, economical, social, theological, and strategic. The extreme piety of Omar, and his deep sense of responsibility energized his mental functions of thought, perception, wisdom, and forsight. These animated qualities were instrumental in assisting the man to excell in his efforts in all the functions of office. Omar Ibn Al-Khattab was congnizant of the universality of Islam and its teachings, and that it embraces the basic natural spiritual elements of the human faculties and delivers mankind to refined enlightenment. For this reason, he was pragmatically conscientious, orthodox and scrupulous in implementing the precepts of Islam.

When the Muslim crusades ended, several factors came to interact in mutual

elements of that matrix of solid conglomerate theopolitical untiy whose most profound manifestation was social justice dictated by the doctrines of Islam.

The metamorphic renaissance of the Arabs started to develop since the materialization of the Muslim Theism as divinely specified in the Revelation of the Holy Quran' appointing Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) as the Messenger of the Message of Islam. A message for the enlightenment of all mankind, the ultimate final phase of Divine Doctrines: embracing within its principles of Faith all the authenticity of Christianity, the reality of Judaism, and the teachings of all Divine Messages of Faith, declared to mankind by all other Messengers since Adam. The institution of Islam among the clans, tribes, and other population groups resident on the Arab Peninsula was carried out in a conscise sequential strenously arduous effort over a period of twenty three years. During that period the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was supported by Transcendent Providence, to summon mankind to listen, and rationalize the profound radiant splendor of the words of the Holy Revelation. At the time of the Prophet's death, Islam had proliferated all over the peninsula, all the tribes and clans had declared their allegiance to the Prophet as the Messenger of Islam. The life of the Prophet achieved the introduction, implantation and examplary traditions of the doctrinal teachings of the Islamic Theism as divinely ordained in the Holy Revelation. This was the rock bottom solid foundation upon which the whole structure of Islam was constituted.

After the death of the Prophet, Abu Bakre Al-Siddiq was unanimously proclaimed Khalifah of Rassul-Allah. During the short administration of Abu Bakre, two very important accomplishments were perpetrated. These were the theopolitical unity of all the clans and tribes of the peninsula, and the establishment of security for the juvenile Muslim nation against the neighbouring monster forces of Romans and Persians. The former accomplishment anchored the roots of Islam beyond any reverse actions; and the latter conducted the crusade of Muslims to transmit the teachings of Islam to lands beyond the peninsula. These two achievments consolidated the unity of Arab tribes on the peninsula with the nomad Arab clans in the deserts of Syria and Iraq. Indeed, Islamic teachings were the most authoritative factor that established a common ground of life for all the population groups resident in territories where Islam had been introduced. These Islamic principles were preserved and conserved by the policy that Abu Bakre adopted during his term of administration. The Arab tribes had reached a solid theoplitical unity; and were crusading in territories outside the peninsula to institute the teachings of the new Faith to replace the tyrannic domination of the Roman empire, and the despotism of the Persian monarchy.

Omar Ibn Al-Khattab succeeded Abu Bakre to govern the interests of the Muslim nation. After few years of his succession, Omar Ibn Al-Khattab achieved the

Omar Ibn Al-Khattab.
The Islamic Renaissance

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD. Ph.D.

The social evolution of transformation that developed in the Arab territories, the Persian mainland, and Egypt during the fifteen years that followed the Muslims return to Meccah; is known to be the most cultural, greatest, and unique in the history of mankind. During that limited period, the Arabs emerged from the dark mental drudgery of paganism, to the enlightenment of Islamic rationalism; bringing about a coherent theopolitical unity that was never before known on the Arab peninsula. These united clans and tribes moved to the east, to the north, and to the west crusading into territories occupied by the mightiest military powers of the time, and defeated the colossals of the Persian Empire, and invincible strength of the Roman war machine. Several social, communal, economic, religious and political manifestations resulted as impacts consequent upon this rapid great transformation. These manifestations had their fingerprints on the ultimate outcome of the mechanisms involved, in what was of the social life of Muslims, and the various forces interacting to shape that life.

The initiating thrust behind that tremendous sociocultural transformation was the proliferation of Islam. The new creed, whose rational logistic doctrines addressed the fundamental faculties of intelligent thought. These doctrines tune in harmony with the natural resonance of insincts of human constitution. The proliferation of Islam together with territorial expansion resulted in the transfer of population groups from the Arab peninsula to reside on lands more fertile and prosperous than the arid barren tough deserts of the Arab mainland. During that period of transformation, numerous social, cultural, creedal, and economic alterations took place aiming at an equilibrium of theopolical social stability within a newly conglomerate nation of markedly different cultural backgrounds, and totally opposing religious beliefs. The backbone supporting that conglomerate population structure and promoting the advance of its cultural theopolitical and social stability was the proliferation of the teachings of the Muslim Theism and the implementation of its doctrines. The binding forces cementing that conglomerate population structure into a coherent theopolitical social unity was the implementation of justice as a basic fundamental maxim inherent in the tenets of Islamic Faith. The doctrines of Islam proliferated and spread very rapidly to bring about a very coherent matrix of the Muslim Ummah. The previously different heterogenous population groups blended together into a common weave constitiuting the tissue

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part VII

Ragab, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Islamic Renaissance.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2.The Dignity of Labour

By: Lotfi Ali Sultan.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٠٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
شعبان ١٤١٢ هـ
فبراير ١٩٩٢ م
الجزء الثامن
السنة الرابعة والستون

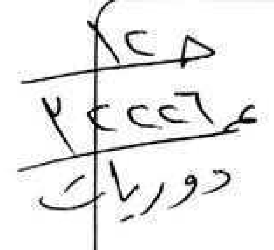

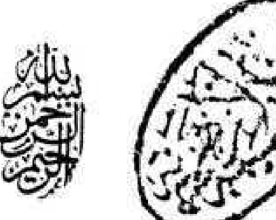

رفقا بالديمقراطية

ولنا حديث :

ليس لمن شاء أن يتلاعب بالحق ، ويستبدل بالحكمة زينة الدنيا !

ولا إلى راض لنفسه النعمة الرافهة على أى حال يكون ..!

لا .. ، ليس إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .
ذلك لأنه حديث عِلْمٍ .

وحديث العلم إنما يكون لاثنين لا ثالث لهما :
لمغتبط بالحق ، ولطالب عِلْمٍ .

و الحديث إلى هذين : فنتساءل :
هل « الديمقراطية » تقابل الدين ..؟
هل تمقت « الديمقراطية » الدين ..؟

هل ثمة « دين » بلا ديمقراطية ، أو « ديمقراطية » بلا « دين » ..؟

إن العلم ـ بكل وقارِهِ ـ يسوق الحق العادل حين يقول :

رفقــا بالديمقـــــــــــراطية

إن الديمقراطية هى حكم الشعب بالشعب ؛ فعن طريق انتخاب نزيه صادر عن حق متوّج بالشرف يختار الحاكم ليكون « وكيلاً » عن الأمة فى تدبير مصالحها بالبحث عن مصادر سعادتها وممارسة توجيه هذه المصادر إلى كل الدروب والآفاق التى تأتى بخير الثمار فترفع من مستوى معيشة الأمة ، وتُؤَمِّنُ استقلالها وسعادتها ، أى أن الأمة اختارت من تراه خير الرجال ووكلت إليه تدبير شئونها فصار وكيلاً عنها « إدارياً » و « وصياً » على تراثها القومى وتقاليدها ، وآلت إليه مسئولية حفظ هذا التراث حتى لا يمس بسوء فضلاً عن أن ينال أثيم منه أدنى نيل .

ولا « أُمَّةَ » بلا دين ، فالدين أعمق تراثها وَأَغْلاَهُ ؛ إذ هو نبع تقاليدها ، وبه وعليه تبدأ حياة كل أسرة فأفرادها ، فالدين فى « الديمقراطية » أخص لوازمها لكى تكون ، فلا ديمقراطية بلا دين ولا دين بلا ديمقراطية .

ومناط الديمقراطية ثلاث :

حرية فى العقيدة ، حرية فى الاختيار ، حرية فى النقد النزيه .

وهل الإسلام إلا ذاك ..!

إن أصغر صورة ديمقراطية بمستواها الحق كائنة فى كل فرد يلحقه « غَبْنٌ » فى شىء ما ، فلا يرضى به ، ثم يذهب فيرفع أمره إلى القضاء ويطلب دفاعاً وكيلاً عنه ؛ فيتسلم محاميه مستندات الدعوى ويكون وصياً عليها ؛ فإن نجح فبها ونعمت ، وإلا كان من حق المغبون سحب ثقته منه فاستبداله .

تلك هى الديمقراطية ، وهى من لباب الإسلام ديننا الذى هو قوام حياتنا فى العاجلة والآجلة .

ثم لنسألْ أىَّ حَىٍّ شجاع الضمير :

هل الديمقراطية فى انجلترا ، أو فرنسا ، أو الولايات المتحدة تعتبر خصماً لدين أهلها ..؟!

إذاً ، كيف تكون خصماً فى الإسلام ..؟!

ومتى صادر الإسلام حرية العقيدة .. أو حرية الاختيار .. أو حرية النقد الأمين ..؟!

إن من قممه الرواسخ : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ..؟

إن الذين يفصلون الديمقراطية عن الدين .

ثم يجعلون الدين خصماً للديمقراطية .. هم ـ ببساطة :

خسروا الدين والديمقراطية جميعاً .

جزاء عادل من رب عادل حكيم .

د. على أحمد الخطيب

محمد حسنى مبارك
فى ذكرى الإسراء والمعراج
ويوم الدعاة

ألقى الرئيس حسنى مبارك كلمة مساء السبت ٢٧ من رجب سنة ١٤١٢ هـ فى الاحتفال بيوم الدعاة وذكرى الإسراء والمعراج .

بداها الرئيس :

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ الدعاة الهداة والشيوخ الأجلاء ـ ضيوف مصر من مفكرين وعلماء ـ أيها الإخوة .

كما تأتى الأعياد لتجدد النفوس بالأمل المشرق ، وتشرح الصدور بالرجاء المضىء ، تأتى بعض الأيام خلال كل عام ، لتسعد الأفئدة بالذكريات الجليلة ، وتجمل الحياة بالمعانى النبيلة ، ولاشك أن من أطيب تلك الذكريات وأقربها إلى القلب ما كان متصلا بدين الله الحنيف ، وأن أنبل المعانى هو ما كان مرتبطا بمحمد عليه الصلاة والسلام .

واليوم ـ أيها الإخوة ـ نجتمع فى رحاب ذكرى من أعطر الذكريات ، لنحتفل بها بما يتفق مع جلال المناسبة ، مستلهمين منها أنبل المعانى وأعمق العظات .

إنها ذكرى إسراء المولى بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عروجه به من الأرض إلى السموات العلا ، وذروة الملأ الأعلى حيث رأى الرسول الكريم ما رأى من آيات ربه الكبرى ، وقد خص الله رسوله الأمين بكل هذا التكريم المعجز ، فى رحلة إلهية فريدة ، ألغيت فيها قوانين الزمان والمكان ، وعطلت حسابات الحركة والجاذبية ، حين شاءت إرادة الله تعالى أن تخص حامل الرسالة بتكريم فريد ، يكافىء جهوده الصادقة المضنية فى حمل الدعوة ، وتبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، كما أراد الله سبحانه أن يقول للناس : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ ، وأن يوضح للبشر أجمعين أن الذى يعمل ويصبر ، يعينه الله عونا قد لا يخطر على بال أحد ، ولا يخضع للحسابات المألوفة ، فبالعمل الجاد والمثابرة الصادرة عن إيمان عميق ، تتحقق المعجزات الخارقة والنتائج المذهلة ، ويتمكن الإنسان من بلوغ أسمى المراتب وأنبل الغايات ، والتغلب على كافة الصعاب والعقبات .

أيها الإخوة .

إن الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة ، يواكب أحداثا إقليمية وعالمية كبيرة ، تمس عالمنا الإسلامى مسا مباشرا ، وتدعو أبناء أمتنا جميعا

كلمة السيد رئيس الجمهورية

إلى كثير من اليقظة ، ومزيد من العمل الهادف ، والكفاح بلا كلل أو هوادة لتحقيق الأمل المنشود .

إن هذه الأحداث التى نشهدها فى تلك المرحلة الدقيقة من تاريخ العالم ، تتطلب من المسلمين ـ كغيرهم ـ أن يكون لهم دور إيجابى فعال فى هذا التحول العالمى ، الذى لا مكان فيه لضعيف ، ولا موضع لمتخلف ، ولا دور لمتخاذل أو متردد . ويستلزم هذا الدور من الأمة الإسلامية عددا من الواجبات الأساسية التى تفرضها المعطيات الجديدة ، وتحتمها الأوضاع المحلية والعالمية المتغيرة .

استرداد المكانة

وأول هذه الواجبات الأساسية ، أن نعمل جميعا على أن تسترد الأمة الإسلامية مكانتها ، بشرف وكرامة ، بعد أن اتيحت لها الفرصة فى هذا العالم الجديد ، لتحقيق مزيد من التقدم العلمى والتكنولوجى

إن هذا المناخ الجديد يدعونا إلى أن نتكاتف جميعا من أجل صحوة إسلامية صادقة ، تقاوم التخلف ، وترفض التوقف ، وتدفع إلى العمل البناء والإبداع الخلاق فى سبيل الله والوطن ، وتحمى امتنا الواحدة من الأخطار التى تحيط بها فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الإنسانية .

جوهر الإسلام

وتتطلب هذه الصحوة الإسلامية الواعية الإدراك السليم لجوهر الإسلام الصحيح ، والتمسك القوى بمبادئه الإنسانية الرفيعة ، والالتزام الواعى بقيمه الحضارية الخالدة ، فهذه المبادىء والقيم ، هى التى تدفع إلى التقدم ، وتعين على الرقى ، كما انها تشكل جوهر الإسلام ومضمونه السلوكى الذى يجب أن يحرص عليه كل مسلم صادق مع الله ومع نفسه

إن العمل على تحقيق الرقى الذى تسترد به الأمة مكانتها ـ من خلال صحوة إسلامية واعية شاملة ـ هو مسئولية الجميع . فالتبصير بجوهر الإسلام الصحيح ، وقيمه النبيلة ومبادئه الخالدة ، مسئولية الدعاة والعلماء فى المقام الأول ، وهى مسئولية كل مسلم أيا كان موقعه ودوره فى الحياة الاجتماعية .

إن الرقى يبدأ بالفرد وينتهى بالأمة مرورا بالأسرة والمجتمع والدولة ، ومن هنا ، فإن الرقى ينبع أساسا من الفهم الصحيح لجوهر الدين القويم ، والتربية على نهجه السليم ، والسير على هديه فى العلاقة بين الفرد وخالقه ، وفى معاملاته اليومية مع الآخرين .

ولا شك أن الدعاة والعلماء يتحملون المسئولية الأولى فى مجال التنوير والتوجيه ، والكشف عن حقيقة الإسلام المشرقة ، وصورته السمحة المضيئة ، التى أدى الخروج عنها إلى ما يعانى منه العالم الإسلامى اليوم من كثير من السلبيات ، وولد الكثير من الحواجز المعوقة التى تعترض مسيرة الأمة على طريق البناء والتعمير ، وتحول دون تقدمنا وبلوغ غايتنا ، وأخذ مكانتنا اللائقة بنا فى العالمين إن لم نتكاتف على إزالتها .

وثانى الواجبات الأساسية التى تفرضها المرحلة الحالية هو أن تتجه سياستنا نحو السلام العادل بحيث يكون السلام منهجا ومبدأ لنا .. لا فى علاقاتنا فيما بيننا فحسب وإنما يكون كذلك أسلوبنا ومبدأنا فى التعامل مع غيرنا ، فالسلام هو الأصل الذى شرعه الله بارىء الحياة للحفاظ على تلك الحياة ، وهو السبيل إلى الاستقرار والتنمية والازدهار ثم هو روح العصر ، وهو التوجه الغالب فى عالم اليوم ، بعد أن مرت الإنسانية بحروب طاحنة كلفت الشعوب كثيرا من الشقاء والمعاناة .

إن التناحر والصراع لا يترتب عليهما إلا

إضاعة الجهد ، وإهدار الموارد وتوقف التنمية وهما يؤديان فى كثير من الأحيان إلى الخراب والدمار وسفك الدماء ودفع الحياة والأحياء إلى مهاوى الفناء .

وقد سن الإسلام بسماحته وإنسانيته الدعوة إلى السلام والحث عليه بل إنه جعله القاعدة الأساسية فى العلاقات والمعاملات الدولية ، فقال الله تعالى وهو احكم القائلين : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ بل إن المولى تقديرا للسلام قد اتخذه اسما من اسمائه الحسنى فهو «الملك القدوس السلام» كما اطلق جل شأنه على مجتمع المسلمين اسم «دار السلام» ، ودعا الناس إلى أن يستظلوا بما فى هذه الدار من سماحة وأمن ، وفى هذا يقول فى كتابه الحكيم : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

وحين أباح الله القتال للمسلمين جعله قاصرا على الدفاع عن النفس ووقاية للجماعة من العدوان ، فقال عز من قائل : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ .

وهكذا كانت الحرب استثناء من الأصل فى الإسلام ، كما كانت وضعا مشروطا لا توسع فيه ولا تجاوز .

وثالث الواجبات الأساسية التى تفرضها علينا المرحلة الحالية ، هو أن نتجه بسياساتنا وخطواتنا نحو التجمع والترابط ، وذلك سعيا إلى تحقيق التضامن والتكافل ، لأن عالم اليوم هو عالم الكيانات القوية المتراصة ، باعتبار أنها الاقدر على التعامل مع التحديات ومواجهة المشكلات ، والتغلب على المصاعب والمعوقات ، وقد سبق الإسلام إلى الدعوة إلى هذا التجمع والترابط حين قال المولى عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، فنحن حين نوحد صفوفنا ونطهر قلوبنا ، نضاعف قوتنا ونعزز سيرتنا ، ونحمى وجودنا ومصالحنا ، ونحث الجميع على الإصغاء إلينا واحترام إرادتنا .

وعلينا فى سبيل تحقيق هذا الواجب الأساسى ، أن نبدأ بالنواة الأولى للمجتمع ، فنرسخ قيم التماسك والترابط فى نطاق الأسرة ، بحيث تقوم العلاقة بين أفرادها على المودة والرحمة ، وعلينا بعد هذا أن نرسخ تلك القيم داخل المجتمع ككل ، حتى تبتعد كل طوائفه وفئاته ، عن كل ما يشق تلاحمه او يهز وحدته او يمس تماسك بنيانه ، فبهذه الأسر الإسلامية المتراحمة والمجتمعات الإسلامية المتلاحمة ، تتألف الأمة الإسلامية الفتية القوية ، الجديرة بالحياة الحرة الكريمة فى المجتمع الدولى المعاصر .

ورابع الواجبات الأساسية التى تتطلبها الصحوة الإسلامية ، أن نطبق الديمقراطية الحقة فى حياتنا ، ونتنزه عن التحكم والفردية ، ففى ظل الديمقراطية الحقة ، يشعر الناس بإنسانيتهم ، فينتمون ويعملون ويبدعون ، ويعيشون على أرضهم وهم سعداء آمنون .

وقد سبق الإسلام بالدعوة إلى الشورى منذ اكثر من الف عام ، حين أمر الله نبيه أن يشاور اصحابه ، وألا ينفرد بالرأى فى الأمور التى تتصل بمصالح المسلمين ومصائرهم ، وذلك رغم انه نبى يتلقى الوحى من الله جل شأنه ، والحكمة من هذا التوجيه الإلهى للرسول الكريم ، هى أن المولى سبحانه وتعالى أراد أن تكون الشورى دستورا مقررا وأساسا ملزما ، وفى ذلك قال لنبيه : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ووصف المسلمين بأنهم أهل شورى بحكم كونهم مسلمين ، فقال عنهم : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .

وليست الشورى مطلوبة منا فى نظام الحكم فحسب ، وإنما هى مطلوبة كأسلوب حياة ونظام معيشة فى كل المواقع وعلى كافة المستويات ، فى الأسرة والمدرسة ، فى المصنع والشركة ، فى الإدارة والوزارة ، فى المؤسسات الرسمية والشعبية على السواء ، وبهذا وحده تكون

كلمة السيد رئيس الجمهورية

الديمقراطية طابعا عاما يميز الأمة ، ويجعلها مؤهلة لان تنال مكانها المأمول في عالم اليوم والغد .

وخامس الواجبات الأساسية التي تفرضها مرحلتنا الحالية هي أن نرسخ مبدأ الحرية الملتزمة ، البعيدة عن التحكم والتسيب جميعا ، فالحرية فطرة الإنسان الأولى ، ومصادرتها تعتبر مصادرة لفطرته ، والحرية حق الشعب المقدس ، والنيل منها عدوان على مقدساته وإهدار لإنسانيته وحياته .. فالله قد خلق الإنسان حرا ، وكرمه على سائر المخلوقات ، حتى ملائكته المقربين ، فقال في تنزيله الحكيم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ولاشك أنه لا كرامة لإنسان فقد حريته ، ولذا كان من أول المسلمات أن الحرية حق مقدس للفرد ، وحق مقدس للشعب والأمة .

لكن الحرية الصحيحة التي تحفظ كرامة الفرد ، وتصون نظام المجتمع ، وتصلح أمر الأمة ، هي الحرية الملتزمة ، التي لا اعتداء فيها على حق الغير . ولا تجاوز يسيء إلى مصلحة المجموع . ولا إخلال بالتوازن المطلوب بين المصالح المختلفة ، إنها الحرية المنضبطة، ذات الضوابط التي تحمي من الفوضى ، وتضمن الا تتحول الأوضاع إلى همجية مدمرة ، تنذر بأوخم العواقب ، وتهدد المجتمع بالعودة إلى الوراء ، والقضاء على المكاسب التي حققها الشعب على طريق الديمقراطية .

وعلينا إذن أن نمضي يدا واحدة في طريق الحرية الملتزمة الواعية ، سائرين بخطوات واثقة رشيدة ، تضمن لنا حياة آمنة ، وتفتح الباب فسيحا للبناء والإنجاز وتنطلق الجموع في موكب الزحف الحضاري الكبير ، تبني وتعمر ، فيرتفع البنيان ، وترفرف أعلام الجد والعزة .

وسادس الواجبات التي تفرضها المرحلة الحالية ، ان نعمق الإحساس بقيمة الإخاء بيننا ، وأن نجعله أساس لعلاقاتنا في كل حياتنا ، حتى يعم التعاطف ، ويشيع التعاون ، وتتعمق المحبة في النفوس فالإخاء مطلوب بين الأفراد ، ومطلوب بين الجماعات ومطلوب بين الدول ومطلوب بين عناصر الأمة ، فبه يختفي العداء وينتهي الشقاق ويزول الصراع وتتلاشى كل عوامل التفرق والتمزق ، والاتجاه نحو التجمع والترابط لا يتحقق على وجهه الصحيح إلا في ظل سيادة الإخاء بين البشر ، ومن هنا اعتبر الإسلام جميع ابنائه إخوة ، والنصوص الكثيرة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تلح على تأكيد هذه الاخوة وترتفع بها إلى درجة تشبه الأخوة في النسب فالقرآن الكريم يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ والرسول الأمين يقول : المسلم أخو المسلم بل إن النبي ﷺ ، جعل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولو أننا أخذنا انفسنا بمبدأ الإخاء وجعلناه طريقا إلى التقارب والترابط لجعلنا من انفسنا تلك الأمة التي تشبه الأسرة الواحدة التي أساسها الحب والتعاطف وقوامها التسامح الحق ورباطها التعاون الراسخ والتي يكون أفرادها إخوة حقيقيين يجمع بينهم الشعور الواحد ويدفعهم إلى التقدم الأمل الواحد ويظلل وجودهم الإيمان بالله الواحد .

وسابع الواجبات الأساسية تفرضها المرحلة الحالية ، أن تنهض بلادنا بالتنمية الشاملة وحسبنا أن نذكر قول الله سبحانه : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ وأن نستوعب المعنى الذي قصده الرسول الكريم حين قال لرجل صافحه فوجد يده خشنة من أثر العمل بالفأس : هذه يد يحبها الله ورسوله ، فالتقصير عن العمل والقعود والكسل ليسا من

سمات المسلم ولا مما يقره الإسلام ، والزهد السلبى الذى يولى الظهر لإيجابيات الحياة والعمل فيها والإنتاج لها والإبداع من أجلها ، يتعارض مع خُلق المسلم الصحيح وجوهر الإسلام الصحيح ولنتذكر دائما قول الرسول الكريم : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل » فإذا أردنا أن تأخذ امتنا مكانها الجدير بها فى العالم الجديد ، فعلينا أن نأخذ بالتنمية الشاملة التى توفر للأمة قوتها وتلبى مطالبها وتغنى مواردها وتعزز استقلالها وحرية إرادتها .

إننا إذ ندعو إلى تنمية القوة الأمنية والدفاعية للبلاد ، فإنما ندعو إلى حماية سلامنا وسلام الآخرين ، فتلك القوة تحول دون الصدام المسلح وترد على التفكير فى الحرب أى أن الاستعداد والتسلح بالقوة يكون مشروعا عندما يستخدم لتأمين البلاد لا لشن العدوان ، وللحماية لا للبغى وللدفاع والوقاية لا للهجوم وترويع الآمنين .

وثامن الواجبات المفروضة علينا فى هذه المرحلة ، أن يحمل كل منا أمانته بشرف ؛ وأن يرعى صالح الأمة فيما يأخذ وفيما يترك ، وأولى الأمانات هى أمانة الكلمة ، فلا ينبغى أن توظف الكلمة للتضليل أو المزايدة أو التزييف ، ولا يصح أن تعبأ الجماهير بالشعارات البراقة والهتافات الجوفاء ، من أجل غرض شخصى زائل أو مكسب حزبى رخيص .. إن الكلمة شرف ورسالة ، وما أصدق قول المولى سبحانه ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ وما أروع قوله جل شأنه : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ .

العمل لمساعدة المسلمين

وتاسع الواجبات الأساسية فى هذه المرحلة التحولية ، أن نضاعف العمل من أجل إخواننا المسلمين ومساعدتهم فى حل مايواجههم من مشكلات ، وما يعترض حياتهم من مصاعب على امتداد خريطة عالمنا المعاصر ، وتلك هى مسئولية جماعية تفرضها علينا روح الإسلام وتدعو إليها تعاليمه ، التى تحض على التكافل والتواصل والتراحم .

ايها الإخوة :

هذه الواجبات الأساسية التسعة هى خواطرى التى استلهمتها فى هذه الذكرى العطرة .. ذكرى ليلة الإسراء .. وكلها واجبات اداها المسلمون الأوائل ، فبلغوا بأنفسهم وأمتهم أعلى مكان ، وخُلد عملهم وما قدموا على مر الأزمان . وأرى أننا إذا ادينا هذه الواجبات الأساسية على وجهها الصحيح ، فإننا نكون قد سرنا فى الطريق المستقيم ، وبلغنا بعونه تعالى الأمل المنشود .. إنها واجبات دعا إليها ديننا العظيم ، وحث عليها رسولنا الكريم الذى نحتفل اليوم بذكرى إسرائه ومعراجه ، فليكن احتفالنا بداية لصحوة إسلامية كبرى نستدرك بها ما فات ، ونصل عن طريقها ما انقطع ، ونبلغ عند تحقيقها ما نؤمله لأمتنا الإسلامية من مكانة رفيعة فى العالم الجديد .

أما أنتم أيها الدعاة الهداة .. فتحية لكم فى يومكم .. تحية تقترن بالإجلال لدوركم والاعتزاز بعلمكم .. فالداعية يتحمل مسئولية كبرى فى الدعوة إلى الحق .. وإبراز الوجه المشرق للإسلام الحنيف ، وتنقية حاضرنا من شوائب الفهم المغلوط للشريعة السمحاء .. ومحاولات استخدام الدين العظيم لستر جرائم ضد أمن المسلمين ، واستقرار أوطانهم وسلامة شعوبهم .

والله نسأل أن يساعد امتنا ، ويحقق صحوتنا ونهضتنا ، ويعلى فى عالم اليوم والغد قدرنا ومكانتنا .. فهو حسبنا ونعم الوكيل .. وكل عام وانتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

الإسراء معجزة ذاتية للرسول
علينا أن نحمي بيت المقدس

ألقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر كلمة فى الحفل حيا فيها حفاوة الرئيس محمد حسنى مبارك بالدعاة .

وقال : إننا نحتفل هذه الليلة بذكرى معجزة ذاتية لرسول الله - ﷺ - لقد أسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

هذا الإسراء وهذه الرحلة كانت رحلة لتسلم القيادة قيادة الدين إذ أن الله أسرى بعبده ليشهد مع الرسل السابقين الذين صدقوا برسالته فجاءوا ليؤمهم ويسلموه قيادة وحدة الدين .

هذه الرحلة لم تكن مجرد رحلة عادية وإنما أنعم الله بها على نبيه - ﷺ - حافزا على المضى فى دعوته وتقديرا لما تحمّل فى سبيلها وفى وقت اشتدت عليه وأمامه المعوقات .. فكان فى حاجة إلى أن يشد الله أزره ويطلعه على ما لم يطلع عليه غيره فكانت هذه الرحلة إلى بيت المقدس ..

ثم كان عروج النبى - عليه الصلاة والسلام - من هذه البقعة المباركة إلى حيث شاء له ليتلقى أوامر الله ومنها الصلاة .. الصلاة التى قال عنها رسول الله - ﷺ - أنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين .

هذه الصلاة التى هى مناجاة بين المسلم وربه يخلو بها إلى ربه يخاطبه بآياته وبقرآنه ليذكرنا أن هذا القرآن هو سبيلنا إلى الله وسبيلنا إلى النصرة فى الدنيا والفوز فى الآخرة .. تلقى الرسول - ﷺ - فرض الصلاة وجاء بها مبلغا رسالة ربه .

تلك المعجزة من مكة إلى المدينة ذاتية بكل المعايير والمقاييس لم يسبق إليها ولم يمنح أى من رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - هذا الفضل الكبير .

ثم هذه الرحلة من مكة إلى المدينة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليعود الرسول - ﷺ -

ومعه زمام القيادة إلى القبلة الدائمة إلى القبلة التى ستكون الصلاة إليها إلى يوم الدين ، فانتقلت بذلك الرياسة ووحدة الدين ليشهد الناس وليعلموا أنه خاتم الرسل - ﷺ - وصاحب الرسالة الخاتمة وأن كتابه القرآن هو الكتاب الحكم العدل إلى يوم القيامة .

فهل لنا نحن المسلمين أن نسارع إلى حماية بيت المقدس وأن نعمل على صيانته وأن نساند القائمين على أمره الذين يحمونه بأجسادهم وبأرواحهم .. هل لنا أن ندعمه وأن نسانده بكافة ما تكون به المساندة .

إننا فى حاجة إلى أن نظهر ونبرز مساندين ومساعدين لهؤلاء الذين يحمون هذا المسجد .. ويحمون الموقع الذى كان منه عروج الرسول - ﷺ - وأن تظل كل البلاد الإسلامية والأمة الإسلامية متصلة .

وإننا لا ننسى ما تقوم به مصر فى هذا السبيل وما يقوم به الرئيس محمد حسنى مبارك ، من جمع الكلمة ووحدة الصف والسعى إلى استخلاص الحق .

نسأل الله بحق هذه الليلة المباركة وبحق هذا الجمع الذى جاء ليحتفل بهذه الذكرى ، نسأل الله أن يثبت أقدام المفاوضين وأن يؤيدهم بنصر من عنده وأن يشرح قلوبهم للحق وأن يعينهم وأن يوفقهم لإنهاء هذه المأمورية لتأمن فلسطين وليأمن المسجد الأقصى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

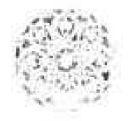

شهر شعبان وليلة النصف منه

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

لشهر شعبان فى الإسلام مكانة خاصة بين الشهور ، فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخص هذا الشهر بالكثير من الصوم ، روى النسائى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يارسول الله ، لم أرك تصوم فى شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : « ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

والمراد أنهم يغفلون عن تعظيم شعبان بالصوم كما يعظمون رمضان ، وكانوا يعظمون شهر رجب فى الجاهلية . قال الشوكانى : ولعل الحكمة فى صوم شهر شعبان أنه يتعقبه رمضان وصومه مفترض ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر من الصوم فى شعبان قدر مايصوم فى شهرين غيره لما يفوته من التطوع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان .

وعن أم سلمة رضى الله عنها : « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم يصوم أكثر من شعبان فإنه كان يصومه كله » .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان » رواه الترمذى وقال حديث حسن وأبو داود ولفظه قالت : « لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان كان يصله برمضان » رواه النسائى باللفظين جميعاً .

وفى الحديث الذى رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يطلع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفى رواية الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن أو قاتل نفس » .

هذه الأحاديث وغيرها تعلى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها ، وصوم يومها طلبا لرحمة الله ومغفرته واستزادة من مرضاته ، واستقبالاً لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه سبحانه يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير مايعبد الله به فى هذه الليلة المباركة الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء بما يفتح الله به على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ماعلمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة ، بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار ، والتسبيح والتهليل والتكبير وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

هذا : ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام دعاء خاص فى هذه الليلة ، ولعل الأولى التأدب بأدب القرآن والتزام ماجاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جوامع الدعاء ، إذ بها تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتنغلق أبواب الشرور والآفات ، ومن أدب الدعاء الإخلاص والإقبال على الله ، فادعوا الله مخلصين له الدين واقبلوا على الله لاسيما فى مواسم الخير والبر يكن الله معكم .. بالحفظ والرعاية والتوفيق .

ومن الأحداث العظيمة التى وقعت فى هذا الشهر المبارك تحويل القبلة فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ففى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى نحو المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ **فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فصلى مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة » .**

وقد ضبط أهل الحديث والسير أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

هذا الأمر كله كان فى شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وقد كان استجابة لدعائه وابتهاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمر بالتوجه إلى القبلة التى كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وأن ذلك هو الحق من الله ، والكعبة هى قبلة إبراهيم عليه السلام .

بيان من الأزهر الشريف
حول الفتن المثارة على الساحة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه وبعد

فلقد تفرقت بالأمة السبل ، وضل بنوها الطريق حتى استهدفهم الغير ، وتضافرت عليهم قوى الباطل ، وتناصرت طواغيت البغى ، : تبغى النيل من الإسلام ، وإضعاف حال المسلمين ، وتمزيق شملهم ، وتشتيت جمعهم ، وبث روح الفرقة والاختلاف والنفار فيما بينهم .

الأمر الذى يتطلب من المسلمين أن يكونوا فى يقظة من أمرهم ، وفطنة فى تقديرهم ، وحرص على تفويت الفرصة على أعدائهم ، والتصدى لهم بكل ما أوتوا من قوة ..

وإنه مما يؤسف له أنه فى تلك الآونة التى تحتاج منا إلى مزيد من الوعى واليقظة ، والتآلف والتراحم ، والتكاتف والتلاحم ؛ نسمع أصواتا تنبعث من بين صفوفنا ، لتبث روح الخلاف فيما بيننا ، وتشغلنا عن قضايانا الأساسية والمصيرية بقضايا جانبية هامشية ، حتى صار بأسنا بيننا شديدا ، ونار الفتنة تضطرم هنا وهناك ، حتى لتكاد تصل إلى حد الاقتتال ، وإهدار الدماء ، مع أن رب العزة ـ جل شأنه ـ حذرنا من ويلات الفتن كلها قائلا : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الآية ٢٥ من سورة الأنفال) .

كما حكم سبحانه على الفتنة هذا الحكم الواضح الصريح فقال ـ جل شأنه ـ : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (من الآية ١٩١ من سورة البقرة) .. وفى الآية السابعة عشرة بعد المائتين من نفس السورة قال عز من قائل ـ : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ .. ذلك : لأن من شأن الفتنة أن تضرم نارا لا يعلم مداها إلا الله .. قد تبدأ بالسباب والنفار .. وصولا إلى الاقتتال والدمار ، وسباب المسلم فسوق وقتاله كفر .. كما جاء فى الهدى النبوى الشريف ، وكيف لا يكون قتاله كفرا وقد جاء فى قول من لا ينطق عن الهوى ـ صلوات الله وسلامه عليه : وذلك فيما رواه الشيخان وأبو داود .. والنسائى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ .. « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

كما روى الشيخان والترمذى ـ عن أبى موسى ـ مرفوعا ـ .. « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

وجاء ـ متفقا عليه ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لايشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار » .

وإن من الفتنة أن يستبيح أصحاب الأقلام والمتحدثون لأنفسهم المساس بالقيم والمبادىء الإسلامية عن وعى أو غير وعى ، أو يدلى أنصاف المتعلمين بدلوهم فى أمور الدين التى لا يحيط بها خبرا إلا المتخصصون الذين عناهم قول رب العالمين سبحانه فى الآية الثانية والعشرين بعد المائة من سورة التوبة : ﴿ وَمَا كَانَ

الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ، فإن هذا بلا شك يثير حفائظ الغيارى على دينهم فتنشب الفتن » .

كما أن من الفتنة أيضا تلك النغمة التى سرت من رمى بعض المسلمين لإخوانهم بالكفر .. لا لشىء إلا لأنهم قد صدرت عنهم هفوة ، أو وقعت منهم زلة ، أو اقترفوا ذنبا ، مع أن المسلم لا يكفر بذنب أبدا إلا إذا جحد ماهو معلوم من الدين بالضرورة .

ومن هنا فلا يصح لمسلم أن يسب أخاه أو يرميه بالكفر ، فلقد حذرتنا السنة المطهرة من ذلك فيما رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء - أى رجع - بها أحدهما ، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه » .

كما روى البخارى ومسلم عن أبى ذر - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ومن دعا رجلا بالكفر أو قال ياعدو الله وليس كذلك إلا حار - أى رجع - عليه » .

وروى البزار - ورواته ثقات - عن عمران بن حصين - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إذا قال الرجل لأخيه : ياكافر .. فهو كقتله » .

والأزهر الشريف يهيب بالكتاب والمتحدثين أن يلتزموا بالكلمة الطيبة .. فإن الله قد ضرب لها مثلا فى قرآنه فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ . (الآيتان ٢٤ / ٢٥ من سورة إبراهيم) ..

كما ضرب الله مثلا للكلمة الخبيثة فقال - جل شأنه - : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (الآية ٢٦ من سورة إبراهيم) .

وما ذلك إلا لنقتدى وننهج نهج القرآن فى الإيضح والإفصاح .. فإن للكلمة أثراً يظل مستقرا فى النفوس فإن كانت طيبة أثرت وأينعت ، وإن كانت خبيثة أثارت وأحرقت ، وقد قيل :

جراحات السنان لها التئام

ولايلتام ماجرح اللسان

ثم إن الأزهر الشريف لينصح أصحاب القصص والروايات بأن يتقوا الله فى أمتهم وفى دينهم ، فلا يتمثلوا حدود الإسلام وحرماته من خلال رؤاهم ، وفيما يبتغون من قصص وروايات ، وليتركوا الغيبيات فى حدودها التى سترها الله عن بنى الإنسان ، ولنؤمن بما أوحى الله فى قرآنه من ثواب وعقاب فإن هذا من أصول الإيمان ، ولنبتعد عن محاولة الولوج وراء أستار الغيب ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، ولنعلم أن كل إنسان محاسب على حصائد لسانه وقلمه ، وفى هذا كان توجيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للصحابى الجليل معاذ بن جبل - رضى الله عنه - حين قال له : « أمسك عليك هذا - وأشار إلى لسانه - فتساءل معاذ بن جبل فى دهشة : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يوم القيامة ؟ فأجابه الرسول الكريم : ثكلتك أمك يامعاذ ، وهل يكب الناس على وجوههم فى النار يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم » . ألا :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الآية ٦٣ من سورة النور) فلقد كان من دعاء سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ..

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

نداء من مشيخة الأزهر

للوفاق بين الفرقاء المتقاتلين

من المسلمين

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ـ وبعد ـ فهذه الأمة الإسلامية اجتمعت على كلمة الله (القرآن) وعلى هدى رسول الله محمد ـ ﷺ ـ الذى ضمن لها الهداية والسعادة فى الدين والدنيا والآخرة إذا هى اعتصمت بهذين المصدرين :

روى الإمام مالك :

أن النبى ـ ﷺ ـ قال :

تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ .

وفى كتاب الله القرآن قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا .. ﴾ .

فهذا أمر من الله سبحانه بالوحدة والجماعة ونهى عن التفرقة والاختلاف .

وفى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا : يرضى لكم : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال وفى سورة الأنفال قول الله سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ .. ﴾ .

وهذا أمر آخر من الله للمؤمنين بطاعته سبحانه وطاعة رسول الله ـ ﷺ ، ونهى عن التنازع الذى يترتب عليه الفشل والتفرق والضعف الذى يودى بالأمة .

ولقد مرت بأمة المسلمين أحقاب حالكة وظلمات قاتلة منذ تفرقت بها السبل ، وقامت على أرضها القبلية والعرقية ، فبعد أن كانت أمة واحدة يسعى بذمتها أدناها وهم يد على من سواها ، فرقها الاستعمار حتى صارت شعوبا وقبائل وأوطانا مختلفة ، وأقام بين هذه الأوطان حدوداً وفواصل ، وأذكى بينها روح العداوة والبغضاء ، حتى نسيت الأمة الواحدة تاريخها الماضى وسهل عليه أن يقودها إلى ما يريد من فرقة وضعف ، وتمكن من انتهاب ثرواتها وتبديدها واستثمر موقعها الممتاز فى معالجة الاستعمارية ونسيت أمة الإسلام ما بينها من أواصر القربى تلك الأواصر التى صنعها الله سبحانه .

فهذا القرآن الكريم نزل به الروح الأمين هو عقيدتكم وشريعتكم وحبل الله المتين الذى يربط بين قلوبكم ، هو مرآتكم الذى تستعيدون به وفيه ماضيكم التليد وتصلون به حاضركم الجديد وتستطلعون فيه مستقبل أجيالكم .

وهذه سنة رسول الله - ﷺ - فيها تبيان ما خفى عنكم ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ .

وهذا الإسلام دين الله جمع الله به شملكم وآخى بينكم ففى سورة الأنبياء : ﴿ . . . . إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . . ﴾ .

ولقد اختبر الله سبحانه وحدة هذه الأمة ليعلم الصابرين منها وليبلوا أخبارها . ولم تكن هذه الاختبارات فى صورة واحدة وإنما فى صور متنوعة .

وكان مما ابتلى به الله هذه الأمة حديث المستعمرين عن المذاهب والأعراق وأنها لا تلتقى ، حتى اشتعلت هذه الفتنة لدى الأمة الإسلامية سببا للتفرقة والوهن من وحدتهم ، وليحول دون اتحادهم فى الاتجاه والغاية ، مع أن الله قد حذر المسلمين فى كتابه من هذه الحال فقال فى سورة آل عمران : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ . . . ﴾ وقال فى سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ .

وبهذا نهى الله عن الفرقة والاختلاف الذى يهدد وحدة الأمة ويجعلها طوائف متقاتلة ، وأوضح طريق التغلب على هذه الفرقة ، وصون الوحدة عند الاختلاف ، ذلك هو تحكيم كتاب الله وما أثر عن رسول الله - ﷺ - من صحيح القول وثابت العمل والقضاء .

فهذه رابطة الدين توثق وحدتكم وتجمع كلمتكم وهى مرآة حياتكم ، تزيد تعاونكم ، وتستديم مودتكم ، وتستكثر لقاءاتكم وتدعوكم إلى التعاون فى دفع محاولات أعدائكم نحو الكيد بكم والنيل منكم .

ثم هذه رابطة الرحم والجوار بعد إذ امتد بكم الإسلام إلى رقعة فسيحة من الأرض متصلة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وقد فرض الله عليكم أن تعرفوا حق الرحم والجوار فى آيات عديدة من القرآن طلبا للترابط والتراحم فيما بينكم حتى تكونوا كما وصفكم رسول الله - ﷺ - فيما رواه البخارى ومسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . وشبك بين أصابعه .

لقد وجب - بهذا - على أمة المسلمين أن تستمسك بهذه الروابط إمامة القرآن والسنة ، الدين الواحد ، وصلة الرحم والجوار . لصيانة حوزتها وتقوية وحدتها والدفاع عن حرماتها وعن المستضعفين من شعوبها .

للوفاق بين الفرقاء المتقاتلين من المسلمين

ولقد وضع الإسلام مبدأ لإخماد حركات التآمر على المسلمين ، ووقف إثارة فتنة الفرقة بينهم .
وعبر القرآن الكريم عن هذا المبدأ بقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

ومشيخة الأزهر الشريف عندما تسوق هذا النصح إلى جماهير الأمة الإسلامية وإلى زعمائها فى كل مكان ، إنما تعنى التنبيه إلى ظاهرتين خطيرتين تظلان كثرة من الشعوب الإسلامية بظلال كدرة عليها فترة :

أولاها: أن بعض الأقليات الإسلامية تتعرض لمحن قاتلة ، فهى مستضعفة فى أوطانها مطرودة من ديارها ومساجدها ومدارسها مهددة بالتدمير كما يحدث فى الهند وبلاد أخرى دون ردع أو حماية من حكومات تلك البلاد وكأن هؤلاء ليسوا من المواطنين لهم حقوق على تلك الحكومات .
وأن الأخوة الإسلامية تقتضى مؤازرة هؤلاء المستضعفين والسعى لحماية حقوقهم فى دورهم ومساجدهم ومدارسهم والحفاظ على حياتهم وأموالهم ، فى وقت تتنادى فيه الدول والشعوب بالمساواة وتتواصى بحقوق الإنسان وبحرمة العقائد والأديان .

الظاهرة الأخرى : هذا الشقاق والاختلاف والاقتتال الدائر فى الصومال وفى القرن الإفريقى بوجه عام ، وفى بؤر إسلامية أخرى هنا وهناك ، يقتل بعضها بعضا ويهدمون الدور والمساكن ويهلكون الحرث والنسل غافلين عن قول الرسول ـ ﷺ ـ الذى رواه ابن عمر فى مسند الإمام أحمد : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ... » .

ياأيها الفرقاء المتقاتلون فى أى مكان من أرض المسلمين اتقوا الله فى أنفسكم وأهليكم وأرضكم وأمتكم .
هذه الأرواح التى أزهقت وتزهق فى سبيل الشيطان والخسران وهذه الدور والمدارس والمستشفيات التى أحرقت وهدمت وهؤلاء النساء والأطفال والشيوخ الذين لا حول لهم ولا طول الذين تشردوا وصاروا بلا مأوى ولا زاد ولا دواء ولا سقاء .
ما بال كل هذا لم يحرك الرحمة فى قلوبكم ولم ينبهكم إلى إنهاء القتال حفاظا على مستقبل أمتكم وأوطانكم .
أيها المتقاتلون على أرض المسلمين ، كونوا عباد الله إخوانا واجلسوا معا وتحاوروا وتشاوروا فإن الله شرع الشورى بين المسلمين فقال سبحانه فى سورة آل عمران مخاطبا رسول الله ـ ﷺ ـ ومن ورائه أمته ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ ﴾ وفى سورة الشورى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .
ولقد نفذ أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ورضى الله عنهم هذه الشورى حين لحق ـ ﷺ ـ بالرفيق الأعلى

حيث تركوه مسجى فى فراشه واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة فى حوار لا شقاق فيه ولا نفاق وإنما الرأى والرأى الآخر .

وحين وضح الأمر واتضحت الحجة قام عمر الفاروق - رضى الله عنه - وقال لأبى بكر رضى الله عنه : « رضيك رسول الله - ﷺ - لديننا أفلا نرضاك لدنيانا ابسط يدك أبايعك » فبايعه وقام الحاضرون وبايعوا أبا بكر خليفة .

فعليكم أن تسلكوا هذا الطريق القويم ولا يكن أمركم عليكم غمة .

ولقد فتح الله لكم وعليكم باب رحمته حتى توقفوا الاقتتال وتثوبوا إلى الأخوة والمودة والرحمة بهذه الدعوة العاجلة من مصر لجامعة الدول العربية ولكم فى إخوانكم وزعماء المسلمين السند الذى يرفع عنكم إصركم .

وإن مشيخة الأزهر الشريف لتتوجه إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بكل التقدير لهذه المبادرة إلى دعوة الجامعة العربية لأخذ دورها نحو جمع هؤلاء الإخوة الفرقاء المتحاربين على أرض المسلمين فى أفريقيا ليجلسوا للصلح وجمع الكلمة ووحدة الصف حتى يصيروا عضدا قويا وعضوا نافعا وعاملا فى أمن وأمان وحماية الأمة الإسلامية والأمل أن يستجيب هؤلاء ويتم الوفاق فإن ما صلح عليه أول هذه الأمة يصلح به آخرها وحاضرها .

إيمان وكفاح وتضامن فى تماسك وقدرة على تجاوز الأخطاء ونقاء من الأنانية والتباغض والتحاسد وصون لمصلحة الأمة وإغلاق لأبواب الفتن ما ظهر منها وما بطن وصبر حتى النصر : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

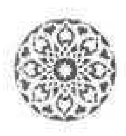

مع سورة الأنفال

النصر من عند الله

دكتور: عبد الجليل شلبى

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

المفردات اللغوية :

تستغيثون :من الغوث والإغاثة ، بمعنى تستنصرون ، أى تطلبون النصر على الأعداء والظفر بهم . أو بمعنى تستجيرون ، أى تطلبون الخلاص والإنقاذ من الهلكة والشدة ، وكلا المعنيين مناسب فى الآية ، فإن المسلمين استغاثوا بالله ليخلصهم وينقذهم من اعدائهم ، ولينصرهم عليهم .

مردفين :بوزن اسم الفاعل بمعنى متتابعين يردف بعضهم بعضا ، أى يتبعه ويأتى عقبه ، قال ابن عباس : ملك وراء ملك . وقيل التقدير : الف من الملائكة مردفين مثلهم ، أى الف بعد الف ، كما نقول أردفت فلانا دابتى ، وكان فلان ردفا أو رديفا لصاحبه ، يعنى يتبعه ويمشى وراءه ، ففى الآية مفعول محذوف .

وقرىء : مردَفين ـ بفتح الدال ، وبصيغة اسم المفعول ـ من أردف ، أى إن الله أردف المسلمين بهم .

وقرىء ايضا « مُرَدَّفين » . بضم الميم وفتح الراء وتشديد الدال مفتوحة ، من الفعل ردَّف ، بوزن كلَّم . وقرىء ايضا .. مُرُدِفين .. بضم الميم والراء ، وبكسر الدال مخففة غير مشددة . ويجوز فى اللغة ايضا مردِّفين ـ بكسر الدال المشددة ، مع فتح الراء ، ومُرُدِّفين ـ بضم الميم والراء ـ مع كسر الدال المشددة ايضا ، وجاء فى الصيغة نفسها مُرِدِّفين ـ بكسر الراء .

قال سيبويه : أصل الكلمة : مُرتدفين ، فأدغمت التاء فى الدال ، أى بعد قلبها دالا ، كما فى ازدلف ، وازدجر ، وادكر ـ طرحت حركة التاء على الراء ، فصارت ـ مردِّفين ـ وإن شئت لم تطرح حركة التاء ، فيكون كسر الراء لالتقاء الساكنين .

والذين ضموا الراء ، ضموها اتباعا لحركة الميم .

والمعنى فيها جميعا واحد - قال الزجاج : يقال : ردفت الرجل إذا ركبت خلفه ، وأردفته إذا أركبته خلفي ، ويقال : دابـه لا ترادف ، ولا يقال : لاتردف ، ويقال أيضا : أردفت الرجل إذا جئت بعده .

المعنى الإجمالي

لما كان يوم بدر - وهو أول معركة حربية للمسلمين مع المشركين - ولم يكن المسلمون مستعدين لحرب ، نظر رسول الله - ﷺ - إلى أصحابه وكانوا قلة لا يتجاوزون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، ونظر إلى المشركين . وكانوا ألفا و ويزيدون فأشفق على أصحابه ، ولم يجد إلا اللجوء إلى الله فى هذه الشدة ، فاستقبل القبلة ومد يديه إشارة إلى الضراعة والابتهال . وكان عليه رداؤه وإزاره ، وأخذ يناشد ربه - سبحانه - ويبتهل إليه ، ومن دعائه فى هذا الموقف : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض أبدا » . وظل يهتف وظل يدعو ويبتهل ماداً يديه حتى سقط رداؤه من فوق كتفيه ، فأتاه الصديق أبو بكر ، فرد عليه رداءه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال له : يانبى الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك .

وتدل أدعية رسول الله - ﷺ - الكثيرة على مدى ما كان يخشاه على أصحابه من كثرة أعدائهم وقوتهم عددا وعدة ، مع قلة المسلمين أمامهم ، ونقص آلاتهم ، فلم يكن بينهم فارس إلا رجلاً واحدا ، هو المقداد بن الأسود ، وكان الكثير منهم مشاة يحاربون على أقدامهم .

وجاء أيضا فى صفة هذا الموقف أنه - ﷺ - كان يدعو وهو يصلى . ففى رواية سعيد بن منصور أنه صلى ركعتين وأبو بكر عن يمينه ، وكان يقول وهو فى صلاته : « اللهم لا تودع منى ، اللهم لا تخذلنى ، اللهم لا تترنى [من وتره يتره ، إذا مسه بالأذى أو نقصه حقه - ومنه فى القرآن : ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ -] اللهم أنشدك ماوعدتنى ، اللهم هذه قريش أتت بخيلائها وفخرها تحادك ، وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى » .

ويروى أيضا دعاء آخر يقول فيه :

« اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد » فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك - فخرج من صلاته وهو يقول : « سيُهزم الجمع ويولون الدُّبر » وبدا عليه البشر ، وذهب خوفه .

كشف الله له عن مصارع الصناديد من المشركين ، فصار يعين أمكنة مصارعهم لأصحابه فانبعثت فى نفوسهم الحمية ، وزال ما بهم من خوف وتردد .

ويفهم من كلام المفسرين ورواياتهم أنه - ﷺ - قبل أن تكشف له مصارع القوم ، كان كثير الدعاء شديد الضراعة ، وقد تعددت صيغ الأدعية التى دعا بها ، وبعضها كان فى صلاته ، وبعضها كان فى غير صلاة ، وبعضها سمعه أبو بكر وعمر وحدهما ، وبعضها سمعه غيرهم من الصحـابـة وأمنـوا عليـه ، وكلمـة أبى بكر : « بعض مناشدتك ربك تنبىء عن طول هذه المناشدة وكثرة الدعاء .

وإسناد الفعل « تستغيثـون » إلى واو الجماعة ، إمَّا لأن النبى - ﷺ - يمثل المسلمين

النصـــــر من عند الله

الذين معه فى هذا الموقف جميعا ، وإما لأنهم هم أيضا كانوا يدعون ويستغيثون والذين آمنوا على دعائه هم أيضا مستغيثون ، لأن من أمن على دعاء فقد دعا به .

وقد استجاب الله لهذه الفئة القليلة من المؤمنين فغلبوا الفئة الكثيرة من المشركين قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وردوهم على أعقابهم خاسرين .

ويثار هنا أمر جدير به أن يبرز تلقائيا ، ذلك أن الله وعد النبى - ﷺ - إحدى الطائفتين طائفة العير القادمة من الشام مع أبى سفيان ، وطائفة النفير التى خرجت من مكة ، وفيها صناديد قريش وكبراؤهم . وقال له : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ ، وهذا يقتضى أنه كان يعلم أن المسلمين منتصرون لا محالة ، لأن طائفة العير قد مرت ، ولم يبق إلا هذه الطائفة ، فلم كان هذا الخوف ، ولم كان الدعاء والاستغاثة ؟

فللمفسرين فى هذا أقوال قد تكون كلها جيدة .

قيل إن هذا لأنه كان مشفقا خائفاً على صحبه ، فهم قد ينتصرون ولكن بعد أن يقتل منهم عدد كبير ، وخصوصا أن قريشا رمتهم بأفلاذ أكبادها . وصناديد محاربيها ، وهؤلاء الأشداء من قريش لابد أن يكون لهم أثر ورهبة فى نفوس أعدائهم ، وهو رأى لا يخلو من وجاهة .

وقيل إن الوعد بهذا النصر لم يأت إلا فى وقت الاستغاثة ، وأن جملة ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾بدل من جملة ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ﴾ -أو إن تقدير الكلام : أن الله وعدكم حين كنتم تستغيثون - فالاستغاثة والوعد والاستجابة كلها كانت فى زمن واحد ، استغاث رسول الله - ﷺ - واستغاث المؤمنون فاستجاب الله لهم وأخبرهم بأنهم منتصرون ، وأطلع نبيه على مواضع مصارع القوم ، ولهذا أعقب النبى هذا الدعاء باطلاع أصحابه على مصارع القوم ، وقد عينها لهم ثم كانت فعلا كما عين . وقد انبعثت فى نفوس المسلمين الشجاعة وقويت معنوياتهم لأنهم مؤمنون يثقون بقول نبيهم - ﷺ .

ويتصل بهذا أيضا ما كان عليه أبو بكر من الاطمئنان والهدوء . إزاء ما كان عليه النبى من القلق ، وقد عمل أبو بكر على تهدئته ، وأخذ يطمئنه بأن الله سينجزه ما وعده ، وطلب منه أن يكف عن مناشدته ربه ، وكان النبى - ﷺ - أولى وأحق بالاطمئنان . والثقة بوعد ربه .

وقد أفاض المفسرون فى شرح هذا الموقف ، قال الإمام الخطابى : لايجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه فى تلك الحال ، فإن الحامل للنبى - ﷺ - على هذا الدعاء هو شفقته على أصحابه ، ورغبته فى تقوية قلوبهم ، فبالغ فى التوجه والدعاء تسكينا لنفوسهم ، فهم يعلمون أنه - ﷺ - مستجاب الدعاء ، وقد ظهر ذلك فى اطمئنان أبى بكر ، وهذا يعنى أن اطمئنان أبى بكر ناشىء من ضراعة النبى وابتهاله .

وقيل أيضا إن الوعد بالانتصار على إحدى الطائفتين ، ليس من الحتم أن يكون فى هذا اليوم ولا فى هذا الموقف ، وقد يكون بعده فى موقف أو مواقف أخرى .

ويذكر فى هذا الصدد أن أبا بكر يوم هجرة النبى - ﷺ - إلى المدينة ، إذ هما فى الغار كان هو الخائف الوجل ، وكان النبى آمنا مطمئنا ،

يقول له : لاتحزن أن الله معنا ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، فهو الذى كان يهدىء أبا بكر ويسكن من خوفه ، على عكس ما فى هذا الموقف ، فما الفرق بين يوم الهجرة ويوم بدر ، وكان يوم الهجرة أشد خطرا !

والفرق بين الموقفين أن النبى - ﷺ - كان واثقا من نصر ربه ، إذ أنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنوده من الملائكة ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ، بينما كان أبو بكر خائفا على رسول الله - ﷺ - أن ينال منه المشركون ، فتذهب الدعوة نهائيا ، ونفس رسول الله أعز على أبى بكر من نفسه .

والتفت صاحب المنار إلى أمر آخر ، هو الفرق بين مواقف التوكل ومواقف الخوف ، وموقف التوكل - كما شرحه - يكون بعد أن يهيىء الشخص للأمر أسبابه ، ويعد له كل عدده ، وكل هذه الاستعدادات لاتضمن العاقبة المرجوة ، لأن النصر من عند الله ، فهذا مقام التوكل والاعتماد على الله ، أما موقف الخوف فيكون عند نقص العدة ، وعدم استكمال الأسباب . ويوم الهجرة كان النبى - ﷺ - قد استكمل كل ما يحتاج إليه ، وأعد لرحلته كل ما يمكن أن يعد لها ، أعد الراحلتين ، وأعد الدليل الذى يقوده وصاحبه فى الصحراء وأخفى خروجه عن قريش ، واصطحب معه زاده ... ، فلم يبق للخوف مكان فى نفسه ، أما يوم بدر فلم يكن المسلمون مستكملى عدتهم ، ولا كان فى بالهم أنهم سيحاربون ، وقد بدا منهم من قبل تردد وهيبة ، كأنما كانوا يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، ثم هم قلة ظاهرة أمام كثرة فاشية ، وأعداؤهم شاكو السلاح لديهم الظهور ، وهؤلاء ليس بينهم إلا فارس واحد ، والناقة أو الجمل يعتقب عليه الاثنان والثلاثة .. هذا المقام إذاً هو مقام الخوف ، وليس مقام التوكل ، ولا يليق بالمسلم أن يقول إنى متوكل على الله بدون أخذ العدة لما يريد .

أما نزول الملائكة ووقوفهم بجانب المسلمين فكان مددا روحيا معنويا ، وقد رؤيت الملائكة فى صفوف المسلمين على هيئة رجال ذوى عمائم ، وقال الله سبحانه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ .

ونزول الملائكة أمر مقطوع به ، وقد قال عمر ابن الخطاب ، - رضى الله عنه - : أما يوم بدر فلا نشك أن الملائكة - عليهم السلام - كانوا معنا فيه ، واختلفت الروايات فى عددهم وفى ألوان عمائمهم ، ولا أود أن أقف عند هذه الأقوال ، وأشير فقط إلى أن الآية ذكرت أنهم كانوا ألفا مردفين ، ففهم بعض المفسرين أنهم كانوا ألفا متتابعين يردف بعضهم بعضا وقيل كانوا ألفا اتبعوا وأردفوا بآخرين ، وهذا أوضح فى القراءات التى جاءت بفتح الدال .

وجاء عن الإمام الشعبى أنهم كانوا ألفا مردفين ، وثلاثة آلاف منزلين ، فكانوا أربعة آلاف ، وهذا العدد هو مدد المسلمين فى ثغورهم . وقيل كان عددهم أكثر من ذلك ، ولا يعنينا بيان عددهم ، ولا استقصى ما قيل عنه . ويكفى أن ملائكة نزلت فى هذا اليوم ، ولا أميل إلى رأى الذين بالغوا فى عددهم ولا داعى له . وقد كان المشركون ألفا أو مايزيد عليه أفرادا ، ولم تنزل الملائكة ليحارب كل ملك واحدا من المشركين ، ولا لكى يكون فى مقابلة المشرك الواحد عدد من الملائكة .

وقد كان هذا الإمداد كما ذكرت الآية بشرى للمؤمنين بأنهم منصورون ، ولتسكن برؤيتهم قلوب المؤمنين الفزعة الخائفة من كثرة المشركين ،

البقية ص ۱ ۹ ۰

مساكين يعملون فى البحر

بقلم الأستاذ الدكتور
السيد الجميلى

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ « يوسف ٢ » .

وقال ايضا : ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ « النحل ١٠٣ » .

وقال عز من قائل : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ « الشعراء ١٩٥ » .

إن لغة العرب البلغاء بما احتوته واشتملت عليه من بيان ومعانٍ ـ هى المفتاح إلى كنوز القرآن الكريم ، لفهم معانيه السامية ، والترقى إلى مقاصده الشريفة .

قال تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ « الكهف ٧٩ » .

قال الإمام الطبرى فى تفسيره : « وكان وراءهم : اى وكان امامهم ، كقوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾ « إبراهيم ١٦ » ، لأن وراء من حروف الأضداد .

يقول القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٤) : « كانوا تجاراً ، ولكن من حيث هم مسافرون على قلتٍ فى لجة البحر ، وبحال ضعف عن مدافعة خطب عُبِّر عنهم بمساكين » . أهـ .

قال كعب وغيره : كانت لعشرة إخوة من المساكين ورثوها من ابيهم ، خمسة زمنى ، وخمسة يعملون فى البحر .

قال فرقة من العلماء : (لِمَسَّاكين) بتشديد السين .

وقيل : هم مَلَّاحو السفينة ، وذلك أن المسَّاك هو الذى يمسك رجل السفينة .

جاء فى تفسير « تنوير المقياس » المنسوب لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إشارة إلى عملهم هذا فقال : ص ٢٥١ « فكانت لمساكين يعملون فى البحر » اى « فيعبرون بالناس » أ هـ . وهذه إشارة إلى صفة العمل وكيفيته ، اى إن هؤلاء المساكين كانوا أُجَراء عاملين ولا مانع ، بل وليس هناك معارض إلى جواز تقرير عدم ملكيتهم للسفينة .

يقول البيضاوى ص ٣٩٨ فى التفسير :

« قال : وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيئاً - إذا لم يكفه » أ هـ .

كذا ؛ وابن منظور - فى اللسان (١٣/ ٢١٤) يفرق بين الفقير والمسكين فيقول : « إن الفقير أحسن حالاً من المسكين ، والفقير الذى له بعض ما يقيمه ، والمسكين أسوأ حالاً من الفقير ، وعزاه لابن السكيت » .

ثم ذكر قول الراعى : -

أما الفقير الذى كانت حلوبته
وفق العيال فلم يترك له سبد .

ثم يعقب على ذلك بقوله : « أثبت فقره لعدم حلوبته ، بعد أن كان مسكيناً قبل عدم حلوبته ، ولم يرد أنه فقير مع وجودها » أ هـ .

والفقير الذى لا يسأل ، بيد أن المسكين هو الذي يسأل ، وهذه كانت حجة القائلين إن المساكين أحسن حالاً من الفقراء ، وهذا القول موضع نظر .

قال قتادة : إن الفقير هو الذى به زمانة [عاهة] ، والمسكين هو الصحيح المحتاج . لسان العرب ١٣ / ٢١٦ .

وبناء على ذلك ؛ فإن الصحيح متى كان محتاجاً فإنه مسكين .

وفى الكشاف للزمخشرى - فى الآية :
« قيل : كانت لعشرة إخوة مساكين : خمسة منهم زمنى ، وخمسة يعملون فى البحر » .

ورأى بعض المفسرين أن حال الفقير - فى الضر - أشد من حال المسكين .

قال ابن قتيبة : الفقير الذى له بلغة من العيش ، والمسكين الذى لا شىء له .

ورأى الثعالبى - ونعم مارأى - وسجل ذلك فى (فقه اللغة وسر العربية) : أن (اللام) فى قوله (لمساكين) ليست للملكية ، ولكنها لشبه الملكية وهى للمصاحبة .

قال صاحب : « موسوعة النحو والصرف والإعراب » ص (٥٦٢) عند الكلام عن معانى اللام الجارة ، إن من معانيها :

« شبه الملك ، بمعنى أن مجرورها يملك مجازاً لا حقيقة ، وتسمى هنا لام الاستحقاق ، أو لام الاختصاص .

نحو : « هذا الاصطبل للبقرة » .

لذا أرى : أن نقول : إن (المساكين) يرجح أنهم لم يكونوا أصحاب السفينة ، بل كانوا مجرد أجراء عاملين عليها ، فهم مالكوها مجازاً ، لا حقيقة ، ويؤكد قولنا هذا ما ذكره ابن قتيبة ، وقريباً منه ابن عباس ، والذى حملنا على هذا صعوبة الظاهر من كونهم مساكين يملكون سفينة على الحقيقة ؛ فإن هذا من المسائل التى يكتنف التسليم بها تَكَلُّفٌ ، ومن ثَمَّ كان التحول إلى الملكية المجازية أمراً مقبولاً لا وكف فيه ولا ضير متى كان مؤدياً إلى نتيجة مقبولة لا تتعارض مع الأصول الشرعية واللغوية ، والله تعالى أعلم .

حول القضاء في الإسلام

للأستاذ الدكتور
أحمد حسن مسلم

عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له حين بعثه إلى اليمن : « بم تحكم ؟ » قال بكتاب الله ، قال : « فإن لم تجد ؟؟ » ، قال : بسنة رسول الله ، قال : « فإن لم تجد ؟ » ، قال : اجتهد رايى ، فضرب فى صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما يرضى رسول الله » .

رواه احمد وابو داود والترمذى وابن ماجة

الحكم فى الناس أمانة كبرى ، ونعمة عظمى من حيث رفعة القدر ، وجلالة الشأن ، والوجاهة بين البشر ، غير أن هذه النعمة لها مسئولياتها الكبرى التى تتناسب مع وجاهتها ـ أو بعبارة أخرى :

هذه النعمة مقرونة بأمانة لعلها من أكبر الأمانات التى حُمِّلها هذا الإنسان ، فإن عدل وأنصف ، وأعطى كل ذى حق حقه ، وبذل من الجهد ما يعين على هذه الغاية فى صبر واحتساب فإنه يُحسُّ بكثير من طمأنينة القلب وراحة النفس وهدوء البال ، وبهجة الخاطر ، وبقدر هذه المشاعر الكريمة التى تغمر نفسه يسعد به مجتمعه الذى يعيش فيه ، ويجد الناس فيه ، ومعه ، سروراً لا يعدله سرور ، وطمأنينة تملأ القلب وتفيض على الجوارح ، وإن غفل عن القيام بحق هذه الأمانة فتراخى وأهمل ، أو جار وظلم ، فإنه يحس فى قرارة نفسه بالتقصير فى حق هذه الأمانة التى حُمِّلها ، والتقصير فى أداء الأمانة ظلم للنفس ، كما هو ظلم للغير ، وصدق رب العالمين حيث يقول فى محكم التنزيل : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (١) .

(١) الإسـراء ٧ .

نعم إن الإحسان أثره يلحق المحسن قبل أن يصل إلى المحسن إليه ، كما أن الإساءة أثرها يلحق المسيء قبل أن يصل إلى من أسيء إليه .

وهذا الحديث الشريف الذى صدَّرنا به القول يعطى منهجاً واضحاً لمن يتولى الحكم فى ظلال الإسلام ، وهو دين الله وشرعه ، وهو النظام العالمى العام الكريم الذى يجعل حياة البشر مليئة بالبهجة والهناء عند العمل به والوقوف عند أحكامه ؛ لأنها شرعة الخالق الذى أعطى كل شيء خَلْقَهُ ، ثم هدى ، كما أن هذا الحديث يرشد كل مسئول إلى ما يوجهه لمن اختاره للحكم والقضاء ؛ لأن النبى الكريم - صلى الله عليه وسلم - الذى اختار معاذ بن جبل قاضياً وحاكماً سأله هذا السؤال الكريم : « بم تحكم ؟ » ، أى بم تقضى فى قضايا الناس ؟؟ وبم تفصل فى خصوماتهم ؟ فقال معاذ : بكتاب الله ، أى أن القانون الذى أرجع إليه عند الفصل فى قضايا الناس هو ما فى كتاب الله - عز وجل - من الأحكام التى شرعها ، قال تعالى : فى محكم التنزيل : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ قال - صلى الله عليه وسلم - : « فإن لم تجد ؟ » قال : « بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » ، ومعنى هذا أن المصدر الأول للحكم والتشريع والتقنين هو ما فى كتاب الله - تعالى - ، والمصدر الذى يليه وهو مصدر التطبيق والتوضيح والبيان المستوعب لسائر شئون الناس هو ما فى سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له النبى الكريم - صلى الله عليه وسلم - : « فإن لم تجد ؟ » قال : أجتهد رأيى فضرب فى صدره وقال : (الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم) .

ومعنى ذلك أنه أَخَّرَ تفكيره ورأيه واجتهاده إلى المقايسات التى تؤخذ بمقياس النظر والاجتهاد ، واستخدام قوة العقل السليم فى الوصول إلى الحكم بالعدل ، وما يحقق معنى الإنصاف فى القضية التى ينظرها ، وفى الخصومة التى بين يديه للفصل فيها ، وهذا هو الدستور السليم المستقيم الذى يحقق الطمأنينة فى قلوب الناس ، وأنه بهذا لا يقدم بين يدى الله ورسوله ، إذ الأصل الذى يجب أن يتبعه المسئول المسلم هو النظر أولاً فى كتاب الله عند الفصل فى أى قضية من القضايا ؛ فإن لم يجد فعليه أن ينظر فى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - لأنها التطبيق العملى المستوعب لجميع أحوال الناس ، ويدرك ذلك تمام الإدراك ، ويعلمه أكمل العلم من درس سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى البخارى ومسلم والترمذى وأبى داود وابن ماجه ومسند الإمام أحمد .

ولقد سُرَّ النبى - صلى الله عليه وسلم - بما أجاب به معاذ مما يدل على ذهن متفتح وقلب مشرق ، وعقل كبير ، وعندئذ حمد الله تعالى وأثنى عليه بقوله الشريف : « الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله لما يحبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . نعم إن ما يحبه رسول الله هو الحكم بالعدل النابع من النظر فى الكتاب ، أو فى السنة أو النابع من الاجتهاد الخالص لوجه الله الكريم .

هذا وبالله التوفيق ...

تحويل القبلة من القدس

إلى الكعبة الشريفة

للشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال « بَيْنَما النَّاسُ بِقُبَا.. فى صَلاةِ الصُّبح ، إذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآن ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا ، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَـى الشَّامِ ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ » : [1] لقد فضل الله بعض الأزمنة على بعض ، وفضل بعض الأمكنة على بعض ، لحكم خاصة ، وأسرار هامة ، وقد جعل لبعض الليالى والأيام ، مكانة خاصة تتميز بها ، عما سواها ، لأحداث عظيمة أجراها فيها .. ولعل من مفاخر شهر شعبان ، ذلك الحدث التاريخى ، الذى كان له أبعد الأثر ، فى تاريخ المجد الإسلامى .. ذلك ، هو تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس ، إلى الكعبة المشرفة فى ليلة عظيمة مباركة هى ليلة النصف من شهر شعبان ؛ التى اختصها الله تبارك وتعالى بالكثير من الخيرات والرحمات .

فقد روى عن عطاء بن يسار رضى الله عنه أنه قال : « ما بعد ليلة القدر ، أفضل من ليلة النصف من شعبان » ، وكيف لاتكون كذلك ، وقد أقرّ الله فيها عين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقق له أمنية عزيزة ، طالما تاقت إليها نفسه ، وهفت إليها روحه ، فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتجه فى صلاته إلى صخرة بيت المقدس ، رجاء أن يكون فى ذلك تأليف لأهل الكتاب ، لاسيما اليهود ، وتحويل لنفوسهم إلى التبصر فى دينه ، والانحياز لدعوته ، والاهتداء بهديه ، والانضواء تحت رايته ، ولكنه كان كلما أمعن فى التقرب منهم ، ازدادوا منه ، بعدا ، وكلما أراد التودد إليهم ، جددوا له بغضاً : وهم بسوء صنيعهم هذا قد بدلوا نعمة الله كفرا وأخذتهم العزة بالإثم ، وأصروا على الضلال والعناد ، وأحلوا بالمسلمين أذاهم ، وأعرضوا عن هداهم ، وعارضوهم فى مسعاهم ، ولا غرابة فى أن يحصل كل هذا وأكثر منه من اليهود ، والحال أن الله تعالى قد أخبرنا فى محكم كتابه ، بخبث طباعهم ، وسوء نياتهم ، وفساد ضمائرهم ، وتغلغل العداوة والبغضاء فى صدرهم ، فقال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [2]

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم ..

(٢) المائدة : ٨٢ .

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الرغبة ، عظيم الضراعة ، كثير الابتهال إلى الله ، أن يحوله عن قبلة قوم لم تلن قلوبهم لدعوة الحق ، ولم تخشع نفوسهم لصيحة الصدق ، ولم تتفتح بصائرهم لنور اليقين إلى قبلة أبيه وقومه وأهله وعشيرته ، روى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لجبريل عليه السلام : وددت لو حولنى الله إلى الكعبة ، فإنها قبلة أبى إبراهيم ، فقال له جبريل : إنما أنا عبد مثلك . وأنت كريم على ربك ، فسل أنت ربك ، فإنك عند الله بمكان » فكان كثيرا مايقلب بصره إلى السماء ، داعيا ربه أن يحقق له ما تصبو إليه نفسه ، فحقق له رغبته ، واستجاب دعاءه وانعم عليه بالقبلة التى يرضاها ، ويروم التوجه إليها ، وانزل عليه قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[3] وذلك بعد ان مكث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واصحابه الكرام يتجهون فى صلاتهم إلى صخرة بيت المقدس ستة عشر شهرا ، عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : وصليت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، حتى نزلت الآية التى فى البقرة ﴿ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ فنزلت بعد ما صلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون فحدثهم فولوا وجوههم قبل البيت »[4] .. مكان ذلك التحويل كما يذكر بعض المؤرخين فى ليلة النصف من شهر شعبان .. وإنه مما لاشك فيه أن تحويل القبلة كان امتحانا وابتلاء للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين فأما المسلمون فقالوا : سمعنا واطعنا ، آمنا به ، كل من عند ربنا ، وهم الذين هدى الله ، ولم تكن كبيرة عليهم ، وأما المشركون فقالوا : كما رجع إلى قبلتنا ، يوشك أن يرجع إلى ديننا .. وأما اليهود فقالوا : خالف قبلة الأنبياء ، ولو كان نبيا حقا لاستمر فى صلاته إلى قبلتهم ، وأما المنافقون فقالوا : مايدرى محمد أين يتجه فى صلاته ، إن كانت الأولى حقا ، فقد تركها ، وإن كانت الثانية : هى الحق ، فقد كان على باطل ، وكثرت أقاويل السفهاء من الناس ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[5] .

فجدير بنا معشر المسلمين أن نأخذ من ذكرى استقلال القبلة العزم على أن يكون للأمة الإسلامية استقلالها فى كل شأن من شئون حياتها ، فلا تمشى فى فلك غير فلكها ، ولا تتبع جهة غير الجهة التى أرادها الله لها ، وقد أراد الله تعالى لنا أن نكون رءوسا ، فلا ينبغى أن نكون أذنابا ، وأراد لنا أن نكون قادة ، فلا يجمل

---

(٣) البقرة : ١٤٤ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه .

(٥) البقرة : ١٤٢ ، ١٤٣ .

♦ تحويل القبلة من القدس الى الكعبة المشرفة

بنا أن نضع أنفسنا موضع المنقادين المنساقين ، نحن أكثر من ألف وأربعمائة مليون مسلم فى جميع أنحاء العالم ، توحد بيننا قبلة واحدة . فيجب أن يوحد بيننا هدف واحد ، وغاية واحدة ، يجب أن يبقى المسجد الأقصى خالصا للمسلمين .

لقد كان من أسباب الفتح العربى الإسلامى لفلسطين هو إنقاذ هذه الأرض الطيبة ، من أيدى الروم والبيزنطيين ؛ لأن فيها المسجد الأقصى الذى سماه الله تعالى فى كتابه مسجدا ، وبارك حوله بالأشجار والأزهار ، والزروع والثمار ، ونزول الوحى على رسل الله المصطفين الأخيار قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٦)

ولكونه : أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وقد خصه الله تعالى بمعجزة الإسراء ، وجعله نافذة الأرض إلى السماء ، عندما جعل المعراج من حرمه ، ومن فوق صخرته ، ولم يجعله أولى القبلتين ، لمجرد الصدفة ، بل ليشد إليه القلوب ، ويوجه نحوه الأبصار ويُحمِّل المسلمين مسئولية تحريره ، والحفاظ عليه : إلى أن تقوم الساعة .

ولهذا فإن الواجب الإسلامى يقضى على المسلمين ويحتم عليهم أن يعملوا على إنقاذ القدس وتحريره ، وتحرير المسجد الأقصى من براثن الصهيونية ، وأرجاسهم لتحقيق هذا الغرض النبيل ، وأن نمحو من أذهان اليهود ما تخيلوه؛ من أن قبلتنا الثانية سوف تنسينا قبلتنا الأولى ، أو سنتحول عنها ، ولا نسعى إلى تخليصها ، حتى يعود السلام إلى مدينة السلام .

تصويب

جاء ص (٧٣٨) من عدد رجب ١٤١٣ سطر ١٨ :
ويارب .. هذه أمتك عاشت معى على أنقى من الراحة .
وصحتها : ويارب هذه أمتك عاشت معى على خير نعمة ، فلم تكن أنقى من الراحة .
رجاء التصحيح .

(٦) الإسراء : ١ .

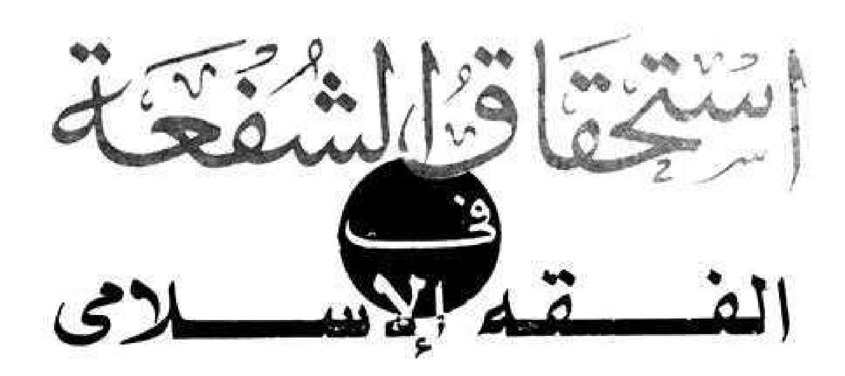

استحقاق الشفعة في الفقه الإسلامي

للدكتور: محمد حسين قنديل

احترم الإسلام الملكية الخاصة للإنسان وجعل له السلطان الكامل على ملكه، فهو احق به يتصرف فيه كيف يشاء مادام في الحدود التي وضعها الشرع، وليس لأحد ان يتملكه او ينتفع به إلا إذا اذن المالك له وطابت نفسه به عملاً بقوْل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يحل لامرىء من مال اخيه إلا ما طابت به نفسه » [1] ..

واستثناء من اختصاص المالك بملكه وحرمة تملكه قهراً عنه اجاز الشارع الحكيم نزع ملكية المالك جبراً عنه في احوال خاصة تستدعي ذلك.

ومن الحالات الخاصة التي اجاز الشارع نزع ملكية المالك قهراً عنه ودون رضى منه:

أن يشترى مالك جديد عقار مالك قديم، ويحل محله في ملكية العقار، ويرى شخص ثالث يتصل ملكه بالعقار المباع أن هذا الحلول فيه إضرار به، فيكون له شرعاً أن ينزع ملكية المشترى الذى حل محل المالك القديم في ملكية العقار ليدفع عن نفسه ما قد يتوقعه من ضرر، وهذا ما يعرف في الفقه بحق « الشفعة »، فقد جعل الشرع للشفيع ـ وهو من يتصل ملكه بالملك المبيع ـ أن يأخذ العقار المبيع من يد الذى اشتراه جبراً عنه ليدفع عنه ضرراً قد يصيبه من

(١) مسند الإمام احمد بن حنبل ٣ / ٤٢٣ ط: دار المعارف بمصر. شرح وتصنيف احمد شاكر، وقال عنه الزيلعي في نصب الراية ٤ / ١٦٩. ط: دار الحديث: « إسناده جيد »، وجاء في مجمع الزوائد ٤ / ١٧١ ـ ١٧٢. ط: مكتبة القدسي بالقاهرة: « رجال احمد ثقات ».

استحقاق الشفعة فى الفقه الاسلامى

جراء دخول المالك الجديد ، وحلوله محل المالك القديم .

ولأهمية الشفعة فى الفقه الإسلامى قمت ببحث ودراسة الأسباب التى تجيز الأخذ بالشفعة فى هذا ، وجعلت عنوان الدراسة « استحقاق الشفعة » ، أى الأسباب التى تجيز الأخذ بالشفعة . وقد اتبعت فى هذه الدراسة بعد التمهيد منهجاً يتكون من مبحثين وخاتمة :

وقد بينت فى المبحث الأول بعد تعريف الشفعة لغة واصطلاحاً آراء الفقهاء فى الشركة التى تجيز الأخذ بالشفعة .

على حين خصصت المبحث الثانى للحديث عن استحقاق الشفعة بالشركة فى حقوق الملك .

وأوضحت فى الخاتمة اهم النتائج التى انتهت إليها الدراسة .

معنى الشفعة

١ ـ **فى اللغة** :[٢] الشفعة : (بضم الشين وإسكان الفاء) من الشفع بمعنى الضم على الأشهر ، من شفعت الشىء ضممته ، وسميت بذلك لضم نصيب الشريك إلى نصيبه .

أو من الشفاعة : أى الزيادة ، لأن المبيع يزيد فى ملك الشفيع ، أو لأن الرجل كان إذا أراد بيع داره أتاه جاره وشريكه فيشفع له فيما باع ، فشفعه وجعله أولى به .

٢ ـ **وفى الاصطلاح** :

عرفها الأحناف بأنها [٣] : تمليك البقعة جبراً على المشترى بما قام عليه ، وزاد بعضهم (شركة أو جواراً) .

وقال المالكية [٤] : هى استحقاق شريك أخذ مبيع شريكه بثمنه .

ووافق الحنابلة[٥] فى تعريفهم ما ذكره المالكية من حيث المضمون مع الاختلاف فى الألفاظ .

وقال الشافعية [٦] : هى حق تملك قهرى يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملك بعوض لدفع الضرر .

ونلحظ من هذه التعريفات أن الأحناف لم يشيروا فيما ذكروا إلى العوض الذى يأخذه المشترى من الشفيع لينتقل المبيع إلى ملكه بالشفعة ، وزاد الأحناف على غيرهم فى بعض التعريفات بيان أسباب الشفعة .

وزاد الشافعية فى تعريفهم على ما قال به الأحناف والمالكية بيان حكمة الأخذ بالشفعة ، ومع هذا الاختلاف بين التعريفات إلا انها جميعاً تلتقى فى كون الشفعة تمليك الشريك حصة شريكه من يد من انتقلت إليه .

ويتفق المعنى اللغوى مع الاصطلاح فى أن كلا منهما يفيد الزيادة فى ملك الشريك بأخذه حصة شريكه من يد المشترى .

ولقد ثبتت الشفعة بالسنة المطهرة ، فروى جابر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « قضى بالشفعة فى كل ما لم يقسم . فإذا وقعت الحدود وصُرِّفت الطرق فلا شفعة » [٧] .

---

(٢) مختار الصحاح للرازى ص ٣٤١ . ط : دار الحديث بمصر ، الصحاح للجوهرى ٣ / ١٢٣٨ . ط : دار العلم للملايين ـ ببيروت .

(٣) البحر الرائق ٨ / ١٤٣ . ط : دار المعرفة بيروت .

(٤) شرح الزرقانى على مختصر خليل ٦ / ١٦٩ ط : دار الفكر بيروت .

(٥) كشاف القناع ٤ / ١٣٤ . ط : عالم الكتب بيروت .

(٦) حواشى الشروانى وابن قاسم العبادى ٦/٥٣ . ط : دار صادر بيروت .

(٧) فتح البارى ٤/٤٣٦ . ط : دار المعرفة بيروت .

وحكمة تشريعها [٨] ، دفع الضرر عن الشريك بمطالبة المشترى للشريك الآخر بالقسمة واحتياج الشريك إلى استحداث المرافق فى الحصة الصائرة إليه كمصعد ومنور وبالوعة ، ودفع أجرة القاسم ، وهو ضرر بالشريك لا يمكن دفعه إلا بالأخذ بالشفعة .

المبحث الأول

الشركة التى تبيح الأخذ بالشفعة

اتفق فقهاء المذاهب الأربعة ، والظاهرية على أن الشفعة تثبت للشريك فى ذات المبيع ، فلو باع أحد الشريكين حصته فى العقار المشترك كان لشريكه الآخر أن يأخذ الحصة المبيعة بالشفعة وليس لأحد أن يزاحمه فى هذا الحق [٩] .

واستدل الفقهاء على هذا بما روى عن جابر ابن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ قال : قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشفعة فى كل شركة لم تقسم ربعة أو حائط لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه فإن شاء أخذ ، وإن شاء ترك ، فإذا باع ولم يؤذنه فهو أحق به [١٠] .

ورغم اتفاق الفقهاء على ثبوت حق الشفعة للشريك فى الحصة المبيعة من العقار المشترك إلا أنهم اختلفوا فى هذا الحق ، هل هو حق مقيد بأن يكون العقار يقبل القسمة جبراً بالقضاء ، أو هو حق مطلق يثبت بمجرد بيع الحصة المشتركة سواء كان العقار يقبل القسمة جبراً بالقضاء أو لا يقبلها ؟

وكان اختلافهم فيما سبق على رأيين :

الرأى الأول :

وهو للمالكية فى الراجح عندهم [١١] ، والشافعية فى الأصح [١٢] ، والحنابلة [١٣] .

ومضمون هذا : أن الشفعة تثبت فى العقار الذى يقبل القسمة جبراً عند طلبها من القضاء .

واختصت الشفعة بما ينقسم لأن ما لا ينقسم إذا طلب الشريك فيه البيع أجبر شريكه عليه معه بخلاف ما ينقسم ، فانتفى ضرر نقص الثمن فيما لا ينقسم لجبر الشريك على البيع معه .

وأما ما يقبل القسمة ، فإن ضرر نقص الثمن فيه لم ينتف لعدم جبر الشريك على البيع ، ولذا شرعت الشفعة فيه لإزالة الضرر .

ويرى أصحاب هذا الرأى أن الشفعة لا تثبت فيما لا يقبل القسمة قضاء ، كالرحا والبئر الصغيرة والحانوت فى السوق والحمام ، وغير ذلك من العقارات التى لا تقبل القسمة .

ادلة الرأى الأول :

استدل القائلون بأن الشفعة لا تثبت إلا فيما يقسم بما يأتى :

١ ـ عن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ

---

(٨) عون البارى لحل ادلة صحيح البخارى ٤ / ٩ . ط : سنة ١٤٠٤ هـ بدولة قطر ، المهذب للشيرازى ١ / ٣٨٤ ط : دار المعرفة بلبنان .

(٩) رد المحتار على الدر المختار ٥ / ١٣٨ . ط : دار إحياء التراث العربى بيروت ، حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ٣/٤٧٤ . ط : المطبعة الأزهرية بمصر ، المجموع ١٤ / ١٣٢ . مطبعة التضامن الاخوى ، المغنى ٥/٣٠٨ . ط : عالم الكتب بيروت ، المحلى ٩ / ٨٢ ط : دار التراث بالقاهرة .

(١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ / ١٢٨ . ط : دار الشعب .

(١١) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٦ . ط : دار المعرفة بيروت .

(١٢) نهاية المحتاج ٥ / ١٩٥ . ط : مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .

(١٣) شرح منتهى الإرادات ٢ / ٤٣٣ . ط : عالم الكتب ـ بيروت .

استحقاق الشفعة فى الفقه الاسلامى

قال : « قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالشفعة فى كل ما لم يقسم . فإذا وقعت الحدود وصُرِّفت الطرق فلا شفعة » . متفق عليه [14] ، واللفظ للبخارى [15] .

وفى مسلم [16] : « الشفعة فى كل شرك : فى ارض ، أو ربع ، أو حائط » .

وفى رواية أخرى عند مسلم : « لا يحل أن يبيع حتى يعرض على شريكه » .

فهم أصحاب الرأى الأول من الحديث برواياته المتعددة أن الشفعة لا تكون إلا فيما يقبل القسمة وتقع فيه الحدود من العقار وما ألحق به ، وكأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : الشفعة فيما يمكن قسمته مادام لم يقسم ، وهذا استدلال بدليل الخطاب ، كما ذكر ابن رشد [17] .

٢ - أخبر أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن عثمان - رضى الله عنه - قال : إذا وقعت الحدود فلا شفعة ، ولا شفعة فى بئر ولا فحل نخل [18] .

استدل بهذا على أنه لا شفعة فى البئر لأنه لا يمكن قسمته ، ولأن إثبات الشفعة فيه يضر بالبائع ، إذ أنه لا يمكنه التخلص من إثبات الشفعة فى نصيبه بالقسمة ، وقد يمتنع المشترى لأجل الشفيع فيتضرر البائع ، وقد يمتنع البيع فتسقط الشفعة ، فكان الأولى منعها فيما لا يمكن قسمته كالبئر والحمام والرحا وغيرها [19] .

٣ - الدليل من المعنى :

العقار الذى لا يقبل القسمة لا تثبت فيه الشفعة ، لأنها شرعت لدفع الضرر الذى يلحق الشريك بالمقاسمة ، وذلك لا يوجد فيما لا يقسم [20] .

الـرأى الثانى :

يرى الأحناف [21] ، والمالكية [22] فى غير المشهور عندهم أن الشفعة تثبت فى كل عقار مشترك سواء أكان يقبل القسمة أم لا يقبلها .

وذهب الظاهرية ، والهادوية إلى صحة الشفعة فى كل شىء [23] ، وفسر ذلك ابن حزم فقال [24] : (الشفعة واجبة فى كل جزء بيع مشاعاً غير مقسوم بين اثنين فصاعدا من أى شىء كان مما ينقسم ومما لا ينقسم من أرض ، أو شجرة واحدة فأكثر ، أو عبد ، أو ثوب ، أو أمة ، أو من سيف ، أو من طعام ، أو من حيوان) .

ادلة الرأى الثانى :

استدل الأحناف ومن معهم على أن الشفعة تثبت فيما يقسم وما لا يقسم من العقار بما يأتى :

١ - حديث جابر السابق برواياته المتعددة يدل

---

(١٤) سبل السلام ٣ / ١٥٣ . ط : دار الكتاب العربى .
(١٥) فتح البارى ٤ / ٤٣٦ .
(١٦) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ / ١٢٩ .
(١٧) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٨ .
(١٨) موطأ مالك ص ٣٠٥ . ط : المكتبة العلمية .
(١٩) شرح منتهى الإرادات ٢ / ٤٣٥ ، المهذب ١ / ٣٨٤ .
(٢٠) المغنى ٥ / ٣١٣ . ط : عالم الكتب .
(٢١) مجمع الأنهر فى شرح ملتقى الأبحر ٢ / ٤٧٢ . ط : دار إحياء التراث العربى للنشر والتوزيع .
(٢٢) شرح الخرشى ٦ / ١٦٤ . ط : ٢ سنة١٣١٧ هـ .
(٢٣) سبل السلام ٣ / ١٥٤ .
(٢٤) المحلى ٩ / ٨٢ .

على أن الشفعة تثبت مطلقاً للشريك دون تفريق بين ما يقبل القسمة وما لا يقبلها .

ويدل أيضاً على أن الشفعة تثبت في العقار دون المنقول ، لأن الشفعة إنما شرعت لدفع ضرر سوء الجوار على الدوام ، وما ينقل ويحول لا يدوم ، فلا يدوم الضرر فيه كما يدوم في العقار ، ولأن المنقول يشترى للبيع عادة ولمصلحة المعاش ، ثم يخرجه عن ملكه إذا قضى وطره ، ولا كذلك العقار (٢٥) .

٢ ـ وعن ابن عباس عند الترمذي مرفوعاً « الشفعة في كل شيء » ، ذكر هذا الصنعاني وقال (٢٦) : (وإن قيل إن رفعه خطأ فقد ثبت إرساله عن ابن عباس وهو شاهد لرفعه على أن مرسل الصحابي إذا صحت إليه الرواية حجة) .

وقال الشوكاني (٢٧) : (رجال حديث ابن عباس ثقات إلا أنه أعل بالإرسال . وأخرج الطحاوي له شاهدا من حديث جابر بإسناد لا بأس برواته كما قال الحافظ) .

ولقد أشار الشوكاني إلى ما ذكره الطحاوي في شرح معاني الآثار(٢٨) ، وهو إسناد حديث جابر ، قال الطحاوي : (حدثنا محمد بن خزيمة قال : ثنا يوسف بن عدي ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : « قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشفعة في كل شيء » . فإن قال قائل : الحديث يوجب الشفعة في كل شيء من حيوان وغيره وأنت لا توجب الشفعة في الحيوان ، قيل له : ليس هذا على ما ذكرت إنما معنى الشفعة في كل شيء أي في الدور، والعقار ، والأرضين سواء أكان يقبل القسمة أم لا يقبلها . والدليل على عدم ثبوت الشفعة في الحيوان قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : « لا شفعة في الحيوان ») .

٣ ـ ومن المعنى قالوا (٢٩) : إن الشفعة عندنا وجبت معلولة بدفع ضرر الدخيل وأذاه على سبيل اللزوم ، وذلك يوجد فيما يحتمل القسمة ، وفيما لا يحتمل القسمة على السواء .

واستدل ابن حزم على ماقال به الظاهرية والهادوية من أن الشفعة تثبت في كل شيء بما يأتي :

١ ـ حديث جابر السابق والذي رواه الطحاوي .

٢ ـ وحديث ابن عباس السابق والذي أخرجه الترمذي مرفوعاً ، البيهقي (٣٠).

٣ ـ وعن ابن جريج أن أبا الزبير أخبره أنه سمع جابر بن عبدالله يقول قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشفعة في كل شرك في أرض أو ربع أو حائط لا يصلح أن يبيع حتى يعرض على شريكه فيأخذ أو يدع فإن أبى فشريكه أحق به حتى يؤذنه (٣١) ، وبعد أن ذكر ابن حزم

---

(٢٥) تبيين الحقائق ٥ / ٢٥٢ . ط ١ سنة١٣١٥ هـ .
(٢٦) سبل السلام ٣ / ١٥٤ .
(٢٧) نيل الأوطار ٦ / ٨٤ . ط : دار الجيل ـ لبنان .
(٢٨) شرح معاني الآثار ٤ / ١٢٦ . ط : دار الكتب العلمية . مع التصرف في النص .
(٢٩) البدائع ٦ / ٢٧٠٠ ـ ٢٧٠١ . مطبعة الإمام بمصر .
(٣٠) نيل الأوطار ٦ / ٨٤ .
(٣١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤ / ١٢٩ .

استحقاق الشفعة فى الفقه الاسلامى

الأحاديث السابقة قال [٣٢] : (فهذه آثار متواترة متظاهرة بكل ما قلنا . جابر ، وابن عباس عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن الشفعة فى كل مال وفى كل شىء وفى كل ما لم يقسم ، ورواها كذا عن جابر أبوالزبير سماعا منه وعطاء . وأبو سلمة ، ورواه عن ابن عباس ابن أبى مليكة فارتفع الإشكال جملة ولله تعالى الحمد) .

٤ ـ واستدل ابن حزم أيضاً على ثبوت الشفعة فى غير العقار وفيما لا يمكن قسمته فقال :[٣٣] (لا تخلو الشفعة من أن تكون من طريق النص كما نقول نحن ، أو من طريق النظر كما يقول المخالفون ، فإن كانت من طريق النص فهذه النصوص التى أوردنا لا يحل الخروج عنها ، وإن كانت من طريق النظر كما يزعمون أنها إنما جعلت لدفع ضرر عن الشريك ، فالعلة بذلك موجودة فى غير العقار كما هى موجودة فى العقار بل أكثر وفيما لا ينقسم كوجودها فيما ينقسم بل هى فيما لا ينقسم أشد ضرراً) .

مناقشة الأدلة

أولاً : مناقشة أدلة القائلين بأن الشفعة لا تثبت إلا فيما يقسم :

ناقش المخالفون للجمهور أدلتهم فقالوا :

١ ـ استدلال الجمهور بحديث جابر ـ رضى الله عنه ـ على أن الشفعة تثبت فيما يقبل القسمة استدلال مردود ، لأن الحديث برواياته المتعددة يدل على ثبوت الشفعة فى العقار المشترك بالشركة دون تفريق بين ما يقبل القسمة وما لا يقبلها[٣٤] .

ولقد روى عن جابر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « الشفعة فى كل شىء » ، فتخصيص الشفعة بالعقار الذى يقبل القسمة من قبل الجمهور تخصيص لا دليل عليه ويتعارض مع حديث « الشفعة فى كل شىء » .

٢ ـ وفيما يتعلق بالأثر المروى عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ فإنه لا ينهض أن يكون حجة تخالف أخباراً تثبت صحتها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفيد أن الشفعة جائزة فى كل شىء .[٣٥]

ويمكن حمل هذا الأثر على الرواية التى تجيز الشفعة فى البئر عند المالكية ، حيث فسر الإمام مالك البئر بأنه الخاص بالصحارى التى تعمل فى الأرض الموات ، لا التى تكون فى أرض متملكة [٣٦] .

٣ ـ ناقش المخالفون دليل الجمهور : فقال الأحناف [٣٧] : لا نسلم أن الشفعة وجبت لدفع أجرة القسمة ، وكيف يكون ذلك وأجرة القسمة

---

(٣٢) المحلى ٩ / ٨٤ .
(٣٣) المحلى ٩ / ٨٤ ـ ٨٥ .
(٣٤) المحلى ٩ / ٨٦ .
(٣٥) المرجع السابق .
(٣٦) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٨ .
(٣٧) تبيين الحقائق ٥ / ٢٤٠ الطبعة السابقة .

مشروعة ، وكيف يجوز أيضاً إلحاق الضرر بالمشترى بأخذ ماله بغير رضاه لدفع حكم مشروع ، وإنما العلة فى تشريع الشفعة هو دفع ضرر يلحقه بسوء العشرة على الدوام ، ولو كان لدفع أجرة القسمة لوجبت فى المنقول ، وهو ما لا تقولون به .

وقال ابن حزم [٣٨] : (إذا كانت علة الشفعة كما قلتم هى دفع ضرر القسمة ، فَلِمَ لم تقولوا بها فى غير العقار مع أنها تتعدى إلى كل شىء ، فقصرها على ما يقسم من العقار قصر بلا دليل ، فهو باطل ، والصحيح أن علة الشفعة هى دفع ضرر الشركة فى كل شىء فى العقار وفى غيره ، فيما يقسم وما لا يقسم) .

١ ـ ناقش ابن حزم دليل الأحناف من السنة على أن الشفعة تثبت فى العقار الذى يمكن قسمته ، والذى لا يقسم فقال [٣٩] : (وأما الخلاف فيما تكون فيه الشفعة فإنهم قالوا : إنما ذكر فى حديث جابر من رواية ابى الزبير فى كل شرك فى أرض أو ربع أو حائط ، وفى رواية أبى سلمة عنه : « فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » ، وجوابنا عن هذا أنه لا حجة لهم فى هذين اللفظين ، أما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فى كل شرك فى أرض أو ربع أو حائط فليس فيه أنه لا شفعة إلا فى هذا فقط ، وإنما فيه إيجاب الشفعة فى الأرض والربع والحائط ، وليس فيه ذكر هل الشفعة فيما عداها أم لا ؟ فوجب طلب حكم ماعدا هذا فى غير هذا اللفظ ، وقد وجدنا خبر جابر هذا نفسه من طريق عطاء بأن الشفعة فى كل شىء ..

وأما اللفظ الذى فى رواية أبى سلمة عن جابر : « فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » فلا حجة لهم فيه ، لأنه ليس فى هذا اللفظ نص ولا دليل على أن ذلك لا يكون إلا فى الأرض ، والعقار ، والبناء بل الحدود واقعة فى كل ما ينقسم من طعام وحيوان ونبات وعروض وإلى كل ذلك طريق ضرورة ، كما هو إلى البناء وإلى الحائط ولا فرق ، وكان ذكره عليه السلام للحدود والطرق إعلاماً بحكم ما يمكن قسمته وبقى الحكم فيما لا يقسم على حسبه فكيف وأول الحديث بيان كاف فى أن الشفعة واجبة فى كل مال يقسم ، وفى كل ما لم يقسم) .

٢ ـ ونوقش حديث ابن عباس الدال على أن الشفعة تثبت فى كل شىء ، بأنه حديث مطلق قيده حديث جابر من أن الحدود إذا اقيمت وصرفت الطرق فلاشفعة ، وهو ماأجمع عليه اهل الأمصار [٤٠] ، اى أن العقار المشترك إذا قسم قبل الأخذ بالشفعة لا تثبت فيه الشفعة .

٣ ـ رد ابن حزم قياس الأحناف فقال [٤١] : (قياس الأحناف ما لا يقسم من العقار على ما يقسم بجامع الضرر لا شىء فيه ، والخلاف فى قصر الضرر على نوع واحد من المال ، وهو العقار ، فهو قصر بلا دليل لأن علة الضرر تتعدى إلى سائر الأملاك ، فكان ينبغى عليهم أن يعمموا الحكم للاشتراك فى العلة ، وخاصة انهم لما قاسوا فى الربا قاسوا على الذهب ، والفضة ، والبُر ، والشعير ، والملح ، والتمر سائر الأنواع) .

---

(٣٨) المحلى ٩ / ٨٤ ـ ٨٥ بالمعنى .
(٣٩) المحلى ٩ / ٨٥ ـ ٨٦ .
(٤٠) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٨ .
(٤١) المحلى ٩ / ٨٦ مع التصرف فى النص .

◆ استحقاق الشفعة فى الفقه الاسلامى

مناقشة ادلة الظاهرية ومن معهم

ناقش المخالفون للظاهرية أدلتهم فقالوا :

١ ـ ما ذكره ابن حزم من السنة بعضه يعارض البعض الآخر ، فحديث ابى الزبير والذى سمعه من جابر يدل على أن الشفعة لا تكون إلا فى العقار ، كما قال الجمهور والأحناف ، وحديث جابر الذى رواه الطحاوى والمؤيد بحديث ابن عباس يدل على ان الشفعة تثبت فى كل شىء ، ولقد ذكر الطحاوى ما يزيل هذا التعارض فقال [٤٢] : (ومعنى الشفعة فى كل شىء ، اى : فى الدور ، والعقار ، والأرضين سواء أكان يقبل القسمة أم لا يقبلها . والدليل على عدم ثبوت الشفعة فى الحيوان قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « لا شفعة فى الحيوان ») .

٢ ـ وقولهم بتعدى العلة الموجبة للشفعة إلى كل شىء : قول يخالف حقيقة مشروعية الشفعة ، لأنها شرعت على خلاف القياس ، ولأن الأصول تقتضى الا يخرج ملك أحد من يده إلا برضاه ، وأن من اشترى شيئاً فلا يخرج من يده إلا برضاه حتى يدل الدليل على ذلك [٤٣] ، فوجب أن تقتصر الشفعة على دفع الضرر الأشد ، وهو ما يتحقق فى القول بوجوبها فى العقار فقط .

الراى الراجح فى الموضوع

بعد العرض السابق لآراء الفقهاء وأدلتهم والمناقشات التى وردت على الأدلة أرى أن الراى الراجح فى الموضوع هو راى الأحناف ، ومن قال بقولهم من المالكية والشافعية ، وهو أن الشفعة تثبت للشريك فى العقار الذى يمكن قسمته والذى لا يقبل القسمة ، وسبب هذا هو أن علة الشفعة تتحقق فيما يقسم وفيما لا يقسم ، وحاجة ما لا يقبل القسمة للشفعة أشد مما يقسم ، ولقد نقل الإمام النووى [٤٤] الإجماع من العلماء على ثبوت الشفعة للشريك فى العقار على أن يكون ذلك قبل القسمة ، ثم قال : (قال العلماء الحكمة فى ثبوت الشفعة إزالة الضرر عن الشريك ، وخصت بالعقار لأنه أكثر الأنواع ضرراً ، واتفقوا على أنه لا شفعة فى الحيوان والأمتعة وسائر المنقول) .

أشار الإمام النووى فيما سبق إلى حكمة الشفعة فى العقار ، وهى تؤيد رأى الأحناف كما قلنا . والله أعلم .

(٤٢) شرح معانى الآثار للطحاوى ٤ / ١٢٦ .
(٤٣) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٧ .
(٤٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ / ١٢٨ .

النصر من عند الله - بقية

فهذا في مقابلة قول الله تعالى : ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ . فهنا تقوية لقلوب المؤمنين على القتال دون ـ هبة . وهناك توهين وإزعاج وخوف .

وليس النصر من نزول الملائكة ولا من قوة المحاربين أو كثرتهم . وإنما هي وسائل وأسباب لابد منها ، وقد يهزم القوى وينتصر الضعيف ، وقد تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة ، فما النصر إلا من الله وحده .

وقد نصر الله المسلمين يوم بدر على قلتهم على المشركين مع كثرتهم ، ويكفى في هذا النصر أنهم قتلوا سبعين وأسروا سبعين ، ولم يكن قتلاهم ولا أسراهم من الضعفة ولا أغمار الناس ، وإنما كانوا من الكبراء الأشراف ، عتبة وأخوه وابنه ، وأبو جهل ، وكان في الأسرى العباس بن عبد المطلب ـ عم رسول الله ـ ﷺ ـ وسهيل بن عمرو ، وعند عودة المسلمين إلى المدينة ، قال واحد منهم ما قتلنا إلا قوما ضعافا ، فقال له النبى ـ ﷺ ـ أولئك الملأ من قريش ، والملأ هم أشراف الناس وكبراؤهم ، والغلبة على مثل هؤلاء القوم لها أثرها في نفوس الغالبين والمغلوبين جميعا ، فهى إذ ترفع معنويات المنتصرين ، تشعر المغلوبين بالذلة وتفل عزائمهم .

ولا ريب أن المسلمين يوم بدر أخلصوا النية لله تعالى ، واستماتوا في الحرب لنصر دينهم ، فلم يضن الله عليهم بنصره ، ثم كانت لهم منزلة خاصة عند الله ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

بقى أن أقول : إن الملائكة يوم بدر لم تقاتل ، وأنها لم تنزل إلا للبشرى وتثبيت القلوب ، ولم يقتلوا أحدا من المشركين ، وقد اشتد في تفنيد رأى القائلين أنهم قاتلوا من السابقين أبو بكر الأصم ، فقال : إنه إذا كان المراد من نزول الملائكة قتال المشركين ، فقد كان يكفى نزول جبريل وحده فيفعل بهم ما فعله بقوم لوط ، فإذا حضر فلا حاجة إلى هذا العدد من الملائكة ، وكبار القرشيين الذين قتلوا معروفون ومعروف من قتلهم من المسلمين . ولم يذكر أحد شيئا عن قتل الملائكة المشركين سوى رواية عن الربيع بن أنس ، أن الناس يوم بدر كانوا يعرفون قتلى الملائكة بما ضربوا فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به وهى رواية أنكرها الكثيرون من المحققين ، ومنهم ابن جرير الطبرى .

إن السبعين الذى قتلوا معروفون ، ولم يميز بينهم قتلى لغير المسلمين . ثم إن أهل بدر لهم مكانتهم وثوابهم على حسن جهادهم ، وقال فيهم رسول الله ـ ﷺ ـ لعمر : ومايدريك لعل الله ـ عز وجل ـ اطلع على أهل بدر فقال : « اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » ، فإذا كان الملائكة حاربوا وقاتلوا فلامزية لأهل بدر ولافضل ، وقد قاتل المسلمون بعد ذلك وأبلوا بلاء حسنا ولم تكن لهم ميزة أهل بدر . ويوم حنين أنزل الله جنودا له انتصر بهم المسلمون بعد فرارهم . فهل يكون أهل بدر مثل هؤلاء في موقفهم ؟! أو يستحق أصحاب حنين مثل ما استحق أهل بدر .

إننا لابد أن نأخذ بمعنى القصر في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى ﴾ .

قضية كشمير المسلمة

٣

للأستاذ / ماهر الشيمى

قضية كشمير والأمم المتحدة :

أوفدت الأمم المتحدة لجنة للهند وباكستان فى يوليه ١٩٤٨ لبذل مساعيها الحميدة لإعادة السلام بين الدولتين وإجراء استفتاء . وقد اصدرت اللجنة قرارين بموافقة حكومتى باكستان والهند ، الأول فى ١٣ اغسطس ١٩٤٨ والثانى فى ٥ يناير ١٩٤٩ يقضيان بما يلى :

ـ وقف القتال وتعيين خط له .

ـ انسحاب الجيش الباكستانى ورجال القبائل والرعايا الباكستانيين إلى ماوراء الخط المعين لهم . وكذلك انسحاب القوات الهندية إلى ماوراء الخط المعين لها . أى تجريد الإمارة من السلاح .

ـ إجراء استفتاء حيادى تحت إشراف الأمم المتحدة لتقرير المصير .

وقد قبلت الدولتان هذين القرارين ، وعقدت اتفاقية بينهما بذلك . وعلى هذا الأساس توقف القتال فى ٥ يناير ١٩٤٩ . وتعين خط وقف إطلاق النار فى ٢٧ يوليه ١٩٤٩ .

الهند تستولى على كشمير :

ومضت سنوات وسنوات على صدور هذين القرارين وتوقيع هذه الاتفاقية ، ورغم ذلك فالهند لا تسمح بإجراء الاستفتاء ، فقد عدلت عن موقفها منه ، لأنها وجدت فى طلب انضمام المهراجا إليها وثيقة شرعية . وقد صرح بذلك رئيس وزراء الهند (نهرو) فى مارس ١٩٥٦ فى البرلمان الهندى عندما قال : « إن الحديث عن إجراء استفتاء فى كشمير ليس له ما يبرره » . وفى ابريل ١٩٥٦ اعلن نهرو إلغاء اتفاقية الاستفتاء متذرعاً بأن انضمام باكستان إلى الحلف المركزى قد قضى على أسس الاستفتاء . وبعد عام من هذا التصريح وضعت الجمعية التأسيسية[1] للإمارة مسودة دستور اعتبرت بموجبها كل الإمارة ـ بما فى ذلك كشمير الحرة ـ جزءاً لا يتجزأ من الاتحاد الهندى .

وفى ٢٥ أغسطس ١٩٦٠ اعلن وزير الدفاع الهندى (كريشنا مينون) « إن كشمير جزء

(١) « كانت الانتخابات التى جاءت بهذه الجمعية عام ١٩٥٧ انتخابات مزيفة وقد وصفتها صحافة العالم بذلك » . « مأساة كشمير » ص ٦٦ سفارة باكستان ١٩٦٥ .

لا يتجزأ من الهند مثلها مثل راجستان او مدراس ، كما اعلن رئيس وزراء الهند نهرو مرارا : « إنه لن يكون هناك استفتاء بكشمير لا الآن ولا فيما بعد » .

وفى يوليه ١٩٦٥ قبضت الهند على ناصية الحكم فى كشمير وانزلت علم الإمارة عن مبنى المجلس النيابى فى سرينجار عاصمة كشمير ورفعت مكانه العلم الهندى واعتبرتها ولاية هندية .

وصرح أحد الوزراء الهنود (ناندا) بقوله : « لقد ضُمت كشمير نهائيا إلى الهند وبلا رجعة ، وأصبحت جزءًا منها ، ولم يعد هناك معنى لتقرير المصير » . وبعد ذلك هدد رئيس وزراء الهند (لال بهادر شاسترى) ووزير الدفاع (شافان) بمعاقبة كل من يصر على غير هذا القول ، بل وطالبا أيضا بضم كشمير الحرة إلى الهند .

وفى سبتمبر ١٩٦٥ دعا رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى زعماء الهند وباكستان للالتقاء فى (طشقند) لمحاولة تسوية النزاع بطريقة سلمية . ووقعت اتفاقية طشقند فى ١٠ يناير ١٩٦٦ بين الدولتين ، وتقضى بالعمل على إحلال السلام بين الدولتين وتسليم أسرى الحرب وبحث القضايا الخاصة بمشاكل اللاجئين وغير ذلك من الأمور التى تهم كلا الطرفين ، ولكن الاتفاقية لم تتعرض للبحث عن حل لمشكلة كشمير ويبدو أن كلا من الدولتين قد قنع بنصيبه من كشمير .

محاولات الهند للقضاء على الإسلام فى كشمير(٢) :

أدركت الهند أن شعب كشمير لن يكف عن المطالبة بالانفصال عن الهند طالما كان الإسلام

قويا فى وجدانهم . ولذلك وضعوا خططا جهنمية فى محاولة دائبة للقضاء على الإسلام والثقافة الإسلامية فى كشمير . فأرسلت الهند وفدا من الخبراء إلى أسبانيا لدراسة الوسائل التى تم بها القضاء على الإسلام فى الأندلس . وقدم هذا الوفد بعد عودته تقريراً مفصلا عن هذه الوسائل والأساليب التى يراها كفيلة لتحقيق هذا الغرض . كما قدم السفير الهندى فى الاتحاد السوفيتى تقريراً عن الوسائل التى استخدمها الاستعمار الشيوعى السوفيتى للقضاء على الإسلام والمسلمين فى الولايات الإسلامية فى آسيا الوسطى . وعلى ضوء هذين التقريرين تم مايلى :

— تغيير المنهج التعليمى الإسلامى إلى المنهج التعليمى الهندوسى .
— تحويل المعاهد العلمية إلى أوكار لنشر الفساد الخلقى .
— تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس .
— إباحة الخمر وترويجها على حساب الدولة فى

(٢) « المختار الإسلامى » العدد ٩١ أغسطس ١٩٩٠ ص ٥٠ « جامو وكشمير » .

جميع أنحاء الولاية .

– تجريد اللغة الكشميرية من الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين الجيل الناشىء وبين الكتب الإسلامية .

– بث الفرقة والخلاف بين المسلمين .

– استخدام وسائل الإعلام للأساليب الإباحية . والدعوة إلى القومية الهندية .

– طمس معالم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية .

– التنكيل بالعناصر المجاهدة .

الجهاد فى وجه الاستعمار الهندى لكشمير :

ورغم كل هذه المخططات اندلعت حركة الجهاد الإسلامى فى جامو وكشمير وعملت على توحيد جهود المسلمين وربطهم بالعالم الإسلامى عموما وباكستان خصوصا . كما عملت على نشر الدعوة الإسلامية من خلال الأساليب المتاحة مثل الدعوة الشخصية وإعداد الكتب وإنشاء المكتبات الإسلامية ، وإنشاء المدارس الإسلامية فى أنحاء الولاية . وتوعية أهالى الولاية بالمخططات الاستعمارية الهندوسية . كما ظهر « حزب المجاهدين » كمنظمة جهاد مسلحة . و « حركة تحرير كشمير » كمنظمة سياسية علنية تحت قيادة السيد (على الجيلانى) . وبدأت حركة المسيرات والإضرابات والكفاح المسلح للمطالبة بإجراء استفتاء لتقرير مصير الولاية .

وكان من الطبيعى أن يرد الاستعمار الهندوسى بوسائله التقليدية على هذا كله . فقام بإعلان حظر التجول . وسلم الولاية إلى الجيش الهندوسى ليحكمها حكما عسكريا شرسا . وطرد مندوبى الصحف والمجلات العالمية من الولاية ، وأوقف الجرائد المحلية . ونظم المذابح للرجال والنساء والأطفال ، وزج بالأهالى فى السجون ، وهتك أعراض النساء المسلمات . ومنع وصول المواد الغذائية والأدوية إلى الولاية كما حُلت الجماعة الإسلامية والمنظمات الإسلامية والسياسية ، وقُبض على زعمائها وأعضائها . وأحرقت المئات من القرى لقمع ثورة الشعب المسلم الحر حيث أغلقت أبواب البيوت على ساكنيها ثم أشعلت فيها النيران .

وكانت نتيجة تلك الإجراءات الوحشية أن بلغ عدد الشهداء أكثر من خمسة آلاف شهيد وستة آلاف جريح و ١٢ ألف معتقل تعرضوا لأشد أنواع التعذيب الوحشى فى سجون الهندوس . وفضلا عن ذلك فهناك عشرات الألوف من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، قد فروا بدينهم وأعراضهم تاركين أراضيهم وأموالهم فى موجات هجرة إلى باكستان بعد أن تحولت كشمير إلى سجن واسع كبير .

ولقد قام وفد من باكستان برئاسة القاضى حسين أحمد[٣] بزيارة للقاهرة فى العام قبل الماضى (١٩٩٠) ضمن جولة شملت عددا من البلاد الإسلامية . وذلك لنشر الوعى بين مسلمى هذه البلاد حول أساليب الإبادة والاضطهاد التى يتعرض لها إخوانهم المسلمون فى كشمير ، وعرض أبعاد مشكلة كشمير ، ووجه نداءه إلى المسلمين فى كل مكان بمد يد العون إلى إخوانهم فى كشمير ، وأن يسعوا إلى نشر الوعى حول هذه القضية . وناشد الوفد الباكستانى جميع مسلمى العالم أن يهبوا لنصرة إخوانهم .

وبرغم القهر والتعذيب والدم المهدر فستنتصر بمشيئة الله إرادة الشعب المسلم فى كشمير . ذلك الشعب المجاهد الذى ينادى الضمير الإسلامى والإنسانى فى كل مكان بالتضامن معه من أجل مطالبه العادلة . ووقف المذابح وإجراءات القمع الوحشية التى يمارسها الهندوس ضدهم .

(٣) « مجلة المختار الإسلامى » نفس العدد السابق .

جمهورية تركمانستان

٤

إعداد : عادل خفاجة

تقع هذه الجمهورية الإسلامية شمال افغانستان ، وشمال شرق إيران ، كما يحيط بحر الخزر باعلى نصفها الغربى ، وتلف اوزبكستان شرقها وشمالها الشرقى ، بينما يقع جزء من (كازاكستان) فى بقية شمال (تركمانستان) ، فيشترك بحر الخزر و (كازاكستان) و (اوزبكستان) فى الإحاطة بشمال هذا الإقليم الإسلامى المجيد .

وتبلغ مساحة هذا البلد الحبيب (٤٨٨,٠٠٠) اى ما يقرب جداً من نصف مليون كيلومتر مربع ، يسكنه نحو ثلاثة ملايين ونصف نسمة اغلبهم من المسلمين ، فنحو (٦٨ ٪) منهم تركمان ، و (١٢٪) روس ، و (٩٪) ازبك ، و (٣٪) كازاك[1] بالإضافة إلى جنسية اخيرة تبلغ نحو (٨٪) .

طبيعة البلاد :

واغلب مناطق تركمانستان صحراوية ، فى حين نجد القسم الجنوبى المحاذى لأفغانستان ،

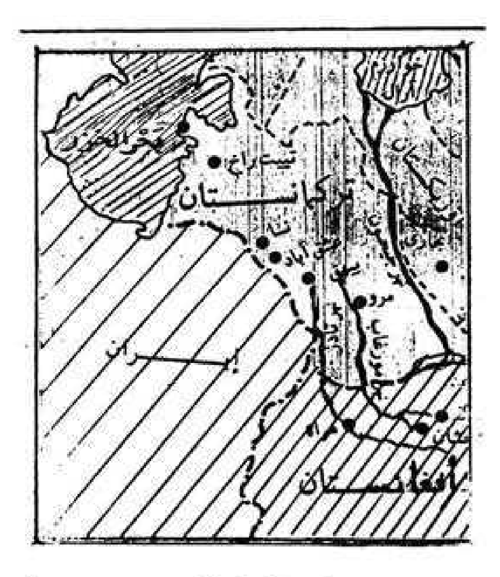

يمر به نهر (مورغاب) الذى ينبع من جبال (هندكوش) فى افغانستان .

(١) المسلمون والروس يقررون مصير العالم . للأستاذ محمد جلال كشك .

جمهورية تركمانستان

كذلك يمر فى القسم الجنوبى أيضاً نهر (تادز) وهو امتداد لنهر (هارى رد) يمر بمدينة (هرات) ثم يتجه شمالاً قريباً من الحدود بين تركمانستان وإيران . وتقع عليه مدينتا (سرخس) و (بيهق) ، كما يمر نهر (جيحون) موازيا الحدود بين (التركمانستان) و (أوزبكستان) . وبالإضافة إلى هذه الأنهار فإن هذا القسم من البلاد تسقط على الأمطار بغزارة .

اقتصاد البلاد :

تنتج تركمانستان من القطن ما يوازى (٥٤٠) ألف طن سنويا ، وما يوازى (٢٠) ألف طن من القمح ، وما يعادل (٢٤) ألف طن ذرة . وبها ما يزيد عن أربعة ملايين رأس من الماعز ، بالإضافة إلى إنتاجها من البترول والكبريت والغاز الطبيعى . كما تنتشر بها صناعة السجاد الفاخر .

العاصمة وأهم المدن :

تقع العاصمة (عشق أباد) أشخباد بالقرب من جبال (كوت داغ) ، وقد ظهرت مدينة (عشق أباد) عام ١٨٨٢ بعد الاحتلال الروسى سنة ١٨٨٢ م ، وذلك بعد أن خُربت مدينة (نسا) الشهيرة التى أنجبت الإمام النسائى ، المحدث وأحد أصحاب الصحاح الستة ـ رحمه الله .

أهم مدنها :

تضم هذه الجمهورية عدداً من المدن ـ وإن كانت أكثر هذه المدن قد صارت أثراً بعد عين إلا أنها تستمد أهميتها بما خرجت للعالم الإسلامى من رجال كتب التاريخ أسماءهم بحروف من نور .

من هذه المدن :

● **مرو** : وكانت عاصمة إقليم خراسان بأكمله ، وفى مرو هذه حملت أم الإمام أحمد به وهو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيبانى المروزى (نسبة إلى مرو) وولد فى بغداد سنة ١٦٤ هـ فهو مروزى بغدادى ـ رضى الله عنه ـ كما أخرجت لنا الأئمة : سفيان بن سعيد الثورى ، وعبدالله بن المبارك ، وبشر الحافى ، والفضيل بن عياض ، وهم أئمة هداة محدثون وبمرو قبور بعض الصحابة والتابعين منهم : الحكم بن عمرو الغفارى ، وسليمان بن بريدة ، وبريدة بن الحصيب الأسلمى الذى رفع للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لواء عند دخوله المدينة مهاجراً(٢) .

ويجرى فى مرو نهران صغيران هما (الرزيق) و (الماجان) .

● **نسا** : وهى التى سيَّرلها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لواء بقيادة سارية ، فسار إليها وحاصرهم ، فجاءتهم الإمدادات وسارية فى صحراء ، إن أقاموا بها أحاط بهم العدو وإن تحصنوا بالجبل لم يستطع العدو إلا أن يأتيهم من الأمام .. وكان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر فصاح فجأة « ياسارية الجبل الجبل » ثلاثاً . حتى دهش لصرخته الناس وعقب الصلاة ، دخل عليه عبدالرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه فقال ـ لعمر : إنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً بينا ، أنت تخطب تصيح : ياسارية الجبل .. أى شىء هذا ؟

قال عمر : إنى ـ والله : ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يُؤْتَوْن من بين أيديهم ومن

(٢) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ للدكتور محمد على البار جـ ٢ .

خلفهم فلم أملك أن قلت : ياساريةُ الجبلَ ؛ ليلحقوا بالجبل) .. يقول رسول سارية الذى قدم بكتاب الفتح أنهم سمعوا صوت عمر يصيح : ياسارية الجبل الجبل فمالوا إلى الجبل وانتصر المسلمون .

روى أئمة الحديث هذه القصة بأسانيد صحيحة مثل البيهقى وأبو نعيم وابن مردويه ، قال العلامة ابن كثير صاحب التفسير المعروف : « إسناده جيد . والجيد احد اقسام الصحيح .

فتح الله على المسلمين (نسا) فأنجبت من الأئمة والأعلام :

ــ ابا عبدالرحمن احمد بن شعيب بن على النسائى صاحب كتاب (السنن) احد كتب الحديث الستة الصحيحة المشهورة .

ــ ابا عباس الحسن بن سفيان الشيبانى النسوى كان محدثا ، مقدماً فى الفقه والادب توفى سنة ٣٠٢ هـ ، وهى نفس السنة التى توفى فيها الإمام النسائى .

ــ ابا أحمد حميد بن زنجويه الأزدى النسوى صاحب كتاب (الترغيب) وكتاب (الأموال) .

● سرخس : كانت تقع على نهر (تادز) وهو امتداد نهر (هارى رد) وقد أخرجت من الأئمة الأعلام :

ــ الإمام محمد بن أحمد بن سهل السرخسى صاحب كتاب (المبسوط) وهو أحد مراجع الفقه الحنفى .

ــ والإمام عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الراز السرخسى المحدث الفقيه .

● **بيهق** : وتقع بيهق على نهر (هارى رد » ، ومن أشهر أئمتها :

ــ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن عبدالله بن موسى البيهقى المحدث الشهير صاحب كتاب (دلائل النبوة) وكتاب (مناقب الشافعى) ... وغيرها ..

ــ والإمام أحمد بن على بن محمد البيهقى صاحب (المحيط بلغات القرآن) ، و(تاج المصادر) . وغيرهما .

● **أمل** : تقع أمل على بعد ميل غرب نهر (جيحون) .

ومن أشهر أئمتها :

ــ الإمام ابن جرير الطبرى صاحب التفسير والتاريخ المشهورين .

ــ والإمام أحمد بن هارون الآملى .

ــ والإمام أبو إسحاق إبراهيم بن بشار الآملى .

وهذه المدن هى التى أنزل بها الاستعمار الروسى ، ثم الشيوعى حقده كاملاً فأبادها فاستحالت خراباً فأثراً بعد عين .

الإسلام يطرق ابواب هذه البلاد :

فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ دخل الإسلام بلاد (خراسان) عندما وجه الخليفة عمر ـ رضى الله عنه ـ الأحنف بن قيس عام ١٨ هـ إلى (خراسان) فتم فتحها بفضل الله تعالى فى سنة ٢٣ هـ . وتركمانستان أنذاك جزء مما تضمه (خراسان) .

وقد كانت تلك البلاد فى عهود المسلمين آيةً من آيات الرخاء ، حتى أن أسواقها كانت مفروشة بالآجر واهتموا بالزراعة ، وحفروا قنوات الرى ، وتعهدوها فأنتجت العديد من الفواكه ، وأصبحت البلاد ملاذاً للعلماء والزهاد ، كما كانت مركزاً للتجارة والصناعة والزراعة .

جمهـوريـة تركمـانستـان

ثم كانت الشيوعية :

جاءت الشيوعية فخربت أفدح مما خَرَّبَ القياصرة . فكان المسلمون ضحية فى الحالين ، ليس لأنهم خنعوا ، حاش لله ، بل لأن الاستعمار دأب فى كلا العهدين على تجريد المسلمين من أى سلاح ، ولو كان تافهاً لا قيمة له .

وها هو لينين يعترف بما اقترفه الحكم القيصرى من آثام وما ارتكبه من مصائب .

عندما أعلن فى أول بيان أصدره فى نوفمبر ١٩١٧ تأكيده أن الثورة قامت من أجل حرية الأديان ، فنجده يقول : « يامسلمى روسيا يامسلمى الشرق أيها الرفاق أيها الإخوة » :

(ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم فى العبادة .. واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة) ..

كما أعلن أن الاتفاقيات السرية المعقودة بين روسيا وبريطانيا وفرنسا كانت لاقتسام العالم الإسلامى فهى لاغية .

ثم قام بخديعة كبرى يثبت بها حسن الطوية فسلم مصحف عثمان ـ رضى الله عنه ـ إلى ممثلى مسلمى روسيا فى مؤتمر بتروجراد ، وما أن تمت مساعدة المسلمين ونال مايريد حتى انقلب عليهم بحرب إبادة ، فتمت فى عهده الأسود مذبحة القرم والمجاعة ـ المتعمدة ـ [٣] التى انتشرت فى ربوعها ، والتى أجبرت المسلمين فيها على أكل الكلاب والقطط ، وقام بإغلاق المساجد والمدارس الإسلامية ، وتشريد الملايين منهم ، وليس أدل على هذا التسلط والتعسف إلا أن نذكر أن الاتحاد السوفيتي على اتساعه الذى يصل إلى ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كيلو متر مربع ، وعلى ما به من مسلمين لا يوجد به سوى مدرستين رسميتين لتعليم القرآن . والتعاليم الإسلامية ، واحدة فى (بخارى) والأخرى فى (طشقند) [٤] . ويكفى أن نقول : إن الأرض التى تحتفظ بأحد مصاحف عثمان الأربعة لم تتوافر نسخة من المصحف فى كل مسجد فيها ، وإذا وجدت فهى تعامل كأثر ، فتحفظ فى خزانة لها مفتاح يبقى فى عهدة المشرف على المسجد ، ولا تفتح إلا لكبار الزوار [٥] .

وقد استخدمت روسيا القيصرية والشيوعية من بعدها أخس الأساليب فى محاولة إحكام قبضتها على المسلمين ، وقد سبق ذكر بعض من ألوان ذلك ، فليس غريباً أن نرى تركمانستان التى كانت آهلة بالمدن العامرة مثل (مرو) و(سرخس) و(آمل) و(نسا) و(بيهق) تكاد تكون خالية من السكان فى القرن العشرين بعد أن دنستها أقدام البلاشفة الروس وأبادوا سكانها وأحرقوا ديارها ..

وهـا قد اختفى الاتحـاد السـوفيتى من الوجود ، وانتهى إلى الأبد فهل تقوم علاقة طيبة بين الروس والمسلمين ، ويستوعب الروس الدرس الإلهى الذى قضى به ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم ، فأطاح بدولتهم حتى تبين للناس أنها سراب .

وهل يستوعب العقل الروسى معنى قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

---

(٣) راجع : مجلة الأزهر ـ العدد السابق ـ جمهورية القرم الإسلامية .

(٤) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ للدكتور محمد على البار .

(٥) المسلمون والروس يقررون مصير العالم . للأستاذ محمد جلال كشك .

﴿ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

ملامح النظام السياسى في الدولة اليهودية

بقلم: لواء. أ. ح
د. فوزى محمد طايل

إن من يتتبع سير الحياة اليومية في الدولة اليهودية سوف يقف على حقيقة مفادها : ان أهم ما يشغل بال الخاصة والعامة عندهم مسالة « الأمن القومي » الذى لن يتحقق ، بحسب اعتقادهم ، إلا عندما تقوم « إسرائيل الكبرى » بعاصمتها الأبدية « القدس » ، وبهيكلها الثالث . من اجل هذا فإن الحرب والاستعداد لها هما جزء من الحياة الخاصة لكل إسرائيلى . يقول الله تبارك وتعالى في وصف هذه الخصلة : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً . . . ﴾ (البقرة / ٧٤) .

الأمن القومى في العقيدة الصهيونية :

إن خلاصة مفهوم « الأمن القومى » عند الإسرائيليين هو : الاستيلاء على الأرض ، وتحريك الحدود ، وجلب المهاجرين اليهود ، وطرد السكان العرب . وتستخدم إسرائيل أدوات وقدرات مختلفة من أجل تحقيق الأمن بهذا المفهوم . بيد أن أهم هذه الأدوات هو القتال المستمر وعدم المهادنة ، وهذا أمر راسخ في أذهان الكافة عندهم ، لأنه جزء من العقيدة اليهودية(*) ، من ناحية ، ولا يكف قادتهم وزعماؤهم عن التذكير به من وقت لآخر من جهة ثانية ، كما أنه يشغل مساحة كبيرة في « التأهيل الاجتماعى » للشعب الإسرائيلى من خلال وسائل التعليم والإعلام والثقافة .

وحسبنا أن نورد بعض ماقاله مفكروهم وقادتهم فيما يلى :

— قال المفكر والكاتب الصهيونى الكبير سير إشعيا : « لاشك أن دماء الشهداء قد عجلت

(*) راجع : « سفر الخروج : ٢٤ : ١١ ـ ١٢ ، ١٥ ، ٢٤ » « سفر اللاويين : ٢٦ : ٧ ـ ٨ » ـ « سفر العدو : ٣٣ : ٥٥ ـ ٥٦ » وغيرها كثير .

♦ ملامح النظـــــــام السياسى

بإذكاء الروح القومية التى كانت تحتاج وقتا أطول كى تنمو » .. ويبرر مقولته بأن : « الحرب تعد من أفضل العوامل التى تؤدى إلى التضامن والانسجام بين الجماعات » .

ـــ لطالما كرر « جابوتنسكى » الزعيم الصهيونى قوله : « إن التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء » .. ويردد « مناحيم بيجين » رئيس الوزراء الأسبق معنى هذه المقولة بتعبير آخر : « إن قوة التقدم فى التاريخ ليست للسلام وإنما للسيف » . والعجيب ليس قول هذه العبارة ، ولكن العجيب أن قائلها هو الذى وقع « اتفاق السلام » مع مصر عام ١٩٧٩ م .

ـــ فى خطاب « لشمعون بيريتس » عندما كان وزيرا للدفاع ـ وهو كما يدعون « من الحمائم » ـ قال فيما نشرته جريدة معاريف فى أول نوفمبر ١٩٧٤ : « .. يشكل جيش الدفاع الإسرائيلى الأداة الرئيسية لتنفيذ سياسة (الأمن القومى) هذه .. وأحيانا يكون الجيش هو الأداة الوحيدة لذلك .

ـــ قام أريل شارون فى الثانى عشر من ديسمبر ١٩٨٢ م بتوضيح حدود « المجال الحيوى لإسرائيل » فقال أمام « لجنة الشئون الخارجية والأمن » « بالكنيست » : « إن مصالح إسرائيل الاستراتيجية فى الوقت الحاضر تتضمن جميع مناطق العالم العربى علاوة على إيران وتركيا وباكستان وشمال أفريقيا .. وحتى « زيمبابوى » .. » .

ـــ وفى شهر يونيو عام ١٩٩٠ م أعلن مساعد رئيس الأركان العامة فى إسرائيل : « إن حربا مع الدول العربية المجاورة لإسرائيل سوف تقع حتما ، وعندئذ لن تتوقف قوات الدفاع الإسرائيلى عند الضفة الشرقية لقناة السويس » .. وقد نشرت وسائل الإعلام العالمية والعربية هذا التصريح فى حينه .

ـــ ظهر « جوزيف سيرج » عالم الآثار الإسرائيلى على شاشة « التلفاز » الفرنسى فى أعقاب مذبحة المصلين فى ساحة المسجد الأقصى (فى الثامن من أكتوبر ١٩٩٠ م) ليصرح « أن إسرائيل تبدأ قريبا جداً فى إقامة « الهيكل الثالث » على أنقاض « المسجد الأقصى » ، الذى تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام التقنية الحديثة » .

ـــ أما « يتصحق شامير » ـ رئيس الوزراء الحالى ـ فقد صرح فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٩٠ م فى حديث له لإحدى محطات « التلفاز » الأمريكى(*) : إن المهاجرين الجدد يتوجهون للتوطن بالضفة الغربية وقطاع غزة باعتبارهما ـ على حد تعبيره « جزءاً من إسرائيل » .. وعلق على « مذبحة القدس » بقوله : إن الوقت قد حان كى تمتد حدود إسرائيل فى هذه المرحلة « من البحر إلى النهر » .. وتحت ضغط الاستنكار عاد ليقول إن تصريحاته لم تكن سوى « مجرد أحلام » !

ـــ وأخيراً فقد صرح « يتصحق رابين » ، وزير الدفاع الإسرائيلى السابق ، وهو ممن يدعونهم بالحمائم أيضا ـ فى محاضرة ألقاها بجامعة حيفا ، فى إطار ندوة أقيمت فى الأسبوع الأول من شهر يونيو سنة ١٩٩١ م : « إن إسرائيل تمتلك أسلحة نووية وأسلحة دمار شامل أخرى .. وأنه يتعين على جيش الدفاع الإسرائيلى أن يظل هجوميا ، بكل ما فى هذه العبارة من معان ، وأن

(*) كانت هذه المرة الثانية لمثل هذا التصريح ، إذ صرح قبلها فى الثامن عشر من نوفمبر ١٩٨٩ فى حديث أجرته المذيعة الأمريكية « ليسلى ستول » المسئولة عن البرامج السياسية لمحطة C.B.S. برفضه الكامل لمبدأ مبادلة الأرض بالسلام قائلا إن « أرض فلسطين ميراث لإسرائيل » !

يظل قادرا على نقل المعركة إلى أراضى العدو بكافة الوسائل .. وأن « الردع » يعتمد على أن تظل القوات الإسرائيلية الأقوى والأفضل تسليحا بالمنطقة » .

إن فكرة « أرض الميعاد » التى عرضنا لها تفصيلا فى المقال الأول من هذه السلسلة تعنى ببساطة الاستيلاء التدريجى على الأرض من خلال عمليتين متتاليتين هما « الضم » و« الاستيعاب » ، وهذا ما حدث خلال الجولة الأولى عام ١٩٤٨/١٩٤٩ م(*) ، والجولة الثانية عام ١٩٥٦ م (باستيلائهم على منطقة العوجة منزوعة السلاح) ، والجولة الثالثة عام ١٩٦٧ م إذ احتلت إسرائيل الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، ومرتفعات الجولان . ومنذ ذلك الوقت حتى الآن تعمل إسرائيل على الاستيلاء على الأراضى المملوكة للعرب : كرها بإصدار قوانين وأوامر عسكرية ظالمة ، أو عن طريق التزوير ، أو إجبار بعض العرب على التوقيع عن عقود تنازل عن أراضيهم تحت التهديد ، وفى بعض الحالات عن طريق الإغراء بالمال وتوفير فرص العمل الدائمة بقارتى أمريكا وقارة استراليا ، وغيرها .

و « الدولة اليهودية » ليست كأية دولة ، فهى ترفض أن يكون لها حدود ، بل تسعى دائما لتحريك حدودها بدعوى الأمن ، وتستند فى ذلك أيضا إلى دعاوى دينية تاريخية .. فتحريك الحدود يعد بمثابة جزء لا يتجزأ من العقيدة اليهودية كتبوها بأيديهم فى « التلمود » : ففى سفر حطين (٥٧ أ ص ٢٦٢) تشبيه لحدود إسرائيل بجلد الغزال الذى لديه من المرونة ما يمكنه أن يستوعب لحم وعظام ذلك الغزال ، وفى سفر كتوبوت « ١١١ ص ٧١٧ » أن حدود إسرائيل سوف تمتد وتتسع كلما ازدادت امتلاء ، وكثافة .. وفى هذا إشارة بضرورة التوسع الإقليمى التدريجى بما يتناسب وتزايد السكان اليهود .

وكثيراً ما تحدث الساسة والمفكرون فى إسرائيل عما يسمى « بالحدود الآمنة » التى يسهل الدفاع عنها والتى يظنون أنها لا تخترق . وقد وضعوا هذا موضع التطبيق منذ اللحظة الأولى لإقامة الدولة اليهودية ، إذ أحاطوها بخط متصل من المستعمرات الحصينة ، وفى أعقاب حرب عام ١٩٦٧ م قاموا ببناء خط بارليف الحصين على طول قناة السويس ، ورفعوا على حافتها ردما ترابيا كان يبلغ ارتفاعه عشرين مترا فى بعض المناطق .. وعلى جبهة القتال مع سوريا قاموا بحفر خندق عميق يعوق تقدم الدبابات .. ومع ذلك فقد أمكننا الله تعالى منهم خلال حرب رمضان ١٣٩٣ هـ ، فسقطت بذلك نظريتهم فى الحدود الآمنة . وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر - ١٤) .

هذا ويعد جلب معظم يهود العالم إلى أرض فلسطين أهم الأهداف القومية للدولة اليهودية ، بل هو جوهر الفكرة الصهيونية ذاتها . وتستخدم إسرائيل كل الإمكانات المتاحة لها : الاقتصادية ، والاستخباراتية ، و« الدبلوماسية » ، والسياسية من أجل تحقيق هذا الهدف الذى يعد جزءاً هاما فى عقيدتهم . ويرتبط هدف الهجرة هذا ، بالضرورة ، بعملية تفريغ « القدس » ، والضفة

(*) تم الاستيلاء على أراض تزيد عن تلكم التى حددها قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ ، والذى يعد السند القانونى الوحيد لقيام الدولة اليهودية .. كما تم الاستيلاء على قرية أم الرشراش فى الفترة الزمنية الواقعة بين توقيع اتفاق الهدنة مع مصر ، وتوقيع اتفاق الهدنة مع الأردن .. وتم تحويل هذه القرية إلى ميناء « إيلات » وبذا تمكنت إسرائيل من الإطلال على البحر الأحمر والتغلغل فى افريقيا .

ملامح النظـــــام السياسى

الغربية لنهر الأردن (التى يطلقون عليها يهودا والسامرة) ، وقطاع غزة من سكانها ، وتهديد هذه المناطق من خلال إقامة المستوطنات فيها على شكل خطين كبيرين يحصران بينهما الضفة الغربية لنهر الأردن ، ومجموعة من الدوائر المحيطة بأهم المدن والقرى الفلسطينية ، فضلا عن ربط مدينة القدس بالمستوطنات الكبيرة التى اقيمت حولها حتى تصبح نسبة اليهود فى المدينة ككل هى الاكبر .

ويتحدث الساسة الإسرائيليون ويخططون لتنفيذ فكرتين فى هذا الإطار هما : « الطرد الجماعى التدريجى » ، و« الوطن البديل » .. وقد جاءت هاتان الفكرتان على سبيل المثال فى صحيفة « جيروساليم بوست » علـى لسان «بنيامين نتانياهو » نائب وزير خارجية إسرائيل يوم التاسع عشر من نوفمبر ١٩٨٩ م ، وبحث مجلس الوزراء الإسرائيلى المصغر ، المنوط به اتخاذ القرار كما سبق أن ذكرنا » ، هذين الموضوعين عدة مرات ووضع لها الخطط ، وتناقلت وسائل الإعلام المختلفة هذه الأنباء .

ولعل من أخطر ما قرات الحديث الصريح الذى أدلى به « رحبعام زعيفى »* ونشرته جريدة « نيوزويك » فى صفحتها الأخيرة (ص ٥٦) ، وأجرى الحديث معه الصحفى « شلومو أرد » . وقد جاء بهذا الحديث :

ــ إن الحل الوحيد للمشكلة هـو فصل الفلسطينيين عن اليهود بأن يعود كل من الطرفين إلى ارض أجـداده .. وأرض أجـداد الفلسطينيين ــ على حد قوله ــ هى العربية السعودية ، والسودان ، وليبيا .. اما إسرائيل فهى ارض اليهود .. إن الفلسطينيين ما هم إلا « طابور خامس » !

ــ امـا عن الحرب والسـلام فقد قـال « زعيفى » .. إننا عقدنا اتفاق سلام مع مصر لكنه لا يعدو قطعة من الورق « nothing but a piece of paper » .. ثم يتساءل هل ستبقى مصر ساكنة خلال الحرب القادمة حينما نصبح على أبواب « دمشق » أو « عمان » ؟

ــ إن هذه الفكرة يمكن تنفيذها من خلال سياسة المغناطيس السلبى « negative magnet Policy » وذلك من خلال مغادرة « مائة وثمانين الف فلسطينى » هذه الأرض (يقصد غزة والضفة الغربية) كل عام !! .. ويضيف « زعيفى » أن غالبية متزايدة فى الشعب اليهودى تؤيد هذه الفكرة .

ــ ولعل أخر سؤال وجه إليه كان عن توقعه للسلام ولأمن إسرائيل خلال حياته فكانت إجابته التى لا تحتاج منا إلى تعليق :

« إن السلام يحتاج أجيالا طويلة كى يتحقق .. ولا اظن انه سوف يتحقق فى حياة اطفالى ! I don't think that in my children's life time we Will have peace »

قال الله تعالى : ﴿ .. قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران / ١١٨) .

---

* احد القادة السابقين بالجيش الإسرائيلى ، وزعيم حزب « موليدت » ، اى الوطن القومى ، وهو حزب دينى متشدد ، ضمه « يتصحق شامير » إلى وزارته العام الماضى كوزير بلا وزارة ، لكنه استقال فى منتصف شهر يناير ١٩٩٢ م احتجاجا على قبول حكومة شامير الدخول فى محادثات سلام .. والحقيقة أن الاستقالة هى جزء من مسرحية تؤدى إلى إجراء انتخابات مبكرة .

ادوات تحقيق الأمن القومى من جهة الخارج :

١ ـ جيش الدفاع الإسرائيلى (تصاهال)(*) :

تكونت نواة الجيش الإسرائيلى منذ الأيام الأولى للهجرة الأولى إلى فلسطين عام ١٨٨٢ م ، وكان ذلك فى هيئة قوات شبه عسكرية تسمى « شومريم » أى « الحراس » وفى عام ١٩٠٩ م تم تنظيم هذه النواة وتوزيعها على المستوطنات اليهودية بفلسطين ، واعيد تسميتها بـ « هاشومير » أى « الحارس » أو « المراقب » .. وقد اندرج معظم هؤلاء فى « الفيلق اليهودى » الذى قاتل إلى جانب الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى .

وفى عام ١٩٢٠ م زاد النشاط الاستيطانى اليهودى فى فلسطين ، وأرادوا استخدام العنف فى سلبهم للارض ، بجانب قيامهم بشراء بعضها عن طريق « الصندوق القومى اليهودى » فشكلوا « عصابة الهاجاناة » وهى تعنى « الدفاع » ، وكانت منظمة عسكرية سرية ، فى الوقت الذى شكلوا فيه « اللواء اليهودى » الذى شارك فيما بعد فى الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء .

شكل « فلاديمير (زعيف) جابوتينيسكى Jabotinski ، و« مناحيم بيجين » « المنظمة العسكرية الوطنية » (إرجون تصفائى لئومى) ، ويشار إليها عادة باختصار « الأرجون » ، وذلك لمعاونة الإنجليز فى ضرب ثورة ١٩٣٦ م التى قام بها عرب فلسطين فى مقابل ما كانوا يلقونه من عسف وظلم وقتل وتشريد وطرد .. وقد مارست هذه العصابة « ارجون » كل صنوف التخريب والسلب والإخافة والقتل الذى شمل بعض الضباط الإنجليز أيضا إلى جانب العرب .. وأثناء الحرب العالمية الثانية انفصل عن « الأرجون » عصابة أخرى كانت تقاتل إلى جانب الإنجليز ، اطلق عليها عصابة « شتين » نسبة إلى مؤسسها (أفراهام شتين) الذى شاركه (إسرائيل ليحى) .

بحلول عام ١٩٤٤ م كان بالجيش الإنجليزى ٣٢,٠٠٠ يهودى يقاتلون فى صفوفهم إلى جانب « اللواء اليهودى » الذى كان يتكون من ٥٠٠٠ يهودى أيضاً .. فى نفس الوقت الذى كانت عصابة (الهاجاناه) قد شكلت فيه ـ منذ عام ١٩٤١ م ـ قوة خفيفة الحركة للقتال ضد الفلسطينيين اطلق عليها اسم « بالماخ » Pal-mach ، وكان قوامها قوات من الصاعقة (الكوماندو) .. ضمت بين صفوفها معظم كبار القادة الذين تولوا قيادة الجيش الإسرائيلى فيما بعد .

ومنذ الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ م تشكل « جيش الدفاع الإسرائيلى » والغيت هذه التنظيمات إذ اندرجت فيه تباعا .. وقد خاضت إسرائيل الجولة الأولى مع العرب وجيشها قوامه مائة الف رجل .. كان معظمهم قد اكتسبوا خبرة قتال من اشتراكهم فى الحرب العالمية الثانية .. وكانوا مسلحين بأسلحة من الكتلة الشيوعية ، بصفة أساسية ، ثم تولت الولايات المتحدة الأمريكية إمدادهم بالطائرات « بـ ـ ١٧ » التى كانت نواة القوات الجوية لديهم . وفى أعقاب الحرب بدأت إسرائيل تحصل على سلاحها بصفة أساسية من بريطانيا وفرنسا ، وفى أعقاب عدوانها على البلاد العربية عام ١٩٦٧ أصبح

(*) مختصر لعبارة « تصافاه هاهجناه ليسرائيل » .

ملامح النظـــــام السياسى .

اعتمادها الأساسى فى التسليح على الولايات المتحدة الأمريكية بالاستيراد فى البداية ، ثم بالتصنيع والتطوير المشترك بعد ذلك .. وزاد الارتباط بين الجانبين بعد توقيع « مذكرة التفاهم » ـ التى يطلق عليها « اتفاقية التعاون الاستراتيجى » ـ فى الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٨١ م .

هذا وقد وقع وزير الدفاع الأمـريكى « ريتشارد تشينى » اتفاق تعاون جديدا مع الإسرائيليين اثناء زيارته « للدولة اليهودية » فى أواخر شهر مايو ١٩٩١م معلنا أن بلاده تمول مشروعات دفاعية مشتركة بين البلدين أهمها الصاروخ « حيتص » المضاد للصواريخ ، وأن بلاده تقوم بتكديس مخزون « استراتيجى » من السلاح فى إسرائيل يسمح لأى من الدولتين باستخدامه .. تحسبا لنشوب حرب جديدة فى الشرق الأوسط ! ولقد ترى إسرائيل أنها أمنت جبهتها الجنوبية من خلال اتفاقية السلام مع مصر عام ١٩٧٩ م ، وأنها أمنت شمالها الغربى بإقامة ما أطلقت عليه « الحزام الأمنى » فى جنوب لبنان فإنها تتطلع إلى المزيد من التأمين من خـلال الاحتفـاظ « بـالضفـة الغـربيـة » و« الجولان » ، وربما إقامة « حزام أمنى » آخر على الضفة الشرقية للأردن . ولا تخفى البحوث الاستراتيجية الصهيونية أن ميدان المعركة القادم ، خلال التسعينيات سوف يتركز أساسا فى اتجاه سوريا(*) .

لئن كان « جيش الدفاع الإسرائيلى » قد اعتمد حتى الآن على جيش عامل محدود يستكمل القوات الاحتياطية ، التى يتم استدعاؤها تباعا خلال ٤٨ ـ ٧٢ ساعة ، فإن الهجرات الكثيفة المتنوعة ، والتى احتوت بالضرورة على جنود ، وشباب فى سن التجنيد سوف ترفع من قدرة إسرائيل على الاحتفاظ بجيش نظامى أكبر حجما وأكثر احترافا .

ويتبع الجيش الإسرائيلى وزير الدفاع ، الذى يعد ثانى أو ثالث شخصية فى الدولة ، وهو رجل سياسى ذو خلفية عسكرية ، يتولى قيادة الجيش من خلال « رئيس الأركان العامة » الذى يتبعه قوات برية وجوية وبحرية يعمل بها متطوعون ومجندون فضلا عن المستدعين من الاحتياط .

ويتم تجنيد الشباب من الجنسين (عدا المتزوجات المتدينات اللاتى يرفضن التجنيد) فى سن الثامنة عشرة ، وقبل بدء الـدراسة الجامعية ، لمدة عامين ونصف ، يرقى خلالها النابهون إلى درجات ضباط الصف وحتى رتب الضباط الاحتياط .. وبعد انتهاء مدة التجنيد يبقى المسرحون بالاحتياط فيستدعون لمدة شهر كل عام وفى حالات الطوارىء والحروب ، حتى سن الخامسة والخمسين للرجال والتاسعة والثلاثين للنساء .. ثم يعملون بعد ذلك فى أعمال الدفاع المدنى .. وبطبيعة الحال لا يسمح للمسلمين ولا للنصارى بالانضمام إلى الجيش لكن تشكل وحدات خاصة قوامها « الدروز » .

حقا « إن الدولة اليهودية لمعسكر كبير » ، ففضلا عن القوات « العاملة » و« الاحتياطية » يشكل الفتية ممن هم دون الثامنة عشرة وأكبر من الرابعة عشرة كتائب الشباب (جدود نوعار) وتختصر (جدناع) ، وهى تشكل فى وحدات

• Hirsh Goodman- W seth Carus, The Future Battle field and the Arab- Israeli Conflict, Transaction Publishers, New Brunswich (U.S.A) 1990

« وهذا الكتاب هو نشر لدراسة قام بها معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى » .

برية ، وأخرى بحرية ، وثالثة جوية ، ورابعة للاستخبارات بهدف تأهيل الشباب للخدمة بالجيش ، فضلا عن المساهمة فى القتال إن لزم الأمر .. كما يوجد نوع آخر من القوات يطلق عليهم « ناحال » وهو اختصار لعبارة « شباب الطليعة المقاتل » (نوعار حلوتصى لوحم) ، وهؤلاء هم العاملون فى المستعمرات (قيبوتص) الحدودية ، فهم يعملون بالزراعة ويستعدون للدفاع عن الحدود من داخل التحصينات .

وهنا نتساءل : هل يمكن لمجتمع منظم بهذه الكيفية أن يفكر فى السلام ؟ ذلك ، وللجيش وظائف إضافية يقوم بها من أجل دعم الأمن القومى من جهة الداخل .. فهو يبث ويحافظ على القيم الصهيونية ، ويحدث التماسك والصهر داخل المجتمع .. كما أن له دورا اقتصاديا هاما .. وسوف نعرض لهذه الأمور تفصيلاً فى المقال القادم بإذن الله .

٢ ـ مجتمع الاستخبارات الإسرائيلى :

يعتبر العمل السرى وتبنى العقائد الباطنية ، واستخدام أساليب تدبير المكائد والتآمر والإفساد فى الأرض ركنا ركين فى الثقافة اليهودية بوجه عام ، ووسيلة رئيسية من وسائل تحقيق الأهداف الصهيونية منذ نشأت هذه الحركة .

نشأ « مجتمع الاستخبارات اليهودى » فى اليوم الثلاثين من يونيو ١٩٤٨ م على انقاض جناح استخبارات الجيش السرى اليهودى الذى سبقت الإشارة إليه ، وبعد عدد من التعديلات صار هذا المجتمع يتكون من ستة أجهزة استخباراتية :

● « **الموساد** » وهذا اختصار لعبارة « موساد مركازى لمودعين أو لتفقيديم ميوحاديم » ، وهى قريبة الشبه من حيث التنظيم والمهام بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA و« الموساد » أشهر أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية ، وتعمل فى تعاون وثيق مع أجهزة الاستخبارات الغربية وغيرها ، وميدان عملها خارج إسرائيل ، وتستخدم كل ما لا يخطر ببال من أعمال التآمر ، والقتل ، والتخريب ، والجنس ، والمخدرات ، وزرع الجواسيس ومقاومة التجسس ، والاختراقات الاجتماعية .. إلخ من أجل تحقيق اهدافها .. وللموساد « محطات » للعمل من خلالها فى أوروبا وأمريكا وشرق افريقيا .. وبلدان أخرى فى العالم .

● « **أمان** » وهذا اختصار لعبارة تعنى « إدارة الاستخبارات العسكرية » ، وهى أقوى هذه الأجهزة وميدان عملها هو « المجال الحيوى الاستراتيجى » الذى حدده « آريل شارون » وذكرناه أنفا ، وتقوم بأعمال شبيهة بأعمال الموساد فضلا عن أعمال الاستطلاع فى ميدان المعركة ، ولديها وحدات خاصة تلبس الملابس المدنية لقتال الفلسطينيين من خلال تواجدها فى صفوف المستوطنين اليهود بالأراضى المحتلة ، كما أنها تقوم بأعمال « إرهابية » وبأعمال لمكافحة الإرهاب والرقابة على الصحف ووسائل النشر المحلية والأجنبية (شين بيت) وهذا اختصار لعبارة « شيروت بيطاحون كيلالى » بمعنى خدمة الأمن العام ، وهى شبيهة بأجهزة المباحث العامة وأمن الدولة ، بيدأن ميدانها الأساسى هو العمل ضد الفلسطينيين اينما كانوا ، فضلا عن قيامها ببعض أعمال الأمن الداخلى والمراقبة فى الداخل .

● « **لاكام** » ، وهو جهاز « للاستخبارات العلمية والتقنية » ، ويطلق عليه « مكتب الاتصال العلمى » ، وهو يتبع وزير الدفاع ، وتتركز مهمته فى القيام بأعمال التجسس على الأسرار العلمية والتقنية وسرقة هذه الأسرار لدعم القدرة العلمية والتقنية والنووية الإسرائيلية .. ومجال عمله الرئيسى البلدان المتقدمة علميا وصناعيا فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية .

ملامح النظـــــام السياسى

ـــ يضاف إلى هذه الأجهزة الأربعة : « **مكتب مستشار رئيس الوزراء لمقاومة الإرهاب** » و« **الإدارة السياسية بوزارة الخارجية** » .. ووظيفتاهما واضحة من اسم كل منهما .

هذا ، وتعمل هذه الأجهزة فى تناسق فيما بينها من خلال « لجنة » « فاعاداه » وتأتمر بأمر رئيس الوزراء .

ولعل مما يدعم هذا المجتمع إعداد إسرائيل لدخول عصر « تكنولوجيا التجسس الفضائى » بإطلاق قمر تجسس فى سلسلة أقمار « أوفيق » .

٣ ـ وزارة الخارجية :

وهى الجهة التى يناط بها التخطيط للسياسة الخارجية ، وتنفيذها من خلال العلاقات « الدبلوماسية » وادوات أخرى . ويدير هذه الوزارة وزير يعد ثانى أو ثالث شخصية فى إسرائيل ، وغالبا ما يكون رجلا ذا خلفية عسكرية (وزير دفاع ـ رئيس أركان) .

هذا ويمكن التعرف على اهم اهداف السياسة الخارجية الإسرائيلية فيما يلى :

ـــ **تسوية النزاع العربى الإسرائيلى** : والمقصود هنا هو حل النزاع حسب وجهة النظر الإسرائيلية التى ترى أنه لا مجال للتفاوض حول « القدس » الموحدة « عاصمة إسرائيل الأبدية »(*) ـ ولا مجال للحديث عن دولة فلسطينية ، بل حكم ذاتى لا يتضمن أمور الدفاع أو الشئون الخارجية أو المياه ـ ولا مجال للحديث عن وقف هجرة اليهود إلى فلسطين .. إذاً فالحل هو إذعان العرب وقبولهم قيام « إسرائيل الكبرى » .

ـــ **تأمين اعتراف كل دول العالم وإقامة علاقات « دبلوماسية » معها** .. وهو هدف كاد يتحقق بعد اعتراف الصين الشعبية بإسرائيل وإقامة علاقات دبلوماسية معها .. ولا يبقى سوى بعض الدول العربية وقليل من الدول الإسلامية غير العربية .

ـــ **ترقية العلاقات الاقتصادية والثقافية مع كل دول العالم** : وهو هدف حققت إسرائيل منه قدرا كبيرا خلال الأربعين سنة الماضية إذ تغلغلت فى افريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا واقامت من العلاقات مع هذه البلدان ما يدعم امنها القومى من جهة الخارج .

هذا وتتطلع إسرائيل لإحداث « تكامل اقتصادى » مع الدول العربية إذا ما تمكنت من عقد اتفاق « سلام » نهائى معها .. تقدم إسرائيل فيه الخبرة والتكنولوجيا الحديثة » وتقدم فيه الدول العربية المال ، والأرض ، والمياه ، والعمالة !

ـــ **دعم العلاقات الدينية والثقافية والتكافلية مع باقى يهود العالم** خارج إسرائيل وتأمين عودتهم إلى « وطنهم القومى » .

وبعد ... فالدولة اليهودية تعلو علوا كبيراً ، وتفسد فى الأرض أيما إفساد ، وهى تحقق من خلال ذلك « أمنها القومى » من جهة الخارج ... فكيف تحقق الدولة العبرية أمنها من الداخل ؟ هذا ما أرجو أن أستكمل به الملامح الرئيسية للنظام السياسى فى الدولة اليهودية فى المقال القادم بإذن الله .

(*) راجع سلسلة مقالات « القدس » بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية ، مجلة الأزهر ، ١٤١١ هـ ولعل من المفيد أن نورد مما يروونه فى مزامير داوود ، المزمار المائة والسابع والثلاثون : « كيف ترنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة ، إن نسيتك يا أورشليم تنسنى يمينى . ليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى ... » وهذا يوضح مكانة القدس فى العقيدة اليهودية .

الفتاوى

إعداد : على حامد عبدالرحيم

هل هناك عذاب فى القبر ؟

س : هل هناك عذاب فى القبر ، وإذا كان هناك عذاب فى القبر فهل يتم ذلك بدون حساب ؟ أفيدونى .

مهدى الجميل المحامى
منيا القمح - شرقية

جـ : جاء فى سورة غافر قول الله - عز وجل - : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ . وقد جاء فى الحديث الشريف أن النبى - صلى الله عليه وسلم - مَرَّ بقبرين فقال إنهما يعذبان ومايعذبان فى كبير : أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله ، وأما الآخر فكان يمشى بين الناس بالنميمة ..

وقوله : القبر إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار .

وهذا بعد سؤال الملكين للعبد .

فأما قول السائل : فهل يتم ذلك بدون حساب ؟

نقول : لا : فإن أهم مقدمة للحساب نوقش فيها من قبل الملكين : فتبين كفره ، وذلك حين قوله - رداً على سؤالهما : ما ربك ؟ وما دينك ؟ وما الرجل المبعوث فيكم ؟ فيقول : لا أدرى .. كنت أقول ما يقول الناس ، والإجابة واضحة تبين عقيدته ، وما ربك بظلام للعبيد .

متى تم تحويل القبلة إلى الكعبة ؟

س : ما تفسير قوله تعالى :
﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ

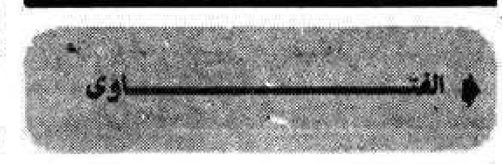

قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ... ﴾ « سورة البقرة ١٤٤ » .

يوسف حماد .. طهطا

جـ ـ لما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ، وكان أكثر أهلها من اليهود ، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، فاستقبل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وفرح اليهود ـ وقالوا فى ذلك كلاماً كثيراً .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب قبلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ (الكعبة) فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فى ضراعة ، فنزل قول الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ..

فارتاب اليهود من ذلك وقالوا : « ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » قال تعالى : ﴿ لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ فليست العبرة بالجهة ، إنما العبرة بالامتثال والطاعة . ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ .. وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « البيت قبلة لأهل المسجد ـ أى الكعبة ذاتها ـ والمسجد قبلة لأهل الحرم ـ أى البعيدين عن المسجد ـ والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى » .

وكان التحول من بيت المقدس إلى المسجد الحرام يوافق ليلة النصف من شهر شعبان .. والله أعلم .

هل تكفى الشبكة والفاتحة فى الزواج ؟

س : هل تعتبر الفتاة إذا استخدمت (الشبكة) وقرا أهلها الفاتحة مع أهل الخطيب زوجة ويجوز معاشرتها ، أم لابد من عقد القران .؟

سالم محمود ـ إمبابة

جـ : المقرر لكى تصبح المرأة زوجة للرجل شرعاً ، أن يتم العقد الشرعى المستوفى لجميع الشروط والأركان التى اشترطها الإسلام ودونها الفقهاء . من إيجاب وقبول بين طرفى العقد ، وأن يستمع الشاهدان الحاضران الإيجاب والقبول من الطرفين ـ إلى غير ذلك من بقية الشروط ..

وبالتالى : لا يحل للخاطب أن يعاشر ـ من قدم لها الشبكة وقرأ الفاتحة مع أهلها ـ معاشرة الأزواج ؛ لأنها أجنبية عنه ، فهذه الأمور لا يتم بها زواج شرعاً ، وإنما هى مقدمات للزواج فقط .

أما كتابة العقد فإنما هى توثيق له باسم الدولة ، وليست شرطاً لصحة الزواج ، وهذا التوثيق يمنع الجور والإنكار ، وتثبت به الحقوق .

صلاة المرأة فى ثوب قصير

س : هل يجوز للمرأة أن تصلى فى ثوب قصير ، أو بنصف كم ، وهى فى خلوة أم لا ؟

فاطمة محمد ـ الوراق ـ الجيزة

جـ : صلاة المرأة فى ثوب قصير لا يستر جميع جسدها لا تصح ، ولو كانت فى خلوة بعيدة عن أعين الرجال ؛ لأن الستر هنا من أجل صحة الصلاة ؛ وليس لئلا يراها الناس .

ثم إن جميع بدن المرأة عورة يجب عليها ستره .. ماعدا الوجه والكفين ، لقول الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ « سورة النور ٣١ » .

ولقول النبى - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الخمسة إلا النسائى ، وصححه ابن خزيمة والحاكم - : « لا يقبل الله صلاة حائض (اى بالغة) إلا بخمار » .

ولقوله - صلى الله عليه وسلم - : فيما أخرجه أبو داود - عن أم سلمة - رضى الله عنها - أنها سألت النبى - صلى الله عليه وسلم - « أتصلى المرأة فى درع - أى قميص - وخمار بغير إزار ؟ قال : « إذا كان الدرع سابغا بحيث يغطى ظهور قدميها .

وكشف المرأة لذراعيها - أو ساقيها من العورة التى يجب سترها فى الصلاة عند الأئمة الثلاثة : أبى حنيفة والشافعى وأحمد وتبطل الصلاة لفقد شرط من شروطها ، وتعيد الصلاة أبدا بعد ستر هذه الأعضاء ، وقال المالكية : إن كشف الذراعين أو الساقين من العورة المخففة ، وعليه فصلاة المرأة بثوب قصير ، أو بنصف كم صحيحة ، ولكن يستحب أن تعيد الصلاة فى الوقت مستورة هذه الأعضاء لأن كشف هذه الأعضاء مكروه فى الصلاة ويحرم النظر إليها .

إمـــامـة الصبـــى

س : لوحظ أن بعض الأشبال فى سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة يؤمون الناس بعد اداء خطبة الجمعة : فما موقف الإسلام من إمامة الصبى .. افيدونا .

عبدالواحد جبر
بهتيم - قليوبية

جـ : جاء فى تفسير القرطبى - رحمه الله - روى مسلم : عن أبى مسعود عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله .. » .

وروى البزار - بإسناد حسن - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : وإذا سافرتم فليؤمكم أقرؤكم وإن كان أصغركم ، وإذا أمكم فهو أميركم » .

قال ابن المنذر بهذا القول : لأنه موافق للسنة ، وقال : روينا عن الأشعث بن قيس أنه قدم غلاماً وقال : إنما أقدم القرآن ، وممن أجاز إمامة الصبى غير البالغ الحسن البصرى وإسحاق بن راهويه ، واختاره ابن المنذر إذا عقل الصلاة ، وقام بها لدخوله فى جملة قوله - صلى الله عليه وسلم - : « يؤم القـوم أقرؤهم » ، ولم يستثن - ولحديث عمرو بن سلمة الذى ثبت فى البخارى .

وأجاز ذلك : ابن سيرين والثورى وأصحاب الرأى .

وقال الشافعى : فى أحد قوليه : يؤم فى سائر الصلاوات ، ولا يؤم فى الجمعة .

وقال الأوزاعى : لا يؤم الغلام فى الصلاة حتى يحتلم . إلا أن يكون قوم ليس معهم من القرآن شىء فإنه يؤمهم الغلام المراهق .

وقال الزهرى : إن اضطروا إليه أمهم .

الفتــــــــــاوى

ومنع الإمام مالك إمامة الصبى فى الفرض وأجاز إمامة الصبى فى النافلة ، كما أجاز الحنابلة إمامة الصبى فى النافلة فقط ، وبلوغ الإمام شرط لإمامة الصبى فى الفريضة والنافلة لما روى عن ابن عباس : « ولا يؤم الغلام حتى يحتلم » ـ رواه الأثرم

وما قال به الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد . من اشتراط البلوغ لصحة الإمامة فى الصلاة المفروضة ، وهو ما قال به أبو بكر الصديق ، وعمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وغيرهم من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كما فى الزيلعى .

وعلى ذلك يصح أن يؤم الصبى فى سائر الصلاة إلا الجمعة ، وله أن يخطب الجمعة ويصلى غيره من البالغين .

مـيراث

ورد إلى المجلة من (م . ف . غ) بولاق الدكرور الأسئلة الآتية :

س ١ : توفى رجل عن زوجة ، وأخ لأب ، وأولاد أخ شقيق ، فمن يرث ومن لا يرث ؟ وما نصيب كل وارث ؟

س ٢ : توفى رجل عن زوجة ـ وأولاد أخ شقيق ـ وأولاد أخ لأب ـ فما نصيب كل وارث ؟

س ٣ : توفيت بنت عن أب وأم وأخ شقيق وأخت شقيقة ، وأخوات لأب وزوجة أب ، فما نصيب كل وارث ؟

الإجابـــة :

جـ ١ : للزوجة الربع فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ـ ولقوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ﴾ ـ والباقى للأخ لأب تعصيباً ، ولا شىء لأولاد الأخ الشقيق ... والله أعلم ..

جـ ٢ : للزوجة الربع فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ـ والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيباً ـ ولا شىء للذكور من أولاد الأخ لأب لحجبهم بأولاد الأخ الشقيق ـ ولا شىء للإناث من أولاد الأخوين لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحابه الفروض والعصبات .. والله أعلم ..

جـ ٣ : للأم الثلث لوجود عدد من الإخوة ـ والباقى للأب ولا شىء ـ للإخوة جميعاً ـ والله أعلم ...

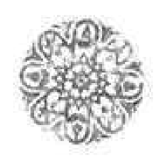

الشعر والشعراء

إشراف : رشاد محمد يوسف

الحنين إلى الرسول

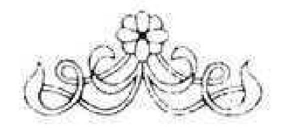

عودة إلى الله

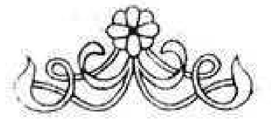

حصاد الأمل

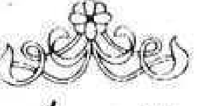

التسامح

الحنين إلى الرسول

صلى الله عليه وسلم

شعر

أحمد عبد السلام على

ياايها القطبُ الشهيرُ سلامُ ... قلبى بذكرك طائر رنّامُ

يشدو بحبك والحنينُ يمدّه ... والشوق فى فيض الحنين ضرامُ

يهتاجنى املٌ لقربك مسْعِدٌ ... وتذيب قلبى صفوة وهيام

اصبو إلى طيب اللقاء بروضةٍ ... غناء فيها منبر ومقام

زهراء ينساب الجلالُ بنورها ... ويفيض بين ظلالها الإكرام

ورقاء لم يذبلْ بها ذكرٌ سرى ... تشدو به الايام والأعوام

وازيّنت بسنا النبىِّ «محمد» ... واقام فوق (سنائها) الإعظام

قد كبر الطير الطروب لحسنها ... فاجابت الالوان والانسام

ياايها المبعوث فينا رحمة ... وسراج هدى . نوره الإسلام

اثنى عليك الله فى قرآنه ... خلقا وقلباً شفَّ عنه وئام

ألفت بين العالمين بشرعة ... فيها الاخوة حرمة وذمام

الفضل فيها للتَّقِىِّ ومؤمن ... لا اللون معتبر ولا الأجسام

ياخاتم الرسل الكرام وتاجهم ... بل انت فى اللوح الكريم إمام

خُلق الوجود لاجل حبك والورى ... وترقبت اضواءك الاحلام

نور ابان العرش عن إشراقه ... حملته من فيض الهدى ارحام

ولدته «آمنة» الشهاب لافقه ... وتنورت بضيائه الأجرام

طوبى لارض شرُفت بخطى الهدى ... وسمت بها للمصطفى اقدام

باتت تباهى الافق وهى سعيدة ... بخطى البشير ووجها بسام

ياايها المحمودُ مِنْ ربِّ الورى ... قد زاد بى شوق وفاض غرام

حبى إليك مدائح من مهجتى ... تجرى بها الأشعار والاقلام

كن لى شفيعا يوم تسمع صيحة ... والناس سكرى والمساق زحام

صلى عليك الله ما قلبٌ شدا ... «ياايها القطب الشهير سلام»

عودة إلى الله

للشاعر
عبد العاطي موسى عبد العاطي

قذفت بالكاس ، بالطاغوت ، بالراح   افقت من غفلتي ، ابصرت مصباحي

هذا لساني ظلام الغي ألجمهُ   واليوم قد زانه نطقي وإفصاحي

فَرِحتُ باللهو لا ادري عواقبه   وكم تجاهلت من يعنيه إصلاحي

فبارقات الهدى بالدرب خافتة   ولافتات التقى تبدو كاشباح

تَبَدَّلَ الأمرُ مذ عادت لخالقها   نفسي ، فعادت مع الإيمان افراحي

وازدان قلبي بنور الله وانقشعت   فلول ليل مضى يمحوه إصباحي

يسبح الكون إجلالاً لخالقه   كفاك لهواً وعد لله يا صاح

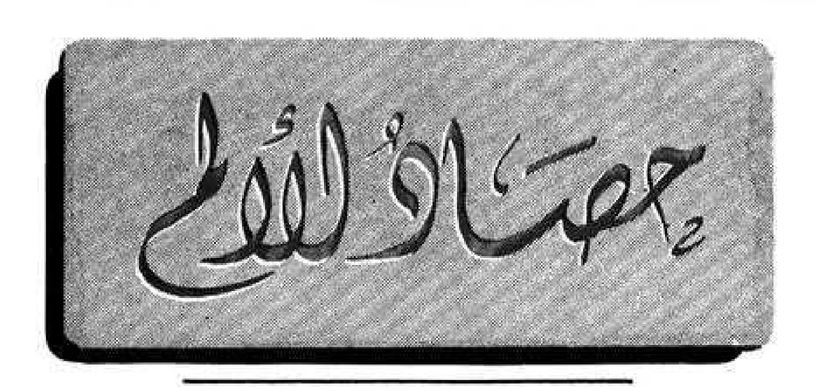

للشاعرة جليلة رضا

عجيب ان اعيش وان أُغني ... وقد نال الفناء مناهُ منّي
عجيب ان ارى الأضواء تزهو ... وان اصغى إلى صوتى المرن
فقد مرت على قلبى هموم ... لو انقسمت على الأحياء تفنى
ولست الوم من سئموا فولوا ... ومن واسوا على حرص وضن
فلو انى حملت هموم غيرى ... ولو غيرى تحمل عبء حزنى
لضقنا بالحياة وما عليها ... وما عدنا نقارن بين خدن
ولست الوم من صمتوا كموتى ... وكانوا يسالون النجم عنى
نَبَشُّ فيقبلون فإن حزنّا ... فقد قلبوا لنا ظهر المجن

* * *

ولكنى حصدت ثمار حزنى ... وحنكنى الأسى فجلوتُ ذهنى
وبت ارى الحياة بعين قلبى ... وكنت أرى زواياها بعينى
عرفتُ الحبّ فى الأفراد سفراً ... حوى صور الجحود بكل لون
ولكن إذ عرفت فتحت قلبى ... وبالحب الكبير شملت كونى

وقلت - برغم إخفاقى : ساحيا ... اصون على المدى من لم يصنى

فقلبى - إذ سما فى ظل روحى ... تساوى الأخذ والإعطاء منى

* * *

ويسّر لى الاسى صلتى بربى ... وناجيتُ الطبيعة فى تَأَنٍّ

رايت الله فى ليلى وصمتى ... وفى نوم الوجود المطمئن

رايت يداً مضواة تجلت ... لتحتضن الورى من كل ركن

فمرت فوق افئدة اليتامى ... وكفكفت الدموع بكل عين

وطافت بالجبال ذرىً وهاما ... وحول خطى النمال بكل كنّ

فقلت : حنانك اللهم عفوا ... جهلتك يا رحيم وانت عونى

جهلت حنانك الفياض يطغى ... على بحر التمرد والتجنى

فهب قلبى عيونا من ضياء ... يصد بها عثار الياس عنى

وزد مقدار حبك فى فؤادى ... لا ملأ ما استطعت فراغ دنى

لأنى إذ أحبك يا إلهى ... احب الناس والدنيا وكونى

* * *

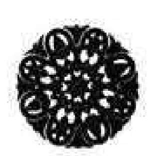

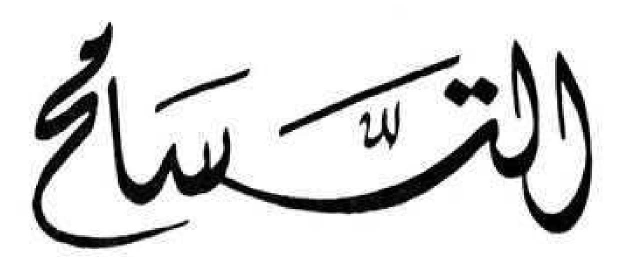

للشاعر
سيد عبد الرءوف سيد

اراني جاوزت حد الصواب … واسرفت في نظرتي للصحاب
رجعت لنفسي فعاتبتها … وقد نشدت صاحبا لا يُعاب
لقد ضل سعياً لعمري امرؤ … يروم الملائك بين الثياب
إذا رجحت كفة بالهدى … فامسك صفوحاً وخلِّ العتاب
وكن انت إما بدت هفوة … سريع التجاوز عف الخطاب
وأي جميل إذا صرتما … سواء ولم تجنحا للصواب
الا بارك الله خلاً عفا … واغضى صفوحاً رحيب الجناب
ولو ان نفسي عاتبتها … مُلِحًا لعشت بها في عذاب
بصير لما دقَّ من صاحب … وعيبي عليه كثيفُ النقاب
واين السماح المرجَّى إذا … وقفتَ لبادرةٍ بالحساب ؟
اخي قد صفوت فعد صافياً … سارنو بعين الرضا للصحاب

***

المستدرك

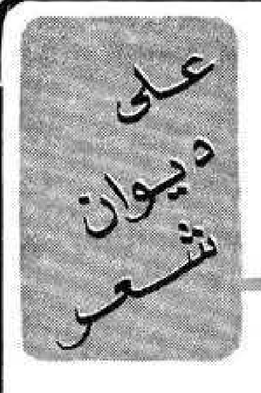

عمرو بن كلثوم التغلبى

للأستاذ
أيمن محمد ميدان

فى تموز من عام ١٩٢٢ م ، وبمجلة « المشرق » نشر المستشرق (فريتس كرنكو) ديوان عمرو بن كلثوم التغلبى عن نسخة خطية كائنة بمسجد الفاتح بتركيا ، مذيلا إياه ببعض التعليقات البسيطة والتراجم المبتسرة ، وعن هذه النشرة اصدره « الأب لويس شَيْخُو » فى كتيب مُسْتَقِلّ .

ومنذ ذلك التاريخ البعيد وحتى يومنا هذا ظلت نشرة (ف . كرنكو) للديوان رفيق الباحثين فى ميدان اللغة العربية والعاشقين لادبها مع مايعترى هذه النشرة من جوانب قصور كثيرة ، واخطاء فى الضبط واوهام فى القراءة لا تُحْصَى تجعل من إعادة تحقيق الديوان ونشره مَطْلَباً علمياً اكثر إلحاحاً .

فقد جاءت مقتصرة على ذكر مقطعات الديوان ونتفه وابياته المفردة دونما تفسير لالفاظه المُسْتَغْلَقَة ، او شرح لمعنى بيت غامض ، بالإضافة إلى ان (ف . كرنكو) لم يُصَدِّرْهُ بمقدمة يميط اللثام فيها عن سيرة عمرو بن كلثوم الذاتية ، او يسلط الضوء من خلالها على قبيلته وتاريخها الحافل الطويل ، ولم يصف الأصل الخطى الذى اتخذه اساساً لنشرته .

هذا ولم تخلُ « توطئة » لويس شَيْخُو - على قصرها - من اخطاء ، فقد ظَنَّ - او تَوَهَّمَ - انَّ إسقاط معلقة عمرو بن كلثوم فعلٌ اقدم عليه (ف . كرنكو) نظراً لشيوعها ، على حين يكتشف الناظر - وللوهلة الأولى - فى صحائف الأصل الخطى لنشرته انَّ إسقاط المعلقة من صُنْعِ جامع الديوان وليس (ف . كرنكو)[1] .

(١) شعر تغلب فى الجاهلية .. جمع وتحقيق ودراسة - أطروحة ماجستير للكاتب بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة - ٣ / ٦٥ .

عمـرو بن كلثوم التغلبي

ومن خلال رحلة بحثي الواسعة الميدان والحثيثة الخُطَى استطعتُ أن استدرك بعض الأبيات الشعرية المنسوبة لعمرو بن كلثوم ولم ترد ضمن ديوانه ، رأيتُ ضرورة نشرها لَحْقاً لديوانه ، حتى تَعُمّ الفائدة ، ويفيد بها الباحثون في ميدان اللغة العربية وأدبها .

ـ ١ ـ

قال ابن الأعرابي : بلغ عمرو بن كلثوم أنَّ النعمانَ بْنَ المنذرِ يتوعده ، فدعا كاتباً من العرب ، فكتب إليه :

أَلَا أَبْلِـغِ النُّـعْـمَـانَ عَنِّـي رِسَـالَـةً ... فَمَـدْحُـكَ حَـوْلِـيٌّ وَذَمُّـكَ قَـارِحُ

مَتَـى تَلْقَنِي فِي تَـغْلِـبَ ابْنَـةِ وَائِـلٍ ... وَأَشْيَـاعِهَـا تَـرْقَـى إِلَيْـكَ الْمَسَـالِـحُ

ـ ٢ ـ

قال أبو الفرج الأصفهاني* : « أخبرني علي بن سليمان قال : أخبرنا الأحول عن ابن الأعرابي قال : زعموا أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفا منه فمر بهم عمرو بن أبي حجر الغساني[١] ، فتلقاه عمرو بن كلثوم ، فقال له : ياعمرو ، مامنع قومك أن يتلقوني ؟؟ . فقال له : ياعمرو ... فإن قومي لم يستيقظوا لحرب قط إلا علا فيها أمرُهم ، واشتدَّ شأنهم ، ومنعوا ما وراء ظهورهم .

فقال له : أيقاظ نَوْمةٍ ليس فيها حُلم ، اجتثَّ فيها أصولهم ، وانفى فَلَّهُم إلى اليابس الجَردِ والنازح الثَمَدِ .

فانصرف عمرو بن كلثوم ، وهو يقول :[٢] .

(*) البيتان على بحر « الطويل » .

البيتان وردا معزوين لعمرو في : الأغاني (الثقافة) ١١ / ٥٢ .

(١) الحَوْلِيُّ من الإبل : ما أتى عليه حَوْلٌ أي عام . والقارح منها : ما انتهت أسنانه وتنتهي أسنانه في خمس سنين .

.. روى البيت برواية ثانية في : نقد الشعر ١٧٩ ، وهي .

أَلَا أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةً ... فَمَجْدُكَ حَوْلِيٌّ وَلُؤْمُكَ قَارِحُ

يريد أن يقول : إنَّ مَجْدَكَ ناشىء وضئيل ، ولؤمك قديم مُتَأَصِّلٌ فيك .

(٢) تغلب : قبيلة الشاعر . وأشياع : جَمْعُ جَمْعٍ ، واحدها الشِّيعَةُ ، والشِّيعَةُ : أتباع الرجل وأنصاره ، وقيل : القوم الذين يجتمعون على الأمر . والمَسَالِحُ : واحدها المَسْلَحَةُ ، والمَسْلَحَةُ :قوم ذوو سلاح ...وقيل : قوم في عُدَّةٍ بموضع رَصَدٍ قد وُكِّلوا به بإزاء ثَغْرٍ ، واحدهم مَسْلَحِيٌّ .

الا فَاعْلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّا ... على عَمْدٍ سَنَأْتِي ما نُرِيدُ[3]

تَعَلَّمْ أَنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيلٌ ... وأَنَّ زِنَادَ كَبَّتِنَا شَدِيدُ[4]

وأَنَّا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدٍّ ... يُوَازِينَا إذا لُبِسَ الحَدِيدُ[5]

ـ ٣ ـ

قال عمرو بن كلثوم :

تَبْنِي سَنَابِكُهُمْ مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ ... سَقْفاً كَوَاكِبُهُ البِيضُ المَبَاتِيرُ[1]

يتبع

(*) الأغانى (الثقافة) ١١ / ٥١ ـ ٥٢ .

ورد الخبر والأبيات أيضا فى : الكامل لابن الأثير ١ / ٥٤٠ مع خلاف طفيف فى رواية بيت ، أو جملة من الخبر .

(١) فى الكامل : « بل خرج ملك غسّان بالشام خوفا فَمَرَّ بهم الحارث بن أبى شمر الغسانى » .

(٢) الأبيات على بحر « الوافر » .

(٣) أبيت اللَّعْنَ : من تحيات الملوك فى الجاهلية ... ومعناه : أبيت أن تأتى من الأمور ما تُلْعَنُ عليه ، وتذم بسببه . والعَمْدُ : القَصْدُ .

.. روى البيت بالرواية السابقة فى شعراء النصرانية ١ / ٢٠٢ ، وبرواية ثانية فى الكامل لابن الأثير ١ / ٥٤٠ وهى :

الا فَاعْلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّا ... أَبَيْتَ اللَّعْنَ نَأْبَى ما تُرِيدُ

ونأبى : نرفض .

(٤) المَحْمَلُ : الحَمْلَةُ فى الحرب والدفعة فى القتال . وكبة كل شىء : شدَّتُهُ ودفعته مثل كبة الشتاء والجرى .

.. روى البيت بالرواية السابقة فى شعراء النصرانية ١ / ٢٠٢ ، وبرواية ثانية فى الكامل لابن الأثير ١ / ٥٤٠ ، وهى :

تَعَلَّمْ أَنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيلٌ ... وأَنَّ دِبارَ كَبَّتِنَا شَدِيدُ

دبار : هلاك . وأشار لويس شيخو إلى رواية ثالثة وهى : « دِبَارَ كَتِيبَتِنَا » وعَلَّقَ عليها بقوله : وهو غلط .

(٥) مَعَدٌّ : هو معدُّ بن عدنان الجد الأعلى لقبائل الشمال . ويوازينا : يساوينا ويجارينا . ولُبِسَ الحديدُ : أى إذا احتكم إلى السلاح .

.. روى البيت بالرواية السابقة فى شعراء النصرانية ١ / ٢٠٢ . وبرواية ثانية فى الكامل لابن الأثير ١ / ٥٤٠ ، وهى :

وأَنَّا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدٍّ ... يُقَاوِمُنا إذا لُبِسَ الحَدِيدُ

يقاومنا : يجابهنا ويصد جمعنا .

(*) البيت على بحر « البسيط » .

ورد البيت معزوا لعمرو فى الحيوان ١ / ١٢٧ .

(١) تبنى : تقيم وتشيِّدُ . والسَّنَابِكُ : واحدها السُّنْبُكُ ، وهو طرف الحافر وجانباه من قُدُم . وأرؤس : جميع قلة ، واحدها رأس ، ورأس كل شىء أعلاه ، والرأس فى الإنسان معروفة . والسقف : غماء البيت ، والجمع سقف وسقوف وأسقف . والبيض : السيوف اللامعة . والمباتير : واحدها الأبتر ، والأبتر : السيف القاطع .

من أعلام الأزهر

الشيخ على محفوظ

للـواء . أ . ح
محمد جمال الدين على محفوظ

« خياركم من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيد فى عملكم منطقه ، ويرغبكم فى الآخرة عمله » .

● فى محلة روح مركز طنطا غربية ، كانت تقيم أسرة « محفوظ » وهى أسرة طيبة يتصل نسبها بالحسن بن على رضى الله عنهما .. فى تلك القرية ولد الشيخ على محفوظ وفيها نشأ ، وحفظ القرآن الكريم واستوعب حفظ بعض المتون .

● وفى عام ١٣٠٦ للهجرة التحق بالجامع الأحمدى بطنطا واشتغل بتجويد القرآن الكريم على بعض الفقهاء ، ثم بدأ يتلقى العلم على كبار شيوخه ، فكان من أساتذته الشيخ عبد الرحمن الدماطى والشيخ محمد الشبينى الكبير ، والشيخ على المنوفى والشيخ قطب بكر .. وكان فى أثناء طلبه العلم مثلا حسنا للطالب المجد ، واستمر بالجامع الأحمدى نحوا من عشر سنوات ظهر فيها نبوغه وتفوقه على أقرانه .

● ثم رأى شيخه الأكبر الشيخ الدماطى أن ذلك النبوغ يجب أن يفيد منه الأزهر الشريف ، فحبب إليه طلب العلم فيه فتوجه فى عام ١٣١٧ هـ إلى مصر ونزل بالأزهر المعمور ، ثم مالت نفسه إلى مذهب أبى حنيفة بعد أن كان شافعى المذهب ، فتتلمذ على صفوة علمائه من أمثال الشيخ محمد الحلبى ، والشيخ بكر الصدفى ، والشيخ أحمد أبو خطوة والشيخ محمد بخيت والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وفى عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٧ م) حصل على شهادة العالمية ، ثم اشتغل بالتدريس .

● لعله مما يجدر ذكره أن نشأة الكاتب فى المناخ الدينى جعلته يطبع أعماله بطابع الدين ، وأبلغ دليل على ذلك أنه حين عين - عقب حرب يونيو ١٩٦٧ - مديراً للتوجيه المعنوى للقوات المسلحة قرر اتخاذ منهج الإسلام لبناء الروح المعنوية وإرادة القتال ، فجعل « الجهاد فى سبيل الله » : عقيدة للقتال للقوات المسلحة ، وجعل « النصر أو الشهادة » : شعارا لها ، وجعل « الله أكبر » صيحة للقتال ، وجعل لعلماء الدين والوعاظ دوراً فعالاً فى معايشة القوات المسلحة وتحريض رجالها على القتال تحت لواء الجهاد ، وربط أعمالهم فى السلم والحرب بالدين ، وقد كان هذا المنهج - بفضل من الله وعون - من أهم أسباب النصر فى حرب رمضان ١٣٩٣ هـ - أكتوبر ١٩٧٣ م تلك

● ولما ادخل النظام فى الأزهر عام ١٩١١ سار فيه حتى بلغ القسم العالى ، وفى عام ١٩١٨ انشىء قسم الوعظ والإرشاد فى الأزهر ، فكان أول من تعهده بالتأسيس والتوجيه ، وفى هذا القسم وجد ضالته ، فجاهد فيه بكل قواه ، ووقف عليه فكره ووقته ، وسرعان ما أنجب على يديه رجالاً دعاة خير ورسل إصلاح ، أشربو حب الفضيلة ونمت فيهم نازعة الخير .

● وفى عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م أوفد على راس « أول بعثة أزهرية » إلى الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج ، وفى عام ١٩٣٩ قدرت هيئة كبار العلماء مزاياه وعلمه وفضله ، فقررت ضمه إلى عضويتها ..

● وقد لقى مولاه فى يوم الأربعاء الثالث من ذى القعدة ١٣٦١ هـ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٤٢ م .

● نشــاطــه :

● نظر الشيخ على محفوظ بفكره الثاقب إلى العلم والعلماء ، فوجده أشبه بصناعة خاصة بين طائفة خاصة فى مكان خاص لا يعدو العالم والمتعلم ، وقد دأب الأزهر على ذلك جيلاً بعد جيل ، وسواد الأمة عن هذا النور محجوب باحتجاب العلماء عنهم ، اللهم إلا بصيص من النور يظهر فى بعض البلاد التى ينبت فيها العلم بوجود عالم من العلماء أو طالب من الطلاب فى ليالى شهر رمضان المعظم من كل عام .. فأخذ على نفسه المواثيق أن يجدد عهد السلف الصالح ، وأن يقوم بنشر الدعوة الصحيحة بين طبقات الشعب المصرى الكريم .

● وضع اسس فن الوعظ والخطابة :

● ولقد أحب فن الوعظ والإرشاد حبا لا يعدله حب ، وأخلص له إخلاصاً مابعده إخلاص ، وامتزج هذا الحب وهذا الإخلاص بإيمان قوى

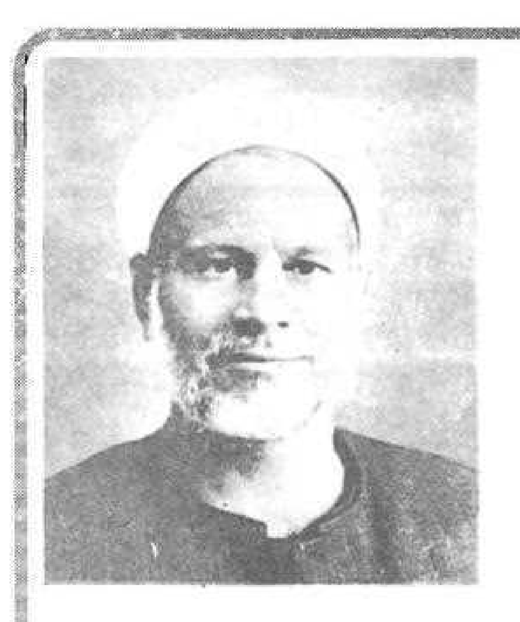

لا حد له ، ثم سكن هذا المزيج المبارك فى قلب كريم فى نفس طيبة راضية مطمئنة .

وبهذا القلب ، عقد اللواء ، وتأهب للغزو ، فأخذ يبث فكرته بين طبقات الأزهر من علماء وطلاب ، فكان من ثمرات هذا الجهاد إنشاء قسم الوعظ والارشاد فى كلية أصول الدين .

● الوعظ فى المساجد والمجامع العامة :

● ثم انتقل إلى الناحية العلمية ، فكان يغشى المساجد « كل أسبوع » والمجامع العامة ناشراً الفضيلة ، داعيا إلى التمسك بحبل الله المتين ، فظهر نجمه وسطع نوره ، ورمقته العيون ، وأسكنته القلوب فى سويدائها لما عرف فيه من علم ، وما أوتيه من قوة البيان ، ودقة الأسلوب ، وسلاسة التعبير ، وقد أنتجت قريحته الفذة فى هذا الفن كتاب « سبيل الحكمة فى الوعظ والخطابة » ثم أعقبه بكتابه « هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة » وهو يعتبر أول كتاب حديث من نوعه ، وقد فرغ من تأليفه فى التاسع

الشيـــخ علي محفـوظ

من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٥ هـ ، وقال عنه فى مقدمته : « هذا مختصر نفيس فى الوعظ والخطابة جعلته نبراسا للدعاة الناصحين وسراجا يضىء للخطباء الراشدين » .

● الوعظ فى القرى :

● وقد رأى - طيب الله ثراه - أن كثيراً من القرى الريفية قد حرم من العلم فكان يذهب إليها مرشداً وداعياً إلى الله بإذنه ، مضحياً فى ذلك بماله وراحته ووقته ، فكان يقضى العطلة الصيفية متنقلاً بالوعظ والإرشاد فى شتى البلاد[1] ، وقد كان يسجل موضوعات خطبه وتواريخها فى سجل خاص حتى بلغ مجموعها نحو (١٠٠٠) خطبة .

● محاربة البدع والخرافات :

● ورأى - رحمه الله - أن كثيراً من البدع والخرافات قد استحكم فى نفوس الشعب حتى أبعدهم عن طريق الدين المستقيم ، فأخذ يكافح ويجاهد ويذكر القوم بمحاسن الدين وقبائح البدع ولم يثنه عن سبيله ما أقامه دعاة تلك البدع من عراقيل وعقبات .. وظل ثابتا على عزمه حتى اقتلع الأوهام من القلوب وعاد بالناس إلى حظيرة الدين ، وقد ألف فى هذا كتابه العظيم « الإبداع فى مضار الابتداع » ، وهو كتاب فى أصول البدع وفروعها وبيان مساوئها ومضارها ، ليكون عدة للواعظ فى مهمته ونبراسا يضىء له الطريق لإخراج الناس من ظلمة الجهالة والابتداع إلى نور العلم واليقين ، وقد فرغ من تأليفه يوم الجمعة ١٦ من جمادى الثانية عام ١٣٤١ هـ .

● الجمعيات الإسلامية العامة :

● وقد أيقن الشيخ على محفوظ أن الجمعيات الإسلامية خير معين على نشر الفضائل بين الأمة ، فساهم فى تأسيس « جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية » وكان من أعضائها البارزين ، وفى تأسيس « جمعية الهداية الإسلامية » وقد انتخب وكيلاً لها فى أول جلسة عقدت لتأسيسها فى عام ١٣٤٦ هـ ، وكذلك ساهم فى تأسيس « جمعية تحفيظ القرآن بالعباسية » وكان من أعضائها المخلصين ، وقبل الحرب العالمية الأولى كانت « جمعية الرد على المبشرين » بالخرنفش تناهض المبشرين فكان رحمه الله خطيبها وحامل لوائها ، وفازت جمعية « نشر الفضائل والآداب الإسلامية » بالكثير من نشاطه ، ولما تكونت « جمعية أنصار الحج » ساهم فى جهادها بكل قواه .

● الجمعيات الخاصة :

● ولم يكتف - رحمه الله - بكل هذه الأعمال الجليلة ، بل نظر فى صفوف الأمة ، فوجد طائفة من عظمائها المخلصين قد عكفوا على ماالديهم من الأعمال ، فتلطف فى الدخول إليهم ، واستعمل ذكاءه وفطنته فى استمالتهم وهمس فى آذانهم بأحكام الدين الحنيف ، فوصلت دعوته إلى قلوبهم ، ووجد التربة صالحة للغرس ، والجو ملائماً للإنبات ، فكون جمعية قوامها العظماء

---

[1] (١) مما يجدر ذكره أننى صحبته عام ١٩٢٩ فى إحدى تلك الرحلات إلى قرية تزمنت الشرقية مركز بنى سويف تلبية لدعوة رجل فاضل من أهلها فرأيت مايثلج صدر كل مسلم غيور على دينه ، فقد دعا المضيف أهالى القرى المحيطة بتلك القرية ضيوفاً عليه ، وأعد للدروس مكاناً فسيحاً مجهزاً بالإضاءة وقد استمرت ضيافته ثلاثة أيام متتالية .

وعنصرها « الطبقة الراقية » مثل الدكتور سالم هنداوى باشا وسليمان عزمى باشا والدكتور عبد العزيز إسماعيل باشا وغيرهم من طبقتهم ، واشتغل معهم بتفسير القرآن الكريم فى ليلة معينة من كل أسبوع ، واتخذ لذلك عيادة الدكتور سالم باشا بعابدين حتى أتمه فى بضع سنين ، ثم انتقل إلى السنة الشريفة فقرأ معهم كتاب البخارى بأكمله ، وقد كان من آثار هذا الغرس أن طلع الدكتور عبد العزيز باشا إسماعيل على العالم الإسلامى بكتابه العظيم « الإسلام والطب الحديث » .

كما كون ـ رحمه الله ـ جمعية أخرى قوامها الدكتور عبد السلام العيادى ونخبة من خيرة « المتعلمين مابين مهندس وتاجر وموظف » وجعل مقرها عيادة الدكتور العيادى بالدرب الأحمر ، وقد ابتدأ فى تفسير القرآن الكريم حتى أوشك على إتمامه ولكن المنية عاجلته قبل ذلك بقليل .

● وأنشأ جمعية ثالثة قوامها جماعة من « أرباب المعاشات » فغرس فيهم الروح الدينية الحقة ، وكان مقرها منزل السيد أحمد فهمى المهندس فى المغربلين ثم بالعباسية .. وامتد نشاطه إلى « الطبيبات والممرضات » داخل المستشفيات فتعهدهن فى مستشفى فؤاد الأول بالموعظة الحسنة والنصائح الغالية مما كان له أثر محسوس فى قيامهن بواجبهن الإنسانى على خير الوجوه .

● **أول درس دينى فى الإذاعة اللاسلكية :**

● وفى عام ١٩٣٩ نبتت فكرة إلقاء الدروس الدينية على أمواج الأثير ، فكان الشيخ على محفوظ أول من وقع عليه الاختيار لهذا العمل الجليل ، فكان يلقى درساً كل شهر تقريباً حتى لقى ربه .

● **دروس شهر رمضان فى الأزهر الشريف :**

● وكان من عادته ـ رحمه الله ـ أن يلقى درساً فى الجامع الأزهر بعد صلاة العصر من كل يوم من أيام شهر رمضان المبارك ، وقد ظل محافظاً على هذه العادة الجليلة وكان فيها مخلصاً متفانيا ، ولا أدل على ذلك من حرصه عليها وهو فى مرض الموت .

● **مؤلفاته :**

● ألف رحمه الله الكتب الآتية :

١ ـ الأخلاق ، وكان يدرس فى المعهد الابتدائى .

٢ ـ هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، وقد قرر للدراسة فى كلية أصول الدين قسم إجازة الوعظ والإرشاد .

٣ ـ الإبداع فى مضار الابتداع ، وقد قرر للدراسة فى كلية أصول الدين .

٤ ـ الخطابة ، وقد طبع بعد وفاته بعنوان « فن الخطابة وإعداد الخطيب »

● وهكذا كان الشيخ على محفوظ شعلة من نور وعلم ، تفرقت أشعتها فى كل ناحية من نواحى الأمة ، فكانت السراج الذى يهتدى به المهتدون ، وقد كان يرى أن « العلم ثروة وزكاتها الوعظ والإرشاد » ليكون علما مباركاً طيباً يزيده الله من فضله ، ولقد كان واعظاً بسمته وهيئته ووقاره ووقفته ومشيته قبل أن يكون واعظاً بقوله ومنطقه ، فكان فى ذلك مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خياركم من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيد فى علمكم منطقه ، ويرغبكم فى الآخرة عمله** » . (رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما) .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« شكر عباد الله على قدرهم »

عن ابى الجلد قال : قرات فى مسألة موسى عليه السلام أنه قال : «يارب ، كيف لى أن اشكرك ، واصغر نعمة وضعتها عندى من نعمك لايجازى بها عملى كله ، قال : فأتاه الوحى ، أن ياموسى الآن شكرتنى » .

« شرار الناس وخيارهم »

★ الاشرار يتتبعون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتبع الذباب الموضع الفاسد من الجبل ويترك الصحيح منه .

★ الشجاع يختار حسن الذكر على البقاء ، والجبان يختار البقاء على حسن الذكر .

« أفضل من الحق ! »

اريقت دماء من بطنين من قريش ، فجمع ابو سفيان كبارهم وقال : هل لكم يامعشر قريش فى الحق أو ماهو أفضل منه ؟

فقال القوم : وهل من شىء أفضل من الحق ؟

فقال ابوسفيان : نعم إنه العفو ، فقام القوم وتصالحوا .

« من وصايا لقمان »

لا تكن النملة اكيس منك تجمع فى صيفها لشتائها ، ليس مال كالصحة ، ولا نعيم كطيب النفس .

من يَرحم يُرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يحمد ، ومن يقل الشر يأثم ومن لايملك لسانه يندم .

« نِعم تستوجب الشكر »

عن يونس بن عبيد قال : « قال رجل لأبى نميمة : كيف اصبحت ؟ قال : اصبحت بين نعمتين لا ادرى أيهما أفضل : ذنوب سترها الله فلا يستطيع ان يعيرنى بها احد ، ومودة قذفها الله فى قلوب العباد لم يبلغها عملى »

« من دعـاء النبى »

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول : « اللهم إنى

اعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك ».

« تقدير النعم »

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« دخل علىّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرأى كسرة ملقاة ، فمسحها فقال : «ياعائشة حسنى جوار نعم الله عز وجل ـ فإنها قلما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم ».

« خير الدنيا وخير الآخرة »

قال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه :

« من أعطى أربع خصال فقد أعطى خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منها : ربح يعصمه من محارم الله وحسن خلق يعيش به فى الناس ، وحلم يدفع به جهل الجاهل وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة .

« من الشقى ؟ »

قيل : لم أر أشقى من البخيل بماله ، لأنه فى الدنيا يشقى بجمعه ، وفى الآخرة يحاسب على منعه ، غير آمن فى الدنيا من همه ، ولاناج فى الآخرة من إثمه .

قال الحكيم

عمدة الدين عندنا كلمات
اربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات ، وازهد ودع
ما ليس يعنيك واعملن بنية
دواء قلبك خمس عند قسوته
فدم عليها تفز بالخير والظفر
إخلاء بطن ، وقرآن تدبره
كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل اوسطه
وأن تجالس أهل الخير والخبر

وجوه النعمة فى المصيبة

عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال شريح :

« ما أصيب عبد بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاث نعم .

ـ الا تكون كانت فى دينه .
ـ الا تكون أعظم مما كانت .
ـ وأنها لابد كائنة فقد كانت » .

« دعـــاء »

من دعاء على بن حسين بمنى :

« كم من نعمة أنعمتها على قل لك عندها شكرى !

وكم من بلية ابتليتنى بها قل لك عندها صبرى !

فيامن قل شكرى عند نعمته فلم يحرمنى ، ويامن قل صبرى عند بلائه فلم يخذلنى ، ويامن رآنى على الذنوب العظام فلم يفضحنى ولم يهتك سترى ، وياذا المعروف الذى لاينقضى ، وياذا النعمة التى لا تحول ولا تزول ، صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا وارحمنا » .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

مجدنا في ديننا

لفضيلة الشيخ محمود جميلة

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

إن عظمة الإسلام . وسمو شريعته . ووفاء نظامه إنما كانت بتلبية حاجات الأمم ومصالح الشعوب وهذه حقيقة لا جدال فيها . وتاريخ المسلمين الأول اكبر شاهد واقوى دليل على صدقها :

فبفضل هذا الدين عز المسلمون وسادوا . وكانوا قادة الدنيا واساتذة العالم . حملوا مشعل النور فاضاءوا للبشرية طريق الخير . ولقنوها مبادىء الحق والعدل والحرية والمساواة . فكانوا بحق خير امة اخرجت للناس . هكذا ينبغي ان نفهم ديننا وان نحيا به ومعه حياة طيبة نستحق بها ان نكون خلفاء الله في الأرض .

قال الأستاذ :

التدين فطرى فى الإنسان ، والفطر السليمة تدعو العبد إلى الإخبات لمن تولى خَلْقَه وتعهد بقاءه ، وما انحرفت تلك العقيدة عن وضعها إلا نتيجة صدأ أصاب الفِطَر ، وعتامة رنت على القلوب فجعلت الأبصار قاصرة ، والبصائر حائرة وتغلب إلف المرء لحسه فاتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وقد أقام الله الحجة على العباد فأرسل فيهم رسله ليتم الإلزام ، وتقطع الأعذار

فلما نضجت الإنسانية بعد عمليات عنيفة فى تطهيرها وتشذيبها ختم الله الرسالة بمحمد بن عبد الله ، وجعل دينه خالداً بما أودعه من تعاليم تكفل سعادة البشرية وتسمو بالحياة إلى ذروة ما يصبو له المصلحون .

لقد جاء الإسلام بمبادىء الإصلاح العام والأخوة الصادقة فدعا الناس جميعا إلى الاجتماع بفنائه والانضواء تحت لوائه والوقوف

عند حدوده والرمى بما وراء ذلك تحقيقا لتوحيد الأمة فى كيانها وتوحيدها فى عقيدتها .

فإن ما جنته الإنسانية من صنوف العسف والعنت الوانا كان نتيجة تفرق الكلمة ، وشق العصا وانفصام العرى وانقسام الجماعات .

وليس بدعاً أن نرى هذا الاختلاف بين الأمم المتباعدة فى العقائد والمتباينة فى الأهداف ، ولكن العجب العاجب ان تختلف أمة التوحيد بعد ان ربط الإسلام بين قلوبها ووحد بين شعوبها واقام بها دولة الدنيا والآخرة فى ظل كتاب : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

لقد شع نور هذا الدين فاستقرت به النظم واستقامت عليه الطريقة ، ووضع به ميزان العدالة فى الأرض ، وكان عجبا فى كل نواحيه وهديا فى كل مراميه . فما من شاردة ولا واردة إلا ولها فيه حكم معلوم وطريق مرسوم .

تناول الأفراد والجماعات والأحرار والعبيد والرجال والنساء والأحمر والأسود والعقيدة والسياسة والبيت والمدرسة والطريق والنادى فهو رابطة عامة بين الإنسان واخيه وبين الإنسان وخالقه ، وهو رابطة تهدف إلى الكمال فى اسمى معانيه وارفع مقاصده .

فما من غاية إصلاحية ولا فضيلة بشرية إلا ومصدرها منه ومرجعها إليه فهو رمز للوطن ورمز للعلم ورمز للسياسة ورمز للديمقراطية ورمز لغير ذلك من معان ابتكرها من فقدها وتشبث بها من سلبها ، وإذا كان من الأمم من أعوزته المبادىء السامية والنظم القويمة والأخلاق الفاضلة فأخذ يرنو ببصره إليها حتى اصاب منها ، وجعلها اساسا لحضارته ودعامة لمجده ، فإن من العجب ان تتخلى الأمة الإسلامية ذات المبادىء الرشيدة والأخلاق الفاضلة عن مقوماتها ومدعماتها حتى أصبحت مهداً للغاصبين وغرضاً للمغرضين .

لم يبن الإسلام حضارته على مادة محضة كما فعل الأوروبيون الحديثون ولا على روحانية محضة كما فعل الاقدمون ، وإنما جعل أساس دولته يرتكز على الأمرين ، ويعتمد على السببين فكانت نهضته مادية روحية ، وكانت سيطرته إصلاحية دينية فهو دين ودولة وعلم وعمل ودنيا وآخرة ، ولن يجد المسلم غناء فى غيره مهما زينت له وساوسه وصورت له أوهامه .

وأمة اختصها الله بهذا الدين جدير بها أن تتخذ تعاليمه نبراساً تهتدى به فى ظلمات الوجود وتسير عليه فى شعاب الحياة ، فلا اضل ممن اطفأ مشعله فى ليل بهيم وهو يفتش عن ضالة منشودة ورغبة مقصودة ، إن مروق كثير من الشبان ووقوعهم فى غياهب الجهالة وظلمات الحيرة ، إنما هو نتيجة حتمية لهذا الانحلال الذى أصاب الدولة الإسلامية فى صميمها وهو لابد سائر بهم إلى التحلل من العقيدة الصحيحة وواصل بهم إلى الزيغ والإلحاد .

وليس هناك ما يدفع هذا البلاء ويرد هذا الطغيان إلا أن يتغلب سلطان الدين على النفوس ولا سبيل إلى هذا التغلب إلا ان تتغلغل تعاليم الإسلام الصحيحة وتنتشر مبادئه بين الأفراد والجماعات فنرى الفرد مسلماً والتاجر مسلماً والبيت مسلماً والمدرسة مسلمة والعامل مسلماً والأمة مسلمة والحكومة مسلمة .

عند ذلك يتبوأ الإسلام مكانته ويأخذ وضعه ويعيش المسلم عيشة الأحياء الناطقة لا البهائم الهائمة .

إن كل نهضة إصلاحية لا تبنى على اساس من الدين والأخلاق لا يقر لها قرار ، ولا يستقيم ◄

مجتنا في ديننا

لها وجود ، فيجب أن نعتمد في نهضتنا على ديننا وهو دين سلم وحرب وإيمان وعمل وصناعة وزراعة وحياة وموت وجنة ونار .

إن البيت المسلم يجب أن تظهر في جوانبه تعاليم الدين الحنيف فترى الأبناء صورة الإسلام ممثلة في آبائهم وأمهاتهم وذويهم وأن المدرسة الإسلامية يجب أن تدعم مناهجها بدراسة الدين ، فهو أجدر العلوم بالعناية وأولاها بالرعاية ، فمنه تكون الأخلاق ومن الأخلاق تكون الأمم .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وإن الفرد المسلم أيا كان طريقه في مسالك العيش ونظام الحياة يجب أن تظهر عليه دلائل الدين وعلامات الإيمان ، فنريد من الزارع المسلم أن يكون مسلما ومن الصانع المسلم أن يكون مسلما ومن الخصم المسلم أن يكون مسلما ومن القاضي أن يكون مسلما ، فإن الإسلام جماع الفضائل وأساس العمران وهو وحده كفيل ببث الطمأنينة في النفوس وتهذيب القلوب ونشر ألوية السلام في ربوع الأرض فقد عم القلق وشاع الفساد وكثرت المطامع واتسع الظلم وتبرم الحق .

وإن الحكومة الإسلامية يجب أن تبرهن للناس على صدق إيمانها فتريهم من نفسها مثلا من أمثلة المسلمين الصادقين الذين ينشر الله بهم الدين ويرد بهم كيد الخائنين ، وأن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ويرد بالسيف ما لا ترده العبرة .

وإن الأمل ليملأ جوانبي ثقة بأن أمراء المسلمين وقادتهم قد اقتنعوا بضرورة رد الأمة إلى دينها حتى تمتلىء به القلوب ، فلا تتفتح لقبول الأفكار الهدامة ، والمبادىء الفتاكة من كل ما عكر صفو الوجود وكدر الحياة في نظر العاملين .

ولقد خطت بعض الدول خطوات مباركة لتشجيع التعليم الديني وإحياء المدرسة الإسلامية من جديد ، وها هو ذا الأزهر العتيد ، ثمرة القرون ومعهد المسلمين ، ومعقد آمالهم ، يرسل بعوثه إلى مختلف البلاد الإسلامية ، ويفتح أبوابه لمن يفد إليه من أبناء المسلمين تحقيقا لهذه الغاية النبيلة ، ورغبة في بث تعاليم الدين الحنيف مكن الله له حتى يؤدي رسالته ، ويبلغ دعوته ، فإن في عنقه الآن الدعوة إلى الله ونشر كتاب الله .

وإني أتمثل بالأثر الخالد متضرعاً متوجهاً لمن يملك النواصي فأقول :

اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض .

وفق الله ولاة أمور المسلمين أن يشدوا أزره ، ويردوا عليه هيبته ويقوموا بنصره وتأييده .

العلوم الكونية

الملاحة وعلوم البحار

العقم

اللغز العجيب

الجديد في العلم والتقنية

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

الملاحة وعلوم البحار

أ.د. أحمد فؤاد باشا

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1]

صدق الله العظيم

مغالطات تاريخية :

يعتقد بعض المؤرخين الغربيين أن علوم البحار Oceanography من العلوم الحديثة التى لا جذور لها فى تاريخ الحضارات السابقة . فيزعم الإيطاليون أن المؤسس الحقيقى لعلوم البحار هو مواطنهم « لويجى فرناندو مرسيلى » Luigi Fernando marsigli (١٦٥٨ - ١٧٣٠ م) الذى الف فيه رسالة بعنوان « التاريخ الطبيعى للبحر » ويؤكد البريطانيون أن « السير جون مراى » Sir john Maurray هو صاحب الفضل الأول فى استحداث هذا المبحث الهام عندما أشرف على رحلة سفينة الأبحاث البريطانية « المتحدية » التى استغرقت ثلاث سنوات ونصفا بين شهرى ديسمبر ١٨٧٢ ومايو ١٨٧٦ م وقام بدراسة شاملة لمحيطات الكرة الأرضية ، أما الأمريكيون فيزعمون أن ضابط البحرية الأمريكية « ماتيوس فونتين ماورى » Mathews Fontaine Maury (١٨٠٦ - ١٨٧٣) هو الأحق بأن ينسب إليه هذا الفضل لأنه جمع معلومات كثيرة من « قباطنة » السفن بحكم عمله كمشرف على المرصد البحرى فى

(١) سورة النحل : ١٤ - ١٦ .

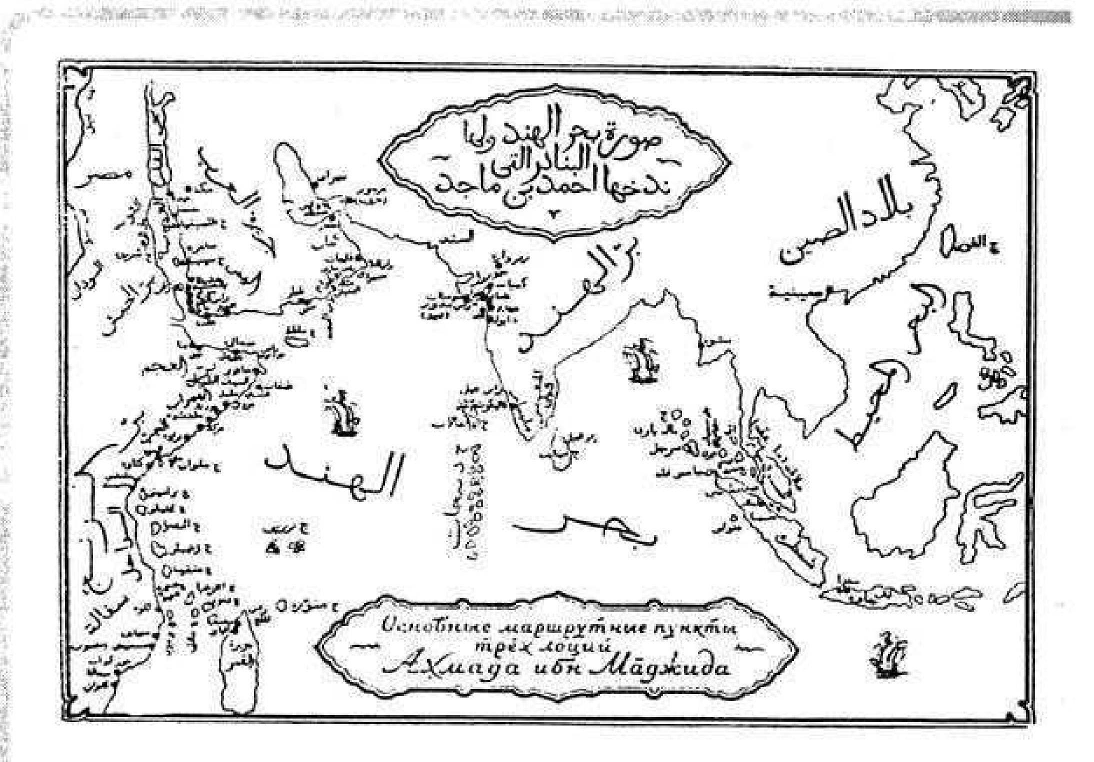

واشنطن ، وكتب فى ذلك مؤلفا بعنوان « الجغرافيا الطبيعية للبحر »[٢].

حقائق منغمسة فى الشبهات :

وحقيقة الأمر ان علاقة الإنسان بالبحر قديمة قدم التاريخ الإنسانى ذاته ، وخاصة ان هذه العلاقة قد توطدت وتطورت بمرور الزمن بعد أن وجد الإنسان فى البحر[٣] مصدرا من مصادر الرزق ووسيلة من وسائل النقل ، فأنس له وتجرأ على ركوبه والسفر فيه ، ويشهد تاريخ الملاحة البحرية على أن استخدام الإنسان للبحر فى العصور القديمة ، سواء لأغراض سلمية أو حربية ، إنما تم بالاستناد إلى قدر مناسب من المعارف والخبرات المتعلقة بأمور البحر وظواهره . بل إن هناك مايشير إلى قيام القدماء برحلات بحرية قريبة الشبه إلى حد كبير ببعثات البحث العلمي فى وقتنا الحاضر . وما تزال أخبار

(٢) راجع فى ذلك : د . زكى زكى الشعراوى ، المدخل لدراسة القانون البحرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٢٢ ــ ٢٧ .

راجع أيضا : تاربوك ولوتجنز ، الأرض ، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، الترجمة العربية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ــ ليبيا ١٩٨٩ ، ص ٤٦١ .

(٣) البحر : الماء الكثير ، ملحا كان أو عذبا ، وقد غلب على الملح حتى قل فى العذب . وجمعه أبحر وبحور وبحار(راجع : لسان العرب لابن منظور ، مادة «بحر») . وقد استخدم العرب لفظ «بحر» بمعنى البحر والخليج والمحيط ، وكذلك بمعنى النهر .

الملاحـة وعلـوم البحـــار

مثل هذه البعثات منقوشة على جدران معبد الدير البحرى بمصر[٤] . ولم يتخلف العرب القدامى عن ركوب البحر الذى يحيط ببلادهم من جهات ثلاث ، فقد كان عرب الجنوب على وجه الخصوص أصحاب علم ودراية بالبحر ومسالكه ، وكانوا يبحرون فى سفن كبيرة لأغراض التجارة مع الهند وجزر الملايو وأندونيسيا وسواحل أفريقيا ، ونشطت فى ذلك الوقت موانى الإحساء والبحرين وعدن وعمان وموزاMuza (وهى «مخا » الحالية باليمن و« أيلة » (وهى قريبة من « السويس » حاليا أو « القلزم » قديما) .

وعندما قامت الدولة الإسلامية كان من الطبيعى أن تعتمد فى أوائل عهدها على أبناء الأمم التى دانت لها ، وفيهم الملاحون المهرة الذين برعوا فى صناعة السفن وأتقنوا قدر مناسبا من الخبرة الملاحية . فتاريخ الحضارة البشرية لم تصنعه « المعجزة اليونانية » ولا « الحضارة الأوربية » ـ وحدهما ـ على حد زعم المتعصبين من مؤرخى العلم والحضارة ، وإنما ساهمت فى صنعه أمم مختلفة فى عصور متعاقبة على امتداد آلاف السنين . وكان للحضارة الإسلامية دورها الرائد والأساسى فى دفع حركة التقدم والرقى إبان العصور الوسطى ، خاصة بعد أن استقر ملكها وطابت ثمارها وامتدت رقعتها من الشرق إلى الغرب فى موقع من الأرض ، حضارات الهند والصين والفرس شرقا وحضارات روما واليونان غربا . ويكفى أن نستدل على حقيقة هذا التفاعل الحضارى بين الأمم على اختلاف أجناسها بما نجده فى معجم المصطلحات الملاحية من ألفاظ عديدة ترجع أصولها إلى اللغات الفارسية أو الهندية أو اللاتينية أو اليونانية أو الصينية ، بالإضافة إلى اللغة العربية فكلمة « أسطول » على سبيل المثال لاتينية ، وكلمة «غليون» اسبانية ، وكلمة « ربان » فارسية ، وكلمة « بارجة » هندية ، وكلمات « اميرال » (أمير البحر) و « كابل » (من حبل) و « فلوكة » (من فلك عربية .

علم الملاحة وعلوم البحار فى التراث الإسلامى :

اهتم المسلمون بالملاحة كثيرا وأكثروا من بناء السفن حتى ملأوا البحار بالجوارى المنشآت ، ووضعوا لها الأسماء بحسب اختلاف أشكالها وتباين أجرامها وحجومها ، على أنه مهما تعددت أنواع السفن وتنوعت حجومها لاتخرج عن كون جزئها السابح فى الماء يشبه الحوت فى عومه ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : « وهى أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه فى الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل أعون لها فى مصادمة الماء ، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التى للسمك تحريك الرياح ، وربما أعينت بحركة المقاذيف كما فى الأساطيل »[٥] .

ومن الطبيعى أن يكون تطور الملاحة مرتبطا بتطور العلوم الأخرى كالفلك والأرصاد والجغرافيا والجيولوجيا وغيرها . ويمكن أن نلمس الكثير من مظاهر هذا التطور فى كتب العجائب والجغرافيا وأدب الرحلات البحرية ، فنجد المقدسى ، على سبيل المثال ، فى القرن

(٤) لمعرفة المزيد من التفاصيل فى هذا الشأن راجع :
ـ د . سعاد ماهر . البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ د . أنور عبدالعليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، عالم المعرفة، الكويت ١٩٧٩ .

(٥)عن د . سعاد ماهر ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) يقول فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » فى معرض حديثه عن المحيط الهندى :« واما أنا فسرت نحو ألفى فرسخ ودرت على الجزيرة كلها من القلزم إلى عبادان ، سوى ما توهت بنا المراكب إلى جزائره ولججه . وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا من ربابين واشاتمة ورياضيين ووكلاء وتجار ، ورأيتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وارياحه وجزائره ، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده ، ورأيت معهم دفاتر فى ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها »[٦] . والدفاتر التى ذكرها المقدسى فى هذا النص ماهى إلا كتب الإرشادات الملاحية التى كانت تحتوى على الجداول الفلكية وخطوط عرض الموانى ، بالإضافة إلى كل مايحتاج الربان (قائد السفينة) إلى معرفته من معلومات عن الرياح والسواحل والشعاب والجزر والنجوم وغيرها مما يساعد على الاهتداء فى الملاحة وعلى الاقتراب بالسفن من مراسيها . ومن أقدم الكتب التى ألفها علماء الحضارة الإسلامية فى علم الملاحة وفنونه ، وما تزال مراجع عالمية لها قيمتها كتاب « المترجم بالمدخل الكبير إلى علوم البحر » الذى ألفه أبومعشر . وكتاب « الرهمانى »[٧] الذى ألفه الثلاثة محمد بن شاذان وسهل بن أبان وليث بن كهلان فى العصر العباسى ، وقد دون العرب بعض هذه الإرشادات الملاحية على شكل « أراجيز » تسهيلا لحفظها .

على أن أهم مايذكر فى علم الملاحة عند المسلمين هو « كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد » لشهاب الدين أحمد بن ماجد السعدى النجدى[٨] ، وفيه يوضح المؤلف تاريخ علم البحر والملاحة حتى القرن الخامس عشر ، ويلقى الضوء على مدى تأثر البرتغال بعلوم المسلمين وبالتقاليد الملاحية التى أرسوها فى الملاحة البحرية بشكل عام وفى المحيط الهندى بشكل خاص . ويبين ابن ماجد بشىء من التفصيل العلوم والثقافات التى يجب أن يلم بها « ربان » السفينة فيقول : « إن لركوب البحر أسبابا كثيرة فأهمها وأولها معرفة المنازل والأخنان والمسافات والقياس والإشارات وحلول الشمس والقمر والرياح ومواسمها ، ومواسم البحر وآلات السفينة ، وما يحتاج إليه ... وينبغى أن تعرف المطالع والاستوايات ، وجلسة القياس ومطالع النجوم ومغاربها وطولها وعرضها وبعدها وممرها ، وينبغى أن تعرف الرياح والمد والجزر فى كل طريقة ويتفقد فى أحضان السفينة وآلاتها ورجالها ولايشحنها غير العادة ...» ويضيف ابن ماجد إلى كل ذلك مايسميه بعلم الإشارات ، ويقصد بها معالم السواحل والجزر وخصائص المياه وطبيعة القاع وقدرا من المعلومات عن الأسماك والطيور وحشائش البحر التى تعين الربان على التعرف على السواحل المختلفة . وتستغرق المعلومات الفلكية جانبا كبيرا من اهتمام ابن ماجد فى مؤلفاته ، ثم هو يطبق معلوماته على وصف الطرق الملاحية التى سلكها

البقية ص ٩٥٤

---

(٦) راجع فى ذلك : س . م ضياء الدين علوى ، الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين ، تعريب وتحقيق د . عبدالله يوسف الغنيم ود . طه محمد جاد ، جامعة الكويت ، الكويت ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ١٠٨ . راجع أيضا : د . أنور عبدالعليم ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

(٧) عرف العرب المرشدات الملاحية بأسمائها الفارسية وهى « الراهنامج » (من راه : طريق ، ونامة : كتاب) أى كتاب الطريق ، وحرفت إلى رهمانج ورهمانى ورحمانى وربانى .

(٨) شهاب الدين أحمد بن ماجد من علماء فن الملاحة وتاريخه ، توفى فى مستهل القرن العاشر الهجرى ونهاية القرن الخامس عشر الميلادى . ورث العلم عن أبيه وجده ، وهو أيضا شاعر رقيق ، وقد استغل موهبته فى نظم القصائد التى ضمنها كل خبراته ، لكن شعره يضعف حين يحمله الاصطلاحات الفنية ويختل وزنه أحيانا ، أو يضطر إلى الوقوع فى أخطاء صرفية .

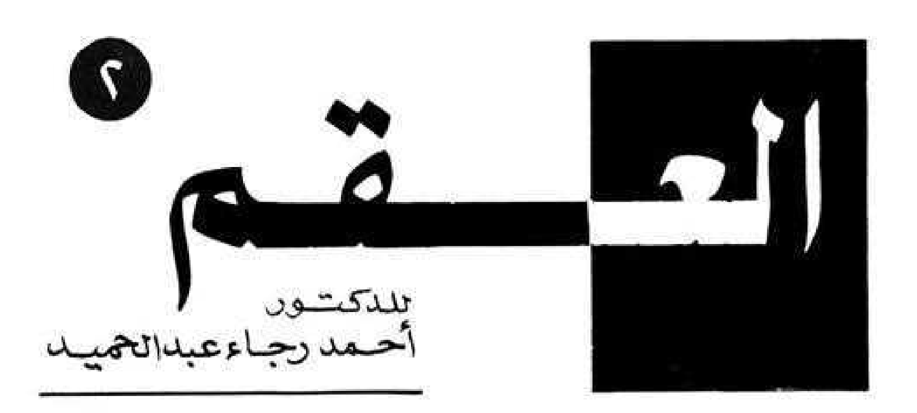

عوداً إلى ما قلنا باختصار نستطرد إلى بيان ما ينبغى ان يتخذ إزاء (ظاهرة عدم الحمل) بعد الزواج بفترة ـ قصرت ام طالت ـ جرت فيها المعاشرة الزوجية دون ان تسبب قلقاً ما ، نقول :

إن الشكوى تبدأ عادة إذا لم يحدث الحمل ـ فى فترة معتادة ، عندئذ يبدأ القلق ، ثم تنمو الشكوى ، وقد يبدأ الزوجان انفسهما بالشكوى ، وقد يدفعهما إليها لوم الأقرباء لأحد الطرفين ، أو كليهما ، وقد يشتد هذا اللوم حتى يكون ـ فى ذاته مشكلة امام الزوجين . ويحدث كثيراً ـ ان تبدأ الزوجة خطواتها فى البحث عن سبب عدم الحمل ، فتذهب بمفردها إلى الطبيب ، وهذه الخطوة المفردة خطأ من جانبها : ذلك ان عدم الإنجاب هو مشكلة الزوجين معاً لا احدهما ، وفى احيان كثيرة ادت دقة الكشوف ان السبب ـ فى النهاية ـ يكمن فى الزوج ، ولذلك يجب ان يصطحب الزوجان نفسيهما إلى الطبيب .

وإذا ثبت ـ عند الطبيب المختص ـ ان عدم الإنجاب استغرق مدة اقل من سنة فى حالة العقم الأوْلى ، او سنتين فى حالات العقم الثانوى ؛ فإن على الطبيب ان يؤجل ابحاثه حتى تكتمل مدة متعارف عليها ، وبعد اخذ تاريخ مَرَضِىّ مُفَصَّل (سيتم شرحه فى فصل التشخيص) يقوم الطبيب بالفحص على الوجه الآتى :

* **ماذا يفحص الطبيب ؟**

يبدأ الطبيب بفحص الزوجة ، وهذا يستدعينا أن نقدم تشريحاً للجهاز التناسلى للمرأة .

أولاً . الأعضاء التناسلية الخارجية :

(الفرج) ويتكون من :

أ ـ العانة . ب ـ الشُّفْران . جـ ـ البظر .

د ـ المدخل ـ أو الدهليز والإحليل . هـ ـ غشاء البكارة . و ـ الجسم العِجَانِى .

(أ) **العانة ـ الزهرة أو التل العانى** :

وهو تجمع دهنى يقع مباشرة فوق الالتصاق العانى ، وهى ليست عضواً مميزاً ، ولكنها منطقة ينبت بها شعر العانة عند البلوغ ، ويكون توزيعه بهذه المنطقة مميزاً للأنثى عن الرجل ، حيث أنه فى الأنثى يكون على شكل مثلث قاعدته لأعلى عكس الرجل ، وبفحص هذه المنطقة يتكون للطبيب فكرة مبدئية عن مستوى الهرمونات الأنثوية والذكرية للسيدة .

(ب) **الشفران** : وثمة شفران كبيران ، وهما الخارجيان ، ودونهما شفران صغيران .

الشفران الكبيران : وهما طيّتان مستطيلتان من الجلد على جانبى الفرج ، وهما أكثر الأعضاء بروزاً للخارج ، أما الصغيران ، فهما طيتان مستطيلتان تقعان بين الشفرين الكبيرين ومدخل (المهبل) .

(ج) **البظر** : وهو عضو مشابه للعضو الذكرى طوله (١ ـ ٣ سم) يقع فى الخط الأوسط أمام فتحة القناة البولية مباشرة ، ويتكون من : (جسمين انتصابيين) كل يتصل بالالتصاق العانى على أحد جانبيه ، ثم (الرأس) الذى يحتوى نهايات أعصاب حسية ، ومغطى غطاء جزئياً بالشفرين

الصغيرين . وعادة مايزال هذا الجزء ـ أثناء إجراء عملية (الخفض) هو والشفران الصغيران .

(د) **الدهليز أو المدخل** : هو المنطقة المثلثة التى يحوطها الشفران الصغيران ، وفتحة الإحليل ، ويوجد غُدّتان صغيرتان تسميان (غدتى سكين) بالجهة الخلفية الجانبية لفتحة الإحليل تقومان بإفرازات ملينة ، وهما أكثر الأماكن إصابة فى حالات (الالتهابات السيلانية) المبكرة .

ومن هنا تظهر قيمتهما التشخيصية .

غدتا بارثولين :

هما غدتان توجدان على الجانبين السفليين لمدخل المهبل ، ولهما قناتان (١ ـ ٢ سم) تفتحان بين الشفرين الصغيرين وغشاء البكارة ، وتفرزان مادة ملينة أثناء العملية الجنسية .

(هـ) غشاء البكارة :

غشاء رقيق مغطى من كلا الجانبين بالنسيج الظهارى ، ويتخذ الشكل الدائرى أو الهلالى ، أو متعدد الثقوب ، وفى بعض الأحيان يخلو من الثقوب فيحدث انسداداً مَرَضياً ، وفى هذه الحالة ـ وحين تصل الفتاة إلى مرحلة البلوغ ـ يتجمع دم الطمث خلف هذا الغشاء ، ويحدث مشاكل طبية واجتماعية من مثل انقطاع الطمث ـ أو ظن انقطاعه ـ وكبر حجم البطن ، مما قد يؤدى إلى الاعتقاد بأن ثَمَّةَ حَمْلاً ولا حمل ، وفى ذلك ما فيه من مشاكل اجتماعية يعلم الأطباء منها الكثير ، وعلاج هذه الحالة يكون بإحداث قطع فى غشاء البكارة مع علاج هرمونى للفتاة ـ حيث إن بطانة الرحم قد تتأثر بوجود الدم بها ـ لفترة تختلف حسب شدة الحالة .

(و) **الجسم العجانى ـ الحفرة الزورقية** :

الجسم العجانى ، ويتمثل فى هذا الجزء من الجلد ، وطبقة ما تحت الجلد الواقعة ما بين فتحتى الشرج والمهبل .

الحفرة الزورقية :

عبارة عن حفرة تتكون من التقاء الطرفين

الخلفين للشفرين الصغيرين ، وتقع أمام غشاء البكارة .

الأعضاء التناسلية الداخلية :

أ ـ المهبل ، ب ـ عنق الرحم ، جـ ـ الرحم ، د ـ قناتا فالوب ، هـ ـ المبيضان .

المهبل :

عبارة عن قناة عضلية مطاطة ، مغلقة جزئياً ، طولها (٨ ـ ١٠سم) وعرضها (٤سم) ، وتمتد من فتحة الفرج حتى عنق الرحم الذى يبرز فى الجزء العلوى منها مُكَوِّناً أربعة جيوب (أمام ـ خلف ـ جانبين) ، ويقع المهبل بين المثانة البولية (أمامه) ، والمستقيم (خلفه) ويحده من الأمام أربطة عنق الرحم ، والعضلة رافعة الشرج .

ويوجد بجدار المهبل ثنيات عرضيـة ، و(بخاصة فى المرأة التى لم تحمل من قبل) تساعد فى زيادة الإحساس الجنسى ، كما تساعد على التمدد أثناء الولادة .

عنق الرحـــم :

هو مدخل الرحم ، وهـو قناة طـولها (٢ ـ ٤ سم) تصل بين المهبل وتجويف الرحم ، وهو ـ فى السيدات اللاتى لم يلدن بعد ـ على شكل قمعى ، وصلب الملمس إلى حد ما ومحيطه (٣ ـ ٥ سم) ونصفه الأسفل غائر ، ونصفه الأعلى فوق المهبل ، ويحده من الأمام مباشرة المثانة البولية ، ويكون مسدوداً بالمخاط الذى تفرزه الغدد المبطنة له ، ووظيفة هذه السدادة أنها تقوم بالعمل كمرشح يسمح بمرور الحيوانات المنوية فقط ، أى بدون السائل المنوى ، كما يعمل عنق الرحم كمخزن للحيوانات المنوية التى تقوم بضخها ـ داخل الرحم ـ بطريقة فسيولوجية منظمة .

الرحـــم :

عضو عضلى على شكل حبة الكمثرى المقلوبة ، وله تجويف ضيق طوله حوالى (٧ ـ ٨ سم) فى المرأة التى لم تحمل بعد ، وعرضه نحو (٤ سم) يحده من الأمام المثانة البولية ، ومن الخلف المستقيم ، ويقع كله فى تجويف الحوض ، وتتصل به ـ على كلا جانبيه ـ (قناتا فالوب) ، ويكون الرحم فى الحالات التى لم تنجب فيها المرأة مائلاً للأمام ـ غالباً ـ على المحور المركزى للمهبل ، وذلـك فى نحو (٦٥ : ٧٥٪) من السيدات ، بينما يكون (٢٥ : ٣٥٪) مائلاً للخلف .

وأهمية معرفة هذا التوزيع ما نراه ـ فى بعض عمليات فتح البطن ـ لتصحيح وضع الرحم ، وفى الحقيقة إن كل ما يلزم ليس إلا تغيير وضع الجماع .

مثبتات الرحـم :

(أ) الأربطة : الرباط المستدير ، (من قمة الرحم ـ كلا الجانبين)

(ب) الرباط المتسع : وهو طية الغشاء الصفاقى فوق (قناتى فالوب) وجسم الرحم حتى الجدار الجانبى للحوض .

(جـ) الرباطان الرحميان العجزيان : وهما زوج من الأربطة اللينة المتصلة بين الجزء السفلى من جسم الرحم عند اتصاله بعنق الرحم ، ويمتدان للخلف حتى عظمة العجز .

(د) الرباطان المروحيان :

(هـ) العضلة الرافعة للشرج ، وتعتبر أكبر عضلة من مكونات الحجاب الحاجز الحوضى ، وتمتد على جانبى المستقيم حتى الجدار الجانبى للحوض .

(و) الغشاء المبطن للرحم ، وهو يتكون من طبقتين :

١ ـ سطحية ؛ وهى تنمو وتضمر تحت تأثير الهرمونات .

٢ ـ وداخلية ؛ وهى دائمة .

ويلاحظ أن الطمث هو عبارة عن تساقط الطبقة السطحية مع بعض الدم .

الإمداد الدموى :

وذلك عن طريق الشريان الرحمى (واحد بكل جانب) وفرع من الشريان المبيضى ، ويكون الصرف عن طريق الوريدين الرحميين ، والأوردة المبيضية (اثنان بكل جانب) .

الإمداد العصبى :

الأعصاب الخارجة ـ عن طريق الأعصاب العجزية (٢ ، ٣ ، ٤) ـ الأعصاب الداخلة عن طريق النهايات الظهرية (٥ ـ ١٢) والعجزية (٢ ، ٣ ، ٤) التى تحمل الأعصاب اللا إرادية .

٤ ـ قناتا فالوب (قناتا المبيض) :

وهما قناتان رقيقتان لهما حركة دودية من (١٠ ـ ١٢ سم) ، ويوجد بجدارهما طبقة عضلية ، كما توجد بداخل جدار كل منهما أهداب تعمل على دفع البويضة ناحية الرحم ، وتمتدان من جانبى الرحم عند الفتحة القرنية ، وتتجهان جانباً للخلف حيث تفتحان فى التجويف الصفاقى للمبيض بجوار أسفل المبيض على كلا الجانبين حيث تتصل كل أنبوبة بالمبيض عن طريق نهاية خملية ، وهى أطول النهايات الخملية للقناة .

ووظيفة هاتين القناتين هى التقاط البويضة ، ثم دفعها لملاقاة الحيوانات المنوية لتلقيحها ، ثم دفع البويضة الملقحة ناحية الرحم .

أجزاء القناة :

(أ) الجزء الطرفى (الخملى) وهو عبارة عن مجموعة الخملات ، من (٥ ـ ٨) وأحدها الأطول ، وتتجه ، وتمسك بالمبيض ، وتسمى الخملة المبيضية .

(ب) الجزء القمعى (من ٢ ـ ٣ ـ سم) ، وتلى الخملات ، ولها شكل قمعى .

(جـ) الجزء الجرابى (من ٦ ـ ٨ سم) ، وهو الجزء الأكثر اتساعاً للأنبوبة .

(د) الجزء البرزخى ، وهو أضيق الأجزاء (١ ـ ٢ سم) ويمتد من الجزء الجرابى إلى جدار الرحم .

(هـ) الجزء البايظرجى : وهذا يقع داخل النسيج الرحمى (١ سم) ، ويكون تجويف القناة أضيق من قبل (١ سم) .

المبيـــض :

وهو الغدة التناسلية للأنثى ، وهما زوج من الغدد التناسلية ، لونها أبيض بيضاوى ، صلب الملمس ذو سطح مجعد حوالى (١,٥ × ٣ × ٣,٥ سم) ، ويقعان على الجانب الحوضى من الصفاق فيما يسمى بالحفرة المبيضية ، ويتصل بالرحم عن طريق الرباط المبيضى ، ويتكون من القشرة والنخاع ، والقشرة تحتوى على البييضات داخل حويصلاتها ، وتنمو عدة (بييضات) كل شهر ، وعادة لا تفرز سوى بويضة واحدة ، ويضمر الباقى ، أما النخاع فهو الجزء الداخلى ، ويقوم المبيض بإفراز الهرمونات الأنثوية (الأوستروجين والبروجيستيرون) فى الدم .

العلامات الأنثوية الثانوية :

وأهمية فحص هذه العلامات أنها تعطى للطبيب انطباعاً عن مستوى الهرمونات الأنثوية والذكرية (للمريضة) ، وهى :

١ ـ الثديان : نمو الثديين وبروزهما .

٢ ـ الشعر : شعر الرأس ، وهو مستدير على الجبهة ، وشعر العانة ، وهو ذو حد أفقى من أعلى .

٣ ـ توزيع الدهون فى الجسم ، وبخاصة حول الأرداف والثديين .

٤ ـ الصوت : ناعم أو حاد .

٥ ـ الجلد : ناعم لوجود طبقة دهنية تحته .

اللغز العجيب

للأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

بإنفاق اكثر من اربعين بليونا من الدولارات كل عام فى عمليات من قبيل قص الشعر وتثبيته والتكيف مع ما يقتضيه ـ عليهم ـ مظهرهم الجديد من امور ، أو حتى تغيير هذا الغطاء الخاص الذى ميز فترة من حياتهم اكتست رءوسهم فيها بشىء هو للفراء اقرب منه للشعر الآدمى المعروف . وبرغم هذا الاهتمام المنصب عليه يظل الشعر من أكثر المكونات غير المفهومة الأسرار فى الثدييات إلا أن العلماء بدأوا مؤخراً فى إزالة ذؤابة الغموض التى جللت الهام لأجيال متتالية .

إن إدراك حقيقة : أن الشعر يمكن أن يكمن فيه الجواب على عديد من الأسئلة التى حار العلماء فيها جوابا ، وذلك بخصوص الحياة العضوية أو « البيولوجية » للخلية ، هذه الحقيقة دفعت العلماء وحفزتهم على أن يركزوا مجهوداتهم من جديد على الشعر ، وأن يولوه ذات الاهتمام الذى أولوه لمساويات الشعر فى الكائنات الأخرى من ريش وقشور .

وفى حالات كثيرة يتم توفير المصادر المالية تركوه يطول ويطول وقالوا : « هيبز » ، ثم ملوا فمالوا إلى تصفيفه وتهذيبه والأخذ من اطرافه حتى صار « فيرانىّ » الشكل ، وقالوا « يوبز » .

من مجيرى من الذين اللواتى !!؟

ثم زعموا أن النساء اللاتى يقمن بقص بعض شذرات صفراء منه هن اكثر ملاحة والطف سجايا . أما الرجال الذين تاخذ مقدمات رءوسهم فى التعرى منه شيئاً فشيئاً والكشف عن امور يستثقلونها فسرعان ما يفزعهم اختفاؤه ، موفرين بذلك فرصة لا تعوض ، لازدهار صناعة المراهم ورواج « الكريمات » ، وارتفاع أسعارها إلى ارقام فلكية ، تُدفع ايضاً فى عمليات من قبيل زرع بعض خُصلاته ، واستنبات بعض جدائله ، ذلكم اللغز المثير ، هو الشعر ، الذى شرع الباحثون فى رفع النقاب عن حياة خلاياه الموغلة فى الإغراب .

فالشعر فى بنى البشر على الأقل يحمل من المعانى الرمزية وعمق المغزى ، ما يفوق بكثير مايمكن أن يتوقعه الواحد منا من مجموعة من الزوائد الميتة ، ففى أمريكا وحدها يقوم الراغبون فى تصفيف الشعر الرافضون قبول ما افترضته عليهم بُصيلات شعورهم من أقدار يقومون

للبحوث الخاصة بالشعر من طرق كثيرة أهمها : شركات الغزل والنسيج ، وشركات الصيدلة ، وذلك على أمل تحقيق أرباح جمة من الخوض في بحار هذا العلم ، وقد أدى هذا العمل الجديد في إحدى أغرب مراحله إلى استحداث نظم استزراع معملية جديدة ، تجعل من اليسير على العلماء استنبات كميات ضئيلة من الشعر في مساحات زرعت على جلد صناعي ذي بصيلات شعر غنية ، وبرغم النفقات الضرورية الباهظة التي أنفقت على إجراء مثل هذا النوع من التجارب ، فإن أحداً لم يتمكن من زراعة كميات يعتد بها من الشعر في أي مكان غير الجسم البشري ذاته ، وهي حقيقة تقدم دليلاً لا يرقى إليه الشك ، وشهادة مؤكدة على ما امتاز به الشعر من حياة ملغزة مُطَلْسَمَة .

ومن الأسباب التي جعلت الناس يتحاشون الغوص في أسرار الشعر هو أنه موضوع شديد التعقيد ، كما يقول (هاوارد بادن) الذي يقوم بدراسة البيولوجية الذرية للشعر وجزيئاته في المدرسة الطبية بـ « هارفارد » في « بوسطن » الذي يضيف إلى ذلك قوله :

إن العلماء الآن بدأوا يدركون أنه خير مثل يتخذ للتعرف على كثير من المشاكل « البيولوجية » في أعماق جذورها ، ولقد جذبت « بيولوجيا الشعر » أنظار الباحثين من أوساط علمية عديدة منها ـ على سبيل المثال :

أخصائيو السرطان الذين أخذوا في استكشاف الشعر وبصيلاته على اعتبار أنها هي الأجزاء الوحيدة دون بقية أجزاء الجسم التي حباها الله القدرة على أن تموت وتتوالد ذاتياً عبر حياة الإنسان وذلك لعدة مرات متكررة . ومن ثم ، فإن هذا الأمر يوفر بالنسبة للعلماء مصدر تكهن وتمحيص للأجزاء التي تسيطر على الخلية ، والتي تتحكم في وظائفها ، وهي الأجزاء التي تأخذ في التغضن والالتواء ، ما إن يصيب الجسم سرطان الجلد أو أية اختلالات تكاثرية أخرى .

أما علماء تنمية البدن فإن طول دورة الحياة الشَّعْرِيَّة ، ثم موتها ثم إعادة توالدها ، ذاتيا ، يقدم لهم سلسلة من « الأدوات المتكررة لتلك الوظائف الجديرة بالملاحظة » والتي تجعل من السهل على العلماء أن يتفحصوا غير مرة حياة الشعرة ، ثم يقوموا بحساب مراحل نمو الخلية وموتها ، ثم حساب الفرق بين مدة الحياة والموت في كل مرة .

أما المهتمون بتطوير الغزل والنسج ، فإن الآمال تعظم لديهم في أنَّ تَفَهُّما لنمو الخلية على المستوى الجزيئي أو الذري سيؤدي إلى توليد أغنام عن طريق الهندسة الوراثية ، أغنام تحمل نوعيات محسنة من الصوف وهو حافز يفسر الكم الهائل من بحوث الشعر التي يقومون بها في استراليا .

أما علماء ومصنعو المساحيق ، والصيادلة ، فإن كل مُعْطَى جديد متعلق بالشعب وإعادة تولُّده يمثل لديهم مبعث أمل ومصدر ثراء وأرباح طائلة ، يجنونها من جيوش جرارة ، من الرجال الطاعنين في السن الذين يأبون ـ بعناد ـ قبول ما تخبئه لهم أقدارهم من نقر أي مساحات كبيرة خلت من الشعر .

يقول : « استيوارت يوسبا » بالمعهد القومي للسرطان في « بات سدا » :منذ بضع سنوات فقط لم يكن الشعر مجالاً لبحوث ريادية ، ولم يكن يهتمُّ بدراسة نمو الشعر وبصيلاته إلا قلة قليلة من الناس ، إلا أنه تم حل لغز الكثير من المشاكل الأساسية في حياة خلايا الجلد مما حفز الكثير إلى الولوع بالتصدي لتحد جديد ، ولا يخرج ذلك التحدي الجديد عن كونه ذلك العجب العجاب « بصيلة الشعر » .

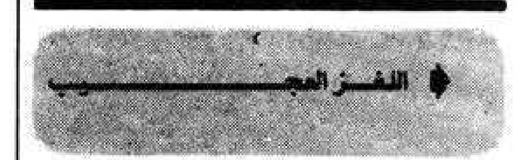

وكمميز تنفرد به الثدييات وعامل لا يُنكر أثره المحبب فى التواصل الجنسى ؛ فإن الشعر كان مثار اهتمام الكثير من دراسات العلماء على المستويين : التجريدى والمجهرى الميكروسكوبى .

وقد اتضح ـ فيما تلا ذلك ـ الوظائف العديدة المنوطة بالشعر فإن كان زغبا أو فروا ، أمد حامليه بمصدر لا يبارى من التمويه والعزل والحماية ، أما إذا كان شوارب أو قرون استشعار فلا تنكر حساسيته الشديدة ، وأهميته الملموسة للكائنات التى زودها البارى بمثل هذه المنن العظام .

أما إذا نظرنا إليه كأهداب وجفون وشعر ينبُت فى داخل الأنف فإن الذين ينهون عن السنة النبوية وَيَنْأَوْن عنها ، ويقومون بقص مثل هذا النوع من الشعر فيفقدون ميزة الحماية من الأتربة وغيرها مما يحمله الهواء الداخل إلى رئاتنا من أمور نسأل الله السلامة منها .

وانظر إلى شدة العناية الإلهية حيث تقوم حوالى مائة ألف من الألياف الشعرية بحماية فروة الرأس فى الشخص العادى . فإذا تم النظر إليها بشكل عرضى لبدا الشعر ببيضاوى الشكل فى القوقازيين منبسطاً مسطحاً فى السود ، دائرياً فى الآسيويين .

يقول « كيرت استن » بجامعة « يل » : إن أجزاء الجسم المغطاة بالشعر هى أساساً بمثابة فروق اجتماعية بين الأجناس .

إن مما يمثل أهمية خاصة « لعلماء البيولوجيا » تلك الملاحظة التى تقول :

إن الشعر ينمو فى دورات . ففى الإنسان على سبيل المثال ينمو الشعر فى الفرد منا على فترات تتراوح بين سنتين إلى خمس سنوات .

ثم يأخذ الشعر فترة راحة من أربعة إلى ستة أشهر ، وتشمل عملية النمو المذكورة تلك التكاثر السريع للخلايا داخل بصيلة الشعر ، وهو أمر ينفرد به الجلد .

إن نمو أو إنتاج شعرة واحدة داخل البصيلة يشبه صورة مصغرة لتخلق مجموعة من الخطوط شديدة الدقة . فبينما تأخذ خلايا الشعرة المنقسمة الجديدة فى دفع خلايا الشعرة القديمة المسنة إلى أعلى ثم طردها إلى خارج الجلد فإن الخلايا الملونة والمسماة بالصابغات أو (MELAMOCYTES) تشرع فى الدخول إلى الليفة الناشئة وذلك لإكسابها اللون . وفى ذات الوقت فإن سلسلة من التفاعلات « المبلمرة » : أى التى اتحدت فيها أجزاء متعددة من مادة واحدة معاً تبدأ فى الربط بشكل عرضى تقاطعى بين عشرة أنواع مختلفة من جزيئات البروتين ، أو ما يعرف بالقرنيات فى داخل خلايا الشعر إلى أن يبرز إلى حيز الوجود ذلك الشىء المنسق الخشن الملمس الجميل الشكل الا وهو الشعر .

كل هذا يحدث بينما تنمو الشعرة الجديدة بمعدل شديد البطء يبلغ حوالى ثلث ملليمتر فى اليوم أو نصف بوصة فى الشهر . وفى أثناء فترة الراحة يتوقف النمو تماما وتذوى كثير من الخلايا فى بصيلة الشعر وتموت ، لكنها لا تبيد عن آخرها ، بل يظل مخزون منها مما يسمى « بالخُلَيْمِيَّات » وهى : الخلايا القادرة على إعادة زرع البصيلة تظل هذه الخلايا مختبئة كامنة داخل البصيلة الضامرة .

ثم يحدث ـ فيما بعد استجابة لإشارات جزيئية أفرزتها خلايا مجاورة ـ أن تقفز البصيلة إلى الحياة من جديد ثم تقوم « الخلايا الخُليمية » بالانتقال إلى قاع البصيلة ثم تبدأ فى الانقسام ،

وسرعان ما يأخذ أنبوب شعرى جديد فى الصعود إلى أعلى طارداً الشعرة المسنة أثناء مسيره .

وفى الكائنات البشرية على خلاف مايحدث للحيوانات التى اعتادت أن تقوم بنسل شعرها والتخلص منه بصورة منتظمة أو موسمية ، فإن دورات النمو والراحة فى شعر الفرد غير متناسقة أو منتظمة ، لذا فإنك تجد أنه فى أى وقت من الممكن أن ينمو مايقرب من تسعين فى المائة من الشعر بينما لا ينمو بقية الشعر ، لكن دورات نمو الشعر خصوصا فى الرجال تقصر وتقل مع تقدم السن إلى أن يزيد الوقت الذى تستغرقه كل بصيلة فى الراحة على الوقت الذى تقضيه فى النمو ، فضلا عن ذلك فإن البصيلات تصبح أكثر صغرا وأكثر ضحالة مخرجة بذلك شعرات أوهى متانة وأقل سمكاً . وبالنسبة لأناس أتموا العقد الثالث أو الرابع من أعمارهم فإن نظرة فى المرآة كفيلة بتقديم الدليل الكافى على نموذج لصلعة أحد الذكور متمثلة فى خط متقدم منه الشعر توسط تاجا خف من الشعر أو زال .

إن العلماء يأملون أنه عن طريق دراسة الدورة الشعرية يمكنهم أن يتوصلوا إلى الطريقة التى يستطيعون بها التحكم فى نمو وإعادة توالد الشعر والجلد ، وسواء كان الهدف إبطاء عملية الصلع فى الرجال ، أو زيادة إنتاج الصوف فى الأغنام ، أو إيقاف تكاثر خلايا الجلد فى مرضى السرطان ، فإن مفتاح السر يكمن فى تفهم الإشارات الجزيئية التى يوكل إليها تنظيم دورة النمو والراحة فى الشعر .

ـــ وكما يقول يوُسْبا فإن الدورة الشعرية شديدة الانضباط فائقة الانتظام ، وهما أمران مبنيان على ظهور أو اختفاء الجزيئيات المنظمة وعلى وجود وغياب المستقبلات داخل كل بصيلة ، ولكى نتمكن من إعادة تدوين مفردات هذه السيمفونية التنظيمية البديعة فإن الباحثين فى حاجة ماسة إلى طريقة لأختبار تأثيرات الهرمونات التى يتناولها الفرد . وكذا عوامل نمو الخلية فى نسق منضبط .

ومن ثم فإن معظم البحوث التى تُجرى مؤخراً على الحياة العضوية للشعر ركزت أشد مايكون التركيز على تطور الشعر المزروع معمليا .

وحتى أيامنا هذه فإن الطريقة الوحيدة لاختبار تأثيرات العقاقير أو العوامل التى تحدث فى أثناء نمو الخلية بشكل طبيعى تعتمد على رش المحاليل والمراهم على الحيوانات ذات الأجساد الفرائية .

وفى واقع الأمر فإن قليلا من الحيوانات ازدادت شعبيتها بسبب مثل هذه الدراسات . فعلى سبيل المثال فإن نسناس جنوب شرق آسيا المبتور الذيل أو الأقطع واسمه العلمى (MACACA ARCTOIDES) يحدث له الصلع بين العام الرابع والسابع من عمره ، وهو ما تكهن به العلماء وكان غالبا ما يحدث فعلا وهو أمر يُحتج به فى سرعة حدوث الصلع فى الإنسان فى زعم أولئك العلماء . إن التجارب الأولى التى استُخدم فيها عقار MANOXIDIL (وهو عقار الشعر الوحيد المستخدم فى إعادة توليده والذى صرحت باستخدامه إدارة الأغذية والعقاقير الأمريكية) . أجريت على مبتورات الذيول ومايزال العلماء يواصلون استخدام هذه الحيوانات لاختبار وتجريب عقاقير أخرى مهمتها إكساب الشعر شيئا من السُمك ولكنها عقاقير معملية بحتة .

وأحد النماذج الأخرى للحيوانات المشهورة فى إجراء تجارب نمو الشعر هو المدعو (الفأر الزغَبى) أى الكثير الزغب أى الشعر الرفيع ، وهذا الفأر هو ناتج التوليفة المهجنة من الفأر الأمْهَق (أى الذى به بياض فى العين والجلد والشعر والذى يتأذى من الشمس وهو كثيف الشعر) . والفأرة الملونة عديمة الشعر . وكانت النتيجة أن أنبت ما بالفأر من بصيلات صغيرة خصلات جيدة تشبه الشعرات الرفيعة فى الصلع من الرجال .

يتبع

إعداد
د. نجوى السيد أحمد

حاسب الى لإرشاد الغواصين

تم إنتاج أحدث جهاز « كمبيوتر » للغوص فى البحار ، طولهُ (٤ بوصات ، وعرضه ٤/١ ٢ بوصة) وسُمْكُهُ (٧ بوصات) يعمل ببطاريات « ليثيوم » تدوم سبع سنوات ، وله شاشة بلورية . والجهاز يزود الغواص بمعلومات مهمة ، ويُؤَمِّنُ سلامته ويحدد خط سيره ، ومعدلات الأعماق المختلفة ، واقصى عمق يمكنه الوصول إليه ، والفترة الزمنية لبقائه فى الأعماق ، ومعدلات الضغط ، ودرجات الحرارة ، كما أنه يعطى إشارات تنبيه عند الصعود السريع إلى السطح . والجهاز يمكن أن يتم ربطه فى رسغ اليد أو إدخاله داخل الجيب ، ويتميز بأنه ضد المياه ، وسهل الاستخدام ، ولا يحتاج لأعمال صيانة .

تجارب لاستزراع بعض نباتات فى الفضاء

تجرى الآن تجارب لإنتاج آلة فى أحد مراكز الأبحاث التابع لوكالة الفضاء الأمريكية يمكنها تربية منتجات زراعية مثل الخس والجزر والطماطم ونباتات الحدائق المفيدة غذائياً فى الفضاء لكى يستفيد منها ملاحو المحطات الفضائية أثناء رحلاتهم الفضائية الطويلة ، كما ان وجود مثل هذه النباتات فى الفضاء لا يفيد غذائياً ، فقط بل معنوياً أيضاً . ولكن النباتات التى ستنتج فى الفضاء سوف تكون أصغر حجماً من تلك التى تنتج على سطح الأرض .

مصباح يضىء ويطفىء تلقائيا

أنتجت إحدى الشركات البريطانية مصباحاً اقتصادياً فى استهلاك الطاقة ، ويقلل من انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون الذى يزيد من (طبقة الأوزون) . المصباح يعمل بمجرد استشعاره وجود شخص فى الغرفة التى يوضع بها بواسطة الأشعة المنبعثة من جسم الشخص . ويتأكد المصباح من أن النور فى الغرفة كاف بواسطة خلية ضوئية كهربية فيه . وإذا كان الضوء غير كاف قام المصباح بإشعال نفسه تلقائياً ، وعندما يخرج الفرد أو الأفراد من الغرفة ينطفىء

تدريجياً ، وبمجرد عودة أى فرد إلى الغرفة يضىء وهكذا .. وإذا ثبت المصباح قريباً من النافذة فإنه يقلل الضوء المنبعث منه تبعاً لحجم الضوء القادم من النافذة .

الليزر للرقابة الصناعية

تمكن الباحثون فى إحدى الجامعات البريطانية من تطوير جهاز جديد يمكنه قياس سرعة الدوران فى أية آلة ومحرك ، وكذلك قياس درجة الالتواء للسيور والاهتزازات والتذبذبات وغيرها بواسطة (أشعة الليزر) حيث يتم توجيه شعاعين من الليزر منخفض الطاقة إلى الجزء المتحرك المراد قياس حركته أو سرعته من الماكينة أو المحرك . ومن المعروف أن الاهتزاز الالتوائى لأى جزء مثل عمود المرفق للمحرك قد يؤدى إلى تلف هذا العمود مع الوقت وتآكل أسنان التروس مع زيادة الضوضاء الناتجة . فضلاً عن انزلاق السيور الناقلة للحركة وانخفاض الأداء مع مرور الوقت ، ولذلك يجب قياس الاهتزاز الالتوائى بدقة وإصلاح العطل فى الحال . وبذلك أمكن حل الكثير من مشاكل القياس الميكانيكى والهندسة بواسطة (أشعة الليزر) دون زيادة التكاليف ، أو الحاجة إلى إيقاف المحرك .

سيارة المستقبل متعددة المزايا

قام مهندسو إحدى الشركات اليابانية لإنتاج السيارات بتصميم سيارة جديدة المفهوم للتغلب على مشكلة ازدحام اماكن وقوف السيارات ، إذ يكفى أن يضغط الشخص على زر بالسيارة لكى تنتصب واقفة على مؤخرتها ، وتبدو عندئذ وكأنها مدخل البيت . ويمكن لهذه السيارة أن تحمل أربعة ركاب عندما تكون فى وضع السير على الطريق .. وعندما تكون واقفة ينفتح هيكلها ليشكل ما يشبه العمودين الجانبيين . وتجهز المرآتان الجانبيتان بإضاءة مميزة لكى لا يخلط زوار الليل بين السيارة ومدخل البيت الحقيقى .

قفاز لمساعدة المعوقين عن الكلام

اخترع علماء كنديون جهازا جديدا من الكمبيوتر لمساعدة المعوقين عن الكلام . والجهاز يستخدم شبكات عصبية يمكنها أن تتعرف على حركات اليد وتترجمها إلى أصوات . ولتشغيل الجهاز يرتدى مستخدمه قفازاً أسود اللون يتصل بأسلاك من « الفيبرجلاس » متصلة بالكمبيوتر ، وعند ارتداء القفاز تضىء الأسلاك فيقرأ الكمبيوتر حجم الأصابع ، وسرعة حركتها ، ويستعد لإيجاد الأصوات التى تلائم كل حركة ، وتدخل هذه الأصوات إلى المسجل فيترجمها إلى كلمات .

تنظيم ضربات القلب بالموجات اللاسلكية

توصل أحد أطباء القلب بأمريكا إلى أسلوب جديد لضبط ضربات القلب غير المنتظمة عن طريق إرسال دفعة من الموجات اللاسلكية إلى أجزاء فى عضلة القلب ، وقد نجح فى علاج ٩٥٪ من المرضى الذين عولجوا بها . ويتميز هذا الأسلوب بأمان بالغ ، ولا يعرض المريض لأية مخاطر على المدى البعيد . وعدم انتظام ضربات القلب مرض يهدد بصفة خاصة الأطفال والشباب الصغار الذين يعانون من نوبات من الدوخة نتيجة لارتفاع معدل ضربات القلب . وكان الأسلوب المتاح أمامهم إما تناول العقاقير التى قد تسبب لهم بعض الآثار الجانبية ، أو الجراحة التى تنطوى على نوع من المخاطرة .

فى المحيط الهندى بين موانى الجزيرة العربية وسواحل افريقيا وآسيا وجزر اندونيسيا والبحر الأحمر (انظر فى الشكل خريطة علم البحار كما وضعها احمد ابن ماجد).

وبذلك يكون ابن ماجد قد أرسى أصول « علم البحار » كما نعرفه اليوم بأنه مجال تتجاذبه اختصاصات عدة Interdsciplinary Field لدراسة البحار والمحيطات من مختلف جوانبها الطبيعية والجيولوجية والبيولوجية والكيميائية والقانونية وغيرها ولعل فى هذا ما يؤهله لما سجله التاريخ فى حقه من انه قاد الملاح البرتغالى « فاسكو دى جاما » فى سنة ١٤٩٨ م فى بحر العرب حتى وصل به إلى مرفأ « كاليكوت » على الساحل الجنوبى الغربى من شبه جزيرة الهند . وفى تلك الرحلة كان مع ابن ماجد خارطة لجميع شواطىء الهند وعدد من الآلات والأدوات التى تعكس المستوى المتقدم للملاحين العرب .

وكان سليمان بن احمد المهرى (المتوفى بعيد ٩٥٠ هـ - ١٥٥٣ م) ملاحا عربيا من حضرموت لايقل مقدرة عن ابن ماجد وله عدد من المؤلفات اهمها اثنان : « العمدة المهرية فى ضبط العلوم البحرية » فى الجانب العلمى النظرى من الملاحة ، ثم « المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر » فى الجانب الفنى العملى من الملاحة ، ويرجع الفضل فى اكتشاف مؤلفات ابن ماجد وسليمان المهرى لجهود المستشرق الفرنسى جبرييل فران G. Ferrand فى الربع الأول من القرن العشرين[٩] .

آراء متقدمة لابن سينا فى علم البحار :

وتحدثنا مخطوطات التراث العلمى الإسلامى أن ابن سينا أيضا قد ساهم فى تطوير المعارف عن البحار ، حيث تناول توزيع القارات والمحيطات فوق سطح الكرة الأرضية ، ومصدر مياه البحر والأملاح فيها ومنشأ البحار والجبال والتيارات والأمواج ، وعلاقة المياه السطحية والجوفية بمياه البحر ، والعلاقة المتبادلة بين البحر واليابسة عبر العصور . ومن أوضح النصوص فى ذلك قوله : « البحر ساكن فى طباعه ، وإنما يعرض مايعرض من حركته بسبب رياح تنبعث من قعره ، أو رياح تعصف فى وجهه ، أو لمضيق ينضغط فيه الماء من الجوانب لثقله فيسيل مع أدنى تحرك ، ثم يلزم ذلك لصدم الساحل والنبو عنه إلى الناحية التى هى اغور ، أو لاندفاع أودية فيه مموجة له بقوة ، وخصوصا إذا ضاقت مداخلها وارتفعت وقل عمقها فيعرض أن يتحرك إلى المغار.. »[١٠] .

وهنا يميز ابن سينا بين حركات مختلفة تعرف اليوم باسم التيارات المائية ، كما انه يشير لأول مرة فى تاريخ العلم إلى وجود تضاريس متعرجة فى قيعان البحار والمحيطات . ذلك أنه لم يتم التعرف على طبيعة التضاريس المتباينة فى قيعان المحيطات إلا فى العصر الحديث ، عندما تمكن العلماء من قياس أعماق المحيطات ومد أسلاك (كابلات) الاتصال عبر المحيط الأطلسى . وطالما كان ضروريا أن نقيس عمق المحيطات مباشرة لقياس ابعادها بدقة ، فقد بقيت معرفتنا فى هذا الشأن محدودة إلى أن تم اكتشاف جهاز قياس الأعماق الكترونيا عن طريق الصدى Echo Sounder خلال العشرينيات من القرن الحالى[١١] .

وهكذا يتضح لنا كيف يسعى المتعصبون إلى طمس جهود السابقين والانحراف بتاريخ العلوم وتقنياتها عن مساره الصحيح ، وعلينا نحن معشر الأحفاد لخير سلف أن نعمل على إظهار الحقائق المنغمسة فى الشبهات .

(٩) راجع فى ذلك : عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢١١ ومابعدها . راجع ايضا : د . انور عبدالعليم ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(١٠) د. عدنان عاكف حمودى ، علم البحار عند ابن سينا ، ١٩٩٠ .

(١١) تاربوك ولوتجنز ، مرجع سابق ، ص ٤٦١ وما بعدها .

اللغة والأدب والنقد

لغة الأسبانتو بين المد والجزر

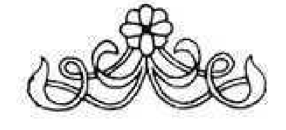

نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان
بين العقاد وشكري

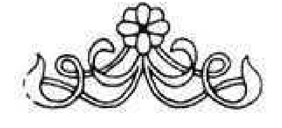

منهج ابن الأثير في كتاب
أسد الغابة في معرفة الصحابة

لغة الاسبرانتو

بين المد والجزر

للدكتور/ توفيق محمد شاهين

تزداد وسائل الاتصال سرعة اليوم، ولا ندرى ما يخبئه المستقبل حين يستقر أمر الصواريخ فتصبح وسيلة انتقال عادية.. وتتحدث الأرقام الهائلة عن كثافة سكانية فى أرجاء المعمورة، وفى بعض البلاد تتطلب حنكة من حكومتها فى سبيل تثقيفها ورقيها وتوفير الحياة الكريمة لها.

ويتبع هذا وذاك كثرة كاثرة فى تنوع اللغات واللهجات على الصعيد المحلى والعالمى مما يجعل التفاهم بين أهل هذه الأقطار عسيراً فيما بينها، فضلاً عن تفاهمها مع غيرها أو من الوافدين عليها سريعا، والمقيمين بها مؤقتاً، وما أكثر هذا فى هذا العصر لتبادل الخبرات، أو بيعها، أو تثبيت أركانها بالاستشارة، أو السفر للمتعة والسياحة والترويح عن النفس، أو دراسة أحوال الشعوب، أو الاستكشاف.

وتقف اللغات عائقاً عن التفاهم المرجو، والتعارف المطلوب، والشرح الوافى، والوقوف على جلية الأمر.. اللهم إلا إذا كان هناك لغة حية مشتركة عالمية تشرح القصد، وتعين على التفاهم والتخاطب.. وما أندرها أحياناً فى أقطار كثيرة مما يجعل الإشارة والحركة والتمثيل لغة تفاهم مبتور، أو حوار مبغوم.

وهذا يقتضى أهل اللغة أن يبحثوا عن مخرج من هذه المآزق التى يتعرض لها الغرباء، والوافدون، والرواد، وأصحاب الفكرة، وتجار السلعة.

وكل قوم بلغاتهم معجبون، وعنها لا يريمون حتى ولا بجذع الأنف، وقديماً قال العرب: كل فتاة بأبيها معجبة.. ومازلنا نسمع صدى ذلك فى عصرنا هذا.. ولعله يمتد فى المستقبل قرونا.

ومن العسير أن نحمل الناس على تعلم لغة عالمية أو أكثر، لضغط الحياة وقصور برامج التعليم، وضيق الوقت.. مع أن الضرورة تحتم على المثقف أن يتقن أكثر من لغة حية فى عصرنا هذا، الذى يمكننا فيه أن نفطر فى لندن، ونتغدى فى كندا، ونتعشى فى أمريكا الشمالية أو الجنوبية، فإذا لم يلم المسافر بلغة حية فالحسرة

امامه فى كل خطوة يخطوها والصعوبات تكتنف طريقه وسيره ، ويقع فى الحيرة أو الابتئاس .. إذا لم يجد إلا لغة قبيله فقط ، ولم يجد من يتفاهم معه أو يفهم عليه .

وتعلم اللغات ضرورة لاشك فى ذلك .. وناشىء الفتيان قادر على استيعاب اكثر من لغة ، وقد خطت دول كثيرة فى هذا السبيل لشبابها وطلابها .. ولكن بقيت بلاد كثيرة لم تخط سوى خطوات هزيلة فى هذا الصدد ، وعلى غير جدية .. ورحم الله أساتذة كانوا يصدون عن تعلم اللغات الأجنبية فى الأزهر ، مع أن ذلك ـ أى تعليم اللغات ـ من هدى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقومه ، ليأمنوا مكر غيرهم على الأقل .. وحين يقول : « اطلبوا العلم ولو بالصين » .. على الرغم مما قاله بعضهم من ضعف الحديث .. فإننا نقويه بأنه لا يصادم حث الاسلام على طلب العلم وتعليمه .. وليس فى الصين لغة عربية مثلاً ـ اللهم إلا من باب ترويج المعاملات التجارية أو السياسية ـ فإن حديث الرسول يوحى بنقل التكنولوجيا ـ على الأقل ـ وتعلم لغة الغير ، حتى لا توقع الإشارة فى حرج غير مأمون العواقب إطلاقا .

فلماذا لا نشجع « لغة الاسبرانتو » على أن تكون لغة تفاهم وتخاطب عالمية على الأقل ؟ وقديما حاول ابن عربى أن ينشىء لغة خاصة لأتباعه من الصوفية « بليبلان » ويبدو أن الكسل طواها فى زوايا النسيان .

ونحن نعلم أن لكل أبناء حرفة لغة يتفاهمون بها ولا يعلمها غيرهم إلا لماماً بكلمات وإلا إذا اندمج معهم فى حرفتهم ، وبخاصة اللصوص والشطار مثلاً .. على نحو ما حكى الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتابه[1] : وقرأ العميان وفكروا بطريقة « برايل » واللمس البارز ، واشرطة التسجيل .

وقبل أن نذكر شيئاً عن لغة « الاسبرانتو » التى نحبذها لغة تفاهم .. نذكر شيئاً عن صعوبات التفاهم فى الدنيا حتى بين ابناء البلد الواحد ، لا البلدان الأخرى تجاوزت أو تباعدت .

عشت فى نيجيريا مدرسا للعربية فى أوائل السبعينيات ، وكانت اللغة الرسمية هى الانجليزية ، للتبعية السابقة للبلاد . وبقيت لغة المستعمر بعد الاستقلال . وسألت عن لهجات التخاطب على الصعيد الشعبى ، فقيل لى : إنها اكثر من مائتين وخمسين لهجة فى أرض نيجيريا ، وتتشابك أكثر من ذلك مع مجاوريها . فكيف يكون الالتحام والتمازج الروحى والشعور الوطنى الواحد لشعب بين هذه التراكمات ؟ وأليس هذا بالتالى يسهل على العدو تمزيق وحدة الوطن اكثر واكثر ، حينما تشيع اللهجات ، وتعتز كل قبيلة بما ألفت وعرفت ؟ وليس كل الناس يعرفون الانجليزية ، للصعوبات الناشئة عن الأمية أو الجهل فى تعلمها .. إلخ .

ومثل آخر فى الهند أرض العجائب ، نذكره عن مجلة شهيرة لاستطلاع وتحقيق عن الهند الشقيق ، جاء فيه : عالم الهند (عالم واسع غامض ، تعداده يزيد على سبعمائة وعشرين

---

(١) علم اللغة العام ـ د / عبد الصبور شاهين ط ثانية ١٣٩٧ هـ

لغـــة الأســبرانتــو

مليون نسمة ، سيكون بعد عام ٢٠٥٠ « مساويا لعدد سكان الصين » .. والشعب الهندى خليط من القبائل والأجناس والأعراف والأديان ، وبالتالى : العادات والثقافـات ، والتقاليـد ، واللغات .

فهناك : التورانيين ، والمنغول ، والعجم ، والأفغان ، والبنغاليون ، والتاميل ، والهندوس ، والبنجابيون ، والآساميون ، وغيرهم ..

وهم يعتنقون أديانـاً مختلفة ، منهـا : المسيحية ، والإسلام . وفى الهند ثانى أكبر مجموعة إسلامية فى العالم ، تشكل حوالى ١٠٪ من السكان ، ويفوق عددها مائة مليون نسمة ، والهندوس حوالى ثلاثمائة مليون نسمة ، وطائفة السيخ حوالى ١٤ مليون نسمة .

وتتخاطب شعوب شبه القارة الهندية باللغة الانجليزية ، مضافا إليها اللغات المحلية ، التى يصل عددها إلى ١٦٥٢ لغة منها ١٥ لغة معترفا بها رسمياً ، وهى المستخدمة من قبل ٩٠٪ من مجموع سكان الهند . واللغة الانجليزية فى الهند لغة رسمية تقابلها لغة الهندى ، التى تعتبر اللغة المحلية الأكثر تداولاً .

وفى الهند تفاعل إعلامى يترجم يوميا وأسبوعيا ودورياً عبر ١٩ الف مطبوعة ، تعبر عن اراء مجموع الشعب الهندى وعقائده وأفكاره . وهى تصدر بحوالى ٨٤ لغة دولية ومحلية ، وتوزع الصحف يوميا ٥١ مليون نسخة .. مع غناها بالمواد التحريرية ، وحرية التعبير فى الرأى ، مع الالتزام بقواعد الحرية .. فضلاً عن وسائل الإعلام الأخرى ولهجاتها[٢] .

هذا ماقيل عن الهند ، ويمكننا أن نقول قريبا منه عن الباكستان ، وبنجلادش وغيرهما .. فأى صعوبة فى التفاهم على الصعيد الوطنى ، وأى حيرة وبلبلة للشعور ، وأى عذاب للوافد والزائر الذى لا يعرف لغة تفاهم ، أو لهجة تخاطب ، وأى عذاب للسائح الذى لا يعرف لغة عالمية كالانجليزية ؟ وأنى لإنسان إتقان حوالى خمسين لغة مستخدمة اليوم ؟

****

أرى أن لغة « الاسبرانتو » تحل قدرا من هذه المشاكل بشكل عام ـ إذا ما قدر لها النجاح والانتشار ـ وتعين على نشر السلام والوئام فى أرجاء الدنيا ، وخاصة وقد اتضحت معالمها وتسامع الناس المثقفون بها ، ولها نـواد ومشجعون وأعضاء ، واستقرت لها كلمات وقواعد ، تجعل منها لغة رشيقة خفيفة ، تفى بالغرض ، وتؤنس النفس ، وتسد فراغا ـ لا كل الفراغ بالطبع ـ فى دنيا سيطرت فيها : الانجليزية ، والفرنسية والأسبانية ، وغطت معظم أرجاء المعمورة ، وتعصب للأولى والثانية أصحابها ، وحاولوا ـ بدفع قوى ـ إحلالها الذروة ، والتمكين لها ، والتشجيع عليها ، حتى وبدون مقابل فى الكنائس وأماكن الدراسة فيما وراء البحار ، لأغراض اجتماعية وسياسية

---

(٢) مجلة الحوادث الصادرة فى لندن ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٨٤ عدد ١٤٦٥ صـ ٩١ .

وتجارية فى المقام الأول ، بينما غيرها يدور فى فلك ضيق وفى مكان محدود .

فلم لا نولى لغة « الاسبرانتو » عناية ، ونأخذ بيدها ، علها تثير شاكلة انتباه للغة ، أو لغات أفضل منها وأسهل وأوقع ، للتفاهم والتقارب على الصعيد المحلى والعالمى .

لقد رأيت سائحين فى القاهرة ومدنها فى حيرة لانعدام من يفهم عنهم ومنهم ، وقال لى مبعوث من مصر إلى بلاد أوروبا من قبل : أنهم بكوا حين استقروا فيما وراء البحار لحاجز اللغة البغيض والسميك ، ولعل المخرج أو بعضه فى الاسبرانتو .

****

كثير من الشعوب والأمم يتعصب للغتهم ، ويفضلها على غيرها ، فقيل إن لسان أهل الجنة بالسريان . وقيل : بل تخاطبهم سيكون بالعربية ، وإن سخر ابن حزم من ذلك وهذا . وقرأت أخيراً أن التركية لغة أهل الجنة ، ولعل هذا من تأثير الخلافة الإسلامية حينما كانت فى تركيا . وأغرب ما قرأت أن لغة آدم فى الجنة كانت « سويدية » ولذلك كان من الصعوبة البالغة اختيار لغة عالمية من لغات بعينها . وحسنا فعل طبيب العيون « زامنهوف » فى اختياره « الاسبرانتو » وأخذ معظم مفرداتها من « اللاتينية » والبقية من لغات كثيرة ، ولا تزيد مفرداتها على ألف كلمة ، وقواعدها تنحصر فى ست عشرة قاعدة فقط .

وجعلها من المرونة أو السهولة بما يتمكن المتعلم لها من استيعابها واستعمالها فى أقصر وقت ، فضلاً عن « ديناميكيتها » ، مما جعلها عند بعض المثقفين لغة الأمل الجديد ، لتتحدث بها إلى الناس ـ أو بعضهم ، فتفهم عليهم ، ويفهمون منك ، فلها قدرة سحرية على التفهيم والإفهام لطرفين وأطراف .

فما هى « الاسبرانتو » ؟ ومامعنى اسمها ؟ وما أهميتها ؟ ومن أشهر الذين تعلموها وتعاطفوا معها ؟ وما هوية مؤلفها ؟ وكيف استنبط فكرتها ؟ وما رأى « الاسبرنتيين » فيها ؟ وما مميزاتها ؟ وما مستقبلها ؟ وما هى الجهود التى تبذل فى سبيل انتشارها ؟ ولماذا تقام الصعوبات فى وجهها وهل لاختلاف مذاهب وآراء معتنقيها دخل فى تعثرها ؟

أسئلة كثيرة متعددة ومتشابكة .. إن أجبنا عليها فى إيجاز .. أزحنا الستار عن وجه « الاسبرانتو » ، وأشركنا القارىء الكريم فى الحكم لها أو عليها ، وفى التعاطف معها أو ضدها .. فليس فى مقدور إنسان أن يتكلم خمسين لغة هى الأكثر انتشاراً على الكرة الأرضية اليوم ، فلنحاول ، والله معنا ، علها محاولة تنجح ، فتنتشر بها أيضاً بعض ثقافتنا العربية والإسلامية فى العالم كله .. ونلقى بدلونا بين الدلاء .

« يتبع »

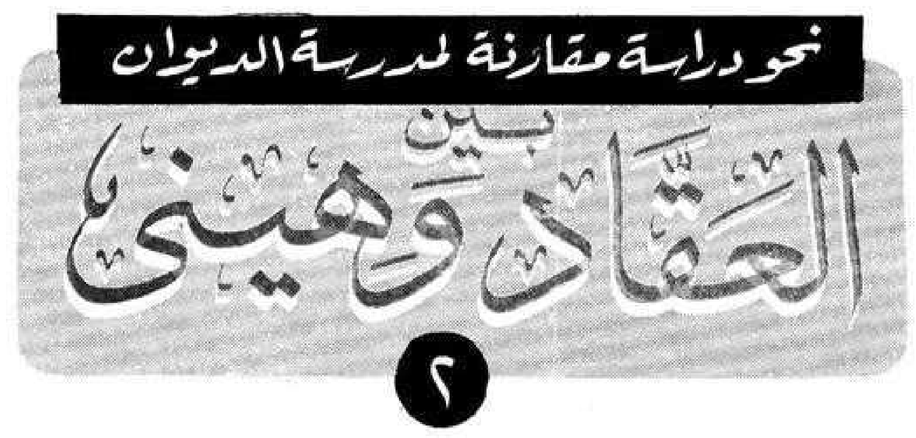

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

بعد ان تحدثنا فى المقال التمهيدى السابق[١] ، عن مدرسة الديوان ، والخصومة الأدبية التى نشبت بين عملاقين من عمالقة هذه المدرسة ، هما : عبد الرحمن شكرى ، وإبراهيم عبد القادر المازنى .. نرى انه قد آن ان نتحدث عن العملاق الثالث ـ فى الترتيب الزمنى ، وليس فى التقدير : عباس محمود العقاد .

نشأت الصلة الأدبية ، أولا ، بين شكرى والمازنى ، حينما كانا طالبين فى مدرسة المعلمين العليا . يقول العقاد : « فتعارفا وتزاملا قبل لقائى لهما ببضع سنوات .. اما انا ، فلم ألق الأستاذ عبد الرحمن إلا سنة ١٩١٣ م ، بعد عودته من البلاد الإنجليزية ، ولم الق الأستاذ المازنى إلا قبل ذلك ببضعة اشهر »[٢] ويقول : « فدراستى الآداب الأوروبية ، ومطالعاتى فى تواريخها ومذاهبها ، سابقة لمعرفتى بالأستاذين : شكرى والمازنى »[٣] .

وليست محاولة الحديث عن العقاد ، كرائد للاتجاهات المعاصرة فى الشعر العربى ، بالأمر الهين ، بل يجب ـ كما يقول الدكتور غنيمى هلال ـ رحمه الله : « أن يتهيبها ويتروّى فيها كل من يحسّ بتبعة الكتابة عن أعظم شخصية ظهرت فى تاريخ فكرنا الحديث ، وليس ذلك بسبب غزارة النتاج الفكرى والفنى والنقدى ، وعمق هذا النتاج وامتداد ميادينه فحسب ، مما انفرد به العقاد بين مفكرينا منذ

---

(١) انظر عدد مجلة الأزهر الغراء ، الصادر فى غرة رجب سنة ١٤١٢ هـ .

(٢) ، (٣) انظر كتاب : (رواد الشعر الحديث فى مصر) للدكتور مختار الوكيل رحمه الله ص ١٠١ ـ ١٠٤ ط دار المعارف سنة ١٩١٣ م (الطبعة الثانية) .

نهضتنا الحديثة .. ولكن ـ على الأخص ـ لأن وراء ذلك كله ، شخصية العقاد ، التى تنتظم هذا النتاج كله ، وتؤلف بينه ، وتتوحّد معه »[٤] .

وبهذه العبارات الدالة الموجزة ، استطاع الدكتور غنيمى هلال أن يصور شخصية العقاد خير تصوير .

فقد بدأ العقاد رحلة العمر وهو لا يحمل غير الشهادة الابتدائية ، وعاش فى أقصى صعيد مصر ، بمدينة أسوان ، بعيداً عن الأضواء ومناهل الثقافة الثرّة ، فى أسرة متوسطة الحال .. إلا أن ذلك لم يفُتّ فى عضده ، فشمّر عن ساعد الجد ، وأصبح أستاذ نفسه ، ووجد فى التثقيف الذاتى ، سبيله المنشود إلى التفوق والامتياز ، وتعويض ما فاته فى مقاعد الدراسة بالمدارس والجامعات .. وكأنى بلسان حاله ، فى نهمه للتحصيل العلمى والأدبى ، يَمْثُلُ فى قول صديقه الشاعر السكندرى الراحل عبد اللطيف النشار :

ظمئِـى إلى الـعـرفـان لايُـرْوَى وإن   انـزَفْـتُ مـاء الفكـر فى بحـر الكُتُبْ

وبعد أن قطع العقاد شوطا كبيرا فى الاطلاع الواسع العميق ، على الأدبين : العربى والإنجليزى .. زادت ثقته بنفسه ، وبخاصة بعد أن وَفَدَ إلى القاهرة ، واستقر بها بصفة نهائية ، واحتك بكبار أدبائها ومفكريها ، وصال وجال مع بعضهم فى معارك أدبية عديدة ، نرجو أن نعود إلى تفصيلاتها فى مقال تال .

وقد توطدت صلة العقاد بسعد زغلول ، وأصبح كاتب الوفد الأول ، فى المعترك السياسى .. وبلغ من إعجاب سعد بالعقاد ، أن قال عنه ، إنه : (جبّار القلم) ..

وقد أشار العقاد ، فى رثائه لسعد ، إلى هذه التسمية التى أطلقها «سعد» عليه ، بقوله :

انـا   (جَبّـارك) ..   لا تـعـهـدنـى   ذلـك الجبـار .. فى الـدمـع السخـين

ولسنا اليوم فى مجال الحديث المستفيض عن شتى جوانب عبقرية العقاد الفكرية والأدبية ، ولكننا سنقتصر على جانب واحد فقط من شاعريته ، فى معرض الدراسة المقارنة التى نتوخاها .. فهو ـ منذ قال بلسانه ، ولسان زميليه : شكرى والمازنى :

وإنّـا لمـرآة لمـا فى زمـانـنـا   تحـدث عنه .. حيث نـدرى ولا نـدرى

قد كان أيضا مرآة لمشاعره وأحاسيسه الذاتية ..

وسنوضح ذلك فى المقارنة التالية ، ما بين بعض نفثات العقاد الشعرية ، فى موضوع الانشغال والتفكير فى : (نهاية الحياة) ، وبين نفثة مماثلة للشاعر الألمانى : هنريك هَيْنِى[٥] (١٧٩٧ ـ ١٨٥٦) ، صادفتنى أثناء قراءتى لشعره المترجم إلى الإنجليزية .

---

(٤) انظر كتابه : (دراسات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده) ص ٢٩ .

(٥) وقد قام العقاد بترجمة بعض شعر هينى إلى العربية ـ شعرا ونثرا ـ ونشره بين دفتى ديوانه الذى يحمل عنوان : (عرائس وشياطين) وقد كان العقاد كثير القراءة لأشعار هينى ، كما يقول الدكتور عبد الفتاح الديدي بكتابه : (عبقرية العقاد) ص ٨٨ ط سنة ١٩٦٤ .

بين العقـــــــاد وهينـــى

ترجمتنا الشعرية للنص :

خيالاتى التعيسة لا تحيدى
عن الإيقاع .. باللحن الشرود
وهيا واكبى يوم احتضارى
بتابوت عميق .. لى .. مديد
فسوف أصون فى التابوت سرا
أضن به .. على هذا الوجود

**

وهات النعش لى ضخماً كبيراً
يلائم ما بسرى سوف يودى
.. ليحمله الأشاوس من جنود
أشدَّاءٍ .. بعزم من حديد
لكى يمضوا إلى بحر عميق
ويُلْقُوا النعش فى القاع البعيد
فليس القبر متسعا بأرض
لهذا النعش .. بالجهد الجهيد

**

ولكن ياترى ما شأن سر
به التابوت يقبع فى جمود ؟
بدا كالطود فى أعْتَى رسوخ
مُحال أن يزحزح فى صعيد !

**

أرى فى الوهم أحلامى حيارَى
لكشف السر فى تَوْقٍ شديد :
لقد أوْدعْتُ طيَّ النعش حزنا
ووجدا .. من لظى قلبى العميد[٦]

(نص هينى بالإنجليزية) :

The evil dreams and bitter,
Old lilts of wicked song,
To bury now, come, bring me
A coffin deep and long.
I'll lay therein things many,
But what, I'll tell to none,
This coffin must be bigger
Than Heidel berg's great tun.
And bring a hier to match it,
Each stout and mighty beam
Long as the bridge that crosses
By mainz, the broad Rhine - stream
And bring me eke twelve giants,
Each stronger in the spine
Than stout St. Christopher's self in
The minster at Kolno Rhine
The twelve shall carry the coffin
No meaner grave should be
But Know ye why this coffin
Is heavy and hard to move ?
I've laid therein my sorrow,
I've laid therein my love.

(٦) يوجد بالنص الإنجليزى للقصيدة ـ كما هو واضح ، بعض أسماء لأماكن ببيئة الشاعر ، آثرنا عدم ترجمتها ، لأنها لا تهم القارىء ، ولا يعوق السياق حذفها . ولهذه القصيدة ترجمة نثرية للعقاد ، بديوانه (عرائس وشياطين) ص ١٤٢ ـ ١٤٣ فليرجع إليها من يشاء .

ونثبت ، بعد ذلك ، فيما يلي ، نص أبيات القصيدة الأولى للعقاد ، في ذات الموضوع :

إذا شيعوني يوم تقضي منيّتي وقالوا : أراح الله هذا المعذّبا
فلا تحملوني صامتين إلى الثرى فإني أخاف اللحد أن يتهيبا
وما النعش إلا المهد .. مهد بني الورى فلا تُحزنوا فيه الوليد المغيّبا
ولا تذكروني بالبكاء ، وإنما أعيدوا على سمعي القصيد فأطربا

وقد تم تنفيذ (وصية) العقاد هذه ، بعد أربعين عاما من نظمها ، عند وفاته في الثاني عشر من مارس سنة ١٩٦٤م - ونلاحظ أن العقاد ، في البيت الأول ، يتحدث عن رحمة الله سبحانه وتعالى ، التي ستكفل الراحة لهذا (المُعذَّب) .. فالعذاب إذن قاسم مشترك في القصيدتين ، يجمع بين طياته مشاعر الأسى العميق .. إلا أن « هيني » يبدو أشد حزنا ، بدليل هذا التابوت الضخم الذي طلب استحضاره لحمل بثه ووجده الشديدين .. معه كما أنه يخاطب في مستهل قصيدته أحلامه وخيالاته التعسة في حين يخاطب العقاد أصدقاءه ومُريديه ..

ونعش العقاد نعش عادي ، هو (مهد) بني الورى أجمعين وأبيات العقاد تنم عن طبيعته المتفائلة ، حتى في هذا الموقف الفاجع ، فهو يطلب من مشيِّعيه أن يكفوا عن البكاء ، ويستعيضوا عنه بالتغني بالشعر ، الذي كان أقرب الأجناس الأدبية إلى نفسه .. بل إننا نرى العقاد ، في أبيات أخرى ، في ذات الموضوع ، يقول ما يؤيد ما ذهبنا إليه :

ستغرب شمس هذا العمر يوما ويغمض ناظرى ليل الحِمام
فهل يسرى إلى قبرى خيال من الدنيا .. بأخبار الأنام
ويُمْسى طيف من أهوى سميرى ويؤنس وحشتى ترجيعُ هام
وأحلم بالزواهر دائرات وبالزهر المنوّر والغمام
.. ألا ليت النيام هناك تحظى بأحلام كأحلام النيام
وليت الورد يُورِق فوق رمسى فتعبق في نوافحه عظامى !
وأبسم في أزاهره ، لدنيا عبسْتُ لوجهها .. فوق الرغام

فنحن في هذه الأبيات ، نراه مازال يحن إلى بني الدنيا وأنبائهم ، بعد الرحيل عنهم ، ويشتاق إلى مباهج الحياة .. في حين نجد هيني ، يريد أن يسرع بالرحيل ، متعجلا ، عن دنيا البشر ، إلى أغوار بحر عميق ، حيث يتلاشى ، مع سره الرهيب ، في قرارة موجاته .

وفي قصيدة شامخة ثالثة للعقاد ، يكتمل إطار الصورة ، التي تمثل ثورة نفسه ، ولواعجه وتفرده بالأسى والألم ، في ساعة عصيبة مر بها في حياته الحافلة .. وكأنه يُفَصِّل فيها ما أجمله هيني في قصيدته ، ويشرح الآلام الرهيبة الدفينة ، التي لم يحاول « هيني » أن يُصرِّح بها ، ويعرضها علينا بإفاضة وإسهاب .. يقول العقاد ، بالتياع - ولكن بقوة احتمال .. يتفق وما عُرف عنه من زهو واعتداد بالنفس :

البقية ص ٩٧٢

ثانيا: منهج ابن الأثير في كتاب

أسد الغابة في معرفة الصحابة

للدكتور شكري يوسف حسين أحمد

هذا الكتاب حلقة في سلسلة طويلة من الكتب التي بدأها ابو الحسن علي بن عبد الله شيخ البخاري، وحمل الشعلة من بعده تلميذه محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح، وقد تعاقبت عليها من بعدهما ايدي الحفاظ والمؤرخين حتى إمامنا عز الدين صاحب هذا الكتاب[15]

وموضوع هذه الكتب جميعا هو: أصحاب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذين وعوا علمه، وحملوا رسالته ونقلوا احاديثه، وتشبهوا به في كل شيء حتى في حركاته وسكناته، الأمر الذي حفز هؤلاء الأئمة إلى التعريف بهم والترجمة لهم، وذكر ما حُفظ من مآثرهم ومفاخرهم ومواقفهم في ساحات الجهاد في سبيل الله تحت راية النبي ـ على الصلاة والسلام.

وقد صدر ابن الأثير كتابه أسد الغابة هذا بخطبة ألمح فيها إلى الظروف التي كانت تحيط به عند تأليف هذا الكتاب، والأسباب التي دفعته إلى السير فيه على الرغم من قلة المراجع والمصادر لديه فنراه يقول: «واتفق أني سافرت إلى البلاد الشامية، فلما دخلتها اجتمع بي جماعة من

* انظر عدد مجلة الأزهر ـ رجب ١٤١٢هـ ـ ص ٨٣١.

(١٥) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ١ ص ٤، ٦.

أعيان المحدثين وقالوا : إننا نرى كثيرا من العلماء الذين جمعوا أسماء الصحابة يختلفون في النسب والصحبة والمشاهد التى شهدها الصاحب ، إلى غير ذلك من أحوال الشخص ، ولا نعرف الحق فيه ، وحثوا عزمى على جمع كتاب لهم فى أسماء الصحابة - رضى الله عنهم - أستقصى فيه ما وصل إلىّ من أسمائهم ، وأبين فيه الحق فيما اختلفوا فيه ، فاعتذرت إليهم لتعذر وصولى إلى كتبى وأصولى ، وأننى بعيد الدار عنها ، ولا أرى النقل إلا منها ، فألحوا فى الطلب ، فثار العزم الأول ، وتجدد عندى ما كنت أحدث به نفسى ، وشرعت فى جمعه والمبادرة إليه »[16] .

ثم تحدث حول المنهج الذى التزمه فى إعداده لهذا الكتاب ، وعقد بعد ذلك فصلين ، أحدهما للكتب التى رجع إليها ، وقد بدأها بذكر كتاب « تفسير القرآن المجيد لأبى إسحاق الثعلبى »[17] ، وانتهى منها بذكره لكتاب « مغازى ابن إسحاق »[18] وكتاب « طبقات محدثي الموصل » .

وكانت وجهة نظره تجاه هذا الأمر أن يذكر أسانيد الكتب الكبار التى خرج منها الأحاديث وغيرها والتى تكرر ذكرها فى كتابه كى لا يطول السند ، ولا يذكر فى ثنايا الكتاب إلا اسم المصنف وما بعده مراعاة للاختصار وعدم الإطالة على حد تعبيره[19] .

فنراه يقول - على سبيل المثال - فى كتاب « تفسير القرآن المجيد للثعلبى » : أخبرنا به أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبى على بن مهدى الزرزارى قال : أخبرنا الرئيس مسعود بن الحسن القاسم الأصبهانى ، وأبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمى ، قالا : أخبرنا أحمد بن خلف الشيرازى ، قال : أنبأنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى بجميع كتاب : (الكشف والبيان فى تفسير القرآن) سمعت عليه من أول الكتاب إلى آخر سورة النساء ، وأما من أول سورة المائدة إلى آخر الكتاب فإنه حصل لى بعضه سماعا وبعضه

---

(١٦) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١١ .

(١٧) الثعلبى : هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى ، كان أوحد زمانه فى علم التفسير ، صنف التفسير الكبير الذى فاق غيره من التفاسير ، وله كتاب (العرائس) فى قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ويقال له الثعلبى ، والثعالبى وهو لقب له وتوفى رحمه الله سنة ٤٢٧ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٦١ .

(١٨) ابن إسحاق : هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار ابن جبار - المطلبى بالولاء المدنى ، صاحب المغازى والسير ، كان ثبتا فى الحديث عند أكثر العلماء ، أما المغازى والسير فلا تجهل إمامته ، وكان جده يسار مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشى ، قال ابن شهاب الزهرى : من أراد المغازى فعليه بابن إسحاق ، وذكره البخارى فى تاريخه ، وروى عن الشافعى - رضى الله عنه - أنه قال : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق ، وقد أتى ابن إسحاق أبا جعفر المنصور وهو بالحيرة فكتب له المغازى ، فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، أما مولده فقد كان سنة ٨٥ هـ واختلف فى سنة وفاته والأرجح أنها كانت سنة ١٥١ هـ ، ودفن فى مقبرة الخيزران بالجانب الشرقى من بغداد ، ومن كتبه - رحمه الله - أخذ عبد الملك بن هشام سيرة النبى - عليه الصلاة والسلام . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٠٥ د / جاد محمد رمضان : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٩٦ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، د . محمد عبد الوهاب فضل : التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام ص ١٢٨ .

(١٩) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١٤ .

أسد الغابة فى معرفة الصحابة

إجازة ، واختلط السماع بالإجازة ، فأنا أقول فيه : أخبرنا به إجازة إن لم يكن سماعا ، فإذا قلت : أخبرنا أحمد بإسناده إلى الثعلبى فهو بهذا الإسناد »[٢٠] .

أما عن كتاب « مغازى ابن إسحاق » فيقول : أخبرنا به أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن على ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن ناصر بن على ، قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمود بن النقور إجازة ، قال أبو جعفر : وأخبرنا أبو الحسن على ابن عساكر البطائحى ، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن على المرزوقى ، أخبرنا أبو الحسن بن النقور ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص ، أخبرنا : أبو الحسن رضوان بن أحمد الصيدلانى ، أخبرنا : أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردى ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، فإذا قلت فى الكتاب بهذا الإسناد فهو معروف[٢١] .

وأما الفصل الثانى : فكان لطرف من سيرة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مولده حتى هجرته ، ثم لجملة من الحوادث التى وقعت بعد ذلك[٢٢] ، وختم هذا الفصل الأخير بذكر أشياء مما كانت تخصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من سلاح ، وثياب ، وجُمَلٍ من أخلاقه ومعجزاته ـ ﷺ[٢٣] .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فترجم السبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسين منهم ، فيما ذكره صاحب الإصابة[٢٤] .

والذى يقرأ فى تدبر منهج ابن الأثير فى هذا الكتاب يلاحظ أنه قد تميز بالدقة التى تجاوزت الحد .

فهو قد رتب الأسماء التى ترجم لها ترتيبا هجائيا جمع فيه بين الدقة والوضوح .

وأثبتت المصادر التى رجع إليها بأسمائها وأسماء أصحابها .

ثم فسر الألفاظ الغريبة حتى يكفى القارىء مؤنة الوقوف عندها والتنقيب عليها فى المعاجم والقواميس .

وليس هذا فحسب فقد تجنب الإطالة وذلك باختصار عبارات الرواة واكتفائه منها بالزبدة والخلاصة، حتى لا يسأم القارىء ولا يمل من كثرة ترديد المعنى الواحد بألفاظ مختلفة[٢٥] .

أضف إلى هذا كله أن ابن الأثير قد اعتمد فى تأليف هذا الكتاب على أربعة من أقطاب هذا الفن وأعلامه وهم : ابن منده[٢٦] وقد رمز إليه

---

(٢٠) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢١) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١٧ .

(٢٢) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١٣ .

(٢٣) المرجع السابق نفس الجزء ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢٤) ابن حجر : الإصابة فى تميز الصحابة جـ ١ ص ٣ تحقيق على محمد البجاوى ، ط ونشر دار نهضة مصر ـ الفجالة بالقاهرة .

(٢٥) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١٢ .

(٢٦) ابن منده : هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدى الحافظ المشهور ، كان أحد الحفاظ الثقات ، ومن أهل بيت كبير خرج منه جماعة من العلماء ، ووالدته اسمها برة بنت محمد وكانت من بنى عبد ياليل فنسب إلى أخواله وتوفى رحمه الله سنة ٣٠١ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤١٦ .

(بالدال) وأبو نعيم[٢٧] وقد رمز إليه (بالعين) ، وابن عبدالبر[٢٨] وقد رمز إليه (بالباء) ، وأبو موسى[٢٩] وقد رمز إليه (بالسين) .

وعلى الرغم من اعترافه برسوخ هؤلاء فى العلم وبروزهم فى دنيا هذا الفن ، فإنه قد استدرك عليهم ونبه إلى ما تبين له من وهم أو خطأ .
وأضاف إلى ما نقله عنهم الكثير مما لم يرد له ذكر فى كتبهم[٣٠] .

ويكفى أن نعرف أن ما جمعه ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة قد كان ضعف ما جمعه ابن عبد البر تقريبا فى كتابه (الاستيعاب) فقد ترجم لأربعة آلاف ومائتين وخمسة وعشرين من صحابة رسول الله - رضوان الله عليهم - اجمعين[٣١] .

مما تقدم نرى أنه من أجل هذه الجهود المضنية التى بذلها فى هذا الكتاب ، وهذه المزايا الكثيرة التى انفرد بها من بين الكتب التى سبقته فى هذا الميدان ، فقد استقبل فى الأوساط الثقافية أحسن استقبال ، ونشط فحول العلماء كما هى العادة لدارسته والاستدراك عليه ، وقد عرض له الحافظ ابن حجر فى كتابه « الإصابة فى تميز الصحابة » بالمدح والتقريظ غير أنه قد أخذ عليه أمورا منها :

أنه قد خلط بأصحاب النبى - عليه الصلاة والسلام - ما ليس منهم ، وقد أغفل الكثير من الأوهام الموجودة فى الكتب السابقة عليه ، وعلل هذا بأنه قد كان ناقلا ينسخ ما كتبه غيره[٣٢] .

وعندنا : أن عز الدين بن الأثير قد كان رجل تاريخ ، ولم يكن رجل حديث ، وأنه من أجل ذلك كان ينقل عن غيره ، وأكثرهم من حفاظ السنة وائمتها المبرزين فيها .

---

(٢٧) أبو نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى الحافظ المشهور ، كان من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات ، أخذ عن العلماء الافاضل ، وأخذوا عنه وانتفعوا به ، له مؤلفات عديدة منها : كتابه (حلية الأولياء) ، وكتاب (تاريخ اصبهان) ، وقد ولد رحمه الله فى رجب سنة ٣٣٦هـ ، وتوفى سنة ٤٣٠ هـ بأصبهان . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٧٥ .

(٢٨) ابن عبد البر : أبو عمر يوسف ابن عبد البر بن محمد بن عبد البر عاصم النمرى القرطبى ، إمام عصره فى الحديث والأثر وما يتعلق بهما ، صاحب كتاب الاستيعاب ، له تصانيف عديدة : فقد ألف فى الموطأ كتبا مفيدة منها : كتاب التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، وله كتاب « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله » ، وكتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير ، وكتاب العقل والعقلاء وما جاء فى أوصافهم ، إلى غير ذلك من التصانيف العديدة ، قال القاضى أبو على بن سكرة : سمعت شيخنا القاضى أبا الوليد الباجى يقول : لم يكن بالأندلس مثل أبى عمر بن عبد البر فى الحديث ، وقال أيضا : أبو عمر أحفظ أهل المغرب ، وقد ولد هذا العالم فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ وتوفى رحمه الله يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر سنة ٤٦٣ هـ : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٦٤ ، ٦٩ .

(٢٩) أبو موسى : هو محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى أحمد بن عمر بن محمد بن أبى عيسى الأصبهانى المدينى الحافظ ، كان إمام عصره فى الحفظ والمعرفة له فى الحديث والمعارف تصانيف مفيدة ، فقد ألف كتاب (المغيث) فى مجلد كمل به كتاب الغريبين للهروى ، وله كتاب (الزيالات) جعله ذيلا على كتاب شيخه أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى الذى سماه كتاب الأنساب ، وكانت ولادته فى ذى القعدة سنة ٥٠١ هـ ، أما وفاته فكانت فى جمادى الأولى سنة ٥٨١ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤١٤ .

(٣٠) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١٣ .

(٣١) ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٩٦٥ ، تحقيق على محمد البجاوى ، ط ونشر مكتبة نهضة مصر - القاهرة .

(٣٢) ابن حجر : الإصابة جـ ١ ص ١٦ .

أسد الغابة فى معرفة الصحابة

وسبب آخر وهو انه قد كتب مؤلفه هذا بعيدا عن كتبه ، فلم تكن لديه المصادر التى تعينه على مناقشة هؤلاء الأعلام ، والتعرض لما وقعوا فيه من الأخطاء والأوهام[33] ، وقد صرح ابن الأثير نفسه بأنه كان يريد إعادة ما كتب لذكر الأسانيد ، لكن كان له عذره الذى حال بينه وبين ذلك فنراه يقول : « ثم إنى عدت إلى الوطن بعد الفراغ منه ، واردت ان اكثر الأسانيد ، واخرج الأحاديث التى فيه بأسانيدها ، فرأيت ذلك متعبا يحتاج أن انقض كل ما جمعت ، فحملنى الكسل وحب الدعة والميل إلى الراحة إلى أن نقلت ما تدعو الضرورة إليه مما لا يخل بترتيب ، ولا يكثر إلى حد الإضجار والإملال »[34] . والحق : إن أسد الغابة على الرغم من المآخذ التى أخذت عليه ، كتاب قيم ، يحيط القارىء علما بالفترة التى عاشها النبى - عليه الصلاة والسلام - والأحداث التى وقعت فيها من خلال ما ترجم لهم من الصحابة - رضوان الله عليهم - كما أن القارىء سوف ينقصه الكثير إذا لم يتناول هذا الكتاب الجليل .

ونسأل المولى سبحانه وتعالى العون والتوفيق .

مصادر البحث

أولا : المصادر القديمة :

ابن الأثير : على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى ت سنة ٦٣٠ هـ .

١ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة . ط الشعب سنة ١٩٧٠ م .

٢ - الكامل فى التاريخ . ط بيروت سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ابن حجر العسقلانى : أحمد بن على ت سنة ٨٥٢ هـ .

٣ - الإصابة فى تميز الصحابة . تحقيق على محمد البجاوى ط ونشر دار نهضة مصر بالفجالة - القاهرة .

ابن خلطان : أبو العباس شمس الدين احمد بن إبراهيم ت سنة ٦٨١ هـ .

٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ م .

السبكى : تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ت سنة ٤٢٢ هـ .

٥ - طبقات الشافعية الكبرى . ط ونشر دار المعرفة بيروت .

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن أحمد ت سنة ٤٦٣ هـ .

٦ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب . تحقيق على محمد البجاوى ط ونشر مكتبة نهضة مصر - الفجالة بالقاهرة .

المسعودى : على بن الحسن ت سنة ٣٤٥ هـ .

٧ - مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق

(٣٣) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١١ .

(٣٤) المرجع السابق : نفس الجزء والصفحة .

محيى الدين عبد الحميد سنة ١٣٧٧هـ ، ١٩٥٨ م المكتبة التجارية بالقاهرة ـ الطبعة الثالثة .

ابن النديم : أبو الفتح محمد بن إسحاق ت سنة ٣٨٥ هـ .

٨ ـ الفهرست . المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

ياقوت : شهاب الدين الحموى ت سنة ٦٢٦ هـ .

٩ ـ معجم البلدان . دار إحياء التراث العربى بيروت سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

١٠ ـ معجم الأدباء ـ ط دار المأمون بالقاهرة ـ الطبعة الأخيرة .

ثانيا : المراجع الحديثة :

إبراهيم زكى خورشيد وآخرون .

١١ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، مراجعة محمد أحمد جاد المولى .

دكتور / جاد محمد رمضان .

١٢ ـ تاريخ الحضارة الإسلامية . ط دار الطباعة المحمدية بالأزهر سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م ـ الطبعة الأولى .

دكتور / محمد عبد الوهاب فضل .

١٣ ـ التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ومناهج البحث فيه . ط الأمانة ـ جزيرة بدران شبرا ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٩ هـ ـ سنة ١٩٨٨ م .

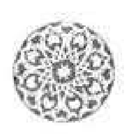

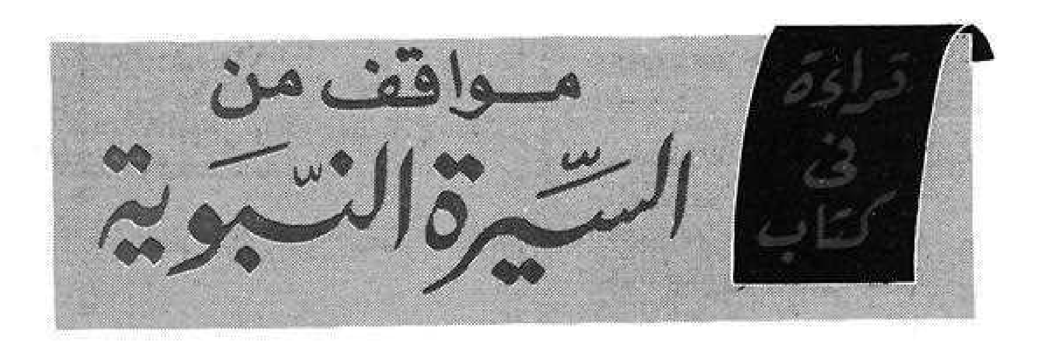

تأليف: مصطفى حسين عطار

اصدار: دار العلم للملايين / بيروت

عرض وتعليق
أحمد السيد تقى الدين

تغير العالم بعد بعثة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتقلت الإنسانية من فصل قحل فى العقيدة إلى فصل ينبض كله بالروح السليم والعقل الصحيح ، فتغيرت طباع الناس ، وأشرقت القلوب ، بنور ربها وعم الإقبال على الله ، واطلع الإنسان على طعم جديد لم يألفه ، وذوق لم يجربه ، وهيام لم يعرفه .

من هنا تأتى أهمية الكتابة والتأليف من وحول تاريخ السيرة النبوية العطرة ومن هنا كان اختيار هذا الكتاب للعرض فى هذا العدد والكتاب يحمل عنوان « مواقف من السيرة النبوية للأستاذ مصطفى حسين عطار الذى يصف كتابه بأنه :

فصول مختارة كان قد كتبها قبل عشر سنوات للإذاعة السعودية لتذاع ضمن برنامجها العام كحديث للسهرة مساء كل أربعاء ، وهى مواقف مختارة من سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويؤكد المؤلف أنه أعد هذه الأحاديث أساسا للشباب الذين نعدهم للحياة الفاضلة مسلحين بسلاح الدين لنقدم لهم صورا فريدة فى التاريخ الإنسانى لمكارم الأخلاق صالحة للاقتداء جديرة بالتأسى .

وقد سطر المؤلف من فصول السيرة النبوية بعض ماهو خاص بالرحمة العظيمة التى كانت السمة اللازمة لرسول الهدى ـ صلى الله عليه وسلم ـ استوحاها من جملة مواقفه مع أصحابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشفقته على أمته ورأفته بها ، وذلك بعد كتابته عن تاريخه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل البعثة ، والأدوار التى مرت بحياته الشريفة بدءا بدور الحمل والرضاعة والكفالة فى عهد الطفولة وما كان من حماية الله سبحانه وتعالى لعبده ـ صلوات الله وسلامه

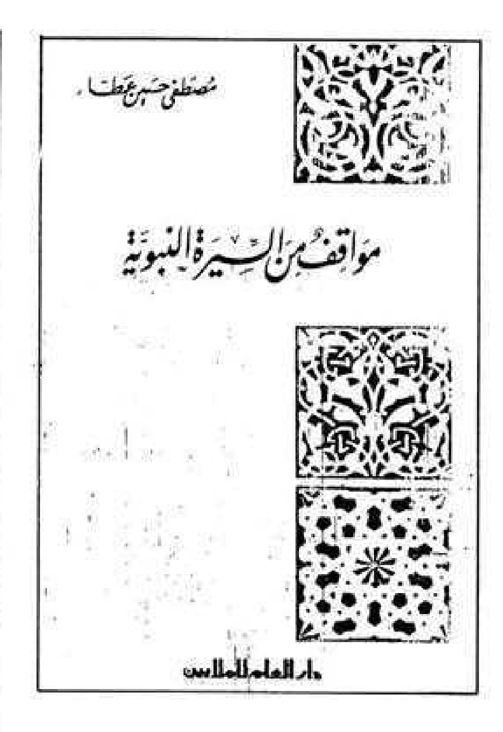

عليه ـ من أرجاس الجاهلية ، ثم انتقل إلى زواجه من خديجة ـ رضى الله عنها ـ ثم تناول مقدمات حمل الرسالة وما كان من تعبده بغار حراء ونزول الوحي عليه ـ صلوات الله وسلامه عليه .

ثم تحدث المؤلف عن الحب الذى كان يغمر قلوب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ للرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخص بالذكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وعمر بن الخطاب ، وسعد بن معاذ ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

وحرص المؤلف كذلك على تناول مكانة المرأة فى الإسلام ، وتوجيهات الإسلام للأمة عن ضرورة إكرام المرأة ، وعدم إهدار حقوقها ، ورعاية جانبها أختا وزوجة ، ولاسيما وهى حقوق منصوص عليها حقا بعد آخر ، ولم يتركها القرآن للاستنتاج .

ثم ختم المؤلف كتابه بالحديث عن غزوة حنين وماجرى فيها من أحداث عظام تدفع بالعبر وتهدى إليها .

هذا ملخص تقريبى لما احتواه هذا الكتاب الذى انتظمت موضوعاته فى إطار (٣٦٠) صفحة ولنا عليه ملاحظات لاتقلل من قيمته ، بل تؤكد أهمية مضموناته .

المؤلف نبه فى مقدمته إلى أن كتابه هذا كان جملة أحاديث كتبها للإذاعة السعودية لذا كنا نود عند رصدها فى كتاب أن يصل بينها فتخرج للناس كتابا ذا وحدة فى الموضوع لها كل سمات الوحدة وعضويتها ، فللكتاب بقاء قد لايطاوله الحديث الإذاعى الذى قد ينتهى بعد إلقائه .

ولقد ضم الكتاب خمسة وثلاثين موضوعا ، حبذا لو ضمها الكتاب بصورة أشمل من تجزئتها فى هذه الحلقات ليستطيع أن يتابع وحدتها القارىء والباحث على حد سواء لاسيما وهى موضوعات جليلة تتناول جوانب ثرة فى حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كمثل : « الرسول والرفق » « الرسول والرحمة » « الرسول والوفاء » .... الخ .

ويبدو أن المؤلف لم يأت فى كتابه بكل ماأذاعه بل اختار ماأمكنه منها ، ويبدو لى أنه لو توفرت للمؤلف كتاباته الإذاعية لأمكنه أن يضع عناوين شاملة للعديد منها ، فكان يقول ـ مثلا ـ

■ قراءة فى كتاب

مواقف من السيرة النبوية

« الأسرة فى الإسلام » بدلا من تجزئه الموضوع إلى العديد من الحلقات بعناوين متقاربة .

كذلك يسوق المؤلف موضوعاته ومعها آيات من الكتاب العزيز وأحاديث من السنة النبوية الكريمة ، وهذا الكم الوفير الذى اضطلع المؤلف بتدوينه دليل على اهتمامه بموضوعاته ، لذا نرجو عند إعادة طبع هذا الكتاب أن يلحق بالآيات والأحاديث بيان مواطنها من القرآن الكريم ومصادر السنة ، ففى ذلك هدى وبيان يقطع على القارىء الشك فى صحة الأحاديث ، حبذا لو عنى فى الطبعة اللاحقة برصد المصادر بطريقة واحدة لاتختلف من صفحة إلى أخرى ليتم لها نسق واحد ، يساعد القارىء والباحث تماما على دقة الإلمام بالمصدر وأهميته ، ولقد يكون ذلك غير مطلوب فى الحديث الإذاعى ، لكنه فى الكتاب ضرورة علمية .

وقد وفق المؤلف فيما جرى به قلمه من أسلوب ، فقدم مادته دون غموض أو عبارة مسفة ، وذلك يضفى على المؤلَّف وقارا يتناسب مع الموضوع .

ويعتبر اختيار المؤلِّف فى هذه الجوانب اختيارا موفقا حتى إن اختياره لموضوع الشفاعة كان جديرا بالإشادة به ، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينفرد بها نعمة للمؤمنين .

وحديثه للشباب يجعل اختياره لموضوع آداب الزواج اختيارا فى محله حتى تستقيم للشباب معرفة بالواجب ، وحقوق البيت والزوجة ، وقيمة ذلك كله فى الإسلام .

نسأل الله الكريم للمؤلف دوام التوفيق رفعة للإسلام وتبصرة للمسلمين .

نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان - بقية

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا ... عذب المدام .. ولا الأنداء ترويني

حيران حيران .. لا نجم السماء ولا ... معالم الأرض فى الغمَّاء تهديني

يقظان يقظان .. لا طيب الرقاد يدا ... نيني ، ولا سَمَرُ السُمَّار يُلهيني

غصَّان غصَّان لا الأوجاع تبليني ... ولا الكوارث والأشجان تبكيني

إلى أن يقول فى هذه الزفرات الحارة الملتهبة :

هم أطلقوا الحزن ، فارتاحت جوانحهم ... وما استرحت بحزن فىَّ مدفون

أسوان أسوان ، لا طب الأساة ولا ... سحر الرقاة من اللأواء يشفيني

أصاحب الدهر ، لا قلب فيسعدنى ... على الزمان ، ولا خِلٌّ فيأسوني

.. يديك فَامْحُ ضنىً ، ياموتُ .. فى كبدى ... فلستَ تمحوه إلا .. حين تمحوني

والبيت الأخير ، يتفق فيه مع هينى ، فى شدة الحزن ، والرغبة الشديدة فى الاستراحة ، بالموت ، من الحياة .

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يشهد مؤتمر ضوابط وأخلاقيات التكاثر البشرى بكلية الطب - جامعة الأزهر

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مؤتمر ضوابط وأخلاقيات التكاثر البشرى الذى نظمه المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى ألقاها أمام المؤتمر على المقاصد الخمسة للشريعة الإسلامية التى تستلزم من الفرد والمجتمع الحفاظ عليها وهى حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

كما أكد فضيلته على أن مهمة الطب حفظ الصحة الموجودة ورد الصحة المفقودة وأشار فضيلته إلى أن أولى أخلاقيات العلماء الشعور بالمسئولية تجاه هذه الإنسانية فلا يسعون إلى هدم مابناه الله .

وطالب فضيلته المؤتمر أن يمد بحوثه إلى معالجة العقم طلبا للاستقرار النفسى لأولئك الذين لم تثمر زيجاتهم مولودا حتى يستديم حبل المودة والرحمة .

وأكد فضيلته فى ختام الكلمة التى ألقاها أمام المؤتمر على أن الإسلام يدعو إلى المباعدة بين الإنسان وبين أن يكون حقل تجارب فى أى طور من أطوار وجوده .

٧١ ألف جنيه لترميم المعاهد الأزهرية بمحافظة شمال سيناء

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر مبلغ ٧١ ألف جنيه لترميم وتجديد خمسة معاهد أزهرية بمحافظة شمال سيناء وهى : معهد العريش النموذجى ، وبئر العبد الإعدادى الثانوى ، ورابعة ، والعريش القديم ، وضاحية السلام .

أنبــــــاء وآراء

الإمـام الأكبـر يلتقى ولجـان التوعية الدينية بمحافظات الصعيـد

عقد فضيلة الإمام الأكبر عدة لقاءات مع لجان التوعية الدينية بمحافظات الصعيد .

وقد أكد فضيلته خلال هذه اللقاءات على ضرورة قيام الدعاة بأداء واجباتهم مطالبا لهم بضرورة معالجة القضايا التى تعانى منها الجماهير فى معاملاتهم وسلوكياتهم ومايثار على الساحة من قضايا تشغل اهتماماتهم العلمية والعملية ومعالجتها بعيدا عن الأساليب التقليدية .

الأزهـر يشارك فى طبـع وتصحيـح المصحف الشريـف بسلطنـة برونـاى

أوفد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فضيلة الشيخ محمود برانق رئيس لجنة المصحف بالأزهر للمشاركة فى تصحيح المصحف الشريف الذى تقوم بطبعه سلطنة بروناى والإشراف على المسابقة الدولية للقرآن الكريم هناك .

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم الليبى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور المدنى أبو الطويرات أمين اللجنة الليبية للتضامن ووزير التعليم والوفد المشارك فى الأسبوع الثانى للتضامن العربى المصرى الليبى الذى عقد بالقاهرة .

وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر اهتمامه بسلامة الشعب الليبى .

أنباء العالم الاسلامى

« المسلمون الصينيون يواجهون حملة اعتقالات شرسة من جانب الحكومة »

شهدت مقاطعة (يوننان) الصينية ذات الأغلبية المسلمة مؤخرا صدامات عنيفة إثر احتفال الجالية المسلمة بمسجد النور بإحدى المناسبات الدينية .

وقد اعتقل عدد من أطفال المسلمين وجرح وقتل عدد آخر وقد اعتقل الشيخ (هان يوتشين) إمام مسجد النور .

هذا وقد نظم المسلمون جنازة جماعية للقتلى .

« استمرار حكومة بورما فى تعذيب واضطهاد شباب المسلمين »

اعلنت الحكومة فى (بنجلاديش) ان عدد اللاجئين الفارين من بورما قد وصل نحو أكثر من خمسين الف لاجىء .

وقد ذكر اللاجئون القادمون من بورما أن حكومة بورما البوذية اعتقلت أكثر من خمسة آلاف من شباب المسلمين ، وتقتل المئات منهم .

وأوضح المسئول البنجلاديشى أنه سوف يجتمع قريبا بالمسئولين من بورما لبحث إعادة اللاجئين إلى بلادهم على أن تهيىء لهم الحكومة معيشة مرضية .

« إنشاء مدرسة إسلامية كبيرة فى شيكاغو »

يفتتح فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية خلال شهر سبتمبر القادم ـ بمشيئة الله ـ مدرسة إسلامية كبيرة تسع لـ ٤٠٠ طالب ، وستقوم المدرسة بتدريس المواد الإسلامية وعلوم القرآن وتجويده وتحفيظه .

بالمدرسة مكتبة كبيرة بها أمهات الكتب الإسلامية التى تساعد كل من يرتادها على الدراسة فى العقيدة والشريعة والتاريخ الإسلامى ... الخ .

وتعقد بالمكتبة الندوات الدينية خلال الأعياد الإسلامية ، وايام الجمع من كل اسبوع .

« مسلمو ألبانيا ٩٠٪ من مجموع السكان »

اخر إحصاء أجرى فى البانيا بعد انتهاء الحكم الشيوعى البغيض ، اثبت الإحصاء ان المسلمين يشكلون ٩٠٪ من سكان البانيا البالغ عددهم ٣ ملايين نسمة .

الجدير بالذكر :

انه يوجد الآن بالقاهرة خمسة من الأئمة والوعاظ الألبانيين يحضرون الدورة العالمية السادسة عشرة للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى تنظمها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر برعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

« الحزب الشيوعى السوفيتى فى ذمة التاريخ »

ذكرت وكالة الأنباء السوفيتية الجديدة (ريتا ـ تاس سابقا) أنه قد انتهى الحزب الشيوعى السوفيتى ، وأصبح فى ذمة التاريخ بعد (٧٤) عاما من الحكم المطلق فى الاتحاد السوفيتى ، وقد صودرت كل ممتلكات الحزب وحظرت أنشطته فى القوات المسلحة والمخابرات .

وذلك بعد أن ثبت بما لا يدع مجالا للشك فشله فى حل مشاكل الجماهير ورفاهيتها كما كان يدعى أعضاء الحزب المذكور .

****

اذاعت إذاعة لندن صباح الاثنين ١٥ من رجب سنة ١٤١٢ هـ الموافق ٢٠ يناير سنة ١٩٩٢ م .

أن مسئولا فرنسيا كبيرا زار الجزائر سرا ، واجتمع بالرئيس الشاذلى بن جديد ، قبل استقالته بثلاثة أيام .

ويعتبر تصريح الرئيس فرانسوا ميتران الذى نعى فيه على غياب الديمقراطية عن الجزائر نوعا من التغطية الرسمية لتحتفظ بماء وجهها أمام الشعب الجزائرى .

سبق لفرنسا أن اذاعت أنها تقطع المساعدات والقروض عن الجزائر ـ دون أن تذكر اسمها ـ لأن الحكم الإسلامى يمنع الفائدة على القروض .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
• الافتتاحية «رفقا بالديمقراطية» للدكتور على أحمد الخطيب	٨٦٥
• كلمة السيد رئيس الجمهورية فى ذكرى الإسراء والمعراج ويوم الدعاة	٨٦٧
• كلمة فضيلة شيخ الأزهر «الإسراء معجزة ذاتية»	٨٧٢
• شهر شعبان وليلة النصف منه لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر	٨٧٤
• بيان من الأزهر حول الفتن المثارة على الساحة	٨٧٦
• نداء من مشيخة الأزهر للوفاق بين الفرقاء المتقاتلين من المسلمين لفضيلة شيخ الأزهر	٨٧٨
• مع سورة الأنفال – النصر من عند الله للدكتور عبد الجليل شلبى	٨٨٢
• مساكين يعملون فى البحر للدكتور السيد الجميلى	٨٨٦
• حول القضاء فى الإسلام للدكتور أحمد حسن مسلم	٨٨٨
• تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة الشريفة للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	٨٩٠
• استحقاق الشفعة فى الفقه الإسلامى للدكتور محمد حسين قنديل	٨٩٣
• قضية كشمير المسلمة للأستاذ ماهر الشيمى	٩٠٢
• الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى إعداد: عادل خفاجة	٩٠٥
• ملامح النظام السياسى فى الدولة اليهودية بقلم لواء أ. ح. د. فوزى محمد طايل	٩٠٩
• الفتـــاوى إعداد: الشيخ على حامد عبد الرحيم	٩١٧
باب الشعر والشعراء	
إشراف: رشاد محمد يوسف	
• الحنين إلى الرسول ﷺ شعر: أحمد عبد السلام على	٩٢٢
• عود إلى الله للشاعر عبد العاطى موسى عبد العاطى	٩٢٣
• حصاد الألم للشاعرة جليلة رضا	٩٢٤
• التسامح للشاعر سيد عبد الرءوف سيد	٩٢٦
• المستدرك على ديوان عمرو بن كلثوم التغلبى للأستاذ أيمن محمد ميدان	٩٢٧
• من أعلام الأزهر «الشيخ على محفوظ» للواء أ. ح محمد جمال الدين محفوظ	٩٣٠
• طرائف ومواقف للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٩٣٤
• من روائع الماضى بمجلة الأزهر «مجدنا فى ديننا» للشيخ محمود جميلة إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات	٩٣٦
باب العلوم الكونية	
• الملاحة وعلوم البحار أ. د. أحمد فؤاد باشا	٩٤٠
• العقـــم للدكتور أحمد رجاء عبد الحميد	٩٤٤
• اللغز العجيب للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٩٤٨
• الجديد فى العلم والتقنية إعداد: د. نجوى السيد أحمد	٩٥٢
باب اللغة والأدب والنقد	
• لغة الاسبرانتو بين المد والجزر للدكتور توفيق محمد شاهين	٩٥٦
• نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان بين العقاد وهينى للأستاذ أحمد مصطفى حافظ	٩٦٠
• منهج ابن الأثير فى كتاب «أسد الغابة فى معرفة الصحابة» للدكتور شكرى يوسف حسين أحمد	٩٦٤
• قراءة فى كتاب «مواقف من السيرة النبوية» عرض وتعليق: أحمد السيد تقى الدين	٩٧٠
• أنباء وآراء إعداد: عبد المنعم فودة مصطفى عبد المجيد	٩٧٣
القسم الفرنسى	
• المقالة الأولى: للأستاذة رقية جابر	٩٨١
القسم الانجليزى	
• المقالة الثانية: للأستاذ لطفى على سلطان	٩٨٦
• المقالة الأولى: للدكتور أنس مصطفى النجار	٩٩٠

comment saurais-je que je suis bienfaisant? Le Prophète (b.s.) répondit demande à tes voisins. S'ils disent que tu es bienfaisant tu es bienfaisant, s'ils disent que tu es malfaisant, tu l'es réellement"

c'est pour cette raison que les hommes de bien font tous leurs efforts pour traitet leur voisin de façon à satisfaire Allah.En effet la vie serait magnifique si chacun se montrait bienfaisant et charitable envers son voisin. L'Islam défend de faire du mal ou de porter préjudice au voisin. On dit un jour à l'Envoyé d'Allah (b.s.) Une femme jeune le jour, prie la nuit, mais elle est violente et nuit à ses voisins par ses insultes. le Messager d'Allah que la bénédiction et la paix soient sur lui-dit: ni ses prières, ni son jeune ne seront agréés par Allah. Elle habitera l'enfer " .

Al Hassan AlBasri a dit" le bon voisinage ne consiste pas à cesser de nuire, mais le bon voisinage consiste à être supporter avec patience le mal causé par autrui, et la malfaisance du voisin .

On raconte que Abou Hanifa El Nooman avait un voisin savetier qui travaillait le jour et qui, de retour chez lui le soir, soupait et buvait. Lorsque la boisson s'emparait de lui, il chantait jusqu' à ce que le sommeil le gagnât Abou Hanifa l'entendait chaque nuit .

Une nuit, la voix de cet homme ne se fit pas entendre. Il se renseigna sur lui et apprit que la police l'avait arrêté. Abou Hanifa monta sur sa mule et, arrivé chez l'émir des croyants, il demanda audience.Que désires-tu lui demanda l'Emir.? Il répondit, vous solliciter en faveur de mon voisin.L'Emir dit alors : "relâchez-le ainsi que tous ceux qui ont été arrêtés cette nuit. De retour, Abou Hanifa dit au savetier :"jeune homme t'avons-nous perdu?-au contraire, lui dit le savetier, tu m'as protégé et tu as pris soin de moi.Qu'Allah te récompense pour la protection de ton voisin et la défense du droit .

Le Prophète que la bénédiction et la paix soient sur lui a défini en détail les droits du voisin .

Mo'az Ebn Gabal dit : les amis du Prophète que la bénédiction et la paix soient sur lui demandèrent: "S'il veut s'emprunter prête-lui,s'il demande ton aide, aide-le; s'il tombe malade assiste-le, s'il a besoin, donne-lui,s'il appauvrit, console-le; si un malheur le touche, présente-lui tes condoléances, s'il meurt suit ses funérailles, ne le gêne pas, n'élève pas les murs de ta construction sans sa permission.Si tu achètes des fruits offre-lui quelques-uns.Dans Sahih Moslem selon Abou Saleh le Prophète que la bénédiction et la paix soient sur lui dit: «Que celui qui croit en Allah et au Jour Dernier, fasse la charité à son voisin» .

Le Musulman est, en vérité, un symbole vivant de bonté de noblesse et d'humanité .

Said Ebn Al'As aimait aider autrui, Son voisin Ebn Abi Al Gahm voulut vendre sa maison, L'acheteur lui offrit cent mille derhems. Ebn Abi Al Gahm lui dit alors:et pour combien achètes-tu le voisinage de Said? L'acheteur répondit:je n'ai jamais vu un voisinage se vendre. Ebn Abi Gahm revint alors sur la vente et dit: «Je ne quitte pas le voisinage d'un homme qui aime m'aider. Si je m'absente,il s'enquiert à mon sujet,s'il m'aperçoit il m'accueille cordialement, si je lui demande, il me donne, et si je ne lui demande pas il dévance ma demande le premier. Lorsque Said apprit cela,il lui envoya le prix de sa maison et le laissa habiter .

Voici Abd Allah Ebn Maas'oud, qui dit d'un homme, en se plaignant de lui: «J'ai un voisin qui me fait du tort, m'insulte, et me gêne!» On lui répondit : «Va' s'il désobéit à Allah, agis-toi en obéissant à Allah .

Que chacun de nous traite son voisin suivant les principes de l'Islam .

Ainsi tout le monde doit travailler à assurer la gloire de l'Islam et le bonheur des Musulmans .

"LE BON VOISINAGE"

Par
Mohammad Omar Mohammad
Traducteur en chef
à L'Académie des Recherches Islamiques

Au nom d'Allah, Clément et Miséricordieux Louange à Allah, maître des mondes et la meilleure rétribution est pour les croyants. La bénédiction et que la paix soit sur Son serviteur et Son Envoyé Mohammad, (b.s.) ainsi que sur tous les siens et tous ses compagnons .

Voici un principe de notre religion : nous devons posséder une compréhension humaine et une courtoisie plus grande et nous comporter avec noblesse et modestie.Les mauvaises manières, l'oppression, l'agression et l'étroitesse d'esprit sont contraires à l'esprit de l'Islam .

Ceci est un article condensé à propos du "Bon Voisinage" .

Allah a dit : "Adorez Allah et ne lui associez aucune divinité. Manifestez de la bienveillance envers vos pères et mères, aux proches, aux orphelins, aux pauvres, aux proches parents, au compagnon de lutte , au voyageur et à vos esclaves. Allah n'aime pas celui qui est insolent et rempli de suffisance" (Sourate 4, Le sens du verset 36) .

C'est pour cela que L'Islam est venu fonder la société humaine sur une base de fraternité, d'affection et d'amour. L'Islam insiste sur le respect de droits du voisin et l'obligation de le traiter avec affection et douceur .

Allah, le tout Clément - gloire à Lui - ordonne aux fidèles d'être charitables envers le voisin .

Le "voisin" est mentionné dans le Coran avec quatre significations :

La première dans le sens de celui dont la maison est proche. c'est le voisin "Zil Korba" (Parent), le voisin étranger (Al Gonob) .

La seconde dans le sens de celui qui a besoin de secours "il demande du secours et n'est jamais dans le besoin" .

La troisième dans le sens de soutien et de défenseur .

La quatrième dans le sens celui à qui l'on prête assistance "Secourez le païens s'il vous demande du secours" .

Selon IBN ABBAS, le voisin (Zil Korba) est celui qui est lié à la personne par la parenté, et le voisin (Al Gonob) est celui qui n'est pas lié à la personne par une parenté. Notre prophète, Mohammad (b.s.) a dit : "Les voisins se divisent en trois catégories : ceux à qui reviennent trois droits : le droit du voisinage, le droit de pauvreté,le droit de l'Islam et le droit de parent. D'autres possèdent deux droits : le droit du voisinage et le droit de l'Islam. le païen a un seul droit: celui du voisinage .

On raconte qu'un homme vint vers le Messager d'Allah et lui dit ô Envoyé d'Allah, indique-moi une action qui me fasse entrer au paradis, le Parophète (b.s.) répondit : "Sois bienfaisant" L'homme dit "Envoyé d'Allah

2 - Le substantif (mar'ah) (المرأة) désigne souvent les épouses (l'épouse de Imran, de Noé, du Pharaon, etc). La reine de Saba dans l'histoire de Solaiman a été également désignée par ce terme .

3 - Le substantif (untà) est employé pour parler de tout ce qui concerne le sexe féminin : la grossesse, l'enfantement, etc .

Les emplois des équivalents du mot «homme» :

1 - Le terme (ragul) prend un sens assez particulier dans les versets du texte coranique :

- Ce terme désigne également les messagers d'Allah : les prophètes, les envoyés, mais aussi les croyants dont la foi est sincère . Nous trouvons ainsi plusieurs versets qui commencent par
(Nous leur avons envoyé un homme ...) .
- Le Prophète Mohamed (à lui bénédiction et salut) est parfois désigné par ce terme .
- Enfin (ragul) c'est celui qui possède les qualités qui en font un être humain à l'exclusion de toutes les autres créatures : anges, djinns .
Par contre, dans la bouche des infidèles (toujours d'après le Coran) ce terme désigne un homme, c'est-à-dire simplement une créature du sexe masculin .

2 - Le substantif (dakar) lui, ne désigne que ce dernier emploi du terme (ragul) pour établir, lorsqu'il s'agit de rapports humains, une simple distinction de sexe .

Les versets où l'on trouve un homme et deux femmes, montrent en outre qu'il existe des cas précis où un homme vaut deux femmes (l'héritage - le témoignage) .

soumission, comme le montre la parole divine : (Les hommes ont autorité sur les femmes, en vertu de la préférence qu'Allah leur a accordée sur elles, et à cause des dépenses qu'ils font pour assurer leur entretien) Sourate IV « Les Femmes » le sens du verset 34 .

Si dans la vie il existe une supériorité de l'homme sur la femme, c'est une supériorité et des devoirs que l'homme doit accomplir. Après la mort ils sont égaux devant Allah . En effet, dans l'Islam, la femme a une volonté et une responsabilité indépendantes de celles de son époux et en fonction de ses devoirs religieux . Le Coran nous en offre maints exemples. Le Jour du Jugement Dernier, elle sera jugée indépendamment de son smari . Elle porte seule la responsabilité de sa foi ou de son impiété .

Les Sourates de Médine ne représentent qu'environ le quart du nombre des sourates de la Mecque .

Ces résultats montrent clairement que les sourates de Médine où sont les fondements de la loi islamique sont celles où Allah s'adresse de façon spécifique à l'homme ou à la femme .

En effet ce Livre est un trésor inépuisable qui ne connaît ni les limites du temps ni de l'espace. Dans sa recherche de la Vérité l'homme doit posséder avant tout la foi, car il existe un rapport étroit entre la science et la foi .

A chaque époque l'humanité découvre dans le texte Coranique la réponse à ce qu'elle cherche . C'est en cela que consiste le miracle du Coran .

Cependant, en échange des droits qu' Allah a accordés à l'homme, il l'a chargé de certains devoirs envers sa femme, sa fille, sa mère ou sa soeur : l'homme doit les protéger et subvenir à leurs besoins matériels . C'est en fonction de cela que la femme lui doit obéissance et

langue arabe, de cerner les occurrences des termes désignant l'homme d'une part, et la femme, d'autre part .

Or, l'arabe étant une langue particulièrement riche, nous trouvons dans le Coran plus d'un substantif pour désigner l'homme et la femme .

Nous commençons par donner la translitération des équivalents des substantifs « femme» et « homme » en langue française .

Pour désigner la femme, il existe trois termes dans le Coran : (nisa'), (mar'ah) (المرأة) et (untà) .

Pour désigner l'homme, nous trouvons (ragul) et (dakar). D'autre part, chacun de ces termes apparaît dans le corpus avec ses différentes déclinaisons selon sa fonction grammaticale et selon son nombre (un, deux plusieurs) .

Après avoir procédé à un travail de lemmatistion des différents termes désignant l'homme et la femme, on remarque que les substantifs désignant la femme ont une fréquence réelle supérieure à celle des termes désignant l'homme .

Ce résultat nous prouve déjà la place accordée à la femme dans le Coran et l'importance du rôle qu'elle remplit dans la société islamique .

Les emplois des différents équivalents du mot « femme » :

Le contexte dans lequel apparaissent ces substantifs, c'est-à-dire les versets du Coran, nous permet de tirer les conclusions suivantes :

1 - Le substantif (nisa') est employé :

- Pour désigner les épouses du Prophète Mohamed (à lui bénédiction et salut) . Ce sont les seules épouses désignées par ce substantif dans le Coran pour les honorer et les distinguer de toutes les autres. En effet ce sont des élues que le Prophète n'a pas choisies (à l'exception de Khadiga) mais qu'il a épousées pour des raisons précises : Voici ce qu'on trouve à ce sujet dans le texte ccranique :
  (o vous, les femmes du Prophète !
  Vous n'êtes comparables à aucune autre femme)
  Mais aussi leur châtiment pour tout péché commis sera double .

  Les Factions, XXXIII
  Le sens du verset 32

- Pour parler de Marie qui est aussi une élue parmi toutes les autres femmes puisque «Allah» l'a choisie pour enfanter Jésus, Son prophète et Son messager .
  D'ailleurs Marie est le seul nom de femme qui figure dans Coran .
- Ce substantif est également utilisé chaque fois que sont formulées les lois qui régissent les rapports humains dans la société. Ainsi les différens versets relevés nous apprennent :
- la supérioité de l'homme par rapport à la femme lorsqu'il s'agit d'héritage ou de témoignage, mais aussi dans la mesure où l'homme doit la prendre à sa charge .
- l'interdiction dans l'Islam d'épouser certaines femmes : sa mère, sa fille, sa soeur, sa tante ... etc[1] .
- tout ce qui a trait à la relation conjugale (les fiançailles, la dot versée, le mariage, l'adultère, la séparation de biens, etc) .

1 - Voir le sens des versets 22, 23-24 Sourate [Les Femmes] .

LA DESIGNATION DE L'HOMME ET DE LA FÉMME DANS LE CORAN : ETUDE STATISTIQUE

Rokeya GABR

Université Al-Azhar

Une étude portant sur la langue du Coran est une expérience unique, exceptionnelle . Cette langue est la parole sacrée du Créateur, c'est pourquoi elle est différente de tout langage humain .

Le Coran est en langue arabe et il fut révélé au Prophète Mohamed (à lui bénédiction et salut) à une époque où chez les Arabes l'éloquence verbale était à son apogée .

Or, un livre sacré s'adresse d'abord à ceux qui savent sa langue . Comme la naissance du texte coranique fut un miracle, on ne peut espérer en le traduisant pouvoir refaire ce miracle . C'est pourquoi les essais d'interprétation du Coran que nous mettons dans cette étude ne rendront peut-être que d'une façon imparfaite les beautés de ce texte .

Comme le Coran est le dernier des Livres Saints, Allah a pris en charge de le conserver intact sans suppressions ni changements jusqu'au jour du Jugement Dernier, comme le prouve la parole divine :

(Nous avons fait descendre le Rappel ; nous en sommes les gardiens) Sourate XV Al Hijr, Le sens du verset (9)

Ce livre ignore les limites spatiales et temporelles . Il nous rappelle l'histoire de la création et celle de tous les prophètes et messagers qui ont précédé Mohamed (à lui bénédiction et salut) et nous annonce l'avenir de cet univers et ce qui adviendra des hommes après le Jugement Dernier . Il s'adresse non seulement à l'ensemble de la nation islamique (O vous les croyants), mais encore à tous les humains (O vous les hommes) .

A travers ce livre nous trouvons un tableau complet de la société parfaite qu'Allah a voulu pour les humains .

Nous avons voulu à travers cette étude voir la place accordée à l'homme et à la femme de façon spécifique dans le texte coranique .

Un dépouillement fait grâce à l'ordinateur nous a permis de retrouver, à travers le corpus constitué par le texte authentique du Coran en

REVUE AL-AZHAR

Section Française

CONTENU

1) Dr Rokaya Gabr

La Designation de L'homme et de famm dams la Coran :

Etude statistque .

2)m. Mohammad Omar Mohammade

le Bon voisinage

In the text of the Holy verse of Surat Al-Anam, attention to the Straight Way, the Way of Allah. Mankind is commanded to follow it, and warned not to follow other paths, which will lead to dispersion and scatter from the Divine Path, the transcendent milieu, the only Way that leads to righteousness and felicity in this worldly life and in the Hereafter. The Glorious Qur'an says: "Those who believe and work righteousness, joy is for them and a blissful home to return to" (The Thunder, XIII: 29). The Prophet - peace and blessings from Allah be upon him said : "Allah does not accept belief if it is not expressed by deeds, and does not accept deeds if they do not conform to belief".

Islam is a wholesome integrated practical religion, a comprehensive code of life which does not indulge in empty and futile dialectic arguments. It teaches that faith is not a mere conviction of beliefs; it is the very mainspring function of life. Righteous conduct must follow belief in Allah. Religion, worship, righteousness and all moral teachings are things to be lived, and not objects of lip-praise or lip service. The doctrinal teachings of Islam are the Divine Culture for human enlightenment

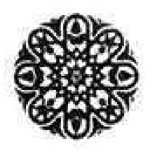

Therefore, any custom like the pagan custom of sacrificing children in favour of animistic spirits and powers stands condemned. Then, comes the moral prohibitions against lewdness and all shameful and unseemly acts, relating to unsanctioned sex or otherwise, open or secret. This is followed by the prohibition of killing. It is not only that human life is sacred, but all life is sacred. Even the slaughter of animals for food, a dedicatory formula ' In the name of Allah ' has to be mentioned in order to associate all actions to Allah. All these things are conformable to our interests, and therefore, true wisdom from our point of view.

Concerning the orphan, Islam instructs not to come nigh to his property except to improve it, until he attains the age of his full maturity, strength and understanding. Then, comes the Divine Command to give measure and weight with justice; this is not only right in itself but is ultimately to the best spiritual and material advantage for the individual who deals with justice. Whenever we speak, we must speak justly, even when a near relative is concerned; and after that we are ordered to fulfil the covenant of Allah. Muslims we are commanded to fulfil all obligations constituting the integrated doctrinal teachings of Islam. First, there are the divine obligations that arise from our spiritual nature and our relation to Allah, Glory be to Him. He created us and honoured us. He characterized the human mind with the faculty of knowledge and wisdom, besides intuition and rational thought.Allah made nature responsive to our needs, and rendered the infinite wonders of creation subject to human exploitation. Allah revealed knowledge through Divine messages with Messengers teachers and sages to transmute mankind from the dungeon darkness of ignorance to the liberal rational thought of mental enlightenment.

The whole integrated component of human knowledge if fundamentally the result of the function of the human faculty of thought. This human faculty is an independent act motived by powers of virtue or by powers of vice. The function of the thought faculty through the powers of virtue will always lead mankind to social progress, stability, health and social promotion. The function of the thought faculty through the powers of vice will always lead human societies to social degradation, chaos, disease, and disintegration. Enlightenment must ensure the path of virtue; and true human civilization is the organized function of thought that benefits mankind.

During our own human and material life, we undertake mutual obligations expressed and implied. We enter into commercial or social contracts; associated into contracts of marriage; provinces and pledges, perform work and develop trusts. Muslims must faithfully fulfil all obligations in all these relationships. There are tacit obligations; which must be devotedly observed in civil society with respect to social conventions unless they are morally wrong, indecent, vulgar, or unchaste. Other symbolic implicit obligations appear in social life between employer or employed, wayfarer, companion, host or guest, etc., which every man of Faith must administer their rites conscientiously. All these obligations are inter-connected being an integrated component of human function. Truth and fidelity are important aspects of faith that are associated with all dealings and relations of human life.

The range of morality in Islam is so inclusive and integrative that it combines at one and the same time belief in Allah, religious rites, spiritual observances, decision making, intellectual pursuits, social conduct, manners of speech, habits of consumption and all other aspects of human life. Because morality is such an integral part of Islam, the moral tone underlies almost all the passages of the Qur'an and the moral teachings are repeatedly stressed in various contexts throughout the Holy Book. This makes it difficult to devise any reasonably brief classification of these moral teachings according to their citations in the Qur'an. Every principle is mentioned many times in various contexts. It appears either as a single significant principle or as an element of a total system of mortality, which itself is an element of a complete religious supersystem.

In view of this, the following passage must be taken only as a representative selection from the Glorious Qur'an: "Say : 'Come, I will rehearse what Allah has (really) prohibited you from': join not anything as equal with Him; be good to your parents; kill not your children on a plea of want; for We provide sustenance for you and for them; come not night to shameful deeds, whether open or secret; take not life which Allah has made sacred, except by way of justice and law : thus does He command you, that you may learn wisdom" . "And come not nigh to the Orphan's property, except to improve it, until he attains the age of full strength; give measure and weight with (full) justice; - no burden do We place on any soul but that which it can bear; whenever you speak, speak justly, even if a near relative is concerned; and fulfil the Covenant of Allah: thus does He command you, that you may remember" "Verily this is My Way, leading straight: follow it; follow not (other) paths: they will scatter you about from His Right Path. Thus, does He command you, that you, that you may be righteous" (Surat Al-Anam, VI, 151 - 153)

Instead of following pagan superstition, and being in constant terror of imaginary taboos and prohibitions, we should study the true moral code, whose sanction is Allah's Law, as presented in the above Qur'anic passage - from Surat Al-An'am. The first step is the recognition that Allah is the One and Only Sovereign and Cherisher. He is the Only One to Whom true worship is due. Sincere devotion must be to Him only; He is near us; He cares for us and we owe our existence to Him. All other things or beings that we can think of are His creatures and in no way comparable to Him. He is Eternal, without beginning or end, Absolute, not limited by time or place or circumstances, the Reality before which all other things are mere shadows or reflections. The Supreme Being, The Omniscient, The Equitable and Transcendent.

The mention of goodness to parents that immediately follows, suggests that Allah's love of us and care for us may - on an infinitely higher plane - be understood by our ideal of paternal love, which is purely unselfish; and that our first duty among our fellow creatures is towards parents whose love leads us to the conception of divine love. Arising from that is the understanding of our duties to our children. Allah the Almighty provides sustenance, material and spiritual, not only for us, but for them.

THE MORAL SYSTEM OF ISLAM

By: Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

Within an integrated system of culture, the Islamic Theism presented some universal fundamental rights for humanity as a whole, which are to be observed and respected under all circumstances of human life. To achieve these rights, Islamic teachings provide not only legal safeguards but also a very effective moral framework. Therefore, whatever leads to the effective welfare of the individual or the society is morally good, and whatever is injurious or deterrent, is morally bad. The initial platform of promotion of Faith is the confident belief in the Creator "Al Tawhid". From this, Islam attaches so much importance to the love of Allah and the love of fellowmen; and optimizes the concept of the human community as the "Ummah". The text of the Holy Quran addresses the whole human society through the medium of Islamic teachings. The maxims of Muslim Theism aim at the enlightenment of mankind.

Before laying down any moral injunctions Islam seeks to implant firmly in man's heart the conviction that all human dealings are with Allah, Who seeks him at all times and in all places. Man may hide himself from the whole world but not from Allah; that he may deceive everyone but cannot deceive the Creator; that he can flee from the clutches of anyone but not from the judgement of The Sovereign, The Just.

Therefore, the achievement of Divine contentment as the objective of man's life, Islam had furnished the highest possible standard of morality. This is bound to provide limitless avenues for the moral evolution of humanity. It provides a sanction to morality in the love and fear of Allah, which will impel man to obey the Divine moral code even without any external pressure. Through belief in Allah and the Day of Judgement, it provides a force that enables the individual to adopt the moral conduct with sincere conviction, earnest devotion, and confident belief.

The Islamic perceptive of humanity is based upon the understanding of unity; the unity of mankind, the human covenant. Such a concept cannot be realized except through an intimate belief in Allah. The Transcendent Supreme Guardian Creator; and through genuine love to Allah. All other manifestation of the emotional sentiment of love in all its forms are proliferations that actually arise from the mother love to Allah. In Islamic understanding; it is perceived that all love is basically to Allah, and all actions are inherently related to Allah. With this understanding, a true genuine Muslim is one whose love and actions are originally intimately related to Allah, as an initial component of his faith.

understanding of the Islamic jurisprudence, enabled Omar ibn Al-Khattab to derive and formulate concepts of action that did not contradict the basic injunctions, but provided a modified arrangement of action that remained within the frame of reference of the accepted doctrines. This flexible, resourceful understanding of the injunctions of the Islamic Theism was skillfully recognized and adopted by Omar ibn Al-Khattab in circumstances that necessitated a decision according to his own aptitude of conceptualization. The ultimate concern of his decision was the needs of the Ummah within the framework of Islamic doctrines. The Islamization process was promoted as a paradigm of social justice and accepted with conviction of such ecumenic understanding and implementation of Islamic teachings.

These are the tenets of nobility, uniqueness; of those who restrain themselves in perpetual observance, judging themselves before they face the Day of Judgement. This is the crescendo of pontifical greatness materializing the personality of the greatest of men. The man who carried the heavy burden of responsibility of an expanding new creed, and of heterogeneous nations in the process of Islamization to develop in complete social integrated transformation to become the Muslim Ummah. Omar ibn Al-Khattab, the man who declared, "I shall be most firm to implement the doctrines of Islam, and I shall put down my cheek on the ground to those of chastity, righteousness and real content.

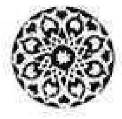

The expeditious growth of Muslim profundity was indeed promoted and publicized in practice by the meticulous paradigm of governance that Omar ibn Al-Khattab exercised and implemented in the administration of the Muslim Ummah. The injunctions of the Muslim Theism were instituted with rigorous precision; and the ecumenism, justice, social rights and forbearance, were practiced with maximal optimization. Every detail of the individual life of Muslims was the intimate concern of Omar ibn Al-Khattab. His famous words became a motto epigram of administrative responsibility, "If a mule blundered on a distant trail, Omar would be to blame for not paving its path".

The preservation of the Muslim Theism necessitated the conservation of the Arabic Language as the language of the Holy Revelation of the Quran. Indeed, the concept is reciprocal, the preservation of the Quran will conserve the Arabic language. This understanding was very vivid in the mind of Omar ibn Al-Khattab who with adamant persistent demanding rationalization convinced Abu Bakre Al-Siddiq to compile the text of the Quran from fear of loss or forgetfulness over the years. The present compilation of the Quran is attributed to the efforts of Omar ibn Al-Khattab, and the sagacity and foresight of Abu - Bakre. The fundamental process of mental function in Omar's mind was the benefit of Islam and Muslims. In this process, Omar followed the path of the Prophet, and the policy of Abu Bakre Al-Siddiq. Through the continued practice of these channels, and his arduous efforts, Omar ibn Al-Khattab maintained the preservation of the Muslim Theism, and escalated the proliferation of its doctrinal prescriptive injunctions, ecumenical teachings, eschatological percepts, social concepts, and the infallible authenticity of its Divine nature.

The Islamization process was on several occasions confronted with issues that required deliberation and legislative enactments. Such matters were resolved through committee considerations and consultative procedures to reach a consensus on decisions. Omar ibn Al-Khattab possessed an inherent perceptive understanding in social, financial, and religious matters. He was conversant with the various shades of human nature, and had the conviction that the proper application of religious Divine ordinances, strongly resisted temptation, developed self-restraint, self content and cultivated the concept of social equality and advanced the inherent human tendency of the natural affection of love. On several occasions, the opinion of Omar ibn Al-Khattab was contrary to others. On such occasions, he debated the issues with men of knowledge and wisdom, listening and presenting rational evidence, exercising broad understanding, patience, and accommodating tolerant cordial graciousness. Omar responded to the consensus of opinion according to what he believed to be for the total benefit of the Muslim Ummah, and the subsequent generations. The Prophet said "The syllables of truth are on the heart and tongue of Omar".

Omar ibn Al-Khattab was known to act according to the inherent purpose of jurisprudence and not according to the text of its injunctions. This ecumenic conceptualization was instrumental in enhancing the Islamization process not only in Persia, but also in territories where Christianity had prevailed. The broad deep

paradigm of governance by Omar ibn Al Khattab resulted into the acceptance of Islamic doctrinal teachings as a model of faith that addresses every function of human life. The continuous brilliant triumph of the Muslim warriors, their devotion to the cause, the wisdom of leadership and the courage of men; all indicated the existence of a potential power that directed the fate and destiny of these Muslims. It was the power of faith, and the strength of Belief. Behind these warriors, there was an optimally organized system of governmental order, which was basically structured upon justice. The implementation of justice according to Islamic understanding embraced both Muslims and non-Muslims, conditions of truce, war treaties, affiliations, agreements, respect of civilian rights, individual and public property, and respect to human life. All these matters brought about the doctrinal teachings of the Muslim Faith to the foreground of thought in the mind of people living in territories where Islam had crusaded.

The whole structure was organized on the conviction of belief. Gradually, the whole composite integrated nation absorbed the fundamental tenets of Islamic teachings, accepted them, and instituted the elements of Islamic culture in the social functions of human life. This process brought about a homogeneous communal reciprocal correlation among the various fractions of the society. Indeed, the Islamization process was the ultimate outcome of a multifactorial mechanism that was meticulously indoctrinated through the implementation and practice of the social principles of Islamic culture, jurisdiction, jurisprudence, justice, attainment of human rights, preservation of property, and the establishment of a profound intelligent milieu of freedom. The regency of Omar ibn Al-Khattab was supremely distinguished by the realization of these achievement thought the optimal exercise and practice of the Divine teachings of Islam; and the concurrent triumphant efforts in the managerial administration of the affairs of state, and the manipulative maneuvering, shrewd strategy of the Muslim crusades in Persia, Syria, Palestine and Egypt. All these factors promoted the expansion and progressive preponderance of the Islamization process among the inhabitants of the territories where the warriors of Islam had achieved dominant victories over the forces of tyranny of both Persian and Roman Empire. The Islamic ideology was readily accepted with rapid propagation, bringing about an identity of integration, surfeited sufficiency, indoctrinated justice, stability of social relationships, deep seated confidence between the governance and the governed, and very distinct opulence and cultural advances.

The Islamization process ascended to become a coherent facultative function of human life that brought about progressive mental enlightenment, which was the roots of one of the most authoritative commanding influential educational civilizations known in the history of mankind. The percepts and doctrinal teachings of the Islamic civilization remain to be actively existent as the only truly ecumenic, tolerant, charitable, magnanimous, enlightening, and didactic system of belief that completely satisfies both the materialistic practical demands of the body, and its seraphic requirements to attain an equilibrium balance and purpose of human life.

Omar Ibn Al-Khattab.

The Process of Islamization

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The renaissance of the Islamic cultural proliferation was established to govern all the nations into which the doctrines of Islam had become acknowledged. These nations were distinctly different in language, culture, beliefs, social structure, economy, environment, and racial identity. The assimilation of these contrasting populations within a unified system of governance, resulted into an advanced integrated theocratic socio-political order which became established during the regency of Omar ibn Al-Khattab. This social unification did not materialize by action of force, thought control, subjugation, or tyrannic despotism. This identified fraternal approbation between previously contrasting nations, manifested itself through a spontaneous voluntary instinctive communal socialistic mechanism, the ideologic milieu of which was the diffusion of the Islamic cultural teachings into every element of social function of those nations.

The spread of the cultural teachings of Islam was not indoctrinated by compulsion, intimidation, or coercion. The thought transfer of maxims and precepts of the Divine injunctions of Muslim Theism was dissiminated by voluntary autonomy of self determination. These Divine injunctions presented an optimally organized fully integrated modus operandi for all pursuits of human life, which through their own tangible characteristics became accepted by the population groups resident in the lands which Islam had infiltrated. These tangible characteristics proffered to humanity the true genuine channel of independent free thought, the liberalism of absolute will, and the discretion of individual self determination. The ultimate and fundamental human link is with the Supreme Divine Being, which represents itself as the backbone of human freedom; freedom of speech and expression, freedom from fear, freedom from want, and freedom of knowledge. These are the basic criteria for human emancipation and enlightenment, the promotive elements of the mental faculty of mankind.

The new creed of Islam and its teachings became subject of much interest, concern and attention. The doctrines of that creed proved to be most suitable for the social and spiritual life of individuals. The optimal justified implementation of the Islamic

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part VIII

Shaaban, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Process of Islamization.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2.The Moral System of Islam.

By: Lotfi Ali Sultan.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رمضان ١٤١٢ هـ
مارس ١٩٩٢ م
الجزء التاسع
السنة الرابعة والستون

الصائمون والإعلام

وعزيز علينا - والله - هؤلاء الصائمون ، فيما يكنه الإعلام لهم .. وينسجه حولهم .. ويطرحه عليهم .

وحرب الإعلام للإسلام قديمة ، وإن استثنينا - من رجاله ، حديثاً - قلة تخشى الله ؛ فتأبى أذيّة الصائمين .

أراد أعشى قيس ، النابغة الجاهلي المعروف : أعْشَى بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ ابن بكر بن وائل - أراد يُسْلِم ، وسَعَى إلى مقابلة رسول الله - ﷺ - وَلِعُلُوّ منزلته ؛ ثم للإعجاب بشعره خشيت قريش إسلامَ الأعشى فيتبعه إسلامُ قومه وهدايتهم ؛ فرصدت له مِقْوَالا خبيثا داهية يَرُدُّهُ عن الإسلام ، وأجمعت على هذا التآمر ، وقد تأكدت من عزمه حين أرسل - بين يديه - أبياتاً - تسبقه إلى رسول الله - ﷺ - يقول فيها - ذاكراً جَهْد ناقته للقائه بمحمد - ﷺ :

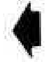

الصائمون.. والإعلام

وَآلَيْـــتُ لا آوِى لهـــا من كَلالَـــةٍ ... ولا من حَـفًى حتى تُـلاقى مُحَمَّـــدا
مَتَى ما تُنَاخِـى عند باب ابن هاشـم ... تُـراحِى وَتَلْقَىْ من فَـوَاضِـلِه نـدَى
نَبِىٌّ يَـرَى ما لا تـرَوْن وَذِكْـرُهُ ... أغـارَ لعمـرى فى البـلاد وأنجـدا
أجِـدَّكَ لم تسمع وَصاةَ محمد ... نبـىِّ الإلـهِ حيث وُصِى وأشْهَـدا
إذا أنتَ لم ترْحَـلْ بزادِ التُقَـى ... وَلاقيتَ بعـد المـوت من قد تزَوَّدا
نَـدِمتَ على أن لا تكـون كمثلـه ... فترصِـد للأمـرِ الـذى كان أرصدا

والأبيات ناطقة بالتسليم برسالة النبى الكريم - ﷺ - إيماناً بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب ، ولهفته للإيمان تمنعه أن يعطى ناقته راحة حتى يلتقى بالرسول - عليه الصلاة والسلام .

إذاً الأمر حق فرأت قريش أن تسرع بمسعاها لتنقض على الرجل أمره وتفسد إسلامه ، فالتقى بالأعشى أحد رجلين : أبو جهل بن هشام ، أو عامر بن الطفيل ، وبادره السؤال :

- أين تريد يا أبا بصير ؟

- أريد رسول الله - ﷺ - .. لأسلم ..!

- يا أبا بصير ، إنه يحرم الزنا ..!

- والله ، إن ذلك لأمر ما لى فيه من أرَب[1] .!

يا أبا بصير ؛ إنه يحرم الخمر .!

- أما هذه ، إن فى نفسى منها العُلالات[2] ، ولكنى منصرف فأتَرَوَّى منها عامى هذا ، ثم آتيه فأسلم .

وانصرف ، ونجح إعلام قريش فساداً وإفساداً ، فإن الأعشى مات ، من عامِهِ هذا ، ولم يلق النبى - ﷺ - وما أخرجه عن كفره قوله : ثم آتيه فأسلم .

والحق أن الإعلام مُغْرًى بالأتقياء .. مُغْرًى بالعبث بهم ، والإفساد عليهم ، والمكر بهم ، والسخرية منهم والسخرية بكل عزيز عليهم حتى بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر .. ومن قبل ذلك ومن بعده بشريعة رب العالمين جميعاً .

ذلك هو الإعلام إلا من عصم ربى .

فلا غرو أن يكون الود مفقوداً بين الإعلام والصائمين .

إن طالب الهُدى من الإعلام رجلٌ يُغرى إبليس بالتقوى .

وهل رأيت أضَلَّ ممن تَسُوءُهُ توبةُ مُثلة . وقديماً قالت العرب :

اليـأس إحـدى الـراحتين .

ومع ذلك ؛ فالله على كل شىء قدير .

د. على أحمد الخطيب

(١) كان الأعشى قد طعن فى السن .

(٢) العُلال : ما يُتَلهَّى به .

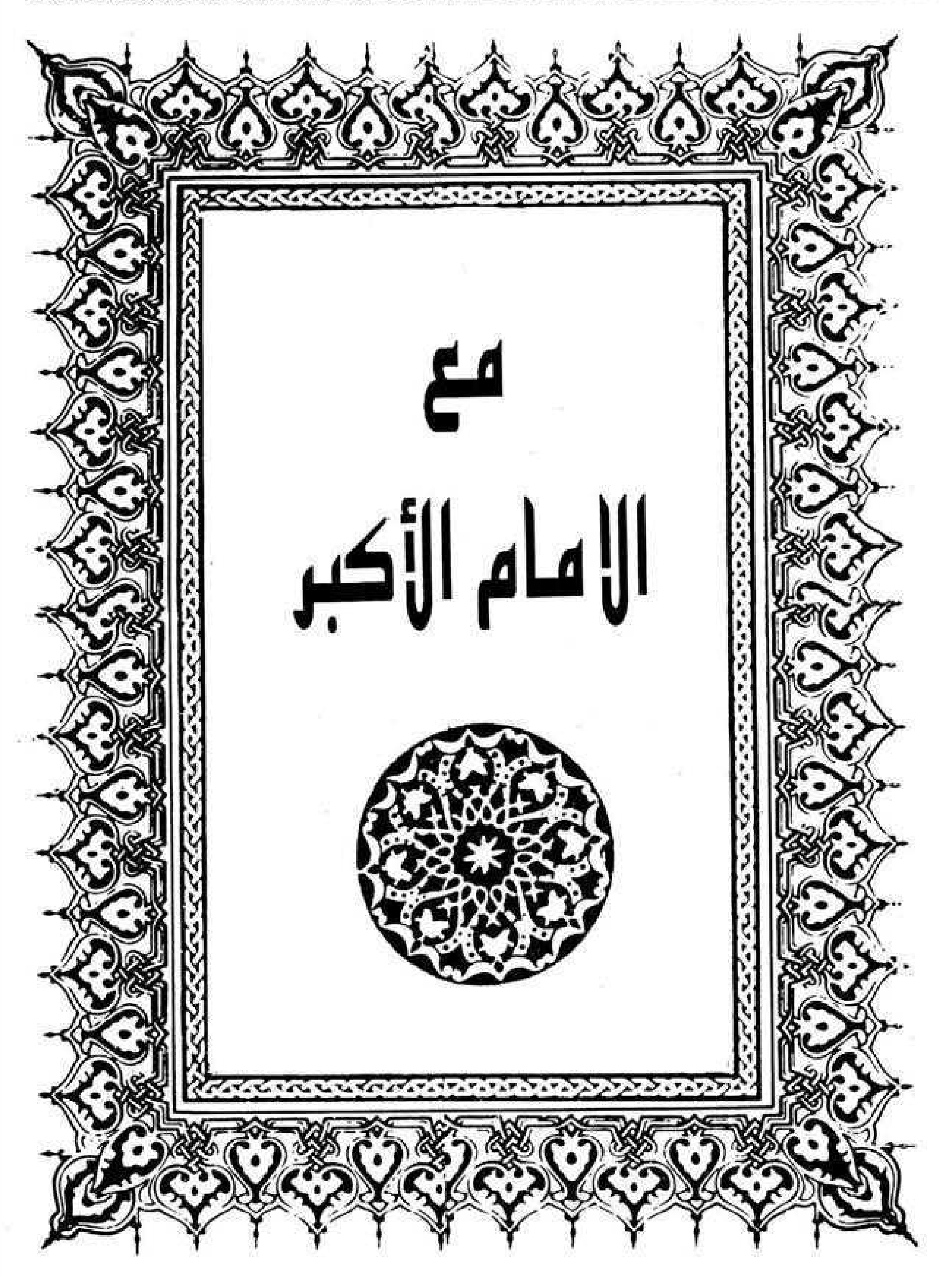

مع
الإمام الأكبر

فى استقبال رمضان

بقلم فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

فى سورة البقرة قول الله سبحانه :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ
مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ
وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى
مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

تشير هذه الآيات إلى أن صوم شهر رمضان فريضة على كل مسلم ومسلمة فى كل عام متى ثبت دخول الشهر برؤية هلاله أو بإكمال شهر شعبان ثلاثين يوما إذا تعذرت الرؤية . وصوم شهر رمضان أحد أركان الإسلام الخمسة التى حددها رسول الله ﷺ : فى الحديث المشهور الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[1] .

(متفق عليه)

وإذا كانت الأجساد تنشط وتتمتع بما أحل الله من طيبات وتهفو النفوس إلى كل شهى فى المنظر والمطعم والمشرب فإن ربيع الأرواح فى شهر رمضان ، حيث يكون صيام الجوارح عن الأذى وانقطاع المشاعر عن الهوى .

يستقبله المسلمون بعد أحد عشر شهرا قضوها فى جهاد العيش واستجلاب الرزق وصراع المادة ، وقد تكدر فيها القلب وتبلد الحس الرفيع وتلوث الضمير بما ران على القلوب من صخب المعاملات ، وتكاثر المظالم والحادثات ـ يُهل الله هذا الشهر المبارك على أمة الإسلام ـ فيجلو فيه صدورهم بالذكر « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ويطهر نفوسهم بالعبادة ، ويزود قلوبهم بالأمن والسكينة وبما يقويها على احتمال الفتن والمحن فى دنيا الآمال والآلام بقية العام .

ومن ثم كان صوم شهر رمضان ـ فى شرع الله الإسلام ـ طهورا مما اكتسبه الناس من رجس ، وهداية فى حرب القوت وروحا فى مادية هذه الحياة ـ شهر رمضان يشترك المسلمون فى صومه ويكثرون من الذكر وتلاوة القرآن ومدارسته ، ويتأدبون بآدابه وأخلاقه فيغضوا أبصارهم عما حرم الله ، ويغذوا بصائرهم بالتفكر والتذكر والصلاة ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغلوا أيديهم عن الأذى ، ويصدوا أهواءهم عن السوء .

هذا الشهر ليس فى الحقيقة واحدا من الأشهر ، وانما فصل نفسانى كفصول الزمن فى دورانها ، لكنه فى حلوله يحمل السحب كما يحمل الغيث ، ومن عمله إمداد الحياة بوسائل لها ما بعدها من إحياء الإرادة الحازمة ، وتنمية الوازع الدينى فى قلوب الصائمين ليظل حارسا مهيمنا ومرشدا طوال العام ، فالصوم جنة : أى وقاية كما جاء فى الحديث الشريف وفيه اتقاء ضرر لجلب منفعة ، واعراض عن

---

(١) رياض الصالحين ص ٥٢٣ .

فى استقبال

رذيلة لجلب فضيلة ، وإلى هذا أشارت آيات الصوم فى قوله سبحانه فيها : لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

فتقوى الله ومجاهدة النفس هما الغاية من هذه الحكمة .

وقد اجتمعتا فى قول الله تعالى : وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى

فالخوف من الله هو التقوى ، ونهى النفس عن الهوى هو المجاهدة .

تلك حكمة من حكم شرعية الصوم .

ولرمضان سمات يرعاها الصائمون ، بل والمفطرون على حد سواء ، فالسكير يهجر الكأس والمقامر يترك الورق والشرير ينسى أو يتناسى شروره وجريرته وكلهم يتشبهون بالصالحين الطائعين ويتقون الشبهة ويصنعون المعروف .

على المسلمين أن يستقبلوا هذا الشهر بما يعلى كلمة الله ، وذلك بطاعته والإقبال على عبادتـه بالصلاة والصدقات ، وبالتعاون على البر والتقوى ، وبالابتعاد عما يفسد النفوس ويغويها ، ويضلها ويرديها ، والهجرة إلى ما يصلحها وينقيها .

هذا موسم المغفرة والمثوبة ، قد فتح الله أبواب رضوانه وبسط يده للمستغفرين التائبين من خلقه .

فهلموا أيها المسلمون إلى مائدة ربكم ، فإن من لم يقدم بقلبه ونفسه على الله فى هذه الأيام ، فقد فاته خير كثير ، بل كل الخير . فقد صح عن رسول الله ﷺ قوله : « من لم يغفر له فى رمضان فمتى ؟ » .

لقد اختار الله لعباده دينا قيما ، يرعى كيان المسلم ، بدنه وروحه ، يرقى الأخلاق ، ويعلى كيانها ويقيم طاعته على العبادة والعمل .

ذلك قول الله :

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

وقوله تعالى : وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ

تلك هداية الله ، هداية الإسلام لا هداية فى غيره قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

والصيام جنة كما جاء فى الحديث الشريف ، أى وقاية للفرد وللمجتمع وتربية من الله لعباده المؤمنين .

وإننا لنشهد بين المسلمين اليوم تيارات تشدهم إلى المادية أو الجدلية البحتة وتيارات أخرى تريد لهم أن يعزفوا عن مطالب الحياة وأن يعتزلوها ليتركوا خيرات أوطانهم لغيرهم .

وتلك دعوات خاطئة حادت عن حكم الله

وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ

ذلكم رمضان وخيره الذى افاء الله به على عباده .

ألم يأن للذين آمنوا أن يوحدوا صفوفهم وأن يوقفوا

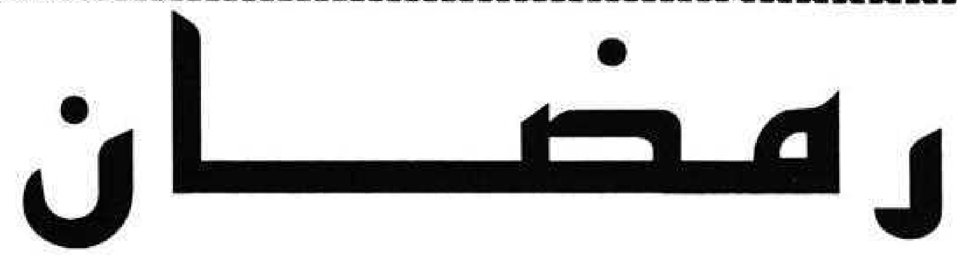

هذه الحروب والفتن الدائرة فيما بينهم وأن يواجهوا أعداءهم الذين يتربصون بهم الدوائر .

ألم يأن لهؤلاء الذين يوغرون الصدور ويثيرون النعرات العرقية والقبلية بين المسلمين حتى تقطعت منهم الأوصال ، وقتلوا أبناءهم وخربوا بيوتهم بهذه الحروب المدمرة ، ألم يأن لأولئك أن يكفوا عن هذا الإغواء ؟ .

ألم يأن للذين آمنوا أن يعودوا إلى ذاتهم ليكون لهم قدرهم وكيانهم بين الأمم وليست ذاتهم إلا فى العودة إلى القرآن والاحتكام إليه وإلى سنة الرسول ﷺ فيما شجر بينهم حتى ترتفع هذه الفتن وتعود الوحدة والقوة إلى الأمة الإسلامية .

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

هل لهؤلاء المتحاربين من المسلمين أن يفيقوا إلى أنهم يخربون بلادهم ويقتلون إخوتهم وأبناءهم دون مبرر .

هل لأولئك أن يذكروا أن الأمة الإسلامية فى محنة من هذه الانفجارات التى تثير الفتن من داخلها .

إن الشر لا يكون وسيلة إلى خير ، والنزاع والاختلاف طريق الفشل وصدق الله الذى أمر المسلمين ونصحهم فقال :

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

ألا فليكف المسلمون المتنازعون فى بلاد القرن الافريقى وفى الجزائر وأفغانستان وغيرها عما هو قائم من قتال ونزاع وليجمعوا الصفوف وليوحدوا كلمتهم ليواجهوا حاجة الشعوب التى انتهكت حرمتها .

وليجلس المتنازعون ويصلحوا ذات بينهم حقنا للدماء وطلبا لمصلحة الأمة ودفعا للغمة التى أحاطت بها .

وليعلموا أن من مقررات الإسلام أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وان الأزهر الشريف فى هذه المناسبة ليهنىء الأمة الإسلامية على اختلاف ألسنتها وألوانها ومواقعها شعوبا وحكومات وملوكا ورؤساء وأمراء بدخول شهر الصوم ، وكل عام وأنتم بخير .

وأدعو الله سبحانه أن يمن على أمة الإسلام ببركة هذا الشهر الكريم شهر القرآن بالخير والسعادة والحسنى وزيادة ، وأن يجعله طهرة للقلوب وجلاء للبلاء والفرقة والاختلاف .

فاعقدوا – أيها المسلمون – فى هذا الشهر الكريم صفقة مع الله ، فانها الصفقة الرابحة

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

التمسوا الخلاص بالاحتكام إلى الله فى قرآنه وإلى رسوله ﷺ فى سننه ، وسلوا الله العفو والعافية .

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾

مع سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ

لفضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الجليل شلبى

أنزل الله القدير العليم على المسلمين يوم بدر ، وأيضاً يوم أحد ـ نعاساً جعلهم يستلقون على الأرض ، ويغطون فى النوم العميق ، بثاً للأمن فى نفوسهم ودفعاً للخوف عنهم ، لأن النوم غفلة وذهول عن الأخطار المحدقة بهم ، والمسلمون يوم بدر كان ينتابهم خوف شديد وفزع ، لما كان عليه عدوهم من القوة وكثرة العدد ، بينما كان المسلمون قلة ، وقد أخذوا على غرة لحرب لم يعدوا لها عدتها ، فلم يكونوا يتجاوزن الثلاثمائة إلا ببضع عشرة رجل ، وكان فى جيشهم خمسة أفراس ، وقال على بن أبى طالب : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ويبدو أن المقداد هو الذى حارب فارساً ، والآخرون حاربوا رجالاً .

ولم يكن لديهم غير سبعين بعيراً ، يتعقب الثلاثة والأربعة البعير الواحد ، ومنهم المشاة على الأقدام ، هذه القلة التى لم تستكمل عدتها للحرب ، كانت تواجه عدواً معه مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ، وقد خرجوا على الصعب والذلول[1] ممتلئين حماساً وحمية .

هذا الموقف كان لا بد أن يبعث خوفاً فى نفوس المسلمين ، حتى النبى ـ ﷺ ـ لم ينج من الخوف ، فنجده يكثر من الدعاء على القرشيين والدعاء للمسلمين ، ويناشد الله النصر والسلامة من هذا الجيش الزاحف ، : اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها[2] تجادلك ، فنصرك الذى وعدتنى .... اللهم أمنهم الغداة ، اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة ، اللهم لا تُفلتَنَّ زمعة بن الأسود .. اللهم ...

(١) على صعب الانقياد وسهله ، وذلك لما كانوا عليه من العجلة .

(٢) بكبريائها وتباهيها بقوتها .

ويدعو لأصحابه ويستعطف عليهم : اللهم انهم حفاة فاحملهم . اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم إنهم جياع فاشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك ...

هذا الجو يوضح حال المسلمين وحاجتهم إلى الطمأنينة والأمان . وقد أمدهم الله بما يطمئنهم ويهدىء روعهم ، فحين المعركة أنزل الملائكة تقف بجانبهم ، وقبل المعركة تَغشَّاهم النعاس ، فناموا جميعاً ، وقال على : .. ولقد رأيتنا وما فينا الا نائم ، إلا ما كان من رسول الله ـ ﷺ ـ كان يصلى تحت شجرة حتى أصبح .

والنعاس أول النوم ، ويستمر فى هجومه على الجسم حتى يصل إلى الهجوع أو الهجود ، وهو النوم العميق .

وإذ فى الآية فى موضع نصب بتقدير اذكروا إذ يغشيكم النعاس ، فهو تذكير لهم بمنة من المنن التى أنعم الله عليهم بها فى هذا اليوم ، وأكثر القراءات بتشديد الشين ـ من غشَّى بمعنى غطى ، والفاعل هو الله تعالى ، وقرأ ابن كثير وابن عمر ﴿ يغشاكم ﴾ أى يشملكم ، وقرأ نافع « يُغشِيكم » بتخفيف الشين ، والمعنى واحد فى هذه القراءات كلها ، ولكن اعراب كلمة النعاس يختلف ، إذ تكون مرة فاعلاً وأخرى مفعولاً ، و « أمنة » بالنصب مفعول لأجله ، ويجوز أن يكون حالاً أى أمنين ، جمع آمن كما يقال كاتب وكتبة ، والتقدير أنزل الله عليكم النعاس فنِمْتم آمنين بفضل ما أنزل عليكم ، وأعربت أيضاً مفعولاً مطلقاً على أنها مصدر .

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾

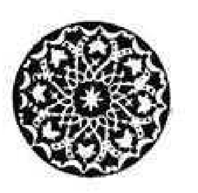

مـــع ســـــورة

وهذه منة أخرى مما منَّ الله به على المؤمنين ، ومما كان له أثر فى انتصارهم على المشركين فى ذلك اليوم .

وقد جاء فى الآثار أن المشركين غلبوا فى أول المعركة على الماء ، فظمىء المسلمون ، وأصبحوا مجنبين محدثين ، فصلوا على حالتهم ، وغمرهم الحزن ، ووسوس لهم الشيطان : أتزعمون أن فيكم نبياً ، وأنكم أولياء الله وتصلون مجنبين (على جنابة) فأنزل الله عليهم من السماء هذا الماء حتى سال الوادى ، فشربوا وتطهروا ونشطوا للحرب ، وقال ابن القيم :

إن المطر فى تلك الليلة نزل على المسلمين وعلى المشركين ، ولكن أثره كان مختلفاً ، فقد كان على المشركين وابلاً شديداً حتى منعهم من التقدم ، وكان على المسلمين هينا طهرهم الله به وأذهب عنهم رجز الشيطان ووطأ الأرض ، وصلب الرمل وثبت الاقدام ، وبه ربط الله على قلوبهم .

وكلام ابن القيم يستقيم لأن المكان الذى كان به المشركون كان أرضاً صلبة يجتمع فيها الماء ، ويحول دون التقدم فيه ، بينما كان المسلمون فى أرض دهسة

وعثاء ، تغوص الأقدام فى رمالها ، ولذا تشربت الماء الماء فتجمدت وصلبت ، وسهل على المسلمين الحركة فوقها . وقد جمعوا منه ما تطهروا به وما يكفى لشربهم ، وذهبت به عنهم الوساوس . وصنعوا أيضاً الحياض التى يختزنون فيها الماء .

وتأتى بجانب هذا مشورة الحباب بن المنذر ، إذ نزل المسلمون أولاً الأمر عند أول الماء ، فسأل الحباب رسول الله - ﷺ - : أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نجاوزه ، أو هو منزل نزلته للحرب والمكيدة ، فقال النبى - ﷺ - بل للحرب والمكيدة ، فقال الحباب إنه ليس بمنزل ، ولكن سر بنا حتى ننزل أدنى ماء يلى القوم ونُغَوِّرُ ما وراءه من القُلُب[1] ، ونستبقى الحياض ، فيكون لنا ماء ، وليس لهم ماء ، فقال له : أشرْتَ بالرأى ، وأمضى مشورته .

وهذا ماء غير الذى نزل من السماء .

ومعنى الربط على القلوب تقويتها وتثبيتها ، فلا يكون بها جزع ولا هيبة ، وكلمة « على » صلة ، كما يقال : بارك الله عليه ، أى باركه ، وفى القرآن :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ بمعنى ثبتناها وجعلناها ذات صبر على غياب ولدها ، وهنا ربط الله على قلوب المسلمين فتشجعوا وقويت عزائمهم على الجهاد .

وقد يكون فى تثبيت الأقدام معنى آخر غير ثباتها على وعثاء الرمال ، وهو الاستقرار وقوة العزيمة على الحرب دون هيبة أو تردد ، وهذا يستعمل كثيراً ، فيقال فى الدعاء ، ثبت الله أقدام جيشنا وقوى عزائمهم ، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الفاعل فى هذه الأفعال هو الايمان المفهوم من سياق الكلام

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

(١) بضم القاف واللام ، جمع قليب ، أى البئر التى لم تطور بالبناء ، وتغور أى تهدم .

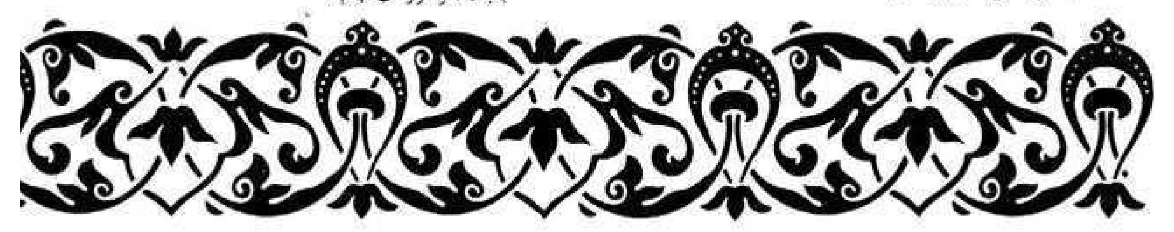

الأنفال

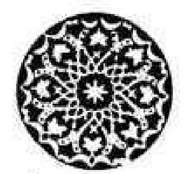

هذا الظرف « إذ » إما معمول لفعل محذوف كالذى قبله ، أى اذكر إذ يوحى ، أو هو معمول ليثبت ، بمعنى يثبت الله أقدامكم على الرمال بالمطر أو الإيمان حين كان يوحى إلى الملائكة أن ثبتوا المؤمنين بوقوفكم إلى جانبهم ، وبوحيهم إليهم أنهم منصورون ، وجاء فى بعض الآثار ، ان الملك كان يأتى الرجل من المسلمين فيقول له : إن القوم من المشركين يقولون : لئن حمل المسلمون علينا لتَكْشفنّ ، ويحدث المسلمون بعضهم بعضاً بذلك ، فتقوى أنفسهم . ومع أن هذا القول مما حكاه الطبرى لا أجد نفسى تميل إليه ، ولا يجمل بالملائكة أن يقولوا قولاً غير صحيح ، وإنما يكون تثبيتهم بمؤازرتهم وتكثير عددهم ، بالوقوف فى صفوفهم ، وهذا كاف ، وهو منة عظيمة .

وحين كان يجد المسلمون هذا التشجيع كان أعداؤهم يواجهون تثبيطاً إذ ألقى الله فى قلوبهم الرعب والفزع ، فاختلفت كلمتهم ، منهم من آثر الرجوع كما فعل الأخنس ابن شريق بمن معه ، إذ انخذلوا من القوم ، ولم يجدوا داعياً ولا مبرراً لهذه الحرب ، والآخرون منهم من اقترح العودة بدون حرب ودعا إليها ومنهم من وقف متردد حائراً ، فكانوا على كثرتهم وتمام عدتهم حائرين ، بينما كان المسلمون على قلتهم يشعرون بالشجاعة والاقدام . ومرد ذلك كله إلى الايمان ، فالمسلمون باعوا أنفسهم لله ، واسترخصوها بجانب ما يرجون من ثواب الآخرة ، وأعداؤهم يجدون أنهم يخاطرون بأنفسهم فى حرب لم يبق لها سبب بعد أن أفلتت قافلة أبى سفيان ـ هؤلاء خافوا وترددوا وهؤلاء شجعوا وتقدموا .

أما الخطاب فى قوله تعالى : فاضربوا فوق الأعناق فهو موجه إلى النبى ـ ﷺ ـ وإلى المسلمين المحاربين . ولا ينبغى أن يكون موجهاً للملائكة ـ كما جنح إلى ذلك بعض المفسرين .

وقال صاحب المنار مستنكراً هذا الرأى : وما أدرى أين يضع بعض العلماء عقولهم عندما يغترون ببعض الظواهر وبعض الروايات الغريبة التى يردها العقل ، ولا يثبتها ما له قيمة من النقل ، فإذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية .. وتسهيله لهم الأسباب الحسية .. لم يكن كافياً لنصره إياهم على المشركين ، حتى كان ألف أو آلاف من الملائكة يقاتلون معهم .. فأى مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم وأذلوا المشركين ، وقتلوا منهم الألوف ؟

وبماذا استحقوا قول الرسول ـ ﷺ ـ ..... لعل الله ـ عز وجل ـ اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

أى هذا الذى سبق من تأييد المؤمنين ، وإلقاء الرعب فى قلوب المشركين بسبب أن المشركين نازعوا الله ورسوله ، وعادوهما ، فكانوا فى شق غير الشق الذى به متبعو كلام الله ، أو هو تعليل للأمر بالضرب فوق الأعناق وقطع كل بنان منهم .

ثم وجه ـ سبحانه الخطاب للمشركين فى قوله :

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ أى ذوقوا مرارة هذه الهزيمة فى الدنيا ، وعذاب النار فى الآخرة أشد وأنكى .

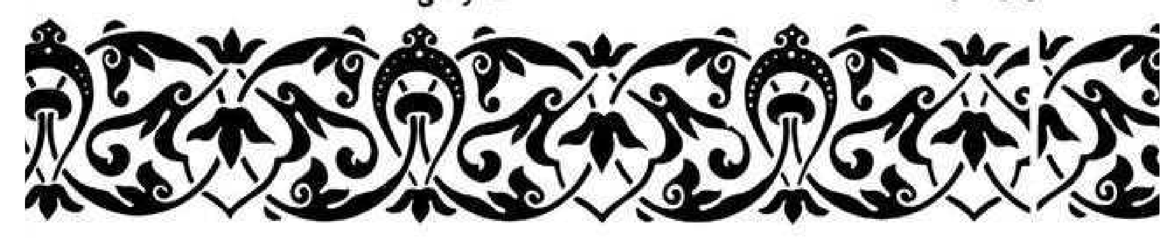

قبـــس من أنـــوار النبـــوة

التنـــــافس فـــى .. الخيـــر

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن عمر بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ قال : « أمرنا رسول الله ﷺ بالصدقة فوافق ذلك مالا عندى ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر ، إن سبقته يوما . فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ فقلت : مثله . قال : وأتى أبو بكر بكل ماعنده ؛ فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : لا أسابقك إلى شىء أبدا » أخرجه أبو داود ، والترمذى وصححه .

فى هذه الأيام المباركة ، وهذا الشهر العظيم ، شهر البر والرحمة .. نعيش مع المثل العليا ، مع صحابة رسول الله ﷺ ، فهم الذين اتصفوا بكل صفات الخير ، وخاصة صفة الجود ، فقد كانوا يلتمسون جود رسول الله وكان أجود مايكون فى رمضان .. فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ـــ رواه البخارى .

روى مسلم : عن جرير بن عبد الله ـــ رضى الله عنه ـــ أن قوما من مضر اقبلوا على الرسول ﷺ فى صدر يوم من الأيام ، وقد بدت عليهم أمارات الفقر والفاقة يضعون على أجسادهم مزقا لاتكاد تسترها حتى لكأنهم عرايا ، فتغير لذلك وجه الرسول ﷺ وبدا عليه الغضب الشديد ، وَرُئِىَ ﷺ يومئذ مهتما قلقا ، يدخل ويخرج ، ويقوم ويقعد ، ثم أمر بلالا أن يؤذن فى الناس فأذن بلال ، وحضر الناس ، وأقيمت الصلاة ثم خطب فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٢)

ألا فليتصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره من صاع تمره ، إلى أن قال : « ولو بشق تمرة » فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى تجمع كومان من طعام وثياب : فتهلل وجه النبى ﷺ لما رأى من تلبية ندائه ، واستجابة دعوته ثم قال : « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » .

لقد تعلموا من رسول الله ﷺ حيث قال : فيما رواه أبو داود عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ :

(١) النساء ١ .

(٢) الحشر الآيات : ١٨ ـــ ٢٠

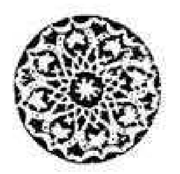

« أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عُرْيٍ كساه الله من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على عطش سقاه الله من الرحيق المختوم » .

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ يبحثون عن كل مايقربهم إلى الله فيسارعون إليه .

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس — رضى الله عنه — قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه « بيرحاء » اسم حديقة — وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب .

قال أنس : فلما نزلت هذه الآية :

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[1] .

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإن أحب أموالى إلىّ (بيرحاء) وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله ﷺ : بخ[2] — ذاك مال رابح ذاك مال رابح » .

وحسبنا أن القرآن الكريم سَجّل للأنصار فى المدينة صورة راقية عن الإخاء والمواساة والإيثار فقال :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3] .

روى الإمام مالك فى (موطئه) أنه بلغه عن عائشة — رضى الله عنها — أن مسكينا سألها ، وهى صائمة ، وليس فى بيتها إلا رغيف ، فأمرت جارية لها أن تعطيه الرغيف فقالت الجارية ، ليس لك ماتفطرين عليه ؟ فقالت : « أعطيه أياه » ففعلت .

وروى الحاكم فى (المستدرك) أن معاوية بن أبى سفيان بعث بثمانين ألف درهم إلى عائشة — رضى الله عنها — وكانت صائمة ، وعليها ثوب خلق فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين ، ولم تبق منه شيئا ، فقالت لها خادمتها : يأم المؤمنين ، مااستطعت أن تشترى لنا لحما بدرهم تفطرين عليه ؟ فقالت يابنية لو ذكرتنى لفعلت .

فإذا كان المسلمون الأولون قد سارعوا إلى الخير ، وتنافسوا فى عمل يقربهم إلى الله — عز وجل — فإنهم عند حلول شهر رمضان كانوا أكثر تنافسا اقتداء برسول الله ﷺ : الذى يقول : فيما رواه الطبرانى وابن النجار عن عبادة بن الصامت — رضى الله عنه — أتاكم شهر رمضان ، شهر بركة فيه خير يغشيكم الله فينزل الرحمة ويحط فيه الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم ويباهى بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل .

وحديث الباب — معنا — يسوق أوضح دليل على التنافس فى فعل الخير ، والمبادرة إليه كما نرى رسول الله ﷺ متألما مستاءا لما عليه ضيوفه من فاقة ، يصورها حديث جرير بن عبد الله — رضى الله عنه — الذى رواه الإمام مسلم ، ولاينزاح عنه ألمه — عليه الصلاة والسلام — حتى يجد بين يديه من تعاون أصحابه مايرفع فاقة القوم .

كما يبدو إيثار عائشة أم المؤمنين وأصحابه ﷺ على أروع مايكون فأم المؤمنين على صيامها لا تتذكر أن تبقى لنفسها شيئا من خبز أو مال وهكذا لايتأتى أن يكون المسلمون جسدا واحدا إلا بهذا القسط من التعاون الذى دعا إليه الإسلام ومارسه الرسول الكريم ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(1) آل عمران (٩٢) .
(2) (بخ) كلمة استحسان .
(3) الحشر (٩) .

من فقه الأئمة

للشيخ محمد حسام الدين

أستروح كثيرا بالقراءة لما كتب أئمة الفقه الإسلامى ــ رحمهم الله ــ وهى فى جلتها : قرآن ، أو سنة ــ أو مايدور فى فلكهما ــ واستخراج دقيق للأحكام الشرعية ، يأتى على مستوى العلم ، والفضل والسبق الذى حباهم الله إياه .

وقد طالعت لعهد قريب فى موطأ مالك ــ رضى الله عنه ــ باب صوم المسافر فى رمضان .

ورأيت هذا الإمام يزجى ماثبت لديه من روايات السنة فى المسألة ؟ ولا يعلق عليها بشىء مما يعهد عنه من عباراته الفاصلة .

كقوله : الأمر المجتمع عليه عندنا الذى لااختلاف فيه ، والذى أدركت عليه أهل العلم ببلدنا كذا ، أو قوله : إن أحسن ماسمع فى المسألة كذا .. أو ــ وهذا أحسن ماسمعت ــ أو ــ وهذا أحب ماسمعت إلىَّ .. وأمثال هذه التعليقات ، وأكتفى الإمام بدلالة السياق للإشارة إلى اختياره فى الموضوع .

لقد نشأ الخلاف فى المسألة تبعا للخلاف فى فهم قوله تعالى﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أيامٍ أخر ﴾ هل الآية على غير محذوف ؟ أم أنها على تقدير محذوف تدخل عليه الفاء ؟ والتقدير : فالذى ينوب عن صومه فى وقت الصوم عدة من أيام أخر كما يقول الزجاج[1] .

أو أن التقدير : فأفطر فعدة من أيام أخر ؟

هل الإفطار فى السفر فى رمضان عزيمة بحيث لايجزىء فيه الصيام عن الفريضة ؟ أم أنه رخصة : إن شاء صام المسافر أو أفطر ؟

هذا هو منشأ الخلاف فى الرأى ، قال القرطبى : استدل بهذه الآية من قال : إن الصوم لاينعقد فى السفر ، وعليه القضاء أبدا ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾[2] . أى فعليه عدة ، ولا حذف فى الكلام ولا إضمار ، وبقوله عليه الصلاة والسلام : « ليس من البر الصيام فى السفر »[3] قال[4] : مالم يكن من البر فهو من الإثم ، فيدل ذلك على أن صوم رمضان لايجوز فى السفر .

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٢٣٩/١ بتحقيق الدكتور عبد الجليل شلبى .
(٢) الآية ١٨٤ من سورة البقرة .
(٣) ثابت فى الصحيحين .
(٤) أى من استدل بهذا الحديث .

والجمهور يقولون فيه محذوف تقديره : فأفطر ، وهو الصحيح ، لحديث أنس : قال : « سافرنا مع رسول الله ﷺ فى رمضان ، فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم » رواه مالك عن حميد الطويل عن أنس ، وأخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى » أ.هـ[1] .

وقد يكون مع الرأى الأول من هذين مارواه مالك فى موطئه عن نافع ، أن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما — كان لايصوم فى السفر .

قال ابن عبد البر : كان ابن عمر يرى أن الصوم فى السفر لايجزىء ؛ لأن الفطر عزيمة من الله تعالى ،.. وبه — أى بهذا الرأى — قال أبوه عمر ، وأبو هريرة ، وعبد الرحمن بن عوف — رضى الله عنهم — وقوم من أهل الظاهر . قال : ويرده أحاديث الباب : « أى فى الموطأ » أ.هـ — ابن عبد البر —[2] .

وكذلك اتجه إلى هذا الرأى فقهاء الشيعة الإسماعيلية . قال فقيههم الكبير : القاضى النعمان : أبو حنيفة بن محمد بن منصور بن أحمد بن حَيُّوق التميمى المغربى المتوفى سنة ٣٦٣ هـ[3] : « أوجب الله عز وجل على المسافر فى أيام شهر رمضان صيام عدة أيام سفره من غيره ، ولم يوجب عليه الصوم فى السفر ، فكان على هذا القول : من صام فى السفر صام مالم يفرض عليه صيامه ، وعليه أن يأتى بما فرض عليه من أيام أخر » .

« وقد روينا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه أن رسول الله ﷺ سافر فى شهر رمضان فأفطر وأمر من معه أن يفطروا ، فتوقف قوم عن الفطر ، فسماهم العصاة .

وذلك لأنه أمرهم ﷺ فلم يأتمروا لأمره ، وفى ذلك خلاف على الله عز وجل ، وعلى رسوله .

وإنما أمرهم بالفطر ﷺ ليعلموا وجه الأمر فى ذلك ، وأن صومهم فى السفر غير مُجْزٍ عنهم على ظاهر كتاب الله عز وجل » أ.هـ .

كما اتجه إلى هذا الرأى فقهاء الشيعة الإمامية الاثنى عشرية : قال المحقق الحِلِّى : أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المتوفى سنة ٦٧٦ هـ : « ولا يصح الصوم الواجب من مسافر يلزمه التقصير[4] ، إلا ثلاثة أيام فى بدل الهدى ، وثمانية عشر يوما فى بدل البدنة لمن أفاض من عرفات قبل الغروب عامدا ، والنذر المشروط سفرا وحضرا ، على قول مشهور . وهل يصوم مندوبا ؟ قيل : لا . وقيل : نعم وقيل : يكره ، وهو الأشبه » أ.هـ[5] .

هذا : ولعله من المعلوم أن فقهاء أهل السنة فى جمهورهم على أن الإفطار للمسافر فى رمضان رخصة له : إن شاء صام ، أو شاء أفطر .

واختلفوا فى الأفضل منهما : الفطر ؟ أو الصوم ؟.

« فقال مالك والشافعى فى بعض ماروى عنهما : الصوم أفضل لمن قوى عليه ، لكن جمهور أصحاب مالك وأصحاب الشافعى على الرأى بالتخيير للمسافر دون تفضيل » .

أما أبو حنيفة وأصحابه فهم على أن الصوم فى السفر أفضل لمن قدر عليه .

وقد رُوِىَ عن ابن عمر وابن عباس أن الرخصة أفضل ، وبه قال سعيد ابن المسيب ، والشعبى ، وعمر بن عبد العزيز ، ومجاهد ، وقتادة ،

---

(١) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن ٢/٦٦٢ — ط الريان .
(٢) أنظر شرح الزرقانى على الموطأ .
(٣) دعائم الإسلام ٢٧٦ ط دار المعارف .
(٤) أى يلزمه قصر الصلاة — وهو بشروطه عزيمة لديهم .
(٥) شرائع الإسلام فى مسائل الحلال والحرام ١٧٨/١ — ط جمعية آل البيت .

والأوزاعى ، وأحمد ، وإسحاق بن راهويه ، فكل هؤلاء يقولون : الفطر أفضل[1] ، لقوله تعالى : ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾

وبهذا الذى قدمناه يتضح مانحا إليه الإمام مالك ، وقد عرض — بما أورده من أحاديث وآثار — وجوه الرأى فى المسألة .

قال فى الموطأ : « حدثنى[3] يحيى عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فى رمضان حتى بلغ الكديد ، ثم أفطر الناس ، وكانوا يأخذون بالأحدث من أمر رسول الله ﷺ » .

قال : « وحدثنى عن مالك عن سُمَىٍّ مولى أبى بكر ابن عبدالرحمن ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن ، عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر الناس فى سفر عام الفتح بالفطر ، وقال : تقوَّوا لعدوكم . وصام رسول الله ﷺ قال أبو بكر « أى أبو بكر بن عبد الرحمن » قال الذى حدثنى : لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعَرْج يَصُبُّ الماء على رأسه من العطش ، أو من الحر ، ثم قيل لرسول الله ﷺ : إن طائفة من الناس قد صاموا حين صمت ، قال : فلما كان رسول الله ﷺ بالكديد دعا بقدح فشرب فأفطر الناس » .

قال : « وحدثنى عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أنه قال : سافرنا مع رسول الله ﷺ فى رمضان ، فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم » .

قال : « وحدثنى يحيى عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أن حمزة بن عمرو الأسلمى قال لرسول الله ﷺ : يارسول الله : إنى رجل أصوم .. أفأصوم فى السفر ؟ فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فصم ، وإن شئت فافطر » .

وحدثنى عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان لايصوم فى السفر .

وحدثنى عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يسافر فى رمضان ، ونسافر معه ، فيصوم عروة ونفطر نحن ، فلا يأمرنا بالصيام .

هذا ما أورده الإمام مالك فى الموطأ فيما يخص صوم المسافر فى رمضان ، وقد علق عليه الفقهاء بأن الزيادة فى حديث ابن عباس الذى رواه مالك عن ابن شهاب الزهرى هى من زيادة الزهرى . وهى : « وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ » على مايتبين من رواية البخارى ومسلم . قال الحافظ ابن حجر : وظاهره أنه — أى الزهرى — ذهب إلى أن الصوم فى السفر منسوخ ، ولم يوافق[4] — بالتاء للغائب — أ.هـ .

أما إغفال ذكر الصحابة فى رواية أبى بكر بن عبد الرحمن فإنه لا يضر بالحديث ذلك لأن الصحابة جميعا عدول ، وهذه الرواية كشفت عن السبب فى الأمر بالإفطار وأنه من أجل أن يتقووا للعدو .

---

(٢) الآية ١٨٥ من سورة البقرة .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

(٣) القائل : « حدثنى » هو عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثى راوى الموطأ عن أبيه يحيى بن يحيى بن كثير ، وقد اشتهر عبيد الله بفقيه قرطبة ، وكان ذا حرمة وجلالة روى عنه خلق كثير ، وتوفى سنة ٢٧٨ هـ .

أما يحيى فهو : يحيى بن يحيى بن كثير الليثى القرطبى راوى الموطأ ، وروايته أشهر الروايات بالمغرب ، توفى سنة ٢٣٤ هـ . أنظر تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ، وتاريخ التراث العربى لسيزكين ، وشرح الموطأ للزرقانى . مقدمة .

(٤) تنوير الحوالك للسيوطى .

أما رواية أنس بن مالك ، ورواية حمزة بن عمرو الأسلمى ، ورواية هشام ابن عروة عن أبيه فهى توضح الرأى بالخيار بين الصوم والفطر للمسافر فى رمضان ، دون تفضيل لأى منهما على الآخر ، وهو مانحا إليه الإمام مالك ، ومع هذا فإنه لم يتأخر عن أن يثبت مذهب ابن عمر رضى الله عنهما بوجوب الإفطار فى هذا الحال .

ولقد سار الشافعى على منهج أستاذه مالك فيما رآه فى المسألة ، غير أن أسلوب الشافعى فى الكتابة يتسم بمواجهة المخالفين له ، ودفع الحجة بالحجة « قال الشافعى »[1] : « وقد نهى[2] عن صيام السفر ، وإنما نهى عنه عندنا — والله أعلم — على الرفق بالناس ، لاعلى التحريم ، ولا على أنه لايجزىء ، وقد يسمع بعض الناس النهى ، ولايسمع ما يدل على معنى النهى ، فيقول بالنهى جملة[3] » .

« قال الشافعى » : والدليل على ماقلت لك أنه[4] رخصة فى السفر أن مالكا أخبرنا عن هشام بن عروة عن أبيه : عن عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمى قال : يارسول الله : أصوم فى السفر ؟ وكان كثير الصوم . فقال رسول الله ﷺ : « إن شئت فصم ، وإن شئت فافطر » .

أخبرنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : سافرنا مع رسول الله ﷺ فى رمضان ، فلم يَعِبْ الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم .

« قال الشافعى » : وهذا دليل على ماوصفت .

فإن قال إنسان : فإنه[5] قد سَمَّى الذين صاموا[6] : العصاة ؟؟ فقد[7] نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن الصيام فى السفر للتَّقَوِّى، للعدو . وذلك أنه كان محاربا عام نهى عن الصيام فى السفر ، فأبى قوم إلا الصيام ، فَسَمَّى بعض من سمع النهى : العصاة . إذ تركوا الفطر الذى أمروا به .

وقد يمكن أن يكون قد قيل لهم ذلك على أنهم تركوا قبول الرخصة ، ورغبوا عنها ، وهذا مكروه عندنا .

إنا نقول : يفطر أو يصوم .. وهو يعلم أن ذلك واسع له . فإن جاز ذلك فالصوم أحب إلينا لمن قوى عليه .

« قال الشافعى » : فإن قيل : قد روى : ليس من البر الصيام فى السفر . قيل : ليس هذا بخلاف حديث هشام بن عروة[8] ، ولكنه[9] كما وصفت[10] إذا رأى — أى الرجل — الصيام برا ، والفطر مأثما وغير بر ، رغبة عن الرخصة فى السفر . أ.هـ .

هذا : وبالله التوفيق

---

(١) ٢/٨٧ — الأم — ط دار الشعب .

(٢) أى نهى النبى ﷺ بقوله : « ليس من البر الصيام فى السفر » .

(٣) أى النهى العام بما يشمل معنى التحريم .

(٤) أى أن الأفطار رخصة .

(٥) أى النبى ﷺ .

(٦) أى فى سفره لفتح مكة .

(٧) هذا جواب لقول القائل أو سؤاله عن تسمية الصائمين يومئذ : العصاة .

(٨) الحديث الذى أورده آنفا ، والذى أفاد التخيير .

(٩) أى ولكن نفى البر عن الصوم .

(١٠) أى كما بينت .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين آمين .

وبعد ......

فإن نية الصوم من المسائل التي كثر فيها القول من قبل العلماء ، وتعددت فيها الآراء عند الفقهاء ، ولما كان الصوم ركن من أركان الإسلام ، وفريضة متجددة كل عام على القادر عليه وتتوقف صحته على النية ، آثرت أن أتناول هذا الموضوع بالدراسة المقارنة حتى يتبين للقارىء المسلم الرأى الذى يمكنه العمل به فى كل مسألة من مسائل النية .

وجعلت منهجى فى هذه الدراسة :

١ ـ عرض الآراء فى كل مسألة من المسائل .

٢ ـ وذكرت بعد كل رأى أدلته ، ووجه الدلالة منها ما أمكننى ذلك .

٣ ـ ثم ناقشت الأدلة ، وذكرت الأجوبة عن الاعتراضات إن وجدت .

٤ ـ وأخيرا رجحت ماظهر لى ترجيحه ، وبينت سبب ذلك .

والله أسأل أن ينفعنى وأبناء المسلمين بهذا العمل ، وأن يجعله فى موازين أعمالنا يوم القيامة آمين ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة جامعتى الأزهر وقطر

تمهيد ويتضمن : تعريف النية :

أولا : فى اللغة :

نوى ــ نوّى ، ونية : تحول من مكان إلى آخر . ونوى : بعد . و ــ التمر : صار له نوّى .

ونوى الأمر نية : قصده وعزم عليه . ويقال : نويت منزل كذا ، ونويت أمرا . ويقال : نواه الله بخير : قصده به وأوصله إليه .

ونوى الشيء : جد فى طلبه . و ــ فلانا : قضى حاجته[1] .

والنيّة مؤنث النوى ، فالنية والنوى معناهما واحد[2] .

والنيْة بالتخفيف لغة فى النية كما قال صاحب اللسان : « النيّة بالتشديد هى النيَة مخففة » والنية وإن كانت مصدرا ، إلا أنها تجمع على نيات باعتبار تنوعها ، فقد تكون النية فعلية موجودة ، أو حكمية معدومة ، أو باعتبار مقاصد الناوى ؛ يقول الطيبى مبينا مايمكن أن ينويه من أراد أن يفعل شيئا : « فنية العوام فى طلب الأغراض مع نسيان الفضل ، ونية الجهال التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء ، ونية أهل النفاق التزين عند الله وعند الناس ، ونية العلماء إقامة الطاعات »[3] .

ثانيا : فى الاصطلاح :

قال النووى[4] : « النية هى القصد إلى الشيء والعزيمة على فعله » وقال القرافى[5] : وهى قصد الإنسان بقلبه مايريده بفعله » .

(١) انظر : المعجم الوسيط ٩٦٥/٢ . إدارة إحياء التراث الإسلامى بدولة قطر .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٥٥٦/١٥ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء ، لسان العرب ٣ / ٧٥١ ــ دار لسان العرب ــ بيروت .

(٣) دليل الفالحين ٥٤/١ . مطبعة حجازى بالقاهرة ، فيض القدير ٣٤/١ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٤) المجموع ٣٦٧/١ . الناشر زكريا على يوسف . القاهرة ، فيض القدير ٣٠/١ .

(٥) أنظر : الذخيرة للقرافى ١٣٤/١ مطبعة كلية الشريعة بالقاهرة .

نلحظ من هذين التعريفين أنهما عرفا النية بالقصد والعزم ، وهذا يتفق مع مدلول الكلمة فى لغة العرب .

وقد عرف ابن القيم النية بأنها عمل القلب[6] . وعرفها التيمى بأنها وجهة القلب[7] .

وتعريفها بذلك لايعارض تعريفها بالقصد والعزم ، إذ القصد والعزم عملان من أعمال القلوب ، والتعريف بهما تعريف غير مانع ، لأن وجهة القلب وعمله قد تكون رغبة أو رهبة أو حبا ، أو كراهية ، وقد تكون إرادة ، وقد تكون نية : قصدا أو عزما . فتعريف النية بأنها عمل القلب أعم من المعروف[8] .

وقد عرف البيضاوى النية تعريفا مميزا عما سبق فقال[9] : « النية عبارة عن انبعاث القلب نحو مايراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مالا » .

المبحث الأول
فى حكم النية فى الصيام

يرى جمهور الفقهاء[10] أنه لايصح صوم إلا بنية ، سواء أكان الصوم واجبا أم تطوعا .

وبرهان ذلك :

١ ــ قوله تعالى[11] : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ، فصح أنهم لم يؤمروا بشيء فى الدين إلا بعبادة الله تعالى ، والاخلاص له فيها بأنها دينه الذى أمر به .

(٦) بدائع الفوائد لابن القيم ١٩٢/٣ إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .

(٧) الكرمانى على البخارى ١٨/١ . الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ .

(٨) انظر : مقاصد المكلفين للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ٣٠ مكتبة الفلاح بالكويت .

(٩) انظر : الكرمانى على البخارى ١٨/١ ، فيض القدير ٣٠/١ ، عمدة القارى للعينى ٢٣/١ . إدارة الطباعة المنيرية بمصر .

(١٠) أنظر : الهداية مع شرح فتح القدير ٢٣٥/٢ . دار إحياء التراث العربى ــ بيروت ، القوانين الفقهية لابن جزىّ ص ٧٩ . دار القلم ــ بيروت ، المجموع شرح المهذّب للنووى ٢٨٨/٦ . دار الفكر ، المغنى لابن قدامة ٩١/٣ . عالم الكتب ــ بيروت .

(١١) سورة البينة الآية رقم ٥ .

أحكام نية الصوم في الفقه الإسلامي

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** »[1] .

فصح أنه لاعمل إلا بنية له ، وأن ليس لأحد إلا مانوى . وصح أيضا أن من نوى الصوم فله الصوم ، ومن لم ينوه فليس له صوم .

ومن طريق النظر : أن الصوم إمساك عن الأكل والشرب ، وتعمد القيء ، وعن الجماع ، وعن المعاصى ، فكل من أمسك عن هذه الوجوه ـ لو اجزأه الصوم بلا نية للصوم ـ لكان في وقت صائما ، وهذا مالايقوله أحد[2] ولأن الصوم عبادة محضة فلم يصح من غير نية كالصلاة[3] .

وخالف الجمهور عطاء ، ومجاهد ، وزفر ، فقالوا : من صام رمضان ، وهو لاينوى صوما أصلا ، بل نوى أنه مفطر في كل يوم منه ، إلا أنه لم يأكل ولم يشرب ، ولاجامع ، فإنه صائم ويجزئه ، ولابد له في صوم التطوع من نية .

واحتجوا على ماسبق : بأن النية إنما تشترط للتعيين ، والحاجة إلى التعيين إنما تكون عند المزاحمة ، ولا مزاحمة لأن الوقت لايحتمل إلا صوما واحدا في حق المقيم ، وهو صوم رمضان ، فلا حاجة إلى التعيين بالنية[15] .

ورد الجمهور على زفر ومن معه بالنصوص الآمرة **بالنية في العبادات عموما ، وفي الصوم على وجه الخصوص ،** كقوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيّات** » ، قوله ﷺ : « **لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل** »[4] .

ورد الشافعى حجتهم في أن الصوم لايحتاج إلى نية ، لأنه متعين بصورته ، إذ له وقت محصور محدود ، بأن هذا يمكن أن يقع في الصلاة .

فوقت الصلاة قد يتضيق حتى لايسع إلا الفرائض ، ومع ذلك لابد للصلاة التى وقعت في الوقت المتضيق من نية[5] .

وقال على[6] : قول زفر حجة عليه ، مبطل لقوله ، لأنه لما كان موضعا للصوم لا للفطر أصلا وجب أن ينوى ماافترض الله تعالى عليه من العبادة بذلك الصوم ، وأن يخلص النية لله تعالى فيها ، ولايخرجها مخرج الهزل واللعب .

ووجه آخر : وهو أن شهر رمضان أمرنا بأن نجعله للصوم ، ونهينا فيه عن الفطر ، إلا حيث جاءنا النص بالفطر فيه ، فهو وقت للطاعة ممن أطاع بأداء ما أمر به ووقت - والله - **للمعصية العظيمة فمن عصى الله تعالى فيه** وخالف أمره عز وجل فلم يصمه كما أمر ، فإذا هو كذلك ـ يقينا بالحس والمشاهدة ـ فلا بد ضرورة من قصد إلى الطاعة المفروضة ، وترك المعصية المحرمة ، وهذا لايكون إلا بنية لذلك . وهذا في غاية البيان والحمد لله ؟!

ووجه ثالث : وهو أنه يلزم على هذا القول أن من لم يبق له من وقت صلاة الصبح إلا مقدار ركعتين فصلى ركعتين تطوعا أو عابثا : أن يجزئه ذلك من صلاة الصبح ، لأن ذلك الوقت وقت لها ، لا لغيرها أصلا ، وهذا هو القياس : إن كان القياس حقا ؟!

---

(١) انظر : صحيح البخارى المطبوع مع فتح البارى ٥ / ١٦٠ المطبعة السلفية .

(٢) أنظر : المحلى بالآثار لابن حزم ٤/٢٨٦ تحقيق الدكتور /عبد الغفار سليمان البندارى . دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٣) أنظر : المجموع ٦/٢٨٨ .

(٤) أنظر : شرح فتح القدير ٢/٢٣٨ ، البدائع للكلاسانى ٢/٨٣ . الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ ، المحلى بالآثار ٤/٢٨٦ .

(٥) يأتى تخريجه ، لأنه يحتاج إلى تفصيل دقيق .

(٦) أنظر : الأم للشافعى ٢/٨٣ كتاب الشعب .

(٧) أنظر : المحلى بالآثار ٤/٢٨٩ .

والراجح مما سبق هو رأى الجمهور ، لقوة أدلتهم ، وسلامتها من المناقشة ، ولأن الصوم عبادة ، والعبادات لاتصح إلا بالنية ، لقوله ﷺ « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى** » والله أعلم بالصواب .

المبحـــث الثـــانى
فى تحديد وقت النية للصوم

الصوم إما أن يكون فرضا أو نفلا ، وتحديد وقت النية لكل منهما مختلف فيه عند الفقهاء ، ونفصل هذا من خلال المطلبين الآتيين :

المطلب الأول
فى تحديد وقت النية لصوم الفرض

اختلف الفقهاء فى تحديد وقت النية لصوم الفرض ، وذلك على رأيين :

الرأى الأول :[1] ذهب الجمهور مالك ، والشافعى ، وأحمد ، وإسحق ، وداوود وأبى سليمان — إلى أن تبييت النية شرط فى صوم رمضان وغيره من الصوم الـــواجب ، فلا يصح صوم رمضان ولا قضاء ولا الكفارة ، ولا صوم فدية الحج وغيرها من الصوم الواجب بنية من النهار .

ولا يصح أيضا صوم النذر الواجب بنية من النهار عند الجمهور .

أدلة الجمهور على ماذهبوا إليه :

١ — روى النسائى من طريق أحمد بن أزهر عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب عن سالم عن عبد الله بن عمر عن حفصة ، قالت ، قال النبى ﷺ : « **من لم يبت الصيام من الليل فلا صيام له** »[2] .

وقال النووى بعد أن ساق الحديث[3] : (حديث حفصـــة رضى الله عنها — رواه أبو داوود والترمزى والنسائى وابن ماجة والبيهقى وغيرهم بأسانيد كثيرة الاختلاف ، وروى مرفوعا كما ذكره المصنف ، وموقوفا من رواية الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن أخته حفصة واسناده صحيح فى كثير من الطرق فيعتمد عليه ولايضر كون بعض طرقه ضعيفا أو موقوفا ، فإن الثقة الواصل له مرفوعا معه زيادة علم فيجب قبولها كما سبق تقريره مرات ، وأكثر الحفاظ رواية لطرقه المختلفة النسائى ثم البيهقى ، وذكره النسائى فى طرق كثيرة موقوفا على حفصة ، وفى بعضها موقوفا عن عبد الله بن عمر ، وفى بعضها عن عائشة وحفصة موقوفا عليهما .

وقال الترمذى : لانعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، وقد روى عن نافع عن ابن عمر قوله وهو أصح .

وقال البيهقى : هذا حديث قد اختلف على الزهرى فى إسناده وفى رفعه إلى النبى » قال وعبد الله بن أبى بكر أقام إسناده ورفعه وهو من الثقات الاثبات . وقال الدارقطنى : رفعه عبد الله بن أبى بكر وهو من الثقات الرفعاء . ورواه البيهقى من رواية عائشة عن النبى ﷺ قال : « **من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له** » . قال البيهقى قال الدارقطنى إسناده كلهم ثقات . قلت : والحديث حسن يحتج به إعتمادا على رواية الثقات الرافعين ، والزيادة من الثقة مقبولة .

وجه الدلالة من الحديث :

يدل الحديث على أنه لايصح الصيام إلا بتبييت النية ، وهو أن ينوى الصيام فى أى جزء من الليل ، وأول وقتها الغروب ، وذلك لأن الصوم عمل والأعمال بالنيات ، وأجزاء النهار غير منفصلة من الليل بفاصل يتحقق ، فلا يتحقق إلا إذا كانت النية واقعة فى جزء من الليل[4] .

٢ — واستدلوا بالقياس فقالوا[5] : نقيس صوم رمضان على القضاء والكفارة ، بجامع الفرضية والوجوب فى كل .

---

(١) مواهب الجليل من أدلة خليل للشنقيطى ٣٠/٢ ، إدارة إحياء التراث الاسلامى بدولة قطر ، المهذب للشيرازى ١٨٧/١ دار المعرفة بيروت ، كشاف القناع للبهوتى ٣١٤/٢ عالم الكتب — بيروت ، المحلى بالآثار ٢٩٦/٤ .

(٢) سنن النسائى ١٩٦/٤ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٣) انظر : المجموع ٢٨٩/٦ .

(٤) انظر : سبل السلام للصنعانى ٣١٣/٢ — دار الكتاب العربى — بيروت .

(٥) أنظر : المغنى ٩٢/٣ .

أحكام نية الصوم في الفقه الإسلامي

الرأى الثانى[1] : ذهب الإمام أبو حنيفة وأصحابه إلى أن صوم رمضان يتأدى بنية من بعد غروب الشمس إلى منتصف النهار .

وخالف زفر من الأحناف فى المريض والمسافر إذا صام رمضان فقال : لايجوز رمضان من المسافر والمريض إلا بنية من الليل : لأنه فى حقهما كالقضاء لعدم تعينه عليهما .

ورد الحنفية على زفر فقالوا : لاتفصيل فيما ذكرنا فى الواجب المعين ، ثم هما إنما خولف بهما الغير شرعا فى التخفيف لا التغليظ ، وصوم رمضان متعين بنفسه على الكل ، غير أنه جاز لهما تأخيره تحقيقا للرخصة ، فإذا صاما وتركا الترخص إلتحقا بالمقيم .

أدلة أبى حنيفة وصاحبيه :

١ ــ حديث سلمة بن الأكوع ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ﷺ بعث رجلا ينادى فى الناس يوم عاشوراء : **« أن من أكل فليتم ، أو فليصم ، ومن لم يأكل فلا يأكل »**[2] .

الحديث فيه دليل على أنه كان أمر ايجاب قبل نسخه برمضان ، إذ لايؤمر من أكل بإمساك بقية اليوم إلا فى يوم مفروض الصوم بعينه ابتداء ، بخلاف قضاء رمضان إذا أفطر فيه ، فعلم أن من تعين عليه صوم يوم ولم ينوه ليلا أنه يجزيه نيته نهارا ، وهذا بناء على أن عاشوراء كان واجبا[3] .

واحتجوا بالقياس من طريقين :

الأول[4] : قياس الفرض على النفل بجامع أن كلا منهما صوم ، ولقد صح فى النفل أن الرسول ﷺ كان ينويه من النهار ، فيجوز ذلك فى الفرض أيضا .

والثانى[5] : قياس النية المتأخرة على المتقدمة من أول الغروب والجامع بينهما التيسير ودفع الحرج .

وبيان هذا : أن الأصل أن النية لاتصح إلا بالمقارنة ، أو مقدمة مع عدم اعتراض ماينافى المنوى بعدها قبل الشروع فيه ، فإنه يقطع اعتبارها على ماقدمناه فى شروط الصلاة . ولم يجب فيما نحن فيه ، لا المقارنة وهو ظاهر ، فإنه لو نوى عند الغروب أجزأه ، ولا عدم تخلل المنافى لجواز الصوم بنية يتخلل بينها وبينه الأكل والشرب والجماع مع انتفاء حضورها بعد ذلك إلى انقضاء يوم الصوم . والمعنى الذى لأجله صحت المتقدمة لذلك التيسير ودفع الحرج اللازم لو ألزم أحدهما ، وهذا المعنى يقتضى تجويزها من النهار للزوم الحرج لو ألزمت من الليل فى كثير من الناس ، كالذى نسيها ليلا ، وفى حائض طهرت قبل الفجر ولم تعلم إلا بعده وهو كثير جداً فإن عادتهن وضع الكرسف عشاءاً ثم النوم ، ثم رفعه بعد الفجر ، وكثيراً من يفعل كذا تصبح فترى الطهر ، وهو محكوم بثبوته قبل الفجر ، ولذا نلزمها بصلاة العشاء . وفى صبى بلغ بعده ، ومسافر أقام ، وكافر أسلم .

فيجب القول بصحتها نهارا ، وتوهم أن مقتضاه قصر الجواز على هؤلاء ، أو أن هؤلاء لايكثرون كثرة غيرهم بعيد عن النظر ، إذ لايشترط اتحاد كمية المناط فى الأصل والفرع ، فلا يلزم ثبوت الحرج فى الفرع ، وهو المتأخرة بقدر ثبوته فى الأصل وهو المتقدمة ، بل يكفى ثبوته فى جنس الصائمين ، كيف والواقع أنه لم يعتبر المصحح الحرج الزائد ولاثبوته فى أكثر الصائمين فى الأصل ، فكذا يجب فى الفرع ، وهذا لأن أكثر الصائمين يكونون مفيقين قريب الفجر ، فقوم لتهجدهم ، وقــوم

(١) أنظر : فتح القدير المطبوع مع شرح فتح القدير ٢/ ٢٣٩ ، حاشية ابن عابدين ٢/ ٩٢ مصطفى البابى الحلبى بمصر .

(٢) البخارى المطبوع مع فتح البارى ٤/ ١٤٠ .

(٣) أنظر : فتح القدير مع شرحه ٢/ ٢٣٧ .

(٤) أنظر : المغنى ٣/ ٩١ .

(٥) أنظر : فتح القدير المطبوع مع شرحه ٢/ ٢٣٨ .

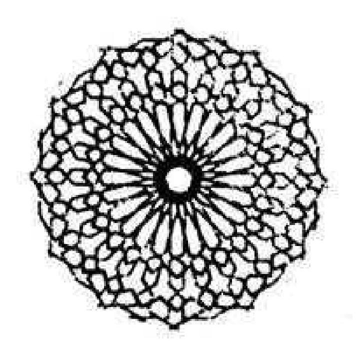

لسحورهم ، فلو ألزمت النية قبل الفجر على وجه لايتخلل المنافى بينها وبينه ، لم يلزم بذلك حرج فى كل الصائمين ولا فى أكثرهم ، بل فيمن لايفيق إلا بعد الفجر وهم قليل بالنسبة إلى غيرهم ، بخلاف المفيقين قبله إذ يمكنهم تأخير النية إلى مابعد استيفاء الحاجة من الأكل والجماع ، فتحصل بذلك نية سابقة لم يتخلل بينها وبين الشروع ماينافى الصوم من غير حرج بهم ، فلما لم يجب ذلك علم أن المقصود التيسير بدفع الحرج من كل وجه من كل صائم ، ويلزم المطلوب من شرعية المتأخرة .

مناقشة الأدلة

أولا : مناقشة أدلة الجمهور :

١ - ناقش الأحناف الدليل الأول للجمهور فقالوا :

(أ) الحديث الذى استدل به الجمهور ضعيف لاتقوم به حجة ، وقد تكلم جماعة من الحفاظ فيه ، وضعفوا رفعه إلى النبى ﷺ ورجحوا أنه موقوف [1] .

وأجيب عن هذا من وجهين :

الأول : أن بعض الحفاظ حكموا بصحة الحديث مرفوعا ، منهم ابن خزيمة ، وابن حبان ، وقال الحاكم فى « المستدرك » صحيح على شرط البخارى . وقال البيهقى : رواته ثقات إلا أنه روى موقوفا [2] .

وقال ابن حزم بعد أن ساق رواية النسائى [3] .

(وهذا إسناد صحيح ، ولايضر إسناد ابن جريج له ، أن أوقفه معمر ، ومالك ، وعبيد الله ، ويونس ، وابن عيينة ، فابن جريج لايتأخر عن أحد من هؤلاء فى الثقة والحفظ ، والزهرى واسع الرواية ، فمرة يرويه عن سالم عن أبيه ، ومرة عن حمزة عن أبيه ، وكلاهما ثقة ، وابن عمر كذلك ، مرة رواه مسندا ، ومرة روى أن حفصة أفتت به ، ومرة أفتى هو به ، ولكل هذا قوة للخبر) .

والثانى :

وعلى فرض التسليم لهم بضعف الحديث : فإنه قد روى موقوفا عن ثلاثة من الصحابة بأسانيد صحيحة ، وهم : ابن عمر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وعائشة بنت أبى بكر - رضى الله عنهم جميعا - وقد قال النووى عن الحديث بعد أن ذكر ما سبق [4] : والحديث حسن يحتج به اعتمادا على رواية الثقات الرافعين ، والزيادة من الثقة مقبولة .

(ب) وقالوا ليس معنى الحديث كما ذكروا [5] أنه لا صيام لمن لم ينو الصيام من الليل ، وإنما معناه لاصيام لمن لم ينو أن صيامه من الليل بل نوى أن صيامه من وقت النية .

قيل الصلة إذا تعقبت فعلا ومفعولا وأمكن تعلقها بكل واحد منهما ، فإنها تتعلق بالفعل دون المفعول ، كما يقال أتيت فلانا من بغداد ، فإن كلمة من تعلقت بالاتيان لا بالمفعول كذلك ههنا .

---

(١) أنظر : فتح القدير المطبوع مع شرحه ٢٣٦/٢ ، سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى ١٩٦/٤ . دار البشائر الاسلامية - بيروت .

(٢) أنظر : المحلى بالآثار ٢٨٨/٤ .

(٣) انظر : المحلى بالآثار ٢٨٧/٦ بتلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير للعسقلانى ١٨٨/٢ شركة الطباعة الفنية المتحدة .

(٤) المجموع ٢٨٩/٦ .

(٥) انظر : شرح العناية على الهداية المطبوع مع شرح فتح القدير ٢٣٦/٢ .

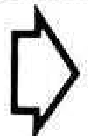

وأجيب عن هذا :

بأن ماذكروه لادليل عليه ، وأن معنى الحديث يرد هذا التأويل ، إن معنى (يبيت) من بيت بالتشديد إذا نوى ليلا ، يقال بيت فلان رأيه إذا فكر فيه وخمره ، وكل ما فكر فيه ودبر بليل فقد بيت[1] .

(جـ) وقالوا أيضاً[2] : يحمل الحديث على نفي الفضيلة والكمال ، كقوله ﷺ : « **لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد** » .

وأجيب عن هذا :

بأن هذا الحديث ضعيف[3] ، ولو ثبت لما صحت صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد ، ونظيره الصحيح قوله ﷺ : « **لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب** » فنفى الشيء كالصلاة والصوم لعدم وجود شيء يدل على وجوبه لا استحبابه[4] .

٢ ـ ونوقش القياس من قبل الأحناف بأنه قياس مع الفارق ، لأن الوقت فى رمضان متعين لصومه ، أما فى القضاء والكفارة فالوقت غير متعين لهما شرعا ، ولأن الوقت خارج رمضان متعين للنفل ، فلا يكون لغيره إلا بتعيينه ، فإذا لم ينو من الليل صوما آخر بقى الوقت متعينا للتطوع ، فلا يملك تغييره[5] .

وأجيب عن هذا :

بأنه منتقض بالصلاة إذا لم يبق من وقتها إلا قدر الفرض ، فإن هذا الزمان مستحق لفعلها ، ويمنع من ايقاع غيرها فيه ، وتجب فيها النية بالإجماع ، وقد يجيبون عن هذا بأن ذلك الزمان وإن كان لايجوز فيه صلاة أخرى لكن لو فعلت انعقدت وقد ينازع فى انعقادها لأنها محرمة ، وقد سبق أن الصلاة التى لاسبب لها لو فعلت فى وقت النهى لا تنعقد على الأصح[6] .

ثانيا : مناقشة أدلة الأحناف :

ناقش المخالفون للأحناف أدلتهم فقالوا :

(أ) حديث سلمة بن الأكوع الوارد فى عاشوراء يناقش بما يأتى :

١ ـ أنه لم يكن واجبا ، وإنما كان تطوعا متأكدا شديد التأكيد ، وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعى[7] .

ويدل على ماسبق ماروى عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب عليكم صيامه ، وأنا صائم فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر** »[8] .

فلو كان واجبا لم يبح فطره ، فإنما سمى الإمساك صياما تجوز بدليل قوله : ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه . ولم يفرق بين المفطر بالأكل وغيره ، وقد روى البخارى أن رسول الله ﷺ أمر رجلا أن أذن فى الناس « **أن من كان أكل فليصم بقية يومه** » وإمساك بقية اليوم بعد الأكل ليس بصيام شرعى ، وإنما سماه صياما تجوزا ، ثم لو ثبت أنه صام فالفرق بين ذلك وبين رمضان ، أن وجوب الصيام تجدد فى أثناء النهار فأجزأته النية حين تجدد الوجوب ، كمن كان صائماً تطوعاً فنذر إتمام صوم بقية يومه ، فإنه تجزئه نيته عند نذره بخلاف ما إذا كان النذر متقدما[9] .

---

(١) أنظر : شرح السيوطى على سنن النسائى ١٩٦/٤ .
(٢) أنظر : البدائع ٨٦/٢ .
(٣) المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٤٦٧ مكتبة الخانجى ومكتبة المثنى ـ بغداد .
(٤) أنظر : مقاصد المكلفين للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ١٨٣ الفلاح بالكويت .
(٥) أنظر : بدائع الصنائع ٨٦/٢ .
(٦) أنظر : المجموع ٣٠١/٦ .
(٧) أنظر : المرجع السابق .
(٨) صحيح البخارى مع فتح البارى ٢٤٤/٤ .
(٩) أنظر : المغنى ٩٢/٣ .

أحكام نية الصوم في الفقه الإسلامي

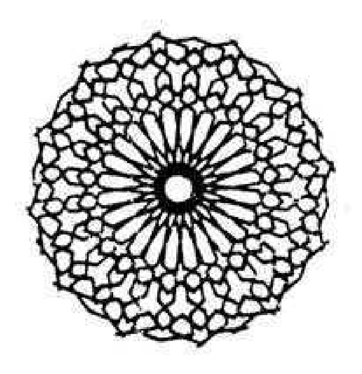

٢ ـ أنه لو سلمنا أنه كان فرضا ، فكان ابتداء فرضه عليهم من حين بلغهم ، ولم يخاطبوا بما قبله كأهل قبا في استقبال الكعبة ، فإن استقبالها بلغهم في أثناء الصلاة ، فاستداروا وهم فيها من استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة ، واجزأتهم صلاتهم حيث لم يبلغهم الحكم إلا حينئذ ، وإن كان الحكم باستقبال الكعبة قد سبق قبل هذا في حق غيرهم ويصير هذا كمن أصبح بلا نية ثم نذر في أثناء النهار صوم ذلك اليوم .

٣ ـ أنه لو كان عاشوراء واجبا فقد نسخ بإجماع العلماء ، وأجمع العلماء على أنه ليس بواجب ، وإذا نسخ حكم شيء لم يجز أن يلحق به غيره[1] .

(ب) ونوقش قياس الأحناف على التطوع من وجهين[2] :

الأول : أن التطوع يمكن الإتيان به في بعض النهار بشرط عدم المفطرات في أوله بدليل قوله عليه السلام في حديث عاشوراء فليصم بقية يومه ، فإذا نوى صوم التطوع من النهار كان صائماً بقية النهار دون أوله ، والفرض يكون واجبا في جميع النهار ، ولايكون صائما بغير النية .

والثاني : أن التطوع سومح في نيته من الليل تكثيرا له ، فإنه قد يبدوله الصوم في النهار ، فاشتراط النية في الليل يمنع ذلك ، فسامح الشرع فيها كمسامحته في ترك القيام في صلاة التطوع ، وترك الاستقبال فيه في السفر تكثيرا له بخلاف الفرض[3] .

ونوقش قياس النية المتأخرة على المتقدمة بأنه يلزمهم على القول بهذا إجازة الصوم بنية من النهار قبل الزوال وبعده ، لا كما يقولون بأن النية بعد الزوال لا تصح ، وذلك لأن الحرج قد يوجد بعد الزوال ، فقد يبلغ الصبي ، ويسلم الكافر ، ويفيق المجنون ، ويصحو المغمى عليه ، وهم لا يقولون بذلك[4] .

الرأي الراجح في الموضوع :

بعد أن ذكرت أقوال الفقهاء في تعيين وقت النية لصوم الفرض ، وأدلتهم ، والمناقشات التي وردت عليها ، وما أجيب به عن بعضها ، يظهر لي أن رأي القائلين بأن تبييت النية شرط في صوم رمضان وغيره من الصوم الواجب ، هو الأولى بالقبول ، لقوة أدلته وسلامتها من المناقشة ، ولأنه قد صح الإجماع على أن من صام ونواه من الليل فقد أدى ماعليه ، ولانص ولا إجماع على أن الصوم يجزيء من لم ينوه من الليل[5] والله أعلم بالصواب .

ويترتب على ماسبق بعض الأمور التي تحتاج إلى تفصيل ، نقوم به وذلك من خلال الفروع الآتية ....

فإلى عدد قادم إن شاء الله

---

(١) أنظر : المجموع ٦/٢٠١ .

(٢) أنظر : المرجع السابق .

(٣) أنظر : المغنى ٣/٩٢ .

(٤) أنظر : مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ص ١٧٨ ـ ١٧٩

(٥) أنظر : المحلي بالآثار ٤/٢٨٦ .

رمضـــان والصـلاة الخاصـة

إن لشهر رمضان من الخصائص الجليلة والسمات المميزة ما يفضل به الشهور جميعاً ، وما ينبغى أن تخفى هذه الخصائص على الذين يحبون أن يكونوا على بيّنة من أمر دينهم ودنياهم انطلاقاً من الشهر الكريم ، وأخذاً لهداياته ما حيينا .

فرمضان شهر الإسلام ، رسولاً ورسالة وأمة هى خير أمة أخرجت للناس ، منذ اصطفى الله سيدنا محمداً وأنزل عليه القرآن تبيانا لكل شىء ، وأرسله رحمة للعالمين ، وهو شهر الصيام الذى نسبه الله لنفسه ـ وكل العبادات له سبحانه ـ فقال فى الحديث القدسى « الصيام لى وأنا أجزى به » . أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه . وفى رمضان كانت غزوة بدر ، وفيها قاتلت ملائكة الله مع المسلمين لأول مرة فى تاريخ الرسالات السماوية على نحو ما فصلت السنة النبوية وقال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (سورة الأنفال ـ آية : ١٢) .

للشيخ معوض عوض إبراهيم

وفى رمضان كان فتح مكة حيث اندحرت الوثنية ، وسيطرت فى الجزيرة عقيدة التوحيد ، وفى العشر الأواخر من رمضان كانت ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم ابتدأ نزوله على المصطفى المختار فى الليلة المفتوحة المباركة ، فى ثلاث وعشرين سنة ، كما أمتن الله بذلك على رسوله فقال :

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾

(سورة الإسراء ـ آية : ١٠٦)

وجلّ الله الذى يعلم مَنْ خلق ، ويُجرى بحكمته أقداره وهو يزيد حكمته بتنجيم القرآن الذى امتاز بها على الكتب السماوية فيقول :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (سورة الفرقان ـ آيـة ٣٢ ـ ٣٣) ـ تلك طائفة من خصائص الشهر الكريم ألمحُ إليها ولا استقصيها ، لأخلص إلى صلاة التراويح ، تلك الصلاة الخاصة التى تقترن بلياليه ، ولا تقوم على هيئتها ألّا فيه ، منذ سَنّها النبى

– ﷺ – ، أخرج الجماعة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله – ﷺ – كان يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول :

«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» .

وقيام رمضان كما قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح الإمام مسلم جـ ٦ ص ٣٩ «والمراد بقيام رمضان صلاة التراويح والشوكانى يقول : المراد قيام لياليه مُصليًا ، ويحصل بمطلق ما يَصْدُقُ عليه القيام ، وليس من شرطه استغراق جميع أوقات الليل ، ويورد قول النووى آنفاً ، ويقول إنه يعنى أنه يحصل بصلاة التراويح المطلوب من القيام لأن قيام رمضان لا يكون إلا بالتراويح وَرَدَّ الشوكانى قول الكرمانى «اتفقوا على أن قيام رمضان صلاة التراويح» والإمام النووى يقرر ان قيام رمضان ليس على الايجاب والتحتيم ، وإنما هو على الندب والاستحباب ، أخذاً من قول أبى هريرة رضى الله عنه «كان رسول الله – ﷺ – يُرغب فى قيام رمضان من غير ان يأمرهم فيه بعَزِيمة» قال الإمام النووى «واجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب» ص ٦٠ جـ ٦ شرح النووى على صحيح مسلم والشوكانى يَعْرض كلام ابى هريرة رضى الله عنه ويقول انه يفيد الندب لا ايجاب صلاة التراويح ، ثم يقول فى عبارة «وَسَنَنْتُ قِيامه» أصرح فى أن حكم صلاة التراويح على الاستحباب ، دون الايجاب» .

وأبو عبد الله الدمشقى العثمانى الشافعى من علماء القرن الثامن الهجرى يقول فى كتابه «رحمة الأمة فيما اختلف فيه الأئمة» ص ٥٨ يقول «ومن السنن صلاة التراويح فى شهر رمضان عند أبى حنيفة والشافعى وأحمد» وهى سنة مؤكدة كما قال ابن قدامة الشيبانى فى «المغنى» جـ ١ ص ٨٠١ – وهذا يحدد الثلاثة إلا مالكاً رحمه الله فهو يرى أن حكمها الندب تأكيداً وهو مع الثلاثة فى انها على الرجال والنساء .

وسميت هذه الصلاة بالتراويح ، لأنهم كانــوا يستريحون بين كل تسليمتين – كما قال ابن الأثير فى «النهاية» جـ ٢ ص ٢٧٤ وقال وهى جمع ترويحة وهى مرة واحدة منها كالتسليمة من السلام .. وتسنُّ فيها الجماعة فى المسجد وهو قول الشافعى وجمهور أصحابه وأبى حنيفة وأحمد وبعض المالكية ودليلهم أظهر وأبهر وأسير فى الناس منذ فعل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه والصحابة الثقاة واستمر عمل المسلمين عليه – كما قال النووى والشوكانى وغيرهما وقالوا «لأن الاجتماع عليها من الشعائر الظاهرة فأشبه صلاة العيد» .

والإمام مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية يرون الأفضل صلاتها وهم فرادى فى البيوت للحديث المتفق عليه بألفاظ «فان خير صلاة المرء فى بيته إلا الصلاة المكتوبــة» «فإن أفضل صلاة المرء فى بيتــه إلا المكتوبة» البخارى ومسلم وأبو داود ، وهو عند النسائى بلفظ «فإن أفضل الصلاة ... » .

وقد بالغ الطحاوى فقال : «إن صلاة التراويح فى الجماعة واجبة على الكفاية» كما قال الشوكانى ؛ وقد علمنا أن الصحابة صلّوها ليالى فى المسجد خلف النبى – ﷺ – حتى خشى أن تفرض عليهم .. ومع اليقين فى صحة حديث «صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة» فإن صلاتهم مع النبى ، وإجماع الصحابة وأهل الأمصار على ذلك منذ تجميع عمر المسلمين عليها عملٌ يرجح فى الاستدلال» والأحاديث فى مقابلة هذا الحديث كثيرة متفق عليها والإمام النووى يحكى فى المجموع ص ٣٥ جـ ٤ أن «على بن موسى القمى ادّعى فى الجماعة الإجماع» .

وهى تُصلى عقب صلاة العشاء إلى الفجر ، والحديث الذى أخرجه البخارى عن عائشة ، وهو فى مسلم «ان رسول الله – ﷺ – خرج ليلة فى جوف الليل فصلى فى المسجد ، وصلى رجالٌ بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلّوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله – ﷺ – فصلّى فصلّوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : «أما بعد .. فإنه لم يَخْفَ علىّ مكانكم ، ولكنى خَشِيْتُ أن تُفْرض عليكم فتعجزوا عنها ، فتوفى رسول الله – ﷺ – ، والأمر على ذلك» .

رمضان والصلاة الخاصة

أخرج الإمام البخارى عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن ابن عبد القارى أنه قال « خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة فى رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاعٌ متفرقون – طوائف من التفريق – يصلّى الرجل لنفسه ، ويصلّى الرجل فيصلى بصلاته الرهط – ما دون العشرة إلى الأربعين رجلاً ليس منهم امرأة – النهاية لابن الأثير – فقال عمر ، إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل – أفضل – ثم عزم فجمعهم على أبىّ بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر : « نعم البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ، يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوّلهُ وصلى الله على الرءوف الرحيم سيدنا محمد ، فقد قال الشوكانى بعد أن نظر إلى التفات النبى إلى أصحابه وقال لهم « خشيت أن تُفرضَ عليكم . قال : « إذا تعارضت مصلحة لهم ، وخوف مفسدة ، أو مصلحتان ، اعتبر أهمها لأن النبى – ﷺ – كان رأى الصلاة فى المسجد مصلحة فلما عارضه خوف الافتراض عليهم ، تركه لِعظم المفسدة التى هى عجزهم وتركهم للفرض ، وابرز – رحمه الله – لطيفة ملْهمة مُعلّمه فقال : وفى الحديث ان الإمام وكبير القوم إذا فعل شيئاً خلاف ما يتوقعه أتباعه ، وكان له فيه عذر ، يذكره لهم ، تطييباً لقلوبهم ، لئلا يظنوا خلاف هذا » .

ولقد استحسن أبو حفص – رضى الله عنه – الاجتماع الذى هو مراد الله بالدين الجامع ، كما أكثر الخطر الذى يُتوقع حين يمضى الناس أوزاعاً متفرقين فينفخ الشيطان فى رؤعهم بما يكونون به أهون شىء على عدوهم الذى يتربص بهم الدوائر ، ويقعد لهم كل مرصد ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (سورة التوبة – اية : ٤٧) .

والبدعة فى روايات الحديث من قول عمر « نعمت البدعة » ليست المقابلة للسنة ، ولكنها الأمر المستحدث فى الدين ، وله أصلٌ ثابت من عمل النبى ، كما هنا فقد ترك خروجه إليهم ، والصلاة بهم جماعة ، خشية أن تفرض عليهم ، ولم يجمعهم بعده أبو بكر لانشغالهم فى قمع ما استشرى من أمر الردَّة ، حتى جاء عمر وسنَّ الجماعة التى له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

ذلك الماحُ لما ذكره ابن الأثير فى جـ ١ ص ٢٨٠ عن كتابه « جامع الأصول فى حديث الرسول » وتلخيص لما فى ص ١٢٢ من جـ ٦ من هذا الجامع .

وفى عدد ركعات التراويح خلاف الفقهاء ابتداء من ثمان ركعات ، وانتهاء بالأربعين سوى الوتر ، وكونها بالوتر ثلاث وعشرون ، أصح ما قيل . قال ابن أسحق فى الفتح جـ ٦ ص ٢٥٤ « وهذا أثبت ما سمعت فى ذلك وهو فى الموطأ ورواه البيهقى فى السنن عن السائب بن يزيد جـ ٢ ص ١٩٢ قال « وكانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى شهر رمضان بعشرين ركعة » الحديث .

وابن قدامة يورد فى جـ ١ ص ٨٠٣ أن علياً رضى الله عنه أمر رجلاً أن يصلى بهم عشرين ركعة ، قال ابن قدامة : وهذا كالاجماع وروى قول إسماعيل بن زياد ان علياً رضى عنه مرَّ على المساجد وفيها القناديل فى شهر رمضان فقال « نورَّ الله على عمر قبره كما نوَّر علينا مساجدنا» رواه الأثرم .

والقراءة كالعدد فى التراويح من الخير أن تراعى فيهما أحوال الناس وما يطيقون من ذلك ولابن تيمية فى فتاواه الكبرى وفى صحيح مسلم وغيرهما من يشهد بذلك .

ولقد وفق الله الإمام ابن حجر أحسن توفيق فقال فى جـ ٤ ص ٢٥٣ « والجمع بين هذه الروايات – أحاديث التراويح وآراء الفقهاء – ممكن باختلاف الأحوال ، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس ، بذلك جزم الداودى وغيره .. فلنأخذ خصيصة التراويح بقصد فى القراءة وعدد الركعات وخشوع وتأسّى بالرسول وسلف هذه الأمة لنحرز خيرها فى الحياة ، ونجنى ثمرها يوم نلقى الله ، ولا قوة إلا بالله هو حسبنا ونعم الوكيل .

الحمد لله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على ذى الخلق العظيم ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وآمن بنوره ، ورضى بسنته إلى يوم الدين .

وبعد

فها هو ذا شهر رمضان المبارك يعود من جديد كريمًا معظَّمًا ، يرسل النور ويبعث الأمل فى نفوس المؤمنين ، الذين خاطبهم ربهم بقوله عز وجل : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] .

والنفس المؤمنة تستبشر بالطاعة ، وتهش لكل عمل يقربها من رضا الله ورضوانه ، وإذا كان لكل زرع موسم حصاد ، فإنَّ رمضان موسم عبادة ، والعبادة موسم الحصاد الذى يحصد فيه المسلمون ثواب صيامهم بالنهار ، وقيامهم بالليل ، فيغفر الله لهم ، وقد شفع الصيام فيهم وخصَّهم سبحانه بالدخول من باب الريَّان ، فعن سهل رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « إنَّ فى الجنة بابًا يُقَال له الرَّيَّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحَدٌ غيرهم ، يُقَال : أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد »[2]

● مدرس اللغويات بجامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

(١) البقرة / ١٨٣

(٢) الحديث رواه البخارى فى باب (الريان للصائمين) .

خواطر رمضانية

وتتجلى فى الشهر الكريم حقائق إسلاميَّة يدركها المسلمون ومَنْ حاول أن يدرك من غير المسلمين ، ومن تلك الحقائق الوحدة وتحقق معنى الأمة التى اجتمعت على هدف واحد ، وعمل واحد ، فها هم أولاء قد امتنعوا عن شهوتى البطن والفرج من مطلع الفجر إلى مغرب الشمس ، ومع انطلاق أجمل صيحة فى الوجود « الله أكبر » يكون صيامهم ، ومعها أيضًا يكون إفطارهم .

« ومنها » وحدة السلوك ، فخلق الصائمين واحد ، والمسلمون ــ وإن كانوا بعيدين عن الزور والعمل به ــ هم فى رمضان عن الزور والعمل به أبعد وإلَّا فلا خير فى صيامهم ، ولا معنى لحرمانهم ، فهم يقضون رمضان وملء قلوبهم وأسماعهم قول نبيِّهم عليه الصلاة والسلام : « مَنْ لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ »[1]

وعبارة « إنِّى صائم » هى القول السلام الذى يرد به الصائمون على مَنْ سبَّهم أو شتمهم ، فهم كما وصفهم ربهم ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾[2] فقد روى البخارى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أنَّ رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « قال الله : كل عمل ابن آدم له إلَّا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جُنَّة ، وإذا كان يومُ صَوْم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابَّهُ أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم .... » الحديث .

(ومنها) البرهان على يسر هذا الدين الحنيف ، حيث لم يفرض الصيام إلَّا شهرًا واحدًا فى كل عام ، وقد فرض على القادرين من المسلمين والمسلمات ورخص الإفطار فيه للمسافر ، والمريض ، والهرم ، والحامل ، والمرضع وفى ذلك يقول ربنا جل وعلا : ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[3]

(ومنها) التكافل الاجتماعى ، الذى يضمن للمجتمع التوازن والمؤاخاة فالمسلمون وقد جربوا الجوع اختيارًا منهم بامتثالهم لأمر الله عز وجل يعطفون على من عاشوا الجوع اضطرارًا لضيق ذات اليد ، وقد علموا أنَّ قدوتهم ــ ﷺ ــ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى رمضان ، وهم أحرص ما يكونون على اتباع هديه ، والاقتداء به فى رمضان وفى غيره من شهور السنة كلها ، يزينون شهرهم بصدقة الفطر حتى إذا ما أتى يوم عيدهم بدا السرور وعمت الفرحة والسعادة غنيهم وفقيرهم .

ورمضان كله خير ، يومه وليله ، البر فيه موصول ، والخير فيه مأمول ومع حركة الحياة بالنهار تجد المسلم صائمًا ممتثلًا لأوامر الله عز وجل ومع سكون الحياة بالليل تجد المسلم قائمًا ، يصلى القيام ، ويقرأ القرآن فيتدبر الآيات ، ويستعيد الذكريات ، فيستحضر نصر الله للمؤمنين فى بدر وهم يومئذ قلَّة ، لأنهم آمنوا فما ضعفوا وما استكانوا فثبتهم الله وأيدهم بنصره ، ويطل من نافذة قلبه ووجدانه على سيدنا ومولانا رسول الله والمؤمنين وهم عائدون إلى مكة ، وقد فتحها الله لهم ، فجاء الحق وزهق الباطل ، وخسر هنالك المبطلون فيعلم إن قست الحياة عليه أنَّ مع العسر يسرًا ، وأنَّ فرج الله قريب وأنَّ الباطل مجتث لا محالة ؛ فلا أصل له ولا قرار ، وإن صوَّر الشيطان غير ذلك ، وفوق كل ذلك يعيش نزول القرآن وهو يقرأ قول الله تعالى : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** ﴾[4].

فيعظم كتاب الله ، ويقدس كلامه ، ويجدد عهده به ، وصحبته له ، نوقنًا بأن من طلب الهدى فى غيره فلن يهتدى أبدًا .

وفى رمضان مسك اللسان وعطر البيان ، فكل مسلم يهنىء أخاه وما أكثر ما تسمع فى رمضان قول المرء لأخيه : « كل سنة وأنت طيب » « كل عام وأنت بخير » ،

---

(١) فى البخارى عن أبى هريرة (باب من لم يدع قول الزور والعمل به فى الصوم) .

(٢) الفرقان : ٦٣ .

(٣) البقرة : ١٨٤

(٤) البقرة : ١٨٥

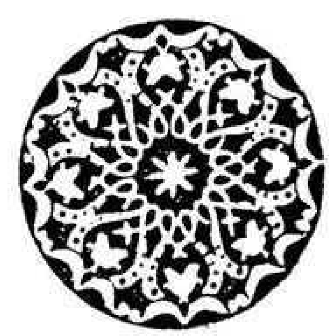

«إن شاء الله فطارك عندنا غدًا أو اليوم» «كله من فضل الله» ، «تقبل الله منا ومنك» ، «أراك فى صلاة الفجر إن شاء الله» ، «أعاده الله على الأمة الإسلامية باليمن والخير والبركات» ، «رمضان كريم» ، «الله أكرم» هذا المعجم الرمضانى نحن فى حاجة إليه فى هذه الأيام لاصلاح ما أفسده الجاهلون ، وإحلاله محل ما فرضوه من معجم المعتدين على اللغة والذوق من «طناش ، وزنبة ، قشطة عليه ، وميت مسا ، .... » وينبغى على الدعاة فى شهر الصيام أن يهتموا بتلك القضيَّة إلى جانب ما يقدمونه للناس من وعظ وإرشاد يتصل بمسائل الصوم وأحكامه ، وخلق المسلم وآدابه ، فإنَّ الأرض فى رمضان قد نزل عليها ماء الرحمة من السماء ، فهى أصلح ما تكون الآن لتنبت من كل زوج بهيج ، ليبينوا للشباب المسلم الصائم أنهم بهذا المعجم يشعلون الثقاب فى العود الأخضر ، ويطفئون نور الفجر الأنور ويعتدون على موسم المستقبل ونحن نريد له أن يثمر ، ليكن معجم رمضان الطيب مرتشفًا للشفاه بعد رمضان ، ولست أدرى لمصلحة مَنْ تشجع أجهزة الاعلام خصوصًا «التليفزيون» على تزكية هذا المعجم ؟

ففى رمضان الذى كاد الشباب يعرفونه بشهر الفوازير يقدِّم أهل الفن إضافة جديدة إلى هذا المعجم ، فتتسع الدائرة ، وتكثر الألفاظ الغريبة ، فضلًا عما بها من مشاهد لا تمت إلى الاسلام بصلة وفى الوقت نفسه بجتمع جهابذة اللغة العربية لغة الذكر الحكيم فى مجمعها أو كلياتها المتخصصة لتستنكر هذه الألفاظ ، وتحاربها فها هنا هدم ، وهنالك محاولة إصلاح تتعثر أمام هذا الوابل الذى نمطره بأنفسنا على أنفاس الطهارة والذوق السليم وبدلًا من أن يجتمع العلماء محاولين تعريب الأعجمى ، وتفسير المشكل والدفاع عن لغة الضاد ينصرف جهدهم معظمه أو جميعه إلى مناقشة الأسباب التى أدَّت إلى انتشار هذا الوباء ، ولو أنَّ الجهود تضافرت ، والأيدى جميعها تلاقت وتصافحت ، وقيل للجميع : «ماذا نقدِّم ؟ كيف نكتب ؟ وفى أى ضوء نتحرك ؟ لكان ذلك خيراً للأمة كلها .

لقد عاش الناس زمانًا كان الواحد فيه يقول لمخاطبه : «سآتيك بعد صلاة العصر ، أو المغرب» فكانت مواعيده متصلة بمواقيت الصلاة ، فالحياة والكلام عمل وعبادة ، فلما أصبح الواحد يقول لمخاطبه : «سآتيك فى السادسة أو السابعة» قلنا : يحمد هذا ولا يذم ، ولا جرم فالاسلام يحترم الدقة وهو عنوان الالتزام ، والوقت عمر الانسان ، وسوف يسئل عنه وعليه ألَّا يضيعه .

ولكن ما قول الذين دافعوا عن قول القائل : «ألقاك فى السادسة مساءً» فى قول الشاب لزميله : «ألقاك بعد المسلسل» هل يقولون بجوازه ، ولهم فيه مخرج ، وهو حمله على الكناية ؛ إذ أن مثل هذه العبارة كناية عن الساعة المعلومة التى ينتهى عندها المسلسل والحق أنَّ مثل هذا التسمح لا يجوز ؛ لأنه سيؤدى إلى مخاطر لا يعلم مداها إلَّا الله وحده .

وأجهزة الاعلام المختلفة من النعم التى لا ينكرها عاقل ، وهى سلاح ذو حدين كما يقولون ، فمتى أحسن استغلالها أحصدت فى كل حين لأن تأثر الناس لا سيما الشباب بالاعلام واضح ، وقوى ، وقد تسببت قصص «جوته» فى انتحار كثير من شباب أوربا ؛ برغم أنه كتب فكرة الانتحار ليتخلص منها ، حيث كانت تراوده ، فانظر إلى الخطب من أين يؤتى ، رجل يريد الانتحار ،

خواطر رمضانية

فيتخلص من تلك الفكرة بأن يرسم أبطال قصصه ويصورها فى مجموعة عشاق ، يؤدى بهم العشق فى النهاية إلى الانتحار ، فينجو بنفسه من قتل نفسه ويقدِّم طريق خلاصه سلاحاً يقتل به الشباب أنفسهم على أرض الواقع ، يقول (برتون راسكو) : لقد كتب « جوته » قصته فرتر ؛ لكى يتخلص من فكرة الانتحار فهو يجعله بطل القصة العاطفى يقتل نفسه فرَّج بطريقة تعويضية عن نزعة كانت تتهدد سلامته العقلية ، والمؤسف فى هذا أنَّ القصة كانت سببًا عند نشرها فى وقوع سلسلة وبائية من حوادث الانتحار بين المراهقين من الشباب فى أوربا كلها ، وفى ألمانيا بخاصة »[1] .

وقد يقول قائل : إنَّ هذا شأن الغرب وما بالنا به ؟ إن لنا قيمنا وديننا فكيف تقيس هذا على ذاك ؟ أقول : لاتتسرع بالحكم ، فإننا مولعون بالغرب ، شيقون لأعماله ، متأثرون به فى كثير من الأشياء ، وما فعله جوته فعله بعض كتاب العرب وأدبائهم ، وإن اختلفت النتيجة إلَّا أنه ليس اختلافًا كليًّا ، وبعيد كل البعد عن الانصاف من ظن أنَّ الناس معظمهم لا يتأثرون بما يقدَّم لهم مسموعًا أو مرئيًّا أو مقروءًا ، ولو استقرأت ما فى أذهان الناس وفكرهم ووجدانهم من آثار ذلك الذى قدِّم لهم لأعياك الحصر ، فهم يحاكون البطل فى ثيابه وطريقة كلامه ، وأسلوبه ، بل وفى حركاته وسكناته ، بل إنَّ أسماء المحال فى بلادنا هى بعينها أسماء الأبطال ، والقصص ، والجمل والعبادات اللهم إلَّا ماندر .

فماذا يحل بمصر أو بغيرها من بلاد العرب والمسلمين إذا وجِّه الاعلام شطر دين الله وتوجيهاته ، وآداب رسوله وأخلاقياته ، لقد عاشت مصر رمضان قبلَ أن تهتدى إلى التليفزيون وبث قنواته وعاشت قرى مصر بالذات رمضان قبل أن تصل إليها الكهرباء فانظر كيف كانت !

عمل بالنهار دون ملل ، وقيام بالليل دون سأم أو سقم ، المساجد معمورة بالمصلين ، والأطفال ينتظرون على بوابات الحارات إعلان المؤذن « الله أكبر » فينطلقون مسرعين إلى بيوتهم ، قائلين فى ترنيمة شجيَّة ، وتغريدة نديَّة « أذن .. أذن .. أذن » ويهرع الناس بعد الافطار إلى المساجد ، يصلون المغرب جماعات ويلتفون حول الواعظ ، يسمعون الدرس ، ويسألون ويناقشون ويفهون أمور دينهم ودنياهم ، ثم يصلون العشاء فتراهم كأنهم فى يوم جمعة ، صفوفهم كثيرة ، وقلوبهم فيَّاضة ، وثيابهم طاهرة ثم يصلون القيام ، وينصرفون ليقضوا بعض الليل نيامًا ، حتى يستطيعوا استئناف عملهم فى نهار صائم جديد ، توقظهم (طبلة) المسحراتى فينعمون ببركة السحور ، ويبادرون إلى صلاة الفجر دون أن يتخلف منهم أحد ، ويحفظ الناس الذين عاشوا تلك الفترة نصوصًا أدبية ، كان الموشحون يتغنون بها فى الليالى الأخيرة من الشهر الكريم ومنها قولهم :

ومن بعدك يا رمضان يقل من بالمساجد
ويقل منها الراكع والساجد

فيبكى الناس أو يتباكون ، ويودعون شهرهم وهم يتمنون لو كانت السنة كلها رمضان ؛ لأنهم علموا بعض ما فيه من خير وأصابوه أمًا وقد تحسن الحال ، وازداد حسنًا على حسن ، فأصبح الواعظ بين يدى كل الناس ، وأى واعظ ؟ إنه العالم الكبير ، أو الشيخ الجليل أو المحقق الأمين ، الذى كان مجرد معرفة اسمه ، أو الاستماع إليه فى سفرة من الأسفار ندرة حديث بين الناس قديماً ، الآن أصبح مسموعًا مرئيًّا للجميع ، فهلَّا زادت المدة ، وتواترت الأحاديث وترادفت الأقوال وفق منهج إسلامىٍّ مخطط بدقة وأمانة وحرص على سلامة المجتمع المسلم ، وهلَّا أخلصت الأجهزة المسئولة النية لله فى رمضان ؛ لتعالج قضايا الأمة والشباب ، فيهتدى الناس إلى الصواب ، ويستقبلون شوال وذا القعدة وما بعدهما وهم مبصرون ، فإنَّ الأرض فى رمضان صالحة للزراعة ، والقلوب فى رمضان تقول : هل من زارع للحب فينا ؟

وكل عام والمسلمون جميعًا بخير والله ولى التوفيق هو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) عمالقة الأدب الغربى ٣/٥ بترجمة دريني خشبة وأحمد قاسم جودة ط روز اليوسف سنة ١٩٦١ .

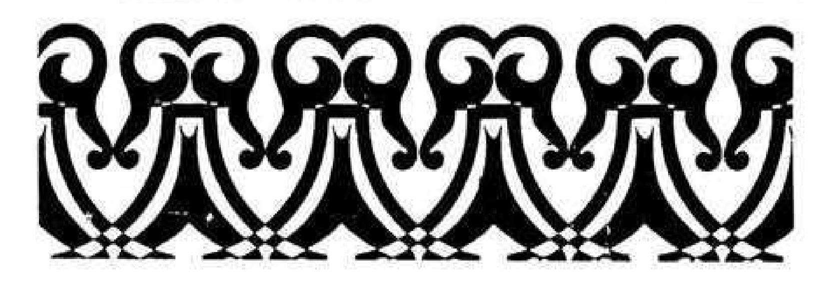

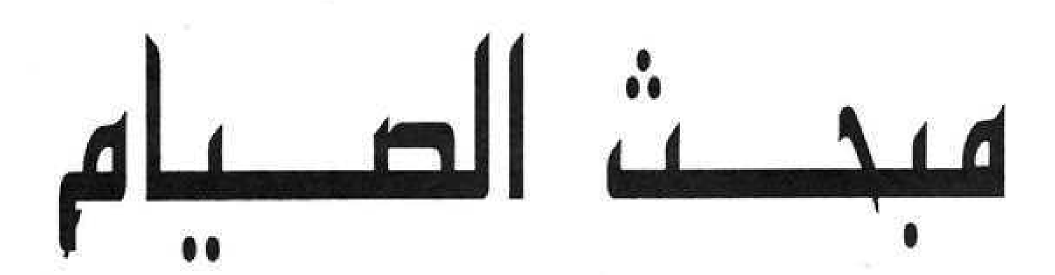

لفضيلة الشيخ/ محمد مرسى عامر

مفهوم الصـــوم

المفهوم اللغوى للصوم هو مطلق الامساك ـ قال أبو عبيدة ـ كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ـ فى قول الله تعالى : إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا

وقال ابن دريد كل شىء تمكث حركته فقد صام ومنه قول النابغة :

خيـــل صيـــام وخيـــل غير صائمـــة ∴ تحت العجـــاج وأخـــرى تعـــلك اللجمـــا

والمفهوم الفقهى له : هو الإمساك عن شهوات البطن من المفطرات وشهوات الفرج يوما كاملا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

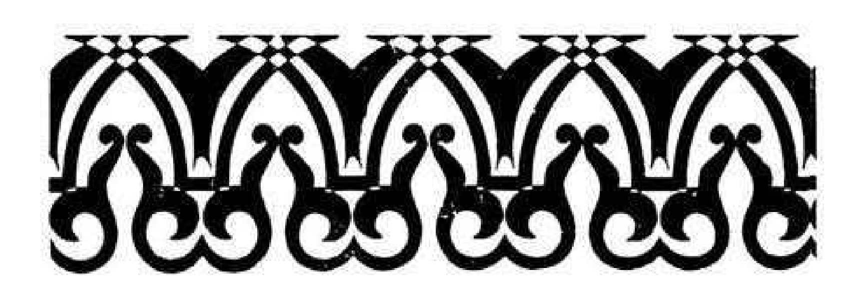

مبحث الصيام

وهذا المفهوم الفقهى فى الإسلام يختلف عن مفهوم الصوم فى الأمم السابقة ، فإن ما نراه فى صوم اليهود والنصارى الآن يختلف عن طبيعة صيامنا وجوهره زمنا وكيفية والمماثلة التى تشير إليها الآية الكريمة فى قوله تعالى ﴿ **كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ يمكن أن تتحقق بأصل وجوب الصوم على معنى أنه فرض علينا كما كان فريضة عن الأمم قبلنا وفى هذا تأكيد لحكم الصوم وترغيب فيه ، وتطييب الأنفس المكلفين به على قبوله ، وتحمّل مشاقة ، فإن الأمور الشاقة إذا كانت عامة هامة تحملها ، وطابت النفوس بها ، وصبرت عليها .

على أنه ليس فى النصوص مايمنع أن يكون الصيام الواجب على الأمم الأخرى قد فرض عليهم مماثلا للصيام المفروض على المسلمين زمانا وكيفية ، وما نراه الآن من مخالفة صيامهم لصيامنا إنما هو نتيجة لتحريفهم فى شرائعهم ، وتبديلهم لأحكامه حسب أهوائهم ، وماتقتضيه أحوالهم ، وظروف معيشتهم ، وقد عرف عنهم هذا التحريف والتبديل ، وتحدث به عنهم القرآن الكريم ـ قال تعالى : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** ... الآية ﴾ .

أنواع الصيـــام

هذا والصيام أنواع : صيام مفروض ، ومندوب ، ومحرم ، ومكروه ، أما الصيام المفروض فهو أنواع أيضا :

منها صيام شهر رمضان

وهو فرض على كل من بلغ درجة التكليف من الذكور والاناث المقيمين غير المسافرين القادرين على أدائه فى غير مشقة ولا إرهاق ويبلغ الذكور درجة التكليف بالبلوغ وأهم أماراته الاحتلام ، ويبلغ الاناث ذلك بالحيض .

والذى لم يبلغ درجة التكليف يؤمر به لسبع ويضرب عليه لعشر ان أطاقه وذهب بعض الأئمة إلى أنه لا يؤمر به إلا بعد بلوغ درجة التكليف أو لأنه طاقة لا عادة .

والمسافر سفرا تقصر له الصلاة يجوز له الفطر إن بيت النية على السفر وكان الصوم يشق عليه ويجهده ، وأجاز بعض العلماء الفطر فى كل سفر تحصل به مشقة وإن كان دون مسافة القصر ، والصوم على كل حال أفضل لقوله تعالى : ﴿ **وأن تصوموا خير لكم** ﴾ وإذا أفطر المسافر وجب عليه قضاء كل يوم أفطر فيه من شهر رمضان .

والقدرة على الصيام شرط فى وجوبه على المكلف ، فمن عجز عن الصيام لمرض أو حمل أو إرضاع أو هرم أو غير ذلك من الأعذار جاز له الفطر ، غير أن المريض مرضا يحتمل فيه البرء ، والحامل التى تخاف على جنينها والمرضع التى تخاف على ولدها يجب عليهم جميعا قضاء الصوم أما المريض مرضا مزمنا لا يحتمل له برء والشيخ الفانى فيفطران ويطعم كل منهما مسكينا عن كل يوم يفطره ، ولا يجب عليهما القضاء لأن عجزهما عن الصوم مستمر فى شهر رمضان ، وفى غيره ومثلهما فى ذلك من يحمله الصوم مشقة يخاف على حياته منها .

ولابد فى الصوم من نيه مبيته ، ووقتها من غروب الشمس إلى الفجر فى أكثر المذاهب ، والحنفية يرون إجزاء النية من بعد غروب الشمس إلى ما قبل نصف النهار ، ويسن التلفظ بها لأنه أعون للقلب ، وإن كان يجزىء تبيتها ، وإجراؤها فى القلب والسحور خية مالم تصحبه نية عدم الصوم ، ويرى بعض المذاهب تجديدها كل ليلة ، وتكفى عند المالكية نية واحدة فى كل صوم يجب تتابعه كصوم شهر رمضان ، وصوم الكفارات وإن كان الأفضل تجديدها فى كل ليلة .

ثبوت رمضـــان

يثبت رمضان بأحد أمرين :

١ ـ إتمام عدة شعبان ثلاثين يوما عند تعذر رؤية الهلال لغيم أو نحوه .

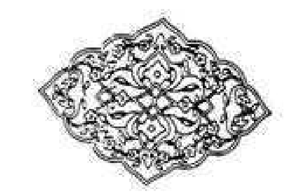

٢ ـ رؤية عدلين أو جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب هلال رمضان لقوله ﷺ : **« صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما »** .

ومتى ثبتت رؤية الهلال بقطر من الأقطار الاسلامية وجب الصوم على بقية الأقطار إذا بلغهم خبر الرؤية من طريق موجب للصوم ولا عبرة باختلاف المطالع .

ويجب على المسلمين أن يلتمسوا الهلال فى غروب اليوم التاسع والعشرين من شعبان حتى يكونوا على بينة من أمر صيامهم .

وإذا رأى الهلال عدل واحد وجب عليه وحده الصوم ولورد الحاكم خبره .

ويثبت هلال شوال بما ثبت به هلال رمضان فيجب الفطر بإتمام عدة رمضان ثلاثين يوما أو برؤية عدلين أو جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب لهلال شوال .

غير أن رؤية العدل الواحد لهلال شوال لا تبيح له الأكل والشرب مخافة أن يتهم بالفسق ، وإنما يبيت الفطر بالنية فقط .

« يوم الشـك »

يوم الشك هو اليوم الثلاثون من شهرى شعبان ورمضان إذا لم تثبت فيهما رؤية هلال رمضان وشوال ـ إذ يحتمل أن يكون يوم الثلاثين من شعبان هو أول أيام رمضان ـ ويوم الثلاثين من رمضان هو أول أيام شوال الذى هو يوم عيد الفطر .

ولا يصام يوم الشك لتعذر النية القاطعة بتعين زمانه ، ويجوز صومه بنية التطوع أو موافقة عادة أو قضاء ما عليه ، أو وفاء نذره ، ويكره صيامه للاحتياط من رمضان .

مايبطل به الصـوم

يبطل الصوم بأمور :

١ ـ الأكل والشرب فى نهار رمضان فإن كان الأكل والشرب عمدا ففيهما مع فساد الصوم القضاء فى بعض المذاهب ، والقضاء والكفارة فى البعض الآخر .

٢ ـ الجماع فى رمضان نهارا ـ وهو موجب للقضاء والكفارة .

٣ ـ نزول المنى بمداعبة أو نظر أو استمناء فى اليقظة ـ وهذا يوجب القضاء فى بعض المذاهب ، ويوجب القضاء والكفارة فى بعضها الآخر عند من يتعمد ذلك ويعلم أن من عادته الانزال به ، وأما نزول المنى فى النوم فى نهار رمضان بالاحتلام أو الاعياء فلا يفسد الصوم .

٤ ـ الاستقاءة ، وهى تعمد القىء وهـى تفسد الصوم ، وتوجب قضاءه إلا أن يرجع شىء من القىء إلى الحلق فيجب القضاء والكفارة .

وأما من غلبه القىء فقاء فلا شىء عليه إلا إذا رجع من القىء شىء إلى الحلق ولو غلبه ففيه القضاء .

ويفسد الصوم بوصول شىء إلى المعدة من أعلى أو من أسفل إذا كان من منفذ كالدبر ووصول مائع إلى الحلق من فم أو أذن أو عين أو أنف ، ومثل ذلك الدخان الذى اعتاد الناس شربه ، والاكتحال نهارا إذا وجد طعمه فى الحلق . أما إذا اكتحل ليلا ثم وجد طعم الكحل نهارا فلا شىء عليه ، وتناول الدواء لمرض أو تناول أى مفطر لعذر ومن غير انتهاك لحرمة الشهر كسهو أو نسيان يفسد الصوم ويوجب القضاء فقط .

« مايكره للصائم »

يكره للصائم ذوق شىء لا يتحلل منه مايصل إلى الجوف إلا فى ضرورة كمن صناعته الطبخ مثلا ويمج ما ذاقه ومضغ شىء بلا عذر كمضغ المرأة الطعام لولدها إذا لم تجد من يمضغه ، ومضغ اللبان إذا لم يتحلل منه شىء ، وجمع الريق وابتلاعه ، والقُبْلة ومقدمات المباشرة

مبحث الصيام

لمن يأمن على نفسه ، أمّا من لا يأمن على نفسه فيحرم عليه ذلك .

ويكره للصائم أن يصبح على جنابة أو يفعل ما يضعف احتماله للصوم كالحجامة والفصد إن كان مريضا وأمن السلامة من زيادة المرض بذلك فإن خاف زيادة المرض بحيث يؤدى ذلك إلى الفطر حرم فعلهما هذا وينبغى للصائم أن يصون لسانه عن السفه وأحاديث الهوى ، وأن يكف جوارحه عن المحرمات والأذى ، ويبتعد عن مجالس السوء ، وأن يكثر من الصلاة والصدقة والاحسان إلى ذوى القربى والأرحام ، والذكر والصلاة على النبى ﷺ وقراءة القرآن ، وملازمة المساجد فإن ذلك أزكى للصوم .

ومن الصيام الواجب : صيام النذر ، وهو ما ألزم المكلف به نفسه وأرجى للقبول كأن يقول لله على نذر إن شفى الله مريضى أو قضى حاجتى أن أصوم له يوما أو أسبوعا أو غير ذلك ـ ومتى حصل عنده ما نذر لأجله وجب عليه أداء ما نذره .

ومن ذلك أيضا صيام الكفارات إذا تعين الصوم للكفارة والكفارات التى يجزى فيها الصوم كفارة اليمين ، وكفارة القتل وكفارة الفطر فى رمضان فيما تجب فيه الكفارة ، وتتعدد كفارة الفطر بتعدد الأيام التى يقع فيها هذا النوع من الفطر ، ولا تتعدد بتعدد الفطر فى يوم واحد ، وتكفى له كفارة مهما تعدد الفطر فيه .

ويستحب للصائم تعجيل الفطر بمجرد غروب الشمس ، وأن يكون على شىء حلو من رطب أو غيره وإلا فعلى الماء أحب عبادى إلى ، وأن يدعو عقب فطره حديث فطر الرسول وأحب الدعاء المأثور كأن يقول **« اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت ، وبك آمنت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله »**

ويستحب السحور لقوله ﷺ : **« تسحروا فإن السحور بركه »** والأفضل تأخيره إلى ما قبل الفجر بحيث ينتهى منه قبل الفجر بما لا يوقع فى شك .

الصـوم المندوب

يندب للمسلم القادر الذى لا يعوقه الصيام عن متابعة عمله المعتاد أو بسبب قلة انتاجه أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، والأفضل أن تكون الثلاثة البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وأن يصوم من المحرم ، وأفضل صيام فيه يوم التاسع والعاشر منه وأن يصوم ستة أيام من شوال والأفضل أن تكون متابعة وأن تكون متصلة بعيد الفطر ، والمالكية يخالفون فى ذلك .

ومن الصوم المندوب صوم الثمانية الأيام الأولى من ذى الحجة ـ أما اليوم التاسع فصومه مندوب لغير الحاج ـ والأصل فى هذا تفضيل هذه الأيام بالقسم بها فى القرآن الكريم قال تعالى والفجر وليال عشر ، وأكثر العلماء كراهة التاسع من ذى الحجة بالنسبة للحاج ، ولا حرج مطلقا فى التطوع بالصيام فى كل أيام السنة ماعدا الأيام التى نصت الشريعة على حرمة الصيام أو كراهته فيها لحكمة رآها الشارع ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

« الصوم المكروه والصيام الحرام »

المعروف عقلا أن أية عبادة من العبادات لا تكره أو تحرم لذاتها لأنها شرعت تقربا إلى الله ، ورغبة فيما عنده من الثواب وإنما تتعلق الحرمة بعوارض أخرى تعرض لها من حيث الزمن الذى تقع فيه أو الملابسات التى تحيط بها ، وعلى هذا يقال صوم مكروه وصوم حرام ، وصلاة مكروهة وصلاة حرام وهكذا .

وعلى ضوء هذا التوجيه يمكن أن نعرف الصيام المكروه والصيام الحرام .

فمن الصيام المكروه صيام يوم الشك للاحتياط من رمضان ـ على معنى أن ينوى الصيام به صيام يوم رمضان إن تبين أنه من رمضان أو ينوى به النفل إن تبين أنه من شعبان أو شوال ـ وهو بهذا يفقد النية القاطعة ، وقد يكون من أول أيام شوال فيكون عيدا وصومه حرام .

ومن الصيام المكروه إفراد يوم بعينه كيوم الخميس من كل أسبوع مثلا لأنه قد يوافق مرضا أو سفرا أو عملا

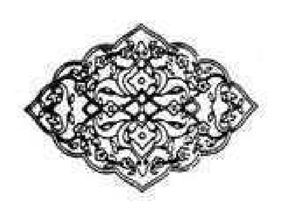

مضنيا فيشق ذلك على من حدده ويكره صوم الدهر لمن يضعفه ذلك ، وتخصيص صيام النيروز ، وصوم المسافر إذا كان يجهده السفر ويشق عليه الصيام ، وصوم المرضع والحامل والمريض إذا خافوا أذى من الصوم .

كما يكره الصوم تطوعا لمن عليه قضاء ، ويكره صوم المرأة تطوعا بغير إذن زوجها المقيم فإن كان مسافرا أو حاجا أو معتمرا أو فهمت رضاه منها بذلك لمرض أو نحوه فلا كراهة .

وأما الصوم الحرام فهو الصوم فى يومى عيد الفطر وعيد الأضحى ويومين بعد عيد الأضحى أو ثلاثة الا لمتمتع أو قارن فى الحج فيجوز لهما صيام اليومين أو الثلاثة بعد عيد الأضحى ويمكن أن يعتبر من الصوم الحرام صوم المريض الذى يستيقن الموت أو يظنه ظنا راجحا بسبب الصيام لأنه تعريض لما نهى الله عنه من إلقاء النفس فى التهلكة .

ويمكن أن نلخص من ثنايا الأحكام السابقة للأمور الآتية :

• **أولا** • مالا يفسد به الصوم من الأعمال والأعراض .

لا يفسد الصوم بالمضمضة والاستنشاق ، ولا بالسواك ، والأفضل تركه فى آخر النهار ولا بالاغتسال للتبرد ، ولا بتأخير غسل الجنابة إلى النهار ، ولا بشم الروائح العطرية والأولى عدم التطيب فى نهار رمضان ـ ولا بغبار طريق أو غربلة دقيق ، أو سبق ذباب إلى الحلق رغما عنه .

وكذلك لا يفسد الصوم بغلبة القيء إلا إذا رجع منه شيء ، ولا من ابتلاع ريق ، أو ابتلاع ما بين الأسنان من أثر الطعام إلا إذا اعتبره العرف كثيرا ، ولا بالفصد والحجامة إذا أمن عدم زيادة المرض أو الضعف بهما عن تحمل الصوم ، ولا بوضع دهن أو دواء على جرح غائر وإن كان فى بطنه ، ولا بسيل دم من جسده لرعاف أو غيره ، ولا بالاحتلام نهارا ومن طلع عليه الفجر وهو يأكل أو يشرب فقذف المأكول أو المشروب من فمه بمجرد طلوع الفجر فصومه صحيح .

• **ثانيا** • ما يوجب القضاء والكفارة :

يجب القضاء والكفارة بالأمور الآتية :

١ ـ قضاء شهوة الفرج بالجماع عمدا فى نهار رمضان .

٢ ـ تناول مفطر من أكل أو شرب أو غيرهما عمدا أو بقصد انتهاك حرمة الشهر وعدم المبالاة والاكتراث .

٣ ـ الاستمناء ، وهو قصد إنزال المنى بالمداعبة أو مداومة التفكير والنظر إذا كان من عادته الانزال بذلك .

٤ ـ رجوع شيء إلى الحلق من قيء تعمده من غير عذر أو ضرورة فإن لم يرجع منه شيء ففيه القضاء فقط .

• **ثالثا** • ما يوجب القضاء فقط :

كل ما يحدث للصيام أو يعرض له من أمور ليست من بين المباحات المتقدمة ولا من بين ما يوجب القضاء والكفارة ، وهى تخل بحقيقة الصوم يجب بها القضاء فقط . ومن ذلك تناول دواء أو طعام أو شراب لمرض أو لعذر شرعى كالمرض أو السفر وتناول شيء من ذلك خطأ أو نسيانا ـ وغلبة الماء إلى الجوف فى المضمضة وغير ذلك مما يخل بالصيام ولا يقصد معه انتهاك حرمة الشهر ، والمعول عليه فى هذا كله هو النية أو القصد ، وسل قلبك وإن أفتوك وأفتوك رجوع شيء إلى الحلق من قيء غلبه ، أو وصول شيء إلى الحلق من أنف أو أذن أو عين .

• **رابعا** • من يرخص لهم فى الفطر :

يرخص الفطر للأشخاص الآتية :

١ ـ المريض مرضا يشق به الصوم بحيث يظن مضاعفة

مبحث الصيام

المرض إذا صام فإذا تيقن ذلك أو ظنه ظنا قويا تأكد عليه الفطر .

وقد يصبح الفطر واجبا إذا تأكد الإهلاك والتلف بالمضاعفات إذا صام .

٢ ـ الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما بالصوم المرض أو زيادته رخص لهما فى الفطر ، ويشترط فى المرضع أمًا أو غيرها ، أن تتعين للارضاع لعدم وجود غيرها ، أو لعدم قبول الولد سواها .

٣ ـ المسافر سفرا طويلا تقصر فيه الصلاة على المشهور فى ذلك إذا كان فى السفر مشقة يضاعفها الصوم ، وشرع فى سفره قبل الفجر .

فإن كان سفره فى أثناء النهار وقد بيَّت الصوم فعليه أن يتم صوم ذلك اليوم لقوله تعالى : ﴿ **ولاتبطلوا أعمالكم** ﴾ . وإذا كان السفر دون مسافة القصر فأكثر الفقهاء على عدم جواز الفطر وأجازه جماعة منهم للاطلاق فى الآية الكريمة إذا كان السفر مما يشق ويوقع فى الجهد والارهاق .

٤ ـ الشيخ الفانى الذى لايستطيع الصوم ، ولا يقدر على تحمله .

٥ ـ الحائض والنفساء يفطران ولا يقبل منهما صيام فى فترة الحيض المعتادة ، ولا فى مدة النفاس ، وإذا صامتا لزمتهما الحرمة ، وصيامهما باطل .

« **خامسا** » من يجب عليهم القضاء ، ومن تجب عليهم الفدية :

يجب قضاء مافات من رمضان على من يرخص لهم بالفطر فى البحث السابق إلّا :

(ا) الشيخ الفانى الذى لا يستطيع فى وقت من الأوقات فلا قضاء عليه وتلزمه فدية عن كل يوم من أيام رمضان .

وهى إطعام مسكين إطعاما كاملا إفطارا وسحور ما يحتاده الناس فى بيئته .

(ب) المريض مرضا مزمنا لا يرجى برؤه لا قضاء عليه إذا أفطر ، ويطعم مسكينا عن كل يوم على النحو الموضح سابقا .

واختلف العلماء فى المرضع التى تخاف على ولدها فقط فقال جماعة منهم بالفدية عليها مع الزامها بقضاء مافاتها ، وقال آخرون بعدم الفدية نظرا لأن الواجب إما القضاء وإما الفدية ، ولا يجمع بينهما .

مكانة الصيام فى الإسلام :

الصوم فرض من فرائض الإسلام ، وعبادة تتكرر كل عام لتجدد آثارها وتؤتى ثمارها ، وإذا كان الصوم عبادة فى الأديان السابقة ، فهو فى الإسلام عبادة ، وهو فى الإسلام كفارة لكثير من الخطايا ، وقربة يتقرب بها العبد إلى ربه فى النفل ، وفيما يلزم به نفسه من نذر .

وحسب الصوم مكانة فى الإسلام أن تعمد فطر يوم يكفر عنه بصيام ستين يوما ، وهيهات مع هذا أن يحصل أجره ، أو يدرك ثوابه وقد جاء فى الأثر من أفطر يوما من أيام رمضان متعمدا فلم يغنه عنه صيام الدهر وإن صامه .

الصوم بين الافراط والتفريط :

اعتاد المسلمون أن يحفلوا برمضان ، ويهشو للقائه ، وينشطوا لأدائه ، ويستعدوا لأيامه ، ويظهر أثر ذلك فى بيوتهم ومتاجرهم ويتمثل واضحا فى بيوت الله التى تكتظ بالمسلمين نهارها كليلها وليلها كنهارها تلهج ألسنتهم

بالذكر ، وتلاوة القرآن ، وتجود أيديهم بالعطاء والإحسان ، وتدور مجالسهم بالعلم ، ويعظم حرص كثير منهم على أداء الفريضة مهما كلفهم ذلك من عنت وارهاق ، لايعذرون أنفسهم بمرض وإن أدى بهم إلى الموت ولا سفر وإن أشرف على الهلاك والتلف ، ولا هرم وإن عقد ألسنتهم عن الكلام ، وقعد بهم عن الحركة إرهاقا وخورا وهؤلاء مُفرطون يفهمون الدين على غير وجهه ، ويوغلون فيه بعنف ، ويأبون ما رضيه الله فإن الدين يسر ، وإن الله سبحانه عقب آيات الصوم بقوله جل شأنه : ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ، وإن الله الذى فرضه قد رخص فى فطره لأصحاب الأعذار والله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ .

الحائض

وإلى جانب هؤلاء المساكين المُفْرطين على أنفسهم قوم آخرون أصحاء لاتقوم بهم أعذار ولاتقعد بهم أمراض أولو قوة وألو بأس شديد ، وهم إلى جانب هذا يفطرون فى نهار رمضان جهارا فى غير خجل ولا استحياء ، وربما حملتهم قوتهم على البطر فراحوا يتحدون فى صفاقة وكبرياء .

هؤلاء هم المفرّطون الذين يعيشون فى غير حساب الزمن لايسترهم ليل ، ولا ينأ بهم نهار ، ولا يجدى فيهم نصح ، ولا يخزيهم عار أنهام فى المعاصى لا ينتهى نهمهم ، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

وهكذا تختلف درجات الناس فى استقبال هذه الفريضة وأدائها ، ولكل درجات ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ . وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ .

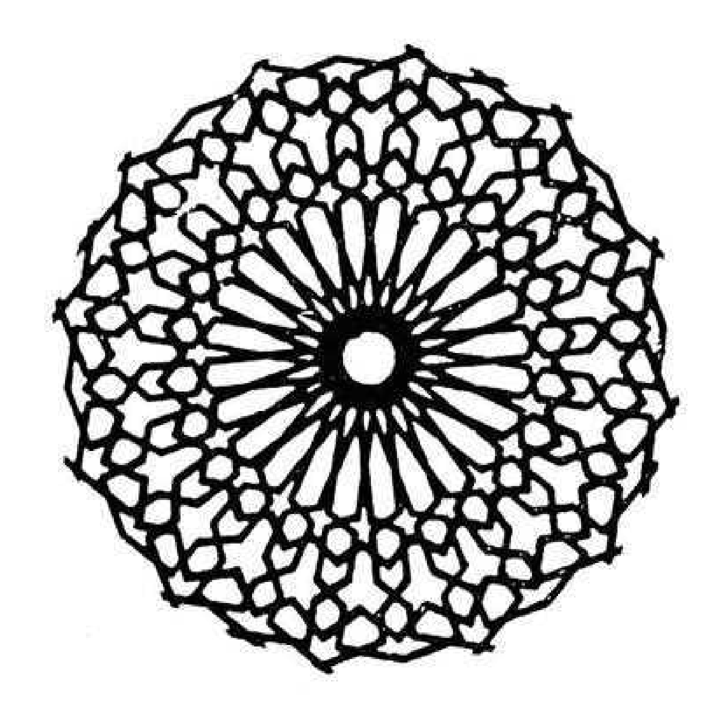

للاستاذ الدكتور/ عبد المقصود محمد نصار

يقول الرسول ﷺ : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » .

الإنسان فى هذه الحياة ضعيف ، لأنه محتاج إلى غيره ـ محتاج لقدرة فوقه ، مهما كان عظيما ، محتاج فى كل لحظة الى عون الله تبارك وتعالى .

كما يجب أن نؤمن بأن الصحة الغالية ، وراحة البال ، والمجد المرموق ، ودفع مفاجآت الدهر ليس لها سبيل إلا ما نقدم ، وأنا بكل صدق وحب أتوسل إلى كل مسلم بأن يقدم الخير ، ويبذل الخير الذى ينمو أجره . ويتكاثر ثوابه ـ لا ـ لفلان صاحب السلطان أو الجاه . أو الرياسة . وإنما يبذله لغير هؤلاء ، يبذله خالصا لله تعالى ـ ليكسب الأمل ، ويظفر برضا الله تبارك وتعالى . وذلك أكبر .

أيها المسلم !؟ سؤالان فما الجواب عنهما ؟
ما الوقاية من أحداث الحياة ؟ وما السبيل إلى لطف الله تعالى إذا هي نزلت ؟.

ومن شمخ الانسان ما يصبو إليه وينشده ؟.

الجواب ، إن سبيل الوقاية هو ما أقوله فى هذه الكلمات التى أكتبها لأنها من الله تعالى ، وعن رسوله محمد ﷺ ـ الوقاية هى الإحسان إلى البائس ، والاسهام فى علاج مشاكل الفقر ، بتخفيف دموع المحتاجين ، وإشاعة الرحمة والعطف لمن يتطلع إليهما ، وبذل الخير للفقير والمسكين ، ووسائله كثيرة لا تحصى كما هو مسطور فى القرآن الكريم وأقوال الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وكأنى بنبل ضميرك الانسانى السامى يهتف بك لتستجيب ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾

وإنى مؤمن بأنك أيها الأخ المسلم متفق معى على قول الله ـ تبارك وتعالى ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾[1] نعم ـ أنت موافقنى على أنه ليس هناك جزاء للاحسان إلا الاحسان ، إذا كنت موافقنى ، وقطعا موافقنى ، فأنت البتة مكلف من قبل ضميرك بأن تسهم فى علاج هذه المشكلة (مشكلة الفقر) زكاة لبدنك زكاة لروحك ، زكاة عن أولادك .

الانسان صنعة الله تعالى :

وصانع الشىء هو الذى يضع له قوانين إصلاحه ـ هذا أمر لا يختلف عليه العقلاء ، وعلى ذلك فيمكن أن نتفق على أن إصلاح الناس فى اتباع التعاليم التى وضعها خالق الانسان سبحانه وتعالى ، ولا سبيل للاصلاح سوى هذا .

ومن الأمراض التى تحتاج إلى علاج حاسم (مشكلة الفقر) .

وإنى أتوسل إلى القراء أن يكونوا مسلمين بالمعنى الدينى والمعنى اللغوى ، أى مذعنين لتعاليم الإسلام ولما أقول من توجيهات مأخوذة من القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه . خاصة ونحن أحوج ما نكون فى هذا الزمن إلى التعاطف والتراحم على مبادىء الاسلام ، الأمة الاسلامية جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

نحن أحوج ما نكون إلى اتباع تعاليم الاسلام ، خاصة فى هذا العصر الذى نعيشه ، لأن نسمع ونقرأ عن متاعب العالم الاسلامى والاسلامى خاصة ـ والتى تحتاج إلى علاج لا يجرح الكرامة الانسانية ، أو يخدش مقومات الإنسان الغريزية ، أو يحد من الحقوق المقررة للإنسان مما هو مبسوط ومقرر فى تعاليم الشريعة الإسلامية .

لقد عالج الإسلام الفقر ، علاجا ماديا وروحيا ، قائما على التكافل والتكامل ، والإخاء والمساواة ، والتوازن ، ذلك لأنه من أهم مبادئه عدم الاعتراف بالطبقية ، فلا أحساب ، ولا أنساب ، (لا يأتونى الناس بأعمالهم وتأتونى بأحسابكم وأنسابكم ، إعملوا لا أغنى عنكم من الله شيئا) . فالعمل هو الميزان ، به يصعد المسلم أو ينحدر به فى مكان سحيق .
مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ كما لا يعترف بالفوارق التى صنعها الناس ، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1] ولنتوج هذا بقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[2] اختلف العلماء فى المقصود من الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

---

(١) يقول بن كثير : أى لا ، لمن أحسن العمل فى الدنيا إلا الاحسان إليه فى الآخرة ، كما قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . اهـ

(١) سورة الحجرات آية : ١٣ .
(٢) سورة التوبة آية : ٣٤ ، ٣٥ .

كيــف عــالج الإسلام الفقـر ؟

فقد روى عن ابن عمر أنها نزلت قبل أن تفرض الزكاة ، فلما نزلت آية الزكاة جعلها الله طهراً للأموال – كما قال ذلك عمر بن عبدالعزيز فالكنز كان ممنوعا منعا باتًا ، فلما فرضت الزكاة عمل الناس بها وأصبح الكنز جائزا مادام حق الفقير قد خرج بالزكاة .

ومنعه قوم على الاطلاق ، وحرموا إدخار المال إطلاقاً إذ لابد من انفاقه فيما يعود على الانسان بالخير[3] .

ولا مانع من القول بأن جمع المال وادخاره بعد اخراج زكاته ليس حراما على إطلاقه ، ولا حلالا على إطلاقه ، مراعاة لحاجة المجتمع فالكنز الذى خرجت زكاته يجب أن يقدم إلى الأمة فى السنين الشديدة والأزمنة العجاف ، ولظروف استثنائه كظرف الحرب ضد العدو ، والجهل والمرض والفقر ، وما شابه ذلك ، ولعل المعنى الفقهى للآية الكريمة يساعدنا على أن نقول : إننا لابد وأن ننظر إلى المعركة الهائلة التى لاتنقطع فى سبيل القوت ، ولا تتوقف رحاها ترمى على جنبات الحياة قتلى وصرعى أولئك الذين هاجمهم الضعف فماتوا شهداء ، أو عاشوا فقراء . وغالبا – ما داموا فقراء فهم مرضى وجهلاء .

وللحق أقول : لقد حاربت الحكومات هذا اللون من المرض الاجتماعى وستظل فى جهاد مع أعداء الانسانية حتى ترجع إلى صانعها – وهو الله – تبارك وتعالى . لأنه هو وحده الذى وضع قوانين الاصلاح والعلاج ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

وإننا لا تعوزنا الأمثلة على صدق ما نقوله : ففى أرضنا الزراعية الغنية يقوم كل يوم مائة دليل ودليل على غرابة أمرنا – فيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ، ونحن نمشى على أرض من الذهب . والقول الفصل فى ذلك هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾[1]

وعلى هذا فنحن المقصرون والمسئولون عن سوء حياتنا الاقتصادية ولذلك فإن الأعداء الثلاثة كانت ولاتزال موضوع الطب الاجتماعى وعلماء السياسة والاقتصاد ويعملون على تسكين آلامها – وتخفيف حدتها بتدبيج المقالات والخطب والعويل الممل فقط .

ونسى هؤلاء أن الدواء الناجع سيظل متواريا حتى نرجع إلى الله تعالى ، باتباع ما دعا إليه وتطبيق شرعه .

وعلى ضوء ذلك ، فإنك إذا رأيت فى وطن الاسلام طرائد للفقر وفرائس للجوع فصدق الله تعالى وكذب نفسك ، لأن ما تراه فى العالم الاسلامى ، أنه لم يعد ذلك الوطن الذى أشرق بنور الله تعالى ، وتعطر بريح الجنة ووسم بدستور القرآن الكريم ، وإنما هو بيت هجره أهله ، ومريض فرط فيه أطباؤه ، وأمم نسيت معانى دستورها فتعبدت بألفاظه ، وحكام أشكلت عليهم أصول الحكم فاكتفوا بصوره .

فلو كان للاسلام رأى مسموع فى الحكم وسلطان على الأمة ، لكان الوطن كله أسرة واحدة ، والناس

---

(٣) وفى هذا ، قال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر : الكنز هو المال الذى لاتؤدى زكاته ، وعنه أيضا أنه قال : ما أدى زكاته فليس بكنز ، وإن كان تحت سبع أرضين . وإن كان ظاهرا لا تؤدى زكاته فهو كنز وقد روى هذا أيضا عن ابن عباس ، وجابر وأبى هريرة موقوفا ومرفوعا ، وقال عمر بن الخطاب بنحو هذا .

فالمال الذى لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه ، وإن كان على وجه الأرض ، كما قال ذلك : عمر بن عبد العزيز ، وقال غيرهما : أنها نسخت بقول الله تبارك وتعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ الآية اهـ اختصار من تفسير بن كثير جـ٢ ص ٢٥١ – وما بعدها .

(١) سورة فصلت آية ١٠ – قدر الله تعالى فيها ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق وأماكن الزرع والغرس ، وقال بعضهم من له حاجة إلى رزق فإن الله تعالى قدر له ما هو محتاج إليه اهـ ابن كثير جـ٤ ص ٩٤ .

كلهم إخوة ، تجد الفقير ولا تجد المحروم ، وترى الضعيف ولا ترى المظلوم ، لأن شريعة الله تبارك وتعالى جعلت بين الغنى والفقير سبباً هو البر وأنشأت بين القوى والضعيف نسبا هو الرحمة ، وهنا يتضح أن الاسلام رحمة وعدالة ، ولم يكن مثل الأنظمة الأخرى فى ماديته المعقدة .

علاج الفقر : اهتم الاسلام بعلاج الفقر علاج من يعلم أنه أصل الداء ، ولذلك فقد كاد العلاج أن يكون من أرفع أركانه شأنا بعد توحيد الله تعالى وأداء الصلاة .

فلو رحت تستقصى ما نزل من الآيات القرآنية الكريمة ، وما ورد من الأحاديث النبوية فى الزكوات والصدقات والبر والاحسان لحسبت أن رسالة الاسلام اهتمت وركزت على انقاذ الانسانية من غوائل الفقر أكثر وأكثر .

وكأنما اختار الله تعالى لكفاح الفقر أشح البلاد طبيعة ـ وأشد الشعوب فقرا ليصرعه فى أمنع خصومه وميادينه ـ لأنه إذا انهزم فى قفار الحجاز كانت هزيمة فى أى بقعة أسرع وأظهر لقوة المبادىء .

جاءت التعاليم الاسلامية فقلمت أظافر الفقر ، ومسحت دموع البائسين بأن آخت بين الناس وساوت بين الأجناس وطهرت الأموال من الربا .

كما قرر الاسلام مبدأ ما كانت تحلم به أية جماعة انسانية ، ذلك المبدأ هو الاعتراف بحق الفقير فى مال الغنى ، واعتباره مالكا له ، ولا يكمل دين المرء إلا بهذا الاعتراف وذلك الحق هو الركن الثالث من أركان الاسلام يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[1] .

فالزكاة من أهم الوسائل التى تحفظ التوازن الاقتصادى وتذيب الفوارق بين الطبقات ، وتطهر القلوب مما يغشاها من الحقد والحسد ، بل ستجعل منهم أخوة متحابين فى الله متعاطفين مع بعضهم ، كما تحول بين تجميع الثروات فى يد واحدة .

وإنها ليست بالقدر الذى يخفى أثره فى حياة الفقراء والمساكين ، ولكنها إذا جمعت بالأمانة على حسابها المقرر ، ووزعت على نظامها المفروض لأنقذت المجتمع . فلا تجد سائلا ولا جائعا ولا جاهلا ، ومن الأمثلة الواضحة على ما نقول : إنه فى عهد عمر بن عبد العزيز بحثوا عن مستحق للزكاة فلم يجدوا .

أنواع الزكاة : أنواعها كثيرة ومتنوعة ، فهناك زكاة المحاصيل وزكاة المال ، وزكاة التجارة ، وزكاة المعادن التى تخرج من باطن الأرض ، وزكاة الكنوز التى توجد مطمورة لأفراد ذهبوا وزكاة الابل والبقر والغنم ـ وزكاة الفطر . وغير ذلك مما لو أحصيناه إحصاء دقيقا حسبما أمر الله تعالى وجمعناه جمعا عادلا ، ووزعناه توزيعا حكيما ، لما وجدنا بائسا ولا فقيرا .

موارد أخرى : لم تقف موارد البر عند ذلك ، بل شرعت موارد للبر لا يأسن لها معين ، ولا ينقطع عنها رافد . يحنث الرجل فى يمينه فيكفر باطعام عشرة مساكين ، ويقسم ألا يفعل شيئا ثم يرى الخير من فعله فيكفر باطعام عشرة مساكين ، ثم يفعله ، أو يظاهر من زوجته ، ثم يبدو له أن يعود فيطعم ستين مسكينا ، ويرمى صيدا أو هدفا مّا ، فيقتل نفسا من غير عمد فيطعم فضلا عن التعويض .

ويعجز عن صوم رمضان لمرض لا يرجى برؤه أو الشيخوخة فينظر ويطعم عن كل يوم مسكينا ، ويفطر عامدا متعمدا فى رمضان من غير علة فيطعم ستين مسكينا ، ويخل الحاج بشرط من شروطه فيكفر عنه بذبح يقدمه للمساكين ، ويتجرد من المخيط فى الحج ، فاذا لبس شيئا لزمته الفدية ، ويرزق الرجل ولدا ذكرا فيعق عنه بذبيحة يقدمها للفقراء يوم أسبوعه ، ويقبل عن الفطر أو عيد الأضحى ، فيجب على الأغنياء أن يُرفهوا عن الفقراء بزكاة الفطر ـ ولحوم الأضاحى ، وينذر المسلم بنذر ، فيوجب عليه الدين أن يفى به برا بالفقراء ، ويعجز الرجل عن تكاليف المعيشة فيوجب الدين عليه أن ينفق الابن على الأب ، والأب على الابن

(١) سورة المعارج آية ٢٤ ، ٢٥ .

كيف عالج الاسلام الفقر ؟

والأخ على الأخ ووواخ ـ ألم أقل موارد لا يأس لها معين ؟

إضافات أخرى : نوهت السنة النبوية بالصدقة الجارية التي كانت والحمد لله تعالى بركة من بركات الرسول ﷺ على المرضى والزمنى ، وذوى الخصاصة ، وأبناء السبيل ، وطلاب العلم والجهاد فى سبيل الله تعالى وبناء معاهد العلم وإقامة المستشفيات للمرضى وبناء المساجد .... الخ .

هذا بالاضافة إلى ما جاء فى كتاب الله تعالى من الحث على الانفاق فى وجوه الخير والترغيب فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب ، وأما السنة فقد بينت حق الفقير قولا وعملا ، محددة للمقادير ، وما يجب فيه الزكاة ومالا تجب ذلك لتأسيس مجتمع قائم على الايمان والفضيلة والترابط على المحبة والإخاء ، كما كانت شاملة لكل الأفراد القادرين للسائل والمحروم ، وأن شريعة الإسلام جعلت الزكاة ثالثة دعائم الإسلام وشرط من شروط الإسلام .

هذا أوعدت المانعين لها بالعذاب الأليم ، جحودا وإنكارا ، يقول الله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾[1]
كما يشير القرآن الكريم إلى العذاب الأليم الذى يستحقه أصحاب القلوب القاسية ، وأن مصيرهم النار ، فى قوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ ذلك لأنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين[2]
والرسول صلوات الله وسلامه عليه أنذر مانعى الزكاة فقال فى هذا : « ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين » أى المجاعة والقحط كما قاتل أبو بكر مانع الزكاة جحوداً لأنه بذلك يعتبر مرتدا ومنكرا لما علم من الدين بالضرورة لثبوتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية

طرق أخرى هامة جدا :

لقد عالج الاسلام الفقر من طريق آخر غير طريق الزكاة والصدقات ، عالجه عن طريق الكسر من حدة الطمع ، فقد رغب الغنى فى ترك الاسترسال وراء الشهوات ، والترف والملذات ، وأمر الواجد بالاعتدال ، ومدح الفقير بالتعفف ، وحثه على العمل ، يقول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ويقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

ذلك ما عالج به الاسلام داء الفقر الذى أعيا الانسانية منذ الدهر الأول ، وهو على إحاطته وبساطته ينهض دليلا وأى دليل على حمق الذين يقولون إن دستور

---

(١) سورة المدثر آية ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) سورة الحاقة من آية ٣٠ إلى آية ٣٧ ، ولا يحض على طعام المسكين أى لا يقوم بحق الله تعالى عليه من الاحسان والمساعدة على البر والتقوى

(٣) رواه الطبرانى والبيهقى عن فقه الزكاة جـ١ ص ٧٦ .

القرآن الكريم ، لايأتلف مع المدنية ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ .

هذا بالاضافة إلى توجيه المسلمين إلى أثر البذل والانفاق فى آيات كثيرة ، وأحاديث رسول الله ﷺ الحافلة بالكثير من ذلك .

فلو أن كل رجل أدى حق الله تعالى فيما عنده ، ثم انقاد لأريحية الطبع ، وكرم النفس ، وأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وآثر من قله ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . ثم قيض الله تعالى لهذا من ولاة الأمور من يجمعه على أكمل وجه ، ويوزعه على أعدل قسمة ، لكان ذلك عسيا أن يُقر السلام فى الأرض ويشيع الوئام فى الناس ، وتهدأ ضلوع حاقدة ، وتكفكف دموع بائسة ، وتسكن أجواف خاوية ، ويذهب خوف الغنى ، ويتذوق الناس فى ظلال الرجاء سعادة الأرض ونعيم السماء :

بهذا يتقرر المستقبل فى العالم الإسلامى لمبادىء الإسلام ، لأنها من صنع الله سبحانه وتعالى ، ولن يتخلص الناس من المشاكل الاقتصادية التى يئنون منها إلا بالرجوع إلى تطبيق المبادىء الاسلامية ، بل وكل مشكلات المجتمع من أخلاق وبطالة وسلوك ، وما إلى ذلك ، وأما النظم الزائفة فهى مسكنة على الرغم من افتتان الناس بها باسم المدنية والعلم .

لهذا فإن من واجبنا أن نحمل أنفسنا على غرس مبادىء الاسلام فى مدارك شبابنا ، والعمل على تحصينهم من المؤثرات السلبية بجميع مستحدثاتها ومن جميع المجالات التى يتحرك فيها الشباب داخل الأسرة والمجتمع حتى يكون محصنًا من مخاطر العصر الذى نعيشه .

وإن خير ما أختم به القول : ماقاله معلم البشرية محمد ﷺ « إخوانكم جعلهم الله فتية تحت أيديكم ، فمن كان له إخوه تحت يده فليطعمه من طعامه ، وليلبسه من ثيابه ، ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه »[1] .

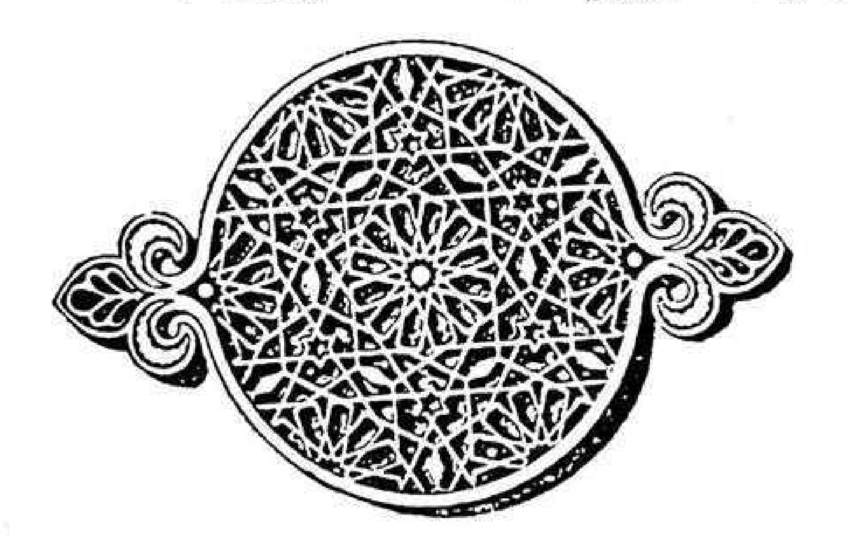

(١) سنن الترمذى جـ٤ ص١٨٦ عن د/ محمد الخطيب . دراسات فى الحضارة الاسلامية .

الزبير بن العوام

للدكتور عبد العزيز غنيم

فى مكة البلد الحرام ، وقبل خمسة عشر عاماً[١] من مبعثه عليه الصلاة والسلام ، وُلِد الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد بن عبد العُزىَّ بن قُصَىّ .

وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، فهو أسَدِىٌّ[٢] من جهة أبيه ، وهو هاشمى من جهة أمه ، وهو يشترك مع النبى صلوات الله وسلامه عليه فى قُصَىّ بن كلاب مُجمّعُ قريش ومُحضرُ مكة ، وصاحب السقاية والرِّفادة والحجابة والندوة[٣] واللواء .

ويبدو لِىَ أن صفية كانت تحب أخاها الزبير حُبًا شديداً وتطرى مزاياه ومناقبه ، وترجو أن ينسجَ ولدُها على منواله ويدرج على سجاياه وشمائله ، ومن أجل هذا أطلقت عليه اسمه وكنيته فسمته الزبير وكنته أبا الطاهر[٤] ، وظلت هذه كُنيَتهُ حتى تزوج أسماء ذات النطاقين ، وأنجب منها أول مولود ولد للمسلمين فى المدينة .

---

(١) الاستيعاب ـ لابن عبد البر حـ١ ص ٥٨٠ ـ ط دار الفكر بيروت .

(٢) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد حـ٣ ص ١٠٠ ط دار بيروت للطباعة والنشر

(٣) السيرة النبوية ـ لابن هشام حـ١ ص ١١٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية

(٤) الاصابة فى تمييز الصحابة ـ لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ ط دار الفكر بيروت

وهو عبد الله ، فكُنيني[1] به حتى لقى ربه .

ويقول المؤرخون وكتاب السير إن صفية قد كانت تحب ولدها هذا ، وتطمعُ فى أن يكون بطلا مغوارًا يقود الجيوش ، وفارسا معلّمًا . يسوقُ الزّحوف ، ومن أجل ذلك قَسَتْ عليه فى طفولته فكانت تلومه إذا هَفَا ، وتحاسبه إذا أخطأ ، وتضربُه ضربًا موجعًا إذا آنست منه شيئًا من الميل أو الإعوجاج ، وقد أسرفت فى ذلك حتى لَامَها أَحَدُ أقاربِ أبيه وادعى أنها تكرهه وتتمنى الخلاصَ منه ، وقد أغضب صفية هذا الكلام فزجرت الرجل فى عنف ونهرته فى شدّة ، وأنشدت أبياتًا كشفت فيها النّقاب عن العِلل والأسباب التى من أجلها كانت تقسو عليه ، ولاتتسامح فى محاسبتها له على أخطائه ومن هذه الأبيات قولها[2] :

من قال أنى أبغضه فقد كذب
وإنما اضربـــه لكـــــى يَلَبُّ
ويهزم الجيش ويــأتى بالسَّلَبْ
ولا يكن لمالــه خبــأ مخب
يأكل فى البيت من تمر وحب

وكم كان فرحُها عظيما عندما يبلغُها أن ولدَها يصرُع أقرانه ، ويقْهَرُ أنْرَابَهُ ، رأت يومًا شابًا محمولًا كَسِرَتْ يَدُهُ ، وجدع أنفهُ وضرب ضربًا أذْهلَهُ عن وعْيه ، فقالت : ماهذا ؟ فقيل لها : هذا شابٌ قَاتَلَ الزبير فصنع به ماتَرَيْن[3] ، فتهللت أساريرُهَا ، وانبسطت قسمات وجههَا ، وراحت تُطْرِيه وتثنى عليه ، ولم يكن الزبير قَوِىَّ الجسم ، متين الجوارح وحسب ، وإنما كان ذا عقل حاد وذهنٍ متوقد ، وقريحةٍ تختار فَتُحْسِنُ الاختيار ، وتنْقى فتبلغ الغاية فى الانتقاء ، وليس أدلَّ على هذا من إنقطاعه لأبى بكر ، واطمئنانه إليه ، وثقته فيه ، واصطفائه لنفسه أخا حميما ، وصديقًا كريما ، على الرغم من فارق السنّ ، واختلاف العمر . فقد كان أبو بكر فى الأربعين وكان هو غلامًا فى العام الخامس عشر ، أو العام الذى يليه ، وجاء الإسلام فاعتنقه أبوبكر ، وانضوى تحت لوائه ، ولأنه هو والنبى كليهما قد كان يدعوان إلى هذا الدين فى الخفاء ، وعلى خوف من المشركين أن يفتنوهم ويقطعوا عليهم طريقهم فإن أبا بكر لم يكن يدعو إلى الإسلام من يعرف ومن لا يعرف ، وإنما كان يتخير من أصحابه من لايهْتِك ستره ، أو يذيع أمْرَه ، وقد كان الزبير[1] هو أحد من دعاهم أبوبكر إلى الدين الجديد ، وأماط أمامهم النقاب عن مبادئه وتعاليمه ، وقد استقبلت عشيرةُ الزبير دخُوله فى الإسلام استقبالًا سيّئًا ، فآذته وأعنته وأمعنت فى تعذيبه والاساءة إليه ، حتى إنّ عمَّهُ قد كان يعْلقُهُ فى حصير ويُدَخِّنُ عليه ، وأمام ما كان يَلْقَىَ من ألوان الكيْد وأنواع الاضطهاد فإن النبى عليه الصلاة والسلام قد أشار عليه بالهجرة إلى الحبشة[3] فيمن أشار عليهم ، فهاجر إليها فى المرة الأولى وهاجر إليها فى المرة الثانية ، ولم يكد يعود إلى مكة حتى كان الأنصار قد بايعوا النبى عليه الصلاة والسلام عند العقبة ، وحتى كان الله قد أذِن للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة ، هاجر الزبير إليها فيمن هاجر وكان نزوله فيها على المنذر بن محمد[4] بن عقبة ابن أحيحة . ولما آخى النبى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين آخى بين الزبير وابن مسعود[5] ـ ولما آخى بين الأنصار آخى بينه وبين كعب بن[6] مالك ولما خط للمهاجرين مساكنهم خط له مسكنًا[7] فسيحاً يناسب قدره ويتفق وشأنه ومنزلته . وقد تجلت عبقرية الزبير رضى الله عنه فى المدينة وزاد نشاطه وكفاحه . فلم يترك الرسول صلوات الله عليه فى مشهد ولم يتخلف عنه فى

---

(١) الإصابة ـ لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ .

(٢) الإصابة ـ لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد حـ٣ ص١٠١ الإصابة ـ لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ .

(١) السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ حـ١ ص٢٣٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ حـ٣ ص١٠٢ ، الإصابة لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ .

(٣) الاصابة ـ لابن حجر ـ حـ١ ص٥٤٥ .

(٤) الاستيعاب ـ لابن عبد البر حـ١ ص٥٨٠ .

(٥) الاصابة ـ لابن حجر ـ حـ١ ص٥٤٥ .

(٦) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ حـ٣ ص١٠٢ .

(٧) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ حـ٣ ص١٠٣ .

الزبير بن العوام

غزوة [١] . ولم يتأمر على سريه إلا كان موضع التقدير من أصحابه وموضع الثناء من النبى صلوات الله وسلامه عليه وقد سجل له التاريخ فى صحائفه الكثير من المزايا والمناقب . ففى بدر كان يحرس النبــى إلى جانب العريش [٢] الذى نصب له . وفى أحد كان مضرب المثل فى الذب عنه والضرب بين يديه [٣] وفى الأحزاب كان هو الذى نقل أخبار اليهود [٤] إلى رسول الله صلوات الله عليه بعد ما نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه ووضعوا أيديهم فى أيدى قريش وغطفان .

وفى فتح مكة [٥] كان هو الذى يحمل لواء المهاجرين إلى غير ذلك مما أفاض الرواه فى ذكره والتنويه به ، وهكذا كان الزبير مضرب المثل فى حبه للنبى وطاعته إياه وانقياده لأمره ونهيه حتى جعله ضمن العشرة الذين بشرهم بالجنة ــ وقال فيه وهو يطريه ويزكيه إن لكل نبي حوارى وإن حوارى الزبير [٦] ــ ولو لم يكن للرجل فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام غير هذه المناقب لكان كافيًا لكنه رضى الله عنه كانت له مناقب أخرى كثيرة فهو أول رجل سلَّ سيفا . فى الإسلام . وهو أول رجل جمع له النبى عليه الصلاة والسلام بين أبويه . فقال له وهو يمسح التراب عن وجهه فداك أبى وأمى ــ وكما كان الزبير رضى الله عنه سيفًا فى يد النبى ﷺ إن شاء سله وإن شاء شامه . فقد كان كذلك فى يدى خليفتيه من بعده أبى بكر وعمر . فقد شارك فى حراسة طرق المدينة عندما توقع أبوبكر الهجوم عليها من قبل المرتدين وشارك فى فتوح فارس [٧] ومصر وفى الإستيلاء على حصن بابليون [٨] إلى غير ذلك مما لاتتسع لتسجيله هذه السطور . ويقول المؤرخون وكتاب السير إن الزبير رضى الله عنه كان يحب الفاروق حبًا شديدًا وإنه كان يبادله مثله وليس أول على هذا من أنه لما استشهد عمر عمد الزبير إلى الديوان فمحى [٩] اسمه منه حزنًا عليه وتألمًا لفقده وإن عمر لما أدرك أنه مقبول لا محالة وأنه سوف يموت من الطعنات التى سددها إليه أبولؤلؤة جعل الزبير ضمن [١٠] الستة الذين اختارهم للشورى .

وفى خلافة عثمان كان الزبير من بين الصحابة الكبار الذين أذن لهم الخليفة فى مغادرة المدينة والإقامة فى الأمصار ولأن الرجل قد كان على علم ودين فإن أهل الكوفة قد ألتفوا حوله وأطروا مناقبه وشمائله وطمعوا فى أن يكون هو الذى يتولى شئون الأمة ويصرِّف الأمور فيها ومع ذلك فإن الزبير لم يدعو إلى نفسه ولا قال فى عثمان إلا ما يزينه ويدفع قالة السوء عنه . ولما قتل رضى الله عنه لعن الزبير قاتليه [١١] . وأعلن أنهم قد فتحوا على الأمة باب فتنة لا يغلق إلى يوم القيامة ــ ولما عرض الثوار عليه الخلافة ضمن من عرضوها عليهم من أصحاب الشورى رفضها وتبرأ منها ولما اضطر علىٌّ كرم الله وجهه إلى قبولها كان الزبير فى مقدمة من بايعوه وأعطوه [١٢] صفقه أيديهم ــ ويقول الرواة : إنه هو وطلحة بن عبيد الله دخلا [١٣] عليه وطلبا منه أحدهما إمرة البصرة وطلب الثانى إمرة الكوفة ولأن عليا قد كان حريصًا على أن يكونا إلى جانبه ينصحانه ويسددانه فإنه أبى هذا الطلب وألح عليهما فى البقاء فى المدينة وأمام هذا الرفض طلب الرجلان منه الإذن

---

(١) الاستيعاب ــ لابن عبدالبر ــ حـ١ ص ٥٨٠ .
(٢) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ــ حـ٣ ص ١٠٣ .
(٣) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ــ حـ٣ ص ١١٢ .
(٤) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ــ حـ٣ ص ١٠٦ .
(٥) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ــ حـ٣ ص ١٠٤ .
(٦) الاستيعاب ــ لابن عبد البر حـ١ ص ٥٨١ ، الاصابة ــ لابن حجر حـ١ ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، الطبقات الكبرى ــ لابن سعد حـ٣ ص ١٠٥ .
(٧) الاستيعاب ، حـ١ ص ٥٤٥ ، الطبقات الكبرى حـ٣ ص ١٠٢ .
(٨) الاصابة حـ١ ص ٥٤٥ ، الطبقات الكبرى حـ٣ ص ١٠٢
(٩) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ــ حـ٣ ص ١٠٢ .
(١٠) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ــ حـ٣ ص ١٠٧ .
(١١) تاريخ الأمم والملوك ــ الطبرى حـ٥ ص ٣٣ ، ٤٢ ط دار القلم ــ بيروت .
(١٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى : ص ١٦٢ ، ١٦٣
(١٣) تاريخ الأمم والملوك ــ الطبرى ــ حـ٥ ص ١٥٣

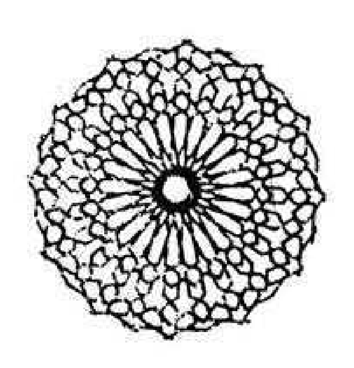

لهما فى العمرة ، فأذن لهما وهو يقول : ما العمرة اردتما ولكن أردتما الغدرة .

وفى مكة اجتمع الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة واتفقوا على الخروج[1] إلى البصرة مطالبين بالقوة ممن قتلوا الخليفة . ودارت بينهم وبين عثمان بن حنيف[2] عامل أمير المؤمنين على هذه المدينة معركة كان النصر فيها إلى جانبهم فقد أُسر ابن حنيف وهزم جنده وأُرسل إلى على فى أسوء حال وأتعس هيئة وزحف على حتى دخل البصرة . ودارت مفاوضات بين الفريقين[3] تستهدف العدول عن الحرب والدخول فى السلم ولكن الظروف قد كانت أقوى من إرادة الفريقين فتعبأ الفريقان للقتال وقبل أنْ تنشب المعركة بينهما ــ طلب على من الزبير أن يلقاه فقبل ودنا الرجلان كل منهما من صاحبه فقال على أنشدك الله يا زبير ــ ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول لك : وقد جئت تشكونى إليه تقاتله وأنت ظالم[4] له قال : بلى ولو ذكرتها ما أتيت إلى هذا المكان أبدا وغادر الرجل العراق إلى الحجاز والبصرة إلى مكة ولم يدر أن الموتَ رابضٌ له بالمرصاد . فقد مرَّ فى طريقه بالأحنف بن قيس[5] فلما رآه قال إن هذا الرجل مازال بالمسلمين حتى فرقهم ثم هو الآن يعود إلى أهله فتبعه ابن جرموز حتى إذا كان بوادى السباع عدا عليه وقتله ــ وحمل رأسه وذهب إلى على وهو يظن أنه سيجذل له جائزته فلما استأذن عليه لعنه ورفض أن يجيزه وقال أبشروا وقاتل الزبير بالنار[6] وأخذ سيفه وهزه وبكى وأعلن أن هذا السيف كثيراً ماجلى الكرب عن النبىِّ صلوات الله وسلامه عليه . ثم ذكر أنه هو والزبير وطلحة سيكونون مما قال الله فيهم ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[7]

وبعد فهذه صور أو لمسات من حياة رجل كرس عمره للعمل من أجل الاسلام والجهاد فى سبيله والرغبة فى نشر لوائه وإعلاء كلمته فاستمرأ الأذى واستعذب العنت وغادر وطنه ومسقط رأسه إلى الحبشة والمدينة وخاض المجامع القاسية والمعارك الضارية مقدمًا غير محجم كرارًا غير فرار . وكان لا يضن على دينه بشىء ولا يبخل فى سبيل عقيدته بنفس ولا مال فاستحق ثناء النبى عليه ورضاه عنه ودعاؤه له وضرب المثل بعد المثل فى كل جانب من جوانب الحياة فرحم الله الزبير بن العوام وجعله من الذين قال الله فيهم ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾[8]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ــ الطبرى ــ حـ٥ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ــ الطبرى ــ حـ٥ ص ١٦٨ .

(٣) الكامل ــ لابن الأثير حـ٣ ص ٨٨ ، ٩٠ .

(٤) البداية والنهاية ــ لابن كثير حـ٧ ص ٢٣٧ .

(٥) الاصابة ــ حـ١ ص ٥٤٦ .

(٦) الطبقات الكبرى ــ بن سعد حـ٣ ص ١١٠ ، الاصابة حـ١ ص ٥٤٦ .

(٧) الطبقات الكبرى حـ٣ ص ١٠٥ .

(٨) سورة الحجر آية : ٤٧ .

(٩) سورة النساء آية : ٦٩ ــ ٧٠ .

خلال أربعة شهور على التوالى عرضنا للثقافة السياسية وللقيم العليا فى الدولة اليهودية ، وأجبنا على سؤالى : من يحكم إسرائيل ؟ وكيف تحكم إسرائيل ؟ وتناولنا فى المقال السابق مفهوم « الأمن الاسرائيلى » وأدوات وأسلوب تحقيقه من جهة الخارج . ونستكمل هذه السلسلة بالقاء الضوء على بعض جوانب تحقيق « الأمن الاسرائيلى » فى الداخل .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية

(٥)

بقلم لواء ا . ح دكتور / فوزى محمد طايل

ونقصد « بالأمن اسرائيلى فى الداخل » مواءمة المجمع للحفاظ على القيم الصهيونية ، واستمرار استثارة الشعور القومى لدى أفراد الشعب اليهودى من أجل دعم تحقيق أهدافه القومية التى سبق تحديدها فى المقال السابق .

ونظرا لصغر مساحة رقعة الأرض التى أقام اليهود عليها دولتهم عام ١٩٤٨ م ، إذ لاتتجاوز ٢٠,٧ ألف كيلو متر مربع ، وصغر عدد السكان* فإن المجمع الاسرائيلى فى حالة استنفار شبه دائمة .. وتعمل وسائل الاعلام والتعليم والثقافة ، وتصريحات القادة هناك على المحافظة على حالة من التوتر واليقظة والشعور الدائم بالخطر لدى كل فرد . حتى المشروعات الاقتصادية ومنشآت البنية الأساسية ، واستغلال المصادر الطبيعية ، والتخطيط العمرانى ، والاستيطان والزراعة .. كلها تم مع الأخذ فى الاعتبار المتطلبات الأمنية والاستعداد للحرب المقبلة !

ويعبر أحد علماء السياسة والاجتماع الاسرائيليين المعاصرين (آشير آريان ـ سبق الاشارة إلى مؤلفه) ،

---

* بلغ عدد سكان إسرائيل فى شهر مايو ١٩٨٨ م قرابة ٤,٤٧٦ مليون نسمة ، منهم ٣,٦٥٩ مليون يهودى ، و ٦٣٤,٦ ألفاً من المسلمين ، و ١٠٥ آلاف من النصارى ، و ٧٨ ألفاً من الديانات الأخرى .. وذلك حسب تقديرات مكتب الاحصاء المركزى فى إسرائيل ، وتوقع أن يكون عدد اليهود قد بلغ هذا العام قرابة ٤,١ مليونا مع الأخذ فى الاعتبار معدل المواليد وتعاقب الهجرات المكثفة ، وهؤلاء يشكلون ٢٧٪ تقريباً من يهود العالم . فى حين يتوقع أن يكون عدد السكان العرب من كل الديانات قد بلغ قرابة ٩٠٠ ـ ٩٥٠ ألفاً ، أى بنسبة أكثر من ١٨٪ من سكان إسرائيل .

يعبر عن هذا الوضع الشاذ الفريد من نوعه بأن « الوضع النموذجي الطبيعي لاسرائيل هي أن تكون أمة مسلحة ، أمة محاصرة .. »

the nprman pattern is anation inarms amation basieged...

ويستطرد قائلا : « من أجل هذا فإن الجيش يعمل كشريك في العملية السياسية ويتكامل في الحياة المدنية ، في مجالات تقع فيما وراء تحقيقه للأمن القومي » .

هذا ويشاء قدرهم أن اكون أهم الأهداف القومية لاسرائيل هي ذاتها أهم أسباب التهديد الداخلي للأمن القومي ، فاستدعاء الهجرات اليهودية من كل أنحاء العالم إلى ما يدعون أنه « أرض الميعاد » قد أدى إلى أن اجتمع إلى هذه الدولة صغيرة المساحة ثقافات شتى ، ومذاهب دينية متنافرة ، وعرقيات متناسقة ، وقد أدى هذا بالتالي إلى وجود صعوبات اقتصادية مزمنة يصعب تصور حلها دون اعتماد إسرائيل على المعونات والتبرعات التي تحصل عليها من بعض الدول الغربية ، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن المجتمعات اليهودية الغنية في تلكم البلدان .

ومن مظاهر الأزمة الاقتصادية الكبيرة التي سببتها هذه الهجرات ارتفاع أعداد من يعانون من المعيشة تحت حد الفقر في إسرائيل إلى أكثر من ثلاثة أرباع المليون ، قوامهم اليهود « السفارديم » خاصة القادمين من اثيوبيا ، واليمن ، والهند ، ودول العالم الثالث الأخرى .. كما أن من مظاهر هذه الأزمة تزايد معدلات البطالة من ٦,٤٪ عام ١٩٨٨م إلى ٩٪ عام ١٩٨٩ ، ثم ١٠,٥٪ عام ١٩٩٠م ، ثم ١٢٪ عام ١٩٩١ ، ويتوقع أن تصل ١٤٪ بنهاية عام ١٩٢٢ م . وإذا ما علمنا أنه يضاف إلى هذه الأوضاع وجود مشكلات متزايدة في مجال الاسكان لامكننا توقع أن تقوم اسرائيل بتجميد انشاء مستوطناتها في الضفة الغربية والقدس وغزة والجولان .. لا إذعانا للضغط الأمريكي عليها ، كما يتصور البعض ، ولكن لاستحالة الاستمرار في تطبيق سياسة الاستيطان بالمعدلات المخططة وتجميد المستوطنات لا يعني إزالتها .. في نفس الوقت الذي ستتمكن اسرائيل في مقابل ذلك من الحصول على المعونات والتبرعات الأمريكية واليهودية والأوربية كاملة ، يضاف إليها مبلغ العشرة مليارات دولار المطلوبة كضمانات قروض غالبا ما تتحول إلى منح لا ترد بمرور الوقت .. وهذا يمكنها من استعادة قدرتها الاستيعابية لجلب المزيد من المستوطنين المهاجرين اليهود خلال السنوات القادمة .

ومن مظاهر الأزمة الاقتصادية الاسرائيلية الناجمة عن الهجرة أيضا احتمالات أن تعاني اسرائيل من نقص شديد في المياه رغم قيامها بسرقة المياه من الأنهار العربية ومن المياه الجوفية .. حتى لو تم تنفيذ المشروع التركي بإمدادها بنصف مليار من الأمتار المكعبة من المياه سنويا .

ولقد انعكست الأزمة الاقتصادية على الأحوال الاجتماعية والنفسية فزادت حالات الانتحار بسبب عدم القدرة على التواؤم مع المجتمع الجديد ، وزادت حالات تعاطي المخدرات وادمانها .. كما زادت حوادث العنف بين اليهود أنفسهم وبين بعضهم البعض .

ولعل التباين الثقافي والعرقي والمذهبي بين طوائف الشعب في الدولة اليهودية يعد من أبرز وأخطر مهددات « الأمن القومي » الاسرائيلي من الداخل ، منذ قيام الدولة وحتى الآن ، رغم الجهود الكبيرة للتغلب عليه ، ولعل أهم هذه الطوائف ما يلي :

الأشكنازيم والسفارديم*:

الأشكنازيم :

(٨٥٪ من يهود العالم) ، ومعظمهم من سلالة « قبائل الخزر » .. من جنس مغولي .. فهم ليسوا من سلالة اسرائيل (يعقوب) عليه السلام ، ولاهم « ساميون » كما يدعون . وقد كانت « قبائل الخزر » هذه وثنية ، لكنهم دخلوا اليهودية بعد ذلك وانتشروا

---

* راجع عدد جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ ، ص ٦٥٨ .
* كانوا يمثلون ١٢٪ من السكان حتى منتصف الخمسينيات .. وبالتالي الهجرات القادمة من أوروبا أصبح عددهم الآن أكثر من ٤٥٪ من سكان إسرائيل .

ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية

فى أوربا ، خاصة شرقها ووسطها (لذا ينسبون « لأشكناز » بمعنى ألمانيا) ، ويتحدثون لغة « اليدش » وهى خليط بين الألمانية والعبرية ، ولهم صحافة تصدر بهذه اللغة حتى الآن فى اسرائيل . وقد كان هؤلاء أول من هاجر فى الموجات الأولى إلى فلسطين لاقامة الدولة . وعلى الرغم من أنهم كانوا أقلية بالنسبة لباقى اليهود الذين وصلوا حتى قيام الدولة اليهودية** ، فقد كانوا هم الطائفة الاغنى ، والأكثر ثقافة وتعليما .. ومنهم خرج قادة اسرائيل ومن كانوا يشغلون المناصب العليا فى كل مناحى الحياة خلال الثلاثين السنة الأولى من قيام الدولة .. بل إن علماء هذه الطائفة وحاخاميها هم الذين صاغوا الفكرة الصهيونية ذاتها .

ويتحيز الأشكنازيم فى غالبيتهم لحزب العمل الاسرائيلى بسبب الخلفية الثقافية الاشتراكية التى تجمع بين الطرفين ، ولاحتياجهم إلى خدمات الاسكان والصحة والعمل التى كان حزب العمل مهيمنا عليها حتى مطلع السبعينيات من خلال علاقاته المتميزة مع « الهستدروت » .. بيد أنه بمرور الزمن ، وفى نفس الوقت الذى كان عدد الأشكنازيم يتزايد ، توجه الجيل الثانى منهم (من ولدوا فى اسرائيل) تلقاء حزب « الليكود » الأكثر تشددا فى الفكر الصهيونى ، فأصبح أكثر من ثلث الأشكنازيم يعطون أصواتهم الآن « لليكود » .

هذا ولم يكن « الأشكنازيم » معترفا بهم من قبل « الحاخامية اليهودية » بفلسطين حتى عام ١٩٢١م ، إذ كان « الحاخام باشى » يعين من طائفة السفارادیم بمعرفة الخليفة العثمانى .. ونظرا للاختلاف الكبير بين الطائفتين فى أمور الأحوال الشخصية (من زواج وطلاق وبنوة ومواريث ... الخ) فقد قامت سلطة الانتداب البريطانى بتعيين « حاخام باشى » آخر من الأشكنازيم ، وأصبحت هناك رئاستان دينيتان ، وقضاءان دينيان منذ ذلك الوقت ، وفى عام ١٩٧٨م تم تشكيل « مجلس حاخامى » أعلى ، وألغى منصبا « الحاخام باشى » ، وأصبح المجلس المشار إليه يتكون من رئيسين ، وعشرة أعضاء من كل طائفة .. وتم توحيد قانون الأحوال الشخصية لتصبح « اليهودية الارتودوكسية » هى القانون الملزم .

السفارادیم :

وهم اليهود الذين شتتهم الرومان عندما قضوا على دولتهم الثانية ، وبقايا من ظلوا مشتتين منذ تدمير « نبوخذ نصر » لدولتهم الأولى . وقد عاش هؤلاء فى كنف دولة الإسلام* لأكثر من ألف وثلاثمائة عام وتركزوا فى بلاد الاندلس والمغرب وشمال أفريقيا (لذا فهم ينسبون إلى « سفاراد » أى أسبانيا ، ويتحدثون لغة « اللادينو » ، وهى خليط بين الاسبانية والعبرية .

وقد تأثرت عقيدتهم الدينية كثيرا بالفقه الإسلامى ، وصاروا أكثر تمسكا فى الجملة بيهوديتهم بأكثر من « الأشكنازيم » الذين يكثر بينهم

---

* يعبر كتاب (Isyael (a Country studg الصادر عن الجامعة الأمريكية عن أحوال اليهود فى ذلك العصر فى ص ٢١ معتبراً اياه (أى ذلك العصر) هو العصر الذهبى لليهود فيقول بالحرف الواحد : « The Golden age of the Diaspora reprented the height of Jewish intellecual activity. Political power, and social involement Maslim rule » .

«العلمانيون» و«الملحدون» ، رغم تمسكهم الشديد بصهيونيتهم وعدم إنكارهم الانتماء إلى اليهودية .. وفى هذا تناقض عجيب .. ولم العجب .. وقد قال أسلافهم لموسى عليه السلام من قبل «أجعل لنا إلها كما لهم آلهة» ١٢٨ الأعراف .. وعبدوا العجل وهو بين ظهرانيهم ، وعصوا ، واستكبروا ، وجبنوا وقالوا لرسول الله موسى عليه السلام «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» المائدة ٢٤ .

وتجد أن معظم السفارديم يعطون أصواتهم فى الانتخابات للأحزاب الدينية ولكتلة «ليكود» ، وينتمى معظمهم إلى من يطلق عليهم «اليهود الارتودوكس» Orthodox Jews ، الذين يشكلون قرابة ٣٥٪ من المجتمع فى اسرائيل .

ورغم أن السفارديم يشكلون ـ حتى الآن أغلبية بين الطوائف المختلفة فى الدولة اليهودية إلا أنهم فى مستوى اجتماعى واقتصادى وتعليمى أقل من الأشكنازيم ، وبالتالى فهم يشعرون بشىء غير قليل من الدونية والاضطهاد .

ويعرف «السفارديم» عادة «باليهود الشرقيين» ، وأحيانا «باليهود السود» ، وهو تعريف له دلالته الاجتماعية عندهم فى مقابل تعريف الاشكنازيم «باليهود الغربيين» ـ رغم أن معظمهم من شرق أوربا وأواسط آسيا .. وعلى أى الأحوال فإن هاتين الطائفتين لا تزالان تشكلان ثقافتين متباينتين ، وطبقتين متميزتين كلا منهما عن الأخرى ، وهذا أمر ينتظر بقاؤه لعشرات السنين القادمة مشكلا تهديدا أمنيا داخليا كبيرا .

العلمانيون والارتودوكس والمتشددون :

على الرغم من تمسك اليهود بانتسابهم الدينى والعرقى وبدعواهم التاريخية الداحضة فهم للكفر أقرب منهم للإيمان ، ولعل هذا التناقض يرجع إلى التشديد الذى شدده اليهود على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فمن تمسك حرفيا بيهوديته عليه أن يأتى بعدد من الأعمال فى اليوم والليلة تبلغ ٦١٣ عملا وتسمى «ميتصفوت» ، لذا فقد جاءت نتيجة أحد استطلاعات الرأى ـ وما أكثرها وأدقها لديهم ـ جاءت كما يلى :

- من يمارسون الدين بحرفيته ٩٪ .
- من يمارسون الدين غالبا ١٤٪ .
- من يمارسون الدين أحيانا ٤٣٪ .
- من لا يمارسون الدين على الاطلاق ٣٤٪ .

ومع ذلك فالملحدون عندهم يظلون يهودا ـ ففى شرعهم ـ «أن اليهودى يظل يهوديا ولو بدل دينه ، ولو انتحر» .

ويرى «العلمانيون» ـ وغالبيتهم من الاشكنازيم ـ ان القوانين المشتقة من «الهالاخاه» ـ أى الشريعة اليهودية ـ تعد أمرا مزعجا ، خاصة تلك التى تفرض على الناس أن «يسبتوا» .. كما يرون أن الدين يعوق الكثير من الأمور اللازم الاتيان بها لتسيير الدولة .. ومع ذلك فهم لا يجرؤون على القول «بعلمانية الدولة» وإلا فقدت سبب وجودها ذاته «raison d'etre» .. لذا فدعواهم هامشية فالقوانين المشتقة من الهالاخاه تتزايد ، والتيار اليهودى المتشدد يتزايد ، وكل المؤسسات التى تلقى دعما ماليا من الدولة خاصة الجيش والتعليم وغيرها تراعى ما يفرضه القانون من تعاليم يهودية أخصها «يوم السبت» ، والطعام الحلال «الكوشير» ... الخ .

ويكاد يكون «الارتودوكس» هم الذين يسيرون أمور الدولة اليهودية من خلال الأحزاب الدينية والمحاكم الدينية ومن خلال سيطرتهم على وزارتى التعليم والاديان ، كما أنهم يشكلون كبرى حركات الضغط من أجل الحفاظ على هوية الدولة اليهودية والسير قدما فى اتجاه تحقيق الأهداف الصهيونية .

هذا ، ويشكل المتشددون (٩٪ من الشعب اليهودى) ، ويطلق عليهم « أولترا ارتودوكس » Ultra Orthodox . وهؤلاء منهم من يشارك فى الحياة الاجتماعية والسياسية ويندرج فى الأحزاب الدينية المتشددة التى تنادى بضرورة الطرد الفورى للعرب وتحريك الحدود لبلوغ غايتهم بتحقيق « إسرائيل الكبرى » انتظاراً « لوصول المسيح* ، ملك بنى إسرائيل » وحكم العالم .

بيد أن هناك طائفة أخرى تنهج منهجا مخالفا ، وهم يسمون « نيتورى كارتا » Neturie Karta ، أى « حراس المدينة » ، وهم غير معلومى العدد بالضبط لانعزالهم الكامل عن المجتمع ، ولايتجاوزون بضعة الاف ، ويعيشون وراء أسوار عالية فى حى خاص بهم بمدينة القدس ، وهم يرفضون الاعتراف « باسرائيل » كدولة ، اذ يقولون انها ما كانت لتقوم قبل بعث « المسيح » الذى يتولى إقامتها بنفسه وحكم العالم منها .. وهم لايستخدمون اللغة العبرية لأنها لغة مقدسة لايجب تدنيسها باستخدامها فى دولة « علمانية » .

ويعد يوم قيام اسرائيل يوم حداد بالنسبة لهم ، لذا فقد أحرقوا علمها علناً عام ١٩٦٥ احتجاجاً على قيامها .. كما يقومون بقذف السيارات ورجال الشرطة والاسعاف الذين يسيرون على الطريق يوم السبت .

ولهذه الطائفة مدارسها الخاصة بها ، التى لا علاقة لها بالدولة . ولهم قضاء خاص بهم ، ولهم أماكن خاصة لذبح الحيوانات .

ومما يجدر ذكــره أن هذه الطائفــة هى من « الاشكنازيم » ! ، وأنه رغم انعزالهم وضآلة عددهم فلهم تأثير كبير على مسلك « الارتودوكس » بوجه عام .

القــــراءون والربانيــــون والمحافظون والاصلاحيون :

القراءون : وهى طائفة ظهرت أول ما ظهرت فى بغداد فى القرن الثامن الميلادى ، ثم استقرت فيما بعد فى مصر تحت زعامة « عنان بن داود » ، واتخذوا لهم تقويماً خاصاً بهم ، وهم لا يعترفون إلا بالتوراه المكتوبة ، ويقيسون على أحكامها ، ويجعلون من الاجماع والعرف مصدران آخران للشريعة عندهم ، وهم بذلك يخالفون الربانيين فى المعاملات ، والأحوال الشخصية ، والمواريث ، والأعياد .

وقد هاجر القراءون إلى اسرائيل فى الخمسينيات (قرابة ثمانية آلاف) واستقروا فى الرملة واشدود وبير سبع وعكا . وهم شديدو التمسك بالسبت ، ولا يتزوجون من غير طائفتهم ولا يستخدمون غير اليهود فى أعمالهم .

---

* ما يقصدونه هنا ليس هو المسيح عيسى بن مريم ، وإلا لكانوا قد آمنوا به !

* الاصلاحيون : هم أنصار حركة ظهرت فى كل من فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية منذ مطلع القرن التاسع عشر بغرض مواءمة اليهودية مع الأوضاع الاجتماعية فى الدول النصرانية الغربية ، فأعطت تعريفاً جديداً لليهودية وأقرت بأن « السلطة الدينية » اليهودية هى سلطة روحية فقط (اسوة بالأفكار العلمانية التى كانت تسود أوروبا) .

** المحافظون : وهم بخلاف الأرتودوكس ، بل بين الطائفتين عداء شديد . وقد ظهرت الحركة « المحافظة » فى ألمانيا عام ١٨٤٥ م بغرض اصلاحى مؤداه حصر استخدام اللغة العبرية فى العبادات الرئيسية ، وتنادى بالتمسك بالتقاليد لذا سميت « بالحركة التقليدية » (هاتنوّح هامسوراتيت) . وقد هاجر أنصار الحركة إلى فلسطين عام ١٩٣٧ م وأقاموا ٢٥ معبداً وعدداً من المدارس ، وعدداً من المستعمرات .

هذا ، ولم يعترف بهم كيهود إلا عام ۱۹۷۳ م وإن ظل الزواج بهم حتى الآن يعد بمثابة الزنا الذى يحرم النسل الناتج عنه أن يتزوج من اليهود حتى الجيل الثامن ! لذا نجد بينهم وبين طائفة « الربانيين » عداء شديد .

أما الربانيون : فهم الغالبية العظمى من اليهود وهم يؤمنون « بالشريعة » « هالخاه » التى يعتبرون أن مصادرها هى : التوراه (الاسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) وهى بمثابة القانون المكتوب ، كما يؤمنون « بالمشناه » ، أى التوراه الثانية ، وهذه قد كتبت فى القرن الثانى الميلادى ، وهذه تتكون من القانون الشفهى الذى تم تدوينه فى صورة « التلمود » ، و « الجماراه » أى التفاسير التى قام بها العلماء والشراح .. يضاف إلى ذلك « المدراش » الذى هو بمثابة الفقه .

وينقسم الربانيون إلى سبع فرق .. ويهود أوروبا أغلبهم من الربانيين .

وفضلاً عن هاتين الطائفتين طائفتان هامشيتان لم يكن يعترف بهما رسمياً ، بل إنهم لم يكونوا يعتبرونهما من اليهود ، وهما طائفة الاصلاحيين ، وطائفة المحافظين .. ومع ذلك فلهم معابدهم ومدارسهم ، وقد نالوا اعتراف المؤتمر الصهيونى التاسع والعشرين الذى انعقد فى فبراير ۱۹۷۸ م .. فاعترفت بهم الدولة فى إطار الحرية الدينية ، أى كاعترافهم بالجاليات المسلمة والنصرانية والدرزية .

بنو إسرائيل والفالاشا :

« بنى يسرائيل » كما يسمون بالعبرية هم مجموعة من الفلسطينيين اليهود الذين هربوا فى القرن الثانى الميلادى بسبب اضطهاد الرومان لهم فغرقت بهم سفينتهم بالقرب من شواطىء الهند ، فعاش من نجا منهم بالقرب من مدينة « بومباى » ، واختلطوا بالهنود وأخذوا عنهم بعض ثقافتهم الهندوكية ، ولبسوا ملابسهم ، وتحدثوا لغتهم ، لكنهم ظلوا يحتفظون بهويتهم اليهودية ، ويطبقون بعض الشريعة اليهودية ، ويسبتون ، ويحتفلون بأعيادهم إلى أن بدءوا الهجرة إلى فلسطين مرة ثانية منذ عام ۱۹۱۹ م ، فبلغ عددهم عام ١٩٤٨ حوالى سبعة آلاف (من إجمالى سبعة وثلاثين الفاً) ، وقد ظلوا منبوذين فى إسرائيل ، لا يعترفون بهم ولا يتزوجون منهم حتى اعترفت بهم الدولة عام ١٩٦٤ م ، ومع ذلك فلا يزال هناك شك فى يهوديتهم .

أما الفالاشا : فهم من ذوى البشرة السوداء الداكنة ، وكانوا يعيشون ، فى عزلة وفى حالة شديدة من البؤس والتخلف فى اثيوبيا . وكانوا يسمون أنفسهم « بيتا يسرائيل » أى « بيت إسرائيل » ، لكن الاثيبيين اطلقوا عليهم اسم « فالاشا » Falashas بمعنى مرادف « لابناء الزنا غير المعلوم نسبهم » . وكان عددهم يبلغ فى منتصف القرن العشرين قرابة ۲۰۰۰۰ يهودى يتركزون فى منطقة « قوندار » Gondar وضواحيها .

وهناك من الإسرائيليين من ينكر يهودية هؤلاء القوم تماماً ، ومنهم من يقول إنهم من سلالة سليمان (عليه السلام) ، فهم بمثابة القبيلة الثالثة عشرة . وقد تشدد اليهود « الارثوذوكس » فى بادىء الأمر فى رفض هجرة « الفالاشا » إلى إسرائيل ، لكن الدوافع السياسية أدت إلى تعاون إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا ، ودول أخرى لجلب هذه الجالية على مرحلتين .. الأولى : تمت خلال شهرى مارس وابريل من عام ١٩٨٤ م ونقلت قرابة أحد عشر ألفاً منهم جواً وبحراً ، بطريقة سرية عبر بعض الأراضى العربية ، فيما سمى بالعملية « موسى » .

أما المرحلة الثانية فقد تمت خلال شهر مايو ۱۹۹۱ وتم خلالها تهجير خمسة عشر ألفاً . ويبقى ألفان ـ تحولوا إلى النصرانية ـ لكن إسرائيل لا تزال تعتبرهم يهوداً ، وتسعى إلى تهجيرهم إليها .

ولعل الدافع السياسى الكامن وراء ذلك هو استبدال العمال العرب بهؤلاء « الفالاشا » تضيقاً على العرب فى إطار إرغامهم أو إغرائهم بترك أراضيهم والهجرة كى تخلص الأرض لليهود .

« متبع بالفصل الأخير »

لحظات طيبات مع الإمام

سعيد بن المُسَيَّب *

إعداد : عادل خفاجة

قال عنه عبدالله بن عمر رضى الله عنهما :
« لو رأى رسول الله ﷺ هذا لَسَرَّهُ » .
وقال ابن المسيب عن نفسه : « ما أحد أعلم بقضاء قضاه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر منى » .

هو سعيد بن المسيَّب بن حَزْنْ بنّ أبى وهب بن عمرو بن عائد ابن مخزوم بن يقظة ، الإمام العلم ، أبو محمد القرشى المخزومى عالم أهل المدينة ، وسيد التابعين فى زمانه .

• مولده :

ولد « سعيد » بالمدينة المنورة ، لسنتين مضتا من خلافة « سيدنا عمر بن الخطاب » ، فكانت سنه عند وفاة عمر ثمانى سنوات تقريبا ومن ذكرياته عن سيدنا عمر وهو فى هذه السن المبكرة ، قوله : سمعت من عمر — رضى الله عنه — كلمة مابقى أحد حى سمعها غيرى ، كان عمر إذا رأى الكعبة قال :
« اللهم أنت السلام ، ومنك السلام » .

• والده :

« المسيب » بن حَزْن وهو صحابى مشهور من المهاجرين ، ومن أهل بيعة الرضوان الذين قال الله — تعالى — فيهم :
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ

---

* قال « على بن المديني » : « أهل العراق يقولون المسيِّب ، يفتحون الياء وأهل المدينة يكسرونها ، وأما سعيد نفسه ، فإنه يفتح الياء » ونحن نختار ما اختاره سعيد لنفسه .

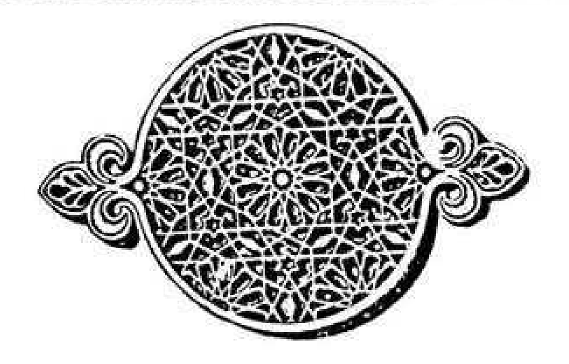

﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1]

• حياته :

عاش سعيد بن المسيب حياة عادية ، لكنها إسلامية صحيحة ، فتزوج وأنجب واشتغل بالتجارة لكسب رزقه ، وانغمس فى العلم والعبادة .

وكان له ولَدٌ ذو شهرة كبيرة فى الأنساب وأما ابنته ، فقد رباها فأحسن تربيتها وأدبها فأحسن أدبها ، فكانت على علم وتقوى قال زوجها عن أدبها وتقواها : « لقد كانت المسألة المعضلة تعيى الفقهاء ، فأسألها عنها ، فأجد عندها منها علماً » .

كان سعيد بن المسيب فى تجارته لايرجو إلا وجه الله تعالى لا عرضاً زائلاً من وراء تجارته ؛ فقد أثر عنه قوله : « الدنيا نذلة ، وهى إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها فى غير سبيلها » .

والتجارة الحلال ليست من الدنيا النذلة ، وكل ماكان حلالاً ليس من الدنيا الخسيسة ، فها هو يقول :

«• لاخير فيمن لايجمع الدنيا ؛ يصون بها دينه وحسبه ، ويصل رحمه » .

«• لاخير فيمن لايجمع المال من حلّه ، يعطى منه حقه ، ويكف به وجهه عن الناس » .

وكان عند سعيد بن المسيب مال يتاجر فيه ، أو يضارب ، ويؤدى زكاته كاملة غير منقوصة ، وكان يتجه إلى الله — تعالى — قائلا :

« اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلاً ولا حرصاً عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهى عن بنى مروان حتى ألقاك فتحكم فىَّ وفيهم ، وأصل منه رحمى ، وأؤدى منه الحقوق التى فيه وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار » .

ولعل ذلك الدعاء الذى يرجو الله فيه أن يصون وجهه عن بنى مروان ، يذكرنا بقول الامام سفيان الثورى « لولا هذه الدنانير لتمندل بنا الأمراء » .

أى لولا هذه الدنانير لاحتجنا إلى الأمراء فجعلونا فى أيديهم أشبه بالمناديل يتمسحون فيها ، ويلقونها من يد إلى يد .

والواقع أن هذا هو المسلك الذى ارتضاه ابن المسيب والعلماء العاملون ، حتى يسيروا فى حياتهم سيراً كريماً .

(١) الفتح / الآية ١٨

سـعيد بن المسيب

• موقفه من السلطان :

كان ابن المسيب يؤثر البعد عن السلطان وذوى الجاه لايحب عطاءهم ولايود عندهم حظوةً وكان متقيا شرهم .

ومما يصور موقفه من السلطان مارواه سلّام بن مسكين عن عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعى ، قال : « حجَّ عبدُ الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة ، ووقف على باب المسجد أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلا يدعوه ولايحركه ، فأتاه الرسول وقال : أجب أمير المؤمنين ، واقفٌ بالباب يريد أن يكلمك . فقال : مالأمير المؤمنين إليَّ حاجة ، ومالى إليه حاجة ، وإن حاجته لى لغير مقضية ، فرجع الرسول ، فأخبره فقال : ارجع فقل له : إنما أريد أن أكلمك ، ولاتحركه فرجع إليه ، فقال له : أجب أمير المؤمنين . فرد عليه مثل ماقال أولاً . فقال : لولا أنه تقدم إلى فيك ماذهبت إليه إلا برأسك ، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا ؟ فقال : إنْ كان يريد أن يصنع بى خيرا ، فهو لك ، وإن كان يريد غير ذلك فلا أحُل حبوتى حتى يقضى ماهو قاض ، فأتاه فأخبره ، فقال : رحم الله أبا محمد ، أبى إلا صلابة »[1] .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٩/٥

وله موقف آخر مع عبد الملك بن مروان ، « فقد خطب عبدالملك بن مروان ـ بنت سعيد بن المسيب لابنه الوليد ، لِمَا بلغه من علمها ، وفضلها ، وجمالها ، ونسبها فى قريش ، فأرسل برغبته هذه إلى هشام بن إسماعيل المخزومى ــ والى المدينة وصهر عبد الملك ، وقريب سعيد بن المسيب ، فطار هشام بذلك فرحا وأخبر وجوه المدينة ، وذهب الوفد ليقابل سعيدا ، وهم لايشكون مطلقا أنه سيوافق على تزويجها .

ومن يرفض أن يزوج ابنته من ابن أمير المؤمنين ؟! ولكنهم فوجئوا بالرفض ! وحاولوا أن يثنوه عن موقفه ولكنه أصر »[1] .

رفض سعيد بن المسيب أن يزوج ابنته لابن أمير المؤمنين ولم يرغب إلا أن يزوجها من أحد تلاميذه التابعين المخلصين الأتقياء ، ذلك أنه كان يتعامل مع الناس وفقا لقول الله ــ تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2] .

• زواجـه ابنتـه :

رأى سعيد من بين تلاميذه تلميذا متواضعا ، صالحا ، تقيا ، يحاول مااستطاع أن يكون فى مرضاة الله ــ تعالى ــ وهو « عبد الله بن أبى وداعة » ، وتأخر تلميذه هذا أياما ، فسأل عنه ــ وهو أمر طبيعى أن يسأل الأستاذ عن تلميذ له غائب .

فلما حضر سأله : أين كانت غيبتك ؟

فقال : إن أهلى مرضت ، فمرضتها ، ثم ماتت فدفنتها .

فقال سعيد : ياعبد الله ، أفلا أعلمتنا بمرضها فنعودها ، أو بموتها فنشهد جنازتها ؟ ثم عزاه عنها ، ودعا له بالصبر ثم نبّه تلميذه إلى الوضع الإسلامى قائلاً : ياعبد الله ، تزوج ، ولاتلق الله وأنت أعزب !

(١) د. عبد الحليم محمود : إمام التابعين « سعيد بن المسيب » ص ٢٧ نقلا عن كتاب : « مواقف حاسمة للعلماء فى الاسلام » .
(٢) الحجرات/ الآية ١٣ .

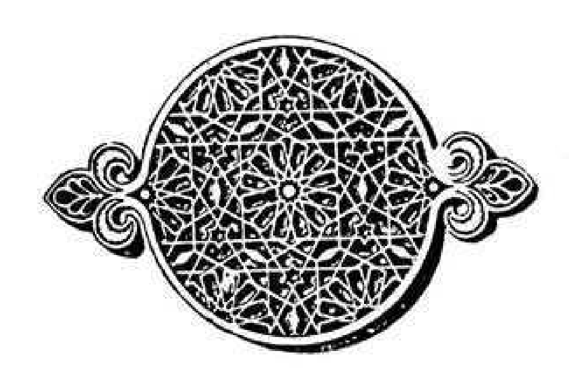

فقال عبد الله فى تواضع : يرحمك الله ، ومن يزوجنى ، فوالله ما أملك غير أربعة دراهم !

ورأى سعيد بن المسيب فى تلميذه تواضعا وانكسارا مع علمه بتقواه وصلاحه ، فقال له :

« سبحان الله ، أوليس فى أربعة دراهم مايستعف به الرجل المسلم ؟ ياعبد الله ، أنا أزوجك ابنتى إن رضيت .

وسكت ابن أبى وداعة استحياءً منه ، وإعظاما لمكانه ولم يجب فقال له سعيد : مالك سكت ، لعلك سخطت ماعرضنا عليك ؟

فقال ابن أبى وداعة : يرحمك الله ، وهل يأبى ذلك إنسان ؟ فوالله إنى لأعلم أنك لوشئت زوجتها بأربعة آلاف وأربعة آلاف (وكان ابن أبى وداعة يتحدث فى ذلك على العرف الجارى) .

وفوجىء بقول سعيد له :

« قم ياعبد الله ، فادعُ لى نفراً من الأنصار » .

يقول ابن أبى وداعة : فقمت ، فدعوت حلقة من بعض حلق الأنصار ، فأشهدهم على النكاح .

وكان سعيد بن المسيب — من قبل — على صلة وثيقة جدا بأبى هريرة — رضى الله عنه — وكان نتيجة هذه الصلة أن تزوج سعيد ابنة أبى هريرة .

ومامن شك أن أبا هريرة قد ربى ابنته بما كان يقصه عليها من أخبار رسول الله ﷺ ومن أقواله وأفعاله وزفت إلى زوجها « سعيد » فلزمت هذه الزوجة الفاضلة بيتها لم تخرج من بيتها حتى فى الليلة التى زفت فيها ابنتها إلى عبدالله بن أبى وداعة ، فأبوها « سعيد بن المسيب » هو الذى صاحب ابنته إلى زوجها .

• التزامه تطبيق حديث رسول الله ﷺ

عن ابن حرملة قال : خرجت إلى الصبح ، فوجدت سكران فلم أزل أجره حتى أدخلته منزلى ، قال : فلقيت سعيد بن المسيب فقلت : لو أن رجلًا وجد سكران أأدفعه إلى السلطان فيقيم عليه الحد ؟ قال : قال لى سعيد بن المسيب : إن استطعت أن تستره بثوبك فافعل .

قال : فرجعت إلى البيت فإذا الرجل أفاق ، فلما رآنى عرفت فيه الحياء ، فقلت : أما تستحى ؟ لو أخذت البارحة لحُدِدْتَ فكنت فى الناس مثل الميت ، لاتجوز لك شهادة .

فقال : والله لا أعود له أبدا . قال ابن حرملة : فرأيته قد حسنت حالته بعد .

لحظات طيبات مع الإمام سعيد بن المسيب

والذى يبين مما سبق أن سعيد بن المسيب — مع ماكان عليه من صلابة الرأى ، والتشدد فى الحق — يرى ستر العاصى وذلك على أساس من قول رسول الله ﷺ : « من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة » .

• من حكمه :

• « الناس كلهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله — عز وجل — فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته » .

• « من استغنى بالله افتقر الناس إليه » .

• « أصلح قلبك ، وألبس ماشئت » .

• « مامن شىء أخوف عندى من النساء » .

• « لاتقولوا مسيجدًا ولا مصيحفًا بالتصغير ، فصغروا ماكان لله تعالى ، فهو عظيم جليل » .

• « إنه ليس من شريف ، ولا عالم ، ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لاينبغى أن تذكر عيوبه » .

• من روى عنهم :

رأى عمر ، وسمع عثمان وعليا وزيد بن ثابت وأبا موسى وعائشة وأبا هريرة ، وابن عباس وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين .

وروى عنه خلق كثير :

منهم ادريس بن صَبيح ، وأسامة بن زيد الليثى واسماعيل بن أمية وعبد الرحمن بن حَرْمَلة ، وعبد الرحمن ابن حميد بن عبد الرحمن ، وعبد الكريم الجزرى ، وعبد المجيد بن سُهيل وعطاء الخراسانى وعمرو بن دينار وعمرو بن مُرة .. وغيرهم كثير

• باقة من الأحاديث التى رواها :

• عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب وأبا سلمة ابن عبد الرحمن أخبراه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أمّن الامام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه » .

• عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ نعى النجاشى للناس ، فى اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات .

• عن سعيد بن المسيب أنه قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ يضرب نحره ، وينتف شعره ، ويقول هلك الأبعد ، فقال له رسول الله ﷺ : ماذاك ؟ فقال : أصبت أهلى وأنا صائم فى رمضان ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل تستطيع أن تعتق رقبة ؟ فقال : لا . فقال : هل تستطيع أن تهدى بدنه ؟ قال : لا . قال : فاجلس فأتى رسول الله ﷺ بعَرَق تمر ، فقال : خذ هذا فتصدق به . فقال : ماأحد أحوج منى . فقال : كُله ، وصم يوماً مكان ماأصبت » .

• ومن تفسيره :

• جاء عنه فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ ﴾[1] .

قال البغوى قال « سعيد بن المسيب » : القلب السليم هو الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر والمنافق مريض ، قال تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[2] .

• وفى قوله — تعالى — : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾[3]

روى الطبرى بسنده عن (سعيد بن المسيب) قال : الماعون بلسان قريش : المال ، وهو تفسير لغوى بحت كما ترى[4]

• وفاته :

يقول عبد الله بن أبى فروة : شهدت سعيد بن المسيب يوم مات سنة أربع وتسعين فرأيت قبره قد رُشّ عليه الماء ؛ وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها .

وقال أبو نُعيم : تُوفى سنة ثلاثٍ وتسعين .

---

(١) سورة الشعراء : الآيتان (٨٨ — ٨٩) .
(٢) سورة البقرة : الآية (١٠) .
(٣) سورة الماعون : الآية (٧) .
(٤) تفسير الطبرى : ٢٠٦/٣٠

حـول ... شهادات الاستثمار

الجزء الخامس والأخير

بقلم المستشار أحمد محمد إبراهيم

● ثانى عشر: التفرقة بين متماثلين:

انتهى المفتى إلى أن عائد شهادات الاستثمار وصندوق توفير البريد حلال ولا حرمة فيه ، وعندما أورد أمثلة للربا المحرم ذكر منها ما تفعله الدول الغنية مع الدول الفقيرة ، من اقراضها مبالغ من المال تحتاج إليها الدول الفقيرة لسد مطالب الحياة الضرورية ، ثم تفرض الدول الغنية على الدول الفقيرة فوائد باهظة ، صارت بسببها هذه الدول الفقيرة عاجزة عن سداد هذه الفوائد ، فضلا عن الديون الأصلية .

ولم يبين المفتى سبب هذه التفرقة فى الحكم بين عائد شهادات الاستثمار وصندوق توفير البريد ، وبين عائد

حول شهادات الاستثمار

القروض الدولية ، مع أنها تصب كلها فى وعاء واحد ، وتنفق فى أوجه واحدة . فهذه الأموال كلها جزء من الموارد الاستثمارية لبنك الاستثمار القومى ، التى تضمنتها المادة الخامسة من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٨٠ بانشاء بنك الاستثمار القومى ، فهى تنص على ما يأتى :

« يجب أن تودع أو تضمن حسابات البنك الموارد الاستثمارية التالية :

(أ) القروض المتاحة للمشروعات شاملة ما يتقرر تخصيصه بالموازنة العامة للدولة من الأوعية الادخارية ومن المؤسسات والهيئات التمويلية المختلفة .

(ب) القروض والمبالغ المخصصة للاستثمار والمبرمة مع الدول والهيئات والمؤسسات الدولية العالمية والاقليمية » .

وقد يبدو للبعض أن شهادات الاستثمار وصناديق توفير البريد لم يرد لها ذكر فى المادة الخامسة ، وايضاحا لذلك أذكر أن نص الفقرة (أ) من المادة الخامسة كان مشروع القانون على النحو الآتى (... ومن المؤسسات والهيئة العامة لصندوق التوفير وحصيلة شهادات استثمار البنك الأهلى .. ولكن اللجنة المشتركة من لجنتى الشئون الاقتصادية والخطة والموازنة بمجلس الشعب ، رأت عند دراستها لمشروع القانون حذف « والهيئة العامة لصندوق التوفير وحصيلة شهادات استثمار البنك الأهلى .. وإضافة ، بدلا منها ، كلمة « الهيئات » بعد كلمة المؤسسات لتصبح الفقرة : « من الأوعية الادخارية ومن المؤسسات والهيئات التمويلية المختلفة » وجاء فى تقرير اللجنة المشتركة أن الحكمة من هذا الحذف والاضافة الحذر من الأثر السيكولوجى لدى الجماهير حيث ان شهادات الاستثمار اقترنت منذ صدورها بالبنك الأهلى المصرى ، فضلا عن أنه لا داعى للتفصيلات والاكتفاء بإضافة كلمة (والهيئات) وهذه تشمل جميع الهيئات التمويلية » .

ولا يفوتنى أن أشير إلى أن واضعى مشروع القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٨٠ وأعضاء مجلس الشعب والذين أقروه ، وضعوا هذه الموارد بأنها قروض ، كما أشير إلى أن المفتى ذكر فى كتابه أن « كل قرض جر نفعا فهو ربا » هى قاعدة شرعية صحيحة .

● ثالث عشر : سندات التنمية الدولارية :

تنص المادة الأولى من القانون رقم ٦ لسنة ١٩٨٦ فى شأن اصدار بنك الاستثمار القومى سندات تنمية وطنية بالدولار الأمريكى على أنه : يتخذ البنك المركزى المصرى لحساب بنك الاستثمار القومى إجراءات اصدار سندات كاملة بالدولار الأمريكى بضمان الخزانة العامة تسمى : « سندات التنميةالوطنية » .

وتنص المادة الثانية من القانون المذكور على أنه : يحدد مجلس إدارة البنك المركزى المصرى العائد المستحق عن كل اصدار من هذه السندات وشروطه ، دون التقيد بالحدود المنصوص عليها فى أى تشريع آخر .

وقد بحث المفتى أحكام هذه السندات وانتهى إلى أن التعامل فى سندات التنمية الدولارية « حلال والأرباح التى تأتى عن طريقها حلال . وليس فيها شبهة الربا الذى حرمته شريعة الإسلام تحريما قاطعا » .

ولا أريد هنا أن أناقش ما استدل به المفتى حتى وصل إلى النتيجة التى انتهى إليها ، ولكننى أعقب على أمر واحد ، هو ما يتعلق بالربح وكيفية تحديده فقد ذكر المفتى أن ما يقدمه بنك الاستثمار القومى لأصحاب هذه السندات من أرباح هو جزء من أرباحه التى تتحقق عن طريق المشروعات الإنتاجية التى تقيمها أو يشارك فيها من حصيلة هذه السندات ، وان تحديد هذه الأرباح ، يتم بالتراضى المشروع ، الذى لا يحل حراما ، ولا يحرم حلالا ، بين بنك الاستثمار القومى ، وبين أصحاب هذه السندات ، الذين يتقدمون لشرائها باختيارهم التام . وان المشترين لهذه السندات لم يدفعوا أموالهم فيها للبنك

والسؤال الذى يفرض نفسه على ضوء المعلومات السابقة هو : فى أى شرع يجوز أن تحدد أرباح المشروعات الاستثمارية فى دولة من الدول التى تدين بالإسلام على أساس سعر الفائدة فى سوق لندن العالمى مضافا إليه نصف فى المائة ، مع ملاحظة أن سعر الفائدة فى هذا السوق قابل للتغيير من يوم إلى يوم حسب الظروف الاقتصادية العالمية ؟

ان لم يكن هذا التحديد للربح هو الربا ، فأين يكون الربا ؟

ثم ان المفتى قال فى فتواه ورد فى أكثر من موضع من كتابه ، أنه إذا حدثت خسارة لأسباب خارجة عن ارادة صاحب العمل ـ وهو البنك أو غيره ـ فصاحب المال يتحمل ـ عند الاقتضاء ـ مايجب عليه منها ، والذى يقرر ذلك هم رجال القضاء وأهل الخبرة فى هذا الشأن .

ويحق لنا أن نتساءل عن كيفية تحديد ما يتحمله حامل سندات التنمية الدولارية إذا حدث فى استثمار هذه السندات خسارة خارجة عن ارادة صاحب العمل ، وهو البنك ؟

ان اتفاق الطرفين الذى تم بالتراضى المشروع لايحل حراما ولايحرم حلالا ، يقضى بأن يحسب العائد على حسب سعر الفائدة السائد فى سوق لندن العالمى ، وسعر الفائدة لن يصل إلى الصفر أبدا فى هذا السوق ، بل اننا لو افترضنا المستحيل وهبط سعر الفائدة إلى الصفر فان حامل سندات التنمية الدولارية سيحصل على ربح قدره $\frac{1}{2}$ ٪ نصف فى المائة .

هل يتفضل المفتى مشكورا بايضاح كيف يتم احتساب الخسارة على ضوء الأحكام التى أوردها عن طريقة احتساب عائد سندات التنمية الدولارية .

● رابع عشر : ماذا يريد المفتى أن يقول؟

جاء فى توصيات المفتى التى ختم بها كتابه :

سادسا : ان منهج دار الافتاء المصرية ـ الذى لن تحيد عنه ـ أنها ترى أن البنوك فى الأمة مؤسسات

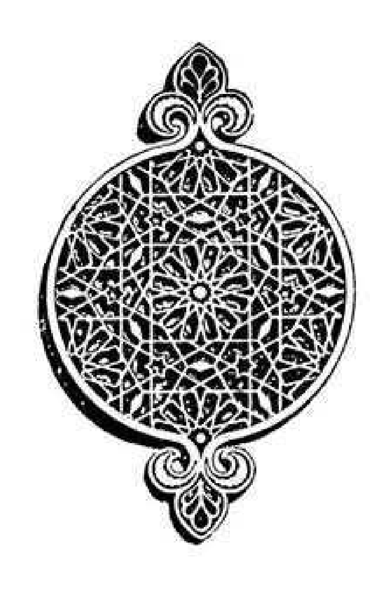

بقصد الاقراض أو الايداع ، وانما بقصد توكيله عنهم فى استثمارها لهم ، مع رضاهم التام بما حدده البنك لهم من أرباح وعوائد » .

وذكر المفتى أن العائد الذى يحصل عليه حاملو سندات التنمية الدولارية ويتم الاتفاق عليه بين المشترى وبنك الاستثمار القومى ، طريقته كالآتى :

تحسب الأرباح للمشترين لهذه السندات على حسب سعر الفائدة السائد فى سوق « لندن» العالمى لليوم الأول من الشهر التالى للشهر الذى يتم فيه شراء هذه السندات ، مع زيادة $\frac{1}{2}$ ٪ نصف فى المائة عن سعر الفائدة العالمى لهذا اليوم ـ ويتقاضى المشترى لهذه السندات أرباحه كاملة بعد ستة شهور ، من اليوم الذى تحددت فيه هذه الأرباح ، وهو اليوم الأول من الشهر التالى للشهر الذى تم فيه الاكتتاب فى هذه السندات ـ ويلاحظ أن سعر الفائدة فى سوق لندن العالمى قابل للتغيير من يوم إلى يوم على حسب الظروف الاقتصادية العالمية .

حول شهادات الاستثمار

اقتصادية لاغنى للمنتفع عنها ، ولاعن غيرها من المؤسسات الأخرى التى تشبهها فى نشاطها وغاياتها وأهدافها .

سابعا : ان هذه البحوث التى تحدثنا فيها عن جانب من المعاملات المصرفية ، راعينا فيها ظروف مجتمعنا المصرى دون غيره من المجتمعات التى لانعـرف ظروفها ، والتى أهل العلم فيها أدرى بظروفها وأحوالها .

لقد وقفت حائرا أمام ما تضمنته هاتان التوصيتان ، وتساءلت ماذا يريد المفتى أن يقول ؟

ان النظام المصرفى نظام دخيل على مصر وعلى غيرها من الدول العربية والإسلامية وطبقته هذه الدول ، على النحو الذى يسير عليه فى الدول التى نشأ فيها . فما هى اذن هذه الظروف الخاصة بالمجتمع المصرى ولا تشاركه فيها غيرها من الدول ، والتى دفعت المفتى أن يفتى بما أفتى فى شأن المعاملات المصرفية ؟ لقد كان على المفتى أن يبين هذه الظروف التى قد لاتشارك مصر فيها دول أخرى ، وربما تستبع أن يفتى علماء هذه الدول بغير ما أفتى به المفتى فى مصر .

لقد جال بخاطرى أنه قد يكون المقصود هو ما تحدث به البعض عن فتوى المفتى من أن دار الافتاء قد أصدرت فتواها بشأن شهادات الاستثمار بتوجيه من الدولة بعد أن قل الاقبال على البنوك التى تملكها الدولة . ولكن المفتى نفى هذا القول وأجاب عنه « بأنه وان كان لايستحق الرد لسقوطه ، وسوء نية أصحابه الا أنه يقول : ان دار الافتاء لم تصدر أى فتوى ، الا من وحي اجتهادها ، وليس لأحد سلطان عليها سوى مراقبة الله تعالى .

ترى هل تكون هذه الظروف هى ما قال به أخيرا طبيب ، ظن أنه بعد رحلته إلى الإيمان صار من علماء المسلمين الذى يحق لهم أن يفسروا القرآن تفسيرا عصريا ، وأنه بلغ من الفقه الدرجة التى تخوله أن يدلى بدلوه فى موضوع (حكاية الربا والبنوك) فيقول : والعيب فى النظام المالى العالمى كله الذى اخترعه اليهود ، ويهيمن عليه اليهود ، ويديره اليهود ، والشبهة الربوية تقع على النظام ككل ، وعلى مبدعيـه ومؤسسيه ، وهى دول عظمى فى يدهـا الثروة والسلاح ، والقوة العسكرية ، والهيمنة السياسية ، وليس فى امكان دول ضعيفة متسولة أن تغير هذا النظام العالمى ، وهى مرتبطة به بالضرورة ـ شاءت أم أبت ـ لقمتها ، وكسوتها ، وحياتها ودفاعاتها مرتبطة به ، وهى لاتستطيع أن تستقل باقتصادها عن الاقتصاد العالمى » .

ان توصيات المفتى التى عرضنا ما بها من تجهيل ، توجب عليه ان يجلى ما بها من غموض ، وأن يوضح ما فيها من ابهام ، حتى تكون على بينة من هذه الظروف التى كانت محل رعايته عند اصدار فتواه ، لعلنا نعمل على تفاديها ، والتخلص من آثارها .

وخير ما أختم به هذا التعقيب على كتاب : معاملات البنوك وأحكامها الشرعية ، هو قوله عز وجل :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ ﴾ .

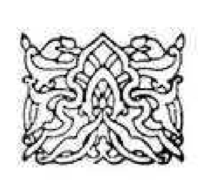

فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الغنى عبد الخالق

للأستاذ : طه جابر العلوانى

اسمه وكنيته :

هو أبو الكمال ـ أو الحسن فى بعض استعمالاته ـ عبد الغنى بن محمد عبد الخالق بن حسن بن مصطفى . المصرى القاهرى مولدًا ونشأة ووفاة .

و « الكمال » كما يحلو له أن يوقع أو يكتب فى كثير من الأحيان ـ اسم ولده الكبير الدكتور محمد كمال الدين عبد الغنى .

و « الحسن » ـ كما يوقع أو يكتب فى بعض الأحيان ـ اسم ولده الأستاذ حسن عبد الغنى .

مولده ووفاته :

ولد رحمه الله فى (١٩٠٨/٣/١٧ م) فى مدينة القاهرة بمنطقة « السيدة نفيسة بنت الحسن ـ رضى الله عنها » حيث كان والده ـ رحمه الله ـ شيخًا لجامع السيدة نفيسة .

وانتقل ـ تغمده الله بعفوه ـ إلى جوار ربه مكان ولادته حيث وافاه الأجل فى مدينة القاهرة فى منطقة السيدة نفيسة فى منزل والده ـ نفسه ـ عشية الخميس

(١٨/١٠/١٤٠٣هـ) الموافق (٢٨/٧/١٩٨٣م) عن عمر جاوز الخامسة والسبعين بأربعة أشهر .

نشأته وأسرته :

أسرة شيخنا ـ غفر الله له ـ أسرة علم وفضل ودين . فوالده الشيخ الزاهد محمد عبدالخالق ـ رحمه الله ـ أحد كبار علماء الأزهر . ذو باع طويل فى كثير من العلوم الشرعية والعربية . وله مؤلفات لاتزال مخطوطة فى بعض هذه العلوم . ولقد زهد فى المناصب الإدارية الأزهرية ونحوها . ومال إلى مشيخة الجامع النفيسى . فعمل شيخاً للجامع المذكور خلفا لجده لوالدته ـ الذى كان يشغل ذلك المنصب ـ الذى تعتز الأسرة به . وتفخر أنه كان فيها منذ العصر العباسى الثانى .

ولقد كان للشيخ محمد عبد الخلق مكانته العلمية الواسعة فكان منزله موئلًا لجميع أهل العلم والفضل . ولذلك فإن أولاده : مترجمنا وشقيقه الأكبر الشيخ مصطفى ـ رحمه الله ـ وشقيقه الأصغر الشيخ أحمد ـ حفظه الله ـ يحفظون بذكريات كثيرة عن أفاضل علماء ذلك الوقت ، الذين كانوا يرتادون منزل والدهم وغرفة مجلسه فى الجامع ، وكان أبو الكمال ـ بخاصة ـ يتذكر الكثير من النوادر والدقائق العلمية والأدبية التى كانت تثار فى مجلس والده ، وطرائق والده فى معالجتها .

كما أن للأسرة نصيبًا من النسب الشريف ، فوالد الشيخ ـ رحمهما الله ـ ينتهى نسبه لأمه بالدوحة النبوية . ويتصل نسبه لأبيه بالصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

وشقيق شيخنا الأكبر هو سماحة الشيخ الجليل مصطفى عبدالخالق كان شيخنا ـ رحمه الله ـ كثير التوقير له ، شديد الاحترام له ، يعتبره نهاية الأصوليين من قدامى الأزهريين ، فقد حصل على درجة التخصص القديم فى الفقه وأصوله عام ١٩٣٤م ، وعمل بمعاهد الأزهر ثم فى كلية الشريعة فيه إلى أن أصبح رئيسًا لقسم أصول الفقه بها .

ولقد حضرنا عليه ـ رحمه الله ـ فى الدراسات العليا فكان لايبارى فى ذكائه ، وفهمه الثاقب لدقائق علم أصول الفقه . وبصره بالفتاوى الشرعية إلى جانب ولعه بالبلاغة والمنطق والعلوم الرياضية والشعر والأدب ، وناهيك برجل كان أبو الكمال يعتبره أستاذه الثانى بعد والده ـ رحمهم الله تعالى .

أما شقيقه الأصغر ـ فهو فضيلة الشيخ أحمد محمد عبدالخالق شيخ الجامع النفيسى الآن ـ حيث خلف والده فى هذا العمل سنة (١٩٤٧م) ولازال فيه حتى اليوم .

ثقافة الشيخ وعلومه :

حفظ القرآن الكريم فى صغره والتحق بمعاهد الأزهر الشريف . ثم بكلية الشريعة الإسلامية إحدى كليات الجامع الأزهر الثلاث ـ آنذاك ـ وتخرج فيها سنة (١٩٣٥م) وحصل على درجة الاجازة العالية (الليسانس) فى العلوم الشرعية ، ثم التحق بقسم تخصص المادة وحصل على درجة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) فى أصول الفقه سنة (١٩٤٠م) وموضوع رسالته « حجية السنة » التى نقدم لها .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ إلى جانب ثقافته الشرعية والإسلامية ذا ذوق رفيع وبلاغة عالية ، ينهل من عيون الأدب ، ويحفظ الكثير من شعره ونثره لفرسان الفن قديمًا وحديثًا ، وله الكثير من المختارات الشعرية والنثرية مما يدل على طول باعه ، ورهافة حسه ، وجمال تذوقه ، وبلغ من غرامه بالنثر الجيد أنه كان يحفظ العديد من مقامات بديع الزمان الهمذانى ، ورسائل الصاحب ابن عباد ، والخوارزمى وغيرهم ، وكان

يقدم أبا تمام على غيره من شعراء العربية إلى جانب حفظه الكثير من أشعار امرىء القيس وعنترة والنابغة وكعب بن زهير من المتقدمين ، وبشار بن برد وابن الرومى وجرير والفرزدق والمتنبى من المتأخرين ، وبالجملة كان الشيخ - رحمه الله - يقبل فى قراءاته على مختلف الفنون والآداب يقطف من كل بستان زهرة . ولعل ذلك يبدو جليًا من معرفتنا بمكتبته الخاصة التى ورث جزءًا منها عن أبيه ثم أضاف إليها فى حياته ما شاء الله أن يضيف فهى بحمد الله مكتبة فريدة فى نوعها تضم آلافًا من المصادر والمراجع فى شتى العلوم والفنون يجد فيها طالب العلم بغيته ، فى الفقه وأصوله ، والقرآن وعلومه . والحديث وفنونه ، إلى جانب أمهات كتب الأدب وأجناسه . والنقد ومدارسه . والبيان والبلاغة والتاريخ والفلسفة والكثير من الدوريات الأدبية والثقافية والعلمية النادرة مثل مجلة المقتطف والرسالة (القديمة والحديثة) والروايات المترجمة من مختلف اللغات ، وكان - عليه الرحمة والرضوان - حريصا على متابعة كل ما يجد فى كل فن ليضمه إلى مكتبته . وقد استفاد - بحمد الله وتوفيقه - من هذه المكتبة كثير من طلاب العلم وأهله . فكانت لهم مثابة يأوون إليها ، ومعينًا ينهلون منه ، ومصدرًا يصدرون عنه ويرجعون إليه كلما عنّ لهم ذلك ، وهم يجدون فى الشيخ - رحمه الله - بشاشة وترحابًا وعونًا وإرشادًا ، وكرمًا ورعاية لا نظير لهما فى هذا الوقت مما جعله موضع حب الجميع وتقديرهم واعتزازهم وإكبارهم .

تدرجه الوظيفى :

عمل - رحمه الله - فور تخرجه من تخصص المادة بكلية الشريعة الإسلامية بالجامع الأزهر الشريف - ثم جامعة الأزهر حديثاً - حتى صار أستاذاً ورئيسًا لقسم أصول الفقه بها وتخرجت به أجيال من العلماء الأجلاء منذ سنة (١٩٤٠م) ولمدة تربو على اثنين وأربعين عامًا ، قضاها - رحمه الله تعالى - فى خدمة الشريعة الإسلامية وفى البحث والتوجيه والإرشاد العلمى ، والنصح لطلاب العلم وأهله .

فقد أشرف فى مرحلتى الماجستير (التخصص) والدكتوراه (العالمية) فى علوم الفقه وأصول الشريعة على ما يقرب من خمسمائة رسالة علمية وبحث فى جامعة الأزهر وبعض أقسام الشريعة فى الجامعات الأخرى لطلاب مصر والعالم العربى والإسلامى فى مختلف بقاع المعمورة . وجلهم - بحمد الله تعالى - من أنجح الخريجين وألمعهم يتسنم الكثير منهم أعلى المناصب العلمية ، ويسهمون فى خدمة الشريعة الإسلامية فى كل مكان .

اهتمامه بالتراث :

كان للشيخ ولع خاص بتحقيق التراث ، وقدم ثابتة فى معرفة تراجم الرجال والآثار تجعله فى مقام الإمامية والريادة فى هذا المضمار وكان كثير التشجيع لطلابه على المزيد من خدمة التراث الإسلامى ، ونفض غبار الاهمال عنه . ونشر دوره ، والكشف عن أسراره ومحاسنه ، وتقريبه لأذهان القارىء والباحث ، وكان يرى أن تحقيق التراث مَرْكَبٌ صعب لا يقربه إلا من رزق الفهم الثاقب ، والعقل الراجح والثقافة العالية المتنوعة ، فضلًا على أنه مزلق خطير لمن حرم شيئًا من ذلك .

الشيخ والمناصب ، والعمل :

وكان فى شيخنا الجليل عزوف طبعى عن المناصب الإدارية والرياسية مثل المشيخة والعمادة وما شابهها ، وكان يراها مضيعة لوقت العالم الباحث والفقيه المدقق ، ومظنة للخلف بينه وبين أصفيائه ، لكنه ساهم فى الكثير من الأنشطة العلمية والثقافية ، فإلى جانب إشرافه على الرسائل العلمية الجامعية كان عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وقد شارك - مع صفوة من العلماء - فى عمل موسوعة الفقه الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية إلى جانب عضويته للجنة الفتوى بالجامع الأزهر .

كما أنه كان زاهدًا فى الاعارة للجامعات خارج مصر متعففًا عن سائر الإغراءات المادية باستثناء فترة قصيرة كانت استجابة لرغبة كريمة من طلابه ومحبيه عمل

خلالها بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى المملكة العربية السعودية (الرياض) ، وقبل عام (١٩٥٧ م) السفر إلى كلية الشريعة فى (سومطرة) بجمهورية أندونيسيا رغبة منه فى الخدمة الإسلامية العامة ، إلا أن الظروف السياسية ـ آنذاك ـ حالت دون سفره ، ولكنه عمل أستاذًا زائرًا لفترات قصيرة بجامعات كثيرة فى (العراق) و (السعودية) و (ليبيا) و (المغرب) كما أنه زار (الأردن) عندما أدى فريضة الحج عام (١٩٧٢ م) .

وفى احتفال جمهورية مصر العربية بالعيد الألفى للأزهر منحه رئيس الجمهورية المصرية وسام الدولة للعلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى وذلك فى (١٧ مارس ١٩٨٣م) .

أهم أعماله :

١ ـ كتابنا ـ هذا ـ «حجية السنة» رسالته لنيل درجة الدكتوراه (العالمية من درجة أستاذ) وهى التى يتحف المعهد العالى للفكر الإسلامى بها ـ اليوم ـ العالم الإسلامى خاصة طلاب العلم ورجاله بين دفتى هذا الكتاب الجليل .

٢ ـ تحقيق كتاب «أحكام القرآن» للإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى المتوفى (٢٠٤هـ) . جمعه الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله موسى البيهقى النيسابورى صاحب (السنن الكبرى) المتوفى (٤٥٨هـ) . وقد طبع للمرة الأولى فى (غرة ذى القعدة سنة ١٣٧١ هـ) الموافق (١٩٥٢/٧/٢٣م) ، وصور بعدها عدة مرات . وقد كان الشيخ ينوى إعادة نشره وحدثنى فى ذلك كثيرًا ، وأنهى كثيرًا من التعليقات على المنشور حاليًا ، وإن كان بعض التجار قد سطا على الكتاب ، وأعاد نشره عدة مرات من غير إذن . ولعلنا نوفق ـ إن شاء الله ـ إلى طبع نسخة الكتاب الذى أضاف عليها الشيخ إضافات كثيرة نافعة .

٣ ـ تحقيق كتاب «آداب الشافعى ومناقبه» للإمام الجليل أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى (صاحب كتابى : «العلل» و «الجرح والتعديل») . وقد زاد الشيخ عليه وصحح فيه وأضاف إليه من الفوائد ما يغرى بإعادة نشره إن شاء الله .

٤ ـ تحقيق كتاب «الطب النبوى» لشمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى ابن قيم الجوزية (٦٩٠ ـ ٧٥١هـ) . طبعت نسخته التى حققها شيخنا لأول مرة (يوم الخميس ٢٩ من ربيع الآخر ١٣٧٧ هـ) الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٥٧ م ولكن سطا عليه التجار كذلك ، وتصرفوا فيه فمرة يطبعونه مع مقدمة الشيخ ، ومرة يرفعون المقدمة منه ، وفى مَنْزِلِهِ نسخة عليها إضافات كثيرة ، لعلنا نستطيع إصدارها فى وقت لاحق إن شاء الله .

٥ ـ تحقيق كتاب «منتهى الإرادات فى جمع المقنع» مع التحقيق وزيادات لتقى الدين محمد بن أحمد الفتوحى الحنبلى المصرى الشهير بابن النجار (قسمان) بمجلدين كبيرين صدر يوم الخميس من ذى القعدة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢/٤/١٢ م) .

٦ ـ «الإمام البخارى وصحيحه» وهو كتاب حافل بمجلد متوسط كان قد أعده مقدمة لطبعه صحيح البخارى ـ التى نشرها السيد عبد الشكور صاحب مكتبة النهضة ـ بمكة المكرمة سنة (١٣٧٦هـ) ، فكان كثير من أهل العلم يشترون نسخة الجامع الصحيح هذه للحصول على المقدمة فقط ، وقد أعدنا طبعها مفردة منذ شهر .

٧ ـ «أصول الفقه لغير الحنفية» مع الأستاذين إبراهيم عبد الحميد ـ حسن وهدان عام (١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م) ، كتب ـ رحمه الله ـ منها مباحث الحكم كلها .

٨ ـ «محاضرات فى أصول الفقه» جامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون قسم الدراسات العليا ـ شعبة الفقه المقارن ـ السنة الثانية . طبعة خاصة بالطلاب .

٩ ـ «بحوث فى السنة المشرفة» نشرته كلية

الشريعة فى الرياض على صفحات مجلتها « أضواء الشريعة » .

١٠ ـ أربعة مباحث كل منها يعتبر بمثابة رسالة خاصة أعدها ضمن دراسة هامة لأحد أئمة الحنابلة . قام بها أحد طلابه ولم تنشر بعد .

١١ ـ « الاجماع حقيقته وحجيته » : بحث كبير أعده لطلاب الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

مباحث فقهية كثيرة ومتنوعة :

لا تزال بخط يده كان يمليها على طلابه فى المراحل الدراسية المختلفة التى كان يدرس فيها ، منها :

١ ـ أحكام الرضاع .

٢ ـ الكلام على حقيقة نكاح المتعة وبعض ما يتصل بذلك (بحث كبير) .

٣ ـ مباحث أصولية (فى الحكم والمحكوم عليه .... الخ) .

« حجية السنة » كما سبق أن أشرنا كان رسالة الشيخ للأستاذية (الدكتوراه) أعدها ـ عليه رحمة الله ـ خلال عام واحد ، وقام بتبيضها بخطه الجميل فى غرفة والده ـ رحمه الله ـ فى جامع السيدة نفيسة خلال أسبوع واحد ، وقد مرض قبل أن يكمل تبييضها فعهد إلى أحد أفاضل أصحابه بتبيض جزء منها .

كان من بين مناقشيه ـ رحمه الله ـ الشيخ محمود شلتوت الذى كان شديدًا عليه لمخالفته له فى بعض ما أورده فى الرسالة ، ولكنه لم يملك ـ بعد المناقشة ـ إلا أن سلم وأثنى عليه ، وعلى جهده الذى يذكر بقدرات الأفاضل من علمائنا السابقين .

لقد اختار شيخنا الجليل « حجية السنة » موضوعاً لرسالته لنيل الأستاذية (الدكتوراه) وذلك لأن الفترة ـ التى بدأ يستعد فيها لاختيار موضوع للبحث كانت فترة ابتليت بها السنة (كما ابتليت فى فترات سابقة ولا تزال تبتلى) ببعض الجهلة المتعالمين ، أو الملاحدة المفسدين الذين يحاولون التفلت من السنة النبوية ، والتخلص من الأحكام الثابتة بها ، والبعد عن أضوائها وأنوارها ، مرة بادعاء عدم حجية بعض أنواعها ، ومرة بزعم أن ما ورد فيها ـ غير مبين للكتاب ـ فإن الناس ليسوا مطالبين به ، ومرة بالطعن بحملتها الأولين ورواتها الأقدمين ، ونفى العدالة عنهم ، ومرة بادعاء أنها (أى السنة) لا تعدو أن تكون توجيهات ونصائح وآداب غير ملزمة للمسلم أن يعمل بها ، وله أن يتخلى عنها ـ مستدلين لمذاهبهم الفاسدة ، وآرائهم الخبيثة الكاسدة بأوهى المقالات ، وأضعف الشبهات ، وأتفه الخيالات .

وبعضهم يزعم : أن ما جاءت به السنة لا ينبغى أن يعمل به إلا بعد معرفة سائر ظروف وروده ، وأسباب ظهوره ، وسائر ما يمكن أن يكون له أثر فى دلالته عندهم ، وأن السنة إذا دلت على حكم لم يدل القرآن عليه لم يؤخذ بها ، وأن الحديث يجب أن يعرض على عقولهم الجامدة فإن تلقته تلك العقول القاصرة ، والأفئدة المريضة بالقبول صح وعمل به ، وإن أغلقت عقولهم الكليلة دونه أبوابها فليترك وليهمل ، لقد نسى هؤلاء الحمقى أو تناسوا أن سنة رسول الله ـ ﷺ ـ أصل دل عليه كتاب الله ـ وأن الأصل لا يقال له : لم وكيف ؟ ، بل يحكمه المؤمنون ويقبلونه ثم لا يجدون فى أنفسهم حرجًا مما دل عليه ويسلمون له تسليمًا تامًا ، وينقادون لدلالته انقيادًا كاملًا .

ولقد حاول بعض هؤلاء أن يضع لما يذهب إليه من الضلال شيئًا من الجذور محاولًا أن ينبه إلى أن ضلالاته وأوهامه ليست حديثة ، ولم ينفرد بها هو وأضرابه من المعاصرين ، بل هى قديمة فزعم أن بعض الفرق (الضالة) قد أبدت من الشكوك والأوهام مثل ما أبدى لعله بذلك يحمل بعض ضعاف العقول على توهم الأصالة فى آرائه والانخداع بأقواله ، فعالج أبو الكمال ذلك ـ كله ـ بسفره العظيم هذا وشفى وكفى ، فأثبت أن كل ما تلفظ به رسول الله ـ ﷺ ـ (ما عدا القرآن) أو ظهر منه ـ فى الواقع ونفس الأمر ـ من ابتداء رسالته إلى آخر لحظة فى حياته عليه الصلاة

من أعلام الأزهر

والسلام ـ فهو من سنته ، سواء أثبت حكمًا عامًا لسائر أفراد الأمة ـ وهذا هو الأصل ـ أم أثبت حكمًا خاصاً به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو خاصاً ببعض أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ وسواء أكان فعله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جبليًا وفطريًا ـ أم كان غير جبلى ، فما من قول أو فعل يصدر منه ـ ﷺ ـ إلا ويثبت حكمًا شرعيًا يجب اعتقاد ثبوته . بقطع النظر عن كونه ايجابًا أو ندبًا أو تحريمًا أو كراهة ، أو إباحة ، وبقطع النظر عن كونه عامًا لجميع الأمة أو خاصًا بالبعض كائنا من كان ذلك البعض ، وبقطع النظر عن كونه متعلقًا بفعل طبيعى جبلى أو بغيره من سائر الأفعال الاختيارية المختلفة .

ثم أثبت بالأدلة القاطعة ـ التى لا يسع عاقلًا إلا التسليم التام بها أن السنة النبوية المطهرة (بذلك المفهوم الشامل الكامل) ـ كلها ـ حجة شرعية ـ وأن حجيتها بدهية دينية يكفر جاحدها ، كما أثبت بما لا يدع أى مجال للشك : أن أى خلاف بين المسلمين فى أى زمن مضى ـ فى حجية السنة وبداهة هذه الحجية ـ لم يحدث ، وأن الذين زعموا : أن الإمام الشافعى قد نقل ذلك الاختلاف فى (جماع العلم) أو غيره من كتبه لم يفهموا كلام الإمام الشافعى على وجهه ، ولم يدركوا الفرق بين حجية السنة (من حيث هى سنة) وبين حجية الأخبار باعتبارها طريقًا لنقل السنة ، فحجية السنة (من حيث هى سنة) لم يختلف فيها المسلمون فى أى زمن من الأزمان الماضية ، ولم تنازع فى ذلك فرقة من فرقهم ، وأما الأخبار (من حيث هى طريق لنقل السنة وحملها من جيل لآخر) فهى التى نقل فى بعض أنواعها خلاف لبعض المعتزلة وخالف فى بعض أنواعها الخوارج ، وخالف فى حجية بعضها الشيعة ، وقد عالج ـ عليه رحمة الله ـ ذلك كله بما لا مزيد عليه من الدقة والتحقيق .

ولم يدع ـ تغمده الله ورضوانه ـ أية مسألة ذات علاقة أيا كانت بحجية السنة إلا تناولها بما تستحقه من البحث والتمحيص ، فتعرض لمسألة « مساواة السنة للكتاب فى الحجية » ، كما تعرض لمسألة « استقلال السنة بالتشريع » مفندًا آراء من نازع فى ذلك من أهل العلم .

وكذلك فصل القول فى مسألة « كتابة السنة » وما إذا كان هناك تلازم بين الكتابة والحجية ، وأوضح وجه الحق فى كل ما تناوله من تلك المسائل وغيرها ، وقد جعل ـ عليه رحمة الله ـ الكتاب فى مقدمتين وثلاثة أبواب وخاتمة .

عقد « المقدمة الأولى » لبيان معانى السنة عند اللغويين والأصوليين والفقهاء والمحدثين ، وبين ذلك بيانًا شافيًا ، وأوضح الفرق ـ الذى غمض على الكثيرين ـ بين (مفهوم السنة عند الأصوليين) و (مفهومها عند المحدثين) بطريقة لا تجدها فى كتاب آخر ، وبذلك تميز المعنى الأصولى للسنة عن سائر معانيها الأخرى .

أما « المقدمة الثانية » فقد تحدث فيها عن (عصمة الأنبياء) وعلى رأسهم نبينا محمد ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ إذ هى الدعامة التى يقوم عليها بناء « حجية السنة » وإليها تستند الأدلة الأخرى الدالة على الحجية .

ثم وضع « الباب الأول » حيث أوضح فيه : أن « حجية السنة » ضرورية دينية ، وفى « الباب الثانى » أورد سائر الأدلة الدالة على حجية السنة ، باستقصاء لا مثيل له ، واستقراء تام لا يتأتى لغيره لينتقل ـ بعد ذلك إلى « الباب الثالث » الذى أورد فيه سائر شبهات أصحاب الشبهات بروح علمية أمينة ، ثم ردها شبهة شبهة حتى فرغ منها جميعًا ، وأسقطها كلها بالأدلة الساطعة ، والبراهين القاطعة لينتقل ـ بعد ذلك إلى « الخاتمة » وهذه سلك بها مسلكًا تفرد به فلم يجعلها فى تلخيص ما تقدم ذكره ، أو إجمال ما سبق تفصيله ـ كما جرت بذلك عادات المتأخرين بل تناول فيها جملة من المباحث التكميلية الهامة ـ التى لها علاقة بالموضوع ..

رحمه الله رحمة واسعة .

الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى فى الاتحاد السوفيتى (سابقا)

جمهورية قازاكستان

أ.د/ محمد عبد العليم العدوى

(جمهورية قازاكستان)

وتعتبر ذات أهمية كبيرة لأنها أكثر الجمهوريات الإسلامية سكانا كما انها ثانية الجمهوريات الاتحادية مساحة بعد روسيا إذ تبلغ مساحتها منذ ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ٢,١٧١,٠٠٠ كم٢ وقد تم اعلانها جمهورية منذ عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م بعد ان كان لها استقلال ذاتى فى نطاق الاتحاد .

أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر

جمهورية قازاكستان

● موقعها :

تقع فى وسط آسيا وتمتد أراضيها بين نهر الفولجا وبحر قزوين غربا إلى جبال التاى وحدود الصين شرقا وبين سيبيريا شمالا وصحراء وسط آسيا جنوبا وتحيط بها قرغيزيا وأوزبكستان وتركمانستان وتحدها من الشرق التركستان الشرقية ويختلف فيها المناخ تبعا لاختلاف تضاريسها .

● سكانها :

وتبلغ عدد سكان قازاكستان ما يقرب من ٢٠ مليون نسمة منهم حوالى عشرة ملايين من المسلمين وذلك فى سنة ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م .

ويتركز معظم السكان فى اقليم السهوب وعلى طول الاودية النهرية حيث نشأت معظم المدن الرئيسية وفى المناطق الجبلية فى الجنوب والشرق ، ولاسيما وادى نهر سيحون .

● عناصر السكان :

ويتكون السكان من عناصر متعددة أهمها الروس الذين يكونون ٤٣,٢٪ من مجموع السكان والقازاق ٣٢,٦٪ والاوكرانيون ٧,٢٪ والتتار ٢,٢٪ إلى جانب فئات أخرى .

● اللغة وسياسة التهجير :

ويتكلم القازاق لغة تركية وأغلبهم مسلمون من أهل السنة كما تتكلم العناصر الأخرى لغاتها الخاصة وكأن المسلمون يكونون معظم سكان البلاد لولا سياسة التهجير وتوطين كثير منهم فى سيبيريا لتعميرها واحتلال الروس والأوكرانيين محلهم وذلك بهدف محو شخصياتهم ودمجهم فى المجتمعات الإلحادية الأخرى حتى تخرج الأجيال الجديدة من أبنائهم على صورة هذه المجتمعات وبعيدة عن العقيدة الإسلامية تنفيذًا لمخطط خروشوف الذى يرمى إلى تصفية المسلمين فى التركستان واضعاف قوتهم .

● أشهر المدن :

وأشهر المدن وأكبرها عاصمتها (ألماضا) (أبو التفاح) وهى مركز صناعى وثقافى وتقع على سطح منطقة جبلية تغطيها أشجار الصنوبر وفى وسط منطقة زراعية تتوفر فيها المياه وتكثر بساتين الفواكه حولها ولاسيما أشجار التفاح ويقرب عدد سكانها من المليون .

● أهميتها الاقتصادية :

ولهذه الجمهورية أهمية اقتصادية عظمى نظرا لصلاحية أرضها للزراعة ولاسيما القمح الذى تنتج منه ٢٠٪ من مجموع الحبوب فى الاتحاد السوفيتى (سابقا) وهى فى المرتبة الثانية فى إنتاجه بالاتحاد بعد جمهورية أوكرانيا كما انها تنتج ٢٢,٣٪ من مجموع إنتاج الصوف فى الاتحاد ، ٦,٨٪ من مجموع إنتاج اللحوم فيه ، ٤,٨٪ من مجموع إنتاج الحليب .

وتعد قازاكستان المصدر الرئيسى لإنتاج الرصاص والزنك وتشغل المرتبة الثانية فى إنتاج النحاس والمرتبة الثالثة فى إنتاج الفحم والبترول وحجم الإنتاج الصناعى .

كما توجد فيها حرفة الرعى فتكثر الثروة الحيوانية بما يقرب من خمس الثروة الحيوانية (فى الاتحاد السوفيتى سابقا) .

وإلى جانب الزراعة والثروة الحيوانية فهى كنز معدنى ثمين حيث انها الأولى فى إنتاج الكروم CHROME فى العالم كما تنتج ٦٢٪ من نحاس الاتحاد ، ٦٠٪ من رصاصه ، ٥٠٪ من التوتياء فيه كما تتوفر فى البلاد معادن أخرى كالحديد والفحم والبترول والغاز الطبيعى والذهب والفضة والنيكل والمنجنيز .. ولذلك قامت فيها الصناعات الصقيلة والخفيفة والصناعات الغذائية . وفيها تقدم مدنى وثقافى حيث بلغت نسبة التعليم ٩٩,٧٪ وبها كثير من المدارس والمعاهد والجامعات التى تسير فى فلك الدولة ووفق نظامها وتصدر فى البلاد ٣٨٥ صحيفة منها ١٤٦ بلغة القازاق فضلا عما ينشر من دوريات متنوعة بلغ عددها ١٦٨ .

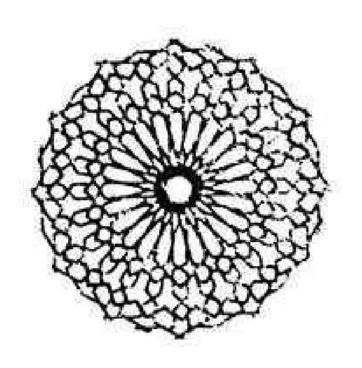

- **الإسلام فى قازاكستان :**

دخل الإسلام هذه المنطقة فى حوالى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ـ وذلك بواسطة جهود الدعاة الصالحين وتلاميذهم من تجار بخارى وسمرقند وخوقند حيث كانوا يجوبون السهوب ويدلون الناس على تجارة لن تبور يهدونهم إلى الإسلام وقد نهضت الدعوة إلى الإسلام فى ظل حكم السامانيين لمنطقة بخارى وماوراء النهر منذ القرن الثالث الهجرى حتى صار هؤلاء الاتراك مادة للإسلام وقوة للحضارة الإسلامية ولعل الآثار العظيمة التى خلفها لنا أمثال الإمام البخارى (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) وأبو حفص البخارى أستاذ الإمام البخارى والشيخ الرئيس بن سينا وتلاميذهم . خير شاهد على ما كان فى هذه البلاد من نشاط ملموس فى الدعـــوة إلى الإسلام وحضارة المسلمين .

ولا تزال المدن الواقعة فى جنوب قازاكستان أكثر تدينا فى كل هذه البلاد وكانت فيها معظم المساجد . اما فى مناطق السهوب شمال سيحون (سرد ريا) فلم يدخل فيها الإسلام الا فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى وظل فيها ذا تأثير سطحى .

ثم جاءت موجة ثانية من نشر الإسلام فى القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين بواسطة المريدين الصوفيين التابعين لطريقتى الياساوية والنقشبندية والذين قدموا من الجنوب .

ولكن الدين الإسلامى لم يتجذر فى الجماهير الا بعد الغزو الروسى لقازاكستان ويعود انتشاره ونموه إلى جهود تجار تتار الفولجا الذين طردهم القياصرة من وطنهم والذين كانوا يقومون ببناء المساجد والمدارس القرآنية .

وخلافا لكل توقع لم يتجذر الإسلام فى عمق الجماهير القزمية إلا أثناء الاستعمار السوفيتى ويعود هذا إلى السياسة الاستعمارية الروسية التى قامت بحرب ابادة ضد القازاق ودينهم .. ونتجية المجازر الرهيبة التى قام بها المستعمرون الروس وخـــاصة مذبحة عام ١٣٣٥هـ ١٩١٦م وسيـاسة (التـحضير) فى الثلاثينيات التى قضت على ثلث سكان قازاكستان المسلمين .. وخيراً وصول المنفيين من مسلمى الشاشان وانيفوش والقوقاز والتتار القوميين إلى قازاكستان أثناء الحرب العالمية الثانية حيث ادخل هؤلاء معهم طرقهم الصوفية (القادرية والنقشبندية) إلى قازاكستـان وخاصة فى المناطق الجنوبية من الجمهورية والتى قامت بتجذير الإسلام وتعميق الكره للمستعمر الروسى الكافر .

وزاد انتشار الإسلام فى منطقة قازاكستان فى عهد العباسيين خصوصا فى عهد المعتصم العباسى وزاد أزدهار الدعوة عندما اسلم الخواقين من آل بوغـرا وانتشرت اللغة العربية بمنطقة التركستان عامة وبرز علماء فى الدين واللغة العربية من بين التركستانيين وكانت لغتهم تكتب بحروف عربية حتى سيطر الروس على منطقتهم فكتبوها بحروف لاتينية كما ان إسلام الأتراك السلاجقة مكن للدعوة الإسلامية ثم تعرضت المنطقة لغزو المغول والتتار الذى دمر معظم الحضارة الإسلامية بوسط آسيا وغربها . وعندما اعتنق المغول الإسلام تحولوا إلى قوة عظمة تنشر الدعوة الإسلامية .

الإســـلام والمسلمون فى آســيا الوســطى جمهوريــة قازاكستان

● قازاكستان والاستعمار الروسى القيصرى :

ولكن الروس الذين خضعوا للتتار المسلمين وضربت عليهم الجزية ابان قوة المسلمين أخذوا يتحينون الفرصة للانقضاض عليهم وعلى ديارهم وفى فترة من فترات الضعف التى ابتلى بها المسلمون بدأت محاولات الروس للسيطرة على منطقة وسط آسيا وذلك منذ القرن الثامن عشر الميلادى .

وقاموا بفرض حمايتهم على سكان قازاكستان بحجة مساعدتهم فى صد غزوات القبائل الصينية البوذية ـ شأن المستعمرين فى كل عصر ـ وما لبثوا ان تغلغلوا فى الحياة السياسية وقاموا باسقاط الخانيات الأربع التى كانت موجودة وذلك من سنة ١٢٣٨ هـ ١٨٤٢م إلى سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٨٢ م

ومنذ عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) بدأت روسيا سياسة الاستعمار الاستيطانى فامتلأت سهـوب قازاكستان بالمستوطنين الـروس . وقـام هؤلاء المستعمرين بطرد السكان من أخصب أراضيهم كما قاموا بمصادرة أراضى الأوقاف الإسلامية لصالح الاقطاعيين من النبلاء الروس وكبار الموظفين والضباط مما أدى إلى قيام الثورات المستمرة من الشعوب القازاق . وحرب الابادة من قبل السلطات الروسية البربرية .

● قازاكستان والاستعمار الروسى الشيوعى :

ومنذ استيلاء الشيوعين على قازاكستان ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) تدفق السيل بالمستوطنين الروس وأخذوا فى الاستيلاء على أراضى المسلمين بالقوة وطردهم منها وتوطين المستعمرين الجدد نسل المستعمرين القياصرة ونتيجة لهذا القهر وسياسة السلب والنهب والتشريد انتشرت المجاعات فيهم . فمات من مسلمى القازاق مايقرب من مليون فى مجاعة ١٣٤٠ ـ ١٣٤١ هـ (١٩٢١ ـ ١٩٢٢ م) كما مات مليون آخر فى مجاعة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) .

ومـــنذ عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦م) إلى عام ١٣٥٨ هـ (١٩٢٩م) قامت السلطات الروسية بسياسة تهجير اجبارية تميزت بالقسوة والوحشية وكلفت حياة مليون قازاق .. وبسبب هذه السياسة الرهيبة فى الثلاثينيات من هذا القرن مات ثلث شعب القازاق المسلم . ولكن لم يمت الإسلام فى قلوب المؤمنين .. بل عادت راية الإسلام عالية خفاقة فى سماء قازاكستان وماتت الشيوعية الملحدة .. وشيعت إلى مثواها الأخير .. والله غالب على أمره .. وهاهم المسلمون فى الجمهوريات الإسلامية يعشون من جديد .. والله أكبر ولله الحمد .

فهل يعود المسلمون إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم . وهل يعتصمون بحبل الله .. ويؤازرون اخوانهم فى الجمهوريات الاسلامية بعد أن انقشع ظلام الالحاد وضلال الشيوعية واشرق فجر الاسلام وعم الآفاق نوره .. ؟ (إنْ تَنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) .

والله الموفق وهو وراء القصد .

الفتاوى

إعداد : عبدالمنعم فوده

السؤال من السيد/ ت. ع. أ

هل يجوز للمسلم أن يخطب امرأة مطلقة الطلقة الثالثة قبل أن تنتهى عدتها علما بأنها طلقت بتاريخ ١٢/١٢/١٩٩١م وما الحكم ؟

● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأن المرأة التى طلقت طلاقا مكملا للثلاث بتاريخ ١٢/١٢/١٩٩١م إن كانت من ذوات الحيض فعدتها ثلاثة حيضات وان كانت يائسة فعدتها ثلاثة أشهر ، وحيث أنها مازالت فى العدة فلايجوز للمسلم أن يخطبها وهى فى العدة ولكن التلميح جائز مع الكراهة . والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد الدكتور/ كامل خليل المدير العام لمستشفى كليوباترا

يقوم مستشفانا بتقديم الرعاية الطبية فى كافة التخصصات (عدا الأسنان) بما فى ذلك إجراء العمليات الجراحية ، وحالات الطوارىء والعناية المركزة وغيرها ، الذى يتطلب تواجد أطباء وممرضين وعاملين وموظفين وفنيين فى كافة التخصصات خلال الأربعة والعشرين ساعة يوميا ، بما فى ذلك وقت صلاة الجمعة .

نرجو من فضيلتكم افتاءنا مشكورين فى الآتى :

١ ـ هل نأثم بتشغيل الأفراد المشار إليهم وقت صلاة الجمعة . علما بأن ضرورة علاج المرضى تتطلب ذلك كما أوضحنا .

٢ ـ هل يأثم المسلم نفسه الذى يعمل وقت صلاة الجمعة استجابة لهذه الضروريات . وما الحكم ؟

● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فنفيد بأنه يجوز شرعا بقاء من يتوقف اسعاف المرضى عليه وقت صلاة الجمعة ولا يأثم من طلب منه ذلك كما لايأثم هو بترك صلاة الجمعة لأن الضرورات تبيح المحظورات . على أن يكون ذلك فى أضيق الحدود وأن يكون التواجد بين هؤلاء بالتناوب كل جمعة بحيث يحضر طبيب وفنى وحارس مثلا فى هذه الجمعة وفى الجمعة التى بعدها يحضر غيرهم حتى لايحرم أفراد مخصوصون من صلاة كل جمعة والله تعالى أعلم .

الفتـ

السؤال من السيد/ ت . ع . ح

أجرت صيدلية بالجدك ـ أى بمشتملاتها من تجهيـزات وأدويـة « لمدة عامين » وتلخصت الشروط فيما يأتى :

١ ـ اتسلم فى نهاية المدة نفس كمية الأدوية التى سلمتها للمستأجر بعـدد ونوعيات وكميات الأدوية على ألا آخذ شيئا مقابل هذه الأدوية .

٢ ـ أتسلم كل شهر مبلغا متفقا عليه مقابل التجهيزات التى فى الصيدلية ومقابل ايجار المكان حيث أننى مستأجرها من شخص آخر .

والمطلوب : من يدفع زكاة المال سنويا لقيمة الأدوية التى سلمتها دون مقابل أنا المؤجر ، أم المستأجر وما الحكم ؟

● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن زكاة الأدوية انما تكون على المستأجر لأنه هو الذى باعها وربح فيها . أما المؤجر حين عودته بعد العامين المتفق عليهما واستلام هذه الأدوية وبيعها يكون عليه الزكاة حيث إن الأدوية تزيد دائما فى هذه الأيام التى نعيشها وبيعها مع زيادة الأسعار والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ هشام فرج على من شبرا

شاب يريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد . ولكن لهما اخوة رضعوا فما الحكم ؟

● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ، ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ولا عبرة ان لهما اخوة رضعوا . فالحرمة تقع على من رضع فقط والله تعالى أعلم .

ـــاوى

السؤال من السيد/ ى . س . أ

ما حكم الشرع فى رجل قطعت يده بسبب السرقة . ثم أخذ هذه اليد وتوجه بها إلى المستشفى ليجرى له فيها عملية وصل . فما الحكم ؟

● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه من قطعت يده عقوبة بسبب السرقة فهذا تنفيذ لحكم الله عز وجل الذى يقول فى كتابه الكريم (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) وبعد قطع هذه اليد لايحل لأى طبيب أن يعيدها إلى ما كانت عليه لأن هذا العمل معارضة لحكم الله ومحادة له

إذ المقصود إزالة هذه اليد حتى لاينتفع بها مرة أخرى والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة/ ل . م . ع

توفى شخص مسلم عن زوجة ، أم وإخوة أشقاء وترك مبلغا من المال يقدر بخمسة عشر ألفا من الجنيهات سائلة لدى الزوجة وأوصاها إذا توفى يكون المبلغ لكِ وذلك نظير خدمتك وتعبك معى ، كما ترك مبالغ غير ذلك وبعض العقارات . فمن يرث وما نصيبه .

● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه إذا صح ما تدعيه المستفتية من أن زوجها أعطاها هذا المبلغ ليكون ملكا لها بعد وفاته فهذا يعد وصية من المتوفى إلى زوجته وعلى الورثة تنفيذها مادامت فى حدود ثلث التركة وما بقى بعد الوصية يكون تركة للزوجة منه الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث وللأم السدس فرضا لوجود عدد من الاخوة والاخوات والباقى للاخوة الأشقاء تعصبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السؤال :

من ث . م . س

نظرا لاقتراب موعد أداء العمرة فى شهر رمضان المعظم . وطبقا لتعليمات المملكة العربية السعودية والتى تقضى بالتطعيم ضد الحمى الشوكية والكوليرا لذلك نرجو

الفتاوى

التفضل بأبداء الرأى فيما إذا كانت هذه التطعيمات تمت فى نهار رمضان للصائم .

هل تبطل الصيام أم لا أفادكم الله .

● الجواب :

نفيد بأن الداخل فى الجسم إذا لم يصل إلى الجوف أو الدماغ أو وصل إلى أحدهما من المسام لا يفطر الصائم كما نص على ذلك فقهاء الحنفية والشافعية فقد جاء فى فتح القدير ما نصه : ولو اكتحل لم يفطر سواء وجد طعمه فى حلقه أو لا لأن الموجود فى حلقه أثره داخل من المسام والمفطر الداخل من المنافذ لا من المسام . وفى شرح مقطوعة الكواكبى ما نصه : وكذا ان وصل إلى جوفه أو دماغه دواء من غير المسام،أما إذا وصل من المسام فانه لا يقضى (يعنى لا يفطر) فلا قضاء عليه كما لو أدهن فوجد أثر الدهن فى بوله أو اكتحل فوجد طعم الكحل فى حلقه أو لونه فى برازه أهـ . وجاء فى شرح المهذب للإمام النووى ص ٣١٣ من الجزء السادس ما نصه وضبط الأصحاب الداخل المفطر بالعين الواصلة من الظاهر إلى الباطن فى منفذ مفتوح عن قصد من ذكر الصوم ثم بين الباطن بأنه ما يقع عليه اسم الجوف أو ما يقع عليه اسم الجوف مما له قوة تحيل الواصل من دواء أو غذاء على اختلاف القولين عندهم هذا وقد نقل الإمام النووى فى صحيفة ٣٢٠ فى شرح المهذب عن الإمام مالك أنه لو داوى جرحه فوصل الدواء إلى جوفه أو دماغه لا يفطر مطلقا سواء أكان الدواء رطبا أو يابسا ومن هذا يعلم أن التطعيم بالطعم المذكور بالسؤال لا يفطر الصائم لأنه لا يصل إلى الجوف منه شيء عن طريق غير المسام كما علمنا ذلك من الأطباء وبما ذكرنا يعلم حكم الحقن ضد الكوليرا والحمى الشوكية وهو أنها لا تفطر الصائم لأن الدواء لا يصل إلى الجوف من المنافذ والله سبحانه وتعالى أعلم .

● السؤال :

من د . ع . ف

هل يجوز للصائم أن يستحم فى البحر ؟ وهل هذا الاستحمام يفطر الصائم ؟

● الجواب :

اطلعنا على هذا السؤال المتضمن الاستفتاء عن حكم استحمام الصائم فى البحر هل هو مفطر له أو لا .

والجواب أن الاستحمام فى البحر وكذا الاغتسال بالماء للتبرد والتلفف بالثوب المبلول لا يفطر به الصائم وان وجد برد الماء فى باطنه . وأفتى الإمام أبو يوسف بعدم كراهته لما رواه أبو داود من أنه عليه السلام (صب الماء على رأسه وهو صائم) من العطش والحرارة وكان ابن عمر يبل الثوب ويلفه عليه وهو صائم ولأن فى ذلك عونا له على أداء الصوم ودفع الضجر الطبيعى .

ودخول جزء من الماء فى الجسم بواسطة المسام لا تأثير له لأن المفطر انما هو الداخل من المنافذ ، وقد كره الإمام أبو حنيفة ذلك لما فيه من اظهار الضجر فى إقامة العبادة لا لأنه مفطر كما ذكره شارح الدرر ومحشيه .

والله تعالى أعلم .

تصويب

جاء فى فتاوى عدد شهر رجب ١٤١٢هـ الموافق فبراير ١٩٩٢م صفحة ٩٢٠ فى المسألة الثالثة من مسائل الميراث ونصها :

توفيت بنت عن أم وأب وأخ شقيق وأخت شقيقة وأخوات لأب وزوجة أب فما نصيب كل وارث ـ أن ميراث الأم الثلث وصحته السدس ـ لأن الإخوة يحجبونها من الثلث إلى السدس والباقى وهو خمسة أسداس فنصيب الأب ولاشيء للإخـوة عامـة ولا لزوجة الأب .

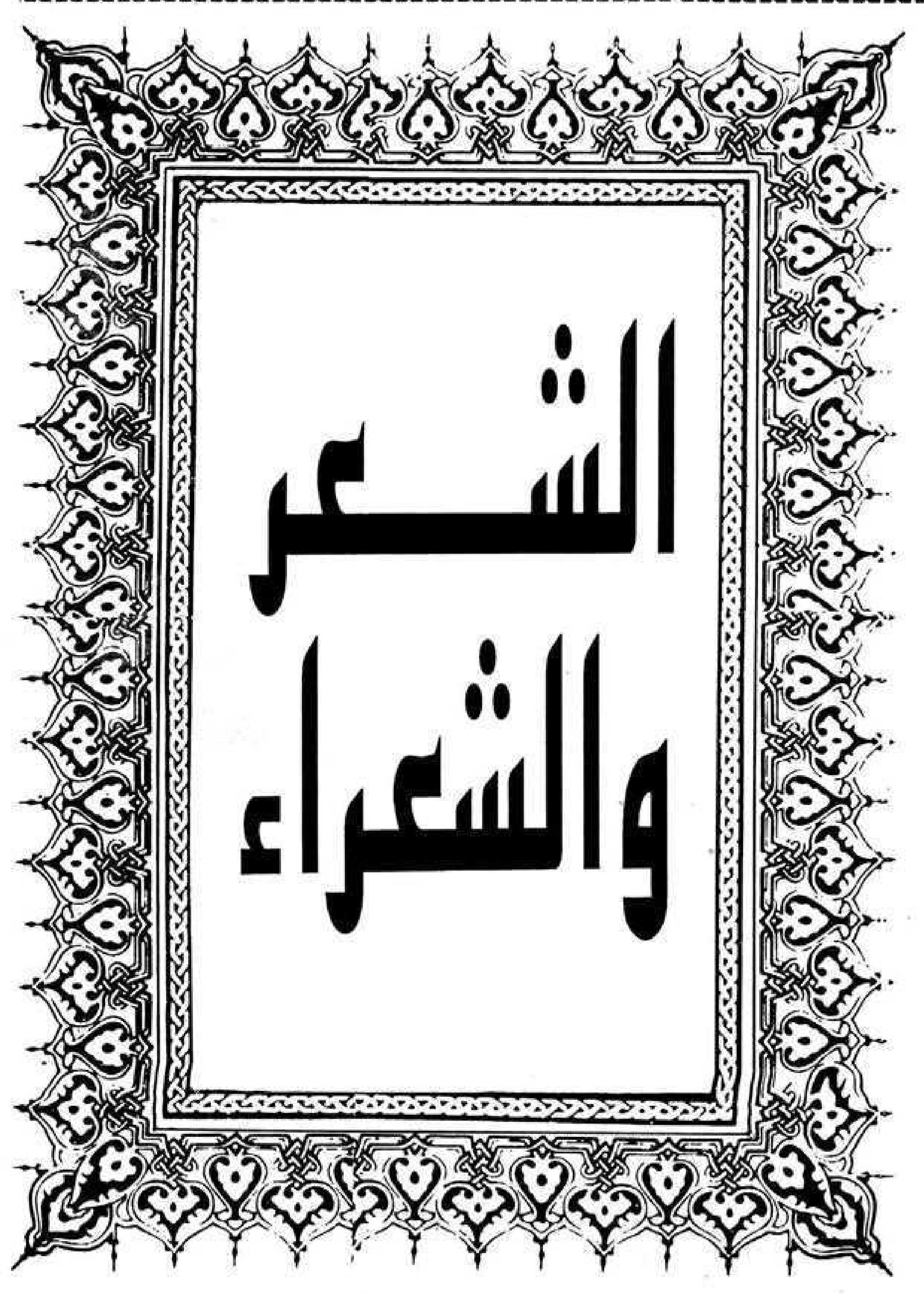

الشعر والشعراء

إلى العابثين بالدين والفن

للشاعر رشاد محمد يوسف

[تعليقا على العبث الذى حدث وبخاصة ما حدث اخيرا من رقصة على هيكل الكعبة .. إلى تقديم سالومى اليهودية على المسرح] .

افيقوا من الغفلة البادية وثوبوا فقد جاءت الغاشية
افيقوا فقد طال ليل الفساد وطالت به غفوة لاهية

على مجدكم تركض الحادثات وانتم لها اعين رائية
على ارضكم تستباح الحقوق وترخص اقدارنا الغالية

على دينكم هجمة كل حين وللكفر احقاده الضارية
على الخير والحق والصالحات تهب رياح العدا عاتية

وتاريخكم وهو سفر جليل تزيفه العصبة الباغية
يخط اليهود به الترهات اكاذيب من نسجهم عارية

ومن خلفهم زمرة بيننا تسير على دربهم راضية
«سلومى» وما شانها بالتراث وبالنيل والازمن الماضية ؟

وتلك يهودية فى الحضيض من الإثم والنزوة الطاغية
هل الفن ان يذبح الانبياء وفاء لشيطانة زانية

هل الفن ان ترقص الغانيات على هيكل الكعبة العالية
هل الفن ان تقتل المكرمات على مذبح الشهوة العاصية

على رسلكم يادعاة الفنون ... ولا تقربوا من شفا الهاوية
متى تكتبون تاريخ الشعوب ... بعيدا عن الكاس والغانية ؟

متى تقلعون عن المغريات ... وعن سَوْرَةِ الجنس كالماشية ؟
متى تستنير حنايا القلوب ... وتستيقظ الشعلة الخابية ؟

فما الدين عشب لكم مستباح ... وما الدين اسطورة بالية
ولكنه طاقة من يقين ... يضيء احاسيسنا الواعية

ينير القلوب بقرانه ... سلاما مع السنة الهادية
به يستقر كيان الحياة ... على الخير والامن والعافية

وللدين في كل قلب ولاء ... وللدين اجناده الفادية

متى يادعاة الخنى والفساد ... متى تنهض الهامة الجاثية ؟
الا صحوة للضمير المريض ... تعود بها الانفس القاصية ؟

احذر قبل فوات الأوان ... فليس لكم كرة ثانية
وليس سوى الله لو تعلمون ... اعد لكم ناره الحامية

فتوبوا إلى رشدكم طائعين ... عسى الله ان تصلح الباقية

إلى الأخوة الكتاب والشعراء

يوجد إنعاج كثير جيد بإدارة تحرير المجلة يوقف نشره خلو المقال أو القصيدة من :

(ا) الاسم الثلاثى أو الرباعى للكاتب أو الشاعر .
(ب) وعمله ومكانه .
(جـ)وعنوانه بوضوح .
(د) والوسيلة التى يسهل بها بأقصى سرعة إمكان الاتصال به وهى ضرورة جدا .
رجاء موافاتنا بالمطلوب .

إدارة التحرير

كنّـا ... ولكنْ !!!

للشاعر محمود محمد بكر هلال

كُنّـا ولكـنْ قد نكصْنـا للـوراءْ .·. ماذا فإنّـا مانقصْنـا مِن نمـاءْ ؟
كُنّـا بماضِى الدهـر صُنّـاع الحيـاهْ .·. كُنـا ومـازِلنـا على الأرض البُنـاه
كنـا وحـقِّ الله ماكُنـا جُنـاهْ .·. فى حِمانـا حقـقَ الشرقُ مُنـاه
لكـن الأيـامُ دارت فاستخـارتْ .·. مَنْ رَعاهـا واصطفاهـا فى انتبـاه
كان للشرق قديمـًـا نهضةٌ .·. أشرقَ الإسلامُ فيها مِن سنـاه
واستعـاد الشرقُ فيها مَجـدَهُ .·. مُذْ مَشى الإسلامُ فيـه وابتنـاه
عندمـا كانت أُوربـا ظُلمـةً .·. حِيـنَ كان الغـرْبُ يَعْشُو فى دُجـاه
بل يخاف البحـرَ أن يسعـى به .·. نحْـوَ قاعٍ يتليـه بالوفـاة !!!
لمْ يكـنْ فى بيتـه الحمّـامُ حتـى .·. يُذهبَ الأوضارَ عنـه بالميـاه !!!
لكـن الأيامُ دارت وارتقـى .·. ذلك الغـربُ الـذى ضلَّ وتـاه !!!
واصلَ السيـرَ على النهج الـذى .·. يَبْتَنِـى المجـد ويسْمُـو فى عُلاه
ومضَى يمْـلكُ فى دنيـا الـورى .·. كلُّ شىءٍ عبقـرىٌ فى الحيـاه
فاستقـامت دولـةُ الدنيـا له .·. والصناعـاتُ تجلّت فى سمـاه
نهضة كبرى ومجـدٌ باذخٌ .·. أذهـلَ الدنيـا وأغـرَى مَن رآه
فاندفعنـا نحوهـا فى لهفـةٍ .·. شأنُ محرومٍ سبـاه ما أتـاه !!!
شأنُ تلميـذٍ يحاكِـى رائـدًا .·. أو يُحاكِـى فى سنـا الدنيـا أبـاه
كلُّ مايحتـاجُ فى دنيـا الـورى .·. مُستعـارٌ وافـدٌ حتـى كِساه !!!
لو دعتـه هيئـةٌ يَحْكِـى لها .·. ذاتَ يومٍ ماشراه واقتنـاه
قال والحسرةُ تشوى قلبَـه .·. كلُّ حاجـاتٍ لدينـا مُشتـراه !!!
ساعتِـى (الجُفيْـلُ) جاءت مِنْ سُويسرا .·. وحِذائـى المستـحبُّ (الشامُـوَاه)
مِنَ لَدَى إيطاليـا مِن صُنعهـا .·. مِن مَعيـنٍ تغـرفُ الدنيـا مَداه
حُلّتِـى سيّـارتى نظّـارتى .·. صاغهـا اليابـانُ فى عِزٍّ وَجـاه
بل أداةُ الطّهْـى فى منزلـى .·. مِن فَرنْسا أو هُلنْـدا مُنتقـاه
كلُّ ماأقْنيـهِ حتـى قلمِـى .·. كلُّـهُ للغـربِ يُعْـزى مُنتمـاه !!!
كلُّـه مُستـوردٌ يالَلأسى .·. مِن بلادٍ قد سمتْ حتـى الرَّفـاه !!!
ألـقت الإهمالَ عن كاهِلهـا .·. ثم راحت فى صراعٍ وانتبـاه
تنشد المجـدَ وتبنـى للعُـلا .·. فى اجتهادٍ أدرك الغـربُ مَداه
لكـن الشرقُ و (لكـنْ) هذه .·. آفـةُ الفِكْـرِ وفيها الفكـرُ تاه !!!

* الشاعر رئيس رابطة الأدباء والشعراء بـ « سوهاج » .

قد تقاعسْنا عن الدِّينِ الذى ∴ حثَّنا للسَّعْي فى هذى الحياةْ !!!
للبناءِ الحقِّ للمَجْدِ الذى ∴ يَعْمُرُ الأرضَ ويَحْمِى مَنْ بَناه
مِثْلَ ماقد كان يَبْنى قَبْلنا ∴ صفوةُ الأجدادِ مرفوعى الجِبَاه
أخضعوا الدنيا لما قد قدَّموا ∴ فى إباءٍ وَارتقاءٍ فى حِمَاه
فى حِمَى الحقِّ والدينِ الذى ∴ عَلَّمَ الدنيا وأعْلَى مِنْ هُداه
فاستعيدوا مجدَكم فى قوةٍ ∴ واستردوا كلَّ ما الغربُ سَبَاه
واحفظوا الأوطانَ فى ظل الهدى ∴ وأعِدُّوا للبنا الهادى قُوَاه
واذكروا أنا كنا فى الورى ∴ سِفْرَ مَجْدٍ أرْشَدَ الدُّنْيَا سَنَاهْ

القراءة وطن !

شعر : السيد الصديق حافظ

يَارُبَّ مغتربٍ والدارُ دانيةٌ ∴ مُسْتوحش الروح قد ضلَّتْ مَطَايَاهُ !
وربَّ أمرٍ لنا فى نَيْلِهِ وَطَرٌ ∴ النفسُ ترضاهُ والأقدارُ تأباهُ !
إنِّى مقيمٌ ولى روحٌ على سفرٍ ! ∴ أوَّاه ياغربةَ الأرواحِ أوَّاهُ !

● ● ●

أصحابُك الكُتْبُ فلْتَسْعَدْ بصُحْبَتِها ∴ لكنَّ أكرَمَها ماالله أوحَاهُ !
فى كل حرفٍ نعيمُ الله يَسْكُنُهُ ! ∴ ماأكْرَمَ الحرف مبْناهُ ومعْناهُ !
إنَّ القراءةَ - ماأحببْتَها - وطنٌ ∴ فيه الغِنَى والمُنَى ، والمجدُ والجَاهُ !
من صاحَبَ الكُتْبَ لم يشْكُ الفراغَ ولَمْ ∴ يستَنْفِدِ العُمْرَ فى لهوٍ تغشاه !

● ● ●

بالكُتْبِ أرْشَدَنا الله وعلَّمَنا ∴ لولا المعارفُ فيها ماعَرَفْناهُ !
لولا الكتابُ لهِمْنا فى جَهالتِنا ∴ وكانت الناسُ كالأنعامِ لولاهُ !
قد أودعَ الله نورَ العِلمِ فى كُتُبٍ ∴ وضمَّنَ الله ألواحًا وصايَاه !
وخطَّ فى اللوحِ فى أمِّ الكتابِ فَلا ∴ يمحُو ويثبتُ ماقَدْ شاءَ إلا هُو !
اقرأ كتابَك لاتغفلْ بمن عدَلُوا ∴ عن الصراطِ وفى أوهامِهِمْ تاهُوا

● ● ●

٢ ـ المستدرك على ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي

للأستاذ أيمن محمد ميدان

(٤)

قال عمرو بن كلثوم :

لَنَــا حُصُونٌ من الخطِّــيِّ عاليَــةٌ   فيها جَداولُ من أسيافِنَــا البُتُــرِ[١]
فَمَــنْ بَنَــى مُدراً مِنْ خَوْفِ حادِثَــةٍ   فإنَّ أسيافَنَــا تُغْنِــي عن المدرِ[٢]

(٥)

قال عمرو بن كلثوم :

نُكَفِّــرُ بِالْيَدَيْــنِ إذَا الْتَقَيْنَــا   وتُلْقِــيْ مِنْ مَخَافَتِنَــا عَصَاكَــا[٣]

* البيتان من بحر « البسيط » .
البيتان وردا معزوين لعمرو بن كلثوم في : الوحشيات ٥٣ ، على حين وردا معزوين لعمرو بن كلثوم « .. أخو بني عُمَيس الكنانى .. » في الحماسة البصرية ١٠/١ .

١ ـ حُصُون : واحدها حِصْنٌ ، والحِصْنُ كل موضع منيع لا يوصل إلى ما في جوفه .
والخَطِّيُّ : رماح تنسب إلى الخَطِّ ، والخط في لسان العرب « خطط » : الليث : الخطُّ أرض تنسب إليها الرماح الخطية ... وهو خط عمان . وقال ابن سيدة : والخط سيف البحرين وعمان ... وقيل : الخط مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح .... وليست الخط بمنبت للرماح ، ولكنها مرفأ السفن التي تحمل القنا من الهند .
الجوهري : الخط موضع باليمامة ، وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فَتُقَوَّمُ به . والجداول : واحدها الجدول ، والجدول : النهر الصغير . والبتر : واحدها الباتر ، والباتر : السيف القاطع .

٢ ـ المدر : واحدها المَدَرَةُ ، والعرب تُسَمِّي القَرْيَة المبنية بالطين اللَّبِن .. وكذلك المدينة الضخمة المَدَرَة . والحادثة : النازلة .

* البيت على بحر « الوافر » .
ورد البيت معزوا لعمرو في : الفائق ٢٠٤/٢ .
(٣) ـ نكفّر نحني برفع اليدين دلالة على الاستسلام . وتلقى : تطرح .
ومخافتنا : رهبتنا وخشيتنا . والعصى : الرُّمْح .

قال عمرو بن كلثوم :

مَعَاذَ الإلهِ أنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا ... عَلَى هَالِكٍ أوْ أنْ تَضِجَّ مِنَ الْقَتْلِ[1]

قِرَاعُ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا ... بِأرْضٍ بَرَاحٍ ذِى آرَاكٍ وذِى أَثْلِ[2]

فَمَا أَبْقَتِ الأَيَّامُ مِلْمَالِ عِنْدَنَا ... سِوَى جِذْمِ أَذْوَادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ[3]

ثَلاثَةُ أثْلاثٍ فَأثْمَانُ خَيْلِنَا ... وَأَقْوَاتُنَا وَمَا نَسُوقُ إلَى الْقَتْلِ[4]

* الأبيات من بحر « الطويل » .

١ ـ معاذ : من المصادر التي لاتكون إلا منصوبة ، ومعاذ الله أى عياذا بالله ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ معاذ الله أن نأخذ إلا مَنْ وجدنا متاعنا عنده ﴾ ... والعرب تقول للشىء ينكرونه والأمر يهابونه : « معاذ الله » . وتنوح نساؤنا : أى يجتمعن للحزن والبكاء . والهالك : من أصيب بمكروه فأودى به . وضجّ الناس : إذا صاحوا مستغيثين ، و « تضج » في هذه الرواية عائد على « نساؤنا » .

ورد البيت بالرواية السابقة في : الحماسة ٢٥٧/١ ، والأشباه والنظائر ٨٩/١ وأشار الخالديان إلى بعض الشعراء الذين تناولوا هذا في شعرهم ، موردا هذه الأبيات ، فقال : « أما قوله : « معاذ الإله أن تنوح نساؤنا ... البيت » فقد تناوله بعض الشعراء بأسره ، فقال :

مَعَاذَ الإلهِ أنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا ... عَلَى هَالِكٍ مِنَّا وَإنْ قُصِمَ الظَّهْرُ

وأخذه آخر فقال :

هُمُ الْقَوْمُ لايَخْشَوْنَ حَزْنًا مُضِيَّةً ... وَإنْ قُتِلُوا لَمْ يَقْشَعِرُّوا مِنَ الْقَتْلِ

وأخذه أبو تمام وقال :

مُسْتَرْسِلِينَ إلى الحُتُوفِ كَأنَّمَا ... بَيْنَ الحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أرْحَامُ

وروى البيت برواية ثانية في : شرح الحماسة للمرزوقى ١٠٩/١ ، وشعراء النصرانية ٢٠٤/١ وهى :

مَعَاذَ الإلهِ أنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا ... عَلَى هَالِكٍ أوْ أنْ نَضِجَّ مِنَ القَتْلِ

ونضج : عائد على الشاعر وقومه .

٢ ـ المقارعة : مضاربة القوم في الحرب ، وكل شىء ضربته بشىء قرعته . وقراع السيوف بالسيوف : هنا حذف المضاف ، وكأنه قال : قراع أصحاب السيوف بالسيوف . والبراح : الأرض التى لابناء فيها ولا عمران ، وبراح بدل أرض .

والآراك : شجر معروف ، وهو شجر يُستاك بعروقه ، قال أبو حنيفة : هو أفضل ما استيك بفرعه من الشجر ، وأطيب مارعته الماشية رائحة لبن ، وقال ابن شميل : الآراك شجرة طويلة خضراء .. كثيرة الورق والأغصان ، خوارة العود تنبت بالغَوْر تتخذ منه المساويك .

والأثل : شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم وأكرم وأجود عودا تُسوّىَ به الأقداح الصُّفْرُ الجياد ، ومنه اتخذ مِنْبَرُ سيدنا محمد رسول الله ـ ﷺ ـ والآراك والأثل نبات ينبتان في السَّهْل أكثر .

والمعنى : أنهم بما يملكون من عُدّةِ الْحَرْبِ وشجاعة الفرسان هبطوا أرضا مكشوفة لاهضاب فيها يلجأون اليها ، ولا جبال شاهقة يتحصنون بها .

ورد البيت بروايته السابقة في : حماسة أبى تمام ٢٥٧/١ ، وشرحها للمرزوقى ١٠٩/١ ، والأشباه والنظائر ٨٩/١ ، وشعراء النصرانية ٢٠٤/١ ، وقد ذكر الخالديان في الأشباه والنظائر ٨٩/١ ـ ٩٠ نظائر هذا البيت .

٣ ـ الأيام : أراد بها الوقعات . ملمال : أراد (من المال) فجعل الحذف بدلا من الادغام ، لما التقى بالنون واللام حرفان يتقاربان الأول متحرك والثانى ساكن سكونا لازما . والجِذْمُ : الأصل . والأذواد : مادون العشرة من الإبل . والمحذَّفة : الممزقة . والمعنى : ما أبقى تأثير ما حلّ بنا من حوادث ووقعات من أموالنا سوى بقايا إبل طاعنة في السن ، عقيمة لاتلد .

ورد البيت بروايته السابقة في : حماسة أبى تمام ٢٥٧/١ ، وشرحها للمرزوقى ١٠٩/١ ، وبرواية ثانية في الأشباه والنظائر ٨٩/١ ، وهى :

فَمَا أبْقَتِ الأيَّامُ مِلْمَالِ عِنْدَنَا ... سِوَى جِذْمِ أذْوَادٍ لُعِبْنَ عَلَى الأزْلِ

والأزْل : الشّدّة والضيق .

وبرواية ثالثة في شعراء النصرانية ٢٠٤/١ وهى :

فَمَا أبْقَتِ الأيَّامُ مِنْ مَالٍ عِنْدَنَا ... سِوَى جِذْمِ أذْوَادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ

٤ ـ الأقوات : واحدها القوت ، والقوت : مايُمْسِكُ الرَّمَقَ من الرزق . والقتل : الموت بضرب أو حجر أو سُمٍّ أو عِلّةٍ . يقول : إنَّ أموالنا مقسمة إلى ثلاثة أثلاث ، قسم نشترى به الخيل ، وقسم نشترى به مايسد الرمق من الرزق ، وقسم ندفعه دِيَةً لمن نقتل .

وعلّق الخالديان على هذا البيت وسابقه بقولهما : « وقوله : فما أبقت الأيام .... البيت . فقد جَوّدَ فيما ذكر وأحسن القسمة في البيت الأخير إذ جعل حالهم ثلاثة أقسام ، قسم يصرف في أثمان الخيل إذ كانت حصونهم التى يلجأون إليها ، ويبلغون بها الغايات ، ويدركون بها الترات ، وقسم في أذوادهم وأقواتهم وما يقرون ضيوفهم ، وقسم في ديات من يقتلون ، ولا نعلم أحدا اتفق له في بيت واحد ، ولا أبيات كثيرة كما اتفق هذا في صحة القسمة ، وشرح الأبواب التى تُصْرَفُ فيها » .

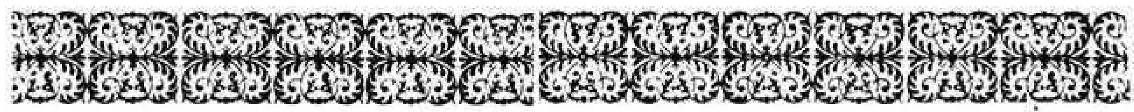

٢ ـ المستدرك على ديوان

(٧)

قال عمرو بن كلثوم :

هلَكْتَ وأهلَكْتَ العشيرةَ كُلَّها ... فَهَذك نهدٌ لا أرى لك أرْقَما[١]

(٨)

قال عمرو بن كلثوم :

وَكُنْتَ امْرءا لَوْ شِئْتَ أنْ تَبْلُغَ النَّدَى ... بَلَغْتَ بأدْنَى نِعْمَةٍ تَسْتَدِيمُهَا[١]

وَلكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أثْقَلُ مَحْمَلاً ... مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ حِينَ تَرُومُهَا[٢]

ورد البيت بروايته السابقة فى حماسة أبى تمام ٢٥٧/١ وشعراء النصرانية ٢٠٤/١ . والمقطعة بهذه الرواية معيبة عروضيا بعيب « الإيطاء » ، ويتمثل فى إعادة كلمة الرّوىّ لفظا ومعنى وبدون فاصل حُدّد بمقدار سبعة أبيات .

وبرواية ثانية فى شرح الحماسة للمرزوقى ٤٧٦/١ ، والأشباه والنظائر ٨٩/١ وهى :

ثلاثةُ أثلاثٍ فأثمانُ خيلنا ... وأقواتنا وما نسُوق إلى العَقْلِ

والعقل : الدِّية .

والبيت بهذه الرواية ينفى عيب « الايطاء » عن مقطعة عمرو ، على أننى أسارع فأقرر أنه ينبغى أن نقف وقفة متأنية نؤكد من خلالها ماذهب إليه الدكتور ابراهيم أنيس ـ فى كتابه موسيقى الشعر ٢٩٣ ـ من أن ما أسماه العروضيون العلل الجارية مجرى الزحاف وبعض عيوب القافية والضرورات ، لم يكن إلا أثرا لضعف الرواية وزلل الحافظة والذاكرة ... » .

* البيت من بحر « الطويل » ، ورد معزوا لعمرو فى معجم ما استعجم ٤٠/١ .

١ ـ عشيرة الرجل : بنو أبيه الأدنون ، وقيل : قبيلة الرجل .

* البيتان من بحر « الطويل » ، وردا معزوين لعمرو بن كلثوم فى كلّ من : الأشباه والنظائر ٢٠٧/٢ ومحاضرات الأدباء ١٣٣/١ ومجموعة المعانى ١٦١ ، على حين وردا معزوين لكلثوم بن عمرو العتابى فى : البيان والتبيين ١٢٠/١ ، والحيوان ٦٢/٣ . وفى شعراء النصرانية ٢٠٤/١ . أورد لويس شيخو البيت ضمن ترجمة عمرو بن كلثوم ، ومهّد له بقوله : « ومن أمثاله فى لزوم الطباع ، وغلبة الأخلاق على التكلف ، قوله ... البيت » .

١ ـ الندى : السخاء والكرم . والنعمة : الخفض والدعة والمال ... والنعمة : اليد البيضاء الصالحة والصنيعة والمنّة وما أنعم به عليك .

٢ ـ فطام النفس : كبح جماحها . والصخرة الصماء : الصلبة .

ورد البيت برواية ثانية فى شعراء النصرانية ٢٠٤/١ ، وهى :

ولكنْ فطامُ النفسِ أيسَرُ مَحْملاً ... من الصَّخرةِ الصمَّاءِ حين تَرُومُها

عمرو بن كلثوم التغلبي

(٩)

قال عمرو بن كلثوم :

وَمِــــنْ دُونِ ذَلِكَ خَرْطُ القَتَـــادِ   وَضَرْبٌ وَطَعْـــنٌ يُقِـــرُّ العُيُونَـــا[١]

(١٠)

قال عمرو بن كلثوم :

لِيَهْنِـــئْ تُرَاثِـــى تَغْـلِبَ ابْنَـــةِ وَائِـــلِ   إِذَا نَزَلُـــوا بَيْــنَ العُـــذَيْبِ وَخَفَّـــانِ[١]

* البيت من بحر « المتقارب » ، ورد معزورا لعمرو بن كلثوم فى المستقصى ٢/٨٢ ـ ٨٣ ، وأشار المحقق إلى أنه عثر على هامش الأصل على العبارة الآتية : « قال أبو عبد الله محمد السورقى ، وفى حفظى عن المبرد أنه لكعب ابن جعيل التغلبى لا لعمرو بن كلثوم ، وهو الصواب » .

١ ـ الخرط : قشرك الورق عن الشجر اجتذابا بكفك ... وخرطت الورق : حته ، وهو أن تقبض على أعلاه ثم تمر يدك عليه إلى أسفله . والقتاد : شجر له شوك .. وقال الأزهرى : والقتاد شجر ذو شوك لا تأكله الإبل إلا فى عام جدب ، فيجىء الرجل ويضرم فيه النار حتى يحرق شوكه ثم يرعيه إبله ، وبه ضربت العرب المثل فقالت : « دونه خرط القتاد » دلالة على الأمر الشاق الصعب المنال .

والضرب : يكون بالسيف ، والطعن : الوخز بالحربة وغيرها . ويقرُّ العيون : أى صادفت ما يرضيك ، فتسكن عينك فلا تتطلع إلى غيره .

* البيت من بحر « الطويل » ، ورد معزوا لعمرو بن كلثوم فى معجم ما استعجم ٢/٥٠٥ .

١ ـ الإرث : الأصل ، قال ابن الأعرابى : الإرث فى الحسب ، والورث فى المال .. الجوهرى : الإرث الميراث . وتغلب : قبيلة الشاعر ،

والعُذَيْبُ ، قال ياقوت فى معجمه : « هو ماء بين القادسية والمُغِيثَة بينه وبين القادسية أربعة أميال ، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا . وقيل : هو واد لبنى تميم ، وهو من منازع حاج الكوفة ، وقيل : هو حد السواد ، قال عبدالله السكونى : العذيب يخرج من قادسية الكوفة إليه ، وكان مسلحة للفرس ... والعذيب أيضا ماء قرب القرما من أرض مصر فى وسط الرمل . والعذيب موضع بالبصرة عن نصر . » وفى لسان العرب (عذب) « : ماء لبنى تميم .... قال الأزهرى : ماء معروف بين القادسية ومغيثة . وفى الحديث ذكر العذيب ، وهو ماء لبنى تميم على مرحلة من الكوفة ، وقيل : سمى به لأنه طرف أرض العرب من العذبة ، وهى طرف الشىء ...

وخفان ، قال ياقوت فى معجمه : « موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا ، وهو مأسدة ، وقيل : هو فوق القادسية » . وقال البكرى : « موضع قبل اليمامة أشب الغياض كثير الأسد ، ومنازل تغلب ما بين خفان والعذيب .

طرائف 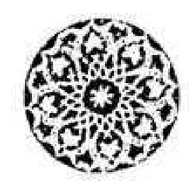 ومواقف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

القنــاعة

قال عليه السلام : القناعة كنز لا يفنى .

وقال أيضا : كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما ، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب

صفات المرأة الصالحة وثوابها

أربعة من النساء فى الجنة :

● امرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها .

● ولود صابرة ، قانعة باليسير مع زوجها . ذات حياء إن غاب عنها زوجها حفظت نفسها وماله ، وإن حضر أمسكت لسانها عنه .

وثوابها كما يقول الرسول : يستغفر لها الطير فى الهواء ، والملائكة فى السماء .

خـير العمـل

قال الأصمعى :

اللهم أجعل خير عملى ما قارب أجلى ، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع .

● ● ●

● ما من عبد مسلم يقول إذا أمسى وإذا أصبح ثلاثا .. رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا .. إلا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة (رواه الترمذى) .. حديث حسن .

● ● ●

● من قال حين يصبح وحين يمسى ، سبحان الله وبحمده ، مائة مرة لم يأت يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه (رواه مسلم)

أبو تمام والكندى

أمتدح أبو تمام الخليفة العباسى أحمد بن المعتصم بقصيدة فلما بلغ إلى قوله :

اقدام عمرو فى سماحة حاتم ... من حلم أحنف فى ذكاء إياس

قال له الكندى بجرأة وثبات : الأمير فوق من وصفت فأطرق أبو تمام مليأ ثم قال :

لا تنكروا ضربى له من دونه ... مثلاً شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

فسكت الكندى : وأعجبت الفئة الحاضرة لفطنة أبى تمام واصالة رأيه ، وجودة فكره ، وسرعة خاطره .

حق القـول الصـادق

« حق على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يقضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل ، فإن هذه الساعة عون له على هذه الساعات وإجمام القلوب ، وحق على العاقل ألا يظعن إلا فى إحدى ثلاث : زاد لمعاده ومرمة لمعاشه ، أو لذة فى غير محرم ، وعلى العاقل أن يكون عارفا بزمانه ، مالكا للسانه مقبلا على شأنه .

لا ينبغي مقابلة النعمة بالمعصية

عن مالك بن دينار قال : « قرأت فى بعض الكتب أن الله يقول : يا ابن آدم خيرى ينزل إليك ، وشرك يصعد إلى واتحبب إليك بالنعمة وتتبغض إلى بالمعاصى ، ولا يزال ملك كريم قد عرج إلى منك بعمل قبيح . » .

● ● ●

ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاثة مواطن :

- لا يعرف الجواد : إلا فى العسرة .
- والشجاع : إلا فى الحرب .
- والحليم : إلا فى الغضب .

للمرائى أربع علامات

- يكسل إذا كان وحده .
- وينشط إذا كان مع الناس .
- ويزيد العمل إذا أثنى عليه .
- وينقص إذا ذم به .

● ● ●

● قال على رضى الله عنه : لولده الحسن عليه رضوان الله :

احذر الغضب : فإنه يسفه الحليم ، ويطيش العالم ، ويفقد معه العقل ، ويظهر معه الجهل .

ورد أن عليارضى الله عنه قال لولده الحسن رضى الله عنه « يا بنى ، خف ثلاثا :

ـ خف الله ، وخف من لا يخاف الله ، وخف لسانك فإنه عدوك على دينك يؤمنك الله جميع ما خفته .

● كتب بعض الحكام إلى رجل من اخوانه : يأأخى أحذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده .

قال سعد بن أبى وقاص لسلمان :

« أوصنى فقال له : أذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا تكلمت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا بطشت . » .

النعـــيم

قال سفيان الثورى : ما بقى لى من نعيم الدنيا إلا ثلاث « أخ ثقة فى الله اكتسب فى صحبته خيرا ، إن رآنى زائغا قومنى أو مستقيما رغبنى ، ورزق واسع حلال ليست لله على فيه تبعة ، ولا لمخلوق علىّ فيه منة ، وصلاة فى جماعة أكفى سهوها وأرزق أجرها

دعـــاء

اللهم إنى أعوذ بك من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ، أعوذ بك من شر هؤلاء الأربع .

من روائـــع الماضـــى.. بمجلة الأزهر

فى الدين والفقه

التقــوى فى القــرآن

لصاحب الفضـيلة : الشـيخ محمود شـلتوت

عضو جماعة كبار العلماء*

إعـداد وتقـديم/ عبد الفتاح حسين الزيات

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنتى » .
والقرآن الكريم ليس كتاباً يتلى فقط ولكنه يتدبر لينتفع به المؤمنون . قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾[1] وما ذلك إلا لأن القرآن فيه من التعاليم والتوجيهات والنصائح والإرشادات ما يرسم أفضل السبل إلى محبة الله ورضوانه ومن ذلك التقوى باعتبارها أساس أصيل فى البناء الإسلامى وسر من أسرار رضا الله عن العبد .. وباب من أبواب الخير فى الدنيا والآخر .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[2] .

وقال : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[3] .

قال الأستاذ الشيخ رحمه الله :

---

(١) سورة النساء آية ٨٢ .　　(٢) سورة الأعراف آية ٩٦ .

(٣) جزءان من الآيتين ٢ ، ٣ من سورة الطلاق .　　* حل محلها ـ الآن ـ مجمع البحوث الإسلامية .

هـــدى القـــرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (سورة الإسراء ـ آية : ١٠) .

يهدى للتى هى أقوم فيرشد فى العقيدة إلى ما يطهرٌ القلب من الشرك والوثنية ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ويهدى للتى هى أقوم فى الأخلاق ، فيرشد إلى ما يزكى النفوس ويصلح من شأن الفرد والجماعة ، ويربط الناس برباط الرحم الإنسانى العام ، وذلك كالحلم ، والرحمة ، والصدق ، والصبر والوفاء ، والإحسان ، والجود ، وما إلى ذلك من الأخلاق التى لها الأثر الصالح فى تحقق الغرض السامى من جعل الإنسان خليفة فى الأرض يعمرها وينميها ، ويصل بها إلى الكمال المقدر لها فى نظام خالـــق الأرض والسمٰوات .

ويهدى للتى هى أقوم فى تنظيم الأسرة والجماعة فيضع الأحكام العملية ، أو يضع أصولها ، ويكلف الناس اتباعها فى تنظيم علاقتهم به سبحانه وتنظيم ما بينهم من علائق وصلات ، ومن ذلك أن عرض القرآن الكريم لأصول العبادات التى يغذى العبد بها إيمانه ، ويكون له منها سبيل لمراقبة مولاه واستشعار عظمته . وعرض لأحكام الزواج ، والطلاق ، وما يتبعهما من مهر ، ونفقة ، ورضاع ، ونسب ، وعدّة ، ووصية ، وإرث وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة الأحوال الشخصية وتنظيم الأسرة الإنسانية الفاضلة . وعرض لأحكام البيع والإجـارة ، والرهن ، والمداينة ، والتجارة ، وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة المعاملات المالية التى هى عصب الحياة الاجتماعية القوية . وعرض لأحكام الجنايات كالقتل ، والسرقة والإفساد فى الأرض ، وهتك العرض ، والقذف وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة الجنايات ، ويقى المجتمع شرور المآثم ، ومعاول الهدم والفناء . وعرض لأحكام الحرب والسلم وما يتبعهما من غنائم ، وأسرى ، ومعاهدات ، مما يدخل فى دائرة الأحكام الدولية العامة ، وبه تحفظ الأمة عزتها ومكانتها بين الأمم . وعرض بعد ذلك كله لأصول الحكم ، ومصادر التشريع مما يدخل فى دائرة تنظيم إدارة الجماعة الإسلامية ، والتشريع لما تقتضيه أحوالها فى دائرة ما رسم الله من ذلك .

حثـه على النظر فى الكائنات :

ويهدى للتى هى أقوم من وجوه العظة والاعتبار التى يترسمها الإنسان فى حياته ويجعلها مناراً يسترشد به كلما نزل به خطب ، أو انحرفت به سبل ، وذلك بأمرين كثيراً ما عنى القرآن بهما ، ولفت الأنظار إليهما .

أولهما : الإرشاد إلى النظر والتدبر فى ملكوت السمٰوات والأرض وما خلق الله من شىء ، لتعرُّف أسرار الله فى كونه ، وإبداعه فى خلقه ؛ فتمتلىء القلوب إيماناً بوجوده وعظمتـــه ، عن نظـــر واستدلال ، لا عن تقليد واتباع . وقد نعى القرآن كثيراً على هؤلاء الذين أهملوا عقولهم ، وألغوا فى أنفسهم خاصة الإنسان ، خاصة النظر والفكر ، وراحوا يلقدون الآباء والأجداد ، فى عقائدهم ، وعباداتهم ، ولـو كان آباؤهـم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون .

وبهذا الإرشاد فتح القرآن للناس باب البحث فى الكائنات ، والوصول إلى خواص الأجسام فى الأرض والسماء ، والماء والهواء ، لكى ينتفعوا بها فى حياتهم ، ويستخدموها فى التعمير والإنشاء ويكون ما يصلون إليه من ذلك وينتفعون به فى حياتهم الدنيوية مظهراً من مظاهر رحمة الله بالعباد .

القصص القرآنى والغرض منه :

وثانيهما : قصص الأولين ، أفراداً وأمماً ، محسنين ومسيئين . وقد أورد القرآن من ذلك ما يثير العظة

التقـوى فى

والاعتبار ، ويرشد إلى تعرف سنن الله التى ارتبطت بها معاملته لعباده وما كان لهم من عاقبة .

ونبادر فنقرر هنا أن مقصد القرآن من ذكر قصص الماضين لا يعدو الإرشاد إلى موضع العظة والاعتبار ، وإلى أن سنة الله فى معاملة خلقه سنة واحدة ثابتة فى جميع الأجيال والعصور وفى جميع الأجناس والأقاليم ، وأنها تسير بالناس على النظام الذى قدر لها من يوم أن خلق الله السمٰوات والأرض ، وهى فى ذلك لا تحابى جنساً على جنس ، ولا طائفة على طائفة ، فالكل عباد الله وهى سنة الله لعباد الله فمن شاء اتخذ إلى سنة الخير سبيلاً ، ومن شاء اتخذ إلى سنة الضلال سبيلاً .

ولم يذكر القرآن هذا القصص على أنه تاريخ يحدّد الزمان والمكان ، ويعيّن الأشخاص ، ويرتب الوقائع ، ويبين الأسباب والنتائج على نحو ما يألفه الناس من التاريخ وكتب التاريخ ، ولقد تكرر فى القرآن ذكر القصة الواحدة نزولاً على ما يقضى به السياق من جانب إحدى العظات التى تضمنتها القصة أو تشير أحداثها إليها ، وتبع ذلك الاختلاف ، شىء من الإختلاف فى التصوير والعبارة . وعلى الرغم من هذا ومن وضوحه فى القرآن الكريم قد شغل كثير من المفسرين أنفسهم ، وشغلوا الناس معهم بتحميل الآيات القصصية ما لم يرده الله منها ، وبذلك صرفوا الناس عن مقاصد العظة والاعتبار وبقيت الآيات تتلى ، لا ينتفع بها مؤرخ فى تحقيق تاريخى ولا ينتفع بها مؤمن فى عظة نفسية أو اجتماعية ، شأن المتكلمين ، والفقهاء ، والنحاة ، والبلغاء فى تناولهم تفسير القرآن مع إهمالهم جوانب التزكية النفسية والإرشاد إلى ما تطلبه الحياة ويشير إليه القرآن من وسائل السعادة . شغلت كل طائفة من هذه الطوائف نفسها وشغلت الناس معها فى صرف القرآن عن هدايته العامة ، الثابتة ، المطردة ، إلى وجوه من النظر والجدل ، لا يبتغون من ورائها سوى أن القرآن يؤيد رأيهم ، أو يشهد لمذهبهم أو أنه ينطبق على ما وضعوا للنحو والبلاغة من قواعد ، وما إلى ذلك مما لا يدخل فى دائرة ﴿ للتى هى أقوم ﴾ التى يهدى إليها القرآن .

هذا وقد ضل فريق من الناس فحملوا القصص القرآنى على التخيل والتمثيل الذى لا واقع له فى الحياة ، وزعموا أنه إنما قصد به غرس فكرة وراء ما تدل عليه الألفاظ بمعانيها اللغوية المعروفة ، أو مشايعة الواقع النفسى الذى كان سائداً عند الحاضرين استغلالاً لمعلوماتهم ـ وإن لم تكن صحيحة ـ فى سبيل تأييد الدعوة التى جاء بها القرآن ، وبذلك عرّض هؤلاء القرآن لما تأباه قدسيته ويأباه صريح آياته .

عبارات القرآن عن هدى القرآن :

وهذا الذى يهدى إليه القرآن فى ظاهر الحياة وباطنها ، فى العقائد والعبادات ، فى سنن الله الكونية ،

القرآن

فى سننه الاجتماعية ، ويطلب من عباد الله أن يتخذوه سبيلاً لسعادتهم فى الدنيا والآخرة – فى أنفسهم ومجتمعهم – هو ما يعبر عنه القرآن كثيراً « بالإيمان والعمل الصالح » . ويعبر عن امتثال الأمر فيه ، والأخذ به ، والتزامه ، بكلمتى : « الإحسان والتقوى » . ويعبر فى مقام التنويه بشأن القائمين به ، العاملين عليه ، فيما يختص بمكانتهم من عز الحياة وسعادة الآخرة بكلمات : « المؤمنين » و « المحسنين » ، و « المتقين » تنفرد الواحدة منها مرة ، وتجتمع مع صاحبة لها أخرى ، وذلك إشارة إلى ما بينها من تضامن وتعاون فى تقرير مبدأ السعادة التى رسمت سبلها هداية القرآن الكريم .

وإن من يتتبع هذه الكلمات ذات الأثر المادى والروحى فى العالم ليجد أوسعها شمولاً ، وأبعدها مرمى ، وأعمقها فى سر الإصلاح كلمة « التقوى » . يقيد بها الإيمان ، ويؤكد بها الإحسان ، وكأنها الأساس الذى يحفظ للإيمان كيانه ، وللإحسان جوهره ؛ فهى بمادتها ، تصور الكمال الإنسانى فى قوتيه : العلمية والعملية ، الذى ربطت به سعادة الإنسان فى دنياه وأخراه ، ولا نجد كلمة تبعث فى القلوب معانى الخير ، وتملأ النفوس سكينة وطمأنينة ، وتجعل الإنسان فى حصن من عوامل الأذى والسوء ، ومنابع الشرور والمآثم مثل كلمة « التقوى » .

« التقوى » فى القرآن الكريم » :

وقد رأيت أن يكون أول ما أطالع به قراء مجلة الأزهر فى عهدها الجديد ، فى جانب التحدث عن موضوعات القرآن ، وما يهدى إليه القرآن ، هو موضوع « التقوى فى القرآن الكريم » راجياً من الله أن يجعل تقواه بمثابة عهد بيننا وبينهم فيما نكتب وفيما يقرأون ، يتعاون به الفريقان على ما يحب الله لعباده من خير وسعادة ، وإخلاص وصفاء على أساس من البر والتقوى .

« التقوى » من الكلمات التى ظلمها الناس :

ويجدر بنا أن نشير قبل الكلام على « التقوى » فى القرآن ، إلى أن كلمة التقوى مع ما لها من المعنى المحقق لعوامل الخير . القاضى على عوامل الشر فى جميع نواحى الحياة – من الكلمات التى ظلمها الناس فسلخوها عن معناها العظيم إلى معنى دونه يأبى كثير من الناس أن يضاف إليه أو يوصف به ، وقد قرر الغزالى رحمه الله أن كلمات : الفقه ، والعلم ، والتوحيد ، والتذكير ، والحكمة ، قد حرفت عن معانيها المحمودة ونقلت فى عرف الناس إلى أخرى مذمومة ، وصارت القلوب تنفر ممن تطلق عليهم هذه الكلمات .

والفقه :

صارت كلمة « الفقه » فيما قرره الغزالى إلى « تفريعات الطلاق ، وصور الأيمان والعتق المفروضة ، ووجوه السلم ، وغير ذلك مما لا يحصل به إنذار ولا تخويف ؛ بل مما كان التجرد له ، والاستكثار منه ، وحفظ المقالات المتعلقة به يقسّى القلب ، وينزع الخشية منه ، صارت إلى هذا بعد أن كانت عنواناً على معرفة دقائق آفات النفس ، ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة مع امتلاء القلب بخوف الله ورجائه .

والعلم :

وصارت كلمة « العلم » فيما قرر إلى الاشتغال بمناظرة الخصوم فى المسائل الفقهية والكلامية ، فيقال

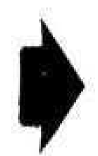

التقــوى فى

هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل فى العلم لمن يتقن هذا النوع من المناظرة ، أما الذى لا يمارسه فإنه لا يعد فى زمرة أهل العلم » .

صارت كلمة « علم » فى عهد الغزالى إلى هذا بعد أن كانت خاصة بإدراك جلال الله وجماله ، عن طريق تفهم أسراره فى الخلق ، واستشعار عظمته . وقد بعد التحريف لكلمة « العلم» فى عرف الذين جاءوا من بعده ، وصارت الكلمة إلى الاشتغال بتحليل عبارات المؤلفين المعقدة ، والاستكثار من الأسئلة والأجوبة حول صحتها وفسادها ، ومنطوقها ومفهومهـــا ، وصريحها وإشارتها ، وغير ذلك مما لايمت بأوهى الأسباب إلى معنى كلمة « العلم » الذى عرفه الأوائل ، ودل عليه القرآن ، وأرشدت إليه درجات الذين أوتوه عند الله .

والتوحيــــد :

وصارت كلمة « التوحيد » اسماً « لصناعـــة الكلام ، ومعرفة طرق المجادلة ، والقدرة على التشدق بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات ، وتأليف الإلزامات ، مع أن جميع ما هو خاص بهذه الصناعة لم يكن يعرف شىء منه فى العصر الأول ؛ بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدال والمماراة ، وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به ، وهو أن ترد الأمور كلها لله ، وأن يُرى أنه الصمد المعبود الذى لا يعبد غيره ، ولا يستعان بسواه ؛ فالتوحيد منبعه القلب ، ومترجمه اللسان والعمل » .

والتذكيــــر :

وصارت كلمة « التذكير » إلى « ما اعتاده أكثر الوعاظ فى هذا الزمان من القصص والأشعار والشطح بعد أن كان اسماً للتذكير بعيوب النفس وآفات الأعمال ، ومداخل الغرور والشيطان إلى القلب ، والتذكير بنعماء الله وآلائه » .

والحـــكمة :

وصارت كلمة « الحكمة » إلى « الطب ، والشعر والتنجيم » والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها بقوله ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

تحدث الغزالى عن ذلك كله فى سياق حديثه عن تلبيس علماء السوء ، وجعل من وسائل هذا التلبيس نقلهم الألفاظ التى شرف معناها ، ونبلت غايتها ، إلى ما رأوا من المعانى التى تحقق لهم أغراضهم فى صرف الناس عن لب المعارف ، وجوهرها الصافى ، حتى لا يرونهم وهـم يختفون خلفهـا فى الـــوصول إلى ما يبتغون .

التقوى أشدها ظلماً :

وإذا كان الغزالى قد رأى ذلك فى تلك الكلمات ، وأن الناس حرفوها بأغراضهم الفاسدة إلى معان ومدلولات ، هى دون ما عرف لها من معان ـ فإنى أرى أى ما أصاب هذه الكلمات فى رأى الغزالى وفى

القرآن

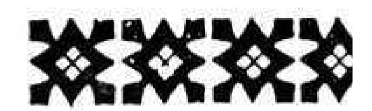

زمنه من هذا التحريف السقيم والتصوير الفاسد قد أصاب كلمة « التقوى » ؛ بل أقرر أن ما صارت إليه كلمة التقوى أبعد عن الحقيقة وأبعد فى الذم ، مما صارت إليه هذه الكلمات التى لم تقطع صلة معانيها الجديدة بمعانيها الأصلية ، والتى لم ترد فى القرآن على هذا النحو الكثير ، البيِّن ، الواضح الذى وردت به كلمة التقوى ، وحدَّد سمو معناها ، وعظم آثارها ، وكانت به جديرة أن تظل فى حصنها المنيع ووقايتها القوية ، من أن ينالها تحريف أو تبديل ؛ ولكن يبدو أن موجة التحريف قد اشتدت وطغت حتى استطاعت نقل كلمة « التقوى » من حصنها المنيع ، إلى هذا الذى صارت إليه فى تقدير الناس وعرفهم ، صارت إلى مزيج كريه تتألف عناصره من همهمة ، وتسبيح ، وانحناء ، وتماوت فى المشية والكلام ، تصحبه نظرات خاصة ، وسمت خاص ، وكلمات معينة ، ترسل فى مناسبات معينة ، مع تكلف التحسّر والتباكى ، على الأخلاق ، وعلى الدين . ومع شدة اللوم والتقريع لكل من تحدثه نفسه بالخروج على هذا المزيج فى شىء من مظاهره التى حُدد بها معنى « التقوى » أو جعلت علامة عليها .

ظالموهـــا :

صارت كلمة التقوى إلى هذا المزيج الكريه الذى ألف عناصره صنف من الناس ، يدعون لأنفسهـم الاختصاص بالغيرة على دين الله ، وعلى أحكام الله ، ويلوحون فى وجوه الناس بهذه الصورة الجافة ، الجامدة ، الرهيبة ، التـى لا تسمـح بتفـكير ولا منـاقشة ، ولا مخالفـة ، فى شىء مما رسموا لأنفسـهم . وقد أحدثوا بنزعتهم تلك ، انقساماً وتفرقاً فى صفوف المتدينين ، واحتكروا الحكم على عباد الله فى التدين ، وأخرجوا جميع من سواهم من صفوف المتقين ، حتى نفروا الناس من معنى الدين ، ومن معنى التقـوى ، وصارت « التقـوى » ، ذات الجلال والجمال من الكلمات التى يأنف كثير من الناس أن يوصف بها أو تطلق عليه . ولكن من حسن الحظ أن هذا التحريف الذى أصابها اقترن فى نفوس أربابه بما يدل على فساده ، اقترن بكثير من الخلال الفاسدة التى تأباها الإنسانية الفاضلة ، والصبغة النقية البريئة ، ويمقتها دين الله ؛ وتجعلهم فى منآى بعيد عنه فهم لا يعرفون التقوى ولا الحلم ولا الصفح ، ولا المودة ولا الرحمة ، ولا البذل ولا العطاء ، ولا التعاون فى بناء المجد وتقدم الأمة ، ولا غير ذلك من الأخلاق الفاضلة التى جاء الدين لتقويتها ، وتركيزها ، وإتمامها ، كعمد قوية للإصلاح البشرى فى فرده ومجتمعه .

ما أبعد « التقوى » عن هذه المظاهر التى يحاول أرباب الأغراض الفاسدة أن يضعوها بإزائها ، ويجعلوها عنواناً لها ودالة عليها ! إنها بعيدة عنها فى معناها ، فى بواعثها ، فى مظاهرها ، فى أثرها النفسى والقلبى ، فى أثرها المادى ، فى جزائها الأخروى عند الله .

مواطن الحديث عنها فى القرآن :

تحدث القرآن عنها هكذا فى معرض دعوة الخلق إلى الهداية الإلهية ، وفى معرض الهدى والفلاح ، وفى معرض البر والصدق ، وفى معرض النصر والتأييد ، وفى معرض الولاية بين الله وعباده ، وفى معرض حصانة النفس من نزغات الشيطان والهوى ، وفى معرض النفع والانتفاع ، وفى معرض تفريج الأزمات وحـل المشكلات ، وفى معرض الرحمة الإلهية الخاصة ، وفى معرض السلامة من آثار الفتن العامة ، تطهر النفس من آثار السيئات ، وفى معرض التيسير للخير ، وفى معرض التمتع بخيرىْ الدنيا والآخرة ، وعلى الجملة تحدث عنها فى معرض السلامة من كل شر والحصول على كل خير .

العلوم الكونية

قراءة إسلامية فى كتاب الكون

التقويم القمرى

اللغز العجيب

الجديد فى العلم والتقنية

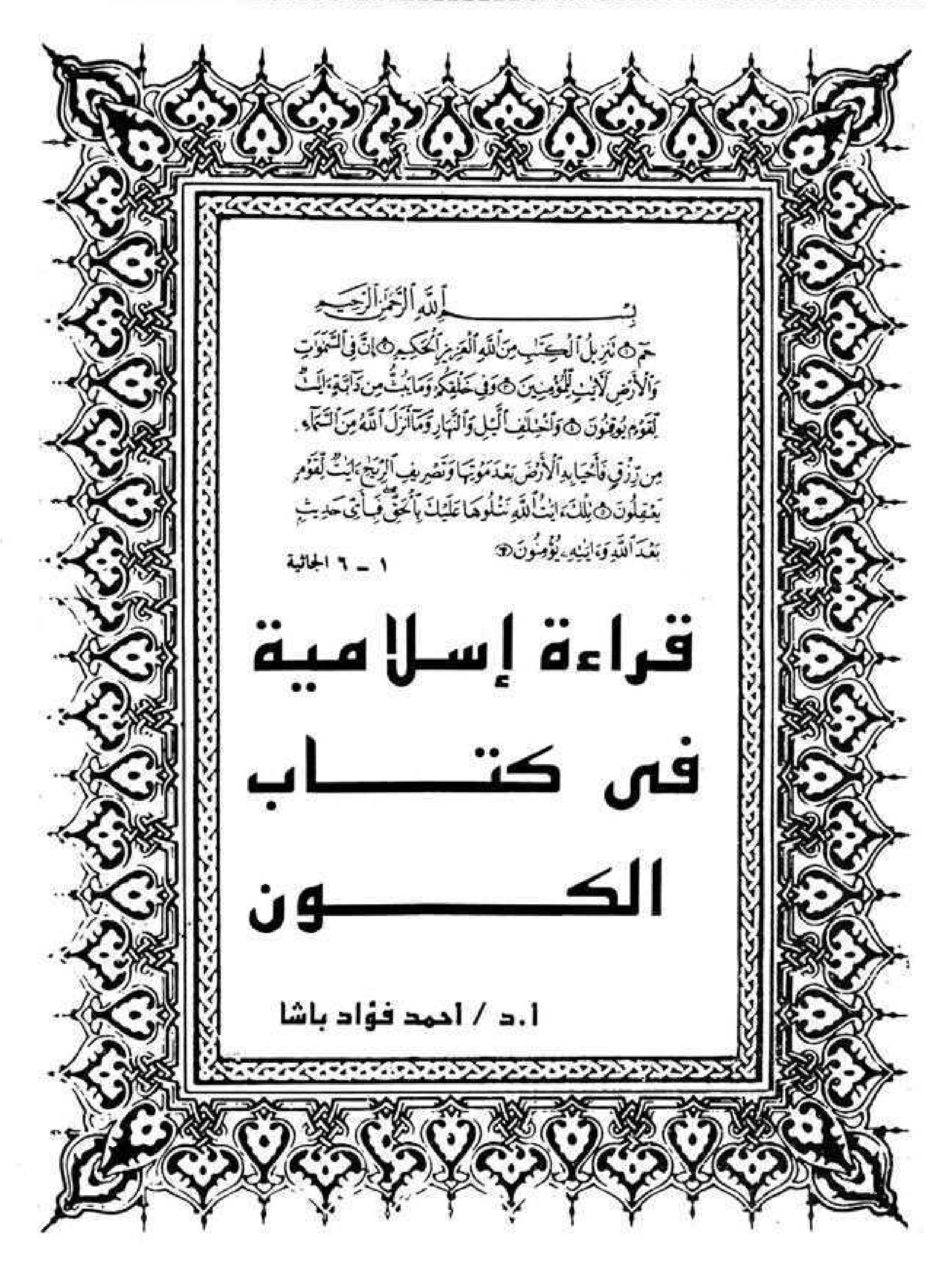

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۝ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۝ إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ۝ وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ۝ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ۝ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ۝

١ - ٦ الجاثية

قراءة إسلامية في كتاب الكون

ا.د / احمد فؤاد باشا

قراءة إسلامية فى كتاب الكون

بهذه الآيات البينات ، ومثلها كثير فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة ، جاءت رسالة الدين الإسلامى الخاتم لكى توقظ العقول النائمة ، وتبصرها بالدلائل المبثوثة فى الآفاق ، وفى الأنفس وفى كل شىء ، تدل على الخالق الوحيد - جل شأنه - وتشرح أوصافه الجليلة .. ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(١) .

ولقد أودع الله سبحانه وتعالى فى الإنسان فطرة نقية كريمة ، وزوّده بملكات ووسائل إدراكية صالحة ، يستطيع بها معرفة الحقائق الكبرى فى هذا الوجود . فالفطرة الإنسانية المؤمنة تتوجه إلى الكون لتكشف ما فيه من قصد وإبداع ، وتنتهى إلى إدراك مكانها من هذا الوجود وتحديد كيفية سلوكها فيه . والعلم النافع الذى يحصله الإنسان من دراسته لظواهر الكون والحياة لا بد أن يؤتى ثماره فى تعميق الإيمان الخالص وترسيخ العقيدة الإسلامية على هدى وبصيرة . فالإيمان حاجة فطرية ، كما أنه حاجة عقلية لا يملك الإنسان أن يستغنى عنها ، لأنها مركوزة فى كينونته وهو مفطور عليها ، وفى آية الميثاق ما يشير إلى هذه الحقيقة ، حيث يقول عز من قائل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾(٢) بل إن الكون كله مفطور على الإيمان بالله رب العالمين ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(٣)

والقلوب المؤمنة هى وحدها التى تستشعر هذه الحقيقة يشاركها إيمانها وتسبيحها وصلاتها وحمدها للخالق المنعم المتفضل القوى القهار الجبار ، إنها لا تصارعه ولا يصارعها .. إنها منه ، وإنه منها كذلك فى الاتجاه إلى الله الواحد الذى يحكم بإرادته و مشيئته حركة الكون والحياة .. إنه فيما يقول بعض المفسرين تصوّر جميل ، فوق أنه تصور مريح ، وفوق أنه تصور صحيح .

وإذا كانت وثبات العلم قد تحققت مع إدمان النظر فى ظواهر الكون والاغتراف من إسراره وكنوزه التى أودعها الله فيه وسخرها لخدمة الإنسان ، فمن العجيب أن يتوقف الغافلون عند حد الدراسة « الآلية » للظواهر الكونية ولا يعبرونها إلى اكتشاف خفايا النواميس الإلهية وإدراك الحكمة البالغة فى دقيق صنع الله :

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾(٤) . ومن لم ير من السماء إلا رزقها ، ومن الأرض إلا غبرتها ، فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى

---

(١) سورة فصلت : ٥٣
(٢) سورة الأعراف : ١٧٢
(٣) سورة الإسراء : ٤٤
(٤) سورة الروم : ٧

حالا منها وأشد غفلة كما قال تعالى :

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(٥)

هكذا يرفع الإسلام من شأن العلم ، ويجعله الأساس فى فهم العلاقة الصحيحة بين الله والكون والإنسان ، بل إنه طالب فى أول آيات القرآن الكريم التى نزلت على سيد المرسلين أن يمتثل المسلمون للأمر الإلهى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(٦) ، بكل دلالته ومعانيه الإسلامية ، ولو فرق فى ذلك بين قراءة كلمات الله القرآنية فى كتابه المسطور ، وقراءة كلماته الكونية فى كتابه المنظور ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٧) . فالقرآن الكريم لا يكاد يدع موطنا فى الكون دون أن يطوف بالإنسان خلاله ، ويستثير فيه النظرة المتأملة المستقصية ، ويلفت أصحاب العقول الراجحة وذوى القلوب المؤمنة إلى المنهج الصحيح فى التعامل مع الكون وإستقراء لغته وإشاراته ، باعتباره كتاب معرفة لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، فتلهج ألسنتهم مع قلوبهم ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(٨) .

يقول المشتغلون بالعلم أن أربعة أخماس السطح المنحنى للكرة الأرضية التى نعيش عليها مغمور بالماء ، وأن الجاذبية مغمور بالماء ، وأن الجاذبية الأرضية هى التى تحفظ إستقرار هذا الماء فى الفضاء الكونى لا ينسكب عن يمين ولا شمال ، مقوسا لا مستويا كما تألف فى مقادير المياه المستعملة بين أيدينا ، أما العالم المؤمن الموصول بخالقه فلا يقف عند هذا التفسير المحدود بحدود العلم البشرى ، بل إنه يلجأ إلى التحقق بالرؤية القرآنية المتجاوبة مع فطرة الخلق ، ويهتدى ببصيرته إلى مسبب الأسباب الذى أسكن الماء فى الأرض وكف أمواجه عن الإنسكاب هنا وهناك ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾(٩) .

وعندما نتأمل الدورة التى تسلكها المياه بين الأحياء نجد فى تكرارها وتجددها ما هو جدير بالنظر والإعتبار ، فنحن نشرب ، ودوابنا وزروعنا تشرب ، نشرب كلنا من مياه الأنهار والينابيع التى هطلت من السحب القادمة من البحار والمحيطات ، ثم تذوى الأجسام والزروع ، ويتسرب ما بها من ماء ، عائدا من حيث جاء سالكا ألف فج ، ليتكون مرة أخرى سحبا وأمطارا وينابيع وأنهارا ، وهكذا دواليك تبقى الحياة مع قدر مضبوط من الماء لا يزيد ولا ينقص . ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾(١٠) .

وإذا تجاوزنا حديث المياه إلى حديث الكواكب والنجوم والمجرات نجد أن المتحدثين بلغة العلم البشرى المحدود يتيهون صلفا وغرورا بما توصلوا إليه من اكتشاف نوع من القوى الجالية التى تعمل وفق قانون محدد على حفظ الإتزان الكونى والإمساك بالأجرام السماوية فى أفلاك ثابتة . **أما أولو الألباب الموصولون بكتاب الإسلام** الخالد فيرون أبعد من هذا بكثير عندما يقرأون قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾(١١) . وقوله جل شأنه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾(١٢) . فالقرآن الكريم يمنح أتباعه رؤية شاملة ومنهجا متماسكا متكاملا لا يفصل بين المادة وما وراءها ،

---

(٥) سورة الأعراف : ١٧٩

(٦) سورة العلق : ١

(٧) سورة يس : ٨٢ .

(٨) سورة آل عمران : ١٩١

(٩) سورة المؤمنين : ١٨

(١٠) سورة الحجر : ٢١ – ٢٣

(١١) سورة الرعد : ٢

(١٢) سورة فاطر : ٤١

قــراءة إســلامية فــى

كتـــاب الكـــون

أو بين العلوم الجزئية وغاياتها الكلية ، أو بين السرائر الباطلة والمشاعر الحسية ، فهو يؤسس عقيدة التوحيد من خلال عرضه لمشاهد الكون وحقائقه(١) . والباحث المسلم بحق هو الذى يتخذ من عقيدة التوحيد الإسلامى أساسا للنظر الصائب فى حقائق الوجود ، ويفهم شهادة التوحيد ، أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فى إطارها الشامل الذى يجمع بين وحدة النظام فى بناء الذرة وبناء المجموعة الشمسية ، وبين وحدة الحركة فى طواف « السيتوبلازم » حول نواة الخلية الحية ، وطواف الالكترونات حول نواة الذرة ، وطواف الأقمار حول كواكبها ، وطواف الكواكب حول الشمس ، وطواف المسلمين حول الكعبة المشرفة . فمن كانت عقيدته هى « التوحيد الإسلامى » فإنه يجد لديه دافعا أقوى مما يجد سواه نحو أن يبحث دائما عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة أيا كان الموضوع ، فيبحث عن محور الوحدانية فى الشخصية الإنسانية برغم اختلاف الجوانب الكثيرة فى حياة الفرد الواحد واختلاف العلوم الباحثة فى تلك الجوانب ، وكذلك يبحث عن محور الوحدانية فى الكون بأجمعه مجتمعاً فى وجود واحد . وأينما دققنا النظر فى جنبات هذا الكون الفسيح فسوف نجد آثار الوحدة ومظاهرها ودلائلها من خلال التشابه والتماثل اللذين هما من سمات الخلق فى هذا الوجود الذى أبدعه الله على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال ، مما يترتب عليه بالضرورة جعل وحدانية خالق الكون يقينا إيمانيا خالصا ، يؤكد أهمية المعنى والغاية ، ولا يفصل بين العلم والحكمة ، بمعنى أن لا يفصل بين تحليل العلاقات التى تصل الأشياء بعضها ببعض ، وبين ربط هذه العلاقات الجزئية مع « الكل » الذى يكسبها معنى . وهنا يكون العلم من وجهة النظر الإسلامية دنيويا بعلاقاته مع الأشياء ويكون فى نفس الوقت دليلا عقليا إلى الإيمان بالله .

ويكفى أن نستشهد بأقوال بعض العلماء الذين نهجوا منهجا علميا سليما فى فكرهم العقدى تلبية لحاجتهم الفطرية والعقلية ، وبعيدا عن أوهام الفلسفات الوضعية

---

(١) راجع فى ذلك للشيخ محمد الغزالى : المحاور الخمسة للقرآن الكريم (دار الصحوة) القاهرة ١٩٨٩ . راجع لفضيلته أيضا : كيف نتعامل مع القرآن ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

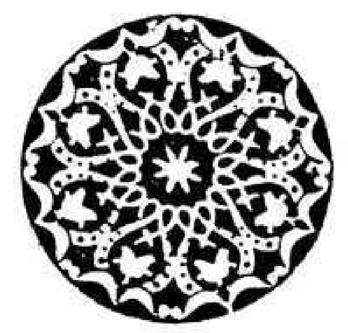

الإلحادية . فهذا هو « مارين ستانلي كونجدن » وعضو الجمعية الأمريكية الطبيعية ، يقول : « ما فى الكون يشهد على وجود الله ويدل على قدرته وعظمته ، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية ، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة أيادى الله وعظمته . ذلك هو الله الذى لا نستطيع أن نصل إليه الوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته فى أنفسنا ، وفى كل ذرة من ذرات هذا الوجود ، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته »(١٤) .

أما « بول كليرانس ابرسول » ، أستاذ الفيزياء الحيوية فيقول : « لا شك أن تطلع الانسان إلى البحث عن عقل أكبر من عقله ، وتدبير أحكم من تدبيره ، لكى يستعين به على تفسير هذا الكون ، يعد فى ذاته دليلاً على وجود قوة أكبر وتدبير أعظم هى قوة الله وتدبيره .. وبرغم أننا نعجز عن إدراكه إدراكا كليا ، أو وصفه وصفا ماديا ، فهناك مالا يحصى من الأدلة المادية على وجوده تعالى ، وتدل أياديه فى خلقه على أنه العليم الذى لا نهاية لعلمه ، الحكيم الذى لا حدود لحكمته ، القوى إلى أقصى حدود القوة .

وعندما تحدث « جورج هربت بلونت » ، أستاذ الفيزياء التطبيقية ، وكبير المهندسين بقسم البحوث الهندسية بجامعة كاليفورنيا ، وعن « منطق الإيمان » كتب يقول : « إننى أؤمن بالله ، وأكثر من ذلك فإننى أكل إليه أمرى ، ففكرة الألوهية بالنسبة لى ليست مجرد قضية فلسفية ، بل إن لها فى نفسى قيمتها العلمية العظمى ، وإيمانى بالله جزء من صميم حياتى اليومية »(١٥) .

ودونما أستطراد فى سرد أقوال العديد من « العلماء الحقيقيين » ، فإننا نأتى الى صاحبى الكتاب ذائع الصيت « العلم فى منظوره الجديد » الذى انبثق حديثا من قلب حضارة العصر المادية ليخاطب جميع المثقفين والمفكرين الذين يروقهم أن يجمعوا التأمل والتفكير إلى الإيمان الخالص السليم ، وفيه يسعى المؤلفان إلى إثبات وجود الله تعالى وبيان الحكمة والغاية من إبداع الكون وخلق الإنسان(١٦) .

وإذا كانت هذه الاعترافات لكبار العلماء تؤكد أنهم يلحظون يد الله الخالق سبحانه وتعالى فى كل ما خلق ، فإننا لا نملك إلا أن نسجد شكرا لله ﴿ **الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ** ﴾(١٧) وأن نحمده جل وعلا صباح مساء على نعمة الإسلام ، وأن نضرع إليه سبحانه فى شهر القرآن العظيم أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (١٨)

« **صدق الله العظيم** »

---

(١٤) راجع فى ذلك كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » ترجمة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان (مؤسسة الحلبى) وشركاه ١٩٧٢ ، وكتبا أخرى مثل :—

ـ العلم يدعو للإيمان ، تأليف ا. كريسى موريسون ، ترجمة محمود صالح الفلكى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ .

ـ الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، الترجمة العربية ، المختار الإسلامى ، القاهرة ١٩٧٧ .

(١٥) نفس المرجع السابق .

(١٦) يرى كاتب المقال أن العلماء الحقيقيين هم الذين ينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (سورة فاطر : ٢٨) ، أما من عدا هؤلاء فهم مجرد باحثين أو مشتغلين بالعلم لم يرتقوا بعد الى درجة العلماء ، وبالنسبة لكتاب « العلم فى منظوره الجديد » ، تأليف : روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو ، ترجمة د. كمال خلايلى ، عالم المعرفة الكويت ١٩٨٩م . فقد سبق أن عرضنا له بالتحليل والمناقشة فى مجلة الأزهر ، عددا رمضان وشوال ١٤١٠هـ ، وفى مجلة المسلم المعاصر ع٦٠ (١٩٩١) .

(١٧) سورة السجدة : ٧

(١٨) سورة آل عمران : ٨

التقــويم القمــرى

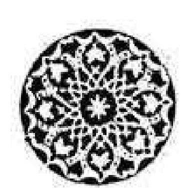

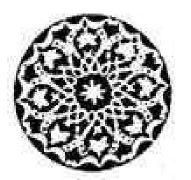

وتحديد أوائــل الشهور الهجرية

دكتور / زين العابدين متولى متولى*

من أهم الظواهر الفلكية التى تلازم التقويم القمرى إثبات مولد الهلال لتحديد أول الشهر العربى .

فالقمر طوال الشهر يبتعد عن الشمس شيئا فشيئا إلى ناحية الشرق ، وتزداد الفترة بين موعد غروبه ووقت غروب الشمس تبعا لذلك حتى يصير بدرا . وحينئذ يشرق القمر مع غروب الشمس ، أى يكون فى ناحية والشمس فى الناحية الأخرى . وفى النصف الثانى من الشهر العربى يصبح غروبه أثناء النهار ويتأخر بالتدريج إلى ساعات الضحى ، ثم إلى الظهر ، وهكذا حتى يكون قد أتم دورة كاملة ويصبح واقعا بين الأرض والشمس . وحينئذ يكون نصفه المواجه للشمس مضيئا ونصفه المواجه للأرض مظلما . وهذا ما يسمى « بالاجتماع » الذى بعده مباشرة يبدأ القمر فى الابتعاد عن الشمس . وينتج عن ذلك أن يبدأ النصف المواجه للأرض فى الاستضاءة ويصبح على هيئة جزء هلالى يسمى « بدرا » أو (قمر ١٤) وبعد ثلاثة أسابيع يسمى « التربيع الثانى » ، ثم عند أكتمال الشهر القمرى يسمى « محاقًا » .

ونحن لا نرى من القمر إلا وجها واحدا فقط ، لأن زمن دورانه حول الأرض يساوى تماما زمن دورانه حول محوره . فإذا كان القمر مثلا يدور حول الأرض فى شهر قمرى فيكون طول اليوم القمرى مساويا للشهر القمرى ، أى يكون طول النهار القمرى أسبوعين وكذلك طول الليل القمرى أسبوعين .

• استطلاع الهلال وإمكانية الرؤيــة

واللحظة التى يولد فيها الهلال الجديد هى لحظة واحدة لجميع سكان الكرة الأرضية ، ومن الممكن أن تقع فى أى وقت سواء بالليل أو بالنهار . فإذا ولد الهلال مثلا فى الساعة الثانية عشر ظهرا على حسب توقيت القاهرة يكون

* الكاتب أستاذ بقسم الفلك والأرصاد الجوية بكلية العلوم جامعة القاهرة .

بالنسبة لجميع سكان الأرض من شرقها إلى غربها قد ولد هلال جديد ، وإن كان الوقت فى تلك اللحظة مختلفا من مكان لآخر . ويعنى هذا أن هناك بلادا يحدث فيها غروب الشمس قبل أن يولد الهلال الجديد ، وبلادا أخرى يكون لديها الفرصة لرؤيته بعد غروب الشمس مباشرة ، وكلما كان البلد غرب المكان الذى ولد فيه القمر الجديد كانت الفرصة أقوى لرؤيته ، فإذا ولد الهلال فى السعودية مثلا فسوف تكون فرصة رؤيته أقوى فى البلاد الإسلامية التى تقع غرب المملكة العربية السعودية ، أما البلاد التى تقع فى شرقها فإنها لا تستطيع رؤيته . وهذه مشكلة تقابلنا عند تحديد أوائل الشهور العربية حيث أنه يمكن رؤية الهلال الجديد فى بلد ما دون الآخر .

من ناحية أخرى ، تتوقف رؤية الهلال على مقدار استضاءته عند غروب الشمس ، وهذا بالطبع يتوقف على الفترة التى مرت منذ مولده ، وعلى البعد الزاوى للقمر نفسه عن الشمس وعن الأرض ، وفى مؤتمر أنقرة الأخير تم الاتفاق على تحديد هذا البعد بثمانى درجات . وهذا البعد الزاوى يستلزم وقتا بعد ميلاد القمر فلكيا . وتختلف قيم هذا الوقت من فصل إلى آخر وعلى ذلك يجب علينا أن نحدد الفترة التى يمكن الرؤية خلالها بعد غروب الشمس وفترة مكوث القمر .

أن شدة استضاءة السماء فى المنطقة التى بها الهلال الجديد تكون عادة قوية ساعة الغروب ، وذلك لأن الشمس على الرغم من كونها تحت الأفق إلا أنها تحدث الشفق الأحمر الذى يسبب عدم رؤية الهلال .

ليست فقط المشاكل السابقة هى التى تجعل ثبوت الهلال ممكنا فى بلد ما دون بلد آخر ، فلابد أيضا من اعتبار حالة الجو فى ذلك الوقت فى المنطقة التى يراد أن يرى الهلال بها ، حيث يعمل الضباب والشابورة والسحب الخفيفة وغير الخفيفة على حجب جزء من الهلال .

رصد حركة .. القمر

من المعروف أن القمر يدور دورة كاملة حول الأرض $\frac{1}{3}$ ٢٧ يوما شمسيا ، أى كل ٢٧ يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١,٩ ثانية تقريبا .

وإذا افترضنا أننا رأينا القمر الساعة الثامنة مساء قريبا من نجم ما ، وكانا على خط واحد شمالا وجنوبا ، فبعد ثلاث ساعات نرهما قد مالا إلى الغرب كلاهما . ولكن القمر يتأخر قليلا عن ذلك النجم وسائر النجوم التى كانت قريبة منهما ، وإذا غاب النجم الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، فإن القمر لا يغيب فى الساعة الثانية بل بعدها بنحو ربع ساعة .

وإذا رصدناه فى الليلة التالية الساعة الثامنة مساء نراه قد ابتعد عن نفس النجم السابق شرقا ثم نرى أنه يغيب بعده بأكثر من ساعة .

وإذا واظبنا على مراقبته نراه يعود إلى الاقتران بالنجم نفسه بعد نحو شهر من الزمان ولا يعلل ذلك إلا أنه كان ينتقل شرقا وقد دار حول الأرض دورة كاملة هذه المدة فهذا سبب تغيير موقعه فى السماء يوما بعد يوم ومن هنا يمكننا أن نتبين حركة القمر والأرض حول الشمس .

ونظرا لدوران الأرض حول الشمس فى شكل بيضاوى تكون الشمس فى إحدى بؤرتيه ، فإن سرعة الأرض تتغير على حسب قربها وبعدها عن الشمس وتدل الحسابات على تغير طول الشهر القمرى على حسب وقوعه فى الشهر الميلادى .

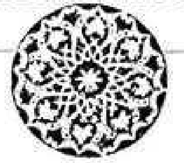

التقويم القمرى وتحديد أوائل الشهور الهجرية

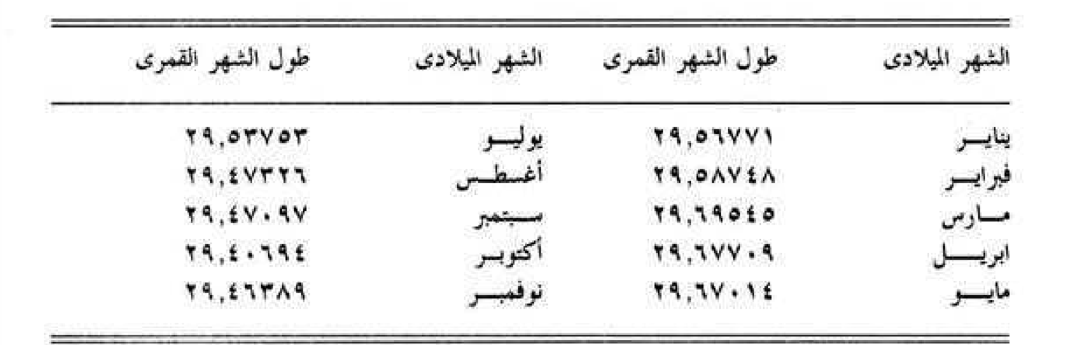

الشهر الميلادى	طول الشهر القمرى	الشهر الميلادى	طول الشهر القمرى
ينايـــر	٢٩,٥٦٧٧١	يوليـــو	٢٩,٥٣٧٥٣
فبرايـــر	٢٩,٥٨٧٤٨	أغسطـــس	٢٩,٤٧٣٢٦
مـــارس	٢٩,٦٩٥٤٥	سبتمبر	٢٩,٤٧٠٩٧
ابريـــــل	٢٩,٦٧٧٠٩	أكتوبـــر	٢٩,٤٠٦٩٤
مايـــو	٢٩,٦٧٠١٤	نوفمبـــر	٢٩,٤٦٣٨٩

وبذلك يكون متوسط طول الشهر العربى ٢٩,٥٥٠٣٣٩ يوما . وإذا أردنا معرفة عدد الأيام فى مدة ٣٠٩ سنة قمرية يكون ٣٠٩ × ١٢ × ٥٥٠٣٣٩ = ١٠٩٥٧٢,٦٦ يوما . وبما أن طول السنة الميلادية ٣٦٥,٢٤٢٢ يوما فيكون عدد الأيام فى ٣٠٠ سنة ميلادية هو : ٣٠٠ × ٣٦٥,٢٤٢٢ = ١٠٩٥٧٢,٦٦ يوما أى أن عدد الأيام الموجودة فى ٣٠٠ سنة ميلادية يساوى تماما عدد الأيام الموجودة فى ٣٠٩ سنة قمرية .

ويمكن استخدام أطوال الشهور القمرية السابقة لتعيين ميلاد القمر لعدة شهور قادمة إن شاء الله ، مع الأخذ فى الاعتبار أنه إذا ولد الهلال قبل الساعة الثامنة بتوقيت « جرينتش » يكون اليوم التالى هو أول الشهر العربى ، وإذا ولد بعد هذا الزمن يكون بعد غد هو أول الشهر .

• كيفيــة معرفــة ميــلاد القمـــر؟

لقد تم عمل حسابات إحصائية لتحديد أعمار القمر فى يوم واحد يناير الساعة صفر فى الفترة ما بين ١٩٠٠ حتى ٢١٩٩ م والطريقة كالآتى :

١ ـ معرفة العدد الذهبى ويمكن معرفته بإضافة واحد إلى السنة وقسمتها على ١٩ فيكون الباقى هو العدد الذهبى .

٢ ـ يُطرح من العدد الذهبى واحد وتضربه فى (١١) وتقسمه على ٣٠ فإذا ما تبقى عدد ما نطرح منه واحدا فيكون الناتج هو عمر القمر الساعة صفر فى أول يناير .

ومثال ذلك ، إذا أردنا معرفة عمر القمر أول يناير الساعة صفر فى عام ١٩٩٢ يُقسم هذا الرقم على ١٩ بعد إضافة واحد أى ١٩٩٣ . يكون الناتج ١٠٤ والباق ١٧ وهذا هو العدد الذهبى ويكون عمر القمر هو $\frac{١١ (١٧ - ١)}{٣٠} = \frac{١٧٦}{٣٠} =$ ٥ والباق ٢٦ فيكون عمر القمر الساعة صفر يوم واحد يناير هو ٢٥ يوما .

العدد الذهبى	عمر القمر أول يناير الساعة صفر	الجزء المضاء من سطح القمر بالنسبة لمساحته الكلية
١	٢٩	,٠٠٠٣٤
٢	١٠	,٣٦٣٦٧
٣	٢١	,٦٣٧٣٦
٤	٣	,٠٤٤٥٣
٥	١٣	,٩٦٤٨٠
٦	٢٤	,٣٠٩٦١
٧	٥	,٣٥٦٩٣
٨	١٦	,٩٨٣١٤
٩	٢٧	,٠٧١٧٣
١٠	٨	,٥٦٤٩٦
١١	١٩	,٨١١٤٦
١٢	صفر	,٠٠٠٠٠
١٣	١١	,٨٤٧٣٨
١٤	٢٢	,٥١٧٢٩
١٥	٣	,٠٩٨٣٢
١٦	١٤	,٩٩٣٢٣
١٧	٢٥	,٢١٦٣٣
١٨	٦	,٣٥٤٦١
١٩	١٧	,٩٤٠٠٠

ومن هذا الجدول تستطيع حساب اليوم الذى يولد فيه قمر جديد خلال العام الميلادى الحالى ١٩٩٢م .

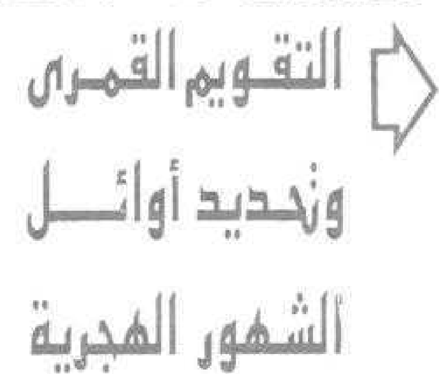

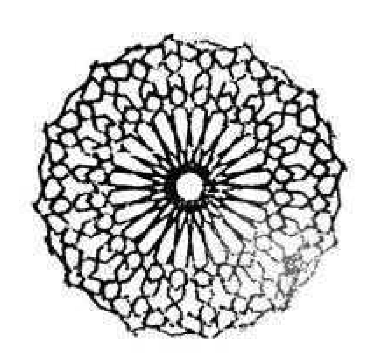

التاريخ	الشهر القمرى	التاريخ	الشهر القمرى
١/٥	رجـب	٧/١٢	محـرم
٢/٤	شـعبان	٨/١٠	صفـر
٣/٤	رمضـان	٩/ ٩	ربيع أول
٤/٣	شـوال	١٠/٨	ربيع ثانى
٥/٣	ذو القعدة	١١/٧	جمادى الأولى
٦/١	ذو الحجة	١٢/٦	جمادى الآخرة

الجدول السابق يبين اليوم الذى يولد فيه هلال جديد وليس بداية الشهر الهجرى كما أنه يمكن معرفة الساعة التى يولد فيها . أن لحظة ميلاد القمر فى بلد ما هى لحظة ميلاده للعالم كله فاذا ولد الهلال قبل الساعة السادسة بتوقيت القاهرة فان رؤية الهلال ممكنة على خطوط الطول ٣١ خط طول القاهرة حيث أن القمر سوف يغرب بعد الشمس بحوالى ٢٦ دقيقة ، إذا فرض أن غروب الشمس فى هذا اليوم الساعة السابعة مساء . ويغرب بعد الشمس بحوالى ٢٤ دقيقة اذا فرض أن الغروب الساعة السادسة ، وهكذا يمكن تقدير زمن غروبه بعد غروب الشمس بحساب دقيقتين عن كل ساعة من عمره تقريبا .

واذا كان الحساب بالنسبة لمدينة القاهرة فنجد أن هذا الزمن (مدة المكوث فى السماء بعد غروب الشمس) يقل أيضا بحوالى دقيقتين لكل ١٥ درجة من خطوط الطول التى تقع شرق القاهرة وتزيد دقيقتين لكل ١٥° من خطوط الطول غرب القاهرة . وبالتالى فرؤية الهلال الوليد تكون أفضل كلما كان البلد فى اتجاه الغرب .

ومن ذلك يمكن القول بأنه اذا ولد الهلال الساعة السادسة صباحا بتوقيت القاهرة يمكن لمعظم دول العالم الاسلامى أن يلاحظوه فى السماء ويكون اليوم التالى هو أول الشهر الهجرى . أما اذا ولد بعد ذلك فيكون احتمال رؤيته ضعيفا . واذا ظهر القمر على خطوط الطول التى تقع غرب القاهرة فهناك احتمال كبير أن يظهر عندهم بعد أذان الفجر فى بعض الدول الاسلامية . ومن الأفضل فى هذه الحالة أن يكون أول الشهر العربى هو بعد.اليوم التالى لميلاد القمر .

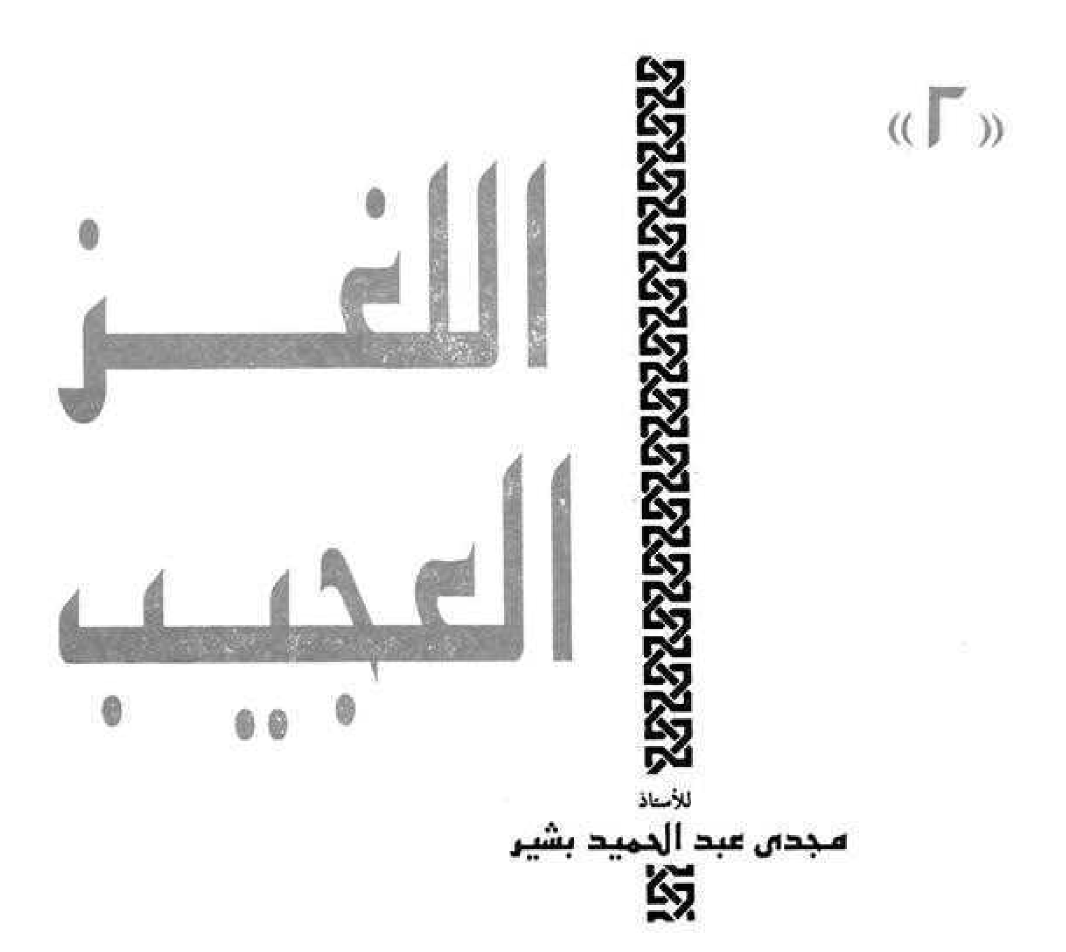

تناولنا فى الحلقة الأولى ما انتشر من موضات شعر يمجها الذوق السليم ، ثم انتقلنا بالحديث إلى أسباب الإهتمام بالشعر ومصادر تمويله التى تبارت فيها مختلف الأوساط العلمية التى كان أهمها : الصيادلة ومربّوا الأغنام الذين طاقت أنفسهم إلى إنهمار الأموال الكثيرة بصورة كادت أن تخرج بأبحاث الشعر عن البحث العلمى المجرد .

واختتمنا الحلقة الأولى بحديث مستفيض عن مراحل نمو الشعر مؤكدين أن ما يدور داخل بصيلة الشعر لا يزال لغزا عجيبا حيّر ألباب العلماء .

ومن الحقائق المثيرة للدهشة ما أورده البحث من أن الشعر له دورة نمو سماها الدورة الشَعرية التى تستغرق من سنتين إلى خمس سنوات تليها فترة كمون تصل إلى خمسة أشهر ، وكذا الحقيقة الغريبة التى أوضحت أن الشعرة تنمو ببطء شديد لا يتجاوز ثلث ملليمتر فى اليوم الواحد .

ويُبدى هيربو أونو الذى يعمل على الفئران والسانيس مبتورة الذيول فى (جامعة وسكُنسن ماديسون) ملاحظة يقول فيها :
من الزعب وكذا الصلع من بنى الإنسان يتوفر الزغب برءوسهم ثم يضيف مستنتجاً انه إذا باستطاعة عقار طبى أن يكسب ما بالفئران من زغب سمكا أكبر فلماذا لا يكون تأثيره كذلك فى الإنسان أيضاً .

ولكى يثبت صحة ما رشح من مكسبات النمو للشعر يأخذ أونُو خلية حية من الجلد تبلغ أربعة مللى متر من فروة أحد حيوانات التجارب ويقوم بمقارنة تعداد البُصيلات فى حالة النمو والراحة قبل وبعد إجراء التركيبات التجاريبية .

إنه يقوم أيضاً بتطوير أحد نظم الحاسبات الآلية التى تقدم رُؤى مستقبلية لفروات رءوس الحيوانات وذلك لتسهيل المقارنات الخاصة بقياس كثافة الشعر .

بيد أنه فى مجالات كثيرة لا تقدم بعض الحيوانات الحية مثلا يُحتذى لتجارب نمو الشعر . إن الدورات المستمرة للهرمونات وعوامل المناعة وتنويعات أخرى من العمليات الأيْضيَّة كل هذا يُصيب بالبلبلة ولإرباك ما قُدم من تفاسير وشروح لظاهرة سبق أن ألف الناس تعقيداتها .

ولذا فإن الباحثين يتجهون بزيادة مضطردة إلى نظم يبغون من ورائها حل لغز الإشارات الجُزيْئية التى تسيطر وتتحكم فى نمو الشعر .

وفى أحد تلك المفاهيم يقوم الباحثون بإزالة بعض من بصيلات الشعر من جلد الانسان ثم يقومون بسحب حوالىْ عشرة آلاف جذْر خارجى للخلية من البصيلة وهى الأشياء المحيطة بجذر الشعر والمعروفة إختصارا بالأحرف ORS ثم يقومون بزرع هذه الخلايا إلى جوار ألياف جلدية حيّة وهى نوع من خلايا الجلد ، كل هذا من أجل الحصول على واحد مليون جذر غلافى خارجى فى بحر أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع .

فلما تم زرع تلك الخلايا على قطعة من الكولاجين وهو بروتين شائع فى الجلد ثم تم تغذيتها بالهرمونات وعوامل النمو أمكن التمييز والتفريق بين عدة أنواع من الخلايا بما فيها خلايا الشعر أو الأكياس الشعرية .

ولكن كما أورد باحث علوم الشعر ليمات فى سويسرا لدى استخدام أطبقا حجرية أخرى عديدة فقد أخفقت تلك الأكياس الشعرية فى إيجاد مثيلات لها ، ناهيك عن تحولها إلى شعرات حية .

ويصف ليمان بحثه ذاك المقدم فى مؤتمر تحت عنوان الحياة الجزئية والبنائية للشعر والذى عُقد تحت رعاية أكاديمية نيويورك للعلوم فى يناير الماضى .

وفى مفهوم آخر يقوم الأستاذ فيليبوت وزملاؤه فى جامعة كامبردج بإنجلترا بفصل بصيلات من فروة رأس بشرية وزرعها فى جفنات صغيرة مملوءة بخليط من مواد التغذية ، وفيما يبدو فإن ذلك يُعد أول استزراع ناجح للشعر وشرراته فى أنابيب الإختبار الزجاجية .

وقد أبقى الفريق هذه الشزرات على قيد الحياة لمدة عشرة أيام وفى أثناء تلك المدة أنتجت البصيلات المتحللة المأخوذة من الجسم والمفصولة عنه أنابيب شعرية يصل طول كل منها إلى ثلاث ملليمتر .

هذا وقد استخدم الباحثون نظامهم ذاك لاختبار آثار المركبات الحافزة للخلايا مثل عامل النمو الجلدى وعامل ناقل النمو ألفا وعامل ناقل النموبيتا (١) .

ويساور الشك كثيرا من العلماء فى أن هذه العوامل مضافا إليها عوامل أخرى ناشئة من خلايا متنوعة فى الجسم فى أنها تلعب أدوارا تنظيمية فى دورة نمو الشعر .

وتوحى نتائج فيليبوت الأولية بأن بعضا من هذه المركبات على الأقل هى عناصر أساسية يتم عن طريقها تحديد وتوقيت زمن نمو الشعر برغم بقاء التفاصيل الخاصة بتلك العملية حبيسة الغموض .

ولست تجد الكل يوافق على أن نظام فيليبوت ذاك يمثل إنماء حقيقيا للشعر ، إذ يعلق أحد العلماء عليه قائلا : أعتقد أنه عن طريق هذا النظام يمكن استغفالى وخداعى بسهولة ، ويلاحظ أن عمليات نمو الشعر التى سبق اجرائها فى المختبرات الزجاجية والتى زُعم نجاحها لم تزد على كونها مجموعة من الخلايا المخاطية المصفوفة الشكل .

ويقول بادن بجامعة هارفارد : إن المشكلة فيما يتعلق بالخلايا المخاطية هى اعتيادها الحركة الدائبة ، ولذا فإن السؤال الوارد هو عما إذا كان هناك مجموعة جديدة من الخلايا الحقيقية التى تخلقت أو إذا ما كان كل ما تقوم به تلك الخلايا الموجودة أصلا هو تغيير شكلها أو موقعها أو كلا الأمرين معا .

وتخطط جامعة كامبردج فى تجاربها التالية إلى البحث عن موجة من تركيبات الـ DNA التى تتحرك مع فقد الشعر وفرط طوله التى يمكن أن يكون لها القول الفصل فيما يتعلق بصلاحية ذلك النظام كما يقول فيليبوت :

وفى نفس الوقت فإن هناك تكنيكا ثالثا يتوسم فيه العلماء شيئا من التقدم إذ يقوم كارن هول بروك بالمعهد الطبى فى سيتيل بواشنطن بوضع قطع صغيرة من الأنسجة البشرية المأخوذة من أجنة يبلغ عمر كل منها عشرة أسابيع تم الحصول عليها من نساء مجهضات يقوم بوضع هذه الأنسجة فى وسط نمو سائل ، وبعد بضعة أيام تأخذ عينات الجلد فى تجميع نفسها ذاتيا فى كرات مجوفة غير ذات فتوق وتستمر فى التجمع والنمو .

وفى الأسابيع التالية يمكن تقسيم تلك الخلايا إلى أنواع الخلايا الرئيسية وطبقات الأنسجة التى نرى مثيلاً فى الأجنة النامية وقد أخذت بصيلات الشعر فى الظهور على سطحها الخارجى ، وحتى الآن كما يقول هول بروك :

فإن هذه البصيلات تنتج فقط شعورا سميكة وهى البشرات الأولى بالشعر الحقيقى .

ويمكن للدراسات المتعاقبة ان توصى بطرق تساعد فى دفع عجلة النمو إلى الأمام .

وحيث أن النماذج المعملية للشعر تقصر عن الوفاء بأى شىء يمكن أن يرجح أنه شعر يعتد به فإن أبحاثا أخرى تجادل بالقول أنه حتى الآن على الأقل فإن الحيوانات الحية تظل هى المصدر المعتمد عليه فى دراسة بيولوجيا الشعر .

وفى واحدة من أكثر المحاولات غرابة فى دراسة نمو الشعر فى القوارض فإن الباحثين بجامعة ياشكوتلاندا قاموا بنقل وزرع شعر أخمص القدم لستة من الفئران إلى ظهور هذه القوارض ، ليكون من السهل التعامل مع هذه الأقدام الشديدة الأنزلاق بعد أن خلت من الشعر .

والملحوظة المهمة هنا هى أن هذه الأقدام ليس بها بصيلات شعر .

ثم قام العلماء بزراعة الخلايا الحليمية الجلدية فى الشعر المزروع على ظهور تلك الفئران . فكانت النتيجة أن الأصابع الخمسة التى نجت من إجراء العملية بها قد نما بها بصيلات شعر وأن ثلاثا منها نبت فيها ألياف شعرية جميلة ، كما أخبر بذلك البيولوجى كولن جاهودا .

ويقول جاهودا : أن الكثيرين يرغبون فى إنماء شعر كثيف يغطى رؤسهم لكننا نرى أننا ما دمنا قد أنتجنا ألياقا شعرية فى تجربة الفئران السالفة الذكر حيث لم يكن ممكنا أبدا نمو أى نوع من الشعر فى هذه المناطق من الجسم التى خلت أصلا من بصيلات الشعر فإن ذلك أمرا ذا بال ، وهو يقوى النظرية القائلة أن الخلايا الحليمية تحتوى على المعلومة القائلة (إصنع شعره) لكن يظل من غير الواضح إذا ما كانت الخلايا الحليمية وزرعها يمثلان وسيلة عملية لإضافة شعر للأدمغة البشرية .

وفى تجارب أخرى يمكن أن تجرى فى فترات لاحقة يوجد الكثير من التصميمات والرسوم النسيجية المقبولة ، فقد بدأ الباحثون الأستراليون فى قسم الإنتاج الحيوانى فى تغيير الـ DNA فى الفئران والأغنام على أمل التوصل إلى طريقة لزيادة إنتاج الصوف ، ويقول جراهام كام ـ أحد الباحثين بالقسم المذكور أعلاه : إن هدفنا النهائى هو إنتاج أغنام عن طريق الهندسة الوراثية تكون قادرة على إعطاء كميات أغزر من الصوف ولإيجاد أليـاف ذات خصائص شكليـة وكيمياوية جديدة لصناعة الغزل والنسيج ، كما يقوم كام وزملاؤه بتجريب نوع من المورثات يمكنها زيادة إنتاج البصيلات من الجلوكوز والسلفر المحتوى على الأحماض الأمينية الضرورية لتكوين الكيراتين .

ويوضع تلك المورثات تحت سيطرة مورثات أخرى ذات علاقة بالشعر فإن الأمل كبير فى زيادة إنتاج الصوف بإستخدام الهندسة الوراثية الآلية للحيوان ذاته ، والتى تعتمد على عمل الجينات (أى المورثات) والكروموزمات أى الصبغات .

وقد قام الفريق الأسترالى مؤخرا بوضع مورث خاص بتكاثر الخلايا يطلق عليه علميا (X - MYC) جنبا الى جنب مع مورث مسئول عن تنظيم وتركيب وتخليق الكيراتين فى الفئران . لكن المورث الباهظ التكاليف وهو DNA كان ذا تأثير فتاك لمعظم الأفراد أعنى المولودات من التجربة الأولى . ولم يبد الفأران اللذان نجيا أى تحسن ملحوظ فيما يكسو أجسادهما من فراء . ويراهن العلماء على أنه بسبب طغيان المحاولات الفاشلة على المحاولات الناجحة فى هذا المجال بأنهم فى مواجهة مع تحديات صعبة وهم يتحققون من طبيعة الشعر ويواصلون المحاولة تلو الأخرى للتحكم فى نموه .

لكن الصورة تبدو أكثر تعقيدا كما يرى البعض حيث أخذت الدلائل تترى على أن بعض الهرمونات وعوامل النمو التى تحفز نمو الشعر فى أوقات معينة أو فى أجزاء معينة من الجسم ، هذه العوامل ذاتها تقوم بكبت النمو والحد منه فى أوقات أخرى وفى أجزاء بعينها من الجسم .

لكن على المدى الطويل فإن ذلك العمـل يعد بمجموعة من الفوائد التى تنفع الإنسان والتى تتعدى مجرد تطوير العوامل المضادة للصلع وليس أقلها كما يقول : يوسبا التصدى لمشاكل عديدة ذات صلة وثيقة بالسرطان .

ثم يمضى قائلا : لقد ارتدنا هذا المجال لمعرفة الإجابة عن سؤال يقول : هل منشأ السرطانات المخاطية أصله من بصيلات خلايا الشعر أم هو ناشىء عن خلايا الجلد المحيطة ؟ . لكن السؤال ظل يلح علينا لمدة عشرين عاما دون أن نعثر لها على جواب ، ومن ثم فإنه يمكن للدراسات الخاصة بالشعر أن تلقى الأضواء الكاشفة على خصائص أخرى للسرطان أيضا .

وكما يقول يوسبا : فإن نمو الشعر يشبه إلى حد كبير نمو الورم ، فعلى سبيل المثال عندما تتوالد البصيلات بعد فترة الكمون والراحة فإنها تقوم بإختراق الطبقات الخارجية للجلد بطريقة تماثل إلى حد كبير خلايا السرطان لدى غزوها للأنسجة المحيطة بها .

إن نظرة متفحصة إلى ميكانيكية وطرق غزو البصيلات والجزيئات المنوط بها عمليات التنظيم والتى تحدد درجة ذلك الغزو يمكن أن تساعد العلماء فى محاصرة أو صد الغزو الجلدى غير المسيطر عليها لسرطانات الجلد كما يقول يوسبا : الذى يضيف : إن

هدفنا النهائى هو السرطان لكن فهمنا للسرطان لا يمكن أن يتم ما لم نفهم الشخص فى أحواله الصحية العادية .

ومن ثم فلدى الحديث عن الشعر فإن الكلام عن أنواعه العادية غير مرغوب فيه معظم الأوقات إذ هل يمكننا اعتبار الصلع وهو الأمر العادى الشائع بين المسنين بمثابة مشكلة ، ثم يعلق يوسبا على ذلك قائلا :

لا أعتقد حقيقة أنه يمثل مشكلة ، لكن نظرة إلى رأسه الضخمة الكبيرة منحولة الشعر توحى البعض بأنه ليس بالقاضى العادل فى حكمه ذاك .

● الشعر فى حالة الكمون :

وبينما يُعمل العلماء قرائحهم محاولين استجلاء سر نمو الشعر فإن هناك فريقا آخر منهم لا يثير حيرتهم إلا سر توقف ذلك النمو ، ويعتقد معظم الباحثين أن تغيرات تتعلق بدورات نمو الشعر والهرمونات التى تتحكم فى ذلك يكمن فيها السّر فى فترات الراحة المتفاوتة والتى تحدث لكل أنواع الشعر لكن للعالم وولتر جِبسُنْ فكرة أخرى فهذا العالم البارز بانجلترا يوص أن العوامل المناعية يمكن أن تكون لها الكلمة النهائية فى فترات بيات الشعر طالت أو قصرت .

ويظل الأمر متعلقا بصورة كبيرة بالظروف المحيطة لكن جبسُن يشير إلى معطيات عديدة تتوائم مع فرضيته تلك .

فعلى سبيل المثال فإن الكثير من أمراض نمو الشعر ذات أسس تتعلق بالعوامل الوقائية بما فى ذلك مرض (الثعلبة) وأسمها العلمى ALOPECIA . AREITA والتى تترك مساحات كبيرة من فروة الرأس والوجه وقد خلت من الشعر تماما . كما أن عقار CYCLOSPORIN . A وهو عقار يقى من أمراض تصيب الشعر كالرطوبة والوهن والذبول هذا العقار نفسه يحفز نمو الشعر فى كثير ممن يستعملونه مما يقدم دليلا على أنه يمكن للجهاز المناعى أن يتدخل فى كبت نمو الشعر والحد منه .

وفى اجتماع علمى ناقش بيولوجيا نمو الشعر قام جِبسُن بوصف بعض من أحدث ولربما أفضل البراهين الدالة على أن للعوامل المناعية والوقائية علاقة لا تنكر بفترات راحة الشعر ومراحلها ، فباستخدام لوحة توضيحية (وهى أحد وسائل الإيضاح) للأجسام المضادة التى تحدد العلامات المناعية فى الخلايا وتظهرها للعيان وجد جبسن أنه فى أثناء فترة الراحة فإن خلايا الشعر فى مجموعة البصيلات الطائفة الثانية والتى رمزها العلمى MHC وهى الخلايا المضادة للمورثات والتى ظهرت علاماتها على سطح اللوحة يمكن أن تعرقل هجوماً ما وذلك عن طريق الجهاز المناعى .

وفى نفس الوقت تقريبا فإن الأنسجة ذات العلاقة وهى الأنسجة المحيطة بالبصيلة سرعان ما تتعطل ، كما أن خلايا الدم البيضاء والتى تقوم بأعمال النظافة فى الجسم والمسماة (الكناسات) سرعان ما تتحرك مقتربة من الخلايا البصيلية ، وتُظهـــر كل تلك الاستنتاجات أن خلايا الشعر استجابة منها لبعض الاشارات المجهولة المصدر تخرج علامات تعجل بوفاتها .

ويضيف جبسن أنه كثيرا ما اعترته الحيرة وذلك بسبب النقص الواضح فى مضادات الموروثات المعروفة بالطائفة I.MHC لدى الإنقسام السريع لخلايا الشعر أثناء فترات نمو الشعر وهو أمر شديد الغرابة واستنتاج مثير للجدل . حيث أن كل أنواع الخلايا فى الجسم تقريبا باستثناء بعض خلايا السرطان بالطبع تحمل أجساما مضادة للموروثات كما يقول جبسن :

إن العلامات بوسيلة الايضاح المعروضة تُبلغ الجسم بالضرورة وجهازه المناعى على وجه الخصوص رسالة نصها لا تهاجمنا فنحن ننتمى إلى ذلك الجسم ، ويحاول جبسن أن يوحى إلى مستمعيه أن التسامح الروتينى الذى يبديه الجسم مع مضادات الموروثات المنعدمة فى الخلايا يبين أن بصيلة الشعر تظل محتفظة بميزة الوقاية المناعية مستمتعة بها أثناء فترة نمو الشعر وهو ما يخالف الإشراف الروتينى للجهاز المناعى الذى لا غنى عن بصمته فى مثل هذه الأمور .

وفى هذا السيناريو فإن انهيار جدار البصيلات وظهور أجسام مضادة معادية ذات تأثير مناعى فى نهاية فترة النمو يمكن أن يمثل المفتاح للتوصل إلى الأحداث التى تؤدى إلى كبت نمو الشعر موضحا أن العلماء يمكنهم يوما ما أن يستخدموا عقاقير تستطيع تغيير وتبديل العوامل المناعية وذلك فى منع الصلع أو زيادة نمو الشعر فى أناس آخرين بل وفى حيوانات أخرى .

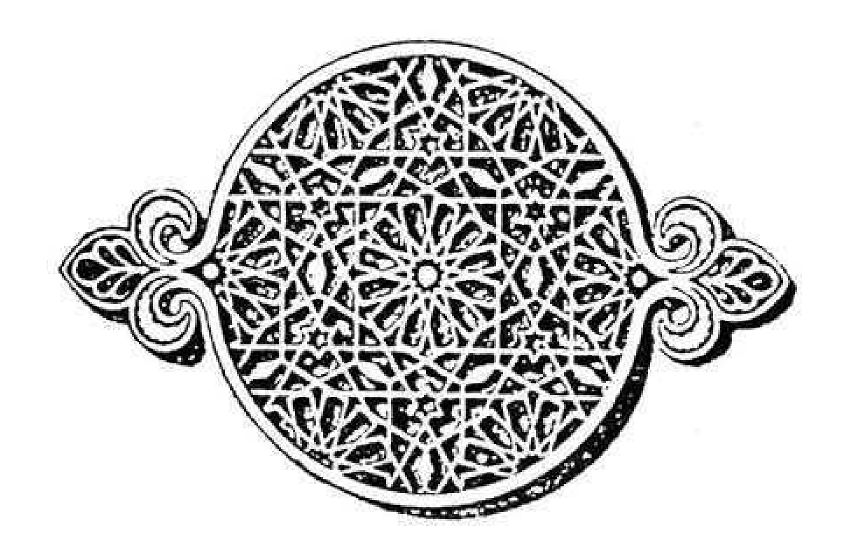

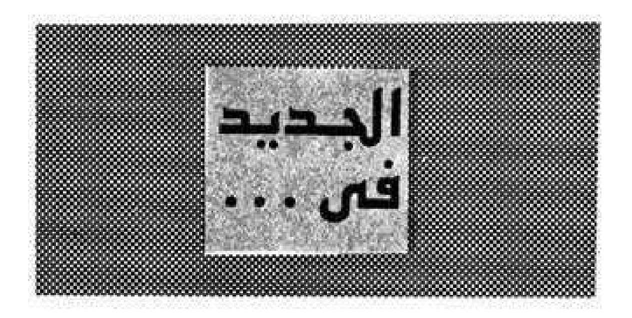

إعداد :

د. نجوى السيد احمد

● دفاية لتدفئة الغواصين فى الأعماق :

اخترع علماء الطب البحرى فى مؤسسة الدفاع السويدية سخانا لتدفئة الغواصين فى الأعماق الكبيرة التى يتعرض الجسم فيها لبرودة بالغة كما فى حالات العمل فى حقول البترول البعيدة عن الشاطىء . وتتلخص الطريقة فى استعمال فوق أكسيد الأيدروجين لتدفئة الغواصين بأن يلبس غواص الأعماق بدلة مجهزة بشبكة من القنوات تسمح للماء الساخن بالمرور خلالها ويحمل على ظهره سخان فوق أكسيد الأيدروجين مع أنابيب الأكسجين الخاصة بالتنفس تحت الماء ، ويتم تشغيل السخان بمضخة ماء كهربائية تحرك دورة الماء فى شبكة القنوات ببدلة الغواص وتولد الضغط اللازم لانسياب فوق أكسيد الأيدروجين من الخزان المحفوظ فيه .

● مواد جديدة لامتصاص وتخزين الماء فى الأراضى الصحراوية :

تجرى بالمركز القومى للبحوث دراسات لانتاج مواد جديدة محسنة للتربة تقوم بامتصاص الماء وتخزينه ، وهذه المواد يمكن تصنيعها من مخلفات الحيوانات بعد معالجتها كيميائيا بحيث تزيد من درجة امتصاصها للماء كذلك عن طريق مواد كيميائية فى صورة « بودرة » وقد حققت الدراسات بعض النتائج حيث تم التوصل إلى مواد تمتص الماء بنسبة ٥٠٠٪ من وزنها ، وجارى البحث لزيادة هذه النسبة ، وهذه المواد تصلح فى زراعة محاصيل الصحراء بوضعها حول جذور الأشجار للاحتفاظ بالماء الزائد عن حاجة النبات .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث

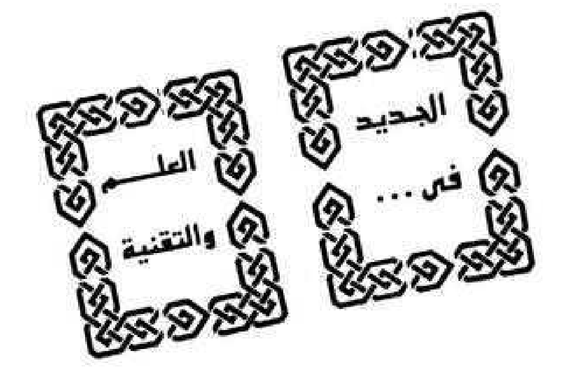

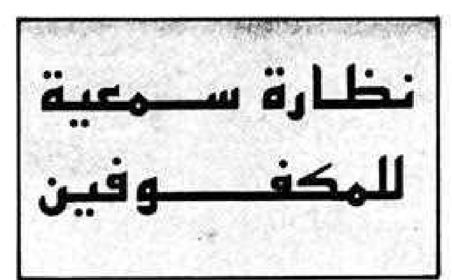

نجح أحد الأطباء الفرنسيين فى صنع نظارات سمعية للمكفوفين ، تقوم فكرة النظارة على تحويل الضوء والألوان إلى أصوات تساهم فى صنع صورة كهربائية لخلايا المخ مما يساعد المكفوفين على تخيل الصورة وتمييزها .

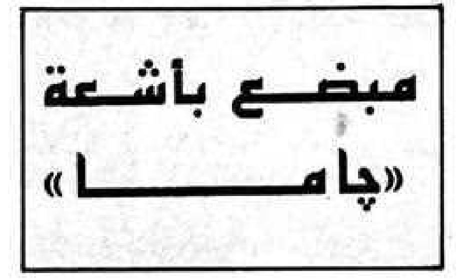

تم انتاج آلة جديدة بالولايات المتحدة الأمريكية قادرة على اجراء جراحة للدماغ دون مبضع ، وذلك بتسليط أشعة « جاما » على الأورام والتشوهات الموجودة فى الدماغ أو فى أوعيته ، وتعتبر الآلة الأولى من نوعها لمعالجة المرضى المصابين بهذا النوع من الأمراض .

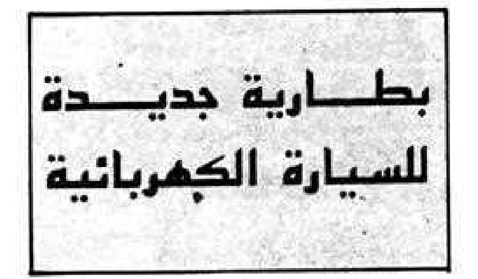

ابتكر المهندسون الفرنسيون « مجمعاً » بسيطاً ذا حرارة عالية يعمل بصورة طبيعية باستخدام الصوديوم السائل والكبريت . يتيح هذا الابتكار أن تعمل السيارة الكهربائية ببطاريات حارة من أجل التغلب على مشكلة فقدان الطاقة المرتبطة بتنشيط البطاريات عندما تقوم بتزويد السيارة الكهربائية بالتيار ، وقد أعطى هذا الابتكار نتائج أفضل خمس مرات عن البطاريات التى تستخدم الرصاص .

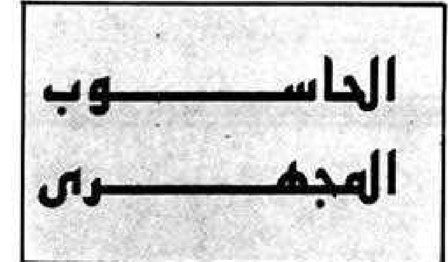

يتوقع علماء كيميائيون أمريكيون أن يتمكنوا من صنع حاسوب منمنم إلى درجة يصعب معها رؤيته ، ولكنه قوى قوة أى حاسوب معروف اليوم ، يقوم النظام الجديد على فتح فى عالم الجزيئات بعد أن نجح الباحثون فى عزل شكل جديد من أشكال المادة المستقرة ، فقد طوروا أكياساً بلاستيكية مجهرية تحمل عناقيد من أشباه النواقل يتراوح محتواها بين ١٠٠ وبين ١٠٠٠ ذرة مرتبة فى تشكيل بلورى منتظم ، لكن فريق الباحثين يقول أنه مازال عليهم إبداع جهاز فاعل على هذا الأساس . ويتوقع أن ينجح الفريق فى انجاز نموذج أولى يستطيع التحكم بكلايين « البتات » من المعلومات التى تحملها نبضات الليزر فى كابلات الألياف الضوئية .

توصل العلماء بمعهد الأبحاث العلمية الجيولوجية النفطية بروسيا إلى طريقة جديدة لتنقية المياه من مشتقات البترول وذلك عن طريق رش بقعة البترول بمسحوق معين يتحد بسرعة مع البترول ومشتقاته متحولا إلى كتلة لدنة تسهل إزالتها ، وهذه المادة الجديدة نظيفة لا تؤدى الى تلوث المياه ، كما أنها لا تتأثر بدرجة حرارة المياه أو ملوحتها ، وتحضر هذه المادة من نفايات الانتاج التى لا تستعمل عمليا ، ويمكن بواسطتها الإستفادة من حوالى ٩٦٪ من كمية البترول أو مشتقاته التى تمتصها .

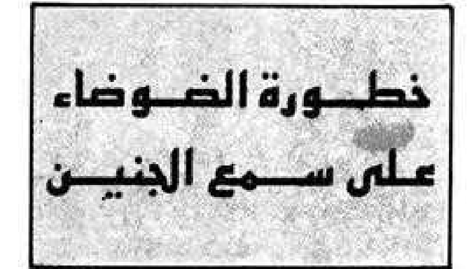

قام الباحثون فى جامعة فلوّريدا بأمريكا بدراسة تأثير الضوضاء على سمع الجنين ، وقد أجريت الدراسة على ٤٠٠ سيدة حامل ، ونصح الأطباء النساء الحوامل بأن يتجنبن الأصوات العالية قدر المستطاع حتى لا تتسبب فى إضعاف قدرة الجنين على السمع . فالجنين يستطيع بسهولة ان يميز الأصوات ذات التردد المنخفض التى تصدر من غير أمه لأن السائل « الأمينوسى » داخل الرحم يتحكم فى درجة تردد الصوت عكسياً حسب قوته ، ويمكن للأصوات أن تغير من نظام الجنين وتؤثر سلبياً على نمو مخه .

انتجت إحدى الشركات الأمريكية لصناعة الدراجات ، دراجة من الألياف الصناعية الكربونية يبلغ وزنها أقل من ٢ كيلوجرام ، ورغم خفة وزنها إلا أنها أقوى صلابة من الدراجات العادية ويتوقع أن ينتشر استخدام هذه الدراجة فى الولايات المتحدة بعد انتاجها تجاريا .

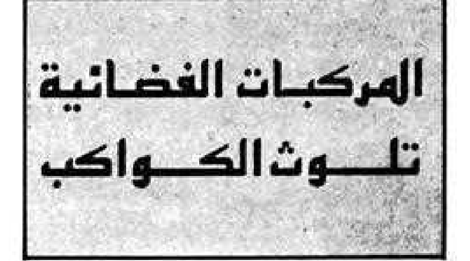

بدأ العلماء فى كل من انجلترا واستراليا يشعرون بالقلق حول تلوث المجموعة الشمسية من الأنقاض المرسلة إليها من الأرض ، وأخذت مجموعة من علماء الكواكب تدرس طرق التقليل إلى أقصى حد ممكن من تأثير المركبات الفضائية على دراسة الأجسام الفضائية كالكواكب الصغيرة والأقمار فى المستقبل .

ويخشى علماء هذا الفريق أن تلوث احدى المركبات الفضائية كوبكبا ما أو قمر كوكب بقصفه صدفة بالانقاض المتناثرة ، ومصدر القلق الآخر هو التلوث الناجم من غازات الصواريخ وعن أغطية العدسات التى تلفظها كاميرات التصوير . وسيوصى فريق العلماء هذا بأن يتجنب مخططو البعثات الفضائية فى المستقبل إستخدام العناصر الخطرة مثل « الأيريديوم » فى المركبات الفضائية إذا كانت هناك بدائل أخرى متوفرة .

اللغة والأدب والنقد

- لغة «الاسبرانتو» بين المد والجذر
- جليلة رضا رائدة الشعر النسائى المعاصر
- مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام

لغة «الاسبرانتو» بين المد والجذر

د. توفيق محمد شاهين

ظهرت الاسبرانتو عام ١٨٨٦ م ومؤلفها طبيب عيون بولندى يدعى « لازاروس زامينهوف » عاش فى أحد أحياء وارسو الشعبية حيث كان يلتقى فيها بخليط من الأقليات اليوغسلافية والألمانية والروسية والهولندية وغيرها . وغالبا ماكان التفاهم بين تلك الأقليات يتسبب فى إحداث تلاسن سرعان مايؤدى إلى مشدات لسوء الفهم .

وكان زامينهوف نفسه مولعا بحب اللغات ويتقن ثمانى منها . وعكف على دراسة اللغات التى كانت منتشرة فى أوروبا آنذاك . وخلص إلى نتيجة منطقية مفادها : أن للعالم أكثر من خمسين لغة لكل منها خمسون مليون متحدث على الأقل . ومادام ليس فى استطاعة الانسان ــ مهما كان موهوبا ــ ان يتحدث خمسين لغة مرة واحدة ، أو أن يتعلمها فى فسحة الحياة الضيقة لكى يصبح قادرا على التفاهم مع معظم البشر . رأى زامينهوف أن الضرورة للتخاطب دوليا تستدعى اختراع لغة جديدة . فاستنبط « الاسبرانتو » التى أراد لها أن تكون لغة « ثانوية » عالمية محايدة . وليست بديلة للغات القومية ، وكان يأمل فى لغته هذه أن تنشر الألفة والمحبة بين البشر ، وأن تسهل على المتحدث بها التعبير عما يجول فى خاطره من أفكار بأقل مجهود ووقت ممكنين . واختار لها أسما معبرا عن رغبته هذه هو الاسبرانتو .. وهى كلمة مشتقة من « اسبرو » : (الأمل) فى الأسبانية وتعنى « صاحب الأمل » . أو بالأحرى « المتأمل » أو « الراجى »[١] .

(١) راجع كتاب « علم اللغة العام » د/ عبد الصبور شاهين ، وكتابنا « علم اللغة العام ص ٩ » .

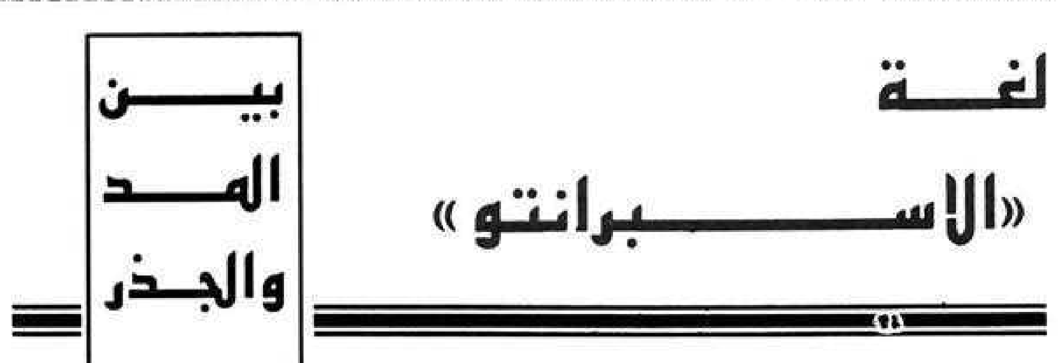

لغــة «الاســبرانتو»

بين المد والجذر

فكرة « الاسبرانتو » ومميزاتها :

فكرة زامينهوف قامت على وضع قواعد منطقة مبسطة على عكس اللغات الأخرى ـ ليس فيها أى شواذ أو تعقيد لغوى . وأخذ زامينهوف ٧٠٪ تقريبا من كلماته من اللغة اللاتينية التى تتفرع منها اللغات : السلافية ، والجرمانية ، والسكسونية ، وغيرها من اللغات الاوروبية أما النسبة الباقية . فقد اقتبسها من اللغات الشرقية القديمة : كالعربية والسريانية واستغنى عن المبهم من الكلمات ذات المعانى المتعددة والمتناقضة احيانا ، ورتبها وفقا للقواعد المبسطة التى ارتآها ، وجعل قواعدها ١٦ قاعدة فقط ، وحصر مفرداتها فى ألف كلمة وضعها فى كتاب اصدره عام ١٨٨٧ .

ومع أن هذه القواعد والمفردات تعتبر ضئيلة جدا بالمقارنة إلى اللغات الأوروبية المعروفة كالصينية مثلا ، فإنها ـــ حسب رأى الاسبرانتونيين ـــ مرنة جدا بحيث يمكن التعبير بها بسهولة أكيدة . وهذا فى اعتقادهم مايجعل من تعلم الاسبرانتو ابسط من تعلم أى من اللغات الأخرى . ومن اسلسها اتقانا وانسيابا كلغة اضافية للغة الأم .

ومن الادلة التى يسوقها الدكتور جون ويلس . رئيس النادى الاسبرانتوى « فى لندن تأكيدا على بساطة الاسبرانتو « ومرونتها أن الأسماء فيها تنتهى بحرف « و » وحرف (O) بدون استثناء أما أفعالها والمشتقات من هذه الأفعال ، فهى لا تخضع للاختلافات الاعتباطية مثل أفعال اللغات الأخرى : فلكل فعل جذر واحد يضاف إليه حرف أو حرفان تبعا للمعنى المقصود . وعلى سبيل المثال لا الحصر . هناك فعل واحد يغنى عن استعمال ثلاث كلمات فى بعض اللغات الأوروبية مثل : (Videnda) وتقابلها بالانكليزيـــة : (Seen Mustbe) .

.... ومثال آخر للمقارنة :

وهذا نموذج للأفعال فى الأسبرانتو ، وفى الانجليزية مثلا لترى اشتقاقها البسيط :

الاســبرانتو	الانجليزيــة
HELPOS	WILL HELP
HELPUS	WOULD HELP

الاســبرانتو	الانجليزيــة
HELPAS	HELPS
HELPIS	HELPED

وميزتها أيضا أنها صوتية لكل حرف صوت واحد .. وليس فيها حروف ميتة ، ولواحقها صناعية ..

ومما يميز الاسبرانتو عن غيرها هو ليس فقط بساطة قواعدها المنطقية . وإنما أيضا استعمالها . فهذه اللغة تحرر مستعمليها من القوالب اللغوية الثابتة أو الاصطلاحات التراثية الموجودة فى اللغات الاخرى . مما يمنحهم حرية أكبر ومجالا أوسع للتعبير بطريقة أفضل أثناء التخاطب مع الأجانب فقط .

ومما يجعل الاسبرانتو هذه جدير فعلا بالاهتمام والدراسة أنها لاتنتمى إلى دولة أو عرق أو ديانة معينة ، وهى بذلك ليست انتمائية ولا مرتبطة كالانجليزية أو الفرنسية أو الالمانية بدول معينة .. وبالتالى فإن مستقبلها ليس مرهونا بمستقبل الدول ورقيها أو تدهورها .

ومن الأسباب الجديرة أيضا بالذكر أن التحدث باللغات الدولية للذين يتقنونها كلغات أصلية أو إضافية . لايخلو أحيانا كثيرة من الحساسيات والامتيازات بسبب الانتماءات القومية أو العقائدية أو التراثية أو المذهبية لهذه اللغات .

ولنتصور هذا المثال المعقد :

المصرى الذى يجيد الانجليزية ، لايستطيع أن يتفاهم اطلاقا مع السنغالى الذى يجيد الفرنسية ، بل إنه يجد صعوبة حتى فى التفاهم مع الهندى الذى يجيد الانجليزية .. وهؤلاء الثلاثة : أى المصرى والسنغالى والهندى لايستطيعون معا أن يتفاهموا مع البرازيلى الذى يجيد الاسبانية ، وهؤلاء كلهم أيضا لايفهمون ماذا يقوله الهولندى الذى يجيد الألمانية .

من هنا ، فإن « الاسبرانتويين » فى العالم يعتبرون أن لغتهم هى بمثابة « جواز سفر » عالمى[1] ينبغى أن تكون الوسيلة الوحيدة للتفاهم والاتصال خارج حدود اللغات القومية .

الجهود الاسبرانتوية لمحاولة نشرها :

اقتصرت محاولات نشر الاسبرانتو فى مطلع هذا القرن على نشاطات (الاسبرانتويين) الشخصية ، وتسنى لهؤلاء تنظيم أنفسهم والعمل فى مجموعات أقليمية ، تطورت وأنتشرت بسرعة فى جميع أنحاء العالم ، وخاصة فى أوروبا . وقد اسست هذه المجموعات حركة ثقافية واسعة تتخذ اليوم من روتردام فى هولندا مقرا رئيسيا لنشاطاتها . ونشر الاسبرانتو والترويج لها والتشجيع على استعمالها . وبفضل جهودها أصبح الاسبرانتويين فى العالم يربون على ١٠ ملايين نسمة .. تمكنت من توطيد اقدامها من خلال نشاطات أعضائها والمتعاطفين معها ومشجيعها فى إصرار وصعوبة شديدين . إذ كان من الطبيعى أن تثير الاسبرانتو ريبة الكثير من الدول ومعارضتها . لكن محاولات الطعن لها لم تتوقف عند ذلك الحد : بل جرت محاولات أخرى للقضاء عليها والتصدى لها وعرقلة انتشارها . ذلك أن المتضررين من رواجها كثيرون لاعتبارات واضحة :

فاللغة الانجليزية — اليوم — تتربع على « عرش » اللغات الدولية ، وقد أصبحت هذه اللغة بفضل الاستعمار البريطانى ، والهيمنة الاقتصادية على العالم فى القرن الماضى ، تنعم بمكانة دولية تحسد عليها . وليس من مصلحة البريطانيين ولا الدول التى تتحدث الانجليزية — وهى كثيرة جدا — أن تنافس لغتهم أى اللغات الدولية الأخرى . ناهيك عن لغة جديدة ذلك أن المنافسة قد تكلف بريطانيا ودول الكومنولث الكثير من الأعباء المادية والمعنوية والسياسية أيضا .

وعليه ، فإن بريطانيا تعتبر من أكثر محاربى الاسبرانتو بشدة . وهى لم توفر وسيلة إلا واستعملتها فى التصدى للاسبرانتو والحد من انتشارها .

---

(١) مجلة « سيدتى » السعودية التى تصدر فى لندن السنة الثالثة عدد رقم (١٤٩) ١٣ من ربيع الثانى ١٤٠٤ هـ ص ١٦ تحقيق قيم للاستاذ هشام المعامل .

لغـــة الاسبرانتو بين المـد والجـذر

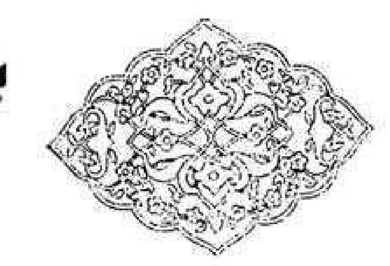

الاعتراف الدولى بالاسبرانتو ومعتنقوها :

بيد أن تلك المحاولات لم تمنع من تحقيق انتصارات ملحوظة لصالح اللغة الجديدة والوليدة على الصعيد الدولى :

ففى أعقاب المؤتمر الدولى الأول لمعتنقى هذه اللغة الذى عقدته فى فرنسا عام ١٩٠٥ ومن أهم انتصاراتهم : اعتراف منظمة الثقافة الدولية التابعة للامم المتحدة (اليونسكو) فى مؤتمرها الذى عقدته فى منتيفدْيو بتاريخ العاشر من (ديسمبر ١٩٥٤) ، إذا أعترفت اليونسكو : (بالنتائج التى حققتها الحركة الاسبرانتوية فى حقل الثقافة الدولى والاتصالات بين شعوب الارض) .

وقالت : « بأن هذه النتائج تتطابق مع أهداف المنظمة الدولية وتتناسب مع أفكارها » .

كما تعهدت بعض الدول الأعضاء فى المنظمة بتسهيل دخول الاسبرانتو إليها ، والعمل على إدخالها فى مناهج التعليم الدراسية الثقافية العالمية .

ولا شك أن اعتراف اليونسكو بالاسبرانتو وحركتها كان حافزا قويا لهذه الحركة على مواصلة نشاطاتها ، فقامت بتوسيع قطر مؤتمراتها السنوية ، ونطاق عملها . والتشجيع على عقد الندوات الفكرية وإقامة الاجتماعات الادبية والأمسيات الشعرية ، وإلقاء المحاضرات .. وغيرها .. وذلك فى مواجهة تصعيد نشاط مجمعات اللغة فى كل من : فرنسا ، وبريطانيا وألمانيا . وهى على التوالى « اليونس فرانسيز » و « البريتش كاونسل » و « جوته انستيوت » ..

فليتنا نقوم للعربية بمثل هذه الجهود ..

وعشاق الاسبرانتو خليط غريب عجيب من الناس : لايجمع بينهم إلا الاسبرانتو ففيهم : الوجــودى ، والشيوعى ، والماركسى ، والمسلم ، والبــوذى .. وغيرهم ، كما أن الانضمام إلى الحركة ليس قصرا على عرق دون آخر ، فهناك الأبيض ، والأسود ، والأسمر والأصفر . ولعل هذا هو الذى سبب الخوف منهم ، وسرعة انتشار الشائعات حولهم .

وكذلك فإن القاسم المشترك بينهم هو : أنهم جميعا من طبقة المثقفين ، وأنهم متقدمون بالعمر نسبيا ، وأغلبهم من متوسطى الدخل ، والكثيرون منهم من أصحاب النفوذ فى مجتمعاتهم .

وقد شقت هذه اللغة طريقها بين اشواك اللغات الأخرى ، ولقيت تشجيعا كبيرا وتجاوبا ملفتا فى اوساط مثقفين وكتاب وسياسيين ولغويين كثيرين من كل الأجناس البشرية ، وشتى الطبقات الاجتماعية ، ومختلف الديانات والمذاهب الاجتماعية .

ومن ألمع الذين اتقنوا « الاسبرانتو » وتعاطفوا معها ، الأديب الروسى (تولستوى) والناقد البريطانى الساخر (جورج برنارد شو) والرئيس اليوغسلافى الراحل (جوزيف تيتو) ، ومستشار النمسا السابق (برنو كرايسكى) ، والاديب الأمريكى (أرنست

همنجواى) ورئيس الوزراء البريطانى السابق (هارولد ولسن) وغيرهم من أعلام الفكر أو أقطاب السياسة والادباء .. وهؤلاء كلهم كانوا — وبعضهم لا يزال — يكتبون بالاسبرانتو ، ويزودونها بزخم من أعمالهم الأدبية أو الفلكية أو غيرها .

والطريف أنهم يتزوجون من بعضهم ويربون أطفالهم على تعلم « الاسبرانتو » ..

ويقول « بيتر مايلز » أحد الأسبرانتويين البريطانيين وصاحب شركة للترجمة وهو متزوج من اسبرانتوية : « ان لكل من (الاسبرانتويين) هدفا من تعلم اللغة .. والانضمام إلى حركتها فهو نفسه مثلا تقوم تجارته على الترجمة من وإلى الاسبرانتو .. وتدر عليه أرباحا كثيرة . وهناك تجار كثيرون يحققون أرباحا إضافية فى توسيع نشاطاتهم فى الدول — التى ينتشر (الاسبرانتويين) بها . ووجودهم فى الحركة يتيح لهم فرصا طيبة ، لاقامة شبكات تجارية وتسهيلات خاصة بين التجار (الاسبرانتويين) فى العالم ، ومنهم من يتعلم الاسبرانتو طمعا فى نشر أفكاره وتمريرها إلى بقية الاسبرانتويين » ..

أما بالنسبة لاسبرانتوى الدول الشرقية : فإن الاسبرانتو بالنسبة لهم نافذة واسعة يطلون من خلالها على العالم الغربى ، وعلى مايجرى فيه من أحداث وتطورات ، سواء فى الحقل السياسى أو الاجتماعى أو العلمى أو غيرها .

الاسبرانتو فى العالم العربى :

« الاسبرانتو » وجدت فى بعض المثقفين العرب تعاطفا كبيرا دخلت من خلالهم إلى الوطن العربى .

وقد قام بعض الاسبرانتويين العرب فعلا بترجمة اعمال ادبية واسلامية الى الاسبرانتو وقد نقلت (رباعيات الخيام ورسالة الغفران) وبعض الأمثال والحكم المتفرقة .

وهناك ممثلون للحركة الاسبرانتوية فى كل من : الكويت والعراق ، ومصر ، وتونس والسودان ، ولبنان .. إلا أن نشاطاتهم ليست واسعة أو معروفة بشكل جيد لأسباب مادية وإعلامية ، لأن محاولات التعريف « بالاسبرانتو » فى الوطن العربى تقتصر فقط على النشاطات الفردية لهؤلاء الممثلين ، وهم فى كل الأحوال يقومون فى ذلك على حسابهم الخاص ، لأن الحركة أساساً قائمة على هذا المبدأ ولم يسبق ان اهتمت الصحافة العربية بلغة الاسبرانتو بشكل واسع وما نشر عنها قبل الآن كان نادراً ، ويفتقر إلى المعلومات الدقيقة ، والنظرة الجدية .

وليس مستغربا بسبب ذلك ألا يكون عدد الاسبرانتويين العرب أكثر من خمسين شخصا فقط ، موزعين فى أرجاء الوطن العربى ..

وهناك محاولات جارية الآن لنقل الأمثال الشعبية لشبه الجزيرة العربية إلى الاسبرانتو ... إلى جانب بعض الأعمال الأخرى ..

يبقى أن نقول أن الكثيرمن النقاد الذين تناولوا فى السابق هذه « الظاهرة » لم يجمعوا : لاعلى أدانتها ولا على تأييدها ؛ نظرا للتناقض الواضح بين أهداف الاسبرانتو واختلاف مذاهبهم وتعدد آرائهم ..

على أن دراسة وافية قام بها أحد النقاد البريطانيين فى الخمسينات تفيد .. أن الحركة الأسبرانتوية هى حركة فكرية ثقافية صادقة وسيلتها « الاسبرانتو » وتعكس فى مضامينها سياسة راقية ، تعترف فقط بالانسان ، كإنسان ؛ بصرف النظر عن هويته أو أنتمائه أو ديانته .

ولكن مايستحق التسجيل هنا هو :

أن الحركة بعدما حصلت على اعتراف اليونسكو بها تسعى الآن إلى حث مجموعة دول عدم الانحياز ، ودول السوق المشتركة على تبنى « الاسبرانتو » كلغة موحدة لاعضائها . وقد تقدمت بالتماس الى الامم المتحدة لادراجها فى قائمة اللغات الدولية المستعملة فى هيئة الأمم .. فهل يتحقق لها كل ذلك ؟

وما رأى القارىء الكريم فى لغة الأمل : (الاسبرانتو) ؟

موافق ؟

أو معترض ؟

أو متردد ؟!

عرض لدراسة أكاديمية

جليلة رضا
رائدة الشعر النسائى المعاصر

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

يقول الشريف الرضى عن نفسه ، مفتخراً :

أنـا النضـار الـذى يُضَنُّ بـه ‏ ‏ ‏ ‏ لـو قلَّبتـنى يمـينُ منتقـد

ويجيبه الدكتور زكى مبارك ، بأول صفحة من كتابه ، عنه (عبقرية الشريف الرضى) بقوله : « أشهد أنك قد وجدت المنتقد ، أيها النضار .. » .

ونحن اليوم إزاء شاعرة كبيرة معاصرة ، تغترف من ذاتها ، وتغوص إلى الأعماق لتقدم لنا شعراً ، أو نضاراً ، رائعاً مُشعًّا ، تصدر فيه عن معاناة وتجربة شعورية خِصْبة ، ولذا يأتى تعبيرها حاراً متدفقاً ، ليضعها فى الصدارة بين كبريات شواعرنا المعاصرات ، أمثال : نازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، و د. طلعت الرفاعى .

فالشعور هو مادة الشعر عند جليلة رضا ، وبدونه تفقد كلمة « شعر » مضمونها ومغزاها ، وتتحول إلى كلمة : « نظم » .

وشتان ما بينهما شتان .

ونادراً ما يحدث ذلك لشاعرتنا ، وهى التى تقول :

انطلقـــي من جوف الظُّلمـــة
هيــــا هزى ، هُزّى قلمــــي
وانتــــــــفضى فى ثورة أمل
يا أصبــع عمــلاق يفــــرد
أجنحـــة الفـــن المنهزمـــة
قولى شيئــاً ، شيئــاً يصعــد
يتــوثّبُ .. يعلــو للقمـــة[1]

****

وعن جليلة رضا : (حياتها وشعرها) ، حصل الأستاذ أحمد الصواف على درجة (التخصص) ، أى « الماجستير » فى الأدب والنقد ، من كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، جامعة الأزهـــر ، بالمنصورة .

ويطيب لنا أن نتأبط ساعد القارىء ، لنصحبه فى جولة عبر هذه الدراسة المتميزة ، التى أظهر فيها الباحث أن الفن لا يميز بين الرجل والمرأة ، لأن لكل منهما أحاسيسه ومشاعره . وبقدر توفيق كل منهما إلى تصوير خلجاته ، يكون توفيقه وتفرده ، فى عالم الكلمة المجنحة .

فالشاعر ، والأديب المترسِّل ، أعضاء فى مجتمع ، أولاً وقبل كل شىء . والفرد فى المجتمع يُعطى ويأخذ ، ويؤثّر ويتأثّر .. وبعد أن يشرب من منابع هذا المجتمع ، فهو يصدر عن آماله وآلامه ..

والشاعرة جليلة رضا قد وجدت فى فن الشعر متنفساً ، يطلق طاقتها الفذة ــ عبر البحور والقوافى ــ فى عالم الإبداع الأدبى ، لتأتى ؛ بعد ذلك ، بما يشوق ويروق ، بأصالة واقتدار .

وقد وُفِّق الباحث الأستاذ أحمد الصواف ؛ فى بحثه القيِّم ، إلى رَصْد مراحل تكوين الشاعرة ، والعوامل التى تأثرت بها ، وتدرُّجها فى سُلَّم الإبداع الشعرى ، بعد أن تتلمذت ، فى البداية ، على يد شاعر أبوللو الراحل الدكتور إبراهيم ناجى ، وكذلك استيعابها لعيون الشعر الفرنسى ، بعد إجادتها اللغة الفرنسية .

وهكذا جمعت الشاعرة ما بين الثقافتين : العربية والفرنسية ، وتبحرت فى الاطلاع الواسع العميق على كنوزهما ، ولفت نتاجها الشعرى ، بعد ذلك ، نظر الكثيرين من نقادنا الكبار ، بروعته وأصالته .. فقال عنها شيخ النقاد المرحوم مصطفى السحرتى إنها : « مفخرة بين لداتها من شاعرات الشرق العربى »[2] .

وقال الدكتور على الجندى عنها أنها : « أشعر شواعر الإقليم الجنوبى »[3] وهو يقصد بالإقــليم الجنوبى : مصر ، لأن هذا الحكم صدر أيام أن كانت الوحدة قائمة بين مصر وسوريا .

كما يقرر الأستاذ كمال النجمى ، رئيس تحرير مجلة الهلال ، ريادة جليلة رضا للشعر النسائى المعاصر ، بقوله عنها : « ويمكن القول بأن الشعر المصرى المعاصر كانت بدايته : عائشة التيمورية ، وقد بلغ غايته عند جليلة رضا »[4] .

وجاء بصحيفة « أخبار اليوم » ــ بعد صدور كتاب جليلة رضا الذى يحمل عنوان : (صفحات من حياتى) ــ : « لقد تأخرت جليلة رضا فى نشر اعترافاتها ، كما تأخرنا كثيراً فى تقديرها حق قدرها ، فهى بكل المقاييس ، مقاييس الفن ، والصدق ، والجمال كبيرة شاعــرات العــرب ، ولا تدانيها إلا مصرية أخرى تكتب بالفرنسية شعراً ومسرحاً ، هى « أندريه شديد » ، ولكن جليلة رضا تفوقها فى العذوبة والتلقائيـــة ، التـــى تنساب فى دواوينها الستة »[5] .

ويقول عنها صديقنا الراحل الشاعر محمد مصطفى حمام إنها : « لبية فصيحة ، منطقية موهوبة ، صافية السليقة ، خيالها أبهى من الحقيقة ، ولفظها أحْكمتْ تنسيقه »[6] .

---

(١) أنظر كتبنا (شعراء ودواوين وفيه حديث مستفيض عن شاعرتها ص ٨٩ ط سنة ١٩٩٠ م .

(٢) أنظر كتابه (شعراء مجددون) ص ٨ ــ ٩ .

(٣) أنظر كتابه (خمسة أيام فى دمشق الفيحاء) ص ٢ .

(٤) أنظر مجلة الهلال عدد سبتمبر سنة ١٩٨٧ م .

(٥) جريدة أخبار اليوم الصادرة فى ١٩٨٧/١٢/١٢ م .

(٦) أنظر (ديوان حمام) ، ط الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٤ م .

جليلة رضا رائدة الشعر النسائى المعاصر

وقد صدق حمام يرحمه الله فى وصف قاموس جليلة رضا الشعرى ، فالقصيدة لديها سَداها المضمون المضمون ولُحمتها اللفظ ، ويستقر كل منهما فى الآخر ، بحيث يصبح من العسير الفصل بينهما .. خذ مثلاً قولها بقصيدة (أخيراً) :

أجل ما زلت أستوحى من الأمواج والرمــل
جمال الكون والدنيــا وسر النــور والأمــل

••••

أسير طليقـــة نشوى بضوء الفجر والنسم
وأمرح فى الضحى وحدى مع الأمواج والنغـم

••••

وقد عمد الأستاذ الباحث ، فى خطة البحث ، إلى تقسيمه إلى مقدمة ، ذكر فيها أهم الدوافع التى أدَّتْ إلى اختيار شعر جليلة رضا موضوعاً لدراسته ، ثم تحدث فى التمهيد عن الشواعر فى الأدب العربى ، منذ العصر الجاهلى ، إلى العصر الحديث ، ومنزلة جليلة رضا بين شواعره .

وفى القسم الاول من البحث قدم صورة وافية لحياة الشاعرة جليلة رضا : أسرتها ومولدها وطفولتها وشبابها ، وتطرق إلى الحديث عن زواجها الأول وما صادفها فيه من عقبات ، ومأساة ولدها الوحيد ، الذى أصيب بمرض عقلى فى طفولته لازمه حتى نهاية حياته وصدى هذه المأساة فى شعرها .

ثم تحدث عن زواجها الثانى من الشاعر عبد الله شمس الدين صاحب نشيد (الله أكبر) المشهور ، ثم عن زواجها الثالث والأخير من الكاتب الصحفى اللامع (محمد السوادى) صاحب جَريدة (السوادى) .

كما تحدث عن رحلتها إلى دمشق لحضور مهرجان الشعر الدولى عن مصر ، مع آخرين ، وعن حصولها على جائزة الدولة التشجيعية للشعر ، وعن عضويتها بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة ، وبالمجالس القومية المتخصصة .

كما تحدث عن روافد ثقافتها العربية والغربية ، وأثر ذلك فى شعرها .

وفى القسم الثانى من البحث ، تحدث عن شاعريتها التى أبدعت فى شتى الأغراض والموضوعات الوجدانية والوطنية والوصفية . وبصفة خاصة ، شعر الأمومة وشعر النزعة الإنسانية .. وَبيَّن موقع شعرها من المذاهب الأدبية ، وأنه أقرب إلى الرومانسية .. وأفاض فى الحديث عن خصائص شعرها من حيث الأفكار والأسلوب ، والصورة الفنية ، والموسيقى ، والصدق الفنى والشعورى لديها ، وتحقُّق الوحدة العضوية فى شعرها ، ثم انتهى فى ختام بحثه إلى أهم النتائج التى توصَّل إليها .

وصفوة القول أن هذه الدراسة قد بلغت من العمق والشمول والإحاطة ، حَدًّا جعل لجنة المناقشة تمنحه تقدير الامتياز .. وكَمْ نتمنى سرعة نشر هذا البحث فى كتاب ليعم النفع به ، والتذوق له .

وفى كلمة تالية ، نرجو أن نتحدث عن رسالة الماجستير الأخرى، التى حصلت عليها الأستاذة سهام سيف الدين ، بامتياز ، عن شاعرنا الكبير الراحل ، الدكتور عزت شندى موسى ، حياته وشعره .

وبالله التوفيق ...

قراءة فى كتاب

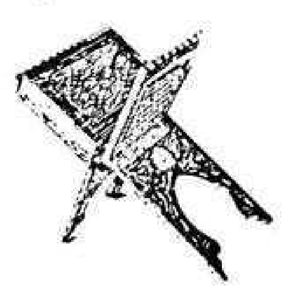

مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام

• تأليف الأستاذ :
يوسف كمال أحمد
• عرض وتعليق :
أحمد السيد تقى الدين

الحضارة الأوروبية المادية تشرف على السقوط وتنتهى إلى الانتحار الجماعى ، انها امتلكت الوسيلة وافتقدت الهدف والغاية وحصلت على شىء من العلم لكن غابت عنها الحكمة .

وقد نكون نحن المسلمين من خلال موقعنا المتخلف حضارياً واضطراب مقاييسنا بسبب ضعف التزامنا بديننا عاجزين عن التعرف بشكل دقيق على أزمة الحضارةو الأوروبية لأن بضعنا يعانى مسألة التخلف الحضارى للمسلمين والتقدم الحضارى للغرب العلمانى .

من أجل هذا كان لا بد من توضيح معنى الحضارة والتعرف على مفهومها بشكل أعمق وأوسع وهى مهمة تولاها لفيف من الأساتذة والباحثين والمهتمين بقضية الحضارة تمخضت مجهوداتهم عن عشرات ومئات الدراسات والبحوث ، كل تدور حول هذه القضية . والجلى الواضح أن هذه الدراسات لم تحقق أهدافها إلى يومنا هذا وإلا ما ظلت هذه المشكلة ـ مشكلة معنى الحضارة ـ قائمة إلى يومنا هذا .

وأياً ما كان الأمر بالنسبة للأسباب التى أدت إلى تلك النتيجة فنحن نقدم هذا الشهر لقارئنا الكريم أحد هذه الاسهامات وهى بعنوان « مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام » للأستاذ يوسف كمال أحمد الذى يحاول فى دراسته تلك أن يضىء شعلة أمام الإنسانية تهديها سواء السبيل وتنير لها الطريق لتخرج إلى نور الهداية اللاإبانية التى لا سبيل سواها لإنقاذ البشرية .

تتألف الدراسة من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

مستقبل الحضارة

بين العلمانية والشيوعية والإسلام

جاء الباب الأول بعنوان « الغرب العلمانى » وفيه تحدث المؤلف عن تطور الصراع بين العلم والكنيسة والذى أدى إلى ظهور الطابع العلمانى ليكون بديلاً عن الطابع النصرانى فى المجتمع الأوروبى ثم المجتمع الإنسانى بعد ذلك ، ولقد تبلور هذا الاتجاه بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م على اثر الصدام الدامى مع الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى ـ التى كان لها السلطان على الناس بدعوى النيابة عن الله ـ وكان لا بد أن يرفض المجتمع دعوى الكنيسة ويرفض معها كل ما بقى من بذور الإيمان التى لم تمت . ومن هنا نشأت فلسفة فصل الدين عن الدولة للتحرر من سلطات الكنيسة ، التى لم يتورع رجالها عن الاغراق فى الترف وحب المال والتعامل بالربا والرشوة ، وكانت مسألة صكوك الغفران التى تباع لقاء قدر من المال ينال من يدفعه دخول ملكوت السماء مهما أثقلت ظهره الذنوب ، كانت هذه المسألة هى قمة الأدلة على فساد المجتمع والكنيسة بل والدولة كلها .

وكان من نتيجة استخفاف الكنيسة بعقول الناس وسلب أرزاقهم ان أخذت العقيدة فى الذبول حتى أصبح الإلحاد مفخرة الأندية حتى أندية الكنيسة نفسها وانتشرت النزعة المادية .

الثالوث المخرب

ثم ظهر الثالوث المخرب (داروين ، وفرويد ، وماركس) ، الأول ينادى بنظرية النشوء والارتقاء التى ترجع أصل الأحياء إلى الخلية وتقول بأن الإنسان قرد متطور ، والثانى ينادى بأن كل دوافع الحياة تكمن فى الغريزة ؛ والثالث لا يرى فى الحياة إلا مادة وأن كل تطور حدث فى التاريخ كان نتيجة للصراع من أجل لقمة العيش .

وهكذا ابتعد الناس عن الدين وأسلم الإنسان المعاصر قياده للغريزة حين قصر غاياته فى الاشباع المادى ، فصار أضل من الأنعام لأن الحيوان ينظم غريزته تلقائياً ، أما الإنسان الذى يعيش فى فراغ دون أمل ترى عقله يسير بغريزته إلى الحد الذى يتلف النفس والجسم معاً .

أصبح الإشباع المادى هو هدف الحياة الوحيد ، بل هو الدين الذى يجد هياكله فى المصانع ، ومعامل الأبحاث ، وأماكن اللهو ، وكهنة هذا الدين هم رجال الأعمال والعلماء والفنانون ، إنها ردة إلى الوثنية ونكسة للإنسانية تتبلور وتأخذ صورتها التامة فى أعلى مراحل التطور لهذه الحضارة المادية فى الشيوعية التى هى ثمرة طبيعية لوثنية أوروبا المادية .

وبعد أن بعد الإنسان عن التسليم لله والعبودية له عبد الطواغيت سواء كان ذلك طاغوت الرأسمالية فيما يسمونه ديمقراطية ، أو طاغوت الدكتاتورية ، وكلها دكتاتورية بشرية تستعبد البشر وتذل أعناقهم وتغصب أرزاقهم ، وسيظل الإنسان عبداً للإنسان ينتقل من طاغوت إلى طاغوت حتى يستعبد نفسه لله ، وهنا فقط ينطلق حراً راشداً .

التطبيق الشيوعي

وفى الباب الثانى ناقش المؤلف الصورة المروعة للتطبيق الشيوعى . فتساءل : هل استطاعت الماركسية أن تجد لأوروبا حلاً لأزمتها فأوضحت معنى الوجود وغاية الحياة أم أنها امتداد للبداية السيئة ومضاعفة للداء ؟

يجيب المؤلف على تساؤله :

أن المؤمنين بالفلسفة المادية يطلبون من شيعتهم أن يكفروا بكل شىء غير المادة ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم على هذه الأرض متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعية حينئذ تبدأ الجنة الأرضية الأبدية كما يتوهمون .

والماركسية اللينينية فى الأساس لا تعترف بوجود أى قوة أو خالق فيما وراء الطبيعة ويرى أشياعها أنها تركز بوضوح على حقيقة العالم الذى نعيش فيه ، وتحرر الإنسان إلى الأبد من الخرافة ومن عبودية الروحانية القديمة .

فالماركسية فى ضلالها القديم لا تجد للوجود غاية ولا ترى فى الدنيا إلا دورات تنتهى لتبدأ من جديد دون هدف ، ولا ترى إلا التناقضات ولا تؤمن إلا بالصراعات ، بينما الكون كله والطبيعة ذاتها تقوم على التعاون ؛ فالسالب والموجب يتعاونان فى إكمال الدائرة الكهربائية والليل يكمل النهار ، الأول سكن والثانى معاش ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

(سورة النمل ـ آية : ٨٦) .

ويزعم الشيوعيون أنه باستيلاء الدولة على ملكية وسائل الانتاج سيتقدم المجتمع حتى يحقق الوفرة الكاملة لكل السلع وتنقضى الندرة حتى تصبح كل سلعة كالماء والهواء ، وسيكون العمل ذاتياً لأنه منبعث من حاجة الإنسانية الأساسية للعمل !!

فإذا نظرنا إلى أوكرانيا وهى احدى الجمهوريات الروسية التى كانت تصدر القمح للعالم بعد تحقيق الاكتفاء الذاتى لروسيا كلها نجد الحال منقلباً فى مطلع الثمانينات عندما أصبحت روسيا الشيوعية تستجدى القمح من الولايات المتحدة الأمريكية !!

فماذا حققت ملكية وسائل الانتاج ؟ لا شىء غير التدهور فى الانتاج واستخدام الدولة للنظام البوليسى والقوة الغاشمة التى لا تعرف معنى الرحمة مع العمال ليؤدوا بعض واجباتهم .

وبعد أن بلغوا بنظريتهم حد التقديس عاد سدنتها يهدمون أصنامها ، فها هو ستالين بعد حركة تطهير قتل فيها مئات الألوف سنة ١٩٣٤ م يقول : « ان هؤلاء يحسبون أن الاشتراكية الشيوعية تستلزم المساواة فى الأجور ، ألا ما أسخفه من رأى ، إن المساواة التى نادوا بها أضرتنا أكبر الأضرار » .

ثم سمح ستالين بالملكية الفردية وبالميراث فى حدود[1] بعد أن تبخرت أحلام الفارس الموعود وساءت الأحوال الاقتصادية وانتشرت المجازر فى أنحاء الأرض التى تصطلى بنارها الشعوب تحت شعاراتهم الزائفة وبعد الحروب العالمية والحروب المحلية التى أضرمت نيرانها النظم المادية سواء أكانت شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية ولم تجن الإنسانية من ورائها إلا الخراب والضياع والشقاء .

حضارة الإسلام

وفى الباب الثالث يعرض المؤلف « حضارة الإسلام » التى أعطت الدفعة الأولى لمدنية العلم الغربى الذى استمد جذوره من علماء الأندلس عندما كانت مدينة قرطبة أعظم منهل للعلوم والمعارف فى أوروبا وضارعت فى هذا المضمار القسطنطينية وبغداد والقاهرة وكان عدد سكانها نصف مليون نسمة وفيها ثلاثمائة حمام عام ، وسبعون داراً للكتب ، وكانت عروس المدن بطرقها وأنوارها فى وقت كانت فيه لندن وباريس فى حالة همجية .

---

(١) يقضى النظام الشيوعى بأن الدولة هى الوارث الأول لأى متوفى بالشكل الذى يطابق ضريبة التركات فى مصر التى تجعل الدولة هى المستفيد الأول من تركة أى متوفى إذا تجاوزت التركة الحد المسموح به للاعفاء من الضريبة ... المحرر .

وقد تسلمت أوروبا من العرب مادة العلوم والمنهج التجريبي وجغرافية العالم وبنت عليها حضارتها .
لكن أوروبا لم تع الدرس جيداً ولم تقدر أن الحضارة يجب أن تكون فى القلب قبل أن تكون فى الأشياء ، وأن الإسلام هو روح الحضارة وجوهرها لأنه يكفل للنفس إطمئنانها وسعادتها بربطها بالله ووصلها بالمجتمع واستغلالها لخيرات الله فى الأرض وفق سنة الله فى الخلق.
يقول المولى جل وعلا : ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج ـ آية : ٤٥ ـ ٤٦) فالإيمان يصبغ الحياة بصبغة شاملة فهو المحور الذى يدور حوله الوجود والحياة لهذا كان ضرورياً لكل علم حق وعمل نافع لأن شريعة الله فى القرآن هى سنة الوجود الإنسانى كما أن نواميس الكون هى سنة الوجود المادى وهى كلها الحق من عند الحق وهو قانون الكون إذا سار عليه انتظم ، وإذا خرج عليه تفتت وانهار .
﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (سورة المؤمنون ـ آية : ٧١) .
والسنن الايمانية مرتبطة تماماً بالسنن الطبيعية لأنها كلها سنة الله فى الأرض فالذنوب تهلك أصحابها تماماً كما يهلك الوباء أهله .
فمقياس الحضارة الإسلامية هو تقوى الله وطاعته فهى النمو المادى فى إطار القاعدة الإيمانية وسيادة القانون الإلهى فى حياة الناس حيث لا حكم إلا الله أى تحرير الإنسان من عبوديته للإنسان أو الهوى أو الشيطان أو الطواغيت .

ويدلل المؤلف على ما يقول بعرض مثال مدرسة آدم سميث التى تزعم أن عمل الإنسان لمصلحته الخاصة يحقق فى النهاية مصلحة المجموع ، فهذه المدرسة أو الفكرة لم تخدم إلا حفنة من رجال الأعمال كان هدفهم جمع الثروة على حساب الناس ، وظهر مع الزمن وجه الرأسمالية القبيح التى قسمت المجتمع إلى فئة مستغلة وفئة مستبدة ، وأصبح مصدر الثروة هو الربا والاحتكار تحت شعار الحرية .

ثم جاءت الاشتراكية لتهدم هذه النظرية وتقيم نظامها على إلغاء الملكية وصراع الطبقات وعاشت بالقهر والإرهاب ولم تجن الإنسانية من ورائها إلا أبشع أنواع الاستعباد ، وانتقلت الرأسمالية الفردية إلى رأسمالية الدولة واستعباد الطبقة الجديدة للمحكومين .

وسطية الإسلام

أين هذا من وسطية الإسلام ؟ انه حين يحارب الربا والاحتكار والاستغلال لا يمنع نوازع الفطرة فى التملك والتميز لأن الاختلاف فى الأشياء هو سنة الكون .

ولقد جعل الإسلام فى نظامه حدوداً لكل شىء ، حداً أعلى مبنياً على العدل وحداً أدنى مبنياً على الحق تكفله الزكاة .

● **تعقيب :**

وبعد هذه الرحلة بين صفحات الكتاب لا نستطيع إلا أن نشيد بالمؤلف وكتابه حيث نجح وإلى حد بعيد فى تتبع جذور الفكر العلمانى ونشأته بداية من مرحلة العصور الوسطى فى أوروبا وحتى اليوم إلا انه كان ينبغى على الباحث أن يدعم بحثه ببيانات وأرقام إحصائية توضح بالشكل العملى عجز النظم العلمانية عن مجرد تحقيق أهدافها التى قامت عليها .

إعداد : مصطفى عبدالمجيد

الإمام الأكبر يشارك في عدة مؤتمرات بالمملكة العربية السعودية

شارك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى اجتماعات الدورة الخامسة عشر للمجلس الأعلى العالمى للمساجد التى عقدت بمكة المكرمة فى الفترة من ٢٧ من رجب ١٤١٢ هـ الموافق أول فبراير الماضى ولمدة خمسة أيام .

وقد طالبت الدورة فى ختام اجتماعاتها بتوعية المسلمين بواجبهم نحو تحرير فلسطين ، والحفاظ على المسجد الأقصى ، واستمرار الجهاد لتحقيق هذا الهدف .

كما ترأس فضيلته اجتماعات هيئة رياسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بمقر رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

كما ترأس فضيلته وشارك فى أعمال مؤتمر تنسيق العمل الإسلامى ووضع استراتيجية له فى مجال الدعوة الإسلامية .

عقد المؤتمر بمقر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى بجدة فى الفترة من الرابع حتى السابع من شعبان ١٤١٢ هـ الموافق الثامن حتى الحادى عشر من فبراير ١٩٩٢م .

الإمام يجتمع بقيادات الدعوة الإسلامية

عقد اجتماع كبير فى قاعة الإمام محمد عبده يوم الاثنين ٢٠ من شعبان ١٤١٢ هـ ـ الموافق ٢٤ من فبراير ١٩٩٢م ، برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حضر الاجتماع الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف .

وشارك فى هذا المؤتمر قادة رجال الدعوة من الأزهر والأوقاف بمناسبة تنفيذ أكبر خطة للتوعية الدينية فى جميع مدن وقرى مصر خلال شهر رمضان المعظم وتنظيم ندوات واحتفالات قرآنية فى كافة أنحاء جمهورية مصر العربية .

وفد من الأزهر يزور الجمهوريات الإسلامية فى الكومنولث الجديد

يقوم وفد من الأزهر بزيارة الجمهوريات الإسلامية فى الكومنولث الجديد لدراسة أحوال المسلمين هناك وللعلم بمدى حاجتهم إلى العلماء وإمكانية مساهمة الأزهر فى إحياء الروح الإسلامية والثقافة الدينية الأصيلة عند هذه الشعوب المسلمة .

يضم الوفد الذى يرأسه فضيلة الشيخ أحمد السيد أحمد عطا سعود رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية والقائم بأعمال أمين عام مجمع البحوث الإسلامية وتسعة أعضاء من بينهم د/ محمد على ناصر عميد أصول الدين بأسيوط ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام المساعد بمجمع البحوث الإسلامية ، والدكتور على أحمد الخطيب رئيس تحرير

مجلة الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد حفنى أبو الفتوح مدير عام منطقة القاهرة الأزهرية ، والدكتور جعفر عبد السلام الأستاذ بكلية الشريعة بالقاهرة وفضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى وكيل الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية .

رحب فضيلة الشيخ محمد صادق مفتى آسيا الوسطى بوفادة الأزهر مؤكدا اهتمام المسلمين باستقبال هذه البعثة .

الإمام الأكبر يزور الجامعة الإسلامية بالرياض

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خلال زيارة فضيلته للسعودية فى الشهر الماضى .

كان فى استقبال فضيلته الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى رئيس الجامعة وقد تفقد الإمام الأكبر خلال الزيارة مبنى كلية الشريعة وقاعة المؤتمرات الكبرى بالجامعة المجهزة بأحدث الأجهزة (التكنولوجية) التى زودت بها المنشآت العلمية بالسعودية .

الإمام الأكبر يشهد حفل تخريج الدعاه الوافدين

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حفل ختام الدورة السادسة عشرة للأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى التى حضرها علماء ثلاثة دول افريقية بالإضافة إلى علماء من الصين وروسيا الاتحادية ، وألبانيا .

استمرت الدورة ثلاثة أشهر .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على واجب العلماء والدعاة فى العالم الإسلامى للتثقيف والتأكد مما يقولون وألا يدلوا برأى فى أى أمر بغير علم واضعين نُصب أعينهم قول الحق تبارك وتعالى « وفوق كل ذى علم عليم » .

كما أشار فضيلته إلى ضرورة التعامل مع المواطنين بالحسنى والابتعاد عن الغلظة أو التكبر .

حضر الحفل فضيلة الشيخ عبد المنعم أبو العطا عطية أمين عام اللجنة العليا للدعوة بالأزهر المنظمة للدورة وفضيلة الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن المشرف العام على الدورة ومدينة البعوث الإسلامية ، كما حضره سفراء الصين وروسيا الاتحادية وألمانيا وغينيا كوناكرى ولفيف من علماء الأزهر الشريف .

ايفاد ٢٣ عالما إلى مختلف دول العالم لنشر الثقافة الإسلامية طوال شهر رمضان المعظم

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قرارا بإيفاد (٢٣) ثلاثة وعشرين عالما من علماء الأزهر الشريف إلى مختلف دول العالم للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية طوال شهر رمضان المعظم تشمل الدول : الولايات المتحدة الأمريكية ـ ألمانيا ـ هولندا ـ السويد ـ البرازيل ـ استراليا ـ المالاديف ـ مالى ـ مدغشقر ـ فنزويلا ـ اثيوبيا .

الإمام الأكبر يواصل سلسلة احاديثه خلال شهر رمضان المعظم

يواصل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ على إمتداد ثلاثين حلقة على شاشة التليفزيون عقب صلاة التراويح فى ليالى شهر رمضان المعظم ـ سلسلة أحاديثه « مع القرآن الكريم فى رمضان » .

● إعداد : قسم التحرير

المطالبة بالتزام الفصحى

طالب مجمع اللغة العربية فى ختام دورته الثامنة والخمسين بإنشاء مؤسسة عربية تتخصص فى نقل العلوم والمعجمات المتخصصة ، وبالتزام وسائل الإعلام بالعربية الفصحى ، وتوحيد المصطلحات فى جميع العلوم فى الوطن العربى وتتضمن التوصيات :

● الاهتمام بتعليم الناشئة الأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن الكريم على الأقل وذلك فى مرحلة التعليم الأساسى لتستقيم الملكة اللغوية لهم ويتمثلوا قيمه الجمالية والسلوكية والاجتماعية .

● ضرورة تعريب التعليم الجامعى فى جميع مراحله والاستناد فى ذلك إلى المعجمات العلمية المتخصصة التى أصدرتها مجامع اللغة العربية .

● وأوصى مؤتمر المجمع حكومات الدول العربية بإنشاء مؤسسة على مستوى الوطن العربى تكون مستقلة ومهمتها العمل على :

● نقل العلوم و(التقنيات) الحديثة والمعجمات المتخصصة والموسوعات والدوريات وما أشبه ذلك إلى اللغة العربية .

● نقل تراث الفكر والأدب العالميين إلى اللغة العربية .

● كذلك أوصى المؤتمر الدول والحكومات العربية بالحرص على أن تكون اللغة العربية هى اللغة التى تلتزم بها جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

● وطالب المؤتمر جميع الدول العربية المنتمية إلى جامعة الدول العربية بضرورة الالتزام بالحرف العربى فى الكتابة باللغة الفصحى . وأكد دعوته السابقة إلى حكومة الصومال بالعودة إلى الأبجدية العربية .

● كذلك أوصى جميع الدول الإسلامية ان تلتزم بما كانت ملتزمة به من استعمال الحرف العربى فى كتابة لغاتها القومية .

● وأكد المؤتمر توصيته السابقة ببذل الجهود لوضع معجم كبير للعامى الذى له أصل فى الفصحى المشترك فى البلدان العربية حتى تتقارب وتتعارف بلغة مشتركة .

● كما أكد المؤتمر توصيته السابقة بدعوة اتحاد المجامع اللغوية (العلمية والجامعات) والهيئات العلمية إلى توحيد المصطلحات فى جميع العلوم بالوطن العربى حتى تنتهى البلبلة فيها ويتعاون علماؤنا فى نهضة العلوم لبلادنا نهضة جماعية عربية .

● وأكد المؤتمر كذلك على توصيته السابقة بزيادة عدد الساعات فى تدريس اللغة العربية ، مع العناية فى النصوص بالضبط والشكل الكامل ومع تيسير القواعد للناشئة والاستعانة فى ذلك بما أقره المجمع من تيسير لهذه القواعد .

● وأوصى المؤتمر بالعناية فى التدريس للناشئة وفى جميع وسائل الإعلام وفى الإذاعتين المسموعة والمرئية باستخدام الفصحى ، ولتحقيق ذلك يوصى المجمع بإعداد المذيعين والمذيعات إعدادا لغويا سليما نطقا وكتابة .

● وأكد المؤتمر توصيته السابقة بضرورة إصدار تشريعات بكتابة (اللافتات) على المحال التجارية والشركات والفنادق بالعربية كما تحظر كتابة الأسماء الأجنبية عليها بحروف عربية .

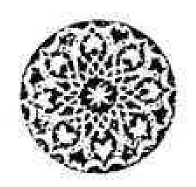

ودعا المؤتمر رجال الدولة وجميع المسئولين فى الوطن العربى أن يلتزموا فى خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير اللغة العربية السليمة لما لذلك من تأثير عميق فى نفوس الجماهير وتمثيلها القويم للبيان العربى .

الفاتيكان يطالب البرازيل بزيادة النسل

قام القس الأكبر بالفاتيكان بزيارة إلى البرازيل استغرقت عشرة أيام زار خلالها مختلف المدن البرازيلية ، وحرص على إلقاء الخطب فى الكنائس والكاتدرائيات والساحات العامة باللغة البرتغالية حيث أبدى قلقه من جراء تناقص عدد الكاثوليكيين فى البرازيل وحث البرازيليين على زيادة النسل ، وطالب المرأة البرازيلية بعدم الاجهاض .

وقد حرصت جميع وسائل الإعلام البرازيلية على متابعة وتغطية زيارة الأسقف للبرازيل ، وقامت محطات التليفزيون فى البرازيل وأمريكا اللاتينية بنقل خطبه على الهواء مباشرة .

مذابح جماعية لمسلمى بورما

وسط أنباء عن مذابح جماعية تمكن سبعون ألفا من مسلمى بورما من الفرار مؤخرا إلى (بنجلاديش) هربا من اضطهاد السلطات العسكرية لهم هناك وأكدت أنباء صحفية أن مسلمى بورما أرغموا على الفرار بعد قيام وحدات المدفعية والطيران بدك القرى الإسلامية مستخدمة قذائف كيميائية وبكتريولوجية .

كذلك أكدت مصادر مطلعة قيام سلطات بورما بإرغام شباب ونساء وأطفال مسلمين فى العمل سخرة فى نقل الذخيرة والإمدادات بين معسكرات الجيش .

تأتى هذه الأحداث فى الوقت الذى ما زالت تحجم فيه غالبية منظمات الإغاثة الدولية عن تقديم المساعدات للاجئى بورما المسلمين .

المسلمون فى النرويج

تشهد العاصمة النرويجية أوسلو قريبا بدء أعمال إنشاء المركز الإسلامى العام ، وقد تم وضع مخطط كامل لإنشاء هذا المركز ، ستكون مساحة البناء ثلثمائة متر مربع على قطعة أرض مساحتها (١٢ ألف متر مربع) ، ويتكون هذا المركز من مسجد ومكتبة ومدرسة وأماكن خاصة للأطفال والشباب .

يأتى إنشاء هذا المركز وسط اعتراضات حادة من مجلس الكنائس العالمى الذى حذر فى أكثر من مناسبة من خطورة السماح لمسلمى أوربا بإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية .

مما يذكر أن النرويج هى إحدى الدول التى تعرف بالإسكندنافية ويبلغ عدد المسلمين بها ما يقرب من (١٥ ألف نسمة) أغلبهم ينتمى إلى المهاجرين الذين قدموا إلى هذه البلاد من مختلف البلاد الإسلامية مع نهاية الستينات .. وهناك عدد من الجمعيات الإسلامية فى النرويج منها المركز الثقافى التركى ، والجمعية الإسلامية ، والأكاديمية الإسلامية ، وجمعية الشباب المسلم ، وجمعية العمال الأتراك .

ومن المقرر أن يتولى المركز الإسلامى النرويجى العام الإشراف على أنشطة جميع الجمعيات الإسلامية ووضع خطة عمل لها لتوسيع نطاق الاستفادة من هذه الجمعيات بما يخدم المسلمين وحركة الدعوة الإسلامية فى النرويج .

الفهـــــــرس

الموضـوع	الصفحة
• الإفتتاحية : الصائمون والاعلام	
للدكتور على أحمد الخطيب	٩٩٣
• فى استقبال رمضان	
لفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر	٩٩٦
• مع سورة الأنفال	
لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى	١٠٠٠
• التنافس فى الخير	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٠٠٤
• من فقه الأئمة	
للشيخ محمد حسام الدين	١٠٠٦
• احكام نية الصوم فى الفقه الاسلامى	
للدكتور محمد حسين قنديل	١٠١٠
• رمضان ... والصلاة الخاصة	
لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم ...	١٠١٨
• خواطر رمضانية بين يدى شهر رمضان	
للدكتور مبروك عطية أحمد أبو زيد	١٠٢١
• مبحث الصيام	
لفضيلة الشيخ محمد مرسى عامر	١٠٢٥
• كيف عالج الاسلام الفقر ؟	
للأستاذ الدكتور عبدالمقصود محمد نصار	١٠٣٢
• الزبير بن العوام	
للدكتور عبد العزيز غنيم	١٠٣٨
• ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية	
بقلم لواء أ.ح دكتور فوزى محمد طايل ...	١٠٤٢
• لحظات طيبات مع الامام سعيد بن المسيب	
إعداد : عادل خفاجة	١٠٤٨
• حول شهادات الاستثمار	
بقلم : المستشار أحمد محمد إبراهيم	١٠٥٣
• من اعلام الأزهر	
للأستاذ طه جابر العلوانى	١٠٥٧
• جمهورية قازاكستان	
للأستاذ الدكتور محمد عبدالعليم العدوى .	١٠٦٣
• الفتاوى ...	
إعداد : عبد المنعم فودة	١٠٧٦

الشعر والشعراء

الموضـوع	الصفحة
• إلى العابثين بالدين والفن	
للشاعر رشاد محمد يوسف	١٠٧٢
• كنا .. ولكن !!	
للشاعر محمود محمد بكر هلال	١٠٧٤
• القراءة ... وطن !	
للشاعر السيد الصديق حافظ	١٠٧٥
• ٢ ـ المستدرك على ديوان عمرو بن كلثوم التغلبى	
للاستاذ أيمن ميدان	١٠٧٦
• طرائف ... ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبدالحليم	١٠٨٠
• من روائع الماضى بمجلة الأزهر	
إعداد وتقديم : عبدالفتاح حسين الزيات .	١٠٨٢

العلوم الكونية

الموضـوع	الصفحة
• قراءة إسلامية فى كتاب الكون	
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	١٠٨٩
• التقويم القمرى وتحديد أوائل الشهور الهجرية	
للدكتور زين العابدين متولى	١٠٩٤
• اللغز العجيب	
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	١٠٩٩
• الجديد فى .. العلم والتقنية	
إعداد : د. نجوى السيد أحمد	١١٠٥

اللغة والنقد والأدب

الموضـوع	الصفحة
• لغة الإسبرانتو بين المد والجزر	
بقلم : د. توفيق محمد شاهين	
•• جليلة رضا رائدة الشعر النسائى المعاصر	
بقلم : أحمد مصطفى حافظ	١١١٤
• قراءة فى كتاب	
عرض وتعليق : أحمد السيد تقى الدين ..	١١١٧
• أنباء وآراء ...	
إعداد : مصطفى عبد المجيد ـ وقسم التحرير	١١٢١

القسم الفرنسى

الموضـوع	الصفحة
• المقالة الأولى : للدكتورة رقية جبر	١١٤٠
• المقالة الثانية : لأنيس عبد الفتاح عامر .	١١٣٤

القسم الانجليزى

الموضـوع	الصفحة
• المقالة الأولى : للدكتور أنس مصطفى النجار	١١٥٠
• المقالة الثانية :	١١٤٦

"l'inimitabilité du Coran", Al Baqillanï (../403)[1], théologien as arite et juriste malekite, s'est attaché à démontrer que le Coran est un livre inimitable, d'origine divine, révélé à Mohammad paix soit sur lui pour prouver la véracité de sa mission prophétique.

Pour lui, le miracle du Coran se présente sous trois aspects : l'information sur ce qui est caché, l'ignorance de Mohammad paix soit sur lui en matière de lecture et d'écriture enfin la perfection du style. En fait ce dernier aspect revêt une grande importance chez Al Baqillanï, ce dernier a presque consacré son livre à démontrer qu'il s'agit d'un vrai miracle. En effet, c'est par ce style inimitable que le Coran se distingue des autres Livres révélés.

« إعجاز القرآن »

Selon Al Baquillanï, le style coranique n'appartient ni à la poésie, ni à la prose rythmée car le Coran, n'en renferme pas. Pour défendre son opinion, Al Baqillanï s'est fondé sur le verset suivant :

[Nous n'avons point enseigné à Mohammad la poésie, il ne faudrait qu'il en soit ainsi]
Sourate "Yâsîn", le sens du verset 69[2]

De même, l'argumentation d'Al Baqillani est fondée sur le défi qui n'a pas été relevé. En effet si les Arabes avaient considéré le Coran comme une poésie et une prose rythmée qui ne dépasse pas les modes d'expression de leur langue, ils auraient dû se précipiter pour contredire et relever le défi lancé par le Prophète paix soit sur lui car la poésie et la prose leur étaient accessibles.

A la différence d'Al Baqillanï, « دلائل الإعجاز » Al "Gurgani (....../471H), théologien saféite, tend à démontrer, dans son livre ou "Les preuves de l'inimitabilité", qe l'éloquence ne réside pas dans l'harmonie des mots mais dans la beauté du sens qui résulte de leur heureuse union. C'est pourquoi il serait absurde, selon Al Gurganï, de considérer le mot isolément ou de lui attribuer un rôle plus important que celui de l'idée. Car le mot qu'on peut juger beau et bien approprié dans un contexte déterminé peut, au contraire, paraître laid et inadéquat dans un autre.

Quatre siècle plus tard, As Suyutï a résumé les idées de ses prédécesseurs dans un ouvrage intitulé « الاتقان في علوم القرآن »
"La perfection dans les sciences du Coran".

On pourrait déduire de cela que l'éloquence du style coranique a occupé une place privilégiée dans les recherches de Ulémas. Ils étaient quasi unanimes à affirmer que la suprême beauté du style coranique constitue le miracle le plus important de l'Islam.

---

1. Sa date de naissance est inconnue.
2. Interprétation personnelle. (٢) قال تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ سورة يس ـ آية : ٦٩ .

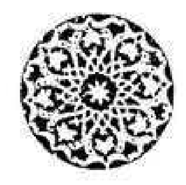

"Si les êtres humains sont dans l'impossibilité de produire quelque chose de semblable au Coran, c'est pour plusieurs raisons :

Leur savoir ne peut embrasser tous les noms de la langue arabe ni tous ses vocables (alfaz) qui sont les contenants du sens (ma'ani) et son support.

Leur intelligence ne peut saisir toutes les notions des choses (ma'ani-asya) auxquelles se réfèrent ces vocables.

Leur connaîssance ne peut être assez parfaite pour s'étendre intégralement à tous les modes que prennent les rapports (wuguh al-nuzum) qui les organisent et les lient les uns aux autres".[1]

Selon Al Hattabi tout discours est composé de trois éléments constitutifs : lafz (vocables) ma'ana (sens) et nuzum (rapports). L''inimitabilité du discours coranique provient des rapports établis entre chacun de ces trois éléments :

"Sache qui si le Coran est inimitable c'est parce qu'il apporte les vocables les plus purs, agencés selon les rapports organisateurs les plus parfaits (nuzum al ta'lif) et qu'il contient les idées (ma'ani) les plus justes sur l'unicité d'Allah (tawhid)''[2]

Enfin Al Hattabi aborde un autre aspect de l'i'gaz. Il s'agit de l'effet que produit le Coran sur le coeur et de son influence sur les âmes. Il prend en exemple le cas de 'Omar Ibn Al Hattab qui s'est converti à l'Islam après avoir entendu sa soeur réciter la Sourate "TAHA".

Dans son ouvra ge « إعجاز القرآن »

---

(١) « وإنما تعذر على البشر الاتيان بمثله لأمور منها ان علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها ولاتدرك افهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ولاتكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي يكون ائتلافها وارتباطها بعضها ببعض ».

(٢) .. وأعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بافصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني من توحيد له عن قدرته ..

C.F. Audebert, Al-Hattabi et l'immitabilité du Coran, traduit par Audebert, op. cit, p.87

Ibid, p.88

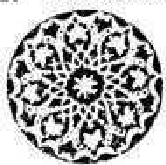

[Dis :
Si les hommes et les Djinns s'unissaient pour produire quelque chose de semblable à ce Coran, ils ne produiraient rien qui lui ressemble, même s'ils s'aidaient mutuellement]

Sourate "Le Voyage nocturne", le sens du verset 88[1]

Selon Al Hattabi, ce verset fait allusion à quelque chose d'inaccessible or ceci, ne s'accorde pas avec l'idée de dissuasion qui vise autre chose

Al Hattabi a refuté en outre l'opinion selon laquelle l'inimitabilité du Coran réside dans les prédications qu'il contient et qui se produiront dans l'avenir. Selon lui, les prédications constituent l'un type du caractère miraculeux du Coran; mais ce n'est pas un fait de caractère général puisque cela ne se rencontre pas dans toutes les sourates. Par contre, chaque sourate constitue en elle-même un miracle que personne ne peut imiter[2]**. Ainsi Allah a dit :**

[Si vous êtes dans le doute au sujet de ce que nous avons révélé à notre serviteur, apportez-nous une sourate semblable à ceci]
Sourate "La Vache", le sens du verset 23[3]

Al Hattabi aborde ensuite le sujet de l'éloquence dans le discours coranique. Pour lui, il y a trois classes d'éloquence :

"discours éloquent, vigoureux, ample, discours correct, accessible et aisé, enfin le discours courant, coulant et plein d'abandon (al talq al rasil)[4]

Pour lui, l'éloquence du Coran participe à toutes ces classes; et c'est le mélange de ces derniers qui a créé-paradoxalement un discours harmonieux qui joint la douceur à la vigueur. Cependant l'harmonie de ces deux qualités opposées dans le style coranique est devenue possible grâce à la toute puissance divine et par cela même elle témoigne de la véracité du Message du Prophète paix soit sur lui

Al Hattabi explique en outre les raisons pour lesquelles les hommes sont incapables de produire quelque chose de semblable au style coranique :

---

(١) قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ سورة الإسراء ـ آية : ٨٨ .

2. Voir C.F. Audebert, Al Hattabi et l'inimitabilité du Coran, traduction et introduction au "Bayan igaz al Qur'an," Damas, 1982, p.12.

(٣) قال تعالى : ﴿ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ﴾ سورة البقرة ـ آية : ٢٣ .

4. C.F. Audebert, Al Hattabi et l'immitabilité du Coran, op. cit, p. 119.

4. L'inimitabilité du Coran réside dans les prédications véridiques des événements à venir.

Citons, à titre d'exemple, le verset suivant où Allah annonce la victoire des Romains qui devait avoir lieu quelques années après leur défaite :

[Les Romains ont été vaincus dans le pays voisin;
mais après leur défaite, ils seront vainqueurs
dans quelques années] Sourate "Les Romains" le sens du verset 24[1]

5. La rupture du cours habituel des choses

Selon Ar Rummani, cet aspect réside dans le fait que le Coran a apporté une nouvelle forme d'expression qui dépasse par sa beauté toutes les formes littéraires jusque-là connues, comme la poésie, la prose rythmée ou le discours.

6. L'analogie entre le Coran et les autres miracles

Comme tous les autres miracles, (la transformation du bâton de Moïse en serpent ou le chemin qui s'ouvrit dans la mer), le Coran s'écarte du cours habituel d'une manière si évidente que les hommes furent incapables de relever le défi et de composer un seul verset comparable à celui du Coran.

7. L'éloquence du Coran

En fait, Ar Rummani insiste surtout sur l'éloquence du discours coranique à laquelle il a consacré presque tout son ouvrage. Pour lui l'éloquence peut se diviser en trois catégories : une classe supérieure, une classe inférieure et une classe moyenne entre les deux. L'éloquence du Coran appartient uniquement à la classe supérieure qui ne peut relever que du miracle parce qu'elle dépasse les limites du pouvoir humain. L'éloquence chez Ar Rummani est le fait de rendre un sens qui touche le coeur sous une belle forme d'expression[1]. Ensuite Ar Rummani a dénombré dix aspects de l'éloquence parmi lesquels nous citons : la concision, la comparaison, la métaphore, l'harmonie, l'hyperbole, la beauté du style. Il applique ensuite chacune de ces aspects d'éloquence au discours coranique.

C'est presque dans le même sens qu'Al Hattabi (319 H — 388 H), traditionaliste et lexicographe, aborde ce sujet. Dans son ouvrage" « بيان إعجاز القرآن » ou "Mise en évidence de l'inimitabilité du Coran", il commence par critiquer l'idée de décourager toute intention de contredire le Coran malgré l'éloquence des Arabes. Car Allah dit dans la Sourate "Le voyage nocturne" :

---

(١) قال تعالى : ﴿ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾ سورة الروم ـ آيات : ٣ ـ ٤ .

Pour désigner les Byzantims, les Arabes utilisaient couramment le terme. "Rum". L'empire byzzantin s'est donné le nom d'Empire romain et ses sujets s'appelaient les Romains.

(١) « وإنما البلاغة في إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ » .
د. خلف الله د. سلام ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، دار المعارف بمصر بدون تاريخ ، ص ٦٩٠ .

En quoi consiste donc le caractère miraculeux du Coran ou "i'gaz al Qur'an"[1]

Plusieurs écrivains du IV ème et V ème siècle de l'Hégire se sont penchés sur l'étude de cette question en essayant de trouver une réponse adéquate.

Commençons d'abord par Ar Rummani (296 H — 386 H), théologien scolastique et grammairien, qui a consacré son livre," « النكت في إعجاز القرآن » ou "Les remarques explicatives sur la nature miraculeuse du Coran, à démontrer les aspects en vertu desquels le Coran est de caractère inimitable. Il en a relevé sept :

1. L'Abandon de l'opposition malgré les motifs nombreux de contredire Mohammad paix soit sur lui

Ar Rummani recourt à l'image de l'homme qui souffre d'une soif ardente alors que l'eau est à portée de sa main. Cependant il s'abstient d'en boire jusqu'à sa mort. Cet abandon témoigne de son incapacité à boire cette eau. Ainsi, similairement, l'hostilité et le persécution des Arabes sont la preuve que les motifs de contredire Mohammad paix soit sur lui et son Message divin furent nombreux. Mais personne n'a pu contredire le Coran. Ce qui prouve l'impuissance des hommes à le faire[2].

2. Le défi lancé à l'ensemble des humains de produire quelque chose de comparable au Coran

La nature miraculeuse du Coran a révélé aux hommes qu'ils sont incapables de produire quelque chose de semblable. Aussi ont-ils déclaré la guerre contre Mohammad paix soit sur lui et son Message au lieu de tenter de commposer un seul verset et cela bien qu'ils soient particulièrement qualifiés dans le domaine de l'éloquence.

3. La dissuasion

La dissuasion est le fait qu'Allah a détourné toute intention de contredire le Coran ou même de produire quelque chose de semblable bien que le fait d'essayer fût à leur portée.

Ar Rummani opte pour les partisans de cette opinion car il considère que la dissuasion dans ce cas, est en elle-même miracle car elle ne relève pas du cours habituel des choses.

---

1. L'usage du terme "i'gaz al Quran" pour désigner la nature miraculeuse du Coran remonte aux travaux des théologiens. Mais nous ne pouvons déterminer de façon précise quand ce terme fut créé ni quel en est l'auteur. Notons que ce terme ne figure ni dans le Coran, ni dans la tradition prophétique dans le Coran, un miracle s'appelle "aya ou" "signe", terme désignant également les versets qui composent les sourates.

2. Voir J. Bouman, le Conflit autour du Coran et la solution d'Al Baqillani, Durkkery en uitzgevery Jacob Van Campen, Amsterdam, 1959, pp 45-46.

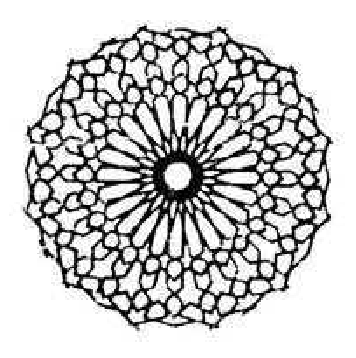

A l'époque où vécut Mohammad paix soit sur lui l'éloquence des Arabes était à son apogée. C'est pourquoi le défi lancé auc contemporains du Prophète fut de produire un texte ou même un verset qui soit comparable au style miraculeux du Coran, comme en témoignent ces versets :

[Si vous êtes dans le doute
au sujet de ce que nous avons révélé
à notre serviteur,
apportez-nous une Sourate semblable à ceci]

Sourate "La Vache", le sens du verset 23[1]

De même, on trouve dans le Coran :

[Diront-ils : « Il a forgé cela »?
Dis :
Apportez donc dix Sourates forgées par vous et semblables à ceci !]

Sourate. "Houd", le sens du versest 13[2]

Mais personne n'a relevé le défi, bien qu'il y eût parmi les Arabes de la "Gahilíya" des orateurs éloquents et des poètes éminents. Incapables de composer un seul verset qui soit comparable à ceux du Coran, les contemporains de Mohammad paix soit sur lui se mirent à combattre le Prophète et son Message. Par leur réaction même, les Arabes ont prouvé leur impuissance à atteindre le degré de perfection du Coran. En effet, ce Livre, qui relève effectivement du miracle, surpasse par un mode d'expression unique toutes les formes jusque-là connues de l'éloquence.

---

(١) قال تعالى : ﴿ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ﴾ سورة البقرة ـ آية : ٢٣ .
(٢) قال تعالى : ﴿ ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله ﴾ سورة هود ـ آية : ١٣ .

Les deux versets suivants prouvent en outre que le Coran n'est point exclusivement adressé aux Arabes mais à l'humanité tout entière :

[Nous t'avons envoyé à la totalité hommes uniquement comme annonciateur de la bonne nouvelle et comme avertisseur, mais la plupart des hommes ne savent pas]

Sourate Les Saba, le sens du verset 28[1]

De même, on trouve dans le Coran :

[Dis :
O vous, les hommes !
je suis, en vérité, envoyé vers vous tous]
Sourate "Al Araf" le sens du verset 158[2]

En règle générale, le miracle accompli par chacun des prophètes appartient toujours au domaine où ses contemporains ont atteint le plus haut degré de perfection. En surpassant toutes les normes jusque-là connues, le miracle témoigne de la véracité de la mission du prophète[3].

Ainsi le message de Moïse eut lieu à une époque où le pouvoir des sorciers était à son apogée. Or, ce prophète les a défiés par la transformation de son bâton en serpent. Les sorciers ont alors constaté que l'oeuvre de Moïse dépasse le domaine de la sorcellerie et ont reconnu leur impuissance devant ce miracle. Autrement dit, les sorciers ont reconnu qu'il ne s'agit point de sorcellerie, mais du pouvoir d'un Etre Supérieur. C'est pourquoi ils crurent au Message de Moïse.

De même Jésus vivait à une époque où les médecins et la médecine avaient fait de grands progrès. En ressuscitant les morts, ce prophète a dépassé tout ce que la médecine pouvait réaliser. Ce fut là un miracle dont aucun être humain n'a jamais été capable.

---

(١) قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونزيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ سورة سبأ ـ آية : ٢٨ .
(٢) قال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ سورة الأعراف ـ آية ٧٨ .

Il est regrettable que l'opinion de la nouvelle Encyclopédie de L'Islam soi en contradiction avec les versets coraniques que nous venons de citer. Dans l'article "al Kurân" nous lisons le commentaire suivant :

"Il (le Coran) n'était pas, à l'origine destiné à des non-Arabes, et c'est seulement parsuite de l'extension des conquêtes arabo-islamiques que la sphère d'influence du Kur'an couvrit les territoires étrangers au monde arabophone"

Or, Rien n'est plus faux : il n'existe aucun rapport entre l'expansion de l'Islam et les conquêtes arabo-islamiques. Car les versets qui affirment que Mohammad (B 8 S) est envoyé à l'humanité toute entière, ont été révélés à l'époque mecquoise c'est-à-dire avant que l'Islam ne se soit répandu à travers le monde par les conquêtes.

(٣) انظر د. بركة ، الاعجاز القرآنى وجوهره .. وأسراره ، ومكتبة وهبة ، ١٩٨٩ ، ص ٥ ـ ٦ .

Jésus fut également doué de pouvoirs miraculeux. Le premier est celui de sa naissance même, lorsqu'il parla au berceau, mais aussi le pouvoir de guérir l'aveugle et le lépreux, la résurrection des morts, le pouvoir de donner la vie à un oiseau créé d'argile *(Sourate "La Famille de 'Imran", le sens du verset 49)*(1).

L'authenticité de la mission de Mohammad paix soit surlui est également prouvée par un miracle. Mais ce miracle est d'une nature différente. Ce n'est plus un bâton qui se transforme en serpent ni un lépreux qui guérit sans remède. Le miracle de Mohammad réside dans la doctrine qu'il apporte, à savoir le Coran qui est un dogme et un mode de vie.

As Suyuti dit à propos des miracles des Prophètes :

"Sache que le miracle est un fait extraordinaire qui est en même temps un défi qu'on ne peut pas relever. Le miracle peut être soit concret, soit abstrait. La majorité des miracles adressés au peuple d'Israël étaient concrets à cause de l'insouciance et de l'aveuglement de ce peuple. Par contre la majorité des miracles adressés à cette communauté (c'est-à-dire les Arabes) étaient abstraits car il s'agissait d'un peuple particulièrement intelligent et perspicace. Or, comme cette législation (le Coran) est immuable jusqu'au jour de la Résurrection, elle a le caractère d'un miracle rationnel et éternel afin de rester comme un témoignage durable pour les hommes clairvoyants."(2)

Le Coran est considéré comme l'ultime miracle. Il n'a pas disparu, comme les autres miracles, avec la mort du prophète dont il a appuyé le Message. Mais il a été transmis de génération en génération et il demeurera inchangé jusqu'au jour du Jugement Dernier comme en témoigne ce verset :

[Nous avons fait descendre le Rappel, nous en sommes les gardiens]
(Sourate Al Hijr, le sens du verset) 9(3)

---

(١) قال تعالى : ﴿ ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الاكمه والابرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ سورة آل عمران ـ آية : ٤٩ .

(٢) « اعلم ان المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهى اما حسية واما عقلية وأكثر معجزات بنى إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال إفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذو البصائر » .

السيوطى ، الاتقان فى علوم القرآن ، مطبعة المعاهدة ، ١٩٣٥ الطبعة الثانية ، ص ١١٦ **Traducion personnele** .

(٣) قال تعالى : ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ سورة الحجر ـ آية : ٩ .

Chapitre 1
Traductibilité du Coran

par

Inès Abdel Fattah Amer

Les miracles des Envoyés d'Allah

Le miracle est un fait extraordinaire que les hommes sont incapables de produire. Les Envoyés d'Allah ont accompli des miracles grâce à la toute-puissance divine. En fait, le Coran rapporte les miracles par lesquels Allah a appuyé chacun de Ses Messagers dans le but de faire triompher sa cause : Noé sauvé du déluge *(Sourate. "Houd", les sens du verset 48)*[1]**, Abraham sorti indemne du feu où ses adversaires l'ont jeté** *(Sourate. "Les Prophètes", les sens du verset 69)*[2]**, Loth sauvé par Allah qui le fit sortir de sa ville avant qu'elle ne soit détruite** *(Sourate. "Les Fourmis", les sens du verset 57)*[3]**, les djinns mis au service de Salomon** *(Sourate. "Les Saba", le sens du verset 12)*[4]**.**

On peut citer entre autres, Moïse et Jésus qui ont accompli des miracles particulièrement extraordinaires.

L'histoire de Moïse, telle qu'elle nous est rapportée dans le Coran, mentionne une multitude de miracles : la transformation du bâton en serpent *(Sourate) "TAHA" le sens du verset 20)*[5]**, le chemin qui s'ouvrit dans les eaux pour permettre le passage de Moïse et de son peuple** *(Sourate "TAHA", le sens du verset 77)*[6]**, la manne et les cailles qu'Allah a fait descendre du ciel pour le peuple d'Israël** *(Sourate TAHA", le sens du verset 80)*[7]**.**

---

(١) قال تعالى : ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ﴾ سورة هود ـ آية : ٤٨ .
(٢) قال تعالى : ﴿ قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ سورة الأنبياء ـ آية : ٦٩ .
(٣) قال تعالى : ﴿ فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين ﴾ سورة النمل ـ آية : ٨٧ .
(٤) قال تعالى : ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ﴾ سورة سبأ ـ آية : ١٢ .
(٥) قال تعالى : ﴿ فالقاها فإذا هى حية تسعى ﴾ سورة طه ـ آية : ٢٠ .
(٦) قال تعالى : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن اسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبسا ﴾ سورة طه ـ آية : ٧٧ .
(٧) قال تعالى : ﴿ ... ونزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ سورة طه ـ آية : ٨٠ .

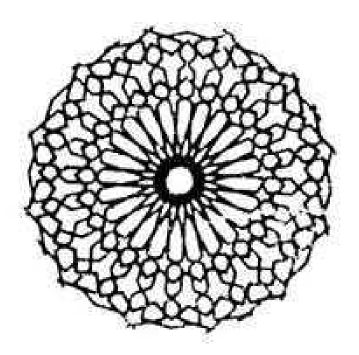

"Je l'ai trouvée d'une chaleur intense et elle avait une odeur de rance."[1]

Dans le Hadith d'Al Tabarani, le Prophète a vu différents châtiments et diverses rétributions expliqués par Gibril :

Par exemple les hommes et les femmes adultères laissant la viande cuite pour manger la viande avariée; ou encore les médisants dont la langue et les lèvres sont pincées par des tenailles en fer. Il a également décrit le Paradis où souffle une brise légère dans un air embaumé.

Par ailleurs, Abou Sa'id Al Khodary ajoute dans le Hadith qu'il rapporte la description des usuriers dont les ventres sont aussi gros que des maisons.

Une autre allusion à l'Enfer dans le récit du Mi'rag se rencontre dans un autre Hadith de Abou Horaïra qui rapporte, selon Ibn Abou Hatem, que "le Prophète (paix soit sur lui) arrivé au 7e ciel régarda au-dessus de lui et vit des orages, des éclairs et du tonnerre. Il fut alors conduit auprès de gens dont les ventres étaient aussi gros que des maisons; des vipères en sortaient et Gibril lui expliqua que c'était là le supplice réservé aux usuriers. Lorsqu'il fut redescendu au premier ciel le Prophète vit au-dessous de lui comme un nuage de poussière et de fumée qui lui cachait la terre et il entendit des bruits; Gibril lui expliqua alors que ce sont les démons qui tournent autour des humains pour les distraire et les empêcher de réfléchir sur les merveilles de la terre et des cieux."

Un Hadith semblable est également rapporté par deux Faqihs éminents : Ahmed Ibn Hanbal et Ibn Magueh.

En effet tous ces récits étaient fort connus dans le monde musulman au IXè siècle à suivre.

Dr. Rokeya Gabr.

---

1. Ibid. .. وجدتها مثل لحمة السخنة ....

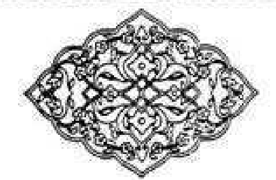

D'un autre côté, le Hadith rapporté par Ibn Abbas est considéré comme étant la version la plus riche, mais aussi celle dont la chaîne de témoiganages est la moins digne de confiance.[1]

Tout en gardant l'esprit de la version originale, le narrateur ajoute plusieurs détails comme la description détaillée de Gibril, de la monture Al Borâk, le symbolisme des trois religions, la vie terrestre personifiée par une femme essayant de séduire le Prophète, les trois fleuves qui coulent au premier ciel, l'armée d'anges portant des lances de lumière, l'Ange polycéphale gardien des cieux, la rencontre de l'Ange de la mort ('Azraïl), les hiérachies d'anges au septième ciel, le Coq divin au Paradis céleste et surtout une description très détaillée de l'Enfer et des châtiments infligés aux réprouvés.

On peut rappeler également le récit de Zeid Ibn 'Ali, "Faqih" de confiance qui a donné une version assez détaillée, mais considérée comme sérieuse et digne de foi et dont voici le résumé :

"Selon Ali Ibn Abou Taleb, un jour après la prière de l'aube, le Prophète a raconté que deux anges sont venus l'emporter dans le cieux et que là il vit toutes sortes de châtiments, infligés à ceux qui sont aux Enfers pour avoir commis des péchés. Ensuite le Prophète se vit dans un jardin qu'il sut être le Paradis terrestre dans lequel il a vu le Prophète Ibrahim. Il escalada ensuite un arbre où se trouvaient les demeures des Prophètes, des Messagers, des martyrs et de tous les hommes de bien. Les anges lui montrèrent alors le fleuve dont Allah lui a fait don (Al Kawsar) et où les hommes boivent pour se purifier de leurs péchés.

Le Prophète entendit alors une voix qui le fit frémir et qui l'interpelait en ces termes : "Demande et tu auras satisfaction (Fais un voeu et tu seras exaucé). les anges le réconfortèrent d'un geste et il répondit à la voix divine en cestermes : "Je t'implore, ô Allah, de m'assurer le droit d'intercession[1], de faire que les membres de ma famille me rejoignent et que je sois sans péché le jour où je comparaîtrai devant toi."[2]

En fait une des rares description de la Géhenne (L'Enfer) données par la Prophète (paix soit sur lui) est la suivante :

---

(١) هذه بعض المشاهد من عالم الغيب كما رواها حديث المعراج ، وكان من المنتظر أن ننقل حديث ابن عباس بدل حديث زيد بن علي – رضى الله عنهم – حيث يتضمن كثيراً من مشاهدة ، ولكن المحدثين قد ردوده مع ما ردوا من روايات ضعيفة ذكرها الدكتور علي حسن عبد القادر ص ١٢٨ من « كتاب المعراج » كما ذكر الدكتور بعض مصادر الروايات الصحيحة ص ١٣٧ ،
د. محمد رجب بيومي : أثر حديث المعراج في الأدب العالمي ٢٤٧ .

1. Autre version : "de maccorder la faveur d'intercéder."

2. د. رجب البيومي ، أثر حديث المعراج النبوي في الأدب العالمي ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

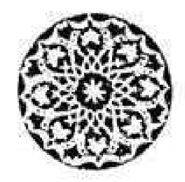

Un flot de lumière aveuglante couvrit l'Arbre d'or et de multiples couleurs. C'est là que Allah imposa à la communauté musulmane cinquante prières canoniques qui, à la requête de Mohammad paix soit sur lui et sur le conseil de Moîse, furent réduites à cinq par la miséricorde divine.

Lorsqu'il fut redescendu au Temple de Jérusalem, Mohammad paix soit sur lui présida à la prière[1] à laquelle prirent part tous les Messagers d'Allah; ce quie est une preuve de la supériorité du Prophète de l'Islam.

Telle est la version où sont fondus les récits d'Al Isrâ et d'Al Mi'rag, reconnue par tous les Faqihs comme étant la plus digne de confiance[2].

Dans ce Hadith, Anas Ibn Malek rapporte d'une manière très succinte les étapes de l'ascension du Prophète Mohammad paix soit sur lui, la rencontre des différents prophètes dans les sept ceiux, la description de l'Arbre Lotus de L'Aboutissement et enfin comment les cinq prières canoriques furent imposées à la communauté musulmane par l'intermédiaire du Prophète Mohammad. (paix soit sur lui)

---

1. C'est la première prière accomplie selon le culte de l'Islam et dans la-quelle le Musulman prononce la profession de foi islamique et le rappel de l'entretien d'Allah avec Mohammad (paix soit sur lui) lorsqu'il imposa les priéres canoniques à la communanté musulmane.

2. Voir le commentaire de ce Hadith dans Les Perles et le Corail, p. 363.

« وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة إلى بيت المقدس ، وانه مرة واحدة ، قال الزهرى : كان الإسراء قبل الهجرة والحق أنه عليه السلام اسرى به (يقظة) لا (مناماً) من مكة إلى بيت المقدس ، راكباً على البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السماوات السبع . فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الأنبياء الذين فى السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتى مر بموسى الكليم فى السادسة ، وإبراهيم الخليل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فى السابعة ، ثم جاوز منزلتيهما ـ ﷺ ـ وعلى سائر الأنبياء .. حتى إنتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، أى أقلام القدر ، بما هو كائن ، ورأى (سدرة المنتهى) وغشيتها من إمر الله ـ تعالى ـ عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة ، وغشيتها الملائكة ، ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ، ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق . ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل بانى الكعبة الأرضية مسنداً ظهره إليه ، لأنه الكعبة السماوية ، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه يوم القيامة . ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ، ثم خففها إلى خمس ـ رحمه منه ـ ولطفاً بعباده ، وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ، ثم هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم فى السماء ، والذى تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ، ولكن فى بعضها أنه كان أول دخوله إليه ، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ، لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوى ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله ـ تعالى ـ ثم لما فرغ من الذى أريد به اجتمع به هو واخوته من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه فى الإمامة ، وذلك عن إشارة جبريل ـ عليه السلام ـ له فى ذلك . ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم .

اللؤلؤ والمرجان ص ٣٦٣ .

Or, parmi une multitude de Hadiths, les Faqihs ont relevé ceux qui, par la chaîne de témoignages, ont été jugés dignes de confiance, pour les distinguer de ceux que les auteurs ont enrichis de détails inexistant dans la version originale.

Nous allons donc présenter un de ces Hadiths dont le témoignage d'authenticité ne fait point de doute : celui de Anas Ibn Malek, rapporté par deux Imams de confiance : Al Bokhari et Moslem.[1]

En voici le résumé :

Alors que le Prophète était étendu, trois anges sont venus et l'ont porté jusqu'au puits de Zam-zam (au Sanctuaire de la Mecque). Là, ils l'ont couché sur le dos et Gibril lui fendit l'abdomen de la gorge jusqu'au bas ventre et lui a lavé le coeur à trois reprises avec l'eau de Zam-zam afin, de le purifier — Ensuite on apporta un récipient en or rempli de sagesse et de piété et on le versa dans son coeur. Lorsqu'on l'eut rempli de patience de savoir, d'infaillibilité et de foi, on le referma après l'avoir marqué du sceau de la prophétie entre les épaules.

On amena alors Al Borâk[2] (une monture blanche entre le mulet et l'âne) et on lui demanda de l'enfourcher. Le Prophète s'élança alors entouré de Gibril et de Mikhaïl et se retrouva à Jérusalem. Là, il attacha sa monture et pénétra dans le temple où il fit la prière.

Là se termine le récit initulé "al Isrâ" ou voyage nocturne.

Gibril lui proposa alors deux coupes dont l'une contenait du lait et l'autre du vin. Il choisit le lait, c'est-à-dire, comme le lui expliqua par la suite Gibril, l'état de nature.

C'est alors que commença l'Ascension (Al Mi'rag) aux sept cieux en compagnie de Gibril.

Le Prophète rencontra dans l'ordre Adam, puis Jésus ('Issa), Jean (Yehia), Joseph (Youssef), Idriss, Aaron (Haroun) et Moïse (Moussa).

Là quatre fleuves prennent leur source : deux sont au Paradis et les deux autres sont le Nil et l'Euphrate.

Gibril le mena ensuite à l'Arbre Lotus de L'Aboutissement[1] ainsi décrit dans le récit : ses feuilles ressemblent à des oreilles d'éléphant et ses fruits sont aussi gros que des urnes. Mohammad monta si haut qu'il entendait le grincement des crayons.[12]

---

1. Savants du Hadith.

1. Voir l'ouvrage "Les perles et le corail" ou اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان إمام المحدثين ـ وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – دار الريان للتراث ـ ثلاثة أجزاء .

2. Al Borâk était — comme l'expliquent les glossateurs - la monture du Prophète Ibraham.

1. C'est là que, pour la seconde fois, Mohammad, (paix soit sur lui) vit Gibril sous son aspect véritable comme cela sera expliqué plus loin (commentaire de la Sourate "L'Etoile").

2. Ces crayons incrivent le destin de chaque être humain.

Nous essaireons au départ de dissiper un malentendu : la majorité des chercheurs et des orientalistes non-musulmans considèrent Al Isrâ et Al Mi'rag[1] comme de simples légendes.

Certains se contentent pourtant de signaler qu'il s'agit d'un acte de foi pour tout Musulman et que sa commémoration fait l'objet d'une fête religieuse dans certains pays d'Islam.

Or, dans une optique musulmane, ce voyage nocturne du Prophète paix soit sur lui est une confirmation du Message de Mohammad pour prouver qu'il est bien l'Envoyé d'Allah, le dernier et le plus grand des prophètes.

En effet, si nous passons en revue les religions révélées, nous trouvons que chacune des prophéties a eté confirmée par un ou plusieurs miracles (Abraham, Jésus, Moïse). Ces miracles visent à témoigner aux hommes que ces prophètes sont bien les Envoyés d'Allah. La toute-puissance divine les a doués de pouvoirs surnaturels afin de prouver aux hommes l'authenticité de leur mission.

Or, si nous acceptons de croire que Jésus a parlé au berceau, ou que les flammes n'ont point brûlé le Porphète Abraham, pourquoi démentirions - nous le récit de Mohammad paix soit sur lui ? Cette ascention du Prophète de l'Islam qui est une réalité admise comme un acte de foi par tous les Musulmans, n'est point reconnue comme telle par nombre de non-musulmans dont certains vont même jusqu'a nier le Message de Mohammad paix soit sur lui.

Un verset coranique, dans la Sourate "Le Voyage Nocturne" est généralement considéré comme le point de départ de l'eschatologie musulmane.

(Gloire à celui qui a fait voyager de nuit son serviteur de la Mosquée sacrée à la Mosquée très éloignée dont nous avons béni l'enceinte, et ceci pour lui montrer certains de nos Signes. Allah est celui qui entend et voit.

Par ce verset, le texte divin certifie l'authenticité du récit du Prophète Mohammad paix soit sur lui relaté dans plusieurs Hadiths qui racontent - certains avec force détails - le voyage de Mohammad paix soit sur lui de la Mecque à Jérusalem et son ascension jusqu'au - delà du septième ciel.

En fait, le voyage et l'ascension nocturnes du Prophète Mohammad paix soit sur lui ont précédé la révélation de ce verset qui est venu les confimrer.

D'autre part, le récit de l'Ascension nocturne (Al Mi'rag) accomplie par Mohammad paix soit sur lui et rapportée dans les livres de Hadiths, est considéré comme étant le premier texte religieux traitant de ce sujet.

Toutes les versions de ce récit, variées à l'infini et forgées par les traditionnalistes, dérivent en fait d'un même récit religieux en deux épisodes : le voyage du Prophète de la Mecque à Jérusalem (Al Isrâ) et son ascension au-delà des sept cieux (Mi'rag).

---

1. C'est le voyage et l'Ascension Nocturnes du Prophète Mohammad (paix soit sur lui).

LE VOYAGE ET L'ASCENSION NOCTURNES DE MOHAMMAD PAIX SOIT SUR LUI

EN ISLAM

Dr. Rokeya Gabr

Le "Voyage nocturne" du Prophète Mohammad paix soit sur lui et son Ascension sont considérés — après la Révélation du Coran — comme le plus grand miracle de l'Islam :

Ce pouvoir surnaturel accordé à Mohammad paix soit sur lui est certifié par un verset coranique où il est montré qu'il n'a été donné à aucune créature humaine de traverser les espaces célestes sans être préalablement doué d'un pouvoir surnaturel :

(O peuple des Djines et des hommes !

Si vous pouvez passer à travers les espaces des cieux et de la terre, faites-le!

Mais vous ne les traverserez qu'à l'aide d'un pouvoir ...)[1]

Sourate "le Miséricordieux le sens du verset (33)

(١)﴿ يا معشر الجن والإنس إن إستطعتم ان تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ سورة الرحمن ـ آية : ٣٢ .

REVUE AL-AZHAR

Ramadan 1412

Volume 64 — Partie IX

Section Française

of space and time, in his body as well as around himself. This includes the ethic of intention which is measured by the level of personal values that affect the moral state of consciousness. The ethic of intention is a pre-requisite to the ethic of action. Tawhid, therefore, enables the Muslim to vision himself at the vortex of history, being the only creature selected as vicegerent who can establish the Divine Will of Allah to fulfillment in history.

This perspective understanding of the doctrine of Tawhid explains the conduct of Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), his companions, and early generations of Muslims who acted in unison to transform men, and change history. Tawhid built within them the vision to behold the Supreme Being, to love Him, and to be absorbed in Him. Embraced by the Prophet's vision and his personal strength of conviction, the early Muslims plunged headlong into the arena of history, changing the internal constitution of individuals of races and cultures, patterns of life, societies, maps, contours, villages, cities and whole empires. Ideas were free to travel, men were free to convince and be convinced, where the summons to Islam can call mankind to the of Allah, of Truth, of Value.

Excerpts from Writings by The Late Dr. Ismail R. Al-Faruqi
Professor of Islamic Studies
Temple University, Philadelphia, Pennsylvania, USA.

Muslim is therefore definable by his adherence to Tawhid, by his Profession of the Shehadah, and by his observance of the absolute unicity and transcendence of Allah as the ultimate principle of all creation, of all being and life. Islamic teachings declare that the Transcendence of Allah is everybody's business. Allah created all humans capable of knowing Him by an innate endowment "fitrah" which all humans share; a faculty by which humans can recognize divine ultimacy, divine unity, and divine transcendence. Departures from that norm are attributed to forgetfulness, mental laziness, passion and social stress, which when transmitted from culture to culture, generation to generation will result into aberrations from the normative sensus communis or "fitrah".

Therefore, the cardinal assertion of the Islamic creed is that there is no god but Allah, "La ilaha illa Allah". Muslims understand this Shehadah as an absolute denial of any associates with Allah in the domain of the universe; and also a denial of the possibility for any creature to represent, personify, or in any way express the Supreme Being. The Holy Quran expresses, Divine Transcendence by giving ninety nine attributes to represent Allah's absolute sovereignty of the infinite universe, His Providence, by which Muslims invoke Allah to guide their pathways through life as the Guardian, Sublime, Just, Equitable, Sanctuary, and All-Cognizant. The concept of Divine Transcendence developed in depth and intensity to include all and every aspect of Islamic culture. The concept of Transcendence influence the patterns of Islamic art, and developed into principle discipline in the history of esthetics. Also, the concept of Transcendence in language was equally well maintained having the Holy Quran as the backbone reference of the Arabic Language. The institutionalized use of the Holy Quran in liturgical practices by Salat, is only by the Arabic text. Moreover, the Holy Quran gradually moulded the conscious beliefs of non-Arabic speaking converts, and furnished the categories under which religious matters could be thought out and religious feeling expressed in Quranic terms in Arabic literary forms and expressions.

Through the doctrine of "Tawhid" being the nucleus religious principle experience in Islam, the Muslim theism became absolutely purified from all doubt regarding the transcendence and unicity of Allah. This established the equalization of all humans as creatures, subjects of Allah (Abd-Allah), all are endowed with the same essential qualities of creaturely humanity, all possessing the same cosmic status. This foundation of though commits mankind to an ethic action which distinguishes between worth and unworthy as measured by the degree of success that the moral subject achieves in disturbing the flow

These principles are self evident truths as the basic ramification of the Islamic concept of Tawhid and the quintessence of Islam. They are also the core elements of understanding of all other divine revelations prior to Islam. All prophets have taught these principles of Tawhid as being built-in by the Creator into the very fabric of human nature, constituting an inherent reality of primordial belief which Allah made innate to mankind. This natural endowment is universal and immutable upon which revealed knowledge as well as acquired knowledge rests. The ultimate final analysis of "Tawhid" results in the refusal to subject human life to any form of guidance other than the divine moral code. The pillar of the Islamic understanding of "Tawhid" is the precision to perceive Allah alone the Creator as the normative; His Will alone as injunctions, His pattern alone as the moral desiderata of creation. The justification by faith of such understanding is meaningless unless it is associated with action.

The quintessence of Islamic Theology is the concept of Tawhid, the act of affirmation that Allah is the One, Transcendent, Absolute Creator. Tawhid gives the Islamic civilization its unique identity; it is the most profound commandment of Allah. Tawhid binds together the constituent elements of Islamic culture and moulds them into an integral wholesome entity. The detailed analysis of the form and function of these constituents is "Ilm Al-tawhid" which involves the disciplines of logic, epistemology, credence, and metaphysics. The concept of "Tawhid" clearly indicates that the very purpose of man's creation is the service of Allah alone; only Allah is worthy of worship. The ultimate message of Prophet Muhammad indicates that Allah's actions. This is evidenced by the fact that Allah promises to forgive all sins except the violation of Tawhid. This selective characteristic of the doctrine of Tawhid, places it at the origin of every divine commandment in Islam. The violation of the essence of Tawhid will introduce doubt into the statement that "there is no god but Allah". If there were other gods other than Allah, they would have fallen into dispute and chaos; nature cannot obey two masters; cannot function in teleological performance according to plan, design and purpose, if there were more than one source of authority.

Therefore, without Tawhid, the whole structure of theism would collapse from its very foundation; the Holy Revelation and the Sunnah of the Prophet would be subject to doubt, and the very institution of prophecy would be shaken. The doctrine of Tawhid is therefore the prime substance of Reality, the basic element of piety, and the momentum behind every act of virtue. The Muslim is therefore behind every act of virtue. The

mind as an organ and repository of knowledge performs all functions of memory, imagination, rationality, reasoning, observation, accumulation, selective analysis, comprehension, intuition, and other functions. These distinctive functions of the human mind enables mankind to comprehend the Will of Allah; either expressed in Divine Scriptures, or expressed as the unique wondrous fascinating patterns of creation. The Divine Will, the laws of nature are deducible through observation of creation.

Teleology also manifests itself as a fundamental concept of "Tawhid". The characteristic property of creation is its teleological nature, which indicates that the study of evidence in nature indicates the existence of final causes and purposes according to a preplanned design. Creation was not created in vain, or the outcome of random events; it was according to perfect design to fulfill a universal purpose. The cosmos is unique in order without chaos or entropy. The patterns of creation are consummated according to natural teleological disciplines according to the Divine Will ordained. This is true for all Creation except the spiritual functions of mankind, i.e. the understanding of the moral code and moral action, fall outside the sphere of determined nature; they depend upon the individual and follow his determination. However, even this aspect in human creation stands to the Divine Purpose of human creation, in order to enforce the enactment of Divine judgement, the concept of reward and punishment. This cannot be instituted except if there is deliberate, free voluntary conduct of the spiritual functions and the understanding of moral action.

Since everything in the infinite universe is created for a purpose, therefore, the realization of that purpose must be possible in space and time. The realization of the absolute Divine objective of Creation must be attained; and for that very purpose, all creation including man's physical, psychic and spiritual functions must be capable of realization of the Divine purpose and pattern of creation within the space and time. The realization of that purpose demands man's capacity and mental faculty, and that nature must become malleable, transformable, capable of exposing its substance, structure, conditions and relations so as to lend itself to the mental faculty of man to realize the patterns and purpose of creation. In this arena stands the responsibility of mankind to adapt his conduct, society and cultural environment to conform with the Divine patterns of creation. Human moral obligation in life is impossible without responsibility, and therefore judgement is inevitable according to deeds, actions and intentions as appraised by the Divine moral code. It is immaterial whether judgement and appraisal takes place in space and time, at the end of it, or both; but it must take place.

The Quintessence of Tawhid

By: Ismail R. Al-Faruqi, Ph.D.

The nucleus of Muslim Theism is the absolute total submissive resignation to the sovereignty of Allah. For Muslims, Allah is the essence of existence, nothing in creation happens except through divine will and knowledge. Divine knowledge encompasses the whole universe which Allah created, and which he sustains. Allah is the Just, the Merciful, the compassionate, the Beneficent, the Eternal, the Creator, the Omnipresent, and the Sovereign of the universe. The root understanding of the concept of submissive resignation to the sovereignty of Allah is "Tawhid". This is simply defined as the wholesome conviction and declaration that there is no god but Allah. this brief statement carries within itself the richest and most profound meaning in the entire cosmic creation. This short sentence constitutes the "shahadah" of Islam, from which emerges and proliferates all the doctrines, teachings, culture, knowledge, understanding, learning, wisdom, actions and intentions. There is no god but Allah (La ilaha illa Allah), is the most compact power house truth, the core of existence in space, time, and destiny. From this root belief, stems several ramifications of understanding.

The Reality is of two generic origins, namely Creator and creature. The first is only One, Eternal, Transcendent, Sovereign, Omniscient; Allah remains infinitely unique, without partners or associates. The second is the experience of creation, including all creatures, everything, plants, animals humans, jinn, angels, mountains, and the whole cosmic universe. The duality of paradise and hall. The ontology of duality separates and distinguishes the two basic fundamental orders of Creator and creation they are utterly and absolutely disparate, and it is impossible to unite, infuse, confuse one into the other. There is no transformation of the nature of each order, the Creator will infinitely remain as the nature of each order, the Creator will infinitely remain as the Dominating Absolute Sovereign; and the creation will always be subject to transient ephemeral life. The relationship between the Creator and the creature is basically intelligent and ideational in its essence. The faculty of understanding of mankind is its axis of reference. The human

accomplishments of supreme profound wisdom, diplomacy, justice, and above all extreme piety, fundamental sense of self judgement, and self discipline. His total concern in life was his relation with the Creator, and the establishment of social justice within a milieu of mutual confidence.

Omar ibn Al-Khattab, Ameer Al-Momineen the man, who established the foundations of the Muslim Ummah, lived on the edge of poverty, concerned with the edge of poverty, concerned with the affluence of the Muslim society at large. He was a unique matrix of human element, a yardstick by which all other leaders of nation are to be measured and judged. The man who walked the streets of Al-Madinah to concern himself with the intimate problems of every man, woman, child and infant.

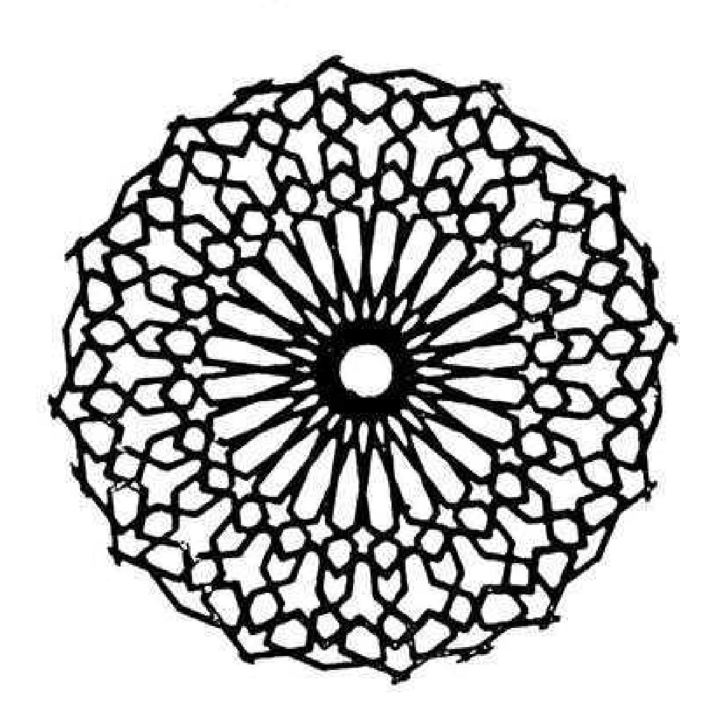

excellence. Added to his qualities of a genius, he possessed the magnanimous character of modest humbleness without any arrogance or insolent conceited vanity. Possessing all these rich qualities of character, and wealth of facultative abilities; Omar ibn Al-Khattab always consulted, accepted advice, confessed when wrong, rectified errors. His famous words were "Allah knows that I am truthful sincere in honesty, seeking reality and truth".

This unique distinctive character of Omar ibn Al-Khattab with unfeigned conscientious sincere faculties enlightened the spirit and enabled the soul to envisage in prospective forethought, matters which materialized according to the precise text of the Holy Revelation, or that were in total conformity with it. The most popular of such matters was

the decision related to the prisoners of the battle of Badre; the prohibition of intoxicant drinks; the style of garments for the Prophet's wives and Muslim women' and the summons for Salat, the "Adhan". The forethought of Omar ibn Al-Khattab was also conforming to that of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and several of the companions in several matters. The purification of soul, and the reverend pious qualities that Omar achieved were basically and fundamentally processed through the genuine conviction of the aphorism of Faith, this energized responsibility, purposefulness, enlightenment, rationality, justice, value concept, confidence, courage, and virtuous conduct. The whole characteristic build-up of Omar ibn Al-Khattab became totally integrated into the molten substance of religion; a transformation that affected the whole trend of behaviour and conduct. The Islamic faith removed concepts; implanted some, and energized in promotions others; all having a universality in the service of mankind. Ameer Al-Moumineen Omar ibn Al-Khattab has died, but his teachings remain to light the path.

Omar ibn Al-Khattab left to the generations of the Muslim Ummah a treasure of achievements that will remain as landmarks in the history of Islam. The whole life of Omar from the day he confessed the "Shehadah" of Islam to the end of his prosperous reign, was a continuous sequence of illustrious accomplishments, and the realization of value concepts. It is very true that the Islam of Omar was a gateway, and his hijrah was victory, and his leadership was mercy, greatness, ascendancy and opulence. The exposure of the global proliferation of Muslim Theism originated essentially at the time of Abu Bakre al-Siddiq and was established and organized during the reign of Omar ibn Al-Khattab. The policy adopted in the integration of the Muslim Ummah of all its heterogeneous national origins, and the process of Islamization that took place; were

Omar ibn Al-Khattab rejected the luster of life at the time he was most capable, instead he was seeking the paradise of the Hereafter. He was extremely consciously perceptive of facing judgement in the afterlife; a matter which made him unconcerned to the ostentatious frames of life. This particular characteristic of Omar made him on several

occasions face rejection of women to accept his proposal in marriage; he was known to lead a harsh stiff life not accepted by many women. However, several others accepted to share his life in matrimony, and discovered, in him the profound qualities of the hidden kindness, and tenderness of the soul. Omar ibn Al-Khattab was very selective in choosing his wives, and the most characteristic quality to his preference was the fertile female. For that, he devorced Qaribah bint Ummayah, and Um Kulthum bint Garwal ibn Malik when they did not engender. The first woman Omar married was Zainab bint Mathoon, who gave birth to Hafsah, Abd Allah, and Abd Al-Rahman; then he married Um Hakim bint Al-Harith ibn Hisham who gave birth to Fatimah; Atekah bint Zaid was the mother of Ayyadh; Um Kulthum bint Aly ibn Abi Taleb was the mother of Zaid and Ruqaiah; Gamilah bint Thabet was the mother of Assem; and Fukihah was the mother of Zeinab.

Chroniclers relate that Omar ibn Al-Khattab was very lenient and tender to his wives and children. However, he expected then to concern themselves with his trend in life, to support him to bear the difficulties of life with strength and genuine content. He educated and cultured his children, enlightened their mental faculty, instructed in the wisdom to understand and perceive. He accepted the sentiment of love; but attached more significant importance to fidelity, adherent devotion, virtue, candidness and dependability. His tolerant indulgence was genuine in righteousness, never ruled by prejudice, partiality or injustice; always congnizant in hope for amendment. Omar never during his reign dictated upon people which he did not dictate upon himself. His perceptive mind and intelligent thought developed into an inherent talent and sagacious wisdom which was the fundamental element of his candid free spoken genuine forthright behaviour. The broad knowledge of Omar ibn Al-Khattab optimized his judicious faculty of discrimination, widened his alternative options of decision, and promoted his ability of comparative judgement with sensitive differentiation. These talented abilities provided superior authoritative rationality in the balance of arguments, in the pursuit of justice, and in the mental evolutionary process of resolutive opinions and decision making. The extreme ultrasensitive devout piety that was deep rooted in the personality of Omar ibn Al-Khattab enlightened his mind, and refined his inherent faculties to a level of supreme profound

Omar Ibn Al-Khattab

The Life of Omar

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

Ameer Al-Moumineen Omar ibn Al-Khattab was a man from the tribe of Quraysh. His father was Al-Khattab ibn Nufayl of nobility in his clan of Bani Adi, although very modest in life. His mother was Hantamah bint Hashim ibn Al-Mughirah, who gave birth to Fatimah and Safiyah as sisters for Omar. The second wife of Al-Khattab Asma bint Wahb gave birth only to Zeid ibn Al-Khattab as brother to Omar. All the children of Al-Khattab followed Islam, and all emigrated to Al-Madinah. The clan of Bani Adi carried the responsibility of embassy and delegation of the Quraysh, a function that necessitated knowledge, culture, patience, education, and diplomacy. The clan of Bani Adi were the poorest among the clans of the Quraysh, having to work hard for their living. The residence of Al-khattab and his family was in Maccah; where Omar ibn Al-Khattab grew up as a young boy, working to earn his daily bread, an experience that was fundamental in promoting the formulation of the unique personality of Omar ibn Al-Khattab. He worked for his father, his aunts, and then engaged himself in several avenues seeking fortune, to become one of most affluent men in Maccah at the time of his emigration to Al-Madinah.

In spite of Omar means to live a life of comfort and ease, instead practiced a life of self-abnegation, humbleness with extreme renunciation of worldly ornateness or luxury. This character of Omar developed as he followed Islam, and progresse to become one of the most important significant features in his personality. His food garments and means of life were very humble and modest. Several of his people and members of his family approached him to become more lenient and moderate in his life-style; in reply, he reminded them of the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), its severity, humbleness and extreme harshness. This paradigm that Omar ibn Al-Khattab as Ameer Al-Moumineen presented to people compelled his associated to practice a similar trend in their life is sincere respect to the great man. The life style of the Muslim society during the reign of Omar ibn Al-Khattab was not extravagant, lustful, or ostentatious; the splendor of life was culture, work, zeal, resolution and solemn earnestness.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part Part IX

Ramadan, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Life of Omar.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Quintessence of Tawhid.

By: Ismail R. Al-Faruqi.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

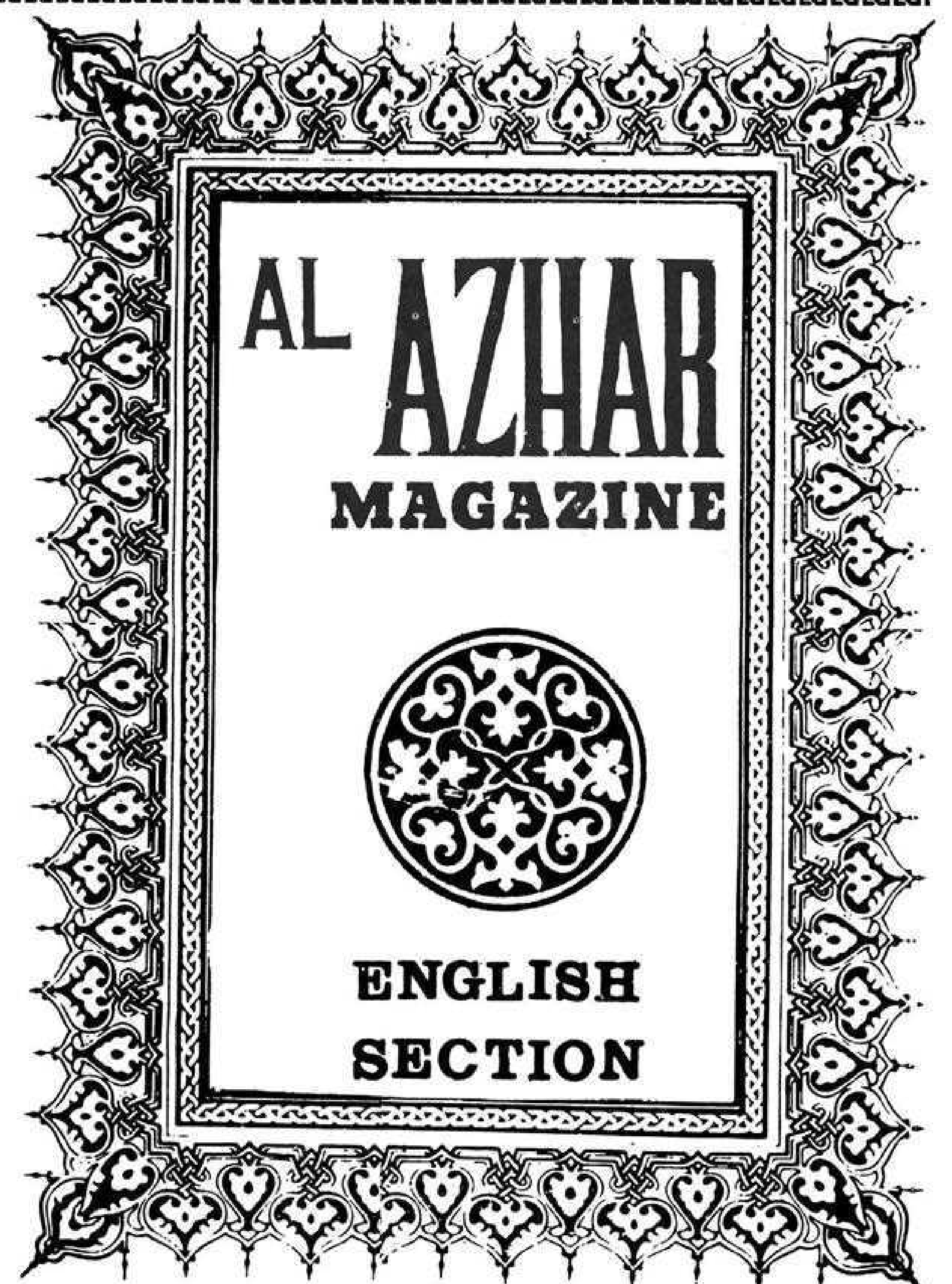
AL AZHAR
MAGAZINE
ENGLISH
SECTION

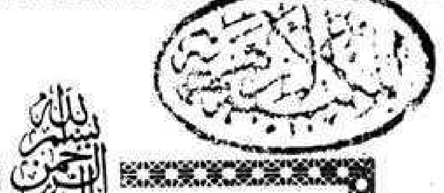

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

شوال ١٤١٢ هـ
ابريل ١٩٩٢ م
الجزء العاشر
السنة الرابعة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم مبارك

هنيئاً لأهل الإيمان ، مسلمى العالم قاطبة هذا العيد .

وتهنئة خالصة لإخواننا الذين أزاح الله عنهم الحزن ، وصَرَف عنهم ريح الشيوعية الخبيث .

هنيئاً لنا جميعا هذا العيد ، وجعله الله ـ سبحانه ـ فاتحة خير ، وتعاون ، وإحسان :

فاتحة خير يلتفتُ كُلُّ مسلم إلى أخيه فيعينه ، على السلوك القويم من أجل دينه ، ويرشده بإحسان ورفق إلى الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويهديه سواء السبيل لتعم بيننا جميعا ـ بلا بغضاء ولا شحناء ، ولا سخيمة ـ أخوةٌ عامرة بالإيمان فَيَكْمُلَ فينا مجمع الأخوة النادرة التى أرسى دعائمها ـ أول ما أرسى ـ رسول الله ـ ﷺ ـ فى المدينة المنورة ، فظلت بها للمسلمين قوة أَتَتْ بأركان العالم القديم بين أيديهم .

يوم مبارك

« إنما المؤمنون أخوة » ، لانيأس ـ إن شاء الله ـ من إصلاح أحوالنا ، والعناية بكل مسلم فيما بيننا ، لقد تعاون غير المسلمين فى أوربا حتى صاروا قوة يكفى بعضهم مئونة بعض .. أليس أجدر بنا أن نسرع إلى هذا المسلك ، فتتم بيننا محبة القلوب فوحدة المصالح ، وقوة المصير .

إن إصلاح نفوسنا له سبيل واحد يكمن فى « شفقة المسلم على المسلم » والعناية به ، وهل يصلح إنسان فيكبه الله فى النار ؟ حاش لله ، إنما هو إنسان واحد فقط لا يهديه الله ، ذاك الذى يتعمد إضلال الناس ، قال تعالى :

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (١)

فأما الذين لا يحملون الشر فى جوانحهم فأولئك المهتدون بإيمانهم ، قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن مرآة المؤمن ، والمُؤمنُ أخو المُؤمن ، يَكُفُّ عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه » رواه أبو داود ـ باب النصيحة والحياطة .

ولينظر أحدنا : لماذا ينظر فى المرآة ؟ أليس ليصلح من شأنه .

وهكذا ينبغى أن يكون كُلّ مسلم لأخيه مع الرفق الكامل والرحمة التامة فلا ينفر منه لأنه أذنب .

فى الأثر عن داود النبى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ « أنه مَرَّ بطريق فرأى رجلا بدت عليه آثار المعصية ، فنفرت نفسه منه ، وابتعد عن طريقه فنُودى :

يا داود ، التَّقِى لا يحتاج إليك .
والعاصى نفرت منه .
فلِمَنْ أنت ـ إذن ـ أرسلت ؟ !

مثلك يا داود كمثل رجل يرعى غنماً فى بَرِّيَّة ، فنفرت منه واحدة فجعل كلما جاء من جانب نفرت منه إلى آخر حتى سئم منها فتركها فأكلها الذئب » (٢)

يروى أبو هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ أُتِىَ بسكران ، فأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بضربه : « فلما انصرف قال رجل : مَالَهُ ، أخزاه الله ، فقال رسول الله ـ ﷺ :

« لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم » رواه البخارى فى صحيحه .

د. على أحمد الخطيب

(١) سورة النحل آية : ٣٧

(٢) جواهر الاطلاع ، شرح أبى شجاع بتصرف .

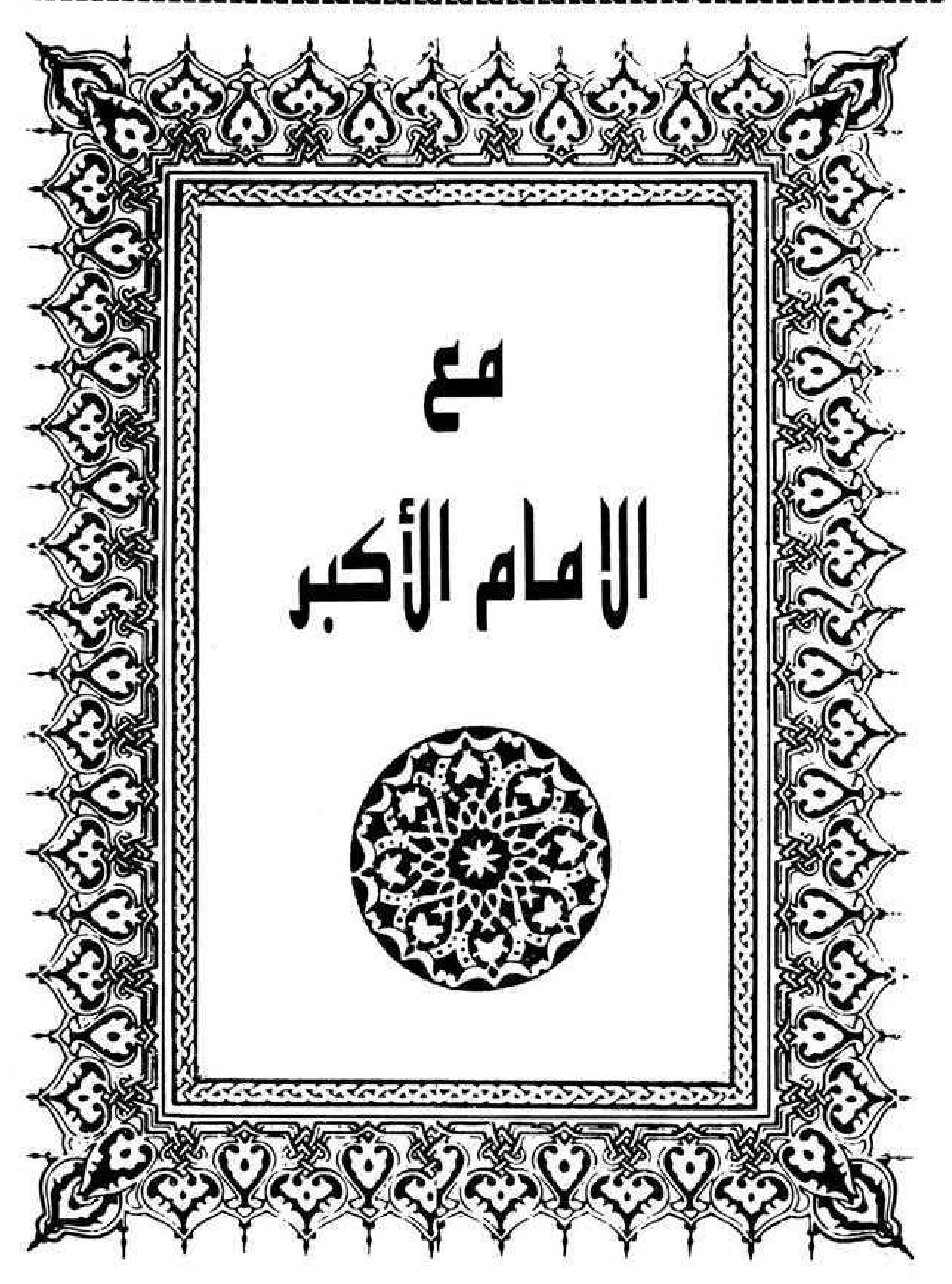

مع
الإمام الأكبر

هذا يوم عيد الفطر

بقلم فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهـــر الشـــريف
جاد الحق على جاد الحق

العيد فى الإسلام يتفرد بما يضفى عليه من سمات القداسة والعلو لأنه كان لتحقيق هدف نبيل ، فالأعياد فى الإسلام تدور مع حركة الكون تمر بكافة الفصول ، ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وجد الأنصار يلعبون ويمرحون فى يومين ورثوا عن أسلافهم الاحتفاء بهما عيدين فقال لهم (قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم عيد الفطر ويوم الأضحى) وللأعياد فى الإسلام مراسم هامة .

فيوم العيد يبدأ بذكر الله سبحانه وتعالى وبالتكبير والتهليل وفيه تبدأ الاحتفالات بصلاة العيد وفى هذا وحدة العقيدة والعمل لتتواصل الطاعات ولتجرى على الألسنة عبارات الحمد لله والشكر له أن وهب المسلمين صوم شهر رمضان وأن قضاه الصائمون إيمانا واحتسابا لله رب الناس وفيه تأصيل وتجديد الصلة الاجتماعية بين المسلمين فهم فى تواصل وتعاون وإخاء ومحبة .

يستعد المسلمون ليوم العيد بلبس النظيف أو الجديد من الثياب بعد أن يكونوا قد اغتسلوا وتطهروا وأخرجوا صدقة الفطر مظهرين السرور يتبادلون عبارات المودة والتهانى ، يتردد على ألسنتهم (تقبل الله منا ومنكم) .

وهو يوم توصل فيه الأرحام ويتزاور فيه الجيران والأقارب ويوسع فيه على الأولاد والمحتاجين كما هى سنة رسول رب العالمين . وما أحوجنا - نحن المسلمين - فى هذا العصر - إلى أن نفهم أعيادنا فهما جديدا نستقبلها به حتى تكون أيامنا سعيدة رشيدة عاملة تنبه فى نفوسنا الأوصاف القوية ولا يكون أكبر همنا فيها تجديد الثياب وتوزيع الفراغ إذ العيد هو المعنى الذى يكون فى يومه لا اليوم نفسه .

العيد فى الإسلام إشعار هذه الأمة بأن فيها القدرة على تغيير الأيام ، لا شعورها بأن الأيام تتغير إيمانا بقول الله سبحانه :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ وبذا يكون العيد يوما تحرص فيه الأمة على إبراز جمال نظامها الاجتماعى ، فيكون يوم الشعور الواحد لدى نفوس المجتمع ، والكلمة الواحدة فى ألسنة الجميع ، وليس العيد فى الإسلام إلا توجيه الأمة وتعليمها كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يصير البلد الواحد من بلاد المسلمين وكأنه دار واحدة فيها كل عناصر وسمات الإخاء العملى وتستعلن فضيلة الإخلاص ويتبادل الناس الهدايا وإن تباعدت منازلهم وأقدارهم ، والعيد بهذا يكون مناسبة لإظهار الذاتية وخصائص الأمة ، وإبراز الكتل الاجتماعية للأمة متميزة بطابعها الشعبى مميزة عن غيرها من الأمم الأخرى حيث تكون لابسة من عمل يدها معتزة بصناعاتها وبكافة منتجاتها مستبصرة بمستقبلها حفية بكبارها رحيمة بصغارها تعمل الصفات الإنسانية فى جموعها عمل الحليف لحليفه لا عمل المنابذ لخصمه ، فالعيد تَخَلٍّ عن كل حقد وغل وحفيظة وَتَحَلٍّ بكل كمال ومودة .

فبالصوم تعالت النفوس فوق الشهوات والشبهات وصبرت وصابرت وثابرت حتى أكملت العدة واستبشرت باستكمال المدة وتلك قاعدة هذا الدين - الإسلام - ألا

يستسلم المسلم للوهم أو الوهن أو الضيق والحزن وانما يغالب المصاعب إذا واجهته حتى تنقشع عن ساحته ويحل الفرج واليسر .

فقد كان الصوم تدريبا على قوة العزيمة وحزم الإرادة وذلك ربح عظيم يعود بالخير الوفير لو اننا استثمرناه فى مستقبل الحياة ، والعيد بهذا صوت القوة يهتف بالأمة أن هذا يوم الأفراح بعيدا عن الأتراح ويوم النصر بعيدا عما كان من القهر .

إن الرجاء فى الله العلى الأعلى أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات ويجمع كلمتهم على الأخوة المتناصرة ويأخذ بأيديهم إلى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

إن على الأمة الإسلامية أن تذكر فى هذا اليوم ـ عيد الفطر ـ تلك الشعــوب الإسلامية التى تكافح عن حقوقهما المسلوبة فتساندها وتمدها بما يعزز قوتها حتى تصل إلى غايتها وأن ترعى أولئك الذين طردوا من ديارهم والذين أصابهم القحط وليكونوا لهؤلاء وأولئك سندا ومددا بما يقيم الحياة ويعين على النجاة وفاء بحقوق الإخوة .

إن رمضان كان شهر عصمة واعتصام بحبل الله وموسم استشفاء جسدى ونفسى ، نروض فيه أنفسنا لتتطبع على الخير وتزداد ، ونعالجها من الشرور والآثام وليس هدف هذه العبادة أن يكون رمضان شهرًا قد مضى وانقضى ثم ينقض المسلم ما بنى وينفض يده وقلبه مما اعتاد فيه على الصفاء والنقاء وحب الخير للناس والسعى به واليه ، وإنما ينبغى أن نستصحب كل حسن من الفعال والأقوال إلى غيره من الشهور حتى يصير لحياتنا عمادا ولأعمالنا عدة وعتادا ، وإن على هؤلاء الذين خرجوا من رمضان بزاد من التقوى للقلب والروح أن يحفظوا هذه الذخيرة لأنفسهم بضاعة رائجة وللوطن وللأمة قوة عاملة استفادت بالصبر والصوم والصلاة ، وهؤلاء هم الذين يفرحون باستقبال يوم العيد باعتباره عبادة وشكرا لله الذى قال :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

وان الأزهر الشريف فى يوم عيد الفطر المبارك ليقدم التهنئة الخالصة إلى شعوب الأمة الاسلامية فى جميع مواقعها على أرض الله وإلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء مع الدعاء لله أن يجعل صومها مقبولا وقيامها مأجورا ويومها هذا جائزة عمل وحافز جد واجتهاد للدين والدنيا وأن يكون بدءا لتجديد الأمل والعمل المثمر لرفع ما حاق ويحيق بأوطان المسلمين وتسود فيه المودة والإخاء والرحمة حتى تجتمع الكلمة وتتم النعمة ويصدق على هذه الأمة قول الله سبحانه فى محكم كتابه :

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ .

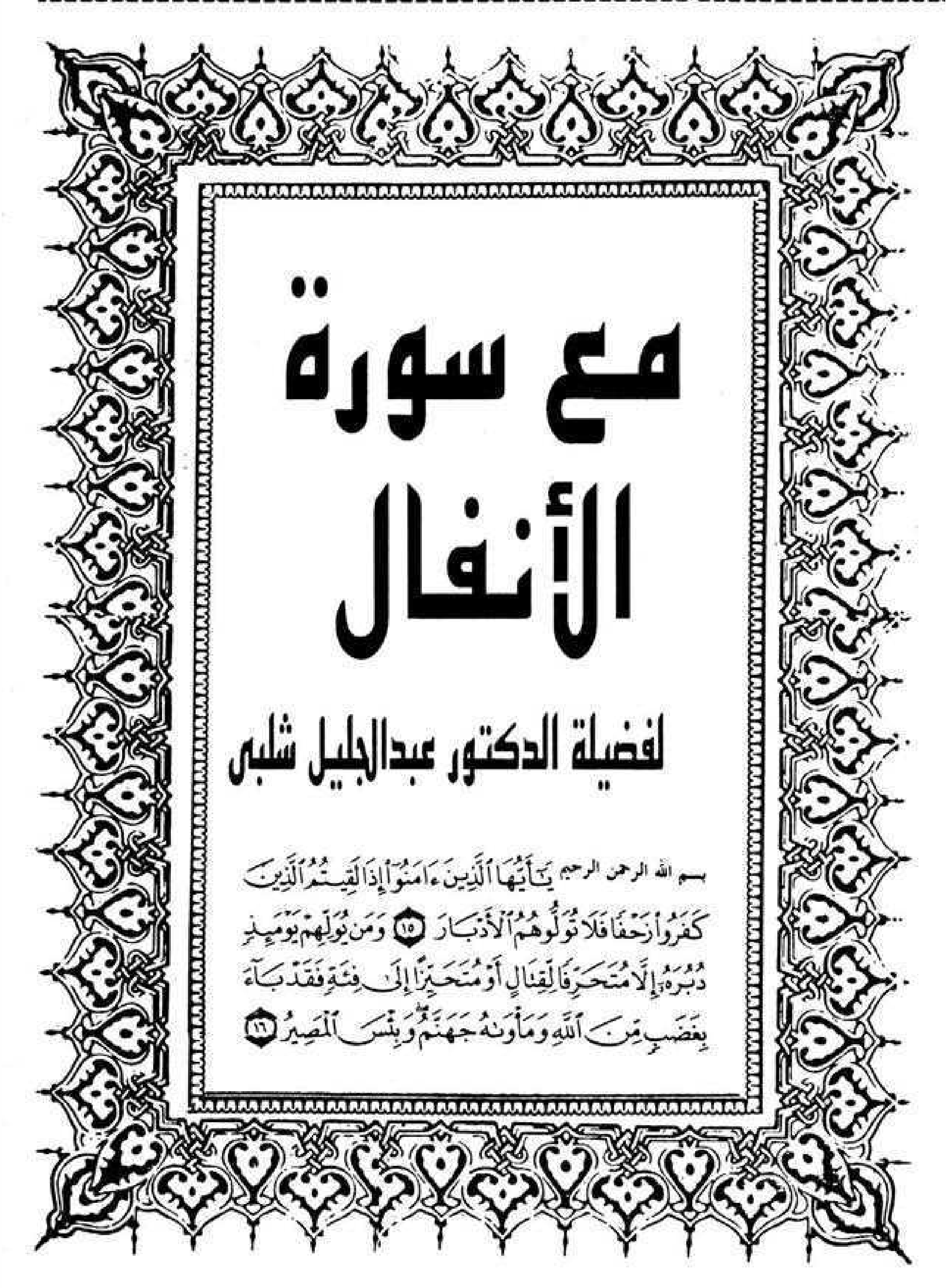

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

المفردات

إذا لقيتم الذين كفروا زحفا :

الزحف هنا يحتمل عدة وجوه ، منها أنه اسم جمع مفرده زاحف ، كركب وسفر وشرب ، كلها بوزن فَعْل كضرب ومفردها فاعل . أى إذا قاتلتموهم زاحفين نحوكم ، ويحتمل أيضا أن تكون الكلمة حالا من الفاعل ، أى قاتلتموهم زاحفين إليهم .

والزحف أيضا الجيش ، أو الجيش الكثير العدد ، قال الزمخشرى : هو الجيش الذى يرى لكثرته كأنه يزحف ، أى يدب دبيبا كالصبى إذا دب على استه قليلا قليلا ، وفسره بأنه إذا لقيتم العدو للقتال ، وأعداؤكم كثر جَمٌّ وأنتم قلة فلا تفروا ، هذا فضلا عن أن تدانوهم فى العدد أو تكونوا مساوين لهم .

والزحف بمعنى الجيش يجمع على زحوف ، كبحر وبحور ، وهم وهموم .

وجاء الزحف بمعنى المشى البطىء ، فى قديم الشعر ومحدثه ، قال امرؤ القيس :

فأقبلت زحفا على الركبتين
فثوب لبست وثوب أجر

جاء برفع ثوب على أنه مبتدأ ، وروى ثوبا مفعولا للبست ولأجر ، وهو الأقيس وقال المتنبى :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفى أذن الجوزاء منـــه زمـــازم

وفيه وصف الجيش بالكثرة حتى سد الأفقين ، وارتفعت همهماته إلى الجوزاء ويقولون فى الإشارة إلى كثرة الجيش : زحف العسكر إلى عدوهم ، بمعنى مشى العسكر مشياً وئيداً فيه ثقل لكثرته .

ويأتى الفعل زحف لازما ومتعديا ، يقولون زحف البعير ، وأزحف ، إذا أعيا وضعف ، وصار لا يستطيع المشى إلا ببطء ، وتزاحف القوم أى مشى بعضهم إلى بعض ، ويقال أيضا زاحفوا زحافا ومزاحفة ، وأزحف الخصمان مشوا للقتال .

والفعل فى هذا كله لازم حتى مع الهمزة وألف المفاعلة ، ومن المتعدى : زحف الرجل الرَّحْلَ ، أو الحِمْلَ ، أى جره جرا ضعيفا .

وذكر صاحب القاموس المحيط من مصادر هذا الفعل : زحوفا وزحفانا . وزحف الدبا ــ وهو صغار الجراد والنمل أى مشى قدما . قال : ومزاحف الحيات مواضع مد بها ، ومزاحف السحاب حيث يقع قطره .

فهذا جملة ما يقال فى هذه المادة ، والكلمة فى الآية مع ما تشير إليه من البطء توحى أيضا بكثرة العدو الذى يهجم .

الأدبار : جمع دبر بوزن عنق وهو خلف الشىء وظهره ، ضد قبل بوزنه ، وهو أمام الشىء وواجهته ، وتطلق الكلمتان على السوءتين لأن قبل الشخص ودبره من أمامه ومن خلفه . وتولية الشخص دبره كناية عن هزيمته وفراره من المعركة ، لأن الفار يولى خصمه ظهره ويجعله خلفه ويدبر منه .

متحرفا لقتال : متحرفا من جانب من المكان إلى جانب آخر ، والكلمة من الحرف وهو طرف الشىء وحافَّته ، يقال انحرف بمعنى حاد ، وانحرف عن الشىء حاد عنه وتركه ، وصيغة التفعيل تفيد المبالغة كما تفيد تكرار الفعل ، ومحاولته مرارا ، كما يقولون مزق الورقة وقطعها أى شقها ، ومزقها وقطعها بتضعيف العين أى صيرها مزقاًأوقطعاً . وتفيد الصنعة أيضاً تكلف الشىء ومعالجته .

فهذا التحرف ، خدعة من خدع الحرب ومكايدها . ومتحيزا إلى فئة من هذا القبيل ، فهي تفيد التنقل من مكان إلى آخر ، والمكان حَيِّز لأنه ـ بوزن طيب وهيّن ـ لأنه يحوز الشيء ويحويه ، واستحوذ على الشيء ناله وجعله فى حيازته . ومنه استحوذ عليهم الشيطان أى استولى عليهم كأنه أحاط بهم فلا يستطيعون فكاكا منه .

ويقال : انحاز من القوم أى تركهم وعدل عنهم ، وانحاز القوم تركوا مكانهم ومركزهم إلى مكان آخر ، وتحاوز الفريقان أى انحاز كل فريق منهم عن الآخر ، وتركه. وانحاز إلى القوم أو إلى الرأى ، ساندهم وسانده ، ووقف بجانبه ، وكذا تحيز . وتسمى الحرب الحوزاء لأنها تحوز القوم ، والناقة المنقطعة عن الابل تسمى حَوْزية ، لأنها انقطعت عن أقرانها ، ويقال هذا الاسم للناقة التى تميزت بصفات ليست لغيرها من الإبل ، فهى أيضا انفردت وانقطعت عن الإبل الأخرى ، وباء بغضب من الله . أى رجع وانقطع ، ويقال : بؤت به ، وبؤت إليه وبؤته ، وبوأه مكانا أرجعه وألجأه إليه . وباء بذنب فلان ودمه أقر به ، فهو قد رجع إليه فى إقراره ، والمصدر منه بوء ، وبواء .

مأواه جهنم أى ملجؤه والمكان الذى ينتهى إليه هو جهنم . والبيت مأوى لأن صاحبه يأوى ويلجأ إليه . ومنه فى القرآن : ﴿أو آوى إلى ركن شديد﴾ أى الجأ إليه ، ﴿وآوى يوسف إليه أخاه﴾ ضمه ووجهه إليه .

والمصير : النهاية والمرجع ، من صار إلى الشىء أى انتهى اليه ـ فهو مصدر ميمى .

المعنى

أفصحت هذه الآية فى الحديث عن غزوة بدر ، فهى توجيه ونصح للمؤمنين وبيان لما يفعلونه حين يلقون عدوا محاربا ، لأنها نزلت بعد الغزوة ، وليست منقطعة عنها ـ فهى تقول للمؤمنين إذا قابلتم الكفار زاحفين نحوكم ـ كما كان يوم بدر ، اذ كان كفار مكة هم الذين اتجهوا نحو المسلمين ، أو إذا لقيتموهم وأنتم زاحفون عليهم ، كما كان فى غزوات وسرايا أخرى ـ فلا تولوهم ظهوركم ليتمكنوا منكم ، وسواء كان العدو أكثر عددا وقوة ، أو كنتم متساويين ، وأولى لو كنتم أنتم الأكثر والأقوى . والوجه الأول ـ وهو زحوف العدو وقوته أولى وأليق فى هذا الموقف ، لأن الآية جاءت فى حديث غزوة بدر ، وكان العدو هو الأقوى ، والنهى يوجه عادة إلى المزحوف عليه .

ومن يول الأعداء دبره ، أى أىُّ شخص يفر منهم ، فان جزاءه هو غضب الله عليه ومنتهاه الى جهنم ، فهو قد يفر لينجو بينما فراره فيه هلاكه ، وبه ينتهى إلى أسوأ مصير وأقبح نهاية وهى جهنم . فالآية خاطبت الجماعة أولا ﴿لا تولوهم الأدبار﴾ ثم توعدت كل فرد ، تأكيدا للنهى ، وتفظيعا لهذه التولية ، وايثار كلمة ﴿الأدبار﴾ ـ و﴿الدبر﴾ تشير أيضا إلى هذا التشنيع لقبح مادة الدبر دون كلمة الظهر .

والتحرف فى القتال هو الافتنان والاحتيال لكيد العدو وخديعته ، فقد ينصرف المحارب موهما خصمه الهزيمة والخوف منه كى يجره لاتباعه فيبعده عن قومه ، ثم يكر عليه منفردا فيقتله ، والحرب خدعة ، فهذا ليس فرارا من المعركة ، وإنما هو احتيال وفتح باب من أبوابها ، فصاحبه مشكور مأجور ، وليس عرضة للعقوبة .

والمتحيز إلى فئة من المؤمنين لينصرهم ، لم يترك مكانه فى القتال فرارا ولا كراهة للحرب وإنما انتقل إلى مكان فيه النصر أرجى .

مع سورة الأنفال

والآية واضحة الدلالة فى أن التولى والفرار من المعارك من المعاصى الكبيرة ، بل من أكبرها وعرض الحديث النبوى الشريف السبع خصال الموبقات ، فجاء فيها التولى يوم الزحف .

ولا تعنى الآية أن يلقى المؤمنون بأنفسهم إلى التهلكة ، فحين لايجد الشخص أمامه إلا الفرار أو الموت ، له أن ينجو بنفسه ، ولايعد فارا من المعركة ، وقد حدث هذا فى حياة النبى - ﷺ - يوم أحد ، اذ تولى فريق من المسلمين حين التقاء الجمعين ، وعفا الله - سبحانه - عنهم ، لأنهم لم يكن لهم رغبة فى هزيمة المسلمين ، ولا تولوا كسلا وايثارا للراحة ، وفيهم جاءت الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ وفر المسلمون أيضا يوم حنين إذ أعجبتهم كثرتهم وغفلوا عن التوكل على الله ، ولكن الله أخيرا نصرهم ، فهذه إذن رخصة للذين لم يثبتوا وينقلبون عن حسن نية وقصد ، قال الامام ابن كثير : حتى لو كان (المقاتل) فى سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل فى هذه الرخصة .

وعن عبد الله بن عمر : قال : كنت فى سرية من سرايا رسول الله - ﷺ - فحاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب .. فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله - ﷺ - فان كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فقال : من القوم ؟.. فقلنا : نحن الفرارون . فقال : لا . بل أنتم العكارون ، أنا فئتكم ، أنا فئة المسلمين ، والعكارون العرافون ، وكذا فعل عمر مع بعض الناس يوم القادسية ، قالوا هلكنا وفررنا من الزحف ، قال : لا ، بل أنا فئتكم .

ومهما يكن من شيء فالآية تهول الفرار ، ولكن لا توحى بالإلقاء إلى التهلكة .

ومن الأقوال التى لاتستحق الاهتمام بها أن الآية منسوخة ، أو أنها خاصة بغزوة بدر بدليل ومن يولهم يومئذ - أى فى هذا اليوم وفيما ذكرناه كفاية .

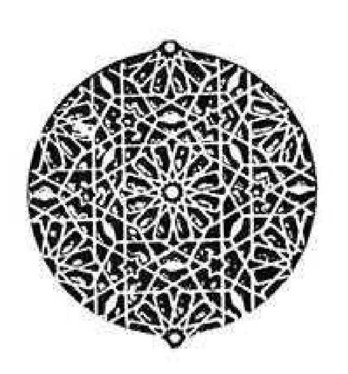

قبس من أنوار النبوة

التحلل من المظالم

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « من كان عنده مظلِمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » . رواه البخارى .

١ ـ مظلِمة بكسر اللام ـ المظلمة والظلامة اسم لما أخذه الظالم من المظلوم .

٢ ـ العرض بكسر العين ـ النفس أو الحسب والشرف أو موضع المدح والذم .

٣ ـ التحلل ـ أن تطلب ممن ظلمناه أن يجعلنا فى حل ـ وذلك بأدائه إليه أو أن أو أن تستسمحه فى .

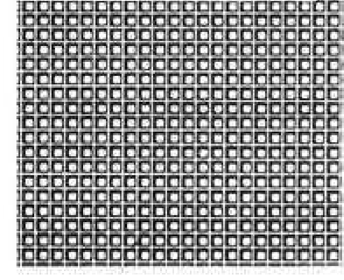

يحرص الإسلام كل الحرص على العدل بين الناس ، وإعطاء كل ذى حق حقه والإنسان فى الدنيا فى اختبار وابتلاء وتكليف ومزرعة للآخرة يجتنى فيها أطيب الثمار - إن ابتعد عن الظلم ، واتصف بالعدل مع نفسه ومع غيره ، قال الله تعالى فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم : « يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله عليه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

ولقد حذر الإسلام اتباعه من الظلم والمظالم ، كما حذر من العوامل المؤدية إلى أنواع الظلم وهى كثيرة يجمعها قوله - ﷺ - : فى خطبته فى حجة الوداع - فيما رواه البخارى ومسلم - إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » .

والله تعالى : حرم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين عباده ، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة .

والظلم ثلاثة أنواع : نوع لا يغفره الله ، وهو الشرك بالله قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾

(سورة النساء - آية : ٤٨)

ونوع لا يترك الله منه شيئاً : وهو ظلم العباد بعضهم لبعض فمن كمال عدله : أن يقتص للخلق بعضهم من بعض بقدر مظالمهم .

ونوع تحت مشيئة الله : إن شاء عاقب عليه ، وإن شاء عفا عن أهله ؛ هو الذنوب التى بين العباد وبين ربهم فيما دون الشرك .

فماذا أعده الظالم للنجاة والتخلص من ظلمه فى الدنيا قبل يوم القيامة إن الرسول - ﷺ - يرشدنا إلى سرعة التحلل من المظالم أياً كان نوعها فى العرض أو النفس أو المال : والتحلل من صاحب الحق الذى وقع عليه الظلم أو من ورثته برد الحق إلى صاحبه أو بتمكينه من القصاص أو بأن يستسمحه ، حتى يصفح عنه ويبرئه ويعفو عنه .

والتحلل من المظالم شرط أساسى للتوبة إلى الله تعالى : بان يبرأ من حق صاحبها بردها ، أو طلب عفوه . قبل أن لا يكون دينار ولا درهم وذلك فى يوم القيامة ، يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً .

ثم يصور الحديث الشريف ما يقع فى هذا اليوم ، وكيف تؤخذ الحقوق لأصحابها : إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، فيعطى للمظلوم .

عن ابى هريرة رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار - رواه الإمام مسلم - .

وقد اختلف العلماء : هل يستحل من الغيبة أم لا - بعد أن اتفقوا على أنها من الكبائر - وتجب التوبة إلى الله منها لقوله تعالى :

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

(سورة الحجرات - آية : ١٢)

وقول النبى - ﷺ - : « دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » .

قبس من أنوار النبوة

فقال بعض العلماء : ليس على المغتاب استحلال ، لأنها خطيئة بينه وبين ربه ، واستدلوا بأنه لم يأخذ شيئاً من ماله ، ولم يصب من بدنه ما ينقصه ، فليس فى ذلك مظلمة يستحلها منه ، والمظلمة إنما تكون فى المال والبدن .

وقال بعض العلماء : إن الغيبة مظلمة ، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذى اغتبته .

وقال فريق ثالث من العلماء : إن الغيبة مظلمة وعلى من أغتاب الاستحلال منها ، واستدلوا بالحديث الذى صدرنا الباب به، وقد رجح الرأى الأخير، حيث إن حديث الرسول ﷺ يدل ويحث على التحليل، والتحليل يؤدى إلى التعاطف والتراحم ما لم يترتب على الاستحلال خطر أشد ، أو اندلاع فتنة ، فإنه حينئذ يمسك عن الإستحلال حتى يواتيه الظرف المناسب له وعليه أن يتوب ويستغفر لأخيه .

ونستخلص من الحديث الذى بين أيدينا : أولاً دعوة الإسلام إلى انتشار العدل فى الحياة ومقاومة الظلم فى جميع صوره وأشكاله .

ثانياً : معالجة الإسلام لمشاكل المجتمع برفع الظلم عن المظلومين حتى يسود العدل وتنعم الحياة بالرفاهية والخير .

ثالثاً : إن صاحب الحق لا يضيعه الله ، فإن ضاع حقه فى الدنيا ولم يستطع الحصول عليه ، فإن الله تعالى سوف يرده له يوم القيامة بالحسنات التى يأخذها من الظالم أو بالسيئات التى تطرح على الظالم ــ وما ربك بظلام للعبيد ــ .

رابعاً : إن الله عز وجل يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته فهو سبحانه يمهل ولا يهمل ــ كما قال فى محكم كتابه :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾

(سورة إبراهيم ــ آية ٤٢)

جعلنا من عباده المتقين ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وحفظنا من الظلم ، ونجانا من القوم الظالمين ، إنه على ما يشاء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

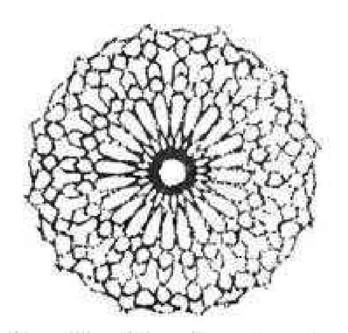

أحكام نية الصوم

للدكتور : محمد حسين قنديل

تحدث الكاتب فى المقال الأول عن : حكم نية الصوم ، ووقتها فى الفرض على ضوء آراء الفقهاء ، مع مناقشة هذه الآراء واختيار الراجع منها .

وهنا فى هذا المقال يناقش مايترتب على هذا الرأى من خلال الفروع الآتية ....

ثم يتناول آراء الفقهاء فى تعيين النية المجزية للصوم وحكم من نوى إبطال صومه .. وصيام يوم الشك .

• الأستاذ المساعد بقسم الفقه المقارن جامعتى الأزهر وقطر الشقيقة

الفرع الأول

هل الليل كله وقت للنية أم لا ؟

تصح النية فى جميع الليل مابين غروب الشمس وطلوع الفجر ، فلو نوى الصوم فى صلاة المغرب صحت نيته عند جمهور أصحاب الشافعى ..

وفى وجه عند الشافعية : أنه لاتصح النية إلا فى النصف الثانى من الليل ، ونسبه السرخسى فى الأمالى إلى أبى الطيب بن سلمة .

وجه القول الأول :

حديث حفصة السابق . ولأنا لو أوجبنا النية فى النصف الثانى ضاق على الناس ذلك وشق .

ووجه القول الثانى :

القياس على أذان الصبح والدفع من المزدلفة وناقش النووى هذا فقال[48] : وأما قياس أبى سلمة على أذان الصبح والدفع من المزدلفة ، فقياس عجيب ، وأى علة تجمعهما ، ولو جمعتهما علة فالفرق ظاهر ، لأن اختصاص الأذان والدفع بالنصف الثانى لا حرج فيه بخلاف النية ، فقد يستغرق كثير من الناس النصف الثانى بالنوم فيؤدى إلى تفويت الصوم ، وهذا حرج شديد لا أصل له .

وبعد أن نقل النووى القولين السابقين نقل أيضا تغليط الشافعية لأبى الطيب فقال : واتفق أصحابنا على تغليطه فيه .

ومما يدل على قوة القول الأول قوله عليه السلام « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل » ، فليس فيه التحديد الذى حده ، ولأنه نوى من الليل فصح صومه كما لو نوى فى النصف الأخير ولم يفعل ماينافى الصوم ، ولأن تخصيص النية بالنصف الأخير يفضى إلى تفويت الصوم ، لأنه وقت النوم وكثير من الناس لاينتبه فيه ولا يذكر الصوم ، والشارع إنما رخص فى تقديم النية على ابتدائه لحرج اعتبارها عنده ، فلا يخصها بمحل لاتندفع المشقة بتخصيصها به ، ولأن تخصيصها بالنصف الأخير تحكم من غير دليل ، ولا يصح إعتبار الصوم بالأذان والدفع من مزدلفة لأنهما يجوزان بعد الفجر ، فلا يفضى منعهما فى النصف الأول إلى فواتهما بخلاف نية الصوم ، ولأن اختصاصهما بالنصف الأخير بمعنى تجويزهما فيه ، واشتراط النية بمعنى الإيجاب والتحتم وفوات الصوم بفواتها فيه ، وهذا فيه مشقة ومضرة بخلاف التجويز ، ولأن منعهما فى النصف الأول لايفضى إلى اختصاصهما بالنصف الأخير لجوازهما بعد الفجر والنية بخلافه[49] .

وكما لاتصح النية قبل الغروب لاتصح بعد انقضاء الليل ولو بلحظة ، خلافا لأبى حنيفة كما سبق ، وهل تصح مع الفجر ؟ .

قال النووى : الصحيح لاتصح ، لأن أول وقت الصوم يخفى ، فوجب تقديم النية عليه ، بخلاف سائر العبادات[50] .

وعند المالكية : يصح أن يكون أقترانها مع الفجر ، لأن الأصل فى النية أن تكون مقارنة لأول العبادة ، وإنما جوز الشرع تقديمها لمشقة تحرير الاقتران[51]

الفرع الثانى

حكم من نوى بالليل ثم فعل ماينافى الصوم؟

إذا نوى بالليل الصوم ثم أكل أو شرب أو جامع أو أتى بغير ذلك من منافيات الصوم ، لم تبطل نيته ، وهكذا لو نوى ونام ثم انتبه قبل الفجر ، لم تبطل نيته ، ولا يلزمه تجديدها .

هذا هو الصواب الذى نص عليه الشافعى وقطع به جمهور الأصحاب .

---

(48) أنظر : المجموع ٦/٢٩٠ — ٢٩١ .

(49) أنظر : المغنى ٩٢/٣ — ٩٣

(50) أنظر : المجموع ٢٨٨/٦ .

(51) انظر : مواهب الجليل من أدلة خليل ٣٠/٢

أحكام نية الصــوم

وحكى عن ابن إسحق المروزى — أحد فقهاء الشافعية — أنه قال تبطل نيته بالأكل والجماع وغيرهما من المنافيات ، ويجب تجديدها ، فإن لم يجددها لم يصح صومه ، ولو استمر نومه إلى الفجر لم يضره ، وصح صومه[٥٢] .

وحجة الشافعى ومن معه : أن الله تعالى أحل الأكل إلى طلوع الفجر ، فقال تعالى[٥٣] :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ فلو كان الأكل يبطل النية لما جاز أن يأكل إلى الفجر لأنه يبطل النية[٥٤] .

ورد النووى وغيره قول أبى إسحاق وقال : (هذا المحكى عن أبى إسحاق غلط بإتفاق الأصحاب) .

وقال القاضى أبو الطيب فى المجرد هذا الذى قاله أبو إسحاق غلط قال وحكى أن أبا سعيد الاصطخرى لما بلغه قول أبى إسحاق هذا قال هذا خلاف إجماع المسلمين قال ويستتاب أبو إسحاق هذا .

ثم قال النووى بعد هذا : (فحصل أن الصواب أن النية لاتبطل بشىء من هذا قال إمام الحرمين وفى كلام العراقيين تردد فى أن الغفلة هل تنزل منزلة النوم يعنى أنه إذا تذكر بعدها يجب تجديد النية على الوجه المنسوب إلى أبى إسحاق قال والمذهب إطراح كل هذا والله أعلم[٥٥]

(٥٢) أنظر : المجموع ٢٩١/٦

(٥٣) الآية رقم : ١٨٧ من سورة البقرة .

(٥٤) أنظر : المجموع ٢٨٨/٦ .

(٥٥) أنظر : المرجع السابق .

ووافق الحنابلة صحيح مذهب الشافعية فقالوا[٥٦] : لو نوى الصوم من الليل ، ثم أتى بعد النية فيه بما يبطل الصوم ، لم تبطل النية ، لظاهر قوله ﷺ : « من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له » .

الفرع الثالث

حكم من ظهر له وجوب الصيام نهاراً

من ظهر له وجوب الصيام عليه من النهار فى رمضان ، كالمجنون يفيق ، والصبى يحتلم ، والكافر يسلم ، والمسلم الذى يتكشف له من النهار أن ذلك اليوم من رمضان ، فهل يصح صومه أم لا ؟

على مذهب أبى حنيفة وأصحابه الذين يعتبرون صوم من نوى قبل منتصف النهار صحيحا ، فالحكم واضح ، وهو صحة صوم من ظهر له وجوب الصيام عليه نهارا .

ويرى ابن حزم أن من نسى أن ينوى من الليل فى رمضان فأى وقت ذكر من النهار التالى لتلك الليلة سواء أكل وشرب ووطىء أو لم يفعل شيئا من ذلك ـ فإنه ينوى الصوم من وقته إذا ذكر ، ويمسك عما يمسك عنه الصائم ، ويجزئه صومه ذلك تماما ، ولاقضاء عليه ، ولو لم يبق عليه من النهار ، إلا مقدار النية فقط ، فإن لم ينو كذلك فلا صوم له ، وهو عاصى لله تعالى متعمد لإبطال صومه ، ولايقدر على القضاء .

وكذلك من جاءه الخبر بأن هلال رمضان رئى البارحة ـ فسواء أكل وشرب ووطىء أو لم يفعل شيئا من ذلك ـ فى أى وقت جاء الخبر من ذلك اليوم ولو فى آخره كما ذكرنا ـ فإنه ينوى الصوم ساعة صح الخبر عنده ، ويمسك عما يمسك عنه الصائم ، ويجزئه صومه ، ولاقضاء عليه ، فإن لم يفعل فصومه باطل[٥٧]

(٥٦) أنظر : كشاف القناع ٣١٥/٢ .

(٥٧) انظر : المحلى بالآثار ٢٩٠/٤ .

وحجة هذا ماروى عن سلمة بن الأكوع قال : « بعث رسول الله ﷺ رجلا من أسلم يوم عاشوراء ، فأمره أن يؤذن فى الناس : من كان لم يصم فليصم ، ومن كان أكل فليتم صيامه » ، ولم يثبت أنه أمرهم بالقضاء[58] .

ورد ابن حجر هذا فقال[59] : لأن الأمر بالإمساك لايستلزم الإجزاء ، فيحتمل أن يكون أمرا بالإمساك لحرمة الوقت ، كما يؤمر من قدم من سفر فى رمضان نهارا ، وكما يؤمر من أفطر يوم الشك ثم رأى الهلال ، وكل ذلك لاينافى أمرهم بالقضاء .

وقد بين ابن حجر أن الرسول ﷺ أمر بالقضاء صريحا فى حديث أخرجه أبو داود والنسائى ، وجاء فيه « أن أسلم أتت النبى ﷺ فقال : صمتم يومكم هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فأتموا بقية يومكم واقضوه » .

ثم قال : إنه على تقدير عدم ثبوت هذا الحديث فى الأمر بالقضاء ، فلا يتعين ترك القضاء ، لأن من يدرك اليوم بكماله يلزمه القضاء ، كمن بلغ أو أسلم أثناء النهار .

وأرجح ماقاله ابن حجر من أن من ظهر له وجوب الصيام من النهار فى رمضان يمسك وعليه القضاء لقوة ما استدل به ــ والله أعلم بالصواب ــ

الفرع الرابع
آراء الفقهاء فى النية لكل يوم من كل صوم

إختلف الفقهاء فى النية لكل يوم ، وذلك على رأيين :

الرأى الأول[60] : يرى أبو حنيفة ، والشافعى ، وإسحاق بن راهوية ، والظاهرية ، وابن المنذر ورواية عن أحمد ، أن كل يوم يفتقر إلى نية سواء نية صوم رمضان والقضاء والكفارة والنذر والتطوع .

ودليله : أن صوم رمضان واجب ، فوجب أن ينوى كل يوم من ليلته كالقضاء ، ولأن هذه الأيام عبادات لايفسد بعضها بفساد بعض ويتخللها ماينافيها فأشبهت القضاء .

الرأى الثانى[61] : ذهب المالكية ، والحنابلة فى رواية إلى أن المسلم إذا نوى فى أول ليلة من رمضان صوم جميع الشهر جاز وكفاه لجميعه ، ولايحتاج إلى نية لكل يوم .

واستدلوا على ذلك بأدلة منها : ١ ــ أن الرسول ﷺ يقول : « ولكل امرىء مانوى » وهذا نوى صيام الشهر فله مانوى .

٢ ــ وأن الصوم عبادة واحدة فكفته نية واحدة كالحج وركعات الصلاة[62] .

تعقيب وترجيح :

من ينظر فى أدلة الرأى الثانى يجد أن حديث عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ يشترط وجود النية لصحة العمل ، وهذا عام فى جميع الأعمال ، وحديث حفصة ــ رضى الله عنها ــ يدل على أن رمضان لايصح صومه إلا تبييت النية من الليل ، فكل يوم لابد فيه من تبييت النية كما يفهم ظاهر الحديث ، وهو خاص فيقدم على حديث عمر .

وقياس الصوم على الحج والصلاة مردود ، لأن الحج عمل واحد ، ولايتم إلا بفعل ما اعتبره الشارع من المناسك ، والاخلال بواحد من أركانه يستلزم عدم إجزائه ، بخلاف الصوم ، وأيضا الصلاة كالحج لايصح قياس الصوم عليها .

ولكل ماسبق ترجح رأى الجمهور فى أن كل يوم يفتقر إلى نية ــ والله أعلم بالصواب ــ

---

(٥٨) انظر : المرجع السابق ٢٩١/٤ ــ ١٩٢

(٥٩) انظر : فتح البارى ١٤٢/٤

(٦٠) انظر : شرح فتح القدير ٢٣٤/٢ ، المجموع ٣٠٢/٦ ، المغنى ٩٣/٣ ، المحلى بالآثار ٢٨٥/٤ .

(٦١) انظر : مواهب الجليل من أدلة خليل ٣١/٢ ، المغنى ٩٣/٣ .

(٦٢) انظر : المغنى ٩٣/٣ ــ ٩٤ .

أحكام نية الصـــوم

المطلب الثانى
فى تحديد وقت النية فى صوم التطوع

إختلف الفقهاء فى تحديد وقت النية فى صوم التطوع على رأيين :

الرأى الأول[٦٣] : ذهب أبو حنيفة ، والشافعى ، إلى صحة صوم التطوع بنية قبل الزوال . وبهذا قال على ابن أبى طالب وابن مسعود وحذيفة بن اليمان ، وطلحة وأبو أيوب الأنصارى ، وابن عباس .

وأطلق الحنابلة فى هذا وقالوا : يجوز صوم التطوع بنية من النهار .

أدلته : ١ ـ حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل علىّ النبى ﷺ ذات يوم فقال : « هل عندكم شىء » فقلنا : لا ، قال : « فإنى إذا صائم » . ثم أتانا يوماً آخر ، فقلنا : يا رسول الله أهدى لنا حيس[٦٤] ، فقال : « أرنيه فلقد أصبحت صائما » فأكل . رواه مسلم[٦٥] .

٢ ـ وروى البيهقى والشافعى بالإسناد الصحيح عن حذيفة أنه بدا له الصوم بعد ما زالت الشمس فصام[٦٦] .

٣ ـ والأحاديث الواردة فى عاشوراء تدل على أن النبى ﷺ أمر بالإمساك بنية من النهار متى علموا بوجوب صوم عاشوراء عليهم ، فإذا جاز هذا فى الفرض ، فيجوز فى التطوع من باب أولى .

٤ ـ ولأن الصلاة يخفف نفلها عن فرضها بدليل أنه لا يشترط القيام لنفلها ويجوز فى السفر على الراحلة إلى غير القبلة ، فكذا الصيام[٦٧] .

الرأى الثانى[٦٨] : يرى الإمام مالك أنه لايجوز صوم النفل إلا بنية من الليل كالفرض ، وبهذا قال ابن عمر ، وأبو الشعثاء ، وجابر بن زيد التابعى ، وزفر ، والظاهرية ، والمزنى وأبو يحيى البلخى من الشافعية ، ونقل ابن المنذر عن مالك أنه استثنى من يسرد الصوم فصحح نيته فى النهار .

دليله : ١ ـ حديث حفصة وعائشة السابق : « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل » فهو عام فى الفرض والتطوع .

٢ ـ ولأن الصلاة يتفق وقت النية لفرضها ونفلها ، وكذلك الصوم[٦٩] .

مناقشة أدلة الرأى الثانى : ناقش الجمهور أدلة المالكية ومن معهم فقالوا :

١ ـ حديث تبييت النية عام خصصه بما ذكرناه جمعا بين الأحاديث ، على أن حديثنا أصح من حديثهم ، فإنه من رواية ابن لهيعة ، ويحيى بن أيوب . قال الميمونى سألت أحمد عنه فقال أخبرك ماله عندى ذلك الإسناد إلا أنه عن ابن عمر وحفصة إسنادان جيدان[٧٠] .

٢ ـ وقياس الصوم على الصلاة مردود ، لأن الصلاة يتفق وقت النية لنفلها وفرضها ، ولأن اشتراط

---

(٦٣) أنظر : الهداية مع شرح فتح القدير ٢٤١/٢ ، المهذب ١٨٨/١ ، المجموع ٣٠٢/٦ ، الكافى ٣٦٢/١ الطبعة الثالثة بدولة قطر ١٣٩٣ هـ .

(٦٤) تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن عجناً شديداً ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق . أنظر : هامش مشكاة المصابيح ٦٤١/١ . المكتب الإسلامى .

(٦٥) المرجع السابق .

(٦٦) أنظر : المجموع ٣٠٣/٦ .

(٦٧) أنظر : المغنى ٩٦/٣ .

(٦٨) أنظر : مواهب الجليل من أدلة خليل ٣٠/٢ ، المجموع ٣٠٢/٦ ـ ٣٠٣ ، المحلى بالآثار ٢٩٦/٤ .

(٦٩) المغنى ٩٦/٣ .

(٧٠) أنظر المجموع ٣٠٣/٦ ، المغنى ٩٦/٣ .

النية فى أول الصلاة لايفضى إلى تقليلها ، بخلاف الصوم فإنه يعين له الصوم من النهار ، فعفى عنه كما لو جوزنا التنفل قاعدا وعلى الراحلة لهذه العلة[٧١] .

مناقشة أدلة الرأى الأول :

١ ـ ناقش ابن حزم حديث عائشة السابق والذى ورد فى أدلة الرأى الأول فقال[٧٢] : هذا الخبر صحيح عن رسول الله ﷺ إلا أنه ليس فيه أنه عليه السلام لم يكن نوى الصيام من الليل ، ولا أنه عليه السلام أصبح مفطرا ثم نوى الصوم بعد ذلك ، ولو كان هذا فى ذلك الخبر لقلنا به ، لكن فيه : أنه عليه السلام كان يصبح متطوعا صائما ثم يفطر ، وهذا مباح عندنا لا نكرهه ، كما فى الخبر ، فلما لم يكن فى الخبر ماذكرنا ، وكان قد صح عنه عليه السلام « لاصيام لمن لم يبيته من الليل » لم يجز أن نترك هذا اليقين لظن كاذب .

ولو أنه عليه الصلاة والسلام أصبح مفطرا ثم نوى الصوم نهار البينة ، كما بين ذلك فى صيام عاشوراء إذ كان فرضا ، والتسامح فى الدين لايحل ؟!

ووافق الصنعانى ابن حزم فيما ذهب إليه ، فبعد أن ساق حديث عائشة الذى احتج به الجمهور قال[٧٣] : (فالجواب عنه أنه أعم من أن يكون بيت الصوم أولا ، فيحمل على التبييت ، لأن المحتمل يُردّ إلى العام ونحوه على أن فى بعض روايات حديثها « إنى كنت أصبحت صائما » والحاصل أن الأصل عموم حديث التبييت وعدم الفرق بين الفرض والنفل والقضاء والنذر ولم يقم مايرفع هذين الأصلين فتعين البقاء عليهما) .

ويمكن الإجابة على ماذكراه بأنه ورد فى رواية البيهقى « إذن أصوم » ، وهذا يدل على أن النبى ﷺ أحدث النية من النهار .

وأيضا روى عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أنهم كانوا يحدثون النية من النهار ، فعائشة تقول : « إنى لأصبح يوم طهرى حائضا وأنا أريد الصوم ، فأستبين طهرى فيما بينى وبين نصف النهار فأغتسل ثم أصوم ؟ » .

ومعاذ بن جبل كان يسأل الغداء ، فإن لم يجده صام يومه .

وأخبر عبيد الله بن عمر : أن أبا هريرة كان يصبح مفطرا ، فيقول : هل من طعام ؟ فيجده ، أو لا يجده ، فيتم ذلك اليوم .

وروى أن رجلا سأل عليا بن أبى طالب ، فقال : أصبحت ولا أريد الصوم ؟ فقال له على : أنت بالخيار بينك وبين نصف النهار ، فإن انتصف النهار فليس لك أن تفطر[٧٤] .

٢ ـ ونوقش الدليل الثالث بأن صوم عاشوراء ، غير مساو لصوم رمضان حتى يقاس عليه ، فإنه ﷺ ألزم الإمساك لمن قد أكل ولمن لم يأكل ، فعلم أنه أمر خاص ، ولأنه إنما أجزأ عاشوراء بغير تبييت لتعذره ، فيقاس عليه ماسواه كمن نام حتى أصبح ، على أنه لايلزم من تمام الإمساك ووجوبه أنه صوم مجزىء[٧٥] .

وأجيب عن هذا بما سبق وإن ذكرناه فى مناقشة أدلة الأحناف فى تعين وقت النية لصوم الفرض .

الرأى الراجح فى الموضوع : بعد العرض السابق للآراء وأدلتها والمناقشات التى وردت عليها ، وما أجيب به عن بعضها يبدو لى أن الرأى الأول والذى ينص على صحة صوم التطوع بنية من النهار هو الراجح ، لقوة أدلته ، وسلامتها من المناقشة ، ولأن التطوع سومح فى نيته تكثيرا له بخلاف الفرض ـ والله أعلم بالصواب ـ

المدى الذى يصح أن يحدث فيه النية من النهار: ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن النفل كله يجوز بنية

---

(٧١) أنظر : المغنى ٩٦/٣ .
(٧٢) أنظر : المحلى بالآثار ٣٠٠/٤ .
(٧٣) أنظر : سبل السلام ٣١٤/٢ .
(٧٤) أنظر : المحلى بالآثار ٢٩٦/٤ ـ ٢٩٩ .
(٧٥) أنظر : سبل السلام ٣١٤/٢ .

أحكام نية الصوم

قبل الزوال ، ولايجوز الصوم بعد منتصف النهار ، لأنه عبادة قهر النفس ، وهى إنما تتحقق بإمساك مقدر . فيعتبر قران النية بأكثره[٧٦] .

وذهب الشافعي والأصحاب إلى صحة صوم التطوع بنية قبل الزوال ، وهل يصح بنية بعد الزوال ؟ فيه قولان :

أصحهما باتفاق الأصحاب وهو نصه فى معظم كتبه الجديدة وفى القديم لايصح .

ونص فى كتابين من الجديد على صحته (وهو القول الثانى) .

وعلى القول الثانى يصح فى جميع ساعات النهار وفى آخر ساعة ، لكن يشترط أن لايتصل غروب الشمس بالنية بل يبقى بينهما زمن ولو أدنى لحظة[٧٧] .

وقال الحنابلة[٧٨] : يصح صوم نفل بنية من النهار قبل الزوال وبعده . ويدل لصحته بنية بعد الزوال : أنه قول معاذ وابن مسعود وحذيفة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مايخالفه صريحا .

ولأن النية وجدت فى جزء من النهار ، فأشبه وجودها قبل الزوال بلحظة .

والراجح قول الحنابلة ومن وافقهم ، لقوة أدلتهم ، ولأن النصوص الدالة على جواز الصوم بالنية من النهار لم تفرق بين إحداث النية قبل الزوال وبعده ـ والله أعلم بالصواب ـ

شرط من أجاز صوم النفل بنية من النهار : اشترط القائلون بصحة صيام من أحدث النية من النهار أن تتوافر جميع شروط الصوم من أول النهار ، فإن كان أكل أو جامع أو فعل غير ذلك من المنافيات لم يصح صومه[٧٩] .

وحكى عن أبى العباس بن سريج ومحمد بن جرير الطبرى والشيخ أبى زيد المروزى وغيرهم أن من أكل أو جامع من النهار ثم نوى صح صومه .

وهذا خلاف قول جماهير العلماء كما قال النووى .

ويدل على بطلانه شرط الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى الليل الوارد فى قوله تعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ ﴾

المقدار الذى يثاب عليه الناوى من النهار : ذهب الأحناف إلى أن صوم التطوع يصح بنية قبل الزوال ، ويصير صائما من أول النهار[٨٠] .

وذهب الشافعية فى الأصح عند الأصحاب إلى أنه يثاب من طلوع الفجر ، لأنه لو كان صائما من وقت النية لم يضره الأكل قبلها .

وقال أبو إسحاق المروزى يكون صائما من وقت النية ، لأن ما قبل النية لم يوجد فيه قصد القربة ، فلم يجعل صائما فيه .

ورد رأى أبى إسحاق من قبل الأصحاب فقالوا : هو غلط ، لأن الصوم لايتبعض ، ولأن المسبوق فى الصلاة يدرك الإمام راكعا فيحصل له ثواب جميع الركعة باتفاق الأصحاب[٨١] .

وقال الحنابلة[٨٢] : ويحكم بالصوم الشرعى المثاب عليه من وقت النية ، لأن ماقبله لم يوجد فيه قصد

---

(٧٦) أنظر : الهداية المطبوع مع فتح القدير ٢٤١/٢ ـ ٢٤٢ .
(٧٧) أنظر : المجموع ٢٩٢/٦ .
(٧٨) أنظر : كشاف القناع ٣١٧/٢ .
(٧٩) أنظر : المجموع ٢٩٣/٦ .
(٨٠) أنظر : الهداية مع شرح فتح القدير ٢٤٢/٢
(٨١) أنظر : المجموع ٢٩٢/٦ ـ ٢٩٣ .
(٨٢) أنظر : كشاف القناع ٣١٧/٢ .

القربة ، فلا يقع عبادة لقوله ﷺ « وإنما لكل امرىء مانوى » .

ولعل ماذهب إليه الأحناف ومن وافقهم هو الراجح لقوة حجتهم ، ولأن الصوم إنما يكون يوما كاملا من الفجر إلى الليل كما جاء فى القرآن الكريم ـ والله أعلم بالصواب ـ

المبحث الثالث
آراء الفقهاء فى تعيين النية المجزية للصوم

أختلف الفقهاء فى تعيين النية المجزية فى ذلك على رأيين :

الرأى الأول[83] : ذهب الإمام مالك ، والشافعى ، وأحمد فى أظهر روايتيه ، وإسحاق وداود إلى أن صوم رمضان وغيره من الصوم الواجب لايصح إلا بتعيين النية ، وأن نية الفريضة واجبة ، وإن كان الأرجح عند الشافعية والحنابلة عدم اشتراطها .

وحجة هذا القول :

١ ـ قوله ﷺ « وإنما لكل امرىء مانوى » ، فهذا ظاهر فى اشتراط التعيين ، لأن أصل النية فهم اشتراطه من أول الحديث « إنما الأعمال بالنيات » .

٢ ـ ولأنه صوم واجب ، فوجب تعيين النية له كالقضاء وطواف الزيارة[84] .

٣ ـ ولأنه قربة مضافة إلى وقتها فوجب تعيين الوقت فى نيتها كصلاة الظهر والعصر[85] .

وعلل القائلون باشتراط نية الفرضية رأيهم فقالوا : لأن صوم رمضان قد يكون نفلا فى حق الصبى فافتقر إلى نية الفرض ليتميز عن صوم الصبى .

ورد القائلون بعدم اشتراط نية الفريضة هذا فقالوا : صوم رمضان لايفتقر إلى ذلك ، لأن رمضان فى حق البالغ لايكون إلا فرضا ، فلا يفتقر إلى تعيين الفرض[86] .

الرأى الثانى[87] : قال أبو حنيفة وأصحابه لايجب تعيين النية فى صوم رمضان ، فلو نوى فيه صوما واجبا ، أو صوما مطلقا أو تطوعا وقع عن رمضان إن كان مقيما .

فإذا نوى المسافر عند أبى حنيفة فى رمضان صيام غيره كان مانوى ، لأنه لم يجب عليه صوم رمضان وجوبا معينا . ولم يفرق صاحباه بين المسافر والحضر وقالا : كل صوم نوى فى رمضان أنقلب إلى رمضان .

واحتج أبو حنيفة بالقياس على الحج .

وناقش النووى دليل أبى حنيفة فقال[88] : قياس الصوم على الحج مردود ، لأن الحج مبنى على التوسعة ، ولهذا لايخرج منه بالإفساد ، ويصح تعليقه على إحرام كإحرام غيره .

وقال ابن قدامة[89] : الحج مخالف للصوم ، ولهذا ينعقد مطلقا وينصرف إلى الفرض ، ولو حج عن غيره ولم يكن حج عن نفسه وقع عن نفسه ، ولو نوى الإحرام بمثل ما أحرم به فلان صح وينعقد فاسدا بخلاف الصوم .

الرأى الراجح فى الموضوع: بالنظر فى الرأيين السابقين وأدلتهما يتبين لى أن رأى المالكية ومن معهم هو الراجح لقوة حجتهم ، ولأن الصوم المفروض لايتميز عما سواه إلا بقصده وتعيينه تعينا واضحا حتى لايختلط بغيره .. والله أعلم بالصواب ..

---

(٨٣) أنظر : بداية المجتهد ١/٢٩٢ . دار المعرفة . بيروت ، المجموع ٦/٣٠٢ ، المغنى ٣/٩٤ .
(٨٤) أنظر : المغنى ٣/٩٥ .
(٨٥) أنظر : المجموع ٦/٢٩٤ .
(٨٦) أنظر : المرجع السابق .
(٨٧) أنظر : فتح القدير المطبوع مع شرحه ٢/٢٣٩ ـ ٢٤٠ .
(٨٨) أنظر : المجموع ٦/٣٠٢ .
(٨٩) أنظر : المغنى ٣/٩٥ .

أحكام نية الصـــوم

المبحث الرابع
حكم من نوى وهو صائم إبطال صومه

إذا دخل المسلم في صوم ثم نوى قطعه فهل يبطل ؟

قال الشافعية[90] : من دخل فى الصوم ونوى الخروج منه بطل صومه ، لأن النية شرط فى جميعه ، فإذا قطعها فى أثنائه بقى الباق بغير نية ، فبطل ، وإذا بطل البعض بطل الجميع ، لأنه لاينفرد بعضه عن بعض .

ومن أصحابنا من قال لايبطل ، لأنه عبادة تتعلق الكفارة بجنسها ، فلم تبطل بنية الخروج كالحج ، والأول أظهر ، لأن الحج لا يخرج منه بما يفسده ، والصوم يخرج منه بما يفسده ، فكان كالصلاة .

وقال الحنابلة[91] : من نوى الإفطار أفطر ، لأنه قد قطع نية الصوم بنية الإفطار ، فكأنه لم يأت بها ابتداء ، فصار كمن لم ينو الصوم ، لا كمن أكل ونحوه ، فلو كان نوى الإفطار فى نفل ثم عاد نواه نفلا صح .

وقال الظاهرية[92] :من نوى وهو صائم إبطال صومه بطل ، إذا تعمد ذلك ذاكرا ، لأنه فى صوم وإن لم يأكل ولاشرب ولا وطىء لقول رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى » ، فصح يقينا أن من نوى إبطال ماهو فيه من الصوم فله مانوى بقوله عليه الصلاة والسلام الذى لاتحل معارضته ، وهو قد نوى بطلان الصوم ، فله بطلانه ، فلو لم يكن ذاكرا لأنه فى صوم لم يضره شيئا ، لقوله تعالى[93] :

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَاتَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُم ﴾ .

ومما سبق يتضح لى أن فى المسألة قولين ، الأول : يرى القائلون به أن من دخل فى الصوم ثم نوى الخروج منه بطل صومه . والثانى : يرى أنه لايبطل . والراجح الأول ، لقوة حجته ـ والله أعلم بالصواب ـ

صيام يوم الشك

يوم الشك : هو يوم الثلاثين من شعبان إذا وقع فى السنة الناس إنه رؤى ، ولم يقل عدل إنه رآه ، أو قاله وقلنا لاتقبل شهادة الواحد ، أو قاله عدد من النساء ، أو الصبيان ، أو العبيد ، أو الفساق ، وهذا لاخلاف فيه عند أصحاب الشافعى .

وقيل : إن كانت السماء مصحية ولم ير الهلال فهو شك[94] .

وقد نهى الرسول ﷺ أمته عن صيام اليوم أو اليومين السابقين عن شهر رمضان ، فقال فى الحديث الذى رواه أبو هريرة : « لاتقدموا الشهر بيوم ولايومين إلا أن يوافق صوما كان يصومه أحدكم »[95] .

وعد النبى ﷺ من يفعل ذلك عاصيا ، فقال فى الحديث الذى رواه عمار ـ رضى الله عنه ـ « من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ »[96] .

---

(٩٠) أنظر : المهذب ١٨٨/١ .

(٩١) أنظر : كشاف القناع ٣١٦/٢ .

(٩٢) أنظر : المحلى بالآثار ٣٠٢/٤ .

(٩٣) سورة الأحزاب الآية : ٥

(٩٤) انظر : المجموع ٤٠١/٦ ـ ٤٠٢ .

(٩٥) صحيح البخارى مع فتح البارى ١٣٧/٤ .

(٩٦) رواه أبو داود والترمذى ، وقال : هو حديث حسن صحيح انظر المجموع ٣٩٩/٦ .

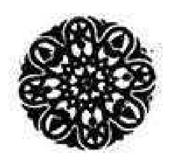

فإن صام أحد الناس اليوم السابق على رمضان ، فإن كان صوما قد اعتاده كأن يوافق الأثنين أو الخميس وهو قد أعتاد صيامهما فلا بأس فى ذلك كما هو نص حديث أبى هريرة السابق .

وإن صام فيه عن فرض عليه كره وأجزأه كما لو صلى فى دار مغصوبة ، وإن صام عن تطوع ولم يوافق عادة له ، لم يصح لأن الصوم قربة ، فلا يصح بقصد معصية[97] .

وإن صام يوم الشك عن رمضان لم يصح عند الشافعية بلا خلاف ، وحكاه ابن المنذر عن عمر بن الخطاب ، وعلى ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعمار وحذيفة وأنس وأبى هريرة وأبى وائل وعكرمة وابن المسيب والشعبى والنخعى وابن جريج والأوزاعى قال وقال مالك سمعت أهل العلم ينهون عنه هذا كلام ابن المنذر وممن قال به أيضا عثمان بن عفان وداود الظاهرى . قال ابن المنذر وبه أقول والأحاديث التى وردت فى هذا كثيرة ومشهورة منها حديث أبى هريرة وعمار السابقين ، وحديث ابن عمر قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا فإن غم عليكم فاقدروا له » رواه البخارى ومسلم ، وفى رواية لهما عن ابن عمر « أن النبى ﷺ قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تره فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » وعن أبى هريرة قال « قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فافطرو فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما » رواه مسلم[98] .

وقالت عائشة وأختها أسماء نصومه من رمضان .. وقال ابن عمر وأحمد بن حنبل إن كانت مصحية لم يجز صومه وإن كانت مغيمة وجب صومه عن رمضان ، وعن أحمد روايتان كمذهب الجمهور[99] .

ودليل هذا : مارواه البيهقى[100] عن عائشة أنها سئلت عن صوم يوم الشك فقالت « لأن أصوم يوما من شعبان أحب إلى من أن أفطر يوما من رمضان » ، وعن أسماء أنها كانت تصوم اليوم الذى يشك فيه من رمضان .

ورد البيهقى هذا القول ودليله فقال[101] : (وأما مذهب ابن عمر فى ذلك فقد روينا عنه أنه قال « لو صمت السنة كلها لافطرت اليوم الذى يشك فيه » ، وفى رواية عن عبد العزيز بن حكيم الحضرمى قال رأيت ابن عمر يأمر رجلا يفطر فى اليوم الذى يشك فيه ، قال ورواية يزيد بن هرون تدل على أن مذهب عائشة فى ذلك كمذهب ابن عمر فى الصوم إذا غم الشهر دون أن يكون صحوا ، ومتابعة السنة الثابتة وماعليه أكثر الصحابة وعوام أهل المدينة أولى بنا وهو منع صوم يوم الشك) .

وبعد العرض السابق نقول أن رأى الجمهور والذى ينص على عدم صحة صوم يوم الشك هو الراجح لقوة أدلته .

وفى حالة صوم يوم الشك بناء على تردد من الصائم ، بأن يقول ليلة الشك إن كان غدا من رمضان فهو فرض وإلا فهو نفل ، صح عند من لم يوجب تعيين النية لكل صوم يوم واجب ، لأنه نوى الصوم ونيته كافية ، ولايصح عند من أوجبه ، لأنه لم يجزم به والنية عزم جازم ، وهاتان روايتان عند الحنابلة .

---

(97) انظر : المرجع السابق .

(98) انظر : صحيح البخارى كتاب الصوم رقم (1909) ، وصحيح مسلم (كتاب الصيام) باب (2) رقم (1080) .

(99) انظر المجموع 6/403 .

(100) انظر المجموع 6/404 - 405 .

(101) أنظر : المرجع السابق .

أحكام نية الصوم

وإن نوى إن كان غدا من رمضان فأنا صائم والإفلا ، لم يصح على الروايتين ، لأنه شك فى النية لأصل الصوم[١٠٢] .

ونقل عن الشافعي فى رواية الربيع عنه أنه لايجزيه ، لأنه شاك غير متيقن ، والأصل عدم رمضان وبقاء شعبان[١٠٣]

وقد حمل أصحاب الشافعي قول الشافعي بـ « أنه إذا أصبح الرجل يوم الشك من رمضان ، وقد بيت الصوم من الليل على أنه من رمضان ، أن هذه نية كاملة له ، تؤدى عنه ذلك اليوم إن كان من شهر رمضان[١٠٤] » على أنه أراد بذلك إذا صام جازما معتقدا أن غدا من رمضان ، وذلك لوجود قرائن تدل على ذلك ، كأن يخبره من يثق به من امرأة أو صبى أو عبد ممن لايقبل الحاكم شهادته ، أما إذا صام بدون مستند ولاقرينة فصومه غير صحيح ، فإن قيل لو جزم بذلك من غير مستند ولا قرينة ، قالوا : ذلك مستحيل ، إذ كيف يجزم الانسان من غير دليل ، فالمرء لايجزم إلا إذا حصل لديه اعتقاد[١٠٥]

وقال الأحناف[١٠٦] : إن كان تردده فى أصل النية أى أن يصوم يوم غد « يوم الشك » إن كان من رمضان ، ولايصوم إن لم يكن منه ، لم يصح صومه ، فإن كان التردد فى كونه يصومه فرضا أو تطوعا صح ، لأن التردد هنا فى الوصف لافى الأصل .

فإن قيل كيف صححتم يوم الثلاثين من رمضان مع احتمال كونه من شوال ؟

فالجواب أن الصوم هنا استند إلى أصل وهو بقاء الصوم مالم ير الهلال ، كما فى الحديث « ولا تفطروا حتى تروه »[١٠٧] .

وقال ابن عقيل من الحنابلة[١٠٨] : إن قال إن كان غدا من رمضان فأنا صائم وإن كان من شوال فأنا مفطر ، لايصح صومه ، لأنه لم يجزم بنية الصيام ، والنية اعتقاد جازم ويحتمل أن يصح ، لأن هذا شرط واقع والأصل بقاء رمضان .

وماقاله ابن عقيل محل نظر ، لأن الأصل بقاء رمضان ، ولايصح الفطر إلا برؤية هلال شوال ، أو إكمال رمضان ثلاثين يوما كما أمر النبى ﷺ .

وأرى أن ماقاله الأحناف ، وأحمد فى أصح الروايتين عنه ، ومن وافقهم من صحة صوم يوم الشك إن كان التردد بين كونه فرضا أو نفلا ، هو الأولى بالقبول لما قاله ابن تيمية من أن النية تتبع العلم ، فإذا كان لايعلم أن غدا من رمضان ، فهذا لايجب عليه التعيين ، ومن أوجب التعيين مع عدم العلم ، فقد أوجب الجمع بين الضدين .. والله أعلم بالصواب ..

---

(١٠٣) أنظر : الأم ١٣٣/٧ . كتاب الشعب ١٣٨٨ هـ .
(١٠٤) أنظر : المرجع السابق .
(١٠٥) أنظر : المجموع ٢٩٦/٦
(١٠٦) الهداية مع فتح القدير ٥٦/٢ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٥٢ مؤسسة الحلبى وشركاه ١٣٨٧ هـ بالقاهرة .
(١٠٢) أنظر : الكافى لابن قدامة ٣٥١/١ . المكتب الإسلامى .
(١٠٧) أنظر المغنى ٩٤/٣ .
(١٠٨) أنظر : المرجع السابق .

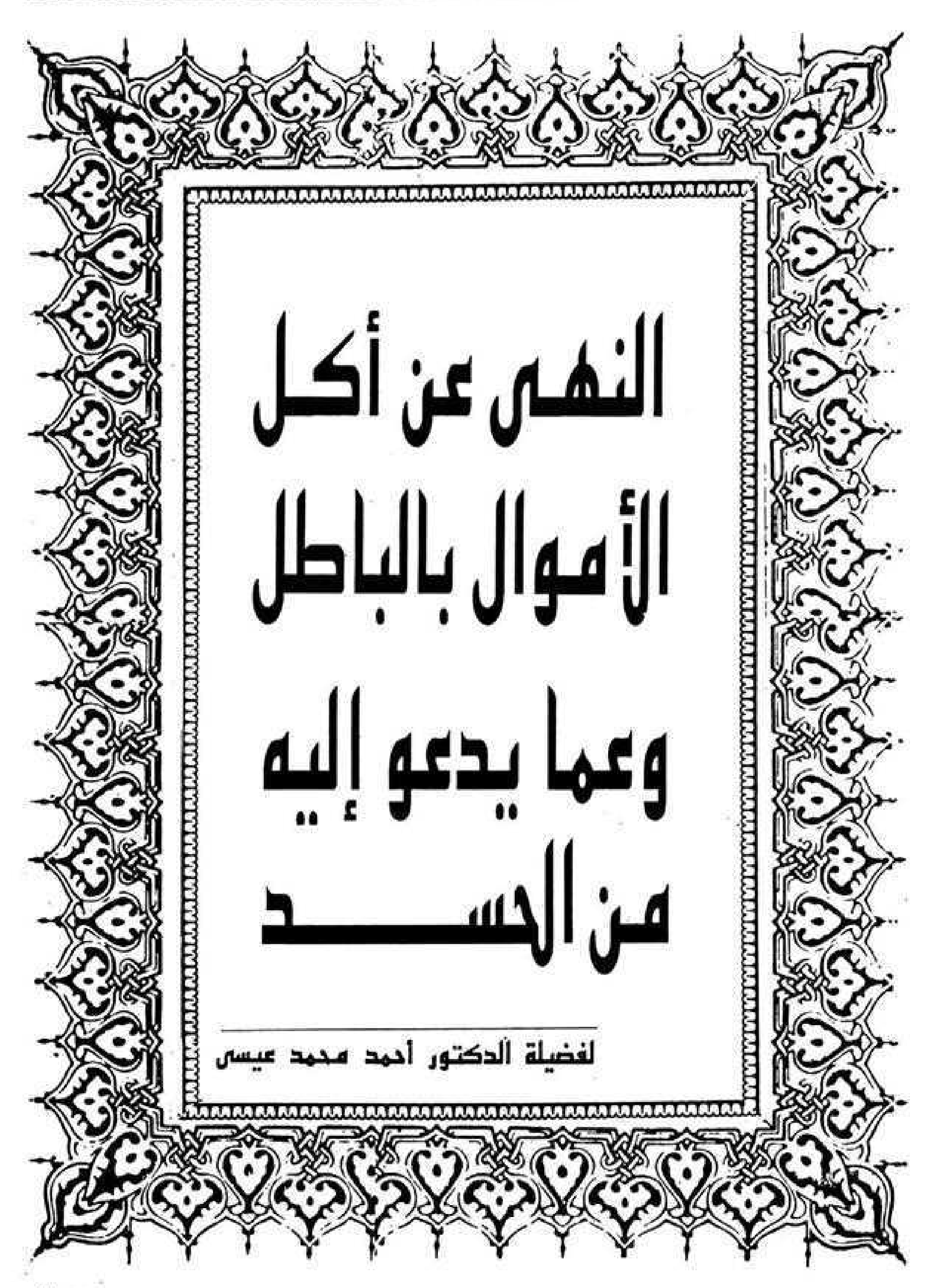

النهى عن أكل الأموال بالباطل وعما يدعو إليه من الحسد

لفضيلة الدكتور أحمد محمد عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ
وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ
وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

(١) سورة النساء آية ٢٩ ـ ٣٣

عدل الله تعالى وإنصافه أن يرضى عن الحلال الطيب فى كل شىء ، ويباركه ويأمر به ويدعو إليه بل ويحث عليه ويرسم له طريقه السليم ويبين له منهجه المستقيم ، وينهى سبحانه عن الحرام وينفر عنه ويكره فيه وينزع البركة منه ولا يرضى عن صاحبه ولا يقبل له عملا ؛ لأنه سحت يؤدى بآكله إلى النار وبئس القرار ، ولأنه ظلم وقد حرمه الله ، حيث إنه حق للغير يجر وراءه التحاسد والتباغض والتدابر والشحناء والقتل والبلاء وعدم الرضى بالقضاء .

وهاتان الآيتان الكريمتان شروع من الله فى بيان بعض المحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس ، إثر بيان المحرمات المتعلقة بالأبضاع فى قوله تعالى آنفا فى سورة النساء (حرمت عليكم أمهاتكم ....) فإنه تعالى لما شرح كيفية التصرف فى النفوس بسبب النكاح ذكر بعده كيفية التصرف فى الأموال ، وخاصة أنه بين أن ابتغاء النكاح إنما يكون بالأموال ، وأمر بإيفاء المهور والنفقات وأن تكون طيبة وعن طيب نفس ؛ لأنه عز وجل طيب ولا يقبل إلا طيبا ، ولأن صرح الأسرة ينبغى أن يقوم على أساس متين من تقوى الله ومن الحلال ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1]

هذا بين هنا كيفية التصرف بالعدل فى الأموال وأنها تؤخذ من مظانها الحلال وبالطرق المشروعة وقد صدر المولى خطابه بالنداء والتنبيه وبالإيمان الذى يربط القلب بربه ، ويدفع صاحبه الى تحرى الحلال والابتعاد عن الظلم والحرام ، وإلى اتباع طريق الحق ومجانبة الباطل وأسبابه ، وذلك لإظهار كمال العناية بمضمون هذا الخطاب والاهتمام به أيما اهتمام . والباطل كما تعلم ضد الحق وهو اسم لكل ما لا يحل فى الشرع كالربا والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وجحد الحق والقمار ، وأنواع المكاسب غير الشرعية وما جرى مجرى ذلك من صنوف الحيل ، مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا ، حتى قال ابن جرير نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما : فى الرجل يشترى من الرجل الثوب فيقول : إن رضيته أخذته وإلا رددت معه درهما ، قال : هو الذى قال الله فيه (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وعن على بن أبى طلحة عن ابن عباس لما أنزل الله هذه الآية قال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، والطعام هو أفضل أموالنا ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكيف للناس ؟ فأنزل الله بعد ذلك (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) الآية[2]

ومعنى قوله (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) أى : ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم فإنه غير منهى عنه فكأنه تعالى يقول : لا تتعاطوا الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال ، لكن المتاجر المشروعة التى تكون عن تراض من البائع والمشترى فافعلوها وتسببوا بها فى تحصيل الأموال ، ثم أكد النهى السابق وقرره بعد ذلك بقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) أى بارتكاب محارم الله ومعاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل ، ولا تهلكوها بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضى إليه ، فإنه القتل الحقيقى لها كما يشعر به إيراده عقيب النهى عن أكل الحرام . والمراد بقوله (أنفسكم) أى من كان من جنسكم من المؤمنين ؛ فإن كلهم كنفس واحدة ، وعن الحسن لا تقتلوا إخوانكم ، والتعبير عنهم بالأنفس للمبالغة فى الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل ، وقيل لا تقتلوا أنفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة ، أو بارتكاب ما يؤدى إلى القتل من الجنايات . وقد جمع الله فى التوصية بين حفظ المال وحفظ النفس لما أنه شقيقها ، من حيث إنه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها ، وقدم المال فى النهى عن التعرض له لكثرة وقوعه وقلة وقوع القتل ، ويدخل فى قوله

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٩

(٢) سورة النور آية ٦١

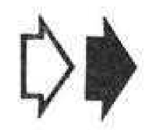

(أموالكم) أكل مال نفسه بالباطل وإنفاقه فى معاصى الله وأكل مال غيره ، وكذا قوله (أنفسكم) نهى عن قتل نفسه وغيره بالباطل . ويلاحظ أنه فى الاستثناء ذكر سببا واحدا من أسباب الملك الحلال وهو التجارة لأنها غالب أموالهم ، ثم بالغ الله فى وعيد من يتعاطى ما نهاه الله عنه متعديا وظالما وعالما بتحريمه ومتجاسرا على انتهاكه ، ومفرطا فى تجاوز حدود الله ومعتديا على حقوق الناس فقال سبحانه (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ينبغى أن يحذر منه كل عاقل .

ثم اتبع الله ذلك الترهيب والتهديد الذى سببه الظلم والعدوان والذنوب بتفصيل الذنوب إلى كبائر وصغائر ، وبترغيب المؤمنين فى التخلى عنها جميعا وذلك باجتناب الكبائر ، حتى يحظوا بجنة الله وتكريمه ويسعدوا بنعيمه المقيم فقال (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) فشرط اجتناب كبائر الذنوب وعظائمها لغفرانها جميعا ولدخول الجنة والسعادة بنعيمها .

وقد اختلف السادة العلماء فى تحديد الكبيرة والذى أرجحه قول بعضهم : ما ورد فيها وعيد شديد أو تهديد ، وذلك لما رواه ابن جرير عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسيره هذه الآية قال : الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب . وعن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها ثم تلا (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه .....) الآية[1] .

ولما نهاهم المولى جل شأنه فى الآية المتقدمة عن أكل الأموال بالباطل وعن قتل النفس ، أمرهم بما يساعد على ذلك ويسهل عليهم ترك هذه المنهيات ، وهو أن يرضى كل أحد بما قسم الله له ويقنع بما رزقه ، وإلا وقع فى الحسد الذى هو أسّ البلاء وسّر الداء ، أما إذا رضى بما قدره الله أمكنه الاحتراز عن الظلم فى النفوس والأموال ، وصار الظاهر طاهرا عن الافعال القبيحة والباطن طاهرا عن الأخلاق الذميمة ، فيكون المسلم طاهرا قلبا وقالبا ظاهرا وباطنا كلا وجزءا ، ولأن الباطن هو الذى يوحى بأفعال الظاهر ويدفع الجوارح لعملها ، فقال تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾) وكما أن الحسد سببا للفساد فى الدين فكذلك هو السبب للفساد فى الدنيا ، فإنه يقطع المودة والمحبة والموالاة ويقلب كل ذلك إلى أضدادها ، فلابد لكل عاقل من الرضا بقضاء الله سبحانه فلا اعتراض على فعله وكل شىء صنعه ولا علة لصنعه ، وهو علام الغيوب وأعلم من خلقه بوجوه المصالح ودقائق الحكم ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾[1] وروى قتادة عن الحسن قال : لا يتمن أحد المال فلعل هلاكه فى ذلك المال كما فى حق ثعلبة ، وهذا هو المراد من قوله (واسئلوا الله من فضله[2]) .

وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية أقوال أذكر منها ما يلى :

---

(١) ابن كثير جـ ١ ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ط الحلبى

(١) سورة الشورى : آية ٢٧

(٢) الفخر الرازى جـ ١٠ ص ٨٠ ــ ٨٢

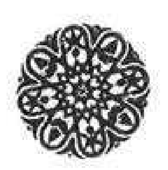

النهى عن أكل الأموال بالباطل وعما يدعو إليه من الحسد

١ ـ عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فليتنا كنا رجالا . فنزلت الآية .

٢ ـ وقال قتادة والسدى : لما نزلت آية المواريث قال الرجال : نرجو أن نفضل على النساء فى الآخرة كما فضلنا فى الميراث ، وقالت النساء : نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما فى الميراث فنزلت الآية(٣) وقد قرر الله مضمون الآية السابقة بقوله ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِىَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ أى ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة فى الدرجة يلونها ويحرزون منها أنصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة (والذين عقدت أيمانكم) هم موالى الموالاة وكان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ هذا بقوله (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ) الخ ثم ختم الآية بالوعد والوعيد (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) أى من الإيتاء والمنع فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع .

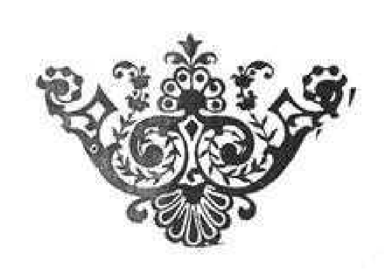

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدى ، والفخر الرازى جـ ١٠ ص ٨٢

(٤) أبو السعود جـ ١ ص ٣٣٧ ــ ٣٣٨

اتق الله حيثما كنت

بقلم : محمد حافظ سليمان

لقد جمع رسول الله ﷺ للمسلم منهجا إسلاميا متكاملا فى اثنتى عشرة كلمة [من جوامع الكلم] وهى ثلاث جمل يتكون كل منها من أربع كلمات تنظم السلوك وتهدى إلى الخير ، ولكى يكون المؤمن موصولًا بربه دائما يقول له صاحب الدعوة الإسلامية عليه الصلاة والسلام :

« اتق الله حيثما كنت » : أى فى كل قول وفعل وفى كل زمان ومكان ، لأن الله يعلم ما تكسب كل نفس « وهو معكم أينما كنتم »

وهو القائل :

[﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾]« سورة الرعد ـ ٨ ـ ١٠ » .

فإذا عرف المسلم ذلك معرفة يقينية صادقة كان عليه أن يراقب ربه سرا وعلانية أينما حلّ وأنّى وجد ،ليتحصن بالتقوى من أخطار الذنوب والعيوب ليكون الله معه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (سورة النحل ١٢٨)

ولعلاج النفس يقول رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

« واتبع السيئة الحسنة تمحها »

إن النفس البشرية أمرها غريب وشأنها عجيب ، وذلك لأن الإيمان يطهرها ويربيها ويهذبها ويرقيها فتكون مطمئنة بتمام الاستقامة : ولكن النفس اللوامة إذا أقدمت على خطأ تابت وانابت إلى ربها تمحو السيئة بالحسنة « إن الحسنات يذهبن السيئات » ولأن الإسلام يجعل للوازع الدينى سلطانا مبينا على النفس ليكون صاحبها سيدا عليها ينهاها عن هواها ، فلا حقد ولا غل ولا ضغينة ولا وقيعة لكنه الخلق الإسلامى والنبل الإنسانى الذى يمحق السيئة بالحسنة ويمحو الخطأ بالصواب ، ليعود المرء الى طاعة ربه الذى خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه ، وإذا ارتبطت النفس بالله زال عنها القلق لأنها فى حماية الله الذى بيده ملكوت كل شيء ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ « سورة آل عمران ــ ١٠١ » .

وليس على ظهر هذه الأرض أشقى ممن يحرم طمأنينة القلب لأنه مبتوت الصلة بربه الكريم وبهذا تعصف به الأنواء والأهواء إلى حيث تشاء ولا دواء من هذه الأدواء إلا بالعودة إلى الله تعالى .

« وَخَالِقِ الناسَ بخلق حسن »

والإسلام فى دعوته إلى مكارم الأخلاق ليس بعيدا عن فطرة الإنسان وطبيعته : فهو يدعو إلى الكمال والفضائل التى جعلها الرسول غاية رسالته فقال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق : وأما الإيمان السليم فهو الذى ينبعث منه الخلق القويم ، وينبثق منه حسن السيرة ونقاء السريرة ، والمجتمع الإسلامى تقوم دولته ودعوته على قاعدة راسخة ثابتة هى الايمان بالله واحد .

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة ــ ١٦٣) وهو بهذا يطهر الاعتقاد من الالحاد ، وهو يسمو بالنفس الصافية لتتجه إلى معاملة الناس بالحسنى ليكون المؤمن طاهر اللسان سليم القلب وليتصف بخصال الخير والبر التى جاء بها الإسلام من عند الله على يد رسول الله ﷺ .

التقوى خير زاد للعبـــاد

يقول ربنا عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

(سورة الأنفال ــ ٢٩) .

ورد ذكر التقوى والمتقين فى القرآن الكريم أكثر من مائتى مرة ، لأن التقوى فى معناها العام اتقاء كل ما يضر الإنسان فى نفسه وفى بنى جنسه البشرى ، ويتحقق هذا بترك جميع الذنوب والمعاصى والاتجاه نحو الاحسان والكمال وصالح الأعمال وبفعل الخير والبعد عن الضر والشر وتطهير القلب وتزكية النفس وسمو السلوك ومكارم الأخلاق ، والفرقان ثمرة من ثمرات التقوى ، وهو = أى الفرقان = كما يقول علماؤنا : هو نور البصيرة الذى يفرق به المسلم بين الحق والباطل ، وهذا النور لا يصل اليه طالبه إلا بتقوى الله وباتقاء النار ، واتقاء الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وباتقاء الظلم بين الافراد والأمم . وقد بين لنا ربنا أن العاقبة للتقوى ، وأن جزاء المتقين التمكين فى الأرض وتيسير الارزاق وتكفير السيئات عمن أساء ، وإعظام الأجر ، والله يجعل مخرجا لأحبابه المتقين من كل ضيق ، والله يقول : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الطلاق ــ ٣] ويقول جل جلاله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الطلاق ــ ٤)

ويقول ربنا : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ (سورة الطلاق ــ ٥ ــ وهذا وعد من الله الذى لا يخلف الميعاد فهو عند وعده وعند كلمته ؛ لأن وعد الله لا يتخلف ، ولقد علمتنا الأيام وحدثتنا التجارب أن الله مع المتقين يعمر ديارهم ويصلح ذرياتهم ويبارك فى أرزاقهم ويعلى شأنهم ويرفع قدرهم :

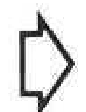

بالتقوى تسعد الحياة

وهذه الدنيا لا تصلح بغير دين الله الذى تجلى الله به على عباده لتثبيت العقيدة واستقامة السلوك ، وبتقوى الله تمحى الضلالات وتزول الجهالات ، وبالتقوى مَنَّ الله على المستضعفين فى الأرض فجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين ومكن لهم فى الأرض كما وعدهم بذلك فقال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (سورة النور ــ ٥٥) :

والتقوى الصادقة تحتاج دائما للصبر الجميل فى الدوام على طاعة الله ومحاربة الشيطان والهوى ؛ لأن الصبر ملازم للعمل الصالح ، ويدخل فيه العبادات المفروضة التى تقرب العبد من ربه .

والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة ١٥٣) والتقوى مستمدة من الإيمان السليم المستقر فى القلب ، لأن الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، فليست التقوى صورا وألوانا ولكن التقوى بينها رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فى قوله (قل آمنت بالله ثم استقم) فالتقوى إيمان بالله واستقامة سلوك .

﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾

الدين المعـــاملة

شهد رجل عند ــ عمر رضى الله عنه ــ شاهد ، فقال له أمير المؤمنين أئتنى بمن يعرفك ، فأتاه برجل فأثنى عليه كثيرا : فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذى يعرف مَدخله ومَخرجه ؟

قال : لا . قال : كنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟

قال : لا . قال : فعاملته بالدرهم والدينار ؟

قال : لا . قال : أظنك رأيته قائما فى المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه آخر قال : نعم .

قال : اذهب فلست تعرفه !!! ثم قال للرجل : اذهب فائتنى بمن يعرفك !!! .

وقيل : إذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر ، وأصحابه فى السفر ، ومعاملوه فى الأسواق فلا تشكو فى صلاحه ؛ لأن المعاملة هى محك الرجال وهى الشاهد الذى لا ترد شهادته ؛ ولأن الأمانة رمز الصدق فى التعامل ودليل المروءة والعفة والإباء .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : اشترى رجل من رجل عقارا ، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب ، فقال الذى اشترى العقار ، خذ ذهبك منى إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب وقال الذى له الارض إنما بعتك الأرض وما فيها ، فتحاكما الى رجل فقال الذى تحاكما اليه ألكما ولد ؟ فقال أحدهما لى غلام وقال الآخر : لى جارية : قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا : هذه هى المثالية فى اتقاء الشبهات ابتغاء مرضاة الله عز وجل : وهذا نوع من التعامل لا نظير له الا عند من طابت سريرته وحسنت سيرته واستنارت بصيرته ، فراقب الله ربه سرا وعلانية ..

دين وحرية

ولما ولى سيدنا أبو بكر الخلافة تكلم مع الجماهير فى خطبته المشهورة بذمة وهمة معلنا العدالة والاستقامة .. لارتباطه بربه علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى ، يقول رضى الله عنه .. إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعـــة لى عليكم ....!!!

وكان عمر رضى الله عنه يقول : أحب الناس إلى من أهدى إلى عيوبى وهو الذى قال له رجل فى موقف

من المواقف : اتق الله يا عمر !! فقال له بعض الحاضرين أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال عمر : دعوه فليقلها نِعْمَ ماقالَ : لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نقبلها !

وهذه نماذج إنسانية صنعها الإسلام يعجز الزمان عن الاتيان بمثلها !

ولقد رأى عمر ـ رضى الله عنه ـ رجلا يطأطىء رقبته مظهر الخشوع ، فقال له : ارفع رأسك فإن الخشوع فى القلوب لا فى الرقاب ! ورأى رجلا يتماوت فى صلاته فقال له : لا تمت علينا ديننا أماتك الله .

درس تربوى توجيهى

وقد وضع عمر ـ رضوان الله عليه ـ دستورا للحرب فى وصيته إلى قائد جيش المسلمين سعد بن أبى وقاص فقال فى خطاب أرسله إليه : أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم حفظه من الله فى سيركم يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله : واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم أسأل الله تعالى ذلك لى ولكم .

« ترفق بالمسلمين »

ثم هو يقول له :

وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ولا تكلفهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون الى عدو مقيم وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويصلحون أسلحتهم وأمتعتهم . ثم أَذْكِ أحراسك على عسكرك وتيقظ مما يدبره العدو لك فى الخفاء من غدر ووقيعة والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان والحمد لله رب العالمين .

وهذا « دستور فى كلمات » قد صدر من خليفة عظيم أعز الله به الاسلام والمسلمين ، ثم أرأيت كيف صنع الإسلام رجالا وكون أبطالا .. صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؟؟ وذلك لان التربية المحمدية تربية قرآنية تقول للناس ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ « سورة الحجرات ١٣ »

ولقد كانوا فى أيام الاسلام الأولى صورة للإسلام تمشى على الأرض هونا لمَّا أكرمهم الله بالقرآن المنزل على خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام الذى أرسله ربه رحمة للعالمين وجعله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

« الاخلاص روح العمل »

الإسلام يعتبر كل عمل بغير إخلاص جسما بلا روح ، فلا يكمل إيمان ولا تستقيم أعمال الا بالإخلاص .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (سورة البينة ـ ٥)

ويقول صلوات الله وسلامه عليه [طوبى للمخلصين الذين إذا حضروا لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يُفتقدوا ، أولئك هم مصابيح الهدى تنجلى بهم كل فتنة ظلماء] : (رواه البيهقى) .

وقال عليه الصلاة والسلام : من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الايمان .

(رواه الترمذى)

ويخاطب ربنا رسوله ﷺ قائلا له فى كتابه الكريم :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(سورة الأنعام ـ ١٦٣)

الإخلاص فيه النجاة والمخرج

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فإنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم : قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا : ، فنأى بى طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين : فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، زاد بعض الرواة : والصبية يتضاغون عند قدمى : فاستيقظا فشربا غبوقهما : اللهم إن كنت فعلت ذلك إبتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج : قال النبى ﷺ : قال الآخر : اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى فأردتها عن نفسها فأمتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخل بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها : فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى : وتركت الذهب الذى أعطيتها . اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك : ففرج عنا ما نحن فيه : فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبى ﷺ وقال الثالث اللهم إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين وقال لى يا عبد الله أدِّ إلى أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والغنم والرقيق وقال يا عبد الله : لاتستهزىء بى ، فقلت انى لا استهزىء بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا : اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون .

(رواه البخارى ومسلم)

ان الله قد أجاب دعوة هؤلاء المضطرين الثلاثة لأنه قريب من المحسنين والله يقول :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

(سورة البقرة ـ ١٨٦)

صورة الأمة المحمدية فى القرآن

ولقد رسم الإسلام صورة للأمة المحمدية فى القرآن تأبى عليها أن تكون كغثاء السيل الذى يتنافى مع المنهج الذى يبنى أمة تكون خير أمة أخرجت للناس كما قال عنها ربنا « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وهذه هى الصورة التى أرادها ربنا وارتضاها للأمة المحمدية .

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الفتح ـ ٢٩) هكذا كان المسلمون الاولون الذين تركوا لنا قوة ومجدا وعلما وحضارة وإنا لنخشى أن يكون المجتمع المسلم اليوم كغثاء السيل ، يقذف فى قلوبه الوهن والضعف كما يشير الى هذا قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى حديث شريف رواه الترمذى وغيره ، هو « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم

كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا : أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » والإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا أقوياء اعزاء أجلاء علماء أتقياء أهل عزة واباء وأهل تعاون على البر والخير عملا بقول الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

(سورة الأنفال ــ ٢٤ وعملا بقول الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ..

الوحدة والقوة هما دعامتا الأمة المحمدية

حقا : لا ريب أن الوحدة قوة لأن أمة المسلمين أمة واحدة ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ (سورة الأنبياء ــ ٩٢) وذلك لأن الإسلام لا يقبل المسلمين متقطعين فى الأرض أمما ، ولا ينظر إليهم لا حول لهم ولا طول ، والله يقول : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ﴾ (سورة آل عمران ١٠٥) .

لأن التنازع وسيلة للفشل ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (سورة الانفال ــ ٤٦) ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول : « لا تقاطعوا ولاتدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا »

(رواه البخارى)

عن أبى شريح الخزاعى قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : أليس تشهدون ان لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قالوا بلى ، قال : إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا » (رواه الطبرانى فى الكبير) .

للحياة نهاية والعاقبة للتقوى

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

(سورة الزمر ٥٣ ــ ٦٢) .

والله قد جعل باب المتاب مفتوحا لأن الله رؤوف بالعباد : وإن الله قد جعل لأعمارنا بداية ونهاية ، وقد وهبنا الله الوقت تملأه بالخير وبالعمل النافع الذى تجده مدخرا عند الله فى سجل خاص فيه كل ما قدم المرء وأخر ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وما عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرِ ﴾ . (سورة آل عمران ــ ٣٠) .

والله يقول ﴿ واعْلَمُوا أن اللهَ مَعَ الْمُتَّقِين ﴾ (سورة التوبة ــ ٣٦) .

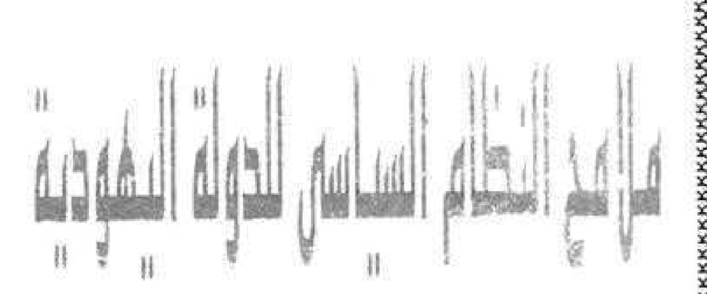

بقلم : لواء أ.ح دكتور / فوزى محمد طايل

يأتى هذا المقال تتمة لهذه السلسلة التى بدأت منذ شهر جمادى الأولى من عام ١٤١٢ هـ ، لنستكمل فيه موضوعا فرعيا هو ، تحقيق الأمن الإسرائيلى من الداخل ، ثم نحاول أن نلقى نظرة على السلوك المحتمل لهذا النظام ، وكيف يمكننا التعامل معه بما يصون عقيدتنا ومقدساتنا ، ويحقق أمننا ، ويحفظ علينا مصالحنا ... واضعين نصب أعيننا دائما أننا نتعامل مع من قال الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ .

(المائدة / ٨٢)

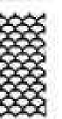

أساليب ووسائل تحقيق الدولة اليهودية لأمنها من الداخل :

إن مجمل ما تقوم به إسرائيل فى هذا المجال يتمثل فى ثلاثة أمور هى : الحفاظ على أسرار الدولة ، وتأكيد الهوية اليهودية لها ، ومحاولة التغلب على الانقسامات الحادة فى المجتمع الناتجة عن تعدد الطوائف والأعراق والثقافات بالشكل الذى عرضنا له .

وتستخدم إسرائيل جهاز الاستخبارات الداخلية « شين بيت » (وهما الحرفان الأوليان لـ « شيروت ها يطاحون كيلالى » بمعنى (إدارة الأمن العام) فى أعماق التجسس الداخلية ، خاصة ضد الفلسطينيين ، وفى أعماق التصنت على المحادثات الهاتفية ... وغير ذلك من الإجراءات الأمنية فى الوقت الذى تتولى « الاستخبارات الحربية » « آمان » فرض الرقابة على الصحف الإسرائيلية ، وعلى المراسلين الأجانب العاملين فى الدولة اليهودية .

وتتوسع إسرائيل فى مفهوم أسرار الدولة فتفرض الرقابة على كل الأخبار المتعلقة بالهجرة ، وإنشاء الطرق الجديدة ، والمستوطنات فى الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، ومرتفعات الجولان ، فضلا عن الأمور المتعلقة بالإمداد بالطاقة ، وتخزين النفط ، والروابط « الدبلوماسية » والتجارية مع البلدان الأخرى ... ألخ لدرجة أنه يمكن القول بأن « حرية المعلومات » و« حرية الصحافة » فى إسرائيل تكاد تكون منعدمة تماما ... فى نفس الوقت الذى تسرب فيه الحكومة الإسرائيلية ما تشاء من أخبار حقيقية أو مدسوسة لإحداث آثار نفسية بعينها سواء داخل المجتمع الإسرائيلى ، أو لدى الدول العربية ، أو لدى دول العالم أجمع ... فوسائل النشر والإعلام فى إسرائيل مراقبة بحزم ، وموجهة بدقة ، وهى تدير حربا نفسية لا تفتر .

وقد أصدر الكنيست الإسرائيلى قانونا خاصا « بالتصنت » عام ١٩٧٩ م وعدله عدة مرات ، وهو يسمح لسلطان الدولة باستخدام وسائل مخفاه لهذا الغرض ، وخول « الشرطة » ، والـ « شين بيت » ، و « آمان » هذه المهمة بعد الحصول على إذن من الوزير المختص ، وليس بحكم قضائى ، ولرئيس أى من هذه الأجهزة أن يدير أعمال التجسس هذه لمدة ثمان وأربعين ساعة « فقط » دون إذن مسبق !

وتستخدم إسرائيل وسائل وأساليب أخرى للحفاظ على القيم والهوية اليهودية ، وللتغلب على إنقسامات المجتمع لعل أهمها ما يلى :

١ ـ معسكرات استقبال المهاجرين « أولبان »[١] ، وهى معسكرات إنتقالية للتأهيل الاجتماعى والمهنى وتعليم اللغة العبرية ، ويستغرق من ٤ حتى ٦ شهور .

٢ ـ قانون العودة ، الصادر فى الخامس من يوليو ١٩٥٠ م وعدل فى الثالث والعشرين من أغسطس ١٩٥٤ م وهو قانون إنتقائى لا يمنح حق العودة كما يتصور البعض ، ولكنه يمنع بعض الفئات من الهجرة لإسرائيل وهم : من اشترك فى أى نشاط معاد للشعب اليهودى ، ومن كان خطرا على الصحة العامة أو على أمن البلاد ، ومن كان له ماض إجرامى .

وحتى لا يسمح لغير اليهود بالهجرة إلى إسرائيل والإقامة فيها فإن هذا القانون يرتبط كل الارتباط بتعريف « من اليهودى ؟ » ، وبقانون الجنسية الصادر عام ١٩٥٢ ، وبقانون التسجيل الصادر عام ١٩٦٠ م

٣ ـ التعليم ، وهو بحسب قانونه الصادر عام ١٩٥٣ م تعليم مسيّس إلى درجة كبيرة ، يركز على غرس القيم الصهيونية ، وإعداد الأطفال والفتية والشباب لخوض صراع طويل . ومع ذلك فالتعليم عندهم ينقسم إلى :

ـ مدارس حكومية علمانية وهى تشكل قرابة ٦٠ ٪ من المدارس ، وتخصص ٢٥ ٪ من مناهجها لدراسة الصهيونية واليهودية .

---

(١) على كل مهاجر إلى اسرائيل أن يتعلم العبرية وان يتخذ له ولعائلته اسما يهوديًا عوضا عن اسمه الأصلى .

أشد الناس عداوة

– مدارس حكومية دينية يسيطر عليها « الحزب القومي الديني » « مفدال » وهي تشكل قرابة ٣٦ ٪ من المدارس ، وتخصص ٥٦ ٪ من ساعات الدراسة لما عبر عنه قانون التعليم بما يلي : « أن ينمى فى التلاميذ المبادىء السامية لليهودية ، ورؤى أنبياء بنى إسرائيل فيما يختص بقدوم عصر المسيح ... » .

– تعليم دينى تابع لحزب « أجودات يسرائيل » (أى جماعة إسرائيل) ، ومعظم ساعاته تخصص لدراسة التوراة والتلمود والدراسات الصهيونية .

– تعليم دينى خاص تابع للجماعات الدينية المتشددة مثل « نيتورى كارتا » .. أخ وهناك تناسق كامل بين التعليم ووسائل للإعلام والثقافة ... وبين الجو العام فى الأسرة فى غرس « رسالة واحدة » فى نفوس النشء ، وتوحيد القيم ، والتماسك للاجتماعى وغرس تحمل المسئولية تجاه المجتمع .

ونسبة التعليم فى إسرائيل تفوق الـ ٩٠ ٪ . والتعليم إجبارى ومجانى حتى سن الخامسة عشرة « للأطفال ، ومن سن ١٤ ـ ١٨ للأميين » .

وتشكل حركة الشباب فى المدارس الدينية والمسماة « بناى عقيفاه » مجموعة من الشباب الملتزم بالقيم الصهيونية ، المحب لإسرائيل ، المتحمس لها .

٤ ـ الجيش ، وهو بمثابة البوتقة التى تعمل على صهر الشباب فى سن مبكرة (١٨ عاما) وفيه تغرس القيم اليهودية الصهيونية ومنهاج الحياة لديهم ، كما يتم فيه التأهيل المهنى ، وإذابة الفوارق بين الطوائف المختلفة ... ومنه يخرج الشاب إلى الجامعة أو إلى ممارسة الحياة العملية ، ويعود إليه مدة شهر كل عام على الأقل حتى سن الخامسة والخمسين للرجال ، والتاسعة والثلاثين للنساء (عدا من يتزوجن وينجبن) .

٥ ـ « القيبوتص » وتنشئة جيل « الصابرا » :

والقيبوتص هى « المستعمرة الزراعية » وجمعها « قيبوتصيم » ، وعلى الرغم من أن سكان المستعمرات هذه لا يتجاوز ٤ ٪ من السكان ، ومعظمهم من « الاشكنازيم » إلا أن مساهماتهم فى المجتمع وآثارهم فيه تتجاوز أضعاف أضعاف هذه النسبة ... ولئن كان جيل الصابرا « تصابريم » (أى النبات البرى ذو الشوك) يطلق عامة على كل من يولد فى إسرائيل ، فإنه يطلق خاصة على خريجى هذه المستعمرات ، ولو تركوها وعاشوا فى المدينة .

وكل مستعمرة مجتمع مستقل بذاته ينفصل فيه الأطفال عن والديهم منذ ولادتهم ويتعلمون أربع سنوات زيادة عن التعليم العادى لأنهم يعملون فى مزارع خاصة بهم منذ سن السابعة . وللأطفال مجتمعهم الخاص بالمستعمرة يسمى « شفرات يلاديم » يمارسون فيه حكما ذاتيا ، .

وبينما تمارس فى « القيبوتص » منتهى « الشيوعية » : « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » ، فإنهم يصفون « جيل الصابرا » بالخشونة والذكاء والقدرة على الإنجاز وقوة الشخصية ... وهؤلاء هم قادة إسرائيل القادمون .

هذا ويمارس بعض « السفاراديم » حياة أقل خشونة وانعزالية ، وأكثر ترابطاً بداخل الأسرة فى المستوطنات « الموشاف » .

هذا ولئن كان التحزب الداخلى الشديد وكثرة المذاهب وتنافرها تعد من أهم عوامل تهديد الأمن الإسرائيلى من الداخل فإن أمام إسرائيل تحد آخر تعمل على مواجهته بكل الأساليب غير الإنسانية ألا وهو تهويد الأرض » و « السكان » .

ولعل نظرة سريعة على هذه الأساليب تكون مفيدة كى تتكامل الصورة أمام القارىء الكريم :

العرب بداخل الدولة اليهودية :

يشكل العرب فى « الدولة اليهودية » قرابة خمس عدد السكان ، فهم قرابة تسعمائة ألف نسمة ،

تمسكوا بأراضيهم ومساكنهم التى تقع فى القطاع الذى استولى عليه الصهاينة وأعلنوا عليه دولتهم عام ١٩٤٨ م . وينظر الإسرائيليون إلى العرب بوصفهم « غرباء غير مأمونين » .. بل وبوصفهم « طابورا خامسا »* .

وعلى الرغم من تمتع العرب ـ نظريا وبموجب القانون الاسرائيلى ـ بنفس المعاملة التى يلقاها اليهود إلا أن الواقع يخالف ذلك تماما . فالعرب مجتمع شبه معزول تصادر أراضيهم بمقتضى قوانين إسرائيلية يلفقونها تحت ادعاء « إنقاذ الأرض » . وقد تمكنت الدولة اليهودية من مصادرة قرابة ٥٠ ٪ من أراضى العرب منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن . وبطبيعة الحال لا يسمح للعرب من حاملى الجنسية الإسرائيلية شراء الأراضى الزراعية ولا المنازل .

ويسكن ٧٥ ٪ من العرب فى مناطق ريفية « بالجليل الأعلى » شمال إسرائيل ، والباقون يسكنون فى حدود المثلث « جنين ـ نابلس ـ طولكرم » ، ويوجد بعض البدو فى صحراء النقب .

ويميز الأسرائيليون فى المعاملة بين « الدروز » من ناحية وبين باق العرب من « نصارى » و « مسلمين » من ناحية أخرى ، فلا يسمح للمسلمين ولا للنصارى من العرب تولى أى مناصب إدارية تمكن أصحابها من اتخاذ القرار فى مجال أعمالهم . وفى مقابل استثنائهم من الخدمة بالجيش (فيما عدا الدروز) فإن العرب يحرمون من قدر كبير من الرعاية الاجتماعية والصحية . ولا تتعدى نسبة من تخرجوا من الجامعات ١ ٪ منهم ، تلقى ثلثاهم التعليم على نفقتهم الخاصة .

وعلى الرغم من السماح للعرب بممارسة حياة سياسية محدودة من خلال « الحزب الديمقراطى العربى » ، و « الحركة التقدمية من أجل السلام » ، فإن أيا من الأعضاء العرب فى « الكنيست » لا يستطيع الحصول على عضوية بعض « اللجان البرلمانية » الهامة ، كما سبق أن أوضحنا .

وعلى الرغم من السماح للعرب بالعضوية فى « الهستدروت » فإن قيودا كثيرة تفرض عليهم بما فى ذلك القيود على التنقل ... فهم يحملون بطاقات هوية عليها حرف « بيت » العبرى (المقابل لحرف الباء) .. أى أنه مواطن من الدرجة الثانية ، وتسهل هذه البطاقات التعرف عليهم خاصة بعد إلغاء خضوعهم للأحكام العسكرية التى ظلوا خاضعين لها حتى عام ١٩٦٦ م

هذا ويتعامل العرب مع إدارات خاصة بهم بالوزارات المختلفة ، ويمنعون من دخول أى عمل أو منطقة تمس الأمن الإسرائيلى بمعناه الواسع ، بل إن وثيقة سرية تسربت عام ١٩٧٦ م من وزارة الداخلية الإسرائيلية بعنوان « مشكلة العرب » تحذر من أن يصبحوا ، بمرور الزمن ، أغلبية فى « الجليل » ، وتدعو هذه الوثيقة إلى تشجيعهم بشتى الوسائل على الهجرة إلى خارج « الدولة اليهودية » .

تهويد القدس خطوة أولى نحو توسع شامل :

استغلت إسرائيل عدوانها فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ م لتصدر قرارا من الكنيسيت فى شهر يونيو أيضا من نفس العام يقضى بتوحيد مدينة « القدس » وإخضاعها للقضاء وللإدارة الإسرائيلية . وقد تجنبت الدولة اليهودية فى خبث ودهاء شديدين الإشارة بوضوح فى نص القرار المشار إليه إلى « ضم القدس » حتى لا يتصادم مثل هذا الإعلان مع قرارات الأمم المتحدة التى تحظر مثل هذا الإجراء ، بيد أن ما حدث منذ ذلك الحين حتى الآن كان بمثابة تهويد كامل للمدينة ، فقد أزالوا الحواجز بين شطرى المدينة ، وأقيم

---

* إصطلاح الطابور الخامس نشأ فى الحرب العالمية الثانية وكان يشار به إلى القوات التى تمارس أعمال التخريب فى مؤخرة جيش الاحتلال .. وكانت هذه القوات تشكل عادة من الشعب الذى احتلت أراضيه .

أشد الناس عداوة

طوق استيطانى حولها ، كما تم بناء قرابة ستين ألف وحدة سكنية تضم قرابة مائة وعشرين ألف من السكان اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل فاختل الميزان السكانى لصالح اليهود ، ولم يعد العرب يمثلون سوى ثلث عدد سكان المدينة .. واستمرت عمليات نزع الأراضى والاستيلاء على العقارات من خلال أساليب خداعية وتزويرية ، فضلا عن بعض الأساليب القانونية التى تم تحت ضغط ، وأقيم « الحى اليهودى » منذ عام ١٩٦٧ على أنقاض شوارع إسلامية كاملة كانت تحف بالمسجد الأقصى ، كما تم تشويه الحى الإسلامى والاستيطان فيه بغرض إحكام الحصار حول المسجد الأقصى من الشمال والغرب . وفى هذا الإطار أجبر أكثر من ٣٥٠٠ فلسطينى على ترك منازلهم .

ولم يعد زعماء الدولة اليهودية يخفون عزمهم الأكيد على التهويد الكامل للمدينة .. ولعل آخر إنتهاكاتهم لمقدسات المسلمين ، بعد حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م ، كان المذبحة التى تعرض لها المصلون فى المسجد الأقصى فى شهر أكتوبر ١٩٩٠م ، واقتحام المحكمة الشرعية بالقدس فى أواخر عام ١٩٩١م وسرقة الوثائق التاريخية التى تثبت حقوق العرب من المسلمين فى المدينة ، واستخدام الجرافات فى إزالة مقابر الصحابة والمجاهدين المسلمين فى بداية شهر فبراير عام ١٩٩٢م بحجة إقامة شبكة للمرافق هناك ... وأخيرا اقتحام الحرم الإبراهيمى فجر السادس من شهر مارس ١٩٩٢ .

هذا ومن المتوقع ـ حسب تخطيط الدولة اليهودية ـ أن يبلغ عدد اليهود فى القدس ٧٥٠ ألف بحلول عام ٢٠٠٠ م .

ومنذ صدور « القانون الأساسى » لعام ١٩٨٠م والذى تنص مادته الأولى على أن « القدس الكاملة والموحدة عاصمة إسرائيل » وزعماء الدولة اليهودية يصعدون من تصريحاتهم وأفعالهم فى هذا الاتجاه .. فصدر قرار الكنيست فى التاسع من يناير ١٩٩٠م ينص على ما يلى : « تعود الكنيست وتقرر أن القدس الكاملة عاصمة إسرائيل ولن تكون موضوعا للمفاوضات » ومن الجدير بالذكر والتأمل أن يصدر « الكونجرس الأمريكى » ، وهو برلمان أقوى دولة فى العالم قانونا فى نفس شهر يناير ١٩٩٠م ينص على أن « القدس عاصمة دولة إسرائيل » ... وهذا القانون يعد أول سابقة من نوعها فى تاريخ العلاقات الدولية !

ضم المزيد من الأراضى وتهويدها :

لقد اعتاد اليهود نقض المواثيق ، والعدوان ، وظلم الآخرين وأكل أموال الناس بالباطل ... فليس غريبا إذاً أن تكون « فكرة تقسيم أرض فلسطين بينهم وبين العرب » ، التى تعد السند القانونى الوحيد لإقامتهم دولتهم ... هى فكرة غير مقبولة لديهم .. ولا غرو فهذا أمر راسخ فى عقيدتهم* ... وليس غريبا أن يطلقوا على الضفة العربية لنهر الأردن « يهودا والسامرة » ، وليس غريبا أن يقيموا فى الضفة ، وقطاع غزة ، ومرتفعات الجولان عشرات الآلاف من المستوطنات ، وأن يجلبوا إليها مئات الآلاف من المستوطنين الذين صاروا يسيطرون على أكثر من ٦٠ ٪ من هذه الأراضى !!... وليس غريبا أن يعلن « يتصحق شامير » رئيس الوزراء الإسرائيلى فى السابع من فبراير ١٩٩٢ أن إسرائيل ليست ملتزمة بكل كلمة فى إتفاقية « كامب ديفيد » حول الحكم الذاتى للفلسطينيين ... لأن الزمن قد تغير والأمور قد تغيرت !!! وأخيرا فليس غريبا أن يعبر أحد كتابهم وهو « ريموند كوهين » Raymond Cohen عن نواياهم بقوله :

---

* راجع (سفر الخروج : ٣٤ : ١٣) ـ (سفر العدد : ٣٣ : ٥٥ ـ ٥٦) .

إن هذه الأراضى لا تتسع لأكثر من عقيدة !.. إن التناقض بين الأطراف يجعل العناق أمرا غير مرغوب فيه وغير موثوق فيه ... إن قادة إسرائيل لا يرون أى تعارض منطقى بين عرض السلام فى الوقت الذى يلجئون فيه إلى استخدام القوة المسلحة ... »

وبعد فما جاء بهذا البحث ما هو إلا « ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية » والموضوع ـ لأهميته البالغة وخطورته ـ يحتاج المزيد من الدرس والبحث .

ولنتذكر أن الدولة اليهودية » كيان يحمل قيما مخالفة لقيمنا ، ويكن أهله أشد العداء للإسلام والمسلمين ـ بنص القرآن الكريم . ولنتذكر أن إسرائيل قامت بالعدوان وظلت تمارس العدوان منذ قيامها .. وهى تعد للتوسع على حساب المقدسات والأرض والبشر .

إن المرحلة القادمة قد تكون هى الحاسمة .

إن مصدر قوة « الدولة اليهودية » أنها دولة عقائدية .. ولقد أثبت التاريخ أن طغيان مثل هذا النوع من العلو فى الأرض والإفساد فيها لا يدوم طويلا .. ولقد صدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(الأعراف / ١٦٧)

وما أجدر المسلمين ـ وهم أصحاب الحق وأصحاب العقيدة الصحيحة ـ أن يستعدوا ويعدوا أنفسهم لاستعادة ما سلب منهم وأن يصونوا مقدساتهم .. وأن يتذكروا قول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾

(الأحزاب / ٢٧)

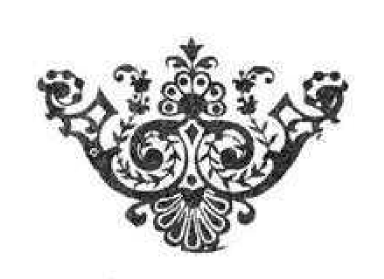

الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى

فى الاتحاد السوفيتى (سابقا)

- جمهـــورية قرغيـــزيا
- جمهـــورية طاجيكســـتان

أ. د/ محمد عبد العليم العدوى(*)

* أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر

١ ـ جمهورية قرغيزيا

تأسست هذه الجمهورية فى سنة ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م وضمت إلى الاتحاد السوفيتى (سابقاً) فى سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م

● موقعهـا :

وتقع فى الجزء الشرقى من آسيا الوسطى وتشترك حدودها الشرقية مع إقليم التركستان الشرقية ـ الواقعة تحت الإحتلال الصينى ـ وتحدها من الشمال جمهورية قازاقستان ومن الغرب جمهورية أوزبكستان ومن الجنوب الغربى والغرب جمهورية طاجيكستان وتحيط بكل حدود قرغيزيا بلاد إسلامية .

وأرضها جبلية فى جملتها ومناخها قارى متطرف تعتريه التقلبات بارد فوق المرتفعات داقء فى المناطق السهلية الوسطى ..

وعاصمتها/ فيرونزى ويقرب عدد سكانها نحو ٥٠٠,٠٠٠ نسمة ومساحة الجمهورية ١٩٨,٥٠٠ كم مربع .

وسكانها الآن : ما يقرب من خمسة ملايين نسمة وذلك بسبب حملات الإبادة والإذابة منذ الاحتلال الروسى القيصرى عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٦م) ثم تبعه فى نفس السياسة الاحتلال الروسى الشيوعى الذى خضب أرضها بالدماء الزكية .

● عناصر السكان :

ويتكون السكان من عناصر مختلفة يشكل المسلمون أغلبية بينهم حيث يبلغ عددهم ٢,٦٢٢,٧٦٠ نسمة وينتمى المسلمون إلى عناصر تركستانية من القرغيز والأوزبك والتتار .

وهكذا تمثل العناصر الإسلامية الآن حوالى ٥٧ ٪ وكانت من قبل تمثل ٩٢ ٪ إلا أن سياسة التهجير واستيطان الروس يؤدى إلى نقص عددهم ونسبتهم .

وهؤلاء المسلمون من أهل السنة .. ويجرى تعليمهم باللغة القرغيزية التى تكتب بالحروف الهجائية الروسية وتستعمل بقية السكان اللغة الخاصة بهم .

● أهميتها الاقتصادية :

ان أهميتها الاقتصادية تتمثل فى المراعى بالدرجة الأولى بالإضافة إلى الزراعة والصناعة وذلك لتوافر المياه وبناء الخزانات والسدود على الأودية وحفر القنوات المائية وإنشاء شبكات الرى .. ويجود فيها القطن والبرسيم وبنجر السكر والنباتات ذات الألياف وتربى على المراعى قطعان كبيرة من الماشية والأغنام .. ويتبع ذلك كثرة الإنتاج من اللحوم والبيض والحليب والصوف كما تتوفر فى قرغيزيا المعادن مثل البترول والغاز الطبيعى والفحم والرصاص والزئبق والأنتمون وتعد واحدة من أكبر الجمهوريات التى تزود الاتحاد السوفيتى سابقا بالزئبق والانتمون .

ولهذا قامت مئات المصانع العامة فى تكرير البترول والسكر ودبغ الجلود وحلج القطن وتنظيف الصوف وطحن الغلال .. إلى جانب متطلبات الهندسة والتعدين ومواد البناء والكهرباء والسيارات وغيرها .

● الإسلام فى قرغيزيا :

عرفت هذه المنطقة بإقليم فرغانة التى وصفها ياقوت بقوله (فرغانة مدينة وكور واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان الشرقية) كثيرة الخيرات واسعة الرستاق يقال كان بها أربعون منبرا (أى مسجد جامعا) وكان لكل مدينة (مسجد جامع) بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا ومن ولايتها خقنده .. وبفرغانة فى الجبال الممتدة بين الترك وبيتها من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله لا مالك له ولا مانع يمنع الأخذ وكذلك فى جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره) .

الإسلام والمسلمون

أما الاصطخرى فيقول (وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة وربما بلغ حد القرية مرحلة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم وقد وصل الإسلام هذا الإقليم بعد فتح خراسان .. ولكن الفتح الحقيقى لبلاد فرغانة بدأ فى نهاية القرن الأول الهجرى وذلك على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلى الذى عبر خلال فتوحاته نهر سيحسون ووصل إلى فرغانة بل تجاوزها إلى مدينة كاشغر على حدود الصين .

واعتنق العديد من أهل المنطقة الإسلام طواعية فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وازداد إنتشار الإسلام فى عهد العباسين ولاسيما فى العصر العباسى الثانى حينما أسلم الخاقان ستوق بوغرا . مؤسس دولة الخواقين الإسلامية بمنطقة التركستان فأخذت هذه الدولة على عاتقها نشر الإسلام عبر المنطقة وانتشرت معه اللغة العربية ، وأصحت اللغة العربية اللغة الرسمية فى دولة الخواقين .

وإلى جانب هذا قام العديد من التجار بنشر الإسلام فى تلك المنطقة حيث كثرت تجارتهم بهذا الإقليم بسبب مرور القوافل والذى عرف بطريق الحرير بوادى فرغانة ومكث أحد الدعاة من هؤلاء التجار وهو اسحاق ولى مكث إثنى عشر عاما يدعو الإسلام بقرغيزيا وازداد الإسلام تمكينا فى عهد السلاجقة وتعرض لفترة من الجمود فى بداية غزو المغول ثم تحولت الدعوة إلى مرحلة من الازدهار بعد إسلام ملوك المغول والتار فأخذ العديد من خواقين المغول الدعوة على عاتقهم بعد إسلامهم وهكذا ازدهرت الدعوة الإسلامية بقرغيزيا قبل استيلاء الروس عليها .

* قرغيزيا والاستعمار الروسى

ووقعت قرغيزيا فى براثن الاحتلال الروسى القيصرى وذلك سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦م) وقام الروس بتأسيس العديد من القرى بوادى فرغانة ثم تدفقت هجراتهم إليها وأقاموا ثمانين مستعمرة داخل قرغيزيا خمسون منها فى وادى فرغانة الخصيب حيث طردوا منه سكانه القرغيز إلى الصحارى والقفار الجدبة وأخذ سكان البلاد يتناقصون ولكنهم قاوموا بكل ما أوتوا من قوة وأشعلوا الثورات المتالية ضد الاستعمار الغاشم ولكن الروس اتخذوا من هذه الثورات والتى تطالب برد الحقوق لأصحابها ذريعة للقوات الروسية لإبادة سكان القرغيز شيوخا وشبابا نساء وأطفالا ففى ثورة عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م أبادت القوات الروسية ١٥٠,٠٠٠ قرغيزى وتبع ذلك مجاعة مات فيها مئات الآلاف .

وقد أبيد سكان الجزء الشمالى من قرغيزيا عن بكرة أبيهم ومن أفلت منهم فر إلى الصين حيث لاق الكثير منهم حتفه أثناء الفرار فى معسكرات الاعتقال الصينية ولم تكن الإبادة موجهة إلى الاناسى فقد بل شملت مواشيهم وزروعهم . ولم يكن الاستعمار الروسى الشيوعى إلا صورة أسوأ من سابقه . فحينما حصلت قرغيزيا على استقلالها الذاتى فى عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م ذاقت ألوان الذل والاستعباد والنفى والتشريد والقتل .. وذرا للرماد فى العيون تم إعلانها جمهورية اتحادية فى عام ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م .

وواجه القرغيز ولا يزالون الإهانات والمذلة فى المناطق الجنوبية كإخوانهم فى المناطق الشمالية حتى أولئك الذين تظاهروا بالشيوعية كانوا يواجهون الموت الأحمر أو السجن إذا طالبوا بتوفير المنتجات الغذائية المنتجة فى قرغيزيا لأهل قرغيزيا أولا ثم يصدر الفائض بعد ذلك إلى روسيا .. وهكذا واجه الروس

الشيوعيون كل من طالب بالفتات للشعب القرغيزى حتى ولو تظاهر بالولاء لهم .

فما بالك بالمسلمين .. ترى .. هل يعيد التاريخ نفسه ... ألا إن نصر الله قريب .. وهاهى بشائر قد بدت فى الآفاق بعد أن انجلى ظلام الليل .: وبزغ نور الشمس ..

٢ ـ جمهورية طاجيكستان

وهى إحدى الجمهوريات الإسلامية الاتحادية الستة والتى تدرج بين الجمهوريات الاتحادية الخمس عشرة فى الاتحاد السوفيتى (سابقا) وتضم قسما من وادى فرغانة الذى سبق الحديث عنه فى جمهورية قرغيزيا

● موقعهـــا :

وتقع وسط آسيا ويحدها من الشرق إقـليم التركستان الشرقية ومن الشمال جمهورية قرغيزيا ومن الغرب والشمال جمهورية أوزبكستان ومن الجنوب أفغانستان ويشكل المجرى الأعلى لنهر جيحون الحدود بينهما .

ومساحتها ١٤٣,١٠٠ كم مربع وهى عبارة عن كتلة جبلية مرتفعة تصل إلى أقصى ارتفاعها فى الجزء الشرقى من البلاد حيث تقوم هضبة البامير التى تُدعى سقف العالم وتتلاق فوق الهضبة مجموعة من السلاسل الجبلية فى عقدة الباميرو وتتفرع منها صوب اتجاهات مختلفة . وتبعا لاختلاف السطح اختلف المناخ من برودة شديدة على المرتفعات إلى حرارة معتدلة فى الوديان .

● سكانها :

ويبلغ عدد سكانها فى سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م ستة ملايين نسمة .

وعاصمتها (دو شنب وسكانها يقتربون من نصف المليون)

ويشكل المسلمون أغلبية السكان وكانت نسبتهم فى سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٨م ستة وتسعين بالمائـــة ٩٦ ٪ . إلا أنها انخفضت إلى ٨٢ ٪ فى سنـــة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٠م وذلك بسبب هجرة الروس إليها وتهجير أهلها وإن كان معدل زيادة المسلمين مرتفعا وهذا عوض النقص حيث وصل عدد المسلمين إلى ٢,٩٤٢,٩٨٠ نسمة . وهم خليط من الفرس والترك والأوزبك والتتار والقرغيز ، أما الروس والأكرانيون فتصل نسبتهم حوالى ١٥ ٪ وأكثر المسلمين من الشيعة جعفرية واسماعيلية بينما نجد أكثر سكان إقليم التركستان فى مجموعه من أهل السنة .

● أهميتها الاقتصادية :

يقوم الاقتصاد فيها على الزراعة والرعى والصناعة وبها ثروة حيوانية كبيرة .. واكتشفت فيها معادن متنوعة أهمها الفحم والبترول والغاز الطبيعى والزنك والذهب والفضة وقد قامت هناك صناعات مختلفة ولاسيما وأن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة بين سكان البلاد الذين تتراوح سنهم بين ٩ ، ٤٩ سنة تبلغ نحو ٩٩,٦ ٪ .

وتقوم فى طاجيكستان أعلى محطة أرصاد فى العالم تعتلى جبال البامير .

● الإسلام فى طاجيكستان :

وقد وصل الإسلام إلى بلاد الطاجيك مع وصول المسلمين الفاتحين إلى هذه المنطقة ومع التجار والدعاة

الإسلام والمسلمون

إلى الله عبر العصور ففى الفترة الواقعة بين سنتى أربع وتسعين وست وتسعين من الهجرة فتح القائد قتيبة بن مسلم منطقة فرغانة كما أسلفنا وتجاوزها نحو الشرق حتى وصل إلى حدود الصين وتم ذلك بفتح كاشغر وبعد سلسلة من الفتوحات المظفرة عاد قتيبة وتولى القيادة أخوه صالح بن مسلم فأكمل فتح باقى منطقة وادى فرغانة وحيث توجد الآن جمهورية طاجيكستان . ثم توالت العصور على تلك المنطقة وازدهرت الدعوة الإسلامية ـ إلى أن ضعفت الدولة العباسية وجاء عصر الدويلات فظهرت دولة السمانيين فى خراسان وما وراء النهر فحكمت منطقة فرغانة وازدهرت الدعوة فى عهدهم وفى عهد الغزنويين لاسيما فى عهد محمود الغزنوى ثم جاء الاتراك السلاجقة فأسسوا دولة واسعة ثم اجتاح المغول منطقة وسط آسيا بعد ضعف الدولة السلجوقية ثم أخذ ملوك المغول بعد إسلامهم ـ على عاتقهم نشر الدعوة الإسلامية ولما ضعفت الدولة المغولية انقسمت إلى دويلات مما سهل على روسيا القيصرية ابتلاعها كما ابتلعت غيرها .

● طاجيكستان والاحتلال الروسى :

وانتهز الروس القياصرة فترة الضعف فاكتسحوا هذه البلاد على مراحل كان آخرها فى سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٦م وقد أصاب المسلمين فى طاجيكستان ما أصاب إخوانهم فى سائر الجمهوريات الإسلامية ثم أعطت الحكم الذاتى بعد إستيلاء الشيوعيين عليها وذلك فى سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وكانت تابعة لجمهورية أوزبكستان وتضم فى بادىء الأمر بعض المناطق العائدة لحكومة التركستان العامة السابقة ولإمارة بخارى فلما سقطت حكومة التركستان وإمارة بخارى بيد البلاشفة الروس قاموا بوضع التقسيم الإدارى الجديد وجعلوا طاجيكستان جمهورية ذاتية تابعة لأوزبكستان ثم ما لبثوا أن أضافوا إليها القسم الشمالى من منطقة البامير المعروفة باسم (عورنو وبذخشان) وهى المنطقة المحاذية لأفغانستان والمشهورة بثروات الفيروز واللازورد والذهب .

وفى سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م تحولت طاجيكستان من مقاطعة إلى جمهورية ذاتية تابعة أيضا لأوزبكستان وفى سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م أعلن ستالين طاجيكستان جمهورية اشتراكية سوفيتية فيدرالية وقد عانى المسلمون الأهوال تحت الاحتلال الشيوعى الذى يحاول جاهدا القضاء على الإسلام الصحيح فى هذه المنطقة وينفذ سياسة التهجير وتوطين المستعمرين لإذابة العنصر الأصلى للسكان والقضاء على المسلمين ..

وقد ألقيت فى طاجيكستان عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م وحدها ٤٠,٥٠٠ محاضرة ضد الإسلام ويجاهد بعض المسلمين بالوقوف فى وجه الحملات الدعائية الشيوعية ضد الإسلام ولكن .. الله سبحانه رد كيدهم فى نحورهم وهوت الشيوعية الملحدة إلى الحضيض وذل معتنقوها .

وارتفعت راية الإسلام من جديد ترفرف بشعار التوحيد ... وعاد صوت بلال يجلجل الله أكبر ... (جاء الحق وزهق الباطل . إن الباطل كان زهوقا) .

مسلمو (بورما)

المأساة بين الحقيقة والابتزاز

إعداد: أحمد تقى الدين

تواصل حكومة بورما البوذية مذابحها الموسمية ضد المسلمين فى إقليم « أراكان » الواقع غربى بورما وهى المذابح التى تعتبرها حكومة بورما واحدة من أبرز مظاهر أعياد الربيع هناك .

الهجمات الموسمية هذا العام تميزت بشراسة لم تعرفها البشرية من قبل حيث شملت تدمير المساجد واحراق المساكن وذبح عائلات بأكملها واغتصاب النساء . ولا أحد يعلم ما الذى تفعله سلطات بورما فى اقليم أراكان الإسلامى وليس واضحا ما هى الدوافع وراء تلك الجريمة .

كذلك يتميز هجوم هذا العام بمشاركة أكثر من طرف فيه وبشكل يضفى عليه صفة « الدولية » فحكومة الصين الشيوعية على فقرها وعلى ما تعانيه من أزمات اقتصادية طاحنة تقدم السلاح والذخيرة بالمجان إلى حكومة بورما وبلغت قيمة تلك المساعدات أكثر من مليار دولار .

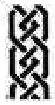

ومن الهند تدفق « المتطوعون » السيخ للمشاركة فى شرف ذبح المسلمين حيث أكد شاهد عيان رفض ذكر اسمه وجود أكثر من خمسة عشرة ألف سيخى داخل معسكرات جيش بورما .

وأكد نفس شاهد العيان وجود اتفاق سرى بين حكومة بورما وحكومة فيتنام ينص على التعاون بين حكومتى البلدين بالشكل الذى يؤدى إلى إبادة جميع مظاهر الوجود الإسلامى فيهما . وأشار الشاهد إلى احتمال مشاركة الحكومة الفيليبينية فى هذا الاتفاق .

فى حين أكدت وكالات الأنباء على وجود محاولات من جانب حكومة بورما لعقد اتفاق مماثل مع حكومة تايلاند والتى اضطر عدد غير قليل من مسلمى مقاطعة أراكان إلى الفرار إليها .

ورغم قيام سلطات بورما البوذية بفرض تعتيم إعلامى على تلك الجزيرة شمل منع الصحف من نشر أى شىء عنها ومنع الصحفيين من دخول الاقليم الذى فر منه حتى الآن ما يقرب من نصف مليون مسلم،فقد أكدت أنباء صحفية على أن بشاعة الموقف فى أراكان تفوق تصور العقل البشرى،فالرجال تُثَبَّت أيديهم بالمسامير فى الأشجار،والنساء يجرى اغتصابهن بشكل جماعى،والأطفال الرضع يعبأون فى أكياس بلاستيكية يتم إغلاقها بإحكام حتى يختنقون ومن تثبت عليه تهمة مقاومة السلطات تقطع أطرافه ويثبت جسده على لوحات خاصة بالتدريب على التصويب .

جدير بالذكر أن أراكان كانت دولة إسلامية مستقلة وظلت كذلك حتى غزتها قوات بورما وضمتها بالقوة إليها فى القرن الثامن عشر ، ومنذ ذلك الحين يحاول المسلمون فيها استعادة استقلالهم،وكانت آخر هذه المحاولات عام ١٩٧٨م والتى انتهت بفرار ثلاثمائة ألف مسلم .

وعلى الرغم من تدهور الوضع الاقتصادى فى بورما والذى أدى إلى اضمحلال التأييد الشعبى للحكومة العسكرية إلا أن الأخيرة تعطى أولوية كبيرة لجعل الجيش فى حالة نشاط دائم ، كذلك تحرص حكومة بورما العسكرية على إظهار نفسها بمظهر المدافع عن البوذية فى مواجهة الأقلية الإسلامية والتى تشكل حسب زعمها تهديدا للبلاد !!

ورغم وجود نحو ١٢ حركة مقاومة إسلامية ضد نظام الحكم البوذى فى بورما إلا أنها لا تشكل أية فعالية نظرا لضعف تسليحها وضعف تدريبها من جانب وتناحرها مع بعضها البعض من جانب آخر .

على أن هناك بارقة أمل فى احتمال تغير الوضع الحالى خاصة بعد اعتداء قوات بورما على قبائل « كارين » المسيحية والتى اضطرت إلى الفرار إلى تايلاند وقيام مجلس الكنائس العالمى باصدار نداء انسانى إلى الشعوب المحبة للسلام بالتدخل لوضع حد لمأساة قبائل كارين

وبينما يُذَبّح المسلمون فى بورما فان أى رد فعل عن النظام الدولى الجديد تجاه هذه المأساة لم يظهر ؛ لأن النظام الدولى الجديد يرى أن اهتماماته الحالية أكثر أهمية من نصف مليون مشرد وثمانين ألف قتيل مسلم فى بورما وفق أكثر الاحصاءات تفاؤلا ، بل تشيع الـ (B.B.C) وجهة نظر مدروسة للاساءة إلى مسلمى بورما حيث تشير إلى أن حكومة بنجلاديش وراء هذه الأزمة التى تريد بها زيادة عدد المسلمين فى بورما .

أما على الصعيد الإسلامى فقد وجهت بنجلاديش نداء جديدا إلى الهيئات الدولية تطلب فيه تقديم المعونات العاجلة لانقاذ (٢٠٠) ألف مسلم بورمى من اللاجئين على أراضيها ومواجهة المجاعة والأوبئة التى تفشت بينهم حيث أكدت حكومة بنجلاديش فى ندائها أن حجم هذه المأساة الإنسانية هائل إلى درجة لا يمكن لبنجلاديش وحدها التعامل معها إلا بتأييد المجتمع الدولى ، وأكد بيان صادر عن حكومة بنجلاديش فى هذا الصدد على أن الوعود الصادرة عن برنامج الغذاء الدولى والوكالات التطوعية المختلفة فى هذا الصدد ليست مشجعة .

فى حين لم يصدر أى رد فعل عن أى من الحكومات الإسلامية الأخرى !!؟

إمبراطورية المغول

بين الإسلام وغيره من الأديان

من سنة ٦١٦ هـ - ٦٨١ هـ
١٢١٩ م ـــ ١٢٨٢ م

بقلم الدكتور/ أحمد محمد الدسوقى المنوفى

إن الصراع بين الإسلام وخصومه من أصحاب الديانات الأخرى ، صراع متواصل الحلقات ، لم يهدأ إلى يومنا هذا ، فصدق عز وجل حين قال :

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[١]

وصراع الإسلام فى إمبراطورية المغول مع الوثنية والصليبية حلقة من حلقات هذا الصراع ، جديرة بالكشف عنها ، وتوضيح مظاهرها ونتائجها ، علها تفيدنا فى واقعنا المعاصر ، ومما لا شك فيه أن الدراسات المتعلقة بالمغول ودولهم وصلتهم بالعالم الإسلامى ، لم تنل ما تستحق من دراسة لأسباب كثيرة ، وما يزال هذا المجال محتاجاً إلى جهود العلماء وأقلام الباحثين ، وبخاصة فى هذه الأيام التى نرى فيها جمهوريات وسط آسيا الإسلامية ، تستقل عما كان يعرف بالاتحاد السوفييتى ؛ لأن تاريخ هذه الجمهوريات الجديدة له ارتباط بتاريخ المغول الذين امتد رواق ملكهم إلى هذه الأماكن ، واختلطوا بشعوبها بعد اعتناقهم الإسلام ، وصاروا جزءاً من نسيجه ، وخليق بنا أن نتعرف على تاريخ هؤلاء الإخوة فى الإسلام ، ونتتبعه فى دروب الماضى ؛ لنفهم حقائق الحاضر ، ونؤصل التقارب والتعاون بيننا وبينهم على أساس من عقيدتنا ، وتاريخنا الإسلامى المشترك .

---

(١) سورة البقرة من آية ٢١٧ .

إمبراطـورية المغــول

وهذا البحث جهد متواضع ، يحوم حول هذه الغاية ، وقد اخترت الفترة من ٦١٦ هـ إلى ٦٨١ هـ لأنها - فى نظرى - جسمت الصراع بين الإسلام والوثنية والصليبية تجسيماً واضحاً ، وقد بلغ الصراع فى نهاية هذه الفترة ذروته ، ويقوم البحث على محورين ، الأول إمبراطورية المغول ، والثانى صراع الإسلام بها مع الوثنية والصليبية .

إمبراطورية المغول :

المغول وموطنهم : يرد فى المراجع التاريخية ذكر المغول والتتار بمعنى واحد ، وقد آثر مؤرخو العرب القدامى من أمثال ابن الأثير وغيره ، إطلاق كلمة تتار على فتوحات المغول التى قامت فى العصور الوسطى على يد جنكيز خان ، ومن جاء بعده ، وما زالت هذه الكلمة تطلق إلى الآن على سلالة هذا العنصر فى الجهات التى استقروا بها فى آسيا وأوروبا ، وكلمة مغول مشتقة من لفظ "مَنْك" معناه الشجاع على حين يرى البعض أنها مشتقة من اسم زعيم ظهر بين تلك القبائل فى القرن العاشر الميلادى[٢] .

ويذهب بعضهم إلى أن المغل أو المغول قبيلة من التتر[٣] .

ويقول أحد المؤرخين : (إن التتر شعب كبير من الأمة التركية ، ومنه تتفرع معظم بطونها وأفخاذها ، وهو مرادف للترك عند الإفرنج ، حتى إنهم يعدون قبائل الأتراك كافة تتراً ، ومنهم العثمانيون والتركمان وغيرهم ، وكانوا مشهورين عند قدماء اليونان باسم سيتيا أو اسكوتيا .

ويضيف : إن مؤرخى الترك ونسابوهم يقولون إن « ألنجة خان » أحد ملوك الترك فى الأزمنة القديمة ، ولد له ولدان توأمان هما « تتارخان » و « مغل خان » نحو ربيعة ومضر فى الأمة العربية ، وقد استمر أولادهما على صفاء وود إلى أن وقع النزاع بين الشعبين فى عهد « إيلخان » ملك المغل و « سونج خان » ملك التتر ، وجر هذا النزاع إلى حروب طويلة انتصر فيها التتار ، وقتل « إيلخان » ملك المغل ، وصارت السيادة من ذلك الوقت للتتر ، فاستعبدوا المغل مدة طويلة إلى أن جمع المغل جموعهم واتحدوا ، وقاموا بحرب التتر ، وكسروا شوكتهم ، واستردوا ما ضاع من حريتهم ، فعادت السيادة من ذلك الوقت إلى المغل ، وصار الملك متوارثاً فيهم إلى زمن « يسوكى بهادر خان » والد « جنكيز خان »[٤] .

على حين يرى البعض أن هذه المنطقة من أواسط آسيا كانت مقراً لسكن أمتين مختلفتين تعيشان جنباً إلى جنب ، وتجمعهما خصائص مشتركة كثيرة ، ولكن تفرقهما اللغة ، وهاتان الأمتان هما الأتراك والمغول[٥] .

ومواطن المغول الهضبة الآسيوية الشاسعة التى تمتد من أطراف الصين إلى أواسط آسيا ، وإذا نظرنا إلى إقليم وسط آسيا ، ذلك الإقليم الذى خرج منه المغول ، وجدناه على مر عصور التاريخ المختلفة يشهد الجماعات المتباينة تخرج منه إلى الأقاليم المجاورة أو البعيدة ، وأقرب الأمثلة على ذلك هجرة الأتراك السلاجقة

(٢) د. إبراهيم أحمد العدوى العرب والتتار ص ٢٧ الحاشية وزارة الثقافة - المكتبة الثقافية (٨٨) يوليو ١٩٦٣ م القاهرة .

(٣) جورجى زيدان التمدن الإسلامى جـ ٤ ص ٢٣٩ دار الهلال ١٩٥٨ م .

(٤) الشيخ محمد الخضرى محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية ص ٤٦٧ الطبعة الرابعة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .

(٥) برتولد شبولر العالم الإسلامى فى العصر المغولى ص ١٩ ترجمة خالد عيسى نشر دار حسان دمشق ١٩٨٢ م .

بزعامة سلجوق الذى جاء بقومه من برارى القرغيز فى التركستان واستقر بالقرب من بخارى على أطراف الدولة الإسلامية فى القرن العاشر ، وهناك اعتنق الإسلام على المذهب السنى هو واتباعه ، ثم غزوا العالم الإسلامى من الشرق وتوغلوا فيه إلى أن وصلوا بغداد ، ودخلوها دخول الفاتحين .

ولم تكن هجرة هذه القبائل وإغاراتها قاصرة على غرب آسيا بل اندفعت إلى القارة الأوروبية ، وكانت من العوامل التى قوضت أركان الإمبراطورية الرومانية[6] .

وكتاب « الأرض والتطور البشرى » لا يرجع ظاهرة (غزوات البدو الآسيوين وتوغلهم فى وسط أوروبا وجنوبها إلى حالة الجفاف التى قد تصيب بلادهم ، بل إلى ازدحامها بالسكان والماشية ، فالجفاف حالة سائدة فى بلادهم فى وسط آسيا)[7] .

وقد أرجع الكاتب انقطاع طوفان البدو الآسيوين إلى أوروبا وغرب آسيا فى الوقت الحاضر إلى عاملين :

الأول :وقوع بلاد المغول تحت الاستعمار الصينى الروسى وقيام المستعمرات فى سيبريا .

الثانى : اعتناق المغول البوذية وتحول ثلث الرجال أو ربعهم إلى رهبان أو (لاما) لا يتزوجون ، وبذلك قل النسل .

هذا وقد احترفت القبائل التى سكنت هذه المنطقة من المغول الرعى ، ونفرت من الزراعة نفوراً شديداً ، وبالرغم من أنهم كانوا يحتلون بعض السهول الخصبة أحياناً ، فإنهم لم يحاولوا زراعتها[8] وقد ارتحلت تلك القبائل من مكان إلى آخر بحثاً عن العشب ، تبعاً لفصول السنة المختلفة ، فيذهبون فى الربيع نحو الجبال ، ويرجعون قرب الشتاء إلى السهول ، وقد قاموا برعى البقر والأغنام والأفراس .

(٦) حافظ أحمد حمدى الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٠٨ القاهرة ١٩٤٩ م .

(٧) لوسيان دفيفر الأرض والتطور البشرى جـ ٢ ص ٣٣٦ ترجمة د. السيد غلاب ود . إبراهيم رزقانة .

(٨) حافظ حمدى مرجع سبق ١٠٨ .

ديانة المغول وحضارتهم :

كانوا يدينون بالشامانية ، وهى ديانة بدائية ودعيت بهذا الاسم لأن رجل الدين فيها يدعى شامان ، والشامان عماد العمل الدينى مع العقيدة ، ويتم اختياره سماوياً ـ فى اعتقادهم ـ أو من قبل شامان سابق ، ويخضع لتدريبات خاصة ، ويمارس مع وظيفته وظيفة رجل الدولة ووظائف الساحر والطبيب والمشرع الحاكم والسياسى أحياناً[9] .

وهم يؤمنون بإله واحد ، ولكنهم اعتبروا الشمس والقمر والأرض كائنات عليا ؛ فصلوا لها وقدموا لها الأضحيات[10] .

وذكر ابن الأثير عن ديانتهم أنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئاً ، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال ، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه[11] ويلاحظ أن ما كتبه ابن الأثير عن المغول أو ما كتبه غيره من المؤرخين المسلمين سواء من كان منهم معاصراً لغارات المغول على العالم الإسلامى كابن الأثير أو كان معاصر كالنويرى وابن كثير تتسم كتاباته أحياناً بالغرابة أو التهويل ، وبخاصة ما يتعلق بحياة المغول الخاصة ، وقد يكون ذلك لبعد بلادهم عنهم أو لعامل نفسى من جراء ما أحدثته غاراتهم من فزع وكراهية .

فما ذكره ابن الأثير عنهم من أنهم لا يعرفون نكاحاً ، يفيد بأن جميع المغول يعيشون حياة بهيمية ، وهذا يتعارض مع الواقع الذى يثبت أنهم كان لديهم

(٩) برتولد شبولر مرجع سبق ص ٦٤ حاشية ٢ للدكتور سهيل زكار .

(١٠) فاسيلى برتولد تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ص ٤٤٠ ترجمة صلاح الدين عثمان الكويت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ .

(١١) ابن الأثير أبو الحسن على بن ابى الكرم محمد الشيبانى الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٣٣٠ دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

امبراطورية المغـــول

النكاح المعترف به من المجتمع ، والذى يترتب عليه النسب بين الأفراد فيه ، فجنكيزخان ـ كمثال على تأكيد ذلك ـ كان له أولاد ينتسبون إليه ، وله إخوة وأقارب ، ولا يأتى ذلك إلا عن طريق النكاح المعترف به من المجتمع ، وإذا سلك قلة من هذا المجتمع طريق الزنى فهذا استثناء لا ينفى القاعدة العامة التى سار عليها المجتمع المغولى ، وقد كانت هذه القلة محل استياء هذا المجتمع . فقد ورد فى الياسا أو الياساق التى أمر جنكيز خان بكتابتها ، وهى تسجيل للتقاليد والأعراف لدى المغول(١٢) وصبغها بصبغة القانون : (من زنى لا فرق بين محصن وغيره)(١٣).

وقد صبغت البيئة القاسية أخلاق المغول بالتطرف والشذوذ ، فشتاؤهم القارس كان يدفعهم إلى الإغارة على بعضهم البعض ، وإلى عمليات السلب والنهب وقتل من يعترض سبيلهم ، وكانت الشدة والقسوة من أبرز سماتهم ، وذلك يتضح جلياً فى معاركهم ، وقد افاضت كتب التاريخ الإسلامية وغير الإسلامية فى ذكر ذلك ، كما عرف عنهم نكث العهود ، كما يذكر لهم كذلك بعض الصفات الحسنة ، فيذكر لهم شجاعتهم وصبرهم وقوة تحملهم وطاعتهم لرؤسائهم وغير ذلك مما تمليه حياه البادية .

وكان المغول أمة بسيطة لها من المعارف ما يناسب حياتها ، وهذه المعارف لا ترقى إلى كونها علوماً ؛ لافتقارها إلى ما يستلزمه العلم من بحث واستقصاء ، وكانت هذه المعارف قاصرة على ما تتطلبه حياتها كالفلك والطب ، كما كان للمغول فنونهم التى تحتمه ظروف الحرب ، وتقتضيه أمور الحياة ، كالفروسية والمبارزة بالسيوف والمصارعة العنيفة ، وتفننت النساء فى صناعة أوتار القسى والدروع من جلود البقر ، وتجهيز الرماح من العظام(١٤).

وتكلم المغول لغة شبيهة بالتركية ، ويرجعان معاً إلى أصل واحد ، وكانت اللغة المغولية لا تكتب حتى ظهور جنكيز خان ، فاستخدموا الحروف الإيغورية فى كتابتها ، وكان الإيغور أول معلمين للمغول(١٥).

وكانت حضارة المغـــول عمومـــاً على عهـــد جنكيز خان حضارة متدنية ، إذا ما قورنت بالحضارة الصينية أو الحضارة الإسلامية ، أو حتى بحضارة ابناء عمومتهم من الكرايت والنيمان والإيغور الذين كانوا يجاورونهم ؛ ولذلك برزت الحاجة الملحة للإفادة من حضارة هؤلاء فور الانتهاء من توحيد المغول .

المغول قبل جنكيز خان :

يعتمد تاريخ المغول القديم على الرواية والتلقين ؛ ولذلك كان غامضاً ، يتخلله كثير من الأساطير ومما ساعد المؤرخين على تبرير الغموض الذى أحاط بتاريخ المغول القديم ، ما عثروا عليه من مؤلفات التاريخ الصينى ؛ لما كان هناك من اتصال بين الصينيين ـ أصحاب الحضارة ـ وبين البدو من سكان وسط آسيا منذ الأزمنة القديمة ، وما يمكن أن يقال عن تاريخ القديم هو أن هذه الشعوب قديماً ـ شأنها فى ذلك شأن القبائل البدوية عموماً ـ كانت فى نزاع مستمر فيما بينها ، وكان الإقليم الذى تسكنه أشبه بخلية نحل من حيث تعدد القبائل ، وكثرة حركتها ، وتنقلاتها من

---

(١٢) سيأتى الحديث عنها .

(١٣) المقريزى : تقى الدين أحمد بن على السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٢ ص ٢٢٠ تحت عنوان ذكر أحكام الياسة .

(١٤) د. العدوى مرجع سبق ص ٢٦ .

(١٥) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٥٩ والإيغور أمة مجاورة للمغول ، وسيأتى الحديث عنها .

مكان إلى مكان سعياً وراء ثروة مادية أو غنم سياسى على حساب بعضها البعض ، ولم يكن من طريقة لانهاء هذه الفوضى إلا على يد زعيم قوى يظهر من بين هذه القبائل ، يستطيع أن يلم شعثها ، وكان ذلك فيما بعد على يد جنكيز خان[16] .

ومن جهة أخرى كانت القبائل المغولية التى تضرب فى هذه الجهات كثيرة الإغارة على البلاد الغنية المجاورة وبخاصة الصين ، ولعل ذلك كان سبباً فى إقامة سور الصين العظيم قبل الميلاد بنحو قرنين ونصف القرن من الزمان ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن حكومة الصين كانت تستخدم جيوشاً من هؤلاء البدو وتوزعهم على حدودها الشمالية ، لكى يحموها من إخوانهم فى الجنس ، وتقسم الحدود بين رؤساء المغول ، وتعتبرهم أقيالها ، يقدمون لها الخضوع ، ويتسلمون منها علامات السلطان[17] .

وهذه الطريقة هى تقريباً فكرة الدول العازلة (Buffer states) التى طبقتها دولتا الفرس والروم باقامة دولتى المناذرة والغساسنة فى العراق والشام ، وهما دولتان عربيتان ، لمنع خطر القبائل العربية على حدودها .

وظلت الأمم المغولية عدة قرون خاضعة للنفوذ الأجنبى ، لا تكاد تتخلص من سيطرة امبراطورية من الإمبراطوريات حتى تقع تحت سيطرة إمبراطورية أخرى ، فتداولت عليها إمبراطوريات « الهينو » و « السينبيس » و « التوباس » وغيرها من الإمبراطوريات ، وكانت آخرها إمبراطورية « كين » الصينية ، وقد ثارت عليها الأمم المغولية ، واستقلت عنها عند موت الإمبراطور « تاى تسج » سنة ١١٣٧م[18] ، وبعد أن تخلصت الأمم المغولية من النير الأجنبى ، تطلعت إلى توحيد صفوفها ، وقد تحقق لها ذلك على يد جنكيز خان .

(١٦) حافظ حمدى مرجع سبق ص ٦٣ .

(١٧) طه بدر محنة الإسلام الكبرى ص ٧٢ القاهرة .

(١٨) المرجع السابق .

جنكيز خان :

اسمه الحقيقى « تموجين » ولد سنة ٥٤٩ هـ[19] = ١١٥٤ م ، وشب وسط قبيلة « التمرجى »[20] المغولية المعروفة بالغدر والشر ، وتعلم ما يتعلمه أقرانه من إجادة الصيد وقذف السهام وسباق الخيل ، وقد ظهرت عليه منذ صباه علامات الذكاء ، وعلمته تجارب الحياة والمحن التى مر بها أن الغلبة للأقوى وأعطته زاداً من القسوة والغلظة ، ومن أقواله المأثورة : « إن أسعد الأوقات عندى هى التى أحطم فيها قوى اعدائى ، وأطاردهم ، وأستولى على ممتلكاتهم ، وأرى دموع الألم تتساقط من أعين نسائهم وأطفالهم ، وهو الوقت الذى أستطيع فيه أن أركب خيولهم ، وامتلك بناتهم ونساءهم »[21] .

وقد كان فى سن الطفولة لا يفارق أباه « يِنسوكاى بهادر » الذى كان زعيماً مغولياً ساد قومه المغول ، والأقوام المجاورين لهم ، كالتتار وغيرهم ، وقد مات والده وهو فى سن الثالثة عشرة من عمره ، فلم يلبث قومه ، والأقوام الأخرى ، أن انفضوا عنه ، واتجهوا إلى اختيار زعيم آخر وقال أحدهم فى الاجتماع الذى عقد لهذا الأمر : « لا حاجة للقوم إلى طفل ضعيف وامرأة مسكينة » والمرأة المسكينة هى أم « تيموجين » ، ولكن « تيموجين أخذ يعمل على جمع الأنصار ، وكانت والدته « أوالون أيكه » تشجعه على ذلك .

وكان أخطر أعداء « تيموجين » فى صدر حياته ، زعيم قبيلة « التايدجوت » المجاورة له ؛ إذ عمد هذا

(١٩) الشيخ محمد الخضرى مرجع سبق وحدد زيدان مولده بسنة ٥٤٨ هـ زيدان مرجع تقدم ص ٢٤٠ .

(٢٠) أطلق عليه النويرى « جنكيز خان التمرجى » ولم يذكر اسمه « تيموجين » ، ويرى أن نسبته إلى « التمرجى » لأنه كان حداداً ، والحداد فى لغتهم « التمرجى » ، أو نسبه إلى قبيلة تعرف بالتمرجى انظر : النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد المطلب نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٢٧ ص ٣٠١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(٢١) حافظ حمدى مرجع سبق ص ٢٢٠

الزعيم إلى اثارة الخصوم حول « تيموجين » ، ولما وقع « تيموجين » أسير هذا الزعيم أهانه إهانة بالغة ، وأذاقه الإذلال ألواناً ، مما جعله يسخط على كل من حوله ، وتطلع إلى انتزاع السلطة مهما كلفه ذلك من ثمن [٢٢].

استطاع « تيموجين » أن يهرب من هذا الأسر ، وأن يعود إلى قبيلته ، واسترد مكانته فيها سريعاً نتيجة قيامه بسلسلة من الإغارات الناجحة التى أرهبت أعداءه ، وجعلت الآخرين يلتجئون إليه طلباً للحماية ، وبعد أن استرد عرش أبيه دخل فى عدة حروب متصلة مع القبائل الأخرى المعادية ، وتمكن من اخضاع قبائل « التايدجـوت » و « المركـيت » و « النيمان » و « التتار » و « الكرايت » وأصبحت تلك القبائل أمة واحدة ، بعد اختلاف وشقاق [٢٣].

وجد « تيموجين » قبل أن يسير بهذه الأمم نحو الغزو الخارجى الواسع أن يضع لها قوانين ونظماً إدارية تنظم حياتها ، وفى هذا المجال الإدارى أثبت عبقرية ومهارة لا تقل بحال عن مهارته فى قيادة الجيوش على الرغم من جهله القراءة والكتابة ، فأنشأ القوريلتاى ، ويعنى المؤتمر العام ، ويضم هذا المؤتمر رؤساء القبائل وخاناتها ، ويناقش المسائل العامة ، ويضع الخطط للمستقبل ، وقد اختار هذا المؤتمر « تيموجين » ليكون السيد الأعلى ، وأغدق عليه لقباً جديـداً هو « جنكيز خان » عام ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م ، أى أعظم الحكام وإمبراطور البشر [٢٤].

وأمر جنكيز خان بتدوين « الياسا » أو « اليساق » وهو القانون العرفى المغولى [٢٥] إلى جانب تعاليم جنكيز خان « البليك » [٢٦].

وقام جنكيز خان بتنظيم جيشه تنظيماً يدل على الحنكة والمهارة ، فقسمه تقسيماً لا يختلف عما هو متبع الآن فى الجيوش الحديثة ، فقد كان فى جيشه فرق مكونة من مائة ألف جندى يسمونها « التوك » وأخرى مكونة من عشرة آلاف يسمونها « التومان » وثالثة مكونة من ألف يسمونها « منجان » ورابعة مكونة من مائة يسمونها « دن » وخامسة مكونة من عشرة يسمونها « إربان » [٢٧].

وكانت طبيعة المغول الحربية ، وقيام حياتهم على الحروب والمنازعات قد دفعتهم إلى السبق إلى كل ما هو جديد فى مضمار التنظيم الحربى ، والخطط الحربية ، والآلات الحربية ، وكان فضل جنكيز خان فى هذه الناحية يتمثل فى محافظته على النظم السابقة وتقويتها ، وسن القوانين الصارمة التى تعاقب كل مخالف لها ، وكان المقصر فى هذا المجال لا يعاقب بقتله وحده ، بل بقتل زوجته وأولاده أيضاً [٢٨].

تكوين جنكيز خان لإمبراطورية واسعة :

اتجه جنكيز خان بجيوشه شرقاً إلى بلاد الصين ، واستغل ما كانت تعانيه من انقسام ، فالبلاد الصينية لم تعد ـ كما كانت من قبل ـ بلاداً موحدة ، بل أصبحت موزعة بين حكام أسرة « سونج » أصحاب البلاد ، وبين حكام أسرة « كين » المغتصبين ، وكانت أولى حملات جنكيز خان سنة ٦٠٨ هـ = ١٢١١ م ، ثم تبعتها حملات أخرى حتى سنة ٦١١ هـ = ١٢١٤ م ، وعجز المغول عن تحقيق أهدافهم فى الصين ، ومالوا إلى الصلح ، ولقيت هذه الفكرة استحساناً من إمبراطور

(٢٢) د. العدوى مرجع سبق ص ٢٨ ، ص ٢٩ .

(٢٣) المرجع السابق وطه بدر مرجع سبق ص ٧٥ وما بعدها وبرتولد شبولر مرجع سبق ص ١٩ وما بعدها .

(٢٤) د. العدوى مرجع سبق ص ٢٨ و ص ٢٩ .

(٢٥) سيأتى مزيد من التفصيلات عنها

(٢٦) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٥٩

(٢٧) طه بدر مرجع سبق ص ٥٧

(٢٨) حافظ حمدى مرجع سبق ص ٢١٥

أسرة « كين » « واى وانج » الذى سارع بإرسال الهدايا إلى جنكيز خان ، وأراد الإمبراطور ان يترك حاضرته « بكين » وأن يتخذ حاضرة أخرى فى الجنوب ؛ ليكون أكثر اطمئناناً ، وقد نفذ فكرته رغم معارضته كبار رجال دولته ، وقامت ثورة فى أنحاء الإمبراطورية من جراء ذلك ، وقد ساعد هذا الاضطراب جنكيز خان على التوغل فى هذه البلاد والاستيلاء على « بكين »(٢٩).

اتجه جنكيز خان بعد ذلك غرباً إلى دولة الخطا ، وهى دولة قوية على الحدود الإسلامية ، وكانت قبائل الخطا تقيم أساساً فى شمال الصين ، ثم هاجر بعضهم تحت تأثير عوامل مختلفة إلى غرب اقليم « تركستان » وأسسوا دولة قوية فى هذه البلاد عام ٥١٩ هـ ـ ٦١٥ هـ = ١١٢٥ م ـ ١٢١٨ م ، وكان على رأس هذه الدولة « كشلوخان » وهو زعيم قبائل « النيمان » التى كانت تقيم فى مكان آخر ، وقام جنكيز خان باخضاعها ، ففر من وجهه « كشلوخان » إلى دولة الخطا فى الغرب ، واستطاع هذا الزعيم الفار أن يكون لنفسه قوة هناك ، ويعتلى العرش بعد سلسلة من المؤامرات والفتن ، وساس دولة الخطا بسياسة تتسم بالقسوة والتعصيب الدينى ضد الأهالى المسلمين ، وكان بوذياً وزوجته مسيحية ، لذلك كرهه الأهالى كرهاً شديداً ، كما أنه لم يكن على وفاق مع الدولة الخوارزمية المجاورة له ؛ لذلك رحب الأهالى بمقدم المغول الذين لوحوا لهم بالحرية الدينية ، وسقطت دولة الخطا ، وأصبح المغول على أبواب العالم الإسلامى .

كان العالم الإسلامى يعانى من التفكك والانقسام والضعف ، ويجابه خطر الحملات الصليبية التى طرقت بلاد الشام ، وكانت الدولة الخوارزمية هى الحارسة للبوابة الغربية للبلاد الإسلامية أمام الأخطار الخارجية ، وكان جنكيز خان يرغب فى أن تكون العلاقات بينه وبين الخوارزميين قائمة على الصداقة وأبرم معهم معاهدة تجارية ، ولم يكن ذلك منه حباً للسلام بل أراد أن يتفرغ لتوطيد نفوذه فى الأقاليم الصينية ، كما كان علاء الدين مشغولاً بنزاعه مع جيرانه ، وعلى رأسهم الخليفة العباسى ثم حانت لحظة الصدام بين المغول والخوارزميين ، ووجد جنكيز خان من حادثة اعتداء الخوارزميين على التجار الذين أتوا من قبله ، ونقضهم المعاهدة التجارية مبرراً كافياً للهجوم على البلاد الإسلامية(٣٠) ، عبر جنكيز خان نهر « سيحون » وسار إلى بخارى فى أواخر سنة ٦١٦ هـ ـ ١٢١٩ م فاستولى عليها ، ثم رحل إلى سمرقند وهى أهم مدن ما وراء النهر ففتحها سنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م ، وأنزل المغول بالمدينتين النهب والتخريب والقتل ، ثم بعث جنكيز خان بعشرين ألفاً من جنده ؛ لطلب السلطان الخوارزمى ، وهذه الفرقة تعرف بالمغربة وكان السلطان مقيماً غرب نهر جيحون وقد امتلأ خوفاً من المغول ، فلما علم بقدومهم رحل إلى مدينة نيسابور ، فأدركه المغول بها فتركها إلى مازندران ، والمغول على أثره ؛ فوصل مرسى على بحر طبرستان ونزل يريد قلعة له فى البحر ، فلما نزل هو وأصحابه فى السفن ، وصل التتر ، فأيسوا من اللحاق به ، وانتهى أمره بهذه القلعة .

سارعت هذه الفرقة إلى مازندران ، بعد يأسها من اللحاق بالسلطان الخوارزمى ، فاستولت عليها ، ثم استولت على الرى ، وكانوا ينهبون فى طريقهم كل قرية يمرون بها ، ثم ساروا إلى همذان ، فطلب صاحبها الأمان فأمنوه ، ثم وصلوا إلى قزوين ، واستولوا عليها ، وقتلوا الكثيرين من أهلها ثم ساروا إلى تبريز حاضرة اذربيجان ، فصالحهم صاحبها ، ثم حاربوا أهل

---

(٢٩) المرجع السابق ص ١١١ وما بعدها .

(٣٠) ابن الأثير مصدر سبق جـ ٩ ص ٣٣١ والنسوى : محمد بن أحمد سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ص ٣٣ تحقيق حافظ حمدى القاهرة ١٩٥٣ م والنويرى مصدر سبق جـ ٢٧ ص ٢٤١ و ص ٢٤٢ ابن كثير : إسماعيل بن عمر القرشى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٨٨ دار الفكر العربى .

الكرك ، وهزموا أهلها ولما حاول أهل الكرك تكوين تحالف الملك الأشرف بن العادل الأيوبى ، فاجأهم المغول بالهجوم على عاصمتهم تفليس سنة ٦١٧ هـ وهزموهم وقتلوا منهم ما لا يحصى ، ثم رجعوا فى بداية سنة ٦١٨ هـ إلى المراغة فملكوها ، ثم رحلوا عنها إلى أربل ، لكنهم هابوا الهجوم عليها لخوفهم أن تجمع عليهم الجنود من العراق ، فعادوا إلى همذان ، وساروا إلى بلاد أذربيجان ، ومنها ساروا إلى دربند شروان فاستولوا على مدينة شماخى عنوة ، وخرجوا من الدربند إلى البلاد الشمالية ، وهى إقليم القفجاق ، وفيها أمم كثيرة تركية فأمعن التتر فيهم قتلاً وسبيا ، وبخاصة أمة القفجاق ، فتفرقوا فى جميع الأقطار ، ووصل بعضهم إلى مصر ، ثم قصد المغول بلاد الروس ، وتعاون فلول القفجاق مع الروس فى التصدى للمغول ، ولكن الهزيمة حلت بهم ، ونهب المغول بلادهم ، ثم عادوا عنها وقصدوا بلغار ، ولكن أهلها كمنوا لهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة .

وبعث جنكيز خان بفرقة أخرى عليها أحد أولاده ، للاستيلاء على خراسان ، وهو « تولوى » ، فعبروا النهر وقصدوا مدينة بلخ ، فطلب أهلها الأمان ، فأمنوهم ، وتسلموا البلد سنة ٦١٧ هـ ، ثم تقدموا فى هذا الإقليم دون صعوبات كبيرة ، ولم يمض إلا القليل حتى دخل معظم البلاد الفارسية تحت حكمهم . وأرسل جنكيز خان جيشاً آخر وجهته الشمال يملك بلاد القفجاق ، وكان الأمر قد تهيأ لهم بها ؛ لما فعله التتر المغربة من إضعاف القوى التى كانت بهذه البلاد ، وتمكن المغول من الاستيلاء على بلاد القفجاق كلها فى أسرع ما يمكن [٣١] .

تم بذلك لجنكيز خان مملكة عظيمة واسعة مترامية الأطراف ، تبتدىء شرقاً من بلاد الصين ، وتنتهى غرباً إلى بلاد العراق وبحر الخزر وبلاد الروس ، وجنوباً ببلاد الهند ، وشمالاً بالبحر الشمالى ، كل ذلك تم له فى زمن يسير [٣٢] .

وقبيل وفاته قسم جنكيز خان هذه البلاد الواسعة إلى أربعة أقسام ، بين ابنائه الأربعة [٣٣] وهم « جوجى » و « جغطاى » و « تولى » و « أوكداى » ، فجعل بلاد القفجاق بأسرها ، وبلاد الداغستان وخوارزم وبلغار والروس ، وما يؤمل أخذه إلى منتهى المعمورة ، وسواحل البحر الغربى لولده الأكبر « جوجى » أو « دوشى خان »

---

(٣١) ابن الأثير جـ ٩ ص ٣٣٠ و ص ٣٣٤ والنويرى جـ ٢٧ ص ٣٠٠ و ص ٣٣٣ وابن كثير جـ ١٣ ص ٨٦ و ص ٩١ والخضرى ص ٤٧١ و ص ٤٧٤ .

(٣٢) الخضرى ص ٤٧٤ .

(٣٣) تشير المصادر التاريخية إلى أن جنكيز خان أنجب تسعة أولاد من بينهم أربعة كانوا من زوجته « يسوغين بيكى » التى كان يفضلها على كل زوجاته ومحظياته الكثيرات ، وهى التى يسميها النويرى « تسوجى خاتون » ، وقد أوصل النويرى أولاده إلى تسعة عشر ولداً ، وعلى كل حال فقد كان يفضل هؤلاء الأربعة وعهد إليهم بمهام الدولة . انظر النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٤ و د. فؤاد عبد المعطى الصياد المغول فى التاريخ ص ١٠٩ القاهرة ١٩٦٠ .

وقد تولى ابنه « باتو » أو « باطوخان »[٣٤] بعده ، ومن هذا الفرع كانت مملكة القبائل الذهبية .

وجعل بلاد إيغور والتركستان وما وراء النهر بأسره لولده الثانى « جغطاى » ، وجعل خراسان وما يؤمل أخذه من ديار بكر والعراقين إلى منتهى حوافر خيولهم لولده الثالث « تولى خان » ومن هذا الفرع كانت إيلكخانية إيران » .

وجعل بلاده الأصلية والخطا والصين إلى منتهى المعمورة الشرق لولده الرابع « أوكداى » وجعله ولى عهده من بعده ، ويصير « قاآنا »[٣٥] على الكل ، وأمر الباقين بمتابعته ، وكذلك كل من يصير « قاآنا » يجب على الباقين طاعته ، وتولى جنكيز خان سنة ٦٢٤ هـ = ١٢٢٧ م ، فى الثانية والسبعين من عمره[٣٦] .

وورث الملك من آل جنكيز خان أربعة بيوت ، وقد قامت بإتمام الفتح حتى تهيأ لها أن تملك معظم بلاد المسلمين ، وجزءاً كبيراً من أوروبا ، وبيت « تولى خان » هو الذى كان على يديه سقوط بغداد ، وامتداد سلطان التتار إلى بلاد الجزيرة والشام وبلاد الروم[٣٧] .

« يتبـع »

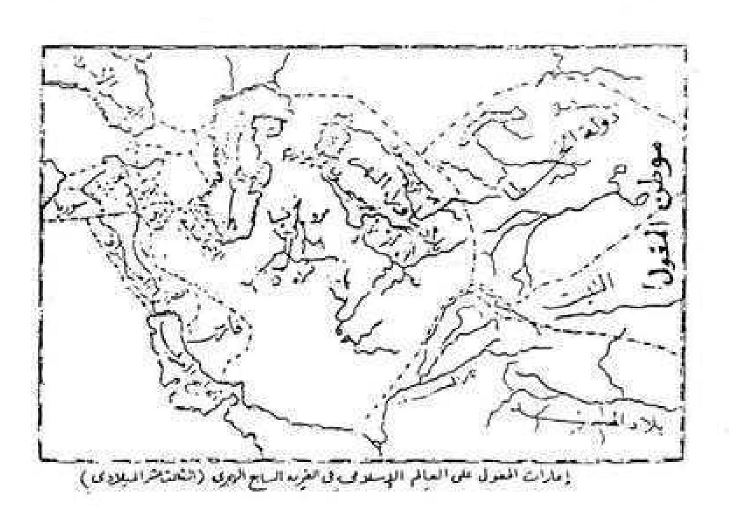

إمارات المغول على العالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)

(٣٤) النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٥٧ ، وعنده ان جوجى أو دوشى خان مات بعد والده ، بينما هناك مصادر تشير إلى وفاته فى حياة أبيه ، وقيل إنه أضمر الخلاف على أبيه ، وعلم أبوه بذلك فأمر بسمه سراً . انظر رشيد الدين الهمذانى جامع التواريخ جـ ١ ص ٥١٣ ترجمة محمد صادق نشأت وآخرين القاهرة ١٩٦٠ وفاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٤٠ .

(٣٥) القاآن أو الخاقان لقب ملك المغول الأعظم أو الرئيس الأعلى لإمبراطوريتهم ، ومقره قراقورم ، أما قان أو خان فلقب الذين يتولون جزءاً من الإمبراطورية ، وقد يطلق على القاآن أو الخاقان من قبيل الاختصار . النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٠ حاشية ١ .

(٣٦) جعل النويرى موت جنكيز خان فى سنة ٦٢٤ م أو سنة ٦٢٥ هـ نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٤ وابن كثير سنة ٦٢٤ هـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٧ والخضرى مرجع سبق ص ٤٧٥ .

(٣٧) النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٥ و ص ٣٣٧ والخضرى مرجع سبق ص ٤٧٥

أزمـــة التقنيـــة والتنظـــير فى الفكـــر الإسلامى

د. عبد الله نجيب محمد

التقنية بمفهومها الواسع تعنى أسلوب بلوغ أهداف الانتاج الكمية والنوعية لأية سلعة أو خدمة ، وكيفية انجاز الأعمال وهذا يعنى أن التقنية هى التسلسل الدقيق للخطوات والعمليات والاجراءات التى تعتمد للوصول إلى الغايات المحددة (الاستراتيجية) فى مجالات العمل الصناعى والزراعى والتجارى والخدمى ، مهما اختلفت طبيعة هذه الأعمال وتنوعت .

من هذا التعريف ندرك أهمية التقنية ، ويبرز دورها فى رفاهية المجتمعات . وتحديد درجة النجـــاح الاقتصادى والتماسك الإجتماعى ، وكلمـــا كانت التقنيات المعتمدة صالحة وفاعلة فى تصعيد المردود الإقتصادى ، وبلورة الهوية الثقافية ، كلما ساهم ذلك فى بلوغ النجاح ، خصوصاً عندما تكون تلك التقنيات منسجمة مع الاهداف والغايات (الاستراتيجيات) الموضوعة ، مميزة بالوضوح والعقلانية .

والحقيقة أن تفوق المجتمعات الغربية ورقيها ، يعود فى الأساس إلى العامل التقنى المبنى على الأبحاث العلمية وإدخال التطويرات باستمرار على التطبيق العمل على نحو متواصل ومتصل .

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، إزدادت قدرة المسلمين عموماً على ايجاد تقنيات عصرية نسبياً ، ولكن الجهات المالكة للتقنيات غالباً ما تضن على المسلمين بها لاعتبارات غائبة (استراتيجية) يراد منها فى الأساس إضعاف المسلمين ، واستنزاف قواهم ، بالاضافة إلى الأثمان المرتفعة للتقنيات المصدرة ، والشروط والمحددات الأخرى التى فرضت على المسلمين ، فقد اعتمد الغرب غاية (استراتيجية) عامة استهدفت فى الأساس بقاء ميزاته التقنية ، فمن جهة عملت الحكومات الغربية لحصر وتقليص العائدات المالية للشعوب المسلمة عن طريق خفض أسعار الخامات الطبيعية بما فيها النفط الخام ، ومن جهة أخرى ركزت فى بعد آخر على دفع المسلمين لشراء السلع والخدمات من العالم الغربى بثمن باهظ ، وعلى نحو يجعلهم معتمدين على الغرب فى حاجاتهم الأساسية ، دون أن تتهيأ لهم هذه المستلزمات بأيديهم ، وبقدراتهم الذاتية .

ومثلاً فى الوقت الذى يسعى فيه الغرب إلى توسيع وتطوير الزراعة يعمل بأساليب خبيثة ودنيئة أحياناً على تقليص الإنتاج الزراعى لدى العديد من الأقطار المسلمة ، ولهذا صارت الشعوب المسلمة تنفق مليارات الدولارات فى كل عام لاستيراد المواد الغذائية الأساسية .

يضاف إلى ذلك تعويد المسلمين على أنماط استهلاكية غير محلية ، واتجاه الصفوة وأبناء الطبقة الثرية من المسلمين إلى عواصم الغرب لأغراض السياحة والاستراحة والتعليم وغير ذلك كثير ، مما يخرج من دخولنا مبالغ هائلة تنفق فى العواصم الأوروبية ، فإذا أضفنا ما تشتريه النسوة من العطور وأدوات الزينة والتجميل ، وما نشتريه جميعاً من أردية وألبسة وغيرها ، عرفنا مقدار ما نفقده كل عام ، وما يدخل جيوبهم ، مما يقدر بمليارات الدولارات سنوياً .

كل ذلك يقلل من أرصدتنا ودخولنا ، ويتسبب عنه ما يسمى بظاهرة العجز المالى ، وهذا بدوره يلجيء حكوماتنا إلى الاستدانة وجذب المدخرات والاستثمارات الأجنبية التى لها إلى جانب أهداف السيطرة الاقتصادية أهداف أخرى ثقافية تغريبية .

هذه مقدمة لا بد منها للدخول فى موضوع أساسى آخر ، وهو المستهدف الأكبر للغرب ، وأعنى به هدفه فى القضاء على هويتنا الإسلامية وشخصيتنا الثقافية ، وهو الفصل الثانى فى الهيمنة الغربية ، أو قل هو الفصل الأول ، إنه التغريب والتبعية الشاملة ، وغزو حصوننا من الداخل ، واكتساح عقولنا ونخبنا المتعلمة بكافة أنواع القوارض والزواحف المتعلمنة التى تنخر فى بناء أمتنا ، وتفسد علينا حياتنا وتعشش فى مناهجنا وإعلامنا .

ولقد طلعت علينا مقولات وتيارات عجيبة ، تحمل شعارات أعجب ، تردد مقولات ما يسمى بالتجديد المنهجى للإسلام أو عقلنة الإسلام أو علمنة الإسلام ، كل ذلك من خلال منهجيات وحلول غربية ، يطلع علينا بها المنظرون والمتغربون ، فيما يتعلق بقضايانا التى يجعلونها دائماً تحت عنوان واحد هو ما يسمى بقضية المعاصرة (أو التحديث) فى مقابل التراث (أو الإسلام) محاولين إخضاع الحركة الفكرية فى بلادنا لنوع غريب من المنافسة فى استخدام منهجيات وتقنيات يقولون إنها حديثة . وكم أتعبت عينى وسهرت الليالى لأفهم ما يريدون ، فلم أجد إلا هراء وسخفاً هو فى جملته مستمد من المدارس الغربية وعلى رأسها المدرسة الفرنسية التى أصبحت شغلهم الشاغل ، وهمهم الأول فى رموزهم واتجاهاتهم ، حتى لينتهى أحدهم[1] مثلاً إلى اختزال كل عوامل نهضتنا وحصرها فى تحرير المرأة ، مدعياً أنه بدون تحرير المرأة لا يمكن لمجتمعاتنا أن تنهض أو تدخل عصرها .

هل هناك شطط واسفاف أبعد من هذا ؟ إننا إذا تتبعنا آلاف المقالات ومئات الكتب والندوات ، التى

---

(١) هشام شرابى فى مقدمة كتابه .

أزمة التقنيـة ..

يحفل بها وسطنا الفكرى خلال العقد الأخير[٢] يرى عجباً وتوهماً بكل المقاييس ، وإذا كان ما يسمى بالصراع بين أنصار المعاصرة وأنصار الأصالة هو محور السجال بين مثقفينا فى العصر الحديث ، وأن تاريخ الثقافة العربية الإسلامية المعاصر هو تاريخ تطور هذا الصراع وتبدل أشكاله وانبعاثاته[٣] فقد بدا لى أول الأمر أن الهدف هو مجرد اللهو والترف والمباهاة بمعرفة منهجيات الغرب ومصطلحاته ثم سرعان ما لاحظت أن هؤلاء المنظرين فى الجملة ما هم إلا بدو رحالة لا يستقرون على ولاء بعينه لأى فكر أو فكرة ، بل ينتقلون من ولاء إلى آخر بشكل مذل ومهين للكرامة والعقل ، متبعين أسلوباً انتهازياً نفعياً ، وكأنهم طبقة لا علاقة لها بمجتمعاتنا ومشكلاتنا وواقعنا ، ولا يفهمون شيئاً من تراثنا وحضاراتنا ، وفى مرحلة أخيرة تأكد لى أن ثمة محاولة أو محاولات هائلة مقصودة لإغراق حركة الفكر فى بحار من الوهم والتنظير ، وأن ثمة اصرار مجنون على عزلنا عن واقعنا وثقافتنا وتراثنا ومشكلاتنا ، ويقينا إذا استمر الأمر كذلك فمعناه بكل صراحة أننا نقاد إلى بحور من الوهم بسفن من الكلام وأشرعة من التنظير العقيم .

ولست أجد جواباً لهؤلاء ، وحلاً لهذه القضية إلا بالإحالة إلى الإسلام ذاته ، إن الإسلام هو منهجنا ونظريتنا فى الحاضر والمستقبل كما كان تراثنا وماضينا وأصل ثقافتنا فى الماضى ، وإذا لم يكونوا يبغونها عوجاً ، فعليهم أن يفكروا فى مشكلة المعاصرة ملتصقة بالرغبة الملحة فى التطبيق الإسلامى ، وهذا فى نظرنا هو المدخل العملى للقضية ، أعنى ربطها بمشكلات التطبيق الإسلامى المعاصر ، إن المعنى المباشر للمعاصرة ، إذ تمكنا من ربطه بمدى قدرة الإسلام على مواكبة الحياة فى مشكلاتها المعقدة وتطوراتها المستحدثة ، ومقدار ما يقدم من أسس لقضايا المسلمين الأساسية فى مجالاتهم للتقدم والتغيير الاجتماعى ، فإننا بذلك نكون قد وقفنا أنفسنا على أول الطريق .

إن المعاصرة بهذا المعنى مشكلة ترتبط بعصر التطلع إلى التطبيق الإسلامى فى واقعنا وما نعيشه كمسلمين ، لنخرج عن حالة التنظير والانفصال عن الواقع .

على المفكرين ومن بأيديهم زمام الحركة الفكرية أن يتوجهوا بلغة مفتوحة وصريحة للاجتهاد فى بحث كل موضوع على حدة ، مع ربط نتاج فكرهم باقتراحات عملية يمكن أن تطبق فى الواقع أو تعدل منه أو تغيره لأنهم لو فعلوا ذلك ، فانهم يجيبون على تحديات المعاصرة ، وعليهم أن يستملكوا الضجة المتعالية التى يثيرها المتعلمنون بمصطلحاتهم وتياراتهم ورموزهم وأن يعيدوا طرح المشاكل بمنهج إسلامى ، وبدراسة عملية مدققة ، هدفها التطبيق فى المقام الأول ، حتى لا تنفصل المعاصرة عن الأصالة ، والتى هى ثنائية وهمية تنظيرية فى الأساس لا تخدم التطبيق والتطوير والابداع .

إن الإسلام وهو نهج حياة ونهج فكر ، ونهج تصرف وسلوك هو بكل تأكيد فوق الثنائيات المصنوعة ، لأنه تراث ومعاصرة أو أصالة وحداثة ، إن قراءة تجاربنا بعقل مفتوح وقلب مفتوح ، فى حوارات مفتوحة وصريحة ، سوف يُساهم فى دفع التقدم ، سلماً لا حرباً ، وتفهماً لاصراعاً .

وما من شك أن لدينا الكثيرين من العلماء ، الذين بذلوا جهوداً تستحق التقدير كله فى مجال الفكر الإسلامى ومناهجه ، ولكن المطلوب الآن هو ربط منتجات أفكارهم بواقع المسلمين وأمانيهم ورغبتهم فى التقدم والازدهار .

والله ولى التوفيق ...

---

(٢) من يعنيه متابعة ذلك بالتفصيل فعليه أن يرجع إلى (١) من التراث إلى الثورة ـ طيب تزينى جـ ١ (٢) ندوة التراث وتحديات العصر فى الوطن العربى (الأصالة والمعاصرة) مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٥ .

(٣) برهان غليون : العقل ص ٢٢ .

لحظات طيبات مع الإمام:

إبراهيم الحربى - أبى اسحاق

إعداد : عادل خفاجة

● قال الحسين بن فهم الحافظ : « لا ترى عيناك مثل ابراهيم الحربى ، إمام الدنيا ، لقد رأيت ، وجالست العلماء ، فما رأيت رجلا أكمل منه » .

● وقال محمد بن صالح القاضى : « لا نعلم بغداد أخرجت مثل ابراهيم الحربى فى الأدب والفقه والحديث والزهد » .[1]

● وقال الدارقطنى : كان يقاس بأحمد بن حنبل فى زهده وعلمه وروعه[2] .

إنه الشيخ الإمام ، الحافظ ، شيخ الإسلام ، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادى ، الحربى « أبو إسحاق » .

كان إماما فى العلم ، عارفا بالفقه ، حافظا للحديث ، مميزا لعلله ، جمَّاعةً للغة ، صنف الكثير من الكتب ، منها « غريب الحديث » ، وأصلـه من « مرو » . فهو مروزى .

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة .

حضة على مخالطة أهل العلم :

كان الإمام إبراهيم الحربى يحض أصحابه وتلاميذه على مخالطة أهل العلم ، ويحذرهم من اتباع أهل البدع ، فيقول :

« لا أعلم عصابة خيرا من أصحاب الحديث ، إنما يغدو أحدهم ومعه محبرة ، فيقول : كيف فعل النبى - ﷺ - وكيف صلى ؟ إياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع ؛ فإن الرجل إذا أقبل ببدعة لايفلح » .

التزامه بنهج السلف الصالح :

وكان - رحمه الله - على غزارة علمه - يؤثر الاقتداء بالسلف الصالح ، ويقف عند الحد الذى انتهى إليه خطوات أئمته ؛ مخافة أن ينصرف الناس عما يصلح دينهم ودنياهم إلى ما لا نفع فيه .

وعن ذلك يقول أبو طاهر المخلِّص رواية عن أبيه أنه سمع إبراهيم الحربى ، - وقد احتشد أمام بيته خلق كثير ليحدثهم فى مسألة « الاسم والمسمى » كما وعدهم - يقول : « قد كنت وعدتكم أن أملى عليكم فى (الاسم والمسمى) ، ثم نظرت فإذا لم يتقدمنى فى الكلام فيها إمام يقتدى به ، فرأيت الكلام فيه بدعة ، فقام الناس وانصرفوا ، فلما كان يوم الجمعة ، أتاه رجل فسأله عن هذه المسألة ، فقال « ألم تحضر مجلسى بالأمس ؟

قال : بلى . فقال : أتعرف العِلمَ كله ؟

قال : لا . قال : فاجعل هذا مما لم تعرف .

---

(١) انظر تاريخ بغداد : ٣٠/٦ .
(٢) انظر تذكرة الحفاظ : ٥٨٥/٢ .

ميله إلى طريف القول :

كان أبو إسحاق ـ مع زهده ـ ظريف الطبع ، ضاحك السن ، لا يخلو كلامه من مزاج ، أو قول لطيف ، أو موقف طريف .

وكان يقول :

● الناس على أربع طبقات : مليح يتملح ، ومليح يتبغض ، وبغيض يتملح ، وبغيض يتبغض ، فالأول : هو المُنى ، والثانى يحتمل ، وأما بغيض يتملح ، فإنى أرحمه ، وأما بغيض يتبغض ، فأفر منه .

● ومن طرائف ما رواه :

قوله : « كنا عند عبيد الله بن عائشة فى مسجده ، إذ طرقه سائل ، فسأله شيئا ، فلم يكن معه ما يعطيه ، فدفع إليه خاتمه ، فلما أن ولى السائل دعاه ، فقال له : لاتظن أنى دعوتك ضنة منى بما أعطيتك ، إن هذا الفصَّ شراؤه علىَّ خمسمائة دينار ، فانظر كيف تخرجه . فضرب السائل يده إلى الخاتم ، فكسره ، ورمى بالفص إليه ، وقال : بارك الله لك فى فصِّك ، هذه الفضة تكفينى لقوتى وقوت عيالى اليوم .

فدل فعل السائل على أنه لا يمارس المسألة ، وإنما ألجأته إليها ضرورة ومثل هذا بهذه الحال من تحل له المسألة .

قناعته :

عاش الإمام إبراهيم الحربى معظم أيامه حياةً خشنة ، فكان يقول : « ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيئا ، كنت أجيء من عشىًّ إلى عشى ، وقد هيأت لى أمى باذنجانه مشوية أو باقة[1] فجل » .

وسُمِعَ يقول : « ما تَرَوَّحْتُ ولا رَوَّحْتُ قط ، ولا أكلت من شيء فى يوم مرتين » .

وما كان يقول ذلك إلا عن قلب قد قنع بما قسم الله له ، فنجده يقول كلمات قد جمع فيها لُبَّ الحكمة وملاك الرضا .

حين يقول : أجمع عقلاء كل ملة أنه من لم يَجْرِ مع القدر لم يتهنأ بعيشه .

شدة حب أصدقائه له :

● كان أبو إسحاق يتمتع بقدر كبير من حب أصدقائه إياه ؛ فقد جاءه يوسف القاضى ومعه ابنه عمر ، فقال له : يا أبا إسحاق لو جئناك على مقدار واجب حقك ، لكانت أوقاتنا كلها عندك . فأجابه : ليس كلُّ غيبة جفوة ، ولا كل لقاء مودَّة ، وإنما هو تقارب القلوب .

● وهذا أبو العباس ثعلب ، يلازمه قرابة خمسين عاما فيقول : « ما فقدت إبراهيم الحربى من مجلس لغة ولا نحو ، منذ خمسين سنة » .

وكان أبو اسحاق يعرف حق الرفقة الصالحة ، ويقدر قدرها ولعل هذا ما دعاه لأن يقول لجماعة عنده :

« من تعدون الغريبَ فى زمانكم ؟ قال رجل : الغريب من نأى عن وطنه . وقال آخر : الغريب : من فارق أحبابه .

فقال أبو اسحاق : الغريب فى زماننا : رجل صالح ، عاش بين قوم صالحين ، إنْ أَمَرَ بمعروف آزروه ، وإن نهى عن منكر أعانوه ، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانُوه[2] ، ثم ماتوا وتركوه .

من سمع منهم :

طلب إبراهيم الحربى العلمَ وهو حَدَثٌ صغير ، فسمع من هَوْذة بن خليفة وهو أكبر شيخ لقيه ، وعَفَّان ابن مُسْلِم ، وأبى نُعَيْم وعَمْرو بن مَرْزُوق ، وعبدالله بن صَالح العِجلى ، وأبى عُمر الحَوْضى ، وعُمر بن حَفص ، وعاصم بن على ، ومُسَدَّد بن مُسَرْهَد ،

---

(١) الباقة : الحزمة من البقل ، وتستخدم خطأ للحزمة من الورد والزهور والصواب فى الثانية : الطاقة .

(٢) مان ـ يَمُون ، ومنه التموين ..... الخ .

وموسى بن إسماعيل المِنقرى ، وشُعَيب بن مُحْرِز ، وأبى عُبَيْد القاسم بن سَلَّام ، وأحمد بن حَنْبل ، وأحمد ابن شيبب ، وابن نُمَيْر ، والحَكَم بن موسى ، وأبى مَعْمَر المُقْعَد ، وأبى الوليد الطَّيالسى ، وغيرهم كثير - رحمهم الله .

من حدَّث عنه :

حدَّث عنه خلقٌ كثيرٌ ، منهم : أبو محمد بن صَاعد ، وأبو عَمْرو بن السَّمَّاك ، وأبو بكر النَّجَّاد ، وأبو بكر الشَّافعى ، وعُمَر بن جَعْفر الخُتّلى ، وأبو بكر أحمد بن جَعْفر القَطِيعى ، وعبدالرَّحمن بن العبَّاس والد المخلِّص ، وسُليمان بن إسْحاق الجَلَّاب ، ومحمد بن مَخْلَد العَطَّار ، وجَعْفر الخُلْدى ، ومحمد بن جَعْفر الأنبارى ، وأبو بَحر محمد بن الحَسَن البَرْبَهارى ، وأمثالهم .

ومن الأحاديث التى رواها :

• روايته عن مُسَدَّد عن سفيان عن الزهرى عن عطاء ابن يزيد عن أبى أيوب : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يهجر أحدُكم أخاه فوق ثلاثٍ ، يلتقيان : فيصدُّ هذا ، ويصدُّ هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام »[1] .

• وروى عن سُليمان بن داود الهاشمى بسنده إلى أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت : كنت أغتسل معه - صلى الله عليه وسلم - من إناء واحد »[2] .

وفاته :

وكانت وفاته - رحمه الله - لسبع بقين من ذى الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين . وكانت جنازته مشهودة . وقبره معروف فى بغداد .

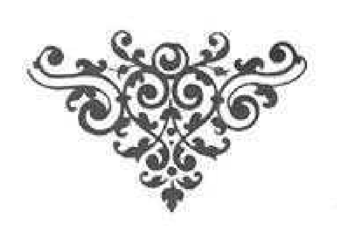

---

(1) أخرجه مسلم (٢٥٦٠) فى البر باب تحريم الهجر فوق ثلاث .

(2) صحيح البخارى ٢١٣/١ .

الفتـــــاوى

إعداد :
الأستاذ: عبد المنعم فودة

حكم صيام الست من شوال بعد الأول منه

• من السيدة ع.ح.ف :

• ما حكم صيام الست من شوال بعد الأول منه ؟

• ما حكم المتابعة فى صيام الست من شوال ؟

الجواب :

إنه ورد فى الحديث كما فى نيل الأوطار عن أبى أيوب عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فذاك صيام الدهر » رواه الجماعة إلا البخارى والنسائى ، ورواه أحمد فى حديث عن جابر وعن ثوبان عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » (رواه ابن ماجه) ـ وبيانه أن الحسنة بعشر أمثالها فصيام رمضان بعشرة أشهر وصيام الست بستين يوماً وهذا تمام السنة فإذا استمر الصائم على ذلك فكأنه صام دهره كله . وفى الحديثين دليل على استحباب صوم الست بعد اليوم الذى يفطر فيه الصائم وجوباً وهو يوم عيد الافطار والمتبادر فى الاتباع أن يكون صومها بلا فاصل بينه وبين صوم رمضان سوى هذا اليوم الذى يحرم فيه الصوم وان كان اللفظ يحتمل أن يكون الست من أيام شوال والفاصل أكثر من ذلك ، كما أن المتبادر أن تكون الست متتابعة وإن كان يجوز ان تكون متفرقة فى شوال فإذا صامها متتابعة من اليوم الثانى منه إلى آخر السابع فقد أتى بالأفضل ، وإذا صامها مجتمعة أو متفرقة فى شوال فى غير هذه المدة كان آتياً بأصل السنة ، وممن ذهب إلى استحباب صوم الست الشافعية وأحمد والظاهرية ، والمختار من مذهب الحنفية ، وكره صوم الست من شوال أبو يوسف والإمام مالك .

ومن هذا يعلم الجواب

•••

حكم صلاة الجمعة خلف المذياع

• من السيد م.ح.ز :

• المسجد القائم بمنطقتنا يتغيب الإمام عن بعض أيام الجمع . فلا نجد بُداً من الصلاة خلف المذياع لعدم وجود إمام .

فهل يجوز سماع القرآن والخطبة من جهاز المذياع ثم الصلاة بعد الخطبة خلف المذياع . أفيدونا أفادكم الله ؟

الجـواب :

ورد فى الحديث الذى رواه البخارى ، أن النبى ـ ﷺ ـ قال : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) ولم يصل عليه السلام الجمعة إلا فى جماعة ، وكان يخطب خطبتين يجلس بينهما كما رواه البخارى ومسلم ، ولذا انعقد الاجماع على أنها لا تصح إلا بجماعة يؤمهم أحدهم . كما ذكره الإمام النووى فى المجموع . وقال ابن قدامة فى

المغنى أن الخطبة شرط فى الجمعة ولا تصح بدونها وانعقد اجماع الأئمة الأربعة على ذلك . وعلى هذا لا تصح صلاة الجمعة فى هذه القرية المسئول عنها بدون إمام ولا خطبة ، ولا يكفى فى ذلك سماع الخطبة وحركات الإمام من المذياع .. والله أعلم .

زواج المرأة من رجل وهى فى عصمة زوج آخر

• من السيدة ف.م.أ :

• تزوجت برجل مسلم بعقد زواج صحيح شرعى ، وبعد أن دخل بى ورزقت منه بأولاد تزوجت برجل مسلم آخر معتقدة أن الزوج الأول طلقنى ، وقد تبين أنه لم يطلقنى ولم يحصل من أحدهما أى سبب من أسباب الفرقة الشرعية .

فهل أبقى مع الزوج الأول ويكون الزواج بالرجل الثانى باطلاً لا يعتد به ؟ أرجو التكرم بالإجابة ونشكركم .

الجـواب :

متى كانت الزوجة المذكورة فى عصمة زوجها المذكور ولم يقع منه طلاق عليها ولم تنقض عدتها منه ، ولم يحصل من أحدهما سبب من أسباب الفرقـة الشرعية . كان زواجها بغيره فى هذه الحالة غير صحيح شرعاً لأنها لم تزل باقية على عصمة زوجها الأول .

• السؤال من السيد م.ع.س :

• توفيت امرأة عن أم ، أخت شقيقة ، أخوة لأم ذكور واناث ، أخوة لأب ذكور واناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن للأم السدس فرضاً لوجود عدد من الأخوة والأخوات ، وللأخت الشقيقة النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، وللأخوة لأم الثلث فرضاً لعدم وجود من يحجبهم يقسم بينهم للذكر مثل الأنثى . والمسألة من ستة أجزاء للأم جزء واحد وللأخت الشقيقة ثلاثة أجزاء وللأخوة لأم جزءان ولا شىء للأخوة لأب لاستغراق الفروض التركة .

والله تعالى أعلم ..

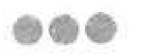

الفتــــاوى

• السؤال من السيد أ.ع.ف :

• ما قيمة دية القتل الخطأ ، وكيف تحسب بالعملة المتداولة اليوم وما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد فنفيد بأن دية القتل الخطأ هى ٤٢٢٠ جرام من الذهب عيار ٢٣ مضروبة فى سعر يوم اخراجها لمستحقيها .. والله أعلم .

• السؤال من سيد ع.ح.ف :

• شاب خطب فتاه وقدم لها شبكة ذهبية ، وبعد سنة قامت الخطيبة بفسخ الخطبة . ما حكم الشرع فى الشبكة المشروطة والمقدمة من الخاطب ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن الشبكة جزء من المهر لا تستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها وما دام المخطوبة فسخت الخطبة فعليها أن ترد للخاطب الشبكة وليس لها حق فيها لأنها أجنبية .. والله تعالى أعلم .

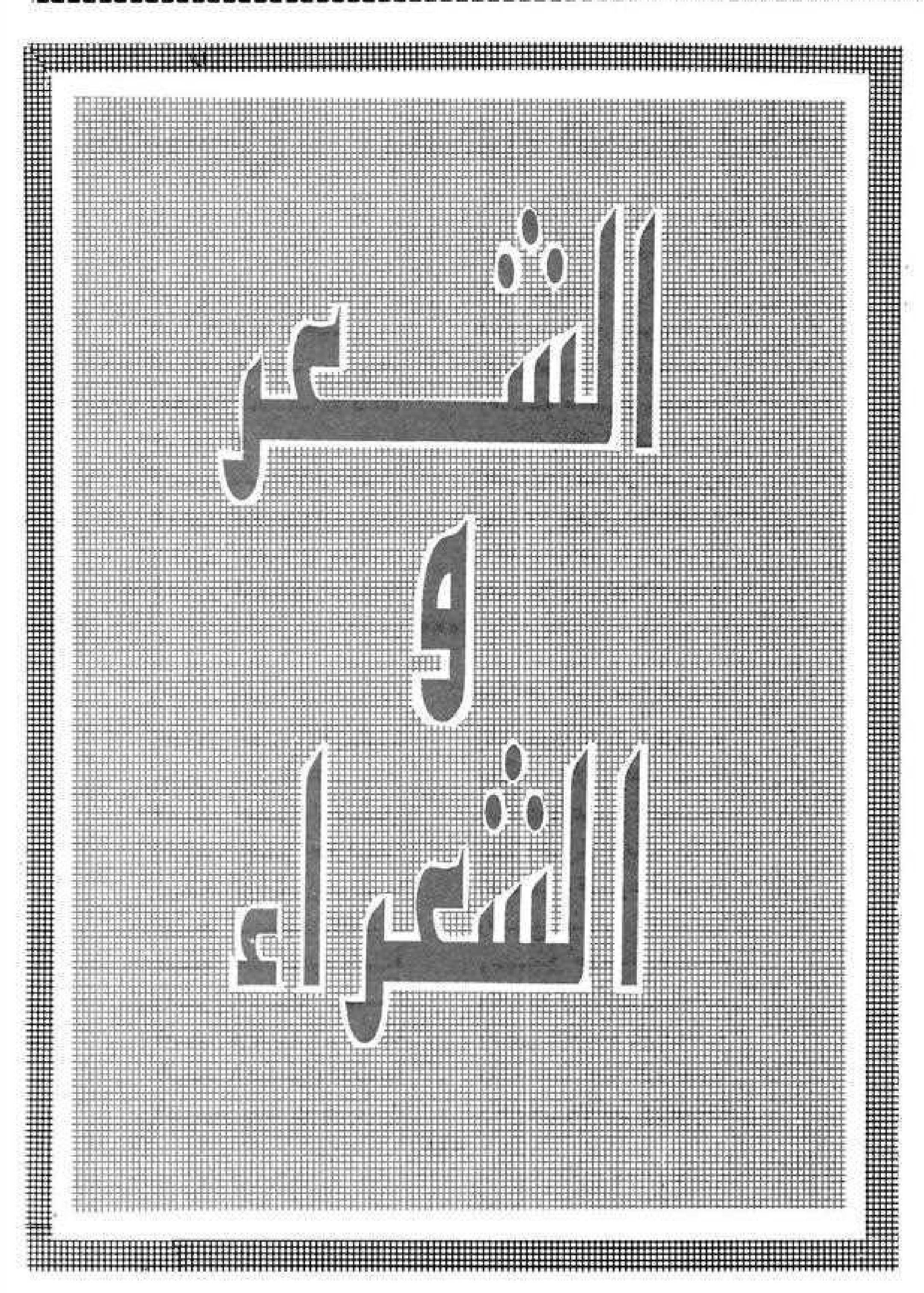
الشعر
و
الشعراء

أهلاً بقدومك يا عيد

شعر : رشاد محمد يوسف

أهلاً بقدومك يا عيد ... بالفرحة تغدو وتعود
تملأ بالبهجة ساحتنا ... فقدومك يمن وسعود
أشرقت ضياءً وسناءً ... وتهلل فجر موعود
وتعطر بالطاعة قلب ... أرضاه صيامٌ وسجود
طوبى للصائم فرحته ... يسرٌ وعطاءٌ ممدود
طوبى للقائم فى ليل ... والمسجد حوض مورود
طوبى للمنفق إحساناً ... ويداه يعطرها الجود
طوبى للسارى بالبشرى ... والخطو عبيرٌ وورود
طوبى للمسلم أسعده ... فضلٌ وسلوكٌ محمود

•••

والنفس تساءل حائرةً ... هل حقاً يُسعدها العيد
والقدس جراح دامية ... والشعب أسير وطريد
والأرض يهددها العدوان ... وبطش بالأرض شديد
فالعيد تحررُ أوطانٍ ... وسدودٌ تقهر وقيود
وأمان يغمر خاطرنا ... يهواه قريب وبعيد
العيد النصر وعودتنا ... للقدس وعود محمود
العيد البسمة للأطفال ... وصبح حر وجديد
العيد الصحوة واعيةٌ ... وسبيلُ حياة ونشيد
وجموع تعرف غايتها ... والعزم قوى وسديد
العيد الوحدة شاملةٌ ... مغنىً يحمله التوحيد
العيد الفجر ومئذنةٌ ... ونداءٌ عذب غرّيد
العيد رضاء وسخاء ... والعيش هنىً ورغيد

•••

يا رب تقبل دعوتنا ... فرضاك الحق هو العيد
وانصر يا رب مواكبنا ... كى تعلو للحق بنود

قلت للعراف

شعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

قلت للعراف في جو التجلي والبخور
والتهاويل التي قد .·. خدرت وَعْي الحضور
كيف تدرى ما توارى .·. خلف غَيْب عن بصير
قال : إن الجن يأتيني بأنباء الدهور
قلت : إن الجن مثلي .·. عَمِىٌّ عن كشف المصير ..

•••

فانبرى لى ذو فنون .·. من مريديه يقول :
إن علم الشيخ سر .·. ليس تدريه عقول
كم وكم من مشكلات .·. منه وافتها الحلول
عنده للغيب كشف .·. إنه شيخ جليل
قلت : فضَّ الله فاك .·. أيها الغِرُّ الجهول

•••

ما نبيٌّ أو رسول .·. خاض في علم بغيب
إن ما بثوهُ وَحْيٌ .·. عنه نور الحق يُنْبى
أيها الإنسان حَكِّمْ .·. في القضايا شرع ربي
إنه الينبوع يروى .·. من نهر كلَّ قلب
لا تكن في العيش غِرًّا .·. لعبة في كف خب(1)

•••

(1) الخب : المخادع .

حتى متى .. ؟

شعر : شوق محمود أبو ناجى

أقلبُ أفتشُ أوراق .. أسمع فيها رَجْع الماضى
أسطُرُها .. زيّنها التاريخُ بثوب الخلدِ الفضفاض
لازال بأحرفها نورٌ .. فى عدلِ الحاكم والقاضى
وَقَفتْ تنظر نحوى شزراً .. ثم تولّتْ فى إعراض
وبكفّى دفترُ أيامى .. يتهرأ تحتَ الأنقاض
أحرفُهُ باهتةُ المضمونِ .. وإن لمعت بالأحماض !!

وذكرتُ زماناً بزغتْ فيه الشمسُ على أفق المشرقْ
تنثر حباتِ النورِ تمزقُ ثوبَ الظّلم وتتألق
كانت فيضاً من نور اللّهِ تضىءُ العالم أو تحرقْ
والتفَّ حواليها التاريخ ليغرف نوراً يتدفّق
والغسق الآثم يهرب من عفو الرحمن ويتمزق
وارتشف الناسُ رحيقَ النورِ أماناً بالحكمة ينطق

وتراخى الزمن بأحفادٍ صمُّوا عن أصوات الحكمة
وتسلّلَ تحتَ شعاع الشمس نسيجٌ من خَلْق الظلمة
كى يحجب أو يسترق النور وينشر أشباح العتمة
ويضل الأعينَ والخطواتِ ويطمسَ إشراق البسمة
واستبق الناس غثاءً يفهق بالدعوات إلى اللقمة
بوجوهٍ باهتةٍ رُسِمَت بشحوب الذلة واللطمة

وأحاولُ أن أتسوّرَ ليل الهمّ فتنزلق الخطواتْ
كى أهوىَ فى قاع تتلوى بين جوانبه الآهاتْ
آهاتُ النشوة .. مثل فحيح الظلم يدوس على الأناتْ
ونشيج الثُكلِ الواهنِ والأطفال الجوعى والطلقاتْ
وأصختُ .. لعل لهاث المتعة لا يختلط مع الصّلواتْ
فإذا حنجرة الكون تثاءب فيها الهمّ بلا نغماتْ

وسمعت نداءً يصرخ بى : لا تلق بنفسك فى التيهِ
فالطُرُقُ مزالقها تهوى بالسالك فيها ترديهِ
غيرَ سبيل ما زال بها نورٌ للقاصدِ يهديهِ
فالصبح المشرق منهجه .. يرسم بالحق نواحيهِ
بكتاب اللّهِ .. هدىً ما ذل من استعصم من أهليهِ
فإلام ـ بنى الإسلام ـ نزيغ ونور معالمنا فيهِ

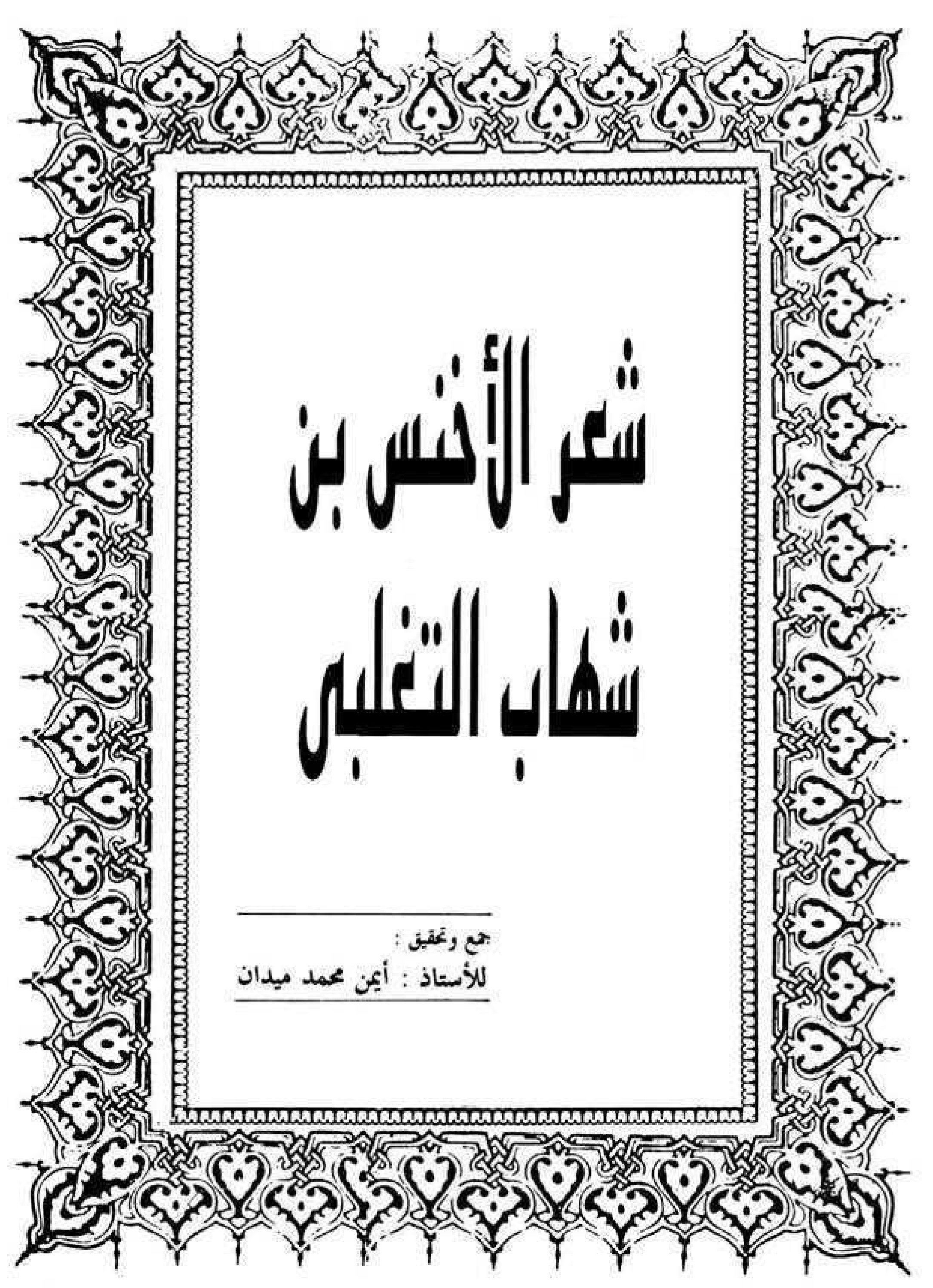

شعر الأخنس بن شهاب التغلبي

جمع وتحقيق :

للأستاذ : أيمن محمد ميدان

شاعر جاهلي قديم « قبل الإسلام بدهر »[1] ، كان رئيسا من رؤساء قومه حضر وقائع السلان وخزازى وحرب البسوس ، عده جورجي زيدان من الشعراء الأمراء[2] .

اختلف في نسبه : فقد رواه أبو عكرمة : الأخنس بن شهاب التغلبي[3] .

ونسبه أحمد بن عبيد فقال : هو شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدى بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب[4] . ونسبه غيره : قال هو فارس العصا[5] وهو الأخنس بن شهاب بن ثمامة بن أرقم بن حزابة بن أسامة بن بكر بن معاوية بن غنم بن تغلب[6] .

ويضيف محققا المفضليات : « وأخطأ صاحب القاموس[7] » إذ زعم أنه صحابي شبه عليه بالأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، واسمه أُبيّ ولُقِّبَ بالأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر ... وشتان ما بين التغلبي والثقفي في النسب والزمن . وأخطأ أبو عبيد البكرى[8] فظن أن بكير بن الأخنس هو ابن الأخنس التغلبي ، وذكر شعراً في آل المهلب واستدرك عليه العلامة الراجكوتي الميمني بأنه مشكل ، وأصاب جداً . والظاهر أن بكير بن الأخنس هو ابن الأخنس الثقفي ، وإن لم نجد له ترجمة وهذا أيضاً غير بكير بن الأخنس السدوسي الكوفي التابعي أحد رواة الحديث[9] .

أسر في حرب كانت بينهم وبين زهير بن جنب الكلبي عند ماء يقال له « الحُبَيّ »[10] ، ومعه مهلهل وكليب وجماعة من فرسان بكر وتغلب وسراتهما ، وفي ذلك يقول زهير مُعَيِّراً بني تغلب[11] :

أيــن أيــن الفــرار من حذار المو	ت إذ تتقــــــون لأسلابِ
إذ أسرنـــا مهلهــلًا وأخـــاه	وابن عمرو في القيد وابن شهابِ

وتوفي « بعد حرب البسوس بزمان نحو سنة ٥٦٦م »[12] على حد تعبير الأب لويس شيخو .

---

(١) شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤١٠ .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ، جورجي زيدان ، ١/١١٣ ، في تاريخ الأدب الجاهلي ٢٨٢ .
(٣) شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤١٠ .
(٤) الاشتقاق ص ٢٠٣ وشرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤١٠ .
(٥) العصا : فرس الأخنس الاشتقاق ص ٢٠٣ والأمالي ٣/١٨٥ . وأنساب الخيل في الجاهلية والإسلام ص ٨٥ .
(٦) شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤١٠ .
(٧) مادة (خ ن س) .
(٨) سمط اللآلي ص ٧٣٠ .
(٩) المفضليات ص ٢٠٣ .
(١٠) الحُبَيّ : ماء بأرض اليمامة .
(١١) أخبار المراقسة ص ١٦ .
(١٢) شعراء النصرانية ١/١٨٦ .

قال الأخنس بن شهاب :

لابْنَـــةِ حِطَّـــانَ بن عَوْفٍ مَنَـــازِلٌ　　كَمَـــارَقَّشَ الْعُنْـــوَانَ فى الـــرَّقِّ كَاتِبُ[١٣]

ظَلِلْتُ بها أُعْـــرِىٰ وَأُشْعَـــرُ سُخْنَـــةً　　كما اعتاد مَحْموما بِخَيْبَـــرَ صَالِبُ[١٤]

---

(١٣) حِطَّان : فِعْلان من الحطّ والنون فيه زائدة ، لذلك لا يصرف . ورقَّش : نَمَّق وَحَسَّنَ . والعنوان وَالعُلْوان : الأثر والعلامة . والرق بفتح الراء وكسرها : جلد رقيق يكتب فيه ، أو الصحيفة البيضاء .

يقول التبريزى فى شرح المفضليات « .. والشاعر لم يُشَبِّه المنازل بالترقيش ، وإنما القصد فى التشبيه إلى أن مَثَّل ما بقى من آثار الديار وقد درست بكتابة درست فبقى بعضها ، وخفى بعضها .. » . وعلق محققا المفضليات على البيت بقولهما : « شبَّب بمحبوبته ، ونسبها لأبيها وجدها وهو محمد نادر التشبيب » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٤ وشرحها المفضليات لابن الأنبارى ٤١٠ وشرحها للتبريزى ٤٩٦ ، ومعجم البلدان ٢٧ ومنتهى الطلب ٢٦٤ ، ومعجم الشعراء ٢٧ . وبرواية ثانية فى شرح الحماسة لأبى العلاء ٨٣ ب :

فلابنة .... نمَّق ....

برواية ثالثة فى حماسة أبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للمرزوق ٢/٧٢٠ وشرحها للتبريزى ٢/١٢٣ وشعراء النصرانية ١/١٨٤ :

فلابنة حِطَّان بن قيس .... نمَّق ....

وقبله فى كل من : حماسة أبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للمرزوق ٢/٧٢١ وشرحها للتبريزى ٢/١٢٣ وشرحها لأبى العلاء ٨٣ ب :

فمـــن يك أمسى فى بلادِ مُقامُـــه　　يُسائـــل أطـــلالاً لها لا تُجـــاوِبُ

وهذا البيت ورد بالرواية السابقة فى شرح الحماسة للمرزوق . وأشار إلى رواية « فى بلادِ مُقامَهُ » . وبرواية ثانية فى شرح الحماسة للتبريزى : « فى بِلادِ مُقامَهُ » وأشار إلى رواية : « فى بلادِ مُقامُه » ..

وبرواية ثالثة فى : شرح الحماسة لأبى العلاء ٨٣ ب :

مَنْ يك .... بلادِ مُقامُهُ　　.............. بها ....

(١٤) أُعْرى : أُفْعَل من العُرَواء ، وهى الرعدة تكون للحمى . وأشعر أى أُبْطن من ذاك أخذ الشّعارَ وهو الثوب الذى يلى البدن . قال الأصمعى : إنما خص خيبر لأن حمّاها أشد الحُمّىٰ . والصالب : الحُمّىٰ التى معها صداع . وخيبر : محمة وحمّاها موصوفة بالشدة .

وعلّق التبريزى فى شرحه للمفضليات قائلًا : « اعتادنى من الوقوف على الدار ومابان من دروسها ما اعتاد المحموم بخيبر .... » وفى شرحه للبيت فى الحماسة أيضا قال : « وقفت بهذه المنازل فحممت وأرعدت لما أصابنى من الغم والتذكر فيها .... » .

• روى البيت بالرواية السابقة :

والمفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لابن الإنبارى ٤١١ ، وشرحها للتبريزى ٤٩٧

• برواية ثانية فى منتهى الطلب « ٢٩٤ » :

―――――――― وأشعر ――――――――――――

• وبرواية سابقة فى :

حماسة أبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للمرزوق ٢/ ٧٢١ ، وشرحها للتبريزى ٢/ ١٢٣ . وشعراء النصرانية ١/ ١٨٤ :ـ

وقفت بها أبكى وأشعر سُخنة ――――――――――――

وأثار كُلٌ من التبريزى ولويس شيخون إلى « سخنة » بضم السين وكسرها وكذا الرزوق فى شرحه للحماسة .

• وبرواية رابعة فى شرح الحماسة لأبى العلاء ٩٨٤ .

وقفت بها أعزى وأشعر سخنة ――――――――――――

تظلّ بهـا رُبْـدُ النَّعـامِ كأنَّهـا إمِاءٌ تُزَجَّـى بالـعَشِيِّ حَواطِبُ(١٥)

خليلاىَ هَوْجـاءُ النَّجـاءِ مِشمَّلـةٌ وَذُو شُطَبٍ لايجْتَويهِ المُصَاحِبُ(١٦)

---

(١٥) رُبْد : جمع أربد وربداء ، والرُّبدة : سواد فى بياض ، والنعام كلها رُبد . تُزجّى : تدفع أو تساق . الإماء : جمع أمة . الحواطب : اللاتى يحملن الحطب . وإنما خص العشى لأن الإماء يرجعن فيه إلى أهاليهن : وقد أعيين فهن يمشين على تؤدة .

يقول ابن الأنبارى فى شرحه : « أراد أن هذه الديار خالية ، فالنعام فيها مطمئنة .. » ويضيف التبريزى فى شرحه للمفضليات « ... وشبة النعام وهى أنفر الوحوش فى سكونها فى مرعاها ورفقها بنفسها فى مشيها لأمنها مما يذعرها ، ويزاحمها بإماء تساق محتطبا مثقلات بما جمعت من الحطب ، واحتملن بالعشى راجعات إلى الحى معيبات ... » .

ورد البيت بروايته السابقة فى :

المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها : لابن الأنبارى ٤١١ ، وشرحها للتبريزى ٤٩٧ ، ومحاضرات الأدباء ٢ / ٢٩٨ ينسب للأخطل وهو تحريف ، وشعر الأخطل ٣٧٧ ، ومنتهى الطلب ٢٩٤ .

● وورد برواية ثانية فى : حماسة أبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للتبريزى ٢ / ١٢٣ ، وشرحها لأبى العلاء (خ) ١٨٤ ، وشعر النصرانية ١ / ١٨٤ :

تمشى ـــــ حول ـــــ ـــــــــ

الحول : جمع حائل وهى التى لم تحمل .

● وبرواية ثالثة فى « الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء » ٤٤

به ـــــــــ ـــــــــ

● وبرواية رابعة فى « الحيوان » ٤ / ٤١٤

ـــــــــ ـــــ بالمساء ـــــ

● وبرواية خامسة فى « العقد الفريد » ٥ / ٣٨٥

يُزْجَى ـــــــــ

● وبرواية سادسة فى « محاضرات الأدباء » ٢ / ٢٩٨

ـــــــــ إذا ما تزجّى بالعشى ـــــ

● وأشار ابن الأنبارى إلى رواية « تُزجّى » .

(١٦) الهوجاء : الناقة التى تركب رأسها فى السير . النجاء : سريعة ، والشملة : الخفيفة السريعة ذو شطب : يعنى السيف . والشُّطَب كهيئة الخطوط فى السيف . لا يجتويه : لا يكرهه . والاجتواء الكراهة والاستثقال . والمصاحب : صاحب السيف .

يقول ابن الأنبارى « .. يقول خليلاى : ناقة أسير عليها وسيف قطب ..... » ويضيف التبريزى فى شرحه للحماسة « .. وهذا الكلام إشارة إلى أن أصحابه خذلوه ، ولم يروا مساعدته فى الوقوف على الديار .. » .

● ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لأبن الانبارى ٤١٢ وشرحها للتبريزى ٤٩٨ ، والحماسة لأبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للمرزوقى ٢ / ٧٢٢ ، وشرحها للمرزقى ٢ / ٧٢٢ ، وشرحها للتبريزى ٢ / ١٢٤ ، وشرحها لأبى العلاء ١٨٤ ، وشروح سقط الزند سفر ٢ قسم ١ ص ١٠٥ ، والأشباه والنظائر ٢ /٢٨٣ ، وشعراء النصرانية ١ / ١٨٥ .

● وبرواية ثانية فى « منتهى الطلب » ٢٩٤ .

خليلىَ ـــــــــ ـــــــــ

وأشار ابن الأنبارى إلى رواية « ما يجتويه » .

● وزاد التبريزى فى شرحه للحماسة وأبو العلاء قبله :

وَقَدْ عِشْتُ دَهْراً وَالْغُوَاةُ صَحَابَتِى أُولَـئِكَ خُلْصَانِى الَّذِيـنَ أُصَاحِبُ[17]

رَفِيقَـا لِمَـنْ أَعْيَـا وَقَلَّـدَ حَبْلَـهُ وَحَـاذَرَ جَرَّاهُ الصَّدِيـقُ الْأَقَارِبُ[18]

فَأَدَّيْتُ عَنِّى مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصِّبَى وَلِلْمَالِ عِنْدِى الْيَوْمَ دَاعٍ وَكَاسِبُ[19]

خليلىّ عُوجـا من نجـاء شِمِلَّـةٍ علينا فـى كالسَّيـف أروَعَ شاحبُ

الأروع : الجميل . الشاحب : المهزول ، وقيل : المتغير اللون .

• وأضاف أبو العلاء البيت التالى بعده :

يسْأل رَبْـع الـدار حبٌ مُتيَّـمٌ أخـو قفْـوةٍ لا تحتويـه المـذاهبُ

الحبُّ المُتيَّم : العاشق المشتاق الذى استولى عليه الحبُّ واستعبده .

(١٧) الغواة جمع غاو وهو الضِّلِّيل . وخلصانى : خِلّانى وصفوتى ، وقوله : « الذين أصاحبُ » أى أصاحبهم ، وقد حذف الضمير استطالة للاسم بصلته .

• ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٣ وشرحها للتبريزى ٤٩٨ ، والحماسة لأبى تمام ٣٠٠ ، وشرحها للمرزوقى ٢ / ٧٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٢ / ١٢٤ ، وشرحها لأبى العلاء ٨٤ أ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٢٨٣ ، وشعراء النصرانية ١ / ١٨٥ .

• وبرواية ثانية فى منتهى الطلب ص ٢٩٤ :ـ

__________ ______ خلصانى ______

• وبرواية ثالثة فى البخلاء للجاحظ :ـ

__________ أولئك أخوانى ______

• وبرواية رابعة فى الاختيارين :ـ

وقد كنت عصْرا ______ ______ أخدانى ______

الأخدانُ : واحدها خِدْن وهوالصديق الذى يكون معك فى كل أمر ظاهر أو باطن

• وأشار ابن الأنبارى إلى رواية « أولائك خُلّانى » ، ورواية « أولائك أخدانى » ، ورواية « وقد عِشْتُ تُمضرّا » وأشار التبريزى فى شرحه للمفضليات إلى رواية .

(١٨) رفيقا : صاحبا . أعيا : يريد أتعب عاذليه وأجهدهم لعرامته . قلّد حبله : يريد أنه ترك ما يئس منه ، كما يفعل بالبعير إذا صعب قياده فألقى حبله على عنقه ، وترك يفعل ما يشاء . حاذر : اتّقى . جرّاه : جريرته ، وهى جنايته . الصديق : يكون للواحد وللجمع ، وهو ههنا للجميع .

(١٩) هذا مَثَل : أى كان ما كنت فيه من الجهل من الشيطان فلما أقلعت عن ذاك فكأن الجهل كان عندى عارية فرددتها . وأقبلت على مالى أصلحه وأرعاه ، وأطلب الزيادة فيه .

• روى بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٤ ، وأشار إلى رواية « وللمال مِنّى ... » . وشرحها للتبريزى ٤٩٩ . والحماسة لأبى تمام ٣٠١ وشرحها للتبريزى ٢ / ١٢٤ ، وورد فيه « فأدّبت ... » بالباء وأظنه خطأ مطبعياً أو تصحيفاً . والبخلاء ٢٥٥ .

• وبرواية ثانية فى شرح الحماسة للمرزوقى ٧٢٤ :

__________ فللمال ______

● ورد البيت بالرواية السابقة فى :

لِكُــلِّ أُنَــاسٍ مِنْ مَعَــدٍّ عِمَــارَةٍ   عُرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَئُــونَ وَجَــانِبُ[20]

● وبرواية ثالثة فى شرح الحماسة لأبى العلاء ٨٤ أ :

وَأَدْنَيْتُ ________ فَلِلْمَالِ ________

● وبرواية رابعة فى منتهى الطلب ٢٩٤ :

________ ________ مِنِّى ________

● وبرواية خامسة فى الاختيارين :

________ فَلِلْمَالِ مِنِّى الْيَوْمَ ________

● وبرواية سادسة فى شعراء النصرانية ١/ ١٨٥

فَأَدْنَيْتُ ________ الصِّبَا ________

● ورد البيت بالرواية السابقة فى :

● المفضليات ص ٢٠٤ ، وشرحها لابن الأنبارى ص ٤١٣ ، وشرحها للتبريزى ٤٩٨ ، والأمالى للقالى ٢/ ٩٧ ، ومنتهى الطلب ٢٩٤ .

● وبرواية ثانية فى « الأشباه والنظائر » ٢/ ٢٨٣ منسوباً للأخنس ابن شريق :

________ الْمُنَاسِبُ

● وبرواية ثالثة فى : حماسة أبى تمام ٣٠٠ ، وشرحها للمرزوقى ٧٢٣ وشرحها للتبريزى ٢/ ١٢٤ ، وشعراء النصرانية :

قَرِينَةَ مَنْ أَسْفَى ________

● وأشار ابن الأنبارى إلى رواية أخذ (قَرِينَةَ مَنْ أَغْيَا) ، وفى الاختيارين .

(٢٠) « العمارة : الحىّ العظيم يطيق الانفراد ، وكذلك العميرة . وقيل هما جميعا البطن والبصريون رووه بكسر العين وجرّ عمارة على أن تتبع لكل أناس .. والكوفيون رووه بفتح العين ورفع عمارة . والأصح الأول ويكون « عروض » مبتدأ . و « لكل إناس » فى موضع خبر » شرح المفضليات للتبريزى ٤٩٩ .

العروض : الحىّ العظيم الكبير ، والطريق فى عُرْض الجبل ، وهو ما اعترض فى مضيق والجمع العُرُض . وقيل : عروض الجبل شُعْبة منه ... والعروض الأكمة الصعبة .... والعروض : الناحية . ومعنى البيت : لكل طائفة من طوائف معد ناحية يأوون إليها وهضبة عزّ يتحصنون بها » شرح المفضليات للتبريزى ٤٩٩ .

روى البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لابن الأنبارى ص ٤١٤ ومنتهى الطلب ص ٢٩٤ .

● وبرواية ثانية فى : مجمل اللغة ٣/ ٦٦٠ .

________ عَمَارةٍ ________ يلجأون ________

بفتح العين ، وأشار إليها التبريزى فى شرح المفضليات ص ٤٩٩ .

● وبرواية ثالثة فى : الأمالى ٢/ ٢٤٧ ، وفى سمط اللآلى ص ٨٦٨

________ عِمَارةٍ ________ يلجأون ________

بكسر العين .

وبرواية رابعة فى : حماسة أبى تمام ١/ ٣٠١ ، وفى شرحها للتبريزى ٢/١٢٥ ، وفى شرح المفضليات للتبريزى ٤٩٩ ، وفى شرح ديوان المتنبى للعكبرى ٤/ ٩٩٢ ، وفى « الصحاح » مادة عمر وفى لسان العرب (عرض) :

لُكَيْزٌ لَها الْبَحْرانِ وَالسِّيفُ كُلُّهُ ... وَإنْ يَأْتِها بَأْسٌ مِنَ الْهِنْدِ كَارِبُ[21]

______ عِمارةٍ ______

وعلّق صاحب الصحاح قائلًا : لكل حيّ حرزٌ إلا بنى تغلب فإن حرزهم السيوف ، وعمارة خفض لأنه بدل من أناس . محمد رواه غُرُوض بضم العين جعله جمع غَرْض وهو الجبل . العروض : المكان الذى يعارضك إذا سرت .. » .

وورد البيت الثامن برواية خامسة فى « الأشباه والنظائر » ٢/ ٢٨٣ منسوباً للأخنس ابن شريق :

______ عِمارةٍ خُصُونَ ______

وبرواية سادسة فى : معجم ما استعجم ١/٨٦ وفى رسالة الصاهل والشاحج ص ٥٨٩ :

______ عِمارةً ______

وأشار ابن منظور فى اللسان (عمر) إلى رواية سابعة للبيت هى :

______ عِمارةٍ غُرُوض ______

وعلق « من رواه » غُرُوض .. بضم العين جعله جمع غَرْض وهو الجبل والبيت للأخنس » .

(٢١) لُكَيْز (بالتصغير) : ابن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ . من العدنانية . البحران : البلاد المعروفة بهذا الاسم حتى يومنا هذا . السِّيف بكسر السين : ضِفّة البحر . كارب : فاعل من الكَرْبِ وأصل الكرب شدّة الأمر . « ويريد بالهند ها هنا السِّنْد ، ويقال البصيرة ، وكان صقعها تسمية العرب قديما بهذا الاسم » معجم ما استعجم ١/ ٨٦ .

• وروى بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٤ وشرحها للتبريزى ٤٩٩ ، وصفة جزيرة العرب ١/ ٢٠٥ ، والأشباه والنظائر ٢/ ٢٨٣ ومنتهى الطلب ٢٩٤ .

• وبرواية ثانية فى « فى شرح الحماسة » لأبى العلاء ٨٤ أ :

______ خطبٌ من الدّهر ______

الخطْبُ : نوائب الزمن .

• وبرواية ثالثة فى معجم ما استعجم ١/ ٨٦ .

______ يَغْشها ______

• وبرواية رابعة فى معجم البلدان (قطبة) وشعراء النصرانية ١/ ١٨٥ :

______ دُونَهُ ... وَإنْ يَأْتِهِم نَاسٌ مِنَ الْهِنْدِ هَارِبُ

• وأشار ابن الأنبارى إلى رواية خامسة :

______ جُلٌ مِنَ الْهِنْدِ ______

الجُلُّ والجَلُّ : ما تلبسه الدابة لتُصان به .

• وأشار ابن الأنبارى ٤١٥ إلى رواية سادسة :

______ دُونَها ... وَإنْ يَغْشَها ______

الشيخ عبدربه مفتاح

محمد طاهـر الزنكلونى

عالم جليل ومجاهد دينى كبير ولد بعزبة مفتاح من قرى مركز إطسا بمحافظة الفيوم . ثم التحق بمعهد القاهرة الدينى وأكمل تعليمه بالأزهر وعند تخرجه عين إماما بالأوقاف بمسجد الغندور بشارع سوق السلام بالقاهرة . وعندما انشىء قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر سنة ١٩٢٨ م عين مفتشا عاما له ، وكان الوعاظ قبل ذلك يعملون فى مصلحة السجون لإرشاد وتوجيه المنحرفين فلما نقل إلى الأزهر ، وتولى الشيخ عبد ربه إدارته نهض به نهضة واسعة فعمد إلى اتساع حركته لتغطى أنحاء القطر جميعه بعد أن كان قاصرا على الوجه البحرى فقط ، ولم تعد مهمته محصورة فى وعظ المنحرفين وإنما توسع الشيخ فى أنشطته ونهض برسالته فحمل الوعاظ مسئولية نشر الدعوة الاسلامية والثقافية والمعرفة بين الناس ومحاربة البدع والخرافات وتقوية الوعى الوطنى وتقويم السلوك الاجتماعى وإرساء أسس الفضيلة ، هذا إلى جانب دورهم فى هداية الضالين ومحاربة الجريمة .

وكان للشيخ أكبر الأثر فى النهوض بثقافة الوعاظ وتوجيههم بما كان ينظمه من لقاءات بهم وبما يُعِدُّ من منشورات ويصدره من توجيهات .

وقد نشرت الأهرام فى عددها الصادر فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٠ مجموعة من هذه المنشورات التى كان يُعِدُّها فضيلته ويزود بها الوعاظ ليسيروا على هديها ويترسموا خطاها فى وقت كانت البلاد فيه تعانى من الانقسامات الحزبية والاحتلال الأجنبى وننقل بعضا منها ليتعرف القارىء من خلاله على دور الشيخ القيادى والتربوى ومدى ماكان عليه من سعة الأفق ، وسلامة المنهج ، وجمال الأسلوب وحسن العرض .

يقول فى منشور كان قد أرسله إلى الوعاظ فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٩م .

إن الإسلام دين إجتماع واتفاق لا دين اختلاف وافتراق .. وفى البلد اليوم شيع وأحزاب فكونوا للناس جميعا .. ولا تشيعوا فتذهب ريحكم .. واعلموا أن الداعى قدوة للعامة محسوب عليه أقواله وأفعاله ، وأن العمل أفضل فى تهذيب النفس من القول مهما سمت أساليبه ، وبلغت عظاته ، فلتطابق أفعالكم أقوالكم فتجملوا بحسن السمت وصالح العمل حتى تبلغ عظاتكم من القلوب محلها المروم ، وانتهزوا لمواعظكم وإرشادكم الفرص المناسبة فاغشوا مجالس السمر ومحال العبادة والنوادى والمآتم والأفراح .. ولتكن وسيلتكم ضمان النفع ، وتحقيق الاتعاظ ومحاسن الذوق ولطف الأساليب ورعاية المناسبات فالبسوا لكل حالة لبوسها ، ولاتشتدوا فى مواطن اللين ، فإن للنفوس شذوذا وجموحا .... وحددوا مقاصدكم وأوضحوا بيانكم وأعمدوا إلى أصول الدين ومعالمه .. فاجعلوا لها المقام الأول ، ولا تطيلوا فتملوا ولا تقصروا فتضيعوا .. الواعظ سياسى ... وطبيب معالج فإن لم يسبق تفكيره قوله ولم يداو الداء بالدواء الناجع ذهبت جهوده ..

وفى منشور وزعه على الوعاظ فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٩ م يقول لهم :

« وعلى حضرتكم أن تصدروا فى كل ماتأتون وما تدعون ... غير متأثرية بأية عاطفة » حتى يكون سلاحكم فى إصلاح العامة الخير المجرد والدعوى إلى سبيل الله بالحسنى وعزوا الحق فإن الحق ينصر من ناصره . ويكبت من ناوأه ، ولئن بدا وعر المسلك شديد المراس فإن سبيله إلى نجاح ، واربئوا بأنفسكم عن مواطن النقاش والمنازعات — فإنها — مفسدة للقلوب ..

وهذه المنشورات تذكرنا بمنهج الرعيل الأول من الخلفاء والقواد ممن كانوا يزودون عمالهم بالنصائح والتوجيهات وهى ترتفع فى أسلوبها إلى مصاف الأساليب الأدبية العالية عند أمثال عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وغيرهم من أساطين الأدب فى عصوره الذهبية ..

ولم يقف دور الشيخ فى النهوض بالوعظ والإرشاد عند هذا الحد ، وإنما قام بتأسيس « مجلة نور الإسلام » لسان علماء الوعظ والإرشاد ، وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها وجعل منها منبراً للدعوة الإسلامية وإرشاد الأمة إلى دينها ، ومحاربة البدع ، ومقاومة الفساد الاجتماعى والإلحاد فى الدين .

ولم يقتصر فى الكتابة عليها بل كان يكتب فى مختلف الصحف التى كانت تصدر فى مصر ، وخاصة (الأهرام) التى لم يكن يخلو عدد منها من مقال له أو مقابلة تجريها معه ..

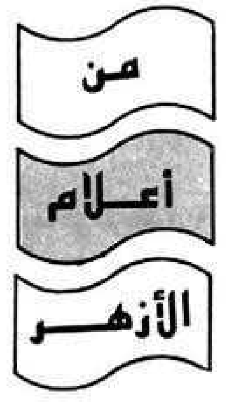

ولم يترك مجالًا يقاوم منه الانحراف ويقوم به الأخلاق إلا طرقه وولجه ، فكان صوته يجلجل فى كل مكان يدعو إلى الفضيلة ، وينادى بالإصلاح ، ويندد بالإنحراف والمنحرفين .

حارب الشعوذة والدجل وأدعياء التصوف كما حارب الأفكار المستوردة المسمومة والتيـــارات الهدامة .

كتب فى (صحيفة السياسة) عدة مقالات بين فيها « خطر كتب المتصوفة المرتزقة ودعا إلى مصادرة هذه الكتب التى تخرج على الدين وتضر بالحقيقة .

وعندما أصدر طه حسين كتابه « الشعر الجاهلى » هب لتفنيد ماتناثر فيه من زيغ ومطاعن وعدوان على الحقيقة والتلبيس فيها .

وامتاز -- رحمه الله -- بقوة النفس والجراءة فى الحق لايتملق ولا يصانع ولا يتوارى فى مواطن الاقدام والمخاطرة عرف عنه إخوانه الصراحة فى الحق والصدق فى النصيحة والجراءة فى النهى عن المنكر والاعتزاز بكرامة العلم والعلماء وله مواقف عديدة تشهد بقوته فى الحق وإيمانه بمسئولية الداعى الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لايرده عن قولة الحق خوف سلطان أو جبروت حاكم، أعلن النبيل عباس حليم فى الصحف عن وليمة للغداء الساعة الثالثة فى شهر رمضان ، ودعا إليها كبار الحكام فهاجمه الشيخ علانية فى الصحف وعلى المنابر وأعلن الملك غضبه على النبيل وعدم رضاه عما فعله ، ودعى لحضور حفل زفاف وكان أصغر الحاضرين سنا ، ولما بدأ الحفل رأى راقصة تدخل القاعة فأنتفض واقفا وخرج من الحفل دون استأذان وكانت له حملة على صفوت باشا وزير الأوقاف لعدم استبداله السجاد بحصر الأزهر ، وإساءته فى اللفظ إلى العلماء فأقاله الملك .

ولم يتنكر لإخوانه العلماء ذوى قضية الفصل المشهورة التى أحاطت بسبعين عالما وظل يجاهد حتى استطاع بمشيئة الله ثم بمعونة حافظ عفيفى (باشا) وإسماعيل صدق (باشا) رئيس الوزراء أن يستصدر قرارا بعودتهم إلى أعمالهم .

تميز -- رحمه الله -- بالوطنية والتضحية ، وعمل (سكرتيرا) للجمعية الشهيرة فى حرب ومقاومة الاحتلال (اليد السوداء) وقد هاجم جنود الاحتلال داره أكثر من مرة فى محاولة للقبض عليه وعلى زملائه ، ولقد اضطره موقفه هذا أن يتنكر فى غير زيه ليتمكن من الاتصال بزملائه المعتقلين ، وكان لجهاده هذا أثره فى تعبئة الجماهير وتوحيد الصفوف ضد المحتلين . وقد أعترف بدوره هذا الأستاذ إبراهيم عبد الهادى باشا أحد زعماء الثورة (ورئيس السعديين) فيما بعد وذلك فى مذكراته التى نشرتها (روزاليوسف) فى مايو ١٩٨٢ ، وكان الشيخ عبد ربه مفتاح إلى جانب ذلك أديبا يهتم بالأدب ويخصص له جانبا من وقته يتفرغ فيه للقراءة والبحث وكان بيته ملتقى الأدباء يلتقون فيه فى أوقات محددة يتدارسون ويتباحثون فى شئون الأدب والفكر وألوان المعرفة وَكَوّنَ مع لفيف من العلماء

والأدباء جمعية علمية أدبية أطلق عليها أسم (إخوان الصفا) وجعل من بيته مقرا لها وكان من بين أعضائها الشيخ شلتوت والشيخ العدوى والشيخ محمد عبد اللطيف دراز والشيخ محمود أبو العيون والشيخ حامد محيسن والدكتور إبراهيم سلامة الذى تولى عمادة كلية الآداب بجامعة القاهرة فيما بعد وظل رحمه الله ورضى عنه يجاهد جهاد العلما ويناضل نضال الأبطال حتى وافاه الأجل سنة ١٩٣٨ ميلادية فهبت مصر كلها تنعى عالمها المجاهد وتبكى فقيدها العظيم وامتلأت الصحف برثائه فى مقالات تكشف عن مكانته فى النفوس ومنزلته فى القلوب ومكانه بين العلماء العاملين والمجاهدين البررة وأسوق هنا شيئا من رثاء أقرب الناس إليه وأعلمهم به وأكثرهم معرفة بصفاته ذاك صديقه الفاضل الشيخ محمود أبو خيره الذى كتب يرثيه فيقول : عنوان « مات رجل والرجال قليل » .

نشأ الفقيد الراحل أزهريا ممتازا ثم أفادته دروس الزمن وتجاريب الأيام حنكة ومرونة وسرعان ماتجلت عبقريته وتألق نجمه فى العلم والأدب .

فلقد كان كاتبا ماهرا وأديبا عظيما وهاهى ذى كتاباته التى كان يصدر بها مجلة نور الإسلام لسان حال الوعظ والإرشاد ، وفى كثير من الصحف اليومية نموذج طيب للمنطق السليم والفكرة الصحيحة فى أساليب أدبية رائعة تأخذ بمجامع القلوب وتحرك أنبل العواطف والشعور وتشهد بطول الباع وسعة الاطلاع هذا إلى ماكان له من ذكاء الموهوبين وصفات المؤمنين وسمات الصالحين ..

كان حاد الزهن حاضر البديهة.... له قوة فى الدين وإيمان فى يقين وصبر فى شده وطلب فى حلال ونشاط فى هدى يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل من قطعه ، يحسن على الضعيف ويحدب على الفقير يحمل بين جنبه قلبا لايعرف الحقد والحسد ونفسا لاتنزع إلى الشر ..... صريحا جريئا .

يقول الحق ..... ولايخشى فيه لومة لائم يعتصم بعزة نفسه وكرامته يأبى الضيم ..... وفير التواضع طيب العشرة محبوب من إخوانه وجميع مواطنيه ، مكتبه مورد لجميع الطبقات ومحط رجال أصحاب الحاجات وبيته ندوة العلماء وملتقى الأدباء والفضلاء ..... الخ

رحم الله الشيخ عبد ربه مفتاح وجزاه عن الإسلام والأزهر والمسلمين خير الجزاء .

التأصيل الإسلامى لعلم الجبر

ا.د. أحمد فؤاد باشا

يرجع الفضل فى تأسيس علم الجبر وتطويره إلى كثير من علماء الحضارة الإسلامية النابهين أمثال الخوارزمى وشجاع بن أسلم والبوزجانى والقلصادى وعمر الخيام وغيرهم ، وعنهم انتقل هذا العلم بلفظه العربى الأصيل إلى جلّ اللغات الأجنبيّة Algebra ، وأصبح بعد ذلك يُطلق على علم المعادلات الجبرية بوجه عام .

الخوارزمى مؤسس علم الجبر :

عرف المصريون القدماء بعض المعلومات التى يمكن أن نطلق عليها حلولًا لمسائل تدخل فى إطار الحساب الجبرى . فقد حوت « بردية رند » Papyrus Rhind ، على سبيل المثال ، مسألة حسابية نصّها كما يلى :[1]

« ما هو العدد الذى إذا أُضيف إليه رُبْعُه يصبح ١٥ » .

وكانت طريقة الحل أن يُفرض عدد يقبل القسمة على « أربعة » ، ويُختار أولًا العدد الأساسى « ٤ » فيكون رُبْعه « ١ » والمجموع هو ٤ + ١ = ٥ ، ثم يقسم على هذا المجموع القيمة المعطاة فى المسألة وهى « ١٥ » فينتج « ٣ » . ويضرب هذا الناتج فى العدد الانطلاق يُعثر على الحل المطلوب ، أى ٣ × ٤ = ١٢ .

وهذا النوع من المسائل هو ما نعبّر عنه الآن فى علم الجبر بمعادلة خطية من الدرجة الأولى على الصورة :

$$س + \frac{س}{٤} = ١٥$$

حيث يرمز الحرف س إلى العدد المجهول المطلوب إيجاده .

كذلك عرف البابليون ذلك النوع من المسائل التى يقتضى حلها وجود معادلة من مجهول واحد أو مجهولين . كما عرف عرب الجاهلية شيئا من هذا الفن ، ورددوه كثيرا فى شعر الألغاز والأحاجى ، على نحو ما نجد فى قول النابغة :

واحكمْ كحكمِ فتاة الحى إذ نظرتْ
إلى حمامٍ سراعٍ واردِ الثمدِ
قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا مع نصفه فقدِ
فحسَّبوهُ فألفوْه كما ذكرتْ :
تسعًا وتسعين لم تنقُصْ ولم تزدِ
فكمَّلت مائةً فيها حمامتها
وأسرعت حسبةً فى ذلك العدد !!

وتعبر هذه الأبيات عن مسألة مشابهة تمامًا لمسألة الحاسب المصرى القديم التى ذكرناها ، ويمكن أن نعبّر عنها هذه المرة بمعادلة جبرية على الصورة :

$$س + \frac{س}{٢} + ١ = ١٠٠$$

ومنها يمكن إيجاد المجهول س = ٦٦ وهو عدد الحمام الذى رأته فتاة الحى التى أعجب النابغة بمدركها الاستقرائى .

لكن مثل هذه المحاولات التى قام بها القدماء لم تكن فى حقيقة الأمر إلا مسائل من نمط المشكلات التى قابلها الحاسب القديم فى حياته العملية ، أو احتاج لتطبيقها فى حساب مساحات زراعية أو توزيع مواد غذائية أو تقسيم أموال أو محاصيل وما إلى ذلك . وكان الأسلوب المستعمل فى التعامل مع هذه المشكلات هو أسلوب التلمس القائم على تكرار المحاولة والخطأ فى كل مسألة على حدة فى سبيل الوصول إلى الحل الصحيح . ودليلنا على ذلك أن المخطوطات القديمة لم تستعمل رموزا (مثل س ، ص) تحمل معنى التعميم الذى يميز المعادلة الجبرية ، ومن ثم فهى ـ أى المخطوطات القديمة ـ لم تنقل إلى البشرية اللاحقة إلا المحاولات التى نجحت فقط . كما أننا ـ من ناحية أخرى ـ لم نعثر على مؤلف واحد فى علم الجبر عند قدماء الاغريق والهنود رغم أبحاثهم المستفيضة فى مسائل الحساب والهندسة .

وعلى هذا الأساس ، فإن ما قدمناه من سرد لحقائق تاريخ الرياضيات يجعلنا لا نتردد فى اعتبار « كتاب الجبر والمقابلة » ، الذى وضعه محمد بن موسى الخوارزمى ، عبقرى الحضارة الإسلامية ورئيس بيت الحكمة فى عصر المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) ، أول كتاب فى هذا العلم دون منازع ، وأول مرجع لأهل الاختصاص والمؤلفين فيه بعد ذلك من عرب وأعاجم فى الشرق والغرب ، ولا يقلل من شأن الخوارزمى أنه أطلع على معارف من سبقوه وألمَّ إلماما واعيا بكل

---

(١) رتبة تاتون ، تاريخ العلوم العام ، المجلد الأول ، العلم القديم والوسيط من البدايات حتى سنة ١٤٥٠م ، ترجمة د. على مقلد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

التأصيل الإسلامى

تفصيلاتها ، فعبقريته الفذة قد تجلت فى ابتكار علم جديد من معلومات مشتتة وغير متماسكة ، فضلا عن أنها جعلت منه علما تطبيقيا يفيد فى تلبية احتياجات المجتمع الإسلامى . ومثل هذه العبقرية الإسلامية لا تقل بأى حال من الأحوال عن عبقرية عالم شهير مثل « اسحق نيوتن » ، ذاع صيته بسبب كتابه المعروف باسم « برنسيبيا » Principia الذى ضمنه قوانين حركة الأجسام . ذلك أن كثيرا من المعلومات الواردة فى كتاب نيوتن كان معروفا لأهل زمانه وقبل أهل زمانه ، ولكن أحدا قبله لم يقم بتنظيم شتات هذه المعلومات وصوغها فى صورة علم منسق ذى وحدة ظاهرة . وكذلك الحال فيما يتعلق بالخوارزمى وعلم الجبر[٢] . وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته ما يوافق هذا الرأى ، فقال عند الكلام عن علم الجبر والمقابلة أنه : « صناعة يُستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضى ذلك ... وأول من كتب فى هذا الفن « أبو عبدالله الخوارزمى » ، وبعده « أبو كامل شجاع بن أسلم » ، وجاء الناس على أثره فيه ، وكتابه فى مسائلة السّتّ من أحسن الكتب الموضوعة فيه ، وشرحه كثير من أهل الأندلس .. » .

منهج الخوارزمى فى البحث والتأليف :

عرف الخوارزمى فى كتابه « الجبر والمقابلة » جميع عناصر المعادلة الجبرية كما نفهمها اليوم ، فشرح معنى الحد المعلوم والمجهول والمطلق والعدد الأصم وفكرة الأسّ ، واللوغاريتمات والكميات السالبة والموجبة والتخيلية ومعادلات الدرجة الأولى والثانية وطرق حلها .. وذكر أن الأعداد التى يُحتاج إليها فى حساب الجبر والمقابلة على ثلاثة ضروب وهى : جذور وأموال وعدد مفرد فالجذر منها كل شىء مجهول مضروب فى نفسه من الواحد ومافوقه من الأعداد ومادونه من الكسور (وهو مايرمز له فى الجبر الحديث بالرمز : س) والمال كل مااجتمع من الجذر المضروب فى نفسه (أى مربّع الجذر أو الشىء : س^{٢}) .

والعدد المفرد كل ملفوظ به من العدد بلا نسبة إلى جذر ولا إلى مال (أى الحد الذى لاجذر معه) فمن هذه الضروب الثلاثة مايعدل بعضها بعضا . مثال ذلك قولك : ثلاثة أشياء وأربعة من العدد تعدل مالا (أى ٣س + ٤ = س^{٢}) .

وفى هذا الكتاب وضع الخوارزمى أصول علم الجبر وقواعده وخرج به من نطاق الأمثلة المفردة إلى المعادلة العامة التى تسهل حل المسائل الحسابية المتشابهة طبقا لقاعدة معينة ، وظلت كلمة « الجبر » الدالة على هذا العلم محتفظة بأصلها العربى فى جميع اللغات الحديثة ، وهى تعنى نقل الحدود السالبة من مكانها فى أحد طرفى المعادلة الجبرية إلى الطرف الآخر ، أما المقابلة فتعنى حذف الحدود المتشابهة فى الطرفين[٣] مثال ذلك :

---

(٢) راجع فى ذلك :

ـ الخوارزمى محمد بن موسى ، كتاب الجبر والمقابلة ، تحقيق على مصطفى مشرفة ومحمد مرسى أحمد ، القاهرة ١٩٣٧م . ولقد سبقنا الغربيون إلى نشر كتاب الخوارزمى والتعليق عليه ، كما سبقونا إلى نشره بالعربية سنة ١٨٣١م .

ـ قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق (بدون تاريخ نشر)

(٣) تجدر الإشارة هنا إلى وجود بعض الخلاف بشأن تعريف الجبر والمقابلة فى كتب التراث فقد ذكر التهانوى فى كتاب كشاف اصطلاحات الفنون أن « الجبر حذف المستثنى (أى الحدود المنفيّة أو السالبة) من أحد المتعادلين (أى من أحد طرفىّ المعادلة) أى المتساوين وزيادة مثله .. أى مثل ذلك المستثنى ـ على المتعادل الآخر (أى نقله إلى الطرف الآخر من المعادلة بعد تبديل إشارته) .. مثاله مال إلا خمسة أشياء يعدل ستة ، فحذف خمسة أشياء من المتعادل الأول وهو مال إلا خمسة أشياء وقيل : حذف المستثنى من أحد المتعادلين جبر وزيادة مثله على المتعادل (الآخر) تعديل ، وقيل : إسقاط (حذف أو اختزال) المشترك (الحدود المتشابهة) بين المتعادلين هى المقابلة وذكر ابن خلدون فى مقدمته : « ويقع العمل المفروض فى المسألة فتخرج إلى معادلة بين مختلفين أو أكثر من هذه الأجناس فيقابلون بعضها ببعض ويجبرون مافيها من الكسر حتى يصير صحيحا » .. وحقيقة الأمر أن كل هذه المعانى واردة عند حل أى معادلة جبرية .

المعادلة الجبرية س^{٢} + ٢ س - ٥ = س

تصبح بالجبر س^{٢} + ٢ س = س + ٥

وتصبح بالمقابلة س^{٢} + س = ٥

وانتقل الخوارزمى بعد ذلك إلى الجانب العملى الخاص بتطبيقات علم الجبر فى الحياة العملية وجعله كتابا مستقلا يشتمل على الكثير من الأمثلة المحلولة بطرق جبرية تمكن الناس من الاستفادة منها والقياس عليها فى مسائلهم المتعلقة بالمعاملات والوصايا والمواريث وغيرها . وعن هذا الجزء التطبيقى قال الخوارزمى : « وقد شجعنى الإمام المأمون أمير المؤمنين على إيضاح ما كان مستبهما وتسهيل ما كان مستوعرا ، فألفت من حساب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا حاصرا للطيف الحساب وجليلة لما يلزم الناس من الحاجة إليه فى مواريثهم ووصاياهم ، وفى مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم ، وفى جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأراضى وكَرْى (أى تطهير) الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه ، مقدما لحسن النية فيه ، راجيا أن ينزله أهل الأدب ، بفضل ما استودعوا من نعم الله تبارك وتعالى وجليل آلائه وجميل بلائه ، عندهم منزلته ، وبالله توفيقى فى هذا وفى غيره ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

ولعلنا نجد فى هذا النص ما يوضح بجلاء صدق علماء المسلمين وإيمانهم الخالص بالله سبحانه وتعالى وصلتهم الوثيقة بكتاب الإسلام الخالد الذى يحثهم على تحصيل العلم النافع لخير المسلمين والناس أجمعين .

ويوضح الخوارزمى كل هذه المعانى التى يقصدها قصداً فى كتابه الرائد حيث يقول : « ولم تزل العلماء فى الأزمنة الخالية والأمم الماضية يكتبون الكتب بما يصنفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة نظرا لمن بعدهم واحتسابا للأجر بقدر الطاقة ورجاء أن يلحقهم من أجر ذلك وذخره وذكره وأن يُبقى لهم من لسان الصدق ما يصغُر فى جنبه كثير مما كانوا يتكلفونه من المؤونة ويحملونه على أنفسهم من المشقة فى كشف أسرار العلم وغامضه : وهُم إما رجل سبق إلى ما لم يكن مُستخرجاً قبله فورَّثه مَنْ بعده ؛ وإما رجل شرح مما أبقى الأولون ما كان مُستغلِقاً فأوضح طريقه وسهَّل مسلكه وقرَّب مأخذه ؛ وإما رجل وجد فى بعض الكتب خللاً فلمَّ شعثه وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه غير رادٍّ عليه ولا مفتخرٍ بذلك من فعل نفسه »[4] إن هذه العبارات تعكس بصدق أهم ملامح الشخصية العلمية فى عصر النهضة الإسلامية متمثلة فى التحلى بأنبل الصفات وضرب المثل الطيب فى حب العلم والمثابرة على البحث العلمى ، والترفع عن الصغائر ، والاجتهاد فى كشف أسرار العلم وغامضه مما يعود على الناس بالنفع والخير ، والابتعاد عن الغرور وتسفيه آراء الآخرين ، والتمسك بالأمانة العلمية عند النقل أو النقد ، والزهد فى المال والسلطان ، وابتغاء الأجر من الله تعالى .

مآثر أخرى لعلماء المسلمين فى علم الجبر :

تلقف علماء الحضارة الإسلامية معادلات الخوارزمى وحاولوا تطويرها وتعميمها وتصنيفها بحسب درجاتها وبحسب عدد الحدود التى فيها .. فألف شجاع ابن أسلم الحاسب المصرى كتابا أسماه « كمال الجبر وتمامه والزيادة فى أصوله » .

شرح فيه بعض ما غمض فى كتاب الخوارزمى ، ثم زاد شيئا فى أصول الجبر ومسائله وجاء أبو الوفاء البوزجانى فشرح كتاب « ذيوفانْطس » اليونانى فى الحساب وكتاب الخوارزمى فى الجبر والمقابلة واستطاع عمر الخيام حل المعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة والرابعة ، كما بحث فى نظرية ذات الحدَّين وأوجد قانونا لفكوك مقدار جبرى ذى حدَّين مرفوع إلى قوة أسُّها أكثر من أثنين وأضاف غياث الدين الكاشى فى هذا

(٤) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ .

راجع أيضا مؤلفنا « التراث العلمى للحضارة الإسلامية » ، القاهرة ١٩٨٤ .

التأصيل الإسلامى

المجال مايعتبر أساساً لما قام به إسحاق نيوتن بعد ذلك من تعميم لنظرية ذات الحدين إلى أى أسّ حقيقى كسر أو عدد صحيح موجب أو سالب .

أما فيما يختص بالرموز الجبرية فإنها لم تظهر فى التراث العلمى الإسلامى إلا على يد العالم الأندلسى أبو الحسن على بن محمد القلصاوى (المتوفى فى المغرب عام ١٤٨٦ م) الذى تمكن من وضع مجموعة متطورة من الرموز الجبرية العربية ، والانتقال من لغة الكلمات إلى لغة الرموز فى التعبير عن المعادلات والقواعد الجبرية . وقد يبدو للبعض أن استحداث التعبير بالرموز أمر قليل الأهمية ولايدخل فى صلب المفاهيم الأساسية والنواحى النظرية لعلم الجبر ، وهذا اعتقاد خاطىء تماما لأن استعمال الرموز قد ساعد بدرجة كبيرة على تبسيط إجراء العمليات الحسابية والجبرية ، بل إن تأخر تحقيق هذا الإنجاز الهام كان سببا أساسيا فى تباطؤ تطور العلوم الرياضية عامة وعلم الجبر بصورة خاصة[٥] .

وهناك أيضا إضافات هامة قدّمها علماء أفذاذ أمثال نصر الدين الطوسى وأبى بكر الكرخى وبهاء الدين العاملى والسموأل المغربى وعبدالله ابن الحسن الحاسب وسنان بن الفتح الحرانى وغيرهم . وعندما اطلع الغربيون على علوم المسلمين اتخذوا منها أساسا لدراساتهم ، واعتمد عليها كبار العلماء أمثال ليونارد البيزاوى وتارتاجليا وكاردان وفيزارى وغيرهم فى تطوير موضوعات الجبر العالى وتقدم علم الجبر الحديث .

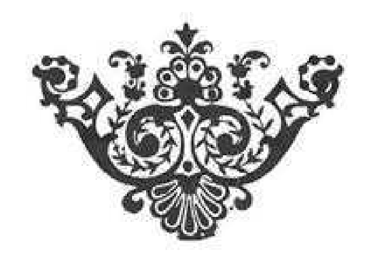

(٥) لتوضيح أهمية الرموز فى لغة العلم عموماً نورد الفقرة التالية من كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى : « وأنا مخبرك كيف تضرب الأشياء ـ وهى الجذور ـ بعضها فى بعض : إذا كانت منفردة ، أو كان معها عدد ، أو كانت مستثناة من عدد .. فإن قيل : عشرة إلا شيئا فى عشرة وإلا شيئا فى عشرة يكون عشرة أشياء ناقصة ، وإلّا شيئا ، فى إلّا شيئا ، مال زائد ؛ فيكون ذلك مائة ومالاً إلا عشرين شيئا ، إن هذه العبارة الجبرية الطويلة تناظر مانعبر عنه اليوم بالرموز فى معادلة جبرية على الصورة التالية :
$(١٠ - س) (١٠ - س) = ١٠٠ + س^٢ - ٢٠ س$

للدكتور/ أحمد رجاء عبد الحميد

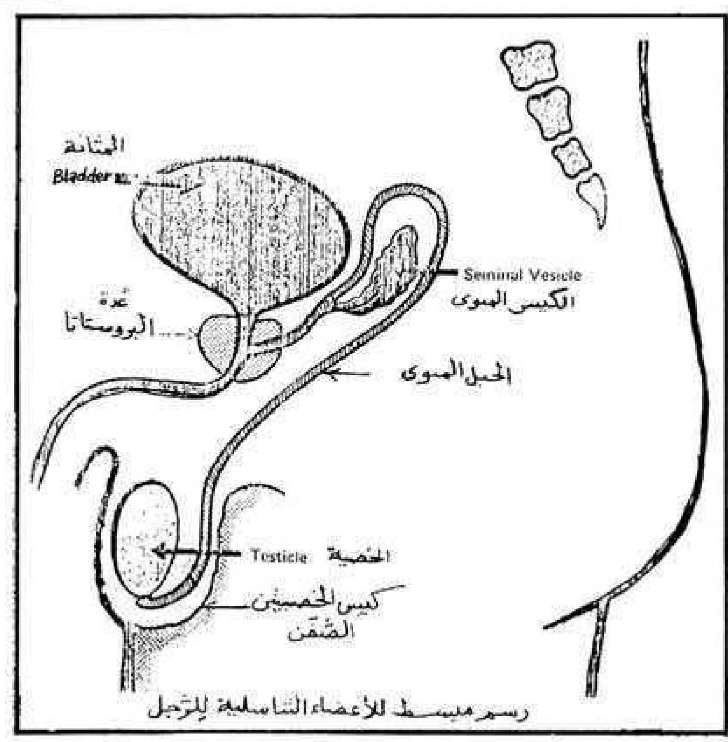

رسم مبسط للأعضاء التناسلية للرجل

انتهينا ـ فى العدد قبل الماضى ـ من الحديث عن « الجهاز التناسلى للمرأة » حيث أحطنا القارىء علماً تفصيليا بهذا الجهاز ، وحتى يتم لنا مدخل علمى للحديث عن « التشخيص » و « العلاج » نقدم ـ فى هذا العدد تفصيلاً تشريحياً للجهاز التناسلى عند الرجل فيتم ـ بذلك ـ الحديث العلمى عن العقم .

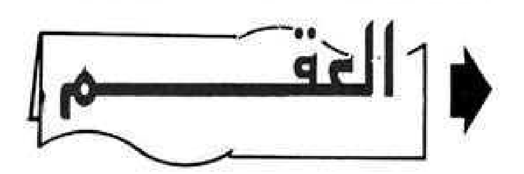

الجهاز التناسلي للرجل :

يتكون هذا الجهاز من :

(ا) الذكر : وهو – بدوره – يتكون – داخلياً – من ثلاثة أعمدة ممتدة طولياً :

الأول : يتكون من نسيج إسفنجي ، وتوجد به قناة مجرى البول (الإحليل) ويمتد حتى رأس الذكر .

والثانى ، والثالث : يتكونان من نسيج كهفي ، ويمتدان خلفياً ليكوّنا جسم الذكر ، وهذه الأنسجة غنية بالأوعية الدموية ، وعند التهيج الجنسي تتسع الشرايين فيندفع الدم بغزارة في الأوعية الدموية فتنتفخ الأنسجة وتتصلب .

والذكر – في حالته العادية حيث لا هياج جنسي – يبلغ طوله (٦ – إلى – ٨ سم) أما عند الانتشار (الانتصاب) فيبلغ هذا الطول (١١ – إلى – ١٦ سم) في المتوسط ورأس الذكر (الحشفة) أعلى أجزائه ، ويتركز في الرأس الأطراف العصبية الحساسة ، وأكثرها حساسية المنطقة الدائرية ، أى قاعدة الرأس وبخاصة الجزء الأسفل منها ، وتتميز بشرة الجلد التى تغطيه بنعومة الملمس وشدة الحساسية ، وجلده عموماً قليل السمك .

(ب) الخصيتين :

وهما الغدتان التناسليتان للرجل ، ويقابلهما المبيضان لدى المرأة ، ويجمعهما (الصفن) وهو كيس جلدى له قابلية التمدد والانكماش حسب حالة الجو ، ويوفر هذا الكيس للخصيتين درجة حرارية مناسبة ، نحو (٣٥ درجة مئوية) وتعتبر تلك الدرجة الحرارية أحد الأسباب لوجود الخصيتين خارج البطن ؛ لأنهما تحتاجان إلى درجة حرارية أقل مما يحتاجه الجسد .

وتتكون الخصية من حِبال ملتفة حول بعضها تسمى : الأنابيب ، يبلغ عددها في كل خصية ألف أنبوبة ، كل منها مبطن بطبقات دائرية من الخلايا التناسلية التى تزيد في النضج كلما اتجهنا إلى قلب الأنبوبة ، ويحتوى قلب الأنبوبة على عدد هائل من الخلايا الجنسية الذكرية ، أى الحيوانات المنوية التى تتكون بأن تتخذ الخلية لها – بمشيئة الله – ذنباً طويلاً

ويتكون الحيوان المنوى من رأس وذيل ، والرأس مغموسة في مادة مغذية تنتجها الخلايا الأم ، وتصب الأنابيب المنوية لكل خصية إنتاجها من الحيوانات المنوية في كيس صغير خلف الخصية يسمى « الكيس المنوى » وهذا – بدوره – يفرز مادة دهنية تسهل حركة الحيوان المنوى ، ومن الكيس المنوى يمتد حبل المنى الذى يحمل الحيوانات المنوية ليلتقى بمثيله الآخر عند « البروستاتا » ويصل طول الحبل المنوى إلى نصف متر .

(جـ) البروستاتا :

غدة توجد أسفل المثانة البولية ، تخترقها قناة مجرى البول عند خروجها من المثانة ، ولها هى الأخرى إفرازات تضاف إلى السائل المنوى .

(د) الحويصلتين المنويتين :

وهما غدتان مستطيلتا الشكل ، توجدان خلف « البروستاتا » تقومان بإفراز سائل مخاطى يمتزج بإفرازات « البروستاتا » والكيس المنوى ، والحيوانات المنوية ليعطى التكوين النهائى للسائل المنوى .

(هـ) السائل المنوى :

يتكون من الحيوانات المنوية ، والسائل المحيط ، والناتج من إفرازات « البروستاتا » والحويصلتين المنويتين ، والقناة المنوية ، ويكون طبيعياً في الأحوال الآتية :

الحجم = ١ : ٥ سم^3 ، التعادل : ٧,٤ (قلوى) .

اللزوجة = لزج ، ويصير سائلاً بعد نحو عشرين دقيقة .

الحركة عند القذف لا تقل عن ٧٠٪ ، ثم تبدأ في النزول بعد ذلك ، ويظل الحيوان المنوى قادراً على

الإخصاب فى الرحم لمدة ثلاثة أيام بعد القذف ، كذلك يظل حياً إلى فترة تصل إلى أسبوع .

العدد وعلاقته بالحمل :

هناك اختلاف كثير فى تحديد العدد الكافى من الحيوان المنوى لإحداث الحمل ، على أن أحدث الدراسات تؤكد أن العدد الكلى يجب ألا يقل عن (٥٠) خمسين مليون من الحيوانات .

الشكل : يجب ألا تزيد نسبة الأشكال غير الطبيعية عن (٤٠٪) أربعين فى المائة ، وتقلل الإفرازات الحامضية للمهبل الحيوانات المنوية ، ولكنها تعيش لفترة طويلة فى إفرازات عنق الرحم ، وتسير الحيوانات المنوية ضد التيار بسرعة نحو (١سم) فى الساعة ، وتستطيع الوصول إلى البويضة لتلقيحها بواسطة حركتها الذاتية .

كيف يحدث الحمل ؟ :

لكى نتعرف أكثر على أسباب تأخر الحمل يجب أن نعلم كيف يحدث الحمل :

تتلخص فسيولوجياً الإنجاب فى تكوين البيضة فى مبيض المرأة ، وتكوين الحيوانات المنوية فى خصية الرجل ، ثم خروج البيضة الناضجة من المبيض بما يسمى بـ (التبويض) ويحدث ذلك فى يوم معين من الدورة الشهرية وهو اليوم الرابع عشر قبل ميعاد أول يوم فى الدورة الجديدة ، فإذا حدث الجماع بين الرجل والمرأة حول هذا اليوم فإن الحيوان المنوى يلتقى بالبيضة فى الجانب الخارجى من (قناة فالوب) فتتكون (النطفة) التى ترتحل فى (قناة فالوب) خلال أول يومين حتى تصل إلى تجويف الرحم فتعلق بجداره ، وبذلك يبدأ الجنين (الحمل) أول حياته .

ونبدأ هنا مناقشة تلك المراحل منفردة :

١ ـ التبويض : تكوين البويضة أثناء كل دورة شهرية يكون المبيض تحت تأثير الهرمُونَيْن النخاميَّين L.H ، F.S.H ، وهما : هرمون لتنشيط البيضة ، والهرمون الاصفرارى (مخرج البيضة) ، وخلال النصف الأول من الدورة يكون المبيض تحت تأثير هرمون لتنشيط البيضة الذى يقوم بتنشيط أكثر من بيضة واحدة ليدب فيها النشاط والنمو بعد فترة الكمون ، ويتراوح هذا العدد بين ٩ : ١٢ بيضة ، لكن واحدة أو اثنتين فقط هما اللتان تبلغان مرحلة النضج الكامل بينما تضمر الأخريات ، وباكتمال نمو البيضة نكون قد وصلنا تقريباً إلى نصف الدورة الشهرية ثم يبدأ عمل هرمون (L.H.) (مُخْرِج البيضة) الذى وظيفته إخراج البيضة (إحداث التبويض) وتخلف البيضة مكانها جرابًا فى المبيض ، يسمى ـ بعد خروج البيضة منـه ـ (بالجسم الأصفر) الذى يتولى مهمة :إفـراز هرمـون البروجستيرون الذى يؤدى وظيفتين رئيسيتين بالنسبة لحركة (قناة فالوب) أثناء رحلة البيضة والنطفة بعد ذلك وكذلك بالنسبة لتجهيز بطانة جدران الرحم لاستقبال النطفة .

٢ ـ انتقال الحيوانات المنوية :

فى وقت التبويض يتجهز عنق الرحم بواسطة هرمون الاستروجين مكوناً مخاطَ عنق الرحم بوفرة مما يجعله يتدلى إلى جدران المهبل ، فتتمكن الحيوانات المنوية ـ عند انطلاقها فى النهاية من الجماع ـ من تسلق هذا المخاط لتصعد إلى داخل تجويف الرحم مروراً بقناة عنق الرحم ، ومما يسهل من هذه العملية أن هذا المخاط بتأثير هرمون الاستروجين يتكون بداخله ما يشبه الأنابيب الشعرية الدقيقة فتصبح كالممرات تسرى بها الحيوانات المنوية إلى عنق الرحم ، ومنها إلى داخل الرحم ، ويكون عدد الحيوانات المنوية فى البداية عدة ملايين حتى يصل إلى الرحم منها مئات الألوف ثم يصل تجويف الرحم منها عدة آلاف يصل منها إلى (قناة فالوب) عدة مئات فقط تتجهُ إلى الطرف الخارجى لقناة فالوب لملاقاة البيضة حتى يستطيع واحد منها فقط اختراق البيضة تاركاً ذيله خارجها وتتجه نواته لملاقاة البيضة .

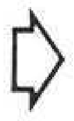

٣ ـ الإخصـاب :

وهو يعني : عملية اختراق الحيوان المنوى للبيضة ، وهى عملية معقدة حيث يفرز الحيوان المنوى مواد أنزيمية تذيب جدار البيضة فيستطيع اختراقه وتدخل نواة الحيوان المنوى إلى سائل البيضة ، ثم يحدث لها انقسام ثانى نموى وبذلك تصبح نواة الحيوان المنوى تحتوى على ٢٣ (كروموزوم) وكذلك نواة البيضة (٢٣) كروموزوم ، وباندماجهما تكون أول خلية للجنين وتكون حاملة للصفات الوراثيـة للوالدين .

٤ ـ تكوين اللاحقة :

بعد حدوث الإخصاب وانقسام نواة خلية البيضة ونواة خلية الحيوان المنوى انقساماً اختزالياً ينتج عنهما جسمان قطبان يحملان النصف الآخر للصبغيات (الكروموزمات المنقسمة) وينموان جانباً فى الخلية الملقحة ، بعد ذلك يتحد القسمان الأساسيان ويكونان الخلية الملقحة (اللاحقة) وبذلك تحمل صفات الأم والأب بداخل الصبغيات .

٥ ـ تبدأ اللاحقة بعـد ذلك فى الانـقسام بالتضاعف أى تنقسم إلى خليتين ، والخليتان إلى أربعة ، والأربعة إلى ثمانية ، ويتم ذلك خلال ثلاثة أيام مكوناً النطفة ، وخلال هذه الأيام تتحرك الخلية الملقحة داخل تجويف قناة فالوب بواسطة الأهداب الداخلية للقناة حتى تصل بها إلى تجويف الرحم الذى تكون بطانته مجهزة لاستقبال النطفة (بواسطة هرمون البروجيسترون) لتنغمد فيها .

٦ ـ انغماد النطفة :

عند وصول النطفة لتجويف الرحم تكون بطانة الرحـم مجهزة على شكل حُفَر بتـأثير هرمـون البروجستيرون فتنغمد النطفة فى إحدها ، ثم تنغلق عليها تلك الحفرة ، وتبدأ النطفة فى الالتحام بجدار الرحم لتستخدم الشعيرات الدموية مكونة أول اتصال مع دم الأم لتتغذى عليه ، ويكون مكان هذا الاتصال بداية تكوين المشيمة فى المستقبل ، وتأخذ هذه المرحلة ما بين ثلاثة إلى أربعة أيام ، وتسمـى النطفـة هنـا بـ (العلقة) .

٧ ـ نمو الجنين :

بعد استقرار العلقة بجدار الرحم ـ ويكون هذا فى اليوم السابع من حدوث (التبويض) ـ يبدأ نمو العلقة بتكوين (التجويف الامينوسى) وبنهاية اليوم العاشر تكون العلقة قد بدأت فى الاستقرار الغذائى بالاتصال مع دم الأم ، ويبدأ النمو حتى مرحلة تكوين الحوصلة المُخيَّة وذلك فى اليوم الثالث عشر ، وعند حلول اليوم السادس عشر يكون الحبل السرى قد تكون فتبدأ مرحلة الجنين ويستمر الحمل فى النمو حتى نهايته .

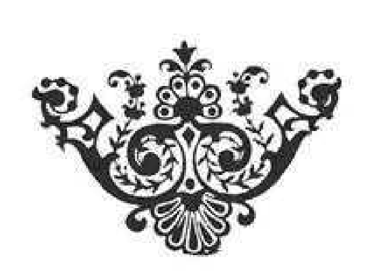

الجديد في العلم والتقنية

اعـــداد :

د. نجوى السيد أحمد

• الكشف عن النفايات النووية بطريقة آلية :

ابتكر خبراء احدى الشركات الفرنسية جهازاً آلياً حديثاً لمراقبة أنفاق النفايات النووية المدفونة فى قاع البحر . والجهاز مزود بأجهزة قياس وتحكم وبوصلة وجهاز لقياس الضغط ودرجات الحرارة وآخر لاستشعار معدل الاشعاع النووى وقياس التآكل فى الأغلفة الخارجية . ويتم إنزال الجهاز إلى قاع البحار عن طريق مصعد صمم خصيصاً لهذا الغرض .

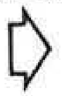

• محركات بحجم شعرة الإنسان :

أعلن فريق من المهندسين فى جامعة كاليفورنيا عن بناء أصغر محركات (Micromotors) لايفوق عرضها شعرة الإنسان . وتعمـل هذه المحركات بطاقـة كهروستاتيكية ، ولقطرها البالغ حوالى ٧٠ ميكرومتراً أسنان مثلّمة (Notched) صغيرة لا يتجاوز حجمها حجم كرة الدم الحمراء . وقد استعمل المهندسون تقنيات ومواد مماثلة لتلك المستخدمة فى بناء رقائق السليكون . وبسبب هذا التشابه ، فقد يكون دمج هذه المحركات بالدوائر الألكترونية المتكاملة ممكناً . وهناك تقريراً من المؤسسة الوطنية للعلوم يشير إلى انه قد يكون لهذه المحركات الدقيقة تطبيقات عدة فى الطب والصناعة . فعند الأشخاص المعرضين لأزمات قلبية مثلاً ، قد تكشط هذه المحركات الدقيقة الترسبات الدهنية بعيداً . كما قد يتم بواسطتها استعمال المقصات والمناشير المجهرية فى العمليات الجراحية الدقيقة لشبكية العين على سبيل المثال .

• ساعة لمراقبة القلب :

تم إنتاج ساعة عند الضغط على ذر خاص بها يظهر على شاشة صغيرة كل من معدل سرعة النبض ومعدلى ضغط الدم الانبساطى والانقباضى ، بالإضافة إلى مسح دقيق جداً لتخطيط القلب . تستطيع هذه الساعة خزن ثلاثين قراءة لحالة القلب مع تاريخ ووقت تسجيلها .

• جهاز للكشف عن تزوير العملة :

ابتكر الأمريكيون جهازاً جديداً فى حجم القلم للكشف عن العملات الورقية النقدية المزورة ويمكن استعماله للتأكد من سلامة العملة بسهولة ودقة . الجهاز له القدرة على اكتشاف الجسيمات المغناطيسية المخبأة فى واجهة كل أوراق العملة الأمريكية .

• الأنسولين البشرى خطر على مرضى السكر

أثبتت دراسة طبية بريطانية أن مرضى السكر الذين يعالجون بالأنسولين البشرى المستخلص بأسلوب الهندسة الوراثية معرضين للإصابة بأعراض جانبية خطيرة أكثر من الذين يعالجون بالأنسولين المستخلص من الحيوان . وأشارت الدراسة إلى أن المرضى تعرضوا لمشاكل صحية بعد أن حولوا علاجهم من الأنسولين الحيوانى إلى الأنسولين البشرى .

• جهاز للتحذير من الاشعاعات الخطرة

توصل العلماء إلى انتاج جهاز جديد يوصل بالكمبيوتر مهمته قياس نسبة الاشعاعات الصادرة عن شاشة الكمبيوتر ، وفى حالة تجاوزها الحدود المسموح بها يطلق صفارة انذار . والجهاز الجديد يمكن إستخدامه لقياس نسبة الاشعاعات فى أى عنصر كان حجراً أو معدناً أو سائلاً بالاضافة إلى أى إشعاع يصدر عن تلوث نووى .

• كاميرات فيديو ضد الاهتزاز :

قدمت شركة يابانية آلة تصوير « الفيديو » المقاومة للاهتزازات التي تمكن مستخدمها من التصوير دون أى ارتجاج أو اهتزاز فى الصورة . وتصلح هذه الكاميرات للمصورين الذين قد يواجهون مشاكل فى الاهتزاز خارجة عن سيطرتهم كالتصوير خلال سير السيارة أو من فوق طائرة مروحية .

• كتاب الكترونى للجيب :

الكتاب الالكترونى أحدث ابتكار فى عالم الكمبيوتر وهو عبارة عن جهاز متطور يغنى عن الكمبيوتر الشخصى ويخزن ما يعادل ٢٠٠ ألف صفحة وحوالى ٢ مليون معلومة . الكتاب يمكن أن يكون دائرة معارف أو قاموس جيب وزنه أقل من ٥٥٠ جراماً ويمكن وضعه فى الجيب أو السيارة ، كما يمكن لرجال الأعمال والموظفين والطلاب استخدامه كمصدر للمعلومات . تضم لوحة الأزرار ٢٦ حرفاً وشاشته الصغيرة تعرض مقالاً من ١٥ حرفاً أفقياً وعشرة أحرف رأسياً .

• الفوائد الطبية للفجل :

قام فريق بحثى من قسم التغذية بالمركز القومى للبحوث بدراسة على الفجل للتأكد من أنه مخفض للسكر ، وأكدت النتائج أن تناول الفجل مع الطعام يخفض السكر بنسبة ٣٠٪ حيث انه يعمل على ارتفاع نسبة الأنسولين فى الدم ويفرز مركبات كبريتية تشابه الأنسولين . وأظهرت النتائج أيضاً أنه يحتوى على نشويات ومعادن وقليل من البروتين وبذلك فإن تناول الفجل يقلل من استهلاك مريض السكر للطعام بنسبة ٢٥٪ .

• الفاكس الملون :

أنتجت إحدى الشركات اليابانية أول جهاز فاكس يرسل ويتسلم الرسائل والوثائق الملونة . الجهاز الجديد يقوم بإرسال الألوان الأربعة الرئيسية الأحمر والأخضر والأصفر والأسود والتى تتركب منها الألوان الأخرى لتطبع بواسطة الفاكس المتسلم وبدرجة عالية من الدقة تبلغ حد ٤٠٠ نقطة فى البوصة الواحدة .

استخدام زيت النخيل كوقود :

نجح علماء معهد بحوث زيت النخيل فى ماليزيا فى استخدام زيت النخيل كوقود لمحرك السيارات بعد أن قامت شركة ألمانية بتعديلات على المحرك ، والاستخدام الجديد يوفر ٣٠٪ من تكلفة استهلاك الوقود بالمقارنة بإستخدام زيت الديزل ويقلل من تلوث البيئة .

تصويب

وقع فى افتتاحية عدد رمضان ص (٩٩٣)
خطأ فى بيت الأعشى :
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى .. وقد نشر خطأ
إذا أنت لم ترحل بزاد التقى ..... الرجا التصحيح

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

أين المسلمون اليوم من الإسلام

للأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

اعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات

نعم شتان بين واقع المسلمين اليوم وواقعهم أمس ، بالأمس كان المسلمون ينزعون عن قوس واحدة نحو هدف محدد هو : إعلاء كلمة الله ونشر دعوة التوحيد ، بالحكمة والموعظة الحسنة . دستورهم القرآن ورائدهم الإخلاص ، وأمنيتهم أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وأن يسود الإخاء والمحبة والتراحم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ديار الإسلام شرقا وغربا .

أما اليوم فالفكر مشتت والهدف مشوش والركائز واهنة . وما ذلك إلا بسبب ضعف النفوس وقلة الإخلاص وضآلة المحصول العلمى . وتوزع الأغراض وتنوع الأسباب ما بين شخصى أو دينى . وتلك ـ والله ـ عظيمة فى حق الإسلام وعراقيل توضع فى طريقه . بحسن نية أو بسوء نيه الله أعلم . فلو قسرنا أنفسنا على التخلص منها أو على الأقل تخطيها ربما نكون قد وضعنا أقدامنا مرة أخرى على الصراط المستقيم ،

قال الأستاذ رحمة الله تعالى عليه :

أصبح من المعلوم فى بدائه العقل الحر أن الدين الإسلامى هو الصورة الكاملة لشرائع الله ، والقوة المهذبة لقوانين الطبيعة . وضع فيه شارعه الأعظم وهو فاطر الأرض ، وواهب الحياة ، ومنزل الوحى ، أسس القواعد التى تكفل للعالم نظامه وسلامه ، وللمجتمع وحدته وقوته ، وللفرد سعادته وكرامته ، مهما يتطاول الأمد وتتغير الحال . ومن غير الله جلت قدرته يفجر نور الهدى للأرض من غار مظلم موحش ، ويبجس نبع الحياة للناس من جبل مجدب وعر ؟ وهل كان لولا وحى الله فى غار حراء من جبل النور ، فى مقدور أمى نشأ ربيب اليُتم والعُدم فى قرية جاهلة من قرى الحجاز المقفر ، أن يعلن فى أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحرياته ، وهى الحقوق التى أعلنت بعضها فرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر بعد الثورة ، وأعلنت بعضها أمريكا فى أواسط هذا القرن بعد الحرب ؟

وما كان لبشر سليم الفطرة أن يستريب فى أن الدين الذى أكمله الله لنبيه ، ورضيه لخلقه ، ونسبه إلى نفسه ، هو وحده مصدراً لخير المحض ، ومظهر الكمال المطلق ، وسبيل الغاية التى يجد عندها ابن آدم المكدود المجهود نفساً من كربه ، وراحة من تعبه ، وسكينة من اضطرابه ؛ تلك الغاية التى كان يراها ، منذ هبط العاصى من الجنة ، حداً لشقائه ونهاية لألمه ، فكان يتشوف إليها من وراء الغيوب ، ومن خلال القرون ، فلا يراها ، لا فى الحروب التى شن ، ولا فى النظم التى سن ، ولا فى الشرائع التى اعتقد ، حتى أراد الله للأغب الضال أن يهتدى ويسترفه ، فكان محمد هو المنار ، وكان الإسلام هو المرفأ !

إن من المبادىء التى ميزت الإسلام التوحيد وهو سبيل القوة ، والإخاء وهو سبيل التعاون ، والمساواة وهى سبيل العدل ، والحرية وهى سبيل الكرامة ، والبر وهو سبيل المحبة ، والسلام وهو سبيل الرخاء . وكل هذه المبادىء معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف .

وهى كما ترى تضمن أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجمل ما فى المدنية ؛ فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وأن تقيم ما اعوج من نظام الدنيا . وقد كانت كذلك يوم كان لحماتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين ، فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعاناً فى فدافد الأرض ، لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى . ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه .

أين المسلمون اليوم من إسلام عمر وخالد ، والرشيد والمأمون ، والناصر والحكم ، والعزيز والحاكم ؟ ألم يبلغ هؤلاء بفتوح الجيش وفتوح الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان والعمران ما لم تبلغه أمة من قبل ، فنزل على حكمهم الدهر ، ودخل فى ملكهم العالم ؟

إن الدين الذى رفع هؤلاء السادة والقادة إلى الذروة ، وضمن للخلافة فى عهودهم العزة والمنعة والقوة ، لا يزال هو الدين ، لا يغيره الزمن ، ولا تجافيه الطبيعة ، ولا يعاديه العلم ، ولا تنسخه المذاهب ؛ وانما الأمر فيه كما قال الرسول صلوات الله عليه : « مثل ما بعثنى به الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، كان منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ؛ إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ » .

والمسلمون اليوم هم هذه القيعان ، تحدرت إلى ما ركد فيها من سلسل الوحى عكارات المذاهب الطارئة ، ورواسب العقائد الخاطئة ، فكان منها ذلك الخلط العجيب الذى يعوق عن السعى ويمنع من النظر ويصد عن الفكر ؛ ثم كان من أثره أن نرى اليوم مواطن العروبة والإسلام : مراكش والجزائر وتونس

وليبيا ومصر وفلسطين وسورية والعراق وإيران وباكستان والصين وأندونيسيا وسائر جزر الهند الشرقية ، قد أصبحت نهبا مقسما بين دول الاستعمار يتنازعون فيه ، ويتقاتلون عليه ، وليس من أهلها من يقول فيسمع قوله ، أو من يفعل فيخشى فعله ، وإنما هم أشياء كثروة الأرض ، خسارة على المغلوب وربح للغالب .

لقد تغيرت عقائد الإسلام الحرة النقية فى نفوس الكثرة من المسلمين كما يتغير الشراب الخالص فى الإناء القذر ! انحلت الأخلاق فلا تماسك فى قول ولا فعل ، وتقاطعت القلوب فلا تواصل فى دين ولا وطن ، واستأثرت النفوس فلا تعفف فى صداقة ولا نسب ، واستبهمت المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس ؛ وأصبحت غاية الدين فى رأيهم مظاهر من العبادة لا تخدع ، وظواهر من البدع لا تنفع ، وأقاويل من الوعظ لا تدل .

من يصدق أن المسلمين اليوم يفقهون القرآن حق الفقه ، وهو الكتاب المبين الذى يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وكل انتفاعهم منه أن يحملوه للحفظ كما تحمل التمائم ، وأن يقرءوه للبركة كما تقرأ الأوراد ، وأن ينشدوه للطرب كما تنشد الأغانى :

من يصدق أن المسلمين اليوم يقدرون الرسول حق القدر ، وهو الذى قال فيه أصدق القائلين « وإنك لعلى خلق عظيم » « وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ، وكل ما يمدحونه به أن يرفع المؤذن عقيرته فى الأذان بالصلاة على « مليح الوجه » وأن يتغنى منشد سيرته المطهرة بحمرة خديه وسواد عينيه ، كأن الصباحة والوسامة والرواء هى كل ما يمتاز به محمد نبى التوحيد والوحدة ، ورسول السلام والمحبة وداعى الحرية والكرامة ! لقد أنف عبد الملك ابن مروان أن يمدحه ابن قيس الرقيات بقوله يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب .

فقال له : وماذا من الفضل فى تألق التاج ونصاعة الجبين ؟ هلا مدحتنى بمثل ما مدحت به مصعب بن الزبير إذ تقول فيه :

إنما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء

ثم حرمه عطاءه العمر كله . والفرق بين فضل الرسول وفضل الخليفة كالفرق بين الجبل والذرة ، أو بين الشمس والشرارة !

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالإسلام وفيهم من يؤمن بالشيوعية وأهلها يزعمون أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه ، وأعدل منه فى تقسيم رزقه . ثم يقولون بكل وسيلة من وسائل القول : كل شىء مشاع ، وكل أمر مباح ، وكل إرادة طلقة ! والمسلمون يسمعون هذه الأضاليل تبث فى الإذاعة ، وتنشر فى الكتب ، وتردد فى المجالس ، فيرهفون لها سمع الغبى ، وتدفعهم شهوة الإباحية إلى أن يشتروا الضلال بالهدى ، ويستبدلوا الخبيث بالطيب ، ويؤثروا أن يكونوا كالذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

والعلة فى كل اولئك هى الجهل التام والعلم الناقص ، فلو أن المسلمين اعتقدوا بربهم اعتقاد المؤمن ، وفقهوا دينهم فقه المقتنع ، واتبعوا رسولهم اتباع المصدق ، لما أصبحوا فى الحال التى تنبأ بها الرسول صلوات الله عليه إذ قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، فقال قائل : أو من قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال : لا إنكم حينئذ لكثير ؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل ! فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » .

* * *

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾

بلى ، والحمد لله قد أنى للمؤمنين أن يكشفوا عن العيون غشاوة الباطل ، ويجلوا عن القلوب صدأ الغفلة ، فيبصروا الطريق ويستبينوا الغاية . وإن فى يقظة الوعى الإسلامى التى بدت فى تعاطف المسلمين على البعد ، وتناصفهم فى القرب ، وتحالفهم على الأحداث ، لأشعة من تباشير الصباح ، قبلها الليل المظلم ، وبعدها النهار المشرق . ولعل الأزهر وحده هو الذى يملك أن يقوى هذا الوعى ويوجه هذا الشعور .. إذا عمر الصدور بالإيمان الخالص عن طريق التعليم فى المدارس ، والوعظ فى المساجد ، والنشر فى الصحف ، والحديث فى الإذاعة ، والنظر قبل ذلك كله فيما يقرأ المسلمون من كتب ، وفيما يدرس المتعلمون من مناهج ، وفيما يقمش المموهون من بدع ؛ فإن تنقية الدين مما علق به ودس فيه تكشف للناس عن جوهره وتصلهم بروحه . والقتام يحجب الشمس ، والقذى يفسد الشراب . وإن الماء إذا راق ساغ ، واذا ساغ روى . وعما قريب نبشر المسلمين والأزهريين بما رأى الشيخ الأكبر من إصلاح ، وبما عزم من عمل . جدد الله بسعيه حبل الاسلام ، وحقق فى عهده صلاح الازهر ؟ المجلد الثالث والعشرون .

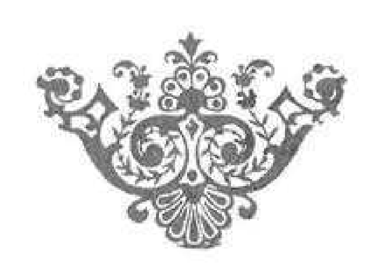

طرائف ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد العليم

الفرق بين الرحمن والرحيم

قال الضحاك : الرحمن بأهل السماء والرحيم بأهل الأرض .

وقال : عكرمة : الرحمن برحمة واحدة ، والرحيم بمائة رحمة .

وقال ابن المبارك : الرحمن إذا سئل أعطى ، وإذا لم يسأل يغضب .

وقال القرطبي : الرحمن لمن آمن ، والرحيم لمن تاب

وقيل : الرحمن الرحيم إنعام بعد إنعام .

وقال الرازي : الرحمن يخلق ما لا يقدر عليه العبد والرحيم يخلق ما يقدر العبد على جنسه .

وقال النيسابوري وغيره : الرحمن خاص اللفظ فلا يسمى به غير الله ، عام المعنى لأنه يعم خلقه برزقه ، والرحيم عام اللفظ لأنه يطلق على غيره وخاص المعنى فى الآخرة ، فلا يرحم إلا المؤمن .

قالــــوا ...

● ما طابت الدنيا إلا بذكره ، وما طابت الآخرة إلا برحمته ، وما طابت الجنة إلا برؤيته .

● ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ؛ والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

● مَنْ أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة النفس ، والنشاط فى العبادة

● حقيقة التوبة : أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك فرار ، وأن تضيق عليك نفسك .

● ما وهب الله لامـــرىء هبـــة
أفضل من عقلـــه ومـــن أدبـــه

همـــا جمال الفتـــى فإن
فقـــدا فالممـــات أجمل به

حقـــا

من زعم أن الله فى شىء ، أو من شىء ، أو على شىء ، فقد أشرك به .

إذ لو كان على شىء لكان محمولا ؛

ولو كان من شىء لكان محدثا ؛

ولو كان فى شىء لكان محصورا ؛ ـ تعالى ـ الله عن ذلك علوا كبيرا .

إنما الأعمـــال بالنيـــات

خرج الأمير « أنو شروان » للصيد فأدركه العطش فرأى فى البرية بستانا وعنده صبى ، فطلب منه ماء ، فقال : ليس عندنا ماء ، قال : ادفع لى رمانة فدفعها إليه فاستحسنها ونوى أخذ البستان ، ثم قال : ادفع لى أخرى ، فدفع له أخرى فوجدها حامضة فقال : أما هى من الشجرة الأولى ؟ قال : نعم قال : كيف تغير طعمها ؟ قال : لعل نية الأمير تغيرت . فرجع عن ذلك فى نفسه ثم قال : ادفع لى أخرى ؛ فدفع له أخرى فوجدها أحسن من الأولى ، فقال : كيف صلحت ؟ قال : الغلام بصلاح نية الأمير .

دعـــاء

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه . اللهم أنت ربي ، أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، فإن غفرت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت .

الحمد لله وحده

جاءت امرأة من العراق إلى عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ وشكت عيلتها وفقرها ، وقالت : إن زوجها لحق بربه ، وترك خمس بنات ؟ وطلبت أن يفرض لهن فقال : ما اسم الأولى ؛ قالت : فلانة ، قال : فرضت لها كذا ، فقالت : الحمد لله يا أمير المؤمنين ثم سألها والثانية ؛ قالت : فلانة ، قال : فرضت لها ؛ قالت : الحمد لله يا أمير المؤمنين ؛ ثم سألها عن الثالثة ففرض لها ، فحمدت الله ؛ ثم الرابعة ففرض لها فحمدت الله ؛ ثم قالت : والشكر لأمير المؤمنين بقيت الخامسة واسمها فلانة ، فقال لها عمر لا ؛ إننا لا نفرض لها ، فقد فرضنا لأخواتها حين أوليت الحمد لأهله ؟ أما الآن فقد أوليت الحمد لغير أهله ، فمرى الأربع أن يتفضلن على الخامسة . ولم يفرض لها ، لأن المرأة اتجهت لغير الله .

حقيقـــة

إذ أنت لم تعـرف لنـفسك حقهـا
هوانـا لها كانت على النـاس أهونـا

آمنـــت باللـــه

كان أحد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعبد صنما لا يفارقه حضرا ولا سفرا ، فخرج يوما إلى السفر فذهب لحاجته ، وقال أيها الصنم : احفظ متاعي فلما ذهب جاء الثعلب ، وبال عليه فلما رجع أبو ذر وجده مبلولا ، فقال : وا عجبا ، السماء لم تمطر ، فوجد أثر الثعلب فرمق بطرفه إلى السماء وقال :

أرب يـــــول الثعلبـــــان برأسه
لقــد ذل من بالت عليــه الثعــالب
فلــو كان ربـــا كان يمنــع نفسه
فلا خير في رب نأتـــه المطـــالب
برئت من الأصنـــام يارب كلهـــا
وآمـــنت بالله الـــذى هو غالب

قـــد عافـــانى

خطب الحجاج يوم جمعة فأطال .
فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرك ، وإن الله لا يعذرك ، فأمر بحبسه ، فجاءه أهله فشهدوا أنه مجنون .
فقال : إن أقر بالجنون أطلقته .
فقيل له : اعترف بذلك وتخلص .
فقال : والله لا أقول : إنه ابتلاني ، وقد عافاني .

فـــــارس

قال يزيد بن المهلب يوما لجلسائه : أراكم تعنفونني في الإقدام !! .
قالوا : نعم ؛ والله إنك لترمي بنفسك في المهالك .
فقال : إليكم عني ؛ فوالله لو لم آت الموت مسترسلا لأتاني مستعجلا ؛ إني لست آتي الموت من حبه ، إنما آتيه من بغضه ؛ وقد أحسن من قال :

تأخرت أستبقي الحياة فلـم أجـد
حيـاة لنـفسي مثـل أن أتقدمـا

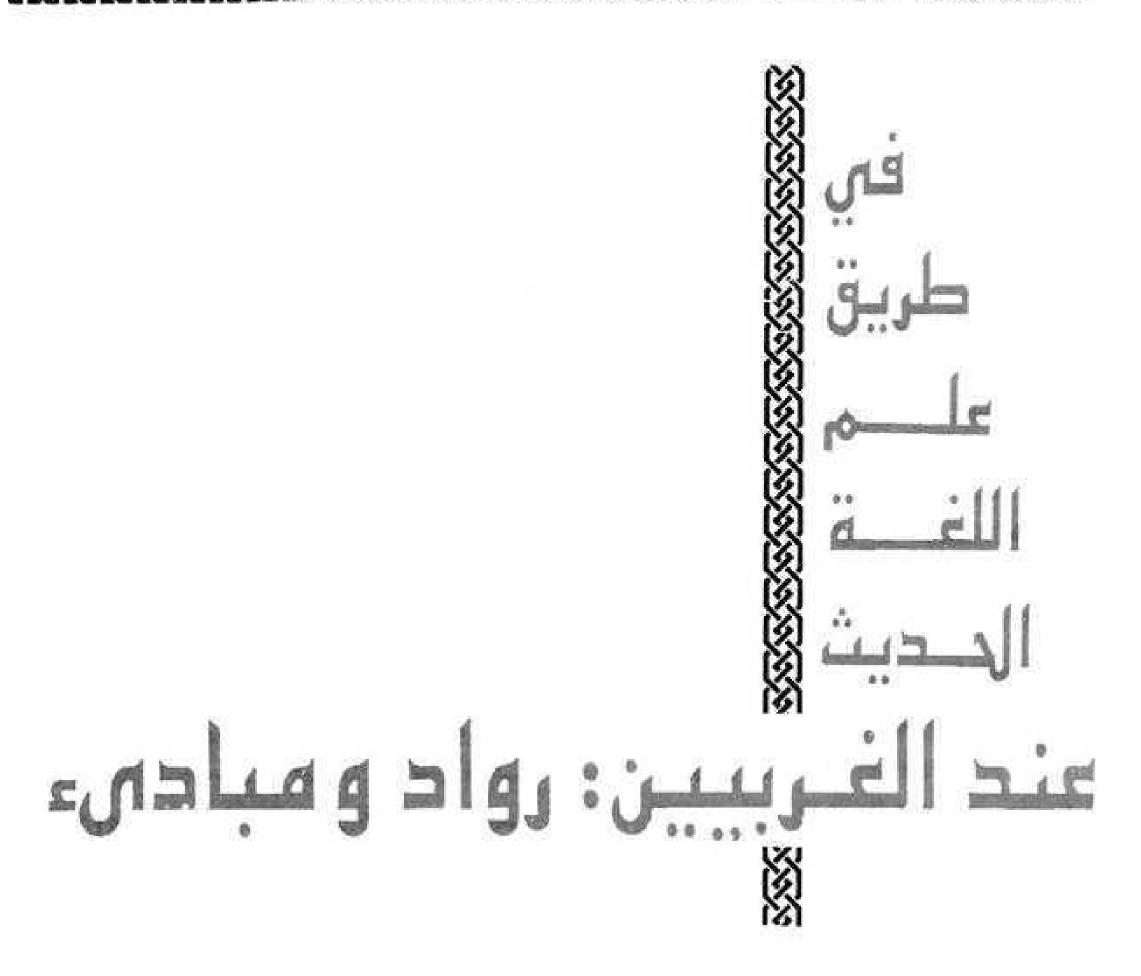

في طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين: رواد ومبادىء

بقلم الدكتور : توفيق محمد شاهين

تقدمت أبحاث علم اللغة فى العصر الحديث تقدما هائلا فى الغرب بفضل ماأتيح لعلمائه من دفع قوى : مادى وأدبى ، وتمكين للبحث والتفرغ ، ونظرة التقدير والاعتبار للعاملين فى حقل اللسانيات أو اللغويات . بينما بعض الكتاب عندنا ينظر إليه على أنه عمل ثانوى ، إن لم يصرح بتفاهته والسخرية منه ومن الإشتغال به .. والمثل يقول : من جهل شيئا عاداه .

وقد خطت جامعات مصر وتبعها الأزهر خطوات كثيرة من هذا الميدان ، وكان مبعوثوها إلى الغرب الرائد فى هذا المجال — ممن تصدروا التوجيه روادا على طريق الالسنية — اثبتوا وجودهم ونفعوا بابحاثهم ، برغم وهن الدفع ، وندرة الوسائل .. وإنا لنرجو مزيدا من الرعاية والعناية فى بلادنا الإسلامية والعربية ، مجاراة لركب التقدم ، وإسهاما فى المنهجية والرق .

وقد هالنى فى كندا كمبعوث إسلامى تحتمت عليه دراسة وتعلم اللغة الانجليزية كلسان تخاطب رسمى هناك ولغة رسمية للبلاد كلها .. هالنى العناية الفائقة فى الاستفادة الزكية من أبحاث علم اللغة فى تعليم اللغات بعامة — حتى العربية فى معاهدها وكنائسها وجامعاتها .

فهم — مثلا — يتعلمون اللغات بواسطة آلات حديثة ، ووسائل سمعية وبصرية وأسس نفسية ، ويلمون بالفونيم ، والنبر ، والعناية بمخارج الحروف ووظائف أعضاء الكلام ، وجودة النطق والتفرقة بين الاصوات ، وملاحظة نطق المتشابهات حتى لا يلتبس حرف بآخر ، ولا يضع المعنى فى متاهات المبنى عند عدم النطق السليم .

ولقد عرف علماؤنا الأقدمون — رضوان الله عليهم — ذلك أو بعض ذلك بدءا بالعلامة الخليل بن أحمد ، ومرورا بالعظيم ابن فارس ، والفارسى ، وابن جنى وغيرهم — رحمهم الله تعالى — من عباقرة العرب والمسلمين — ولكن العلم شىء وتطبيق نظرياتهم — الذى لانراعيه شىء آخر .. فضلا عن أن تحت الشمس جديد فى كل يوم .

لقد عرّف ابن جنى اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ..

والشيخ عبد الله العلايلى يرى أن ذلك كان فى الدور النشوئى للغة ، لكنها اليوم أصبحت جزءا من التفكير .

والدكتور أنيس يقول : أنها : اللغة — أكتسبت مع الزمن صفة أسمى وأرق من مجرد الرمزية ، لاتصالها بالخواطر والأفكار ، فأصبحت جزءا منها .

ويمثل هذه النظرة يراها العالم (ميه) كائناً مثالياً لاسبيل إلى إدراكه مباشرة ، لأننا نلاحظ فقط مظاهرها الخارجية كمظهر لوجودها ، وسبل انتقائها وطرق انتقالها ، والبقاء فى إطارها .

ولا يخرج عن ذلك نظرة (جفونز) بأنها وسيلة توصيل ، وأداة تسجيل ، ومساعد آلى للتفكير ..

ويزيد الأمر إيضاحا ، ويبين الارتباط الوثيق بين هذه الأجزاء المستشرق (دوسو سور) بأن للظاهرة اللغوية لها وجهان متقابلان دائما ، يوضح بعضها البعض .

فللمقطع النطقى تأثير صوتى طبيعى تستقبله الأذن لكنه مرتبط بأعضاء النطق وبدون معرفتها لانعرف كثيرا عن الظاهرة اللغوية على الصعيد الفردى أو الاجتماعى لأنها مادية ، وعضوية ، ونفسية ، تعيش فى مجال اجتماعى كنتاج اجماعى .

واللغة وإن بدت ثابتة كنظام إلا أنها حركة متطورة ، وبناء حاضر ونتيجة لماض ، وارتباطها فى كل ذلك وثيق .

•••

وتعددت مناهج « علم اللغة » فى :

(أ) منهج الملاحظة والاستقراء ، بمعنى مراقبة ظروفها الطبيعية حين تؤدى وظائفها .

(ب) والمنهج الآلى ، حين الاستعانة بالوسائل « التكنولوجية » فى مجال الصوتيات تسجيلا وقياسا كعنصر (فيزيائى) فى معرفة اللغة ، وتبع ذلك التصوير الشعاعى عند (رونتجن) ، لتسجيل ورصد حركات الأعضاء النطقية حين استعمال اللغة .

فى طريق علم اللغة

(جـ) والمنهج التجريبى ، بمعنى تغيير الظروف العادية المحيطة بظاهرة لغوية ما ، أو العمل على خلقها للتمكن من دراستها .. بعد هذه الافتراضات المصنوعة ، على غرار مابحث الاستاذ (فيرث) وقد علق الدكتور تمام حسان فى كتابه : « مناهج البحث فى اللغة » بأن هذا الصنيع آثار شك العلماء اللغويين فى هذا المنهج ، لأنه خرج باللغة عن طبيعتها إلى إطار العلوم الطبيعية .
ويمكن التنظير لهذه التجربة ، بما حكى عندنا عن المسألة « الزنبورية » وافتراضاتها .

(د) والمنهج المقارن ، الذى قام على الموازنة بين ظواهر اللغة فى طائفة من الألسن لمحاولة بيان أواصر القربى بينها ، وقد أعتنى بذلك علم اللغة العام ، وعلم اللغة المقارن .
وقد أفاد هذا المنهج وأدى أحسن النتائج فى حقل الدراسات اللغوية .
هذه المناهج أزدهرت ونمت ، وكان لها قيمتها فى الأبحاث اللغوية ، وتفرعت كما نرى ، بعد أن كانت تدور فى فلكين فقـط ، هما : المنهج الوصفى ، والمنهج التاريخى .

•••

واللغة كما نعلم — أساس جميع العلوم الانسانية ، وأهم الظواهر الاجتماعية ذات العلاقات الوثيقة بما فى الكون كله .. لذلك تحتم على علم اللغة دراسة اللغة بصورة عامة ، من بدء التاريخ حتى العصر الحاضر الذى نعيشه .

وأصبحت من علوم اللغة الحديثة ، نتيجة لذلك :

(١) علم اللغة النظرى ، أو العام ، ويندرج تحته :

(أ) علم الأصوات (النطقى) و(السمعى) ..

(ب) وعلم اللغة التاريخى ..

(جـ) وعلم الدلالة ..

(د) وعلم القواعد ، فى المعرفة بالصرف والنحو ..

(٢) علم اللغة التطبيقى ، ويشمل :

(أ) علم التقابل اللغوى ، وتحليل الأخطاء .

(ب) علم اللغة النفسى .

(جـ) علم اللغة الاجتماعى .

(د) علم اللغة الآلى ..

(هـ) صناعة المعاجم .. والترجمة .

(و) وتعليم اللغات ، فى (طرق التدريس) وتصميم اختبارات اللغة .

ومن العلماء من يرى إضافة شعبة ثالثة إلى هاتين الشعبتين (علم اللغة العام) و (علم اللغـة التطبيقى) .. هى شعبة (علم الأصوات) ، بمعنى جعلها رئيسية مستقلة ، وغير تابعة أو مندمجة فى أخرى .

ومن الإنصاف للتاريخ العلمى اللغوى أن نذكر أن العلوم اللغوية فى الغرب قد مرت بثلاث مراحل : من دراسة النحو ، إلى (الفيلولوجيا) أو فقه اللغة إلى الفيلولوجيا المقارنة وتمخض عن ذلك :

(١) علم اللغة الصوتى ، للعناية بالصوتيات (الفونتيمات) وهى أكثر فروع اللغة موضوعية .

(٢) وعلم اللغة التاريخى ، لدراسة ماضى اللغة ، للإفادة والاستفادة بحاضرها وفى مستقبلها .

(٣) وعلم اللغة الجغرافى ، لمعرفة تنوع اللغات ، وأماكنها ، وتعايشها ، وتأثير بعضها فى بعض إحتكاكا وأصلا وفرعا وتوليدا ، ولهجات ..

ويلاحظ : أن كثرة من علماء اللغات فى الغرب أهملوا الإشادة بجهود علمائنا العرب والمسلمين فى هذا الصدد .. وهم فى الحقيقة رواد وسباقون .. والانصاف العلمى يقتضى الاشادة بعلمهم ، بدلا من سحب ذيل الجحود أو النسيان على عبقريتهم وآثارهم الثابتة الخالدة والاصيلة فى هذا الجانب ، الذى يذكره بعض المنصفين فقط من علمائهم . مثل المستشرق الألمانى (أ — شاده) — على ماذكر الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتابه علم اللغة العام .

فعلماء العرب ، كما يرى المستشرق (شاده) اسهموا ايجابيا فى بناء الحضارة الانسانية ، وفضلهم فى ذلك مذكور غير منكور . كما أنهم قدموا الروائع فى الدراسات اللغوية ، بما لم يسبقوا — فى ذلك ممن سبقهم — فى الدراسات اللغوية : نحوا وصرفا ومعاجم لغوية . وقام المستشرق (شاده) بعمل بحث عن الأصوات اللغوية عند سيبويه وعند العرب ، وأنتهى فيه إلى أنه من الصعب إضافة أى تعديل على ماقدم سيبويه من تحديدات علمية ، والظواهر الصوتية ، اللهم ألا فيما عدا الحنجرة التى لم يعرف العرب — على وجه الدقة — وظيفتها الصوتية ، فألحقوها كجزء من الحلق . أ.هـ .

والحق أن العرب أسهموا فى هذا الجانب بجهد خلاق ، ووضعوا أبجدية صوتية للغة العربية ، حسب المخارج ، وعلى طول المدرج الصوتى ، كما بينوا مخارجها وتصنيفها وتوظيفها وأنواعها . وحدود تميزها ، باجتهاد عقلى وذوق ، بدء بسيبويه ومرورا بابن جنى وابن فارس ، وغيرهم ..

وقد ذكرت الشىء الكثير فى كتاباتى عن ابن القيم لغويا ، فى حوالى خمسة عشر مقالا طويلا فى مجلة (البحث الاسلامى) الهندية بعضها مازال ينتظر الطبع .. أظن أن فيها مايشرف من عالم لغوى بعد شهرته كإمام فى العلوم الدينية .

وتهلك للدراسة القيمة عن الصوتيات عند ابن جنى ، التى قام بها الاستاذ الدكتور محمد حسن باكَلا بجامعة الرياض بالسعودية ، ونال بها درجة الدكتوراة فى (اللسانيات) فى إنجلترا باللغة الانجليزية ، وقد تفضل مشكورا بإهدائى نسخة منها .. فجزاه الله الخير لرفع ذكر علمائنا العرب ، وقد كتبت عنه وعنها فى مجلة « البحث الاسلامى » الهندية[1] مشيدا ومحللا فى خطوط عريضة وشاكرا ..

وساءتنى كتابات عن اللغويات من علمائنا العرب — نسبوا فيها كل شىء للغرب ولم يشر إلى جهود علمائنا القدامى بخير أو بشر . وكأنما نحن العرب صفرا فى هذا الجانب ، واشرت إلى ذلك فى نفس المجلة السابقة .

وحييت فى نفس المقال[2] الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر ، على كتاباته فى اللغويات والاشادة بذكر علمائنا العرب فى كل مناسبة وما أكثر المناسبات التى تحدث عنها .

وكانت كتاباتى عن العالم ابن قيم الجوزية اسهاما متواضعا منى فى هذا الجانب فإذا سكت بعض الكتاب من هنا أو هناك عن عمد أو جهل .. فواجبنا أن نكتب ونقول ، ونشرح للدنيا العلمية الجوانب المضيئة لنا ولعلمائنا ..

وليس هذا اجترار لفخر جنسى أو عرق أو نزوع طائفى نقوم به ، حاشا لله أن نكون كذلك ، وليس معنى هذا بالتالى (التقوقع) على أنفسنا ، حاشا لله ثانية ، فعلينا النظر فى كل جديد والاستفادة من كل حديث مبتكر ومكتشف .

فلا نريد أن نتأخر عن الركب الثقافى والحضارى ، ولا نريد أن ندور حول أنفسنا ولا أن يظلمنا ويغمطنا إنسان حاقد أو جاهل أو متجاهل .

وإنما نريد أن ننفتح على العالم ، لنسهم إيجابيا فى إعلاء صرح حضارته الإنسانية ، بجهد ، وبعزّة ، وهمّة .

---

(١) عدد/١ مجلد/٢٨ رمضان سنة ١٤٠٣هـ
(٢) السابق

فى طريق علم اللغة

ولا نريد بالتالى أن يجهل أبناؤنا وأحفادنا تاريخنا السامق وأمجادنا التليدة ، علّها تثير شاكلة أنتباه من أذكياء نبهاء ، يقومون بأعمال بناءة وخلاقة ونافعة للعلم والإنسانية كما صنع أجدادهم من قبل ، فكانوا سببا فى نهضة أوروبا ورقى العالمين : العربى والشرق على السواء .

ولسنا وحدنا الذين نسطر ذلك ، فالغيورون فى مجموعهم الذكى يرون أننا كنا أصحاب مجد وتقدم فى دراسة الجوانب اللغوية ، وأن علماءنا القدامى أدوا فى عبقرية واجبهم الثقافى ابتغاء وجه الله ، وخدمة لوعاء الوحى .. وأن عملهم كان من الدقة والعظمة بما يشهد به الاعداء والاصدقاء على السواء ، وأنه كان من القوة بما لايمكن إخفاؤه وإهالة التراب عليه مهما حاول البعض ذلك .

وأننا بالتالى بحاجة إلى ماوصل ما انقطع ، ومتابعة ماجد ، والنظر فى الجديد وليس من توارد الخواطر — أخيرا — ما قرأته قبل الفراغ من هذا البحث فى مقدمة كتاب جيد فى موضوعه وإخراجه بعنوان : (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) لنخبة من علمائنا اللغويين العرب ، ومراجعة نخبة ناهضة منهم .. جاء فى مقدمته : (كان للعرب دور كبير مشهود فى تطوير الدراسات اللغوية على أسس علمية منذ القرن الأول الهجرى) فقد ساهم رواد البحث اللغوى بدءا بأبى الأسود الدؤلى ومرورا بالخليل بن أحمد الفراهيدى وتلميذه سيبويه وأبى الفتح عثمان بن جنى وغيرهم ممن ساهموا ليس فى خدمة اللغة العربية فحسب بل وفى تطوير البحث اللغوى ككل حيث أتوا بنظريات دقيقة ودراسات وصفية ، بدأ علماء الغرب فى اكتشاف بعضها بعد العلماء العرب المسلمين بأكثر من عشرة قرون .

ومن الملاحظ أن الدراسات اللغوية العربية منذ العصور المتأخرة قد انحسر فيها عنصر الابـــداع والتجديد . فأصبح كثير من علمائنا يجترون ما أتى به الرواد الأوائل ويرددون ماقالوا دون إضافة تذكر . هذا فى الوقت الذى لمسنا فيه التطور العلمى السريع الذى يطرأ على الدراسات اللغوية فى الغرب .. تلك الدراسات لم تأل جهدا فى الاستفادة من كل معطيات التقنية الحديثة من أشعة سينية ومراسم مطياف وحاسبات آلية ومختبرات لغوية وصوتية .

وقد ولدت هذه الملاحظة لدى بعض المختصين فى الدراسات اللغوية الحديثة إحساسا بالضرورة الماسة إلى تطوير هذه الدراسات فى الوطن العربى . ومن وسائل هذا التطور إيصال ماأستجد فى هذا الحقل من بحوث ودراسات فى العالم الغربى : وذلك عن طريق التعريب والتأليف .

« يتبـــع »

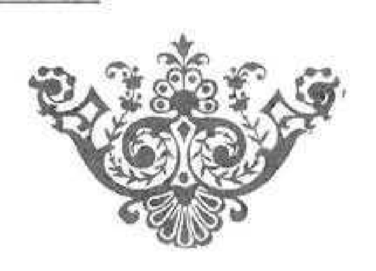

نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان

بين العقاد وبالاماس Palamas

٣

بقلم الأستاذ : أحمد مصطفى حافظ

أثناء تجوالى بين قصائد الجزء الأول من ديوان الشاعر اليونانى المعاصر كوستى بالاماس (١٨٥٩ ــ ١٩٤٣) ، التى قام أرستيد .إ. فوترايدز Aris ted. E. Phoutrides بترجمتها إلى الإنجليزية[١] ، تبين لى ، بعد القراءة المستوعبة ، أنه شاعر كبير حقا ، كما يقرر ذلك المعلق الفرنسى على الدراسات اليونانية : (إيوجين كليمنت) ، بقوله : « إن بالاماس لايعد فقط فى مقدمة شعراء اليونان المعاصرين ، بل وفى مقدمة شعراء القارة الأوربية ، وهو ــ وإن كان أقل منهم شهرة إلا أنه ، بلا مراء ، الأعظم[٢]، وحسب القارىء أن يعلم أنه لا توجد موسوعة من موسوعات العالم الشعرية ، تخلو من مختارات من أدب بالاماس ، وقد رُشّح لجائزة نوبل فى الأدب ، قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى ، إلا أنه ، لسبب أو لآخر ، لم يحصل عليها .

وقد أعجب بشاعريته شاعر الهند (رابندرانات طاغور) ، وكتب عنه ، مثنيا عليه .. درس « بالاماس » القانون بجامعة أثينا ، ثم اشتغل بالصحافة ، وعاش فى صومعة أدبية ــ كالعقاد ــ فى منزله ، متفرغا تاما للاطلاع فى شتى فروع المعرفة الإنسانية ، وفى شتى الفلسفات والعلوم .

---

(١) Cambridge, Harvard, University, Press: 1919.

(٢) ص ٣ ، فى مستهل الديوان المذكور .

وهناك أمور متعددة ، مشتركة ، بينه وبين العقاد ، تجمع بينهما إلى حد بعيد ، فكلٌّ منهما عمِّر طويلا حتى استطاع أن يقدم الإنتاج الغزير ، فى شتى الأجناس الأدبية ، من دواوين شعرية متعددة ، إلى دراسات مستفيضة عن عظماء قومه ، قديما وحديثا فخطب ومحاضرات عامة للتبصير والتنوير ، وكلا الرجلين : العقاد وبالاماس موسوعىّ الثقافة يتسم النتاج الأدبى والفكرى عند كل منهما بطابع صاحبه الخاص ، وشخصيته المستقلة ، وكل منهما لم يغادر وطنه إلى العالم الخارجى ، وحمَلته اطلاعاته إلى أقصى الأرض كما يقول الدكتور نعيم عطيه عن (بالاماس)[٣] .

وكما استقى العقاد مادة ديوانه (عابر سبيل) من الحياة اليومية العادية ، فقد صنع مثل ذلك بالاماس فى بعض شعره .. وشعر كليهما الذاتى الفردى ، يخاطب العقل والوجدان فى وقت معا ، ويدعو إلى التأمل والتفكير .

وقراءاتهما قد استوعبت ــ فيما استوعبت ــ الآثار الشعرية (الرومانتيكية) الرفيعة ، لفيكتور هيجو وبيرون بصفة خاصة .. ولم يقتصر كل منهما ، فى صياغته للغته الشعرية ، على العبارات الجزلة التراثية ، بل عمد إلى التجديد وإثراء لغة الشعر ، بالأصالة والابتكار .

● ● ●

وقفت طويلا ، أمام قصيدة آسية لبالاماس ، يرثى فيها ابنه الطفل ، بشعور حار متدفق ، يحمل بين طياته فجيعة نفسه ، وعمق أساه ..

وباستقراء المؤثرات الهامة العنيفة ، فى مجرى حياة (بالاماس) ، التى ذكرها مترجم ومؤرخ أشعاره ، ندرك أنه لا يمكن تجاوز تأثره العميق مأساته تلك ؛ لأنه كان شديد التعلق بابنه هذا ، ولذلك لم يستطع طوال حياته أن يروض نفسه على احتمال هذا الخطب ، ولم يعرف السلوان سبيلا إلى نفسه ، وقد ظل يرثيه بعدة قصائد أخرى ، جمعها بعد ذلك وأصدرها بين دفتى ديوان يحمل عنوان : « القبر » عام ١٨٩٨ م .

وفى وصف هذا القبر ، يقول منا جيا طفله :

النص بالانجليزية وترجمتنا الشعرية لهذا النص : « بتصرف قليل مناسب »

لا مِنْ حديدٍ ولا من أنْفَسِ الذهب	Neither with iron,
أو من بدائع رسَّامٍ ، وألوانِ	Nor with gold,
لا من رخام أقام الفنُّ هيكله	Nor with the colors
بفرط حِذْق وإحكام وإتقان	That the Painters Scathe.
.. بل ما أقَمْتُ ..[٥] صغيراً لا اتساع به	Nor with marble
	Carved with art
مَبْنِىّ ، لتحيا به ..	Your Little house I built
فى طول أزمان ..	For you to dwell for ever,

وقد أُقيم بأرض ..	
ماذرَتْ أبدا	With Spirit charms alone
معنى الذبول ..	I raised it in a land
نَدَاها : طَلُّ وجْدانى[٦]	That knows no matter nor
بفيض وجد ..	The Withering touch of Time .
تسامى فى مَسَارِبه	
وَلَمْسَةُ الدهر ، لن تُفْضِى لنسْيَان ..	

(٣) أنظر كتابه (الشعر اليونانى المعاصر) ص ٣٠ (المكتبة الثقافية العدد ٢٣١ ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ (دار الكاتب العربى) .

(٤) هذا المعنى يذكرنا بقول الرافعى فى مقال له بعنوان « موت أم » : « ومشيت من البيت الذى ألبسته المنية معنى القبر إلى القبر ألبس المنية معنى البيت » ..

(٥) أى بيتا صغيرا .

With all my tears,	من نرجس العين
With all my blood,	من ذَوْب الفؤاد ، بدا
I founded it	أساسُ بُنيانِهِ
And built its vault .	فى ليل أشجانى ..

***

وقد أعادت للذاكرة ، هذه الأبيات ، قصيدة للعقاد بعنوان : (رثاء طفلة)[1] ، يقول فيها :

زهـــرة كان وجههـــا ... نورَ قلبـــى وناظـــرى
حَمَلتها يدُ الـــرَّدى ... حَمْـــلَ من لم يُحـــاذِرِ
فتـــوارت ، ولم يَزَلْ ... عَرْفُهـــا ملء خاطـــرى

***

ياضيـــاءً تضمَّنتـــه ... بطـــونُ الدياجـــر
قد أجَنُّـــوك فى الثرى ... ياجـــنين .. الضمائـــر
فالزمـــى الـــرَّمس حين لا ... حُلـــم فى عين باصر
فاذا أقبـــل الدجـــى ... وغفـــا كل ساهـــر
فأطْرُقينـــا مع الكـــرى ... حُلُمـــا غير نافـــر
وَصِلِـــى عيشك الـــذى ... كان أحـــلام سادر
وامْرَحـــى فى صدورنـــا ... وَاضْحكـــى .. فى السرائـــر
.. ثم عودى إذا الصبـــا ... حُ تجلَّـــى ، فباكـــرى
إنَّ صعبـــا على الصغـــا ... ر احتبـــاس المقابـــر

وبالنسبة للبيت الأخير ، نقول لروح أستاذنا العقاد

بعد أن اجتازت البرزخ ، إن احتباس المقابر صعب أليم أيضا على الكبار ، سواء بسواء ، إلا إذا كان القبر « روضة من رياض الجنة » كما جاء فى الحديث الشريف . وقد أخذ عن العقاد هذا المعنى ، تلميذه الوفى : (سيد قطب) ، حينما قال فى قصيدة له :

ومـــا أخْيَلَـــى الممـــات لولا
مرارةُ الحبْس فى اللحـــــود ..

وكلنا نعلم أن العقاد لم يتزوج ، وبالتالى لم ينجب ، وبرغم ذلك جاءت أبياته حافلة بأصدق المشاعر اللهيفة الآسية ، كالوالد الثاكل (بالاماس) ، وإن كان الأخير أكثر استغراقاً فى هول مصابة الفادح ، وأكثر ذهولا وفنيَّةً ، فى رسم صورة القبر ، الذى بناه لطفلة فى حناياه ، ليقيم فيه إلى الأبد ، متخذا لَبِناته الأثرية من فيض مشاعره ، وتدفُّق عَبَراته ، ونزْف دم فؤاده .. وهذا هو الحزن العميق حقا ، الذى ينفذ إلى النخاع ، ويستقر فى الشغاف ، ولا يعرف الذبول وربما يكون العقاد قد اطلع على شعر بالاماس ، بعد نقْل معظمه إلى الإنجليزية قبل العام العشرين من القرن الحالى ، بحكم سعة اطلاع العقاد الواسع الشامل ، على الأدب العالمى ، وخاصة فى نتاج أعلامه .. الأمر الذى جعله يقارن ، بيسر وإحاطة ، فى كتابه (شاعر الغزل) ، بين (جنادة العذرى) فى قوله :

من حبها أتمنـــى أن يلاقينـــى
من نحو بلـــدتها .. ناعٍ فينعاهـــا

كيمـا أقــول فراق لإلقـــاء له
وتضمِرُ النفس يأسا .. ثم تسلاها
ولو تموت ، لراعتنى وقـــلت ألا
يابؤس الموت .. ليت الموت أبقاها !

و(المجنون) ، فى قوله :

فيـاربّ إنْ صيَّرْتَ ليلى هى المنـــى
فزنِّى بعيـنيها .. كما زنّتهـا ليــا
وإلا فبغِّضهَـا إلـــيَّ وأهلَهـــا
فإنى بلـيلى قد لقـيت الدواهيـــا

هذا من ناحية
وبين الشاعر الرومانى المشهور كاتيليوس Catulius
من ناحية أخرى ، فى قوله :
«إنى لأكره وأحب ، تسألنى كيف ذلك ؟
من يدرى ..
ولكنى أحسّ بحقيقة هذا الأمر ؟
وشدة بُرَحائه ..»

والرقة والإنسانية الجياشة فى رثاء العقاد للطفلة ، ترفع القناع عما يبدو عليه من صرامة وجبروت فكر وقلم ، وتكشف عن نفس وديعة حانية ، وتذكرنا بشعره الغنائى الرهيف ، الذى يقول فى إحدى قصائده ، مناجيا نسيم (الخريف) :

تمَهَّـــلْ يانسيـــــم ولاتكـــــدر
نُعـــاسَ النهر بالهمــــى الضعيـــف
وقَـــرِّى ياطيــــور على الحوافى
وكفِّــــىَّ ياغصون عن الخفيـــف
لعل النهر ينطق ــ وهو غافٍ ــ
بسِرٍّ فيــه .. أو حُلْــم لطيـــف
ويحكــى طيْــف هاتيـك الليــالى
ليالى الوصل فى عهد الخريــف[1]

***

ويلتقى العقاد فى مرثيته للطفلة ، فى معنى واحد مشترك مع ما بالاماس ، هو استمرار استقرار ذكرى الفقد فى عمق الوجدان ، كما جاء فى بيت العقاد :

قـــد أجَنُّـــوك فى الثـــرى
ياجنيــــــن الضمائـــــــر

(١) لقنتا لهذه الأبيات صديقنا الشاعر الكبير : محمد عبد الرحمن صان الدين .

فطفلة العقاد لها مقبرتان : فى الحفائر والضمائر ، أما طفل بالاماس ففى قبر واحد فقط ، يشمل كيانه بأسره ، بشدة تلفته إليه ، ونظم قصائد أخرى عديدة ، أودعها ديوانه : (القبر) كما قدمنا ولم يدع فيها شاردة ولا واردة عن طفله وذكرياته معه ، إلا أحصاها ، وخاصة فى قصيدته إلى زوجته ، عن هذه المناسبة الأليمة لأنها شريكته أيضا فى الاكتواء بلهيبها ..

وكيف لا يلتاع العقاد وبالاماس لهول الفقد ؟ وهذا (حطان بن المعلى) يقول عن حالته ، فى مجرد هبوب الريح ، إذا مرت على بعض أبنائه :

وإنما أولادنــــا بيننــــا أكبادنـــــا تمشى على الأرض

لو مرَّتْ الــريح على بعضهــم لامتنعت عينى عن الغــمض ؟

فما بالك بمفارقتهم لنا مدى الدهر ؟!

***

كما أن بيت العقاد آنف الذكر ، يذكرنا بقول ابن الرومى فى رثاء ابنه محمد (أوسط أبنائه) :

لقــد قَلَّ بين المهــد واللحــد لبثــه

فلم ينس عهد المهد إذ ضُمَّ فى اللحد

كما أن (زهرة) العقاد ، هى (ريحانه) ابن الرومى ، فى نجواه لها ، بالتساؤل المذيب :

أريحانة العــينين ، والأنــف ، والحشا

ألا ليت شعرى ، هل تغيرت عن عهدى ؟

أى هل تغيَّرتْ عن عهد والدها بها ، بعد (حبس المقابر) ؟ ، أو بعد أن (ضُمَّتْ فى اللحد) .. ؟

***

على أن أعجب ما فى مرثية العقاد حقا ، أنه لم يصدر فيها عن ذكريات طفولة بهيجة مرحة ، فقد عُرفتْ عنه صفة الجد والوقار ، منذ نعومة أظفاره ، مع لداته وكراهية العبث .. ومايذكره هو نفسه ، فى كتابه : (أنا) من أن الأطفال كانوا يخشون المزاح معه ، وإذا تورَّطوا فى المزاح معه ، رغم الجد الذى يسيغه ، نالهم من الطفل (عباس) ما يسوُءهم ؟

فاذا ارجعوا يشكون مانالهم إلى أمهاتهم ، كان جواب الواحدة منهن لابنها ، أن تقول له : « امرحْ مع من شئتَ يابنى ، ولكن .. كل الناس ، ولاعبَّاس ! »

ورغم كل ماتقدم ، فإنه يتحدث فى مرثيته للطفلة ، عن (المرح ، والضحك) حين يقول :

وامْرَحِــــــى فى صدورنــــا

وَاضحكــــى فى السرائــــر ..

ومهما يكن من أمر ، فهذا يُظهر بجلاء ووضوح ، مدى تأثير الصغار على الكبار ، مما نرجو أن نعود إلى الحديث عنه من ثنايا قصيدة خالدة لفيكتور هيجو ، تحمل عنوان : «إطلالة الطفولة» ، لنعقد مقارنة أخرى ، بينها وبين مايكون لها من أشباه ونظائر ، فى شعرنا العربى .

د. محمود جمعة أمين خليفة*

البحث ـ كما هو واضح من عنوانه ـ يتكون من نقطتين رئيسيتين :

الأولى : تاريخ حياة ابن بسام ـ والثانية : لمحاته النقدية .

فأما النقطة الأولى فسنلقى فيها ـ بمشيئة الله ـ الضوء على تاريخ حياته من حيث :

١ ـ مولده ونشأته . ٢ ـ تنقلاته ورحلاته . ٣ ـ منزلته الأدبية .

وأما الثانية فسنوجز فيها الحديث عن :

١ ـ منهجه فى النقد . ٢ ـ القضايا النقدية التى كانت ميدان نقده وأهمها :

(ا) النزعة الأخلاقية ـ تلك النزعة التى امتاز بها ابن بسام عن سائر معاصريه من النقاد وأرباب الأدب آنذاك .

(ب) الفلسفة والشعر . تلك القضية التى شغلت بال الأندلسيين جميعاً لفترة من الزمن .

(جـ) الموازنة بين شعراء الأندلس بعضهم بعضاً وبينهم وبين الشعراء المشارقة عموماً .

(د) البديع بأنواعه . وسنرى ـ إن شاء الله ـ فى ثنايا البحث أنه جعل البديع : « قيم الأشعار وقوامها إذ به يعرف تفاضلها وتباينها » فهو عنده مقياس العمل الأدبى .

(هـ) السرقات الأدبية . والشعر منها بصفة خاصة .

(أ)

ونشرع الآن ـ بتوفيق من الله تعالى ـ فى الحديث عن النقطة الأولى والرئيسية فى موضوع البحث ونبدأها بالحديث عن : شخصية وحياته .

* الكاتب : مدرس الأدب والنقد جامعة الأزهر ـ بنات سوهاج .

ابن بسام حياته وشخصيته :

يعرف تاريخ الأدب رجلين بهذا الاسم : ابن بسام موضوع بحثنا هذا ، وابن بسام أبا الحسن على بن محمد المعروف بالبسامىّ وهو شاعر هجاء بغدادى توفى سنة ٣٠٢ هـ ٩١٤ م (اثنين وثلاثمائة هجرية الموافق سنة أربع عشرة بعد التسعمائة الميلادية)[١] .

أما ابن بسام ــ موضوع البحث ــ فهو أبا الحسن على بن بسام الشنترينى التغلبى من أهل (أشبيلية) وأصله من (شنترين) من بلاد الأندلس . يكنى أبا الحسن ويعرف بابن بسام وينتمى نسبه إلى قبيلة تغلب العربية .

ترجم له ابن سعيد (المتوفى ٦٨٥ هـ) صاحب كتاب « المغرب فى حلى أهل المغرب » بقوله : « هو الأديب أبو الحسن على بن بسام التغلبى الشنترينى ، العجيب أنه لم يكن فى حساب الآداب الأندلسية أنه سيبعث من « شنترين » قاصية الغرب ومحل الطعن والضرب من ينظمها قلائد فى جيد الدهر ويطلعها ضرائر للأنجم الزهر . ولم ينشأ بحضرة (قرطبة) ولا بحضرة (أشبيلية) ولا غيرهـــا من الحواضر الأندلسية العظام من يتعض امتعاضة لأعلام عصره ويجهد فى جميع حسنات نظمه ونثره . وسل الذخيرة فإنها تنبىء عن محاسنه الغزيرة »[٢] .

وذكر « خير الدين الزركلى » فى كتابه (قاموس الأعلام) أنه من الكتاب والوزراء وأنـــه توفى سنة ٥٤٢ هـ (اثنتين وأربعين وخمسمائة هجرية) .

ولعل معتمده فى سنة وفاته ما قاله « المقرى » صاحب (نفح الطيب) حيث قال : « وتأخرت وفاته إلى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وهو منسوب إلى « شنترين » من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس »[٣] .

ومع ما لابن بسام من الشهرة الذائعة ، ومع ما لكتابه (الذخيرة) من التقدير والتبجيل بين أهل الأدب فى المشرق والمغرب إلا أنه ــ أى بسام ــ لم يحظ بترجمة وافية .

فلم يترجم له « ابن بشكوال » صاحب (الصلة) و (المتوفى ٥٧٨ هـ) مع كونه من أهل عصره وبلاده وسبقت وفاته صاحب الصلة بنيف وثلاثين عاماً . وكذلك أغفلته دائرة المعارف الإسلامية إذ لم نر له ترجمة فيها .

وقد يسأل سائل عن سبب إغفال السابقين ترجمته فى كتبهم المعاصرة له واللاحقة مع شهرة كتابه « الذخيرة » . ولعل من أسباب ذلك أن ابن بسام قضى كثيراً من حياته فى بلدته « شنترين » فلم يشتهر اسمه إلا بظهور كتابه (الذخيرة) الذى ألفه فى غير شنترين ، من هنا فإنه لم يعرف الكثير عن أسرته ولا عن طفولته وشبابه سوى أنـــه نشأ ببلـــدة « شنترين » وبها كانت ولادته ، فهى إذا مسقط رأسه ــ كما يحدثنا هو نفسه عن ذلك فى كتابه (الذخيرة) غير أنه لم يعين لنا سنة ميلاده ، وكذلك الذين كتبوا عنه وترجموا له . فكلهم أغفلوا سنة مولده . وعلى ذلك فليس هناك تاريخ دقيق يحدد ميلاده وليس من سبيل إلى العلم بها حيث لم تظهر لنا المصادر شيئاً عن ذلك . اللهم إلا لمحاً خاطفاً ، واستنتاجاً يرجح أن مولده كان حول سنة (٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م خمسين وأربعمائة هجرية) المسايرة لسنة ثمان وخمسين وألف ميلادية أو قبل ذلك بشىء يسير ، يستدل على ذلك من قوله فى مقدمة كتابه الذخيرة : « فإنما جمعته بين

---

(١) ترجمة هذا الشاعر فى (قاموس الأعلام) لخير الدين الزركلى جـ ٥ ص ١٤١ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ٥ من ص ١٣٩ ــ ص ١٥٢ . وذكر أن اسمه : على بن محمد بن نصر بن منصور أبو الحسن بن بسام . ويقال : (البسامى) شاعر هجاء عالم بالأدب والأخبار من أهل بغداد نشأ فى بيت كتابة وتقلد البريد . وأكثر شعره فى هجاء والده وجماعة من الوزراء . له كتب منها : (أخبار عمر بن أبى ربيعة) و (كتاب المعاقرين) و (مناقضات الشعراء) .

(٢) انظر المغرب لابن سعيد المراكشى جـ ١ ص ٤١٧ وما بعدها .

(٣) انظر نفح الطيب للمقرى جـ ٣ ص ٤٥٨ .

صعب قد ذلّ ونشاط قد فلّ وشبـــاب ودع فاستقل »[4].

ومعروف أن هذه الصفات تعترى الإنسان ـ غالباً ـ فى سن الأربعين . وإذا ما علمنا أنه بدأ فى تأليف الذخيرة سنة ٤٩٣ هـ[5] (ثلاث وتسعين وأربعمائة من الهجرة) ترجح لدينا ذلك الحدس أى أن ولادته كانت حول سنة ٤٥٠ هـ تقريباً . وعلى ذلك يكون مولده فى حدود منتصف القرن الخامس الهجرى ، وهذا الرأى ليس قطعياً ولكنه أرجح الاحتمالات .

تنقلاته ورحلاته :

قلنا فيما سبق إن ابن بسام ولد فى (شنترين) وبها نشأ ثم خرج منها وتنقلت به الأسفار فارتحل إلى « الأشبونة » ووافاها فى سنة ٤٧٧ هـ (سبع وسبعين وأربعمائة هـ)[6] وإلى (بطليوس) سنة ٤٨٦ هـ (ست وثمانين وأربعائة)[7] ثم قرطبة فى سنة ٤٩٤ هـ (أربع وتسعين وأربعمائة)[8] ومنها إلى أشبيليـــة فاستوطنها حياته .

يقول ابن سعيد عنه ـ فى رايات المبرزين : « كان مستوطناً أشبيلية وأظنه منها »[9] وحياته قبل هجرته من موطنه ـ شنترين ـ مجهولة تماماً إلا من نتف مما أورده هو فى مقدمة كتابه (الذخيرة) ومنها يستشف أنه اجمع له فى بلدته شنترين من المجد الطريف والعز التليد ما أغناه عن سوء الاكتساب[10] .

ويغلب علىّ الظن أنه كان يتخذ من « الأشبونة » أيضاً مقاماً ، بل نرجح أن من أسرته من كان يقيم « بالأشبونة » وكان لهم فيها بأبيه ؛ فأبوه ممن لهم آياد بيض انتماء وعلماء نلحظ ذلك فيما يقوله هو نفسه ـ فى أثناء حديثه عن لون بديعى ، هو « التقسيم » . وأحسن من هذا التقسيم قول أبى بكر بن عبادة القزاز من جملة أبيات خاطبنى بها أيام مقامه عندنا بالأسبونة أولها :

يا منيفـا على السمـــاكين سام
حزت فضل السبـاق عن بسام[11]

وفيما كتبه إليه أبو العباس أحمد بن قاسم :

يا دوحــــة المجد الكـــريم
وسلالــــة الشرف الصميم[12]

أما الشطر الثانى من حياته وهو ذكر هجرته إلى أشبيلية واستيطانه لها فلم يعن به إلا هو نفسه ؛ إذ أنبأنا عن تغربيه بأشبيلية وانفراده هناك سنوات حتى تبوأ منها مكانته . يقول : « فوصلت حمص أشبيلية بنفس قد تقطعت شعاعاً ، وذهب أكثرها التياعاً ... فتغربت بها سنوات أتبوأ منها ظل الغمامة وإعياء بالتحول عنها عىّ الحمامة . ولا أنس إلا الانفراد ولا تبلغ إلا بفضلة الزاد[13]

وبمثل هذه الكلمات عَبّر ابن بسام عن حالته الاجتماعية والنفسية وكشف عن مقاومته واحتماله لما حاق به .

وهكذا خرج ابن بسام من بلده « شنترين » مهاجراً حين استجاشته نفسه الطموح إلى الهجرة عن

---

(٤) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام . القسم الأول المجلد الأول ص ٤ و ص ٥ .
(٥) الذخيرة القسم الثالث ص ٢٠٤ .
(٦) انظر الذخيرة القسم الثالث ص ٢١٩ .
(٧) الذخيرة القسم الثانى ص ١٨٨ .
(٨) المصدر نفسه ص ٢١٣ .
(٩) رايات المبرزين ص ٤٥ .
(١٠) انظر الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٨ .
(١١) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ص ٣٩٤ .
(١٢) المصدر نفسه ص ٣٩٢ .
(١٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٨ وص ٩ .

موطنه إلى مدينة (أشبيلية) وارثة النهضة الثقافية بالأندلس .

ولذا نرجح أن لطموحه العلمي أثراً فى هجرته ، وإن كان بعض المؤرخين يعزونها إلى وطأة ظروف قاسية . لكننا لا نشك فى أن طموحه العلمى هو السبب فى هجرته إلى تلك البلاد . حتى إنه لو لم تتأته الهجرة قسراً - كما يدعون - لكان لرغبته الجامحة فى التأليف أكبر الأثر فى أن يرحل عن وطنه ليستعين بكثرة الكتب على تحقيق هذا الغرض الجليل ، وهو التأليف ، وليتمتع بالخزائن العلمية فى (قرطبة) و (أشبيلية) وكثرة المخالطة والمصاحبة لأهل هذا الشأن هناك . وهو ما يوحى به قوله : « وهذا الديوان نِيَّة لم يفصح عنها قول ولا عمل ، وأمنية لم يكن منها حول ولا حول ، كامن بين العيان والخبر كمون النار فى الحجر وحار بين اللسان والقلب[15] .

وعلى كل حال فإن ابن بسام قد ألف ذخيرته فى قرطبة وأشبيلية إذ بدأها - كما تقدم - فى قرطبة عام ٤٩٣ هـ (ثلاثة وتسعين وأربعمائة هجرية) وأتمها فى أشبيلية ومعروف أن هاتين المدينتين كانتا تزخران بالعلماء والأدباء وأنفس الكتب ؛ لذا فقد حبس نفسه على البحث والتنقيب ، وظهر تفوقه وأخذ يتمتع بحظوة وتقدير ومكانة علمية منقطعة النظير ، وتبوأ منزلة عالية من بين علماء أشبيلية وأدبائها .

يدل على ذلك ما هو مثبوت فى ذخيرته من مخاطبات له مع أهل عصره يتبين لنا منها أن شخصيته العلمية والأدبية كانت قوية فى وقته ينظر إليها أهل عصره نظرة تجلة وتقدير ، وكذلك الذين ذكروه من أهل المشرق كابن فضل الله العمرى (المتوفى ٧٤٩ هـ) صاحب كتاب (مسالك الأبصار) فقد وجد فيه من سعة الاطلاع وقوة الحافظة وأصالة الملكة الأدبية ما جعله يفيض بذكره ويقدمه على من ترجم لهم من أهل الأندلس ؛ إذ استهل حديثه عن الأندلسيين بقوله : « فمنهم أبو الحسن على بن بسام محبر الذخيرة وجامعها ومعير الشم تلك الأنوف وجادعها ... وفضائل ذلك الفاضل كثيرة فلولاه ما دقت أصيل المغرب ، ولا أنصب جدول النهار فى رَوْضِهِ المعشب ولا رفعت للأندلس أعلام ، ولا عرفت وقائع وأيام ولا تميزت لأهله أقدار ولا تطرقت بفضله سير وأخبار[16] .

وفى مهاجره اطلع ابن بسام على أكثر ما كتب فى العلوم والفنون ، ولا سيما كتب الأدب والتاريخ حتى ليعده بعض العلماء من المؤرخين الكبار[17] فقد وسع عقله كثيراً من العلوم والآداب ؛ فكان أديباً وشاعراً ومؤرخاً ، ولكنه لم يختص بفن ولم يتفوق فى شىء تفوقه فى الأدب ونقده حتى كان من أئمته ، وكتابه الذخيرة خير شاهد على ذلك . ومن أجل ذلك فقد أضفى عليه ابن سعيد لقب « الرئيس الفاضل الأديب المؤرخ »[18] .

وبعضهم خلع عليه لقب « الوزير الكاتب »[19] .

(١٤) وعن شنترين يقول ياقوت : إنها مركبة من كلمتين « شنت ، وبن » وهى مدينة غربى قرطبة على نهر تاجة وهى حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وهى الآن للأفرنج (معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٦٧) - وضبط القلقشندى حروفها ومنها نقلا عن (تقويم البلدان) قال : « بفتح الشين المعجمة وسكون النون وكسر المثناة من فوق والراء المهملة وسكون المثناة من تحت وفى آخرها نون فيما هو مكتوب بخط ابن سعيد (صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٢٢) . وقال ابن سعيد فى صفتها نقلاً عن الرازى : « وأرضها غاية من الكرم والطيب » (المغرب جـ ١ ص ٤١٧) .

(١٥) الذخيرة القسم الأول المجلد ص ٨ و ص ٩ .

(١٦) مسالك الأبصار (مخطوط) جـ ٨ ص ٢٠١ .

(١٧) انظر المغرب جـ ١ ص ٤١٧ .

(١٨) رايات المبرزين لابن سعيد ص ٤٥ .

(١٩) تقدم أن صاحب معجم البلدان وكذلك الدكتور لطفى عبد البديع فى الجزء الذى حققه من كتاب الذخيرة قد نعتاه بالوزير الكاتب . ولم يعرف عن ابن بسام أنه تقلد منصب الوزير فى الدولة لا فى عهد ملوك الطوائف ولا فى عهد المرابطين ؛ لأن العهد الطائفى كان قد استشرف على نهايته ولم يهاجر ابن بسام إلى أشبيلية بعد . وأما فى العهد المرابطى فلم تذكر المصادر ذلك عنه أو تنسبه إليه . وكل ما نعرفه عن طبيعة عمله ما ألمح هو إليه فى الذخيرة فى قوله : « وأنا يومئذ بإشبيلية اتصرف مضطراً فى بعض الأعمال السلطانية » الذخيرة ق ٤ م ظ ص ١١ .

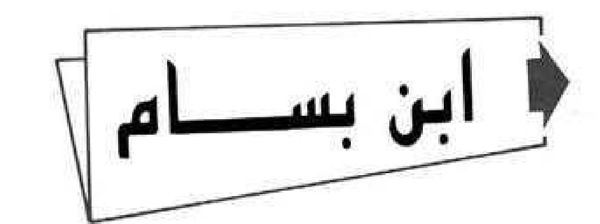

ابن بســـام

إذ صار اسم الوزارة عاماً لكل من يجالس الملوك ويختص بهم .. « وأكثر ما يكون الوزيـــر فاضلاً فى عالم الأدب »[20] بمعنى أنه لم يتقلد منصباً وزارياً فى الحكومة ، وإنما كان كما ينكر « المقرى » أن من عادة أهل الأندلس أن يطلقوا على الكاتب لقب الوزير فالوزير هو الكاتب[21] .

٣ ـ منزلته الأدبية :

لقد احتل ابن بسام منزلة أدبية سامية وظهر تفوقه فى قوة بيانه وجزالة لغته وهما من مصادر عبقريته التى تجاوزت الحفظ إلى الدأب فى التنقيب والبحث عن الخزائن والنفائس من الكتب واستيعاب ما فيها فكان فى ميدان الأدب فارس الحلبة وحائز قصب السبق ،. فلا غرو أن يكون واحد وقته لإحاطته بكثير من مصادر الأدب القيمة بخاصة مصادر أدب الأندلس وحضارته وأدب المشرق كذلك .

فقد بدأ فى كتابه « الذخيرة » سامى الهمة مرتب الفكرة واضح المقصد قوى ملكة التصرف صاحب بينة وحجة ، محيطاً بجميع مصادر الأدب الموجودة فكان دوره فيها أن حررها وانتقدها وانتخب منها بأصالته الأدبية ما يتلاءم مع ذوقه من غير تعصب ولا ضيق أفق ، بل كان واسع الفكر حر الضمير معطياً كل ذى حق حقه مع جد صارم فى سائر أحواله وهو على صرامته يجمع بين القديم والجديد فهو يبدو قديماً بثقافته وسعة محفوظة من التراث وبوقوفه فى وجه الفلسفة وشعر المتفلسفين[22] ، كما يبدو جديداً بمنهجه ونفاذ بصيرته لعنايته بالبديع على طريقة المجددين من أهل المشرق حيث اتخذوا البديع مقياساً تقاس به الأعمال الأدبية ، وعدّه ابن بسام « قيمّ الأشعار وقوامها » كما أبان عن ذلك فى المقدمة حيث يقول : « وهذا الديوان إنما هو لسان منظوم ومنثور لا ميدان بيان وتفسير ، أورد فيه الأخبار والأشعار لا أفك معماها فى شىء من لفظها ولا معناها ، ولكن ربما ألمحت ببعض القول بين ذكر أجريه ، ووجه عذراء أريه ، لاسيما أنواع البديع ذى المحاسن الذى هو قيمّ الأشعار وقوامها ، وبه يعرف تفاضلها وتباينها فلا بد من أن نشير إليه وننبه عليه »[23]

وبذلك يكون ابن بسام قوة جديدة فى تحقيق الشخصية الأندلسية بما لها من تميز أدبى أدركها الذين عاصروه ، وقد وجدنا له ما ينبىء عن منزلته الأدبية من خلال ما كان يدور بينه وبين أصحابه من أهل عصره من مكاتبات ، فقد حسنت طريقته ، وحمدت خليقته بين هؤلاء الأصحاب الذين منهم الوزراء ومنهم الأدباء والشعراء إذ تباروا بمساجلته فأخلصه الودَّ

---

(٢٠) راجع نفح الطيب جـ ١ ص ٢١٧ .

(٢١) المرجع نفسه .

(٢٢) فلم يكن يعجبه شعر الشعراء وأصحاب الصياغة الفلسفية وأنحى باللائمة على أولئك الشعراء الذين يتفلسفون فى أشعارهم حتى إنه وصفهم بالهذيان الذى لا طائل تحته فها هو ذا يورد للشاعر « السميْسر » هذه الأبيات :

لقد نشينا فى الحياة التى	توردنا فى ظلمة القبر
يا ليتنا لم نك من آدم	أورطنا فى شبه الأسر
إن كان قد أخرجه ذنبه	فما لنا نشرك فى الأمر

ويقول : « والسميسر فى هذا الكلام ممن أخذ الغلو بالتقليد ، ونادى الحكمة من مكان بعيد صرح عن ضيق بصيرته ونشر مطوى سريرته فى غير معنى بديع ولا لفظ مطبوع ولعله أراد أن يتبع أبا العلا فيما كان ينظمه من سخيف الآراء » (الذخيرة ق ١ ص ٣٧٨)

(٢٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٦ .

طائفةٌ كبيرة منهم فكان ممدحا بألسنة هؤلاء شعرا ونثرا كالذى خاطبه به الأديب أبوالعباس أحمد بن قاسم لمّا بلغه جمع ابن بسام لكتابة الذخيرة :

يا من تكلف جمع المجد فى ورق
أنا أناديك جهرا غير تعريض
ذهّبْت عصرك يا من شعره ذهب
بالمذهبات فأتبعنا بتفضيض
فشبه تِبرك متلوًّا بفضتنا
جمان خود على لباتها البيض[24]

وكتب إليه أيضا أبوالعباس المذكور فى مثله وقد بلغه أن ابن بسام أثنى عليه بمجلس بعض الأعيان بقرطبة :

يا دوحة المجد الكريم وسلالة الشرف الصميم
والغرة الغراء فى وجه النثر وفى التنظيم
قد كان نام زَمَانُنا عن كشف آثار العلوم
حتى أتيت مُنبهًا جفنيه تنبيه النسيم[25]

وكان قد خاطبه الأديب أبوبكر بن عبادة القزاز من جملة أبيات أيام مقامه عنده بالأشبونة أولها :

يا منيفا على السماكين سام
حزت فضل السباق من بسام
قد خبرتُ الورى فلم ألفهم
إلا ثقال الأفهام والإفهام
وتأملت منك نكتة بغداد
لباب العراق ومعنى الشآم
شكّ ذهنى فى أن يرى بصرى
مثلك حتى خلتنى فى المنام
إن تحك مدحة فأنت زُهَيْر
أو نسيبا فعروة بن حزام[26]

وكان ابن بسام يشاركهم بأبيات من نظمه وينزل عليهم فى منازلهم .

(٢٤) المصدر نفسه المجلد الثانى ص ٣٩١ .

(٢٥) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ص ٣٩٢ .

(٢٦) المصدر نفسه ص ٣٩٤ .

وكان ابن بسام قد بعث بأبيات إلى الوزير أبى الحكم عمرو بن مذحج يهنئه بمقدمه من بعض أسفاره ومنها :

يهنى قدومك كلا يا باالحكم
يا دوحة العلم والآداب والحكم
مذ غبت فارقت عينى إلى سنة
ياعمرو إلا لكى ألقاك فى الحلم
إن كنت فى تغلب فى بيت سؤددها
وكنت من مذحج فى السؤدد العمم
فلم يضر تنائى النسبتين وقد
رحبنا نسيبين فى علم وفى فهم
والعذر فى زمن إن جئت فى أمم
لا الجهل جهلك فاعذرهم ولا تلم

فراجعه بأبيات منها قوله :

يا من تناول حر اللفظ من أمم
بذى غرارين مثل الصارم الخذم
لو أن فضلك تهديه إلى حجر
لما استجيز عليه الوصف بالصمم
هذى جوارح جسمى كلها أذن
قد جاء منك بأذنى لؤلؤ الكلم
حاشا لِ (نهلك) أن تخفى معالمه
وهن أشهر من نار على علم

إلى أن يقول :

من تغلب أنت فى علياء مركزها
فمن يباريك فى مجد وفى كرم[27]

كما أن له رسائل كان قد وجهها إلى أصدقائه يخطب ودهم ، ويستجلب ما عندهم .

وهى جديرة بأن ينقل بعضها بنصه ، لأنها مما يلقى ضوءًا على أصالة منزلته الأدبية ونبل غايته العلمية بأوفى صورة وأحلى بيان ، وهاك نموذجاً من رسائله :

يقول فى رسالة بعث بها إلى الوزير الكاتب أبى بكر محمد بن ذى الوزارتين أيام أن كان بقرطبة أول سفرة إليها عام أربعة وتسعين وأربعمائة :

(٢٧) الذخيرة القسم الثانى ص ٢٣٦ .

ابن بسـام

« كل يبلغ – أعزك الله – من حسنات نبلك وفضلك ومعلومات حسبك ونسبك ...

.... ومازلت أسمع فأتطلع ، وأستمر فأستبصر ، وأحن الى مفاتحة الخطاب وكل ما يقع إلا بأسباب إذ الدخول لا يكون إلا على الباب، وعندهم على علمك أن الهجوم عليه دون سبب يدعو إليه نوع من الجفاء وضرب من مفارقة الحياء ، ولا يستجيزه إلا من كان عن الأدب بمعزل وللأمور غير محصل ، فهذا الخطاب الذى قرعت به هذا الباب من مواصلتك وجعلته سلما إلى مخاطبتك أسٌ يقوم عليه بنيان وغرس ستلتفت فوقه أفنان ، وهمس سيكون بعده إعلان » .

ثم ختم رسالته بهذه الأبيات :

أبـــا بكـــر المجتبـــى للأدب
رفيـــع العمـــاد قريع الحسب
أيلحـــن فيك الزمـــان الخئون
ويعـــرب عنك لسان العـــرب
لقـــد كان جيـــل الـــورى أوهما
بقرطبـــة : عجمهـــا والعـــرب
إلى أن تبسم عقـــد الزمـــان
فأسفـــر عن واضح ذى شنب[28]

ومع ما حظى به ابن بسام من منزلة أدبية رفيعة – حسبما تقدم من خلال مشاعرتـه لطوائف من الأدباء ومخاطبته لهم – إلا أنه كان يعانى من داء الحسد .

وقد حدثنا عما مُنِىَ به فى خير تصنيفه لكتاب الذخيرة مع غير واحد من أهل عصره ، إذ كان بعضهم يستكثر عليه براعته فى الإبانة والإفصاح عن نواح تاريخية بعينها بألفاظ جيدة خاصة عندما كان يعز عليه أن يجد ذلك بلفظ ابن حيان » فى كتابه « المتين » الذى ينقل عنه المادة التاريخية فكان عندئذ يستقل بتعليقاته عنه فيأتى بما يحسد عليه .

وفى هذا يقول ابن بسام .. « وعلى ذلك لما اندرجت لما فيه كلمات رائقات فى أوصاف مختلفات ، وبلغت فيه أَمَدَ المراد بألفاظ أعيان ، ومعان أفراد، انثال علىّ الكلام انثيال الغمام قالوا : ما وصف ابن بسام وأتقن لو لم يستعن ، وما أحسن ما قصص لو لم يتلصص »[29] .

والحق أنه قد حقد عليه حسادُهُ منذ ابتدأ فى تأليف كتابه ، وهو يومئذ فى قرطبة إذ منع بعضهم عنه نتاجهم الأدبى حين أراد أن يستعين بنتاجهم على تأليف مصنفه ضنًّا به عليه، واعتقادا منهم بأنه إنما يذهب بعمله الأدبى هذا مذهب أهل « الكُدْيَة والتكسب »[30] .

وما تنكر هؤلاء لابن بسام – هذا الوافـــد الغريب – إلا لما كانت تحتدم به نفسه من تطلع وطموح ولما تنطوى عليه أنفس بعض أدباء عصره من حسد .

ومن ذلك أنه بعث إلى أبى حاتم الحجارى يستمده من نتاجه فمنعه فكتب إليه : « ولما كنت أبا حاتم خاتمة هذا الشأن أحببت أن أجعل كلامك من واسطة هذا الديوان إلا أنى رأيت لك من الامتناع بتلك الرقاع ما حدست أنك قلت : هذا ابن بسام كما أخرجته الروم من بلاده وصفرت يده طارفه وتالده وقدم قرطبة على قدم الضرورة بتلك الصورة ربما شحذ المدية فى أبواب الكدية فاتخذ تقييد هذه الشذور القلائد سببا لأن يسبى عذارى القلائد فى حجر أربـــابها ، ويسلبها عن أصحابها ، ولقد أبعدت إن كنت ظننت فى ذلك ، وكلّا أبا حاتم فإنك لى بعين الظالم وقد شهد الأشهاد بتلك البلاد أن لى بديهة قوية تربى على الروية »[31]

يتبـــع

(28) الذخيرة القسم الثانى ص ٢١٣ وما بعدها .

(29) الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ص ١١ .

(30) الكدية : التسول والشحاذة . وكان هذا النوع سائداً فى الأندلس آنذاك ، وهو عمل يشبه ما يكون من عمل « الأدباتى » فى هذا الزمان حينما يقف على أبواب الناس فى القرى يمدحهم طالباً العطاء .

(31) الذخيرة القسم الثالث ص ٢٠٤ وما بعدها .

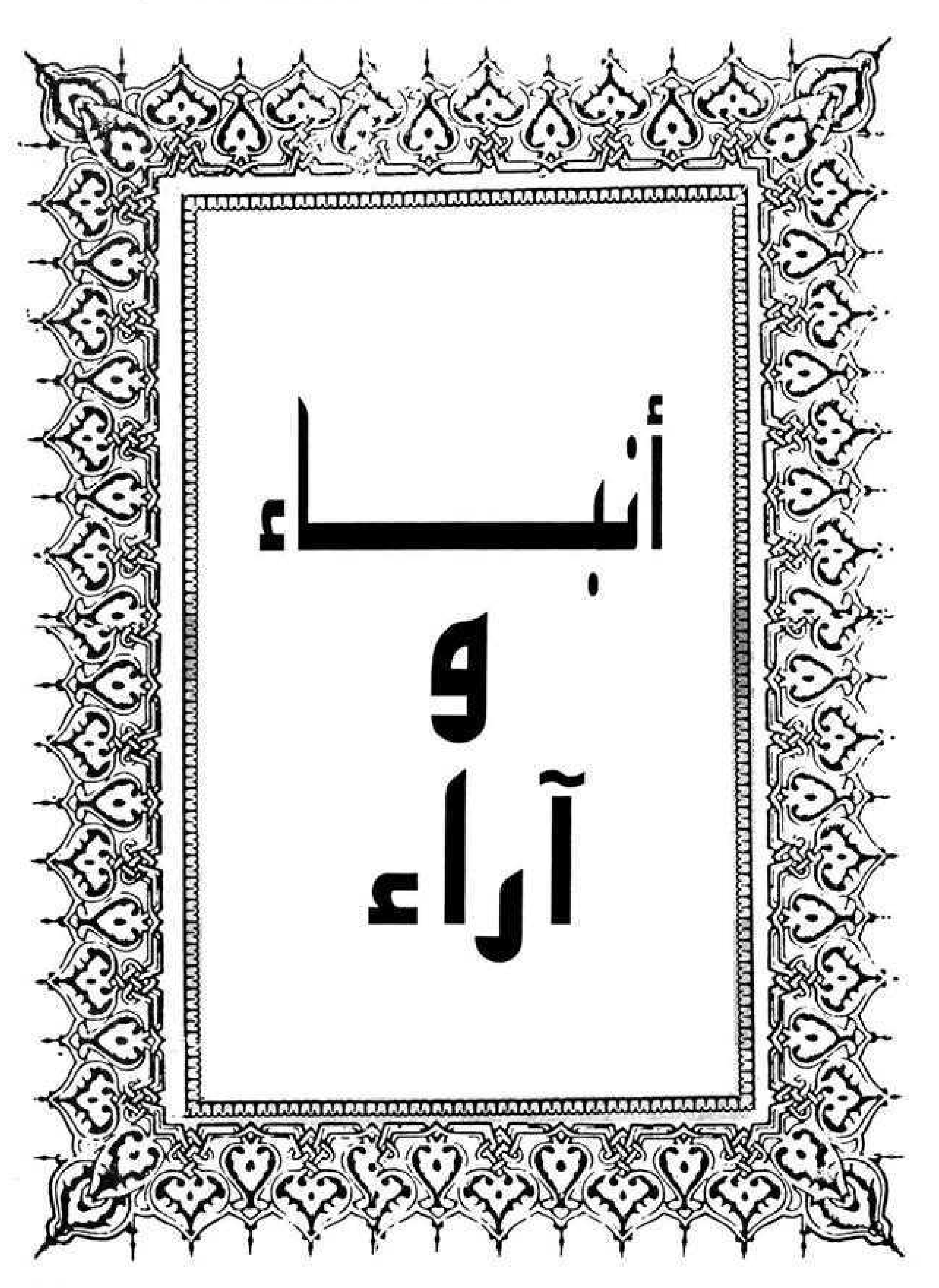

أنباء و آراء

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يشهد الاحتفال بالعاشر من رمضان

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاحتفال الذى أقامته وزارة الأوقاف بذكرى العاشر من رمضان الذى وافق السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ م .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد على محجوب وزير الأوقاف كلمة حيا فيها جنود مصر البواسل ، كما حيا فضيلته أرواح شهداء مصر فى هذه المعركة التى استرد فيها العرب والمسلمون كرامتهم وعزتهم وأرضهم .

الإمام الأكبر يستقبل سفير بنجلاديش بالقاهرة

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر فى الثانى من رمضان ١٤١٢ هـ ملتقى الفكر الإسلامى الذى أقامته رياسة الجمهورية بمشاركة الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف طوال شهر رمضان المبارك .

وقد ألقى فضيلته كلمة بين فيها أن الله سبحانه وتعالى قد اختص الأمة الإسلامية بشهر رمضان المبارك وجعل لها فيه ميزات كثيرة فقد جعل الله هذا الشهر صوما خالصاً لوجهه حيث يقول سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى : « الصوم لى وأنا أجزى به » فجعله عبادة لا يدخلها الرياء ، عبادة تزكى النفس وتنير البصيرة .

وفى ختام كلمته دعا فضيلة إلى ضرورة مراجعة النفس ومحاسبتها لإصلاح الأحوال ، وتقويم ما أعوج من السلوك ، وما بدر من تقصير حتى تكون كما أرادنا الله بحق خير أمة أخرجت للناس .

ثم أجاب فضيلته على بعض التساؤلات التى طرحها رواد الملتقى حول سلوك المسلمين فى شهر رمضان المبارك .

الإمام الأكبر يشهد ملتقى الفكر الإسلامى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه . السيد السفير/ محمد نور النبى شودرى ـ سفير بنجلاديش بالقاهرة .

في بداية اللقاء أعرب السيد السفير عن سعادته بلقاء فضيلة الإمام الأكبر للمرة الثانية منذ توليه لمهام منصبه بالقاهرة .

وقد تمنى فضيلته للسيد السفير إقامة طيبة وأن تزداد أواصر العلاقة الأخوية الصادقة بين مصر وبنجلاديش .

تم خلال اللقاء بحث قضية هجرة المسلمين من بورما إلى بنجلاديش حيث وعد فضيلته بالعمل على بحث القضية انطلاقا من اهتمام الأزهر بأمور المسلمين فى كل أنحاء العالم .

الإمام الأكبر يستقبل السيد وزير العلوم والتكنولوجيا لجمهورية باكستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد الوزير نجش سومرو - وزير العلوم والتكنولوجيا لحكومة باكستان يرافقه السيد / السفير جول ضيف - سفير باكستان بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث قضية كشمير ، والنزاع القائم بين الهند وباكستان فى هذا الشأن وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة تضافر جهود الدول والمنظمات والهيئات الإسلامية لمواجهة مثل هذه القضايا التى تهم المسلمين كافة ، وأن تعلو هذه الدول وتلك الهيئات فوق الخلافات فيما بينها .

كما أكد فضيلته على أن الأزهر يعمل جاهدا على جمع كلمة الهيئات والمنظمات الإسلامية ، وتقريب وجهات النظر ، والعمل على وحدة الصف انطلاقا من دور الأزهر ومسئوليته تجاه المسلمين فى كل أنحاء العالم .

حلقات الإمام الأكبر عن القيم الحضارية فى القرآن الكريم

على امتداد ثلاثين حلقة تابع المواطنون على شاشة التليفزيون عقب صلاة التراويح فى ليالى رمضان المعظم سلسلة أحاديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن « القيم الحضارية فى القرآن الكريم » .

كما نقلت جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تهنئة فضيلته للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بحلول شهر رمضان المعظم ثم عيد الفطر المبارك .

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم الماليزى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته الأستاذ الدكتور / سليمان بن حاج داود - وزير التعليم الماليزى يرافقه السيد السفير / السيد زين الأزمان - سفير ماليزيا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث كافة وسائل دعم العلاقات الدينية بين مصر وماليزيا ، كذلك تم بحث كيفية دعم الجهود المبذولة فى مجال تعليم العربية وإنشاء المدارس الإسلامية فى ماليزيا وتقديم المنح الدراسية للطلاب الماليزيين .

إعداد : مجدى عبد الحميد بشير

انهاء الحكم الشيوعى فى ألبانيا

تشهد ألبانيا وللمرة الثانية خلال العام الحالى اقتراعا جديدا لاختيار برلمان جديد وسط مؤشرات قوية بهزيمة الشيوعيين الذين يحكمون البلاد منذ ثمانية وأربعين عاما حيث من المتوقع ألا يحصل المرشحون الشيوعيون إلا على نسبة تتراوح ما بين ٢٠ إلى ٢٧ ٪ من أصوات الناخبين الذين يتطلعون إلى إنهاء الحكم الشيوعى فى ألبانيا عقب إنهيار قلعة الشيوعية الاتحاد السوفييتى .

٣٠ ألف كتاب إسلامى هدية إلى مسلمى ألبانيا

قرر الرئيس محمد حسنى مبارك إهداء شعب ألبانيا المسلم كتب فى موضوعات الصلاة والصوم والزكاة والحج باللغة الألبانية لتكون هدية مصر إلى مسلمى ألبانيا فى عيد الفطر المبارك .

يقوم على أعمال الترجمة الخاصة بهذه الكتب والتى تزيد على الثلاثين ألف كتاب مجموعة من الطلبة الألبان الذين يدرسون بالأزهر و مختلف المعاهد والجامعات المصرية .

كما أعلن الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف عن تنازل وزارة الأوقاف عن حق الملكية الأدبية لهذه الكتب وهى صادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومنح حق طبعها لصالح مسلمى ألبانيا ليكون من حقهم إعادة الطبع فى بلدهم وقتما شاءوا دون الرجوع إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر .

ندوة علماء مصر

تعكف مجموعة من أساتذة جامعة الأزهر والمفكرين الإسلاميين البارزين على إعداد النظام الأساسى لتكوين رابطة جديدة يطلق عليها اسم « ندوة العلماء » تهدف إلى وضع التصور الإسلامى والرد على كل ما يثار من شبهات وأكاذيب حول الإسلام فى مصر والعالم وذلك للمساهمة فى توضيح الرؤية الإسلامية الصادقة لكل ما يشغل بال المسلمين من آراء وقضايا .

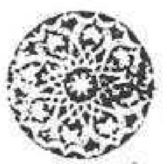

ومن بين أعضاء الرابطة : الدكتور عبد الغفار عزيز رئيس قسم الدعوة بكلية الدعوة بالقاهرة ، والدكتور محمود حماية رئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين بأسيوط بالإضافة إلى لفيف من كبار رجال الفكر الإسلامي .

تدريس اللغة العربية فى السويد

كنتيجة لزيادة أعمال السويد التجارية مع الدول العربية تبحث الحكومة السويدية مدى إمكانية تدريس اللغة العربية فى معاهد وكليات التجارة والاقتصاد بها وكيفية تدبير الكوادر اللازمة لذلك الغرض ، حيث تتجه النية إلى استقدام عدد من مدرسى اللغة العربية من الدول العربية .

مركز إقبال للبحوث

قرر مركز الأبحاث والتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى إقامة مركز جديد يحمل اسم « مركز إقبال للبحوث » فى بلجيكا وذلك تكريما للشاعر الإسلامى محمد إقبال وتصل تكاليف إنشائه إلى حوالى ١٢٠ ألف دولار ويهدف إلى نشر أعمال الشاعر محمد إقبال عن طريق مكتبة بيلوجرافية تضم كافة الوثائق المتعلقة بأشعاره وأفكاره وحياته .

محمد إقبال ولد عام ١٨٧٣ وعاش ٦٥ عاما وهو شاعر وفيلسوف باكستانى حفظ القرآن فى المدينة التى ولد فيها « سيالكوت » ودرس الفلسفة فى جامعة كمبردج واشتغل بالمحاماة ونظم الشعر ..

ترجمة تفسيرية للقرآن الكريم

قررت المحطة الرابعة بهيئة الاذاعة البريطانية B.B.C. إذاعة فقرات من القرآن الكريم — الترجمة التفسيرية — باللغة الانجليزية لمدة ربع ساعة كل يوم[1] وقد رحبت الشخصيات العاملة بالمجال الدينى فى بريطانيا بهذه الخطوة . وقال الدكتور هشام العيسوى رئيس الجمعية الاسلامية للتسامح الدينى بلندن انها تعد نافذة يستفيد منها على الاقل ربع سكان العالم .. كذلك رحب الدكتور سيد الدرش — احد العاملين بالنشاطات الدينية هناك بهذه الخطوة مشترطا أن تصحب تلك القراءات شروحا وتفاسير تعين السامع على تفهم أسباب النزول والخلفية التاريخية التى تعين السامع على الاطلاع عن قرب على رأى الاسلام فى مسائل كالخمر ، والاسرة ، والقتال قائلا : انها خطوة تستلهم قول الله تعالى : وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله[1] .

---

(١) نهمس بهذا الخبر فى اذن المسئولين عن البرنامج الاوروبى المحلى الذين لا يقدمون الا فقرات محدودة من الحديث النبوى فى شهر رمضان فقط مصحوبة بشرح غير واف راجين منهم استغلال بقية اوقات السنة فى التعريف بالاسلام ، فى اذاعة تملك من امكانيات اللغة ما لا نستطيع التعبير عنه ، كما نتمنى أن يقدم البرنامج الاوروبى المحلى ترجمة فورية لخطابات الرئيس المذاعة فى المناسبات الدينية أسوة بالترجمات المقدمة لخطابات سيادته فى المناسبات الاخرى .

(٢) التوبة : ٦ .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
• الافتتاحية : يوم مبارك للدكتور على أحمد الخطيب	١١٥٣
• هذا يوم عيد الفطر لفضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر	١١٥٥
• مع سورة الانفال لفضيلة الاستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى	١١٥٩
• قبس من أنوار النبوة (التحلل من المظالم) للشيخ : على حامد عبد الرحيم	١١٦٣
• أحكام نية الصوم فى الفقة الاسلامى -٢ - للدكتور : محمد حسين قنديل	١١٦٦
• النهى عن أكل أموال الناس بالباطل للدكتور : أحمد محمد عيسى	١١٧٧
• إتق الله حيثما كنت فضيلة الشيخ محمد حافظ	١٨٨٢
• ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية (الفصل الاخير) بقلم لواء أ.ح دكتور فوزى محمد طايل	١١٨٨
• الاسلام والمسلمون فى أسيا الوسطى للاستاذ الدكتور / محمد عبد العليم العدوى	١١٩٤
• مسلمو بورما إعداد : أحمد تقى الدين	١١٩٩
• امبراطورية المغول بين الاسلام وغيره من الاديان للدكتور أحمد محمد الدسوقى	١٢١٠
• ازمة التقنية والتنظير فى الفكر الاسلامى للدكتور عبد الله نجيب محمد	١٢١٠
• لحظات طيبات مع الامام ابراهيم الحربى - أبى إسحاق إعداد : عادل خفاجة	١٢١٣
• الفتاوى اعداد : عبد المنعم فودة	١٢١٦
• باب الشعر والشعراء	١٢١٩
• أهلا بقدومك ياعيد شعر رشاد محمد يوسف	١٢٢٠
• حتى متى شعر شوقى محمود أبو ناجى	١٢٢١

الموضوع — الصفحة

- قلت للعراق
  شعر محمد عبد الرحمن صان الدين ١٢٢٢
- شعر الاخنس
  للاستاذ ايمن ميدان ١٢٢٣
- من أعلام الازهر الشيخ عبد ربه مفتاح
  للاستاذ/ محمد الطاهر الزنكلونى ١٢٣٠
- العلوم الكونية – التأصيل الاسلامى لعلم الجبر
  أ.د أحمد فؤاد باشا ١٢٣٤
- العقم – ٣ –
  للدكتور احمد رجاء عبد الحميد ١٢٣٩
- الجديد فى العلم والتقنية
  اعداد : د. نجوى السيد احمد ١٢٤٣
- من روائع الماضى – أين المسلون اليوم من الاسلام
  إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات . ١٢٤٦
- طرائف ومواقف
  للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٢٥٠
- اللغة والادب والنقد
  فى طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين
  للدكتور توفيق محمد شاهين ١٢٥٢
- نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان
  بقلم : احمد مصطفى حافظ ١٢٥٧
- ابن بسام ولمحاته النقدية
  د. محمود جمعه أمين خليفة ١٢٦٢
- انباء وآراء
  اعداد : مصطفى عبد المجيد
  ومجدى عبد الحميد بشير ١٢٦٩
- القسم الفرنسى :
  المقالة الاولى : د. رقية جبر ١٢٨٧
  المقالة الثانية :
  الاستاذة/ إيناس عبد الفتاح عامر ١٢٧٩
- القسم الانجليزى :
  المقالة الاولى :
  د.انس مصطفى النجار ١٢٩٧
  المقالة الثانية :
  للاستاذ : لطفى على سلطان ١٢٩٢

La position d'Al Azhar à l'égard de la traduction du Coran.

Depuis plus d'un quart de siècle, les autorités d'Al Azhar se sont penchées sur l'étude de la traduction du Coran. A la suite de longues discussions, l'Aréopage des Grands Ulémas a décidé d'opter pour une interprétation du Coran. Ainsi une commission a été instituée en vue de préparer un commentaire en arabe susceptible d'être traduit dans les langues étrangères. Présidée par le Mufti d'Egypte à cette époque la commission a posé les conditions nécessaires à l'élaboration de ce commentaire. Ces conditions sont les suivantes :

1. **Le commentaire doit être dépourvu autant que possible de termes savants sauf lorsque la compréhension du verset l'exige.**
2. **Si l'explication de certaines questions s'avère nécessaire, la commission l'introduit en marge du commentaire.**
3. **Le commentaire doit respecter le sens du verset sans se limiter à une seule interprétation donnée par l'une des écoles juridiques en particulier.**
4. **Le Coran doit être interprété suivant le mode de lecture de Hafs[2] et n'aborder les autres lectures que si la nécessté l'exige.**
5. **Les circonstances de la révélation doivent être mentionnées en vue de faciliter la compréhension des versets.**
6. **Si un verset ou un groupe de versets abordent un seul sujet, on le mentionne. Ensuite, on donne l'explication de ces versets successivement dans une langue claire, tout en tenant compte des circonstances de la révélation et de la portée morale de ces versets.**
7. **Le commentaire doit indiquer au début de chaque sourate la catégorie à laquelle appartient la sourate : mecquoise ou médinois.**
8. **La commission doit faire précéder le commentaire d'un exposé sur le Coran et les thèmes qu'il renferme comme l'invocation à n'adorer qu'un seul Allah le culte, la législation et les récits des anciens, elle doit de même présenter la méthode adoptée dans le commentaire[2].**

Bien que l'Aréopage d'Al-Azhar ait mis les savants musulmans au courant de ce projet, celui-ci n'a pas vu le jour.

Quelques années plus tard, le Conseil Supérieur des Affaires Islamiques a édité un commentaire abrégé en arabe sous le titre. « المنتخب فى تفسير القرآن » .

Ce commentaire est susceptible d'être traduit. Le conseil en a présenté successivement maintes rééditions. Toutefois, cet ouvrage n'a pas encore été traduit en langues étrangères.

Après avoir ainsi fait le tour de la question, nous pouvons avancer l'opinion adoptée par la grande majorité des Ulémas : le Coran est arabe alors que l'Islam est universel. Or, comme l'Islam est la religion qui s'adresse à l'ensemble de l'humanité, il est nécessaire que le Coran soit interprété le plus fidèlement possible afin de faire parvenir ce message divin à quiconque veut le connaître. Quant à la traduction qui vise à produire dans une autre langue une oeuvre pouvant se substituer à la Parole divine, elle est impossible; car le style du Coran est un miracle et il est inimitable. C'est la raison pour laquelle les Arabes de la Gahiliya qui étaient pourtant célèbres par leur éloquence furent incapables de composer une seule sourate semblable à celle du Coran malgré le défi qui leur a été lancé par le Prophète paix soit sur lui. Or, "l'incapacité des plus qualifiés prouve l'incapacité de tout le monde"[1]

INAS ABDEL FATTAH AMER

---

1. Hafs Ibn Solyman, mort vers 190 H/805 JC, disciple direct et transmetteur (rawi) de Asm Ibn Abi Nagoud le lecteur canonique du Coufa.

٢ ـ أنظر الزرقانى ، مناهل العرفان فى علوم القرآن ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، نقلا عن مجلة الأزهر (٦٤٨ ـ ٦٤٩ من المجلد السابع) .

1. J. Bouman. Le conflit autour du Coran et la solution d'Al Baqillani, op. cit, p. 61.

l'Imam Abu Yusuf, ils ont limité cette permission aux fidèles qui ne connaissent pas l'arabe[2].

On rapporte que, par la suite, L'Imam Abu Hanifa est revenu sur son opinion et a déconseillé cette pratique.

Les Safé'ites, les Malékites et les Hanbalites ont adopté une attitude plus strict que les Hanéfites. Ils ont insisté sur la nécessité d'accomplir la Prière exclusivement en arabe. Si le fidèle ignore cette langue,il est invités soit à apprendre "Al Fatiha" en arabe et les formules rituelles strictement nécessaires, soit à faire la prière derrière un Imam qui connaît bien la langue, soit à réciter des formules de glorification tout au long de la Prière, car Allah a dit dans son Livre sacré :

[Allal n'impose à chaque homme que ce qu'il peut porter]
Sour "La vache", le sens du verest 286[1].

La transcription du Coran dans les langues étrangères

Dans une "Fatwa" émise par Al-Azhar, il y a une interdiction d'écrire le Coran dans un alphabet autre que l'arabe et cela pour les raisons dont nous résumons le contenu en ces termes :

1. La transcription du Coran suppose une équivalence parfaite entre la structure phonologique de la langue originale et celle de la langue réceptrice. Or, ceci est impossible, car chaque langue possède un système phonologique particulier.
2. Tous les sons de la langue arabe n'ont pas leurs correspondants dans l'alphabet latin. C'est pourquoi il est impossible de transcrire le Coran dans une autre langue sans qu'il y ait quelques modifications dans la manière de les prononcer.
3. Selon la législation islamique, le Coran doit être conservé tel quel, sans aucune modification ni falsification. Or, le fait de changer la prononciation des mots du Coran modifie sans nul doute le sens réel. Ce qui est catégoriquement prohibé.
4. Les compagnons du Prophète (qu'Allah soit satisfait d'eux) et leurs successeurs ont toujours respecté l'écriture du Coran dans l'alphabet arabe[1].

Cependantla "Fatwa" n'est plus rigoureusement appliquée de nos jours vu le grand nombre de non-arabophones qui embrassent l'Islam et qui ne connaissent point la langue arabe.

---

2. A ce propos, le cheikh Al Maragi mentionne que les Hanéfites ont toléré dans la Prière l'emploi des versets qui peuvent être traduits littéralement. Par contre, ils ont interdit l'emploi de la traduction "interprétation" dans la prière, non parce qu'elle est illicite, mais parce qu'on n'est pas sûr qu'elle renferme le sens réel de la Parole d'Allah.

أنظر د. أحمد إبراهيم مهنا ، دراسة حول ترجمة القرآن المجيد ، ٦٦ ، ٦٧ .

١ ـ قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ سورة البقرة آية ٢٨٦ .

1. Le texte intégral de la "Fatwa" a été publié dans la revue "Al Azhar", T. 7, p. 45

« سئلت لجنة الفتوى فى الأزهر عن كتابة القرآن بالحروف اللاتينية ، فأجابت بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله بما نصه : لا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدى جميع ما تؤديه الحروف العربية ، فلو كتب القرآن بها على طريقة النظم العربى كما يفهم من الاستفتاء ـ لوقع الإخلال والتحريف فى لفظه ، ويتبعها تغير المعنى وفساده وقد قضت الشريعة بأن يصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل والتحريف . وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على إن كل تصرف فى القرآن يؤدى إلى تحريف فى لفظه أو تغيير فى معناه ممنوع منعاً باتاً ، ومحرم تحريماً قاطعاً ، وقد إلتزم الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن بالحروف العربية ،

نقلا عن الزرقانى ، مناهل العرفان فى علوم القرآن ، دار الفكر العربى ١٩٨٠ . ص. ٢ ، ص ١٣٤ .

eux, le Coran doit être transmis aux Musulmans non-arabophones en arabe, tel qu'il a été revélé, et ces derniers sont invités à apprendre l'arabe pour comprendre le Coran. Car le Coran, selon le cheikh Al Satir, invite à l'unité de la langue parmi les Musulmans.

Pour apprendre notre religion aux étrangers, le cheikh conseille de composer des épîtres en leur langue pour expliquer les préceptes de l'Islam. Il a également ajouté :

"s'ils disent : nous ne voulons que l'interprétation du Coran, on peut leur répondre que le savoir des humains ne peut pas embrasser toutes les idées contenues dans le Coran même s'ils s'aidaient mutuellement"[3].

En 1932, le cheikh Mohammad Mostafa al Maragi, Grand Cheikh d'Al-Azhar, a publié une étude exhaustive sur la validité de la traduction du Coran, en se fondant pour cela sur l'opinion des différentes écoles jurisprudentielles[4] ainsi que livres de la jurisprudence (Sari'a) qui confirment son point de vue. Il est impossible d'aborder cette étude en détail mais nous nous contenterons d'en résumer les points essentiels.

Le cheikh Al Maragi ne voit aucun inconvénient à ce que le Coran soit traduit, à condition toutefois que les gens sachent que cette traduction est loin de remplacer le Coran lui-même et qu'elle ne renferme pas le caractère miraculeux qu'on ressent dans l'agencement des termes arabes. Cette traduction en effet rendra seulement les idées que le traducteur a saisies du Coran. C'est pourquoi notre cheikh ne fait pas de distinction entre le commentateur et le traducteur du Coran. Le premier explique le sens en arabe, tandis que le second essaie de rendre ce sens dans une langue étrangère.[1]

Enfin en 1936 J.C/ 1355 Hg, L'Aréopage des Grands Ulémas d'Al-Azhar a publié une "Fatwa" (décision juridique) dans laquelle ils reconnaissent comme licite la traduction des idées contenues dans le Coran, à condition toutefois que cette traduction ne soit jamais considérée comme le Coran.

L'utilisation d'une traduction du Coran dans la Prière

La question de la validité de la Prière faite dans une langue autre que l'arabe est une question qui ne manque point d'intérêt sur le plan pratique comme sur le plan doctrinal. Les positions prises par les écoles juridiques présentent des nuances. Nous ne les aborderons pas en détail mais nous soulignerons en gros l'opposition importante qui a eu lieu entre les Hanéfites et les autres écoles jurisprudentielles.

Les Hanéfites ont rapporté dans leurs ouvrages que l'Imam Abu Hanifa a exprimé une certaine tolérance à ce sujet. Il a déclaré que si le fidèle récite le Coran dans une langue étrangère, sa prière est valable. Quant à ses deux disciples l'Imam Mohammad et

---

٣ ـ وإن قالوا: أننا لا نريد إلا ترجمة معانى القرآن فقولوا لهم أن البشر لا يستطيع الاحاطة بمعانيه «ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»

محمد مصطفى الشاطر ، القول السديد فى الحكم ترجمة القرآن المجيد مطبعة حجازى ، القاهرة ، ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م ، ص ٨٠ نقلا عن د. أحمد إبراهيم مهنا ، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم ، مطبوعات الشعب ص ٥٧ . **Traduction Personnelle** .

4. Les musulmans orthodoxes (sunnites) reconnaissent l'existence de quatre écoles juridiques officielles qui interprètent le droit musulman : l'école malékite l'école hanéfite l'école saite et l'école hanbalite.

١ ـ أنظر د. أحمد إبراهيم مهنا ، دراسة حول ترجمة معانى القرآن الكريم . مطبوعات دار الشعب ، بدون تاريخ ، ص ٧٠ .

Le Cheikh Mohammad Abu Zahra a dit à ce propos :

> "...... Le fait de considérer que cette traduction est le Coran amène à une altération et à une falsification de la nature du Coran, et même à lui faire subir des modifications comme ce fut le cas pour la Thora et l'Evangile. Ainsi l'original hébraique des Evangiles a été perdu et il n'en reste que les traductions grecques ou plutôt la traduction de quelques-uns de ces évangiles. La raison fut la traduction de l'hébreu. Tel sera le cas pour le Coran si nous tolérons qu'il soit traduit. Mais, au départ nous sommes dans une impasse, car la traduction est imposible"[1]

Bien que nous approuvions l'avis du Cheikh Abu Zahra pour ce qui est du fait de ne pas considérer la traduction comme le Coran lui même, toutefois nous réfutons l'idée que la traduction est la principale cause de la modification des textes de l'Ancien Testament et des Evangiles. En fait les remaniements que subirent ces derniers avant qu'ils nous parviennent dans l'état où ils se trouvent aujourd'hui, sont dûs à plusieurs raisons parmi lesquelles nous citons les suivantes :

1. L'Ancien Testament et les Evangiles ne furent point rédigés durant la vie de Moise ni de Jésus. Il furent tous écrits après la fin de leur mission. Autrement dit leurs auteurs n'étaient pas toujours les témoins occulaires des faits qu'ils relatent. Donc personne ne peut affirmer que les paroles des deux Prophètes ou les récits de leurs actes contenus dans l'Ancien Testament et les Evangiles sont rigoureusement conformes à la réalité.
2. La multiplicité des auteurs d'un même récit ainsi que les révisions des textes effectuées au cours des siècles et à des époques très éloignées les unes des autres ont amené à une modification des textes originaux.

Dans les années 30, la question de la légitimité de la traduction du Coran a été soulevée pour la 3ème fois en Egypte[1] lorsque l'Aréopage des Ulémas d'Al-Azhar a décidé d'entreprendre une interprétation du Coran en anglais avec la collaboration du Ministère de l'enseignement. Cette question a suscité de longues discussions et a donné lieu à de multiple courants d'opinions. Parmi les Ulémas qui s'opposaient à la traduction, on cite le cheikh Mohammad Solayman, Vice président de la cour légale Suprême, et le cheikh Mostafa al Satir, juge à la cour légale de Sébin el Qom. Chacun d'eux a formulé son opinion dans un ouvrage : le premier a pour titre : حدث الأحداث في الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن [1] ou "Le grand événement de l'Islam : l'entreprise de la traduction du Coran", alors que le deuxième était [2] القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد "L'avis pertinent sur la décision de traduire de saint Coran". Selon

---

١ ــ « اعتبار هذه الترجمة قرآنا » فإن ذلك يؤدى إلى أن لا يحفظ القرآن من التحريف والتبديل بل تعتريه ما اعترى التوراه والأناجيل من تحريف وتبديل ، فالأناجيل ضاع أصلها العبرى ، ولم يبق إلا ترجمتها اليونانية أو بالأحرى ترجمة بعضها والسبب في ذلك هو ترجمتها من العبرية ، وهكذا يكون القرآن الكريم لو سوغنا ترجمة ولكن الطريق مسدود ابتداء لأن الترجمة غير ممكنة » **Traduction personnelle**

محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى القرآن ، دار الفكر العربى ، ص ٥٨٨ نقلا عن د. عبد الله شحاته ، ترجمة القرآن ، دار الاعتصام ، القاهرة ص ١٠٥ .

1. La première fois, dans les années 20, les Ulémas d'Al Azhar interdirent l'entrée d'une traduction anglaise en Egypte et demandèrent aux autrorités de la brûler. La seconde a eu lieu lorsque le gouvernement turc, présidé par Mostafa Kamal Ataturk, décida de traduire la Coran en sa langue nationale en vue de se passer de l'original arabe.

١ ــ محمد سليمان ، حدث الأحداث في الإسلام الاقدام على ترجمة القرآن ، المطبعة السلفية بمصر ، ١٣٥٥م.
٢ ــ محمد مصطفى الشاطر ، القول السديد في الحكم القرآن المجيد ، مطبعة حجازى ، القاهرة ، ١٣٥٥هـ ، ١٩٣٦م .

Traductibilité

du Coran
par
Inès Abdel Fattah Amer

— 2 —

La question qui se pose alors est la suivante :

Est-il possible de traduire parfaitement le style coranique en une langue autre que l'arabe?

Pour répondre à cette question il faut d'abord savoir quel est le but de la révélation du Coran à notre Prophète paix soit sur lui.

Le Coran a été révélé dans deux buts essentiels :

1. Guider les hommes dans la voie de la Vérité et les invoquer à n'adorer qu'Allah.
2. Etre un signe miraculeux témoignant de l'authenticité du Message de Mohammad paix soit sur lui.

Selon Ibn Qotayba, ce second objectif ne peut être atteint dans le texte traduit, car tout discours éloquent traduit dans une autre langue ne peut être reproduit intégralement.

En effet le discours éloquent renferme en soi deux sens : l'un est original ou réel et l'autre est secondaire ou rhétorique. Le premier est compréhensible pour quiconque est capable de résoudre les ambiguïtés sémantiques de la langue, alors que le deuxième réside dans le choix des mots, des métaphores et des symboles.

En appliquant ce principe au Coran dont le texte atteint le plus haut degré d'éloquence, on constate que toute traduction du discours coranique qui se propose de composer dans la langue cible un discours qui soit identique au Coran dans tous ses aspects rhétoriques est impossible. C'est pourquoi les Ulémas reconnaissent à l'unanimité l'intraductibilité du Coran dans les deux sens : réel et rhétorique. Ils jugent que seul le sens réel ou original peut être rendu, quant au mode d'expression dans lequel le discours est écrit, il ne peut être reproduit. En effet, il n'existe pas deux langues qui aient, d'une part, la même grammaire, les mêmes formes syntaxiques et, de l'autre, un vocabulaire correspondant en tous points.

On en déduit donc que si l'on dépouille le Coran de sa forme linguistique, il perd son son caractère miraculeux car "l'igäz est intraduisible".

"Au cours de son voyage, le Prophète atteignit. "L'Arbre Lotus de L'Aboutissement qui se trouve au sixième ciel. C'est là la limite fixée aussi bien pour ceux dont les âmes remontent de la Terre après la mort, que pour ceux qui descendent des cieux. Le Prophète cita alors; [Au móment où l'Arbre était enveloppé par ce qui le couvrait]. Cet arbre décrit par le Prophète paix soit sur lui : "comme enveloppé d'une couverture d'or".

Là le Prophète paix soit sur lui reçut trois dons : les cinq prières canoniques, la Révélation des derniers versets de la Sourate "La Vache" et l'absolution pour quiconque ne donne point d'associé à Allah (à condition qu'il appartienne à la communauté musulmane et qu'il n'ait point commis de péchés majeurs)"[1]

Il ne faut point oublier toutefois que ce Voyage et cette Ascension Nocturnes du Prophète ont pour but de certifier par un miracle la toute-puissance divine mais aussi le Message de Mohammad. paix soit sur lui

En choisissant ce Prophète, élu parmi tous les prophètes, Allah a voulu lui montrer mantériellement les châtiments divins mais aussi le paradis promis aux croyants.

Ajoutons à cela que le but ultime de cette ascension fut d'imposer à la communauté musulmane les prières.

DR. ROKEYA GABR

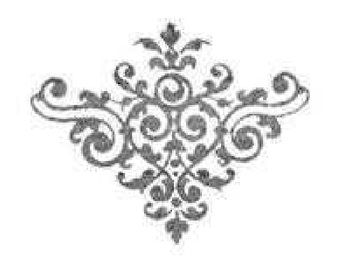

---

1. عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : لما أسرى برسول الله انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ، قال : (إذ يغشى السدرة ما يغشى) ، قال : فراش من ذهب ، قال فأعطى رسول الله ثلاثا : أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى خواتيم سورة البقرة ، غفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا ، المقحمات (الذنوب الكبائر التى تقحم أصحابها بالنار) .
صحيح مسلم : بإذن الإيمان (باب إنتهاء النبى إلى سدرة المنتهى فى الإسراء) ص ٢٨ .

Sourate "les Troupeaux" le sens du verset 103[3]

Ajoutons à cela, ce verset tiré de la Sourate "La délibération" le sens du verset 51

[Il n'a pas été donné à un mortel que Allah lui parle si ce n'est pas inspiration ou derrière un voile]

Cet écran fut en effet la lumière éblouissante que le Prophète paix soit sur lui vit sur l'Arabe Lotus qui était comme voilé par un écran lumineux et qui lui apparut couvert sur chaque feuile d'anges chantant les louanges d'Allah. Cet arbre situé au septième ciel est la dernière étape que franchit l'âme de celui qui quitte la terre; c'est pourquoi il porte le nom de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement.

D'ailleurs, la sincérité du Prophète Mohammad paix soit sur lui ne fait point de doute. Bien avant la Révélation du Message, il avait été surnommé par les siens "le sincère et le probe".

Il existe en outre plusieurs Hadiths authentiques qui en font foi et qui montrent que le Prophète n'a jamais rapporté que ce qui lui était commandé :

Dans un Hadith recueilli par l'Imam Ahmad Ibn Hanbal on rapporte que le Prophète a dit *"Je ne dis que la vérité"*[1]

"Ecris. Je jure par Celui dont ma vie est entre les mains que je ne prononce que la vérité"[2]

Dans un Hadith tiré *de Sahih Moslem* **la vision béatifique de la Lumière divine est décrite comme un lueur aveuglante :**

Allah est caché par un écran de lumière. Si cet écran venait à disparaître, les rayons émanant de la face divine brûleraient tout à perte de vue."[1]

Au sujet de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement on trouve le Hadith suivant qui rapporte ces paroles du prophète Mohammad paix soit sur lui "Je fus emporté jusqu'à l'Arbre Lotus de l'Aboutissement : il était couvert de couleurs indescriptibles. Ensuite je fus introduit au Paradis; là je vis des cordes de perles tressées et du musc recouvrant le sol."[2]

---

3. Autre traduction : Les yeux des humains ne peuvent l'atteindre mais Lui voit tout.

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ﴾

سورة الشورى (آية ٥١)

« لا أقول إلا حقا ، أخرجه الإمام أحمد ـ مختصر تفسير ابن كثير (المجلد الثالث)

« أكتب . فوالذى نفسى بيده ماخرج منى إلا الحق » (أخرجه أحمد وأبو داود)

عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال : قام فينا رسول الله بخمس كلمات فقال : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه مختصر صحيح مسلم ص ٣١ (باب فى رؤية الله (م ١١١/١) .

« ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام » فعرض الله على أمتى خمسين صلاة .

ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدرى ما هى ؟ ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبائل (وفى رواية : جنابذ) اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » مختصر صحيح البخارى ص ١٠٠ (كتاب الصلاة) ابن شهاب .

Les versets 5 à 10 de cette Sourate font allusion aux deux fois où le Prophète a vu Gibril sous son aspect véritable : la première fois, à la demande de Mohammad paix soit sur lui au début du Message (il a bloqué l'horizon avec ses six cents ailes) et la seconde fois durant l'Ascension nocturne près de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement.

Le texte divin certifie ainsi que le Prophète Mohammad paix soit sur lui était en pleine possession de sa raison, qu'il a dit la vérité et qu'il n'est point un égaré qui divague.(3)

Allah nous apprend ainsi que le Prophète paix soit sur lui paix soit sur lui a fait part d'une Révélation et qu'il n'a fait que rapporter fidèlement ce que Allah lui a donné l'autorisation de dire. Ceci est confirmé par les versets suivants dans lesquels. Allah fait ser-. ment sur la véracité de toutes les paroles de Mohammad paix soit sur lui.

[Je jure par ce que vous voyez
et par ce que vous ne voyez pas :
c'est là, en vérité, la parole d'un noble Prophète;
ce n'est pas la parole d'un poète;
— votre foi est hésitante —
ce n'est pas la parole d'un devin;
— Comme vous réfléchissez peu
c'est une Révélation du Seigneur des mondes
S'il nous avait attribué quelques paroles mensongères...] (1)

Sourate "Celle qui doit venir"
le sens des versets de 38 à 44

Par ailleurs, le onzième verset de la Sourate "L'Etoile" où l'on trouve :

[Le coeur n'a point menti au sujet de ce qu'il a vu](2) a amené les glossateurs à se demander si Mohammad paix soit sur lui a vu Allah tout comme Moïse Lui a parlé.

Or dans un Hadith où Abou Therr demandait au Prophète paix soit sur lui s'il avait vu Allah Mohammad paix soit sur lui répondit : *"j'ai vu une Lumière."*

D'autre part, on rapporte dans un autre Hadith que l'épouse du Prophète, Aïcha, a dit : *"Celui qui t'a dit que Mohammad a vu son Seigneur t'a menti et elle a cité les versets suivants : [Les regards des hommes ne l'atteignent pas mais il scrute les regards]*(2)

---

3 ﴿ ما زاغ البصر ﴾ ما ذهب يمينا ولا شمالا
﴿ وما طغى ﴾ ما جاوز ما أمر به ، ولا سأل فوق ما أعطى .

1. ﴿ فلا أقسم بما تبصرون (٣٨) وما لا تبصرون (٣٩) إنه لقول رسول كريم (٤٠) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون (٤١) ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (٤٢) تنزيل من رب العالمين (٤٣) ولو تقول علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦) فما منكم من أحد عنه حاجزين (٤٧) ﴾ .
سورة الحاقة (آية ٣٨ إلى ٤٧)

2. ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ سورة النجم (آية ١١)

2. « من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ سورة الانعام (اية ١٠٣)

— La glorification d'Allah au début du verset certifie qu'il s'agit là d'un miracle (un rêve ne nécessite pas de preuves à l'appui) et que le Prophète a été transporté grâce un pouvoir surnaturel (emploi de la voix passive)[1]

— D'autre part si c'était l'âme seule, et non le corps, qui s'était déplacée le Prophète n'aurait pas eu besoin de monture.

— Allah a certifié que c'était pour lui faire voir[2] des signes : Il est question de la vue du Prophète. Or la vue est l'un des cinq sens et elle exige l'usage d'un organe (l'oeil) faisant partie du corps humain.

On peut donc en conclure que ce voyage a été effectué matériellement par le Prophète paix soit sur lui.[3]

Les commentaires de la Sourate "l'Eloile" viennent éclairer davantage ce Voyage Nocturne en précisant le but de ce voyage et de cette ascension.

[Par l'étoile lorsqu'elle disparaît !
Votre compagnon n'est pas égaré.
Il n'est pas dans l'erreur
Il ne parle pas sous l'empire de la passion.
C'est seulement une Révélation qui lui a été inspirée.
Le Puissant, le Fort la lui a fait connaître.
Celui qui possède la force s'est tenu en majesté;
Alors qu'il se trouvait à l'horizon suprême;
Puis il s'approcha et demeura suspendu.
Il était à une distance de deux portées d'arc — ou moins encore.
Et il révéla à Son serviteur (1) ce qu'il lui révéla][4].

Sourate l'Etoile (v. 1 à 10)
le sens des versets de 1 à 10

---

1. [Celui qui a fait voyager de nuit Son serviteur]. « الذى أسرى بعبده »

2. [Pour lui montrer certains de Nos signes] « لنريه من آياتنا »

« ثم اختلف الناس هل كان الإسراء ببدنه ــ عليه السلام ــ أو بروحه فقط ؟ على قولين ، فالأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناما ، ولا ينكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناما ، ثم رآه بعد ذلك يقظة ، لأنه كان ــ عليه السلام ــ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله ــ تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) . فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظما ، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة مما كان قد أسلم . وأيضا ؛ فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال : (أسرى بعبده ليلاً) وقال تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) .

قال ابن عباس : هى رؤيا عين أريها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليلة أسرى به ، والشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم . وقال تعالى : (مازاغ البصر وما طغى) ، والبصر من آلات الذات لا الروح ، وأيضا فإنه حمل على البراق ــ وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان ــ وإنما يكون هذا للبدن لا الروح »

مختصر تفسير ابن كثير (ج ٢) ص ٣٦٣ .

3. Erreur à relever dans cette traduction de Masson :
d'après l'exégèse du Coran, cette expression signifie que Gibril était tout près du Prophète.
Son serviteur : c'est Allah qui lui révéla et non Gibril.

4. « ﴿ والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤) علمه شديد القوى (٥) ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالأفق الأعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨) فكان قاب قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) ﴾

سورة النجم

Aux Koraïchites[1] qui restaient sceptiques devant le récit du Prophète (à cette époque il était inconcevable qu'en une nuit on pût faire le voyage aller — retour de la Mecque à Jérusalem), l'Imam Ahmed Ibn Hanbal nous rapporte le Hadith suivant : Selon lui, le Prophète Mohammad paix soit sur lui a dit : "Lorsque les Koraïchites me démentirent au sujet de mon voyage à Jérusalem, je suis allé au Hijr de Ismaïl, alors Allah présenta à ma vue le temple et je me mis à le leur décrire tel qu'il se présentait devant mes yeux."[2]

Allah venant ainsi en aide à Son Envoyé voulait démontrer le bien-fondé des dires du Prophète devant les incrédules.

Or, on ne doit point s'étonner que le Prophète Mohammad paix soit sur lui ait parcouru cette distance en si peu de temps. A notre époque, et grâce aux découvertes de la science, les hommes ont réussi à parcourir de très grandes distances en un temps très court. A l'époque de Mohammad paix soit sur lui cela semblait incroyable.

Ce n'est là qu'un des signes de la Toute-puissance divine.

Ajoutons à cela que s'il s'agissait d'un songe personne n'aurait eu lieu de s'en étonner; mais le Prophète paix soit sur lui a donné à ses contemporains des témoignages qui prouvent qu'il a effectivement et physiquement accompli ce voyage (Al Isrâ) de la Mecque à Jérusalem (la caravane rencontrée sur la route et le chameau égaré, la description du Temple,..... etc).

Selon, un savant éminent, le Cheikh Châ'rawi[3], ces preuves données par Mohammad paix soit sur lui et vérifiées par les faits n'étaient qu'un préambule pour convaincre les contemporains du Prophète du récit de l'Ascension (Al Mi'rag) qui devait leur paraître encore plus extraordinaire. En effet une fois que les hommes sont convaincus que par Sa toute-puissance Puissance, Allah a donné à son Prophète le moyen de se libérer des limites spatiales et temporelles. Il peut, de la même manière, l'élever à des hauteurs jamais atteintes et inaccessibles à tout être vivant.

Dans son commentaire de la Sourate "Le Voyage Nocturne", le Cheikh Cha'rawi nous dit :

"Lorsque le Coran a évoqué le récit du Isrâ, il l'a fait explicitement, mais lorsqu'il parle du Mi'rag il le fait "implicitement" (i.e. conformément aux preuves préalablement données pour Al Isrâ).[4]

Dans le commentaire du premier verset de la Sourate "Le Voyage Nocturne", les exégètes se sont fondés sur les faits suivants pour affirmer que le Prophète paix soit sur lui a effectué ce voyage avec son corps et que ce n'était point un songe. En voici les preuves :

---

1. Noble tribu de la Mecque.

2. « لما كذبتني قريش حين أسرى بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحجر فجلى » الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

3. Considéré comme l'un des plus éminents exégètes et glossateurs du Coran à l'époque actuelle.

4. « والقرآن حين تعرض لحديث الإسراء تعرض له صراحة ... وعندما تحدث عن المعراج تعرض له كما يقولون إلتزاما » الشيخ الشعراوي في الأخبار ١٣/١٠/٨٩ .

Comme, logiquement (pour ceux dont l'imagination est fertile) les âmes se servent d'une échelle pour monter au Paradis, on aura — inversement — une "descente" aux Enfers. Certains auteurs sont allés jusqu'à dire que l'Enfer se trouve au centre de la Terre et, plus précisément, sous la ville de Jérusalem, alors que le Paradis se trouve juste au-dessus.[1]

Cependant, rien dans l'eschatologie musulmane n'indique explicitement cette "descente". D'un autre côté, Mohammad paix soit sur lui commence son ascension du premier au septième ciel — notons le — sans échelle.

Dans l'une des versions du récit,le Prophète paix soit sur lui rencontre 'Azraïl (l'ange de la mort) ainsi que le gardien des Enfers au cinquième ciel; c'est ce dernier qui, en soulevant une sorte de couvercle ou d'écran, lui découvrira les divers supplices infernaux. Cette "descente" au royaume des ombres que les critiques occidentaux ont appelée à tort "isrâ" n'a en fait aucune origine islamique certifiée. La seule explication plausible de cette interprétation réside dans la topographie des Enfers donnée par le Coran : alors que les Paradis sont sous forme d'étages, les Enfers sont en couches superposées et de plus en plus profondes et ils ont la forme d'un abîme[1]. Pourtant rien n'indique que cet abîme soit situé à l'intérieur de la terre (ou sous la ville de Jérusalem).

Or, l'on sait qu'avant l'Islam, le monde d'outre-tombe a fourni le sujet de plusieurs légendes (persanes, mazdéemes... etc.). Il existait sans doute en Inde et en Perse, bien avant l'Ascension du Prophète Mohammad paix soit sur lui plusieurs légendes relatives au ciel et aux enfers.

C'est pour cette raison que les orientalistes pensent qu'il s'agit d'une légende, non d'un récit véridique, qui a ses orignes dans les temps les plus reculés de l'histoire de l'humanité et plus particulièrement dans les civilisations les plus anciennes (hindoue, persane, grecque et pharaonique).

Or, si le sujet a été abondamment traité par les littératures pré-islamiques, les détails apportés par le récit du Mi'rag du Prophète Mohammad paix soit sur lui sont entièrement nouveaux.

Par ailleurs, la seule ascension au royaume d'outre-tombe qui eut lieu en réalité est celle du Prophète Mohammad paix soit sur lui. Elle est certifiée par le Coran[2] et confirmée par les Hadiths dont les chaînes de transmission ont été vérifiées par les traditionnalistes.

Que les récits et les légendes forgées par l'imagination des poètes et des écrivains à partir du Mi'rag de Mohammad paix soit sur lui aient pu s'inspirer de légendes antérieures, cela est fort possible. Mais ce n'est point là un argument sur lequel on peut se fonder pour nier que le voyage et l'ascension de Mohammad paix soit sur lui ont eu lieu réellement comme nous allons le démontrer avec des preuves à l'appui.

Tout d'abord, la véracité des paroles du Prophète paix soit sur lui ne fait point de doute pour un Musulman, d'autant plus qu'elle a été vérifiée comme nous allons le prouver :

---

1. Dans la doctrine islamique, le Temple Habité البيت المعمور est situé en ligne droite au-dessus de la Kaabah et des anges font nuit et jour la tournée processionnelle autour du Sanctuaire Sacré, tout comme les pélerins musulmans.

1. Voir plus loin.

2. Rappelons que le Coran est le Verbe incarné, c'est la Parole d'Allah immuable et conservée intégralement jusqu'à l'éternité.

En effet, par l'originalité de son sujet, ce récit marque un événement littéraire auquel l'homme de lettres n'a pu rester indifférent : sa mémoire en a sûrement gardé des bribes.[1]

Il serait bon de relever ici une erreur commise par la majorité des critiques non arabophones ou du moins qui ne sont point familiarisés avec la pensée islamique.

Faisons tout d'abord remarquer que le récit d'Al Isrâ (le voyage Nocturne du Prophète Mohammad paix soit sur lui du Sanctuaire Sacré de la Mecque au Temple de Jérusalem) n'a point eu d'échos dans les littératures occidentales.

Il a également fait l'objet de malentendus de la part des orientalistes et même de certains islamologues qui ont interprété le terme "Isrâ" comme étant la visite aux Enfers, par opposition au Mi'rag qui est l'ascension aux sept cieux du Paradis.

En fait, le terme arabe "Isrâ" signifie "voyage" (et non descente aux Enfers) et, pour tout Musulman, ce terme désigne le voyage effectué par le Prophète paix soit sur lui de la Mecque à Jerusalem.

Quant au terme "Mi'rag", il signifie littéralement "échelle", le verbe arabe "Araga" signifiant" il est monté par étapes successives" (pas en ligne droite). Ce verbe employé à la forme passive, a été ainsi interprété : le Prophète "a été monté" (i.e. transporté dans les hauteurs ou élevé) jusqu'au septième ciel.

Ainsi, ce terme a prêté à de nombreuses confusions parmi les non-arabophones.

Après cette mise au point nous étudierons les échos de ces récits islamiques dans la littérature occidentale.

L'Echelle de Mohammad paix soit sur lui[1] est le premier texte religieux relatant le voyage d'un vivant au royaume d'outre-tombe. Ce texte traduit d'abord en catalan, puis en latin et en français (au XIIe.s.)[2] s'est répandu à travers l'Europe médiévale.

Ce récit dont le titre est explicite, décrit en effet l'Ascension du Prophète (ce qui justifie l'emploi du terme "Mi'rag", traduit par "échelle").

Or, il n'est point fait mention de cette échelle dans les Hadiths authentiques.

Cependant dans le texte *l'Echelle de Mohammad* ou *Le Livre* de l'échelle qu'on pense être la version du Hadith de Ibn Abbas, on trouve une description détaillée de cette "échelle" avec maints détails brodés par l'imagination des poètes et des mystiques musulmans.

---

1. د. محمد رجب البيومى : أثر المعراج فى الأدب العالمى ص ٢٤٥
« يردون مورداً اشتق إبداعه وإلهامه من حديث صحيح ، ويمكننا إذ ذاك أن نسمى ما ساقه الوضاعون من حديث المعراج أدباً مصنوعاً استلهم البيان النبوى ثم نقل تأثيره إلى أدباء العالم ، وهم بإنتاجهم المتشابه ، يعلنون بلسان النقد أن صاحب الإبداع الأول هو نبى الإسلام لا محالة ، وغيره وقد احتذاه » .

1. « معراج محمد » أو « معراج الرسول » .

2. Voir Chap. V.

Le Voyage et l'Ascension Nocturnes de Mohammad Paix Soit Sur Lui en is Lam

Dr. Rokeya Gabr

— 2 —

Il faut toutefois faire une distinction entre le vrai récit de l'Ascension du Prophète à laquelle croit tout Musulman comme étant un miracle et les récits imaginaires ou les légendes traitant du même sujet.

Le récit authentique attribué au Prophète et qui contient les épisodes du voyage et de l'ascension a été rapporté dans les ouvrages de Hadiths où se trouve la tradition musulmane.

Dans certains Hadiths le narrateur tout en respectant l'esprit même du récit a ajouté des détails, en se référant pour cela à des descriptions du Paradis et de l'Enfer puisées dans le Coran. Selon les traditionnalistes ces Hadiths sont considérés comme "faibles" parce que les chaînes de transmission ne sont pas toujours vérifiées.

Toujours est-il qu'autour de ce sujet qui enflamma l'imagination fertile des poètes et des mystiques, se tressa toute une littérature eschatologique qui vint ajouter de multiples détails au récit authentique.

قال ابن أبي حاتم ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة » أسرى بي لما انتهيت إلى السماء السابعة ، فنظرت فوق ، فإذا رعد وبرق وصواعق ، قال : وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء آكلوا الربا ، فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل منى فإذا أنا برهج ودخان وأصوات ، فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لايتفكرون فى ملكوت السماوات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب » . رواه الإمام أحمد .

REVUE AL-AZHAR

Shawwal 1412
Volume 64 — Partie X

Section Française

are present. Their hearts are the lamps of guidance. They remove darkness from every piece of land."

Committing insincere acts within the garb of worship has its evils hidden even from the sight of the individual himself, and the society is also not able to recognize it. Such an individual remains absorbed in the ramifications of his acts. He is under the false impression that he is also working for the pleasure of Allah; without recognition of the insincerity of his intentions and actions. The whole mental orientation is not properly geared.

Again, true sincerity is also very much required in the transmission and teaching of knowledge. This should be a highly optimized process characterized by the most sincere devotion in performance and Ikhlas in the propagation of fields of knowledge and culture to other generation. This will ensure continuity of propagation, and the upkeep of knowledge. Allah granted superiority to man over all his other creatures. Therefore, it should be utilized in the furthermore of human enlightened and escalation of refinement.

Islamic teachings indicate the necessity that the teacher and learner should give proof of sincerity in the field of knowledge and give preference to high values and public interests over the desires and worldly gains. The diseases caused by lack of sincerity are many. When they garb and spread in a society, they destroy faith, and cause a barrier mental matrix which prevents sincere thoughts and intentions to populate within the psychic structure of the individual.

Muslims are urged continually to provide tension and good conduct in their lives. This attachment to such necessary qualities should be very strong and should not break or weaken. Selflessness, pure devotion, and Allah's pleasure as an ideal to follow in life. Their sincerity should be real, as in Allah's sight, not as in other men's sight; and they should always call upon Allah to give them the light by which their sincerity may command itself to Him as true sincerity, that is" as in His sight; for when they return to Him, they will be stripped of all pretence, even such self-deception as may satisfy them in this life.

If one's self is pure and full of sincerity, then its blessing helps to make an ordinary thing as weighty as a mountain. If it is devoid of sincerity, then what reward can it achieve from Allah ? The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said : "Make your faith pure; a little (righteous) act will be sufficient to save you from hell". "When the Last Day would occur, the deeds done in the world will be presented to Allah. From them, the acts performed for Allah's pleasure will be separated; and the other acts performed for other purposes will be thrown into the fire of hell".

The external acts of man can neither achieve the pleasure of Allah nor the grandeur of the worldly life. Allah gives his attention only to His faithful and sincere subjects, and accepts only those of their acts that bring them nearer to Him. As regards the worldly show and human appearances, they have no importance and no value. The Prophet said : "Allah does not see your bodies nor does He look at your faces, but he sees your hearts".

According to the sayings of the Prophet" the reward for virtuous acts and good deeds is evaluated to be from ten times to hundred times, depending on the intention and sincerity hidden in the heart. This is known only to Allah Who knows about all the manifest as well as the hidden things in the universe. The reward increases according to the purity and sincerity of the intention.

A man who would adopt these realities in his life would experience relief and comfort in worldly life and achieve eternal bliss in the Hereafter. He will not be harmed by the loss of anything nor will be grieved. Charity is not acceptable unless it is given entirely for seeking the pleasure of Allah. The Glorious Qur'an says: "Those who spend their wealth for increase in self-purification, and have in their minds no favour from anyone for which a reward is expected in return, but only the desire to seek for the countenance of their Lord Most High; and soon will they attain (complete) satisfaction" (Surat Al-Lail, XCII, 18 - 21). The prayer based on hypocrisy is considered a sin, because after losing the essential sincerity it has become dead, and is therefore useless.

For this reason, Islam considers hypocrisy in human acts as most abominable and declares it as shirk (associating some one else with Allah). Hypocrisy is also polytheism. He who is hostile to Allah's friends, he openly declares a war against Allah. Allah likes those who are righteous, who fear Him and who pray secretly, those who would not be missed if they disappear and would not be recognized if they

The ultimate climax of Ikhlas manifests itself when the true nature of the Creator "Allah" is clearly indicated to the mind. The nature of the "Supreme Being" is so sublime, so far beyond limited conceptions, all existence is through His will, all worship is to Him alone, He is eternal without beginning or end, Absolute not limited by time place or circumstance. To the Supreme Being "Allah" there is total submission in "Tawhid", and to Him alone, there is total sincerity of intention and action in Iklhas. With this pattern of thought in mind, Islam evaluates man's actions according to the degree of Ikhlas initiating or propagating the action.

The real true value of actions depend on the nature of motivation that promoted the act. Actions with the highest values are those that were promoted by the sincerest intentions. The sincerity of intention is directed to Allah, however, the action itself is directed to the service of worldly aims in the various avenues of life. Acts of worship, charity, generosity, physical work, mental efforts must be done and executed to seek Divine Satisfaction from Allah, as a function of Tawhid. If such acts are made with the basic intention and plan to seek worldly fame, riches or esteem. The Holy Qur'an indicates these meanings in several verses" Verily it is We Who have revealed the Book to you in Truth: so worship Allah offering Him sincere devotion; surely sincere devotion is for Allah (Surat Al-Zumur, XXXIX, 2 - 3).

"And they have been commanded no more than this: to worship Allah offering Him sincere devotion, being True (in faith), to establish regular Prayer, and to practice regular Charity, and that is the religion right and straight". (Surat Baiyina, XCVIII, 5). "And they feed, for the love of Allah, the indigent, the orphan, and the captive, saying, "We feed you for the sake of Allah alone : no reward do we desire from you, nor thanks". (Surat Ad-Dahr LXXVI : 8 - 9). Worship or obedience to Allah, in all its ramifications, is not to be mixed with mean motives. Every good action should be motivated by a sincere desire to obey Allah, and to seek His good pleasure.

The prophet (peace and blessings of Allah be upon him) said: "Actions will be judged only by intentions, and for every man is that which he intends (to achieve). So, he who migrates for the sake of Allah and His Messenger, he really migrates for the sake of Allah and His Messenger; and he who migrates for the sake of worldly gain which he wants to attain or a woman whom he wants to marry, his migration will be accounted for the thing for which he migrates". He also said: "Beware, your deeds should always be for the sake of Allah only; deeds which are done merely out of vanity or to catch the public will eventually bring harm to the doer".

Intention and Sincerity

By: Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons), M.Ed., M.A.

The fundamental elements of Islamic doctrinal teachings provide a thought milieu to the human mind from which all conceptualizations and knowledge of understanding are essentially derived. The most profound for the proper orientation of the mental function and psychological depth of mankind is the faculty of "Ikhlas" which is devoted sincerity of genuine candid intention. This faculty of the mind and psyche entails within its domain a wide infrastructure of ramified dimensions. It implies probity in thought and action, integrity of righteousness, scrupulousness of character, moral excellence, fidelity, justness and principled ethics. The true understanding and tutorship of such dimensions are drawn upon from the text of the Holy Qur'an and the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The true understanding of these dimensions and the practice in life is a fundamental requirement of the Muslim, without which his devoted submission to Allah as a Muslim confessing to the Shehadah, becomes very much distorted and undermined. In the real understanding of Islamic Theism, all human actions, intentions, deeds of every kind; that are not based on "Ikhlas" are rejected, refuted with no true fruitful beneficial result.

The faculty of Ikhlas is in reality the outcome of Tawhid; and a true stable equilibrium of understanding must be precisely balanced in the mind of the individual between the reality of Tawhid and his extent and degree of "Ikhlas". These human faculties are inherent in the mind, soul, spirit, and psyche of man; and only the true honesty, sincerity and candidness of each individual can represent the degree of Tawhid and the extent of Ikhlas. When purified intentions, and devoted sincerity prevail, "Ikhlas" supervenes through the degree of Tawhid that controls and regulates all these functional faculties of mankind. in this understanding, Iklhas is the true reflection of Tawhid of the individual. Since Tawhid entails the totality of human existence; Ikhlas must indeed become the fountain of all intentions and all actions. Ikhlas devoted sincerity and genuine candid intention is fundamentally to Allah the Creator; there can be no Iklhas in intention or action to anybody even one's own self, without the basic substrate of Iklhas to Allah as a function of Tawhid. This is similar to the sentiment of love; there can be no love to anybody or even one's own self, without the basic substrate of Love to Allah as a function of Tawhid.

organized conspiracy. The details of the underhand chicanery of deception were disclosed by Muslims of high rank, by mere chance. Abd Al-Rahman ibn Aouf happened to see the dagger by which Omar was stabbed. He recognized that he had seen that particular dagger with the handle in the middle of two blades, with Al-Hormuzan and Jufaynah the Christian, both persian captives. Abd-Al-Rahman ibn Abi Bakre also related that he had observed the persian bondslave Abu Loloah Fayruz, Al-Hormuzan, and Jufaynah secretly talking together, and when he approached them a dagger with a handle in the middle of two blades fell on the ground which they picked up. Both Ibn Aouf and Ibn Abu Bakre witnessed these association of circumstances on the day before Omar was stabbed. Both men were genuine witnesses, highly reputed with honesty. These evidences presented by the two witnesses left no doubt that the murder of Omar ibn Al-Khattab was an organized conspiracy planned by the Persians, the Christians, and the Jews to break through the unity of the Muslim Ummah by assassination of the energizing heads. Abu Loloah Fayruz the bondslave was only an instrument to execute the intrigue.

Ubayd Allah ibn Omar heard the words of Abd Al-Rahman ibn Aouf, and Abd Al-Rahman ibn Abi Bakre, and became certain that his father was assassinated according to a predetermined plot. Ubayd Allah ibn Omar took his sword, went to Al-Hormuzan and Jufaynah and killed them both. He was in the heat of furious rage for his father, he threatened to kill all Persian bondslaves at Al-Madinah. Finally, he was quietened down and placed in custody till judgement took its course when the new Ameer Al-Momineen was appointed. The "Shurah Council" finally elected Osman ibn Affan, the third man to govern the affairs of the Muslim Ummah after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The first issue of state concern that Osman ibn Affan attended to as head of state was the trial of Ubayd Allah ibn Omar ibn Al-Khattab, for killing Al-Hormuzan the persian Muslim, and Jufaynah the persian Christian. After the proclamation of Osman ibn Affan, he sat in the Masjid and brought Ubayd Allah ibn Omar for trial in the presence of the Shurah Council and an assembly of Muslims. After much deliberation of opinion in this issue of delicate sensitive criticality, Osman ibn Affan declared that he was the guardian of Al-Hormuzan and Jufaynah, and that he considered it a matter for recompense that Osman ibn Affan would himself fulfill.

With these events, the curtain was drawn down to end a phase of paramount significance in the history of the Muslim Ummah. The reign of Ameer Al-Momineen Omar ibn Al-Khattab, the chancellor diplomat, educator, executive judge, premier instrument of the islamization process, and the renaissance of the Muslim Ummah.

from Aiyshah daughter of Abu Bakre Al-Siddiq, wife of the Prophet, to be buried with them, and she consented. Even with this consent, Omar told his son Abd-Allah ibn Omar to take the approval on this matter from Aiyshah before burial. The sovereign issue of dominant solemn priority in the life of Omar ibn Al-Khattab was his relation with Allah. At the last hours of his painful deadly wounds, Omar was indeed seriously anxiously apprehensive of the Day of Judgement of the Hereafter; his deep perceptive piety visualized the pontifical seriousness of the Day of Judgement. Omar instructed that his shroud must be simple and very modest, and his last words were to his son Abd-Allah "rest my head and cheek on the ground; I ask mercy and forgiveness from Allah; La Ilaha illa Allah". Omar had uttered the last words, the final beats of his heart, and the end of breaths heralded the death of the great man, Ameer Al-Momineen Omar ibn Al-Khattab.

The body of Omar was washed and shrouded according to Islamic teachings, then taken to the Masjid for funeral salat which Suhayb ibn Sannan had conducted with the assembly of Muslims. The body was carried to the burial place, and at the door of Aiyasha, Abd-Allah ibn Omar said "Omar ibn Al-Khattab asks permission to be buried with his two companions" (meaning the Prophet and Abu Bakre); and Aiyshah answered "Enter in peace". The body was placed in the grave with the head in a position near the shoulders of Abu-Bakre. The dust was heaped, the grave was closed, and the crowds of Muslims assembled in the Masjid and in the lanes, and in the homes of Al-Madinah. The sorrow was genuinely deep for the man who governed for ten years and six months, during which time their love to him was constantly growing. Omar ibn Al-Khattab was the champion of the Islamic Dominion, the instrument to the process of pan-islamization without coercion or compulsion, the tutor of thought transfer of Muslim doctrines by presenting the praiseworthy exemplary paradigm in his modest piety, strict balance of justice, wisdom in decision, his intimate concern for people, and his most profound sense of responsibility. Omar ibn Al-Khattab was devout, noble and unique, a texture of his own, restraining himself in perpetual self observance, assiduously judging himself before he was to face the Day of Judgement. The greatest of men was dead and buried but his supreme words remain to echo across the corridors of history "I shall be most firm to implement the doctrines of Islam, and I shall put down any check on the ground to those of chastity, righteousness and real content".

Omar ibn Al-Khattab died before the "Shurah Council" had reached their decision. The unexpected, unsavory dishonest fraudulent deceitful action that took place, remained requiring an explanation in the mind of people. All chronicles agree to the fact that the murder of Omar on the hands of a persian bondslave was an act of an

and dominantly pressing. The Muslims in the homes, on the streets, all around at Al-Madinah and in the Masjid were inquisitive about the exact details and circumstances of what had happened. The prime question was the health of Ameer Al-Momineen Omar ibn Al-Khattab.

The condition of Omar had deteriorated, and his death became inevitable. What was to become of the Muslim Ummah after his death. Who was to succeed Omar ibn Al-Khattab. The intimate associates of Omar implored him to appoint and select his successor at this most crucial conditions of the Muslim Ummah. In spite of his severe wounds, Omar was mentally alert, cognizant of the grave consequences of the situation. Was Omar to leave the Muslims to confront the dispute of selection, or was he to choose his successor to avoid the dispute and its aftermath of counteractive sequel among the widespread Arab clans.

Omar finally made his decision, he appointed a "Shurah Council" of six men, to convene privately and choose one of them to be the man who was to succeed Omar ibn Al-Khattab after his death. These men were Osman ibn Affan, Ali ibn Abi Taleb, Al-Zubeir ibn Al-Awam, Talha ibn Ubaid Allah, Abd Al-Rahman ibn Auof, and Saad ibn Abi Waqqas. The selection of the "Shurah Council" was to agree on a man who was to succeed in office; Omar said "I do not find except these six men who have the qualities to govern and administrate the affairs of Muslims and promote the doctrines of Islam; whoever is selected from them is to become my successor after my death". Omar ibn Al-Khattab specified a period of three days for these six men to resolve their decision of selection; He instructed that his son Abd-Allah ibn Omar was to attend with the six men to be instrumental in the decision making, without being a candidate for selection. Omar also ordered that Suhayb ibn Sannan was to be the Imam for the Salat during the three days, until the election of the Successor was finalized.

Omar ibn Al-Khattab was consciously aware and perceptive that the end was imminent soon; even at that terminal phase of his life, Omar was deeply concerned about the unity of the Muslim Ummah, and the true freedom of its subject. For the promotion of such unity, Omar ordered the freedom of men taken as bondslaves during the Muslim crusades. Omar had already sanctioned at the beginning of his reign, the freedom of the bondslaves taken during the wars against the apostates. Omar then considered his debts which were endorsed and notarized by his son Abd-Allah ibn Omar, as witnessed by a group of Al-Ansars and other men of counsel. Omar ibn Al-Khattab concluded his concerns with worldly life, and started to consider matters related to his death. He had previously obtained permission

As was his usual custom, Omar went on pilgrimage during the season of Haj on the twenty third year of Hijrah, his last year in office. He was accompanied during that year by the wives of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). During that particular season of Haj, Omar was melancholic, reflective and contemplative; he was repeatedly uttering words of supplication and worship. He returned to Al-Madinah apprehensive with an inner feeling that his end was near. Omar expressed this thought to way of his associates. The exact nature of this was good, however, that feeling remained to occupy the back mind of Omar, without attaching any importance to the matter. Omar left his house at dawn during the last few days of Zu Al-Hijah of the twenty third year of Hijrah to be the Imam for the morning Salat as was his usual custom. The succession of ranks for prayer assembly were in uniform alignment. The Majsid was in deep solitude and solemn silence for worship, ready for the words "Allahu Akbar" to declare the start of the Salat. Very unexpectedly, suddenly with predetermined deceptive intention, a man appeared in front of Omar, stabbed him several times in the abdomen.

Omar turned to face the prayer assembly and shouted "Hold the man, he has stabbed me". The man ran hysterically through the ranks of the prayer assembly stabbing whoever tried to stop him, until a man finally threw a cloak over him and arrested the murderer. Omar ibn Al-Khattab was gravely wounded, six other men suffered severe injuries, and few others died. The assembly in the Masjid became emotionalistically severely disorderly perturbed with stunning bewildered agitation and disoriented thought. The whole very distressing event was abrupt, unexpected, startlingly disappointing, contrary to all rational expectation, with confusing far-reaching consequences. The murderer realized his inevitable fate, so he stabbed himself with the same dagger with which he had stabbed Omar ibn Al-Khattab.

The Salat was not performed as yet, and amidst the disturbing commotion, a man shouted "Al-Salat"; Abd Al-Rahman ibn Auof was made Imam for the Al-Salat. After the Salat was completed, Omar ibn Al-Khattab was taken home, the dead was buried, and the wounded were attended. News of the incident spread to reach every home at Al-Madinah and beyond. Very soon it would reach distant places in the Muslim dominion. The situation was critical indeed, men of distinction were near Omar, Abd-Allah ibn Abbas was very close to Omar, attending him and listening to him. Omar asked "Have the people performed their "Salat". He also asked about the identity of the man that stabbed him; the man was Abu Loloah Fayruz, a persian captive from the battle of Nahawand, serving as subject to Al-Mughirah ibn Shoubah. The wounds of Omar were deep, the chances of recovery were very poor, the situation was portentously imposing; the circumstances were compelling, urgent

Omar Ibn Al-Khattab

The Death of Omar

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The reign of Omar ibn Al-Khattab extended for ten years and six months, during which as Ameer Al-Moumineen, he denounced all mundane worldly luster, distinction and illustriousness. He condemned all avenues in life that distracted the path to Allah. He deprived himself, his family and his Kinsmen to avoid the pitfalls of abundance and injustice. Omar ibn Al-Khattab optimized all his facultative abilities to the utmost capacity of human effort to bear the heavy burden of the responsibility of his office during the most critical years in the history of the Islamic Ummah. He was the planner, the organizer, the administrator, a man of profuse knowledge and inherent wisdom. He was the man who introduced to the Muslim Ummah the social pattern of justice, equality, fraternity. He was the leader who governed the affairs of the Muslim Ummah with the most superior eloquence of diplomacy. Omar ibn Al-Khattab was the sincere devoted Muslim, who utilized his faith to achieve excellence in behaivour and performance with persevering confident patience. His potentials of administration widened greatly to encompass the rapid enlargement of the Muslim Ummah, and the wide expansions of its territorial limits. Omar ibn Al-Khattab developed the capability to govern the massive influx of people into the Muslim Ummah; people of different races, different nationalities, different cultures, different beliefs, and different thought patterns.

The policies of administration and management adopted by Omar ibn Al-Khattab were essentially derived from Islamic doctrinal teachings. The truthfulness to faith and devoted spirit of mankind, united the whole Muslim nation into one unison of strength based upon the most solid foundation of true social justice. This was the source of the true solid power of social cohesion, and social performance during the reign of Omar ibn Al-Khattab. This was the seat of his utmost concern, the true energizer of all his actions, the shining lantern in the history of the great man; that will continue to symbolize the true patterns of Muslim governance; the reality of the Islamic renaissance, a lantern that will remain to shine in memory of the founder of the Islamic dominion. According to most chroniclers, Omar ibn Al-Khattab was at the age of sixty three at the end of his reign.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part X

Shawal, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Death of Omar.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Intention and Sincerity.

By: Lotfi Ali Sultan.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

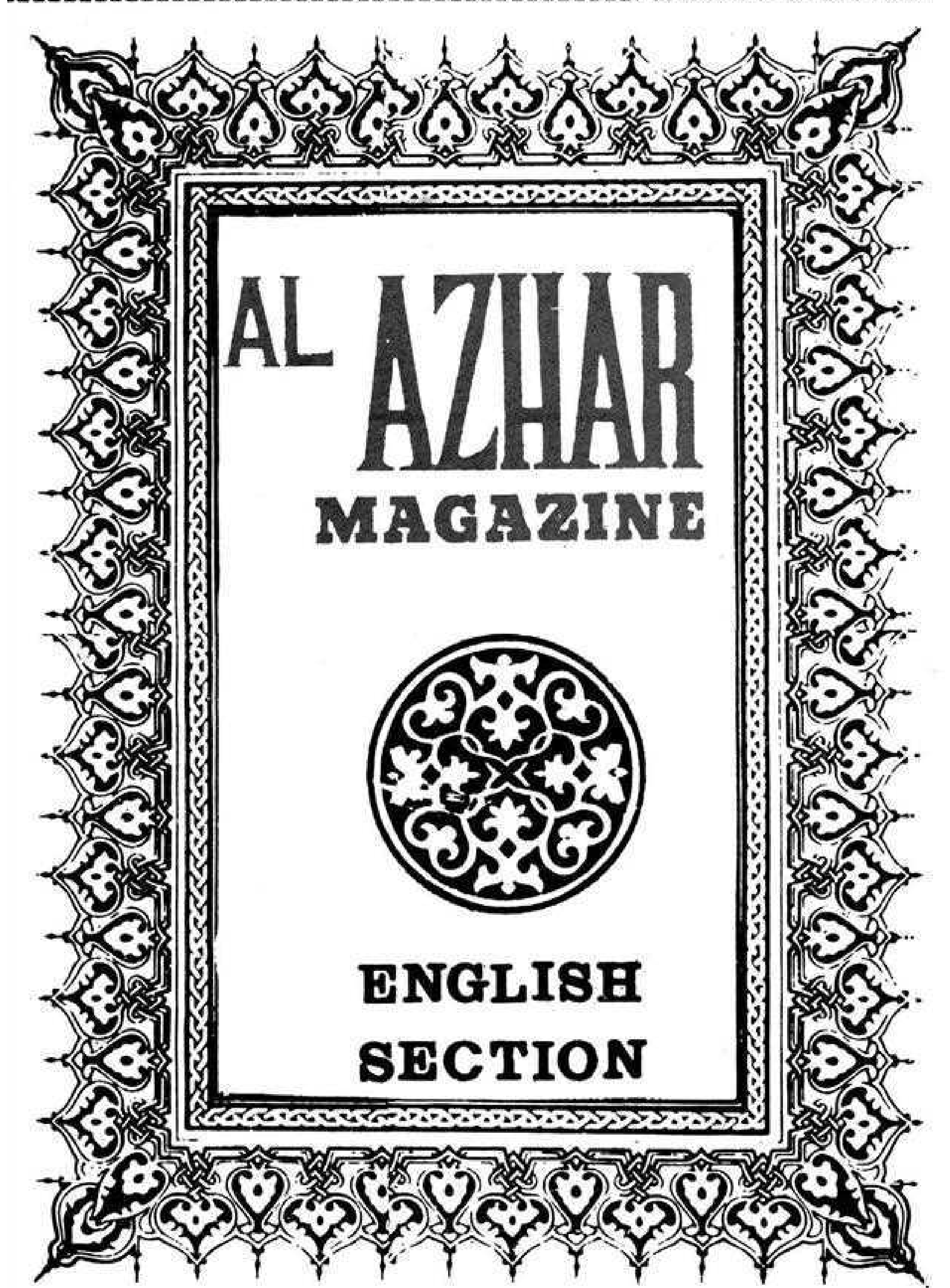
AL AZHAR
MAGAZINE
ENGLISH
SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

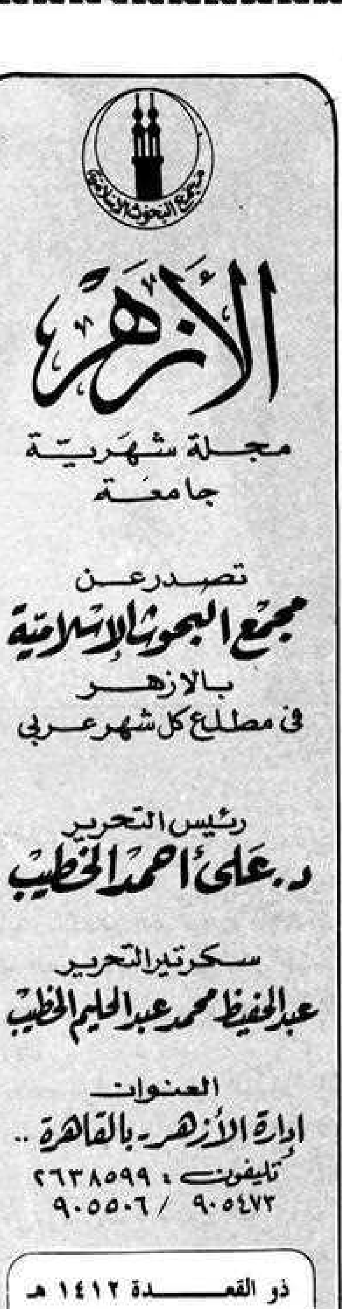

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه أجمعين .

تحت السماء البيضاء .. سيل من الدموع

ليس « العنوان » عبارة شاعرة تقدم الكلمة استهلالا لوجدان عاطفي ينزف الحزن ، ويعزف الألم ، لكنها الحقيقة بجزأيها : الطبيعة والمسلمين ... هى الحقيقة التى أحاطت ببعثة علماء الأزهر الشريف منذ وطئت أقدامهم أرض « موسكو » مساء الأحد السادس والعشرين من شعبان ١٤١٢ هـ « ١٩٩٢/٣/١ م » حتى عدنا إليها مساء الجمعة السادس عشر من رمضان ١٤١٢ هـ « ٩٢/٣/٢٠ » استعدادا للعودة إلى القاهرة صباح الأحد الثامن عشر من رمضان « ٩٢/٣/٢٢ » .

• فضيلة الإمام الأكبر أثناء اجتماعه بالوفد •

كان الصباح التالى ـ لقدومنا « موسكو » أشد تأكيدا لكل ملامح الطبيعة البيضاء ، فقد نشرت السحب بساطها السميك ؛ فإذا ساحات السماء كآفاقها لا تطل منها جميعا عين زرقاء .

ابْيضَّ كلُّ شيء ، حتى الأرض نالت ـ بدورها ـ نسيج السماء ؛ فإذا هى بيضاء ولم نكن ـ بعد ـ قد التقينا بالدموع .!!!

كنا نستعد صباح الإثنين السابع والعشرين من شعبان لأداء مهمتنا داخل الأراضى الإسلامية بـ « روسيا الاتحادية » لتشمل الجولة جمهوريات شمال القوقاز الخمس : « قراتشاى شركسك » ، « قبار دينى بلقار » ، « الأنجوش » ، « الشاشان »[1] و « داغستان » وجمهوريتى : « بشكرستان » و « تتارستان » وتقعان فى الشمال الغربى داخل « روسيا الاتحادية » .

وجمهورية واحدة بوسط آسيا هى جمهورية « أوزبكستان » . كان بين يدى الوفد توجيهات فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وتعليماته المستقاة من واقع النجاح الذى تم للأزهر الشريف .

حدَّث فضيلته الوفد عقب ظهر السبت الخامس والعشرين من شعبان ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢/٢/٢٩ فكان مما قال :

« إن الأزهر الشريف للمسلمين جميعا ، وإن كان موقعه فى مصر وتتولاه مصر ، وإن واجبه أن يتعرف على واجبات المسلمين فى تلك البلاد التى عادت إلى ديار الإسلام ، ليقدم لهؤلاء المسلمين ما يستطيع ، بل وفوق ما يستطيع بمشيئة الله .

• وللأزهر سمته الخاصة التى تدفع المسلمين إلى التعلق به ، إنه لا يتقدم إلى هذه البلاد اعتمادا على مذهب أو لغة ، ثم هو لا يثير ولا يستثير ، وربما يستثار ، لكنه فى كل الأمور يضبط عواطفه ليكون موضوعيا فى كل تصرفاته .

• إن مهمة الوفد الأولى استطلاع حاجة القوم إلى التعليم ، وحاجة الكبار والصغار إلى التعرف على واجبات دينهم .

• تريد هناك مكانا للدراسة وأثاثا لتبتدىء مرحلة دراسية كاملة فترسل المعلم والكتاب .

• إن سياسة الأزهر جعلته ينجح فى الخارج نجاحا مرموقا ، فأصبح له معاهد بأكثر من بلد خارج مصر ،

لذا كانت « الاحتياجات التعليمية » لهؤلاء القوم يجب معرفتها بدقة ، وإن سياسة الأزهر ترى أن إيجاد التعليم بنفس البلاد هو أنفع وأنجح .

وليس يمنع ذلك استقدام أبنائهم إلى رحاب الأزهر . خذوا ما يقدمون لكم من طلبات ، والمعادلات محلولة .

كونوا مستمعين أكثر ، وليتكلم أحدكم باسم الوفد ، اختاروه كما ترون . كونوا أحنافا مع الأحناف ، وشافعية مع الشافعية ، وإياكم والخلاف ! وللصوفية دور هام فى نشر الإسلام والحفاظ عليه ؛

• جزء من الوفد مساء النزول بمطار موسكو •

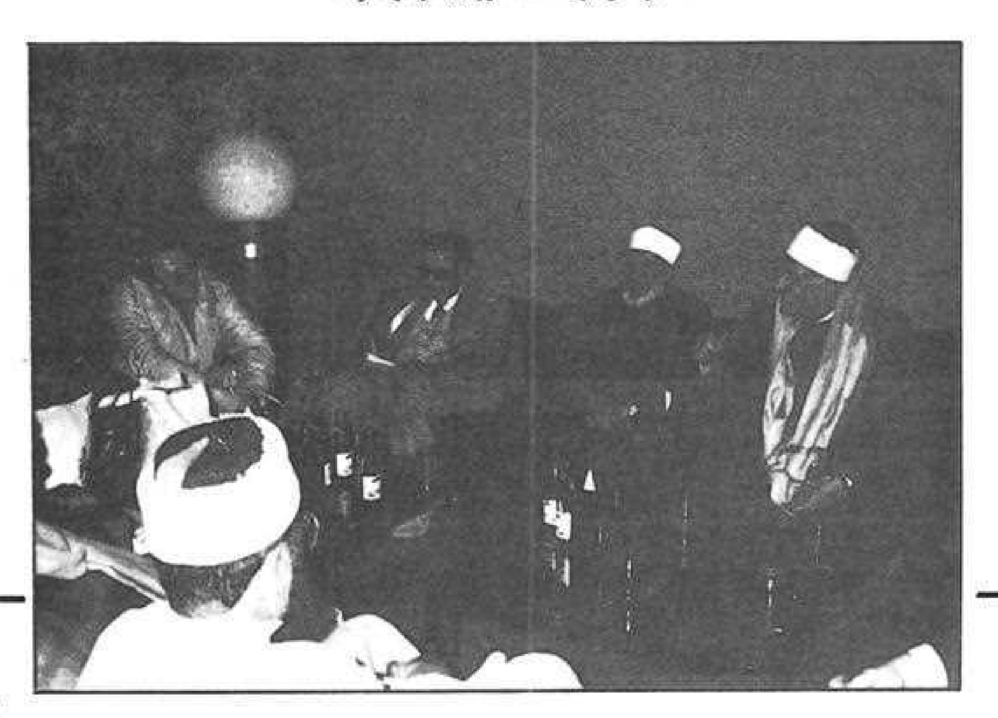

• السيد/ أحمد سليمان •
مفتى جمهورية داغستان

فلا تهاجم ، وإنما سبيل الدعوة الحكمة والموعظة الحسنة » .

وقام الوفد ـ باسم الله ـ يؤدى مهمته ، وفى أجواء جديدة تماما على كل أعضائه ، لكن الحماس لم يفارقه ، والرغبة فى أداء الواجب الدينى ابتغاء وجه الله تخفه ، فهو ينتقل من جمهورية إلى أخرى دون طائرة .

فى أحيان كثيرة ، ينطلق صباحا لتقوده السيارات طيلة يومه حتى الغروب لتستقر بجمهورية أخرى يُباشر فيها بحث حاجة المسلمين إلى المعلم والواعظ والكتاب ، ولقد يمر ـ فى هذه الأبعاد الشاسعة فيجوز جسرا ؛ فإذا عليه أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء ساعتين ؛ فإذا الثانية عشرة عشرة فقط ، أو يزيدها فى أخرى نصف ساعة ..

بلاد شاسعة لا يشغلها من السكان إلا نحو مائتين وخمسين مليون من البشر ، لو ترك كل إنسان فيها وحاله لعاش غنيا مكتفيا بعمله .. لكن .. وآسفاه .. قضت الشيوعية على « الروح » ودمرت « البشر » .

ثم التقينا بسيول الدموع ..!! التقينا بالدموع ،

منذ وطئت أقدامنا مطار « مينرال فودى » لنتجه إلى أولى القرى الإسلامية بجمهورية[1] « قرتشاى شركسك » قرية « بيساج »[1] لنبدأ فى تأدية واجبنا نحو هؤلاء الأعزاء .

(١) يتوقع قيام وحدة بين جمهوريتى : الأنجوش والشاشان .

(١) Béasage .

دموع ، إن ذهبت تحبسها حشرجتْ منك الصوت وقلت الكلمات .

أو غلبتك فانطلقت أسالت ـ إلى جانب عبراتها ـ شجون الذكريات .

وكيف تحبس الدمع أمام لقاء من شوق جارف ، وحنين مقهور ، والتماس لدين فقدوا أعزّ معالمه إلى جانب ما فقدوا من كل عزيز وغال ..؟

كيف تملك آلامك حين يحدثك أبوين جاوزا الستين عن فتاتهما المسلمة التى أخذتْ قهـرا من بين أحضانهما ، وأُلقِىَ بها بين الوثنيين أو غير المسلمين وأجبرت على الزواج بينهم ، فلايعرفان لها موطنا ولايسمعان عنها خبرا ..

ضاعت ، كما ضاع آلاف الخلق ..

• حاشم بن محمد •
رئيس برلمان جمهورية قاردينى بلقار

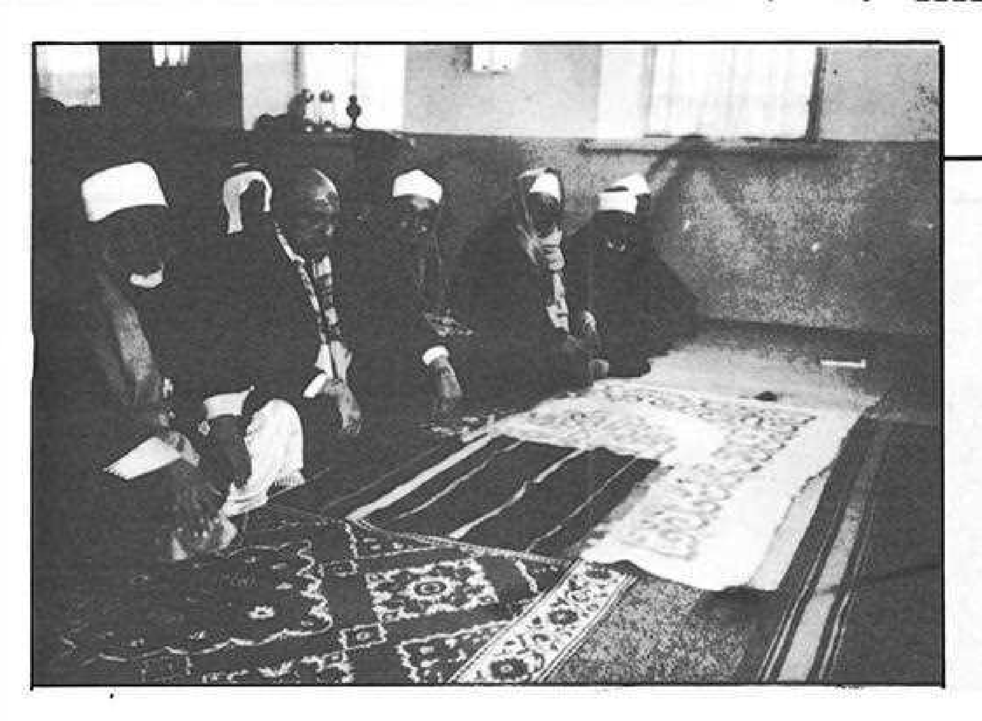

• جزء من الوفد أثناء تأدية صلاة الجمعة •

هناك تجد أكثر من « فلسطين » وملايين المشردين .. يتطلعون ــ فى يومنا هذا ــ إلى أرضهم ، وما تبقى من ديارهم ، أو عاش من أهلهم ... إن كان ثمت أهل ، أو دار ..!!

نزل الوفد الجمهوريات الثمانية ، وطاف بستة وثلاثين موقعا ما بين عاصمة ومدينة وقرية ، وحرص على الاتصال المباشر بالأهلين والحديث إليهم والحديث معهم على مدى عشرين يوما ..

كنا مرهقين .. لكنا فى حال من متعة روحية ونحن نحس بآثار ما نفعل فى وجوه القوم وأفئدتهم ، لم نكن مبالغين ، ولا فى الوعود مسرفين .. قلنا ما يجب أن يقال فقط ، وتلقينا منهم ما يريدون .

ولقد تُوّج عملنا ــ فى النهاية ــ بأكثر من ثلثمائة منحة لطلبة من هذه البلاد ، وفد بعضهم إلى الأزهر فعلا بصحبة فضيلة الشيخ طلعت صفا تاج الدين مفتى القسم الأوربى وسيبيريا بجمهورية « بشكرستان » فى السادس والعشرين من رمضان ، ولعل لقاء آخر يتيح المزيد من الحديث .

د. على أحمد الخطيب

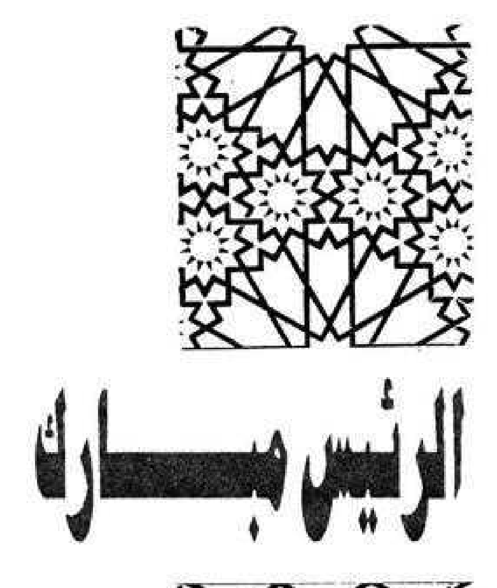

الرئيس مبارك

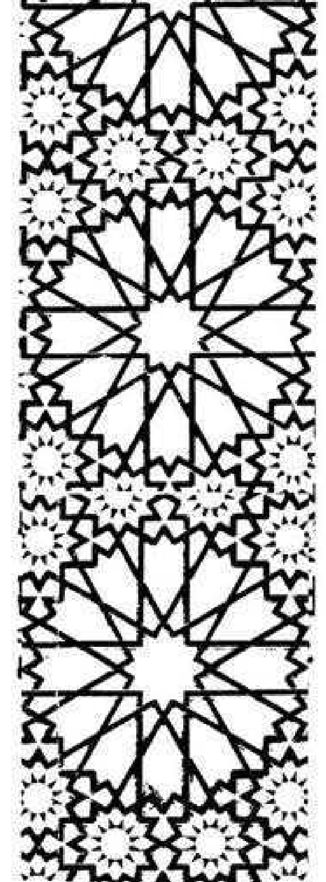

فى الاحتفال بليلة القدر :

ماضى أمتنا العظيم يدعونا
إلى ان نحقق لها الحاضر العظيم
مشكلات أمتنا كثيرة ويمكنها
ان تتغلب على كل السلبيات

في الاحتفال بذكرى ليلة القدر ألقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك خطاباً هاماً فى قاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر أكد فيه على أن الأمة الإسلامية تملك وسائل النهضة المتمثلة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة إضافة إلى التراث الحضارى الشامخ والقوة البشرية الفتية والإرادة الصلبة .

وحذر الرئيس من تسع ظواهر سلبية يعانى منها المجتمع الإسلامى تتمثل فى التفــرق المذهبــى ، والتطرف العقائدى ، والتعصب العرق ، والإرهاب الفكرى ، والاستغلال الدينى ، والتراجع العلمى ، والتأخر الاقتصادى ، والتشوه الاجتماعى ، والتخلف الحضارى وأخيراً التدين السلبى .

وفيما يلى موجــزاً لمحتــوى الخطاب :

فى البداية نبه الرئيس إلى أن أعظم احتفال بليلة القدر هو أن ننتفع بها على الوجه الصحيح وأن يكون موقفنا منها موقف الواعين المتبصرين تحقيقاً لقول ربنا سبحانه وأن يكون موقفنا منها ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ والانتفاع بهذه الذكرى على وجهها الصحيح يقتضى أن نتأمل جوهرها ، ونستمد منه النور الذى نستضىء به ، والمنهاج الذى نمضى عليه ... وأن جوهر هذه الذكرى هو القرآن الكريم الذى هو كتاب الرسالة الخاتمة ، والذى أنزله الله على نبيه محمد ليتم به خطاب السماء إلى الأرض وتتوج هداية الخالق للمخلوقين ، وليعيش الناس على هداه إلى يوم الدين .. فهو الذى يقول فيه المولى جل شأنه ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ويجعل من تلقى الذكر رسول الله وخاتم النبيين ، ويقول موضحاً جوهر رسالته : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

مراجعة النفس ونقد الذات

وأكد الرئيس مبارك على أن من مراجعة النفس فى أمانة ومن نقد الذات فى شجاعة أن نعترف دون حساسية بأن أمتنا الإسلامية وإن كانت لا تزال بخير فإنها فى الوقت الحاضر تعانى من بعض العقبات التى تقف فى طريق نهضتها وأنها تواجه من داخلها بعض السلبيات التى تكاد تنحرف بها عن أهدافها الكريمة التى تسعى جاهدة للوصول إليها .

وهذه العقبات وتلك السلبيات ، تحتاج إلى تضافر القوى ومضاعفة الجهـود لكى تخلص منها أمتنا ، وتبرىء منها ساحتنا .

وإن من الأمانة مع النفس أيضاً ، ومن شجاعة نقد الذات كذلك أن نعترف بأن هذه السلبيات إنما أصابت الأمة الإسلامية بسبب بعد كثيرين من أبنائها عن جوهر القرآن الحق ، وعن تعاليم الإسلام الصحيحة ، ويلفت نظر كل مسلم غيور على أمته وحاضرها ومستقبلها ، بعض تلك السلبيات الصارخة التى أوشكت أخيراً أن تمثل ظواهر مرضية تقتضى العلاج الحاسم والمواجهة الشجاعة .

ويحدد الرئيس محمد حسنى مبارك تسعة ظواهر خطيرة تهدد كيان الأمة وبنيانها .

الظاهـرة الأولى هى ظاهـرة التفرق المذهبى ، ووصفها الرئيس بقوله : « هى ظاهرة تبعها تخرب وتمزق دفع إلى صراعات ومصادمات فى أكثر من مكان بأمتنا ، أنهكت القوى وبددت الطاقة وأهدرت ما كان يجب أن يُصان حفاظاً على مصلحة الأمة .

والظاهرة الثانية وهى التطرف العقائدى والتعصب العرق حيث نبه إلى أنه قد ثبت أن الرسول قد ترك بعض أصحاب الديانات الأخرى على ما يعتقدون وعاهدهم وسار أصحابه من بعده على هذه السنة السامية ... لأن الدين عقيدة والعقيدة لا تكون إلا عن اقتناع والاقتناع لا يتحقق أبداً بالعنف ولا يدخل إلى القلب بحد السيف .

يقول الرئيس « ومن نفس المنطلق نهى الإسلام عن التعصب العرق وعن إثارة النعرات التى يترتب عليها توليد الشقاق والخلاف داخل الجماعة الإسلامية ،

ويتضح هذا من قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾ ومن الآية الكريمة : ﴿ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وبذلك وحد الإسلام صفوف الأمة » .

الارهاب الفكرى

وثالث هذه الظواهر هى « الارهاب الفكرى » حيث يقول الرئيس مبارك : « ان القرآن كتاب الإسلام ، قد نص على أن قتل نفس واحدة بغير حق هو بمثابة قتل الناس جميعاً ... وأن النبى صلوات الله وسلامه عليه عرف المسلم بأنه من سلم الناس من لسانه ويده وقال فى حديثه الشريف « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

أما الظاهرة الرابعة فقد أسماها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بـ « ظاهرة الاستغلال الدينى » وتحدث عنها بقوله « هى ظاهرة استغلال البعض للدين والتستر وراءه بحمل شعاره زيفاً ، والتلاعب بنصوصه افتراء وذلك من أجل الوصول إلى أهداف دنيوية متدنية أو نيل مكاسب سياسية رخيصة ... بالاستغلال للدين والاتجار به والتزييف لحقيقته مما لا يخفى على العيون المبصرة ولا يخدع إلا العقول الساذجة هو أمر يضر بالضرر على الشعوب الإسلامية جميعاً التى تدفع من رصيدها الحياة الكريمة أثماناً باهظة لهؤلاء المتاجرين المخادعين المستغلين .

ويعلق الرئيس على ظاهرة « التراجع العلمى » فيقول : « ليس من شك فى أن أمتنا الإسلامية ليست اليوم فى المستوى العلمى الذى يليق بأمة قادت العالم فى مجال العلم فى الماضى وأستمرت قيادتها له عدة قرون حتى أخذ علماء النهضة الأوروبية عن علمائها الذين تألقوا فى عهود الازدهار الإسلامية ، إن هذا التراجع مناف تماماً لدعوة القرآن الكريم إلى العلم والحث عليه ... فمن غير المقبول لأى غيور على أمتنا الإسلامية ألا تتجاوز هذه الأمة مرحلة التراجع العلمى وأن تظل بلاد منها من أكثر بلاد العالم أمية ، وبلاد أخرى تعيش علمياً فى نطاق التبعية ، فى الوقت الذى يجب أن تمضى تلك الأمة فيه بخطوات واسعة فى سبيل علم العصر وتكنولوجيا العصر ، وذلك ليعيد فى أقرب وقت عصر التفوق العلمى للمسلمين ، وتسترد أمتنا مكانتها التى كانت تحتلها فى عهود العلماء الرواد السابقين الذين أصبحوا بما أبدعوا وقدموا للإنسانية من الخالدين .

وعن « التأخر الاقتصادى » أكد الرئيس مبارك على أن الأوضاع الاقتصادي للأسرة الإسلامية ككل لا تتفق مع حجم امكاناتها البشرية وثرواتها الطبيعية ولا تعكس بالقدر الكافى وحدة المصلحة بين شعوب الدول الإسلامية التى تشترك فى الانتماء إلى العالم الثالث وفى مواجهة تحديات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التى تتطلب منا جميعاً درجة أعلى من التنسيق والتضامن ، وتفرض على كل مواطن فى دولة إسلامية أن يضاعف الجهد من أجل النهوض بالإنتاج والارتقاء بمستوى الجودة وأن يرعى الله فى عمله ، باعتبار أن العمل يأتى فى مرتبة عبادة الخالق عز وجل الذى استخلف الإنسان فى الأرض لينشر فيها العمران ويزرع الرخاء ويصنع المجد والتقدم .

للآخرة والأولى

وكانت ظاهرة « التشوه الاجتماعى » من أخطر الظواهر التى تناولها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه حيث حذر من أن بعض أبناء أمتنا يظهرون فى كثير من الأحيان بمظهر بعيد عن الرفق متناقض مع السماحة مجاف للتحضر فيه كثير من الخشونة باسم الأصالة وكثير من القسوة باسم الجدية وكثير من التجاوز باسم الحرية وكثير من التخلف باسم المحافظة وكثير من التهور باسم الشجاعة وهكذا اختلطت المفاهيم وتشابكت المعانى وضاعت الحقيقة وكاد يضيع معها المظهر الإسلامى المشرف والمضىء لمجتمعنا الإسلامى ذلك المظهر الأصيل فى سماحته ومودته وتحضره أى فى إنسانيته وإسلاميته .

وحذر الرئيس من ظاهرة « التخلف الحضارى » الذى تعيش فيه أمتنا التى أخذت مكاناً ليس فى الحقيقة مكانها ولا يليق أبداً بماضى حضارتها ولذا وجب علينا جميعاً ان نجاهد لكى تسترد أمتنا الإسلامية مكانتها الحضارية الرفيعة وتستعيد أمجادها العظيمة .

وكانت ظاهرة « التدين السلبى » هى آخر وأهم الظواهر السلبية التى يعانى منها المجتمع الإسلامى والتى

تحدث عنها الرئيس فى خطابه حيث حذر من انصراف بعض المسلمين عن أى نشاط يتصل بالعمل ويتعلق بالكفاح فى هذه الحياة بدعوى أن الدين عبادة فقط وشعائر فحسب ، ويتجاهل هؤلاء أن الدين للآخرة والأولى معاً ولإصلاح الحياة والتزود لما بعد الحياة ، ولا شك فى أن هذا السلوك السلبى من بعض أبناء الأمة يعطل المسيرة ويعوق التقدم ويؤدى إلى التأخر لأن المسلم لم يخلق ليقيم الشعائر فقط ولا لينقطع للعبادة فحسب وإنما خلق ليعمر وينتج ويبدع جنباً إلى جنب مع التعبد والتطهر .... فالتدين مطلوب والعبادة واجبة ولكن لا يجوز أن يكون التدين سلبياً يحول بين الإنسان والعمل ويجب ألا تكون العبادة مؤدية إلى التواكل والكسل والتراخى فى أداء الواجب .

لدينا كل وسائل النهضة فى الكتاب والسنة

وفى النهاية يقول السيد الرئيس محمد حسنى مبارك :

إن ماضى أمتنا العظيم يدعونا إلى ان نحقق لها الحاضر العظيم ، وان لدينا كل وسائل النهضة ، وبايدينا ما يمكن ان نتغلب به على كل العقبات ونتجنب كل السلبيات ... لدينا الكتاب الكريم الذى نحتفل اليوم بذكرى نزوله ، ولدينا السنة المطهرة التى هى التفسير الأمين لهذا الكتاب المبين ، ولدينا التراث الحضارى الشامخ ، ولدينا الدين القويم الراسخ ، ولدينا بعد ذلك العلماء الأجلاء والمتخصصون المقتدرون ، ثم لدينا القوة البشرية الفتية ، والإرادة الصلبة القوية ، ولا ينقصنا بعد هذا سوى ان نرصد السلبيات فى شجاعة ، ونحقق بدلاً منها الايجابيات بتصميم وعزيمة ، فعلينا ان نبدأ فى ضوء القرآن مسيرتنا ، وان نمضى بكل العزم نحو النهضة الشاملة ، التى تعوض ما فات وتسترد ما ضاع .. فهذا هو الجهاد الحق ، الذى تتطلبه المرحلة الحالية من حياة أمتنا ، وهى مرحلة تتواكب مع تحولات دولية خطيرة ، جعلت العالم مكاناً للأقوياء المتحدين المتحضرين ، لا موضع فيه للضعاف المتناحرين ، ان عالم اليوم يتطلب منا العرق والجهد والتفانى من أجل ان نأخذ مكاننا اللائق ونبلغ أملنا المنشود .

فلنبعد عن التمزق المذهبى ، ولنرفض التطرف العقائدى ، ولنقاوم الارهاب الفكرى ، ولنحمى أمتنا من الاستغلال الدينى ، ولننقذها من الجمود العلمى ، ولنصلح ما أصابها من التشوه الاجتماعى والتخلف الحضارى ، ان هذه السلبيات سوس ينخر فى جسد أمتنا ، ومن واجبنا نحو أنفسنا وأوطاننا ان نقاوم هذا السوس ونقضى عليه قبل ان يدمر كيان الأمة ويحولها إلى هشيم تذروه الرياح .

ان مشكلات أمتنا كثيرة ، والسلبيات فى حياتنا عديدة ، ولكن هذه الأمة يمكنها بفضل ارادة أبنائها القوية ، وحضارتها الايمانية الفتية ، وبفضل عقيدتها الصحيحة وتعاليم قرآنها الخالدة أن تتغلب على كل السلبيات ، وتحولها إلى ايجابيات وكل ما تحتاجه الأمة هو ان تنهض من كبوتها ، وتعدّل فى ضوء القرآن من مسلكها ، وبذلك يعين الله ابناءها على بلوغ غايتهم وتحقيق أملهم ، ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

إن القرآن الكريم الذى نحتفل اليوم بنزوله ، يجب الا تقتصر الحفاوة به على تجميل طباعته والتبرك باقتنائه ، إن ذلك كله مطلوب ولكن المطلوب - قبله - هو ان نجعله يمتزج بقلوبنا ، ويختلط بمشاعرنا وأن نحافظ عليه هادياً لمسيرتنا ، وموجهاً لتصرفاتنا ، ومنهلاً لقيمنا النبيلة .

فلا يصح ان نظل منقسمين ممزقين ، وكتابنا العزيز يريدنا ان نكون مجتمعين موحدين ، ولا يليق أن يكون البعض منا عاجزين مستضعفين فالقرآن يدفعنا إلى ان نكون متقدمين متصدرين ، ولا ينبغى ان يفسد حياتنا التطرف العقيم ، فالقرآن يدعونا إلى التسامح الكريم ، ولا يعقل أن يتاجر البعض منا باسم الدين ، والقرآن يجعل الدين خالصاً لرب العالمين ولا يمكن أن تظل أمتنا تضم ملايين المحتاجين ، على حين يدعونا القرآن إلى ان نعيش جميعاً اخوة متكافلين متراحمين ، ولا يجوز ان يتسلل الإرهاب إلى صفوفنا باسم الفكر ، والقرآن يجعل العدوان على روح الغير بغير حق قرين الكفر ..

فليكن احتفالنا بليلة القدر استلهاماً لذكرى ننتفع بها فى يقظة شاملة ، تصل بنا إلى نهضة عظيمة ، يصلح معها حالنا أفراداً وجماعات ودولاً ، ثم أمة إسلامية موحدة قوية ، متحضرة متصدرة ، تأخذ مكانها فى عالم اليوم ، وتكون بحق كما أراد لها الله ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

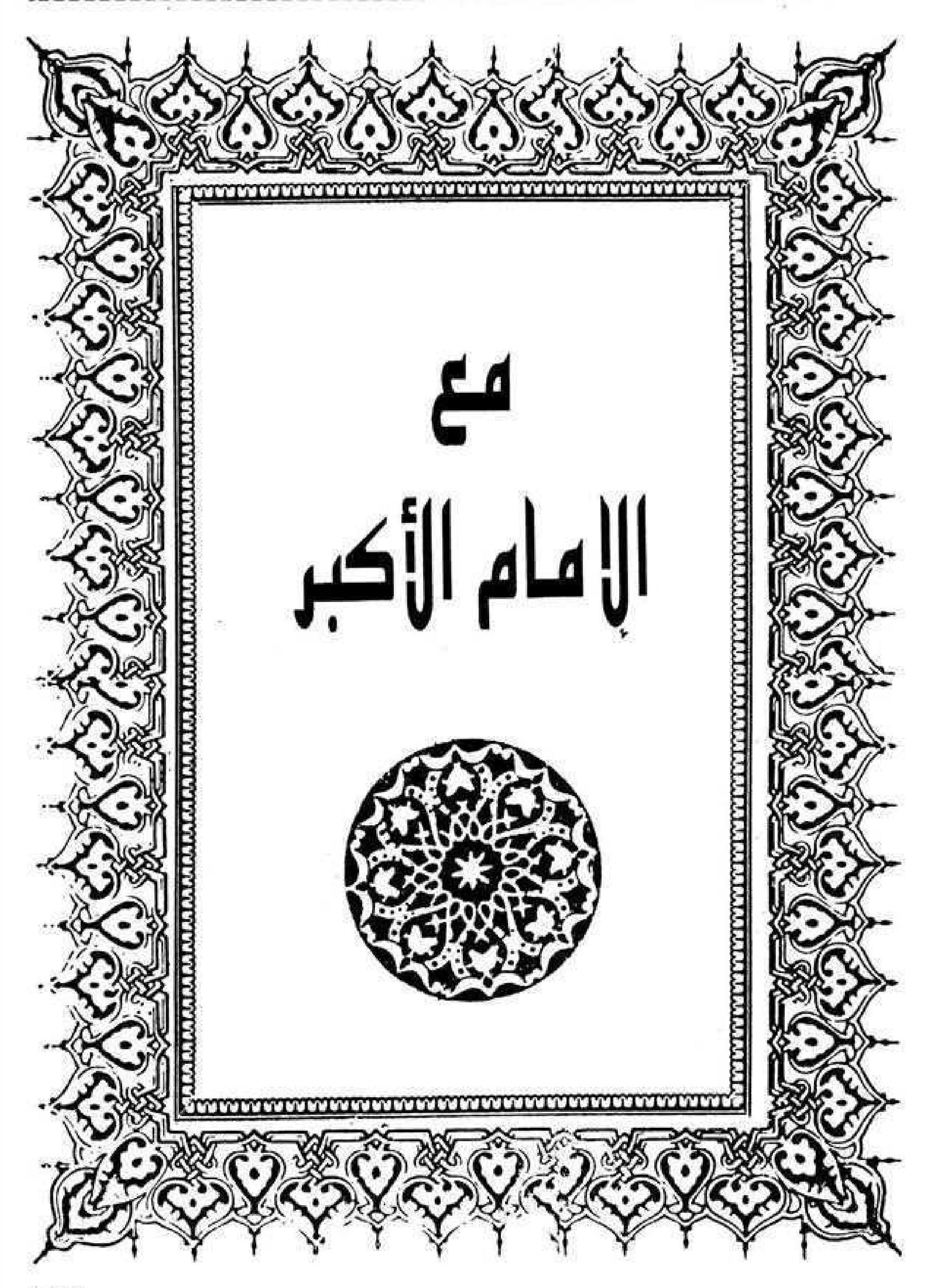

مع الإمام الأكبر

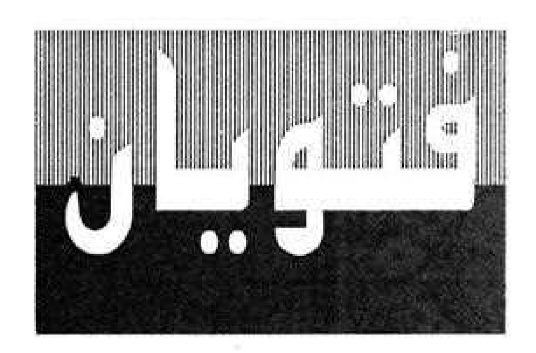

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

السيد المحاسب / منيب فياض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد :

فقد أطلعت على كتابك الذى ورد إلى المكتب بتاريخ ١٩٩١/١١/٢٤ فى شأن صلتك بأسرتك وامدادك لوالدك بمبلغ مائة جنيه شهريا وأنك توقفت منذ حوالى ثلاثة أشهر لاعتراض السيدة زوجتك على أساس أن أسرتك وأسرتها قد رفضتا معاونتكما وقت أن كنتما فى حاجة إلى هذه المعونة ، وأن لوالدك شقة لو باعها لكفته مدة طويلة وأنك تقاسى من عذاب الضمير ، وأن زوجتك وافقتك على الاحتكام إلى شيخ الأزهر لمعرفة الرأى الدينى ..

وأفيدكما بالآتى :

أولا : أثنى على هذا السلوك الذى توافقتما عليه نتيجة للمصارحة والمشورة فيما بينكما عند اختلاف وجهة النظر فيما كان موضع المشورة ، وهذا شأن العقلاء لا سيما بين الزوجين اللذين جعل الله بينهما مودة ورحمة ، فبارك الله لكما ووفقكما فى حياتكما وأدام عليكما هذا الوفاق ..

ثانيا : والحديث موجه إليكما :

إن الله فرض بر الوالدين على أولادهما فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم ، وقد قرن هذا البر بعبادته سبحانه ، فيقول سبحانه فى سورة النساء :[1]

﴿ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ .

وفى سورة الإسراء[2]

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾

فبر الوالدين فرض من الفروض التى أوجبها الله على الأولاد ، وليس هذا البر مشروطا بحاجتهما لأنه فوق الحاجة وقبلها لأن الولد كسب أبيه كما جاء فى الحديث الشريف :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : أتى أعرابى رسول الله ﷺ فقال إن أبى يريد أن يجتاح مالى ، قال أنت ومالك لوالديك إن أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وان أموال أولادكم من كسبكم فكلوه هنيئا .[3]

والمفهوم من أمر الله ورسوله ببر الوالدين أن هذا واجب ولو كان الأبوان موسرين ، وذلك إرضاء لهما وقضاء لحقهما على الأولاد حيث قاما بالتربية والتعليم .

ومن هنا أنصح بأن تتفقا على الاستمرار فى بر والدك بما يسره الله لك وتعتقد أنه واف بحاجته وفاء بالحق وطاعة لله سبحانه فيما أمر به وأكده رسول الله ﷺ .

وأقول لزوجتك العاقلة : كونى عونا لزوجك على بر والده حتى يبركما أولادكما فى مستقبل حياتكما ..

والله معكما يوفقكما ويبارك لكما « ولن يتركم أعمالكم » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) من الآية ٣٦

(٢) من الآية ٢٣

(٣) كتاب الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد مع مختصر شرحه بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتى جـ ١٥ ص ٧ .

من أحكام الزنى

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر من أ.ح.ف بمرسى مطروح سؤال خلاصته : أن رجلا زنى بامرأة وحملت منه وانجبت من الزنا برضاها ، وأن لهذه المزنى بها بنات فهل يحل شرعا لهذا الزانى أن يتزوج إحدى بنات المزنى بها أم لا يحل شرعا ؟

والجـــواب :

ان مذاهب الأئمة الأربعة قد اختلفت فى حرمة المصاهرة بالزنا على النحو التالى :

ذهب الحنفيــة :

إلى أن « الزنا » عبارة عن الاتصال الجنسى التام بين رجل وامرأة مشتهاة ليس بينهما عقد زواج صحيح ولا شبهته ، وتثبت به حرمة المصاهرة نسبا ورضاعا لأن الزانى اعتاد على الزنى مع من زنا بها وقد لا يكف عن هذا مع الزواج بأصلها أو فرعها فيوقع العداوة بينهما ..

فمن زنى بامرأة حرمت عليه أصولها وفروعها فلا يحل له أن يتزوج بنتها سواء كانت متولدة من مائه ، أو من ماء غيره ، وبنت بنتها ، وهكذا ، كما يحرم عليه أن يتزوج أمها ، وجدتها ، وهكذا ، وله أن يتزوج أختها ..

وتحرم هذه المرأة المزنى بها أيضا على أصول الزانى ، وفروعه ، فلا تحل لأبيه ولا لابنه ، وتحل أصولها ، وفروعها لأصول الزانى وفروعه ، فلكل من أبيه وابنه أن يتزوج أمها ، وجدتها ، كما أن لكل منهما أن يتزوج بنتها بشرط ألا تكون متولدة من ماء زناه ، ولا راضعة من لبنه الناشىء بسبب زناه ، فإذا زنى بامرأة فحملت سفاحا ، وولدت ثم

أرضعت صبية بلبنها ، فإنه لا يحل لهذا الزانى أن يتزوجها ، لأنها بنته من الرضاع ، وكذا لا تحل لأصوله ، ولا لفروعه ، ومثلها بنته المتولدة من الزنـا ، فإنها تحرم عليه وعلى أصوله ، وفروعه وذلك لأنها جزء منـه ، سواء كانت متولدة من مائه أم كانت راضعة لبن من زنى بها الناشىء منه .. ولذا لا تحرم على عمه ، أو خاله ، لانتفاء الجزئية فيهما ، ولم يثبت نسبها من الزانى حتى تحرم على العم والخال[1] ..

وما قال به فقه المذهب الحنفى من حرمة المصاهرة بالزنا منقول عن : عمر وابن عباس وابن مسعود وعمران بن الحصين وجابر وأبىّ وعـائشة ، والحسن البصرى والشعبى والنخعى والأوزاعـى وطـاووس وعطـاء ومجاهد وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والثورى واسحاق بن راهويه ..

هــذا :

ومذهب الإمام أبى حنيفة هو المعمول به فى القضاء فى مصر بمقتضى المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية الصادرة بالمرسوم بقانون رقم ٧٨ سنة ١٩٣١ والمادة السادسة من القانون رقم ٤٦٢ سنة ١٩٥٥ ..

وذهب الشافعية :

إلى أن الزنا لا يوجب حرمة المصاهرة على أى حال ، لأنها نعمة من الله فلا تنال بالحرام وهو الزنا ولأن ماء الزنا هدر لا حرمة له فمن زنى بامرأة حلَّ له نكاح أصولها ، وفروعها ، فله أن يتزوج أمها ، وجدتها ، وبنتها سواء كانت مخلوقة من ماء زناه أم من غيره ..

وكما تحل له تحل لأصوله ، وفروعـه ، ولكن يكره نكاحها[2] .

وذهب المالكية :

إلى أن الزنا لا ينشر الحرمة على المعتمد ، فمن زنى بامرأة فإن له أن يتزوج بأصولها وفروعها ، ولأبيه ، وابنه ان يتزوجها ، وفى تحريم البنت المتخلقة من ماء الزنا على الزانى ، وأصولـه ، وفروعـه خلاف ، والمعتمـد الحرمة ، فإذا زنى بامرأة فحملت منه سفاحا ببنت ، وجاءت بها ، فهى محرمة عليه وعلى

---

(١) الهداية وشروحها ص٣٦٥ وما بعدها جـ٢ ، وبدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع جـ٢ صـ٢٥٦ .

(٢) كتاب الاقناع شرح أبى شجاع مع حاشية تحفة الحبيب جـ٣ صـ٣٥٦ فى المحرمات فى النكاح .

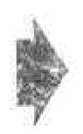

أصوله ، وفروعه ، ولو رضعت من لبنها بنت كانت محرمة أيضا ، لأنه لبنه الذى جاء بسبب وطئه الحرام ، وبعضهم يقول :

إن المتخلقة من ماء الزنا لاتحرم ـ كما يقول الشافعية ـ لأنها لم تعتبر بنتا ، بدليل أنه لاتوارث بينهما ، ولا يجوز له الخلوة بها ، وليس له إجبارها على النكاح باتفاقهم ، فكيف تعتبر بنتا محرمة ؟ وكيف يكون لبن أمها محرما ؟ وهذا القول وجيه ، وان لم يكن معتمدا [1] .

وذهب الحنابلة :

إلى أن الزنا تثبت به حرمة المصاهرة على الصحيح من المذهب ، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أمها ، وبنتها ، وحرمت على أبيه ، وابنه[2] .

لما كان ذلك :
كان الأحوط خروجا من خلاف الأئمة ، واتقاء للشبهات ، الأخذ بمذهب الحنفية ، والصحيح من مذهب الحنابلة من أن الزنا تثبت به حرمة المصاهرة نسبا ، ورضاعا ، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أصولها ، وكذا فروعها سواء كانت متولدة من ماء زناه أم من غيره ، أم راضعة من لبنه الناشىء بسبب زناه ، وكذا تحرم المزنى بها على أصوله ، وفروعه ، كما سبق توضيحه بمذهب الحنفية ، لا سيما أن من يرى أن الفقه الشافعى وان قال بعدم حرمة أصول المزنى بها ، وفروعها يقول : بكراهة الزواج ببنت المزنى بها أو إحدى ـ أصولها ، وفى مدونة مالك من زنى بأم امرأته فارقها .

ومن ثم كان الأولى الأخذ فى هذه الفتوى بمذهبى الامامين أبى حنيفة وأحمد بن حنبل ومقتضاهما حرمة الزواج المسئول عنه بين الزانى وبنت من زنى بها ، ويؤيد هذا قول المذهب الشافعى بكراهة هذا الزواج وما جاء فى مدونة مالك على هذا الوجه المنوه عنه .

والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١) كتاب بداية المجتهد لابن رشد جـ ٢ صـ ٢٨ فى المسألة الرابعة من مسائل حرمة المصاهرة والقوانين الفقهية لابن جزى صـ ٢٣١ .

(٢) كتاب المغنى لابن قادمة جـ ٧ مع الشرح الكبير صـ ٤٨٢ وما بعدها .

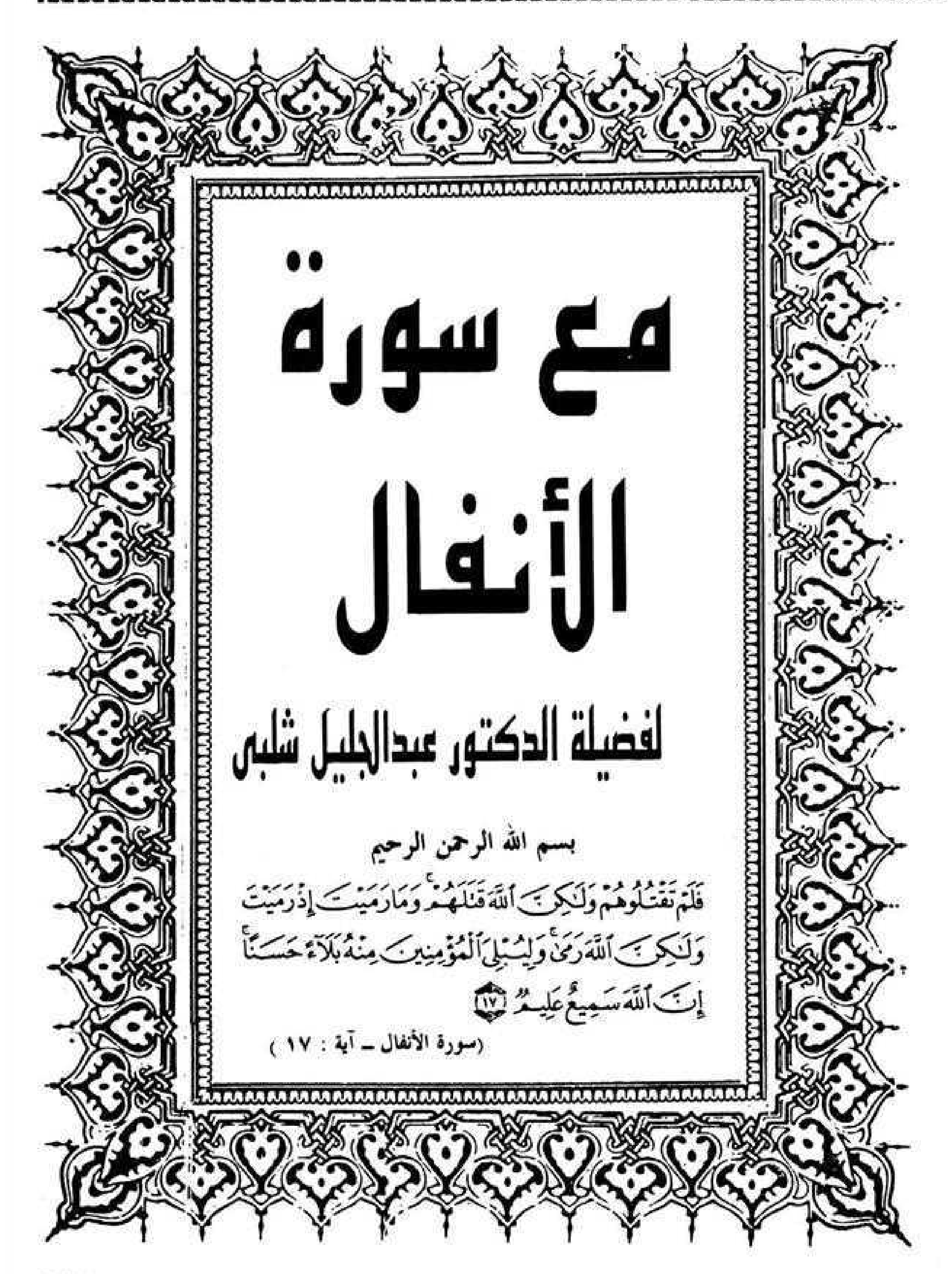

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

(سورة الأنفال ـ آية : ١٧)

نهت الآية السابقة المؤمنين عن التولى وترك القتال يوم زحف المشركين عليهم ، لأن الله - سبحانه - هيىء لهم أسباب النصر ، وقد هيأ لهم يوم بدر ما به انتصروا على أعدائهم مع قلة عَددهم ونقص عُددِهم ، وكان أعداؤهم كثرة بالغة ولديهم أسلحة موفورة واستعداد للقتال ، فهم إذن أحق وأولى بالثبات ، وقد بينا ما فى الآية السابقة وأجملنا قول المفسرين فيها ، ومقتضى ذلك ان هذا القتل الذريع والفتك الشنيع لم يكن بمحض قوتكم واستعدادكم المادى ، ولكن بتوفيق الله سبحانه وتيسيره أسباب هزيمتهم ، فالله هو الذى قتلهم ، ألقى فى قلوبهم الرعب ، وأنزل الملائكة تقف فى صفوفكم ، وثبت قلوبكم رغم قِلّتكم وعدم استعدادكم للقتال ، فلكم القتال الظاهرى والجهاد ، والنصر أخيراً وأولاً عند الله .!

والتفتت الآية من خطاب المؤمنين المحاربين إلى خطاب النبى - ﷺ - لأنه قائدهم ، ونصر الله إياهم وتأييده إنما كان بسببه ، فهو النبى وصاحب المعجزات . فقالت : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾

وتعددت آراء المفسرين والمحدثين فيما جاء فى هذه الآية من نفى القتل والرمى عن المؤمنين وإثباتهما لله - سبحانه - ، ونحن نجمل أهم أقوالهم وندع مالا سند قوياً له .

ما هذا الرمى الذى رماه رسول الله - ﷺ - ونسب لله تعالى ؟

قيل إنه - ﷺ - حين استغاث ربه فى بداية المعركة - فقال : هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها ، اللهم إنى سائلك ما وعدتنى ... فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها ، فلما التقى الجمعان قال لعلى بن أبى طالب : أعطنى قبضة من حصباء الوادى ، فرمى - ﷺ - بها وجوههم وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه ، وسطا عليهم المؤمنون يقتلون ويأسرون .

فالله هو الذى رمى وجوههم بالتراب ، وجعله يصل إلى وجه كل واحد منهم لأن رمى الإنسان بمحض قدرته البشرية لا يبلغ هذا المبلغ ، ولا يصل إلى كل هذه الوجوه دفعة واحدة .

ويلاحظ من جهة التعبير الفنية أن المفعول به ذكر فى حال قتل المؤمنين الكافرين ولكنه حذف فى حال رمى النبى التراب ، سواء فى حال ثبوت الفعل أو نفيه ﴿ فَلَمْ تَقْتُلوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ ذلك لأن القتل أمر ظاهر بحسب ما هو معتاد من أفعال العباد ، أما رمى قبضة من التراب تصيب وجوه القوم جميعاً فهو من الخوارق ، وحذف المفعول يؤذن بعموم المفعول ، سواء فى ذلك حال الاثبات وحال النفى ، وليس الرمى سبباً مشاهداً كالقتل ، ولا من المألوف الذى يعمله كل محارب كالقتل .

ووجه الجمع بين نفى القتل والرمى وإثباته ، أن المؤمنين عملوا ما يعمله مثلهم ، ولكن الله هو الذى يسر لهم نتيجة العمل ، فلهم كسب ظاهرى ، والله هو الفاعل الحقيقى وذلك جار فى كل شىء يعمل ، كما فى قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما ﴾ فحرثنا الأرض والقاؤنا فيها البذر عمل ظاهرى ، لكن لا قدرة لنا على إنبات البذر وإخراجه نباتًا ، أو إخراج النبات ثمرًا ، والمقاتلون هنا ضربوا بالسيوف ، ورموا الحراب والنبال ... وهذا ما يستطيعونه ، ولولا نصر الله وتأييده إياهم ما بلغ جهدهم ما بلغه من تقتيل الأعداء ، واحراز هذا النصر المبين .

ويتخذ الأشاعرة من هذه الآية دليلاً على ما ذهبوا إليه من أن الإنسان له كسب ظاهرى فقط ، وان الله خلق القوة المؤثرة ، ولولا خلقه إياها ما أحرقت النارُ ولا قطعت السكينُ ، ولكن اجراء التعبير هذا المجرى يسلبه ما فيه من روعة وقوة تأثير لأنه يجعله مثل أى عمل من أعمالنا ، والأعمال والأشياء الرائعة تنسب عادة لله - سبحانه - فهم يقولون لله هذا الفتى ، ولله دَرُّه ، ولله ما صنعت يداه وهكذا ، والأشياء التى لا يقدر عليها الإنسان تسند إلى الله

فيقولون قاتلهم الله ، وأذلهم الله أو أعزهم ... حيث ان قتالهم أو إذلالهم لا يقدر عليه غير الله ، فيدعى عليهم بذلك ، وهنا أمور عجيبة خارقة من القتل والرمى فنسبت لله .

ومن الجائز القريب أن يكون المراد بالرمى هو الحملة نفسها ، وحرب هؤلاء الصناديد من قريش ، ويكون التقدير إنك لم تحرز بنفسك النصر فى هذه المعركة الكبرى ، ولكن الله هو الذى يسره وهيأه لك ، والرمى يستعمل فى غير الرمى الحسى المادى ، فيقال : رماه الدهر بالأرزاء .

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الغُرّ من أنيابها بالقوادح

ورماه بتهمة ، كالذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ، والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، وقريش رمت بأفلاذ أكبادها فى الحرب .. فتخريج الآية على هذا الوجه محتمل وواضح .

والأحاديث التى جاءت من رمى النبى - ﷺ - متعددة الأوجه ، ولكن لم تصل إلى درجة الصحة المقطوع بها ، وإن كانت لكثرتها يشد بعضها بعضاً .

وتخريج الآية على هذا الوجه يجنب أقوال المذهبيين من الجبرية الذين يقولون إن الإنسان كالريشة فى مهب الرياح لا تملك لنفسها وجهة ، وأصحاب وحدة الوجود الذين يجعلون أعمال الناس أعمالاً لله ، والاشعريين الذين يجعلون للإنسان مجرد اتجاه والله هو الفاعل لكل شىء .

فنحن فى غنى عن هذا كله .

وللمفسرين والنحويين أقوال أخرى فى ذكر الفاء فى أول الجملة « فلم تقتلوهم » قال أبو حيان هى للربط بين الجمل ، حيث قال الله تعالى : فاضربوا فوق الأعناق ، وقد امتثلوا وقتلوا فقيل لهم : لستم وحدكم القاتلين ، ولكن إقداركم عليه من عند الله ، قال السفاقسى : هذا أولى من دعوى الحذف ، ودعوى الحذف هى ان الفاء واقعة فى جواب شرط محذوف ، كأنه قيل : إذا كان الأمر على ما ذكرناً من إمدادكم بالملائكة وتغشيتكم النعاس ، وإنزال الماء من السماء ، فإنكم لم تقتلوهم بقوتكم وقدرتكم ، ولكن الله قتلهم ، بما أمدكم به من أسباب النصر وقيل إن المسلمين عند انصرافهم من غزوة بدر أخذوا يتفاخرون يقول الواحد منهم قتلت وأسرت ، وفعلت كذا وتركت كذا ، فنزلت الآية قطعاً لكل هذه الادعاءات ، بمعنى إن كنتم تفتخرون بهذا القتل فأنتم لم تقتلوهم ، ولكن الله هو الذى قتلهم ، واختار الزمخشرى هذا التقدير ، لأن القتل واقع ولا نزاع فيه والاية تعنى ببيان الفاعل الحقيقى له .

وهناك أقوال أخرى ، لا نطيل بعرضها .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾ . فالواو فيه عاطفة ، والمعطوف عليه محذوف ، أى ان الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى المؤمنين ، والبلاء هو الاختبار ، ويكون بالحسن وبالسيىء ، كما قال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ وقال عن بنى إسرائيل : ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ ويكون تقدير الكلام أن الله فعل ما فعل من هذه الأشياء التى هيأت النصر للمسلمين لينصر دينه ويعز نبيه ، ويختبر المسلمين ماذا يفعلون بعد هذا العطاء والنصر .

والبلاء أيضاً العطاء ، يقال أبلاه أى اعطاه ، ومنه قول زهير :

جزى الله بالاحسان مافعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذى يبلى

يريد أعطاهما خير العطاء بسعيهما فى الصلح بين عبس وذبيان .

فيكون التقدير على هذا ، فعل الله ما فعل لينصر الإسلام وليعطي المؤمنين عطاء جزيلاً ، وهذا الوجه مقبول وجار مع اللغة .

أما تفسير ليبلى بأنها الإبلاء فى الحرب ، كما يقال أبلى بلاء حسناً أى قاتل قتالاً شديداً ، وصبر على لأواء الحرب وشدته صبراً عظيماً ، فهو أيضاً من البلاء بمعنى الاختبار ، لأن الحرب مما يختبر به الرجال لتظهر جلادتهم وحسن تأتيهم للنصر ، وفيه تعدية « أبلى » إلى مفعولين ، أى أبلاه الله فجعله يبلى فى حربه ، وليس بشىء .

وذيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أى سميع لكل ما يسمع عليم بكل ما يعلم ، ويدخل فيهما دخولاً أولياً سمعه - سبحانه - لدعائهم واستغاثتهم وعلمه بنياتهم وأحوالهم وما ظهر من جهادهم ، فهو يجزيهم عن بينة وعلم بما يجزون عليه .

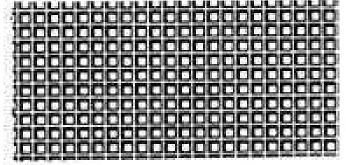

قبس من أنوار النبوة

الحجاج والعمار وفد الله

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .
٢ ـ « وعن عطاء قال : سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يخبرنا يقول :
قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار سماها ابن عباس ، فنسيت اسمها .
ما منعك أن تحجين معنا ، قالت : كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه لزوجها وابنها وترك ناضحا ننضح عليه .
قال : فإذا كان رمضان اعتمرى فيه ، فإن عمرة فى رمضان حجة ، أو نحوا مما قال » .
« رواهما البخارى »

الحج المبرور : المقبول ، أو الذى لم يخالطه إثم .
الناضح : البعير الذى يستقى عليه .

إن الرحلة إلى بيت الله الحرام رحلة ربانية تهفو إليها القلوب ، وتحن لها الأرواح فى شوق عارم ، ويغمرها الحنين إلى منازل لها فى النفوس منازل !

يتجرد فيها الإنسان من كل زينة أو شارة فى لباس متواضع بسيط يتساوى فيه الغنى والفقير ، والأمير والأجير ، يذكّره باللباس الذى يخرج به من دنياه يوم يستقبل الموت ويستدبر الحياة .

تجرد يعود بالإنسان إلى فطرته ، ويطرح عنه كل ما لصق به أو خالطه من جاهه وعصبيته وطبقته وماله وولده ، فرداً بين الملايين متحرراً من أغلال الفقر والعبودية ، فلا يرى للغنى المعتز بغناه ، ولا للجبار المتميز بسطوته ، ولا للأبيض المستعلى بلونه ، لا يرى لهؤلاء فضلا ولا امتيازاً على من عداهم من الناس ، إلا بالتقوى والعمل الصالح ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ وكما تجرد من شهوات النفس وسلطان المادة ، فهو يعلن فى تلبيته عن الإذعان لله ، وتوحيده ، والتزام طاعته ، وصدق التوجه إليه .

والتلبية فى حقيقتها نزوع بالنفس عن عالم الظلم والطغيان إلى عالم العدل والإحسان ، وترجمتها ، يا رب : أنا الواقف ببابك المستجيب لندائك المطيع لأمرك ، المقيم على عهدك ، فأنت الواحد الأحد ، رب النعمة السابغة ، والعزة السامقة ، والقوة القاهرة ، والسلطان النافذ فى الأرض والسماء سبحانك لا إله إلا أنت ، فيتجاوب الكون كله معه مردداً هذا النشيد القدسى فقد روى سهل بن سعد - رضى الله عنه - فيما اخرجه الترمذى وابن ماجه - عن رسول الله ﷺ قال : ما من ملب يلبى إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر وشجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا عن يمينه وشماله .

وعندما يشاهد البيت الحرام أول بيت وضع للناس يجول بخاطره ما قام به الخليل إبراهيم ، ورفع قواعده مع ولده إسماعيل عليهما السلام ، حيث يقول عز من قائل : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ ﴾ البقرة ١٢٧ - ١٣٠

وهذا البلد الأمين ، مهبط النور ومبعث خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى هاجر إليه الخليل إبراهيم مع زوجه هاجر وابنه إسماعيل ، حيث تركهما فى هذا المكان المقفر والأرض المجدبة ، والصحراء القاحلة ، فأبقت على حياتهما وحفظتهما عناية الله ، وقد استجاب الله فيه دعاء إبراهيم عليه السلام . إذ يقول .

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝ ﴾ إبراهيم

إن طوفانا من المشاعر والأحاسيس التى تحكى تاريخاً زاخرًا بصور البطولة وألوان الكفاح .

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ ﴾

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ ﴾ الفتح ١٨ و ٢٧ .

هذه الكعبة حين تطوف بها تتواثب أمامك الصور حية نابضة حين تخرج إلى الصفا تلك الربوة التى وقف عليها رسول الله محمد ﷺ ينادى بطون قريش بأسمائهم ويقول : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدق ؟ قالوا : نعم .. ما جربنا عليك كذباً .

قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .

فانفجر عمه أبو لهب ساخطا وهو يقول : تباً لك .. ألهذا جمعتنا .

تتواثب الذكريات ، حيث يصعد الرسول ﷺ

قبس من أنوار النبوة

على الصفا ويتلو قول الله تعالى :

• إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا

وهنا يقول ﷺ أبدأ بما بدأ الله به . ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط .

وعند ذلك تتمثل اللهفة الطاغية التى استبدت بقلب هاجر ـ زوج إبراهيم ـ وهى تهرول بين الصفا والمروة تلتمس قطرة من الماء تبل بها صدى وليدها إسماعيل ، وحين كانت على المروة تتوجه ببصرها نحو الكعبة فإذا عين ماء تتدفق تحت قدمى طفلها المشرف على الهلاك .

فلا يسعك الآن إلا أن تتضلع من ماء زمزم فهى طعام طعم وشفاء سقم ، وماء زمزم لما شرب له .

فإذا جئت إلى عرفات تمثلت رسول الله محمد ﷺ يغذ السير على ناقته القصواء وقد سار فى ركبه مائة ألف أو يزيدون وهو يلقى على الناس خطبة الوداع .. حيث أبان عن كثير من شئون الدين والدنيا فأوجز وأبلغ ، وحيث نزل عليه القرآن :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة ٣ .

وهنا تتمثل الخليفة أبو بكر رضى الله عنه ، حين سمع هذه الآية فبكى لأنه علم أن النبى قد نعيت إليه نفسه .

ونأخذ عن صاحب الرسالة ﷺ مناسك الحج ـ كما قال: "خذوا عنى مناسككم" وكما شرعها بأقواله وأفعاله : إن الحج عرفة ، وكل مكان فيه موقف لأداء هذه الفريضة المقدسة حيث يباهى الله تعالى ملائكته ويقول : انظروا إلى عبادى أتونى شعثاً غبراً تركوا أموالهم وأولادهم من أجلى ، أفيضوا مغفوراً لكم ولمن شفعتم لهم .

ثم تأتى الذكريات ناصعة فى أيام منى ومتمثلة فى أروع مشهد للتضحية والفداء حيث يقدم الخليل إبراهيم عليه السلام فلذة كبده قرباناً لله ، وحيث يستجيب إسماعيل ويسلم رقبته للذبح ، ويقول : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . ويرحم الرحمن الرحيم الوالد والوليد حيث يقول : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

كما تحس وأنت ترمى الجمرات أنك ترجم الشيطان فى أعماق النفس حيث تعرض الخليل عليه السلام وابنه إسماعيل لفتنة الشيطان ، حتى لا تكون الاستجابة لأمر الله ، وكيف انتصروا على الشيطان الرجيم برجمه ودحره وهكذا يعيش الإنسان أعظم أحداث التاريخ متمثلة فى مشاهد ومناسك يؤديها تنفيذاً لأمر الله :

﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ .

قال ﷺ فيما رواه أبو داود : « من أراد الحج فليتعجل » وزاد أحمد فى رواية له : « فإنه قد يمرض الصحيح وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة » .

فبادر أخى المسلم إلى طاعة ربك بأداء هذه الرحلة النورانية ، ففى الحديث المرفوع رواه الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه : « تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة ما بينهما تنفى الذنوب والفقر كما ينفى الكير خبث الحديد وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » .

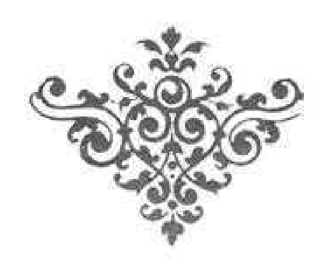

حديث قدسى

يقول الله تعالى :

« إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ، ولم يتكبر على خلقى ، وقطع نهاره بذكرى ، ولم يبت مصراً على خطيئته ، يطعم الجائع ، ويؤوى الغريب ، ويرحم الصغير ويوقر الكبير ، فذلك الذى يسألنى فأعطيه ، ويدعونى فأستجيب له ، ويتضرع إلىّ فأرحمه ، فمثله عندى كمثل الفردوس فى الجنان لا يتسنّى ثمارها ولا يتغير حالها قط » (فى الأفراد ـ عن على) للدارقطنى .

الحديث ٤٣٥٧٣ ـ ص ٩١٠ الجزء الخامس عشر .

من كنز العمال للعلامة المتقى الهندى.طبعة بيروت مؤسسة الرسالة .

والتسنّى : هو تغيّر الطعام والشراب وتعفنه بفعل الزمن وقد نطق به القرآن الكريم فى قصة العزير ، عليه السلام ﴿ انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ﴾ .. الأيات .. والله أعلم .

وفعله سنه يسنة سنّها ، ولها معان أخرى قريبة من المعنى الأصل .. والله أعلم .

(أ)

وروى عن الله ـ سبحانه ـ فى الكتب السالفة أنه قال : « ليس كل مصل أتقبل صلاته ، انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على عبادى وأطعم الفقير الجائع لوجهى » ا.هـ .

وجاء نحوه فى الترمذى والنسائى من حديث الفضل ابن عباس بإسناد مضطرب .

(ب)

ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال دواد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مناجاته : إلهى مَنْ يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة ؟ فأوحى الله إليه : يا داود إنما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى ، وكف نفسه عن الشهوات من أجلى ، يطعم الجائع ، ويؤوى الغريب ، ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس إن دعانى لبيته ، وإن سألنى أعطيته ، وأجعل له فى الجهل حلماً ، وفى الغفلة ذكراً ، وفى الظلمة نوراً ، وإنما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارُها » ا.هـ .

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ ج ١ ص ١٥٦ و ص ١٥٧ طبعة الحلبى .

والله أعلم .

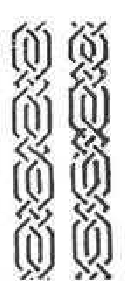

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»

السوق الإسلامية المشتركة بين النظرية والتطبيق

بقلم : لواء ا.ح. دكتور/فوزى محمد طايل

لقد شاء الله تبارك وتعالى أن تكون أمتنا الاسلامية أمة واحدة ، فقال جل شأنه : إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ (الانبياء/٩٢) ، كما قال سبحانه :

وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ (المؤمنون/٥٢) .

ولقد كانت أمة المسلمين كذلك عدة قرون ، ولم تتمزق إلا منذ بضع عشرات من السنين ، بيد أن تمزقها هذا تمزق صناعي وهمي لن يلبث طويلا ، باذن الله ، حتى تسقط حواجزه ، وتعود هذه الأمة كما كانت خير أمة أخرجت للناس .

* مما يذكر أن الدول العربية السبع التى وقعت على ميثاق جامعة الدول العربية (الأردن ـــ مصر ـــ السعودية ـــ العراق ـــ سوريا ـــ لبنان ـــ اليمن) كانت قد وقعت على اتفاق مكمل لميثاق الجامعة عام ١٩٥٠ م يهدف الى اقامة تعاون اقتصادى ودفاع مشترك ، وحث مؤتمر القمة العربى عام ١٩٦٤ على ضرورة وضعه موضع التنفيذ لاخراج سوق عربية مشتركة إلا أن نتائج هذه الفكرة جاءت متواضعة جدا .

من أجل هذا فإن فكرة « السوق الاسلامية المشتركة » لم تطرح على بساط البحث الفقهي فى أية مرحلة من مراحل تاريخ الأمة الاسلامية حتى ثمانينات القرن العشرين *، إذ طالبت « بنجلاديش » ، أثناء انعقاد مؤتمر القمة الثانى لمنظمة المؤتمر الاسلامي الذى انعقد بالطائف عام ١٩٨١ ، بضرورة إقامة « سوق إسلامية مشتركة » . وقد أعيد طرح الفكرة عام ١٩٨٢ فى اجتماع « الجمعية العامة للغرف التجارية الاسلامية » ، ثم عام ١٩٨٣ فى « جاكارتا » ، ثم فى المؤتمر العالمى الثانى للاقتصاد الاسلامى فى « إسلام أباد » عام ١٩٨٤ . وقد استمر طرح الفكرة مرات متعددة فى عدد من المؤتمرات التالية ، كان آخرها المؤتمر الذى عقد بجامعة الازهر تحت رعاية فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر فى شهر مايو ١٩٩١م وكان يحمل عنوان « نحو سوق إسلامية مشتركة » .

« والسوق المشتركة » اصطلاح حديث نسبيا ينصرف الى مرحلة متقدمة من مراحل « التكتل » أو « التكامل الاقتصادى بين كيانات دولية ذات استقلال سياسي واقتصادى عن بعضها البعض » .

ويقصد بهذه الفكرة إزالة العوائق التى تعرقل أو تصعب أو تحول دون تحرك رءوس الأموال والمواد الخام ، واليد العاملة ، والخدمات من قطر إلى آخر ، وأن تكون هناك فرص متكافئة للمنافسة المشروعة بين المشروعات ، فلا يحكمها إلا القانون الالهى لتفاعل العرض والطلب .. فإن الله تعالى هو المسعر القابض الرازق الباسط . وتتوقف قدرة كل مشروع على المنافسة على قدر ما لديه من « ميزة نسبية » فى الانتاج .

وبينما تكون هذه هى العلاقة بين الوحدات المكونة للسوق ، فإن على الهيئة المشتركة القائمة على السوق أن تقوم باتخاذ « إجراءات حمائية » تعريفية (بزيادة الضرائب الجمركية) ، وغير تعريفية (بتحديد الكميات المستوردة) ، وذلك فى مقابل السلع ، والخامات ، ورءوس الاموال ، والخدمات القادمة من خارج السوق .

ففكرة « السوق المشتركة » إذاً تقوم على « التعاون » بين مجموعة من الدول لتحقيق أفضل استغلال لمواردها ، ولتحقيق أفضل عائد من وراء هذا الاستغلال كخطوة فى سبيل تحقيق « التنمية الشاملة المشتركة » ، لذا كان ضروريا أن تصاحب الاجراءات الاقتصادية سالفة الذكر إجراءات أخرى ، وتنظيمات فى المجالات الاجتماعية ، والسياسية ، والمالية ، والنقدية ، « والتقنية » (التكنولوجية) ، وفى مجالى الامن والدفاع .. فنكون بهذا قد وضعنا « استراتيجية شاملة » ، ذات أهداف واضحة ، تنفذ خلال مدة زمنية محددة ، وعلى مراحل متدرجة ، باستخدام الإمكانات المتاحة للدول المكونة للسوق .

هذا ، وواجب علينا أن نعى منذ البداية أن وصف « الإسلامية » الذى يضاف « للسوق الاوروبية المشتركة » التى ظهرت منذ أوائل خمسينيات القرن العشرين الميلادى ، ووضعت موضع التنفيذ التدريجي بموجب اتفاقية « روما » عام ١٩٥٧م بين ست دول من أوربا الغربية ، بلغوا الآن اثنتى عشرة دولة ، وصار يطلق عليهم « المجموعة الأوربية » EC ، وتوشك هذه المجموعة أن تحقق فيما بينها درجة أعلى من درجات التكامل بحلول عام ١٩٩٣م ، كما أنها تسعى إلى التوسع لتصل الى أربع وعشرين دولة بمطلع القرن الميلادى القادم *. ووجه التميز الذى أتحدث عنه يرجع الى أن « السوق الإسلامية المشتركة » تقوم على تطبيق « الاقتصاد الاسلامى » بقيمه التى « تذر الربا » ، وتعلى « التكافل » ، و « التعاون » ، وتنبذ « الاحتكار » ، و « الاستغلال » ، و « طغيان رأس المال » ، وتعتمد « التنمية المشتركة »

---

* انضمت الى « المجموعة الاوربية » EC مجموعة أوربية أخرى تسمى « رابطة التجارة الحرة الاوربية » EFTA وهى مكونة من سبع دول أخرى بخلاف خمس دول كانت لها عضوية مشتركة بين المجموعتين ويهدف هذا الاجراء الذى اعلن عنه يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٩١ م إقامة سوق تجارية واحدة من « البلطيق » والى « الاطلنطى » بحلول عام ١٩٩٣ . سوف تضم ٤٠٠ مليون نسمة ، بحجم تجارة ٢٢٠ مليار دولار سنويا (٤٠٪ من تجارة العالم) .

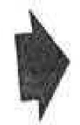

مدخلا يخالف مدخل « تحرير التجارة » الذى تعتمده السوق الأوربية المشتركة . وصدق الله تعالى إذ يقول : « ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا .. » (المائدة/٤٨) ويقول سبحانه أيضا « ... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » (المائدة/ ٥٠) .

السوق الإسلامية المشتركة واجب وضرورة

تعد السوق الإسلامية المشتركة ، بالمفهوم الذى اتضح أمامنا الآن ، طريقا رشيدا لاستعادة « وحدة الأمة » ، فمدخل السوق هو المدخل الذى يربط « المصلحة الاقتصادية » بمصلحة « حفظ الدين » ، وهما مقصدان من مقاصد الشرع ، فهما واجب ، وما يؤدى إليهما واجب . فإذا ما علمنا أن « وحدة الامة » قيمة إسلامية عليا وهى واجب أيضا بنصوص القرآن الكريم التى تنهى عن التفرق والتنازع ، فإن ما يؤدى إلى وحدة المسلمين واجب .. فالسوق الاسلامية المشتركة إذاً واجب من إتجاهين ، والتخلف عن إقامتها خطأ تأثم الامة لاستمراره ، ويتحمل أولو الامر من حكام ، وعلماء ، ورجال اقتصاد القدر الأكبر من هذا الاثم .. وعلى كل منهم فى موقعه فرض عين لإقامة هذا الواجب .

من ناحية ثانية فإن الظروف الحالية التى صار اليها كوكبنا الأرضى بعد انتهاء « الحرب الباردة » وتسابق الامم غير المسلمة لوضع يدها على الموارد الاقتصادية للمسلمين وتسخيرها فيما يخالف مصالحنا ، فنصبح كثرة كغثاء السيل أو هشيما تذروه الرياح . وحتى يتبين القارىء الكريم حقيقة ما نحن مقدمون عليه ، فقد يكون من المفيد تحديد معالم ما يسمونه « بالنظام العالمى الجديد » ، ومعرفة مكاننا الحقيقى الذى يريدون أن يضعونا فيه :ـ

١ ـ توشك « الحرب التجارية العظمى » أن تبدأ بين كيانات وتجمعات اقتصادية دولية عملاقة هى بالتحديد : « المجموعة الاقتصادية الاوربية » وهى ما يطلق عليها اختصارا « المجموعة الاوربية » ، وهى كما ذكرنا حالا تتحكم فى أربعين بالمائة من التجارة العالمية ، و « تجمع أمريكا الشمالية » الذى يضم الولايات المتحدة الاميريكية ، وكندا ، والمكسيك ، وهى دول يبلغ تعداد سكانها ٣٥٥ مليون نسمة ، ويعادل انتاجها السنوى ١,١ قدر انتاج المجموعة الأوربية . أما العملاق الاقتصادى الثالث الذى يدخل طرفا فى هذه الحرب فهو « اليابان » ، التى قد تجد مع « الصين » ـــ رغم ما بينهما من تناقضات ـــ أن المصلحة تقضى تكاتفها فى جبهة تجارية تضم قرابة ١٣٠٠ مليون نسمة ، وتحظى سلعهما بقبول عالمى كبير يؤهلهما للبقاء على مسرح الصراع التجارى .

وبقاء الاقطار الاسلامية فرادى ـــ كما هى الان ـــ لن يمكنها من مواجهة أعاصير هذه الحرب التى لا هداوة فيها .. فالمسلمون معرضون لأن تسلب منهم ثرواتهم أو أن يقتسمها عمالقة « الحرب التجارية العظمى » وهذا أمر بدت إرهاصاته واضحة كل الوضوح ، على الاقل منذ أطلت أزمة الخليج المشئومة فى مطلع أغسطس ١٩٩٠م .

٢ ـ احتكار الكيانات الاقتصادية العملاقة « للتقنية الحديثة » وحرصها على اتساع « الفجوة التقنية » بينهم وبين ما يطلقون عليه « دول العالم الثالث » ـــ الذى تقع فيه أقطار الامة الاسلامية ـــ سوف يمكن لغير المسلمين من « السيطرة على البيئة » ، بمعنى السيطرة على كل الموارد الاقتصادية ، بما فى ذلك امتلاك « التقنية » اللازمة والضرورية « لحماية البيئة » .

٣ ـ تحاول « الولايات المتحدة الاميريكية » بإمكاناتها الهائلة فى الوقت الحالى سبق غيرها من الكيانات الدولية العملاقة وتحقيق ما يطلقون عليه « مركزية التحكم فى الاقتصاد العالمى » سواء باستخدام الاجهزة التابعة « للامم المتحدة » والتى أصبحت « الولايات المتحدة الاميريكية » تسيطر

عليها « كصندوق النقد الدولى » و « البنك الدولى للانشاء والتعمير » ، و « منظمات الامم المتحدة الاخرى المانحة للمعونة » ، أو باستخدام السيطرة المباشرة من خلال التواجد العسكرى ، أو بتطويع « الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة الجمركية » المعروفة باسم « الجات » ، GATT ، وذلك من خلال حصر تيار التجارة ليصبح فى اتجاه واحد ، فتتجه الخامات الرخيصة من الجنوب الى الشمال ، وتتجه السلع المصنعة ونصف المصنعة غالية التكاليف من الشمال للجنوب ، هذا فضلا عن استخدام « الجات » فى العمل « كمحكمة دولية اقتصادية » تمنع بلادنا الاسلامية من حماية منتوجاتها من المنافسة غير المتكافئة ، بل واستخدام احكام اتفاقية « الجات هذه » لمنع قيام السوق الاسلامية المشتركة ذاتها .

٤ ـ يتوقع المفكرون الاستراتيجيون ، بل يقررون ، أنه باختفاء الصراع « الايديولوجى » بين « الليبرالية الغربية » (الديمقراطية الغربية) ، وبين « الشيوعية » ، فإن صراع القرن الحادى والعشرين ، والذى بدأ فعلا فى عقد التسعينات من القرن العشرين ، سوف يكون بين « الليبرالية الغربية » والاسلام ، وأنه سوف يتخذ عدة أبعاد وعدة أشكال ، منها : التحكم فى الغذاء ، ومنها اعطاء معونات عاجلة ، مصحوبة بالتحويل الى النصرانية طوعا أو كرها ، لمن يتعرضون لكوارث من المسلمين كما يحدث فى « بورما » و « الفلبين » ، و « والبوسنة و الهرسك » ، و « الصومال » ، و « ارتيريا » ، بل وفى دول يكاد يكون كل سكانها من المسلمين مثل الدول الافريقية الاسلامية ، ومنها التحكم فى مصادر المياه ، ومنها استخدام فكرة « التحكم فى التسليح » ARMS CONTROL لإثارة الحروب المحلية والاقليمية كى يقتتل المسلمون .. الخ .. هذا فضلا عن العداء المعلن بين الاقتصاد الرأسمالى (الربوى) وبين الاقتصاد الاسلامى .

٥ ـ لقد علا اليهود وأفسدوا فى الأرض ، ومن المتوقع خلال المرحلة القادمة أن تتركز جهودهم على محاولة الهيمنة الاقتصادية على الدول الاسلامية فى إطار ما يسمى بعملية « تطبيع العلاقات » ، وبسبب ما لديهم من تفوق « تكنولوجى » وعلمي وتقدم فى مجال الادارة .. وهم لا يخفون هدفهم هذا بل يعلنونه فى كل مناسبة .

ولئن كانت « السوق الاسلامية المشتركة » ضرورة حتمية بسبب المتغيرات الدولية التى أوردنا طرفا منها فإن هذه السوق هى الخيار الوحيد لاستغلال الطاقات المعطلة فى رأس المال الموجود بالبنوك الربوية فى أوربا وأمريكا تحت ايدى اليهود ، وفى المواد الأولية التى تتجه معظمها بأرخص الاسعار إلى الشمال لتعود الينا مصنعة بأثمان باهظة ، وفى اليد العاملة التى إما أن تهاجر الى بلاد الشمال كى تدعم قدراتهم ، وإما تبقى مكونة مشكلة اجتماعية خطيرة فى بلادنا بسبب عدم تشغيل نسبة كبيرة منها .

« والسوق الاسلامية المشتركة » هى الوسيلة الامثل لزيادة حجم المشروعات الاقتصادية القائمة وللحد من الآثار السيئة التى تسببها إقامة الشركات الاجنبية العملاقة لافرعها فى بلادنا ، وهى الوسيلة المناسبة لتوسيع السوق أمام المنتجات الاسلامية ، ولانشاء التجارة . TRADE CREATION بين الاقطار الاسلامية ، شريطة الحذر من نشوء « آثار تحويلية » TRADE-DIVERSION EFFECT * .

ولما كانت السوق الاسلامية المشتركة هى وسيلة مناسبة للسيطرة على الثروات الاسلامية فإنها ستزيد من القدرة التفاوضية للمجموعة الاسلامية فى مقابل غيرها من التكتلات الاقتصادية ، فتصبح المعاملات التجارية الدولية اكثر عدلا .

ولا يخفى أن « السوق الاسلامية المشتركة » هى الوسيلة الاكثر قدرة على الاسراع بمعدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وحسن تقسيم العمل واستغلال

---

* يقصد بالاثار التحويلية قيام دولة عضو بالسوق باستيراد سلع من دول أجنبية وإعادة بيعها للدول الاعضاء بالسوق ، فتصبح السوق مسخرة فى صالح تلكم الدولة الاجنبية .

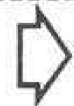

التخصص والميزة النسبية فى الانتاج ، كما أنها الاطار المناسب لتحقيق الاكتفاء الذاتى فى مجالى توفير الغذاء وتصنيع السلاح ، فضلا عن أن ممارسة العمليات الاقتصادية فى مجال الصناعة والزراعة وغيرهما سوف يؤدى الى بناء وتطوير « التنمية الاسلامية » ، وبتحقيق هذه الأمور نتخلص من التبعية والضغوط الخارجية المتزايدة ، ويصبح تعاملنا مع الكيانات الخارجية الاخرى على قدم المساواة .

لقد جربت الاقطار الاسلامية بديلين عن إقامة السوق المشتركة هما :

- الاستعاضة عن الاستيراد .

IMPORT SUBSTITUTION APPROACH

وذلك من خلال محاولة تحقيق اكتفاء ذاتى بغض النظر عن تكلفة الانتاج .

- تنمية الصادرات :

EXPORT PROMOTION APPROACH

وذلك بتبنى سياسة تصدير المنتجات بغض النظر عن تغطية احتياج السوق المحلى أولا ، وبغض النظر عن التمتع بالميزة النسبية أو القدرة على المنافسة فى الاسواق العالمية .

وللاسف لم يلق أى البديلين النجاح المأمول ؛ لقصور قدرة كل قطر اسلامى على حده عن تنمية انتاجه ، وصناعة انتاجه ، وصناعاته الوطنية بصفة خاصة ، والوصول بهذا الانتاج الى حجمه الامثل OPTIMUM SCALE الذى يقلل من نفقات الانتاج ويساعد على تحسين درجة الجودة ليصل بها الى المستويات العالمية فتصبح قادرة على المنافسة .. وكانت النتيجة عودة هذه الاقطار الى الاستيراد والاعتماد على الدول غير الاسلامية اعتمادا يبلغ حد التبعية الاقتصادية حتى فى مجالات حساسة كمجال الغذاء .

إن خيار إقامة « السوق الاسلامية المشتركة » هو البديل الأمثل الذى يحقق التكامل بين الاقطار الاسلامية وبين عوامل الانتاج فيها (الطاقة ـــ المواد الخام ـــ المياه ـــ رأس المال ـــ العمل ـــ التنظيم) ، فتقل تكاليف الانتاج ويتم ذلك التغلب على شطر مشكلتى السوق وهى « مشكلة العرض » SUPPLY- SIDE PROBLEM أى أن المشروعات المتكاملة سوف تتمكن من عرض ما تحتاجه المجتمعات الاسلامية « فيستعيضون عن الاستيراد .

واذا ما تم اتباع السياسات المالية الواعية بالاضافة لكثرة المعروض فستنشأ التجارة البينية ويرتفع معدل التبادل التجارى بين الدول الاسلامية ، ومن خلال هذا التبادل ـــ الذى هو الان فى مستوى متدنٍ للغاية ـــ سوف يتم التحكم فى الشطر الثانى لمشكلتى السوق وهى مشكلة الطـــلب DEMAND- SIDE PROPLEM وبـــذا يحدث التـــوازن فى السوق الاسلامية .

إن « السوق الاسلامية المشتركـــة » ليست مشروعا اقتصاديا خالصا ، فمن خلالها سوف يدخل المسلمون مجال ثورة المعلومات والاتصالات ، والتطور التكنولوجى ، فيكون لنا الاعلام الاسلامى الخاص بنا الذى يحمى هويتنا الاسلامية ، وقيمنا ، ومنهاج حياتنا ، فى الوقت الذى سوف يسمح للامة الاسلامية بالتفاعل مع غيرها من موقع المؤثر فى الاخرين لا التابع المتأثر بالثقافات والحضارات الاخرى .

إن قيام السوق المشتركة بين أقطار الامة الاسلامية صار « حتمية شرعية » لاخراج الامة مما هى فيه من غمة ، ولاستعادة وحدتها ولامتلاك مقدراتها وتبوء مكانتها بين الامم .

ونحن لا نطالب المسلمين بالبدء من فراغ فلدينا بالفعل مقومات إقامة هذه السوق ، بل إن لدينا مؤسسات اسلامية تصلح أجهزة لاقامة وادارة هذه السوق .

وليس الأمر بهذه السهولة فأمامنا معوقات لابد من إجتيازها ، كما أن علينا أن نمتلك بعض الآليات التى نصنعها بأيدينا ، وعلينا أن نجاهد ونصبر وألا نفقد الهدف كى نصل إليه .

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهـــدوا منكـــم ويعلـــم الصابريـــــن » (آل عمران/١٤٢) .

د. عبدالله نجيب محمد

جغرافية المنطقة :

شرق افريقيا ، اصطلاح يطلق الآن على أوغندا وكينيا وتنزانيا (تنجانيقا ــ سابقا) والجزر الساحلية المقابلة لكينيا وتنزانيا فى المحيط الهندى ، علاوة على زائير . ومجموع مساحة الاقليم نحو من مليونى كم مربع ، تمتد من خط عرض ٥ شمالا إلى خط عرض ١٠ جنوبا ، ولهذا فهو إقليم استوائى ، ولكنه يمتاز عن الأقاليم الأستوائية الأخرى بميزات خاصة فى الموقع والتضاريس والمناخ والحياة النباتية وتوزيع اليابس والماء ، مما تنعكس آثاره على أنماط الحياة النشرية جملة .

والأقليم يعتبر وحدة طبيعية لها خصائصها العامة فهو يطل بجبهة بحرية طويلة على المحيط الهندى ، حيث تصطدم أمواجه الدافقة بسلسلة ممتدة من الحواجز المرجانية توازى الشاطىء ، كما تلحق به مجموعة من الجزر أهمها «زنجبار» و «بمبا» .

أما الداخل فعبارة عن سهل ساحلى يختلف ضيقا واتساعا من جزء إلى آخر ، تتناثر فوقه أشجار نخيل جوز الهند السامقة وأشجار الياوباب الضخمة ، وإذا ما اتجهنا من هذا السهل الساحلى إلى الداخل ، وجدنا الأرض عبارة عن هضبة تشرف على السهول بحافات واضحة المعالم ، يتلوها مرتفعات ذات تربة بركانية عالية الخصوبة ، يزداد فيها المطر ويعتدل الجو ، ويتكاثر السكان .

التجارة والنازحون والإسلام :

ومن أقدم الأزمان تواصلت أسباب التجارة بين مصر الفرعونية وشرق إفريقيا ، كما تواصلت تلك الأسباب بينها وبين الساحل الآسيوى ، بعد اكتشاف أسرار الرياح الموسمية التى تهب على آسيا صيفا ومنها شتاء .

كذلك هاجر إلى المنطقة منذ أزمان سحيقة أيضا جماعات من العرب ، وأنشأوا لهم مراكز على الساحل ، فلما ظهر الإسلام وحملة أهله إلى كل مكان ، ذهب بعضهم أيضا إلى شرق إفريقيا ، وقاموا على طول الساحل من الصومال شمالا إلى موزمبيق جنوبا ، ومن الساحل انتشروا إلى أعماق القارة على روافد نهر الكونغو ، وقامت للمسلمين عدة إمارات فى كل المدن تقريبا .

بداية استعمارية :

ثم وفد البرتغاليون ــ وهم فى طريقهم للبحث عن طريق جديد إلى الهند ــ إلى ساحل شرق إفريقيا ، وبدأوا حربا صليبية ضد المدن والإمارات الإسلامية ، وسيطروا على معظمها فترة من الوقت حيث تركوا آثارا سيئة فى حياة البلاد ، وقضوا على النهضة الإسلامية بها ، ثم لم يلبث شعب عمان منذ منتصف القرن السابع عشر أن وجه عنايته نحو الساحل ، واستطاع طرد البرتغاليين من البلاد نهائيا عام ١٧٣٠ م وأنشأوا لهم دولة أسيوية إفريقية كان لها أكبر الأثر فى حياة السكان حتى يومنا هذا .

أنتشر الاسلام فى الجزر ، وامتد إلى الداخل فى «تنجانيقا» وغلب عليها ، كما غلب على الساحل الكينى من (كيسمايو) فى الشمال إلى مدينة (كمباسا) فى الجنوب .

أما أوغندا فقد امتد الإسلام إليها منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وانتشر بثلاث تيارات :

أولهما : قادم من ساحل شرق إفريقيا ، من مستقره الأصلى فى زنجبار .

وثانيهما : قادم من الشمال من السودان .

أما الثالث : فقد تم على يد فصائل من بقايا القوات المصرية السودانية التى لجأت واستقرت بقيادة أمين باشا فى هذه البلاد ، بعد احتلال الانجليز لمصر والسودان .

وكانت مصر قد أوفدت «صمويل بيكر» فى حملة إلى أعالى النيل والأقاليم الأستوائية عام ١٨٦٩ م بهدف فتح طريق التجارة والحضارة إلى هذه البلاد ، ولكن (بيكر) هذا أثار الفتن وفتك بالناس ، فعهدت الحكومة المصرية إلى «غوردون» حوالى سنة ١٨٧٣ م بإصلاح ما أفسده سلفه ، وطلبت فى تعليماتها أن يعمل على العناية بإنشاء علاقات ود وصداقة مع أهل البلاد حول البحيرات الكبرى وأعالى النيل .

وقد أبدى حكام المنطقة وملوكها رغبة أكيدة فى عقد أواصر الصداقة مع الحكومة المصرية . وطلب الكاباكا «موتيا» إرسال فقيه يلقنه وشعبه تعاليم الإسلام ، وبالفعل أرسل إليه من يعلمه الإسلام ، فدخل هو وشعبه فى الدين الحنيف ، وبدأ دور جديد فى انتشار الإسلام وتعلم اللغة العربية ، وانفتح باب واسع للحضارة والثقافة على هذه البلاد ، كما انفتح الطريق

أمام التجار القادمين من السودان ومصر إلى هذه المناطق .

التآمر الانجليزى :

أثار دخول « موتيا » فى الإسلام حفيظة تجار زنجبار الذين كانوا يحتكرون التجارة مع حكام هذه البلاد ، واستغل « جون كيرك » قنصل بريطانيا العام فى زنجبار هذا التنافس ، وأرسل إلى بريطانيا عام ١٨٧٦ يقول[١] : إن الخديوى يهدف إلى احتكار التجارة بمنطقة البحيرات ، وإبعاد الآخرين ، ويتضح هذا جليا من نشاط الكولونيل غوردون وأعوانه من الضباط ، واتصالهم بموتيا الحاكم المستقل لشمال بحيرة فيكتوريا ، وهذا بالطبع يرمى للحد من نشاط تجار زنجبار وإقصائهم ، وقد كانوا يتمتعون بنفوذ واسع منذ أيام الكابا « سنا » والد الملك الحالى ، وقد تمكنوا بالفعل من إقناع الكاباكا الحالى « موتيا » باعتناق الإسلام ، قبل أن تطأ أقدام المصريين منطقة أوغندا »[٢] .

التنصير :

وأسرع قنصل بريطانيا العام فى زنجبار ، وبعث إلى « هنرى رايت » السكرتير العام لجمعية الكنيسة التبشيرية بلندن يحثه على إرسال بعثة من المنصرين الأوروبيين إلى أوغندا ، وأوضح له أهمية ذلك من الناحية الدينية والسياسية ، ثم اضاف يقول : « وإذا اعتنق موتيا النصرانية ، وعمل على انتشارها بين أفراد شعبه ، فإن هذه الخطوة تبدو أنها الفرصة الوحيدة والأخيرة لنا لإنقاذ إفريقيا الوسطى من نفوذ الإسلام الذى يقطع علينا سبيل الرجاء ، ولهذا السبب إن لم يكن لغيره يجب إبعاد المصريين عن المنطقة ... وإننا نرتكب خطأ مميتا إذا سمحنا باستمرار زحف المسلمين على كلا الدولتين (يقصد الحبشة وأوغندا) أهـ .

وتجمع كل المصادر على انتشار الإسلام فى المناطق الشمالية من أوغندا بالتسامح والتدرج والعفوية والمخالطة بالزواج والمصاهرة ، وكانت معسكرات الجيش المصرى بمثابة مراكز للإشعاع الحضارى والثقافى ، كما أن المدرسة والمسجد اللذين كانا مخصصين للضباط والجنود وعائلاتهم ، صارا نواة لمدارس ومساجد أخرى فى منطقة (أتشولى) و(بنيورو) و(اولاى) و(فاتيكو) وغيرها[٣] .

وقد استمر انتشار الإسلام على الرغم من هزيمة المهدية وقيام الحكم الثنائى فى السودان[٤] وكان للموظفين والحاميات العسكرية أكبر الفضل فى هذا الانتشار ، كما أن الإسلام وجد قبولا وترحيبا من الأفارقة فى كل مكان .

أما فى زائير فقد دخلها الإسلام من شرق إفريقيا ، ومن المناطق التى ينتشر فيها المسلمون حتى الآن « كاسونجو » و« كيسنجانى » وفى معظم الحوض الأوسط من نهر زائير ، كما يوجد المسلمون فى القطاع الممتد على نهر « لولابا » وفى مدينة « كينشاسا » وفى مناطق التعدين .

وكان هناك مركز تجارى هام للمسلمين فى مدينة « أوجيجى » على بحيرة تنجانيقا أيام ازدهار سلطنة زنجبار ، ومن هذه المدينة كان التجار المسلمون ينطلقون إلى داخل زائير ، وكان هذا الانتشار خلال القرن التاسع عشر ، وقد تكونت مدينتان إسلاميتان هما : « نيانجو » و« كاسونجو » على نهر زائير ، وأصبحتا مركز إشعاع إسلامى وسط الغابات الاستوائية الممتدة .

وقد زار المكتشفون الأوروبيون هذه المدن فأذهلتهم نهضة مدينة كاسونجو وتقدمها الزراعى الذى جاء به المسلمون ، وكان أحمد بن محمد بن جمعة المرجبى العمانى الأصل قد أسس مملكة إسلامية بوسط وشرق إفريقيا من منطقة « بانتلا » بين نهرى (لولابا) و(لوماس) ولكن للأسف الشديد حطم البلجيك هذه الدولة وألجأوا أحمد المرجبى إلى زنجبار التى توفى بها عام ١٩٠٥ م .

كذلك وصل الإسلام إلى زائير عن طريق محاور أخرى ، فوصلها من الشمال عن طريق السودان . وانتشر بين شعب (الزاندى) كما جاء الإسلام أيضا إلى

---

(١) رسالة مخطوطة بدار الوثائق بزنجبار « بالنص » .

(٢) المخطوطة .

(٣) راجع رسالة للسير حاكم عام السودان فى الفترة من ١٨٩٩ - ١٩١٦

(٤) السابق أيضاً .

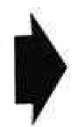

زائير عن طريق هجرة مسلمين من (مالى) و(السنغال) ودول غرب إفريقيا المسلمة .

منابع الأسى :

ويشعر الإنسان بالأسى والحزن عندما يراقب أحوال المسلمين اليوم فى زائير خاصة ، حيث نشطت البعثات التنصيرية فى ظل الاستعمار ، ومازالت تقوم حتى الآن بدور خطير فى تشويه تاريخ المسلمين ، والإشراف على التعليم والتنصير بين المسلمين ، مستغلين ظروفهم الاقتصادية السيئة ، وقد حكى لى طالب يدرس الإسلام واللغة العربية بمدرسة الرسول الاكرم بمدينة (نيروبى) : ان المسلمين الآن لايجدون من يعلمهم دينهم ، فهم مسلمون بالاسم ، كما أن أبناءهم يتعرضون للنشاط التنصيرى بل واليهودى ايضا ، خاصة فى المرحلة الابتدائية التى يتلقى فيها الاطفال تعليمهم الأساسى ، حتى إننا نجد الآن فى زائير ٢٠ الف مدرسة تنصيرية فى هذه المرحلة وحدها ، كما أن عدد البعثات التنصيرية (١٥) الف بعثة من مختلف الجنسيات الأوروبية والأمريكية فى حين لايوجد غير منظمة إسلامية واحدة فقيرة هى مدرسة المؤتمر الاسلامى الزائيرى ، وجمعية إسلامية ولايوجد غير مدرسة إسلامية عليا واحدة فى كنشاسا .

أما فى إفريقيا الوسطى التى تقع بين حوض نهر زائير ونهر « شارى » (تسارى) وتحد شرقا بالسودان وشمالا بتشاد وجنوبا بزائير والكونغو برازافيل ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة فقد تأثرت بالممالك الإسلامية المجاورة لها ، ومنها مملكة « كانم » التى كانت تقع إلى الشرق من بحيرة « تشاد » فى القرن الخامس الهجرى ، وقد قامت هذه المملكة بنشر الإسلام فى الجنوب حتى الأطراف الشمالية لإفريقيا الوسطى .

ومن جانب آخر كذلك ، أسهمت مملكـــة « البورنو » الإسلامية التى كانت تقع غربى بحيرة تشاد فى نشر الإسلام فى إفريقيا الوسطى وكذلك مملكة « الباجرمى » التى كانت تقع على نهر « شارى » فى القرن العاشر الهجرى .

ويقوم التعليم الإسلامى فى هذه البلاد على عدد قليل من الكتاتيب الأهلية الملحقة بالمساجد والمدارس وهى لاتزيد على عدد أصابع اليد الواحدة ومن هذه « مدرسة فى حاجة إلى ترميم وأثاث ثم مدرسة النصر الإسلامية وبها حوالى ٣٥٠ تلميـــذا ثم (مدرسة الفـــلاح الإسلامية) وجميعها فى « بانجى » وكلها فى حاجة إلى معلمين مدربين وكتب وأثاث وغير ذلك ، وتوجد فى إفريقيا الوسطى جمعية إسلامية واحدة تأسست عام ١٩٨٤ . وفى المقابل يوجد نشاط تنصيرى واسع ، خصوصا بين الوثنيين الذين يبلغ عددهم نحو ٥٠٪ من جملة السكان ، ويبلغ النصارى الآن مع ازدياد النشاط التنصيرى حوالى ٣٥٪ أما المسلمون فلا يزيدون عن ١٥٪ من جملة السكان .

معاناة المسلمين :

يعانى المسلمون فى كل البلاد الأفريقية ، وشرق إفريقيا بصفة خاصة من الضغوط التنصيرية الهائلة ، وسياسات التغريب ، كما يعانون من ضعف التعليم اسلامى ، وقلة المعلمين والوسائل التعليمية الأخرى ، ومن المعروف أن مجلس الكنائس العالمى قد أعد خطة شاملة تشارك فيها جميع الامم التنصيرية لجعل النصرانية دين الأغلبية فى كل وسط وجنوب القارة ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد ، خصوصا فى كينيا وزائير وشمال تنزانيا ، فهل يتعاون المسلمون ويعدون فى المقابل خطة عامة تتوحد فيها جهودهم للوقوف أمـــام المد التنصيرى ، ورفع معنويات المسلمين فى هذه البلاد ؟ نأمل من كل قلوبنا أن يتحمس المسلمون لهذه الغاية فيمدون أيديهم لاخوانهم فى هذه البلاد قبل فوات الأوان ، تلك البلاد التى هى الظهير الخلفى للعالم العربى قلب الإسلام النابض .

أيها الحائرون

بقلم فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

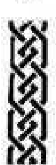

كل إنسان يحس فى قرارة نفسه بقوة تأمره بالخير والبر ، وتنهاه عن السوء والشر ، فإذا استجاب هواتفها الطيبة النبيلة استمر فى فعل الخيرات وابتعد عن ارتكاب الموبقات ، وقام بأداء الواجبات ، وبهذا يطمئن قلبه ويستقيم أمره وينشرح صدره ويرتفع قدره ويعلو شأنه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام ٨٢) وذلك لأن النفس الطاهرة الأبية لاتنخدع ببريق الأهواء ولا يغريها الإغواء ولا تستميلها الوساوس والهواجس ، ولاتعيش لذاتها وملذاتها ولكنها تمشى فى الحياة بخطوات مسددة موفقة ترضى الله ، وبهذا لاتضل ولاتشقى ، ولاتذل ولاتخزى ، ولا تعتز إلا بالله ولا تعبد إلا إياه ، ولا تستعين بأحد سواه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل ٩٧)

والله يريد من عبده المؤمن ألا يرتكب الذنوب والعيوب ، لأن الوازع الدينى فى صدور المتقين الأبرار يحذر وينذر ويباعد بين المرء وخطيئته فإذاهم بالإثم جاءته المخاوف من كل مكان واعتراه القلق النفسى ، وهنا يستيقظ ضميره ويحضره يقينه ويعصمه دينه ، فيراقب ربه سرا وعلانية لعلمه بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (سورة الحديد ٤)

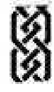

الضمير هو القاضى الذى لا يحابى

الضمير (وهو الوازع الدينى) هو الآمر الناهى المحاسب المعاتب المراقب ، وهو القاضى الذى لا يحابى ولا يجامل ، ولا يخدعه التضليل ولا المغالطة أو سفسطة التدليل ، ولا سيما إذا استمد قوته من خشية الله ومراقبته وحده فى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت : والله يقول :

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة الرعد ـ الآيات : ٨ ـ ١٠)

وصاحب الضمير الحى الذى لا يموت يعيش مطمئن القلب هادىء البال مستريح النفس فلا هم ولا غم ، ولا جزع ولا فزع .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

سورة الرعد : ٢٨ ـ ٢٩

الضمير حاسة خاصة

والضمير حاسة قوية تؤنب من يفعل خطيئة (سراً أو علانية) ولو بتأويل خاطىء أو بشبهة فى التفسير ، فإذا أقبل العبد بقلبه على ربه وتاب من ذنبه فسوف يجد الله تواباً رحيماً إذا حسنت نيته وطهرت سريرته ، وبيقظة الضمير يكون الندم والحسرة على ما فعل من زلة بجهالة ﴿ كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ﴾

ومن رحمة الله بالعباد أن جعل باب المتاب مفتوحاً ، لأن الله هو غافر الذنب وقابل التوب ، وهو القائل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾

(سورة الأعراف ـ الآية : ٢٠١)

وللجماعة ضمير يستيقظ فيوحى بالتعاون على البر والتقوى وبهذا تسعد الجماعة كما يسعد الفرد بيقظة الضمير ، لأنه ما استقامت حياة ولا نهضت مجتمعات إلا بيقظة الضمائر ورقابة الوازع الدينى كما حدث فى أيام الإسلام الأولى بأن وجد يومئذ من بين سكان التلال والجبال القادة والأبطال ، ومن بين رعاة الإبل والغنم قادة الشعوب والأمم ؛ أولئك الذين رفع الله بالإيمان أقدارهم وشرح بالإسلام صدورهم فملأوا الأرض عدلاً وأمناً وسلاماً ، والله يقول :

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

(سورة الأحزاب ـ آية : ٢٣)

وللجماعة ضمير

وقد يمرض ضمير الجماعة كما يمرض ضمير الأفراد فيعتريها الاستهتار والتسيب واللا مبالاة فيضعف الوازع الدينى والانتماء الوطنى والوفاء العائلى والتكافل الاجتماعى والإحساس بالمسئولية ، ويومئذ يختلط الشر بالخير والفضائل بالرذائل ، ويصور لنا خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله صاحب الخلق العظيم مجتمعاً هذا حاله فيقول ـ ﷺ ـ : « كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن ؟!!

• ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم .

• وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا .

• وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين ونقص المؤنة وجور السلطان .

• ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط الله عليهم عدوهم فاستنفد بعض ما فى أيديهم .

• وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيهم إلا جعل بأسهم بينهم .

لقد استعاذ الرسول بالله ـ إشفاقاً على المسلمين ـ أن يدركوهن أو أن توجد فيهم ، لأنها محن تصيب جسماً غير متماسك بسبب عدم الالتزام بمبادىء دين الله وهى التى كونت أمة وبنت دولة قال لها ربنا :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ... ﴾

فإذا أصيب مجتمع ما (أى مجتمع) بمثل هذه الأمور فعليه أن يغير ما به ليغير الله حاله إلى حال أحسن :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... ﴾

مجتمع الضمائر الحية

المجتمع المسلم هو مجتمع الأخلاق الكريمة ، وهو مجتمع الإيمان والأمانة ، هو مجتمع الصدق فى القول والفعل ، وهو المجتمع القوى الذى يحمى أوقاته من الضياع بتأدية الواجبات ، وبالإخلاص لله فى العبادات وحسن المعاملات ، إنه هو المجتمع الذى يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بإحياء الروح الإسلامية فى أبناء الأمة المحمدية والله يقول :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾

(سورة الفتح ـ آية : ٢٩)

هذه صورة الأمة المحمدية مرسومة على صفحات القرآن الكريم وهى الهيئة التى يجب أن يكون المسلمون عليها دائماً ، ولئن كان الوحى قد انقطع منذ قبض رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى لكن بقى معنا أعظم ما جاء به الوحى وهو القرآن الكريم الذى جعله الله باقياً إلى يوم القيامة ليكون شرعة ومنهاجاً . وفى الحديث « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى » وذلك لأن كتاب الله جاءنا بكل الفضائل ، ونهانا عن كل الرذائل وهذه صورة أخرى للمؤمنين ذوى الضمائر الحية فى كتاب الله الخالد (القرآن) .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾

(سورة التوبة ـ آية : ٧١)

وهذا الكتاب المبارك الذى تركه فينا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هو منهاج المسلمين وطريق المصلحين فى كل وقت وحين وأما سنة رسول الله فهى أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته ، وهو ـ ﷺ ـ قدوة المسلمين اجمعين :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾

(سورة الأحزاب ـ آية : ٢١)

لأن الله قد اصطنعه لنفسه وجعله أسوة حسنة لمن يقتدى به فى كل زمان ومكان ، وذلك لأن الإسلام قد انتشر بالقدوة كما انتشر بالدعوة وعلينا أن نعلم علم اليقين أن سيد البشرية وأستاذ الإنسانية هو قدوة الشيب والشباب فى شتى العصور والدهور ، ولو اتبعوا سبيله لسعدوا وسادوا :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾

ثم أرأيت كيف رد الرسول صلوات الله وسلامه عليه الخصوم إلى ضمائرهم فى القصة المشهورة الآتية :

« كان النبى ـ ﷺ ـ ذات يوم فى حجرة زوجه أم سلمة رضى الله عنها فسمع ببابها نزاعاً ارتفعت فيه

الأصوات ، وعلا بعضها على بعض ، فخرج إليها فإذا هم خصوم يتنازعون حقوقاً بينهم ، وقد جاءوا إليه - ﷺ - ليفصل بينهم فابتدرهم بقوله « إنما أنا بشر » وإنه يأتينى الخصم ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحسب أنه صادق ، فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها !!!

وفى الخصومات مجال للأهواء والمغالطات ، ولكن الحياة تحتاج لمن يحق الحق ويبطل الباطل إنصافاً للمظلوم من الظالم ليرتدع الظالم : وبالعدالة تستقر النفوس ليقف كل إنسان عند حده ، ولهذا حذر الرسول من المغالطات التى تحل حراماً أو تحرم حلالاً ، ولكن مراجعة النفس ويقظة الضمير تقى من الإثم الموصل إلى النار ، والإسلام يبين لنا أنه لا مسئولية على القاضى إذا أخطأ ما دام يقضى بظاهر الأدلة ووضوح الأمور عنده وبشهادة الشهود ، ولكن المسئولية كل المسئولية على المحتالين على أكل أموال الناس بالباطل بالتزوير والتدليس ، والله يقول :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة آية : ١٨٨)

وهذه موعظة أخرى يتجسد فيها الورع والأمانة فى أكمل صورة وأعظم عبرة وأكرم قوة تنتصر على النفس والهوى والشيطان باتقاء الشبهات وتجنب المحرمات ويقظة الضمير وحياة القلب المؤمن والعقل السليم ، حيث لا طمع ولا جشع ولا أنانية .

عن أبى هريرة رضى الله عنـــه أن رسول الله - ﷺ - قال : اشترى رجل من رجل عقاراً له : فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب فقال الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب ، وقال الذى له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما إليه ألكما ولد ؟ فقال أحدهما لى غلام . وقال الآخر لى جارية . قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا .

وهكذا كان يتعامل الناس .

سفينة المجتمع كما تصورها السنة

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى - ﷺ - قال : مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً .

(رواه البخارى والترمذى)

والله يقول :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾

ويقول جل جلاله :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾

(سورة محمد - آية : ١٧)

الإسلام يريد من المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى، وألا يتركوا من يريد أن يتعاون على الإثم والعدوان دون أن يرشدوه إلى ما ينبغى ، فلا يسمح لمن يريد أن يخرق سفينة المجتمع أن يخرقها ليغرق أهلها كما بين الحديث الشريف ، لأن للجماعة كياناً حيًّا متماسكاً ، وللرأى العام المسلم سلطان مبين يحمى الحق ويصون السلام ويحفظ الأمن ويفعل الخير والبر ويتمسك بالفضائل ويبتعد عن الرذائل . فإذا لم يتناهى المسلمون عن المنكر استحالت حياتهم إلى فوضى ودمار ، وتلك هى مسئولية الجماعة . ومن الناس من يسمى الإباحية حرية والهمجية مدنية ولن ينجح مجتمع يسمى الدعارة حضارة ، لأن هذا هو منطق شياطين الإنس والجن من دعاة الانحلال والفوضى والحماقة والعبث المؤدى إلى السقوط !

﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③ ﴾

(سورة العصر)

السلبيـــة

السلبية الضارة ، هذه السلبية أخطر شىء يصيب المجتمعات ويسبب لها النكبات والويلات ، لأن كل بلاء يصيب البشرية إنما يكون بسبب الأنانية والأثرة والانتهازية والفردية والانعزالية والشح الكريه الذى يجعل الإنسان مبتوت الصلة بالناس ولو كانوا أولى قربى فلا يفعل إلا ما تشتهيه نفسه ، فهو يعيش لذاته ، فما نشأ الطمع والجشع والشح ومنع الخير عن الغير إلا بسبب نومة الضمير ويقظة الأثرة فى نفوس السلبيين ، والله يقول :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ⑥ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ⑨ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ⑩ (سورة الليل ـ آية : ٥ ـ ١٠)

والجماعة مسئولة عن الفرد « كركاب السفينة » الماخرة فى اليم وفيها فرد يريد أن يخرق فى نصيبه خرقاً ، ولو لم يمنعوه لغرقوا والله يقول :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

(سورة الأنفال ـ آية : ٢٥)

هم ليسوا أحراراً

والذين حدثتهم نفوسهم بأنهم أحرار فى نصيبهم فى السفينة ـ لو أرادوا أن يفتحوا فيه ثغرة وسط البحر هم كذابون ، هم أحرار ـ لو كانت السفينة ملكاً خاصاً بهم ، ولو لم تكن تسير فى اليم والله يقول :

﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾

ومن مثل قولهم هذا .. ما يقوله الدهماء والرعاع والسوقة حينما يبررون فجورهم باسم الحرية الشخصية ومثل هذا ما يفعله كل من يريدون استباحة أموال الناس بالباطل مستظلين بظل من يعينهم على هذا العبث (بمال أو جاه) فتزلزل أركان الأمانة والعدالة فى نفوس من يعرفون الباطل ويعينون عليه ، وللرذيلة جنود فى كل مكان ، يزينون سوء العمل ليراه الناس حسناً وهؤلاء هم أعداء الحق والهدى والخير .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑪ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ⑫ ﴾

(سورة البقرة)

شهادة الزور وفقدان الضمير

شهادة الزور من الكبائر :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ صلى صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله : عدلت شهادة الزور الإشراك بالله . عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، ثم قرأ :

﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ﴾

(سورة الحج ـ آية : ٣٠ ـ ٣١)

ورحم الله القائل :

يا شهد الزور أنت شر موزور ، ضللت القضاة وحلفت كاذباً بالله ، ونلت الأبرياء بأذاة ، وحُلت بين القصاص والجناة ، والله يقول : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ (أسواق الذهب) .

شاهد الزور شر موزور لأنه فقد الحياء من الله ومن الناس ففقد الإحساس بالذنب ، فضل الطريق إلى التوبة والعودة إلى مراقبة ربه التواب الرحيم ، فليس أصدق فى النفس من شعور بالندم عند الإحساس بآلام الذنب ، تلكم الآلام التى تحس بها النفس اللوامة وبآلام الوخزات فى الضمير حينما يصحو ويستيقظ من ثباته ، ثم يتذكر قول الله تعالى فى سورة النور :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ⑩④ ﴾

سورة التوبة ـ اية : ١٠٤

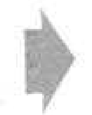

والله يقول :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾

(سورة طه ــ آية : ٨٢)

وبالتوبة الصادقة تتم السعادة والراحة ، وأما من تمرد وطغى وأصر على ارتكاب الكبائر ومنها شهادة الزور أو كتمان الشهادة ، أو الوان أخرى من الجرائم فقد تعرض لوعيد الله ، وعذابه وانتقامه ، وهو القائل :

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ . . .

(سورة البقرة ــ آية : ٢٨٣)

ولا ريب أن الشاردين من ربهم المقيمين على ذنبهم أولئك هم شر البرية .

هذا وليس قول الزور خاصاً بما كان أمام القضاء بل إن الترويج للباطل قول زور ، ووصفك إنساناً بغير ما فيه قول زور ، وتشويه سمعة المخلصين المجدين عند رؤسائهم شهادة زور ، وكل ما يجافى الحقيقة من قول شهادة زور وحسب هؤلاء المتلبسين بالزور قول الرسول لأصحابه يوماً فى اهتمام تام :

ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ــ وكررها ثلاثاً ــ ؟ قالوا بلى يا رسول الله : قال الإشراك بالله وعقـــوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس وقال : ألا وقول الزور . ألا وشهادة الزور . فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت !

جريمة الكذب

ولا يشك مسلم فى جريمة الكذب التى حرمها الإسلام وجعلها من النقائص فى الرجال كما جاء فى القرآن الكريم .

﴿ ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾

﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾

وروى أن النبى ــ ﷺ ــ قال للحسن بن على رضى الله عنهما : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة .

وروى صفوان بن سليم قال : قيل للنبى ــ ﷺ ــ أيكون المؤمن جباناً قال نعم : قيل : أفيكون بخيلاً قال نعم . قيل أفيكون كذاباً قال لا !

وقال حكيم : الكذاب لص : اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك ، ولا يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عند نفسه .

وقال الجاحظ : الصدق والوفاء توءمان والصبر والحلم توءمان وفيهن صلاح الدين والدنيا والله يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾

(سورة التوبة ــ آية : ١١٩)

ولا يكذب من اكتملت رجولته ، وفى غيبة الضمير يجد الكذب المجال فيفقد الكذاب نخوته وشهامته ومروءته .

الحارس القوى الأمين

لا ريب أنه لا تصلح أمة إلا بصلاح ضمائر أفرادها : لأن للضمير سلطاناً مبينا على الحاكم والمحكوم على حد سواء ، والله رقيب لا سلطان لأحد عليه ، بيده الأمر يعطى ويمنع ويضر وينفع ويعز ويذل ويقبض ويبسط وهو على كل شيء قدير ، الكون فى قبضته والسموات مطويات بيمينه :

﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾

والله يقول : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ ﴾

(سورة الملك ــ آية : ١٣ و ١٤)

ويقول الترمذى رحمه الله : أجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، وأجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله بغافل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

وذلك لأن الله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يغيب عنه شيء فى الأرض ولا فى السماء ولكنه رحيم بعباده يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، والله يقول :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) ﴾

(سورة الزمر الآيات : ٥٣ ـ ٥٥)

ولو علم المسلم حقاً أنه مسئول مسئولية كاملة عما قدم وأخر لكان أشد خشية لله من عباد الله :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) ﴾ الانشقاق

المشاكل وغيبة الضمير

إن كل ما على ظهر هذه الأرض من مشاكل مرده إلى البعد عن رب الناس ملك الناس إله الناس ويترتب على ذلك غيبة الوازع الدينى (الضمير) الذى يحاسب ويراقب ويعاقب . فاتبع كلٌّ هواه وأطاع شيطانه : والله يقول لنبيه داود عليه السلام ـ وقد كان رسولاً نبياً وملكاً تقياً قويا :

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) ﴾

(سورة ص ـ آية : ٢٦)

وأما الرحمة فدليل على رقة القلب ونقاء الوجدان وسلامة الصدر ومن لا يرحَم لا يُرحم ، ومن لم يرحم نفسه لن يرحم غيره . وقد قيل إن محفظاً للقرآن ضرب طفلاً وأحدث به كسراً أو جرحاً فقلت لو رأيته لقلت له : إن القهر يحزن النفس ويصد عن الرغبة فى العلم وعن حفظ القرآن ويبغّض كل مدرسة ويدعو إلى الكسل وخيبة الأمل ، والقهر يحمل على الخداع والكذب وسوء التصرف والخبث ويربى الطفل على الجبن والحزن !! ويبعده عن حب العزة والحرية وبناء الشخصية وينافى قواعد التربية السليمة الصحيحة ، لأن التربية تقوية وصناعة وتوجيه وقدوة حسنة وحذق وذكاء ، وعطف فى غير ضعف وقوة فى غير عنف .

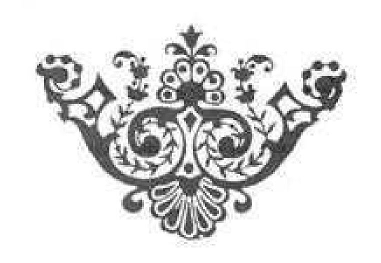

أمجاد الأسطول الإسلامى الأول

فى معركة ذات الصوارى

صفر ٣٤ هـ - أغسطس ٦٥٤ م

لواء ا . ح محمد جمال الدين محفوظ

● بيزنطة والبحر الأبيض المتوسط

كان للدولة البيزنطية (الروم) فى العصور الوسطى السيطرة والسيادة على البحر الأبيض المتوسط بلا منافس .

فعلى شواطئه الشمالية امتدت أملاكها إلى شبه جزيرة البلقان والجزر الملحقة بها وآسيا الصغرى ، ومن الشرق كان يتبعها سوريا وفلسطين ، ومن الجنوب مصر وشمال افريقيا ، كذلك امتد سلطانها السياسى إلى وسط وجنوب إيطاليا وبعض بلاد محددة ولفترة قصيرة على الساحل الجنوبى الشرقى لأسبانيا القوطية .

وكان لبيزنطة أسطول دائم ومهيب وعدة قواعد بحرية ودور للصناعة (صناعة السفن) فى القسطنطينية وعكا والاسكندرية وقرطاجة وسرقوسة بصقلية ورافنا بإيطاليا وغيرها ، فقد بلغت عنايتها بالسلاح البحرى أقصاها منذ عهد جستنيان (يوستانيوس) فى منتصف القرن السادس الميلادى وعهد هرقل قبل منتصف القرن السابع ومن جاء بعده من الأباطرة .

وإلى جانب الأسطول البحرى ، كان لبيزنطة عدد من السفن التجارية تستخدم فى عمليات نقل الجند والإمدادات ، وكانت تتحكم فى منافذ البحر الأبيض : القسطنطينية ومصر وسبته ، مما استحال معه دخول أية تجارة خارجية إلى هذا البحر دون موافقتها ، وشملت تجارتها العالم كله آنذاك .

● الأسطول الإسلامي

وجد المسلمون ـ خلال فتوح الشام ـ أن الأسطول البيزنطى مصدر تهديد خطير ومباشر لأمنهم وأمن المناطق المفتوحة واستقرار الإسلام فيها ، فأدركوا أن بناء أسطول إسلامي ضرورة حيوية من الناحية الاستراتيجية ، فكانت نواة هذا الأسطول من السفن التى وجدوها فى موانىء الشام ومصر ، ثم انطلقوا إلى صناعة السفن فى دور الصناعة ، وهكذا دخل السلاح البحرى فى الاستراتيجية العسكرية الإسلامية لأول مرة فى تاريخ المسلمين[1] وبدأ هذا السلاح الناشىء فى سرعة مذهلة فى ممارسة العمليات البحرية .

وكان من الطبيعى ألا تقف بيزنطة مكتوفة الأيدى أمام تلك القوة البحرية التى قامت فى البحر الأبيض المتوسط وأصبح تحت يدها أغلى ما كانت تملك من دور للصناعة وقواعد بحرية فى عكا والاسكندرية ، الأمر الذى يشكل تهديدا خطيرا لسيادتها البحرية التى امتدت زمنا بلا منافس .

وقد اتخذت العمليات البحرية للأسطول الإسلامي شكلين :

الأول : عمليات إغارة على جزر البحر الأبيض ذات الأهمية الاستراتيجية فى تأمين الشام ومصر مثل قبرص وردوس وغيرهما .

الثانى : عمليات قتال ضد أسطول بيزنطة مثل معركة ذات الصوارى موضوع هذا البحث .

● أسباب المعركة

يقول أرشيبالد . ر . لويس ـ بعد أن تحدث عن غزو الأسطول الإسلامي لقبرص[2] : « ويظهر أن الغارات التى انتهت باحتلال الجزيرة ، أثارت حماسة الدولة البيزنطية نحو البحر ، ودفعتها للقيام بعمليات بحرية جديدة ، وكانت هذه العمليات قد توقفت منذ فشلها فى معركة الاسكندرية[3] عام ٦٤٥م (٢٥هـ) وفى عام ٦٥٥ أعد قسطانز الثانى خليفة هرقل أسطولاً كبيرًا تراوح عدده من (٧٠٠) إلى (١٠٠٠) سفينة شراعية ، والتقى هذا الأسطول فى السنة ذاتها بأسطول صغير مشترك بين العرب والمصريين مكون من مئتى سفينة اقلعت من شواطىء سوريا قرب موضع يقال له فونيكس Phoenicus بآسيا الصغرى ، وتعرف هذه الواقعة بواقعة ذات الصوارى »[4] .

ويقول إرنست وتريفور ديوى : « لقد بدأ العرب بشدة فى تحدى سيادة بيزنطة البحرية وهزموا أساطيل الامبراطور قسطانز الثانى واستولوا على بعض الجزر فى شرق البحر الأبيض المتوسط » .

ويقولون فى موضع آخر : « وفى البحر استولى (المسلمون) على رودس ٦٥٤م وهزموا (أسطولا) بيزنطيا يقوده بنفسه قسطانز فى معركة بحرية عظمى خارج ساحل ليكيا ٦٥٥م »[5] .

---

(١) انظر مقال « إنشاء الأسطول الإسلامي لأول مرة فى التاريخ » فى العدد السابق للمجلة .

(٢) بدأت عمليات البحرية الإسلامية النامية بغزو جزيرة قبرص عام ٢٨ هـ .

(٣) فى عهد الامبراطور قسطنطين الثانى (أوقسطانز) جهز أسطولا من ٣٠٠ سفينة لاسترداد الاسكندرية سنة ٢٥ هـ من أيدى المسلمين الذين فتحوها عام ٢١ هـ لكنه فشل فى استردادها .

(٤) أرشيبالد . ر . لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى ص ٩١ .

(٥) Ernet Dully and Trevor N. Duouy :
The Encyclopedia OF Military History
Fronl 3500 B.C. to rhe Presellt. P222 - 223

ويقول د. عبد المنعم ماجد : « ويظهر أن النشاط المتزايد من قبل العرب ، أخاف بيزنطة بحيث أن الامبراطور قنسطانز الثانى (٦٤٢ - ٦٦٨) جمع عددا من المراكب لم يجمعها من قبل تزيد على ألف مركب ، وسار بها بقصد ملاقاة أسطول العرب ، أو بقصد احتلال الاسكندرية العظمى أكبر موانىء البحر الأبيض فخرجت إليه أساطيل العرب فى أعداد كبيرة بقيادة عامل مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح »[٦] .

انتقام البيزنطيين لما أصابهم على أيدى المسلمين فى افريقيا واسترداد مصر

وذلك ما يراه الطبرى حيث يقول : « وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بافريقية »[٧] ، ويتفق معه فى ذلك ابن الأثير فيقول : « وأما سبب هذه الغزوة فإن المسلمين لما أصابوا من أهل افريقية وقتلوهم وسَبَوْهم (أسروهم) خرج قسطنطين بن هرقل فى جمع له لم تجمع الروم مثله مُذ كان الإسلام »[٨] .

وقال عبد الرحمن الرافعى وسعيد عاشور : « وفى سنة ٣٤هـ (٦٥٤م) خرج الامبراطور قنسطانز الثانى على رأس حملة بحرية كبرى فى محاولة للاستيلاء على الاسكندرية واسترداد مصر من العرب »[٩] .

● إجهـــاض تدابير المسلـــمين لغـــزو القسطنطينية عاصمة بيزنطة

وذلك ما يراه المؤرخ البيزنطـى ثيوفـــانس Theophanes حيث يقول :

« فى هذه السنة جهز معاوية الجيش وزوده بأسطول ضخم قاصدا محاصرة القسطنطينية وأمر بتجميع الأسطول فى طرابلس فينيقيا ، فلما علم بذلك أخوان مسيحيان[١٠] من أهل المدينة ، هاجما السجن وحطما الأبواب وأطلقا سبيل جميع المحجوزين ، ثم هاجموا رئيس المدينة وقاتلوه وجميع رجاله وهربوا إلى تخوم الروم ، غير أن معاوية لم يغير رأيه فى حصار القسطنطينية ، بل جاء بجيشه (يقصد أسطول الشام ومصر) إلى (قيصرية) و (كبا دوكيا) وعين أبو لاباروس Abula Barus (يقصد عبد الله بن سعد بن أبى سرح) قائدا للأسطول ، فقدم هذا فينيقيا إلى مكان فى ليكيا أو (ليسيا) Lycia[١١] حيث كان الامبراطور قنسطانز مقيما بمعسكره وأسطوله ودخل معه فى معركة بحرية »[١٢] .

● حرمان المسلمين من الحصول على الأخشاب اللازمة لصناعة السفن

وهذا السبب ذكره أرشيبالد لويس كسبب محتمل لمعركة ذات الصوارى حيث قال : « ومما يلفت النظر أن المكان الذى دارت فيه المعركة ، وهو ساحل الأناضول يزدحم بغابات السرو الكثيفة ، وهو الشجر المستخدم فى صوارى السفن ، ولعل البيزنطيين قرروا القيام بتلك المعركة ليحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن هناك ، وبين وقوعه فى قبضة العرب ، وإذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلا على أهمية الخشب فى الصراع البحرى بين العرب وبيزنطة »[١٣] .

---

(٦) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ٢٩٠ .

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٥٨ .

(٩) عبد الرحمن الرافعى وسعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ص ٧١ .

(١٠) يعتقد أنهما من عملاء البيزنطيين وأنهما أبلغا الامبراطور بنوايا معاوية .

(١١) ليكيا Lycia موضع على الساحل بآسيا الصغرى (انظر الخريطة) .

(١٢) ثيوفانس : كرونوجرافيا Chronographus عمود ٧٠٣ لاتينى فى حوادث سنة ٦٤٦م .

(١٣) أرشيبالد . ر . لويس : ص ٩٢ .

● أحداث المعركة

والواقع أن الأسباب التى ذكرناها كما وردت فى المصادر والمراجع التاريخية أسباب مقبولة لأنها جميعا تعبر عن « الدوافـــع المنطقيـــة » و« الضرورات الاستراتيجية » من وجهة نظر البيزنطيين الذين رأوا أغلى ممتلكاتهم تسقط فى أيدى المسلمين فى الشام ومصر وافريقية ، وأدركوا خطر الأسطول الإسلامى الناشىء الذى يهدد سيادتهم البحرية فى البحر المتوسط .

وقد التقى الأسطول الإسلامى بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح والى مصر وكان يتألف من مائتى سفينة بالأسطول البيزنطى بقيادة الامبراطور قسطنطين الثانى خارج ساحل (ليكيا) فى آسيا الصغرى (انظر الخريطة) وكان يتألف من سبعمائة إلى ألف سفينة ، وجرت أحداث المعركة كما يلى باختصار :

أنزلت نصف قوة المسلمين إلى البر بقيادة (بسر بن أبى أرطأة) للقيام بمهام الاستطلاع وقتال البيزنطيين المرابطين على الساحل ، وذلك تطبيقا لواجبات أمير البحر عندما تكون المعركة البحرية قريبا من البر والسواحل والجزائر ، فعليه « ألا يهجم على المراسى لئلا تكون مراكب العدو بها كامنة ، ولا يتقدم إلى البر إلا بعد المعرفة والاحتراز من الأحجار والشعاب والأحارش التى تتكسر عليها المراكب ، وان كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك »(١٤) .

بدأ القتال بين الأسطولين ــ عندما أصبحت المسافة بينهما فى مرمى السهام ــ بالتراشق بالسهام .

وبعد أن نفدت السهام جرى التراشق بالحجارة ومن أجل ذلك كانوا « يجعلون فى أعلى الصوارى صناديق مفتوحة من أعلاها يسمونها التوابيت يصعد إليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها للكشف ومعهم حجارة صغيرة فى مخلاة معلقة بجانب الصندوق يرمون العدو بالأحجار وهم مستورون بالصناديق(١٥) (انظر الرسم) .

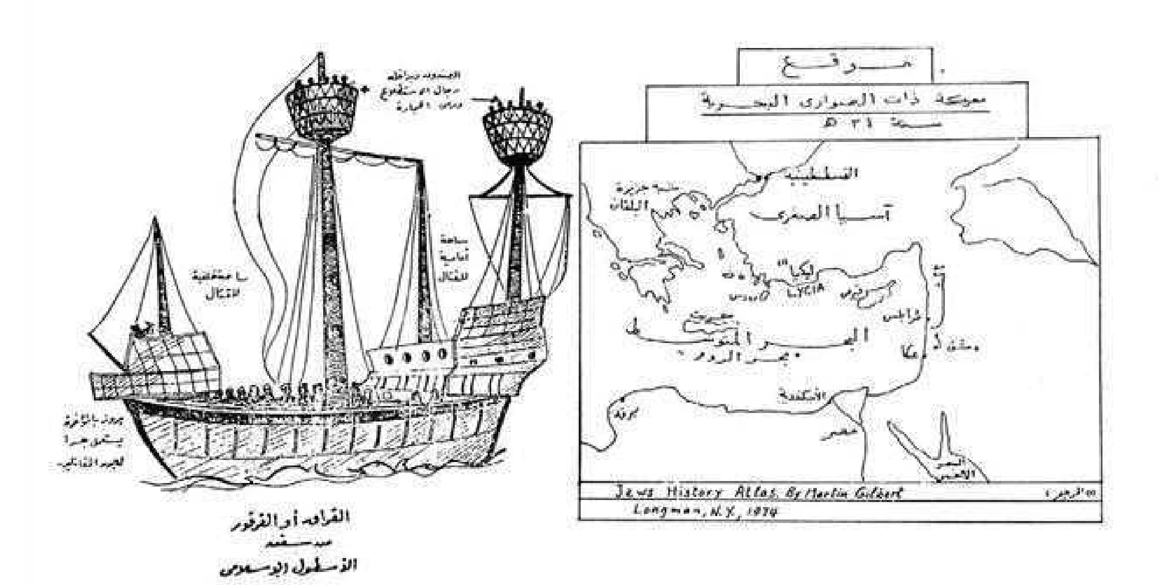

---

(١٤) عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الإسلامى ص ١٥ .

(١٥) نفسه : ص ٨ .

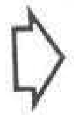

وبعد أن نفدت الحجارة ربط المسلمون سفنهم بسفن البيزنطيين وبدأ القتال المتلاحم بالسيوف والخناجر فوق سفن الطرفين .

انتهت المعركة بعد قتال شديد بانتصار المسلمين بإذن الله .

● رواية ابن عبد الحكم

هذه المراحل التى ذكرناها يرويها ابن عبد الحكم كما يروى كيف نجا عبد الله بن سعد قائد الأسطول من الأسر الذى كاد يقع فيه فيقول : « إن عبد الله بن سعد لما نزل ذا الصوارى ، أنزل نصف الناس مع بسر بن أبى أرطأة سرية فى البر ، فلما مضوا أتى آت إلى عبد الله بن سعد فقال : "ما كنت فاعلا حين ينزل بك هرقل (يقصد قسطنطين) فى ألف مركب فافعله الساعة ، (أى أنه يخبره بحشد قسطنطين لأسطوله لملاقاته) وإنما مراكب المسلمين يومئذ مائتا مركب ونيف ، فقام عبد الله بن سعد بين ظهرانى الناس فقال : قد بلغنى أن هرقل قد أقبل إليكم فى ألف مركب فأشيروا علىّ ، فما كلمة رجل من المسلمين ، فجلس قليلا لترجع إليهم أفئدتهم ، ثم قام الثانية (أى مرة ثانية) فكلمهم ، فما كلمة أحد فجلس ، ثم قام الثالثة فقال : إنه لم يبق شىء فأشيروا على ، فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال : أيها الأمير ، إن الله جل ثناؤه يقول : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) فقال عبد الله : اركبوا باسم الله ، فركبوا وإنما فى كل مركب نصف شحنته ، قد خرج النصف إلى البر مع بسر ، فلقوهم (أى أسطول البيزنطيين) فاقتتلوا بالنبل والنشاب ، وتأخر هرقل لئلا تصيبه الهزيمة ، وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار ، فقال : ما فعلوا ؟ ، قالوا : قد اقتتلوا بالنبل والنشاب ، فقال : غلبت الروم (بفتح الغين) ثم أتوه فقال : ما فعلوا ؟ قالوا : قد نفد النبل والنشاب ، فهم يرتمون بالحجارة ، قال : غلبت الروم (بفتح الغين أيضا) ، ثم أتوه فقال : ما فعلوا ؟ قالوا : نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف . فقال : غُلبت الروم (بضم الغين أى هزمت) .. وكانت السفن إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال ، فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير بمركب من مراكب العدو ، فكاد مركب العدو يجتر مركب عبد الله إليهم (أى يجذبه نحوهم) فقام علقمة بن يزيد الغطيفى ، وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها »(١٦) .

● رواية ابن الأثير

قال : « فخرجوا (يعنى البيزنطيين) فى خمسمائة مركب أو ستمائة ، وخرج المسلمون ، وعلى أهل الشام معاوية بن أبى سفيان ، وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم ، فأرسى المسلمون والروم ، وسكنت الريح ، فقال المسلمون : الأمان بيننا وبينكم ، فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويصلون ويدعون ، والروم يضربون بالنواقيس ، وقربوا من الغد سفنهم ، وقرب المسلمون سفنهم ، فربطوا بعضها مع بعض ، واقتتلوا بالسيوف والخناجر ، وقتل من المسلمين بشر كثير ، وقتل من الروم ما لايحصى ، وصبروا يومئذ صبرا لم يصبروا فى موطن قط مثله ، ثم انزل الله نصْره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم إلا الشريد ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصوارى بعد الهزيمة أياما ورجع »(١٧) .

● رواية المؤرخ البيزنطى ثيوفانس

وهى توضح هزيمة البيزنطيين وفداحة خسائرهم وكيف فر الامبراطور ناجيا بنفسه : « ضم صفوف

(١٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(١٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٥٨ .

الروم (أى قسطنطين) إلى المعركة وأخذ يتحرش بالعدو فنشبت المعركة بين الطرفين وهزم الروم واصطبغ البحر بدمائهم ، فغير الامبراطور ملابسه مع أحد الجنود ، وقفز أحد الجنود على مركبه واختطفه وذهب به هنا وهناك ونجا بمعجزة »[١٨] .

● لماذا سميت ذات الصوارى ؟

بعض المؤرخين يرجع سبب هذه التسمية إلى كثرة عدد صوارى السفن التى اشتركت فيها من الجانبين .

وبعضهم الآخر يذكر أن هذا الاسم نسبة إلى المكان الذى دارت قريبا منه وهو ما نميل إليه ومايستنتج بوضوح مما يلى :

قول الطبرى : « فركب فى مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصوارى فلقوا جموع الروم فى خمسمائة مركب أو ستمائة » .

وقوله أيضا : « وأقام عبد الله بذات الصوارى أياما بعد هزيمة القوم » .

قول ابن الأثير : « وأقام عبد الله بذات الصوارى بعد الهزيمة أياما ورجع » .

يضاف إلى ذلك أن المكان الذى دارت المعركة قريبا منه اشتهر بكثرة الأشجار التى تستخدم أخشابها فى صناعة صوارى السفن وهو ما ورد فى أقوال أرشيبالد لويس التى ذكرناها .

● النتائج الاستراتيجية لذات الصوارى

● أولا : تأكيد النظرية الإسلامية فى النصر على العدو المتفوق

لقد كانت المقارنة المجردة بين قوة الأسطول الإسلامى وقوة الأسطول البيزنطى تكشف التفوق الساحق للبيزنطيين ، وتدفع أى خبير فى فنون الحرب إلى أن يتوقع أن ينهزم المسلمون فى تلك المعركة « غير المتكافئة » بالنظر إلى العوامل الآتية :

الأسطول الإسلامى ، أسطول ناشىء لا يزيد عمره على بضع سنوات ، ورجاله حديثو عهد بركوب البحر فضلا عن القتال فيه ولا يتعدى عدد سفنه المائتين إلا قليلا .

والأسطول البيزنطى ، أسطول عريق مهيب له السيادة على البحر ، وله تاريخ طويل فى العمليات البحرية ، ورجاله على درجة عالية من الكفاءة فيها ، وعدد سفنه يزيد ثلاثة أضعاف عدد سفن المسلمين .

المسلمون حين قبلوا التحدى وقاتلوا أسطول بيزنطة المتفوق وانتصروا عليه ، يقدمون للمسلمين ـ فى كل عصر ـ التأكيد على أن النظرية الإسلامية فى مواجهة العدو المتفوق وقهره التى قرر عناصرها وطبقها الرسول القائد ﷺ فى معاركه مع أعدائه المتفوقين ، كفيلة بترجيح كفتهم على أعدائهم المتفوقين فى موازين القوى ، وقد برزت أركان هذه النظرية فى ذات الصوارى كما يلى :

● قوة العقيدة والإيمان فى ميزان المقاتل

فقد ذكر المسلمون قول الله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » (البقرة ٢٤٩) ورأينا كيف امتلأت نفوسهم بأقوى الدوافع المعنوية وكيف « صبروا يومئذ صبرا لم يصبروا فى موطن قط مثله » ، وكيف قاتلوا « أشد القتال » كما ورد فى المصادر التاريخية التى ذكرناها حتى أنزل الله عليهم نصره . فهذا الدرس يؤكد أن قوة العقيدة والإيمان من أهم العوامل التى ترجح كفة المسلمين فى موازين القوى مهما كان ثقل أعدائهم فى تلك الموازين .

● الإدارة السليمة والاستغلال الأمثل للقدرات المتاحة

لقد أدرك المسلمون أنهم أمام عدو متفوق فكانت إدارتهم للمعركة على النحو الذى « يجرده من هذا التفوق » ، وليس من شك فى أن جوهر تفوق

---

(١٨) ليوفانس : كرونوجرافيا عمود ٧٠٦ لاتينى .

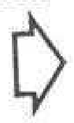

البيزنطيين هو كفاءتهم العالية فى « فن القتال البحرى » وقدرتهم الفائقة فى « المناورة البحرية »[١٩] .

ويكفى للدلالة على ذلك أن المسلمين حين عرضوا - قبل المعركة - على البيزنطيين أن يختاروا بين القتال على البر أو القتال فى البحر ، فإنهم اختاروا البحر « بإجماع الأصوات » وهذا ما رواه الطبرى على لسان شاهد عيان هو مالك بن أوس بن الحدثان قال : « كنت معهم ، فالتقينا فى البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط .. ثم قلنا (للبيزنطيين) إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم ، وإن شئتم فالبحر ، قال : فنخروا نخرة واحدة[٢٠] وقالوا : الماء ، فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضا على سفننا وسفنهم »[٢١] .

فالبيزنطيون اختاروا « الميدان » الذى يجيدون القتال فيه وهو البحر ، والذى يعلمون أنه الميدان الذى يستطيعون فيه الانتصار على المسلمين لضعف خبرتهم فيه .

لكن المسلمين - رغم ذلك - كانوا يعلمون أن كفاءتهم فى القتال على البر تفوق البيزنطيين ، فأداروا المعركة « البحرية » على النحو الذى حولها إلى « معركة برية » وذلك بربط سفنهم إلى سفن البيزنطيين ومباشرة القتال المتلاحم بالأسلحة البيضاء ، واستغلوا مهارتهم فى هذا الفن إلى الحد الذى جعل الامبراطور وهو يتابع المعركة يوقن بانتصار المسلمين حين علم بذلك - وهو ما ورد فى رواية ابن عبد الحكم السابق ذكرها - فقال : « غلبت الروم » (بضم الغين) .

ولقد شهد للمسلمين بذلك بعض المؤرخين الأجانب ، فيقول أرشيبالد لويس :

« ويبدو أن انتصارهم جاء نتيجة « لخطط غير عادية » إذ ربطوا سفنهم بعضها إلى بعض بسلاسل ثقيلة ، فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم واستخدموا فى تلك المعركة خطاطيف طويلة يصيبون بها صوارى وشرع سفن الأعداء الأمر الذى انتهى بكارثة بالنسبة للبيزنطيين »[٢٢] .

● التعاون والتكامل

لقد كان الانتصار الإسلامى فى مجال البحر ثمرة للتعاون والتكامل وحشد الطاقات بين الشام ومصر ابتداء من إنشاء الأسطول ، وصناعة السفن ، إلى قيام أسطول الشام مع أسطول مصر « بالعمليات البحرية المشتركة » فى هيئة أسطول مشترك تحت قيادة أمير بحر واحد ، وقد كانت أغلب العمليات البحرية تتم على هذا النحو .

● ثانيا : انتهاء عصر السيادة البيزنطية فى البحر المتوسط

وإذا كانت « موقعة أكتيوم » سنة ٣١ قبل الميلاد جعلت من البحر المتوسط « بحيرة رومانية » وأصبحت من المعارك الفاصلة فى التاريخ ، فإن معركة ذات الصوارى البحرية قد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، حين سجلت انتصار الأسطول الإسلامى الناشىء على أسطول بيزنطة ذى التاريخ البحرى الطويل ، وليس ذلك فحسب ، بل كان من أهم نتائجها الاستراتيجية انتهاء عصر السيادة البيزنطية فى البحر الأبيض المتوسط ، وبروز المسلمين كقوة مؤثرة ذات ثقل عسكرى وسياسى واقتصادى فى عالم هذا البحر .

---

(١٩) يطلق لفظ « المناورة » على عملية تحريك القوات والوسائل من موضع إلى آخر وفى مختلف الاتجاهات بقصد تهيئة ظروف أفضل لصالح المعركة والمناورة الناجحة بالقوات والوسائل تدل على براعة القائد فى إدارة المعركة .

(٢٠) نخر نخرا ونخيرا : صوّت بخياشيمه ، والنخير : الصوت بالأنف ، والمنْخر : ثقب الأنف .

(٢١) الطبرى : جـ ٤ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢٢) أرشيبالد لويس : ص ٩٢ .

إمبراطورية المغول

وصراع الإسلام مع الوثنية والصليبية

بقلم الدكتور/ أحمد محمد الدسوقى المنوفى

فى عهد جنكيزخان

علاقة جنكيزخان بدين قومه:

يذهب النويرى إلى أنه كان لا يدين لديانة ولا يرجع إلى ملة ، وذكر ما قيل من أنه تزهد مدة طويلة وانقطع بالجبال ، وكان سبب زهده أنه سأل بعض اليهود فقال له : (بم أعطى موسى وعيسى ومحمد هذه المنزلة العظيمة ، وشاع لهم الذكر ؟) فقال اليهودى : (لأنهم أحبوا الله وانقطعوا له فأعطاهم) فقال جنكيزخان : (وأنا إذا أحببت الله وانقطعت إليه يعطينى) قال اليهودى : (نعم وأزيدك أن فى كتبنا أن لكم دولة ستظهر) فترك جنكيزخان ما كان فيه من عمل الحديد أو غيره وتزهد ، وفارق قومه وعشيرته ، والتحق بالجبال ، وكان يأكل من المباحات ، فشاع ذكره ، فكانت الطائفة من قبيلته تأتيه للزيارة فلا يكلمهم ، ويشير إليهم أن يصفقوا بأكفهم ، ويقولوا : (يا الله يا الله يخشى در) فيفعلون ذلك ، ويوقعون له ، وهو يرفض ، فكان هذا دأبه وطريقته مع من يقصده للزيارة ، وهو مع ذلك لا يدين لديانة ، ولا يرجع إلى ملة ، بل بمجرد محبة الله ـ بزعمه ، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ، فهذه كانت بدايته[1]

* الكاتب ـ مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر .

(١) النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٠٢ .

وما ذكره النويرى غريب وبعيد ، فروايته تجعل من جنكيزخان رجلا من رجال الرهبانية أو التصوف وهذا يناقض ما عرف من تاريخه من سفك للدماء ، واعتداء على الحرمات ، ثم من أين له بالوقت الذى ينقطع فيه للعبادة ، وتاريخ شبابه يشير إلى أنه كان مشغولا بالحروب والقضاء على الفتن .

أما ابن كثير فيرى أنه كان مشركا بالله ، وكان يعبد معه غيره ، إلا أنه كان يأتى بمكارم يفعلها لسجيته ، وما أداه إليه عقله[2] .

أما المصادر الأخرى غير الإسلامية فتشير إلى أنه كان على دين قومه الشامانية ، وتوميء المصادر الصينية المعاصرة لجنكيزخان ، أنه مارس دور الشامان - رجل الدين - بين قومه[3] .

ومما لا شك فيه أن التمسك بدين قومه ، أو التظاهر بذلك - إن لم يكنْ يعتقده - كان ضروريا لقيادة هذه الجموع المغولية ، وتحقيق مشروعاته الطموحة ، وكان لابد من استغلال الدين لتحقيق هذه الآمال ، وفى هذا الصدد ينقل ابن كثير عن الجوينى : (أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال فى البرد الشديد للعبادة ، فسمع قائلا يقول له : « إنا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض .. » قال الجوينى : (فمشايخ المغول يصدقون بهذا ، ويأخذونه مسلما)[4] .

وفى المؤتمر الذى اختير فيه ملكا على المغول ، كان فى جملة الحضور شيخ يعتقدون فيه الكرامة والقداسة فتقدم وليس عليه كساء وقال : (يا إخوتى قد رأيت فى منامى كأن رب السماء على عرشه النارى تحدق به الأرواح ، وقد أخذ فى محاكمة أهل الأرض ، فحكم أن يكون العالم لمولانا تموجين ، وأن يسمى جنكيزخان أى الملك العام) ثم التفت إلى تموجين وقال : (لبيك أيها الملك فإنك تدعى منذ الآن جنكيزخان بأمر الإله)[5] .

لذلك فقد كان الخان العظيم الجديد يعتقد جازما أنه يحمل تفويضا إلهيا ، وكان يقول فى كلماته الشهيرة التى رددها المغول فى كل مكان : (هناك شمس واحدة فى السماء ، وسيد واحد على الأرض)[6] .

ويعنى بالسيد نفسه ، وهذا الاحساس بالتفويض الإلهى كان مهما لتحقيق ماتطلع إليه جنكيزخان من انشاء مملكة كبيرة ، وامبراطورية عالمية .

ولما كان دينهم - الشامانية - ليس له كتاب ينير لهم طريق الحياة ، ويسيرون على هداه ، فقـــد أراد جنكيزخان أن يجمع أمة المغول على دستور يتبعونه فى حياتهم ، وفى معاملاتهم وأحكامهم هذا الدستور هو « الياسا »[7] وهى مجموعة من التقاليد والأعراف السائدة عند المغول أكسبها جنكيزخان صيغة القانون ، وكان احترامها مفروضا على سكان الامبراطورية وعلى الخانات أنفسهم[8] ، وهى عندهم كالقرآن عند المسلمين لا يستجيزون أن يخلو بشىء منها[9] والياسا مدونة فى طوامير محفوظة بخزائن كبار أمراء البيت الحاكم ، ويخرجونها عند حدوث أمر هام فى الدولة كاعتلاء خان جديد للعرش أو إرسال جيش أو عند اجتماع الأمراء للتشاور فى شئون الدولة ، وتصدر الأحكام وفقا لما فيها[10] .

---

(٢) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٩ .

(٣) من هذه الكتب « التاريخ السرى للمغول » أنظر برتولد شبولر مرجع سبق ص ٢٦ حاشية .

(٤) ابن كثير البداية والنهاية جـ ٢٧ ص ١١٨ . والجوينى هو علاء الدين عطا ملك بن محمد جوينى المتوفى سنة ٦٨١ هـ = ١٢٨٣ م صاحب كتاب « جهانكشاى » بالفارسية ، وقد اعتمد على روايات سمعها من المغول أنفسهم .

(٥) جورجى زيدان مرجع سبق جـ ٤ ص ٢٤١ .

(٦) برتولد شبولر مرجع سبق ص ٢٦ .

(٧) الياسا أو الاسياسا أو بالهاء فى آخر الكلمتين مكان الألف الأخيرة أو البسق وصيغته الأكمل اليساق (بالمغولية جساق) وأصل الكلمة سى ياسا اللفظ الأول فارسى والثانى تركى ومعناه التراتيب الثلاث أو الثلاثون لأن سى بالفارسية معناها ثلاثون ، واستخدم المغول الكلمة سى ياسا فلما ثقلت عليهم قالوا سياسه . انظر النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٧ حاشية ١ وفاسيلى برتولد مرجع سبق ص ١١٤ حاشية ٢٦٤ .

(٨) فاسيلى برتولد المرجع السابق ص ١١٣ .

(٩) الخضرى مرجع سبق ص ٤٦٨ .

(١٠) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ١١٤ .

ويذكر ابن كثير أن الياسا مكتوبة فى مجلدين بخط غليظ ، ويحمل على بعير عندهم ، وأورد نتفا مما جاء فيها نقله عن المؤرخ جوينى ، والياسا عند ابن كثير من وضع جنكيزخان – والكثيرون يتوهمون ذلك – وجاء وضعها بطريقة غريبة لا تخلو من الطرافة ، فيذكر ابن كثير عن بعضهم أنه (كان يصعد جبلا ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مرارا حتى يعيى ويقع مغشيا عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه) ويقول تعليقا على ذلك فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها[11] .

هذا وكان من هذه الياسا نسخة بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد ، روى المقريزى عن أحمد بن البرهان أنه رآها ، وقد نقل عنه المقريزى ، ومما جاء فيها : (من زنى يقتل لا فرق بين محصن وغيره ، ومن تعمد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان ، وأعان أحدهما على الآخر قتل ، ومن بال فى الماء أو على الرماد قتل ، ومن أعطى بضاعة فخسر فيها فإنه يقتل بعد الثالثة ، ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل ، ومن وجد عبدا هاربا أو أسيرا قد هرب ولم يرده على من كان فى يده قتل ..)[12] .

وبجانب الياسا هناك « بيليك »[13] جنكيزخان ، ويتضمن أقواله وتعليماته ، وكانت موضوعا للمدارسة والمذاكرة ، ومما يدل على أهميتها ما يروى أنه قد حدث مرة بالصين أن كان العرش من نصيب أحد الأمراء ، لأنه كشف عن معرفة عميقة بهذا البيليك[14] .

موقف جنكيزخان من الأديان :

دعت الياسا إلى : (تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى)[15] وأسقطت الكلفة والمؤونة عن الفقراء والقراء وأصحاب الزهد والعبادة والمؤذنين .

وعندما تقدم المغول لإسقاط دولة الخطا المجاورة وحاكمها « كشلوخان » رفعوا لواء الحرية الدينية ، فقد كان « كشلوخان » بوذيا ، وكانت زوجته مسيحية ، وعمل « كشلوخان » على إثارة مشاعر المسلمين الذين كانوا يشكلون نسبة كبيرة فى دولته ، وحاولت زوجته المسيحية نشر دينها على حساب الأهالى المسلمين[16] ، ونجح المغول فى إسقاط هذه الدولة التى كانت تشكل فاصلا بينهم وبين العالم الإسلامى .

ولكن واقع التاريخ يثبت أن تصرفات المغول كانت أبعد ما تكون عما جاء فى الياسا من تعظيم جميع الملل ، وكان شعار حرية العقيدة الذى رفعوه عند غزو دولة الخطا شعارا اضطرتهم الظروف إلى رفعه ، فمساجد المسلمين انتهكت حرمتها ، والمصاحف مزقت وديست ، والأرواح البريئة أزهقت ، والمصادر التاريخية الإسلامية منها وغير الإسلامية ناطقة بذلك وشاهده على ما ارتكبه المغول من فظائع عند غزوهم للعالم الإسلامى بتعليمات من زعيمهم جنكيزخان وتحريض منه ، وإذا تتبعنا موقف جنكيزخان من الإسلام والبوذية والنصرانية ، نرى أنه فى بداية حكمه وجد أن عليه الإفادة من الشعوب المتحضرة فى إدارة دولته ، نظرا لتأخر المغول فى المجال الحضارى ، وكان أول ممثلين للحضارة ببلاد جنكيزخان بعض التجار المسلمين الذين أسهموا فى وضع نظام الحرس الخاص[17] واتخذ منهم السفراء بينه وبين سلطان الدولة الخوارزمية .

ولكن المغول مالوا إلى الأخذ بحضارة الإيغور فى المرحلة الأولى من بداية حكمهم فى عهد جنكيزخان فكانوا المعلمين الأول للمغول ، واستخدمت الأبجدية

---

(١١) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٨ ولى ملاحظات على كتابات بعض المؤرخين المسلمين عن المغول أوردتها عند الحديث عن ديانة المغول وحضارتهم .

(١٢) المقريزى : تقى الدين أحمد بن على السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ٢ ص ٢٢٠ تحت عنوان ذكر أحكام السياسة .

(١٣) بيليك لفظ تركى معناه المعرفة . فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ١١٤ .

(١٤) المرجع السابق .

(١٥) المقريزى السلوك جـ ٢ ص ٢٢٠ وما بعدها .

(١٦) حافظ حمدى مرجع سبق ص ١١١ .

(١٧) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٥٢ ، ص ٥٥٣ .

امبراطورية المغول

الإيغوريه فى كتابة لغة المغول التى لم تكن تكتب حتى ذلك الوقت ، وكان الإيغور أول عمال للدولة فى امبراطورية المغول ، وفيما بعد دخل عمال الإيغور الأقطار المتحضرة فى معية المغول ، فنراهم فى كل من الصين والبلاد الإسلامية ينافسون بنجاح أهالى البلاد الذين كانوا أوسع منهم ثقافة .

والإيغور قبائل جاورت المغول منذ عهد مبكر ، وقد تسربت إليها رياح الحضارة من الصين ومن الهند (البوذية) ومن تركستان (المانوية والنسطورية) غير أن افتقارهم إلى حياة آمنة قد حال بينهم وبين أن يقيموا لأنفسهم حضارة قومية وطيدة البنيان ، وقد اعتنق بعض الإيغور النصرانية ، واعتنق البعض الآخر البوذية ، ويرى بعض الباحثين أن عدد البوذيين الإيغور يفوق عدد النصارى منهم وأن ممثل الطبقة المثقفة من الإيغور الذين عملوا فى خدمة المغول كانت أكثريتهم من أتباع البوذية ، ولم يكن هناك أدنى عداء دينى بين البوذيين والنصارى من الإيغور ، فقد كان الشعور القومى بينهما أقوى من الشعور الدينى ، ومن ناحية أخرى نرى أن كلا من البوذيين والنصارى كانوا أعداء ألداء للمسلمين[١٨] .

أما النصارى من غير الإيغور فى الأجزاء الأخرى من الامبراطورية فقد رأوا فى تدهور الإسلام وسقوط الأقطار الإسلامية فرصة للثأر من أعدائهم فى الدين ، وكان المسلمون ـ فى عهد جنكيزخان ـ يمثلون الاعداء الخارجيين الأول لامبراطورية المغول ، ويقال إن جنكيزخان مال إلى جانب النصارى ، فقد روى ابن العبرى : (أن جنكيزخان صعد إلى رأس تل عال ، وكشف رأسه ، ودعـا الله أن ينصره على عدوه الخوارزمى ، وبقى على هذا التل ثلاثة أيام ، لم يذق فيها طعاما ، وفى الليلة الثالثة رأى فى منامه راهبا فى أثوابه السوداء ، وبيده عصا يقول له : (لاتخف ، افعل ماشئت فإنك مؤيد) فانتبه جنكيزخان مذعورا ذعرا مقرونا بالفرح ، وعاد إلى منزله ، وقص قصته على زوجته فطمأنته بأن مجئ، هذا الأسقف إليه بداية سعادته ، وقد استدعى جنكيزخان أحد الأساقفة إليه ، ففسر حلمه بأن بين له أن من رآه فى منامه لم يكن إلا قديسا من القديسين ، ثم زين له رؤيته) ، ويضيف ابن العبرى : (ولهذا كان جنكيزخان يكرم المسيحيين ويميل إليهم)[١٩] .

ولعل زوجته هذه كانت مسيحية أو كانت تميل إليهم ، فقد ورد أنه تزوج بمسيحية وهى ابنة رئيس الكرائيت التارية المسيحية التى كانت تقيم جنوب بحيرة « بيكال » عندما فتح بلادهم ، كما تزوج ابنة « كوبيلاى » من نفس هذه الأسرة[٢٠] .

وعندما وصلت إلى أوربا أخبار ظهور جنكيزخان وحروبه ضد المسلمين ، هلل المسيحيون هناك لذلك ، وظنوه على ملتهم ، بل راجت اشاعات قوية بأنه المسيح المنتظر الذى سيأتى من الشرق[٢١] .

أما البوذية فقد تأثر المغول فى بلاد الصين بها ، واعتنقوها ، وكان جنكيزخان ـ بالرغم من اتصاله بأصحاب الديانات المختلفة ، وخدمة هؤلاء فى دولته ـ ينظر إلى الأديان جميعا نظرة استخفاف وعدم مبالاة ، وظل متمسكا بديانته الشامانية ، يتضح ذلك من حرصه على اختيار من يتولى وظيفة كبير رجال الدين الشامانى أو بتعبير آخر أعلى مناصب السلطة الدينية ، وتزويده بالنصائح التى تؤدى إلى احترام الجميع له ، وتنفيذ كلمته[٢٢] .

---

(١٨) المرجع السابق .

(١٩) ابن العبرى : أبو الفرج الملطى تاريخ مختصر الدول ص ٤٠١ بيروت ١٩٥٨ م .

(٢٠) د. حسن إبراهيم حسن انتشار الإسلام بين المغول والتتار ص ٧٠ .

(٢١) برتولد شبولر مرجع سبق ص ٦٤ حاشية (١) للدكتور سهيل زكار .

(٢٢) فاسيلى برتولد مرجع سبق ٥٦ .

نأتى إلى موقف جنكيزخان من الإسلام والمسلمين ، وقد كان موقفا ينم عن العداوة والبغضاء ، يدلنا على ذلك ما أوردته كتب التاريخ من حوادث يشيب لها الولدان ، أثناء إغارته على البلاد الإسلامية ، فقتل من المسلمين الألوف المؤلفة[٢٣] وخرب المدن الإسلامية التى كانت عامرة ، واعتدى على مقدسات المسلمين وأعراضهم ، وقد بلغ من هول هذه الأفعال أن المؤرخ المسلم المعاصر لهذه الإغارة ، ابن الأثير أحجم عن ذكرها فى كتابه « الكامل » زمانا ، ويقول فى ذلك : (لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلا وأوخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ؟ ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمى لم تلدنى قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، إلا أننى حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها ، وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لايجدى نفعا ، فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق ، وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها ، لكان صادقا ..)[٢٤] .

فى عهد خلفاء جنكيزخان فى منصب قا آن

أوكـــداى (٦٢٤ ـ ٦٣٩هـ = ١٢٢٧ ـ ١٢٤٨م)[٢٥] وقد اختاره أبوه جنكيزخان لتحليه بالصفات الحميدة وفضله على أخيه تولوى ذى المواهب العسكرية ، وعلى جغتاى الذى عرف بصرامته فى تطبيق الياسا ، ويثنى عليه المؤرخون المسلمون ثناء عاطرا لحسن معاملته للمسلمين ، وبعضهم يؤكد أنه كان يفضل الإسلام على بقية الأديان ، وكان يحمى المسلمين فى دولته من كيد أعدائهم ومنافسيهم من الصينيين والإيغور ، وفى هذا الصدد يذكر قصة ذلك الإيغورى الذى أراد إرهاب أحد معارفه المسلمين ، وحمله على الدخول فى البوذية ، فقد أمر القاآن أوكداى بضرب الإيغورى مائة عصا فى السوق ، وأن تسلم زوجته ومنزله للمسلم[٢٦] ، ولعل القصة التى وردت فى « البداية والنهاية » من أن رجلا كافرا جاء إلى قان ـ دون تحديد اسمه ـ وقال له : رأيت فى النوم أباك جنكيزخان فقال لى : قل لابنى قان يقتل المسلمين ، وكان القان يميل إلى المسلمين مخالفا لأهل بيته ، فسأل الرجل : (هل تعرف المغولية ؟) فقال : (لا) فقال الملك له : (أنت كاذب لأن أبى ما كان يعرف من اللغات ودرس غير المغولية) وأمر بضرب عنقه وأراح المسلمين من كيده[٢٧] .

وأرى أن القان الذى لم يحدد اسمه فى القصة هو أكداى الذى عرف بميله للمسلمين ، ويؤكد ذلك أن هذه القصة ذكرت فى مصدر آخر من مصادر التاريخ مع اختلاف فى بعض التفصيلات وذكرت أن القان هو أكداى[٢٨] .

وفى الوقت الذى كان فيه أوكداى يعامل المسلمين معاملة طيبة ، كان أخوه « جغتاى » على النقيض من ذلك ، وكان يبسط نفوذه على المناطق الإسلامية بآسيا الوسطى ، وكان جغتاى يتمتع بتأثير كبير على أخيه القا آن ، لأنه أكبر أفراد البيت المالك سنا ، وكان حريصا على تطبيق الياسا على الجميع فى دولة المغول ، ولذلك لم يكن بوسع المسلمين الوضوء فى المياه الجارية ، أو أن يذبحوا البهائم وفقا لشريعتهم إلا فى السر ، ولم يقتصر الأمر على المناطق التى كانت تحت سلطانه ، بل تعداه إلى المناطق الأخرى ، مما اضطر

---

(٢٣) بلغ عدد القتلى على أيدى المغول فى الفترة بين سنتى ٦٠٨ ـ ٦٢٠ هـ ١٢١١ ـ ١٢٢٣ م وهى الفترة التى غزا فيها بلاد الصين فى الشرق والبلاد الإسلامية فى الغرب أكثر من ثمانية عشر مليونا . طه بدر مرجع سبق ص ٧٥ وما بعدها .

(٢٤) ابن الأثير الكامل ج ٩ ص ٣٢٨ .

(٢٥) وتسمية المصادر العربية أو كتاى أو أوكديه ، وذكر النويرى ان توليته كانت سنة ٦٢٥ هـ نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٨ .

(٢٦) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٦٠ حاشية ٣٨ .

(٢٧) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٢٠ .

(٢٨) المصدر الآخر هو طبقات ناصرى لجوزجانى ترجمة راخرتى جـ ٢ ص ١١٠٧ ـ ص ١١٤ نقلاً عن فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٦٠ .

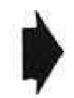

عددا كبيرا من المسلمين إلى أن يأكلوا لحما كانوا يعدونه ضربا من لحم الميتة ، وكان القا آن يحتال لانقاذ المسلمين من براثن جغتاى عند خروجهم على تعاليم الياسا ، من غير أن يلجأ إلى استعمال سلطته المباشرة كقا آن ، ولا أن يحاول حماية الجناة الخارجين على تعاليم الياسا جهرة[٢٩] .

كويـــوك (٦٤٤ ـ ٦٤٦هـ = ١٢٤٦ ـ ١٢٤٨ م)[٣٠] وكان متأثرا بالمسيحية ، ويظهر محاباة عظيمة للمسيحيين مدى حياته ، ويرجع ذلك إلى أن الذى تولى تربيته رجل مسيحى هو « قداق » ، ثم وجد نفسه فيما بعد تحت تأثير وزير مسيحى هو « جينغاى » الذى أحسن إلى المسيحيين دون سواهم من أتباع الديانات الأخرى .

وقد اعتبر اختيار كويوك انتصارا للمسيحيين ، وحضر اختياره المبشر « جيوفانى دى بلانو كاربيتى » وترك حضور هذا المبشر ومواكب السفارات من الدول الأجنبية انطباعا لدى كويوك بتفوق الأمة المغولية من جهة ، ومن جهة أخرى اعتقد أن البابا والملك لويس التاسع ملك فرنسا يتوقان لوضع نفسيهما تحت حمايته وسلطته ، ويظهر هذا الاعتقاد بوضوع فى الجواب الذى سلمه كويوك إلى بعثة البابا[٣١] .

هذا وقد رأى البابوات وأهل الغرب أن المغول أصبحوا منذ أوائل القرن الثالث عشر خطرا يهدد القارة الأوروبية ، وأن خير وسيلة لاتقاء شرهم ، هى العمل على كسبهم إلى الكاثوليكية ، واستمالتهم إليهم فى حرب صليبية مشتركة ضد الإسلام فى الشرق ، فى وقت كان فيه الصليبيون فى الشام يتلقون أشد الضربات من المسلمين ، وكانت أوربا الغربية تستجدى العون لحملة صليبية جديدة ، وإذا ما نجحت أوربا فى تحويل المغول إلى المسيحية قويت جبهتهم ، وأصبحت الأراضى المقدسة واقعة بين المغول وأوربا ، فلا يكون هناك مفر من بقائها فى قبضة المسيحيين بقاء دائما ، ثم إن المغول أصبحوا طرفا فى الصراع الدائر فوق أراضى المشرق العربى .

وتنفيذا لهذه السياسة أرسل البابا « انوسنت الرابع » اثناء انعقاد مجلس ليون الكنسى سنة ١٢٤٥م (٦٤٣هـ) عدة سفارات إلى المغول أخفقت فى تحقيق أهدافها الرئيسية ـ وستوضح الفقرات التالية أسباب ذلك ـ وإن كانت قد أبعدت الخطر المغولى عن أوربا .

وتجددت المفاوضات بعد ذلك بفترة قصيرة ، ففى أثناء إقامة الملك الفرنسى لويس التاسع فى جزيرة قبرص ، أواخر عام ١٢٤٨م (٦٤٦هـ) ، وقبل ابحاره فى حملته الصليبية إلى مصر ، أرسل له أحد حكام المغول فى وسط فارس ، وهـــو ايلجيغـــداى أو ايلجيداى ، سفارة تحمل رسالة يطلب فيها الاشتراك مع المسيحيين فى حملة صليبية كبيرة للاستيلاء على بيت المقدس من العرب[٣٢] وكان ايلجيغداى قد أرسله كويوك فى حملة ضد الاسماعيلية وضد الخلافة العباسية ببغداد ، وقد بعث بمبعوثين إلى لويس ملك فرنسا ، وانبأ المبعوثان لويس بأن والدة كويوك نصرانية ، وأن كويوك نفسه قد اعتنق النصرانية ، ومعه ثمانية عشر من أمراء البيت الحاكم ، وعدد كبير من النبلاء المغول ، وأن ايلجيغداى جرى تعميده منذ أعوام طويلة ، وأنه الآن فى طريقه إلى بغداد ليثأر من الإساءة التى وجهها الخوارزميون فى حق سيدنا يسوع المسيح[٣٣] .

---

(٢٩) المرجع السابق ص ٦٦٠ و ص ٦٦١ .

(٣٠) يرى النويرى أن موت أوأوكديه سنة ٦٣١ هـ نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٤٥ أما رشيد الدين فيرى وفاته سنة ٦٣٩ هـ جامع التواريخ جـ ١ ص ٤٨٠ .

(٣١) هذه الرسالة محفوظة فى أرشيف الفاتيكان ـ برتولد شبولر مرجع سبق ٤٠ و ص ٤١ .

(٣٢) د. جوزيف نسيم يوسف الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما فى العصور الوسطى ص ٢٢٨ و ص ٢٢٩ دار الفكر الجامعى ـ الاسكندرية نقلا عن **A.S.A tiya Teh Crusade in the later Middle Ahes London 1938,233 ff** وانظر د. سعيد عبد الفتاح عاشور الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٠٩٨ وما بعدها .

(٣٣) ذلك أن الأتراك الخوارزميون الذين غادروا بلادهم مع جلال الدين منكبرتى التحقوا بعد موته بخدمة البيت الأيوبى بمصر وفى عام ١٢٢٢ م طردوا الصليبيين للمرة الثانية من بيت المقدس .

ورجا ايلجيغداى الملك لويس فى رسالته ألا يميز بين النصارى من مختلف المذاهب .. لأنهم يتمتعون بالمساواة فى دولة المغول ، وقد نالت فكرة التحالف مع المغول الذين اعتنقوا المسيحية ضد المسلمين القبول والاستحسان من لويس ، فأرسل بمبعوثيه إلى منغوليا ، غير أن رجاء المغول فى أن يشمل مبدأ التسامح المذاهب المسيحية الأخرى - غير الكاثوليكية - قوبل بالرفض القاطع ، وقد سلم أسقف « توسكولوم » المدعو « أودون » وكان ممثلا للبابا فى معسكر لويس ، سلم مبعوثى المغول رسائل إلى كل من القاآن وأمه وايلجيغداى وكبار رجال الكنائس الشرقية ، وقد ورد فى هذه الرسائل أن كنيسة روما سترحب بهم كأبناء بررة على شريطة أن يتبعوا مبادىء الكاثوليكية ، ويعترفوا بكنيسة روما أما لجميع الكنائس ، ويرأسها مفوضا من يسوع المسيح تلزم له الطاعة ممن يعتبرون أنفسهم نصارى .

وهكذا كان الاختلاف المذهبى هو الصخرة التى تحطم عليها الوفاق المغولى الصليبى ضد المسلمين ، وجاء موت كويوك ليقضى على أية بارقة أمل فى وفاق جديد ، واتخذ القاآن مونكو سياسة مختلفة عن سابقه[٣٤] .

ويرى أحد الباحثين أن كلا من المسيحيين فى أوربا والمغول ، كان يعمل على استغلال الآخر لمصلحته الشخصية فإذا نظرنا إلى المغول نجد أنهم منذ وقت غير قريب أخذوا فى وضع الخطط الأولية لتكوين امبراطورية قوية لهم تدخل فى نطاقها بلاد الشام والعراق ، وكانوا يعرفون مبلغ الضعف الذى وصلت إليه الخلافة العباسية فى بغداد آنذاك ، وأنها لابد أن تسقط عند أول ضربة توجه إليها ، وأدركوا أيضا أن مصر باعتبارها زعيمة العالم العربى ، يستحيل أن تقف موقف المتفرج ، بل ستهب لصد عدوانهم الذى كان يتهددها هى الأخرى تهديدا مباشرا ، لذا وجدوا أن سلم الطرق لتحقيق مآربهم فى رقعة الشرق الأدنى لعربى ، هى العمل يدا واحدة مع الصليبيين الغربيين للقضاء على سلطان مصر ، وإزالة قوتها من الميدان ، وكان طبيعيا أن يرحب مسيحيو أوربا الغربية أو اللاتين بذلك ، بل كان هذا ما يتمناه ملك فرنسا ، الذى أوفد بعثتين بين سنتى ١٢٤٩م (٦٤٧هـ) و١٢٥٢م (٦٥٠هـ) إلى المغول لم يكن مصيرهما بأحسن من مصير السفارات السابقة[٣٥]

وأود أن أقول لو كان دافع المصلحة الشخصية والرغبة فى الاستعمار وحده كافيا ، لنجح التحالف ، ولكنه فشل لسبب دينى ، وهو الخلاف المذهبى ، مما يدل على أهمية الدافع الدينى ، وأنه محرك قوى للأحداث التى نحن بصددها .

لم يكن حكم كويوك القصير الأمد خيرا للإسلام ، بل كان - كما سبق القول - انتصارا للمسيحية ، وقد هرع إلى بلاطه النصارى من جميع الانحاء ، من بلاد الشام والروم وبغداد وروسيا ، وقد ترك أمر الحل والعقد فى أمور الدولة فى يدى قداق وجينقاى المسيحيين ، واستغل المسيحيون هذا الوضع فى مهاجمة الإسلام مهاجمة عنيفة ، من غير أن يجرؤ المسلمون على معاملتهم بالمثل ، ونقل المستشرق « فاسيلى برتولد » عن أحد المؤرخين المسلمين أنه بلغ من عداوة كويوك للإسلام والمسلمين ، أنه أصدر قرارا بخصى جميع المسلمين وجبهم ، عملا بنصيحة راهب بوذى يدعى « توين » ، وعندما كان الراهب يحمل نص القرار ، هاجمه كلب شرس ، فمزقه شر ممزق ، وكان لهذا الجزاء العادل من الله ، أثره فى نفس كويوك ، مما جعله يعدل عن قراره[٣٦] .

ومن القصص التى تساق للتدليل على كيد النصارى للمسلمين فى دولة المغول واعتدائهم عليهم ، ما روى أن النصارى أغروا كويوك بأن يدعو إماما من أئمة المسلمين ، اسمه نورالدين خوارزمى ، ليناظرهم فى الدين وجرت المناظرة فى حضرة كويوك على النحو التالى :

(٣٤) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٩٥ و ص ٦٩٦ .

(٣٥) جوزيف نسيم يوسف مرجع سبق ص ٢٢٩ و ص ٢٣٠ .

(٣٦) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٧٨ و ص ٦٧٩ وقد نقل عن المؤرخ المسلم جوزجانى : عثمان بن محمد طبقات ناصرى ترجمة رافرتى جـ ٢ ص ١١٤٨ - ١١٦٤ .

النصارى : بين لنا أى ضرب من الناس كان محمد ؟

الإمام : محمد هو خاتم النبيين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين ، قال عنه موسى الذى أعجب بمناقبه : (اللهم اجعلنى من أمة محمد) وبشر عيسى (برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

النصارى : إن النبى هو من يعيش عيشة روحانية خالصة ، وليس له تعلق بشهوة النساء أو اهتمام بهن ، كما كان عيسى مثلا ، هذا بينما كان محمد تسع من النساء وعدد من الأولاد . فكيف تفسرون ذلك ؟

الإمام : لقد كان للنبى داود عليه السلام تسع وتسعون من الزوجات ، وكان لسليمان ثلثمائة حليلة وألف سرية .

النصارى : هذان لم يكونا من الأنبياء بل من الملوك(٣٧) .

وفى آخر الأمر أوقف النصارى المناظرة .. والتمسوا من كويوك أن يأمر الإمام بإقامة شعائر الصلاة جماعة ، فدعا الإمام أحد المسلمين ، وشرعا فى الصلاة ، وجهد النصارى بكافة الوسائل فى إعاقة صلاتهما ، وانهالوا عليهما ضربا عند السجود ، ودقوا رأسيهما بالأرض ، ولكنهما لم يقطعا صلاتهما ، وبعد أن سلما انصرفا بهدوء .

وواضح أن الغرض هو الاستهزاء بالمسلمين والاستخفاف بعبادتهم وإهانتهم بدافع من التعصب الدينى وفى نفس هذه الليلة هلك كويوك جزاء ما جنت يداه فى حق الإمام ـ على تعبير المصدر التاريخى ـ وفى اليوم التالى اعتذر أولاده للإمام ، وجهدوا فى ترضيته(٣٨) .

ويقال إنه كان قد تحرك بجيشه لقتال باتو الذى لم يقسم له يمين الطاعة فمات فى الطريق(٣٩) .

يتبـع

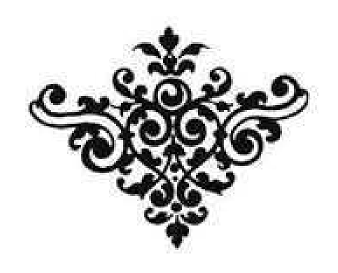

(٣٧) كذب يخالف صريح القرآن الكريم ، أما ادعاء أن محمداً ـ ﷺ ـ كان شهوانياً ففرية طالما رددها الضالون والمضلون من أعداء الإسلام ، وتكفل العلماء والمحققون بالرد عليهم وإفحامهم .

(٣٨) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٧٩ و ص ٦٨٠ نقلاً عن جوزجانى مصدر سبق جـ ٢ ص ١١٦٠ ـ ص ١١٦٤ .

(٣٩) المرجع السابق ، ويرى النويرى أنه مات مقتولاً نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٤٦ ، أما رشيد الدين خيرى أنه مات ميتة طبيعية جامع التواريخ جـ ١ ص ٤٨٠ .

الأساس الذى تقوم عليه الماسونية ـ على تعدد فروعها وتنوع أسمائها ومذاهبها ـ هو الإيمان بظهور المسيح اليهودى المنتظر ،فاليهود من قديم يترقبون ظهور هذا المسيح ، ولما ظهر المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ بدعوته لم يجهر هو بادىء ذى بدء بأنه المسيح ، ولم يؤمن به اليهود ، وظلوا يترقبون مسيحهم ، ويتصل بهذه العقيدة إيمانهم بأن فلسطين ـ وهى الأرض التى منحها الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ تبدأ منها الدعوة لمملكتهم ، أو هى مركز الدائرة التى تنداح منها حكوماتهم حتى تشمل العالم كله ، وبما أنهم هم شعب الله المختار ، فمن عداهم من الناس والشعوب أتباع لهم ، خلقهم الله لخدمتهم ، وهم وإن كانوا فى صور آدمية ـ طبقاتهم منحطة لا تصل إلى مستوى اليهود ، ولا يزيدون على أن يكونوا أعوانًا وخدمًا لهم . وهم على هذه العقيدة إلى الآن .

هذه هى الفكرة التى تقوم عليها الماسونية ، وقد بدأت بالعمل على اتخاذ فلسطين وطنًا لليهود ، واصطنعت لهذه الدعوة أساليب شتى ، كلها كانت تغلف بالنفاق والخديعة .

ولما قامت لإسرائيل دولة فى أرض فلسطين ، انتقل العمل إلى الخطوة الثانية وهى التوسع فى رقعتها بكل وجه ممكن ودون مبالاة بما يصيب الآخرين :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾
(آل عمران ـ ٧٥)

ولست أريد أن أتحدث عن الماسونية ، وإنما ألخص حياة واحد من كبار دعاتها ، وهو الربانى « سبتاى بن زفىّ . ويسمى فى العبرية « شبتا بن صبى » واسمه ـ كما هو واضح ـ مشتق من يوم السبت ، اليوم المقدس عند اليهود ، ولد هذا الربانى فى أزمير سنة ١٦٢٦ م ، وتكونت له جمعية سميت جمعية السبتيين ولم يعمر طويلاً فقد مات قبل أن يكمل الخمسين سنة ، مات سنة ١٦٧٥ .

كان أستاذه الذى تربى على يديه هو الحاخام « إسحق داليا » ، وكان داليا معروفاً بسعة علمه وشدة تعصبه ، درس التوراة ـ العهد القديم ـ ودرس التلمود على سعته ، وفقه لألفاظ الكتابين معانى مجازية ، ودلالات خفية أو إيحات صوفية ، وبرع فى معرفة الأرقام التى تدل عليها الحروف الأبجدية العبرية .

وكان سبتاى تلميذاً ذكياً متحدثاً لبقاً ، حلو الحديث له جاذبية كبيرة لمن يحدثهم ، وكان أيضاً حسن الصورة جميل المظهر ، وبرع ـ كأستاذه أو زاد عليه ـ فى معرفة الأرقام الأبجدية ودلالاتها ، وقال : إن لها دلالات على أحداث ستقع ، وكان سريع البديهة لماح الفهم ، وانفعل أتباعه ومحبوه بكلامه وطريقته ، واستنتجوا ـ أو لعله هو الذى استنتج لهم ـ أن المسيح اليهودى المنتظر سيظهر فى سنة ١٦٤٨م ، ومع أنه لم يظهر فى هذا التاريخ ظل أتباعه موالين له .

وقبل أن نمضى معه فى فى مغامراته التى نريد عرضها ، نذكر التشابه بينه وبين دعوة القس النصرانى ـ وليم ميللر ، مؤسس جماعة الأدفنتست (١٧٨٢ ـ ١٨٤٩) ، فقد أعلن : أن المسيح عيسى ابن مريم سيرجع فى شهر مارس سنة ١٨٤٤ م ، وأيده عدد من القسس ، ولما لم يظهر أجل ظهوره إلى شهر أكتوبر من العام نفسه ، ولم يظهر فسمى هذا الموعد باسم « الخيبة الكبرى » The great disappointment ، وانفض أتباعه من حوله إلا قليلاً .

ولكن أتباع سبتاى ، لم ينفضوا ، واكتفوا بالإيمان بظهور المسيح اليهودى ، وكان لحسن حديثه وجاذبية محاضراته أثر كبير فى بقاء أفكاره .

وادعى سبتاى أن روح الإله هبطت عليه فى هذا العام نفسه ، وأنه هو المسيح المنتظر ، وقال : إنه بينما كان يمشى فى ليلة مقمرة هادئة ، خاطبه الله وقال له : أنت مخلص إسرائيل ، أنت المسيح بن داود ، والمختار من لدن إسرائيل « يعقوب » أنت المقدر لك جمع الشتات الإسرائيلى فى أورشليم » .

ولنلاحظ ثانياً ما بين هذا الادعاء وبين ما نادى به الرسول بولس ، حيث ادعى أن المسيح هبط عليه من السماء وخاطبه ، فانقلب مسيحياً بعد ان كان عدواً للمسيحيين .

وصدّق الكثيرون دعوى سبتاى والتفوا حوله . وعارضه الكثير أيضاً ، وكان على رأس معارضيه حاخام أزمير الأكبر . وكان له مقامه بين اليهود ، ولما لم ينجح فى رده ووقْف دعوته جمع الحاخامات ، وكونوا مجلساً قرروا فيه وجوب قتل سبتاى ، وإهدار دمه ، ولم يستطع الصمود أمام هذا القرار . فاختفى وفر سراً إلى القسطنطينية ، بعد عامين من اعلان دعواه ، وتقفاه خصومه ؛ لأنهم رأوا فى دعواه خطراً على اليهودية ، ففر إلى « سلانيك » ـ وكان له فيها أنصار معجبون بفكره وبراعته فى معرفة الأرقام الأبجدية ، وفهم أسرارها ، فالتفوا حوله ، ووجد الفرصة سانحة لإعلانه عن نفسه أنه مسيح اليهود ، فأعلنها ولم يعدم الأتباع والأنصار الكثيرين ، وأزعج ذلك خصومه من الحاخامات ، فأعلنوا من جديد حربه ، وأنه مهدر الدم

لا كرامة له ولا دية على قاتله ، وأسرع هو بالهرب ، ففر إلى « أثينا » وأقام بها زمناً قصيراً ، ثم عاد سراً إلى استانبول ، فاختبأ عند صديق له ، وبقى مختبئاً حتى نُسِىَ أمره ، وغفل الناس عنه وعن دعواه ، فرجع إلى « أزمير » مسقط رأسه علّه يجد حماية ، أو يجد جواً جديداً لدعوته ، ولم يطب له المقام ، فقرر الذهاب إلى فلسطين وصحبه بعض أنصار له فعرج على « مصر » ، وأقام بها فترة ، وتزوج من بنت يهودى مصرى ، كان ثرياً وكان يؤمن بدعوة سبتاى ، فأعطاه من ماله ما يستعين به فى الدعوة لفكرته . وصادف فى هذا الوقت أن ظهرت بين المسيحيين دعوة لظهور المسيح فى هذه السنة سنة ١٦٦٦ ، فانتهز سبتاى الفرصة ، وأراد أن يكون مسيح اليهود ومسيح النصارى جميعاً ، ولذا عاد إلى « أزمير » ليجمع اليهود حوله ، فنبّه أمْرُه ، وجاء اليهود من هنا وهناك يبايعونه ، حتى يهود كثير من تركيا أعلنوا إيمانهم به ومبايعته ، وألبسه أتباعه تاج « ملك الملوك » وقالوا : إنه هو الذى سيذهب إلى فلسطين أرض المعاد يؤسس فيها دولة « يهوه » ، ويبدأ توسعتها حتى تشمل العالم كله ، وصدقه أيضاً بعض النصارى ، لأنه أعلن أنه ابن الله الأول والوحيد له ، وأصدر مراسيم وقعها باسمه وصفاته ، وخيل إليه حينئذ أنه جمع بين ملك إسرائيل وإله المسيحيين ، ولكن قاضى أزمير المسلم العثمانى أمر بالقبض عليه ، فأنكر حين استجوب أنه قال أى شىء من هذا ، وأمر القاضى بسجنه حتى يتوب ويظهر كذبه .

وأثناء سجنه ظهر حاخام آخر يدعى « نحمة كوهين » ادعى أنه مسيح اليهود ، وبمكر يهودى وَشَى به لدى الحكام أنه يسعى لقلب الدولة العثمانية وإقامة دولة يكون هو ملكها . واستدعى السلطان سبتاى فأنكر كل شىء وأعلن إسلامه ، واتخذ لنفسه اسم « محمد الباب » ، وعفا عنه السلطان ، ولكن اتباعه تفرقوا من حوله .

وكتب إلى أتباعه سرا أنه ليس بمسلم ، وأنه على يهوديته ، ونصح لهم أن يظهروا الإسلام ، ويبطنوا اليهودية ، فإذا لقوا المسلمين قالوا : آمنا ، وإذا خلوا إلى إخوانهم من اليهود قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

ومات سبتاى ولم تمت فرقته ، وليست فكرة النفاق التى بثها خاصة به ولا هى مستحدثة ، وقد ادعى الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون الإسلام وارتد عنه ، ولكن أتباع سبتاى انبثوا فى كيان الدولة العثمانية ، وفى كيان دول أخرى ، فدبروا المكايد الكبرى ، وكانوا يبثون أعضاءهم فى الدولتين العدوين فإذا عقدت مؤتمرات صلح كان منهم ممثلوا الدولتين ، فيدبرون ما يريدون .

ومن الوسائل الشائعة أن يتظاهروا بحب الإنسانية والعمل على إسعادها ، ومهمتها الكبرى إضعاف الروح الدينى فى غير اليهود ، لذا يشيعون المنكرات من السكر والفسق ، بين الناس كى تلين جلودهم لدعواهم ، وتقسو قلوبهم عن الاستجابة لتعاليم دينهم ، وهم يتظاهرون دائماً بغير ما يبطنون .

وقد بلغ من نفاق سبتاى أنه أراد أن يحج إلى مكة ويزور قبر النبى محمد ـ ﷺ ـ ولكن الشكوك قويت ضده فلم يسمح له بذلك ، ثم نفته الدولة العثمانية إلى « ألبانيا » فبقى مدة وجيزة نحو خمسة أعوام أغوى فيها الكثير وضلل الكثير وغرر بالكثير ثم مات سنة ١٦٧٥ ، وبقيت سيرته مثلاً للنفاق الماسونى ، صداقة الناس جميعاً ظاهراً ، وكراهتهم واحتقارهم باطنا ، وإخلاصهم الحق وعملهم الدائب إنما هو للصهيونية وحدها .

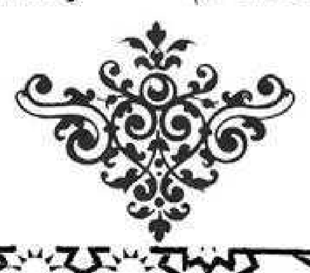

لحظات طيبات مع الإمام :

محمد بن شهاب الزهرى

إعداد : عادل خفاجة

قال عنه الليث بن سعد :

ما رأيت عالماً قطُّ أجمع من ابن شهاب ، يحدث فى الترغيب ، فتقول : لا يحسن إلا هذا ، وان حدث عن العرب والأنساب ، قلت : لا يحسن إلا هذا ، وان حدث عن القرآن والسنة ، كان حديثه .

هو محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، إمام العلم ، وحافظ زمانه .

ولد سنة خمسين من الهجرة النبوية وقيل سنة ست وخمسين .

مفتاح شخصيته :

لعل أهم ما يُميِّز الإمام الزهرى ، كرمه . أو قل ـ إن شئت ـ إن الكرم مفتاح شخصيته .

ويكفينا أن نقول أنه كان يستدين ليعطى غيره .

وهو ما ذكره أبو صالح عن الليث ، قال : كان ابن شهاب من أسخى من رأيت ، كان يعطى ، فإذا فرغ ما معه يستلف من عبيده ، أو يقول : يا فلان أسلفنى .

وقال مالك : كان ابن شهاب من أسخى الناس ، فلما أصاب الأموال ، قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت ما مرَّ علينا من الضِّيق ، فانظر كيف تكون ،

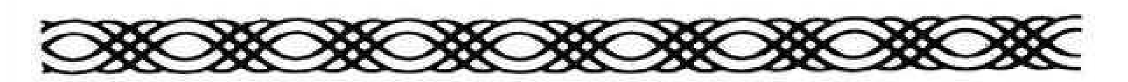

أمسك عليك مالك . قال : « إن الكريم لا تحنكه التجارب » .

وأى تجارب تحنك رجلاً عَلِمَ أنه ما نقص مال من صدقة ؟!

ونزل مرة بماء ، فشكا إليه أهل الماء ، ان لنا ثماني عشرة امرأة عُمرِية : أى لهن أعمار[1] ليس لهن خادم ، فاستلف ثمانية عشر ألف ، وأخدمَ كل واحدةٍ خادماً بألف .

وكان ابن شهاب يتمتع بنفس هادئة ، هانئة ، لا يخلو كلامه من مقولة طريفة ، أو إلماحة ظريفة ، على ما كان يمر عليه من شدة - كدين مثلاً - وأنى يتكدر من علم أن الله قاضٍ عنه دينه .

قال سعيد بن عبد العزيز : قضى هشام عن الزهرى سبعة آلاف دينار ، وقال : لا تعد لمثلها تدّان ، فقال : يا أمير المؤمنين حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

ولعل هذا الكرم الذى كان عليه الزهرى ، هو ما جعل فائد بن أقرم يمدحه قائلاً :

ذر ذا وأثن على الكريم محمد .·. واذكر فواضلهُ على الأصحاب
وإذا يُقال من الجواد بماله .·. قيل : الجواد محمدُ بنُ شهاب
أهل المدائن يعرفون مكانه .·. وربيع ناديه على الأعراب

غزارة علمه :

كان ابن شهاب قد جمع من العلم الكثير ، يهم به وبأسانيده ، وقد سمع الناس يوماً يذكرون حديث الرسول - ﷺ - ، يقولون : قال رسول الله ، وقال رسول الله - ﷺ - فقال لهم : يا أهل الشام ، ما لى أرى أحاديثكم ليست لها أزِمّة ولا خُطُم ؟ قال الوليد : فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ .

وعن الدراوردى ، قال : أول من دوَّن العلم وكتبه ابن شهاب . وعن ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال : ما رأيت أحداً أنصَّ للحديث من الزهرى .

وعن إبراهيم بن سعد قال : سمعت أبى يسأل الزهرى عن شيء من الخلع والإيلاء ، فقال : إن عندى لثلاثين حديثاً ما سألتمونى عن شيء منها .

ويحكى هو عن نفسه ، يقول :

نشأت وأنا غلام ، لا مال لى ، ولا أنا فى ديوان ، وكنت أتعلم نسب قومى من عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير ، وكان عالماً بذلك ، وهو ابن أخت قومى وحليفهم . فأتاه رجل ، فسأله عن مسألة الطلاق فعيَّ بها وأشار له إلى سعيد بن المسيّب ، فقلت فى نفسى : ألا أرانى مع هذا الرجل المُسن يذكر أن رسول الله - ﷺ - مسح رأسه ، ولا يدرى ما هذا ؟! فانطلقت مع السائل إلى سعيد بن المسيب ، وتركت بن ثعلبة ، وجالست عروة ، وعبيد الله ، وأبا بكر بن عبد الرحمن .

حتى فقهت ، فرحلت إلى الشام ، فدخلت مسجد فى السحر وأممت حلقة ، تجاه المقصورة عظيمة ، فجلست فيها فنسبنى القوم فقلت : رجل من قريش ، قالوا : هل لك علم بالحكم فى أمهات الأولاد ؟ فأخبرتهم بقول عمر بن الخطاب فقالوا : هذا مجلس قبيصة بن ذؤيب وهو حاميك ، وقد سأله أمير المؤمنين وقد سألنا فلم يجد عندنا فى ذلك علماً ، فجاء قبيصة فأخبروه الخبر ، فنسبنى فانتسبت ، وسألنى عن سعيد بن المسيب ونظرائه فأخبرته . قال : فقال : أنا أدخلك على أمير المؤمنين ، فصلى الصبح ثم انصرف فتبعته ، فدخل على عبد الملك ، وجلست على الباب ساعة ، حتى ارتفعت الشمس ، ثم خرج الآذِنُ ، فقال : أين هذا المدنى القرشى ؟ قلت : ها أنا ذا ، فدخلت معه على أمير المؤمنين فوجدت بين يديه المصحف قد أطبقه ، وأمر به فرفع ، وليس عنده غير قَبيصة جالساً ، فسلمت عليه بالخلافة ، فقال : من أنت ؟ قلت : محمد بن مسلم - وساق آباءه إلى زهرة ....

---

(١) أى : معمرات .

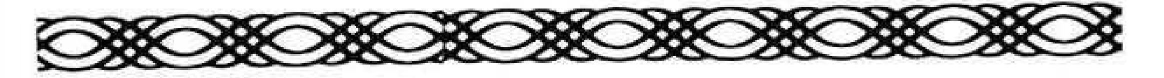

قال : ما عندك فى أمهات الأولاد ؟ فأخبرته عن سعيد ، فقال : كيف حاله ؟ فأخبرته ، ثم قلت : وأخبرنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسأل عنه ، ثم حدثته الحديث فى أمهات الأولاد عن عمر ، فالتفت إلى قبيصة ، فقال : هذا يكتب به إلى الآفاق .

ومما يدل على غزارة علمه ، ما قاله عراك بن مالك ، حين سأله جعفر بن ربيعة : من أفقه أهل المدينة ؟

قال : أما أعلمهم بقضايا رسول الله ـ ﷺ ـ وقضايا أبى بكر وعمر وعثمان ، وأفقههم فقهاً ، وأعلمهم بما مضى من أمر الناس ، فسعيد ابن المسيب ، وأما أغزرهم حديثاً فعروة ، ولا تشاء تُفجِّر من عبيد الله بن عبد الله بحراً الا فجرته ، وأعلمهم عندى جميعاً ابن شهاب ، فانه جمع علمهم جميعاً إلى علمه .

وعن مالك : إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه . لقد أدركت فى المسجد سبعين ممن يقولون : قال فلان قال رسول الله ـ ﷺ ـ ، وإن أحدهم لو ائتمنَ على بيت مال لكان به أمين ، فما أخذت منهم شيئاً ؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن . ويقدم علينا الزهرى وهو شاب فنزدحم على بابه .

وعن عبد الرزاق أنه سمع معمراً يقول : كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهرى ، حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول : « من علم الزهرى » .

وكان الإمام الزهرى من الأئمة العاملين ، وكان يعلم أن الناس لا يقنعهم إلا القدوة ، فما حاجتهم إلى من يقول ولا يعمل ! لذا نراه يقول : « لا يرضى الناس قول عالم لا يعمل ، ولا عمل عامل لا يعلم .

ورعـــه :

كان الزهرى على جانب كبير من الورع إلى ما تمتع به من علم بالسنة النبوية المطهرة . فكان تذكره للحديث يأخذ بروعه ؛ فقد روى مروان بن محمد أنه سمع الليث يقول : تذكر ابن شهاب ـ ليلة بعد العشاء ـ حديثاً وهو جالس يتوضأ ، فما زال ذاك مجلسه حتى أصبح .

وكان يقول : اعادة الحديث أشدُ علىَّ من نقل الصخر .

حبه الإيجاز فى القول :

وكان يحب التخفيف عن الناس والإيجاز فى القول ؛ فقد أُثر عنه قوله « إذا طال المجلس ، كان للشيطان فيه نصيب » .

ومن أقواله :

- « الاعتصام بالسنة نجاة » .
- « العمائم تيجان العرب ، والحُبْوة حيطان العرب ، والاضطجاع فى المسجد رباط المؤمنين » .
- ثلاث إذا كن فى القاضى فليس بقاض : إذا كره الملام ، وأحب المحامد ، وكره العزل .
- الايمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن وحد ولم يؤمن بالقدر ، كان ذلك ناقصاً توحيده .
- وحين سُئل عن صيامه النفل فى السفر مع أنه يفطر فى رمضان فى السفر قال « إن رمضان له عدة من أيام أخر » .

من روى عنهم :

روى عن ابن عمر وجابر بن عبد الله شيئاً قليلاً.

وروى عن سهل بن سعيد ، وأنس بن مالك ، ولقيه بدمشق ، والسائب بن يزيد ، وعبد الله بن ثعلبة بن صُغير ، ومحمود بن الربيع ، ومحمود بن لبيد ، وسنين أبى جميلة ، وأبى الطفيل عامر ، وعبد الرحمن بن

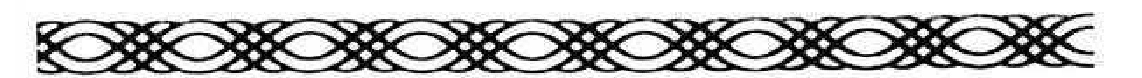

أزهر ، وربيعة بن عباد الديلي ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، ومالك بن أوس بن الحدثان ، وسعيد بن المسيب ، وجالسه ثماني سنوات ، وتفقه به ، وعلقمة بن بن وقاص ، وكثير بن العباس ، وأبي أمامة بن سهل ، وعلي بن الحسين ، وعروة بن الزبير ، وأبي إدريس الخولاني ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان ، وسالم بن عبد الله ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، ومحمد بن النعمان بن بشير ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعثمان بن إسحاق العامري ، وأبي الأحوص مولى بني ثابت ، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، والقاسم بن محمد ، وعامر بن سعد ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعبد الله بن كعب بن مالك ، وغيرهم كثير .

من حدثوا عنه :

حدث عنه عطاء بن أبي رباح ، وهو أكبر منه ، وعمر بن عبد العزيز ومات قبله ببضع وعشرين سنة ، وعمرو بن دينار وقتادة بن دعامة ، وزيد بن أسلم ، وطائفة من أقرانه ، ومنصور بن المعتمر ، وأيوب السختياني ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأبو الزناد ، وصالح بن كيسان ، وعقيل بن خالد ، ومحمد بن الوليد الزبيدي ، ومحمد بن أبي حفصة ، وبكر بن وائل ، وعمرو بن الحارث ، وابن جريج ، وجعفر بن برقان ، وزياد بن سعد ، وعبد العزيز بن الماجشون ، وأبو أويس ، ومعمر بن راشد ، والأوزاعي ، وشعيب بن أبي حمزة ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وإبراهيم بن سعد ، وسعيد بن عبد العزيز ، وفليح بن سليمان ، وابن أبي ذئب ، وابن إسحاق ، وسفيان بن حسين ، وصالح بن أبي الأخضر ، وسليمان بن كثير ، وهشام بن سعد ، وهشيم بن بشير ، وسفيان بن عيينة ، وغيرهم كثير .

وله نحو من ألفي حديث ، قال أبو داود : له ألفان ومائتا حديث ، النصف منها مسند .

من الأحاديث التي رواها :

• روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي - ﷺ - : « كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات »[٢] .

• وروى عن أبي هريرة حديث « لتنتقن كما ينتقى التمر »[٣] .

• وروى عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله - ﷺ - ، إذا اعتكف يدني إليّ رأسه فأرجله ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان[٤] .

وفاته :

وكانت وفاته في سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة وقبره بأدما - وهي أول أعمال فلسطين وآخر أعمال الحجاز ، وكان بها ضيعة للزهري - رحمه الله .

---

(٢) أخرجه البخاري : في فضائل القرآن : باب فضل المعوذات .
(٣) أخرجه ابن ماجة في الفتن (٤٠٣٨) .
(٤) أخرجه البخاري ٤/٢٣٦ في الاعتكاف .

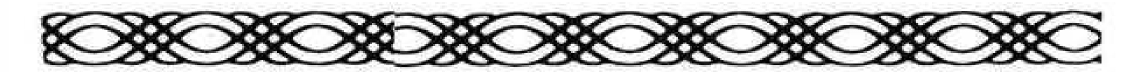

فريضة العمر

أحكاماً وأسراراً

لفضيلة الشيخ: معوض عوض إبراهيم

الحج إلى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة هو خامس أركان الإسلام ، وهو فريضة العمر ، وجامع التكاليف الالهية فى الدين العظيم ، فانت فيه تصلى ، وتصوم وتتصدق وتُرى الله من نفسك كل الفضائل الإنسانية ، وتُرى من خلال أعماله ومشاهده أولئك الذين جاءوا كما جئت ﴿من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم﴾ (سورة الحج ٢٨) فى طليعتها مع تعميق العقيدة ، وتجريد الايمان وتصحيح المعرفة لقاءُ الاخوة فى الله والتواصى وإياهم بالحق ، والتناجى بالبر والتقوى ، والعلم بأحوالهم على النحو الذى يحرصون عليه من أحوالنا الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، ابتغاء التكامل فى ذلك وماوراءه حتى نكون الأمة الواحدة المتضامنة المتعاونة ، المتواصلة المتكافلة ، التى تبرز ــ بالعمل لا بالتمنى والتغنى والإنشاد ــ مراد رسول الله ﷺ فى قوله « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم» رواه الامام على وأخرجه أبوداود فى الديات ، والنسائى فى القسامة ، وابن ماجه فى الديات ، قال الشوكانى فى « نيل الأوطار » جـ٧ من « كتاب الدماء » قوله « وهم يد على من سواهم» أى هم مجتمعون على اعدائهم ، ولايسعهم التخاذل ، بل يعاون بعضهم بعضا ..

والشهادة لله بالوحدانية وللنبى ﷺ بالرسالة ، وفرائض الصلاة والصيام والزكاة ، ترسى قواعد الاخوة فى الله ، وتشد بيننا الاواصر ، وتجعلنا كجوارح الجسد الواحد ، ثم تجىء الفريضة الخاتمة تماما لهذه الحقيقة فى ظروف السفر والنزول فى مواقع ومواقف نؤدى فيها شرائع الحج ، وشعائر العمرة ، إحراما فى المواقيت وطوافا بالبيت ، وسعيا بين الصفا والمروة ، ووقوفا بعرفة ومبيتا بمزدلفة ، وبقاء بمنى حيث ترمى الجمرات ، فى أيام معدودات ، تتناجى فيها ارواح عباد الرحمن بهواتف الايمان ، وترهف فيها الآذان ، لما يحكيه الزمان والمكان من أنباء أبى الأنبياء ابراهيم ، وابتلاء الذبيح المفتدى اسماعيل ومولد محمد ﷺ ونشأته وسيرته إلى بعثته حتى زهق الباطل ، وولت جحافل الشرك الأدبار ، وأكمل الله الدين وتمت به على البشرية النعمة ، وقامت الأمة التى امتن الله بها وهو يوحى إلى مصطفاه من فوق سبع سموات فى حجة الوداع يوم الحج الاكبر ــ عرفات ــ

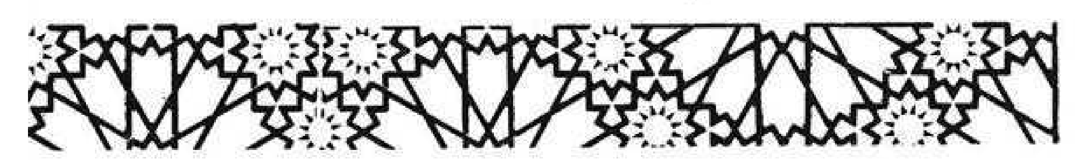

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

(المائدة /٣)

وكان المسلمون ، كما قال الله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران /١١٠)

ورضى الله عن الخليفة الراشد عمر فقد قال وهو يذكر هذه الآية « أيها الناس من سرَّه أن يكون من تلكم الأمة ، فليؤد شرط الله فيها » حكاه قتادة ، كما ذكر العلامة الألوسى فى تفسيره « روح المعانى » جـ٤ ص٢٨ .

وفريضة الحج خليقة بأن يعرف أحكامها وحكمها المسلمون بعامة وأن يعرف ذلك بخاصة وفد الله إلى أشرف البقاع وأكرم المنازل ، حتى يكونوا على بينه من أمر الله وسنة مصطفاه وهم يتمون الحج والعمرة لله .. بعد أن أوجب الله الفريضة الخاتمة فى ختام آيات نوّة فيها بأول بيت قام على أرض الله مخلصا لوجهه وفيه معالم الخير ، ومنابع الأمن ، وجوامع الذكر والطهر قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

(آل عمران /٩٦ — ٩٧)

ورطبت الأفئدة فى سورة البقرة آيات بناء إبراهيم وإسماعيل البيت « بواد غير ذى زرع » سورة إبراهيم /٣٧ بعد أن بوأ الله لخليله « مكان البيت » (سورة الحج /٢٦) .

وتابع وإسماعيل أمر الله ، كما قال :

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

(البقرة / ١٢٧ — ١٢٩)

تجد التوجيه الكريم فى هذه الآيات وهى تستعين بذكر الله على انجاز ما شمروا له وأخذوا به أنفسهم من صوالح الأعمال ، وأن يلفتوا إلى ذلك الأبصار ، ويشحذوا الخواطر والهمم لأخذ ما نيط بإبراهيم وإسماعيل وهدوا إليه كما فعل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فكان البيت ﴿ مثابة للناس وأمنا ﴾ (البقرة /١٢٥) وكان البيت كله ﴿ آمنا ﴾ (البقرة /١٢٦) وإبراهيم /٣٥ وجلّت منة الله وهو يقول :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ

(العنكبوت /٦٧)

وبقيت الكعبة البيت الحرام ﴿ قياما للناس ﴾ (المائدة /٩٧) فى حين تقوم الساعة « قوام دنيا وقوام دين » وقيام أصلها قوام قلبت الواو ياء لمناسبة الكرة قبلها ، والكلمة فى أول سورة النساء ﴿ أموالكم التى جعل الله لكم قياما ﴾ ٥ — النساء

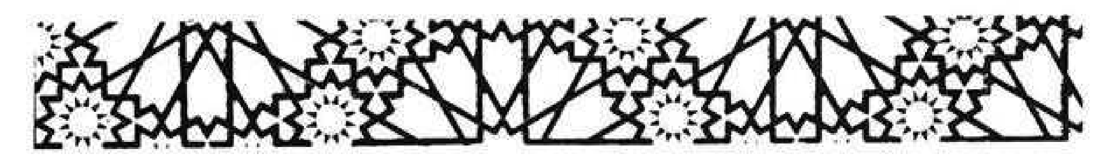

قال صاحب تفسير المنار فيما قال الراغب : القيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء ويثبت كالعماد والسناد وذكر الآية ، وفسرت فى الكشاف ــ للزمخشرى ــ بقوله : «أى تقومون بها وتنتعشون ، ولو ضيعتموها لضعتم» تفسير المنار جـ٤ ص٣٧٨ .

وهذا القدر من الفهم يدنى من مراد الله فى آية المائدة ، ففى عز الكعبة عز الإسلام والمسلمين ، وهيبتهم بقدر قيامهم دونها ، وانطلاقهم منها إلى أمور دينهم ودنياهم ، ولعلى ألمح الى ما قال الامام القرطبى فى ذلك جـ٦ ص٣٢٥ «قياما للناس» أى صلاحا ومعاشا لأمن الناس بها ، حتى قال يقومون بها ، ويقومون بشرائعها اجل ، بقيت الكعبة البيت الحرام قياما للناس ، ترفل فى الأمن والسعة ويرد الله عنها بغى البغاة ، ويبُك أعناق الجبابرة عنها حابس الفيل كما كان ذلك تكريما وإرهاصا برسالته صلوات الله عليه .

وأنت واجدٌ الحج ومايتصل به حديثا عجبا فى سورة البقرة وآل عمران والتوبة وابراهيم والحج والقصص والعنكبوت والفيل ، وهو ان كان الماحا فى مواقف وبسطاً فى اخرى فلقد تكفلت السنة المطهرة وحج النبى ﷺ بالتفصيل الذى يشفى العليل ويروى الغليل ، ويضيء الى كمال النسك السبيل .

وقد مرت بك آيات «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا» إلى آخر «إنك أنت العزيز الحكيم» .

وتطالعك آيات تحويل القبلة ومافيها من معانى الاعزاز والاعتراف بما أجرى الله على يد الخليل من نعمة بناء الكعبة .

فاذا قرأت «وَأتموا الحج والعمرة لله» إلى آخر واذكروا الله فى أيام معدودات» البقرة / ١٩٦ .

أخذت أحكاما وآدابا لابد منها للجميع ومنها جواز التكسب المشروع والإفاضة من عرفات ، والمشعر الحرام والذكر الخاص فى «أيام معدودات» .

وتمثل آيات سورة إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ الآيات ٣٥ ــ ٤٠

وآيات سورة الحج ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ الآيات ٢٦ ــ ٣٠ فانك واجد رى الإيمان ، وقرة العين وصدق العزم على إن تعيش مع المكتين وتغدو وتروح بين المسجدين وتستثير ماضيا لابد منه لاتمام المسيرة على الدرب الذى سلكه الله بمحمد ﷺ لنكون مرة اخرى «خير أمة أخرجت للناس» .

تنـــويه

ذكر فى عدد شهر شوال ١٤١٢هـ من مجلة الأزهر الشريف فى باب «الفتاوى» .

بكراهة الإمام مالك وأبو يوسف صيام الست أيام من شوال .

نفيـد الآتى :

ذكر فى «الموطأ» ص ٣١١ فى «كتاب الصيام» الجزء الأول . أن سبب الكراهة هو مخافة البدعة وأن يُلحق برمضان ما ليس منه أهلُ الجهالة والجفاء لو رأوا فى ذلك رخصة عند أهل العلم ورأوهم يعملون ذلك . وهذا نص ما ذكر فى «الموطأ» .

والله تعالى أعلم

لذا وجب التنويه .

الفتاوى

إعداد : الأستاذ: عبد المنعم فودة

ما حكم التركة

السؤال من السيد/ س.ى.ع :

رجل ذريته بنات ويريد أن يعطى كل تركته لبناته وزوجته ؟ فما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد : بأن للرجل أن يتصرف فى ماله حال حياته كيف يشاء فى حدود الدين الحنيف . فإذا كان هذا الرجل يريد أن يكتب كل أملاكه لبناته وزوجته بغرض حرمان عصبته فهذا حرام شرعاً . ولكن يجوز له أن يوصى لبناته وزوجته بجزء من ماله فى حدود الثلث وان كنا ننصح السائل بأن يتركها لتقسيم الله سبحانه وتعالى فهذا أفضل والله تعالى أعلم .

●●●

حكم حشو الاسنان بالذهب

السؤال من السيد/ ت.ج.ف :

١ ـ ما حكم المضمضة فى الوضوء والاغتسال مع عدم وصول الماء تحت سن الذهب أو الفضة أو البلاتين من الفم ؟

٢ ـ هل يجوز حشو الأسنان المسوسة بأى شىء أو تركيب غطاء لها بمعدن من المعادن كالذهب والفضة والبلاتين ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

أما حشو الأسنان والأضراس بما يسد فجواتها فى الصناعة ، أو تغطيتها بمعدن كالذهب أو الفضة أو البلاتين أو أو نحوها ، أو شد بعضها إلى بعض بالأسلاك المعدنية بحيث أصبح الحشو والغطاء كأنه جزء من الأصل متصل به اتصالاً ثابتاً مستقراً ، وكذلك السلك المشدود به . فالظاهر من القواعد العامة أنه لا يجب فى الوضوء والغسل إزالتها ، بل يجرى عليها الماء بحالتها الراهنة ، ولا يجب غسل ما تحت الحشو والغطاء أو الأسلاك لما فى ذلك من بالغ الحرج والمشقة وهما مندفعان فى التشريع .

قال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

وقال تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

وأى حرج أشد من الزام المتوضىء والمغتسل إزالة ذلك وهو لم يلجأ إليه إلا للضرورة الصحية ودفعاً لألم شديد .

أما استعمال الذهب والفضة والبلاتين ونحو ذلك فى حشو الأسنان والأضراس أو غطائها فجائز للضرورة . وكثير من الأئمة قد شد أسنانه بالذهب

الفتاوى

مثل (موسى بن طلحة) و (أبى رافع) و (ثابت البنانى) و (إسماعيل بن زيد بن ثابت) و (المغيرة بن عبد الله) ورخص فيه الحسن البصرى والزهرى والنخعى وأئمة الحنفية . وعند الإمام أبى حنيفة يتخذ ذلك من الفضة فقط وعند محمد من الذهب أيضاً . فقد أبيح من الذهب والفضة ما دعت الضرورة إليه .

•••

الحج بدون محرم

ومخالفة رغبة الزوج فى عدم الذهاب إلى الحج

السؤال من السيدة/ أ.ف.ح :

أنا سيدة مصرية مسلمة ومتعلمة ومتزوجة وأود الحج ولكن زوجي يمنعني عن أداء هذه الفريضة بمفردي دونه مع ملازمتي لإحدى قريباتي نظراً لعدم سنوح فرصة له لترك أعماله لأنه ليس له معين سوى الله . فهل إذا خالفته وصممت على أداء الفريضة قهراً عنه بمفردي فهل هذا يعني مخالفة لأصول الدين . وهل أعاقب على ذلك من الله . أرجو إفادتي ..؟

الجواب :

اطلعنا على هذا السؤال . ونفيد أنه لا يجب الحج على السيدة المذكورة إلا إذا كان معها زوجها أو محرم لها بالغ عاقل ، ولا يحل لها أن تحج بدون زوجها أو محرمها لحديث البخارى ومسلم « لا تسافر امرأة ثلاثاً إلا ومعها محرم » زاد مسلم فى رواية « أو زوج » ولقوله عليه الصلاة والسلام « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو زوجها أو ابنها أو أخوها أو ذو محرم معها » رواه الترمذى وغيره . وعن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال « لا يحل لامرأة تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محرم عليها » وغير ذلك من الأحاديث التى وردت عن رسول الله - ﷺ - .

من هذا يعلم أن السيدة إذا سافرت من غير زوجها أو محرم لها كانت آثمة مرتكبة ما نهى عنه رسول الله - ﷺ - من السفر بدون زوج أو محرم ومرتكبة أيضاً معصية أخرى هى مخالفة زوجها الذى فرض الله على الزوجة طاعته فى غير معصية والذى جعل حقه على المرأة أوجب من حق أبيها عليها كما تدل على ذلك أحاديث كثيرة عن رسول الله - ﷺ - ويكفينا أن نذكر منها ما رواه الترمذى عن أبى هريرة أن النبى - ﷺ - قال : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

وبهذا علم الجواب عن السؤال والله سبحانه وتعالى أعلم .

•••

ما حكم الشرع

السؤال من السيد/ د.ح.ف :

ما حكم الشرع فى قراءة القرآن فى المسجد ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد

يرجى من السادة القراء الذين لهم استفسارات أو استفتاءات

أن يكتبوا مباشرة استفساراتهم أو استفتاءاتهم إلى رئيس تحرير المجلة

بمكتبه بالجامع الأزهر .

المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد .. بأنه لا مانع من قراءة القرآن داخل المسجد وبشرط ألا يكون هناك تشويش على المصلين .

والله تعالى أعلم .

●●●

الأضحية

السؤال من السيد/ ت.ح.ف :

هل يجوز الأضحية بضأن بدون أليه ؟

الجواب :

الأضحية بكبش أو شاة من الضأن بدون أليه تجوز إذا كان ذلك خلقة بأن خلقها الله بدون ألية . أما إذا قطعت الأليه منها فانها لا تجزىء أضحية .

والله أعلم .

●●●

س : سيدى الفاضل انى مواطن مصرى فى الغربة ولى سؤال فى غاية الأهمية حيث أنه يحدد مصير طفلين بريئين والسؤال باختصار هو :

انى مسلم الديانة وقد تزوجت بامرأة غير مسلمة (مسيحية) واستمر زواجنا سبع سنوات أنجبنا خلالها طفلين ولد فى السادسة من العمر وبنت فى الثالثة من العمر .. ومنذ عام طلبت زوجتى الطلاق .. وبعد الكثير من المحاولات اضطررت لطلاقها ومنحها حريتها ولقد سافرت بالطفلين إلى الوطن مصر بحجة ان الطفلين فى حضانتها لصغر سنهما . ونظراً لأن الطفلين مسلمان وأيضاً لصغر سنهما فانى أخشى تأثير والدتهما وباقى أهلها على هذين الطفلين خاصة بعيداً عنى . فهل يحق شرعاً للأم غير المسلمة حضانة أطفالها من أب مسلم وما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد أن الأصل فى الحضانة للأم ولو كانت كتابية إذا لم يعقل الصغار الأديان وتوفرت فيها الشروط اللازمة للحضانة ما لم يثبت خلاف ذلك .

أما فيما يتعلق بسن الحضانة للصغير فقد نصت المادة ٢٠ من القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ م أحوال شخصية ينتهى حق حضانة النساء ببلوغ الصغير سن العاشرة وبلوغ الصغيرة اثنى عشرة سنة . ويجوز للقاضى بعد هذه السن إبقاء الصغير فى يد الحاضنة دون أجر حضانة حتى فى سن الخامسة عشرة والصغيرة حتى تتزوج إذا تبين ان مصلحتهما تقتضى ذلك والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ خ.م :

امرأة إذا وصل الماء إلى وجهها حدثت لها التهابات شديدة . ولا تريد ترك الصلاة ، فماذا تفعل فى الوضوء ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فنفيد بأنه إذا كان وصول الماء إلى وجه السيدة يحدث لها التهاباً شديداً كما ذكرت وليس لها علاج يمنعه فلها أن تتيمم لكل صلاة وتغسل باقى أعضاء الوضوء مع المسح على الرأس هذا إذا كان الحال كما ذكرت فى السؤال والله سبحانه وتعالى أعلم .

وتقنية الطواحين الهوائية

أ.د. أحمد فؤاد باشا

انطبع العصر الصناعى الذى نعيشه بسمة التوسع الهائل فى استهلاك الطاقة على حساب مخزون الأرض المحدود من مصادر تقليدية تشمل الفحم والبترول والغاز الطبيعى . ومن ثم فإن البشرية تعلق على العلم والتقنية آمالاً كبيرة فى تطوير مصادر جديدة ومتجدد لانتاج الطاقة النظيفة بأقل كلفة ممكنة . فالشمس والأرض والرياح والمياه والنبات والحيوان كلها مصادر لا تنضب لطاقات الإمداد بقدرات كهربية وحرارية وميكانيكية . وسوف نعرض فى هذا المقال للتعريف بطاقة الرياح وآفاق استخدامها للإسهام فى تلبية احتياجات النشاط الإنسانى المتزايد ، خاصة بعد أن أدخلت تعديلات هامة على تقنية الطواحين الهوائية الحديثة لتطوير أدائها وتحسين كفاءتها .

كيف تنشأ الرياح ؟

تنشأ الدورة العامة للرياح من تحرك الهواء تحت تأثير فروق الضغط الجوى ، مندفعاً من مناطق الضغط العالى ومتّجها نحو مناطق الضغط المنخفض . وتنشأ هذه الفروق بدورها نتيجة لاختلاف معدّلات التسخين فى الجو باختلاف سطح البرّ والبحر وباختلاف ميل أشعة الشمس على سطح الكرة الأرضية . فأشعة الشمس المتعامدة على سطح الأرض فيما بين المدارين تؤدى إلى زيادة تسخين الهواء الجوى ، ومن ثم تقل كثافته وينخفض ضغطه . وكلما زاد ميل الأشعة زاد تبريد الهواء ، وارتفع الضغط الجوى ، كما هو الحال عند القطبين حيث تكاد تسقط أشعة الشمس موازية لسطح الأرض . من ناحية أخرى ، يؤدى دوران الأرض حول محورها إلى دوران الغلاف الجوى معها بنفس الطريقة ، مما يجعل الرياح أيضاً تلف وتدور أثناء تحركها .

وهكذا يتضح أن العوامل المسببة لنشأة الرياح وحركتها هى عوامل كونية من تقدير الله سبحانه وتعالى الذى يحكم أمرها ويدبّر تصريفها لفائدة الإنسان ونفعه ، مصداقاً لقوله عزّ من قائل :

﴿ وهو الذى يرسل الرياح بُشراً بين يدى رحمته ﴾

(سورة الأعراف آية : ٥٧)

وتدلنا دراسات الأرصاد الجوية على أن الدورة العامة للرياح ، بما فيها من تيارات هوائية رأسية وأفقية ، تؤدى إلى احلال الهواء البارد محل الهواء الساخن ، وتعمل بذلك على توزيع الطاقة الحرارية بالعدل والقسطاس طبقاً لما يناسب احتياجات الحياة والأحياء فى مناطق الأرض المختلفة .

ويحتاج الأمر إلى دراسات إحصائية وتجريبية مطوّلة لرسم خرائط توزيع الضغط ودرجة الحرارة على ارتفاعات معينة فى طبقات الجو المختلفة وعلى مدار أيام السنة . كما تقام على سواحل البحار وفى المناطق المكشوفة والأماكن المرتفعة فوق الجبال والهضاب أعمدة ترتفع لأكثر من عشرين متراً ، وتوضع فوقها أجهزة قياس سرعة الرياح واتجاهاتها[1] . ويمكن ـ بعد دراسات تستغرق أعواماً طويلة ـ معرفة متوسط قوة الرياح فى منطقة ما ، والوقوف على ما يتبع ذلك من أحوال تتعلق بسرعاتها واتجاهاتها وأوقات هبوبها وأفضل الطرق لاستغلالها فى انتاج الطاقة المناسبة .

ومن الجدير بالذكر أن تسخير طاقة الرياح ليس بالأمر اليسير ، فربما كانت الرياح فريدة بين مصادر الطاقة فى كثرة تقلّباتها التى تغطى مجالاً واسعاً من السرعات ، فضلاً عن خاصيتها الانتشارية التى تجعل من اتساع جبهتها مصدراً مشتّتاً للطاقة . وينبغى على من يرغب فى السيطرة على الرياح أن يتعامل مع سكونها ونشاطها وتغيرات اتجاهها وسرعاتها على نحو لا يمكن التنبؤ بصورة قطعية ، كما أن توليد كميات ذات قيمة من طاقة الرياح يتطلب استخدام مساحة كبيرة من هبوبها . وقد تبين من البحوث والدراسات التى أجريت فى هذا المجال أن المروحة التى يصل قطرها إلى نحو ثمانية أمتار ، تستطيع ـ فى مواجهة ريح متوسطة ـ أن تنتج حوالى ٢ ـ ٣ كيلووات من الكهرباء ، وهو قدر يكفى احتياجات المنزل المعتاد . ويوجد بالولايات المتحدة الأمريكية أبراج عالية تحمل مراوح ضخمة يبلغ قطر بعضها نحو ٦٠ متراً ، وهى مقامة فى مواقع خاصة على السواحل وتستخدم لإنتاج الطاقة الكهربية .

---

(١) وضع الملاح البريطانى « فرنسيس بوفورت « Francis Beau Fort » مقياساً تقريبياً من ثلاثة عشر مرتبة لتصنيف الرياح، وتحديد سرعاتها تبعاً لتأثيرها على بعض الأجسام المألوفة فى حياتنا اليومية ، وأعطى كل مرتبة رقماً ، بادئاً من الصفر كمقياس للرياح الساكنة تقريباً ومنتهياً بالرقم ١٢ الدال على إعصار تزيد سرعته على ١٢٠ كيلو متر/ساعة . وطبقاً لهذا المقياس فإن سرعات الرياح الأعلى من المرتبة الثامنة ، أى تزيد على ٧٥ كم/ساعة ، لا تصلح للإستخدام فى إنتاج الطاقة نظراً لما تحدثه من دمار وتخريب . راجع فى ذلك : د.أحمد مدحت إسلام ، الطاقة ومصادرها المختلفة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م ص ١٩٣ ـ ١٩٥

تقنية الطواحين الهوائية :

عرف الإنسان طاقة الرياح منذ أقدم العصور واستخدمها فى دفع السفن الشراعية وفى صناعة المراوح الهوائية ذات المحور الأفقى . وهناك من الأدلة التاريخية ما يؤكد أن المصريين القدماء قد استخدموا المراوح التى تدار بالرياح Wind turbines منذ عام ٣٦٠٠ قبل الميلاد فى ضخ المياه لرى الأراضى وطحن الغلال . كما عُثر فى الهضبة الفارسية على طاحونة قديمة كانت تدور حول محور رأسى ، الأمر الذى يوحى بأنها قد طُوّرت من طاحونة كانت تدار من قبل بالأرجل أو بواسطة إنسان أو حيوان يجرّ نهاية عارضة خشبية على طول مسار دائرى .

ولقد استعمل المسلمون فى عصر ازدهارهم الحضارى طاقة الرياح لإدارة الطواحين الهوائية منذ القرن الرابع الهجرى ، حيث كان للرحى ثمانية أجنحة عمودية تقام وراء عمودين ينفذ بينهما الريح كالسهم ، على قائم عمودى أيضاً طرفه الأسفل يحرّك حجراً ، فيدور هذا الحجر على حجر آخر . وقد ذكر الغزولى المتوفى عام ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) فى أمر هذه الطواحين ما يبين أن تنظيم سرعتها كان يتم بواسطة منافس تغلق وتفتح فيها ، وذلك لأنها إذا كانت سريعة جدًا احرق الدقيق فيخرج أسود ، وربما حمى الرحى فانفلق [٣] ويذكر مؤرخو العلم والتقنية أن العرب هم الذين جلبوا الطاحونة الهوائية إلى أوروبا . وسبقت هولندة بلدان أوروبا كلها فى هذا المجال لأنها تتعرض لرياح بحرية قوية دائمة ، فاستخدمت قوة الرياح لضخ المياه إلى شبكة من القنوات وأفادت من ذلك فائدة كبيرة . كذلك ساعدت الرياح الدائمة الشديدة التى تهب على إنجلترا فى استخدام الطواحين الهوائية على نطاق واسع حتى لقد بلغ عددها فى مطلع القرن التاسع عشر حوالى عشرة آلاف طاحونـــــة[٤] . وكانت الدانمارك ، وهى من الدول المفتقرة إلى الطاقة ، من أوائل البلاد الأوروبية التى عملت على الإفادة من طاقة الرياح منذ أوائل القرن الحالى ، حيث كانت تملك أكثر من ثلاثة وثلاثين ألفاً من طواحين الهواء بطاقة تبلغ مئات الآلاف من الكيلو وات .

ومنذ الحرب العالمية الثانية ازداد اهتمام الولايات المتحدة وروسيا وإنجلترا وألمانيا ومصر والهند وبلاد أخرى كثيرة بهذا المصدر المتجدد لانتاج الطاقة ، وشرع العلماء والفنيون فى تطوير تقنيات حديثة من الآلات الهوائية المحركة طبقاً لمبدأ « الخلخلة » ، حيث تتكون الآلة الهوائية من مروحة ذات جناحين أو أكثر من الألومنيوم تتغير زاويتها تلقائياً حسب شدة الريح واتجاهها . وتكون الأجنحة مجوّفة من الداخل وتنتهى عند الأطراف بفتحات . فإذا ما دفعت الريح المروحة حدث امتصاص للهواء خلال فتحات المروحة ، ونجم عن هذا الامتصاص خلخلة فى هواء البرج الذى تقوم عليه المروحة فيندفع تيار من الهواء من أسفل إلى أعلى ليدير « التوربين » الهوائى المركب أسفـــل البرج لتحريك مولّد الكهرباء .

وتخطط الولايات المتحدة حالياً لإنشاء محطات للطاقة تستخدم فيها حركة الرياح لإنتاج قدر كبير من الطاقة الكهربية التى ستحتاجها عام ٢٠٠٠ ، حيث قدر العلماء الأمريكيون كمية الطاقة التى يمكن

---

(٢) آدم متز ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة : محمد أبو ريدة ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، المجلد الثانى ص ٣٦٤ وما بعدها . راجع أيضاً : د. محمد رأفت إسماعيل رمضان و د. على جمعان الشكيل ، الطاقة المتجددة ، دار الشروق ١٩٨٦ ، ص ٩٩ وما بعدها .

(٣) إيجون لارسون ، تاريخ التكنولوجيا ، قصة الاختراعات وأشهر المخترعين ، ترجمة د. مصطفى ماهر ، الجزء الأول (بدون تاريخ للنشر) ، ص ٤٦ ـ ٥١ .

(٤) راجع فى ذلك :

United Nations Economic Commison Fot Western Asia, « New and Reneqable Energy in the Arab World » , Beitut,1981 .

الحصول عليها من الرياح بثلاثين مليار كيلو وات/ساعة في السنة ، وصنعوا أنواعاً مختلفة من الآلات الصغيرة والكبيرة يتكون بعضها من شبكة كبيرة من الأجهزة لتوليد ما تحتاج إليه مدينة أو مصنع من القوى الكهربية للإضاءة أو إدارة الآلات ، وبعضها الآخر صغير ورخيص جداً لاستعماله في البيوت والمزارع الريفية . وتعتبر مزارع الطواحين الهوائية في كاليفورنيا من المشروعات الواعدة للإسهام في شبكة الطاقة المحلية بما تمثله من مردود يتجاوز حالياً ٦٠٠ مليون كيلو وات/ساعة .

وتجدر الإشارة إلى أن جهوداً مكثفة تبذل في معامل الأبحاث العلمية لتصميم جيل جديد من الطواحين الهوائية لاستخرج أعلى نسبة من القدرة الكامنة في الرياح باستخدام تقنيات مساعدة لتصنيع مواد جديدة واستحداث نماذج الكترونية متقدمة من أنظمة التحكم وقد نجح العلماء في تصميم أجهزة تعمل دون أن تتأثر بتقلبات الريح المستمرة أو تغيّرات المناخ العارضة ، ومن المتوقع أن تمثل الطواحين الهوائية في المستقبل القريب ، بعد جيل أو أكثر ، مصدراً مهمًا من مصادر الطاقة مثلما كانت حالها منذ قرون . ويزيد من أهمية هذا النوع من مصادر الطاقة أنه لا يسبب أى ضوضاء أو تلوث للبيئة ، ومن ثم يمكن تشييد محطات توليد الطاقة من الرياح بجوار المناطق السكنية دون حدوث ضررٍ ما . وربما يستطيع إنسان الغد بقليل من المعرفة والدراية أن يصنع جهاز توليد هذه الطاقة بنفسه من المواد المحلية المتوفرة ، وأن يفيد منها في إضاءة بيته الصغير ، أو يُتاح له في المزرعة طحن الحبوب وعصر الزيوت وتجفيف الخضر والفاكهة ، ورفع المياه من الترع والآبار للرى ، وإدارة الآلات الصغيرة للحرث والحصاد عن طريق « بطاريات » تختزن الكهرباء من إدارة المراوح الهوائية . كما يُتوقع لهذا النوع من الطاقة النظيفة أن يفيد أيضاً في أغراض أخرى صناعية عظيمة النفع في مختلف المجالات ، وأن يحظى باهتمام كبير لدى كثير من الدول النامية على وجه الخصوص .

طاقة الرياح في العالم الإسلامي :

من المنتظر أن تحظى أبحاث طاقة الرياح في كثير من بلدان العلم الإسلامي باهتمام كبير لتعميم استعمال هذا المصدر في المستقبل القريب . ويعتبر تطوير برنامج الدراسات المناخية للرياح والخرائط القومية والإقليمية خطوة رئيسية لإجراء أى تقدم ملموس في هذا المجال . وتؤكد البيانات المتاحة حتى الآن وجود مناطق متميزة لإنتاج طاقة الرياح على طول شواطىء البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربى ، ونذكر من هذه المواقع على سبيل المثال السلوم في مصر ، وبنزرت في تونس ، والدار البيضاء في المغرب ، وجدة في المملكة العربية السعودية ، والدوحة في قطر ، والبقاع في لبنان ، والأحمدى في الكويت ، ومحرق في البحرين ، ومقديشيو في الصومال ، وغيرها[٥] .

وتتوافر طاقة الرياح اللازمة في مصر في كثير من المناطق مثل الساحل الشمالى وساحل البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء وفي منطقة شرق العوينات . وقد تبين من بعض الدراسات التى أجريت في هذا المجال أن سرعة الرياح في منطقة العوينات تبلغ في المتوسط نحو ثلاثين كيلو متراً في الساعة ، وهى سرعة مناسبة تكفى لتوليد قد من الطاقة الكهربية باستخدام مراوح قطرها حوالى عشرين متراً يمكن عن طريقها استخراج المياه من الآبار « الآرتوازية » لرىّ نحو ٢٥٠ ألف فدان من الأراضى القابلة للزراعة بهذه المناطق . كذلك تبينّ من بعض الدراسات أن منطقة خليج السويس بها سرعات هواء عالية على مدار العام تصلح لإقامة مجموعة من « التوربينات الهوائية » تصل قدرتها إلى نحو ١٠٠٠ ميجاوات ، وهى تعادل قدرة محطة نووية كبيرة . وهناك مشروعات أخرى لتوليد الكهرباء واستخراج المياه من باطن الأرض في رأس غارب والغردقة . وتدلنا هذه الأمثلة على أهمية طاقة الرياح في حياتنا المعاصرة ، ليس فقط من أجل تنمية أفضل لمشروعات حضارية في المستقبل ، ولكن أيضاً من أجل توفير حياة أفضل للمجتمعات المنعزلة التى تعيش بعيداً عن المراكز المباشرة لتوليد الطاقة من مصادرها التقليدية ، وخاصة في تلك المناطق الصحراوية والجبلية التى تشغل مساحات شاسعة في عالمنا العربى والإسلامى . ألا ليت قومى يعلمون كيف يفيدون من بعض ما أودع الله سبحانه وتعالى في نعمة الرياح من كنوز وخصائص وقوى .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الطاقة النووية مالها وما عليها ..

أ.د. محمد أحمد الناغى*

إن الطاقة النووية قد أصبحت فى عالمنا المعاصر احدى الركائز الأساسية التى تعتمد عليها العديد من الدول المتقدمة والنامية فى المجالات المختلفة للتنمية عن طريق التطبيقات العديدة فى مجالات الزراعة والصناعة والطب . ويدعم صحة هذه المقولة ما يحدث من تناقص سريع فى مصادر الطاقة التقليدية ، حيث تشير تقديرات الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى أن المخزون العالمى من البترول يكاد يكفى لاستهلاك حوالى ٣٠ عاماً ، ومن الغاز الطبيعى حوالى ٤٥ عاما ، ومن الفحم حوالى ٢٠٠ عام ، وذلك حسب المعدلات الحالية للاستهلاك دون النظر إلى معدلات الزيادة والنمو البشرى . ذلك أنه منذ الثمانينات برزت الطاقة النووية كأحد المصادر الأولية للحصول على الكهرباء ، وفى بعض الدول المتقدمة أصبحت المصدر الرئيسى . ففى فرنسا ، على سبيل المثال لا الحصر ، يأتى ٧٠ من انتاج الكهرباء بها من المحطات النووية . ولغة الأرقام تصور الوضع الحالى والمستقبل بوضوح . فإذا كان المتوسط العالمى لاستهلاك الطاقة للفرد الواحد هو ٨٠٠٠ كيلو واط/ساعة (ك.و.س) فى السنة فان أعلى معدل فى العالم يوجد فى النرويج حيث يبلغ ٢٣,٠٠٠ ك.و.س ، بينما يبلغ فى السودان وبنجلاديش ٥٠ ك.و.س وفى مصر ٨٠٠ ك.و.س ، وهذا التباين الشديد فى معدلات استهلاك الطاقة فى الدول المتقدمة والنامية يبدو أكثر وضوحاً إذا علمنا أن ٦٠٪ من الاستهلاك العالمى للطاقة يتم فقط فى ١٦ دولة متقدمة ، بينما بقية دول العالم تستهلك ٤٠٪ لا غير . وإذا أخذنا فى الاعتبار تعداد السكان فى كل دولة ، فان ٢٥٪ من سكان الأرض (فى الدول المتقدمة) يستهلكون ٦٠٪ من الطاقة العالمية . وإذا أضيف النمو السكانى إلى جانب معدلات التنمية المتزايدة فان احتياجات البشر من الطاقة ستصل إلى أرقام فلكية . ففى الصين مثلاً ، حيث يتحقق معدل تنمية متواضع ٤٪ (مقارنة بكوريا الجنوبية حيث يصل إلى ١٦٪) ، يقدرون احتياجاتهم فى عام ٢٠٠٠ بحوالى ١٠٠,٠٠٠ ميجاواط (الميجا = مليون) . ولنفهم ضخامة هذا الرقم مقارنة بالانتاج السنوى لمصر من الطاقة الكهربية والذى يبلغ فى الوقت الحالى ١١,٠٠٠ ميجاواط سيتضاعف فى عام ٢٠٠٠م وسيبلغ ٤٤,٠٠٠ ميجاواط فى عام ٢٠١٥م مما سبق يتضح حتمية استخدام الطاقة النووية كأحد المصادر الأولية لانتاج الكهرباء . فهل نحن مستعدون ؟

* الكاتب : أستاذ الفيزياء النووية بكلية العلوم جامعة القاهرة .

ومما يرفع من أسهم الطاقة النووية ما تراكم حتى الآن من آثار سلبية للاستخدام المتزايد للوقود الأحفوري (الفحم والبترول والغاز) ، مثل ارتفاع متوسط درجة حرارة جو الأرض نتيجة زيادة نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون أو ما يعرف بـ « تأثير المستحبث الزجاجى » (Green House Effect) ، وسقوط الأمطار الحمضية الناتجة من ذوبان غاز ثانى أكسيد الكبريت فى بخار الماء الموجود بجو الأرض وما أدى إليه من القضاء على الزرع والضرع ، وكذلك حدوث « ثقب » فى طبقة الأوزون التى تعمل على امتصاص الأشعة فوق البنفسجية وتنفذ القدر المقنن منها اللازم لسلامة الحياة على كوكب الأرض .

وفى مؤتمر الكهرباء والبيئة الذى عُقد فى مايو سنة ١٩٩١ م بالعاصمة الفنلندية « هلسنكى » اتضح أن استخدام الطاقة النووية لانتاج الكهرباء يخضع لعدة اعتبارات هى :

١ ـ الاعتبار الاقتصادى ، ويعنى مدى تحمل اقتصاد الدولة المعنية لأعباء مثل هذا النوع من الإنشاءات الباهظة التكاليف وكذلك مدى جدواها .

٢ ـ حجم الاستثمار المطلوب ، ويعنى القدرة المطلوبة من المحطة النووية المزمع إنشاؤها .

٣ ـ مخاطرة الفقد (Risk of Loss) ، وتعنى مدى القدرة على تحمل الخسارة الفادحة إذا حدث وتعرضت المنشأة النووية للدمار لسبب ما .

٤ ـ معدل التنمية ، حيث يكون قليلاً فى الدول النامية وبالتالى لا تحتاج إلى محطات ذات قدرة فائقة ، وقد لفت هذا الوضع انتباه الدول النامية إلى أن ما يستخدم من مفاعلات نووية فى الدول المتقدمة قد لا يتناسب معها .

٥ ـ الأمان النووى ، وهو عنصر حاسم فى اتخاذ قرار بناء مفاعل نووى حيث لا بد من اتخاذ جميع الاجراءات والسبل لحماية البيئة والإنسان من الأخطار النووية .

وقد أثّرت الاعتبارات السالفة الذكر على تصميمات المفاعلات الجديدة ويتلخص ذلك فى النقاط التالية :

١ ـ تقليل الكلفة حتى تصبح المحطة النووية متاحة للعديد من الدول .

٢ ـ تقليل زمن الإنشاء والتركيب .

٣ ـ عمل أنواع قياسية من المحطات النووية حتى تكون جاهزة للتسليم حين طلبها .

٤ ـ عمل أنواع صغيرة تتلاءم مع الدول النامية .

٥ ـ جعل المحطة أقل تعقيداً وأقل اعتماداً على أجهزة الحاسوب .

وبالنسبة لمصر فيبدو أن الاتجاه السليم يسير نحو مفاعلات متوسطة تبلغ قدرتها ٦٠٠ ميجاواط فقط وتعمل بالماء الثقيل حيث يتوافق ذلك مع ظروف مصر طبقاً للاعتبارا المذكورة آنفاً .

ومن الجدير بالذكر أن نشاط الأبحاث النووية فى مصر بدأ بإنشاء هيئة الطاقة الذرية فى فبراير سنة ١٩٥٥ م ، وبنى بها مسرع (معجل) خطّى فى ١٥ يونيو سنة ١٩٥٦ م . وفى ١٨ سبتمبر من نفس العام بدأ بناء المفاعل النووى الأول فى الشرق الأوسط . ومنذ هذا التاريخ قدمت الهيئة خدمات جليلة فى مجال تطوير التقنية النووية واستخداماتها إلى جانب الاسهام فى تقدم ملموس فى مجالات النيوترونات وهندسة المفاعلات وانتاج النظائر المشعة . هذا إلى جانب الدفع بقيادات علمية على المستوى العربى والأفريقى . ولا يزال أمام هذه الهيئة الكثير من مجالات العمل المستقبلية فى :

١ ـ تطوير الصحراء والأمن الغذائى .

٢ ـ إنشاء مسرع (معجل) حلقى (سيكلوترونى) .

٣ ـ علاج السرطان بالأشعاع .

٤ ـ التقنية الحيوية .

٥ ـ البيئة البحرية .

٦ ـ إنشاء معامل الطوارىء .

٧ ـ تحلية المياه .

٨ ـ اقامة مقابر للنفايات النووية .

من ناحية أخرى ، يمكن تصنيف المواد النووية اللازمة للصناعة النووية إلى ثلاثة أقسام :

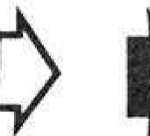
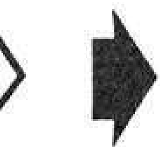

١ ـ مواد الوقود النووى : وتشمل خامات اليورانيوم والثوريوم بالإضافة إلى البلوتونيوم المتولد من المفاعلات النووية .

٢ ـ مواد الإنشاءات النووية : وتتمثل فى خامات الزركونيوم والنيوبيوم والفاناديوم والبريليوم .

٣ ـ المواد المستخدمة كمبردات ومهدئـــات وقضبان تحكم فى المفاعلات النووية وتشمل خامات الهافنيوم والبورون والبريليوم والتنتالوم والجادولنيوم والكادميوم .. الخ .

وقد بدأت هيئة المواد النووية فى مصر عمليات التنقيب عن الخامات الذرية فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ م أمتدت حتى وقتنا هذا . ويمكن تقسيم مصادر اليورانيوم الذى يمثل الوقود النووى الرئيسى إلى :

(أ) مصادر تقليدية؛وهى الخامات التى يتم تعدينها وتصنيعها لاستخلاص عنصر اليورانيوم .

(ب) مصادر غير تقليدية؛وهى الخامات التى يتم تعدينها وتصنيعها لأغراض أخرى ويمكن انتاج اليورانيوم منها كناتج ثانوى مثل الرمال السوداء ورواسب الفوسفات .

ومن الجدير بالذكر أن عمليات تعدين وتصنيع أحد رواسب اليورانيوم لا بد أن يمر خلال ستة مراحل رئيسية :

١ ـ مرحلة التخطيط وتشمــل دراسة صور الأقمار الصناعية ودراسة المعلومات الجيولوجية بالإضافة إلى المسح الجوى الاقليمى وتنتهى هذه المرحلة بتحديد البيئات الجيولوجية الصالحة للتنقيب عن الرواسب المشعة .

٢ ـ مرحلة الكشف والتنقيب وتشتمل على معالجة معطيات الكشف الجوى الاقليمى والقيام بعمليات المسح الجوى الاقليمى بالإضافة إلى عمليات الكشف الجيوكيميائى والاشعاعى وتنتهى هذه المرحلة بتحديد وتصنيـــف الشاذات الأشعاعيـــة Rodiation anomalies .

٣ ـ مرحلة متابعة دراسة الشاذات الأشعاعية وتتضمن القيام بعمليات المسح الجوى التفصيلى والمسح الجيولوجى التفصيلى والمسح الاشعاعى الطيفى ، بالإضافة إلى بعض عمليات الحفر الاستطلاعى ، وتنتهى هذه المرحلة بتصنيف وتحديد الاكتشافات المشعة .

٤ ـ مرحلة التقيم الأولى للاكتشاف وهى المرحلة التى تشتمل على عمليات المسح الجيولوجى التفصيلى والمسح الاشعاعى الطيفى التفصيلى بالإضافة إلى عمليات المسح الجيوكيميائى والمسح الجيوفيزيائى الأرضى والحفر المنتظم ، وتنتهى هذه المرحلة بتحديد الاكتشاف سواء أكان راسباً مشعاً أو مجرد تمعدن .

٥ ـ مرحلة تنمية الاكتشاف وهى المرحلة التى تشتمل على عمليات الجيولوجيا التفصيلية والجيوفيزياء الأرضيــة والـــدراسات المعدنيــة والبترولوجيــة والهيدرولوجية ، علاوة على عمليات الحفر المكثف واجراء دراسات الجدوى الاقتصادية والميتالورجية وبما يؤدى فى النهاية إلى تحديد احتياطيات الراسب المشع .

٦ ـ مرحلة الانتاج ، وفيها يتم الحفر المكثف وتجميع العينات بشكل منتظم وتحليلها بالإضافة إلى دراسات الاستخلاص الكيميائى ودراسة هندسة المعادن والتقيم الاقتصادى علاوة على الدراسات المعدنية والبتروجرافية للخام والصخور الحاوية وبما ينتهى بتصميم المنجم وطريقة التعدين والمصنع الكيميائى وطريقة الاستخلاص .

وقد كُشف النقاب عن وجود ٤ مواقع لانتاج اليورانيوم بمصر لتغطى احتياجات برنامجها النووى للأغراض السلمية ويقع أولها فى جبل « قطار » غرب مدينة الغردقة بحوالى ٦٥ كيلو متر والثانى بمنطقة المسكات والعرضية فى منتصف المسافة بين سفاجا وقنا

الطاقة النووية..
مالها وما عليها

والثالث جنوب شرق أسوان بنحو ٢٨٠ كيلو متر بمنطقة « أم آرا » والرابع فى منطقة شرق أبو زنيمة بسيناء .

ويمكن ترشيد الدراسات النووية بتقسيمها إلى مجالات حسب الموضوعات التالية :

١ ـ القوى النووية وتشمل :

(أ) الحماية والأمان النووى .

(ب) التجهيزات المعملية والسيطرة الكيفية .

(جـ) هندسة المفاعلات .

٢ ـ دورة الوقود النووى وتشمل :

(أ) المواد الخام النووية .

(ب) التخلص من النفايات المشعة .

٣ ـ علوم الحياة والزراعة وتشمل :

(أ) التطبيقات فى علوم الحياة .

(ب) التطبيقات فى الزراعة .

٤ ـ العلوم النووية وتشمل :

(أ) الأطياف النووية .

(ب) الفيزياء النووية .

(جـ) فيزياء الطاقات العالية .

٥ ـ الكيمياء النووية والأشعاعية وتشمل :

(أ) الاستخلاص بالمذيبات .

(ب) انتاج النظائر المشعة .

(جـ) كيمياء الأشعاع والتبادل الأيونى .

ومن الطبيعى أن تؤدى مثل هذه الدراسات إلى بلورة المشاكل والحلول التى تمس جوهر حاضرنا ومستقبلنا من موضوعات الطاقة والماء والبيئة والطب والزراعة والمفاعلات النووية ، تكون أو لا تكون ، وارتباط التكوين الميكرسكوبى فى باطن النواة بتكوين النجوم وفنائها .

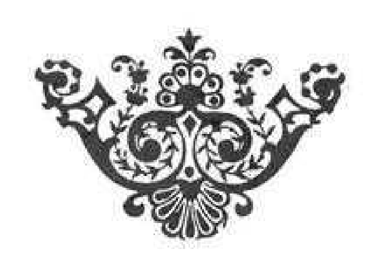

العقم

التشخيص والعلاج

للأستاذ الدكتور
أحمد رجاء عبدالحميد

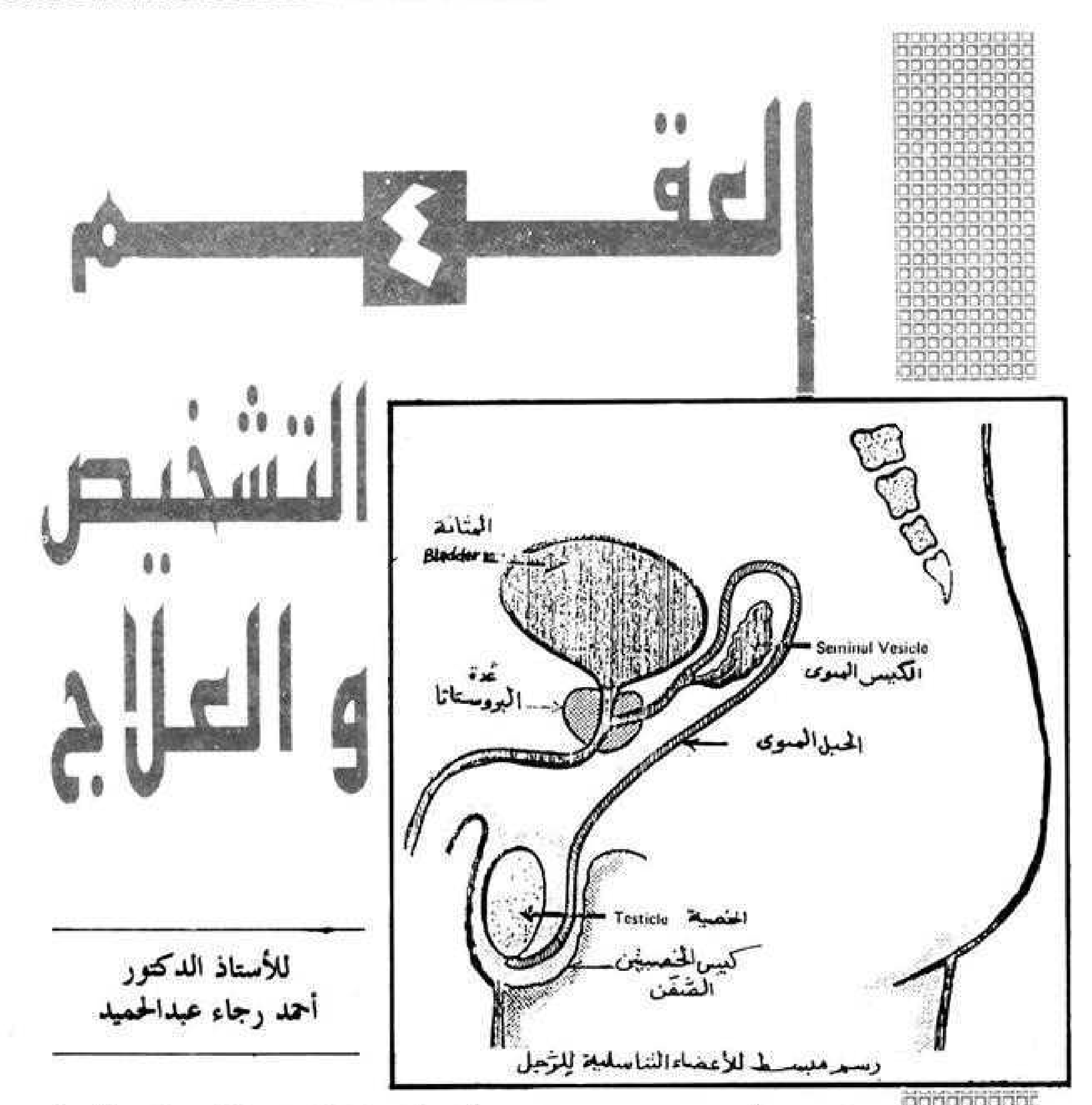

رسم مبسط للأعضاء التناسلية للرجل

كثير من الأمراض يتم تشخيصها وعلاجها ويكون العلاج ثابتا فى جميع الحالات ، فمن ذلك مثلا « التيفوئيد » يعالج بعقار (الكلور مفينيكول) والملاريا بعقار « الكينين » أو مشتقاته وهكذا .. وفى هذه الحالات ــ إذا اختلفت الجرعات ــ فإنها تختلف اختلافا طفيفا حسب السن والوزن والحالة الصحية .

ولكن فى حالات تأخر الحمل والعقم ؛ فإن الطبيب يقوم بـ « تفصيل » العلاج حسب كل حالة ؛ فلا يوجد علاج ثابت لكل الحالات ، ولكن يوجد طرق مختلفة للعلاج تختلف باختلاف تشخيص السبب لكل حالة ، وكثيرا ما يكون لتأخر الحمل أسباب وليس سببا واحدا ، فقد يكون هناك ضعف فى (التبييض) فقط ، أو يكون هناك ضعف فى التبييض مع انسداد فى أنبوبى (فالوب) أو يكون هناك سبب فى الزوج وسبب فى الزوجة وهكذا .

دور الطبيب :

أولا : التحديد الدقيق لسبب أو أسباب تأخر الحمل .

ثانيا : مناقشة وممارسة العلاج المناسب مع الزوجين وتشخيص العقم ، هذا التشخيص الذى (نادرا ما يتم فى زيارة واحدة ، ولكن يحتاج كلا الزوجين لأكثر من زيارة إلى الطبيب المعالج . وفى الزيارة الأولى يجب أن يكون الزوجين معا حيث يقوم الطبيب بأخذ تاريخ مرضى كامل مفصل من الزوجين عن مدة الزواج ، وعدد مرات الزواج ، إن كان لكل منهما أو لاحدهما زواج سابق ، وهل حدث انجاب فى حالة تعدد الزيجات ؟ وهذا التاريخ قد يعطى فكرة عن السبب المبدئى للعقم وهل هو فى الزوج أو الزوجة ثم عن عمل الزوج ، وهل يستلزم هذا العمل التغيب عن المنزل لفترات معينة أو للتعرض للحرارة الشديدة ثم عن تاريخ الولادات والاجهاضات السابقة . فى حالة العقم الثانوى وكم مرة كانت ، عن مكان الولادة أو الاجهاض ؟ من الذى باشر الولادة أو الاجهاض ؟ هل حدثت مضاعفات مثل نزيف أو حمى نفاس ؟ وهذا أيضا قد يعطى فكرة عن وجود سبب فى (قناتى فالوب) ناتج عن حمى نفاس مثلا .

ثم بالنسبة للزوجة يسأل الطبيب عن تاريخ الدورة الشهرية فى أى سن بدأت ؟

هل هى منتظمة أم غير منتظمة ؟ ما مدتها ؟ ما كميتها ؟

هل تكون مصحوبة بألم ؟ هل تنزل نقط دم فى وسط الشهر ؟

هل تنزل إفرازات وسط الشهر ؟

وهذه الاسئلة قد تعطى فكرة عن حالة التبييض فى السيدة ، فالدورة المنتظمة والتى تكون مصحوبة ببعض الآلام غالبا ما تكون دورة تبييضية .

وينبغى أن يقوم الطبيب بسؤال السيدة عن التاريخ الجنسى بالتفصيل :

ما متوسط عدد مرات الجماع أسبوعيا ؟ وهل يوجد ألم أو ضيق أثناء الجماع ؟ وإذا كان يوجد هل يكون فى أول الجماع أم فى آخره ؟ أم هو مستمر طوال فترة الجماع ؟ وهل ينزل السائل المنوى فورا ؟ وأخيرا هل تقوم السيدة بالغسيل المهبلى بعد الجماع فورا أم تنتظر حتى الصباح ؟ إذ من الأفضل أن تنتظر إلى الصباح .

ثم يسأل الطبيب عن التاريخ المرضى السابق مثل الأمراض المزمنة ـ السل ـ الضغط ـ مرض السكر ـ والأمراض التناسلية مثل السيلان والتهاب الغدد النكافية .

وأخيرا يسأل الطبيب عن العمليات والأبحاث التى أجريت من قبل ، وهل أجريت بطريقة صحيحة أم لا ؟ وإذا كانت أجريت بطريقة صحيحة ما نتائجها ؟

وهناك بعض الأطباء يقومون بسؤال المريضة عن الوصفات الشعبية التى أجرتها ؛ حيث انها قد تؤثر على الحالة الصحية للمريضة . ومن هذا التاريخ المرضى المفصل تتكون عند الطبيب فكرة مبدئية عن التشخيص ، إذ فى حالات اضطرابات الدورة الطمثية قد يكون السبب كامنا فى ضعف التبييض أو عدمه .

وفى حالات الاصابة بحمى النفاس السابقة قد يكون السبب انسداد فى (قناتى فالوب) أو التهابهما .

والسؤال عن التاريخ الجنسى قد يؤدى إلى اكتشاف ان الجماع يحدث فى فترات متباعدة وبعيدة عن فترة التبييض ، وان العلاج قد يكمن فى تنظيم عملية الجماع بحيث تكون فى فترة التبييض .

كذلك فإن السؤال عن العمليات السابقة والطرق الشعبية ـ وبخاصة التى تكون عن طريق المهبل ـ قد يكون السبب فى وجود التهابات أو التصاقات بالحوض أو التهابات وانسداد بقناتى فالوب بسبب هذه العمليات أو الوصفات الشعبية .

الخطوة التالية

بعد تكوين هذه الفكرة الأولية تبدأ الخطوة التالية وهى فحص السيدة ، حيث يبدأ بفحص عام لحالتها الصحية ووزنها . حيث انه فى حالات الوزن الزائد أو الوزن الناقص (حالتى السمنة الزائدة أو النحافة الزائدة) قد يكون هناك عيوب فى المبيضين والتبييض . ولذلك ينصح السيدة ذات الوزن الزائد بتنظيم وزنها فإن هذا يساعد جيدا على العلاج الفعال .

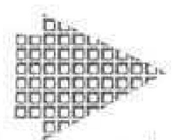

ثم قياس ضغطها فإذا كان عاليا يجب أن تنبهها إلى أن هناك مرض يتميز بارتفاع فى الضغط وزيادة فى شعر الجسم وانقطاع فى الطمث . كما أنه يجب أن تنتبه إلى أنه فى حالة حدوث حمل عند ذات الضغط المرتفع يجب أن تلقى عناية خاصة .

كذلك يجب فحص القلب والصدر ثم يقوم الطبيب بفحص العلامات الجنسية الثانوية مثل توزيع شعر الجسم هل هو زائد أم لا ؟ وكذلك الثديين من ناحية نموهما أو وجود إفرازات تنزل من (الحلمة) حيث إن هناك هرمون « البرولاكتين » الذى إذا زاد فى الدم يسبب العقم وتظهر زيادته فى صورة إفرازات لَبَنِيَّة من الثدى .

ثم من الواجب فحص البطن للتحقق من خلو السيدة من أورام ظاهرة وكذلك ينبغى الاطمئنان على حالة الكبد وفحص الرأس والرقبة وذلك لاكتشاف وجود - أو عدم وجود - زيادة فى إفرازات الغدة الدرقية التى قد تؤثر على التبيض ومن أعراضها بروز فى العينين ، وورم بسيط أسفل الرقبة .

ثم الفحص المهبلى :

ويبدأ بالملاحظة : هل توجد عيوب خلقية ؟ وهل توجد إفرازات ؟

ما كميتها ؟ ما لونها ؟ هل لها رائحة غريبة ؟ وذلك لاكتشاف وجود التهابات أم لا ، ثم الفحص اليدوى للمهبل والرحم من ناحية الوضع ؟ هل هو طبيعى ؟ وهناك بعض الحالات يكون الرحم مائلا فيها إلى الخلف وكان فى السابق تجرى لهذا الرحم عملية يتم فيها فتح البطن لاعادته إلى الوضع الأمامى ولكن تبين أن كل ما يلزم فى هذه الحالة هو تغير وضع الجماع كأن تنام المرأة على بطنها ، أو تضع مخدة تحت عجيزتها ، وكانت هذه العملية لها آثار جانبية من ناحية تكون التصاقات بالحوض أو انسداد الأنابيب .

وكذلك فحص حجم الرحم : هل هو طبيعى أم لا ؟ وهل توجد أورام ؟ وهل الرحم مشدود إلى ناحية من الحوض (قد يكون بتأثير التصاقات) أم لا ؟ ثم يأتى دور المنظار المهبلى ووظيفته هو رؤية عنق الرحم هل هو سليم ؟ هل توجد قرحة ؟ هل هذه القرحة ملتهبة أم نتيجة اضطرابات هورمونية ، ثم ينظف عنق الرحم بمحلول مطهر يلى ذلك إمساك عنق الرحم بـ (ماسك عنق الرحم) ويوضع داخل فتحة عنق الرحم (مجس الرحم) لمعرفة طول عنق الرحم والرحم وهل يوجد زوائد (يوليبوس) داخل الرحم أم لا ؟

وبهذا ينتهى فحص المرأة الأَوَّلِىّ ونبدأ مرحلة الفحوصات التى تبدأ بتحليل السائل المنوى للزوج .

يتبع بالفصل الأخير

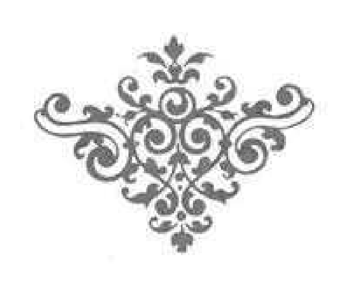

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد :

د. نجوى السيد أحمد

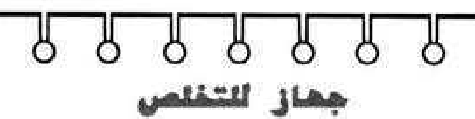

جهاز للتخلص من روائح المصانع

اكتشف فريق علمى بريطانى أسلوباً عالى الفاعلية لإزالة روائح المصانع غير المرغوب فيها بإستخدام الأشعة فوق البنفسجية وغاز الأوزون ، واستخدم فى هذه الطريقة معدّات بسيطة تتألف من اسطوانة رأسية مزودة بمجموعة من مصابيح الزئبق المنخفضة الضغط والمغمورة فى الماء قاعدتها . ويتم التخلص من الروائح عن طريق مرورها من خلال رذاذ سائل ليقوم الأوزون بإزالة أى رائحة أو مادة كيماوية عضوية .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث

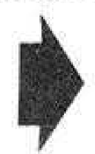

جهــاز فــاكـس يعمــل بالصــوت

انتجت شركة أمريكية للكمبيوتر جهازاً جديداً يقوم بترجمة صفحة مطبوعة إلى نبرات صوتية فى أقل من دقيقة . ويعمل الجهاز الجديد بنظام الإجابة على المكالمات بالتزامن مع جهاز « الفاكس » ، والذى باستطاعته قراءة النص المعد من جهاز الفاكس وترجمة المفردات إلى أصول قواعد النطق بها والتى تم تخزينها مسبقاً فى ذاكرة الجهاز .

فوائد طبية وصناعية لقشور الحشرات البحرية

اكتشف علماء اليابان أن قشور الأسماك والحشرات البحرية الصغيرة التى تعلق بشباك الصيادين تحتوى على مادة بيوكيميائية تسمى الـ (كيتين) (Chitin) وهى خامة طبيعية نادرة ومُثلى للاستخدامات الصناعية والزراعية والطبية ، كما انها عبارة عن نوع من السكر وتعرف كيميائياً باسم بوليسكاريد (Polysaccharide) . ومادة الـ (كيتين) تدخل فى صلب تركيبة القشرة الجلدية الخارجية للأغلبية العظمى من الحشرات والزواحف البرية والبحرية وتتواجد فى الخلايا الجدارية لبعض الفطريات وكذلك فى الأصداف وفى البيوت الخارجية للسلاحف . ونتيجة للتحلل الطبيعى الذى تتعرض له هذه القشور ، يتشكل فى الطبيعة ما معدله ٢٠ جراماً من « البوليسكاريد » فى المتر المربع الواحد سنوياً يجعله ثانى أكثر سكر انتشاراً فى الطبيعة بعد السيلولوز .

الــردة لعــلاج المعــدة

تم انتاج نوع من الرِّدَة المعاملة والمعقمة بالمعمل المركزى للصناعات الزراعية تستخدم فى علاج أمراض القولون والسمنة والإمساك وكانت أفضل نسبة للاستخدام هى ١٥ جرام فى اليوم بخلطها باللبن الزبادى . أثبتت الردة فاعليتها فى تخفيض آلام القولون والجهاز الهضمى وإنقاص الوزن .

ريمــوت كنتــرول متعــدد الأغــراض

طور الأمريكيون الريموت كنترول لكى يتحكم فى العديد من الأجهزة الالكترونية عن بعد ودون أى جهد يبذل ، ولا يقتصر عمله على التليفزيون فقط ، فعن طريق الضغط على المفتاح المناسب بالريموت الجديد يمكننا تشغيل أو إيقاف المسجل ، أو رفع أو

خفض صوت الراديو أو التليفزيون أو تغيير الأسطوانة الموجودة داخل جهاز الأسطوانات أو تشغيل شريط كاسيت .

حلقات من الغبار حول الشمس

صرح أحد علماء الفلك اليابانيين باكتشاف وجود حلقات من الغبار حول الشمس وقد أمكن اثبات ذلك عملياً أثناء الكسوف الكلى للشمس ، فقد قام فريق من العلماء اليابانيين بتثبيت كاميرا متطورة فى بالون ارتفع أكثر من ٢٠ ميلاً فى الجو واستطاعت الكاميرا تصوير الكسوف الكلى ، وبمساعدة الكمبيوتر وتحليلات الضوء المرئى والأشعة تحت الحمراء استطاعوا تقديم صورة واضحة الحلقات .

جهاز يعمل كمسطرة حاسبة

تم إنتاج جهاز يعمل كمسطرة حاسبة ، إذا مرر على مخطط ما ، يمكن تحديد الأطوال والمساحات والحجوم الموجودة بشكل دقيق . والجهاز لا يتعدى وزنه ثلاث أوقيات ، ويستطيع خزن ٤٢ قياساً لتصاميم مصغرة أو مكبرة، كما يمكن برمجته بطريقة تمكنه من قياس نسب غير عادية .

الهيدروجين وقود جديد للسيارات

توصل العلماء الألمان إلى فكرة استخدام غاز الهيدروجين الذى شاع استخدامه فى مطلع هذا القرن فى مناطيد نقل الركاب كمصدر نظيف للطاقة للحد من التلوث البيئى . ولكن لكونه غازاً سريع الاشتعال فقد تم تخزينه بشكل سائل وتم صناعة محركات للطائرات والسيارات بنظام يسمح بتخزين الهيدروجين السائل فى خزان وقود يعمل بواسطة ضغط الهواء .

فرن جديد لفصل المعادن الخام المنصهرة

ابتكر المهندسون فى جامعة برمنجهام البريطانية فرناً جديداً لصهر المعادن ، يعد أول فرن فى العالم لانتاج ٣ معادن مختلفة فى آن واحد من خام مخلوط . تعتمد عمليات فصل المعادن على مجموعة من العمليات المعقدة التى تعتمد على الأكسدة والضغط المنخفض ويتكون الفرن من حجرتين بينهما حجرة للتفاعل وتربط بينها قناتان يدخل فى احداهما غاز خامل يساعد على عملية الأكسدة ، وتصل درجة حرارة الفرن إلى أكثر من ١٢٥٠ درجة مئوية .

أحـــدث جهـــاز هـــاتف

قدمت احدى الشركات الأمريكية أحدث انتاجها وهو جهاز هاتف مزود بشاشة قياسها ٥ بوصة تعمل بواسطة الكريستال السائل تقوم بعرض دليل الهاتف الخاص : أى اسماء وأرقام الهاتف التى يدخلها مستخدم الهاتف إلى ذاكرة جهازه التى تتسع لأكثر من ألف اسم ورقم . والمثير فى هذا الهاتف انه يقوم بطلب الرقم المعروض على شاشته بواسطة لمسها . ويكرر عملية طلب الرقم ٥٠ مرة فى حالة ما إذا كان الخط مشغولاً ، بالإضافة إلى العديد من الخدمات كعرض رقم هاتف الإنسان المتصل على شاشته فى أثناء رنين جرسه .

آلـــة لنحـــت الرســـومات على الاجزاء الاسطوانية والمخروطيـــة

أنتجت احدى الشركات الفرنسية آلة لنحت الرسومات على الأجزاء الأسطوانية والمخروطية أو ذات الأشكال الأخرى مثل الكئوس . وتقوم هذه الآلة بالنحت على أجزاء يصل قطرها إلى ٢٧٠ مم وطـــولها ٤٢٠ مم . وبالنسبة للنحت على الزجاج فإن مخروطاً فارغاً يضمن ثبات الجزء الزجاجى المطلوب نحته دون شد الأحرف . وهذه الآلة سهلة الاستعمال ويتم تشغيلها والتحكم فيها عن طريق حاسب آلى .

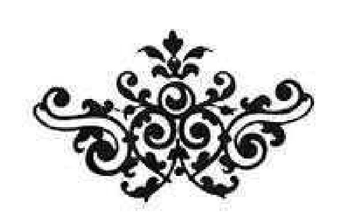

إعداد وتقديم/ عبد الفتاح حسين الزيات

المساواة مبدأ من المبادىء التى قام عليها الإسلام ويحيا به المسلمون . صافية نفوسهم نقية قلوبهم خالصة ضمائرهم فأصبح المسلمون أمام القانون ، وفى الحقوق العامة سواء ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

ولأن الله أراد أن ينزع من قلوب المسلمين كل ما يؤدى إلى التباغض والشحناء عمل على أن يكون المسلمون قدوة لغيرهم فى كل ما يؤدى إلى خيرهم .

قال الاستاذ رحمه الله :

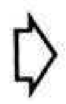

لم يصل أى تشريع سماوى أو وضعى فى مبلغ الحرص على مبدأ المساواة إلى ما وصل إليه الإسلام ، فقد قرر الإسلام مساواة الناس أمام القانون ومساواتهم فى الحقوق العامة السياسية وغيرها ، وقرر ألا تفاضل بينهم إلا على أساس أعمالهم وكفاياتهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ووطنه والمجتمع الإنسانى . فقضى بذلك على نظام الطوائف وأساليب التفرقة بين الطبقات فى الحقوق والواجبات . وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

ويقول عليه السلام فى خطبة الوداع التى جعلها دستوراً للمسلمين من بعده وجمع فيها أسس الدين الإسلامى : « أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ؛ فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ؟ ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » ويقول عمر ـ رضى الله عنه ـ فى وصيته لسعد بن أبى وقاص : « إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ؛ فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » ويقول فى وصيته للخليفة من بعده : « اجعل الناس عندك سواء ، لا تبال على من وجب الحق ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم ، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله » .

ولم يكن الأمر مقصوراً على وضع قواعد وتقرير مبادىء ، بل إن التاريخ لينبئنا أن هذه المبادىء كانت منفذة بحذافيرها أدق تنفيذ فى عهد الرسول عليه السلام وفى عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، أى فى أثناء هذه المرحلة الذهبية التى تمثل مبادىء الإسلام أصدق تمثيل . فقد جاء مرة أسامة بن زيد إلى النبى ـ ﷺ ـ يشفع فى امرأة وجب عليها حد السرقة ، فانتهره عليه السلام وقال مغضباً : « أتشفع فى حد من حدود الله ؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » وتقاول مرة أبو ذر الغفارى وعبد زنجى فى حضرة النبى عليه السلام ، فاحتد أبو ذر على العبد وقال له : « يا ابن السوداء » فغضب النبى عليه السلام وقال : « طفّ الصاع ، طفّ الصاع ! ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » فوضع أبو ذر خده على الأرض ، وقال للأسود : « قم فطأ على خدى » .

وشكا يهودى على بن أبى طالب إلى عمر بن الخطاب فى خلافته ، فلما مثلا بين يدى عمر ، نظر عمر إلى على وقال له : « اجلس يا أبا الحسن » فظهرت آثار الغضب على وجه على . فقال له عمر ما معناه : « أكرهت أن يكون خصمك يهودياً وأن تمثل وإياه أمام القضاء » . فقال على : « لا ! ولكننى غضبت لأنك لم تسوّ بينى وبينه إذ خاطبتنى بكنيتى ، فقلت يا أبا الحسن » (والخطاب بالكنية كان عندهم أسلوبا من أساليب التعظيم) وحدث مرة أن ولداً لعمرو بن العاص ضرب رجلاً من دهماء القوم من المصريين ظلماً فى عهد ولاية أبيه على مصر ، فأقسم المجنى عليه ليشكونه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فقال له ما معناه : اذهب فلن ينالنى ضرر من شكواك فأنا ابن الأكرمين ، فبينما كان الخليفة مع خاصته وعمرو بن العاص وابنه معهم فى موسم الحج قدم هذا الرجل عليهم وقال مخاطباً عمر : « يا أمير المؤمنين إن هذا ـ وأشار إلى ابن عمر ـ ضربنى ظلماً ، وقال اذهب فأنا ابن الأكرمين » فنظر عمر إلى عمرو وقال له : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » ثم توجه إلى الشاكى وناوله درته ، وقال له « اضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك » وحدث مرة أن عمر بن الخطاب فى أيام خلافته رأى رجلاً وامرأة على فاحشة ، فجمع الناس وقام فيهم خطيباً ، وقال : « ما قولكم أيها الناس لو رأى أمير المؤمنين رجلاً وامرأة على فاحشة » فقام على وأجابه بقوله : « يأتى أمير المؤمنين بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف ، شأنه فى ذلك شأن سائر المسلمين » ، فسكت عمر ولم يعين شخصى المجرمين .

ولم يكتف الإسلام بتقرير المساواة بين الناس أمام القانون وفى الحقوق العامة السياسية وغيرها ، بل عمل كذلك على تقرير أكبر قدر ممكن منها فى الناحية الاقتصادية ، وعلى تقليل الفروق بين طبقات الناس وتقريبها بعضها من بعض ، واتخذ لذلك وسيلتين : إحداهما الميراث ؛ والأخرى فرض ضرائب على الأغنياء . والإنفاق منها على الفقراء وعلى مرافق الدولة .

أما نظام الميراث فى الإسلام فهو من أمثل النظم لتوزيع الثروات بين الناس . وذلك أنه يقسم التركة على عدد كبير من أقارب المتوفى ، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ويحول من جهة أخرى دون تكدس ثروات كبيرة فى يد فئة محدودة من الناس ، فبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروات الكبيرة التى يتفق تجمعها فى يد بعض الأفراد أن تتوزع ملكيتها بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس وتستحيل إلى ملكيات صغيرة .

وهذه هى أمثل طريقة لتقليل الفروق بين طبقات الناس وتقريبها بعضها من بعض ولحرص الإسلام على الوصول إلى هذه الأغراض حظر على الشخص أن يوصى بشىء من ماله لأحد ورثته ، فقال عليه السلام : « لا وصية لوارث » ؛ وحظر عليه كذلك أن يوصى لغير ورثته بأكثر من ثلث ماله . فأين من هذا النظام الحكيم نظم أوروبا الحديثة التى ينقل بعضها جميع ثروة المتوفى أو معظمها إلى البكر من أولاده ، ويدع بعضها المالك حراً فى أن يوصى بها لمن يشاء ! فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه . فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا إلى معظم الانقلابات والثورات العنيفة التى تعرضت لها أوروبا فى العصور الحديثة .

أما الوسيلة الثانية التى اتخذها الإسلام لتحقيق أكبر قدر ممكن من المساواة فى الحياة الاقتصادية ، وهى فرض الضرائب على الأغنياء وصرف ما يجبى منها لسد حاجات الفقراء وللإنفاق على المرافق العامة ، فقد طبقها الإسلام فى أوسع نطاق ، فلم يغادر أية ناحية من نواحى الثروة إلا فرض عليها نوعاً من الضريبة الثابتة أو التصاعدية ، ففرض الخراج على العقار ، وفرض العشر أو نصف العشر على ما تنتجه الأرض ، وفرض الزكاة على جميع مظاهر الثروة الأخرى ؛ فرضها على عروض التجارة وما فى حكمها ؛ وفرضها على الذهب والفضة وما فى حكمها ، وعلى الأنعام ومنتجاتها .

وبجانب هذه الضرائب المقررة أوجب الإسلام التصدق على الفقراء فى مناسبات كثيرة كعيد الفطر والحج ؛ وجعل التصدق على المساكين أو إطعامهم أو كسوتهم كفارة لعدد كبير من الجرائم والخطايا التى يكثر حدوثها .

وفضلاً عن الضرائب المقررة والصدقات التى تقدم للفقراء فى المناسبات السابق ذكرها ، فقد حبب الإسلام إلى الأغنياء التصدق بفضل أموالهم على الفقراء ، وجعل هذا من أكبر القربات وأعظمها أجراً . فقال تعالى يمدح المؤمنين :

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ سورة الذاريات

وقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾

﴿ إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

وأوجب الإسلام على أهل كل حى أن يعيش بعضهم مع بعض فى حالة تكافل وتعاضد ، يرق غنيهم لفقيرهم ، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم ، فأكثر عليه الصلاة والسلام من الإيصاء بالجار ، حتى قال : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » . ويروى أن رجلاً كان عند عبد الله بن عباس وغلام له يذبح شاة ، فقال ابن عباس : « يا غلام لا تنس جارنا اليهودى » ، ثم عاد فكررها ثانية وثالثة فقال له الرجل : « كم تقول ذلك يا ابن عباس ؟! » فقال : « والله إن رسول الله ـ ﷺ ـ ما زال يوصينا بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه » أى سيجعل له نصيباً مما نترك .

وقد قضى الإسلام على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة أمام القانون وفى الحقوق العامة ، فجعل المرأة مساوية للرجل فى هذه الشئون ، فأباح لها التعلم بمختلف أنواعه ومراحله ، بل جعله فريضة عليها فى الحدود الضرورية لها فى شئون دينها ودنياها . فقال عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وأباح لها كذلك أن تضطلع بمختلف الوظائف التى يمكنها الاضطلاع بها ولا تتعارض مع واجباتها الأخرى ولا مع أوضاعها فى الأسرة والمجتمع .

وقد سوّى الإسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق المدنية والمالية ، فجعل للمرأة الحق فى أن تملك وتبيع وتشترى وتهب وتقبل الهبة وترهن وتوصى وتعقد باسمها العقود وتتصرف فى مالها بسائر وجوه التصرف ، بدون حاجة إلى إذن زوجها أو رضاه . وهذه المنزلة من المساواة لم يصل إلى مثلها بعد أحدث القوانين فى أرق الأمم الديمقراطية الحديثة . فحالة المرأة فى فرنسا مثلاً كانت لا تزال إلى عهد قريب أشبه شىء بحالة الرق المدنى .

فقد نزع منها القانون صفة الأهلية فى كثير من الشئون المدنية ، كما تنص على ذلك المادة ٢١٧ من القانون المدنى الفرنسى إذ تقرر أن « المرأة المتزوجة ـ حتى ولو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ـ لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو من غير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية»[1] . ومع ما أدخل على هذه المادة بعد من قيود وتعديلات ، فإن كثيراً من آثارها لا يزال ملازماً لوضع المرأة الفرنسية من الناحية القانونية إلى الوقت الحاضر . وتوكيداً لهذا الرق المدنى المفروض على المرأة المتزوجة تقرر معظم قوانين الأمم الأوروبية ، أو يقضى عرفها ، أن المرأة بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم أسرتها ، فلا تعود تسمى فلانة بنت فلان ، بل تحمل اسم زوجها وأسرته فتدعى « مدام فلان Madame un tel » ، أو تتبع اسمها باسم زوجها وأسرته بدلاً من أن تتبعه باسم أبيها وأسرتها . وفقدان الاسم رمز إلى فقدان الشخصية المدنية للمرأة واندماجها فى شخصية الزوج ، ومن الغريب أن كثيراً من المتفرنجات من

---

(1) Art. 517. La femme, méme non commune ou séarée de biens; ne peut donner, aliener, hypotjéquer, acquerir à titre gratuit ou anérerux, sans le concoars du mari dans l'acte au son consenten;mmt par écrit.

سيداتنا يحاولن أن يتشبهن بالغربيات حتى فى هذا النظام الجائر ، ويرتضين لأنفسهن هذه المنزلة الوضيعة فتسمى الواحدة منهن نفسها « مدام فلان » أو تتبع اسمها باسم زوجها وأسرته ، بدلاً من أن تتبعه باسم أبيها وأسرتها كما هو النظام الإسلامى ، وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه المحاكاة العمياء . وأغرب من هذا كله أن اللائى يحاكين هذه المحاكاة هن المطالبات بحقوق النساء ومساواتهم بالرجال .

وإذا كان الإسلام لم يسو بين الرجل والمرأة فى شئون الإشراف على البيت ومرافق الأسرة والوظائف العائلية والاجتماعية ، فخص كلاً منهما بأمور حرم منها الآخر ، فقد كان ذلك لحكمة بالغة ، وهى مراعاة طبيعة كل من الجنسين وما يصلح له والعمل على صون المرأة من الابتذال . وفى هذا ضمان لصلاح المنزل والمجتمع وتحقيق لمبدأ توزيع العمل .

وإذا كان الإسلام لم يسوِّ بينهما فى الميراث ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، فما ذاك إلا لأن مسئولية الرجل فى الحياة من الناحية المادية وغيرها أوسع كثيراً فى الأوضاع الإسلامية من مسئولية المرأة ، فالرجل هو رب الأسرة وهو المكلف بالإنفاق على جميع أفرادها . على حين أن المرأة لا يكلفها الإسلام حتى الإنفاق على نفسها . فنفقتها واجبة على أبيها أو ولى أمرها أو أقاربها ما دامت لم تتزوج أو فى غير عصمة زوج . ونفقتها واجبة على زوجها ما دامت فى عصمته لا فرق فى ذلك بين أن تكون فقيرة لا تستطيع الإنفاق أو غنية تستطيعه . ونفقتها واجبة على بيت المال إن لم يكن لها زوج ولا عائل ، لا فرق فى ذلك بين أن تكون قادرة على العمل والكسب أو غير قادرة عليه ، فكان من العدالة إذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون فى ذلك ما يعينه على القيام بهذه التكاليف الثقيلة التى وضعها الإسلام على كاهله وأعفى منها المرأة ضماناً لسعادة الأسرة .

وإذا كان الإسلام لم يسوِّ بينهما فى الشهادة فجعل شهادة المرأتين معادلة لشهادة رجل واحد ، فما ذاك إلا لأن ناحية العاطفة فى المرأة تطغى أحياناً على ناحية ادراكها وتمتزج بعناصره ، فتغير كثيراً من صور ما أدركته من حيث لا تشعر هى بذلك ، فاقتضت العدالة أن يتخذ شىء من الاحتياط حيال شهادتها . وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول :

﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

شــــــهادة

سئل يونس بن عبيد : هل تعرف رجلاً يعمل بعمل الحسن البصرى :

فقال رحم الله الحسن ، والله ما أعلم أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بعمله ؟؟!

كان والله إذا ذكرت عنده النار ؛ كأنه لم يخلق إلا لها ، وما رؤى قط إلا وكأن النار والجنة بين عينيه : خشية ورجاء لا يغلب أحدهما صاحبه .

قالــــــوا ..

- كان إسلام سيدنا عمر - رضى الله عنه - فتحاً وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة .

- المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم .

- تمام التقوى أن تتقى الله حتى تترك ما ترى أنه حلال خشية أن يكون حراماً .

- لأن أرد درهماً من شبهة خير من أن اتصدق بمائة ألف ، ومائة ألف ، ومائة ألف .

• إن الروح نار ، فإذا أنت لم تطعمها لتزيد وتقوى تناقصت وخبت ، وخير ما يشعل جذوة الروح هو « القرآن الكريم » ، إنه جوهر الوجود ، وروح الروح .

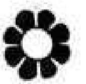

يدخل النار حياً

• مرت رابعة العدوية ـ رضى الله عنها ـ على رجل معه خروف مشوى ، فنظرت إليه طويلاً وبكت فقال الرجل لها : تريدين أن تأكلى منه شيئاً ؟ فقالت : ما

نظرت إليه من قبل الشهوة وإنما نظرت إليه من قبل أن الحيوانات يدخلون النار أمواتاً ، وابن آدم يدخلها حياً .

مع المحبرة إلى المقبرة

• زار أحد العلماء العالم المسلم « البيرونى » وهو على فراش الموت ، فما كان من ـ البيرونى إلا أن سأله عن إحدى المسائل العلمية !!.

فقال العالم الزائر : سبحان الله تسأل عن العلم وأنت مفارقه ؟

فقال ـ البيرونى ـ أفارق الدنيا وأنا أعلم بتلك المسألة خير من أن أكون جاهلاً بها ، وعن فرقد إمام مسجد البصرة ـ أن جماعة دخلوا على سفيان الثورى ـ فى مرض موته ، فحدثه أحدهم بحديث

فأعجبه ، فضرب سفيان ـ يده إلى تحت فراشه ، وأخرج ألواحاً وكتب الحديث فقالوا له : على هذه الحال منك ؟!

فقال : إنه حسن ، إن بقيت فقد سمعت حسناً ، وإن مت فقد كتبت حسناً .

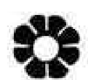

سرعة الإجابة

• قدم رجل على آخر ذى جاه ومنصب فقال ذو الجاه : سل حاجتك ؟ قال الرجل : يدك بالعطية أطلق من لسانى بالمسألة .

السرج خمسة

• قال ابن العماد : السرج خمسة :

سراج فى القلب ؛ وهو المعرفة .

وسراج فى الدنيا ؛ وهو النار .

وسراج فى السماء ؛ وهو الشمس .

وسراج فى الجنة ؛ وهو سيدنا عمر ـ رضى الله عنه .

وسراج فى الدين ؛ وهو سيدنا محمد ـ ﷺ ـ .

طرائف ومواقف

أبلغ ما قيل فى الإقدام

قول قيس بن الخطيم بن عدى الأوسى :

وإنى فى الحرب العـــوان موكل
بإقــدام نفس لا أريــد بقاءهـــا

وكذلك قول العباس بن مرداس السُّلمى :

أشد على الكتيبـــة لا أبـــالى
أحتفـــى كان فيها أم سواهـــا

حـــذار

قال الشاعر :

يحج لكيمـا يغفـر الله ذنبـــه
فيرجـع قد حطت عليـه ذنـــوب

المستحق لولاية الله

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

ثلاثة من كن فيه ؛ فقد استحق ولاية الله :

حلم أصيل يدفع به سفه السفيه .

وورع يمنعه من المعاصى .

وحسن خلق يدارى به الناس .

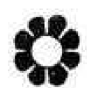

عفـــوك

تعلق أعرابى بأستار الكعبة وقال :

عبدك ببابك ، ذهبت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهواته ، وبقيت تبعاته ، فارض عنه ، فإن لم ترض عنه فاعف عنه ، فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غير راضى .

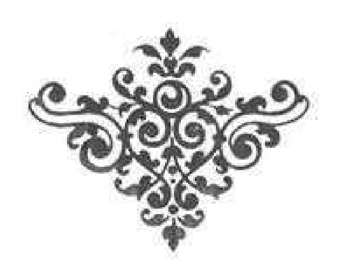

الشيخ أحمد موسى المنوفى

إمام المسجد الكبير بمدينة كلكتا فى بلاد الهند

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

علم من أعلام الأزهر اتسم بالذكاء وسعة الاطلاع والسفر والترحال للالتقاء بعلماء الإسلام فى شتى الدول والأقاليم والبلاد ذاعت شهرته فى بلده بمحافظة المنوفية فى بداية حياته مما دفع طلاب العلم إلى السفر إليه للاستفادة من دروسه التى كان يلقيها هناك فى علوم المعقول والمنقول .

ذلك هو الشيخ أحمد المنوفى بن موسى بن مصطفى بن إسماعيل من عائلة النحولة المشهورة فى محافظة المنوفية بريف مصر[1] .

(١) كتاب الرحلة اليابانية تأليف الشيخ على أحمد الجرجاوى طبعة سنة ١٣٢٥ هـ .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله عام ١٢٨٠ هجرية فى بلدة طاليا التابعة لمركز أشمون أحد مراكز محافظة المنوفية ، ولما درج مدارج الصبا أدخله والده مكتب أحد فقهاء بلدته فحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا كما تلقى فيه مبادىء القراءة والكتابة .

ولما بلغ الخامسة عشرة من سنه بعث به والده إلى الأزهر الشريف بالقاهرة وكان ذلك فى عام ١٢٩٥ هجرية فانكب فيه على تلقى العلوم بأنواعها على العلماء من شيوخ الأزهر فى ذلك الزمان فأظهر براعة فائقة وذكاء نادرا حتى أعجب به كل من لازمه فى حلقات الدرس من الطلبة والمدرسين فى ذلك الوقت .

رحلاته وجولاته فى أنحاء البلاد المصرية :

بعد انتهائه من تحصيل العلم فى الأزهر المعمور فاجأته نوائب الزمان بوفاة والده فانصرف عن العلم إلى العمل بالتجارة فى بلده ولكن ما هو إلا عام وبضعة أشهر حتى حنَّ إلى العلم مرة أخرى فابتعد عن التجارة واشتغل بالعلم .

ثم بدا له أن يتجول فى البلاد المصرية والعربية للوقوف على أحوال المسلمين ومدى تمسكهم بدينهم الحنيف :

١ ـ فسافر فى عام ١٣٠٥ هـ إلى صعيد مصر ويمم وجهته إلى مدينة قنا حيث نزل ضيفا على أحد أصدقائه ممن كان يزامله فى طلب العلم بالأزهر الشريف ويعمل قاضيا هناك .

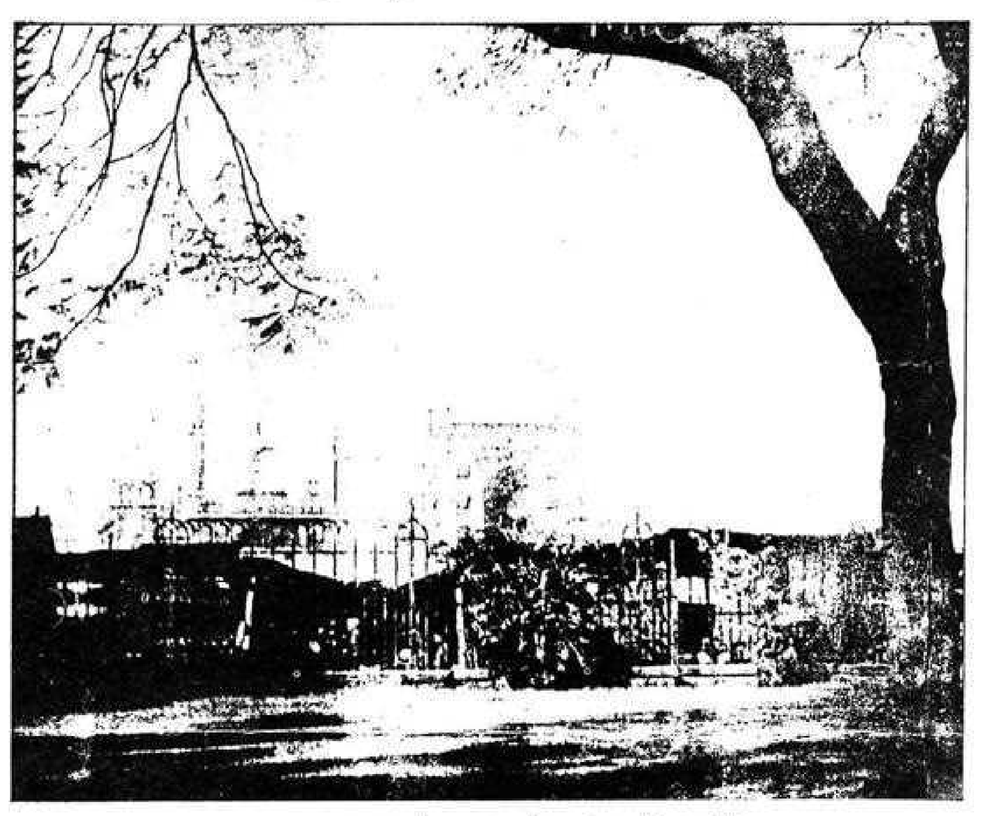

• المسجد الجامع بدلهى من أفخم المساجد وأحبها فى الهند •

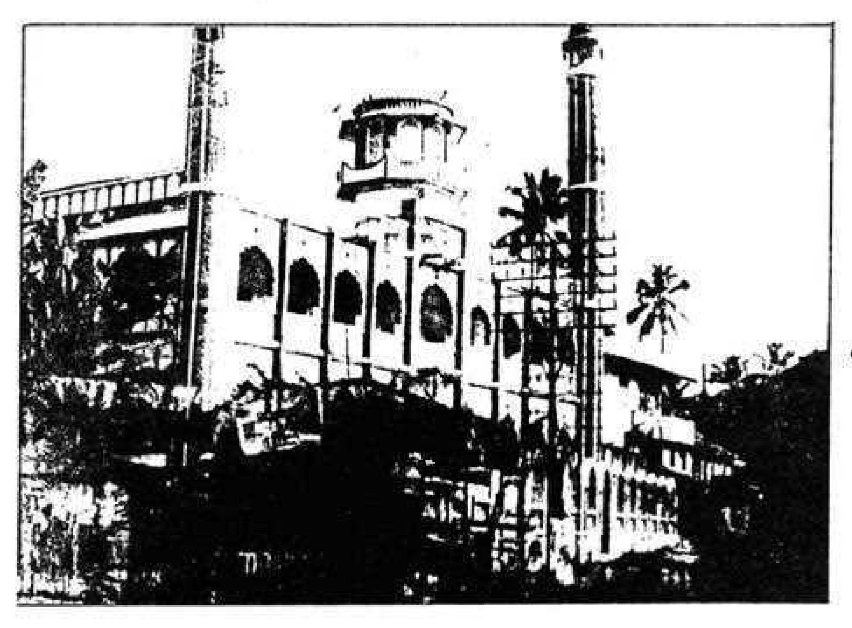

من مساجد المسلمين بالهند

وعندما رآه بعض طلبة العلم تعلقوا به وطلبوا منه اقراء بعض الكتب فلبى طلبهم ودرس لهم العقائد النسفية فى علم التوحيد .

٢ ـ ثم سافر إلى حلفا وهناك تلقاه أحد كبار الضباط فى الجيش المصرى ممن كانت تربطه معه صحبة قديمة فاحتفى به وأكرم نزوله وطلب منه أن يلقى بعض الدروس الدينية لافادة جنود الجيش المصرى هناك ففعل ذلك حيث ألقى عليهم دروسا فى تفسير الذكر الحكيم .

٣ ـ ولما أراد الدخول إلى السودان نصحه صديقه الضابط المصرى بالعدول عن ذلك بسبب الاضطرابات التى كانت تجتاح القطر السودانى بسبب اندلاع ثورة الدراويش فى ذلك الوقت .

٤ ـ وعندما ألح عليه بعض طلبة العلم فى القاء بعض الدروس درس لهم بعض كتب النحو والفقه على مذهب الامام مالك وزادهم دروسا أخرى فى القرآن الكريم والحديث .

٥ ـ ثم توجهت رغبته إلى السفر إلى بلاد الحجاز لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبى ﷺ فكاشف صديقه الضابط المصرى فسهل له لوازم السفر ووجهه إلى مدينة القصير على البحر الأحمر حيث عبر منها إلى بلاد الحجاز عام ١٣٠٧ هجرية .

ولما وصل إلى البلد الأمين مكة المكرمة أدى المناسك عن فريضة الحج وبعد ذلك توجه إلى المدينة المنورة حيث زار قبر المصطفى ﷺ فى روضته الشريفة .

٦ ـ وهناك فى المدينة التقى بالشيخ سيد محمد على السنوسى شيخ الطريقة السنوسية فتعارفا وبسبب المودة التى ربطت بينهما بقى بهامدة تسعة أشهر اشترك معه خلالها فى مطالعة شتى العلوم وقبل رحيله أجازه الشيخ السنوسى بقراءتها لما رآه فيه من الكفاءة العالية والأهلية العلمية ، ثم عاد إلى مكة المكرمة وفيها التقى بالعلامة الشيخ اسماعيل الغراب فلازمه مدة عام حيث كان يطالع معه كتب الحكمة والفلسفة .

٧ ـ ولما سمع من الثناء الطيب على علماء اليمن سافر إلى هناك وقصد بلدة (المروعة) فوصلها عام ١٣٠٩ هجرية فتعرف على علمائها وفى مقدمتهم الأستاذ العلامة السيد حسن عبدالبارى شيخ المدرسين والعلامة السيد محمد الطاهر مفتى البلد[1] .

(١) كتاب الرحلة اليابانية المرجع السابق .

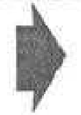

رحلات الشيخ أحمد موسى خارج البلاد العربية :

بعد أن انتهى رحمه الله من زيارته لبلاد اليمن يمم وجهته نحو بلاد الصين فسافر إليها وهناك أخذ يجوب أصقاعها وكلما سمع بأحد علماء الإسلام رحل إليه وأقام معه ما شاء الله له أن يقيم .

وفى تلك البلاد لقى احتفاء به زائداً من علماء الصين فدرس لهم عددا من الكتب فى المذهب الحنفى إذ كانوا يتمذهبون به مع أنه كان هو على مذهب الإمام مالك بن أنس وفى أواخر عام ١٣١٨ هجرية أنهى زيارته لبلاد الصين فقفل راجعا إلى بلاد الهند حيث وصل إلى مدينة كلكته عاصمتها وقتئذ ولم تكن تستقر قدمه بها حتى شاع ذكره هناك وسرعان ما التف حوله المسلمون وفضلاء العلماء واحتفوا به احتفاء كبيرا وألحوا عليه بالبقاء وكان على رأسهم عالمهم سماحة الحاج محمد نور زكريا كما استعانوا فى ذلك لاقناعه بالسيد يوسف بن السيد أحمد الزواوى صاحب سلطنة مسقط والذى كان من أعز أصحابه فلم تسعه مخالفته .

ولما رضى بالبقاء هناك سعدوا بذلك سعادة كبيرة فعرضوا عليه إمامة المسجد الكبير فى كلكتا فأجاب طلبهم وعين إماما لذلك المسجد الجامع اعتبارا من غرة المحرم عام ١٣١٩ هجرية كما عهدوا إليه بجميع شئون المسجد المشار إليه فبقى به مبجلا محترما يجله الأمراء ويحترمه العلماء وكل من عرفه من المسلمين هناك .

ولما سمع خلال عمله بالمسجد الكبير فى مدينة كلكتا بعزم الشيخ على أحمد الجرجاوى السفر إلى بلاد اليابان عام ١٩٠٦ ميلادية بعث إليه يعرض مرافقته إلى هناك لينال شرف مشاركته فى ابلاغ دعوة الإسلام وإعلاء كلمة لا إله إلا الله بين شعب اليابان ولكن حالت دون ذلك ظروف مرضه المفاجىء فقام الشيخ على الجرجاوى بالسفر إلى هناك بمفرده[1] .

هل عاد الشيخ أحمد موسى المتوفى إلى مصر أم بقى هناك فى بلاد الهند ؟

لم نعثر فيما بين أيدينا على ما يشير إلى عودة ذلك العالم الأزهرى إلى وطنه فى مصر ويبدو أنه استمر فى إمامة ذلك المسجد الكبير فى مدينة كلكتة يدعو إلى الله ويعلم المسلمين هناك أمور دينهم حتى لقى ربه راضيا مرضيا فى بلاد الهند وكأنه يقول كما قال الشاعر :

إذا كان أصلى من تراب فكلها
بلادى وكل العالمين أقاربى

(١) يرجع فى ذلك إلى مجلة الأزهر ـ الجزء الثانى عشر السنة التاسعة والخمسون ذى الحجة سنة ١٤٠٧ هـ ـ أغسطس سنة ١٩٨٧ م .

الشعر
و
الشعراء

يا أمُّ

للشاعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

يا أمُّ صوتك لم يزل فى مسمعى ... يَسْرِى سلاما فى حنايا أضلعِى
كاللحن فى الوجدان ينفث سحره ... كالبُرْءِ يمشى فى الفؤاد الموجَع
يا أمُّ طيفك نصب عينى ماثل ... فى غفوتى ، فى يقظتى ، فى مرتعى
إن كانت الاقدار حالت بيننا ... فيداك مازالت تُهدهد مضجعى
لم أنس يا أماه منك أنامِلا ... يا طالما كانت تكفكف أدمعى
كيف السلو ، وأنت منبت نبعتى ... ورياض روحى فى اليباب البلقع
يا أم ذكرك فى اللسان مُبادِر ... فى كل رَوْع طارق ، وتوجُّع
وكأنه تعويذة عُلْوِيَّة ... من كل شر فى الحياة مُرَوَّع
هل كنت إلا رحمة الله التى ... يحيا بها الإنسان غيرُ مُضَعْضع
هل أنت إلا الأمن والإيناس فى ... داج من العيش المَخُوف المفزع

* * *

آه ، وآهٍ بعد نور قد خبا ... مَنْ لى بحِصْن للأمان مُمَنَّع ؟!
من لى بشمس الأم تُدفِء مهجتى ... مَنْ لى بصدرٍ بالسكينة مُرْضع
لا والذى فطَر الخلائق ماها ... مِثْلٌ بقلبٍ بالمحبَّة مترع

* * *

أماهُ ما برِّى ، وكل ترحُمِى ... يُوفِى ويُجْزِى عُقْلةً مِنْ إصبعى
إنى مَقِرٌ ما حَيِيتُ على الدُنا ... بالعجز حتى فى ابتهال تركعى
لكن حسبك أن رب الكونِ قد ... أرْسى مقامك فى المحل الأرفع

وهنـــاك يا أمّــاه فى الفـــردوس فَوْ ق ذُرَا النـعيم المستـــديم تربَّعـــى
فجزيـــل فضلك لا يُوفِيـــهِ سوى ربُّ الجزاء بظـــلِّ روض مُونـــع

* * *

قال الحنـــان ـ لسائـــل عن نبعـــه : مِنْ مُهجـــة الأم الرحيمَـــة منبعـــى
قال الضيـــاء ـ لكـــل طفـــل أو فتـــى : من وجـــه أمك فى حيـــاتِك مطلعـــى
قد قالت الدنيـــا بأصدق لَجهـــة : ـ ما الأم إلا آيـــة من مُبـــدع
شمس الحيـــاة أمومـــة ، وأبُـــوَّة فى العيش تُشْرق فى مشاعر من يعى

* * *

يا من إلى الجنـــات يهفـــو قلبـــه ويرومهـــا فى لهفـــة ، وتطلـــع
سارع إلى أقـــدام أمك تُلفِهَـــا إن جئتها فى ذلـــــة وتخشُّع
الله كرمهـــا ، وأعلى قدرهـــا فى كل آى بالثنـــــاء مرصَّع
ومضى يشيـــد بفضلهـــا وحقوقهـــا فى النـــاس كل مُقَنَّـــن ومشرع

* * *

يأيها الأبنـــاء فى كل الـــورى إنى أحَيِّـــى الأم ، حيوهـــا معـــى
بالبر والتكـــريم ، دون تفضل بدعـــاء قلب راحـــم ، وتضرع
تالله ما خفَض الجنـــاحَ لأمِّـــه وأبيـــه إلا كل شهـــم أروع
يعطـــى الأمومـــة والأبـــوة حقهـــا فى العـــيش أو فى الموت غير مضيـــع
إن الـذى عرف الحقائـق عاش يقـــ ـظـــان المشاعـــر ، عينـــه لم تهجـــع

للشاعرة : جليلة رضا

قتلوكِ يا ليمونتى الحسناء
حرموكِ فى فصل الربيع الماء
فوقفت فى البستان عارية المنى
تتوسطين غصونك الجرداء
وحضنت شباكى الفسيح ضريرةً
تتلمسين بحجرتى الأحياء
وأطلّ وجهُك من خلال ضلوعه
جهم الملامح ، عابساً ، مستاء

* * *

ليمونتى الجرداء : لا لا تخجلى
ما ضاع حُسنك فى الرياض هباء
إن الدمامة والجمال كليهما
يتبادلان الأخذ والإعطاء
فالموت قد أعطاك سحراً غامضاً
يُضفى عليك قَداسةً عذراء
والموت قد أعطاك حزنا قاسيًا
متوحشاً يستوقف الشعراء
ليمونك الغالى عصرتُ رحيقه
وصنعتُ منه لـ (فِلْذتيَّ)(١) دواء
أنا لستُ باكية عليه بقدرما
أبكيكِ أنتِ ضريرةً صمّاءَ
أختاه لا تزلى الوفاءَ بروضة
نسيتْكِ وازدهرتْ شذًا وسناءً
فلرب غصْنٍ تحت جِذعِكِ غائرٍ
يغفى لأجلك أن يموت فداءَ ..

* * *

وإذا رأيتِ الناس أكثر قسوة
وأشد من هذى الرياض عداء
يكفيك أن هناك قلباً واحدًا
مثلى .. يشاطرك الشقاءَ .. شقاء
ولقد تصبُّ الشمس فوقك نارَها
لكنّ روحك تكشف الأجواء
وإذا النسيم أبى عليك سلامَه
لن ترهبى فى عُرْيك الأنواء
فمتى الذبيح .. يُحسُّ نزْفَ دمائه ؟
ومتى الرياح .. تحارب .. العزلاء .. ؟!

(١) فِلْذتيَّ ، تقصد : ولدها وابنتها

يا هاجرا

للشاعر : محمد عبد الوهاب جنيدى

يا هاجرا فرض الإله وَنفلِهِ ... عُدْ للكريم فإنّ عفوَهُ واسعُ
أيليقُ مِنك عقوقُ ربٌ مُنعم ... يشفى السّقامَ ، وفى الملمة يسمعُ

***

ماذا تقولُ إذا المنيّةُ أنشبتْ ... أظفارَها ومِنَ الأحبّةِ تنزَعُ
وأتاكَ مِنْ قِبَلِ الإله ملائِكٌ ... ماذا تجيبُ وأىّ دفعٍ تدفعُ ؟

***

القبرُ صندوقٌ لِمَا قدّمتَهُ ... إنْ كان خيرًا فالجنانُ المرتعُ
أو كان شرًا كيفَ تأمنُ بطشَهُ ؟ ... فهو الرفيقُ وقد حوَاكَ المضجعُ

***

وعلى الصرطِ المستقيمِ مسيرُنا ... هل مِنْ شفيعٍ ..؟ والعبادةُ تشفعُ
أقْبِلْ على النفسِ المسيئةِ ، رُدَّهَا ... قد فازَ مَنْ لصلاحِ أمرٍ يَجْمَعُ[1]

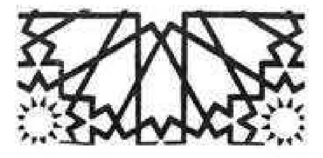

(١) محمد عبد الوهاب جنيدى ــ شركة بدر للبترول

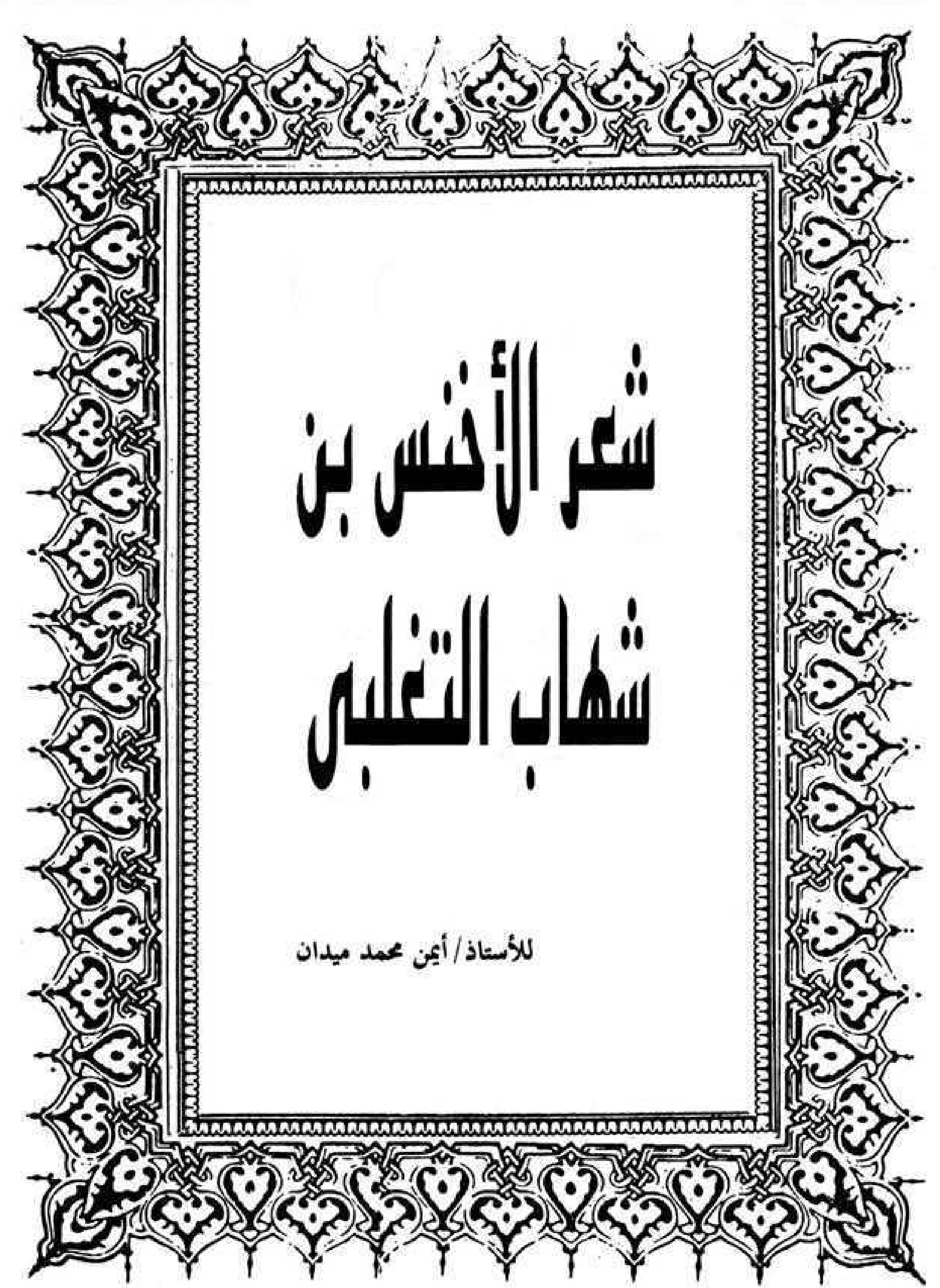

شعر الأخنس بن شهاب التغلبي

للأستاذ/ أيمن محمد ميدان

تطايــــرُ عن أعجــازِ حُوشٍ كأنّهـــا جَهَـــامٌ أراقَ ماءَهُ فهـــوَ آيبُ[1]

وبكْــرٌ لهـــا ظَهْـــرُ العِـــرَاقِ وإنْ تشأْ يَحُـــلْ دُونهـــا مِن اليَمَامَـــةِ حَاجِبُ[2]

---

(١) الحوش : إبل حوشية لم ترض . جهام : السحاب الذى هراق ماءه وهو أسرع لسيره . آئب : راجع . ويقول التبريزى فى شرحه المفضليات ص ٥٠٠ .. والمعنى أنهم يتسابقون إلى الشر والحرب عن اعجاز مراكب هذه صفتها ، والمراد أنهم وإن كانوا أصحاب إبل لا خيل ، فمتى دعوا إلى الحرب أجابوا سراعا ... » .

روى بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٥ ، وشرحها للتبريزى ص ٥٠٠ معجم ما استعجم ٨٦/١ ، ومنتهى الطلب ٢٩٤ .

●وبرواية ثانية فى الأشباه والنظائر ٢٨٣/٢ ، وشعراء النصرانية ١٨٦/١ ، وأشار إليها ابن الأنبارى فى شرحه للمفضليات ص ٤١٥ :

____________ ____________ هراق ____________

هَرَاقَ لغة فى أراق ، وهراق ماءه أى صبّهُ . أنظر اللسان « هرق » .

●وبرواية ثالثة فى شرح ديوان الحماسة لأبى العلاء ٨٤ أ :

تطير __________ جون ________ سحاب هراق ____________

الجُونُ : ضرب من القطاسود البطون والأجنحة .

● وبرواية رابعة فى صفة جزيرة العرب : ٢٠٥/١ ، ومعجم البلدان (قضة)

يطيروا ____________ ____________ هراق ____________

●وأشار ابن الأنبارى إلى رواية أحمد :

تَطِيرُ عَلَى ____________ ____________

(٢) بكر بن وائل : قبيلة عظيمة من العدنانية تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن نزار بن معدّ بن عدنان فيها الشهرة والعدد ، فمنها يشكر بن بكر بن وائل ، وبنو عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وبنو حنيفة ، وبنو عجل ابنا لجيم بن صعب .

كانت ديار بكر بن وائل من اليمامة ، إلى البحرين ، إلى سيف كاظمة ، إلى البحرين فأطراف سواد العراق ، فالأبلة فهيت . وقد تقدمت شيئا فشيئا فى العراق فقطنت على دجلة فى المنطقة المدعوة حتى يومنا هذا باسمهم « ديار بكر » ، وهى بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ......

تعد قبيلة بكر من أعظم القبائل المحاربة ، فقد استعرت نيران الحرب بين بكر وتميم عرفت بأيام مشهورة ، منها : يوم ذى أحتال ، يوم السِيّار ، يوم سلمان ، يوم الهزير يوم زبالة ...... ومن أيامهم مع بنى تميم يوم الغُظالى ، وهو آخر وقعة كانت بينهما فى الجاهلية ، ومن وقعاتها الحربية يوم الوقبى ، كان بينها وبين بنى مازن ، ويوم قراقر كان لمجاشع على بكر . ووقعة كانت بين بكر وبنى سليط فى موضع يقال له : جداب فى حزن بنى يربوع ... ويوم الفلج كان بين بكر بن وائل وبنى كعب بن ربيعة .

وقد غزت هذه القبيلة تخوم الامبراطورية الفارسية ، فجهز الملك شابور حوالى سنة ٣٣٠ م جيشا لتأديبها ، فقتل وسبئ وأسر عددا كبيرا من الأسرى فى فارس ..... وكان للنعمان بن المنذر من ملوك لخم بالعراق كتيبة يقال لها : الصنائع وهم صنائع الملك ، أكثرهم من بكر .... واشتعلت نيران الحرب بين بكر وتغلب حوالى أوائل سنة ٤٩٠ م ... أربعين سنة ... وقد أصلح بين بكر وتغلب ابنى وائل الملك عمرو بن هند ، فقد أخذ من الحيين رُهنا من كل حى مائة غلام ؛ ليكف بعضهم عن بعض ، فكان أولئك الرُّهن يكونون معه فى مسيرة ، ويغزون معه فأصابتهم سموم فى بعض مسيرهم ، فهلك عامة التغلبيين ، وسلم البكريون ، فقالت تغلب لبكر : اعطونا ديات ابنائنا ، فإن ذلك لكم لازم ، فأبت بكر بن وائل ، فحكم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكر بن وائل ، ما حدث على رهائن تغلب ، فتفرقوا على هذه الحال » .

« حاجب : مانع . والمعنى : لها هذا وإن أتاها خوف وشاءت أن يمنعها منه مانع من اليمامة قدرت على ذلك : أى لها باليمامة من يمنع ضيمها : يعنى بنى حنيفة : وحنيفة بن لجيم أخو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل » .

روى بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٥ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٠ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٢٨٤ للأخنس بن شريق التغلبى .

وبرواية ثانية فى :

وَصَارَتْ تَمِيـــمٌ بَيْـــنَ قُفٍّ وَرَمْلَـــةٍ لَهَـــا مِنْ جِبَـــالٍ مُنْتَـــأَى وَمَـــذَاهِبُ[3]

منتهى الطلب ص ٢٩٤ ، ومعجم ما استعجم ١/٨٦ :

______ بُرٍّ ______ ______ ______

البَرّ – بالفتح – خلاف البحر .

وبرواية ثالثة في : الجمهرة ١/٢٠٦ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٦ .

______ بُرٍّ ______ تخفّ ______

وأشار إليها أيضا ابن الأنبارى في شرحه ص ٤١٥ ، ونص على أنها رواية أبي جعفر . وردت في « معجم البلدان » . قِفّة .

وبرواية رابعة في : صفة الجزيرة ١/٢٠٥

______ أرضٍ ______ ______

وبرواية خامسة في شرح الحماسة لأبي العلاء ٨٤ أ

______ صَحْنٍ ______ ______

والصَّحْنُ : المستوى من الأرض .

وأشار التبريزى في شرحه للمفضليات ص ٥٠٠ إلى هذه الرواية .

(٣) تميم بن مُرّ : قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلى تميم بن مُرّة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . كانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين ، وانتشرت إلى العذيب من أرض الكوفة ، ثم تفرقوا في الحواضر ، ولم تبق منهم باقية ، وورث منازلهم الحيّان العظيمان بالشرق غزية من طى ، وخفاجة من بنى عقيل بن كعب .

من منازلهم : صلب ، رهبى ، مغنى المثنى ، الحيار ، الدهناء ، الاحساء وسحنان ، والرمادة ، وبرة ، الحرو .... ومن جبالهم : عُطالة .... ومن أوديتهم : ذو عشرة وكُلَية . ومن مياههم : حَمْض ، وحيضة ، كِتْهل ، الجفار ، أوراه .... غُنظوان تكَدّ ، نطاع ، والكُلاب .

تمتاز هذه القبيلة بتاريخها الحربي في الجاهلية والإسلام ، فمن وقعاتهم أن كسرى قد توّج هوذة بن على الحنفى وضم إليه جيشا من الأساورة فأوقع ببنى تميم يوم الصفقة ... ومن أيامهم يوم القصيبة باليمامة ، وهو يوم كان لعمرو بن هند على تميم فانتصر عليهم ، وأحرق منهم ، وأغار النعمان بن المنذر على بنى تميم ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب ، فهزموه .... ولها مع القبائل وقعات كثيرة يمكن العودة إليها في مظانها ... »

القُفُّ : ما خشن من الأرض واجتمع ، وجمعه قِفاف ، وكل مجتمع منقبض فهو قافٌ . والجبا : حبال الرمل وهى معاظمها . والمنتأى : مُفتَعل من النأى ، وهو البُعد ... أى لها بُعْدٌ ومذاهب عن عدوها فلا يصل إليها .

ورد البيت بالرواية السابقة في :

المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٥ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٠ ومنتهىٰ الطلب ٢٩٥ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٦ .

وبرواية ثانية في :

صفة جزيرة العرب ١/٢٠٥ ، ومعجم ما استعجم ١/٨٦ ، ومعجم البلدان (قِفّة)

______ ______ جبال ______

جبال : : واحدها جبل ، ويطلق على كل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال .

وبرواية ثالثة في : الأشباه والنظائر ٢/٢٨٣ .

______ ______ في الجبال ______

وأشار ابن الأنبارى في شرحه للمفضليات ص ٤١٥ ، وهى :

______ ______ في حبال ______

حبال : واحدها حبل ، وهى قطعة من الرمل ضخمة ممتدة .

وَكَــلْبٌ لَهَــا خَبْتٌ فَرَمْلَــةُ عَالِــجٍ   إِلَـى الْحَــرَّةِ الرَّجْــلَاءِ حَيْثُ تُحَــارِبُ[٤]

وَغَسَّانُ حَيٌّ عِزُّهُــمْ فِى سِوَاهُــمُ   يُجَالِــدُ عَنْهُــمْ مِقْــنَبٌ وَكَتَــائِبُ[٥]

---

(٤) كلب : بطن من قضاعة ، من القحطانية ، وهم بنو كلب بن وبرة ـ بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير ـ كانوا ينزلون دومة الجندل ، وتبوك ، وأطراف الشام ونزل خلق عظيم على خليج القسطنطينية .

ومن أمكنتهم : عقدة الجوف ، الشربة . ومن أوديتهم : قراقر . ومن مياههم : عُراعِر ، الأجداد ، تيما ، القُوَيْز ، وخالة . وقد اتخذوا فى الجاهلية بدومة الجندل صنما يُدْعى وُدًّا . ودخلوا فى دين النصرانية ثم الاسلام ».

خَبْت : بلد دون الجزيرة ، وقيل : ماء لكندة ، وقيل : إنها فى ديار كلب الرَّمْلة : حبال الرمل . الحَرَّة : الأرض تُلْبِس الحجارة ، وسُميت : الحَرَّة الرجلاء لأنها ترجل سالكها ، ولا يقدر فيها على الركوب ، والحجارُ كثير الحرار .

روى البيت بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٥ ، وشرحها للتبريزى ٥٠١ والأشباه والنظائر ٢٨٣/٢ ، وصفة جزيرة العرب ٢٠٥/١ ، ومنتهى الطلب ٢٩٥ وشعراء النصرانية ٨٦/١ ، ومعجم البلدان (قضة) .

وبرواية ثانية فى معجم ما استعجم ٢ / ٤٨٦ :

ـــــــــ ورملة ـــــــــ   ـــــــــــــــــــ

(٥) غسّان : شعب عظيم اختلف فى نسبته ، فقالوا : غسّان أبو قبيلة باليمن وهو مازن بن الأزد بن الغوث ـ بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ ـ ، وقالوا : غسّان ماء بسد مأرب باليمن ، وقيل : بالمُشَلَّل نزلوا به فنسبوا إليه ، وقالوا : غسّان اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه ، منهم بنو حنيفة رهط الملوك ، ويقال غسّان اسم قبيلة ، وقالوا : غسّان أبو قبيلة باليمن ، منهم ملوك غسّان ، وماء بين رِمع وزبيد مَنْ نزل من الأزد فشرب منه سمى غسّان ، ومن لا يشرب فلا . وقالوا : غسّان بنو حنيفة والحارث وهو مُحَرِّق ، وثعلبة وهو العنقاء ، وحارثة ومالك وكعب وخارجة وعوف بن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق ، ويقال : البُهْلول بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وقالوا غسّان اسم ماء نزل عليه بنو مازن بن الأزد بن الغوث ، وهم الأنصار ، وبنو جفنة وخزاعة فسموا به . وقالوا : الغساسنة ملوك الشام ، وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد .

كانت ديار غسّان إذا جزت جبل عاملة تريد قصد دمشق من حمص وما يليها فهى ديار غسّان من آل جفنة . وكانوا عمالا للامبراطورية الرومانية البيزنطية يحمون الحدود الشامية من غارات الفرس واللخميين ، ولم يكن لهم عاصمة معينة ، ومن أهم مراكزهم : الجولان ، ومدينة الجابية ، وجلق الواقعة بالقرب من دمشق ، ومن ديارهم : مَحْيِل .

ومن أيامهم : يوم حارث الجَوْلان ، وهو يوم لغسّان ، ويوم أباغ على لخم ونزار .... وكانوا خبيرين بأخبار الروم وبنى اسرائيل واليونانيين . وكانت النصرانية فى غسّان ، وكانوا يتبارون فى البيع .

وقدم منهم وفد على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رمضان سنة عشر وكانوا ثلاثة نفر ، فأسلموا ، وأجازهم عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجوائز ، وانصرفوا راجعين إلى قومهم ، فلم يستجيبوا لهم ، فكتموا اسلامهم ، حتى مات منهم رجلان على الإسلام وأدرك الثالث عام اليرموك ، فلقى أبا عبيدة فأخبره باسلامه ، فأكرمه .

عزهم : مجدهم ومنعتهم . يجالد : يقاتل ويدافع . المِقْنب : الجماعة ، والجمع مَقَانِب يقول ابن الأنبارى : هم ملوك ، ولم يكونوا كثيرا : وكانت الروم توليهم وتقاتل عنهم فعزهم فى غيرهم .

روى بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٦ ، وشرحها للتبريزى ٥٠١ ، والأشباه والنظائر ٢٨٤/٢ ، ومنتهى الطلب ٢٩٥ .

وبرواية ثانية فى « صفة جزيرة العرب » ٢٠٤/١ :

ـــــــــ فى بيوتهم   ـــــــــــــــــــ

وبرواية ثالثة فى « شعراء النصرانية » ١٨٧/١ :

ـــــــــــــــــــ   تجالــــــد عنهم حسر وكتــــــائب

وَبَهْـــراءُ حَيٌّ قَدْ عَلِمْنَـــا مَكَانَهُـــمْ	لَهُـــمْ شَرَكٌ حَوْلَ الرُّصَافَـــةِ لَاحِبُ[6]
وَغَـــارَتْ إِيَـــادٌ فِي السَّوَادِ وَدُونَهَـــا	بَرَازِيـــقُ عُجْـــمٌ تَبْتَغِـــي مَنْ تُضَارِبُ[7]

وأشار ابن الأنبارى ص ٤١٦ إلى رواية رابعة :

ــــــــــــــ عزهم فى سواهم	يجالـــــــد عنهم حسر وكـــــــائب

وعلّق .. قال أحمد : السّوَاهِمُ الخيل التى اسودّت وتغيرت من شدّة التعب والسُّهْمَةُ : السواد . والحاسِر : الذى لا بيضة عليه .

وبرواية خامسة فى « معجم البلدان » قِضَة :

وغسّان جِنٌّ غيرهـــــــم فى بيـــــــوتهم	تجالـــــــد عنهم حسر وكـــــــائب

(٦) بَهْرَاء : بطن من قضاعة من القحطانية . وهم بنو بهراء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . كانت منازلهم شمالى منازل بلى من الينبع إلى عقبة أيلة ، ثم جاوروا بحر القلزم . منهم خلق كثير ، انتشروا ما بين بلاد الحبشة ، وصعيد مصر وكثروا هناك وغلبوا على بلاد النوبة .

وقد انضم هذا البطن فى غزوة مؤتة سنة ٨ هـ إلى هرقل عظيم الروم ، وقدم وفد من بهراء سنة ٩ هـ على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتألف من ١٣ رجلا . معجم قبائل العرب ١/١١٠ .

الشرك : بينات الطريق واحدها شركة . الرُّصَافة : ناحية حِمْص ، وهى لهشام بن عبدالملك . وقال يعقوب : اللاحب الطريق الماضى المنقاد .

روى بالرواية السابقة : المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٧ ، وصفة جزيرة العرب ١/٢٠٥ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٦ ، ومعجم ما استعجم ١/٦٨ وشرح المفضليات للتبريزى ٥٠١ .

وبرواية ثانية فى منتهى الطلب ٢٩٥ :

ـــــــــــ قَوْمٌ ـــــــــــ	ــــــــــــــــــــــــ

وبرواية ثالثة :

وغسّانُ ــــــــــــــــ	ــــــــــــــــــــــــ

(٧) إياد بن نزار : بطن عظيم من العدنانية ، وهم : بنو إياد بن نزار بن معد بن عدنان منازلهم : منها عين أُبَاغ وما والاها ، الرقمتان ، ذو شعب ، بيضان ، الغضى ، جنّة عريان ، جائر ، حُرْض .... الخورنق وما يليها ، دَيْر الأعور ، ودير الجماجم ، وديرقُرّة تكريت ، الجزيرة ، أرض الموصل ، الحرجية ، أنقرة ، المُسْتَراد وأنقرة . ومن مياههم : تصاف واللُّفَاظ .

كان لإياد شرف فى أهل تهامة ، ومنزلة فيهم ، وعزّ ومنعة . وفى أوائل القرن الثالث الميلادى انفردت مضر برئاسة الحرم ، فاضطرت إياد لأن تهاجر إلى العراق ، فظعنت إياد من منازلها ، ونزلوا سينداد بناحية سواد الكوفة فأقاموا بها دهرا ، ثم انتشروا فيما بين سنداد وكاظمة وإلى بارق والخورنق وما يليها ، واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة ، فكان لهم موضع دير الأعور ودير الجماجم ودير قُرّة ، وكثر من بعيْن أباغ منهم حتى صاروا كالليل كثرة .

وقد حاربت إياد الأعاجم ، وهزمتهم بشاطىء الفرات العربى ، ثم غزاهم أنوشروان فقتل منهم ونفاهم عن أرض العراق ، فنزل بعضهم الجزيرة وأرض الموصل كلها فبعث أنوشروان أناسا من بكر بن وائل مع الفرس ، فنفوهم عن تكريت والموصل إلى قرية يقال لها : الحرجية ، فالتقوا بها فهزمتهم الفرس ، وقتلتهم ، فساروا حتى نزلوا بقرى من أرض الروم ، وسار بعضهم إلى حمص وأطراف الشام .

ودانت إياد لغسّان ، وتنصروا ، ولحق أكثرهم بلاد الروم ، فيمن دخلها مع جَبَلَة بن الأيهم من غسّان وقضاعة وغيرهم ، وبقاياهم من بقاياهم ، فتفرقوا فى أجناد الشام ومدائنها ...... كان لهم كعبة بسنداد تُدْعىٰ كعبة شداد يعبدونها ثم اعتنقوا النصرانية ، ثم الإسلام ، وكان من إياد خطباء يضرب بهم المثل ، وتعلمت العرب الخط منهم ، وعنهم أتت أخبار كثيرة من الأمم الخالية كطسم وجديس .

غارت : دخلت . السَّواد : سواد العراق ، وسمى السواد سوادا لكثرة نخله . برازيق : مواكب واحدها بُرْزَق وبِرْزِق ، وهو بالفارسية ، وعلق على هذه الكلمة محققا كتاب المفضليات « ..... ولم يذكر هذا المفرد فى المعاجم ، إنما ذكر بِرْزِيق بالكسر وزيادة الياء » . تبتغى : تطلب . وتضارب : تُقَاتل .

ويقول التبريزى فى تعليقه على هذا البيت « .... يريد أنهم يخالطون الناس من أهل الحضر ، ويشاركونهم فى قراهم ومزالفهم ـ المزالف جمع

وَلَخْمٌ مُلُوكُ النَّاسِ يُجْبَى إِلَيْهِمُ	إِذَا قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ فَهْوَ وَاجِبُ(٨)
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا حِجَازَ بِأَرْضِنَا	مَعَ الْغَيْثِ مَا نُلْقَى وَمَنْ هُوَ غَالِبُ(٩)

مزلفة وهي كل قرية تكون بين البرّ والريف ـ يطلبون من يحاذيهم لحرصهم على القتال .... » .

روى البيت بالرواية السابقة في :

المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٧ ، وشرحها للتبريزى ص ٥٠١ ، وصفة جزيرة العرب ٢٠٥/١ ، ومعجم ما استعجم ٦٨/١ ، ومنتهى الطلب ٢٩٥ .

وبرواية ثانية في « الأشباه والنظائر » ٢٨٣/٢ :

________________________	طماطم ________________________

الطُّمَاطِمُ : هو الأعجم الذى لا يفصح .

وبرواية ثالثة في « الاختياريين » :

________________ فدونها	برازيق عُجْمٌ تبتغى وتضارب

عجمٌ : نعت .

وبرواية رابعة في « شعراء النصرانية » ١٨٦/١ .

________________________	________ عُجْمٍ ________

عُجْمٍ : مضاف إليه .

(٨) لخم بن عدى : بطن عظيم ينتسب إلى لخم ، واسمه مالك بن عدى بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان من القحطانية . كانت مساكنهم متفرقة ، وأكثرها بين الرَّمْلة ومُصْر في الجفار ، ومنها في الجَوْلان ومنها في حُوران .. ومدينة نوى . ومن بلادهم : بفلسطين رفح ، وحَدَس بالشام وقد نزل قوم منهم بمنطقة بيت المقدس ، فدعيت باسمهم ، وتسميها العامة اليوم بيت لحم .

ومنهم آل المنذر ملوك العراق ، وبنو عباد ملوك اشبيلية ، ومنهم بطون كثيرة في الديار المصرية ، وقد انضمت سنة ٨ هـ طائفة من لخم إلى الروم في غزوة مؤتة ، وسارت طائفة منهم سنة ١٤ هـ مع هرقل إلى انطاكية ، وحاربوا مع معاوية بن أبي سفيان ضد علي بن أبي طالب . وكانوا يعبدون المشترى ويحجون إلى صنم في مشارف الشام يقال له : الأقيصر ، ويحلقون رؤوسهم .

روى البيت بالرواية السابقة في : المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٧ ، وصفة جزيرة العرب ٢٠٥/١ .

وبرواية ثانية في « الأشباه والنظائر » ٢٨٤/٢ :

ذو حصونٍ وَعُدةٍ ________________	وَإِنْ ________________

وبرواية ثالثة في « منتهى الطلب » ٢٩٥/٢ :

وَلَخْمُ ________________	________________________

وأظنه تصحيفا . ولَخْم : من قبائل نجد تقيم في القصيم .

وبرواية رابعة في « شرح المفضليات » للتبريزى ص ٥٠١ :

________ مُلُوكُ الْأَرْضِ ________	________________________

وبرواية خامسة في « الاختياريين » :

________________________	وَإِنْ قَالَ مِنْهُمْ حَاكِمٌ ________________

(٩) لاحجاز بأرضنا : أى نحن مصحرون لا نخاف أحدا فنمتنع منه . وقوله : مع الغيث ما نُلْقَى : أى كلما وقع الغيث في بلد صرنا إليه ، وغلبا عليه أهله ... ومن هو غالب : أى كل مَنْ نلقاه فهو مغلوب ونحن غالبون له . غير ابن الأنبارى : أى نحن مقضون ليس لنا شيء يحجز من الجبال نمتنع به . يريد نُلْقَى مع الغيث نحن ومن هو غالب أى والذى له الظفر والغلبة فهو أبدا مع الغيث .

● روى بالرواية السابقة في : المفضليات ٢٠٦ ، وفي شرحها لابن الأنبارى ٤١٦ ، ٤١٨ ومعانى أبيات الحماسة ١٠٧ ، وسمط اللآلى ٨٦٨/٢ ، وأشار إلى الرواية أيضا التبريزى في شرح المفضليات ٥٠٢ ، وفي رسالة الصاهل والشاحج ص ٦٠٢ .

● وبرواية ثانية في : الحماسة لأبى تمام ٣٠٢ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٢ . وشرح المفضليات للتبريزى ٥٠٢ ، وشعراء النصرانية ١٨٦/١ :

________________________	________ ما نلقى ________

تَرَى رَائِــداتِ الْخَيْــلِ حَوْلَ بُيُوتِنَــا كَمِعْــزَى الحِجَـازِ أَعْجَزَتْهَــا الــزَّرَائِبُ[10]

يُغَبَّقْــنَ أَحْلابًــا وَيُصْبَحْــنَ مِثْلَهَــا فَهُــنَّ مِنَ التَّعْــداءِ قُبٌّ شَوَازِبُ[11]

● وبرواية ثالثة فى « صفة جزيرة العرب » ١/٢٠٥ :

__________ ما تلقى __________ __________

● وبرواية رابعة فى « شرح ديوان الحماسة » لأبى العلاء ٨٤ ب :

__________ وما هو غالب __________

● وبرواية خامسة فى « الأشباه والنظائر » ٢/٢٨٤ :

ونحن أنــاس لا حصون بأرضنــا سوى مرهفــات تحتــويها الكتــائب

● وبرواية سادسة فى « معجم البلدان » ٧/١١٨ :

__________ حُصُونٌ __________ __________

● وبرواية سابعة فى « معجم ما استعجم » « عزب » :

__________ تُلْفَى __________ عازبٌ

● وبرواية ثامنة فى « منتهى الطلب » ٢٩٥ :

__________ تُلْفَى __________

(١٠) الرائدات : التى ترعى لا تعلف فى البيوت فهى ترود المراعى من كثرتها كأنها معزى الحجاز لا يتخذ لها محابس ، وشبّه الخيل المختلفات بمعزى الحجاز وقد ضاقت عنها الحظائر لكثرتها فهى تختلف كيف شاءت لكونها مُخَلاة لا يخافون عليها سلب سالب ، ولا طمع طامع . الزرائب : جمع زَرْب وهو شبيه بالحظيرة تُعْمل من حجارة .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٨ ، ومنتهى الطلب ٢٩٥ ، وأشار التبريزى فى شرح المفضليات ٥٠٣ إلى هذه الرواية .

وبرواية ثانية فى : الحماسة لأبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للتبريزى ٢/١٢٤ ، وشرحها للمرزوق ٧٢٤ ، وشرحها لأبى العلاء ٨٤ ب ، وشرح المفضليات للتبريزى ٥٠٣ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٦ وأشار ابن الأنبارى إلى هذه الرواية . ووردت أيضا فى رسالة الصاهل والشاحج ص ٦٠٢ .

__________ __________ أعْوَزَتْهَا __________

أعوزتها : ضاقت عن أن تحتويها .

(١١) يُغَبَّقْنَ : من الغبوق وهو شرب العشى . ويُصْبَحْنَ : من الصبوح ، وهو شرب الغداة . والتعداء العدو . القُبُّ : الضوامر الخواصر والشوازب : الضوامر ، الواحد شازب . ويعلق التبريزى فى شرحه للمفضليات ٥٠٣ : « ... وقوله أحلابا يجوز أن يريد به : حلبات العدو كأنها إذا عرقت قد حلبها العَدْو ، ويشهد لهذا قوله « فهن من التعداء قب » . ويجوز أن يريد بالأحلاب ما أوثرت به من الألبان صباحا ومساء » .. أحْلاب : جمع حَلَب وهو اللبن المحلوب ، أو بمعنى : أشواطا .

ورد البيت بالرواية السابقة : المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ص ٤١٨ وشرحها للتبريزى ٥٠٣ . والحماسة لأبى تمام ٣٠٢ ، وشرحها للمرزوق ٧٢٥ ، وشرحها للتبريزى ٢/١٢٥ ، وشرحها لأبى العلاء ٨٤ ب . وشعراء النصرانية ١/١٨٦ .

للأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين

لا يعيبنا ان نأخذ العلم عن سوانا مهما كان شأنه ، نستفيد من الصديق والعدو إلى مبتكرات العلم فى اقاصى الأرض . أو لم يأخذ الغرب عنا علومه وفلسفته حينما هم بالنهوض ؟ هم أنفسهم قالوا أن حضارتهم الحديثة مدينة للعرب .

اسمعوا أقوال عظمائهم :

.. قال جورج سارتون مؤلف « تاريخ العالم » كان العرب اعظم معلمين فى العالم زادوا على العلوم التى نقلوها عن غيرهم ، ولولا عملهم لتأخر سير المدنية قروناً عديدة » ..

وقال نيكلسون : « ما المكتشفات اليوم بمحسوبة شيئاً مذكوراً ازاء ما نحن مدينون به للعرب الرواد الذين كانوا مشعلاً وضاء إبان القرون الوسطى المظلمة فى أوروبا » ..

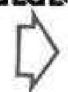

وقال أكثر مؤرخي العلم من الأجانب : « ان الحضارة الإنسانية مدينة للعلماء العرب فى كل فرع من فروع المعرفة ، وانه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والبيرونى والكندى وأمثالهم لكى يتسنى ظهور جاليلو وكيلر وكوبر نيق . وانه لولا أعمال العرب لاضطر علماء النهضة الأوروبية للبدء من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون » .

وقال د. عبد الحليم منتصر رئيس اتحاد الجمعيات العلمية فى العالم العربى ، تعليقاً على ذلك : اذكر اننى شاهدت فى سقف مكتبة الكونجرس الأمريكية منقوشاً بماء الـــذهب : « ان مصر هى الينبـــوع الأول للحضارات جميعاً ، وأن العصر العربى الإسلامى هو الينبوع الأول للعلوم الطبيعية » .. فشعرت بالزهو ان اكون سليل هاتين الحضارتين ووريث هاتين الثقافتين .

●●●

وانصافاً للحقيقة والتاريخ ، واشادة بالعلم أينما كان مصدره ، وبالعلمـــاء كيفمـــا كانت انتماءاتهم وأجناسهم .

وفى خطوط عريضة يهمنا ان نضع جهود المحدثين من علماء اللغة الغربيين ، فى سماتها العامة ، ومبادئها الرئيسية ، بدون التعرض لتفسير آرائهم أو مناقشتها ، مراعاة للحال والمقام والمقال .

ونذكر بالتالى نقاطاً ـ فى ايجاز موجز ـ عن حياتهم ونشأتهم وبيئاتهم ، والمجالات التى بحثوها وتناولوها بالبحث والتحليل .. فى نقط تشير ولا تفصل ، وتجمل ولا تناقش لآراء كثيرة ومفيدة فى الحقل اللغوى ، وأحدث النظريات الألسنية للافادة والاستفادة فى دراسة وتدريس اللغات .

فكل محاولتنا فى هذا البحث :

ادخال القارىء أو الطالب أو المتعلم أو المعلم إلى صميم المنهجية اللسانية المعاصرة ومسائلها ، بعرض اجمالى لمبادئها ومصطلحاتها ، وجهود روادها الذين اسدوا جميلاً إلى العلم والعلماء بأبحاثهم المتكاملة أو المكمّلة أو المتابعة ، دفعاً للقراءة فى (اللغويات) بعدئذ فى تكوين ثقافى لغوى ، علها تقود إلى تعامل سليم وبناء بعدئذ فى تكوين المجال العقلى الذى تحركه اللغة ، أو مجال اللغة التى توجه المسار العقلى فى دنيا الحياة والأحياء .

فلما كانت اللغة ميزة الإنسان الخاصة .. لفتت انتباه المفكرين والعلماء فى القديم والحديث على السواء ، بحثاً ، وتحليلاً ، على معرفة جوانب منها ، من علماء كثيرين وفى مواد مختلفة ، تتصل بعلوم اللغة وطبيعتها فى زواياها المختلفة ، وبيئاتها المتعددة ، وأشكالها وألوانها الكثيرة ، وشعبها المعروفة .

● فقارنوا بين خصائص لغة الإنسان ، ولغة الحيوان التى يتفاهم بها ، للابقاء على معاشه وحياته ، وضروراته ، فإذا أمكن للطفل اكتساب لغة بيئته التى ينشأ بها .... كذلك فان الحيوان يستعمل تنظيماً اتصالياً على قدر كبير من الدقة ، من أصوات هادفة إلى ايصال لغة معينة ، لا يمكن اطلاقاً مقارنتها ـ للآن على الأقل ـ بأية لغة إنسانية لأنها نتيجة طارئة لسلوك غير الإنسان ، مع تنوعها ، ووفائها بالغرض فى شئونه وحياته ومهما كان الإنسان متخلفاً فى كوخ أو غابة ، فهو ـ لغوياً ـ أفضل بكثير من أرق أنواع الحيوان ، واذكى الطيور ، والحشرات ..

ودرسوا لغة القرد أو الشمبانزى ، والدلفين ، والأسماك ، والنحـــل ، والنمل ... الخ ، وكان من دراستهم المتأنية والمضنية ان خصائص أصواتهم لا تظهر أية سمة من سمات اللغة الانسانية .

لأن الاتصال التنظيمى عند الحيوان مغلق ، وبسيط ، ويرتبط بابعاد غير لغوية وانفعالى ، ومن أدنى مستويات التعبير .

وحتى محاولات التعليم للحيوان ، برغم كونها سارت مركزة وفى عناية لم تسفر إلا عن فهم لبعض المفردات لا تزيد عن المائة لفظة ، والاستجابة لمعطيات هذه الألفاظ : بمهارة أحياناً .. وصدق الله العظيم حين يقول :

﴿ الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ﴾

(سورة الرحمن ــ الآيات ١ : ٤)

ولذا كانت خصائص اللغة الإنسانية : الابداعية ، والازدواجية فى التعليم ، والتحول اللغوى ، والانتقال التقليدى ..

وكلها اصطلاحات تتطلب معرفة بالتفسير والشروح ، ومكانها فى مظانها من كتب اللغة واللسانيات . لمعرفة مظاهر اللغة ــ أى لغة ــ حين دراستها ، كواقع قائم بذاته من حيث انها بنية ، ووسيلة تفاهم ، كما يقول (فردينان دى سوسور) . مع ملاحظة عمل المتكلم والمستمع فى الشكل المنطوق والمسموع ، وتحليل العوامل من : إنسان مرسل وآخر مستقبل ، واقامة اتصال بينهما ، ولغة مشتركة يتفاهمانها ، ورسالة لغوية فيها محتوى ، يراد تفهيمه أو افهامه .

● وفى الدراسة الألسنية الكمية أو الاحصائية ، والتى يمكن الافادة منها فى حقل تعليم اللغات ، أظهرت الاحصائيات التى قام بها الباحثون ــ فى هذا المجال ــ على لغات مختلفة تشابه النتائج التى توصلوا إليها احصائياً على النحو التالى :

١ ــ تكوّن الـ ١٥ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٢٥٪ من كلمات النص كله .

٢ ــ تكوّن الـ ٦٦ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٥٠٪ من كلمات النص كله .

٣ ــ تكوّن الـ ١٠٠ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٦٠٪ من كلمات النص كله .

٤ ــ تكوّن الـ ٣٢٠ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٧٢٪ من كلمات النص كله .

٥ ــ تكوّن الـ ١٠٠٠ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٨٥٪ من كلمات النص كله .

٦ ــ تكوّن الـ ٤٠٠٠ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٩٧,٥٪ من كلمات النص كله .

فالألف كلمة على سبيل المثال تشتمل على ٨٥٪ من كلمات النص وتوضحه ، ومنها نفهم كثيراً عن مفهومه ، ومحتواه بالتالى من نصه الدلالى .. ومن هنا يمكن فهم ما كتبه ضمن هذه الأبحاث عن لغة (الاسبرانتو)[1] فى امكانياتها البسيطة فى مفرداتها ، وفى قواعدها بالتالى ، وكيف انها ممكنة علماً وعملاً .. ويمكننا بدراسة احصائية وتخطيطية ان نقوم بدراسة وصنع كتبنا التعليمية بالذات فى ضوء هذه الدراسات .

● واللغة نشاط مصدره المخ الإنسانى ، فهى نشاط عقلى .. وقام الغربيون بدراسات متنوعة على العقل البشرى منهج تكنولوجى ، فحددوا مناطق الكلام فى الدماغ ، وعلاقة ذلك بالأبحاثُ التى جرت على الأعصاب وأثرها وتأثيرها صحة ومرضاً ، وأثر ذلك لغوياً كما صنع اللغوى (جاكبسون) قبل سنة ١٩٥٦ م .

ويمكننا معالجة المعاقين والمتخلفين عقلياً ، واعطاؤهم الجرعات اللغوية المناسبة عند تعليمهم والأخذ بيدهم . فضلاً عن الطوارىء التى تصيب السليم فى هذه المناطق فقد لاحظ (جاكبسون) ان المريض يحافظ أحياناً على القدرة على تمييز (الفونامات) بينما يفقد فى نفس الوقت القدرة على ادراك معانى الكلمات .

فما نعطيه من معلومات للمرضى والمعوقين ، يجب ان يكون مختلفاً عن غيره مما يأخذه الأصحاء .

● واللغة نشاط عقلى ، ولكن تختلف محاولة الضبط عند علماء اللغة عند بحث هذا المبدأ بين السلوكية عند (البنائيين) من جهة ، بينما يميل (التوليديون) إلى المبدأ العقلانى لا السلوكى .

ومعنى المبدأ السلوكى : ان المتكلم تحصل عنده الاستجابة الكلامية حين الحافز البيئى ، فيشعر بشعور معين ، فيتكلم ويعبر ، ويتصرف ، بدون تدخل الأفكار أو القواعد النحوية ، ومحاولة التفكير فيها ، ثم التكلم . وهذا يشبه إلى حد كبير سلوك الحيوان ونزوعه عند الشعور والاستجابة لدافع وحافز الحاجة .

بينما المبدأ العقلانى يرى وجود حقيقة عقلية تكمن ضمن السلوك الفعلى ، فلا بد من معرفة مسبقة كامنة فى العقل بالقواعد اللغوية ، تتم الاستجابة بواسطته

(١) أنظر مجلة الأزهر عدد رمضان ١٤١٢هـ ص ١١٠٩ .

لا تلقائياً ، إذ يدفعها الفكر ، ويلاحظ العقل تنظيمها واصدارها .

• وإذا أجريت التجارب على الحيوانات للتوصل إلى أبحاث لغوية ، فان ملاحظة لغة الطفل ورصدها فى تدرجها أولى وأجدر ، فقد اهتدى بدراسة لغته فى معرفة نشأة اللغة الأولى ، كنظرية نادى بها أصحابها ، كما ان له حقه فى أن يتدرج فى تناول المعلومات التى تعطى له كمتعلم ، وبذلك نكون قد انصفنا فى اطوار حياته العلمية على أسس منهجية .

وقد تم تفهم التطور اللغوى للطفل عبر نشاطاته اللغوية عند علماء الغرب ، بملاحظة مظاهر التطور اللغوى فى مجالات متعددة ، منها :

(ا) الفونولوجيا ، فى صراخه فى الشهور الأولى من حياته ، ولغثغته فى العشرة شهور الأولى له ، ونطقه لبعض الأصوات اللغوية ـ بعد ذلك ـ حين يفهم عليه هذه الأصوات من حوله ، وتشتد أجزاء جهازه النطقى .

(ب) وفى تزايد حصيلة مفرداته اللغوية فى نهاية السنة الأولى من عمره ، تبدأ بطيئة ثم تتزايد بكثرة وسرعة خلال السبع سنوات الأولى من حياته ، ثم تركيب جمل ذات دلالة يحاكى بها من حوله فى بيته ، ويعبر بها عما يدور حوله .

فالصراخ العفوى كان تعبيراً عن حاجاتــه ، والصراخ المتعمد كان لفتاً لانتباه من حوله ، وبعد ذلك عبر باستعمال أصوات متنوعة لاشباع رغباته ، ثم ركب التراكيب حين نمت حصيلته اللغوية من المفردات فى يسر وسهولة .

وبملاحظة التسلسل الزمنى للتطور اللغوى عنده ، ومراعاة نموّه اللغوى يتم تعليم الطفل فى يسر وسهولة فى الدور التوجيهى من المحيطين به ، ومن التعليم المباشر بعد ذلك فى تطور المدرسة وتنوعها ، وفقاً لقدراته ومتطلبات سنى عمره المختلفة .

ومتى توفر ذلك لأطفالنا نجحت العملية التعليمية ، وحصلنا على أطفال اسوياء ، يشبون رجالاً اذكياء نجباء .. نافعين لأنفسهم وأمتهم والإنسانية .

• وحين قامت الدراسات اللغوية عند الغربيين على أسس علمية ثابتة ، امكن للعلماء البحث عن عناصر هذه الدراسات فى مفاهيم اتفق عليها مثل :

المطرد والمنفصل ، والتنظيم للقواعد التى تحدد استعمال اللغة فى أصوات وصيغ وأساليب وكذلك تحليل الاشارة اللغوية .

• وأهم ما بحث بالتفصيل فى دراساتهم وتردد كثيراً هو : مفهوم الوحدات اللغوية فى الفونيم والمورفيم .. على نحو ما فهم علماؤنا نقلاً عن العبقرى الخليل بن أحمد تفاعيل العروض فى بحور الشعر وأوزانها وتقسم التفاعيل إلى وحدات هى الأسباب فى خفتها وثقلها والأوتاد فى مفروقها ومجموعها ، وفى فواصلها الصغرى والكبرى ـ فكان من كل ذلك حصراً للأوزان والبحور ومعرفة عللها وصحتها ، وما جرى منها حديثاً على سنن الأقدمين وما خالفه ، وأخيراً بما استجد من أوزان على سمة ذلك فى أوزان بحور مخترعة فى الحديث .

• و « الفونيم » يشكل الوحدة الفونولوجية الملائمة التى ينجم عن استبدالها بوحدة أخرى ، فى مورفيم معين ما يغير المعنى : فالفونيم (ت) مثلاً ، يحتوى على سمة (جهر) ، وهذه السمة تميزه عن فونيم (د) مع اتصافه بسمة (جهر) أيضاً ، لكن الغربيين اعطوا ـ للتفرقة ـ فونيم (ت) علامة (ـ) واعطوا (د) علامة (+) ..

ويعتبر « الفونيم » وسيلة لتحليل « المورفيم » إلى أصغر وحدة صوتية ، ويميز كل عنصر صوتى عن غيره بسمة خاصة .

• بينما (المورفيم) يعتبر وحدة تحليل أساسية لدراسة اللغة . ويحتوى (المورفيم) كاشارة لغوية على دال ومدلول ، امكننا من خلالها عدّ محتويات الجملة اللغوية فى مورفيمات . ففى هذه الجملة مثلاً : (المعلمان ذهباً إلى المدينة) ثمان مورفيمات هى عند التحليل : (ال ـ معلم ـ علامة التثنية ـ ذهب ـ الضمير ـ إلى ـ ال ـ مدينة) .

يتبـــع

أبو عبيدة بن الجراح[1]

و

محمد صبيح

للأستاذ : السيد حسن قرون

للأستاذ محمد صبيح باع بارع فى الدراسات الإسلامية ، وقلم رائع فى كشف الوثائق التاريخية ، وعرضها للقراء فى معارض جذابة ، سواء بالتحليل أو بالسياق القصصى الفنى الذى يرضى العقول والعواطف معا وحسبك أن تقرأ له « موسوعة التاريخ الإسلامى الجديدة» لترى إلى أى حد بلغ فى تصوير الشخصيات الإسلامية وتقريب الزمان البعيد ، وجعله يزاحم زماننا ، والشخصيات التى تناولها كتب فيها غيره مؤرخا ودارسا ومحللا ، ولكل طعمه واغراؤه ، وفنه وجلاؤه ، وقد كنت فى شوق إلى كتاب يصدر عن الصحابى الجليل (أبى عبيدة بن الجراح) لما له من أثر كبير فى فتوح الشام ، وكم تمنيت أن يكون لى كتاب عنه ، ولكن الأستاذ صبيح أعفانى من ذلك التمنى ، وسرنى أن أجد المكتبة العربية يزينها أبو عبيدة بن الجراح كما كان يزين أصحاب محمد — ﷺ — ولئن فاتنى أن أؤلف فلن يفوتنى أن أحيى وأنقد وأعلق ملتزما الصدق ماوفقنى الله إليه ، فلأبى عبيدة مكانة فى قلبى لا تقدر ، ولمحمد صبيح منزلة ، كلامى السابق يؤمىء إليها ، ويبين عنها . هكذا استقبلت الكتاب حين وقع فى يدى ، فعكفت عليه قارئا ومتأملا ومشوقا إلى كل فقرة فيه ، أعجل حينا وأتأنى حينا آخر ، أتوقف أمام فكرة جديدة أو تعبير أصيل بعض الأحيان . ولما انتهيت منه فى جلستين على مدى يومين دخلت فى نقاش مع نفسى لا يهدأ ، وتساؤل لا ينقطع .

(١) الكتاب يحمل تاريخ ١٩٧١ .

هل بلغت الصورة التى تريدها لأبى عبيدة ؟
وماذا فى الكتاب من جديد عنه ؟
وهل بلغت الترجمة له حدًّا يرضى الأديب والمؤرخ والمقتدى ؟

وبدأت أجيب عن تلك التساؤلات فى ضوء ما جلاه المؤلف ، وحدا به الإبداع .

بدأ الأستاذ صبيح كتابه بدءا مغريا يشدنى ويجدد إقامتى ، ويدفعنى إلى العكوف على القراءة ، ونقلى نقلا سحريا إلى عهود مضت وانقضت ، وإلى مواطن أعرفها وإن لم أخط فوق أديمها ، فعشت فى القرن الثالث الميلادى مع (الزباء) أو (زنوبيا) التى تحملت مسئولية (تدمر) بعد مقتل زوجها (أذينة) أو (أود ياتوس) لأن وارث العرش - أبنها - (وهبة الله) كان صغيرا ، فقويت وحكمت وتابعت الفتح حتى استولت على مصر . ملكة من سورية دوخت الرومان ، وانتصرت عليهم فى وقائع مشهورة ، وانتهى أمرها بالهزيمة والأسر . ثم عرضت مع غنائم النصر - نصر روما عليها - « وقد اكتفى الامبراطور بهذا العرض وأهداها مقرا على بعد ٢٥ ميلا من روما ، وكان بناتها معها ، فتزوجن من نبلاء روما ، ثم ماتت وعفا الزمان على سلالة بناتها .

وكان على الكاتب أن يناقش أساطير العرب فى مأساة الزباء ، فلهم فيها شعر وأمثال تبلغ حد الحقيقة التاريخية فمن أمثالهم التى صاحبت قصتها مما يصور ما جرى بينها وبين جذيمة ملك الحيرة أو عمرو بعده : لا رأى فاتر ، « وغدر حاضر » و« لا يطاع لقصير أمر » ، « ببقّة أبرم الأمر » و « خطر يسير فى خطب كبير » ، و« دَعُوا دمًا ضَيَّعَهُ أهله » ، وأخيرا حين انتحرت - فى زعمهم قالت - « بيدى لا بيدى عمرو » إلى كثير من العبارات التى صار كل منها مثلا ، فلندع كل هذا ، وَلْنَسِرْ مع المؤلف لنرى غزو (جالينوس) جزيرة العرب ، ثم نراه راجعا بالخيبة بعد أن بلغ (مأرب) من أرض اليمن لتعسر الأمر عليه .

وفى أسلوب قصصى بارع واضح وضوح الصحراء ينقلك إلى صراع الأديان ، وهو لا يحدثك عن اليهودية والمسيحية فحسب ، بل يعرض معها آلهة المصريين واليونانيين والفرس إلى أن ترى نفسك وجها لوجه مع هرقل .

أنت معه فى صراعه مع المذاهب المسيحية المختلفة ، وأنت معه مع اليهودية المعادية ، وأنت معه حين أغار على الفرس وانتقم منهم ، واسترد (الصليب) من حاضرتهم ، وأنت معه حين قامت الأفراح ، وابتهج الناس لانتصار قيصر ، وفى هذا الجو المليء بمباهج النصر ، وهواتف الفخر يحدث أمر ، يصوره لك الكاتب هكذا . « وفى وسط هذه الأحداث الجسام وهرقل يتقدم نحو بيت المقدس ، أو لعله كان وصلها قدم إلى معسكره رسول ، قيل : إنه من قبل النبى العربى الذى ظهر فى الحجاز ، تُرجِمت الرسالة لهرقل ، فإذا فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل ، السلام على من اتبع الهدى . أما بعد . أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن تتولى فإن إثم الأكارين عليك ، ودهش هرقل من هذه الرسالة ... »

وما دام الكاتب قد أطلعنا على الرسالة الغريبة فى مجلس هرقل المنتصر ، فكان عليه أن يربط صلة ما بين هذه الرسالة الغريبة كما سماها وبين أبى عبيدة الذى ألف الكتاب من أجله ، وقلت : هنا سيبدو أبو عبيدة ، ولكنه خيب أملى ، وتركنى فى إنتظار مرير . ولكن ماذا كان ؟ دخلنا إلى التاريخ العام ، فتحدث عن الشام ؛ جغرافيته ، وتاريخه ، ودياناته إلى أن نزلنا فى (مؤتة) الأولى حيث الرسول ينعى أمراء الجيش : زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة ، ثم يخيم على الدنيا سحاب الحزن ؛ فقد انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حيث كان يهيىء (أسامة) لمؤتة الثانية ، ويقبل الخليفة أبو بكر - رضى الله عنه - على مشكلات الساعة - كما نقول اليوم - فيحارب المرتدين ومانعى الزكاة ثم يعقد الأولوية لحرب الشام . وهنا يجىء ذكر أبى عبيدة

« فما[1] أن أطمأن أبو بكر إلى نجاح حروب الردة ، وتوحد شبه الجزيرة العربية تحت راية المدينة حتى دعا الخليفة كل قادر على حمل السلاح من مختلف القبائل إلى التجمع عنده ، فأمامهم عمل كبير آن أوانه ... وأقبلت المتطوعة من كل مكان ، فقسمهم إلى أربعة جيوش ، عقد اللواء لأحد القواد الذين اختارهم ، وهم :

١ - أبو عبيدة بن الجراح : وَوُجْهَتُهُ (حمص) ، ومركز قيادته فى (الجابية) .
٢ - عمرو بن العاص : ووجهته فلسطين .
٣ - يزيد بن أبى سفيان : ووجهته دمشق .
٤ - شرحبيل بن حسنة : ووجهته وادى الأردن .

وأمرهم الخليفة أن يعاون بعضهم بعضا ، وأن يكونوا جميعا تحت امرة أبى عبيدة . الحمد لله لقد وصلنا .

فمن أبو عبيدة ؟

إن الكاتب لم يذكر نسبه ، ولم يتحدث عن منشئه وبيئته ، ولا متى أسلم ؟ ولا متى هاجر ؟ وهل كان من مهاجرة الحبشة ؟ وما منزلته عند محمد وأصحابه ؟ ثم ماذا كان عمله على عهد هاديه إلى الإسلام ؟ وما موقفه من خلافة أبى بكر ؟

كل هذا ترك ، وترك تساؤلا حادا للقارىء : من أبو عبيدة ؟

مع أنه عقد تعريفات : لخالد بن الوليد ، وعياض بن غنم ، وساق ملامح بارزة لعمر بن الخطاب - رضى الله عنهم - ولم نتبين من شمائل أبى عبيدة إلا اللين والتسامح والميل إلى الصلح ، ولو درس حياته فى مكة والمدينة لعرف نفسيته وعلل لشمائله وتسامحه ونحن نرجع ميوله إلى قوة نفسه ، وثقته بإيمانه ، وبقدرته على مجابهة الصعاب ، والخروج من المآزق ولو نظرت إلى الوقائع الحربية ، والأحداث المصيرية لوجدته فى هذا الكتاب يتضاءل أمام غيره ممن أخذ حظه من جهد الكاتب ، فعمر وخالد وعياض وشرحبيل كانوا أظهر حركة وأكثر عملا ، لقد تساوى مع يزيد بن أبى سفيان ومعاوية أخيه ومع بلال ومعاذ بن جبل - رضوان الله عليهم - حتى نقاشه مع عمر فى أمر الطاعون لم يثبته له ، ونفى أن يجيه عمر بقوله : « أفراراً من قدر الله ؟ » مع أنها كلمة يقولها هو أو غيره ؛ إذا كانوا جميعاً على مستوى المسئولية ، فالدين النصيحة ، والشورى من تعاليم دينهم ، وقد سبق لأبى عبيدة أن واجه عمر بالإنكار يوم السقيفة حين قال له عمر : أبسط يدك فإنى أبايعك . قال أبو عبيدة لعمر : ما عرفت لك فُهة[2] قبل هذه أيكون هذا وفيكم ثانى اثنين فأبو عبيدة لا يهرب من النصيحة ، ولا يتخلى عن قولة الحق ، فلا داعى إلى نفى ما صدر عنه فى شأن الطاعون ، وقد كرر أبو عبيدة رأيه عندما حضره الموت ، وسيجىء هذا فى موضعه . وموضوعات الكتاب لاتترك لأبى عبيدة مساحة ملائمة لحياته وتحركاته وانطلاقاته وغزواته ، فانظر معى تلك الموضوعات فهى : مملكة زنوبيا ، هرقل يظهر ، أرض الأنبياء . لماذا كانت الشام ؟ ونمضى إلى مؤتة الثانية : الجيش الكبير فى الطريق ، أبو بكر يعدل الخطة ، الإعصار ينطلق ، معركة الثفاف أخرى ، يوم من أيام الله ، اليرموك ، وفاة أبى بكر وولاية عمر ، من دمشق إلى حمص ، عمر يقود ، من حمص إلى أنطاكية ، إلى القدس ، حكومة عمر ، ثمانية أشهر ، الولاة وأعطياتهم ، العلاقات مع بيزنطة ، البريد ونشاطه اليهود فى الشام ، عمر وأبو عبيدة وبلال ، العرب ، ذادة الإسلام ، القطيعة مع خالد ، إدارة عمر ، وحدث فى العام الثامن عشر من الهجرة ، جمع القرآن ، ملامح الأدب ، الوليد بن عقبة ، الجغرافيا ، اللغة العربية . هذه هى موضوعات الكتاب ، وهى كما ترى تدور حول حروب الإسلام على عهد الخليفتين ولا سيما عمر ، هل نسمى الكتاب « عمر » أو نسميه « جهاد المسلمين فى الشام » أو « العرب والروم على عهد الشيخين » ؟ فمادة الكتاب ومنهجه لا يعطينا صورة واضحة لأبى عبيدة ، وليس من اللازم أن تكثر صفحات الكتاب ، وتتنوع أساليبه ، وإنما المهم أن يلوذ بملاذ أمين ، فيعرف أبا عبيدة من قريب حتى يميزه من سائر أبطال التاريخ .

---

(٢) فهة : عيًا .

وقد حشر المؤلف موضوعات لا تتصل بسبب بأبى عبيدة ، فما لأبى عبيدة وجمع القرآن ؟ وما له وحديث الأدب والشعر ، وما صلته بالوليد بن عقبة ؟ لم يكن أبو عبيدة ، ممن أخذ عنه القراء ، ولم يكن يعنى بالشعر ، ولا بشعر الوليد بن عقبة ، والمؤلف لا نلومه على ذكر كل هذه المعلومات القيمة ، ولكنا نأخذ عليه أنها وضعت فى غير مكانها ، وكان ينبغى له أن يضعها فى مؤلف آخر ، كأن توضع فى سيرة أبى بكر أو عمر - باعتباره أشار - أو عثمان ، لأنه كتب المصاحف ، أو توضع فى كتاب يحمل عنوان « الحياة الفكرية والأدبية فى فجر الإسلام » مثلاً ، ويتفرغ لحياة أبى عبيدة حتى يجلوها لنا جلاء تاماً كما قلت آنفاً . لذا كان علىّ أن ألم بسيرة ابن الجراح على القارىء ليتبين ملامحه ، ويعايشه .

خطب أبو عبيدة بن الجراح - وهو أمير الشام - قال : « يأيها الناس إنى امرؤ من قريش ، وما منكم من أحد أحمر ولا أسود يفضلنى بتقوى إلا وددت أنى فى مسلاخه » فهو إذن من قريش ، والطبقات الكبرى تدون نسبه على النحو الآتى : ومن بنى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة - وهو آخر بطون قريش - أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، ولم يتحدث الرواة عن أى من آبائه كما تحدثوا عن هاشم وأمية وقُصَىّ ، ولكنهم احتفلوا بجد من أجدادهم ، وهو الحارث بن فهر ، ووصفوه بالشجاعة والقوة والغيرة ، فهو شخصية تاريخية مثل أبيه فهر ، يقول محمد لطفى جمعة فى كتابه « ثورة الإسلام » :

« أما فهر[٣] فقد اشتهر بحروبه ضد قبائل اليمن التى قادها الملك حسان بن عبد كلال بن مثوب ذو حراث الحميرى ، وكانت غاية حسان من هذه الحرب أن يلحق أذى بالكعبة فهزم ، وأسره الحارث بن فهر ، فبقى ثلاث سنين يعانى السجن فى مكة » فالحارث جدّ أبى عبيدة بطل وطنى ، وهو لا يجارى السوقة ولكنه يأسر الملوك ، وللوراثة أثرها فى الأبناء فلا عجب إذا صار أحفاده وفى مقدمتهم أبو عبيدة يحملون السلاح ، ويذودون عن العقيدة فى بدر وغيرها من الغزوات ، وينفرد أبو عبيدة بأنه فاتح الشام ، وواليه على عهد أبى بكر وعمر ، وقد نشأ أبو عبيدة كما نشأ غيره فى البيئة المكية يعيش على التجارة ، فهم فى واد غير ذى زرع ، فلما جاء الفجر الصادق ، وأعلن محمد - ﷺ - رسالته كان من أوائل من أسلموا ، وقد أسلم مع عثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وعبيدة بن الحارث المطلبى وأصحابهم قبل دخول رسول الله « دار الأرقم » فكان من علية أصحاب محمد . ولما ضاقت مكة به وضاق بها هاجر إلى الحبشة فى المرة الثانية ، ممن هاجر من بنى الحارث قومه سهيل بن بيضاء وأخوه صفوان ومعمر بن أبى سرح ، وعياض بن زهير ، وعمرو بن أبى عمرو بن ضبة ، وفى هجرتهم إلى المدينة كانوا معاً فنزلوا على كلثوم بن الهدم الأنصارى ، وشهدوا جميعاً غزوة بدر .

وقد آخى النبى - ﷺ - بين أبى عبيدة وبين سالم مولى أبى حذيفة ، وبينه وبين محمد بن مسلمة الأنصارى ، وعرف شأنه فى كل أمر كلفه أو قام به ، فهو تحت راية الرسول - ﷺ - دائماً لا يتخلف عن غزوة ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، وكانت غزوة أحد امتحاناً للمسلمين ، وموضع تكريم للثابتين فى المعركة ، وقد بدت شجاعته وقوة إيمانه وحبه العظيم . يقول أبو بكر رضى الله عنه : « لما كان يوم أحد ، ورمى رسول الله - ﷺ - فى وجهه حتى دخلت وجنتيه حلقتان من المغفر ، فأقبلت أسعى إلى رسول الله ، وإنسان قد أقبل من قبل الشرق يطير طيراناً . فقلت : اللهم اجعله طاعة حتى توافينا إلى رسول الله . فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بدرنى . فقال : أسألك بالله يا أبا بكر ألا تركتنى ، فأنزعه من وجه رسول الله . قال أبو بكر : فتركته ، فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتى المغفر فنزعها وسقط على ظهره ،

---

(٣) يتحدث عن أجداد النبى .

وسقطت ثنية أبي عبيدة ، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته فسقطت . فكان أبو عبيدة عبيدة في الناس أثرم » .

وأهم الأعمال الحربية التي قام بقيادتها على عهد رسول الله غزوتان : غزوة الخَبَط وغزوة السلاسل ، وفي الأولى كان إلى حي من جهينة بساحل البحر ، وفي هذه الغزوة لقي جهداً وبلاء لا من حيث الحرب ، ولكن من نفاد الزاد حتى اقتسموا التمر عدداً ، فلما نفد التمر - وكانوا ثلثمائة من المهاجرين والأنصار - لجأوا إلى الشجر يخبطونه بقسيهم فيسفونه ويشربون عليه من الماء ، فسموا جيش الخبط أو غزوة الخبط ، وبينا هم كذلك من الجهد والمشقة رأوا سمكة كبيرة » يقال لها العنبر » فقال أبو عبيدة : ميتة لا تأكلوا ، ثم قال : جيش رسول الله - ﷺ - وفي سبيل الله ونحن مضطرون ، فأكلوا . ولما قدموا على رسول الله . قال : ما حبسكم ؟ قال كنا نبغي عيرات قريش وذكروا له شأن السمكة . فقال : إنما هو رزق رزقكموه الله .

أما غزوة السلاسل[4] فكانت إلى بلاد قضاعة ، وكان عمرو بن العاصي توجه إليها ، فبعث إلى النبي يطلب مدداً ، فأرسل إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم : أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة لا تختلفا ، فخرج أبو عبيدة إلى قضاعة ، وهناك قال له عمرو بن العاص : إنما جئت مدداً لي . فقال له أبو عبيدة يا عمرو : إن رسول الله قد قال لي : لا تختلفا ، وأنت إن عصيتني أطعتك . قال : فأنا أمير عليك وأنت مدد لي . فوافق أبو عبيدة وصلى بالناس عمرو . وفي الغزوتين أبدى من حسن التصرف ، والخروج من المآزق ما يشهد له بالقيادة الحكيمة ، ودل على أنه أمين هذه الأمة ، وتتجلى الأمانة في الحفاظ على وحدة المسلمين ، والإشفاق عليهم .

قال الرواة : إن ناساً من أهل نجران أتوا النبي ، فقالوا : ابعث معنا رجلاً أمينا . قال . لأبعثن إليكم رجلاً أميناً » حق أمين » (قالها ثلاثاً) فاستشرف لها أصحاب رسول الله - ﷺ - فبعث أبا عبيدة بن الجراح ومن هذا كان حرص عمر على أن يبايعه بالخلافة ، وحرصه على أن يوليه قيادة جيش الشام ويعزل خالد بن الوليد ، وحرصه أن يكون الخليفة بعده لو كان حياً . ويلتقي رأى عمر مع رأى السيدة عائشة ، فقد سئلت : من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف ؟ قالت : أبا بكر . ثم قيل لها : من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر . ثم قيل لها : من بعد عمر . قالت : أبا عبيدة بن الجراح . قال الراوي أبو مليكة : ثم انتهت إلى ذا . وقد اشترك في حروب قائد فرقة وقائداً عاماً وواليا على الشام مما ذكره الأستاذ صبيح فلا داعي لتكراره .

أما قصة طاعون عمواس ، وما جرى بينه وبين عمر فهو من الشهرة المستفيضة بحيث لا يرفعه مؤرخ ولا باحث فكل الكتب التي بين أيدينا تقص هذا الحدث ، خرج عمر غازياً إلى الشام حتى إذا كان سَرْغ لقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الأرض سقيمة ، وكان معه جمع غفير من المهاجرين والأنصار ، وتشاوروا في الأمر ، واختلفوا في الرأى وأيده المهاجرون في الرجوع إلى المدينة ، ثم دعا المسلمين إلى الاجتماع به ، فلما اجتمعوا قال : أيها الناس إني راجع فارجعوا . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟

قال : نعم ، فراراً من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان : إحداهما خصبة

والأخرى جدبة ، أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ، ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ؟ لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة .. فبينا الناس على ذلك إذ أتى عبد الرحمن بن عوف ، فقال : ما شأن الناس ؟؟ فأخبر الخبر . فقال : عندي من ذلك علم . فقال عمر : فماذا عندك ؟ قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه ، ولا يخرجنكم إلا ذلك ، فقال عمر : فلله الحمد ،

(٤) الطبري السنة الثامنة .

أبو عبيدة بن الجراح

انصرفوا أيها الناس ، فانصرف بهم . فالرأى الصائب فى هذه القضية رأى عمر ، وهم يتصرفون فى ظلال الدين ، فلما روى ابن عوف حديث الرسول - ﷺ - حسم الأمر ، ولكن أبا عبيدة بقى على رأيه بدليل أنه قال - وهو على فراش الموت : « غفر الله لعمر بن الخطاب رجوعه من سرغ ، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : المطعون شهيد ، والمطبون شهيد ، والغريق شهيد ، والحرق شهيد ، والهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع(٥) شهيدة ، وذات الجنب شهيدة » فهو يرى أن موته بالطاعون شهادة له . وقد توفى عام ١٨ هـ عن ثمان وخمسين سنة ، وشهد بدراً وهو ابن إحدى وأربعين سنة فهو فى سن عمر حينذاك . ووصفوا أبا عبيدة جسمانياً فقالوا : كان رجلاً نحيفاً معروق الوجه ، خفيف اللحية ، طوالاً ، أجنأ ، أثرم الثنيتين . وقد بينا سبب ذلك .

ولا بأس أن نذكر ما وصفه به الأستاذ محمد صبيح فى كتابه . قال :

كان من عظماء الصحابة والسابقين إلى الإسلام والمتفقهين فى دينهم ، وهو فارس شجاع ، هادىء الطبع . حقيقة لا يمكن أن تقارن ميزاته القيادية بميزات خالدين بن الوليد الأسد المغوار ، ولكن أعظم ما يكون خالد وهو يتأهب لملاقاة العدو ، وهو يهجم ، وهو يثخن فيه . أما أبو عبيدة ، فكان رجل حرب ورجل سلم وكانت له مهابة فى أعين المسلمين ، وإن لم يكن أسطورة من أساطير العبقرية .

هذا تهميش على كتاب الأستاذ صبيح « أبو عبيدة بن الجراح » أرجو أن أكون قد قلت شيئاً يوضح صورة البطل أبى عبيدة ، وللمؤلف الشكر والتقدير .

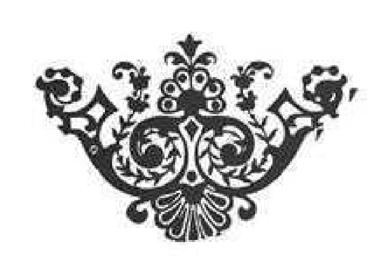

---

(٥) حامل .

للدكتور محمود جمعة خليفة *

(ب) لمحات بن بسام النقدية

امتاز ابن بسام بروح نقدية أصيلة حيث كان لاتستغرقه ألفاظ الإطراء والتقريظ فهو ــ فى الترجمة مثلا ــ يقف عند الشخصية ــ سواء فى الأدب أو فى التاريخ ــ يصفها ويحللها ويأتى على أهم ما يلتفت إليه فيها بحيث لايغادرها إلا وقد تنقل فى نواحى الوصف فيها : من الخلق الشخصى إلى الموهبة الأدبية والفنية إلى الوقائع التى تضافرت فى بناء تلك الشخصية ونمت فيها تلك المواهب الأدبية ، لايكاد يجاريه فى مضماره أحدٌ من معاصريه أو ممن جاءوا بعده ؛ إذ هو فى ذلك يجمع إلى أصالة الأديب وفنه إحساس المؤرخ ونفاذ بصيرته .

لقد عرف ابن بسام أصول الأدب والنقد حين أراد أن يستجلى صورة ما فى شعر أهل الأندلس ، وبيان موضوعاته وإبراز خصائصه الفنية بالنظر إلى الشعر المشرق حتى يعرف الناس أن للأندلسيين نتاجاً أدبيا هو فى مستوى نتاج المشارقة أو مما يتفوق عليه أحيانا ، كل ذلك فى موضوعية وعرض دقيق فيما يورده من نصوص أدبية يسعفه حضور ذهنى عظيم وقدرة فائقة على الربط فى مختلف أنواع الأدب فى الأندلس والمشرق على السواء .

(١) الكاتب مدرس الأدب والنقد ــ جامعة الأزهر ــ بنات سوهاج .

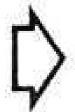

١ ـ منهجه فى نقد النصوص :

لم يبّين ابن بسام منهجه فى النقد على أساس نظرى يعتمد على تقصى أوجه النقد الأدبى ، وإنما بناه على أساس تطبيقى يقوم على النظر فى بعض القضايا الشعرية وفى البديع بألوانه المختلفة والصدق الخلقى فى إطار نزعة أخلاقية دينية واجتماعية ثم فى موقفه من الفلسفة والشعر الفلسفى والمحافظة على عمود الشعر وفى البديهة والارتجال .

وعلى ذلك نستطيع أن نحدد منهج ابن بسام النقدى من خلال ماله من مواقف نقدية وتعليقات فى هذا المجال ـ سأتى ـ بأنه ينحصر فى ثلاثة اتجاهات رئيسية هى :

(أ) الاتجاه الأول : اتجاه اجتماعى أخلاقى تمثل فى موقفه من الشعر الفلسفى والهجائى وفى تعليقاته النقدية حول الصدق الشعرى والتثبت فيه .

(ب) الاتجاه الثانى : اتجاه فنى جمالى تمثل فى جعله البديع مقياسا للعمل الأدبى فهو ميزان الجودة أو الرداءة إذ هو ـ أى البديع ـ « قيم الأشعار وقوامها وبه يعرف تفاضلها وتباينها[١] » .

(جـ) الاتجاه الثالث : اتجاه نقدى قائم على دراسة التاريخ الأدبى والذى من أبرز مظاهره البحث فى السرقات الأدبية .

٢ ـ القضايا النقدية لعصر ابن بسام واتجاهاته فيها :

بعد أن حددنا منهجه النقدى واستطعنا ـ من خلال تعليقاته النقدية التى سنذكرها ـ أن نحصره فى اتجاهات ثلاثة . ننتقل بعده إلى الحديث عن القضايا النقدية لعصره والمنحى الذى نحاه ابن بسام فى معالجة تلك القضايا واتجاهاته فيها مقتصرين فيها على مايلى :

(أ) النزعة الأخلاقية :

وقد وضحت معالم هذه النزعة ـ كما أشرنا قبل قليل ـ عن ابن بسام فى موقفه من الشعر الهجائى الذى حاول أن يخلى كتابه منه ، وفى موقفه من الشعر الفلسفى كذلك إذ وجدناه يتحرج فى مقاييسه النقدية بل ويضيق كثيرًا بكل شعر يَلْمَحُ فيه استخداما للمصطلح الفلسفى .

وقد انعكس أثر هذه النزعة الأخلاقية على اتجاهه النقدى فأخذ بالصدق العقلى بل تشبث به إلى جانب الصدق الاجتماعى والأخلاق ، ولم يلتفت كثيرا إلى الصدق الفنى فى إحساس الشاعر وإنما أخذ بهذا القول : « خير الشعر أصدقه » كما يشرح ذلك عبد القاهر الجرجانى فى كتابه (أسرار البلاغة) ؛ فناقض بذلك قول من قال : « خير الشعر أكذبه » فألحَّ على الشاعر أن يترك الاغراق ويعتمد مايجرى من العقل على أصل من الواقع[١] .

وبذلك تأتلف جهود ابن بسام مع جهود ناقدين مشرقيين هما : الآمدى المتوفى ٣٧١هـ وعبد القاهر الجرجانى المتوفى ٤٧١هـ على رفض قول من قال : « أعذب الشعر أكذبه » حيث يقول الآمدى : « وقد كان قوم من الرواة يقولون : « أجود الشعر أكذبه » ولا والله ما أجوده إلا أصدقه[٢] .

ذلك أن ابن بسام رجل أخلاق يؤمن بالحق والمبدأ وأهميتهما فى التوجيه والارشاد فهو يرى ذلك مطلبا دينيا واجتماعيا لا ينبغى للشاعر أن يحيد عنه أو يموه فيه ، ولذلك فإنه عندما يسمع قول الشاعر « أبى بكر الدانى » يبتعد عن الصدق الواقعى تثور ثائرته « لهذا البهتان والادعاء الكاذب » ـ على حد قوله ـ كما فى هذين البيتين :

فى نصرة الدين لاأعدمت نصرته
تلقى النصارى بما تلقى فتنخدع

---

(١) الذخيرة : القسم الأول المجلد الأول ص ٦ .

(١) انظر أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ص ٣٠٨
(٢) الموازنة للآمدى حـ ٢ ص ٥٨ .

تنيلهـم نعمـا فى طيهـا نقـم
سيستضربها من كان ينتفـع

ويعلق على ذلك بقوله :

« وهذا مدح غرور وشاهد زور وملق مُعْتَفٍ سائل وخديعة طالب نائل وهيهات !! بل حلّت الفاقرة بعد بجماعتهم حين أيقن النصارى بضعف المنن وقويت أطماعهم بافتتاح المدن واضطرمت فى كل جهة نارهم ورويت من دماء المسلمين ألسنتهم وشتارهم[1] ..

ولا نقول إن ابن بسام فى وقفته هذه قد أراد أن يحد من أخيلة الشعراء ويضعها فى قوالب معينة لا يتخطونها ؛ فإنه إنما ينافح عن الفن ويعصمه من أن يسف أو يسقط به صاحبه تحت شعارات « التمويه وقلب الحقائق » وإنما أراد أن يقف ضد هذا التمويه الشعرى الذى يسوغ الباطل ويلبسه ثوب الحق بعيداً عن كل صدق واقعى .

(ب) الفلسفة والشعر :

ويبدو أثر هذه النزعة بوضوح فى موقفه من المعانى الفلسفية فى الشعر حيث كان له موقف من الفلسفة والمتفلسفين ينسجم مع منزعه الدينى والأخلاق ، ولذا فلم يك يعجبه شعر الشعراء أصحاب المعانى والصياغة الفلسفية فأنحى باللائمة على أولئك الشعراء الذين يتفلسفون فى أشعارهم أو ترد المصطلحات الفلسفية فيها .

وقبل أن نحاول تحديد الأبعاد التى تقوم على أساسها نظرة ابن بسام النقدية فى هذا الاتجاه الفلسفى نشير إلى أن المرثية كانت هى المجال الخصيب ليبث فيها الشاعر آراءه الفلسفية فيما يتعلق بمشكلة الحياة أو الموت ، وطبيعة النفس البشرية التى يحملها عنصرا « الماء والتراب » كما يقول عبد الجليل بن وهبون المتوفى ٤٨٤ هـ أحد شعراء بنى عباد :

ما النفس إلا شعلة سقطت إلى
حيث استقـل بها الثرى والماء

من قصيدة طويلة فى رثاء أبى الحجاج يوسف بن عيسى المعروف بالأعلم وأولها :

سبق الغناء فما يدوم بقاء
تفنى النجوم وتسقط البيضاء

تأثر فيها ابن وهبون بالمتنبى وأبى العلاء المعرى فيما ذهبا إليه من صفة النفس وخلودها وكما يقول عبد الله ابن الحداد :

والنفس عادمة الكمال وإنما
بالبحث عن علم الحقائق تكمل
والمرء مثل النصل فى إصدائه
والجهل يصدى والتفهم يصقل

وكذلك هذه الأبيات للشاعر السميسر التى تنبىء عن حيرته وتشككه .

من كان مخلوقا من الأرض إذ
ركّب لم يطلع على السرّ
حتى ترى الجثة مطروحة
والنفس فى عالمها تسرى
فعندها يأمن ما يتقى
وعندها يعلم بالأمر
هذا على فذهبنا ثم قد
قيلت مقالات ولا أدرى
لقد نشبنا فى الحياة التى
توردنا فى ظلمة القبر
ياليتنا لم نك من آدم
أورطنا فى شبه الأسر
إن كان قد أخرجه ذنبه
فمالنا نشرك فى الأمر ؟!

وقد وصف ابن بسام مثل هذه الأشعار بالهذيان الذى لا طائل تحته ، فإنه بعد أن أورد هذه الأبيات المتقدمة للسميسر قال :

« والسميسر فى هذا الكلام ممن أخذ الغلو بالتقليد ونادى الحكمة من مكان بعيد ، صرح عن ضيق بصيرته ونشر مطوى سريرته فى غير معنى بديع ولا لفظ مطبوع ولعله أراد أن يتبع أبا العلاء فيما كان ينظمه من سخيف الآراء[1] » ..

---

[1] الذخيرة : القسم الثانى ص ١٠٢ .

[1] الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٣٧٨ .

وهذا الموقف النقدى لابن بسام تجاه الشعر الفلسفى يمكن أن ترجعه إلى أمرين : أولهما وثيق الصلة بنظرة العصر ؛ حيث ظلت النظرة الأندلسية قائمة على التشكك فى الفلسفة والتنكر لها ، بل ومقاومتها أحيانا خاصة فى عصر المرابطين . فقد وقف التيار الدينى فى وجه هذا الاتجاه المتفلسف بقوة ، ولا نشك فى أن ابن بسام أيد بكل قوة هذا التيار السائد فى موقفه من الفلسفة .

أما الأمر الثانى فيرجع إلى ثقافة ابن بسام ذات الأصول المشرقية وقد كان الاتجاه المعارض للفلسفة فى الشعر فى البداية مشرقيا . والحقيقة أن هذا الشعر الفلسفى الأندلسى كان يضم الآثار الفلسفية المشرقية فى كثير من مناحيه وخاصة فى معالجة مشكلة الحياة والموت وطبيعة النفس كما رأينا فى قصيدة ابن وحبون والتى سبق أن ذكرنا نموذجا منها ...

هذا عن الاتجاه الفلسفى فى الشعر ومحاولة الأندلسيين احتذاء المشارقة فيه . أما عن الأصول المشرقية فى نظرة ابن بسام النقدية لهذا الاتجاه فيمكن الاهتداء إليها من كتاب (الموازنة) للآمدى ؛ ذلك أن للآمدى فى موازنته موقفا متشددا فى هذا المجال . وعلى ذلك سنجد أنهما يتشابهان فى كثير من الأمر كما يظهره هذان التعليقان لهما ـ أى للآمدى وابن بسام ـ يقول الآمدى : « قالوا : وإذا كانت طريقة الشاعر هذه الطريقة ـ أى طريقة الفلسفة ـ وكانت عيونه مقصرة عنها ولسانه غير مدرك حتى يعتمد دقيق المعانى من فلسفة اليونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسفة ونهج مضطرب ـ وإن اتفق فى تضاعيف ذلك شىء من صحيح الوصف وسليم النظر ـ قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ، ومعان لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيما ، أو سميناك فيلسوفا ، ولكن لا نسميك شاعرًا ولا ندعوك بليغا لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم[1] » ..

فالشعر عند الآمدى لا يكون شعرا إلا بهدى من طريقة العرب وأساليبهم الموروثة ـ وذلك أيضا ما يراه ابن بسام فى الشعر الفلسفى إذ فيه خروج عن « رونق كلام الأعراب » ومذاهبهم كما يستنتج ذلك من تعليق لابن بسام على أبيات فلسفية أوردها لأبى عامر الشنتريني فى رثاء نفسه ، والأبيات هى :

يالقومى دفنونى ومضوا
وبنوا فى الطين فوق مابَنَوْا
ليت شعرى إذ رأونى ميّتا
وبكونى أىَّ جزائىَ بَكَوْا
أنعوا جسمى فقد صار إلى
«مركز التعين» أم نفسى نعوا ؟!
كيف ينعون نفوسًا لم تزل
قائمات بحضيض وبجو
ما أراهم ندبوا فىّ سوى
فرقة التأليف إن كانوا دروا

يقول ابن بسام معلقا : « وهذا معنى فلسفى قلما عرج عليه عربى ، وإنما فزع إليه المحدثون من الشعراء حين ضاق عنهم منهج الصواب وعدموا رونق كلام الأعراب فاستراحوا إلى هذا الهذيان ، وقد قال بعض أهل[2] النقد : إنه عجيب فى الشعر والنثر أن يأتى الشاعر أو الكاتب بكلام الأطباء أو بألفاظ الفلاسفة القدماء[3] » .

ويتابع ابن بسام تعليقه فيقول : « وإنى لأعجب من أبى الطيب على سعة نفسه وذكاء قبسه ، فإنه أطال قرع هذا الباب والتمرس بهذه الأسباب وكذلك المعرى كثر به انتزاعه وطال إليه أيضاعه[4] » ..

هذا ما يراه ابن بسام فى الشعر الفلسفى ، وجملة القول أن ما يتجشمه الشاعر من التعمق الفلسفى أو

(١) الموازنة ص ٤٢٤ وما بعدها .

(٢) يريد ببعض أهل النقد : الآمدى وما قاله فى الموازنة فى هذا الاتجاه .

(٣) الذخيرة القسم الثانى ص ١٩٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٩٥ . والايضاع : نوع من الجرى ومثله الوخد .

التأليف المنطقي إنما هو ـ عنده ـ قيد يقيد به الشاعر يده عن صدق التعبير وسماحته ويقف به حائلا دون انطلاق الفكر معه وتجاوبه واياه إذ لايرى فيه شعرا ينطلق من داخل الوجدان وإنما هو فكر صيغ شعرا .

الموازنة والتحليل :

يقوم منهج ابن بسام فى تحليل الشعر على ما فيه من المعانى البلاغية : من توليد أو تقسيم أو زيادة فى التشبيه أو لما فيه من إشارات تاريخية أو ظواهر طبيعية أو لما فيه من التبريز فى اللفظ والمعنى أو لما فيه من التلميح إلى العاطفة الدينية .

وعلى ذلك فإنه يسوق ما فى فقده من عناصر تطبيقية على أساس من وحدة البيت من غير أن يتطرق إلى وحدة القصيدة وما تتضمنه من معان طبيعية أو قيم إنسانية .

ونبدأ بمثال تطبيقى يلقى الضوء على كثير من المنهج الذى سار عليه فى تحليل النصوص وموازنتها وبيان ما فيها من حسن أو قبح ، وتمييز جيدها من رديئها وصحيحها من فاسدها ، وسترى أن منهج ابن بسام فى هذا الصدد يجتمع له فيه النقد الأدبى والناحية الجمالية واللغوية والاتجاه الدينى والاشارات التاريخية .

يدور هذا المثال ـ كنموذج لما أشرنا إليه فى خطة منهج ابن بسام ـ حول قصيدة طويلة للوزير الكاتب « حسان بن المصيصى » مما مدح به المعتمد بن عباد وأولها :

من استطال بغير السيف لم يطل
ولم يخب من نجاح سائل الأسل

ومنها هذا البيت :

جاز المؤيد مما قلت أفضله
وزاد للفرق بين القول والعمل

فيستحسنه ابن بسام ويطريه بقوله : « وهذا البيت مما بَعُدَ شأوه وفاق سروره وتجاوز أكثر الحد عفوه » ..

ومنها هذا البيت أيضا :

تعطى الهواء من الأرض غرته
نورا ونورا غطاء الشمس فى الحمل

فيثنى عليه ابن بسام لما فيه من توليد.وإجادة فنية ويقول : « وهذا البيت لحسان بن حسنات شعره وأبين آيات ذكره ، فيه توليد شهد أنه شاعر مجيد » ، ثم يمضى فى الثناء على ما أبدع فيه حسان بن قصيدته التى منها هذا البيت فى ذكر النجوم وهو :

تتاه عفة عن أمر بطشته
فالمشترى عنده قاض على زحل

ويقول :

« وهذا البيت أيضا من مليح المنظوم وله اختصاص حسن بأحكام النجوم » ثم يلتفت إلى مابرز فيه حسان من لفظ ومعنى كما فى تعليقه على هذا البيت :

جر الذيول ولكن من جحافله
على القتاد ولكن من شبا الأسل

« وهذا البيت أيضا مما برز فيه حسان فى لفظه ومعناه وأراده كثير من الشعراء فأعياه » .

وعلى هذا النحو من الدقة فى الاستقراء لأبيات القصيدة يسترعى انتباهه الناحية الدينية التى يلمحها فى هذا البيت :

قد يدخل المسلم المخطى الجنان غدا
بنيتى ارتجى الغفران لا عملى

فيقول : « وهذا البيت مما أخلص فيه بغيته وحسنت بخالقه ظنونه وعسى الله أن يبلغه مآلها ، فرب مرحوم بكلمة قالها » ..

ويقول ابن المصيصى فى القصيدة نفسها بيتا يستثير حمية ابن بسام لما فيه من إشارات تاريخية مغلوطة نسجت حول « حسان بن ثابت » ـ رضى الله عنه ـ فيحاول أن يدحض هذه التهمة العالقة به بشىء من الاستنباط العقلى والحجاج المنطقى المؤيد بالوقائع التاريخية وهى أنهم ينسبونه إلى الجبن كما فى هذا البيت :

ومال الحروب ومثلى أن يشاهدها
وإنما أنا حسان وأنت على

فيقول ابن بسام :

« وأظن حسانا هذا ـ يقصد حسان بن المصيصى ـ لم يكن له علم بالسير ولا تصرف بعلم الخبر ، وقد رأيت جماعة من أهل الأدب ينسبون حسان ابن ثابت ـ رحمه الله ـ إلى الجبن فيخرجونه من أصل الضرب والطعن ، يحتجون فى ذلك بقعوده عن رسول الله ـ ﷺ ـ فى مغازيه وسراياه وينشدون له فى ذلك شعرا أظنهم نحلوه إياه ولاأمترى أنها منحولة إليه

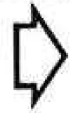

ومفتعلة عليه . ومن أبلغ حججهم على ذلك حديثه فى شأن اليهودى يوم الأحزاب[1] .

ومن أول شىء على ذلك أنه هجا فى الجاهلية والاسلام أكثر من ثمانين شاعرا لم يصفه أحد بالجبن ولا عيّروه به ولم يكن شىء يتعايرون به أشد من الجبن .

ولحسان أيام مشهورة ومواطن فى الحروب مذكورة وقد أولع ابن المصيصى بهذا المعنى فأعاده وأبداه وألحمه وأسداه وأعجبه ما اتفق له منه حتى أخرجه إلى ما كان فى مندوحة عنه ، فقال من قصيدة يمدح بها المعتمد وذكر نفسه وابن عمار :

كأن أبا بكر أبوبكــر الــرضى
وحسان حسان وأنت محمــــــد

فأراد أن يعرب فأعجم وأحب أن يضىء فأظلم ونعوذ بالله من الخطل فى القول ونبرأ إليه من القوة والحول[2] .

وثمة تعليقات نقدية كثيرة تلقى الضوء على المنهج النقدى لابن بسام وهى تعليقات وخواطر نقدية كان يقولها كلما كان إلى ذلك سبب .

وهو فى هذه التعليقات والتحليلات يدلل على أنه يصدر عن أصالة فنية وإحساس صادق بمواطن الكلم ومعانيه . وليس يخبط خبط عشواء جريا وراء شهوة النقد والموازنة بين معانى الشعراء بل نستشعر فى تعليقاته الأناة والروية والتثبت فيما يقوله .

ومن أمثلة هذه التعليقات النقدية ـ عدا ما تقدم ـ ماله فى الموازنة بين الأدباء إذ كان يولى هذه الناحية اهتمام ملحوظا .

يقول فى الموازنة بين ابن برد وابن فتوح : « وابن فتوح هذا كثير الاهتدام لأشعار سواه . قبيح الأخذ فى كل ما انتحاه ، وشعره كثير البرد ، وبينه وبين ابن برد من مسافة البعد ما بين القطب الثابت والقصب النابت ، وأكثر شعر ابن برد مليح السرد متمكن القوافى ، لا تكاد له قافية تخرج من مركزها ـ وقوافى ابن فتوح قلقة موضوعة فى غير مكانها نازلة فى غير أوطانها[3] » ...

وهو يعجب بحر الكلام وبالاستعارة الموفقة والاشارة الرقيقة والاتيان بالتشبيه دون أداة والاصابة فى الاشارة إلى التشبيه . ويفهم ذلك من تعليقاته على بعض مايورده من أشعار لتراجمه فإنه بعد أن أورد الأبيات الآتية المرتجلة للوزير الفقيه أبى الحسين سراج ابن عبد الملك بن سراج وهى :

عمرى أبا حسن لقد جئت التى
غطّنت عليك ملامة الاخـــوان
لما رأيت اليــوم ولــىّ عُمــرُه
والليــل مقتبــل الشبيبــة دانى
والشمس تنفض زعفرانا فى الربى
وتــفت مسكنها على الغيطـــان
أطلــعتها شمسا وأنت عطـــارد
وحفــفتها بكـــواكب الندمـــان

يعلق عليها بقوله : « وهذا رواء الديباج الخسروانى ورونق العصب اليمانى ولمثله فلتنشرح الصدور وتتشوف السرور ويذعن المنظوم والمنثور . ألا ترى ما آنق استعاراته وأرشق إشاراته وأقدر على الاتيان بالتشبيه

---

(1) روت بعض كتب السيرة أن بنى قريظة لما نقضوا العهد مع الرسول ـ ﷺ ـ وخرجوا الأحزاب ضد الرسول عليه الصلاة والسلام أرسلوا جاسوسا إلى خيام النساء فأبصرته السيدة صفية بنت عبدالمطلب عمة الرسول ﷺ فقالت لحسان اقتل هذا الجاسوس حتى لا يكشف أمرنا فقال حسان ـ رضى الله عنه ـ أنت تعلمين أننى لا أجيد مثل هذا العمل فأخذت عمودا من الحديد وقتلت اليهودى ثم قالت لحسان خذ سلبة فقال : أنا لست بحاجة إلى سلبة

وتفيد هذه القصة أن حسانا كان جبانا حيث لم يخرج مقاتلا مع المسلمين وإنما قعد مع الخوالف وزاد من جبنه أنه لم يتقدم لقتال اليهودى ولم يأخذ سلبة .

غير أن هذه القصة ـ فى اعتقادنا ـ أنها مختلقة على حسان لما ذكره ابن بسام من أنه هجا فى الجاهلية والاسلام أكثر من ثمانين شاعرا ولم يصفه أحد بالجبن ولاعيره به أحد ولم يكن شىء يتعايرون به أشد من تلك الصفة .

(2) انظر الذخيرة القسم الثانى من ص ١٧٦ ـ ص ١٨٩ .

(3) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ص٢٧٤ .

دون اداتة[1] .. وقد فرّق بين شعر الوجدان وبين شعر العلماء فأوضح أن الأول شعر قوى لأنه نابع من القلب ومصدره العاطفة الجياشة والاحساس المتدفق أما الثانى فضعيف وهمد بين التكلف وفى ذلك يقول : « على أن أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثه بينة التكلف وشعرهم الذى روى لهم ضعيف حاشا طائفة[2] منهم » ..

وهو فى هذا قد أوضح منهجه العام الذى ينظر من خلاله إلى الشعر . ومما يوضح هذا المنهاج أيضا أنه كان يعمد فى بعض الأحيان إلى الشرح ومن ذلك قوله شارحا بيتا من قصيدة لابن دراج القسطلى :

حتى بدا الصبح مشمطا ذوائبه
يطارد الليل موشيا أكارعه[3]

يقول ابن بسام : « قوله : (موشيا أكارعه) جعل ذوائب الصبح مشمطة من ممازجة الليل له وجعل أكارع الليل موشية من ممازجته الصبح لها وجعل آخر الليل من مواخره وهى المتصلة بأول الصبح وآخر الصبح من مقاومة وهى المتصلة بآخر الليل ، وأصاب فى الاشارة إلى التشبيه ، لأنه أومأ إلى الصبح كالثور الوحشى وهو أبيض والثيران الوحشية كلها بيض وأكارعها موشية على وجه الخصوص . وإنما ألمّ القسطلى فى هذا بقول أعرابى يصف ليلة فيقول : « خرجنا فى ليلة حندس[4] قد ألقت على الأرض أكارعها فمحت صور الأبدان فما كدنا نتعارف إلا بالآذان[5] » ..

ويستمر ابن بسام فى تعليقاته النقدية على هذا النحو من التفهم الدقيق وبسط الأدلة . ففى أثناء فصول من ترجمة للأديب « أبى بكر يحيى بن بقى » يورد له هذين البيتين :

عليك أبا عبد الإله خلعتها
لها البدر طَوْقٌ والنجوم دلائل
وما هى إلا الدهر فى طول عمرها
وإن لم يكن فيها الضحى والأصائل

ويعلق على البيت الأخير منهما بقوله : « فيالهذا البيت !! ما أحسن مذهبه وأبدع مثواه ومنقلبه إلا أنه أتى بالدهر مسلوب الضحى والأصائل فلم يزد على أن جلاه فى زى عاطل ، لا ،بل أبرزه فى مسوح شوهاء ثاكل وليت شعرى أى شيء أبقى للدهر المظلوم بعد ضحاه الناصعة الأديم وآصاله المعتلة النسيم هل بقى إلا ليله الأسود الجلباب وهجيره السائل اللعاب ولو قال لممدوحه : « وتلك العلا فيها الضحى والأصائل » لأبرز قصيدته زفافة البرود شفافة العقود[6] ..

وله فى بعض تعليقاته النقدية مواقف تظهره على أنه يتحرى القواعد الموضوعة إذ أنه لا يسوغ للشاعر أن يخرج عنها أو يجافيها أو يستغرقها فى نظمه لئلا تبدو بعيدة غير مستساغة .

وهو فى ذلك يستوى عنده الشاعر من أهل أفقه أو من غيره كما فى تعليقه على الاستعارة البعيدة ونفوره منها إذ أخذ على « ابن شماخ » استعارته « كيسا » للكلام فى قوله :

فلولا علاه عشت دهرى كله
وكيس كلامى لا أحل له عقدا

وعدّ ذلك من مضحكات الكلام[7] .

وقدح فى المتنبى لخروجه فى الاستعارة إلى حيز البعد بقوله :

مسرة فى قلوب الطيب مفرقها
وحسرة فى قلوب البيض واليلب

حيث جعل للطيب واليلب والبيض قلوبا[8] ..

وهكذا . تكشف لنا تعليقاته النقدية عن ملكة فنية فيه تجلت فى أوضح كلام وأحلى بيان .

(يُتبع)

---

(1) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ص ٣٢٠ وما بعدها .

(2) المصدر نفسه .

(3) الشمط = بياض شعر الرأس يخالط سواده ، والذوائب جمع ذؤابة وهو مقدم شعر الرأس ، والأكارع جمع كراع وهو مستدق الساق يذكر ويؤنث [القاموس مادة شمط وكرع] .

(4) ليلة حندس = شديدة الاظلام .

(5) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٦٩ .

(6) الذخيرة القسم الثانى ص ٢٥٣ .

(7) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ص ٣٣٥ .

(8) المصدر نفسه ص ٣٣٦ . واليلب = الدروع (يمانية) والبيض = الخوذات .

بقلم الأستاذ : أحمد مصطفى حافظ

صداقة العظماء ـ ككل صداقة ـ واحة يتفيأ ظلالها الأصفياء .. ولا أحد يستطيع أن يمضى وحده فى ركب الحياة ، إذ لابد له من الرفيق ، قبل الطريق .. وقد نمرّ بألف تجربة وتجربة ، فى عملية الاختيار والتنقيب ، حتى نعثر على الصديق ، الذى قال عنه (أرسطو) :

« إنه هو .. أنت ، إلا أنه بالشخص .. غيرك . »

وصدق (طرفة بن العبد) فى قوله بشطر بيته المشهور :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه ..

فالإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده فى هذا الكون ، كجزيرة نائية ، لا يزور ولايزار ، كما يحاول أن يُوهمنا ذلك ، الشاعر الإسبانى «لوب دى فيجا» ، حين يقول فى إحدى رباعياته :

إلى وحدتى أنا ذاهب
ومن وحدتى أنا قادم
ذلك أنه يكفينى :
- فى غُدُوّى ورواحى -
صحبة أفكارى فحسب ..

ونحن مع فيلسوف راحل قال عن الصديق ، أنه : « هو ذلك الإنسان ، الذى تشعر فى نفسك بالفرح عند لقائه ، والشوق للجلوس إليه ، والإفاضة له بكل ما لديك . تُعطيه مفتاح قلبك وعقلك آمنا .. ليرى فيهما كل شىء .. يُوحشك بُعْده ، ويُؤنسك قُربه ، وتجد فى نفسك باعثاً قويا ، وحاجة مُلِحَّة ، لا يسدُّها إلا .. لقاؤه . »

* *

وهناك نصٌ شعرى رائع للشاعر الأمريكى «هنرى ودزورث لونجفلو» (١٨٠٧ - ١٨٨٢) عن الصداقة ، لم يحاول فيه أن يفيض فى الشرح والتفسير لمعنى الصداقة ، ولكنه اكتفى فى نهاية قصيدته ، بفلتة شعورية عميقة ، تجمعت فيها شتى المشاعر والأحاسيس التى تدع للمتلقى الفرصة للاستيعاب والتأمل ، بما يسوقه تداعى المعانى من صور ورموز وإيحاءات ، عن الصداقة .. « ولونجفلو » هو أحد الشعراء الكبار الذين أنجبتهم أمريكا ، حين صار لها أدب مستقل عن الأدب الإنجليزى ، خاص بها .. ومن قرنائه فى القرن التاسع عشر : إدجار ألن بو ، وولْت ويتمان ، وإميلى ديكسون وثورو وإمرسون وهاوثورن وغيرهم .. وفى هذا النص ، يقول لونجفلو Longfellow

السهم والنشيد :

أطلقت سهما فى المدى المترامى
فمضى بعيدا ، كالسراب .. أمامى
ولفرط سرعته .. تلاشى واختفى
متطاير اللمحات .. كالأوهام
وكما ارْتقى - لاشك عندى - قد هَوى
فوق الثرى .. متراخيا .. بسلام

* *

I shot an arrow into the air
It fell to earth, I knew not where
For, so swiftly it flew, the sight
Could not follow it in its flight

* *

ونفثت - فى ذات الفضاء نشيدى
يطوى الفلا .. متنقلا .. فى البيد
فمن الذى يدرى مدى طيرانه
إن كان يمكن رصد سيْر قصيد ؟
وبِحدَّة الإبصار يدرك ما انتهى
يوما إليه .. وهل ثوَى بصعيد ؟

* *

I heard a song into the air,
It fell to earth, I knew not where,
For who has sight so keen and strong,
That it can follow the flight of song ?

Long, Long afterward, in a noak
I found the arrow, still unbroken,
And the song, from beginning to end,
I found again, in the heart of a friend.

ومضى الزمان .. لكى أرى بطريقى
سهمى سليما .. فى مَدى تحديقى
وقد استقر بسنديانة غابة
أما القصيد .. فجلّ عن تصْديقى
فمن البداية للنهاية .. قد ثوى
بين الحنايا .. مِلْء قلب صديق !

والصداقة العميقة الوثيقة ، التى قامت بين الأديبين الكبيرين العقاد والمازنى ، فى إطار اتجاههما المشترك فى الفكر والحياة والشعور ، وتمتُّع كل منهما بموهبة أدبية ممتازة ، ونهْلهما سويا من ينابيع الثقافة العالمية ، بالإضافة إلى الثقافة العربية الواسعة الشاملة .. كل هذا كان له أبلغ الأثر فى تاجهما الأدبى وإصرارهما على السير قُدُمًا لتحقيق الدعوة التجديدية التى ناديا بها لتطوير الشعر العربى ، وتخليصه من التقليد والاحتذاء لآثار الأقدمين . وعلى قيثارة هذه الصداقة الفذة الفريدة ، عزف كل منهما الكثير من القصائد الرائعة ، ومن ذلك قول المازنى فى قصيدته التى تحمل عنوان : (إلى العقاد) .

يا مُوقظــى من غفــلات الشبـــاب ... ومُـــــرشدى فى حيرتى للصواب
وباعثـــى إنْ فَتــرتْ همَّتـــى ... ومُنْــهضى إمـا كبـا بى الطـــلاب
أعْــــزز على نفسى أن تشتكـــى ... شيئـا ، وأنْ لا أستطيـــع الطِّبـــاب

ومن ذلك ، قصيدة العقادفى رثاء المازنى ، وهى موضع المقارنة اليوم مع قصيدة لونجفلو ، فقد نظمها من عبراته الحرار،وهوّل فجيعته فى صديق عمره ، التى أخرجته عن وقاره واتزانه ، وجعلته يجأر قائلا :

وقالـــوا : المازنى قضى .. فضــلّتْ ... مقـــاصدُ قولهم .. أو ضل رشدى
كأن حديث مازعمـــوا خيـــال ... بعيـــد فى الحقيقـــة أى بُعْــد
إذا عين غفتْ ، فاعْــجب لأخـــرى ... من العيـــنين ، عالقـــة بسهـــد

* * *

صحبنـــا العمـــر عامـــا بعـــد عام ... على الحالين : من ضنك ورغـــد
وبين تعهـــد منـــه ، ومنـــى ... وبين تبسُّط منـــا .. وجـــد
إذا أخـــذت مذاهبنـــا ، وردّت ... أمِنّـــا نحن .. من أخـــذٍ ورد
ونحمـــد فى العشيـــة مُلتقانـــا ... إذا ذهب النهار بكـــل حمد
وأرحب ما تلقّانـــا اجتماع ... على شملين : من أدب ونقـــد
هى الآفاق عاليـــة ذُراهـــا ... على ما ضاق من غور ونجد
رأينـــا كل صادعـــة ، فزالت ... أيصدع ما رأينا : شق لحـــد ؟!

* * *

نميـنـــا شعرنـــا صنويـــن حيـــاً ... فكيـف رثـــاؤه بالشعـــر وحـــدى
وجاوزنـــا السهـــول معـــا ، فمـــاذا ... ستُجْـــدى فى الوعـــور جهـــود فرد

إذا ثقـل الشبـاب ، ولى زميـل فيابـؤس المشيب المستبـد
حيـاة إن تطـل .. فالويـل ويلى وإن تقصُرْ .. فقـد أبلـغت قصدى
سلامـا أيها الدنيـا .. سلامـا لأنت أحب لى .. لوعـاش بعـدى

وإذا رجعنا إلى رأى العقاد فى الأصدقاء ، نجده يقول :

« لا أصادق أحدا ولا أعاديه فى مأرب من مآرب النفس ، ولا فى صغيرة من صغائر الضعف الذى يُبتلى به كل إنسان . فما عرفت صديقاً فعرفت لصداقتى له سببا غير فكرة نشترك فيها ، أو مطلوب من مطالب الأدب نتفق عليه ، أو غاية من الغايات العامة ، نسلك السبيل إليها ، أو طُرْفة من طُرف الراحة الروحية ، تعم كل من يستريح إليها ، ولا تخصُّنى أو تخصه ، بداع من دواعى الأثَرة والمحاباة » .

وهذا القول أكثر ما يكون انطباقا على أعز أصدقائه وزميل كفاحه الأدبى : المازنى ، وهو مفتاح رائع لمرثيته ، يمكن به النفاذ إلى عالمها المشحون بالأسى والشجن ، فصديق (الراحة الروحية) غير أى صديق ، هو أنيس الجليس ، وشقيق الفؤاد ، يؤنس من وحشة ، ويملأ النفس غبطة وانشراحا .. فكيف إذا اخترمه الموت فجأة ، كيف يكون وقع المصاب ، أو المصيبة ؟! وقد خلا الكون من حول العقاد من المازنى .. إنه لم يصدق الخبر الفاجع فى أول الأمر ، كما يعبر عن ذلك البيت الأول من قصيدته ، الذى فزع فيه إلى الشك ، بل والإنكار ، ونعت قول النعاة بالضلال !! ثم نسب الضلال إلى رشده ، بعد تأكده واستيعابه لألم الفقْد الحزّاز .. ثم يُعطينا العقاد صورة فريدة نادرة ، حينما يصور نفسه وصاحبه ، كعينين متجاورتين فى وجه واحد ، كيف تغفو إحداهما ، تظل الأخرى .. (عالقة بسهد !) ؟ وهذا محال !

ثم يكُرُّ أمام ناظريْه ـ الدامعيْن ـ شريط الذكريات ، لأنضر الأيام ، وأجمل الذكريات ، عن الحُلْو والمُرّ ، وثبات الود ، مهما تضاربت الآراء ، واحتدمت المناقشات ، فى الصباح والمساء .. ثم يُضْمى العقاد أفئدتنا بهذا البيت البالغ الشدة فى مأساويته ، الذى يقول فيه :

رأيْنـا كلَّ صادعـة ، فزالت أيصدع ما رَأيْنـا : شقُّ لحد !

أى أن كل كوارث الحياة التى حاولت تفريقهما باءت جميعها ـ على هولها ـ بالفشل .. ثم يأتى (شقُّ لحد) : ليهدم كل شىء ، ويجعل أحدهما فى عالم ، والآخر : فى عالم آخر .. فلا يلتقيان ..

ثم يتحدث بعد ذلك ، عن صداقة العمر ، والبناء الأدبى الذى أقاما صرحه سويا ، بعزيمة وجلد ، ويفزع من الوحدة والانفراد ولا زال الشوط بعيدا ، يحتاج للتضافر والتآزر ، والمشاركة الوجدانية ، التى صوَّرها أبدع تصوير ، قول لونجفلو فى ختام أبياته :

ومضى الزمـان .. لكـى أرى بطريقـى سهمـى سليمـا .. فى مدى تحديقـى
وقـد استقـر بسنديانـة غابـة أمـا القصيـد : فجـلَّ عن تصديقـى :
فمـن البدايـة للنهايـة .. قد ثوى بين الحنايـا .. ملء قلب صديـق !

و (ملء قلب صديق) هذه ، هى خير إجمال للحياة الوجدانية المتكاملة ، التى يهفو إليها كل أديب وشاعر ، ليبث صاحبه نجواه ، ويشرح له رؤاه ، ومايتهدّى له ويتصيده من سبحات الخيال ومُعطيات الوجدان ، والمشاركة الروحية فى السراء والضراء .. والسهم الذى أطلقه (لونجفلو) فى المدى المترامى ، هو آماله وطموحاته ، التى جعلته يهيم فى كل واد ، بعد أن مرّ العمر ، من خلف الظهر ، أسرع من البرق ، ثم إحساسه بأن كل شىء سيغدو على مايرام، بعد أن يحط عصا الترحال، بالنسبة للحاجات المادية ، والمظاهر العرضية ، التى هى أشبه شىء بالظل الزائل ، واللون الحائل ، بالنسبة للأديب .. أما أشواقه الروحية ، وطموحه إلى المجد الأدبى ، فى حقل الإبداع الشعرى ، فكان يشفق من أن يكون قد ذهب أدراج الرياح .. إلا أنه سرعان ما يشعر بالفرحة الغامرة ، حينما يجد أن هذا الشعر ، أو القصيد ، قد وجد ملاذا وتجاوبا ، ملء قلب صديق : يفهم ، ويقدّر ، ويتجاوب ، ويُعجب ، ويحب .. لأن القلب هو مركز الحب .. فلم يقل لونجفلو ، مثلا ، « ملء ذهن صديق » .. فهو يعنى ما يقول حقا ، بأوجز عبارة ، ولكنها برغم ذلك ، عظيمة الدلالة ، وتشرح كل شىء ..

وهكذا نرى أن مرثية العقاد ليست مرثية عادية بالمعنى المفهوم ، الذى يزخر بالدموع والتفجع والأسى ، ولكنها وثيقة نفسية يُستدل منها على الآصرة القوية التى جمعت بين هذين الأديبين الكبيرين ، بأبلغ وصف ، وأروع تصوير . وقد استوعب لونجفلو ، فى أبياته القليلة ، شتى الأبعاد والظلال ، والمواقف ، التى يمر بها الشعراء الأصدقاء ، فى كل زمان ومكان .

---

(١) أنظر ديوانه (مدينة بلا قلب) ص ١٠٣ .

هذا المخطوط

تلخيص تقريب النشر في القراءات العشر

إعداد التحرير

هو مخطوط جليل القدر فى هذا الفن الكريم ، ويعتبر تلخيصاً لتلخيص « النشر فى القراءات العشر » الذى ألفه الإمام الحافظ أبو الخير شمس الملة والدين محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف بن الجزرى .. رحمة الله . وقد أودعه مذاهب الأئمة القراء ، وضمنه من الطرق والروايات ما اشتهر وانتشر وثبت وصَحّ لدى الإثبات المتقدمين ، ثم عرج ـ رحمه الله ـ على « النشر » فاختصره فى كتابه : .. تقريب النشر فى القراءات العشر ؛ فجاء ـ تلخيصا ـ فريدا حفظ على ذخائر « النشر » ولم يقصر فى فوائده فأما النشر فقد قام بتحقيقه إمام هذا الفن وأستاذه الشيخ على بن محمد الضباع شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية ، وطبعة السيد/ مصطفى محمد بمطبعته ـ رحمه الله تعالى .

وأما التقريب فقد عنى بتحقيقه وأخرجه ـ فعلا ـ فضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض وأعده لقسم القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف ، وصدرت طبعته الأولى عام ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م حاملة تحقيقه فى قطع متوسط مسطرته خمسة وعشرون سطراً فى مائتى صفحة .

ثم وقع الشيخ إبراهيم عطوة على « تلخيص التقريب » وهو هذا المخطوط الذى جاء بوجه ورقته الأولى عبارة « وقف هذا الكتاب الحقيـرُ أحمد الدمنهورى على طلبة العلم بالأزهر ، وجعل مقره خزانته بالمقصورة » وأعلى هذه العبارة كلمة « مختصر التقريب » والمخطوط من خزائن مكتبة الأزهر الشريف رقم (٦٩) خصوصى ، و (٤٤٧٥) عمومى ، فن القراءات وجاء بوجه الورقة الثانية أو الكتاب قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين »

قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام ملك العلماء الأعلام ، عمدة المحققين ، زين الملة والدين أبو يحيى زكريا الأنصارى الشافعى ـ رحمه الله ـ ونفعنا والمسلمين ببركته ، بمحمد [صلى الله عليه وسلم] وآله .. آمين[1]

ثم بعد :

فإن الصلة العلمية للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى بالإمام ابن الجزرى متينة الأصول :

(أ) جاء فى (فائدة للتحفظ) إجازة فى القراءات من (وقف أحمد بن اسماعيل بن محمد تيمور) مصطلح حديث تيمور (١١٦) ـ جاء فى هذه الإجازة ـ بصدد سلسلة ذِكْر أخذ قارئ عن أستاذ .. (... الشيخ محمد بن حسن السمانودى الشهير بالمنير ، وهو قرأ على الحافظ النور الرفيلى ، وهو قرأ على البقرى قطب زمانه ، وقرأ شيخه على اليمين ، وهو على الوالد

(١) أنظر صورة وجه الورقة الثانية .

كامل بقرى على الطبلاوى شيخ أهل زمانه فعن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، فعن شيخه الشيخ النووى ؛ فعن شيخ هذا الفن شمس الدين محمد بن الجزرى ...) ... أ خ . أ هـ .

لذا كان للإمام زكريا عناية بشيخ شيخه شمس الدين أبى الخير محمد بن الجزرى فوضع شرحا على المقدمة الجزرية ، وهى مقدمة منظومة ، وسمّى شرحه (الدقائق المحكمة فى شرح المقدمة) وشارك - بذلك - الشيخ ملا على بن سلطان محمد القارى الذى شرح مقدمة ابن الجزرى أيضا وسمى شرحه (المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية) . وطُبع الشرحان على المقدمة ، طبعهما مصطفى البابى الحلبى آخر طبعة عام ١٣٦٧ هـ .

وللشيخ زكريا أيضا مُؤَلَّف فى الوقف والابتداء ، طبعه أيضا مصطفى الحلبى عام ١٣٩٣ هـ .

فالشيخ زكريا الأنصارى عالم بحر جوال ، طرق الفنون بقدم راسخة وأستاذية عالية ، ثم هو قارئ إمام فى فن القراءات ليس عسيرا على مثله أن يقدم هذا العمل ... لكن عسير علينا أن نقطع بأن هذا المخطوط المفيد هو كتابه - طبقا لقواعد التحقيق - ولعل من أهل الفن من يقدم لنا الدليل ، لذا نقف بحياد كامل لنقول : هذا المخطوط « تلخيص تقريب النشر فى القراءات العشر » منسوب إلى أبى يحيى زكريا الأنصارى » حتى يأتينا الدليل ، وليس بعسير - إن شاء الله

وقد حرص الواقف على تكرار عبارة (وقف على طلبة العلم بالأزهر بخزانته الدمنهورى) مكتوبة أعلى الصفحات : ١١ ، ٢١ ، ٣١ ، ٤١ ، ٥١ إلى آخر الكتاب .

ويبدو - والله أعلم - أن هذا الواقف هو الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهورى - صاحب .. مقدمة الدمنهورى فى القراءات على مذهب الإمام عاصم » رحمهما الله .

ولد بـ « دمنهور الوحش » مديرية الغربية وقتئذ عام ١١٠١ هـ ، وتوفى بالقاهرة عام ١١٩٢ هـ ، ومقدمته هذه مخطوطة . أنظر الأعلام للزركلى .

والنسخة المخطوطة التى نقدم هذا الحديث عنها هى الثانية من مجلد يحمل مخطوطين : كتابنا هذا ، وقبله كتاب مخطوط - أيضا - هو « إتحاف البررة بما سكت عنه نشر العشرة » وهو كذلك من وقف الشيخ أحمد الدمنهورى على طلبة العلم بالأزهر بنفس خزانته .

نسبة الكتاب :

ذكر ناسخ المخطوط أنه للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى - رحمه الله - !

وبالعودة إلى مواطن مؤلفات هذا الإمام العلم[1] ، وبالبحث عن مؤلفاته فى هذا الفن لم نعثر على كتاب له بهذا الاسم . قال (روزنتال) ص ٨٤ :

.. وأخبرتْ جماعة الزيدية ابن النديم صاحب الفهرست أن الإمام الناصر للحق خلف مصنفات أكثر بكثير مما تَعَرَّف إليه ، أو رآه ؛ فترك ابنُ النديم فراغا ، وطلب إلى القراء أن يضيفوا عناوين هذه الكتب فى المكان المعد لها إذاقيض لهم أن يروا هذه الكتب التى أشارت إليها الزيدية ، أ هـ .

ونضيف إلى ذلك ما فعله مؤلفون فى الشرق والغرب على السواء إذْ قاموا بإعدام مؤلفاتهم فإذا البعض من التلاميذ يذكر اسم الكتاب دون جدوى من العثور عليه ؛ فقد مات الكتاب إلى الأبد .

ثم بين أيدينا فى هذا المقام الشيخ الواقف ؛ وإذا كان هو الذى توصلنا إليه - وهذا أمر يعسر تقريره - لقلنا : إنه عالم أيضاً بفن القراءات ، وبعيد على مثله ألا يعرف الخطأ من الصواب فى فن من اختصاصه ، ولقلنا : إن مؤلف مخطوطنا - فعلا - هو الإمام أبو يحيى زكريا الأنصارى .

ومما يلفت النظر - أن الناسخ لم يذكر اسمه ، فإن مال إنسان إلى أنه نفس الشيخ الدمنهورى ، فإنه مطالب بالدليل .

(١) أنظر للسخاوى : الذيل على رفع الإصر ص ١٤٠ ، وأنظر : هدية العارفين (١/ ٣٧٤) والضوء اللامع (٣/ ٢٣٤) والكواكب السائرة (١/ ١٩٦) والنور السافر (١٢٠) ومعجم سركيس (٤٨٣) والزركلى (٣/ ٨٠) ، وفهرس الفهارس والأثبات (١/ ٤٥٧) وخطط مبارك (١٢/ ٦٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام ملك العلما الاعلام

عمدة المحققين زين الملة والدين ابو يحيي زكريا الانصاري الشافعي رحمه الله

ونفعنا والمسلمين ببركة محمد واله امين بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي

يسر بتيسيره علي من وفقه القراآت العشر وجعل القران العظيم شافعا له يوم

الحشر واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة منجية من الهول

والضر واشهد ان محمدا عبده ورسوله المويد بالنصر صلي الله عليه وعلي

اله وصحبه المتزهين عن القبح والشر وبعد فهذا مختصر تقريب النشر في

القراآت العشر مع فوايد ترتقي بها النبيه لحصية تسهيلا لحفظ مبانيه وفهم

معانيه وسميته تلخيص تقريب النشر في معرفة القراآت العشر والله اسال ان

يجعله نافعا خالصا لوجهه الكريم ووسيلة للفوز بجنات النعيم

مقدمة في مبادي علم القراآت وفي بيان المقري والقاري اصطلاحا فمباديه

حده وموضوعه وغايته واستمداده ومسايله فحده علم باصول يعرف

بها احوال الفاظ القران من حيث النطق بها وموضوعه الفاظ القران

من حيث يبحث فيه عن احوالها كالمد والقصر والنقل واستمداده من السنة

والاجماع وغايته ما يقرا به كل من ايمة القرا ومسايله المطالب التي يبرهن

عليها فيه كعلمنا بان قراة نافع كذا وقراة حمزة كذا والمقري العالم بالقراآت

الراوي لها مشافهة والقاري مبتدي وهو من شرع في افرادها الي ثلاث

منها ومنته وهو من نقل منها اكثرها واشهرها ومتوسط في العشر

وهو من نقل منها اربعا او خمسا باب اسما الايمة القرا العشرة

ورواتهم وطرقهم وهم نافع من روايتي قالون وورش عنه وابن كثير

من روايتي البزي وقنبل بواسطتين عنه وابو عمرو من روايتي الدوري

والسوسي عن يحيي اليزيدي عنه وابن عامر من روايتي هشام

وابن ذكوان بواسطتين عنه وعاصم من روايتي ابي بكر شعبة

بن عياش وحفص بن سليمان عنه وحمزة من روايتي خلف وخلاد

عن

مع ايه اربع م كاتبه الفقير سلامة الاستانبولي عفي عنه

صورة وجه الورقة الثانية من المخطوط وهي أول الكتاب

كثير وابو عمرو ورويس لا يسمع بيا مضمومة لاغية بالرفع وكذا نافع لكن بالتا تاخفا والباقون بتا مفتوحة ونصب
لاغية بمصيطر مر في الطور قرا ابو جعفر اياتهم بالتشديد والباقون بالتخفيف قرا الاخوة والوتر بكسر الواو
والباقون بفتحها قرا ابن عامر وابو جعفر فقدر بتشديد الدال والباقون بالتخفيف قرا البصريان سوى روح من طريق
يكرمون ويحضون وياكلون ويحبون بالغيب في الاربعة والباقون بالخطاب واثبتنا الفا بعد الحا تحاضون الكوفيون
وابو جعفر وجيء مر في البقرة قرا الكسائي ويعقوب لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثا والباقون بكسرهما يا ات
الاضافة ثنتان ربي اكرمن ربي اهانن والزوائد اربع يسرا بالواد اكرمن واهانن ومر حكم الامرين قرا ابو جعفر لبدا بتشديد
البا والباقون بتخفيفها ومر لجيب معا في البقرة واتلم يره في ها الكناية قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك بفتح الكاف
رقبة بالنصب اطعم بفتح الهمزة والميم بلا الف ولا تنوين والباقون برفع فك وجر رقبة اطعام بكسر الهمزة
ورفع الميم منونة والف قبلها ومر موصدة في الهمز المفرد وامالة رءوس اي والشمس والليل والضحى والعلق
قرا المدنيان وابن عامر فلا يخاف بالفا والباقون بالواو ومر لليسرى وللعسرى لابي جعفر ونارا تلظى لرويس
وابن كثير والعسر يسرا معا في البقرة واوتيا في الهمز المفرد قرا قنبل بخلاف عنه ان راه بقصر الهمزة والباقون بمدها ومر امالة
واماله ادراك في بابها وارايت في الهمز المفرد وتنزل لابن كثير قرا الكسائي وخلف مطلع بكسر اللام والباقون بفتحها ومر
البرية معا في الهمز المفرد وربه ويره معا في ها الكناية وتصدية في النا والعاديات ضبحا فالمغيرات صبحا في الادغام
الكبير وماهيه في الوقف على الرسم قرا ابن عامر والكسائي لترون الجحيم بضم التا والباقون بفتحها قرا ابن عامر والاخوة وابو جعفر
وروح جمع بالتشديد والباقون بالتخفيف ومر يحسب في البقرة وموصدة في الهمز المفرد قرا الاخوة وشعبة عمد بضم العين
والميم والباقون بفتحهما قرا ابن عامر ليلاف بلا يا بعد الهمزة وابو جعفر بيا ساكنة بلا همز والباقون بهمزة مكسورة ثم يا
قرا ابو جعفر الافهم بهمزة مكسورة بلا يا والباقون بهمزة ويا ساكنة ومر ارايت وشانيك في الهمز المفرد وعابدون وعابد في
الامالة ويات الاضافة ولي دين والزوائد دين ومر حكم الامرين قرا ابن كثير ابي لهب باسكان الها والباقون بفتحها قرا عاصم حمالة
بالنصب والباقون بالرفع كفوا مر في البقرة قرا رويس بخلاف عنه النفاثات بالف بعد النون وكسر الفا مخففة
وروح من طريق بضم النون وتخفيف الفا ثم الف والباقون بفتح النون وتشديد الفا مفتوحة ثم الف الناس مر في الامالة

باب التكبير وهو في الاصل سنة المكيين عند ختم القران ولو في صلاة ولهم في ذلك اخبار وردت مرفوعة وموقوفة وتدرج عن
ابن كثير التكبير فالاصل وقرانا به من رواية السوسي عن ابي عمرو وقد كان بعض ائمة القرا ياخذ به من جميع القرا وكان بعضهم
ياخذ به في كل سورة من جميع القران واما لفظ التكبير فلم يختلف في انه الله اكبر قبل البسملة وزاد جماعة قبلها
التهليل عن ابي الحباب عن ابن كثير ان يقول لا اله الا الله والله اكبر وهو زيادة حسنة ثبتت روايتها وصح سندها
وزاد بعض الاخذين عن ابن الحباب بعد ذلك ولله الحمد ثم اختلف بولوا التكبير من اي موضع يبتدا به فرواه الجمهور من
اول الم نشرح او من اخر الضحى على خلاف مبناه هل التكبير لاول السور او لاخرها فالاكثر على انه من اخر الضحى والاقل على انه من اول الم نشرح
ورواه بعضهم من اول الضحى ولم يروه احد من اخر الليل ومن ذكره كذلك كالداني وغيره اراد به انه من اول الضحى
واما انتهاوه فمن كان عنده لاولها قطع التكبير لاخر السورة كبر حتى ينتهي فيكبر في اخر السورة ومن كان عنده لاولها
قطع التكبير في اول الناس ولم يكبر في اخرها ويتاتى على التقديرين حال وصل السورة بالسورة ثمانية اوجه ممتنع منها وصل الكل
مع القطع على البسملة لانها لاوائل السور لا لاخرها والسبعة الباقية جائزة فاثنان منها على تقدير ان يكون لاخر السورة
واثنان على تقدير ان يكون لاولها وثلاثة محتملة على التقديرين فاللذان على تقدير كونه لاخر السورة اولهما
وصل التكبير باخر السورة والوقف عليه مع وصل البسملة واللذان على تقدير كونه لاول السورة اولهما قطعه عن اخر السورة
[illegible] تركته على حاله وحذفت همزة الوصل للدلالة [illegible] الله اكبر [illegible]

اخر صفحات الكتاب

أنبــــاء مكــــتب فضيلــــة
الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ : مصطفى عبدالمجيد

الرئيس مبارك يكرم حفظة كتاب الله في ليلة القدر

في ليلة قرآنية مباركة وفي ذكرى ليلة القدر وفي قاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر كرمت مصر حفظة القرآن الكريم وعلماء الإسلام من مصر وعشرين دولة إسلامية في قارات العالم الست حيث منح السيد الرئيس محمد حسنى مبارك خمسة وعشرين عالما وقارئا وحافظا للقرآن الكريم الأوسمة كما وزع جوائز الحج والعمرة وجوائز أخرى مالية للفائزين في المسابقة الإسلامية الكبرى التي شارك فيها (٣٠) ألف طفل وشاب وفتاة من مصر وممثلين عن (٧٠) دولة إسلامية يدرس أبناؤها في الأزهر الشريف .

وقد شهد حفل تكريم أهل القرآن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء والأستاذ الدكتور وزير الأوقاف وكبار رجال الدولة ودعاة مصر والعالم الإسلامي .

وقد ألقى الرئيس مبارك كلمة أمام الحفل دعا فيها سيادته إلى ضرورة التوحد والابتعاد عن التحزب والتطرف والانقسام ؛ فكتابنا الكريم يريدنا أن نكون مجتمعين موحدين .

وفي كلمة جامعة أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضرورة أن يعى المسلمون دلالات هذه الليلة المباركة وأن يكون ذلك بالعودة الكاملة إلى دين الله .

كما أكد فضيلته على أن هذه المناسبة دعوة لأن نحتفى جميعا بحفظة كتاب الله وأن ندعو أنفسنا وأبناءنا وصغارنا إلى حفظه والعمل به .

الإمام الأكبر يتلقى تقريرا عن أحوال المسلمين في جمهوريات الكومنولث

بعد رحلة موفقة إلى الجمهوريات الإسلامية بدول الكومنولث الجديد عاد فضيلة الشيخ أحمد عطا سعود رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية والوفد الذى سافر إلى هذه الجمهوريات تحت رئاسته واستغرقت الزيارة عشرين يوما قام الوفد خلالها بتفقد أحوال المسلمين في هذه الجمهوريات ودراسة احتياجاتهم التعليمية والثقافية وما يمكن للأزهر الشريف أن يقدمه لهم في هذه المجالات وقد عرض فضيلة رئيس الوفد على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التقرير الذى أعده عن هذه الزيارة .

الإمام الأكبر يفتتح الدورة التدريبية للأئمة والدعاة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدورة التدريبية السابعة عشرة للأئمة والدعاة من مختلف دول العالم والتي تنظمها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر تستمر الدورة ثلاثة أشهر ويشارك فيها عدد من العلماء والدعاة من جمهوريات الكومنولث الست ورومانيا بالاضافة إلى نيجيريا وماليزيا .

وقد طالب فضيلة الإمام الأكبر في الكلمة التي ألقاها بهذه المناسبة دعاة العالم الإسلامي وعلماءه بالعمل على توثيق التعاون والتواصل والتلاحم بين الأمم والشعوب الإسلامية في كل مكان .

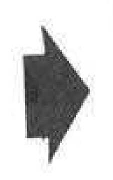

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

كما طالبهم فضيلته بأن يستزيدوا بصفة مستمرة من كافة المعارف والثقافات والعلوم فى كل فروع المعرفة حتى يتمكنوا من أداء رسالتهم السامية فى بلادهم وفى العالم أجمع .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر يشهد الجلسة الافتتاحية لمؤتمر المرأة والتنمية

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الجلسة الإفتتاحية لمؤتمر المرأة والتنمية الذى نظمته جامعة الأزهر بالاشتراك مع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت رعاية السيدة حرم السيد رئيس الجمهورية .

وقد ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام العديد من الأبحاث حول مكانة المرأة فى الإسلام ودورها فى عملية التنمية كما تناولت الأبحاث كذلك عمل المرأة من المنظور الإسلامى .

وفى ختام أعماله أكد المؤتمر على أن أهم عملية تنموية تقوم بها المرأة هى التنمية البشرية التى هى محور تقدم المجتمع وتثبيت أهميتها العظمى فى مواجهة مقاييس التنمية الاقتصادية عند الآخرين .

وأهاب المؤتمر بجميع الهيئات والمنظمات بضرورة تغيير استراتيجية عملها واهتماماتها بحيث تنقل نشاطها إلى الأماكن الشعبية وأماكن التجمعات خاصة فى الريف .

الإمام الأكبر يكرم طلاب الأزهر المتفوقين فى حفظ القرآن الكريم

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حفل تكريم طلاب الأزهر المتفوقين فى حفظ وتجويد القرآن الكريم ، حيث قام فضيلته بتوزيع الجوائز المالية على أربعين طالبا من الفائزين فى مسابقات حفظ القرآن الكريم من مختلف المناطق الأزهرية .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة أن يكون الأزهريون دائما فى مقدمة العاملين على حفظ القرآن الكريم وتحفيظه لأنهم القدوة لغيرهم سواء كانوا صغارا أم كبارا لأنهم القدوة فى الالتزام الدينى والمحافظة على القرآن الكريم حفظا وتجويدا وترتيلا وفهما وعملا .

وكان فضيلة رئيس المعاهد الأزهرية قد أشار إلى الاهتمام الكبير فى الذى يوليه الأزهر لحفظ القرآن وتجويده بين طلابه فى مختلف معاهدهم ومراحل تعليمهم .

وأكد على أن التفوق فى حفظ القرآن الكريم هو الذى يؤهل الطالب أن يكون عالما فاضلا فى المستقبل .

الإمام الأكبر يرأس اجتماعا لمديرى المناطق الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماعا لمديرى المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية .

تم فى هذا الاجتماع بحث وضع الخطط اللازمة للنهوض بالمعاهد الأزهرية كذلك وضع خطة شاملة للتدريب الفنى والإدارى والعلمى لمدرسى المعاهد الأزهرية والفنيين والإداريين وإعادة النظر فى اللوائح المنظمة لأعمال التوجيه الفنى لمدرسى المعاهد الأزهرية ، لتحديثها وادخال تعديلات عليها بما يخدم العملية التعليمية ويدفع بها إلى الأمام .

كما تقرر وضع خطة لتجميل مبانى المعاهد الأزهرية بما يناسب مكانتها الدينية والعلمية وإنشاء معاهد نموذجية فى عواصم المحافظات والمدن الكبرى .

حضر الاجتماع فضيلة رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية والوكلاء .

للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير

مؤتمر عن الأمة الإسلامية فى مواجهة التحديات المعاصرة

عقدت رابطة الشباب العربى المسلم مؤتمرها السنوى الرابع عشر مؤخرا فى مدينة (فينيكس) بولاية (اريزونا) الأمريكية وحضر المؤتمر حشد كبير من شباب المسلمين وكوكبة من العلماء البارزين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .

وناقش المؤتمر مسيرة الأمة الإسلامية فى مواجهة التحديات المعاصرة والخطوات الواجب اتباعها فى هذا الصدد .

دعوة إلى الخير

دعا السيد يوسف الأخضر مسئول قسم الجمهوريات الإسلامية بهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، الهيئات الإسلامية المختلفة للمبادرة بدعم مشروع الهيئة الرامى إلى طبع مائة ألف نسخة من المصحف المفسر الذى تتكلف طباعة النسخة الواحدة منه دولار امريكى واحد ، وسيقوم متطوعو الهيئة بالإشراف على الطباعة والتوزيع على المعاهد الدينية ومراكز تحفيظ القرآن الكريم فى مختلف الجمهوريات الإسلامية .

مبنى إسلامى جديد فى أوزبكستان

تقرر إقامة مبنى جديد للمعهد الإسلامى العالمى باسم شيخ الإسلام برهان الدين المرغلانى فى مدينة (مرغلان) فى (اوزباكستان) .

ويتكون المبنى من أربعة طوابق تضم حوالى مائتى فصل تخصص لتدريس القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه الإسلامى وما يستجد من بحوث تتعلق بهذه الفروع .

ندوة إسلامية عن وضع الأسرة المسلمة فى كندا

عقدت (بكندا) ندوة إسلامية عن وضع الأسرة المسلمة فى (كندا) وما يعترضها من مشكلات .. وقد نظم الندوة الجمعية الإجتماعية للمسلمين بكندا ، وكان من أهدافها زيادة الوعى بين المسلمين والإطلاع على المشكلات والقضايا التى تهم الأسرة المسلمة هناك ، وقد حضر الندوة عدد من الشخصيات الإسلامية وجمع غفير من مسلمى كندا .

معرض ثقافى إسلامى فى بوليفيا

أقيم فى (لاباز) عاصمة (بوليفيا) معرض ثقافى إسلامى عرضت فيه صور للفن الإسلامى المعمارى وكُتب ومطبوعات دينية متعددة بعضها مترجم بالإضافة إلى عرض أفلام إسلامية وأشرطة قرآنية مسجلة .

كما ضم المعرض منتجات متنوعة من صنع عدة بلدان إسلامية ، ونماذج من الخط العربى فى سائر الأقطار الإسلامية وقد وُزعت خلال المعرض نشرات إسلامية باللغة الأسبانية .

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
• الافتتاحية : تحت السماء البيضاء سيل من الدموع لرئيس التحرير	١٣٠١
• كلمة رئيس الجمهورية	١٣٠٧
• فتويان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١٣١١
• مع سورة الانفال لفضيلة الاستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى	١٣١٧
• قبس من أنوار النبوة للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٣٢٠
• من هدى النبوة (حديث قدسى) قسم التحرير	١٣٢٣
• السوق الإسلامية المشتركة بين النظرية والتطبيق بقلم : لواء دكتور فوزى محمد كامل	١٣٢٤
• هموم المسلمين فى شرق إفريقية د. عبد الله نجيب محمد	١٣٢٩
• يقظة الضمير أيها الحائرون بقلم : فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	١٣٣٣
• أمجاد الأسطول الإسلامى الأول بقلم : لواء أ.ح. محمد جمال الدين محفوظ	١٣٤٠
• امبراطورية المغول بقلم : الدكتور / أحمد محمد الدسوقى المنوفى	١٣٤٧
• مغامرات ماسولى للدكتور عبد الجليل شلبى	١٣٥٥
• لحظات طيبات مع الإمام محمدبن شهاب الزهرى إعداد : عادل خفاجة	١٣٥٨
• فريضة العمر (أحكاماً وأسراراً) لفضيلة الشيخ : معوض عوض إبراهيم	١٣٦٢
• الفتـاوى ... إعـداد : عبد المنعم فودة	١٣٦٥
العلوم الكونية	
• طاقة الرياح وتنقية الطواحين الهوائية أ.د. أحمد فؤاد باشا	١٣٦٨
• الطاقة النووية ما لها وما عليها أ.د. محمد أحمد الناغى	١٣٧٢
• التشخيص والعلاج ـ العقم للأستاذ الدكتور أحمد رجاء عبد الحميد	١٣٧٦
• الجديد فى العلم والتقنية إعداد : د. نجوى السيد أحمد	١٣٧٩
• من روائع الماضى بمجلة الأزهر إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسن الزيات	١٣٨٤
• طرائف ومواقف للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٣٨٨
• من أعلام الأزهر المستشار محمد عزت الطهطاوى	١٣٩١
الشعر والشعراء	
إشراف الأستاذ رشاد محمد يوسف	
• يا أمّ للشاعر : محمد عبد الرحمن صان الدين	١٣٩٦
• شجرة الليمون للشاعرة : جليلة رضا	١٣٩٨
• يا هاجرا للشاعر : محمد عبدالوهاب جنيدى	١٣٩٩
• شعر الأخنس بن شهاب التغلبى للأستاذ / أيمن محمد ميدان	١٤٠٠
اللغة والأدب والنقد	
• طريق علم اللغة عند الغربيين للأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين	١٤٠٧
• أبو عبيدة بن الجراح ومحمد صبيح للأستاذ / السيد حسن قرون	١٤١١
• ابن بسام وتحاته النقدية للدكتور محمود جمعة خليفة	١٤١٧
• الهجعة فى صديق الروح بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ	١٤٢٤
• هذا المخطوط إعداد : التحرير	١٤٢٩
• أنباء وآراء الأستاذ : مصطفى عبد المجيد الأستاذ : مجدى عبد الحميد	١٤٣٣
القسم الفرنسى	
إشراف الأستاذ محمد عمر	
المقال الثانى	١٤٣٨
المقال الأول	١٤٤٧
القسم الإنجليزى	
المقال الإنجليزى الثانى	١٤٥٣
المقال الإنجليزى الأول	١٤٥٨

Or, notre ultime bonheur tient au fait que c'est Allah Lui-même qui en a précisé le but; car Sa miséricorde envers nous, ne nous a pas laissés préciser nos objectifs ni les voies qui nous y mèneront.

Mais Allah — gloire à Lui-nous les a précisés lui — même, car toute passion humaine lui est étrangère; c'est alors que la parole divine : "la voie droite est celle que'Allah nous indique." devient elle-même la vérité authentique. Elle est l'unique témoignage de l'objectif parfait et immuable qui même à un bonheur sans failles si minimes qu'elles soient.

Prenons pour exemple l'inventeur; c'est lui — même qui précise l'utilité de son invention ainsi que son but, avant même de la fabiquer, il précise également son mode d'entretien.

Puisqu'Allah estle Créateur, c'est donc Lui qui précise le but de Sa création, or, puisque c'est Lui qui a créé. Il est le Seul à pouvoir donner la recette du bonheur éternel pour cette créature.

Or l'égarement des humains vient du fait qu'ils ont précisé un but pour ce qu'ils n'ont pas créé, et qu'ils ont détérminé un objectif pour ce qui n'est pas l'object de leurs mains !!

Le révérend cheikh dit au sujet de la parole divine concernant le livre évident qui est "le guide pour ceux qui craignent Allah" : Allah-Tout Puissant - a employé le terme "direction" et n'a point dit "dirigeant" : ici la nuance entre les deux termes a une valeur considérable. Le révérend cheikh s'explique par l'exemple suivant : lorsqu'on emploie dans le langage courant l'expression "juge équitable", on entend par là qu'il y a un judge et qu'il est doué d'une qualité; or, il se peut que ce juge soit soumis à des circonstances ou même à des passions qui le dépouillent de cette qualité ou qui font que cette qualité ne peut lui être attribuée.

Lorsque nous disons dans le langage courant qu'une juge est l'équité même, cela veut-dire que l'équité est en lui, qu'elle est inhérente à sa nature !

Donc, lorsqu'Allah — Gloire à lui — a dit au sujet du livre évident qu'il est un guide pour les croyants, Il lui a attribué les qualités de stabilité et de permanence dans la voie d'Allah et cela dans l'absolu. C'est ainsi que la première expression "guide" est de loin plus éloquente.

Parlant de ceux qui craignent Allah, le révérend cheikh pose la question suivante : le Livre Saint est-il le guide divin destiné aussi bien aux croyants qu'aux non-croyants? A cela il répond en disant : puisque le guide est par lui-même un témoignage donc l'expression "les croyants" ne désigne pas excelusivement les croyants. En effet, pour le croyant le guide divin et un moyen de s'élever quant à celui qui n'a point d'élévation morale et qui se laisse aller au gré de ses passions, le Coran peut lui servrir, car il est un témoignage irréfutable pour tous les humains.

Ainsi le Coran représente le seulguide fourni par Allah à tous les humains : les croyants et les non-croyants : il guide les non-croyants vers les exigences de la dévotion; quant aux croyants, il les aide à l'obéissance et au progrès dans cette voie, en leur faisant aimer la foi et en les éloignant de la mécréance, de la débauche et de la désobéissance.

Le révérend cheikh appuie son raisonnement par l'argument suivant : il passe en revue les incidences du mot "guide" dansle Saint Coran, pour montrer que ce terme concerne aussi bien les croyants que les incroyants.

C'est ainsi qu'Allah agit envers toutes Ses créatures. Il aide celui qui se tourne vers Lui et le dirige de mieux en mieux, alors qu'Allah laisse à son gré celui qui se détourne de Lui.

Hoda Abdel Hamid Mohamed

Un guide divin destiné à tous les humains.

Grâce à la bénédiction d'Allah et à Son appui, nous nous retrouvons tous les vendredis avec le révérend cheikh Cha'rawi autour d'un sujet concernant le Coran.

Il nous fait part de ses réfléxions sur le saint Coran, dans le but de nous informer, de nous instruire et de nous guider par les enseignements qui abondent dans le livre d'Allah. Le Coran est en effet la source intarissable et pure du dogme; il indique la vraie voie, il renferme la vérité et l'argument indiscutable.

Lorsque le révérend cheikh Cha'rawi explique ce qu'on entend par la voie d'Allah dans le Coran, il dit :

«La voie d'Allah est pour l'hummanité le guide parfait et irrévocable»

Quant au guide humain, il est imparfait : il exige des rectifications et des modifications, parce qu'il provient d'un être changeant et imparfait; c'est pourquoi ce guide sera forcément changeant et imparfait.

Le cheikh Cha'rawi ajoute dans son explication de la parole divine : "Le Coran renferme un guide pour ceux qui craignent Allah" que le Coran est assurément la révélation d'Allah, il renferme le guide parfait, éternel et irrévocable pour l'humanité; c'est en suivant la voie d'Allah que l'homme atteindra la foi la plus parfaite et n'aura plus besoin d'être guidé par un humain imparfait.

Le guide divin nous indique ce qui est exigé de nous, c'est lui qui nous permet d'atteindre ce but, puisqu' Allah nous a tracé la voie dans le livre évident, donc, la voie droite c'est celle qu'Allah nous indique; car c'est lui qui a posé l'objectif immuable et permanent, l'objectif parfait pour le bonheur parfait. Allah — tout Puissant — en parlant de l'Islam qui est la dernière des religions dit : "Aujourd'hui, j'ai rendu votre religion parfaite, j'ai parachevé Ma grâce sur vous, J'ai agréé l'Islam comme étant votre religion."

Le révérend cheikh explique ceci par la métaphore suivante : si des humains doués d'une intelligence parfaite qui atteint le paroxysme du génie, voulaient réaliser pour l'homme une fin après laquelle il jouirait du bonheur parfait et n'éprouverait ni souffrance ni peine et qu'ils se mettaient à imaginer un paradis merveilleux où l'homme vivrait ... Auraient-ils l'idée de lui assurer tous les moyens de jouissance dans ce paradis? pourrait-il par exemple manger et boire sans que sa digestion produise des excréments?

Cheikh Cha'rarwi poursuit donc cette image qu'il termine par une question, puis il ajoute : si le génie humain en était capable, cette idée même ne pourrait pas lui venir à l'esprit, car son génie si parfait et si sublème qu'il soit est en réalité imparfait et ne peut aboutir qu'à des imperfections. Donc, même si les humains précisaient le but visé, ils ne pourraient rendre justice à celui qui sera rétribué.

Il nous semble opportun d'interpréter cette notion أسلم وجهه لله وهو محسن par une paraphrase, c'est à dire un choix d'expressions plus longues en ajoutant certaines explications nécessaires destinées au lecteur éventuel :

Celui qui s'est livré entièrement à la volonté d'Allah, en ayant confiance totale à lui, en accomplissant les bonnes actions, aura sa récompense auprès de son Seigneur.

Nous remarquons que la différence entre la valeur des mots dans deux langues différentes est particulièrement délicate.

Pour appuyer notre point de vue, nous relevons le verset n°132 :

بسم الله الرحمن الرحيم . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يبني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . صدق الله العظيم
(١٣٢ البقرة)

D. Masson

Abraham a ordonné à ses enfants et Jacob fit de même
O mes enfants !
Allah a choisi pour vous la Religion
Ne mourez que soumis à lui

(le sens du verset 132)

Kasimirski

Abraham recommanda cette croyance à ses enfants et Jacob en fit autant, il leur dit : O mes enfants ! Allah vous a choisi une religion, ne mourez pas sans l'avoir embrassée

(le sens du verset 126)

R. Blanchère

(Abraham) a commandé cela à ses fils, et Jacob lui aussi a dit "O mes enfants !, Allah vous a délégué le Culte,. Ne mourez point autrement qu'en soumis (à lui) !"

(le sens des versets 126 — 132)

Ce verset a été aussi traduit par S.G. BOUBAKEUR :
Cette soumission (Islâm) fut le testament d'Abraham pour ses enfants. Jacob lui aussi [recommandal] aux siens. "Mes enfants, Allah a choisi pour vous cette religion. Ne mourez point sans que vous soyez des croyants soumis.

(le sens du verset 132)

D'après l'interprétation des exégètes musulmans "Ibrahim recommande à ses fils de suivre sa Religion : de même Jacob a informé aussi ses enfants qu'Allah a choisi leur religion et leur recommande de "ne mourir que Musulmans"[1]

Dr. SOHIER ALY EZZAT

---

1. Bien que ce verset ne figure pas dans la Sourate la Vache, sujet de notre étude, nous le citons, à titre d'exemple, pour le besoin de notre démonstration.

(١) « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب » أى وصى الخليل أبناءه باتباع ملته وكذلك يعقوب أوصى بملة إبراهيم « يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين » أى اختار لكم دين الاسلام دينا وهذا حكاية لما قال إبراهيم ويعقوب لأبنائهما (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أى اثبتوا على الاسلام حتى يدركم الموت وأنتم متمسكون به
صفوت التفسير مرجع سبق ذكره ص ٩٧ .

Selon la définition donnée par le Grand Larousse de la langue française (T.6) "se soumettre à quelqu'un : c'est reconnaître son autorités, accepter ses décisions, se conformer à , se plier à, se résigner à, suivre, obéir, s'incliner, céder.

La soumission, signifié également "imposer une autorité à une personne, à une collectivité,mettre dans un état de dépendance".

La soumission qui est le fait de se soumettre et dont les synonymes sont l'obéissance et la sujetion est insuffisante ici et ne transmet pas la vraie valeur de l'expression. De même, le fait de "se livrer à", c'est à dire "se mettre au pouvoir de, ou entre les mains de quelqu'un" ne peut véhiculer toute la valeur de cette expression.

"Il est évident que la connotation ajoute des impressions diverses à la signification des mots, qui peuvent être collectives (culturelles, historiques) ou individuelles.... Ces significations interviennent ensemble pour produire un déplacement de la signification première. Selon le contexte et l'individu elles varieront, ce qui rend difficile toute classification des connotations qu'un mot peut éveiller".[1]

Il faut donc définir le terme, non d'une façon absolue, mais d'après la manière dont les gens s'en servent. Notre attitude envers les personnes qui se servent d'un mot marque notre attitude envers le mot lui-même, et cette attitude à son tour donne au mot une partie de sa connotation.

Cette expression : أسلم وجهه لله وهو محسن . employée dans une communauté musulmane prend une sorte de valeur affective et peut avoir des connotations différentes. Elle évoque une attitude du vrai croyant en Islam. Cet exemple résiste à toute traduction du sens tout court vu que les traits émotionnels ressentis par un musulman sont différents.

« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن »

veut dire, selon l'interprétation d'Ibn Kathir[1], que chaque musulman, qui respectera par pur amour d'Allah T.P., tous les actes de foi, est le bon musulman. Ces actes doivent remplir deux conditions 1°) la sincérité de cœur, c'est à dire le fait d'accomplir sincèrement ces bonnes actions par amour en recherchant l'approbation d'Allah T.P. 2°) que ces bonnes actions soient soumises aux prescriptions de l'Islam.

De même, dans l'interprétation de M.A. Al Sabouni[2], cette expression veut dire : "les hôtes du paradis sont ceux qui se soumettent et se livrent entièrement à Allah T.P., tout en étant sincères et satisfaits".

Il serait alors parfaitement justifié de considérer que le mot n'est pas un signe, mais un ensemble de significations, et que, à partir d'un texte théologique, la pensée puisse partir dans toutes les directions dans un jaillissement d'idées.

---

1. Amparo Hurtado Albir, "La notion de fidélité en Traduction" Collection "Traductologie n°5, Didier Erudition 1990, p.83.

(١) وقد ورد فى تفسير القرآن العظيم لابن كثير :
بلى من أسلم أى أخلص (وجهه) قال دينه (وهو محسن) أى اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فان للعمل المتقبل شرطين أحدهما أن يكون خالصا لله وحده والآخر أن يكون صوابا موفقا للشريعة فمن كان خالصا ولم يكن صوابا يتقبل . (ص ١٤٧) .

(٢) أما فى صفوة التفسير ذكر محمد على الصابونى :
أى بلى يدخل الجنة من استسلم وخضع وأخلص نفسه لله . (ص ٨٨) .

"Les diverses exégèses donnent à ce terme[1] un vaste éventail de sens et une conception différente dans l'Islam. Selon les prescriptions de l'Islam, c'est croire en Allah T.P., à ses anges, à la Résurrection, au Paradis, à l'Enfer, aux paroles de Mohamed paix soit sur lui, à tout ce qui a été prescrit dans le Coran".

Cette interprétation peut-elle, par conséquent, être considérée comme fidèle au texte? Sûrement pas, car la distinction entre l'idée exprimée par ces termes et la définition donnée par les exégèses islamiques prouve que ces mots ont des valeurs différentes et des emplois différents. Les musulmans voient dans l'usage de ce mot des traits de signification distincts et des concepts sensiblement différents au regard de la théologie.

Quoiqu'il en soi, le fait important à retenir du point de vue de la genèse du processus de traduction est le suivant : la langue n'est qu'une des composantes d'un message, entre la saisie des significations et la saisie du sens, la valeur d'un terme est tout aussi importante que sa référence à la réalité. En d'autres termes, un mot isolé ne veut rien dire, c'est l'usager d'une langue qui veut dire quelque chose à travers le signe linguistique que représente le mot.

De tout ce qui précède, nous optons pour l'emprunt du terme arabe tel quel est "Al-Ghaïb", en ajoutant une note explicative (version III, du Dr. K.A.S. El Beheiri ou IV de Boubakeur. Cest là le seul moyen efficace de combler cette lacune dans la langue cible.

Prenons un autre exemple : L'expression

بسم الله الرحمن الرحيم . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . صدق الله العظيم
(١١٢ سورة البقرة)

interprété comme suit par :

D. Masson

Celui qui s'est soumis à Allah et fait le bien
aura sa récompense auprès de son Seigneur
Ils n'éprouvent plus aucune plainte
Ils ne seront affligés. (le sens du verset 112)

R. Blanchère

Non point ! ceux qui se seront soumis à Allah, tout en pratiquant la bienfaisance, auront leur rétribution auprès d'Allah. Sur eux nulle, crainte et ils ne seront point attristés. (le sens des versets 106-112).

Kasimirski

Loin de là, celui qui se sera livré entièrement à Dieu et qui aura pratiqué le bien trouvera sa récompense auprès de son seigneur, la crainte ne l'atteindra pas, et il ne sera point affligé. (le sens du verset 106).

---

(١) أما الغيب المراد ههنا الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث . عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أما الغيب فمن غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر فى القرآن ابن كثير القرشى الدمشقى تفسير القرآن العظيم ـ دار الكتاب المصرى جزء أول وفى تفسير آخر : أى يصدقون بما غاب عنهم ولم تدركه حواسهم من البعث والجنة والنار والصراط والحساب وغير ذلك من كل ما خبر عنه القرآن الكريم أو النبى صلى الله عليه وسلم محمد على الصابونى صفوة التفسير دار القرآن الكريم بيروت المجلد الأول .

"l'irrévélé" c'est littéralement "l'absence" terme difficile à rendre en français par un équivalent précis. Malgré la fréquence de son emploi dans le texte sacré (53 fois) généralement au singulier et parfois au pluriel ...

"Al ghayb" est justement ce dont on ne peut honnêtement témoigner, ce qui englobe le mystère de l'univers, les secrets du monde, sa durée et son extinction, le destin imprévisible de l'homme, la vie future et l'ensemble de la création, tout ce qui est en dehors du champ de la connaissance inspirée intellectuelle ou sensible ... Le Ghayb est précisément ce que Allah n'a pas révélé, ce qui est "absent" dans l'ordre de la connaissance humaine et cette absence rend celle-ci foncièrement lacunaire, limitée, relative. C'est ce qui nous conduit à traduire ce terme arabe, en serrant le texte de près à la lumière des commentaires (Tab 1, 101; Raz 11, 28 et 29) non pas par invisible, inconnaissable ou surnaturel, peu conforme au mot arabe, mais par irrevélé, ou mystère du monde", selon la bonne expression de G. Demonbynes."

Boubakeur a tort d'utiliser le terme absent "inexistant", parce que la notion « غيب » de bien qu'elle soit abstraite, fait partie de la connaissance humaine. Donc الغيب ce qui, dans l'ordre de la connaissance humaine, est foncièrement relatif, lacunaire, et limité.

Si nous prenons pour "critère général" le fait que l'emploi des mots ne dépend pas de leur équivalence significative en langue, il convient d'établir, ce que disent séparément chacune de ces langues; source et cible (l'arabe et le français dans notre cas), pour communiquer le contenu de la parole divine et non ce que le terme français signifie en arabe.

Nul ne contestera à première vue que "irrévélé" signifié الغيب dans la langue arabe,mais nous constatons, en examinant de près le texte que, pour désigner la notion de "ghayb" dans le Coran, le Cheikh S.H. Boubakeur aurait dû recourir à un commentaire ou à une explication détaillée pour éclairer le sens et la valeur de ce terme intraduisible et selon ses propres termes "difficile à rendre en français par un équivalent précis". Bien que le terme irrévélé" ne soit pas complètement exact, il est, nous semble t-il, le plus adéquat et le plus proche du sens original dans ce contexte précis.

Si nous étudions le terme arabe الغيب sur le plan de la langue nous trouvons :

كل ما غاب عن الانسان سواء كان محصلا فى القلوب أم غير محصل ويقال سمعت صوتا من وراء الغيب من موضع لا أراه[1].

D'ailleurs, par le terme "Mystère" la religion chrétienne désigne selon le Grand Dictionnaire Encyclopédique (T.7) une "Vérité inaccessible à l'intélligence humaine mais dont le contenu ne peut être saisi que par la révélation divine". Théologiquement la cathéchèse traditionnelle classe parmi les principaux mystères : la trinité, l'Incarnation et la Rédemption.

Nous voyons aisément que les termes "Mystère", "l'Inconnaissable", "choses cachées" et se partagent une certaine aire de signification qui est "la vérité inaccessible à l'intélligence humaine". En effet, on remarque que la connotation de ce terme joue un rôle primordial dans la sélection de la valeur du mot.

Toutefois, au sens actualisé de ce terme, nous ajoutons un autre élément propre, soit à la conception de l'individu, soit à celle de la collectivité. Cet élément intervient pour produire un déplacement du sens.

---

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية . مطابع دار المعارف بمصر ١٩٧٢ ـ الجزء الأول .

Les exemples mentionnés ci-dessous, tirés de l'interprétation de quelques versets coraniques de la Sourate "La Vache" montreront l'intérêt de la dichotomie suivante : Valeur/ Sens et Signification/ Sens.

Nous espérons que ces exemples tirés de La Sourate "La Vache" illustreront mieux notre point de vue comparatif : nous allons comparer les éléments sémiologiques, chacun étant construit en fonction des autres et étroitement dépendant de ceux qui l'entourent, dans sa fonction, dans sa forme, dans ses dimensions, et dans sa place à l'intérieur du système linguistique.

Valeur du terme « الغيـب »

En effet, si nous comparons le verset coranique n°3

بسم الله الرحمن الرحيم . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوٰة ومما رزقناهم ينفقون . صدق الله العظيم (٣ البقرة)

avec ses différentes interprétations :

1. **par D. Masson :**
   Ceux qui croient au mystère.
   Ceux qui s'acquittent de la prière.
   Ceux qui font l'aumône avec les biens que nous leur avons accordés les sens du verset III.

2. **par Kasimirski**
   De ceux qui croient aux choses cachées, qui observent exactement la prière et font des largesses des biens que nous leur dispensons (les sens du verset III)

3. **par Dr. K. Abdel Salam Al Beheiri**
   Ceux qui croient à l'inconnaissable qui font la prière et dépensent de ce que nous leur avons attribué. (le sens du verset III)

4. **Le Cheikh Si Hamza Boubakeur :**
   Ajoutent foi à l'irrévelé, s'acquittent de la prière effectuent au profit des nécessiteux) des prélèvements sur ce dont nous les avons enrichis; (les sens du verset III)

Si nous examinons le terme "Mystère" au niveau de la langue, nous trouvons dans le Grand Dictionnaire Encyclopédique, (Larousse T.7) qu'il signifie "ce qui est obscur, incompréhensible et constitue une énigme". Tandis que l'expression "Choses cachées" donne, toujours au niveau de la langue, "dissimulées, déguisées, dérobées à la connaissance".

D'ailleurs, dans la traduction du Dr. K.A.S. El Béheiri, ce terme a été rendu par l'inconnaissable qui signifie, au niveau de la langue dans le Grand Larousse de la langue française T.S, "ce qui ne peut être connu. En termes de philosophie, ce qui s'oppose à toute tentative de connaissance de l'esprit humain". Néanmoins, la traductrice a ajouté en note :

Al-Ghaib est un des mots de la langue arabe qui nous mettent devant les yeux un panorama infini et non pas un sens limité. Il peut désigner les couches du Cosmos que notre raison ne peut percer, les êtres et les choses que nous ne sommes pas censés connaître, tel que l'Enfer, le Paradis, la resurrection, il peut signifier simplement l'avenir ou le passé, l'inconnu ou l'inconnaissable".

De même, dans la version de Boubakeur, et dans une tentative d'explication du terme Ghayb dans le Coran, il a précisé dans son commentaire :

Valeur réelle d'un terme

Si nous considérons les problèmes de confrontation des deux langues arabe et française à la lumière de la théorie saussurienne, la première question qui se pose aura trait à la nature du signifié et au type de relation qu'entretiennent la structure et la substance sémantique. Au lieu de partir de faits isolés, (phonème, mot, proposition, phrase), il faut considérer le texte dans sa totalité en tant que système de relations internes. La valeur est donc au niveau de ces relations et non des unités artificiellement isolées dans l'ensemble.

Par conséquent, nous ne rendons pas seulement compte de la structure propre à la langue arabe, mais nous devons saisir un mode de pensée et de sentir qui va justement jouer un rôle de premier plan dans la traduction.

La reconnaissance de ce fait nous apprend la façon dont les langues organisent les visions différentes du monde, la nature des liens unissant le concept d'un signe à un signifiant et la nature des rapports qu'entretiennent le signifié et le sens de la parole. Elle nous invite également à approfondir la notion même de traduction et à ne pas nous contenter de la considérer comme une recherche d'équivalences entre les idiomes considérés abstraitement.

Ainsi l'étude du langage consiste à traduire le mot non plus dans ses emplois particuliers, mais à travers un message précis, d'autant plus que la langue est un système où tout se tient. La valeur fait partie des éléments linguistiques qui interviennent dans la construction du sens; toutefois, il ne faut pas la confondre avec celui-ci.

"Le sens des mots et des syntagmes correspond à leur signification pertinente résultant de la neutralisation de leur polysémie grâce au contexte ou à la situation. Le sens d'un message découle de la combinaison et de l'interdépendance des significations pertinentes des mots et des syntagmes qui le composent, enrichies de paramètres non linguistiques et représentant le vouloir dire de l'auteur."[1]

Le sens se construit donc en fonction du contexte et des compléments cognitifs du recepteur. Néanmoins, il faut distinguer ce qui découle du texte et ce qui fait partie d'une interprétation individuelle. La communication linguistique peut produire chez la personne qui la reçoit différents effets. Ceux-ci vont plus loin que le sens qui découle du texte. Par conséquent, cette nation est très importante dans la théorie de la traduction en général et dans le domaine de traduction théologique en particulier.

Les considérations qui précèdent ne prennent cependant tout leur sens que si nous tenons compte du fait suivant : pour faire apparaître l'impossibilité de l'interchangeabilité des idiomes des deux langues, nous sommes amenés à les considérer non seulement à l'intérieur des énoncés que nous comparons, mais aussi et surtout à examiner le tout comme un système homogène. Il en découle que l'idiome considéré dans la langue n'a pas seulement un sens mais une valeur. Celle-ci, prise dans son aspect conceptuel, est sans doute un élément de la signification.

De même, quand nous parlons de la valeur d'un mot, nous pensons en particulier à la propriété qu'il a de représenter une idée, un concept, un sentiment etc...

Il s'ensuit que le signifié n'est pas seulement la somme des virtualités sémantiques du terme, mais aussi sa valeur dans l'ensemble du système.

Notre étude est donc axée, non pas sur l'examen des mots et de leurs rapports avec les autres mots qui constituent le système linguistique de manière permanente, mais aussi sur l'examen des mots "en situation" dotés de paramètres extra-linguistiques ainsi que l'interdépendance des significations pertinentes des mots et des syntagmes.

1. J. Delisle, Analyse du discours comme méthode de traduction, p.59.

Qu'il soit profondément ancré dans les esprits que le Coran est inimitable et qu'il est absolument impossible à quiconque de produire quoi que ce soit de semblable. D'ailleurs, le Coran a apporté une Parole nouvelle et unique qui dépasse toutes les catégories connues de l'expression linguistique.

Cependant notre étude ne vise pas à examiner le vrai miracle que renferment les traits stylistiques du Coran mais elle porte essentiellement sur les différents signifiés et les différentes interprétations de quelques termes et expressions. Notre but est d'essayer de déterminer jusqu'à quel point la traduction peut reflèter le sens du texte.

Le choix de ces exemples types se limite à l'examen de, quelques mots et expressions de la langue française employés pour traduire d'une manière approximative certaines expressions coraniques fondamentales, on trouvera également un certain nombre de termes ayant rarement leur correspondant exact; en effet, ces derniers ont perdu de la force que leur confère le contexte coranique et leurs acceptions ainsi mentionnées dans le Coran.

Sens et Signification

L'étude comparative ainsi présentée tend, en approfondissant l'étude de la valeur des termes, à montrer que le critère de cette évaluation ne peut être fondé sur une simple "substituabilité"[1] des signifiés des deux langues.

Pour tenter de rendre compte de la structure du lexique, nous aurons recours d'abord à la dichotomie fondamentale à l'intérieur du signifié entre sens et signification. Ces deux termes seront ici utilisés pour distinguer les deux composantes complémentaires mais irréductibles du signifié que nous allons dégager et analyser ci-dessous.

On peut analyser les mots à deux niveaux : celui du système abstrait de la langue, c'est à dire les significations virtuelles des signes linguistiques. Celles-ci sont ainsi mentionnées dans les dictionnaires qui consignent les sens les plus usuels que les mots ont acquis par suite de leurs emplois répétés dans le discours. Toutefois, ces ouvrages sont loin d'épuiser les possibilités sémantiques des mots "en contexte". Ceux-ci pris isolément n'ont en effet que des virtualités de signification. De même, tout mot peut avoir plusieurs acceptions qui sont perceptibles hors de toute communication, c'est-à-dire indépendamment de toute énonciation concrète. Cette opération consiste à dégager le contenu conceptuel des mots par une analyse lexico-grammaticale.

Le deuxième niveau est celui de la parole : on saisit le sens dès qu'on réinsère un mot[2] dans un contexte référentiel dans lequel il baigne, ce qui permet de découvrir ce qu'il désigne à l'intérieur du message.

Nous allons ensuite tirer les conséquences de la conception saussurienne[3] selon laquelle la langue n'est pas substance mais forme et le signe a non seulement une signification mais une valeur.

---

1. Terme utilisé par Maurice Pergnier dans son article "L'envers des mots" E.L.A. n°24, 1976.

2. Il en va pour les phrases comme pour les mots. Dans un texte, une phrase peut avoir un tout autre sens que celui qui découle normalement de la somme de ses signes linguistiques.

3. cf., F. De Saussure, Course de linguistique générale, Payot, Paris, 1981 pp. 153-166.

INTRODUCTION

Notre étude est l'aboutissement d'une réflexion sur la démarche que met en œuvre le processus traduisant, non pas dans l'esprit de pure spéculation intellectuelle, mais au contraire dans un but utilitaire qui est de dégager des principes susceptibles de constituer la base d'une théorie de la traduction.

Cette réflexion n'a pas pour objet d'échafauder une nouvelle théorie mais se fonde sur la théorie du sens telle qu'elle a été élaborée par les traductologues. Elle s'attache également à mettre en évidence certaines applications pratiques à la traduction.

Dans cet article, nous voudrions esquisser une analyse de la notion de "la valeur des signes". Cette dernière peut avoir certaines conséquences positives sur l'étude proprement linguistique des phénomènes de compréhension du langage. Nous entendons par "valeur", l'ensemble de circonstances fixes conditionnant la connotation des termes que nous allons étudier et analyser. Pour comprendre la valeur, il faut savoir qu'elle provient de trois sources fondamentales à savoir : 1°) les personnes qui s'en servent. 2°) les circonstances qui entourent leur usage habituel 3°) les contextes linguistiques dans lesquels nous les trouvons.

Nous porterons également une attention particulière à la notion du contexte, à ses propriétés, à la portée et aux limites de son influence.

D'ailleurs cette étude présente un double intérêt : d'une part, elle permet de vérifier sur des exemples types, comment s'opère la traduction d'un mot qui possède plusieurs significations ou traits de signification; d'autre part, elle apporte à l'enseignement l'appui d'une observation plus détaillée, et cela en était une lumière nouvelle sur les mécanismes du langage.

Mais avant d'aborder cette analyse, il y a un troisième et dernier point de méthode qu'il faut souligner : notre méthode sera essentiellement comparative. En effet, d'une manière générale, une analyse conceptuelle n'a d'intérêt — et surtout d'efficacité — que si elle repose, non pas sur l'étude d'un seul et unique mot considéré pour lui-même, mais sur la confrontation de ce mot avec d'autres mots qui présentent avec lui certaines différences qu'il s'agira d'expliquer.

Pour illustrer cet argument, il nous a semblé intéressant de procéder à l'étude comparative de quelques versets coraniques tirés de la Sourate la Vache et de confronter leurs différentes interprétations en langue française.

Dans la présente étude, nous avons opté pour les ouvrages suivants :

1. Essai d'Interprétation du Coran Inimitable
   Par D. Masson
2. Al-Qoran
   Traduit de l'arabe par R. Blachère.
3. Le Coran
   Traduit par Kasimirski
4. Les sens du Coran
   par Dr. Kawsar Abdel Salam El Beheiri[1].
5. Le Coran
   Par le Cheikh Si Hamza Boubakeur.

---

1. Cette traduction a été approuvé et elle est en voie de publication par l'Académie des recherches islamiques à l'université Al-Azhar le 26 mai 1991.

Signification, sens et valeur du signe linguistique.

Etude appliquée sur quelques exemples tirés de la Sourate "La Vache"

présentée par

Dr. Soheir Aly Ezzat
Faculté des Sciences Humaines
Université "Al-Azhar

Département de Langue, de Littérature
Françaises et de Traduction

Le Caire 1992

REVUE AL-AZHAR

Zoulkeida 1412
Volume 64 — Partie XI

Section Française

undertake with the purpose; first, to discover within each the primeval endowment of Allah "Al Din Al Hanif", the true natural religion which Allah had sent to all Apostles of all times and places, to teach and preach to human societies. Second, to emphasize this primordial religion, adhere to its doctrines, and summon people to it with comeliness and sound argument. This indeed necessitates knowledge, patient perseverance, and tolerance.

In religion, there can hardly be anything more significantly important or prior in human relationships than tolerance. This quality transforms confrontation and reciprocal condemnations between the religions into a scholarly investigation of the genesis and development of the religions to the end of separating the historical accretions from the original genuine text of the Revelation. Tolerance (Yusr) immunizes the Muslim against life-denying tendencies, and assures him the minimum measure of confident optimism to maintain mental tranquility, balance, equilibrium of thought, sense of proportion; despite all the tragedies and afflictions which befall human life. Allah commanded mankind to examine every claim with certainty before passing judgement. The "doctors of jurisprudence" recoursed to experimentation before judging as good or evil anything desired which is not contrary to a clear divine injunction in the Holy Revelation or a genuine text of the Hadith of the Prophet (prayers ad peace from Allah upon him).

Excerpts from the Writings of
the Late Ismail Raji Al-Faruqi
Professor of Islamic Studies
temple University U.S.A.

truth are infinite to be totally mastered by any mind. The affirmation that Tawhid indicates is the absolute unity, sovereignty, and knowledge of Allah. The objects of this infinite knowledge are the patterns of creation, the knowledge of Allah. The Creator provides man with knowledge, and this knowledge is absolute and universal; and this divine infinite knowledge is the source of the Revelation; Allah is the All-Knowing, Omniscent, All-Cognizant.

Since Tawhid is the absolute acknowledgement of the Oness of Allah, it follows that Allah is the ultimate supreme source of supreme virtue and goodness of all values. Therefore, everything disposed by Allah, has been disposed for good purpose and value. Mankind has been provided with faculties of knowledge, instincts, desires by which man can recognize the coherent patterns of creation by his inherent senses, unless these senses are deformed or sick. This opens the mental faculty of man to exercise intellect in addressing new data with scrutinizing rationality, constructive endeavor, and thereby enrich experience of life, and proliferate his culture and civilization ever forward. The acquirement of the basic doctrines of religion has been through the Divine choice of Messengers from among the human populations themselves. These Messengers teach people that there is no god but Allah, to Him they owe worship and service, understand the ultimate patterns of creation, and preserve the values doctrinated by Allah. Mankind is endowed with an inherent potential of sensus communis which enables man to understand, accumulate knowledge, assimilate the wisdom of the universal cosmic intelligence to recoginze the purpose of Allah's commandments to mankind.

The Islamic school of thought teaches the conviction that the present existing diversity of religious doctrines is due to history with all its affecting factors, its diverse conditions of space and time, its prejudices, passions, vested interests, and social, political and financial authority. Behind this religious diversity stands the foundations of "Al Din Al Hanif", the primordial religion of Allah with which all men are born before acculturation makes them adherents to the premises of this or that religion. The study of the history of religions is what tolerance requires the Muslim to

denies this truth arises out of failure and fear to proceed with the honest inquiry into truth to its end; the premature giving up of reaching the knowledge of truth. The epistemological analysis of skepticism describes it as a design purpose of despair which rests on the apriori assumption that mankind lives in a perpetual mental arrest where reality and unreality cannot be distinguished. Only empirical prosaism and subjective pragmatism imprisoned within the identity theory of the mind prevail the mental function of the skeptic mind. skepticism is therefore a form of nihilism of thought anarchy and denial of values; because apprehension of values requires the prime acknowlegement that man may reach the knowledge of the truth of values. Knowledge of values must be reached for its instantiation in a given situation, and this must originate on an assumption that is founded on the honest pursuit of true knowledge.

The conviction of Divine Transcendence is the certainty of the unity of Truth and Reality, being the proposition of Tawhid, that the Creator is One, and that Truth "Al-Haqq" is One. Therefore Tawhid as a methodological principle of infinite knowledge consists of three principles. First, the rejection of all that does not conform with reality; second, the denial of all ultimate contradications; third, openness to new evidence of thought and understanding. The first principle rules out falsehood and deception, and protects against makig an untested unconfirmed claim to knowledge; this unconfirmed claim is an instance of deceptive knowledge which the Holy Quran prohibits. The second principle is the essence of rationalism which insists on the unity of two sources of truth, the Holy Revelation, and reason. This protects against simple contradiction and paradox, and therefore prevents skepticism. When Revelation runs counter to reason, the individual is referred to review his understanding of the Revelation, or his rational findings. Since the Revelation stands above any manipulation by man, and consequently our human interpretation and understanding of it must be revised; in order that our understanding of the Revelation must agree with the cumulative evidence uncovered by reason. The third principle of Tawhid as the unity of truth, protects against literalism, fanaticism, and mental stagnant conservatism. The reality and

The Islamic doctrine of "Iman" means that all propositions that this doctrine covers are in fact fundamentally true, and that their truth has been fully understood, accepted,11conceived ad appropriated by the facultative functions of cognitive thought. "Iman" is synonymous to "Yaqin" when Truth is established with convincing evidence. Every form of argument and rational thought is used to bring about convincing evidence for rational conviction. The arguments from creation, design, purpose, and value moral consciousness received profound formulation in the Islmic doctrines. This rationalism of Islam, its insistence on distinct proofs, its admiration and promotion of knowledge and wisdom, its exhortation of science, and the discoveries of the Divine patterns of Creation, are all evidences of the Truth. This conviction of "Yaqin" is therefore certainty which is absolutely free of doubt or probability. It is not and act of decision, nor a resolution to accept; rather, it is of the nature of geometrical conclusion which when given the anteceding premises, one recognizes its truth and inevitability. The rationality of Islam consists in its appeal to the mind at its critical best; addressing reason, seeking to confornt the cognitive exercise of human intellect. Therefore "Iman" is in the first order a cognitive categary, consequent upon knowledge and the truthfulness of its propositions. And since the nature of its propositional contents are of logic, rational thought and knowledge, it follows that it acts as light within the individual which illuminates everything in the milieu of that individual. It becomes a ground matrix for the interpretation of the complex wonderous universe, the prime principle of reason and ratiocination. To deny "Iman", or oppose it, is the controversial contradication of being human possessing the facultative priviledge of congitive deliberative intellect.

The prime principle of knowledge, Tawhid is the recognition and absolute conviction that Allah, the Truth (Al-Haqq) is One; [La illah illa Allah]. This implies that all contention, doubt, or uncertainty has been annihilated through rational practice of the faculty of intellectual ecumenic thought. Therefore decisive judgement has been reached, and that the recognition that Truth is indeed knowable, and that man's primitive inherent senses are capable of the realization of such knowledge. Skepticism which

Tawhid : The Principle of Knowledge

By: Ismail Raji Al-Faruqi.

The present day human societies have become adverse to religious conceptualization, and skepticism has developed to very grave proportions. This agnostic thought attitudes have become the dominant principles among the educated fractions of the society, and is also observed among the unlettered who emulate the intelligentsia of their societies. This proliferating spectacular spread of religious skepticism is partly due to the apparent surfeit of secularism which is seen as the continuing surge of empirical thought over the religious mind.

The secular society, and all those who emulate its mental patterns are intoxicated by the dramatic amazing and spectacular achievements of the scientific mind. Under this environment of thought deviation, these secular societies plunge into the false belief that all channels to the truth must be empirical, finding their ultimate confirmation only as presented by the controlled experiment. Anything not so materialistically confirmed is therefore doubtful, unconfirmable, and is therefore necessarily false.

The doctrines of religious belief are considered by these skeptic mental attitudes, as an adherence to fudamentals which are not confirmable in their experience of mental function. Faith and Belief, in consequence become a mere act of decision by which an individual resolves to accept as Truth "an uncertainty" , the veracity of which ferever escapes him. During the nineteenth century, at the apogee of secular intoxication induced by scientific advances, Christian theologians preached that Christian truth should be based on subjective experience. Such foundation for belief will place the True Reality of Divine Transcendence dependant upon individual subjective experience of faith.

the cultural elements of Islam will continue to invoke the cognitive faculty and perceptive function of human thought.

The very unique qualified concept of responsiblity of Omar ibn Al-Khattab was the prime instrumental characteristic that developed into a social milieu of thought pattern by which the integrated life of the Ummoh functioned. This emerged into a modus operandi of every individual of the Ummah to achieve social evolution of renaissance known to be the greatet and most unique in the history of mankind. The third phase of early Islamic history ended by the death of Omar ibn Al-Khattab; the man who in his office as Ameer Al-Momineen, walked through the pathways of Al-Madinah concerning himself with the most intimate conditions of the Muslim Ummah widely spread in the distant corners of the Muslim Empire.

The responsibility of governance, and the institution of justice were issues that were mostly resolved through rational considerations and consultative procedures to maintain a consensus on decisions. This practice of consultative decision-making was a distinguished dominant feature of Omar's administration. Major issues of State were discussed with ecumenic objective intellectual discursive thougt by men of knowledge and wisdom, from among the companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The sense of responsibility, and the institution of absolute justice originated from Omar's true understanding of the fundamental spirit and culture of the Muslim Faith. This brought about a social cohesion of theopolitical unification based on the foundations of worship which reflected itself as the foundation of social life, economy, trade, knowledge, science, culture, thought patterns, and every feature of human function in life.

Omar ibn Al-Khattab was congnizant of the basic fact that the creed of Islam would bring about a sociocultural transformation of the population groups resident in the expanding territories that were under th domain of Muslim jurisdiction. The practice of the doctrines of Islam were the fundamental concern of Omar ibn Al-Khattab. This resulted into a coherent social matrix of the widely spread Muslim Ummah. The practice of Islamic doctrinal teaching were the foundations of worship, social life, judicial matters, economy, trade and all functions of life. This administration was characterized by the genuine sincere efforts of Omar ibn Al-Khattab, and his extreme sence of responsibility regarding his position of office. He was pragmatically conscientious, orthodox and scrupulous in implementing the precepts of Islam .

The domination of Muslim culture was the ultimate outcome of the evolutionary transformation that took place in human societies in which Islamic teachings were instituted. During the office of Omar ibn Al-Khattab, an Islamic Empire was being established; an empire that actively promoted within its templates all the manifold resources of human faculties of knowledege, culture, sciences, language, thought patterns, and theism. The rationality of

to the west of Egypt, and from the Indian ocean south, to the caspian sea north. Within this expanse of land, all the inhabitants of different cultures different languages, different thought patterns, and different beliefs, all transformed by time to embrace the religion of Islam. The period of pan-Islamization, and assimilation of contrasting populations within a unified system of governance. This resulted into an integrated economic socio-political order which identified itself into a spontaneous instinctive communal socialistic mechanism, the ideologic roots of which were the Islamic doctrinal teachings. This pattern of policy was wisely instituted by Omar ibn Al-Khattab, to bring unification of credence among all the various population groups living in the domain of Islam. The proliferation of Muslim culture througout the vast territories that Muslim warriors had crusaded, did not come about by compulsion, intimidation, force or coercion. The Muslim ideology propagated by its own inertia of substantial tangible rational doctrines. This phase in the early history of Islam was indeed one characterized by human emancipation from fear and subjugation; an era of enlightenment and promotion of the facultative fuction of human rational thought. This was the foundation of one of the most commanding influencing cultural civilization known in the history of mankind, up to the present times.

The active spread of Muslim culture was promoted in its practice by the paradigm of governance of Omar ibn Al-Khattab, who exercised the ordinances of the Faith with precision and ecumenic understanding. Justice was implemented as the most fundamental element of individual and social rights. Every detail of the life of the Ummah was the intimate concern of Omar ibn Al-Khattab, bearing the optimum of responsibility as the supreme acme of his office. His famous statement became a dictum of administrative responsibility. "If a mule blundered on a distant trail, Omar would be held responsible for not paving its path". This concept of responsibility was a very unique outstanding feature of Omar's character, an inherent thought in the mind of the man, extorting for itself reverence and obedience that were reflected on all his actions and decisions.

After the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), The second phase of Islamic history started by the succession of Abu Bakre Al - Siddiq as Khalifah of Rassul Allah. A mutiny broke out inflaming the four corners of the Arab peninsula into a state of contradicition and anarchy. Some tribes refused the authority of Abu Bakre, others refused to comply with the act of Zakah and thereby abrogating the fundamental structure of Islam, and others claimed prophetic personalities and addressed people to follow them. In his province as Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre Al-Siddiq was very adamant to confront this paroxysm of apostasy by the edge of the sword, in order to defend and preserve the Muslim Theism in the first place, and secondly, to secure and safeguard the integrity and cohesion of the Muslim Ummah. In a period of one year, the tribes and clans of the Arab peninsula obediently returned under the banner of Islam, and the administrative authority at Al-Madinah. During the last months of Abu Bakre's office, the theopolitical unity of all the tribes of the perinsula became well established. The Muslim crusades were advancing truimphantly into the territories of Iraq, and across the northern borders into Palestine and Syria. The Muslim warriors were crusading across alien land carrying within their hearts, minds and souls the words of Allah to propagate these words to distant places. Abu Bakre Al-Siddiq died, and before his death, he obtained consensus proclamation from Muslims, that Omar ibn Al - Khattab was to succeed him in office.

Omar ibn Al-Khattab came to office after the death of Abu Bakre at a very critical time of Islamic history. The Muslim warriors were confornting the Roman legions in Palestine without progress; and in the Persian Iraq conditions were not any better . With the great numbers of Muslim warriors outside the Arab peninsula, without news of triumph or advance, was a matter that caused great concern and anxious apprehension to Omar ibn Al-Khattab. That was the start of the third phase of the early Islamic history. A phase that lasted for ten years, very rich with accomplishments, a phase during which the security of the Islamic dominion was achieved; the wealth and prosperity of the Muslim Ummah became established and legalized, the territorial expansion of the Muslim domain extending from the east of the Persian plains

Omar ibn Al-Khattab

The Acme of Responsibility

By: Anas Moustafa El - Naggar MD, Ph D.

The death of Omar ibn Al-Khattab was the unexpected sudden grievous tragedy that precipitated the termination of the third phase of early Islamic history. The uninterrupted sequence of three and half decades began since the prophet Muhammad (Prayers and peace from Allah upon him) first received the Holy Revelation, expounded its doctrines, and summoned people to follow the injunctions of the new creed; and to witness with conviction that "there is no god but Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah". This premier phase was the dawn and foundation for the institution of the most profound cultural enlightenment of the human race; the descent of the Divine words of the Holy Quran to become the doctrines for the life of mankind on earth. That period lasted for twenty three years, during which the Prophet succeeded to spread the doctrinal teachings of Islam throughout the whole Arab peninsula. During the final years of the Prophet's life, all the tribes and clans of the peninsula came to Al-Madinah to pay hommage, respect, obedience and allegiance to the Messenger of the Revelation. They accepted the creed of Islam as the new faith, and conformed with all the doctrinal teachings incumbent upon them as Muslims. A new juvenille nation was born whose constitution was the exact injunctions and ordinances of the Muslim Theism. This Theism was fundamentally based on the Divine Words of the Holy Quran, providing to mankind the highest most progressive enlightening civilized culture for the life of mankind on earth. As scholars in the Islamic schooling of the Prophet, the companions absorbed the fountain roots of Islamic knowledge, and practiced them with excellence, devotion, and sincere love to Allah, to the Prophet, and to their fellow Muslims.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part XI

Zu Al - Qida, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Acme of Responsibility.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Tawhid : The Priciple of Knowledge.

By: Ismail Raji Al-Faruqi.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

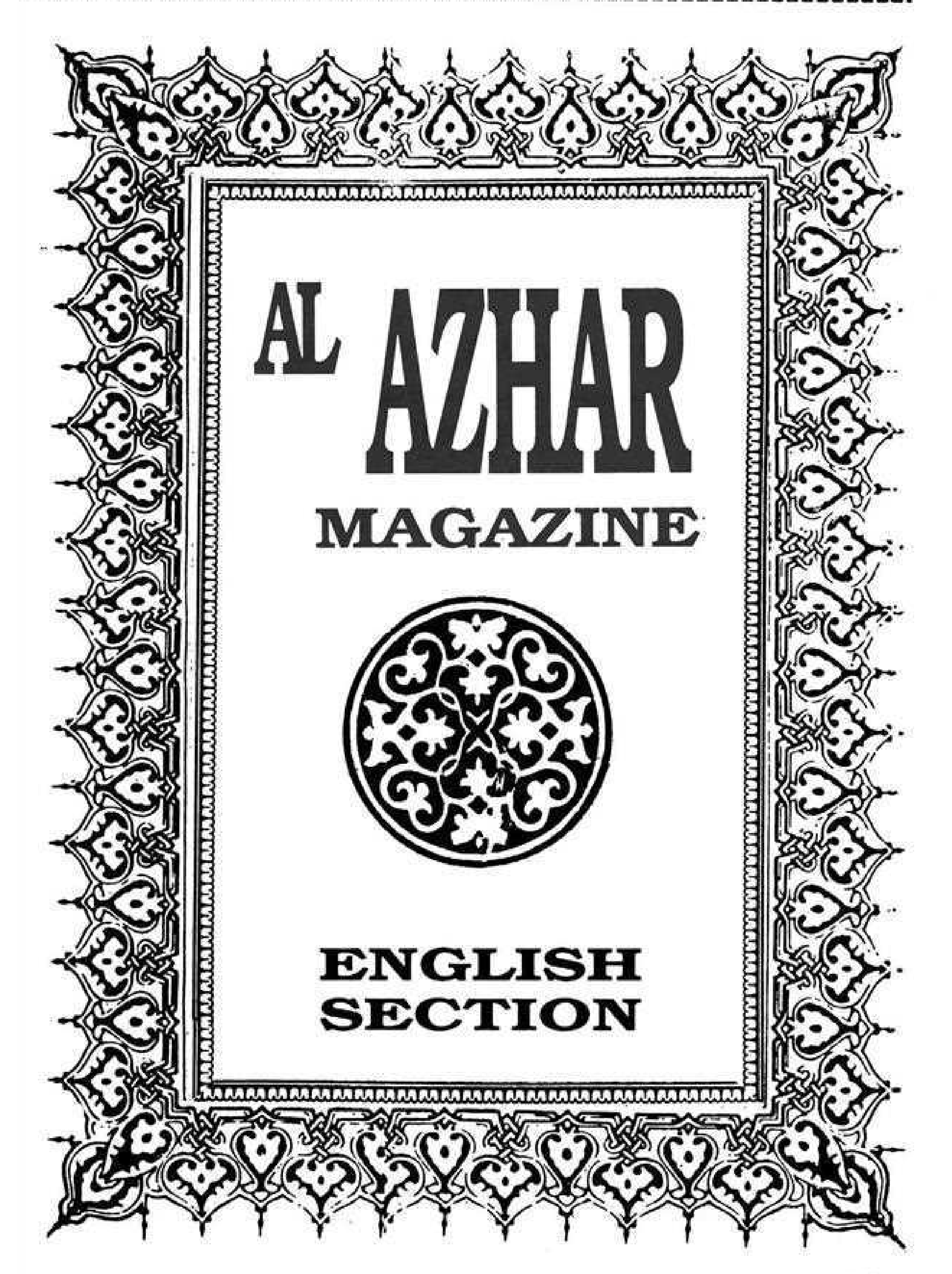
AL AZHAR
MAGAZINE
ENGLISH
SECTION

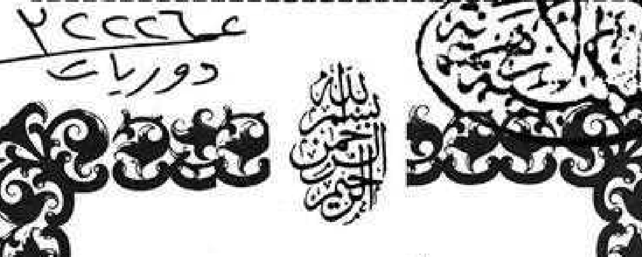

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين

أرض السهول البيضاء

هى تلك السهول البيضاء التى امتدت من بين أيدينا ومن خلفنا إلى مرمى البصر ، حتى لا تلمح لها أفقاً بين السماء والأرض ، لقد التحمتا لتكون علبة من (بللور) رائع الجمال ، ذات برودة منعشة صاحبت وفد الأزهر الشريف إلى نهاية رحلته ، فى الثانى والعشرين من رمضان المبارك عام ١٤١٢ هـ .

إن « روسيا » تشكل جزءاً من هذه الأرض الطيبة ، وما من شك فى أنها « أرض طيبة » ، برغم ما قطّب الشيوعيون من وجهها بالدماء ، وما لوثوا به ظهورها من قمع واضطهاد .

يحدثنا الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون العام وعضو وفد الأزهر عما كان الاتحاد السوفيتى من تنظيم فكتب بمذكرته يقول :

تشكــل « الاتحاد السوفيتـــى » خلال القرنين : التاسع عشر والعشرين من عدة شعوب مجاورة لروسيا ذات قوميات وأديان مختلفة دون نظر إلى عناصر الوحدة ، أو التشابه بين هذه الشعوب والشعب الروسى .

وكان النظام السياسى لهذا الاتحاد يختلف فى علاقاته القانونية والسياسية مع هذه الوحدات :

فبعضها كان يعطيه شكل الدولة المستقلة ، كما فعل بـ « روسيا البيضاء » و « أوكرانيا » حتى يكتسب فى المجمع الدولى والمنظمات الدولية أصواتاً تسانده فى تحقيق أهدافه ، مع حرية فى الحركة لا تتوفـر لجمهوريات أخرى .

وبعضها جعله جزءاً من جمهورية روسيا ، لا يزال يعرف باسم « روسيا الاتحادية » وهى الوحدة الكبيرة من بين هذه الوحدات .

والجزء الأخير كان يعطيه شكلاً ما من أشكال الاستقلال فى تنظيم أوضاعه الداخلية مع الخضوع للسلطة المركزية لروسيا فى السياسة الخارجية والدفاع والأمن والعديد من الأمور الاقتصادية » ا.هـ .

وشاء الله الرءوف الرحيم أن يرفع عن هذه الأرض الطيبة كبول أغلالها ، وأسقامها ؛ فَيَنفَضُّ هذا الاتحاد ، وتبدو ـ للناس ـ روسيا الشيوعية عارية عن كل ما صَنَعَهُ خبراء إعلامها من أغلفة براقة أشبه بالزجاج فوق جثة « لينين » بما فيها من إثْم وعفن .

أئمة من القوقاز

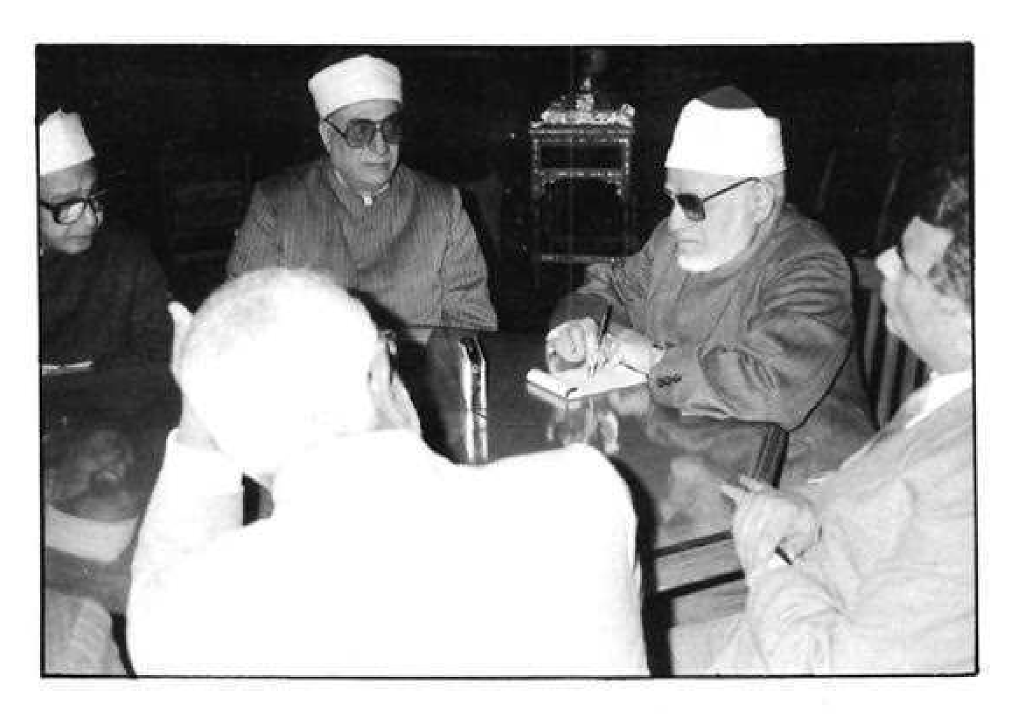

فضيلة الإمام الأكبر أثناء اجتماعه بالوفد ظهر السبت ٢٩ من شعبان سنة ١٤١٢ هـ

ومع ذلك رأى المسلمون فى كل دولة من هذا الاتحاد السابق أن يقوا على القليل الذى لا بد منه لتستطيع كل دولة كانت به أن تقوم على قوة بلا عدوان ، وسلطة بلا بطش ، وسيادة لا يعبث بها الآخرون ، و (مُواطِن) بلا إذلال ولا ضغوط .

رأوا لـ « موسكو » شيئاً ، ولهم أشياء :

فالمجتمع كله لا يزال يعانى من مشاكل ليست هينة ، فى مقدمتها ـ كما قال السيد/ جيندى فيلشين[1] Genndi Filahin :

« أسجل الآن أن الأسعار الحالية للروبل غير حقيقية » ا.هـ ولقد لمسنا اضطرا بها بشكل مباشر حين طوفنا بالجمهوريات الثمانية التى نزلناها فكان السعر الرسمى لشراء (الدولار) فى البنوك الرسمية مختلفاً جداً حتى ليتراوح علواً وهبوطاً ـ فيما بينها ـ بما لا يقل عن عشرين إلى خمس وعشرين فى المائة .

على أن سياسة التعاون ـ وقد نهجها المسلمون ـ قائمة ليتوفر قدر أكبر من الاستمرارية والاستقرار فى تحسين الأوضاع الداخلية والعلاقات الخارجية تقدمه تلك الجمهوريات المستقلة ، فتم فيما بينها جميعاً التوقيع على ثمانى (بروتوكولات) تتعلق بأهم مجالات الحياة ، وعلى رأسها تلك المتعلقة بالاقتصاد فى علاقاته الخارجية ، منها ـ على سبيل المثال :

التزام جميع الجمهوريات بتنفيذ جميع التعاقدات والالتزامات الخاصة بـ « الاتحاد السوفيتى » وسداد ديونه الخارجية .

(١) جيندى فيلشين عمل وزيراً للعلاقات الاقتصادية الخارجية لجمهورية روسيا الاتحادية ، وحضر ـ فى القاهرة ـ ندوة « العلاقات الاقتصادية » بين مصر والاتحاد السوفيتى فى ١٩٩١/١٠/١٩

عضوا الوفد السعودي الذي انضم إلى وفد الأزهر في موسكو
الدكتور عبدالله المصلح إلى اليمين وإلى يمينه الدكتور حميد

ومنها : أن تكون السياسة (الضريبية) و (الجمركية) موحدة ... إلخ .

وما من شك فى أن المسلمين هم أصحاب اليد الفضلى والأسرع تحقيقاً لهذا الإصلاح ، ولنأخذ ـ بين يدى ذلك ـ هذه الحقائق لنرى من خلالها الكثافة الإسلامية لنعلم مدى تأثيرها :

فبينما نجد نسبة المسلمين إلى غيرهم فى جمهورية تشيركسك) (٥٠٪) فى المائة ، نجدها مائة فى المائة (١٠٠٪) فى كل من جمهوريتى (الأنجوش) و (الشيشان) فمواطنو الجمهوريتين مسلمون جميعاً ، ويمثل المسلمون فى جمهورية (داغستان) (٨٠٪) ثمانين فى المائة ، وفى (قبرداى بلقار) (٧٠٪) سبعين فى المائة ، وفى (بشقار تستان) (٥٥٪) خمس وخمسين فى المائة .. وكلها من جمهوريات روسيا الاتحادية .

ومن جمهوريات وسط آسيا (أوزبكستان) ونسبة المسلمين فيها إلى غيرهم (٨٦٪) ستوثمانون فى المائة .

وهذه ـ جميعاً ـ جمهوريات زارها وفد الأزهر ؛يمكن للأزهر الشريف تقدير حجم المبعوثين إليها من علمائه ووعاظه ومدرسيه .

لذا ـ ومع الاحتياط الشديد ـ لم يكن التقدير الكلى العام لنسبة المسلمين إلى غيرهم من مواطنى الجمهوريات جميعاً ، وقدره (٦٥٪) خمس وستون فى المائة ـ مبالغاً فيه .. فإلى المسلمين يرجع الفضل ـ بعون الله ـ فى تحقيق هذا التقدم السابق فى الإصلاح .

وإذا كنا ـ فى هذا المقال نعنىٰ ببسط الأحوال العامة لهذه الجمهوريات فينبغى أن نلاحظ قدر الإمكان ـ عدم التعميم إلا فيما أمره ظاهر ؛ فإن الوفد لم يزر كل جمهوريات الاتحاد السابق حتى يعطى القول الفصل فى هذه الأحوال .

من هنا يمكن أن نقول :

إن تعداد السكان غير متناسق بالنسبة لكل الجمهوريات ؛ فبينما هو نحو (٤٣٤٠٠٠) أربعمائة وأربع وثلاثين ألف نسمة فى (تشيركسك) إذا هو فى (أوزبكستان) (٢١,٠٠٠ ٠٠٠) واحد وعشرون مليون نسمة ، وفى (تتارستان) (٤,٠٠٠ ٠٠٠) أربع مليون نسمة ، وقد لا تجد ربحاً للقوميات فى كثير من الجمهوريات ؛ لكنها فى (تشيركسك) (١١١) مائة وإحدى عشرة قومية ، ومن المفارقات أن تعداد هذه الجمهورية (٤٣٤٠٠٠) أربعمائة وأربع وثلاثون ألف نسمة كما سبق .

وقد تتعدد اللغات فى إحدى الجمهوريات فنجدها فى (داغستان) ستاً وثلاثين لغة .

ومن العجيب أن هذه الجمهورية ، جمهورية (الداغستان) كانت لغة أهلها المتداولة قبل الثورة الشيوعية هى اللغة العربية ، ولا تزال لهم مؤلفات محفوظة بها .

•••

ولنلق نظرة على التعليم :

إنه ـ باختصار ـ حتى يومنا هذا خاضع للبرنامج الشيوعى ؛ فإنه لا يتوقع أن يتم التغيير بين يوم وليلة .

إن إصلاح التعليم ـ بهذه البلاد ـ يقتضى مالاً ومنهجاً ، وتعديلاً فى القانون حسب اختيار كل جمهورية ، لكن ثمة نشاطات إسلامية طيبة فى كثير من

فى الصورة جزء من الوفد مساء النزول بمطار موسكو

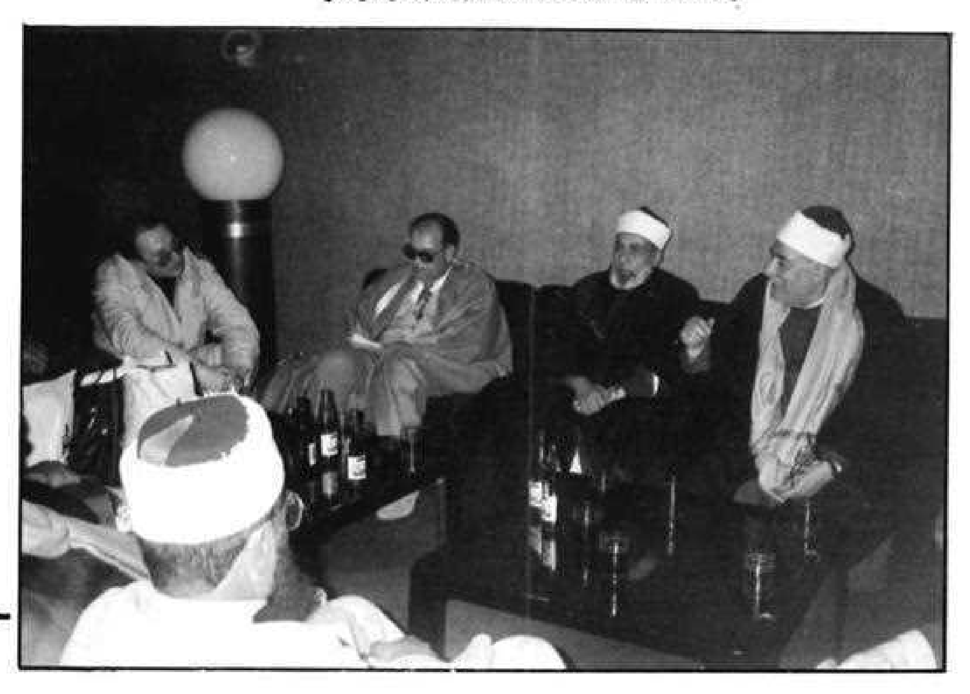

يبدو فى الصورة جزء من الوفد أثناء تأدية صلاة الجمعة

بلدان روسيا الاتحادية وغيرها .

فما من قرية أو مدينة نزلنا بها إلا وجدنا المسلمين ينشئون فيها المسجد وبجانبه مدرسة خاصة بتعليم الدين والعربية ، وبعضها ـ كما فى جمهورية (قبرداى بلقار) بنى مجمع إسلامى لتخريج الأئمة والدعاة ، وفى جمهورية (الأنغوش) وفى عاصمتها (نُزران) معهد إسلامى له مبنى خاص من طابقين ، وبهذه الجمهورية خمس مدارس للعلوم الإسلامية والعربية ، ويجرى بها ـ حديثاً ـ إنشاء مركز إسلامى يشمل مسجداً ومدرسة وإدارة دينية . وفى (الشيشان) معهد إسلامى هو معهد (الإمام الشافعى) ـ رضى الله عنه ـ يدرس فيه أربعمائة طالب ، وبكل قرية من قراها الأربعمائة مدرسة لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية .

وفى (جُرُوزنى) عاصمة (الشيشان) يقام ـ حالياً ـ مركز إسلامى ... ويمكن أن نعد من ذلك الكثير ، لكنْ ثمة أمران :

الأول : وجود القانون الإلزامى الذى يلزم الطفل بالتعلم حتى نهاية المرحلة الثانوية ، الأمر الذى يترتب عليه أن تعمل المدارس الإسلامية مساء فى فترات ما بعد الدراسة الرسمية حيث الوقت ضيق والواجبات كثيرة .

الثانى : أنه لا توجد (الكوادر) الفنية فى تعليم الدين والعربية من أبناء البلاد التى يمكنها مزاولة العمل بدقة ونظام وحسن أداء على المستوى المطلوب فى هذا الوقت الضيق أو غيره .

وهذا وذاك أمر أصبح له فى الأزهر الشريف دراسة خاصة ظهرت بعض نتائجها سريعاً ... والحمد لله ـ تعالى ـ نعم المعين .

د. على أحمد الخطيب

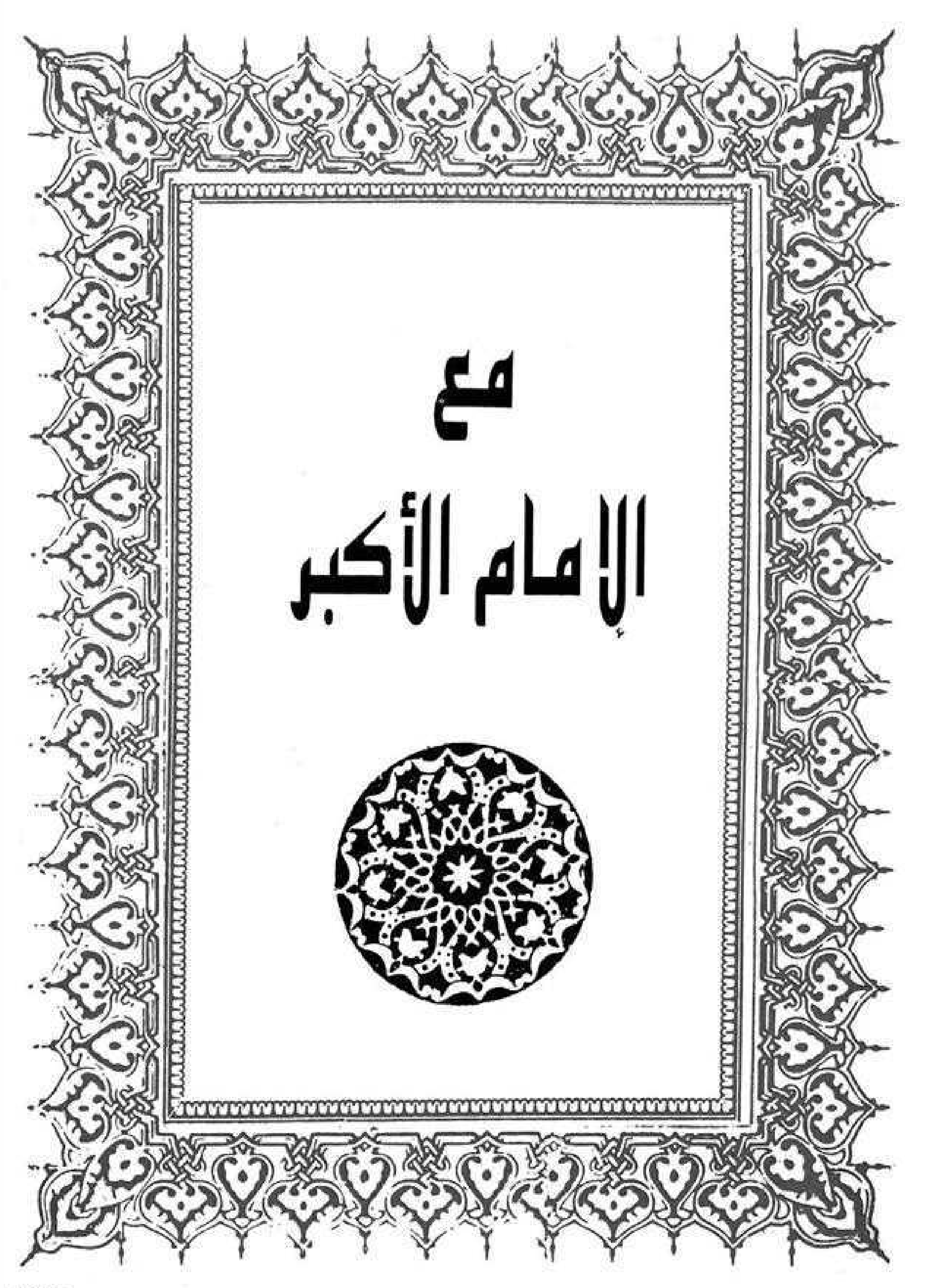

مع الإمام الأكبر

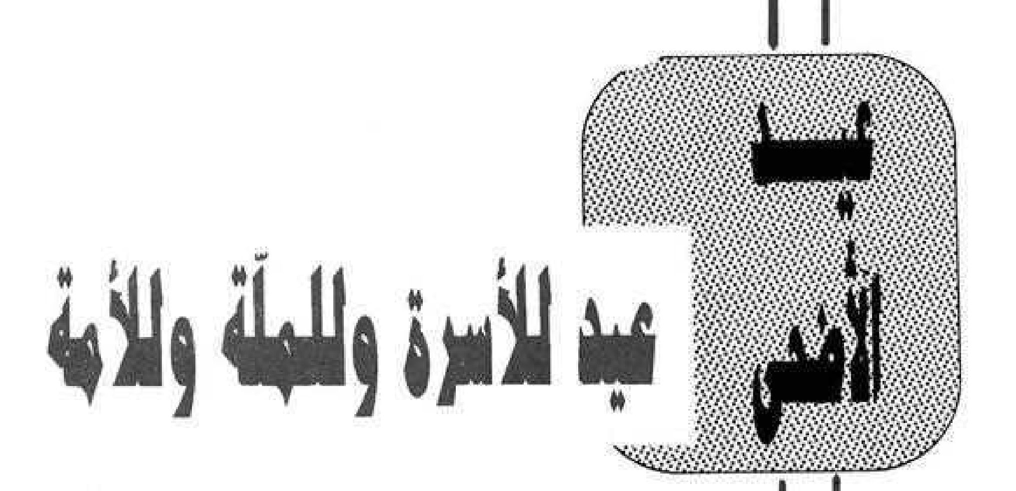

هذا العيد يوم من أيام الله تتسامى فيه المشاعر ، وتتوافد التضحية لله . عيد الأضحى أجل الأعياد خطراً وأبلغها أثراً فى حياة المسلمين ، وأظهرها فى نفوسهم دلالة ، لقد تجلت فيه مبادىء الإسلام وغاياته .

جاء هذا العيد وكأنه موجة من النور الهادى فى خضم هذا الزمان المضطرب ، وفترة من السلام الإلهى بين هذه الخطوب التى تموج فى جنبات ديار المسلمين وتضطرم بها الأحاسيس والشواغل .

انه نفحة من نعيم الله تندى لها القلوب اليابسة بالود الخالص وبالبر المحض ، وسبب يصل بين الغنى والفقير بالإحسان ، وبين القريب والبعيد بالمودة ،وبين القوى والضعيف بالرحمة ، وبين الله والإنسان بالصلاة ، وبين ضيوف الرحمن فى الحج بالحمد والشكر لله الذى اتم نعمته .

هذه الأعياد الإسلامية الدينية ما أشد حاجتنا – نحن المسلمين – إلى أن نفهمها فهماً سديداً جديداً نتلقاها ، ونأخذ أنفسنا فيها بفكر يليق بها حتى تكون أياماً سعيدة ، عاملة ، تنبه فينا ما خمد من أوصافها القوية . وتجدد فى نفوسنا معانيها السامية ، وتدفعنا إلى التفكير فى صدق القول السائر : دوام الحال من المحال – فنعمل على تغيير ما وقر فى النفوس من كساد وما استقرت فيه من فراغ ، حتى صار أكبر همها تجديد الثياب ، واتساع ابتسامة النفاق .

العيد – فى الإسلام – هو المعنى الذى يكون فى اليوم وليس اليوم نفسه .

ذلك أن معنى العيد فيه انبعاث وجود الأمة وحضورها الروحانى فى أجمل المعانى واثبات ذاتيتها بدلاً من اثبات وجودها الحيوانى فى أبرز معانيه .

إنه معنى إشعار الأمة بأن فيها قوة تغيير الأيام بدلاً من ركونها واستكانتها إلى أن الأيام قد تغيرت وأن المسيرة قد تعثرت ، حتى صارت حياة الأمةفرقاً متناحرة وعصبيات متشاجرة ، وربما متقاتلة .

نرقب أن يكون هذا العيد يوماً أو أياماً تعرض فيه أمة الإسلام جمال نظامها الاجتماعى وتكافلها فى المهمات والملمات ، فيكون الشعور الواحد فى قمة الوجود فى نفوس كافة شعوبها تتعاطف وتتعاون على دفع الكروب التى أحاطت بالأمة من كل جانب ، والخطوب التى خطت على أرضها ففرقتها بعد ان كانت معتزة بتجمعها .

ليس العيد إلا أن تكون كلمة الأمة واحدة تجاه تلك النوازل المتواثبة ، فتشعر بالقدرة على وقف تلك الاحداث وتغيير مسارها إلى صالحها لا القدرة على تغيير الثياب .

الإسلام يدعو أمته إلى أن تتسع روح الحوار وتمتد ، فيتحقق الإخاء عملاً ، وتظهر فضيلة الإخلاص مستعلنة للجميع .

عيد الأضحى هو عيد الأسرة والمِلّة والأمة يُفيض المودة والبهجة فى البيوت ، ويجدد الألفة والمودة فى الوطن ، ويكون سفير التعارف والتآلف بين الأخوة وفود الرحمن فى عرفات – ينبغى أن يكون العيد صوت القوة الذى يهتف بهذه الأمة أن اخرجى من أتراحك وخذى العدة ليوم النصر فى التقاء الكبار بالصغار معنى الفرح بالحياة الناجحة النامية بنمو هذه البراعم ، المتقدمة فى طريق التخلص من الأوزار والأوضار ليكن فى عيد الأضحى تضحية بالأهواء ، وبعد عن الانطواء والقطيعة واللدد فى الخصومة ، وتقارب وتوافق على ما ينفع الأمة وعلى ما يرفع هذه الغمة والتى طمت وعمت ساحات المسلمين حتى لا نكاد نجد وطناً مسلماً غير مبتلى بالغدوان عليه وليكن عيد الأضحى مُعلّما للأمة كيف توجه وتقود نفسها بقوتها وبكلمتها وبوحدتها حركة الحياة إلى معنى واحد – كلما شاءت – تتغياه ، حيث وضع لها الإسلام قواعد النجاة وضرب لها الأمثال .

ليت هذا العيد يشهد التقاء القادة والزعماء لهذه الأمة ، لقاء عمل نقى وإلى عهد يتعاهدونه أن ينحوا فرقتهم وينهوا غربتهم عن وحدتهم ويتدارسوا كيف يقودون أمتهم إلى حياة عزيزة رشيدة تخلو من ذل

السؤال ومن وصمة الاستذلال تتساند فى البأساء والضراء ، وتتعاون على البر والتقوى فهذا هو طوق النجاة من الأوحال التى غاصت فيها الأمة ، فتثقلت أقدامها عن مسيرة الحياة كأمة لها مجدها وتاريخها ، وتثاقلت فى السباق حتى اسْتُبِقَتْ ، وأنَّى للكسول أن يكون مقداماً وللخوَّار أن يكون شجاعاً ، وما كان العهد بها فقد قادها الإسلام إلى عز العلوم والمعارف وأحيا التحديث والتجديد لما خمد من أسباب القوة وأساليب الحياة الشريفة .

إنها دعوة من الأزهر الشريف إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء لأمة الإسلام وإلى من يعاونونهم من الزعماء والقادة أن يضحوا فى هذا العيد بكل العوامل التى فرقت كلمتهم وزرعت التباغض فيما بينهم وأن يحيلوا ليل هذه الأمة الدامس نهاراً وضيئاً مضيئاً مليئاً بالأمل وبالعمل وعندئذ تنجلى عن الأمة هذه الغمة ، ويعلو قدرها ، وتنكف عن أرضها وعن عرضها هذه الذئاب العاوية . إن الشعوب المسلمة ترقب بأمل يوم عيد الأضحى لترى هذا الأمل عملاً مرئياً بالأبصار ، بدلاً من برقيات التهانى (البروتوكولية) التى لم تكن من تقاليد الإسلام ولا من سلوك المسلمين وانما كان هذا (البروتوكول) من وسائل التغريب التى وفدت فقطعت الأواصر وحجبت سبل المصارحة .

إن رسول الله ـ ﷺ ـ حذّر المسلمين من القطيعة ومن الخصام لأكثر من ثلاث ليال وبشر بأن خير المتخاصمين هو الذى يبدأ بالكلام أو بالسلام .

ومن أقوال رسول الله ـ ﷺ ـ الآمرة : الدين النصحية قالوا لمن يا رسول الله . قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وها هو الأزهر الشريف يرفع نصحه إلى أئمة المسلمين وأولياء أمورهم : أن التشرذم والتقاطع والتدابر قد أحال الأمة إلى أشلاء حتى سهل على ذئاب البشر اقتناصها متتابعة وحتى كاد أن يقول قائلها معاذ الله : انج سعد فقد هلك سعيد .

وفى العيد المجيد عيد الأضحى والتضحية والفداء أهنىء ـ باسم الأزهر الشريف ـ أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الأمة الإسلامية وحكوماتها وشعوبها بهذا العيد وأدعو الله أن يعيده فأل سرور وسعادة مصحوباً للأمة بالحسنى وزيادة وأمل تهيير طرق النجاة والسير بها إلى عز الحياة والهيبة ، وما النصر إلا من عند الله ، فخذوا بأسبابه وأجمعوا أمركم (والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

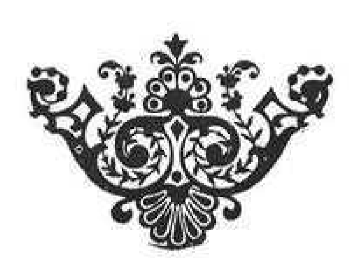

بيان من الأزهر الشريف :

الدعوة إلى صلاة الغائب على أرواح شهداء البوسنه والهرسك

ما تزال الأنباء تترى عن تصاعد المحن التى ابتلى بها المسلمون فى مختلف أنحاء العالم .. ولا سيما هذه المحنة الحادة فى جمهورية البوسنه والهرسك حيث أشعلت القوات الصربية ومعها الجيش الاتحادى النيران فى منازل المسلمين وفى المنشآت الحيوية واستهدفت البشر فقتلت وجرحت المئات .. ولقد توارت أو انسحبت قوات الأمم المتحدة وتوقفت الوساطة بين المتقاتلين من كافة الجهات الدولية المسئولة والمؤثرة ..

وان الأزهر الشريف ليأسف لهذه الحال التى آل اليها التعامل الانسانى حتى على مستوى المنظمة الدولية بكافة هيئاتها .. فقد بدا على تصرفاتها التراخى والإهمال لهذه الأحوال ، الأمر الذى يدعو الأمة الاسلامية بكافة شعوبها الى أن تستبصر أمورها وتسارع الى التضامن فى مواجهة هذه الأحداث ونجدة أولئك المضطهدين فى أوطانهم واغاثتهم بما يحفظ عليهم حياتهم وديارهم ..

وانه وقد سقط المئات وربما الآلاف من الشهداء فإن الأزهر الشريف ـ عملا بسنة رسول الله ـ ﷺ ـ يدعو كافة الشعوب الاسلامية إلى أداء صلاة الغائب على أرواح شهداء الشعوب الاسلامية التى تواجه هذه المجازر البشرية والاضطهاد فى أوطانها وهذا عقب صلاة الجمعة الموافق ١٩ من ذى القعدة ١٤١٢هـ ٢٢ من مايو ١٩٩٢م طلبا لرحمة الله لهم ولأمتهم التى حاقت بها الصعاب .. والهوان والتشرد ، بعد أن تفرقت كلمتهم وتنازعوا فى أمورهم ، ورجاء أن يؤلف الله بين قلوب المسلمين ويوحد صفوفهم فى الحياة كما يتوحدون فى الصلاة ودعاء أن يمد الله هؤلاء المضطهدين بنصره وتأييده .

وصلاة الغائب مشروعة سنها رسول الله ـ ﷺ ـ ، وتجوز على الغائب فى بلد آخر سواء أكان قريبا أم بعيدا وان لم يكن البلد الذى به الغائب جهة القبلة .. فقد روى الشيخان عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ صلى على أَصْحَمَةَ النجاشى فكبر عليه أربعا وفى لفظ قال توفى اليوم رجل صالح من الحبش ، فهلموا فصلوا عليه ، فَصُفِفْنَا خلفه ، فصلى رسول الله ـ ﷺ ـ عليه ونحن صفوف ..

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم ، وأن ينصر عباده ويلهمهم الأخذ بأسباب النصر ..

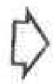

الأزهر الشريف يدعــو

الدول الإسـلاميـة وكـافـة هيئـات الاغـاثـة فى العـالم الإسـلامى

لقد تواترت الأنباء عن عدوان الصرب اليوغسلاف على جمهورية البوسنه والهرسك — وتدمير المساكن وقتل الاطفال والنساء والشيوخ والتخريب المستمر للمرافق من خطوط المواصلات والكهرباء ووسائل الاتصالات ، وحجب المعونات الطبية والغذائية عن الجرحى والمرضى والفارين من العدوان .

وإن الأزهر الشريف ليأسف لهذه الأحداث التى تجرد أصحابها عن إنسانيتهم — وتخلوا عن الرحمة التى يجب أن تحفظ الضعفاء وتنأى بهم عن الأذى والعدوان .

ولقد زاد قلق الأزهر الشريف آشفاقا على هؤلاء المسلمين المستضعفين فى بلادهم بعد إذ أعلنت أمانة الأمم المتحدة عن تراخيها فى إرسال قوات حفظ السلام فى هذه الجمهورية (البوسنه والهرسك) حالة أن لها قوات هرعت الى مواقع أخرى من جمهوريات يوغسلافيا المنحلة .

ثم أين جهود مجموعة الدول الاوربية ومنظمتها فى حماية أرواح وممتلكات هؤلاء المسلـــمين المستضعفين الجيران ، وحقوق الجوار مقررة فى كافة الأديان والمواثيق الدولية .

ولقد سارعت مجموعة الدول الاوربية الى التدخل فى جهات أخرى فى يوغوسلافيا لكنها توقفت عن بذل أى جهد فى البوسنه والهرسك .

إن الأزهر الشريف ليهيب بالدول الاسلامية أن تبادر الى بذل جهدها لحماية سكان جمهورية البوسنه والهرسك مما حاق بهم والعمل على دفع هذا العدوان واغاثة هؤلاء المنكوبين والفارين من جحيم العدوان .

وان الازهر الشريف ليدعو كافة هيئات الاغاثة فى العالم الاسلامى الى المسارعة الى هذه الجمهورية أداء للواجب الانسانى والاسلامى نحو أهلها فى مواقعهم .

ويدعو الازهر الشريف منظمـــة المؤتمر الاسلامى أن تبذل جهدها فى متابعة الدول الاسلامية للعمل على إنهاء هذه المحنة مع الاعتراف باستقلال جمهورية البوسنه والهرسك .

ويدعو أمانة منظمة الأمم المتحدة الى سرعة اتخاذ إجراءاتها نحو إرسال قواتها لحماية سكان هذه الجمهورية تطبيقا لمواثيقها وان تكثف جهودها لتزويدهم بمواد الإغاثة والإعاشة والمواد الطبية ومهمات الإيواء للمشردين والمطرودين والمطاردين .

ويقدر الأزهر الشريف مبادرة الخارجية المصرية نحو الاعتراف باستقلال هذه الجمهورية ويأمل أن تبذل مساعيها الحميدة مع الدول العربية والاسلامية الشقيقة ومع الدول الصديقة نحو الاعتراف بها كذلك وتقديم العون لها فى محنتها .

ومرة اخرى يأمل الأزهر الشريف أن تقدر منظمة الأمم المتحدة مسئوليتها نحو المسلمين والكروات بالعمل على وقف تلك المذابح الدائرة فى بلادهم من جيش الدولة المنحلة وانقاذ المسلمين والكروات من العمل غير الإنسانى الموجه اليهم والمستمر باصرار ضد مبادىء حقوق الانسان وكرامته ولتراجع هذه المنظمة موقفها وتسارع الى انقاذ وحماية الأرواح والممتلكات المستهدفة من قوات الجيش الاتحادى .

***

نداء ورجاء من الأزهر الشريف إلى المجاهدين الأفغان

نحمد الله الذى صدق وعده وأعز جنده الذين صبروا وصابروا وثابروا على جهادهم لتحرير أفغانستان مما ألم بها من عدوان ليس على أرضها فحسب وانما على دينها الاسلام ويحيى الأزهر الشريف هذا الجهاد ويهنىء جميع المجاهدين أفرادا وقادة على تنوع فئاتهم ، فالكل كان فى ساحة الجهاد لهدف واحد هو تحرير البلاد ورد كيد المعتدين ودحر العدوان .

ولنستمع الى ثناء الله سبحانه وتعالى وتوجيهه الى المجاهدين مع الرسول — ﷺ — وأمره سبحانه أن يكونوا لبعضهم أولياء ونصراء ذلك قول الله تعالى فى سورة الانفال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾

فلتكونوا أيها المجاهدون الأفغان وقد ارتفعت أعلامكم المنتصرة أولياء بعضكم لبعض ، ولا تكونوا متفرقين ومتحاربين كما تواردت الأنباء التى أحزنت شعوب الأمة الاسلامية ، التى تخشى أن تضيع دماء الشهداء ويندثر جهادكم باسم شعب أفغانستان ، ويذهب بهاء ورواء النصر بهذا التناحر والشجار فيما بينكم .

إن الازهر الشريف يدعوكم باسم الاسلام الذى جاهدتم لرفع رايته فى وطنكم أن توقفوا كل

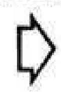

فرقة والا تستمعوا لمن يسعى بينكم بالوقيعة التى حذرنا القرآن من آثارها المدمرة ـــ فقال الله سبحانه فى سورة الانفال « .. وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » ونصح القرآن بالحق والصواب فى قول الله سبحانه فى سورة آل عمـــران (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) ..

وليكن جهادكم لله سبحانه إخلاصا لدينه الاسلام ووفاء لشعب أفغانستان المسلم فقد وعد الله سبحانه = ووعده حق وصدق = أن يهدى المجاهدين المخلصين سبل الرشاد حيث قال فى ختام سورة العنكبوت « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

والأزهر الشريف وهو يحسب أن جهادكم كان لله وفى الله ليدعو الله سبحانه أن يكون معكم يؤلف بين قلوبكم ويوحد صفوفكم ، ويشد من أزركم لتعيدوا ترتيب أمور بلدكم ، ولتوفروا قدراتكم فى جهاد آخر هو إعمار ما تخرب من المرافق والمساكن والمزارع والمصانع والمدارس .

تواضعوا لله ايها المجاهدون وأنتم أعرف بمعنى قول الله سبحانه وتعالى فى ختام سورة العنكبوت (.. وانَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) فأحسنوا نياتكم وأعمالكم لله وأوقفوا كل خلاف وتجاوروا وتشاوروا تنفيذا لقول الله سبحانه (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) .

واقتداء بما فعـل أصحـــاب رسول الله ـــ ﷺ ـــ يوم سقيفة بنى ساعدة واختيار أول خليفة لرسول الله ـــ ﷺ ـــ أبى بكر رضى الله عنه ولا تتقاتلوا وتزيدوا من مساحة الدمار والخراب والخلاف والتشرذم ، فيشمت بكم الأعداء .

إن العالم كله ليترقب صدق جهادكم ، فلا تنكثوا بما عهد به الشعب الأفغانى إليكم أن تحرروا أرضه وأن تحموا عرضه وترفعوا راية دينه الاسلام ، إنها أمانة وان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .

وإن الأزهر الشريف ليوجه الرجاء إلى كافة الحكومات الاسلامية لتبادر الى الاعتـــراف بالحكومة الشرعية فى أفغانستان تمكينا لها من تسيير أمور الشعب والدولة وتأييدها وتزويدها بالنصح لتتعرف الطريق الصحيح للتغلب على الخلافات .

إن الازهر الشريف ليأمل أن يبادر الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى الى العمل ـــ على ازالة أسباب الخلاف بين فصائل المجاهدين الأفغان وحث دول المنظمة بل وشعوبها على تقديم كل عون لإعادة بناء أفغانستان ومساعدة المهاجرين منهم إلى العودة إلى ديارهم لاعمارها وحمايتها .

أيها المجاهدون الأفغان إن ثمرة مشقة جهاد أربعة عشر عاما ينبغى أن تصان وأن تكون حافزا على التعالى فوق كل غرض أو هوى فكونوا يدا واحدة ، وفكروا وقدروا أنكم مستهدفون وأن فرقتكم تشعل النار مرة أخرى فى أفغانستان ، وإذا كانت رحمة الله ونصرته قد حلت بكم وتكلـــل جهادكم برضا الله ورضوانه كان عليكم الشكر لله الذى أعانكم ولا يكون هذا الشكر إلا بالامتثال لأمر الله فى قوله تعالى : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » والتوقف عندما نهى عنه : « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

الأزهر الشريف يهيب

بمنظمة المؤتمر الإسلامى ومنظمة الأمم المتحدة

إن الحوادث المؤسفة التى وقعت فى المسجد الأقصى أمس من العصابات الاسرائيلية التى هاجمت المسجد ومن القوات الاسرائيلية التى داهمت الفلسطينيين الذين يدافعون عن المسجد وملحقاته فقتلت منهم العشرات وأصابت أكثر من الف نفس .

هذه الحوادث المؤلمة التى تدل على أن الاسرائيليين على مختلف مستوياتهم قد تخلوا عن الانسانية ، وأن الحكومة الاسرائيلية قد خرقت المواثيق الدولية التى تؤكد على الحفاظ على حقوق الانسان واحترام دور العبادة وحمايتها وهى بهذا العمل قد شاركت فى انتهاك حرمة المسجد الاقصى ، ولم تحترم شعور مليار مسلم من كافة شعوب الأرض .

وإن الأزهر الشريف ليستنكر هذه الأفعال الهمجية المؤسفة التى لم ترع حق الله ولا حق الناس .

ويهيب الازهر الشريف بمنظمة المؤتمر الاسلامى أن ترفع أمر هذه الحوادث الشنيعة الى منظمة الأمم المتحدة بكافة هيئاتها لتنظر فى هذا الجرم الفظيع الذى ارتكبته إسرائيل حكومة وشعبا .

كما يهيب بمنظمة الأمم المتحدة التى أقامها العالم حفاظا على الحقوق الانسانية والمقدسات لدى كافة الشعوب ، أن تضطلع بمسئوليتها تجاه هذا العدوان الاثيم .

كما يهيب الازهر الشريف بالدول الخمس الكبرى صاحبة الرأى الحاسم فى مجلس الأمن أن تتضافر جهودها فى رد هذا العدوان بالاجراءات الحازمة الحاسمة التى تحمى مقدسات المسلمين فى الأرض المحتلة وفى فلسطين وتحمى الفلسطينيين من هذا العدوان الاثيم .

كما يهيب الأزهر الشريف بالشعوب الاسلامية والحكومات أن يتخذوا موقفا موحدا إزاء هذا العدوان على المسجد الأقصى والذى قتل وشرد الأنفس البريئة التى تدافع عن المقدسات والحرمات .

ويحث الازهر الشريف الحكومات أن تدعم الشعب الفلسطينى فى القدس والأرض المحتلة .

كما يهيب الأزهر الشريف بالفلسطينيين بالقدس والأرض المحتلة أن يثبتوا فى مواقعهم ولا يتخلوا عن أرضهم ولا عن مقدساتهم مدافعين عنها ولو بأجسادهم ولا يوهن من عزمهم ذلك الخلل الذى بدا فى صفوف الأمة العربية والاسلامية فلعل ما حدث فى القدس يكون دافعا لجمع كلمة العرب والمسلمين ووحدة صفهم للدفاع عن مقدساتهم وكافة حقوقهم .

وعلى الفلسطينيين فى القدس والأرض المحتلة ان ينزلوا عند حكم الله سبحانه فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

أموال القصر فى المجلس الحسبى هل عليها زكاة ... ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ..

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كتاب من خال أولاد قصر (ن ـ د) متضمنا :

أنه يوجد أطفال قصر كل أموالهم بالمجلس الحسبى الذى يصرف لهم شهريا قدرا لا يكفيهم فلولا أن من ذوى قرابتهم من يوالى امدادهم بالمال لضاق أمرهم ــ فهم عموما ــ هذا معروف ــ لا يملكون التصرف فى أموالهم وليس لهم أموال خارج المجلس الحسبى ولا يستطيعون التصرف حتى بلوغ السن القانونية هل على أموالهم زكاة ؟

واذا كانت هناك زكاة فكيف تزكى والمال هكذا ؟

هذا مع ملاحظة :

١ ــ أن الأموال سائلة .

٢ ــ وأن هذه الأموال السائلة تودع بمعرفة المجلس الحسبى فى البنك ولا يصرف عنها أى عائد ولا فوائد .

والجــواب

الزكاة ركن من أركان الإسلام ، وفرض عين على كل من توافرت فى أمواله شروط الزكاة . ودليل فرضيتها ثابت بالكتاب والسنة والإجماع من هذا قوله تعالى :

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

---

(١) الآية رقم ٤٣ من سورة البقرة

وما رواه ابن عباس — رضى الله عنهما — أن النبى — ﷺ — لما بعث معاذا إلى اليمن كان مما أوصاه بإبلاغه للناس (أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم) .

وقد أجمع المسلمون على فرضية الزكاة ، وأنها تجب فى كل أنواع المال بشروط ومقادير محددة لكل نوع . وأهمها :

أن يبلغ المال النصاب الشرعى .
وأن تكون ذمة مالكه خالية من الدين .
وأن يكون مدخرا فائضا عن حاجته المعيشية وحاجة من يعوله ، وأن تمضى عليه سنة .

والنصاب الشرعى — أى الحد الأدنى للمال النقدى الذى تجب فيه الزكاة بعد استيفاء باق الشروط — هو ما تقابل قيمته بالنقود الحالية قيمة (٨٥) جراما من الذهب عيار (٢١) ويلزم مراعاة سعر الذهب وقت وجوب الزكاة ، فاذا ملك المسلم هذا النصاب أو أكثر منه وجبت فيه الزكاة بمقدار ربع العشر أى ٢,٥ ٪ .

هذا :
وقد تحدث الفقهاء فى شروط وجوب الزكاة وقالوا : إن منها العقل واختلفوا فى وجوبها فى مال الصغير والمجنون .
فقال الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وأحمد بن حنبل : إنها تجب فى مال كل من هؤلاء بشروط الوجوب ، ويجب على الوصى أو الولى أو القيم إخراجها من مال عديم الأهلية[٢]
ويرى الإمام أبوحنيفة أنها لا تجب فى مال الصغير أو المعتوه أو المجنون عتها وجنونا مطبقا مستمرا دون إفاقة لسقوط التكليف ، ولا يطالب الولى أو الوصى أو القيم بإخراجها طالما كان بهذه الحال .
ونميل إلى الأخذ برأى الأئمة الثلاثة القائلين بإخراج الزكاة من مال عديمى الأهلية متى توافرت الشروط لقوة أدلتهم ، ولأن الزكاة متعلقة بالمال .
وعلى هذا :

وفى واقعة السؤال : إذا ما تحققت شروط وجوب زكاة المال مع توافر النصاب الشرعى فى المبلغ المذكور وقت إيداعه البنك ، وتمام الحول عليه ، وجب على ولى أو وصى هؤلاء القصر أن يخرج عنهم زكاة رأس المال المودع مجردا عن الأرباح إن كانت .

هذا :
والقيم أو الولى أو الوصى هو المسئول أمام الله — سبحانه — عن زكاة أموالهم إذا استحقت عليها الزكاة ، وعليه أن يعرض الأمر على المحكمة المختصة للإذن بإخراج ما وجب من الزكاة .
فإذا لم يؤذن له بقيت إلى وقت بلوغ الصغير أو إفاقة المجنون أو المعتوه فيؤدى كل بنفسه زكاة سنة واحدة وفقا للفقه المالكى فى زكاة الديون .
والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(٢) متفق عليه واللفظ للبخارى .

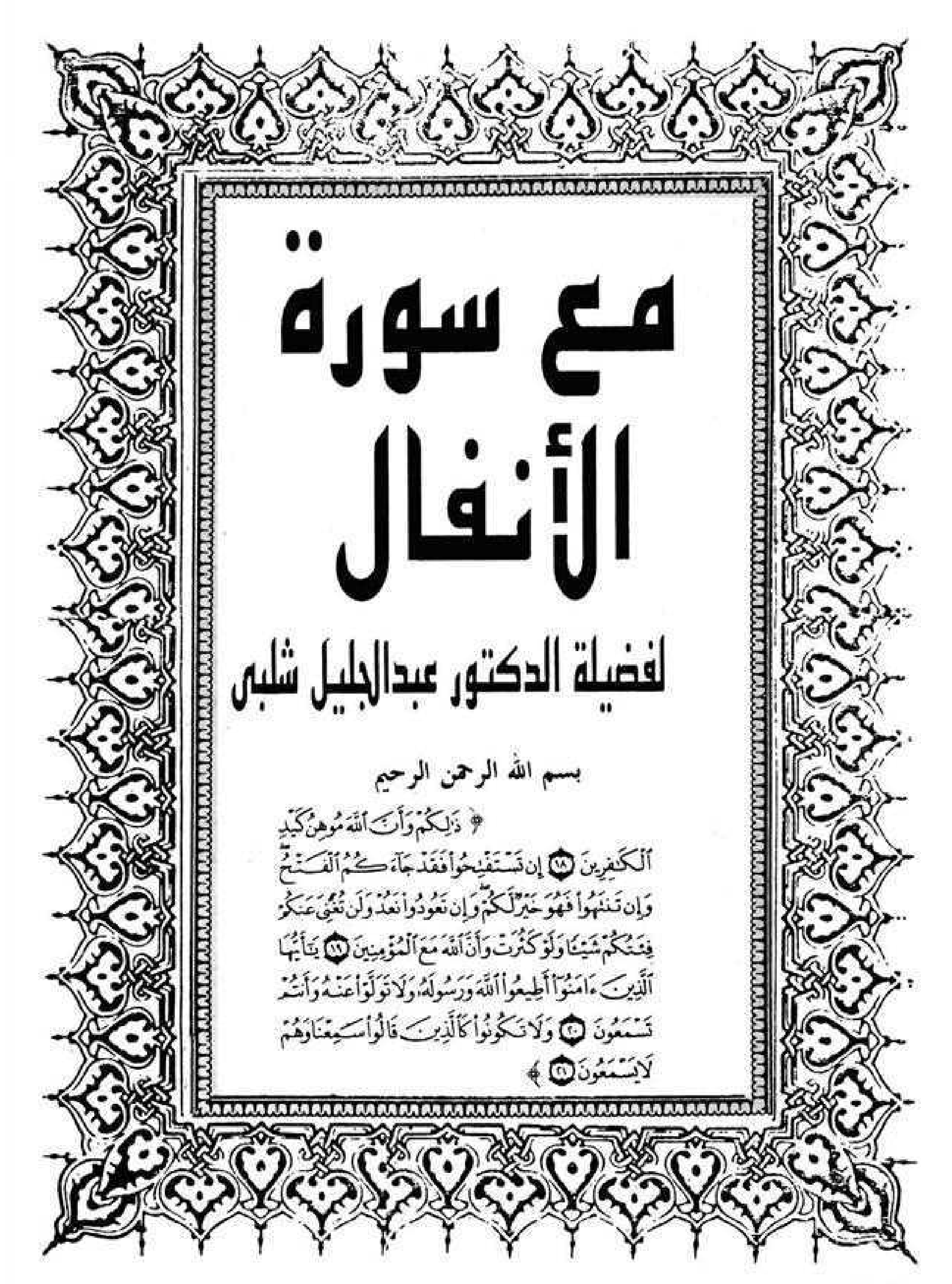

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين (18) إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين (19) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (20) ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (21) ﴾

التفسير

يأتى إسم الإشارة بعد توضيح أمر من الأمور أو تفصيل مسألة من المسائل ، بمعنى الأمر ذلك ، أو هذا هو الأمر ، ففى سورة الحج بعد أن جاء أن الملك يوم القيامة يكون لله وحده يثيب الصالحين ويعذب العصاة الكافرين ويخص المهاجرين الذين قتلوا أو ماتوا برزق حسن ، جاء .. ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به .... وفى سورة « ص » بعد أن عرضت سير الأنبياء وما أعد لهم من مثوبة عند الله ورزق لا ينفد جاء قول الله تعالى : ﴿ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ .. والتقدير فى الآيتين : ذلك هو الأمر ، وهذا ما هو ثابت مقرر ، أو اعلموا ما ذكر .

وفى هذه الآية : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ تقدير الكلام الأمر ذلكم ، أو ذلكم ما ثبت ورأيتم من هزيمة المشركين على كثرتهم وانتصاركم على قلتكم .

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ أى مضعف تدبيرهم ومهون شأنه ، وقرىء ان بفتح الهمزة على تقدير حرف جر محذوف ، أى لأن الله موهن ، وقرىء بكسر الهمزة على الاستئناف ، فتكون جملة مستقلة ، وموهن إما من « أوهن » الشىء بمعنى أضعفه وأذل قواه ، وإما من « وهَّنَهُ » بتضعيف الهاء ـ وبفتح الواو ـ بالمعنى نفسه ، والتضعيف كما هو معروف يفيد المبالغة ، ونلحظ الفرق بين الفعلين فى مثل كسرهُ وكسّره ، ومزقه ومزّقه ، وقراءةابن كثير ونافع ، وقرأ من غير السبعة بالتضعيف ، وقراءة حفص عن عاصم بالتخفيف .

وجعل بعض المفسرين المشار إليهم فى « ذلكم » القتل أو الرمى ، وقيل هو إبلاء المؤمنين وإبطال حيل المشركين ، والأولى أن تكون الإشارة لكل ما سبق .

والآية تحمل بشرى للمؤمنين ، بأنهم فى كل مواقفهم يضعف الله ـ سبحانه ـ عدوهم وينصرهم ، ولذا لم تعبر الآية بالفعل الماضى « أو هن » وآثرت التعبير باسم الفاعل الدال على الاستمرار ، وهذا يوحى للمؤمنين بالتزامهم بشرائع الإيمان وقوانينه ، لأنهم حين يفرطون فيها يتساوون بأعدائهم ، وكلما تركوا منها شيئا اقتربوا منهم وخدشوا إيمانهم .

وكان المشركون يرون أن محمدا ـ ﷺ ـ قطع رحمه إذ ترك عبادة الآلهة التى كان يعبدها آباؤه ، كما أنهم كانوا يرون أنهم على هدى وأن المسلمين على ضلال ، ويرون أنهم أكرم وأعز لأنهم من قريش وأهل الحرم ، بينما الذين اتبعوا الإسلام كانوا من الفقراء المستضعفين ، فحين هموا بالخروج إلى بدر ، تعلقوا باستار الكعبة ، وأخذوا يدعون : اللهم انصر أعلى الجندين ، وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين ، وحين التقى الجمعان فى بدر كان أبوجهل يدعو : اللهم ربنا ، ديننا القديم ، ودين محمد الحديث ، فأى الدينين أحب اليك وأرضى عندك ، فانصر أهله اليوم ، وهذا يدل على أن ، أبا جهل وبعضا ممن معه كانوا يرون أنهم على حق ، وأن آلهتهم ستنصرهم ، وقد ظل هذا الظن مستحكما فى نفوسهم حتى إننا نجد هند بنت عقبة ـ زوج أبى سفيان يوم فتح مكة تحطم الصنم الذى كان فى بيتها ، وتقول له : ان كنا منك لفى ضلال ، ولا ينافى هذا ما كان باديا من حقد أبى جهل ، وحقد قبيلته بنى مخزوم على بنى هاشم ، حتى يقول فى بعض مواقفه تنازعنا الشرف وبنى هاشم ، أطعموا فأطعمنا وسقوا فسقينا .. حتى قالوا منا نبىّ يوحى إليه ، فهم يجمعون الأمرين ، ولم تلن قلوبهم وجلودهم لذكر الله وما نزل من الحق .

والآية تخاطبهم بأسلوب ساحر فتقول : ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح « يعنى إذا كنتم تستغيثون الله ، وتسألوه النصر ، والفصل بينكم وبين اعدائكم المسلمين ، فهذا الذى حدث إجابة ما سألتم ، نصر الله حقا اهدى الفئتين ، وأكرمهما عليه ، وليست العزة والكرامة بالمال ولا بالنسب ، ولكنها باتباع الحق ونصره . « وان تنتهوا » عن حرب الرسول ـ ﷺ ـ ومعاداة المسلمين فهذا الانتهاء خير لكم من القتل والأسر والخسارة والذلة بين القبائل ، وكل ذلك قد أصابكم بسبب إصراركم على العداوة والحرب ، فالأنتهاء عن المعاداة خير لكم .

« وإن تعودوا » إلى الحرب والقتال نعد إلى مثل ما أصابكم ، ولن تغنى عنكم فئتكم وجماعتكم التى تجمعونها وتعتزون بها أى شىء من الإغناء ، ولو كانت أكثر مما كانت يوم بدر ، لأن الله مع المؤمنين ، ولا يغلب الله غالب .

ونجد مصداق هذا فى يوم الأحزاب ، اذ كانت جموع القبائل التى جمعتها قريش أكثر عددا من الذين كانوا يوم بدر ، وقد اذهم الله ـ العلى القدير ـ وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا .

وقرىء « وأن الله مع المؤمنين » بفتح الهمزة ، على ان الواو للحال ، أى لن تغنى شيئاً والحال أن الله مع المؤمنين ، أو على تقدير حرف الجر بمعنى لأن الله مع المؤمنين ، وهو ـ سبحانه ـ لا يغلب ، وقرئت « وان الله » بكسر الهمزة ، على أنها جملة مستأنفة ، وهى أقوى لأنها اعلام بأن الله معهم دائماً ، فلا ينبغى أن يكون لكم مطمع فى هزيمتهم .

ويرى بعض المفسرين ان الخطاب فى « إن تستفتحوا » ان الخطاب موجه للمؤمنين وبه يتغير معنى الجملة كلها ، وفحواه إن تستنصروا الله أيها المؤمنون ، فقد جاءكم النصر ، وان تنتهوا عن التكاسل والتردد فى الاتجاه إلى الحرب ، كما بدا منكم إذا أردتم الغنيمة غير ذات الشوكة ، وذهبتم إلى الحرب كارهين ـ فهذا الانتهاء خير لكم من كل شىء ، لأنه مدار سعادة الدارين ، وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالانكار وتهيج العدو وحينئذ لن تغنى عنكم فئتكم ، إذ لا يكون الله معكم بالنصر ، فهو ـ سبحانه ـ بعزته ونصره مع كاملى الإيمان .

وقد يكون خطاب المؤمنين فى الآية التالية مما يؤيد أن الخطاب فى جملة « إن تستفتحوا » لهم ، ولست أميل إليه لأن تلوين الخطاب يجعله مرة لأولئك وأخرى لهؤلاء مما يجعل الكلام أكثر تنشيطاً للذهن ، والسخرية فيه ذات مغزى .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾

أطيعوا الله فى كل ما بلغكم الرسول عنه ، وطاعة الله هى طاعة الرسول ، لأنه ـ ﷺ ـ لا ينطق عن الهوى ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ، ويجمع الأمر بالطاعتين للتقوية والتوكيد ، كما فى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ يأمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، وينهاهم عن مخالفته وامتثال أمره ، أى لا تديروا وجوهكم عما يأمركم به ولا تخالفوه ، وأنتم تسمعون توجيهه ونصائحه ، ولا تكونوا مثل المنافقين والمشركين ، فالمنافقون يقولون سمعنا بألسنتهم بينما هو معرضون عن دعاته بقلوبهم ، فهم لا يسمعون سمع إجابة وطاعة ، والمشركون يقولون سمعنا ما تقول ولكنهم لا يستجيبون ، بل يستهزئون بقوله ، والمؤمنون إذا لم يستجيبوا لدعوة رسول الله ـ ﷺ ـ كانوا مثل المشركين والمنافقين فى عدم انتفاعهم بما سمعوا ، لهذا قالت الآية :

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

أى الذين ادعوا السماع ، أو استمعوا استماع استهزاء ، والحال أنهم لا يستفيدون من سماعهم شيئاً ، فهم كمن لا يسمع شيئاً أصلاً .

والمعنى : انكم أيها المؤمنون تصدقون بالقرآن والنبوة وينبغى أن يكون تصديقكم تصديق استجابة وإذعان ، فإذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الأمور من قسمة الغنائم ، وكراهتكم لقاء العدو ، كان تصديقكم كلا تصديق ، وكان سماعكم سماع غير المؤمنين .

وواضح من هذه الآية أن مجرد التصديق والايمان ما لم يقترن به عمل فليس فيه استجابة لله ولا للرسول ، وواضح أيضاً أن الاتجاه إلى مطامع الدنيا والتعلق بمادياتها مما يلفت عن طاعة الله ورسوله ، ومن أحب دنياه أضر بأخر بآخرته ، ولم يمنع الإسلام السعى إلى تحصيل الرزق وتحصيل الثروة ، ولكنه منع أن يكون ذلك كل غاية المؤمن وكل مطامعه من حياته وهو أيضاً تول عن الله ورسوله ، ونسيان لحق الله وللدار الآخرة ، وتلك سجايا المشركين والمنافقين الذين يسمعون كلام الله ولا يستجيبون له ، فهم كالصم الذين لم يسمعوا .

ونسأل الله ـ سبحانه ـ إنارة قلوبنا وتوجهينا إلى حسن طاعته وطاعة رسوله ـ ﷺ ـ والحمد لله رب العالمين .

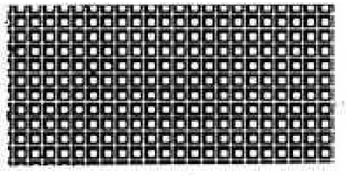

قبس من أنوار النبوة

بين الحرمين الشريفين

للشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

١ ـ عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال :
هذا البيت دعامة الإسلام ، فمن خرج يؤُمّ هذا البيت من حاج أو معتمر ، كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده رده بأجر وغنيمة » .

رواه ابن جريج بإسناد حسن

٢ ـ وروى ابن ماجه عن جابر مرفوعاً ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ :
صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه »

٣ ـ وروى البخارى ومسلم ـ وغيرهما ـ عن عبد الله بن زيد المازنى ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

والأحاديث الشريفة تدعونا إلى الحديث عن حج بيت الله الحرام ثم زيارة الرسول ﷺ

فأما حج البيت ؛ فإنه لم ينقطع منذ شع نور الفجر الصادق وأشرقت الأرض بنور ربها ، ورفع الخليل إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل - عليهما السلام ، وأذن الخليل بالحج ، فلباه أهل الإجابة إلى يوم تقوم الساعة ، فلم يخل البيت من طائف أو عاكف ، وراكع أو ساجد .

ثم يهوى الحاج إلى المدينة حيث مقام رسول الله - ﷺ - ، ومسجده - عليه الصلاة والسلام - أوسط المساجد الثلاثة التى حُبِّبَ شد الرحال إليها ، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول - ﷺ - ، ومسجد الأقصى » .

(رواه البخارى ومسلم)

ولزيارته - ﷺ - آداب :

فإذا هم بدخول مسجده - ﷺ - يقول :

بسم الله والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك - ﷺ - وعلى آله وصحبه وسلم .

اللهم اغفر لى ذنبى وافتح لى أبواب رحمتك ، ووفقنى وأعنى على ما يرضيك ، وامنن علىّ بحسن الأدب بين يديه - ﷺ - .

السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

روى مالك - رحمه الله - عن جابر بن عبد الله ، قال : قدمت من سفر فجئتُ رسول الله - ﷺ - ، وهو بفناء المسجد فقال : أدخلت المسجد فصليت فيه ؟ قلت : لا . قال فاذهب فادخل المسجد فصل فيه ، ثم أئت فسلم علىّ » .

وما أحبُّ أن تكون الركعتان أو الركعات بالروضة الشريفة ، وأن يستكثر من الصلاة والسلام على الرسول الأمين - ﷺ - قال تعالى : إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » الآية /٥٦/ من سورة الأحزاب .

وقال - ﷺ - : من صلى علىّ مرة واحدة صلى الله عليه عشراً الحديث رواه مسلم . وإنما طلب من زائر المسجد ، أن يتوجه إلى الروضة الشريفة فيصلى بها ، لأنها روضة من رياض الجنة .. قال - ﷺ - : ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » رواه البخارى ومسلم .

قال النووى فى شرح مسلم ذكروا فى معناه قولين : أحدهما : أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة ، والثانى : أن العبادة فيه تؤدى إلى الجنة .

وقال الطبرى فى المراد ببيتى هنا قولان :

أحدهما : القبر كما روى مفسراً بين قبرى ومنبرى .

والثانى بيت سكناه ، كما روى : ما بين حجرتى ومنبرى .

ثم قال الطبرى : والقولان متفقان ؛ لأن قبره - ﷺ - فى حجرته وهى بيته - ﷺ - .

ثم بعد فراغك من الصلاة فى الروضة الشريفة توجه للتشرف بزيارة الرسول - ﷺ - فى أدب وخشوع كما لو كنت واقفاً أمامه حال حياته ، تقول - فى أدب كريم السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، السلام عليك وعلى أصحابك وأزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين .

جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ، ورسولاً عن أمته ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله ، وصفيه وأمينه ، وأشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين ، فصل الله عليك وعلى أهل بيتك وسلم تسليماً كثيراً . وحتى تحظى برده عليه الصلاة والسلام ، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - فيما رواه أبو داود - أن رسول - ﷺ - قال : ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام .

وروى الدارقطنى عن رجل من آل حاطب عن حاطب عن رسول الله - ﷺ - : « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى » .

وروى البيهقى وابن أبى الدنيا عن أنس - مرفوعاً : من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم

القيامة » حسنه السيوطي وضعفه غيره .
وأخرج الدارقطني والبيهقي عن ابن بن عمر – مرفوعاً – من زار قبري وجبت له شفاعتي ، قال النووي في المجموع ضعيف جداً ، وقال السبكي : بل حسن صحيح .
وقال الذهبي : طرقه كلها لينة لكن يتقوى بعضها ببعض ، وصححه ابن السكن وعبد الحق .
فإذا كان ما بين بيته – ﷺ – ، وبين منبره روضة من رياض الجنة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام ، إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا .. »
وكانت الصلاة في مسجده – ﷺ – بألف صلاة فيما سواه من المساجد الأخرى . فكيف لا تشد إليه الرحال :

إليـــك وإلا لا تشد الـــركائب
وعنـــك وإلا فالمحدث كاذب
وحسبك يا خير الورى مذهبي
وللنــاس فيمــا يعشقـون مذاهب

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته
يوم الحساب إذا ما زلت القدم
أنت البشير النذير المستضاء به
وشافع الخلق إذا يغشاهم الندم
وصاحباك فلا أنساهما أبدا
مني السلام عليكم ما جرى القلم

اللهم إنا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك ، وما أثقل ظهورنا من أوزارنا – تائبين من ذنوبنا فتب علينا وشفع فينا نبيك ، واغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ، ومن حرمك يا ارحم الرحمين .
وصلى الله على صاحب الشفاعة العظمى ، ورضى الله عن صحابته اجمعين .

أُسـُدُ الغابَـة

كتب قارىء فاضل يعيب على مجلة « الأزهر » ضبط اسم كتاب ابن الأثير هذا الضبط بـ (فتح الهمز والسين) ، ورأى أن الضبط الصحيح إنما هو بصيغة الجمع (أُسْد) بضم الهمز وتسكين السين .
ونحن نشكر للسيد القارىء هذا الاهتمام ، ثم نؤكد له أن الضبط الصحيح هو ما رسمته المجلة ، أعني فتح الأول والثاني بصيغة المفرد .
ونقدم – بين يدي ذلك – حفظ فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور محمد علي أحمدين المحدث المعروف ورئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين – رحمه الله – الذي تلقى التصحيح من لسان أستاذه الشيخ الجكني الشنقيطي نزيل القاهرة أوائل هذا القرن ، وعليه قرأ الشيخ أحمدين بضم الهمزة وسكون السين فصحح له النطق . وما أكثر « الوقف » في علومنا ..!!
وتوضيحاً لذلك نقول :
إنه – في حال الضم فالتسكين – أي صيغة الجمع ، فاللفظ حينئذ إما (حقيقة) يراد بها هذه الحيوانات المفترسة ، والمعنى حينئذ مضطرب ، وإما أن يكون مجازا عن (الصحابة) والأمر حينئذ لا معنى له ، إذ سيكون معنى العنوان : (الصحابة في الصحابة) .
ولما كان « الأَسَد » ملك الحيوانات كان الأفراد هو الأولى ؛ إذ يعني أن هذا الكتاب أقوى الكتب المتحدثة عن الصحابة .   وبعد .
فهذا مبلغ علمنا حتى نسمع ، أو نقرأ – بدليل – صحة الضم .
« المحـرر »

الحج من الخليل صلوات الله وسلامه عليه إلى خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

مصحوبا بحجه عليه الصلاة والسلام قبل حجة الوداع

بقلم : رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، آية الله — تعالى — فى خلقه الى يوم الدين ، أتم الله — سبحانه — به النعمة وهدى المسلمين الى الصراط المستقيم فأنزل :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

سورة المائدة — آية : ٣

وبعد :

فإن ذهن المسلم — حين يقرأ أو يسمع كلمة : حجة النبى ، — ﷺ — ينصرف تلقائيا الى حجة الوداع التى وقعت منه — عليه الصلاة والسلام — فى العام العاشر من الهجرة وهذا ولا شك انصراف سليم اذ أن هذه الحجة مناط التشريع ، وعنها أخِذ عَمَلُه — عليه الصلاة والسلام — فكان ضبطا لهذا الركن الركين فى الاسلام ، هذا الركن الذى هو من التشريع الوارد بشريعة ابراهيم الخليل — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — ولرسول الله محمد — ﷺ — جهاد أى جهاد فى تخليص هذه الشريعة مما علق بها ، أو صاحبها ، أو نشأ حولها من عادات وأعمال وثنية أنهاها — صلوات الله وسلامه عليه — حتى خلصت نقية طاهرة زكية الى يوم الدين .

---

* البحث المقدم للندوة العالمية الرابعة للحج وأحكامه التى أعد لها بمدينة بنكلور بالهند فى شوال ١٤١٢ هـ .

لذا كان من حق البحث في حجة الوداع أن يُصْحَب ببحث يسلط الأضواء على هذه الشريعة وعلى حجه — صلوات الله وسلامه عليه — من قبل حجة الوداع فتكتمل الحلقات ، ويتبين المسلم كيف يتقى البدعة ويمارس الصواب في عمل قل أن يجد مجالا لتكراره ، فعامة الحجيج انما يحجون مرة واحدة في العمر ، وقل أن تتكرر لهم ، لذا استعين بالله — سبحانه وتعالى — لاقدم الى « الندوة العالمية الرابعة للحج وأحكامه » هذا البحث ، بعنوان :

« الحج من الخليل — صلوات الله وسلامه عليه — إلى خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم مصحوبا بحجه — عليه الصلاة والسلام — من قبل حجة الوداع .

حياة الخليل :

إن حياة أبينا الخليل — صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه — تقع في الفترة التي يحدها القرن العشرين والتاسع عشر من قبل الميلاد ، وكل البحوث التي حللها الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : أبو الأنبياء الخليل ابراهيم .. تنفى وجوده — عليه السلام فيما قبل القرن العشرين ، أو في القرن الثامن عشر من قبل الميلاد ، فحياته — عليه السلام — إذن هي في تلك المساحة الزمنية التي قوامها مائتا عام يمثلان القرن التاسع عشر والعشرين من قبل الميلاد .

وإذن نعتبر هذه الفترة هي التي فيها ولد وعاش وأدى الرسالة وتنقل فيها من العراق الى الاردن الى مصر ، ثم مكة حيث أتم — بأمر الله سبحانه — بناء البيت الحرام ، وأذن في الناس بالحج ، فاستجاب لندائه من أراد الله — تعالى — له أن يحج الى يوم الدين .

ويعتبر هذان القرنان ايضا بداية العصر التاريخي[1] لـ « مكة » المكرمة التي كانت واديا لاعهد للقبائل المرتحلة شمالا الى فلسطين ، أو جنوبا الى اليمن — أن تجد فيه الماء ، ويذكر سيدنا عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — في حديثه الذي رواه الامام البخاري — رضى الله عنه — وصفا دقيقا لما كانت عليه مكة حتى نزل الخليل — على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام — وترك بها وديعته : « اسماعيل وأمه هاجر » عليهما افضل الصلاة والسلام ، وما كان من نبع ماء زمزم ، ورؤية رِحلَةٍ من جُرْهُم لطير يحوم فوق الماء .. الى نهاية الحديث الشريف ومثله لا يتحدث به ابن عباس — رضى الله عنهما — من نفسه وانما هو من وحي معصوم سمعه من رسول الله — ﷺ —[2] والله اعلم .

بناء البيت الحرام :

وفي هذه الفترة بُنيت الكعبة ، البيت الحرام ، وكل أمر فيها بقضاء :

مكان البيت ووضعه وكل شأنه قال تعالى :

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ الحج

وَبُنِي البيت وفي التنزيل العزيز :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ سورة البقرة

---

(1) العصر التاريخي لأية أمة هو العصر الذي تترك فيه الأمة آثارا تدل عليها : في أعمالها وأحكامها .. الخ .

(2) صحيح البخاري ٤ / ١٧٢ مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

تم بناء البيت الحرام ، واستجيبت دعوة ابراهيم تامة كاملة : فإذا هو و ولده إسماعيل — عليهما السلام — على علم بالمناسك التى تؤدى بها هذه العبادة الفذة ، والتى نصا عليها فى دعائهما الخالد :

﴿ وأرينا مناسكنا ﴾

وأمره — تعالى — فأذن فى الناس بالحج .

قال تعالى ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ الحج

والله — وحده — يعلم : كم مرة صحب الخليل — عليه الصلاة والسلام — الحجيج وأدى معهم هذه الفريضة ، فتعلموها ومارسوها إلى ما شاء الله تعالى .

إن تتبعي لرحلات الخليل — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — استقصى رحلات له كثيرة إلى مكة المكرمة ، وفى حديث أبى جهم « كان ابراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق » وروى الفاكهى — من حديث على — بإسناد حسن نحوه وأن ابراهيم كان يزور اسماعيل وأمه على البراق[1] .

● ● ●

لقد ترك الخليل واسماعيل فى نفوس أهل الجزيرة العربية ، ومن دان دينهم — عقيدة عميقة الجذور بالوحدانية ظل عمقها يدرُّ أعظم الثمار ، ويقاوم الوثنية مدة طويلة عقيدة مصحوبة بعبادة الله — تعالى — على هذه الشريعة — ودان بها الأنبياء من بعد ابراهيم — عليه السلام — حتى رسول الله الخاتم محمد — ﷺ — روى مسلم عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال :

« سرنا مع رسول الله — ﷺ — بين مكة والمدينة ، فمررنا بواد ، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : وادى الازرق ، فقال : كأنى أنظر الى موسى — ﷺ — (فذكر من لونه وشعره شيئا لم يحفظه داود) واضعا إصْبَعَيْه فى أذنيه ، له جُؤَار الى الله بالتلبية ، مارا بهذا الوادى » قال :

« ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : هَرْشَى أو لَفت فقال : كأنى أنظر الى يونس ، على ناقة حمراء عليه جُبَّةٌ صوف ،خِطام ناقته لِيفُ خُلبة[2] مارا بهذا الوادى ملبيا » مسلم — كتاب الايمان الحديث رقم ٢٦٩ وما فات داود — رحمه الله — وهو من رواة حديث مسلم فى شأن موسى — عليه السلام — ذكره أبو هريره — رضى الله عنه — قال : فَنَعَتَهُ النبى — ﷺ — « فإذا رجل — حَسِبْتُهُ قال : مضطرب ، رَجِلُ الرأس : كأنه من رجال شنوءة » والحديث الشريف هذا رواه الامام أحمد — رحمه الله — بالمجلد الأول من مسنده ص ٢١٦ و ص ٢٧٧ ط الميمنية .

وروى مسلم — فى صحيحه قال : .... عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله — ﷺ — قال : « أرانى — ليلة — عند الكعبة — فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أُدْمِ الرجال له لِمة كأحسن ما أنت راء من اللِمم ، قد رَجَّلَها فهى تقطر ماء مُتَكِئاً على رَجُلَيْن — أو على عواتِق رَجُلَيْن — يطوف بالبيت فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح بن مريم » مسلم — كتاب الايمان الحديث رقم ٢٧٣ .

وهذان الحديثان الصحيحان فيهما دلالة كافية قاطعة فى بيان :

١ — أن الحج فريضة مستقرة من لدن الخليل ابراهيم — عليه السلام — وردت فى شريعته وشريعة

---

(١) ابن حجر — فتح البارى ٦ / ٢٥٤ .

(٢) ليف نخلة .

من بعده من الانبياء ... أنبياء بنى إسرائيل ، وخاتمهم عيسى بن مريم ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ وخُلُوُّ كتبهم منها لا يعنينا .

٢ ـ وأن مكانها هو نفس المكان الذى يحجه المؤمنون إلى يومنا هذا حيث مواقع الحج من مكة إلى عرفة ولا مكان لها آخر .

٣ ـ ولقد قضى المولى ـ سبحانه ـ بالأشهر الأربعة الحرم ، منذ خلق السموات والأرض ، وأجرى الزمن ، فقال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾

سورة التوبة ـ آية ٣٦

وإنما كانت هذه الأشهر يتوسطها شهر حرام فرد ، ثم أشهر ثلاثة متتالية تخص هذه الثلاثة المتتالية بتلك الشعيرة ، فزمانها كمكانها لم يتغير فى شرعة الله ولا ناله نسخ .

ولقد يحتج محتج بأن تسمية الشهور العربية إنما كانت قبل بعثته ـ ﷺ ـ بمائتى عام فنقول : إن أمر تقديرها توقيتا بدءا ونهاية معروف معلـــوم لله ـ تعالى ـ لا يغيب عنه ، ولتكن الأسماء ما تكون : فتلك الشهور الحرام الثلاثة هى زمن الحج الذى أراد الله تعالى قضاءَ قضاهُ ـ سبحانه ـ منذ خلــق السموات والارض .

ثم نؤكد أن شريعة الحج .. حج بيت الله الحرام بمكة وأداء شعائره بأماكنها المقدسة المتصلة بها حتى عرفة ، هى هى المخاطب بها بنو إسرائيل ، ولم يخاطبوا بسواها . إن الأنبياء من أبناء إبراهيم : إسحاق وإسماعيل وأبنائهما لم ترد على أيديهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ نسخ لها أو تغيير :

ففى الكتاب العزيز : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾

ولو أن نسخا نالها ما حج موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ بيت الله الحرام بمكة ، ولما كانت التوراة هى الكتاب المقدس ، والإمامُ الرُّحلة ـ فى بنى إسرائيل ، ولم يكن أنبياء بنى اسرائيل إلا حفظة عليه يقيمون حدوده ويحفظون أمره ، فقد استمرت هذه الشعيرة فيهم بدليل حج يونس بن متى وعيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ نفس البيت الحرام .

وإذن فحج بيت الله الحرام بمكة فريضة مختارة أرادها الله ـ تعالى ـ فى كل شرائعه من لدن الخليل ـ عليه السلام ـ الى نبينا محمد ـ ﷺ ـ ألى يوم الدين .

والله أعلم ...

ونعود الى حديث الحج من بعد الخليل ـ عليه السلام ـ لنذكر ما شابَهُ من وثنية ؛ ومن الدقة أن نقول :

ليس ميسورا معرفة متى بدأت الوثنية تدخل على الحنيفية السمحة التى أرساها ابراهيم واسماعيل ـ عليهما السلام ـ ولا متى أطلت برأسها ثم زحفت فدخلت مكة ، ولا على يد من دخلت ، كذلك لا نستطيع أنْ نعرف متى بدأ الناس يجترئون على الكعبة نفسها ، فيفتح بابها تمر إلى داخله الأوثان ، ثم تتسع فى حركة شاملة فتستقر حول الكعبة ، ثم يُصَوَّرُ ابراهيم واسماعيل ـ عليهما السلام ـ يستقسمان بالأزلام كذبا وبهتانا ، وقد علم القوم أنهما ما استقسما بها قط .

ويتناسى الناس فروع شريعة ابراهيم ، ويشوبون أصولها ، فتعبد الأصنام بحجة الشفاعة لعابديها عند الله .

---

(١) خيرها وامتنها فأضلها .

وتتغير شعائر الحج ؛ فيقف المكيـــون بـ .. مُزْدَلِفة .. مدعين أنهم أهل الحرم فلا يقفون بعرفه كما يقف الناس ، فهم أهل حرم لا يقفون إلا بحرم ، لذا طاب لهم من أنفسهم أن يقفوا بـ .. مُزْدَلِفة .. بينما يقف بقية الناس ــ من غير الحُمْس ــ بعرفة ويطوف بعض الناس عارياً وبخاصة النساء فينطلقن بأرهاط حول خصورهن ويصيحون حول البيت ويصخبون فى « مكاء وتصدية » أى صفير وتصفيق .

ثم يكون لنسيئهم أثر فى اختلاط التوقيت فيقع الحج فى غير زمانه ، ثم لا يبقى للأشهر الحرم الأربعة قدسيتها فبينا يحتفظ بها القرشيون « الحُمْس » تأتى « البَسْل » فتجعلها ثمانية ، وكانوا قوما من غطفان وقيس ومن تبعهم .

ويبقى الحج مشوبا بفساد يزيد عاما بعد عام كما يبقى الى جواره ــ من شريعة الخليل ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ النذر والاعتكاف .

ويبقى ــ فى العرب ــ الاعتراف بالله ربا خالقا لكل شىء ويسجل القرآن الكريم تفصيلا لهذه الحقيقة فى آيات كثيرة ، ولولا شركهم بعبادة الأوثان ، وإنكار معظمهم لقدرته ــ تعالى ــ على إحياء الموتى لكانوا من الناجين كما نجا سيدنا زيد بن عمرو بن نفيل ــ رضى الله عنه ــ الذى يبعث أمة وحدة يوم القيامة ولقد روى الامام البخارى ــ على لسان أسماء بنت الصديق ــ رضى الله عنهما ــ قوله ــ مسندا ظهره للكعبة .. « والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى » .

كان لا يشرك بالله شيئاً ، ويعتقد بقدرته تعالى التامة فى الخلق والنشر والثواب والعقاب رضوان الله ــ تعالى ــ عليه .

ويستقر الشرك ، وتلعب الأهواء ما شاءت حتى صار لكل عُبَّادِ وثن (تلبية) يجأرون بها فى الطريق اليه .

قال ابن حبيب صاحب .. المحبر .. :

وكانوا يلبون إلا أن بعضهم كان يشرك فى تلبيته ، فكانت قريش ــ وكان نسكهم لـ « إساف » تقول :

* لبيك اللهم لبـــيك * لبيك لا شريك لك * الا شريك هو لك * تملكه وما ملك .. ا هـ

● ولبى عباد جهار فقالوا :

* لبيك اللهم لبـــيك * لبيك ، اجعل ذنوبنا جُبَار * واهدنا لأوضح المنار * ومتعنا وملنا بجهـــار

● ولبوا لـ « ذِرَيْح » فقالوا :

* لبيك اللهم لبـــيك * لبيك كلنـــا كَنُـــود * وكلنا لنعمه جَحُود * فاكفنا كل حية رصود

● ولبى من نسك لـ « ذى الْخَلَصَة » فقال :

* لبيك اللهـــم لبـــيك * لبيك بما هو أحب إليك

● وقال من لبى لـ « ذى الكفين » :

* لبيك اللهـــم لبـــيك * إن جُرْهُمـــا عبـــادك * الناسطَرْف وهم يَلاذُك * ونحن أولى منهم بولائك

● ومن نسك « ذا اللبا » قال :

* لبيك اللهـــم لبـــيك * لبيك رب فاصْرِفَنْ عنا مُضَر * وسَلِّمَنْ لنا هذا السفر * إن عما فيهم لمزدجر * واكفنا ــ اللهم ــ أرباب هجر *

● والناسك « سُواعًا » يلبى فيقول :

* لبيك اللهـــم لبـــيك * لبـــيك أَبْتَـــا إلــــيك * إن سواع طِلْبتُا إليك

● ولـ « شَمْس » يقول :

* لبيك اللهـم لبيـك * ما نهارُنـــــا نجره * إدلاجه وحَرُّهُ و قُرُّه * لا نتقى شيئا ولا نضره * حَجًّـــا لرب مستـــــقيم برُّه

● وللعُزّى يقول :

* لبيك اللهـم لبـيك * لبـيك وسعـــديك ما أحبنـــا إلـــيك

إن هذه التلبيات جميعا ، وغيرها مما لم يدركه الرواة توضح عقيدة الشرك الخالصة التى تبين حجاً لهذه الآلهة ، وحجاً لبيت الله الحرام ــ قبلها أو بعدها .

وهكـــذا لوَّث الشرك بوثنيتـــه هذه الشعيرة فلا عجب أن تخلص لله ــ وحده ــ فى العام العاشر عام حجة الوداع .

لقد كانت فى حاجـــة الى جهـــاد رسول الله ــ ﷺ ــ يمحو عنها ما لوثها ، وليرد الناس عن أعراف ابتدعوها ، وتقاليد مارسوها ما أنزل الله بها من سلطان وليقضى ــ ﷺ ــ على مذاهب الوثنية الثلاثة :

الأحمسية ، والحِلَّة ، والطُلْسْ

الأحمسيـــة مذهب قريش ــ بإجماع ــ ومـــن جاورهم ، أو صاهر إليهم من العرب ليؤمن بما ابتدعوا اذا مارسوا حجا أو عمرة فلا يسلئون سَمْنًا ولا يطبخون أقِطًا ولا يدخرون لبنا ولا يحركون شعرا ولا ظفرا ولا يشيدون ــ اذا حجوا ــ شعرا ولا وبرا ولا صوفا ولا قطنا ، ولا يأكلون لحما ، ولا يمسون دهنا ، ولا يلبسون الا جديدا ولا يطوفون البيت الا فى نعالهم ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها . فضلا عن وقوفهم ــ دون الناس ــ بمزدلفة ، ثم يفيضون إذا أشرقت الشمس من موقفهم ليأخذوا طريقهم من مزدلفة الى منى ويتحرجون فى حجهم السعى بين الصفا والمروة .

بينما للحلة والطُلسْ ــ بدورهم ــ أعرافهم المنبثقة عن أهوائهم كما يستحسنون ، فما من عربى إلا كان على واحد من هذه المذاهب ، يمارس هواية البدعة فى الشرك والرأى فى العقيدة ، والطواف عرايا إلا فى ثياب القرشيين .

● ● ●

ويحج ــ ﷺ ــ على شريعـــة جده الخليـــل ــ صلواتُ الله وسلامه عليه قبل هجرته .. وقبل الهجرة يحتمل أحد أمرين :

قبلها مطلقا فيمتد الأمر الى ما قبل الرسالة حيث الجاهلية قد تربعت وضربت أطنابها أو قبلها بعد البعثة وقبل انطلاقه ــ ﷺ ــ الى المدينة المنورة مُسْتَقَرّ الرحمة والتشريع .

وأيأما كان الأمر ، فقـد حج ــ عليه الصلاة والسلام ــ حجا مبروراً لم تَمَسّه أعراف الوثنية ، حتى كان موضع تعجب ممن رآه من قومه ..

لكنْ ، لا عجب ، فلقد قال المولى ــ عز وجل ــ فى حفظه ــ عليه الصلاة والسلام : « فإنك بأعيننا » الطور ٤٨ .

روى الامام ابن ماجه ــ فى سننه ــ قال :

« عن القاسم بن محمد بن عباد المهلبى ، حدثنا عبد الله بن داود ، حدثنا سفيان قال :

حَجَّ رسول الله ــ ﷺ ــ ثلاث حجـــات : حجتين قبل أن يهاجر ، وحجة بعد ما هاجر الى المدينة .. ابن ماجه ١٠٢٧/٢ دار احياء الكتب العربية القاهرة .

ولقد روى الامام البخارى ــ فى صحيحه ــ إحدى الحجتين أوَّل حديث له فى باب الوقوف بعرفه قال :

« حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، حدثنا محمد بن جبير بن مُطْعِم عن أبيه قال : كنت أطلب بعيراً لى .

(ح) وحدثنا مسدد ، حدثنا سفيان عن عمرو : سمع محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال : أضللتُ بعيرا ، فذهبت أطلبه يوم عرفه ، فرأيت النبى ـ ﷺ ـ واقفا بعرفه ، فقلت : هذا ـ والله ـ من الحُمْس ؛ فما شأنه ههنا ؟! » .

وسياق الحديث يرجح أن هذه الحجة كانت قبل البعثة ؛ فها هو جبير بن مطعم ذهب يحج كقومه من قريش فوقف بمزدلفة ولولا أن بعيره ضل فذهب يبحث عنه ما دخل عرفه ، فلما دخلها بحثا عنه رأى ـ رسول الله ـ ﷺ ـ واقفا بها ، وهو القرشى ؛ فعجب : لِمَ لا يقف ـ عليه الصلاة والسلام مع قومه !!؟

ويبدو لى ـ والله أعلم ـ أن لو انتشر أمر رسول الله ـ ﷺ ـ بالرسالة ، ما كانت هذه الدهشة ، وإنما كان من الجائز ـ جدا ـ أن يحمل جبير الأمر على « المخالفة لهم » .

ثم يُشْرِق الإسلام ، وينبسط ، ويمتد ويسلم جبير بن مطعم القرشى بعد عامِ الحديبية ، ثم يسمع ويروى مقالة ابن مِرْبَع الأنصارى إلى الحجيج يقول لهم :

« انى رسولُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ إليكم يقول : كونوا على مشاعركم ، فإنكم على إرْثٍ من إرث إبراهيم » صحيح الترمذى ٣/٢٢١[1] .

يقول جبير ـ رضى الله عنه :

« فلما أسلمتُ علمتُ أن الله وَفَّقَهُ لذلك »[2] .

جزى الله سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ خير ما جازى نبيا عن أمته والحمد لله رب العالمين ، نسأله العفو والمغفرة والقبول .

إنه سميع قريب مجيب ......

وصل الله وسلم وبارك على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ ..

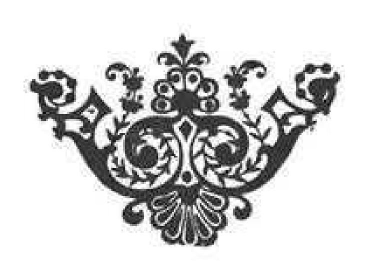

(١) طبع مصطفى البابى الحلبى

(٢) ابن حجر ـ فتح البارى ٣ / ٤١٢ ط الميرية .

قطرات السلسبيل

على طريق أم إسماعيل

د. مبروك عطية أحمد أبو زيد*

حملت وليدها الرضيع ومضت ، لم تسأل زوجها إلى أين الرحيل ؟ لم تقل : لماذا ؟ بل امتثلت ، فلما رأته يتركهما فى بلقع مهجور ، ثم يمضى منصرفاً كان السؤال من معطيات العقل .

أتتركنا هنا ؟ ألا ترى المكان غير ذى زرع ؟...

فلما وجدته صامتًا لاينطق أدركت أنّ وراء ذلك حكمة عليا ، ربما ، فكان السؤال الأخير .

ـ آلله أمرك بهذا ؟

فكان الجواب كلمة واحدة هى : نعم

وكان منها الرد الذى بعث فى نفسها الأمن والسلام ، وصوّر لعينيها الصحراء جنة ، والخراب عمرانا ، حين قالت :

ـ إذن لن يضيّعنا

ومضى خليل الله إبراهيم بعد أن رفع يديه إلى السماء قائلا :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

* مدرس اللغويات بجامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

(١) إبراهيم (٣٧) .

هنا نموذج للعقيدة فى أعلى صورها ، حين يواجه أصحابها واقعاً ظاهره الهلاك ، الأمر الذى يجعل أصحاب النفوس الضعيفة يخورون ، ويترددون ويسألون أسئلة المضطرب ، كيف ؟ ومتى ، وإلام ؟ ثم ماذا ؟ أمّا أصحاب العقيدة السليمة فهم يأخذون بالأسباب ، فها هى (هاجر) أم إسماعيل ـ عليه السلام تسعى بين الصفا والمروة باحثة عن أسباب الحياة ، سعت شوطاً فلم تجد شيئاً ولم تيأس ، وسعت شوطاً آخر ، فلم تجد شيئاً ، ولم تيأس ، وتوالت الأشواط ، سبعة أشواط ثم عادت ، فإذا العين تنبع ، والصغير يضرب الأرض برجله فيخرج منها الماء ، وزمزمت هاجر ، بعد أن ملأت سقاءها ، وأقبل الطير وقد ناداه ماء زمزم ، فحدا بالناس إلى حيث تسكن الذريّة الطيبة ، فقد تحول الموت إلى حياة ، جاءوا قلوباً تميل وتحن تماماً كما دعا إبراهيم ، فقالوا :

ـ هل ترضين بنا أهلا وجيراناً ، والأرض أرضك ، والماء ماؤك ؟ ودبت الحياة بحركتها فى هدوء وسلام ، ونال الصابران خيراً ، حيث تمت النعمة بالإيمان ، الذى يواجه أصحابه الغرائب والعجائب فيستعينون بالله والله يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ولعلى أكون مصيباً وأنا أقرأ سورة « إبراهيم » من جديدة ، برؤية جديدة ، أحاول فيها التأمل ، وأجد فيها ذلك الخيط الواحد ، من بدئها لختامها ذلك الخيط الفكرى هو الإيمان بالله ـ عز وجل ـ وما يترتب عليه من نتائج فقد بدأت بالحروف المقطعة « الر » وكلام الأئمة فى هذه الحروف كثيرٌ ومشهورٌ ، لكنّ النفس تميل إلى أنها من المتشابه ، الذى استأثر الله تعالى بعلمه ، وموقف الراسخين فى العلم منه نصّ عليه القرآن فى قول ربنا ـ عز من قائل :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [1] فكرة الإيمان بما لا نعلم معناه وهى المتمثلة فى الحروف المقطعة لها صلة بقصة « هاجر » التى آمنت بالله ، وأنه لن يضيعها برغم أنّ العين ترى أسباب الضياع محققة ، لكنها خرجت من ظلمات الكفر بقدرة الله القادر إلى نور اليقين ، والقضية ممتدة إلى ما شاء الله لم تتغير ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ ﴾ إبراهيم :

وأتأمل قوله تعالى : ﴿ بإذن ربهم ﴾ فى أوائل السورة الكريمة ، والتعبير بالرب يشعر بالنعمة ، ويوحى بالفضل ، ويدل على الرعاية والحفظ ، وقد تكرر لفظ « رب » فى سورة إبراهيم خمس عشرة مرة فى الآيات « ١ ، ٧ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ » .

وأذكر قول ابن الأثير فى تاريخه : « تزوج إسماعيل امرأة من جرهم فتعلم العربيّة منهم هو وأولاده ، فهم العرب المتعربة »[1] .

وكأنّ فى سورة إبراهيم إشارة إلى ذلك ، فى قول ربنا تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم » : ٤

وفى سورة إبراهيم أضواء على الماضى ، وتوجيه قلوب المؤمنين إليها ؛ ليزداد إيمانهم بالله عزَّ وجل ، فيأتى من قصة سيدنا موسى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ ﴾

وفى قصصهم عبرة ، وقد وعد الله تعالى رسله الذين قالوا على سبيل الإنكار « أفى الله شك » ؟ وتوكلوا على الله الذى هداهم سبل الرشاد بأنه ناصرهم ، وهالك

---

(١) آل عمران : ٧

(١) الكامل ١/٣٦

عدوهم ، وسجلت سورة إبراهيم بعض أهوال القيامة وما سوف يلقاه الكافرون من عذاب وضياع للأعمال ، وتدور صيحة الحق ؛ لتنتزع القلوب من وسائد الصدور فى قوله تبارك اسمه :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) ﴾

ويالخيبة الخاسرين ، الذين كفروا بالله ساعة يسمعون الشيطان وقد قضى الأمر : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾

وتزداد الحسرة فى قلوبهم بعد هذا الإعلان ، فلا ولى لهم ولا نصير وبعد أن يدخل المؤمنين الذين عملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار وينعمون بالسلام : ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) ﴾ وجزاؤهم الحسن لا ينقطع ، فهم أهل الكلمة الطيبة ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وهى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، أما أهل الباطل والكلمة الخبيثة فلا أصل لهم ولا قرار ، فقد بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، فالنار مأواهم وبئس القرار .

ويأتى دليل الوجود الحق ، والقدرة العليا فيما تراه العين ، وتسمعه الأذن ويحس به البدن : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾

ولذا كانت دعوة إبراهيم الأولى مبنية على التوحيد ، حيث قال :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ ٣٥ وتختم دعواته بطلب المغفرة ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) ﴾

ذلك اليوم الذى يؤخر الله فيه الظالمين ، فتشخص أبصارهم ويأتون مسرعين رافعى رءوسهم ، وقد أصبحت أفئدتهم هواء ، فطوبى لمن تدبر واتعظ :

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) ﴾

وتأتى آخر آية فى السورة منذرة الناس ، كما بدأت بأول آية : ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ، فتكون الخاتمة : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢) ﴾

• • •

فيا مَنْ تسعون بين الصفا والمروة ، وتقتفون أثر أم إسماعيل هنيئاً لكم ، بما وعدكم ربكم من مغفرة وعفو وكرم ، ها أنتم أولاء تستعيدون أطيب الذكريات ، وتخطون أطهر الخطوات ، على طريق الرحمة والجنات ، فلتسعدوا برحلتكم الطيبة ، ولتنعموا بالعبادة فى ظل الهدوء الروحى ، والسكينة الإلهية التى تغشاكم من فضل ربكم حيث لا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال ، والله يتقبل منا ومنكم نسأله – تعالى – ألا يحرمنا زيارة بيته ، إن ربنا على ما يشاء قدير ، وحج مبرور وذنب مغفور إن شاء الله .

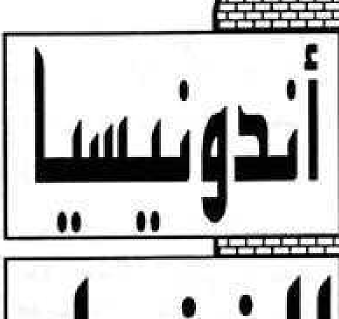

أندونيسيا الخضراء الدولة الإسلامية الكبرى

للشيخ : عبدالمنصف محمود عبدالفتاح

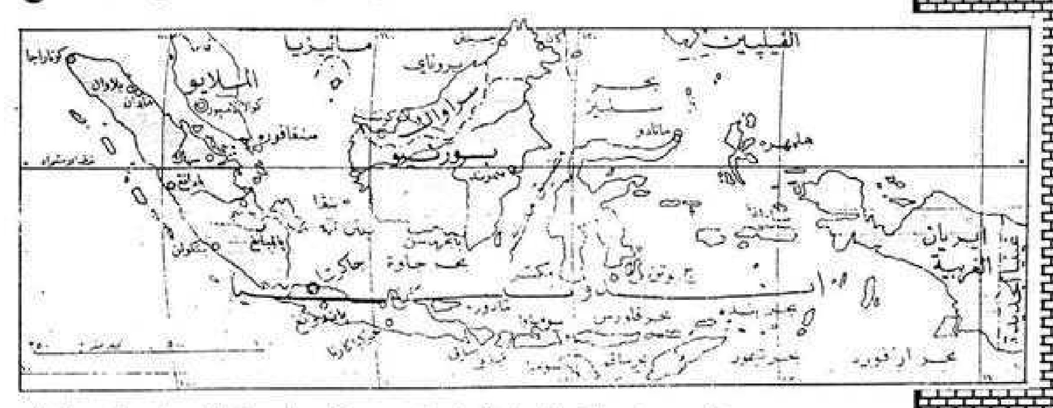

تعتبر جمهورية أندونيسيا من أكبر الدول الإسلامية . . وهى تمتد على خط الاستواء : ما بين المحيط الهندى : غربا ، والمحيط الهادى : شرقا .. وما بين قارتى آسيا : شمالا ، واستراليا : جنوبا .. ويبلغ عدد جزرها الزبرجدية الخضراء : (١٣٠٠٠) ثلاثة عشر ألف جزيرة .. من بينها : (١٢٤٠٠) جزيرة خالية من السكان ، وإن كانت غنية : بالخامات الطبيعية ... فتكون الجزر الآهلة بالسكان : ٦٠٠ جزيرة ..

ومما يثير الدهشة ، ويسترعى الانتباه : أن كل جزيرة من هذه الجزر : تعتبر لوحة فنية رائعة ، أضفت عليها العناية الإلهية : جمالا خلابا ، حيث تزدان بالمناظر الطبيعية : التى تبهر العقول ، وتأخذ بالألباب ، وتدخل البهجة على نفوس الرائين .. فالمزارع والخضروات ، والأزاهير المختلفة الألوان ، والأشجار الباسقة ، والحدائق الغناء ، والبساتين المثمرة الفيحاء ، تغطى مساحات كبيرة منها ، حتى المرتفعات والتلال ، والسهول والأودية والجبال : تظهر للرائى فى ثوب سندسى قشيب ..

* الكاتب : المدير العام للدعوة والاعلام بالأزهر سابقاً .

وتعتبر منطقة « بوشنق » ذات الجبال والهضاب ، والسفوح الخضراء ، وخرير المياه المتدفقة من المرتفعات ، والتى تجرى بين جنباتها : فحدث عنها ولا حرج .. وهذه المنطقة أغنى المناطق بمزارع الشاى والخضروات .

ومما يثير الغبطة فى النفوس . ويبعث فيها : كوامن الحب والإعجاب : أن هذه الجزر وفى مقدمتها : جزيرة « جاوة الغربية » (والتى تعتبر « جاكرتا » العاصمة جزءا منها) وتأخذ طابعا جميلا من النظافة . وروعة المظهر ، وبراعة التنسيق .. فالعلاقات والقصور ، والمصانع والدور ، والمنشآت والمؤسسات ، لا تكاد تخلو من حدائق ذات بهجة .. ففى أى مكان يحل فيه الإنسان : يجد الخضرة ، وأشجار الزينة : تكتنفه : من كل ناحية .. أما الشوارع والميادين ، فإنه يتجلى فيها : الفنُّ ، والإبداع الهندسى بصورة تثير لروعتها : الدهشة والإعجاب .

أهم الجزر :

وأهم هذه الجزر وأكثرها تعدادا للسكان هى : « سومطرة » ومساحتها : (١٨٢٠٠٠) ميل مربع .. وجاوة : بأقاليمها الثلاثة : الشرقية ، والوسطى ، والغربية ، ومساحتها : (٥١٢٠٠) ميل مربع .. و (كاليمنتان) : بأقاليمها : الشرقية والغربية والوسطى والجنوبية ، ومساحتها : ٢٠٨٠٠٠ ميل مربع .. و (سولا ويسى) : ومساحتها : ٧٥١٥٠ ميل مربع .

وأما باقى الجزر : فصغيرة مثل : « بالى » الشهيرة « ولومبوك » و « سوميا » و « تيمور » وجزر « مالوكو » ونحوها ..

أشهر المدن :

ومن أشهر المدن وأكثرها تقدما وازدهارا ، بعد العاصمة « جاكرتا » : (باندونج) .. و (سوريانا) .. و (سمارانج) .. و (جلك جاكرتا) .. و (مالانج) .. و (باداغ) .. و (ميدان) .. و (سيرانج) .. وتوجد بها : جامعة إسلامية حكومية .

وتحتل الأرض الزراعية : حوالى ٩٠٪ من مساحة الأراضى .. وأكثر من ٦٠٪ من السكان .. يشتغلون بالزراعة ، وفلاحة الأرض .

المساحة والسكان والادارة :

وتبلغ مساحة أندونيسيا : ٣٧٥٠٠٠ ميلا مربعا .. وتمتد طولا من الشرق إلى الغرب : ٣٢٠٠ .. وعرضا من الشمال إلى الجنوب : ١١٠٠ .. ويربو عدد سكانها عن : ١٥٠ مليون نسمة .. وهى تعتبر : خامس دولة : فى العالم كله من حيث عدد السكان ..

وتنقسم إداريا إلى : ٢٧ مقاطعة ، لكل منها عاصمة ، يحكمها ويرعى شئونها الإدارية والأمنية : محافظ ، وقائد من قواد الجيش (يعنى أحد كبار الضباط) .. ولغة الدولة الرسمية : هى الأندونيسية اللاتينية ..

الدين :

والدين السائد فيها : هو الإسلام ، إذ تبلغ نسبة المسلمين : ٨٥٪ والباق ويقدر بنسبة : ١٥٪ من الديانات والنحل الأخرى : كالمسيحية . والبوذية ، والهندوكية .

الصلات العربية :

ويذكر المؤرخون : ان البحار العربية : هم الذين جاءوا بالإسلام إلى أندونيسيا ، حيث انتشروا فى شواطىء : سومطرة الشمالية ، وبالتحديد فى « آتشيه » وأقاموا لهم مستوطنات : استقروا فيها ، وقد دانوا بالإسلام ، ونشروه بين أهل البلاد ..

وأن أول مملكة إسلامية : قامت فى هذه المنطقة : هى (مملكة آتشيه) سنة ٦٧٤ م ويقرر البروفيسور « قدر الله فاطمى » ملخصا دخول الإسلام إلى أندونيسيا كما يأتى بيانه :

(١) كان أول اتصال جرى للعرب بأندونيسيا سنة : ٦٧٤ م .

(٢) وصل الإسلام إلى مدن السواحل سنة : ٦٧٨ م .

(٣) قام للإسلام أول كيان سياسى له : فى هذه البلاد سنة : ١٢٠٤م ، ... حيث عم انتشاره بين مختلف طبقات الشعب ..

والمسلمون الأندونيسيون : متدينون ، وهم شافعيو المذهب ، ويتحلون بالحلم ، والصبر ، ورحابة الصدر ، كما يمتازون بجودة العمل ، وإتقانه ، والقدرة على الإبداع : فى (لفن التشكيل) ، وهم يحبون العلم والعلماء ، ويعنون أشد العناية بتحفيظ القرآن الكريم لأولادهم ، والأغلبية الساحقة من هذا الشعب : يصومون شهر رمضان .. كما أنهم يحافظون على الصلوات الخمس : فى أوقاتها ، ويحرصون على أدائها : جماعة فى المساجد .. وعلى الرغم من كثرة المساجد واتساعها ، فإنها تكون مكتظة بالرجال والنساء ، والفتيان والفتيات ، مع تخصيص جناح أو طابق للسيدات ، وخاصة أيام الجمع ، لدرجة أن بعض المساحات المحيطة بها : تكون مزدحمة ، لا يوجد فيها موضع لقدم .

ويوجد بـ « جاكرتا » مسجد الاستقلال .. وهو أكبر مسجد بجنوب شرق آسيا ، ويتكون من خمسة طوابق ، ويعتبر آية فى الفن المعمارى .

والمؤسسات الدينية والتعليمية بأندونيسيا ، والتى تشمل : المساجد والمعاهد والجامعات تنقسم إلى قسمين :

(١) مؤسسات : تابعة لوزارة الشئون الدينية ، وتقوم الحكومة بتمويلها والإشراف عليها : فنيا وإداريا .. ويبلغ عدد الجامعات الإسلامية الحكومية : (١٤) جامعة .

(٢) مؤسسات أهلية : يشرف عليها ويديرها بعض العلماء ، ويمولها : الأثرياء من أهل الخير والبر .

ومن أشهر المؤسسات الدينية :

(١) مؤسسة الشافعية الإسلامية : وتشمل المساجد ، والمعاهد : الابتدائية والاعدادية ، والثانوية ، والمعهد الخاص باليتامى ، والجامعة الإسلامية .

وقام بتأسيسها وإدارتها ، الشيخ عبدالله شافعى عام ١٩٣٣ م .. وكان أول منطلقه للعمل : من مسجد البركة فى حى : (بالى ماترمان) .. وكان نشاط هذه المؤسسة : يدور حول العربية والتعليم ، والدعوة إلى الله تعالى ــ وعمل البر والإحسان : إلى أن أخذت وضعها الحالى ، وأنشئت لها فروع : بجاكرتا وضواحيها .

(٢) والمؤسسة الدينية الطاهرية : وتنظم الجامعة الإسلامية ، والمعاهد الدينية ، والإذاعة الإسلامية ، ومجالس التعليم الدينى ، والمكتبة الإسلامية ، ومعهد القرآن الكريم .. وقد أنشأ هذه المؤسسة عام ١٩٥١م : الشيخ محمد طاهر ، أحد علماء جاكرتا : وهو خريج أحد المعاهد الإسلامية : بمكة المكرمة عام ١٩٣٨م، وهو الذى يدير هذه المؤسسة منذ إنشائها ، مستعينا بالمدرسين المتخصصين من الجامعات العربية ، والإسلامية .. وينحصر نشاطها : فى التعليم الدينى » والدعوة الإسلامية » والخدمات الاجتماعية ، والأعمال الخيرية .

ولعلماء أندونيسيا الأجلاء : وخاصة الذين تلقوا تعليمهم : بالأزهر الشريف ، وجامعة أم القرى : بمكة المكرمة : دور كبير فى التوعية الدينية ، بالإضافة إلى ما يقوم به السادة العلماء : مبعوثو الأزهر الشريف : من نشاط ملحوظ : فى هذا الميدان .

وإن كان الشعب الأندونيسى : لا يزال فى مسيس الحاجة إلى تبصيره بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة ..

وبالتالى إلى العمل الإيجابى الجاد : على صد تيار التبشير والذى يتستر أحيانا تحت اسم حركة الحب والإخاء .

نشاط التبشير :

وللتبشير وسائله المختلفة ، وأساليبه المتعددة ، والتى من بينها قيام المبشرين : بوسائل الإغراء المتنوعة ، وخاصة بالنسبة للفقراء والمعوزين : فى بعض القرى والجزر ، حيث يمدونهم خلسة : بالمال أو الغذاء أو الكساء ، يعقب ذلك زيارات دورية للأسر فى بيوتهم ، بحجة العمل على حل مشاكلهم .. ثم يبدأ الراهب : فى الحديث عن عيسى عليه السلام ، وما يتعلق بالنصرانية بأسلوب سهل مبسط .. هذا بالإضافة إلى قيامهم : بطبع آلاف المنشورات والكتيبات والأناجيل طباعة فاخرة ، وبلغتهم ، وتوزيعها مجانا عليهم ، بطريقة سرية ..

ومما يؤسف له أشد الأسف : أن عدد المسلمين : أخذ يتناقص .. من حين إلى حين : كنتيجة حتمية لتلك الجهود التى يقوم بها المبشرون بالدين المسيحى !!

وخير علاج لهذه المأساة الخطيرة يكمن فى موالاة الأزهر الشريف للعمل على زيادة المنح الدراسية للأندونيسيين ، والتوسع فى تعليم اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم والعمل على نشر الثقافة الإسلامية : فى ربوع البلاد : عن طريق الوعاظ ، والدعاة ، والمدرسين . وكذا العمل على إمداد تلك الجزر التى يَنْفُثُ فيها التبشير سمومه : بكتيبات عن الاسلام ومفاهيمه بأسلوب سهل مبسط وباللغة الأندونيسية حتى تؤتى ثمارها المرجوة .. والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ..

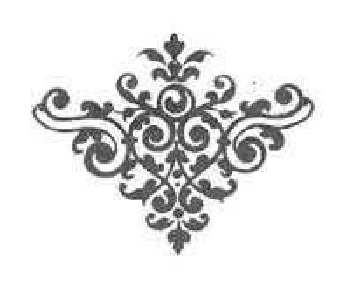

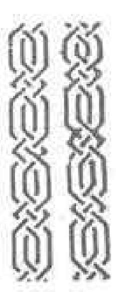

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»

السوق الإسلامية المشتركة بين النظرية والتطبيق

عرضنا فى المقال السابق لحتمية قيام السوق الإسلامية المشتركة لكونها السبيل إلى تحقيق وحدة الأمة ، كى تتمكن من مواجهة المتغيرات العالمية التى يشهدها عصرنا الحاضر . ولا غرو فتحقيق التكامل الاقتصادى الإسلامى أصبح البديل العملى المناسب كى تمتلك الأمة غذاءها ، وتبنى قدرتها « التقنية » ، ويصبح لديها من القوة المادية ما يمكنها من التعامل مع غيرها من الكيانات الدولية على أسس عادلة . ولا شك أن إقامة مثل هذه السوق هو الخيار المناسب لتحقيق « أمن أمتنا » ، الذى لا يتحقق من خلال هذا الركن المادى فقط بل يتطلب ركناً معنوياً ألا وهو « الإيمان » .

بقلم : لواء ا.ح. دكتور/
فوزى محمد طايل

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

(سورة النور ـ آية : ٥٥)

والسوق الإسلامية المشتركة ليست فكرة نظرية ، أو مجرد خيال . فمقومات قيامها متوافرة ، بل إن ما يجرى على الساحة الإسلامية منه ما يعد مؤشرات طيبة تبشر بنجاحها إذا خلصت النوايا واشتدت العزائم للتغلب على المعوقات التى تعترض طريق قيامها ، وأخذ المسلمون بالأسباب المادية لبناء آلياتها وتوكلوا على الله .

مقومات السوق الإسلامية المشتركة :

١ ـ لعل أهم وأقوى الدعائم « وحدة العقيدة » ، و « وحدة المنهاج » ، ووحدة « منظومة القيم » فى هذه الأمة ، وهى أمور مهما ران عليها من صدأ طوال ما يقرب من قرنين من الزمان ، فإن الصدأ لن يلبث أن يزول أمام العزائم الصادقة وإرادة التغيير ، ليستبين الجوهر النقى ، الذى صقلته وحدة الحضارة والتاريخ على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان . ولن يضل قومنا ما إن أخذوا بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ .

٢ ـ إن أمتنا الإسلامية تمثل « وحدة جغرافية » متصلة أو تكاد ، تمتد من « جاكارتا » فى أقصى الشرق حتى « داكار » فى أقصى الغرب ، ومن « حوض بحر قزوين » ، و « حوض البحر الأسود » حتى « حوض المحيط الهندى » ، يسر لها كل أنواع الاتصال البرى والبحرى والجوى ، وجعل لها إطلالات على كل محيطات الدنيا ، ومعظم بحار الأرض ومضايقها البحرية ، وتتوافر الأمطار الغزيرة بمعظم بلدانها ، ويمر بأراضيها عدد من أكبر وأهم الأنهار فضلاً عن ما بها من مياه جوفية ، وحباها الله بمناخ متنوع ، هو فى غالبه معتدل ، وبها آلاف الملايين من الأفدنة القابلة للزراعة* فضلاً عن المساحات الشاسعة المغطاة بالمراعى والغابات (بها ٨٠٪ من الانتاج العالمى للمطاط) . فإذا أضفنا إلى ذلك الثروة الحيوانية والسمكية الهائلة ، وكنوز الأرض من المعادن بدءاً من النفط (قرابة ثلثى الاحتياطى المؤكد فى العالم) وحتى اليورانيوم ، مروراً بالحديد والنحاس والألومنيوم والذهب .. الخ لعلمنا أن الله تعالى قد حبا هذه الأمة بالخير الكثير وجعل بين أيديها من الأسباب المادية لامتلاك القوة ما لا يتوفر لدى غيرها من أمم الأرض .

٣ ـ لا تنقص الأمة الإسلامية ـ بفضل الله ـ أى عنصر من عناصر الانتاج ، فلدى بعض أقطارها المال ، ولدى البعض الآخر الأيدى العاملة (مع وجود قدر معقول من العلماء والفنيين والعمال المهرة) ، ولديها المواد الخام على تنوعها ، ومصادر الطاقة التقليدية وغير التقليدية ، وتوجد بمعظم بلدانها « بنية أساسية » (طرق ـ وسائل اتصال .. الخ) بقدر معقول ، بل وبقدر زائد عن الحاجة فى بعض البلدان ، بل إن هناك من المشروعات العملاقة القائمة بالفعل ما يمكن البناء عليه وتوسيع وتنويع نشاطاته . وفى بلاد الإسلام عدد لا بأس به من رجال الأعمال « المنظمين » الناجحين المنتشرين فى كل بلاد العالم . هذه الأمور جميعها تيسر ـ إن احسن تنظيمها واستغلالها ـ تحقيق مصالح مادية مشتركة ، أو متوازية لكل البلاد الإسلامية ، وتساعد على التوسع فى المشروعات القائمة بالفعل ، كما أنها تساعد على « إنشاء التجارة » ، وتوسيع التجارة البينية (أى بين الدول الإسلامية وبعضها البعض) لاتساع السوق التى ندعو إلى إقامتها (يوجد ببلاد المسلمين وغيرها أكثر من ١٣٠٠ مليون مسلم ـ حوالى ٢٥٪ من سكان العالم بنسبة زيادة سنوية ٢,٧٪) وهذه الأمور تحقق بدورها واحداً من أهم متطلبات السوق وهو التوازن بين « العرض والطلب » .

٤ ـ تدخل البلدان الإسلامية كلها ـ بدرجات متفاوتة ـ فى إطار ما يسمى « بالبلدان النامية » ، فلا خشية من احتمال قيام أى منها باستغلال التكامل الاقتصادى من أجل تحقيق هيمنة سياسية شبيهة بتلك التى مارستها الدول « الامبريالية » الغربية على بلادنا لأكثر من مائة عام . يضاف إلى هذا وجود قدر مناسب من التشابه فى الأذواق وفى أنماط الاستهلاك بسبب

تقارب العادات ، والتقاليد ، والثقافة ، والمشكلات ، الأمر الذى يجعلنا نتوقع زيادة الاقبال على طلب السلع والخدمات الإسلامية ، بمعنى زيادة « الطلب » ، وتنشيط التجارة فيزداد الانتاج وتعتدل الأسعار .

٥ ـ لعل من أكثر المقومات أهمية وجود صحوة ووعى إسلاميين ـ لا يمكن انكارهما ـ وهما بفضل الله تعالى فى تزايد ونمو . ومن جهة أخرى فإن الكتابات والتأليف حول المنهاج الإسلامى بوجه عام ، وهو الشق الاقتصادى منه بوجه خاص ، قد بلورت الكثير من المفاهيم ، ووضعت من القواعد ما يصلح للتعامل مع المشكلات المعاصرة . ومنذ عقد المؤتمر الأول للاقتصاد الإسلامى بمكة المكرمة عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) عقدت الندوات والمؤتمرات الكثيرة ، التى كان منها ما عالج فكرة السوق الإسلامية المشتركة معالجة أخرجتها من مجرد الفكرة النظرية إلى التأصيل العلمى ، والبحوث الميدانية .

٦ ـ إن بين أيدينا إطاراً إسلامياً ، واقعاً ملموساً ، من شأنه ـ إن خلصت النوايا ، واشتدت العزائم ـ أن يصل بنا إلى تطبيق فكرة « السوق الإسلامية المشتركة » ، شريطة أن يحدث بهذا الاطار (منظمة المؤتمر الإسلامى) بعض التعديلات الهامة التى تتناول ميثاقه وأسلوب عمله ، نعرض لها بعد قليل .

وقد يكون من المناسب أن أضع بين يدى القارىء الكريم المؤسسات الإسلامية التى أقيمت فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى :

(ا) المؤسسة الإسلامية للعلوم و « التكنولوجيا » والتنمية ـ جدة (يوليو ١٩٧٥) .

(ب) البنك الإسلامى للتنمية ـ جدة (أكتوبر ١٩٧٥ م) ، فضلاً عن « الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية » الموجود بالقاهرة .

(جـ) اللجنة الإسلامية للشئون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ـ اسطنبول (يناير ١٩٧٧ م) .

(د) مركز البحوث الاحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب ـ طرابلس (مايو ١٩٧٧ م) .

(هـ) المركز الإسلامى للتدريب التقنى والمهنى والبحوث ـ داكار (أبريل ١٩٧٨ م) .

(و) المركز الإسلامى لتنمية التجارة ـ مكة (يناير ١٩٨١ م) .

(ز) اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى بين الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى (١٩٨٦ م) .

(ح) المجلس الإسلامى للطيران المدنى .

(ط) اتحاد الغرف الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع .

(ى) الاتحاد الإسلامى لملاك البواخر .

٧ ـ وأخيراً فإن هناك « تجمعات اقتصادية إسلامية » فرعية قامت بالفعل ، ومنها ما قطع شوطاً لا بأس به ، وهى تقع بين « المقومات » التى تساعد على قيام السوق الإسلامية المشتركة وبين « المعوقات » التى تعوق قيامها .. والأمر يعتمد على صدق النوايا ووضوح الرؤية . ويمكن الاشارة إلى بعض هذه التجمعات الاقتصادية الفرعية فيما يلى :

(ا) « السوق العربية المشتركة » ، التى أعلن عن قيامها عام ١٩٦٤ م تنفيذاً لمعاهدة التعاون الاقتصادى والدفاع المشترك ، التى وقعت فى إطار الجامعة العربية . ورغم أن هذا التجمع لم يلغ حتى الآن إلا أن قيامه على فكرة « تحرير التجارة » حال دون تحقيقه لهدفه فتمخض التجمع عن بعض المشروعات المشتركة ، معظمها فى قطاعات المال والائتمان والتأمين .

(ب) « مجلس التعاون الخليجى » ، وهو قائم بين الدول النفطية فى شبه الجزيرة العربية ، ويكاد يقتصر نشاطه على التعاون فى مجال النفط وصناعاته الوسيطة ، ويلقى صعوبات جمة فى سوقه الطبيعية ، وهى أوروبا ، بسبب قيام المجموعة الأوروبية بفرض حواجز تعريفية (جمركية) على الصناعات « البتروكيماوية » العربية ، واعتزامها فرض ضريبة على ما تستورده من نفط من الدول الخليجية بحجة حماية البيئة !

(جـ) « اتحاد دول المغرب العربى » الذى قام منذ عام ١٩٨٩ م .

(د) « المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (ECWAS) ويضم ست عشرة دولــــة (١٩٧٥) .

(هـ) « اتحاد نهر مانو » (MRU) ، ويضم سيراليون ، وغينيـا ، وليبيريـا (١٩٧٣ م) . هذا والاتحادان الأخيران شكليان هامشيان .

(و) « تجمع الآسيـان » ، ويضم اندونيسيـا ، وسنغافورة ، وبروناى ، والفلبين ، وتايلاند . وقد قام هذا التجمع عام ١٩٦٧ م .

(ز) « منظمة التعاون الاقتصادى » التى قامت منذ عام ١٩٦٥ م ، بين كل من تركيا ، وإيران ، وباكستان ، وفى شهر مايو ١٩٩٢ عقد مؤتمر قمة فى « عشق أباد » عاصمة تركمنستان ، بين دول المنظمة وخمس من الدول الإسلامية بوسط آسيا : (تركمنستـان ـ طاجيكستـان ـ أوزبكستـان ـ قرغيزيا) ، لتوسيع النطاق الجغرافى « لمنظمة التعاون الاقتصادى » ، والاتفاق على مشروعات فى مجالات النفط والجمارك والنقل والمواصلات . والتجمع المذكور يضم أكثر من ٢٠٠ مليون مسلم ، وتضم أراضيه امكانات زراعية واستخراجية وثروة حيوانية جيدة ، فضلاً عن النفط والغاز الطبيعى . وفضلاً عن الأهمية « الاستراتيجية » لهذه المجموعة فإن انضمام كل من أذربيجان ، وأفغانستان لها مستقبلاً ـ وهو أمر متوقع ـ سوف يزيد من أهمية هذا التجمع باعتباره خطوة مشجعة على طريق إقامة السوق الإسلامية المشتركة بمفهومها الواسع .

عقبات تعترض طريق قيام السوق الإسلاميـــة المشتركـــة :

من الطبيعى أن يكون أمام أى مشروع عدد من العقبات والتحديات ، ومهما كانت صعوبتها أو تعقدها ، فإن توفر إرادة اجتيازها ، والاصرار على ذلك ، مع الاستعانة بالله والتوكل عليه ، يؤدى بمرور الزمن إلى بلوغ الهدف . هذا ونجد العديد من العقبات والتحديات التى تعد بمثابة عراقيل أمام قيام السوق وتطبيق فكرته ، ونقلها إلى الواقع :

١ ـ ضعف الوعى بشئون التكامل الاقتصادى ، وتشكك بعض الأطراف الإسلامية ، خاصة ذات الدخل القومى المرتفع ، وخشيتها ضياع ما بأيديها من ثروة لصالح الدول الأقل ثروة .

٢ ـ التمسك بأفكار السيادة ، وفكرة الدولة بمفهومها التقليدى ، الذى لا يتناسب والمنهاج الإسلامى من ناحية ، ومن ناحية أخرى تجاوزته الأحداث والزمن ، فعالم اليوم أصبح عالم تكتلات ، بل بدأت فكرة « مجتمع العالم » World Society تظهر فى الأفق ، ولم يعد لأفكار « السيادة والحدود » المهابة القديمة .

٣ ـ وجـــود خلافـــات « مذهبيـــة » و « أيديولوجية » ، واعتناق بعض الدول لفكرة « العلمانية » صراحة أو ضمنا ، وبالتالى فهى تسقط من حساباتها جزءاً كبيراً من منهاج الإسلام ، على الأقل فى مجال الاقتصاد الإسلامى .

٤ ـ سوء توزيع السكان ، فبينما نجد كثافة سكانية عالية فى بنجلاديش ، وباكستان ، ووادى النيل ، نجد شبه فراغ سكانى فى ليبيا ، وعلى جانبى البحر الأحمر ، وغرب الخليج ، ويزيد من صعوبة التغلب على هذه المشكلة وجود صعوبات إدارية وتنظيمية ، وقلة منشآت البنية الأساسية والخدمات ، خاصة وسائل الانتقال والطرق كى يتم انتقال السكان من مناطق التكدس إلى مناطق الفراغ السكانى .

٥ ـ ضعف أجهزة المعلومات ، والاعتماد على الاحصائيات التى تقوم بها جهات أجنبية يهمها ألا يقوم تجمع إسلامى ذو شأن .

٦ ـ وقوع عدد كبير من الدول الإسلامية فريسة للهيمنة الغربية ، خاصة فى الشئون الاقتصادية ، بسبب ما تتلقاه منها من معونات وقروض ، لا يتصور إلا أن تكون مشروطة بشروط لصالح الجانب الذى يهمه ألا تتحقق فكرة التكامل الإسلامى ، ومن هذا القبيل أيضاً وجود معظم الأموال الإسلامية بالبنوك

الأجنبية ، تحت سيطرة اليهود ! وتعرض هذه الأموال بين الحين والآخر لأخطار المصادرة والتجميـــد ، وتخفيض قيمتها ، واستهلاكها فى تبادلات تجارية هى من قبيل عقود الاذعان التى تحتوى على قدر كبير من الغبن للجانب الإسلامى .

٧ ـ ضعف التجارة البينية إذ لا تتعدى ١٠,٤٪ من اجمالى تجارة الدول الإسلامية ، ويرجع ذلك أساساً لعاملين هما : تشابه النشاط الاقتصادى ، وعدم وجود مواصلات برية أو بحرية أو جوية مباشرة بين بعض هذه البلدان والبعض الآخر .

٨ ـ ضعف القطاع الصناعى بسبب التخلف التقنى ، وهجرة العلماء والأيدى الفنية الماهرة إلى خارج الأمة الإسلامية ، وحدوث خطأ خطير فى مفهوم « نقل التكنولوجيا » ، إذ يتصور البعض أن قيام الشركات الأجنبية بفتح فروع لها فى بلادنا ، أو السماح بتجميع منتجاتها عندنا « بتصريح » Under Licence هو بمثابة نقل لهذه « التكنولوجيا » ، والحقيقة عكس ذلك تماماً ، فهذه الأمور تقلل فرص التقدم التقنى فى بلادنا وتؤكد التبعية الاقتصادية للغرب ، وتمكن هذه الشركات من استغلال المواد الخام والأيدى العاملة فى بلادنا ، وغزو أسواقنا لقربها منها فتوفر نفقات النقل وما إليها ، وتصبح منتجاتنا غير قابلة للمنافسة حتى فى أسواقنا .

٩ ـ اعتماد الكثير من البلدان الإسلامية على الضرائب الجمركية كمورد رئيسى لخزانة الدولة ، فهى بذلك تنظر إلى فكرة التكامل الاقتصادى بعين الشك إذ قد تتسبب الفكرة فى حرمانها من بعض مواردها المالية بسبب رفع القيود الجمركية فى التجارة البينية ، ويدخل فى هذا الاطار ارتفاع الضرائب على المهن التجارية والصناعية لدى بعض البلدان الإسلامية الأمر الذى يعرقل قيام المشروعات الحالية بالتوسع عبر الحدود وانتاج سلع قادرة على منافسة مثيلاتها الأجنبيات .

١٠ ـ استمرار معظم مصارف البلدان الإسلامية فى التعامل « بسعر الفائدة » ، أى « بالربا » الأمر الذى يوجه أكثر من ٧٥٪ من الايداعات المحلية إلى الاقراض عامة ، وإقراض الحكومات خاصة ، وأكثر من ٨٠٪ من الايداعات بالعملات الأجنبية توجه إلى بنوك أمريكا وأوروبا أو تمويل عمليات الاستيراد من تلكم البلدان .

ولعل مما يبشر بالأمل ، باذن الله ، أن معظم هذه المعوقات تجد علاجها تلقائياً بمجرد اتخاذ الاجراءات العملية الجادة لاقامة « السوق الإسلامية المشتركة » ذاتها ، شريطة أن يكون هناك إيمان بالفكرة واستعداد لبعض التضحيات للحصول على الخير العميم والمصلحة المؤكدة من وراء قيام السوق .

الآليات اللازمة لاقامة سوق إسلامية مشتركة :

١ ـ تأكيد وترسيخ وحدة منظومة القيم الإسلامية :

سواء فى مجال القيم الإسلامية العليا (العلم الايمان ـ العمل ـ تكريم الإنسان ـ وحدة الأمة الإسلامية ـ العدل ـ الشورى) ، أو فى المجال الاقتصادى (حرية السوق المنضبطة بضوابطها الإسلامية ـ حماية الملكية الفردية بمفهومها الإسلامى ـ التكافل الاجتماعى) . وتعد هذه الآلية هى نقطة البداية والعمود الفقرى لفكرة السوق الإسلامية المشتركة . ولا غرو فأمامنا مثل « السوق الأوروبية المشتركة » قامت ، واستمر قيامها على أساس وحدة « منظومة » القيم الديمقراطية الغربية ، ورفضت ولم تزل ترفض انضمام « تركيا » ، و « المغرب » لهذه السوق بسبب الاختلاف فى منظومة القيم ، لأن الخلاف واضح لا جدال فيه بين « منهاج الإسلام » من جانب وبين « الديمقراطية الغربية » من جانب آخر ، وهذا ما يدركونه تماماً فى الغرب .

٢ ـ بناء قاعدة تكنولوجية إسلامية :

لقد صارت التكنولوجيا فى عصرنا الحالى بمثابة قوة مستقلة من قوى المجتمع ، وبلغ تقدير الغرب لها ولأهميتها بوصفها أحد العمد الرئيسية لمجتمعاتهم أن أوصى مؤتمر قمة الدول الصناعية الذى عقد فى شهر

يوليو ١٩٩١ باحتكارها ومنع تسربها إلى دولنا حتى يظلوا محتفظين بتفوقهم الحضارى .

إن التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية يعنى الاستقلالية والاكتفاء الذاتى والمنافسة التجارية على المستوى الدولى وكلها أمور لا يمكن ارتيادها مع استيراد تكنولوجيا الآخرين أو التقاط ما يسمح لنا بالتقاطه منها . فلا بد إذاً من بناء القاعدة التكنولوجية الإسلامية المستقلة بحيث نبدأ من حيث انتهى الآخرون . وأجد مناسباً أن أسهم ببعض الأفكار العامة المفيدة فى بلوغ هذا الهدف :

(ا) أسلمة العلوم بمعنى اتباع التوجيه الإسلامى فى تعليمها وتعلمها وتطبيقها ، والمعيار لذلك هو : قيم الإسلام وأوامره ونواهيه .

(ب) الاستفادة على نطاق واسع بالعلماء والفنيين المسلمين بالجمهوريات الإسلامية المستقلة فى وسط آسيا .

(جـ) إنشاء مدن للعلماء ، وأخرى لطلائع العلماء (من الطلاب المتفوقين من سن ١٠ سنوات فأكثر) .

(د) زيادة الاهتمام بالبحث العلمى والتطوير ، وزيادة الانفاق عليه ، كذا الاهتمام بالتعليم الفنى والتأهيل المهنى وتنمية المهارات فى مراحل التعليم قبل الجامعى .

٣ ـ بناء قاعدة للمعلومات الاقتصادية على مستوى الأمة الإسلامية .

٤ ـ إنشاء رابطة للمصدرين والمستوردين الإسلاميين تعمل فى اطار من التنسيق الكامل مع « اتحاد الغرف الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع » .

٥ ـ إنشاء اتحاد للقوى العاملة الإسلامية يعمل بناء على خطة للتنسيق بين البلدان الإسلامية لتحسين ظروف وشروط حركة العمالة الإسلامية بين دولها ، وحسن استغلال الكفاءات الإسلامية واعطائها أولوية فى التوظف .

٦ ـ إنشاء نظام اعلامى إسلامى موحد يلتزم بقيم الإسلام ، ويرسخ مناهجه فى النفوس ، ويسهم فى الدعوة ، ويتصدى للغزو الفكرى والثقافى ويدعم فكرة التكامل الاقتصادى الإسلامى .

٧ ـ التوحيد التدريجى للقوانين الاقتصادية والمالية الإسلامية كخطوة فى سبيل إصدار مجموعة القوانين الإسلامية الموحدة .

٨ ـ إقامة مجتمعات عمرانية مشتركة فى المناطق الفارغة من السكان كجانبى البحر الأحمر والصحراء الليبية والصحراء المغربية وغيرها .

٩ ـ تحويل الوحدة الحسابية الإسلامية (الدينار الإسلامى) إلى عملة متداولة ، وتحريرها من الارتباط بصندوق النقد الدولى ، وهذا يستلزم قيام « بنك مركزى إسلامى » ، كبنك للبنوك الإسلامية ، يتحول فيما بعد ليصبح بنكاً لبنوك الأمة الإسلامية ؛ بعد أن تتحول هذه جميعها إلى المعاملات الإسلامية المبرأة من الربا .

١٠ ـ تشجيع مشروعات المشاركة الإسلامية الدولية وتوسيع نطاق الموجود منها ، والخروج بهذه المشروعات من نطاق القطاع المالى والقطاع السياحى لدخول مجال الصناعة والزراعة والنقل وتصنيع الاحتياجات الدفاعية للأمة .

١١ ـ إقامة سوق لرأس المال الإسلامى للحد من هجرة رءوس الأموال الإسلامية للخارج ، وحسن توظيفها وتداولا .

التدرج هو السبيل لاقامة السوق الإسلامية المشتركة :

إن الأسلوب العملى السليم ـ فى تقديرى ـ لاقامة التكامل الاقتصادى الإسلامى يجب أن يكون باتباع استراتيجية متدرجة تحدد فيها الأهداف المطلوب تحقيقها خلال مراحل متدرجة متصاعدة ، دون إبطاء مثبط للهمم ، أو تعجل يحدث انتكاسة . وهذا هو الأسلوب الإسلامى فى التشريع .

كما يجب علينا أن ننبه إلى أن الانبهار بتجارب الآخرين ومحاولة تقليدها أمر ضار غير نافع ، لأن ما يصلح لأمة لا يصلح لأمة أخرى ، وصدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

(سورة المائدة ـ ٤٨)

لذا فقد لا يكون من المناسب أن نبدأ بإنشاء « منطقة إسلامية للتجارة الحرة » ؛ لأن هذا الأمر تكتنفه الكثير من الصعوبات ، وتحتاج إلى مفاوضات طويلة ، وضبط للسياسات ، وهى أمور قد تقابل الكثير من العوائق والتدخلات الخارجية المؤثرة ، كما أن إنشاء مثل هذه المنطقة مع ما نحن فيه من تخلف صناعى سوف يؤدى غالباً إلى « تحويل التجـــارة » Trade deflection فيتعرض التكامل للفشل .

وما ينطبق على « المنطقة الحرة » ينطبق على صورة « الاتحاد الجمركى » ، لذا فإن المناسب لظروف أمتنا هو الدخول مباشرة فى مجال « إنشاء المشروعات المشتركة » وتوسيع مجالاتها ، والتوسع الجغرافى لفروعها ولنشاطاتها مع حسن توزيعها وتوزيع عوائدها بالعدل ، وقد يكون من الضرورى أحياناً ـ تغلياً للعدل ـ أن تقام بعض الصناعات فى بلد إسلامى دون آخر مراعاة للميزة النسبية ، وتقليلاً لنفقات الانتاج الأمر الذى يقتضى تعويض بعض البلدان الإسلامية ذات الامكانات الأقل (مثل تشاد ، وجيبوتى ، والنيجر ، وموريتانيا ... مثلاً) . وذلك من خلال إنشاء « صندوق للتنمية الاجتماعية والاقتصادية » يمول بجزء من عائدات المشروعات المشار إليها ، وبجزء من عائدات الصناعات الاستخراجية كالنفط وباقى المعادن كالذهب والنحاس والألومنيوم والحديد ... الخ .. وعلى « البنك الإسلامى للتنمية » تقع أيضاً مسئولية تمويل مشروعات التنمية فى هذه البلدان كأسبقية أولى .

إن الأولوية الملحة فى المشروعات المشتركة يجب أن تكون فى « مجال الزراعة » ، لأن الاكتفاء الذاتى من الغذاء ليس ضرورة للتنمية والتكامل الاقتصادى فحسب ، بل إن بدونه يتعرض الأمن الإسلامى (القيم ـ ومنهاج حياة المسلمين ـ وقراراتهم ـ وأراضيهم) للمخاطر والتهديدات . على أنه من المهم أن تحدث التوازن بين مشروعات الزراعة ومشروعات الصناعة من جهة ، وبين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية من جهة أخرى ، وبين تحقيق قدر مناسب من الاكتفاء الذاتى ، واستمرار التبادل التجارى على المستوى الدولى من جهة ثالثة .

بالتوسع فى المشروعات المشتركة سوف تحدث حركة تلقائية لرءوس الأموال ، والأيدى العاملة ، والخدمات ، والخامات ، وسوف « يتوازن تيار التجارة » بين الأقطار الإسلامية من جهة ، وبينها وبين العالم الخارجى من جهة أخرى ، ولا غرو فهذه سنة إلهية دلنا عليها رسول الله ـ ﷺ ـ عندما امتنع عن التسعير فى حديثه المشهور ، وعندما نهى عن التدخل فى الصفقات التجارية باحتكار أو بتلقى الركبان أو ببيع الحاضر للباد .

من ناحية أخرى فإن الحواجز الجمركية والحدود المصطنعة سوف تسقط تلقائياً إذا ما نجحنا فى بلوغ هذه الأهداف لنرى فى النهاية مشروعات اقتصادية عملاقة قادرة على انتاج السلع الإسلامية والمنافسة فى الأسواق العالمية .

وباكتمال السوق الإسلامية المشتركة تكون الأمة مهيأة لبلوغ وحدتها واستعادة مكانتها الحضارية التى غابت عنها أكثر من مائتى عام .

يقول الله تبارك وتعالى :

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

(سورة النحل ـ ٩٧)

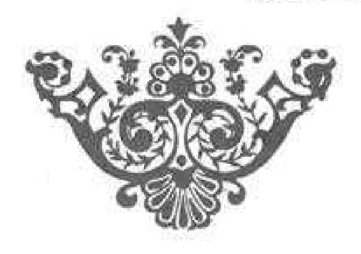

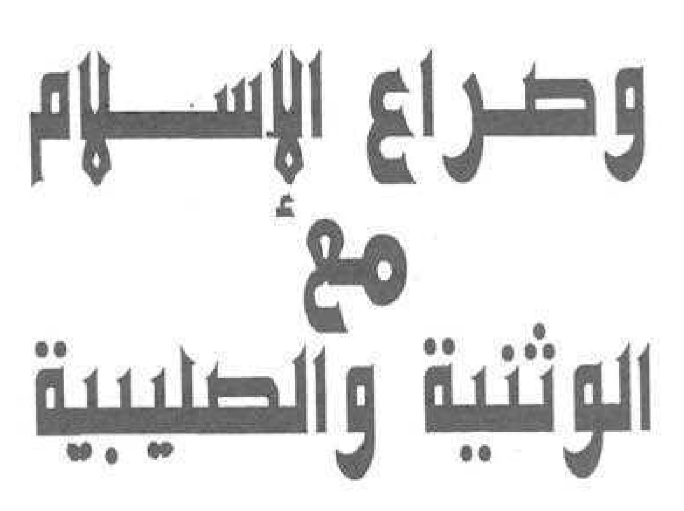

الحلقة الأخيرة

مونكوخان (٦٤٦هـ - ٦٥٧هـ)
(١٢٤٨م - ١٢٥٩م)

بقلم الدكتور/ أحمد محمد الدسوقى المنوفى

ذكر النويرى أنه كان يدين بدين النصرانية ، بينما يذكر رشيد الدين أنه كان بوذيا[١] ، وقد لاحظ المستشرق فاسيلى برتولد ـ بناء على ماتوفر لديه من روايات ـ أن كلا من اتباع الديانات المختلفة كان يعد القاآن (مونكوخان) من ملته ، ولكنه كان شامانيا يرى أن جميع الأديان جديرة بالاحترام والتقدير ، ولم يسمح البتة باضطهاد أحد من الناس بسبب العقيدة كذلك لم يحس من نفسه أى دافع لقسر اتباع الديانات الأخرى على الالتزام بقواعد الياسا[٢] .

وعلى ذلك استقبل المسلمون فى عهده ـ فى رأي هذا المستشرق وأمثاله ـ عصرا من الحرية الدينية بعد الاضطهاد والتعصب فى عهد سلفه « كويوك » ، وأصبح المسلمون فى مأمن من مؤامرات الحاقدين المتعصبين ، وقد بسط ظل حمايته عليهم ، ومن الحوادث التى تذكر تدليلا على ذلك ، المحاكمة التى جرت لأديقوت ـ أى رئيس إلا يغور وكان قد دبر مؤامرة تهدف إلى قتل جميع المسلمين ببلاده أثناء صلاة الجمعة ، وقيل إن الملكة الوصية « أوغل غايميش » هى التى أمرته بذلك ، وقد قام مونكوخان بمحاكمته بنفسه ، وحكم عليه بالاعدام ، واعدم معه اثنان من الكبار «[٣]

• الكاتب مدرس التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر .

(١) النويرى نهاية الأدب جـ ٢٧ صـ ٥٥٣ ، ورشيد الدين جامع التواريخ جـ ١ صـ ٤٨١ .

(٢) فاسيلى برتولد مرجع سبق صـ ٦٨٥ ، صـ ٦٨٦ .

(٣) المرجع السابق .

وحوادث التاريخ تجعلنا لا نسلم بأنه كان متسامحا فى معاملته للمسلمين ، أو أنهم عاملهم معاملة طيبة ، أما حادثة ايدقوت إلا يغور ـ إن صحت ـ ففى رأيى أن لها ملابساتها ، ولا تؤخذ دليلا على حماية المسلمين من أعدائهم ، وحسن معاملتهم ، وهذه الملابسات هى وجود الملكة « أوغل غايمش » أرملة كويوك كطرف فى هذه المؤامرة ـ على ما قيل ـ فقد كان مونكوخان لا يحسن معاملتها ويسىء الظن بها[4] ، ومن هنا كانت شدته مع المتآمرين .

ويثبت التاريخ أنه كان شديدا وقاسيا على المسلمين ، وفى عهده قوى الاتصال بين المسيحيين فى أوربا والمغول وقد أراد المسيحيون أن يتخذوا من المغول قوة لتحطم القوى الاسلامية والانتقام من المسلمين بعد الضربات العنيفة التى لحقت بهم على أيدى صلاح الدين وخلفائه ، ولهذا أخذوا يرسلون سفراءهم إلى بلاط قاآن المغول ، ومن هذه السفارات السفارة التى أرسلها لويس التاسع ملك فرنسا برئاسة أحد رجال الدين واسمه (وليم رو بروق) وقد رحل عن عكا سنة ٦٥٠هـ (١٢٥٢م) ووصل إلى عاصمة الامبراطورية المغولية قراقورم ، واستقبله القاآن منكو استقبالا حسنا ، وسمح له أن يناظر العلماء البوذيين والمسلمين فى حرية تامة ، غير أنه لم يعطه جوابا مقنعا فيما يتعلق بتكوين اتحاد بين المغول والمسيحيين ضد المسلمين ، وطلب إليه أن يسارع لويس مع جميع الملوك المسيحيين إلى الدخول فى طاعته ، وكانت سياسة القاآن منكو الخارجية تقوم على اعتبار أصدقائه أتباعا له أما أعداؤه فينبغى القضاء عليهم أو إخضاعهم حتى يكونوا أتباعا له فقد كان القاآن لا يقبل أن يكون فى العالم سيد سواه[5] .

وكان طبيعيا أن يرفض لويس هذا الشرط ، وهكذا تحطم مشروع التحالف بين مسيحيى أوربا والمغول على صخرة الاستعلاء والرغبة فى السيادة على الجميع من قبل المغول فى عهد منكوخان ، كما حطمه من قبل التعصب المذهبى من قبل البابوية فى عهد كيوك خان ، وقد كان لدى كيوك خان شيئا من اعتقاد السيادة على الجميع فى بداية حكمه ولكن يبدو أنه كان على استعداد للتغاضى عن ذلك أمام التحالف ضد المسلمين بدافع من تعصبه الشديد ضدهم .

ووجد المغول فى شخصية هيتوم الأول ملك أرمينيه الصغرى حليفا مسيحيا لا يأنف من الخضوع لهم فى سبيل تحقيق آماله فى النيل من المسلمين ، وما إن علم هذا الملك بتوليه قاآن جديد قوى وهو منكوخان حتى سارع بنفسه إلى عاصمة المغول ، وقدم نفسه على أنه تابع للقاآن ، ونظير ذلك نال عند منكوخان منزلة سامية ، فأقام له حفل استقبال رسمى ، وجعله كبير مستشارى الخان المسيحيين فى كل ما يتعلق بأمور غرب آسيا ، ووعده بإعفاء الكنائس والأديرة المسيحية من الضرائب بالاضافة إلى وثيقة تكفل السلامة لشخصه ومملكته .

وبذل الملك هيتوم الأول خلال المدة التى أقامها فى عاصمة المغول جهودا مكثفة لاقناع القاآن بالقيام بحملة مشتركة ضد المسلمين ، ووافق القاآن أمام إلحاحه على مساعدة المسيحيين ، وكلف أخاه هولاكو بالسير إلى بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية لإسقاطها ، كما تعهد بأن يعيد بيت المقدس إلى المسيحيين إذا ما تعاونوا مع المغول تعاونا كاملا[6] .

---

(٤) مما يدل على ذلك رسالة منكوخان إلى لويس التاسع التى يتنكر فيها لسياسة التحالف التى اتبعها سلفه معهم ، ووصف فيها الملكة أوغل غايمش التى كانت قد استقبلت سفارة لويس بالعطف ـ بأنها امرأة شريرة أسوأ من كلبه ، وأنى لها أن تعرف شيئا فى شئون الحرب والسلم أو مصالح الدولة . فاسيلى برتولد مرجع سبق صـ ٦٩٥ ، صـ ٦٩٦ .

(٥) ستيفن رنسيمان مرجع سبق حـ ٣ صـ ٥١٠ ، صـ ٥١١ ود. الصياد مرجع سبق صـ ٢١٢ .

(٦) د. الصياد المرجع السابق صـ ٢١٥ .

وهكذا تحالفت الصليبية مع الوثنية ضد المسلمين ، ودخل هو لاكو بغداد تحت راية أخيه وسيده منكوخان وصب الغزاة جام حقدهم على المدينة ، وقتلوا من المسلمين الأعداد الهائلة ، ودمروا من مظاهر الحضارة الاسلامية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولم ينج منهم أحد سوى النصارى والشيعة ، واختلف الناس فى عدد من قتل من المسلمين ببغداد فى هذه الواقعة ، فقيل ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف ، وقيل ألفى ألف نفس[٧] . واستطاع المسيحون أن يعيدوا بناء كنائسهم بعد ذلك وفى ظل دولة المغول ، وأن يعقدوا احتفالاتهم ومواكبهم الدينية العامة .

وكانت روح التعصب ضد الاسلام فى عهد منكوخان واضحة المعالم ، ولم تكن قاصرة على الطبقات العادية من الناس ، بل ظهرت فى أوساط الطبقة الحاكمة ، وبين أفراد البيت الحاكم نفسه ، والمثال الواضح على ذلك ما حدث عندما دخل بركة خان ـ عاهل المملكة التتارية فى جنوب روسيا أو مملكة القبائل الذهبية ـ الإسلام وهو من أسرة جنكيز خان[٨]، وقد أثار دخوله الإسلام حفيظة أمير مغولى مسيحى هو « سرتاق » ابن أخى بركة وكان يعد الرجل الثانى فى امبراطورية المغول فى عهد القآن منكو ، فوجه إلى عمه بركة حديثا عبر فيه عن عدائه الشديد للاسلام حيث قال له : (انت مسلم وأنا نصرانى ، وإنى لأطير برؤية وجه المسلم)[٩] .

هذا وقد عامل منكوخان النصارى فى دولته معاملة كريمة لم يظفر بها غيرهم ، فقد كانت أمه نصرانية ، لذلك فقد أسند تعليم ولده الأكبر إلى رجل نصرانى ، وكان كبير وزرائه بلغاى نصرانيا أيضا .

أما موقف المغول من اليهود فتشير المراجع إلى أنهم عوملوا معاملة سيئة ، فقد أعفى رجال الدين من مختلف الملل من كل الضرائب فى عهد منكوخان باستثناء اليهود وحدهم ، ويبرر بعض الباحثين ذلك بأن بلاط الخان لم يكن به ممثلون لليهود يشفعون لهم عند القآن بينما وجد للمسلمين والمسيحيين والبوذيين ممثلون[١٠] وهذا تبرير للظلم بظلم آخر وهو حرمان تمثيلهم فى بلاط القآن .

ولعل ما نال اليهود من ظلم على أيدى المغول يفسر لنا موقفهم من غزو المغول لبغداد ، فقد حاربوا مع المسلمين حتى آخر لحظة ، وقاسوا معهم ويلات المذابح التى أعقبت سقوط بغداد[١١] على أن موقف اليهود بدأ يتغير تدريجيا نحو التقرب من المغول ، فنجدهم فى بلاد الشام يوقعون الأذى بالمسلمين أثناء الغزو المغولى ، كما فعل النصارى ، وإن كان ذلك بدرجة أقل ، ولذلك عندما انتصر المسلمون فى موقعة عين جالوت ، وبدأ المغول ينسحبون من الشام ، أخذ المسلمون ينتقمون ممن تحالف معهم ، فانتقموا من النصارى ، ثم هموا بنهب اليهود فنهب قليل منهم ، ثم كفـــوا عنهم لأنهم لم يصدر عنهم ما صدر من النصارى[١٢] ، وقد تزايد التقارب بين اليهود والمغول بعد ذلك[١٣]

---

(٧) ابن كثير البداية والنهاية حـ ١٣ صـ ٢٠٢ الذهبى دول الاسلام حـ ٢ صـ ١٢٣ حيدأباد الركن ١٣٣٧ هـ .

(٨) النويرى نهاية الأرب حـ ٢٧ صـ ٣٥٦ وبرتولد شبولر مرجع سبق صـ ٥٠ ـ صـ ٥١ وبركة خان أول من دخل الاسلام من هذه الأسرة .

(٩) فاسيلى برتولد مرجع سبق صـ ٦٩٢ .

(١٠) المرجع السابق صـ ٦٨٦ ـ صـ ٦٨٧ والحاشية رقم ١٤٢ .

(١١) د. عبد السلام عبد العزيز فهمى تاريخ الدولة المغولية فى ايران صـ ١٣٠ .

(١٢) محمد كرد على خطط الشام حـ ٢ صـ ١٠٧ ـ صـ ١٠٨ الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

(١٣) بلغ تقارب اليهود مع الحكام المغول أوجه فى الملكخانية ايران فى عهد « أرغون خان » (٦٨٣ ـ ٦٩٠ هـ = ١٢٨٤ ـ ١٢٠١ م) حيث شغل منصب الوزارة لهذا الملك « سعد الدولة اليهودى » وتعاون الاثنان فى العمل ضد المسلمين ، وذاق المسلمون فى هذا العهد صنوف الأذى والتعذيب والقتل ، وبلغ حقد هذا اليهودى على الاسلام والمسلمين درجة التفكير فى هدم الكعبة المشرفة ، وإحلال معبد بوذى (بت خانه) محلها ، وقد انتهى أمر هذا الوزير بالعزل ثم القتل أثناء احتضار أرغون خان على أيدى أمراء من المغول لأهداف سياسية ، وفرح المسلمون لمقتله فرحا عظيما . د. عبد السلام فهمى مرجع سبق صـ ١٧٥ ـ صـ ١٧٧ .

قوبيـــــلاى (٦٥٨ ـ ٦٩٣ هـ ١٢٦٠ ـ ١٢٩٤ م) :

بعد موت مونكوخان سنة ١٢٥٩ م (٦٥٧هـ) تم اختيار قاآنين فى وقت واحد ، هما قوبيلاى فى الصين وأريغ بوكا فى منغوليا ، وحدث قتال بينهما ، وتم النصر لقوبيلاى على أريغ بوكا ، وأعلن خضوعه سنة ١٢٦٤م (٦٦٣هـ)[١٤] ، وقد استمر قوبيلاى فى منصبه حتى سنة ١٢٩٤م (٦٩٣هـ)[١٥] ولم يكن على مستوى من سبقه فى منصب القاآن قوة ونفوذا على الرغم من طول فترة حكمه ، ويرى النويرى « أنه بعد وفاة منكوخان استقل كل ملك من ملوك التتار بنفسه ، وانفرد بمملكته ، بعد أن كان الجميع يدخلون تحت طاعة من ينتصب على تخت القانية ويأتمرون بأمره »[١٦] هذا وقد اعتنق قوبيلاى البوذية وزاد نفوذها زيادة كبيرة[١٧] .

أما موقف قوبيلاى من المسلمين ، وبخاصة فى بلاد الصين التى كانت تحت حكمه المباشر ، فهناك ما يشير إلى تقديره للملسمين وتولية بعضهم مناصب الدولة ، ومن هؤلاء « السيد أجل شمس الدين » الذى أسند إليه ادارة مقاطعة يونان بجنوب الصين الغربى ، وعندما ذهب بعض المواطنين العاملين تحت ادارة شمس الدين إلى قوبيلاى للشكوى زاعمين أن شمس الدين طاغية مستبد ، أدرك قوبيلاى أنها شكوى كيدية ولا أساس لها من الصحة ، لذلك أمر بتكبيل هؤلاء الشاكين بالأغلال والقيود ، ثم أعادهم إلى شمس الدين ـ الذى كان يتميز بحسن السياسة ـ فعفا عنهم ، وأعادهم إلى مناصبهم ؛ مما كان له أكبر الأثر فى إخلاصهم له بعد ذلك[١٨] .

هذا وسيتركز الاهتمام على الممالك المغولية الفنية التى تفرعت عن الامبراطورية الأم لتوضيح علاقة المغول بالأديان ، وسنختار منها مملكتين هما مملكة القبائل الذهبية ، وايلكخانيه إيران ؛ لأهميـة هاتين المملكتين ولأن صراع المسلمين مع البوذيين والمسيحيين فيهما كان واضح المعالم بارز القسمات ، وتمثل أحدهما الجانب الاسلامى (مملكة القبائل الذهبيـة) وتمثل الثانيـة الجانب البوذى والمسيحى فى آن واحـــد (ايلكخانيه إيران) .

مملكة القبائل الذهبية :

قيل إنها دعيت بهذا الاسم نسبة لخيمة الخان المذهبة ، وكانت هذه المملكة ببلاد الشمال ونواحى الترك والقفجاق ، وعاصمتها حراى أو سراى على الشاطىء الأيسر لنهر الفولجا ، وحاكمها بركة خان (٦٥٢هـ ـ ٦٦٥هـ = ١٢٥٧م ـ ١٢٦٧م) وهو ابن باتو بن جوجى بن جنكيزخان ، أسلم وحسن إسلامه ، وأظهر شعائر الاسلام ـ كما يقول النويرى ـ وأكرم الفقهاء وأدناهم ، وابتنى المساجد والمدارس بنواحى مملكته ، وأول من دخل دين الاسلام من عقب جنكيزخان ، ولما أسلم ، أسلم أكثر قومه ، وأسلمت زوجته « ججك خاتون » واتخذت لها مسجدا من الخيام تسافر به[١٩] ، وقد خسرت المسيحية كل نفوذ لها بعد تحول بركة إلى الاسلام ولم تقم للبوذية قائمة أبدا فى هذه الانحاء[٢٠] .

إيلكخانية إيران :

وتضم خراسان وفارس والعـراق العجمـــى وأذريبجان وديار بكر وبلاد الروم وبلاد أخرى ،

---

(١٤) يرى النويرى أن أريكا (أريغ بوكا) بعد هزيمته سقى سما فمات ، نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٣٥٣ وفاسيلى برتولد مرجع سبق صـ ٦٩٩ وما بعدها .

(١٥) رشيد الدين جامع التواريخ حـ ١ صـ ٦٦١ ويرى النويرى أنه مات سنة ٦٨٨هـ = ١٢٨٩م نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٣٥٥ .

(١٦) النويرى نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٣٤٧ .

(١٧) د. الصياد مرجع سبق صـ ٣٣٦ .

(١٨) المسلمون فى الصين صـ ١١٥ ـ صـ ١١٨ إصدار مجلة « بناء الصين » سلسلة ثقافية (١) الطبعة الأولى بكين ١٩٨٢م .

(١٩) النويرى نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٣٥٦ ـ صـ ٣٥٩ وابن كثير البداية والنهاية حـ ١٣ صـ ٢٤٩ .

(٢٠) برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٩٥ .

وتولى حكمها الايلكخان[٢١] هولاكو (٦٥٨ - ٦٦٣ هـ = ١٢٥٩ - ١٢٦٤ م) وكانت مدينتا تبريز ومراغة عاصمتي هذه الإيلكخانية[٢٢].

كان هولاكو لايتقيد بدين من الأديان[٢٣] وإن كان يميل ميلا ظاهرا إلى البوذية ، وإن لم يتخذها دينا بصفة رسمية ؛ لهذا فقد اسقرض بلاطه عدد من الكهنة البوذيين الذين كانوا يدعون من قبل المغـــول « بخشيس » وفى نفس الوقت أبدى تعاطفا كبيرا للمسيحية ، وقد اعتنقت زوجته « دقوزخاتون » هذه الديانة ، وكان يشترك بنفسه فى الأعياد المسيحية ، ويحضر القداس ، وقد أجاز بناء كنيسة صغيرة فى البلاط الملكى ، وأوقف الأوقاف لمصلحة الكنائس ، كما فضل المسيحيين على المسلمين فى المعاملة ، وتمتعت الطوائف المسيحية المختلفة بعطف الحاكم وتضاعف عدد أبرشياتهم ، وزاد نفوذهم وتعاظم ، وأصبح لهم الحق فى السير فى مواكبهم علنا ، وأن يرمموا كنائسهم وأديرتهم ويوسعوها[٢٤].

لكل هذا نجد شخصية الايلكخان هولاكو (قد أحيت آمال المسيحيين فى أوربا فى العصور الوسطى فى ظهور « يوحنا الشرق » أى رجل الدين الذى يملك ثروات خيالية ، واعتقد البابوات ولعدة سنوات أن باستطاعتهم كسب الايلكخانات بتحويلهـــم إلى المسيحية ، ومنذ وصول أول خبر عن قدوم المغول ، عمد البابا « غريغريوس التاسع » ومن بعده الباب « انسنت الرابع » إلى فكرة الاعتماد على عساكر ملك المغول الخيالية فى كسر شوكة الاسلام ، وجعلوا هذا هدفا من أهدافهم التى يرجون تحقيقها)[٢٥].

وحقق هولاكو لمسيحيى أوربا آمالهم التى كانوا يتمنون تحقيقها ، وقاد الحملة لاسقاط عاصمة الخلافة الاسلامية ، وكان صورة حية للتمازج الوثنى الصليبى ضد الاسلام ، وشاركت الصليبية المحلية فى الحملة ضد الاسلام متمثلة فى حاكم أرمينية المسيحى « هيثوم الأول » - كما سبق القول - فقد كان على رأس العوامل فى اقناع قاآن المغول بإرسال هذه الحملة[٢٦].

ووقف بركة خان الحاكم المغولى المسلم من هذه الحملة موقف المعارضة ، انطلاقا من انتمائه للاسلام ، وحاول التوسط فى الأمر دون جدوى ، وكان الجيش المرسل إلى بغداد مكونا من فرق شتى من ولايات الامبراطورية المغولية ، ومن هذه الفرق فرق من جيش القبائل الذهبية التى يحكمها بركة خان ، وكان ارسال مثل هذه الفرقة دليلا على خضوع امراء المغول للقاآن ، ووحدة الامبراطورية المغولية ، وكان بركة حتى ذلك الوقت يعتبر نفسه - بالرغم من اسلامه - جزءا من هذه الامبراطورية ، ولكن خضوع بركة لقاآن المغول وانتمائه للامبراطورية المغولية الوثنية لم يستمر طويلا لأسباب عدة :

منها أن توجهات هذه الامبراطورية وموقفها المعادى للاسلام والمسلمين كان يتعارض مع كونه مسلما ارتضى الاسلام له دينا ، حتى قبل أن يعتلى عرش مملكـــة القبائـــل الذهبيـــة[٢٧] - على بعض الروايات - ويتصادم مع مشاعره الدينية ، ولهذا حاول أن يمنع الفرقة التى أرسلها من جيشه من المشاركة فى الهجوم على عاصمة الخلافة الاسلامية ولكننا لانعرف الظروف التى لم تمكنه من ذلك .

ومنها أن القاآن منكوخان جعل بلاد القوقاز وما جاورها من نصيب هولاكو ، وهى بلاد كانت تابعة أصلا للقبائل الذهبية .

وقد بدأ تجاه بركة خان للانفصال عن الامبراطورية المغولية الوثنية عمليا عندما طلب من رجال جيشه الذين كانوا ضمن الجيش المغولى عند دخول بغداد تحت

---

(٢١) الايلكون نائب الملك المرجع السابق صـ ٥١ .

(٢٢) النويرى نهاية الأدب جـ ٢٧ صـ ٣٩٢ - صـ ٣٩٣ .

(٢٣) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ صـ ٢٤٨ .

(٢٤) برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٥٧ - صـ ٥٨ .

(٢٥) المرجع السابق صـ ٦٣ ، صـ ٦٤ .

(٢٦) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول صـ ٤٥٩ ومابعدها .

(٢٧) برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٥٠ .

إمرة هولاكو بترك هذا الجيش ، والتوجه إلى مصر لدعم المماليك مما سهل انتصارهم فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م ، وقد علق المستشرق « شبولر » على ذلك فقال : (وهكذا فإن خان القبائل الذهبية ـ بركة خان ـ اتحد لأول مرة مع قوة أجنبية ضد إخوانه المغول مما سهل انتصار المماليك فى عين جالوت[٢٨] ومما يؤكد اتجاه بركة إلى التخلى عن الانتماء إلى امبراطورية المغول الوثنية ، أن العملات التى أصدرها فى منطقة القبائل الذهبية خلت من إسم القاآن منذ سنة ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م ، وكان وجود اسمه على العملات رمزا لسلطته الشرعية على هذه المنطقة .

ثم رأى بركة خان بعد التطورات التى حدثت داخل الامبراطورية المغولية وانتهت بفوز قوبيلاى ـ حليف هولاكو ـ بمنصب القاآن أنه ليس هناك مايدعوه إلى الابقاء على علاقاته بالامبراطورية المغولية الوثنية ، وأنه آن الأوان لارضاء مشاعره الدينية الاسلامية ومشاعر أفراد القبائل الذهبية بالانطواء تحت راية الخليفة العباسى فى القاهرة باعتباره زعيما للعالم الاسلامى من الوجهة الشرعية ، فأعلن اعترافه به وتبعيته له .

أما انتصار هولاكو ودخوله بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية فقد كان له صدى عميق فى الشام وآسيا الصغرى ، وأصبح المسيحيون فى هذه المناطق ينتظرون مجيء هولاكو بفارغ الصبر ، مدفوعين فى ذلك بروح صليبية بغيضة ضد المسلمين أعمت بصائرهم ، إذا بهم يساعدون المغول فى اسقاط كثير من البلاد الاسلامية فى شمال العراق ، وتهيأ المغول للزحف على مدن الشام سنة ٦٥٨ هـ ١٢٥٩ م فاستولوا على حلب وحماه ثم ساروا إلى دمشق واستولوا عليها بالأمان وتمكنوا من فتح قلعتها التى استعصت عليه[٢٩] .

وكان فى مقدمة العوامل التى شجعت المغول على فتح الشام التحالف الذى تم مع (هيتوم) ملك أرمينية الصغرى (قليعة) و (بوهيمند) ملك انطاكية الصليبى ، وكان ملك أرمينية الصغرى يرى أن وضع مملكته بين دولتين مسلمتين هما دولة السلاجقة الروم بالشمال ، ودولة أماليك فى الجنوب تحتم عليه ضمانا لحمايتها التحالف مع المغول ، والانضمام إلى هولاكو فى حربه ضد المسلمين بالشام ، وصارت مملكته بذلك تابعة لايلكخانية ايران[٣٠] .

وكان بوهيمند حليفا لهيتوم ، وقد تزوج بابنته ، ودخل بدوره فى التحالف مع المغول ، وكان يجمع الملكين المسيحيين العداء للإسلام والمسلمين ، وكان لزوجة هولاكو المسيحية (دوقوزخاتون) التى حظيت بتقديره وحبه أثر كبير فى توطيد الصداقة بين الزعماء المسيحيين وبين هولاكو[٣١] ، وقد نقل عن المؤرخ الأرمنى « هيتون » **Hayton** « أن خطة الحملة المغولية قد تقررت بعد لقاء تم بين هولاكو وتابعه الأرمنى (هيتوم) الأول ملك قليقيه ، وكان الخان قد طلب إليه أن يسير بجيشه الأرمنى إلى الرها بحجة أنه ذاهب ليخلص الأرض المقدسة من المسلمين ، ويردها إلى المسيحيين ففرح الملك هيتوم بهذا الخبر وجمع جيشا كبيرا وانضم إلى هولاكو ، وقدم البطريق الأرمنى يمنح البركة للخان »[٣٢] ونسوق هنا مثالا معبرا لتعصب المسيحيين من أهل الشام ضد المسلمين ، وتحالفهم مع

---

(٢٨) هذا المستشرق لو عرف أخلاقيات الاسلام ومبادئه حقا لأدرك أن بركة خان باسلامه أصبح أخا للمماليك المسلمين فى مصر ، ولم يعد أخاً للوثنيين أو المسيحيين المغول ، فأخوة الدين ـ فى الاسلام ـ مقدمة على أخوة النسب الباحث .

(٢٩) النويرى نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٣٨٣ ـ صـ ٣٩٠ وابن كثير البداية والنهاية حـ ١٣ صـ ٢١٦ .

(٣٠) المقريزى السلوك فى معرفة دول الملوك حـ ١ ق ٢ صـ ٥١٠ حاشية (١) نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٨ هـ (١٩٣٤ = ١٩٣٩ م) .

(٣١) د. فؤاد عبد المعطى الصياد المغول فى التاريخ حـ ١ صـ ٢٩١ دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠ .

(٣٢) المرجع السابق صـ ٢٩١ ، صـ ٢٩٢ نقلا عن **Geaumet** **Lempire des Steppes P.434** .

المغول الوثنيين أورده ابن كثير عند حديثه عن استيلاء المغول على دمشق ، فيقول : « وسلموا البلدة والقلعة إلى أمير منهم يقال له « إبل سيان » وكان لعنه الله معظما لدين النصارى ، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم ، فعظمهم جدا وزار كنائسهم ، فصارت لهم دولة وصولة بسببه ، وذهبت طائفة من النصارى إلى هولاكو ، وأخذوا معهم هدايا وتحفا ، وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته ، ودخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رءوس الناس ، وهم ينادون بشعارهم ، ويقولون ظهر الدين الصحيح دين المسيح ، ويذمون الاسلام وأهله ، ومعهم أواني الخمر لايمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرا ، وقماقم ملآنة خمرا يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم ـ وكان في نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد » غيرها » وذكر ابن كثير أنه اشتكى وجوه الناس من العلماء والقضاة إلى الحاكم المغولى أهانهم وطردهم وقدم كلام رؤساء النصارى[٣٣] .

لذلك لاعجب إذا اعتقد البعض أن المغول بصورة عامة مسيحيون ـ عدا هؤلاء الذين تمسكوا بالديانة الشامانية ـ وكانت الدلائل أمامهم واضحة ، فعندما غزا الايلخانات بلاد ما بين النهرين واحتلوها ثم غزوا سوريا ، أظهروا صداقتهم للمسيحيين مع خصومتهم وعدائهم للمسلمين ، بل كان اعترافهم بالمجتمعات والكنائس النسطورية والبعصوبية في أماكن تواجدها عاملا في جعل الديانة المسيحية ذات حظوة ونفوذ في بلاط الايلخان وفضلا عن وجود (دقوزخاتون) المسيحية زوجة هولاكو ، كان هناك عدة أميرات مسيحيات نسطوريات[٣٤] .

ثم كان الصدام حتميا بين الاتجاهين المتناقضين في امبراطورية المغول الاتجاه الاسلامى الذى يمثله بركة خان والاتجاه الوثنى الصليبى الذى يمثله هولاكو ، وحدث الصدام ، وكان على رأس أسبابه الناحية الدينية ، فقد وقف بركة خان موقف الحامى للمسلمين من اضطهاد هولاكو ، بالاضافة إلى الرغبة في استعادة اقليم القوقاز الذى ضمه القاآن مونكوخان إلى أملاك هولاكو .

أما تاريخ هذا الصدام ، فيذكر النويرى أنه كان سنة ٦٥٣هـ = ١٢٥٥م أى قبل غزو هولاكو لبغداد ، وذكر أنه لما اتصل ببركة خبر هولاكو ، وقربه من البلاد سار بجيوشه للقائه ، وكان بينهما نهر يسمى نهر ترك ، وقد جمد ماؤه لشدة البرد ، فعبر عليه هولاكو بعساكره إلى بلاد بركة ، فلما التقوا واقتتلوا كانت الهزيمة على هولاكو فلما وصل إلى هذا النهر تكردس أصحابه عليه فانخسف بهم ، فغرق منهم خلق كثير ، ورجع هولاكو بمن بقى معه من أصحابه إلى بلاده[٣٥] ، ويذكر رشيد الدين لهذا الصدام تاريخين مختلفين ، فيذكر مرة أنه كان سنة ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م ويذكره مرة أخرى أنه بدأ سنة ٦٦١ هـ = ١٢٦٢ م[٣٦] .

ولعل التاريخ الثانى الذى ذكره رشيد الدين أصح هذه التواريخ؛ لأن هولاكو توفى قبل عام ٦٦٥هـ = ١٢٦٦ م ، كما أن هذا التاريخ يتفق مع سياق الأحداث ، فإلى هذا العام ترجع أولى سفارات بركة إلى مماليك مصر ، وقد أشار النويرى إلى هذه السفارة ، وذكر أن بركة بعث إلى السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى ملك الديار المصرية والممالك الشامية في سنة ٦٦١هـ = ١٢٦٢م ، يخبره بما من الله به عليه

---

(٣٣) ابن كثير البداية والنهاية جـ١٣ صـ٢١٩ .

(٣٤) المصدر السابق جـ١٣ صـ٢٤٨ ويسمى زوجة هولاكو (ظفر خاتون) وذكر أنها تنصرت ، وكانت تفضل النصارى على جميع الخلق . وانظر برتولد شبولر مرجع سبق صـ٦٤ ، صـ٦٥ .

(٣٥) النويرى نهاية الأدب جـ٢٧ صـ٣٥٩ .

(٣٦) رشيد الدين جامع التواريخ م٢ جـ١ صـ٣٣٤ ـ صـ٣٣٥ .

من الاسلام ، فأجابه السلطان يهنيه بهذه النعمة ، وجهز له هدايا جليلة ، وكتب إليه يغريه بهولاكو ، ويحضه على حربه[٣٧] .

وفى اطار هذا التحالف الذى تم بين بركة ملك القبائل الذهبية وبين المماليك فى مصر ، طلب بركة من رجال جيشه الذين اشتركوا مع هولاكو فى غزو بغداد ، بترك جيش هولاكو والانضمام إلى المماليك فى مصر - كما سبق - وكان التحالف بين مملكة القبائل الذهبية ومصر لاعتبارات كثيرة[٣٨] يأتى فى مقدمتها العامل الدينى الذى كان له أثره فى علاقات شعوب الشرق ، فقد ربط الاسلام بين بركة وحكام مصر من المماليك .

وبعد وفاة هولاكو ، تولى ابنه « أباقا » أو « أبغا » حكم ايلكخانية ايران ، وواصل سياسة العداوة التى انتهجها أبوه ضد الاسلام ، وفى هذا الصدد بادر بإرسال جيش لقتال بركة خان سنة ٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م وبعث بركة بجيشه ، وكانت الدائرة على جيش أباقا (أبغا)[٣٩] .

وكان أباقا يميل إلى البوذية كأبيه ، وكان يشجع انتشارها بين بلاطه وأفراد شعبه ، ويبدو أن الحكام المغول فى ايلكخانية إيران كانوا قد تخلوا عن تأييد الديانة الشامانية فى هذه الفترة من التاريخ ، كما تخلوا عن سياسة عدم المبالاة بالنسبة للأديان ، ويقال إن أباقا شيد عددا كبيرا من المعابد البوذية فى عديد من المدن الايرانية ، وحتى فى بعض القرى ، وهذا يمثل تحديا صريحا لمشاعر جماهير المسلمين فى هذه المناطق الاسلامية .

ولم تكتب لمحاولات نشر البوذية النجاح ، وتمسك المسلمون بعقيدتهم الدينية ، وتصدوا لتسلط أباقا الذى كان يتظاهر - كذبا - بتطبيق مبدأ الحرية الدينية لرعاياه ، انطلاقا من مبادىء الياسا ، ومن جهة أخرى حرص أباقا على مضايقة المسلمين بتشجيع المسيحية ، وفتح الباب أمام المبشرين ، وكانت هذه الفترة هى العصر الذهبى بالنسبة لليعاقبة والنساطرة ، فقد تجددت كنائسهم ، وانتشرت بعثتهم التبشيرية ، وقد أظهر أباقا ميلا وعطفا للمسيحيين ، وكل هذا على حساب جماهير المسلمين .

وكانت إحدى زوجات أباقا مسيحية ، وكانت أميرة بيزنطية على المذهب الأرثوذكسى ، وبعض أمراء وأميرات البيت المالك المغولى اعتنقوا المسيحية ، وبدا واضحا للغرب المسيحى أن النصرانية سوف تنتصر فى النهاية ، ومما زاد فى تفاؤل الغرب المسيحى أن الايلكخانات لم يكن لديهم رغبة فى اعتناق الاسلام ؟ وهو دين الشعب الذى يحكمونه ، فقد كان المسلمون منقسمين إلى سنة وشيعة ، وحدثت مواجهات عدائية سافرة بينهما[٤٠] .

انتصار الاسلام :

لقد كان عصر هولاكو وابنه أباقا فى ايلكخانية ايران ، يمثل ذروة ما وصل إليه تيار التعصب ضد الاسلام ومحاربته ، وقد خرج الاسلام - كدين وعقيدة - من هذا الصراع مع الوثنين والصليبيين مرفوع الهامة ثابت الخطا ، والحقيقة أن ما لحق بالمسلمين من هزائم وتقهقر على يد جنكيزخان وهولاكو وغيرهما ، هو هزيمة للمسلمين وليس للاسلام ، وما لحق بهم ذلك إلا لبعدهم عن مبادئه

---

(٣٧) النويرى نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٣٦٠ .

(٣٨) من هذه الاعتبارات الناحية التجارية فقد أبرمت معاهدة تجارية بين مصر ومملكة القبائل الذهبية بموجبها يستمر تصدير العبيد من شواطىء البحر الأسود إلى مصر ، هذا إلى تشابه العادات والتقاليد بين المماليك ومغول القبائل الذهبية حيث ينتمى الجميع إلى منطقة أواسط آسيا انظر برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٥٢ - صـ ٥٣ .

(٣٩) النويرى نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٣٦١ وقد ذكر أن بركة خان توفى بعد هذه المعركة بسنتين أى عام ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م .

(٤٠) ابن كثير البداية والنهاية حـ ١٣ صـ ١٩٦ وانظر برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٦٥ .

وأخلاقياته فى الاتحاد والتعاون والأخذ بأسباب القوة وغير ذلك[٤١] .

هذا وقد وجد الاسلام طريقه إلى حكام الدولة الايلكخانية بقوته الذاتية ، وبساطته وملاءمته للفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فقد تحول حكام هذه الدولة إلى الاسلام ، وذلك بعد وفاة أباقا ٦٨١هـ = ١٢٨١م[٤٢] ، فقد تولى أخوه « توكدار » أو « نيكودار » السلطة ، وأعلن فور توليه اعتناق الاسلام عن اقتناع خالص بهذا الدين ، واتخذ له اسما جديدا هو أحمد ، وبعث إلى أهل بغداد يبشرهم بذلك ، وبتطبيق شريعة الاسلام ، وكتب إلى السلطان (قلاوون) بمصر[٤٣] ، ولكن الجماعات البوذية المتطرفة أزعجها ما حدث ، وتآمرت ضده ، وأسقطته بعد سنتين من حكمه ، وعملت على الانتقام من المسلمين ، ولم يكن ذلك منها إلا محاولات يائسة لاطفاء نور الاسلام وكان كذلك بمثابة صحوة الموت النهائى ، فلم تمض سنوات قلائل حتى تولى العرش « غازان » ٦٩٤هـ = ١٢٩٥م الذى أعلن إسلامه ، وترك الديانة البوذية التى كان يعتنقها ، وكان ذلك نقطة فاصلة فى تاريخ دولة المغول فى إيران ، فقد استقر فيها الاسلام إلى ما شاء الله .

وهكذا فقد انتصر الاسلام فى آخر المطاف ، ويمكن أن نقول إن المغول إذ كانوا قد هزموا المسلمين فى بلادهم عسكريا ، وانتصروا عليهم سياسيا فى البداية ، فإن الاسلام قد غزاهم فكريا وانتصر عليهم حضاريا فى النهاية ، فقد دخل عدد كبير من المغول الاسلام ، وتبعهم غيرهم ، ونكست أعلام البوذية ، وحولت معابدها إلى مساجد ، أما المسيحية النسطورية فقد أخذت فى الذبول والخمود ، وتحول بعض أفراد هذه الطائفة إلى الاسلام ، والذين بقوا على دينهم انسحبوا وسكنوا الجبال الجرداء شمال الفرات الأعلى[٤٤]

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ۝٢١﴾ المجادلة

والحمد لله رب العالمين

امبراطورية المغول فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)

(١)- الإمارات الروسية الخاضعة للقبيلة الذهبية

---

(٤١) أورد النويرى قصة تؤكد ما أشرنا إليه حيث تحاورت زوجة قائد مغولى مع أحد الخطباء ، فقالت له : أنتم خير عند الله أم نحن ؟ قال : بل نحن قالت فاذا كنتم خيرا منا عنده فكيف نصرنا عليكم ؟ فقال هذا الثوب الذى عليك ـ وكان ثوبا نفيسا ـ نعطيه لمن يكون خاصة بك أم بعيدا عنك ؟ قالت بل أخص به من يختص بى قال فإذا أضاعه وفرط فيه ودنسه ما كنت تصنعين به ؟ قالت أنكل ؟ واقتله فقال لها دين الاسلام بمثابة هذا الجوهر والله أكرمنا به فما رعيناه حق رعايته فغضب علينا وضربنا بسيوفكم واقتص منا بأيديكم ... الخ نهاية الأدب جـ٢٧ صـ٣٥١ ـ صـ٣٥٢ .

(٤٢) المصدر السابق جـ٢٧ صـ٤٠٠ وابن كثير البداية والنهاية جـ١٣ صـ٢٩٧ .

(٤٣) النويرى نهاية الأدب جـ٢٧ صـ٤٠٠ ـ صـ٤٠٢ وابن كثير البداية والنهاية جـ١٣ صـ٢٩٧ وعندما أن توكدار (أحمد) ابن لأبغابوليس نحاله كما ذكر النويرى وغيره وانظر برتولد شبولر مرجع سبق صـ٦٩ ـ صـ٧٣ .

(٤٤) برتولد شبولر المرجع السابق .

لحظات طيبات مع :

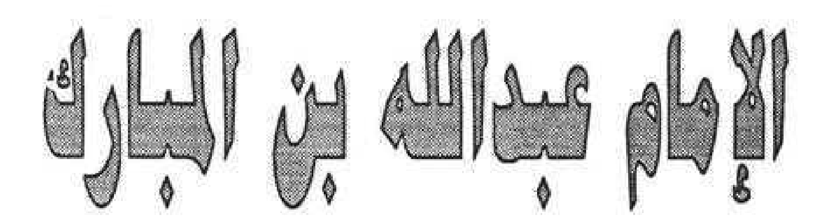

اعداد : عادل خفاجة

● قال ابن المهدى : « ما رأيت أنصح للأمة من ابن المبارك » .

● وقال محمد بن عبد الوهاب الفرَّاء : « ما أخرجت خراسان مثل هؤلاء الثلاثة : ابن المبارك ، والنضر بن شميل ، ويحى بن يحى » .

● وقال عَمار بن الحسن فى مدحه :

إذا ســـار عبد الله من مرو ليلة
فقـــد سار منها نورهـــا وجمالها

إذا ذكـر الأحبـار فى كل بلـــدة
فهـــم أنجم فيها وأنت هلالها

هو الإمام عبد الله بن المبارك بن واضح شيخ الإسلام وعالم زمانه وأمير الأتقياء فى وقته أبو عبدالرحمن ، أحد من أنجبتهم « مرو » ، فهو مروزى ، أبوه تركى ، وأمه خُوارزمية . طلبَ العلمَ وهو ابن عشرين سنة .

فسمع من : سليمان التيمى ، وعاصم الأحول ، وحُمَيد الطويل ، وهشام بن عُرْوة ، والجُرَيْرى ، وإسماعيل بن أبى خالد ، والأعمش ، وبُريد بن عبد (الله) بن أبى بُرْدة ، وخالد الحذَّاء ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وعبد الله بن عَوْن ، وموسى بن عُقْبة ، وأجلح الكِنْدى ، وحسين المعلِّم ، وحنظلة السَّدوسى ، وحَيْوة بن شُرَيْح المصرى ، وكَهْمَس ، والأوزاعى ، وأبى حنيفة ، وابن جُرَيْج ، ومَعْمر ، والثَّورى ، وشُعبة ، وابن أبى ذئب ، ويونس الأيلى ، والحمَّادَين ، ومالك ، والليث ، وابن لَهيعة وابن عيينة وغيرهم كثير .

وحدَّث عنه : مَعْمَر ، والثورى ، وأبو إسحاق الفزارى ، وابن وَهْب ، وابن مَهْدى ، وأبو داود ، وعبد الرزاق بن همَّام ، والقطَّان ، وعفَّان ، وابنُ مَعين ، وحِبَّان بن سَلَمَة المِنْقرى ، ومُسْلم بنُ إبراهيم ، وعَبْدان ، والحسن بن الربيع البُورانى ، وأحمد ابن مَنيع ، وعلىُّ بن حُجْر ، والحَسن بن عيسى بن ماسَرْجس ، والحسين بن الحسن المَروزى ، والحسَنُ ابن عرفة ، وإبراهيم بن مُجَشِّر ، ويعقوبُ الدَّورق ، وأممٌ يتعذر إحصاؤهم ، ويشقُّ استقصاؤهم .

وحديثُه حجةٌ بالإجماع ، وهو فى المسانيد والأصول[1] .

حب الناس له : كان الإمام عبد الله بن المبارك يتمتع بقدر كبير من حب الناس ، قال أشعث بن شعبة المصيصى : « قدِم الرشيد الرَّقَّة ، فانجفل الناس خلف ابن المبارك .... وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أمُّ ولد لأمير المؤمنين من برج قصر الخشب ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خُراسان ، قدم .

قالت : هذا والله المُلْكُ ، لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشُرَط وأعوان »[2] .

ولم يكن حب الناس له إلا ثمرة كفاح ، وعمل ، وعِلْم جمع علمه على مر السنين ، وممارسة أصيلة فى التطبيق ، ولم يكن حب الناس له إلا توأم حب حمله لهم فى قلبه ؛ يؤثرهم بما معه ويقدمهم على نفسه ، وقد صادف هذا قلباً ذاكراً وعقلاً واعياً جمع الحديث ، والفقه ، والعربية ، وأيام الناس (التاريخ) .

ومن دلائل كرمه وحبه لأصدقائه ما فعله مع إخوانه من أهل « مرو » :

فقد حدث أن جاءه بعض إخوانه من أهل « مرو » فقالوا له : نصحبك فى حجك ، فقال : هاتوا نفقاتكم . فجعلها فى صندوق ، وأقفل عليها ثم اكترى له ، وأخرجهم من مرو إلى بغداد ، وما زال يطعمهم أطيب الطعام ، ثم أخرجهم من بغداد بأحسن زى وأكمل مروءة حتى وصلوا إلى مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لكل واحد : ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من المدينة من طُرَفها ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيشترى لهم ، وكذا إذا دخلوا مكة ، فما زال ينفق عليهم حتى يعودوا إلى « مرو » . فما أن مرت ثلاثة أيام ، حتى عمل لهم وليمةً ، فإذا أكلوا وسُرُّوا ، دعا بالصندوق ، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته ، عليها اسمه .

ومن طريف ما روى عن كرمه وجوده ـ ويعكس شدة خوفه من اليوم الآخر ـ ما رواه سلمة بن سليمان قال : « جاء رجل إلى ابن المبارك ، فسأله أن يقضى ديناً عليه ، فكتب له إلى وكيل له ، فلما وَرد عليه الكتابُ ، قال له الوكيلُ : كم الدَّينُ الذى سألته قضاءه ؟ قال : سبع مئة درهم ، وإذا عبدُ الله قد كتب له أن يُعطيه سبعة آلاف درهم ، فراجعه الوكيلُ ، وقال : إن الغلاَّت قد فَنِيَتْ ، فكتب إليه عبدُ الله : إن كانت الغلاَّتُ قد فنيت ، فإن العمر أيضاً قد فنى ، فأجز له ما سبق به قلمى[3] .

جمع ابن المبارك ـ رحمه الله ـ بين العلم ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، والإنصاف ، والزهد ،

---

(١) أنظر سير أعلام النبلاء : جـ ٨ ص ٣٨٠ .

(٢) أنظر تاريخ بغداد ١٠/١٥٦ .

(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٥٧/١٥٨ .

والفصاحة والشعر ، وتحكى خاصته أن له جانباً من قيام الليل ، والحج ، والغزو ، والفروسية ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه[4] .

وتكفى هاتان الأخيرتان دليلاً على طلبه العلم لله ، وبذله لله .

وكان ابن المبارك تواقاً للحج ، فإذا خرج إلى مكة أنشد يقول :

بغض الحيـاة وخـوف الله أخرجنـى
وبيـع نفسى بما ليست له ثمنـا
إنى وزنت الـذى يبقـى ليعدلـه
ما ليس يبقـى فلا والله ما اتزنـا

بهذه المشاعر يخرج ابن المبارك قاصداً بيت الله الحرام ، فإذا ما وجد نفسه عند بئر زمزم . وتذكر قول النبى - ﷺ - : « ماء زمزم لما شرب له »[5] نجده يأخذ شربة ، ويستقبل القبلة ويقول : « اللهم إن ابن أبى الموال ، حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر ، عن النبى - ﷺ - أنه قال : « ماءُ زمزم لما شرب له » وهذا أشربه لعطش القيامة » ويشربه .

وكان ابن المبارك شاعراً مفوهاً ، ومن شعره لأهل العلم :

فَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْـلِ العِلْـمِ أَعْيُنُهُـم
أو استَلَذُّوا لَذِيذَ النَّـومِ أو هَجَعُـوا
والنَّـارُ ضَاحِيَـةٌ لا بُدَّ مَوْرِدُهـا
وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَن يَنْجُو وَمَـنْ يَقَـعُ
وَطَارَتِ الصُّحُفُ فى الأيدى مُنَشَّرَةٌ
فِيها السَّرائِـرُ والجَبَّـار مُطَّلِـعُ
إِمَّـا نَعِيـمٌ وعَـيْشٌ لا انْقِضَـاءَ لَهُ
أو الجَحِيـمُ فَلا تُبْقـى ولا تَدَعُ
تَهْـوى بِسَـاكِنِها طَوْراً وتَرْفَعـه
إذا رَجَوْا مَخْرجاً مِن غَمِّها قُمِعُـوا
لِيَنفَعِ العِلْمُ قَبْـلَ المَـوْتِ عَالِمَـهُ
قَد سَالَ قَومٌ بِهَا الرُّجْعى فَمَا رَجَعُوا

• ومما قاله مادحاً الفاتحين :

يَا عَابِـدَ الحَرمَيْـنِ[6] لَوْ أَبْصَرْتَنَـا
لَعَلِمْـتَ أَنَّكَ فى العِبَـادَةِ تَلْـعَبُ
مَن كَانَ يَخْضِبُ جِيـده بِدُمُوعِـه
فَنُحورُنَـا بِدِمائِنَـا تَتَـخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتْـعِبُ خَيْلَـه فى بَاطِـلٍ
فَخُيولُنَـا يَوْمَ الصَّبِيحَـةِ تَتْـعَبُ
رِيـحُ العَبِيرِ لَكُـم ونَحْنُ عَبِيرُنَـا
رَهَـجُ السَّنابِكِ والغُبَـارُ الأَطْـيَبُ
وَلَقَـدْ أَتَانَـا مِنْ مَقَـالِ نَبِيِّنَـا
قَوْلٌ صَحِيـحٌ صَادِقٌ لا يُكْـذَبُ
لا يَسْتَوى وغُبَـارُ خَيـلِ اللَّـهِ فى
أَنْفِ امْرِىءٍ ودُخَـانُ نَارٍ تَلْـهَبُ[7]
هذا كِتَـابُ اللَّـهِ يَنطِـقُ بَيْنَنَـا
لَيْسَ الشهيـدُ بِمَيِّتٍ لا يُكْـذَبُ

عاش ابن المبارك ضارباً المثل الطيب للمسلم المتبع ، وله حِكم طيبات منها :

• « من إستخف بالأمراء ذهبت دنياه ، ومن استخف بالعلماء ذهبت آخرته » .

• وسئل عن العُجب ، فقال : « أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك » .

• وقد سئل : إلى متى تكتب ؟ فقال : « لعل الكلمة التى أنتفع بها لم أكتبها بعد » .

• من بخل بالعلم ابتلى بثلاث : إما موتٌ يُذهِبُ علمه وإما يُنسَّى ، وإما يلزم السلطان ، فيذهب علمه .

وفاته :

كانت وفاته - يرحمه الله - لعشر مضين من رمضان سنة مائة واحدى وثمانين ، ودفن بـ (هيت) .

ومر بقبره أحد الفضلاء فقال :

مَرَرْتُ بِقَبْـرِ ابْـنِ المُبَـارك غَدْوَةً
فَأَوْسَعَنـى وعْظـاً وَلَـيْسَ بِنَاطِـقِ
وَقَدْ كُنْتُ بِالعِلْـمِ الَّذى فى جَوَانِحى
غَنِيّاً وبِالشَّـيْبِ الَّـذى فى مَفَـارِقى
وَلكِنْ أَرَى الذِّكْـرى تُنَبِّـه عَاقِـلاً
إذَا هِى جَاءَتْ مِنْ رِجَـالِ الحَقَائِـقِ

---

(4) سير أعلام النبلاء : جـ ٨ ص ٣٩٧ .
(5) أخرجه الإمام أحمد مسنده جـ ٣٥٧/٣ .
(6) أى متعبداً فى الحرمين .
(7) يشير إلى حديث رسول الله - ﷺ - « لا يجمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبداً ، ولا يجمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبداً » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٢٥٦/٢ .

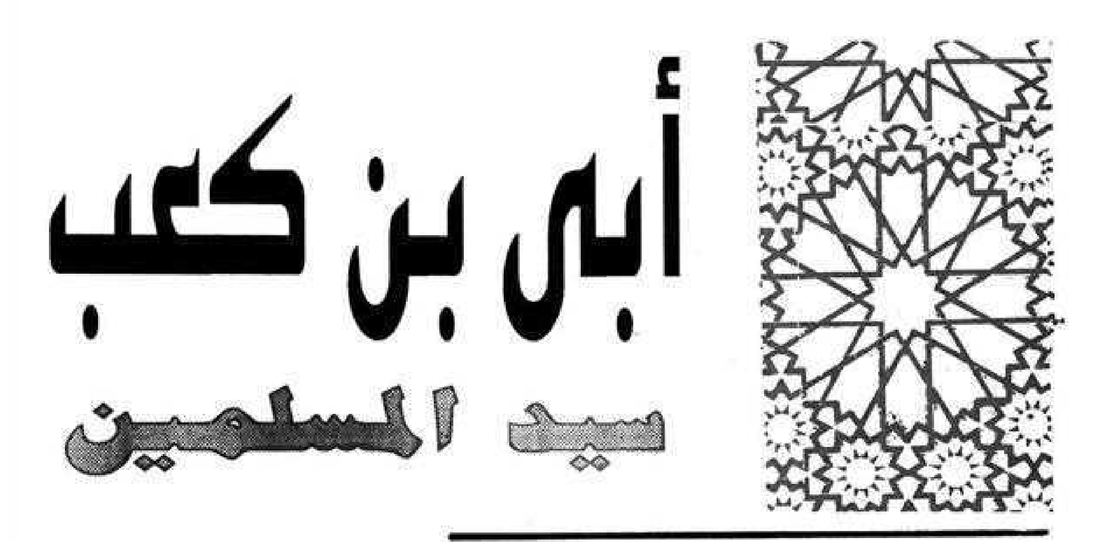

أبى بن كعب
سيد المسلمين

للأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز غنيم

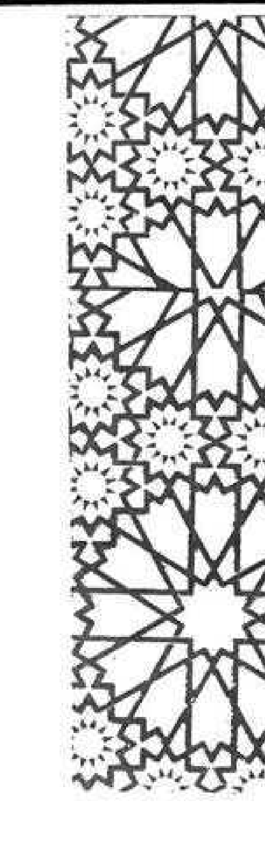

كان العرب فى جاهليتهم أميين وكان الذين يقرأون ويكتبون منهم قليلين بعضهم فى مكة وبعضهم فى المدينة . وبعضهم فى غيرهما من المدن القليلة المتفرقة فى أنحاء شبه الجزيرة . وكان أبى بن كعب من الذين يعرفون القراءة والكتابة فى يثرب . فلما أرسل النبىُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ إليها مصعب بن عمير ، وعبد الله بن أم مكتوم . يدعوان أهلها إلى الإسلام ويتلوان عليهم القرآن . هدى الله أبى فيمن هداهم إلى الحق من أبناء الأوس والخزرج . ولما حان موسم الحج . خرج فيمن خرج من قومه لزيارة البيت وأداء المشاعر والمناسك . وكان ـ رضى الله عنه ـ من بين السبعين الذين استقبلوا ـ النبى عليه الصلاة والسلام ـ عند العقَبة . وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه الأزر والذرية . ولما أذن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لأصحابه فى الهجرة . وآخى بينهم وبين الأنصار آخى بين أبى وبين سعيد بن زيد بن عمرو ، أو آخى بينه وبين طلحة الخير بن عبيد الله .

يقول المؤرخون : إن أبى بن كعب قد كان نجاريًا خزرجيًا من جهة أبيه . وكان نجاريًا خزرجيًا من جهة أمه . فهو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، وأمه سهيلة بنت الأسود بن حرام بن عمرو من بنى مالك بن النجار .

وقد كان أبى رفيع المنزلة فى قلب النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والدليل على هذا أنه لما دخل المدينة أدناه منه ، وأئتمنه على كتابة الوحى بين يديه ؛ فكان ـ رضى الله عنه ـ أول من كتب له صلى الله عله وسلم من الأنصار ، ولم يكن يكتب له القرآن وحسب ، وإنما كان يكتب له رسائله كذلك . ويظهر أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد أسند إليه هذه الوظيفة بصفة دائمة . فقد ذكر الرواة أنه كان يكتب بين يديه فإذا غاب أو مرض استدعى زيد بن ثابت . فأنابه عنه وقد كان لهذا العمل الذى قلده النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إياه أثره فى حفظه للقرآن . وتكريسه وقته وجهده لتلاوته . فقد ذكر الرواة أنه كان أحد النفر الأربعة الذين كانوا يحفظون القرآن كله ، وهم : عبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبى حذيفة . وأنه كان يختمه فى ثمانى ليال . ويظهر أن أبيًا قد كان نسيجا ـ وحده ـ فى ترتيل القرآن وتجويده . وأنه قد أوتى صوتًا رخيًا نديًا أخاذًا يخلب المشاعر ويجذب العواطف ويصل إلى شغاف الأنفس وأعماق الأفئدة . والدليل على هذا قول النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيه : أقرأ أمتى أبى[1] ، وشهادته له ـ وهو يصنف أصحابه ـ ويُعزى كلًا منهم إلى ماحذقه ونبغ فيه ، واسمع إلى ما روى عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى ذلك « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأقواهم فى دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم على بن أبى طالب ، وأقرؤهم أبى بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح[2] » . وأوضح من هذا وأصرح ما رواه الثقاة من أن الله تعالى أمر نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقرأ على أبى قوله تعالى « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون[3] » . وفى رواية أخرى : « أن الله أمر النبى ـ صلوات الله عليه ـ أن يقرأ عليه سورة البينة[4] من البداية حتى النهاية . وقد أثر هذا الأمر الالهى فى أبى ـ رضى الله عنه ـ فقال : يا رسول الله ، الله سمانى لك قال : الله سماك لى . فجعلت عيناه تذرفان[5] . وقد علق الحافظ بن كثير على هذه الروايات : فذكر أن المقصود بالقراءة هنا . قراءة الإبلاغ والاسماع . وليست القراءة التى يتعلم منها ـ وهذا حق ـ فإن أبى لايمكن أن يعلم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كيف يقرأ القرآن ؟ وقد تسأل . وما السبب الذى من أجله أمر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يقرأ أو يعرض على أبى .

والجواب : ما رواه الرواة من أن أبى سمع رجلًا يقرأ سورة البينة على غير طريقته . فرفعه إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : اقرأ السورة فقرأ فقال : هكذا أنزلت وقال للمشكو منه : وأنت فاقرأها فقرأها فقال : هكذا أنزلت . فأعتلج الشك فى نفس أبى . فهبط جبريل على رسول الله . وأمره أن يقرأ السورة الآنفة الذكر على أبى وأن يبين له . أن القرآن لم ينزل على حرف واحد ولا على لهجة واحدة وأنما نزل على سبعة أحرف .

لم يقتصر نشاط أبى بن كعب على حفظ القرآن وكتابته بين يدى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحسب . وإنما كان فارسًا يغشى المعامع ، ويخوض المعارك ويحمل روحه على كفه فى سبيل إعلاء راية الحق

(١) الطبقات الكبرى جـ٣ ص٤٩٨ .

(٢) الاستيعاب جـ١ ص٥٠ .

(٣) البداية والنهاية جـ٥ ص٣٤٠ .

(٤) الطبقات الكبرى جـ٣ ص٥٠٠ .

(٥) البداية والنهاية جـ٥ ص٣٤٠ .

ونشر أضواء الإسلام ، وقد سجل الرواة : أنه شهد المشاهد كلها تحت لواء النبى ـ صلوات الله عليه ـ فلم يغب عن موطن ، ولا تخلف عن غزوة .

وفى ميدان العلم والفقه كان أبى بن كعب أمة وحده يبحث ويدرس . ويستنبط ويجيب على ما يطرح عليه من القضايا والمسائل . سأله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يومًا : أى آية معك من كتاب الله أكبر ؟

فقال : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » . فضرب على صدره وقال : ليهنك العلم يا أبا المنذر .

وكان يعد ـ رضى الله عنه ـ فى الستة الذين كانوا يفتون الناس فى عهد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعهد الشيخين أبى بكر وعمر .

وكان الفاروق ـ رضوان الله عليه ـ يستشيره فى المعضلات والمشكلات كان ـ رضى الله عنه ـ أقرب إلى أهل الحديث .

وقد قيل : « ثلاثة كان يستفتى بعضهم من بعض : فكان عمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت يستفتى بعضهم من بعض ، وكان على وأبى بن كعب وأبو موسى الأشعرى يستفتى بعضهم من بعض » . ولعل هذا هو السبب الذى من أجله لم يكن أبى يجيب عن المسائل التى كانت تفترض افتراضًا ويقتصر على الموجود والمعقول فيها . سأله رجل عن مسألة . فقال له يا ابن أخى أكان هذا ، قال : لا ، قال أبى : فاجمنا حتى يكون ، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا .

وقد كانت فى أبى ـ رضى الله عنه ـ رثاثة فى المظهر ، وزهادة فى المأكل والمسكن . قال جندب بن عبد الله البجلى : أتيت المدينة ابتغاء العلم فدخلت مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا الناس فيه حلق يتحدثون ،فجعلت أمضى الحلق حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحب عليه ثوبان كأنما قدم من سفر ، قال فسمعته يقول : هلك أصحاب العُقدة ورب الكعبة ولا آسى عليهم ، أحسبه قال مرارًا . قال فجلست إليه فتحدث بما قضى له ، ثم قام . قال : فسألت عنه بعدما قام ، قلت من هذا ؟ قالوا : هذا سيد المسلمين أبى بن كعب ، قال فتبعته حتى أتى منزله فإذا هو رث المنزل رث الهيئة ، فإذا رجل زاهد منقطع يشبه أمره بعضه بعضًا . فسلمت عليه فرد علىّ السلام ، ثم سألنى ؟ ممن أنت ؟ قلت : من أهل العراق ، قال أكثر منى سؤالًا : قال لما قال ذلك غضبت ... فجثوت على ركبتى ورفعت يدى ـ هكذا ـ وصفهما حيال وجهه ، فاستقبلت القبلة ... قلت : اللهم نشكو هم إليك ، إنا ننفق نفقاتنا وننصب أبداننا ، ونرحل مطايانا ابتغاء العلم فإذا لقيناهم تجهموا لنا وقالوا لنا : قال : فبكى أبى وجعل يترضانى ويقول : ويحك لم أذهب هناك . لم أذهب هناك . قال : ثم قال : اللهم إنى أعاهدك لئن ابقيتنى إلى يوم الجمعة لأتكلمن بما سمعت من رسول الله « لا اخاف فيه لومة لائم » .

ومادمنا قد تطرقنا إلى وصف الرجل وما كان عليه من الخشونة والنسك فلنمض فى هذا الطريق ونذكر أنه كان دحداحًا لا طول فيه ولا قصر وأنه كان أبيض الوجه والرأس لا يغير شيبه ولا يختضب كما كان يفعل غيره . وأنه لم يل من المناصب فى حياة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ سوى كتابة الوحى وغيره من الرسائل والحوائج . والأمر كذلك بالنسبة للشيخين ، فإن أبى بن كعب ـ رضى الله عنه ـ لم يتقلد فى عهدهما قيادة جيش ولا إمارة بلد . وأنما بقى إلى جانبهما يشير عليهما وينصح لهما . وقد روى أنه ـ رضى الله عنه ـ قال لعمر ـ يوماً : لِمَ لَمْ تستعملنى ؟ فقال له : لأنى أخشى أن أدنس دينك .

وصفوة القول : أن أبى بن كعب كان حافظًا للقرآن كاتبًا له . قضى حياته كلها فى تدبر آياته واستنباط أحكامه واستخراج كنوزه ، وأسراره ونشر ذلك فى إخلاص وأمانة ، وقد كانت له حلقة فى مسجد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى المدينة يقصد إليها طلاب العلم والفقه . وكان من تلاميذه الذين رَوَوْا عنه : عمر ـ وأبو أيوب ـ وعبادة بن الصامت وسهل بن

سعد وأبو موسى وابن عباس وأبو هريرة وسليمان بن صرد ـ رضى الله عنهم .

وقد اختلف المؤرخون فى وفاته ، أكانت فى خلافة عمر ، أم فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنهما ـ فذهب فريق إلى انها كانت فى خلافة عمر ، وفى العام التاسع عشر أو الحادى والعشرين أو العام الذى يليه . وذهب آخر إلى أن وفاته قد كانت فى العام المكمل للثلاثين . ومن الناس من يدعى أنه قد امتد به الأجل حتى الجمعة السابقة على استشهاد عثمان . وعندى ان الرجل قد عاش حتى العام المكمل للثلاثين .

والدليل على ذلك أن زر بن حبيش قد لقيه فى خلافة أمير المؤمنين عثمان ، وحجة ثانية : وهى أن ذا النورين لما عزم على جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد اختار لهذه المهمة اثنى عشر رجلا كان منهم أبى بن كعب .

ومهما يكن من شىء فان أبيا ـ رضى الله عنه ـ كان جالساً عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له رجل : يا رسول الله : أرأيت هذه الأمراض التى تصيبنا ما لنا فيها ؟ قال : كفارات ، فقال أبى بن كعب : يا رسول الله وان قلت . قال : وإن شوكة فما فوقها . فدعا أبى أن لا يفارقه الوعك حتى يموت وان لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صلاة مكتوبة فى جماعة . فما مس إنسان جسده إلا وجد حَرَّهُ حتى مات (الاصابة ١/٢٠) .

وقد روى جندب بن عبد الله . أن أبى بن كعب لما صعد إلى الرفيق الأعلى غصت طرقات المدينة بأهلها . وراح بعضهم يموج فى بعض . ولأنه لم يكن من المقيمين فيها ، فإنه سأل : عما يرى . فقالوا له : أغريب أنت ؟ قال : نعم . قالوا : مات اليوم سيد المسلمين . فرحم الله أبى بن كعب وأجزل له الأجر والمثوبة وحشره مع النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحزبه « أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

مراجع المقال

(١) القرآن الكريم .

(٢) الحديث الشريف .

(٣) الاصابة لابن حجر .

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير .

(٧) تاريخ الطبرى .

(٨) فجر الإسلام لأحمد أمين .

(٨) سورة المجادلة .

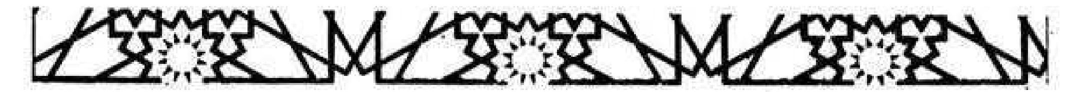

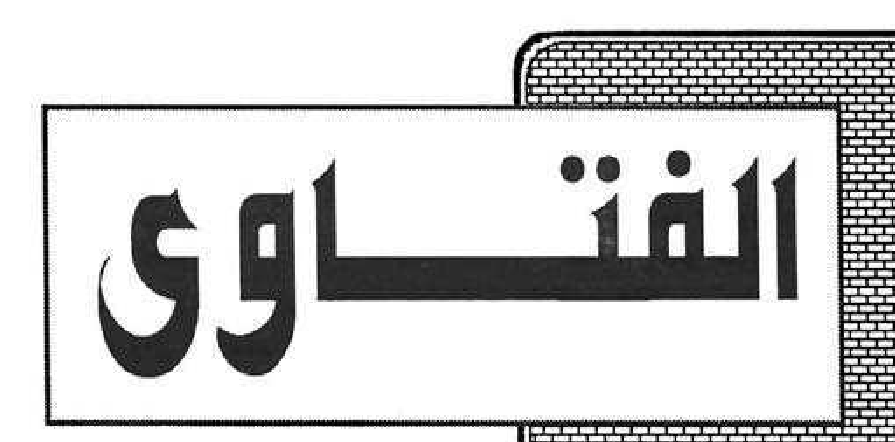

إعداد الأستاذ: عبدالمنعم فودة

السؤال من السيد م ـ ع ـ ش :

زوجة تطلب الطلاق من زوجها بعد خمسة عشر عاما بسبب وجود عيب «عدم الانجاب» من الزوج وهذا ثابت بتقارير الأطباء المختصين أن الزوج كامل الرجولة والعضوية وهى تصر على طلب الطلاق لعدم الانجاب لأنها تقول أن من حقها الانجاب وسن الزوج ٤٥ سنة وسن الزوجة ٣٢ سنة . علما بأنه ثبت بالتقارير أن الزوج يعانى من ضعف فى الحيوانات المنوية يحتاج للعلاج وقد استمر العلاج خمسة عشر عاما ثم توقف . وهل يحق للزوج أن يتزوج من زوجة أخرى فى حالة عدم الانجاب وما الحكم ؟

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه بعد أن ثبت بالتقارير الطبية أن الزوج كامل العضوية والرجولة وأن هناك ضعف فى الحيوانات المنوية للزوج وقد استمر فى العلاج خمسة عشر عاما فاذا أرادت الزوجة أن تطلق نفسها من هذا الزوج كان لها أن ترفع أمرها إلى القضاء . كما أنه يجوز للرجل أن يتزوج من زوجة بعد مصارحتها بمرضه

هذا والله تعالى أعلم .

السؤال من أ ـ ح ـ ف :

عم والدى قد توفى إلى رحمة الله تعالى وترك زوجة وأرغب أن أتزوج منها على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .... أفيدونى أفادكم الله .

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد فنفيد بأن الله سبحانه وتعالى بين فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم المحرمات من النساء تأبيداً وتأقيتاً ونسباً ومصاهرة ورضاعا وأحل ماوراء ذلك .

وزوجة عم الوالد ليست من المحرمات لا فى الكتاب الكريم ولا فى السنة المطهرة .

وعلى ذلك يجوز للسيد السائل شرعا أن يتزوج من زوجة عم والده المتوفى بعد انقضاء عدتها والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد/ م ـ ع ـ م :

١ ـ حلفت على زوجتى بقولى لها « أنت طالق » وكان ذلك قبل الدخول بها ، ثم ذهبت وحدى إلى أحد العلماء وراجعتها إلى عصمتى .

٢ ـ ومرة ثانية بعد الدخول بها طلقتها مرتين بقولى لها أنت طالق/ فما الحكم ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد .

فنفيد عن الأول بأنه يقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى حيث كانت قبل الدخول بها فلا تحل له الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، وحيث أنه راجعها أمام أحد العلماء فان الرجعة لاتجوز ويجب على الزوج الآن أن يعقد عليها عقدا جديدا بشهود وولى ، وبناء على ذلك فان الطلقتين اللتين حصلتا بعد الدخول غير محسوبتين حيث إن المرأة فى هذه الحالة ليست زوجة له والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد الدكتور/ م ـ ج ـ أ :

تعاقدت إحدى الشركات مع مستشفى خاص لعلاج مرضاها .

واشترط بعض موظفى هذه الشركة أن يأخذوا من المستشفى (١٠٪) مكافأة خاصة لهم حتي ييسروا تحويل المرضى إلى هذا المستشفى .

فما الحكم فى دفع هذا المبلغ لهؤلاء الموظفين ؟!

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

فنفيد بأن هؤلاء الموظفين يأخذون المبلغ الذى يشترطونه رشوة لاتحل لهم ؛ لأنهم موظفون فى الشركة ليقوموا بكل ما تكلفهم به ، ويأخذون رواتبهم على هذا العمل فلا يحل لهم اشتراط مبلغ يأخذونه من أصحاب المستشفى والذى يقدم لهم هذا المبلغ مشارك لهم فى الاثم لقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لعن الله الراشى والمرتشى والرائش) وكون هؤلاء الموظفين لايحولون المرضى لهذا المستشفى اذا لم يأخذوا العشرة فى المائة لايبرر الدفع لهم .

والله الرزاق ، وهو ـ سبحانه وتعالى أعلم .

السؤال من السيد/ ع ـ ح ـ ف :

ماحكم الاحتفال باقامة السرادقات للميت واستقبال المعزين والتباهى بالانفاق عليها من احضار قارىء مسموع . وتقديم الأطعمة للمعزين . وتأخير الدفن لوقت معين لاجتماع الناس والنعى . وقراءة القرآن للميت وتقديم الصدقة ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .....

فنفيد بأن المشروع عند الموت الاسراع بالتجهيز والجنازة للدفن بعد أن يمضى الوقت الذى يغلب على الظن فيه أن الوفاة قد تحققت ـ يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : (أسرعوا بالجنازة فان تك صالحة فخير تقدمونها إليه ، وإن تك غير ذلك فشر تلقونه عن كاهلكم . رواه الترمذى ، وبذلك لايشرع تأخير الدفن حتى يجتمع الناس ، كما لايشرع النعى بالصورة المعروفة الآن من ذكر صفات الميت ووظائفه وأقربائه وصفاتهم فان ذلك من نعى الجاهلية ، وقد نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ...

أما المشروع للنعى فهو الاعلان لأقربائه وأصدقائه بدون ذكر لصفاته ومراكزه ....

واقامة السرادقات والتباهى بإقامتها وإحضار القارئين المسموعين لها ، وتقديم الأطعمة للمعزين كل ذلك غير مشروع لما فيه من الاسراف فى الأموال والفخر على الناس والاضرار بالقُصَّر من ورثة الميت إذ أن صرف الأموال فى ذلك محرم ، وصرف أموال القصر فى ذلك أشد حرمة .

أما المشروع فهو أن يصنع الناس الطعام لأهل الميت فذلك نوع من المواساة .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قتل جعفر بن أبى طالب (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد آتاهم مايشغلهم) رواه الخمسة الا النسائى فصنيعة الطعام من أهل الميت للناس غير مشروعة .

ويحرم الذبح عند القبر ، أو عند خروج الميت من البيت حيث قد نهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك والمطلوب للميت أن يحسن غسله ، وأن يحسن تكفينه مما يحل له فى حياته ، وأن يكون من الثياب البيضاء ، وأن يجتمع أكبر قدر من الناس للصلاة عليه ، وأن يجتمعوا كذلك لتشييع جنازته لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من تبع جنازة فله قيراط ومن تبع جنازة وصلى عليها فله قيراطان والقيراط مثل جبل أحد) رواه النسائى .

والذى ينفع الميت كذلك قراءة القرآن والدعاء له والاستغفار والصدقات من مال الميت إن كان قد وصى بذلك ، أو من مال البلغ من ورثته أن رضوا بذلك ، وأهم شىء إنما هو سداد ديونه . فإن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه) وأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ امتنع عن الصلاة على جنازة ، لأنه مدين وصلى بعد أن تعهد أحد الصحابة بأداء دينه ، وأن الشهيد يغفر له كل شىء إلا الدين . فليتق الله المسلمون وليلتزموا شرع الله بعيدا عن التفاخر والرياء وبخاصة فى مثل هذه المواقف حتى لاتجتمع بلية النفس والمال .. والله تعالى أعلم .

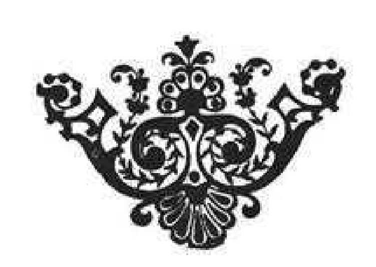

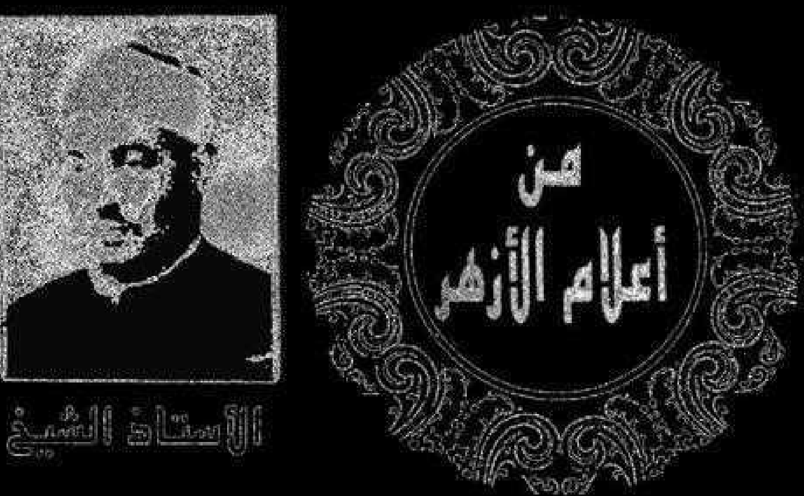

الأستاذ الشيخ

علي محمد حسين حسب الله

رحمه الله

للأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندي*

نسبه ومولده ونشأته :

هو المحقق الفذ العلامة الأشهر ، الفقيه البارع ، والأصولي المتقن ، والحجة المحقق حتى زمانه البحاثة النادر ، الأستاذ الكبير الشيخ علي محمد حسين حسب الله أسال الله عليه شآبيب الرحمة .

كان - رحمه الله - آية في دقة الفكر ، واتقاد الذهن ، وتوقد الذكاء ، وقوة العارضة ، وحل غوامض المشكلات ، واستنباط المسائل وتحرير الدلائل .

ولد - رحمه الله - في ١ يناير سنة ١٨٩٥ م بمدينة (الإسماعيلية) وهي وقتئذ حديثة النشأة طيبة الهواء طيبة الماء .. وترعرع الشيخ في هذه البلدة الطيبة المباركة حيث نشأ بين أبوين كريمين عرفا بالاستقامة ، وحسن الخلق والعمل ، وطيب الأرومة والكرم الحاتمي ليعيشا في ظل أسرة عريقة ذات نبل ووفاء ومستوى رفيع من الأخلاق الطيبة .

ألحقه جده بمدرسة في (الإسماعيلية) حفظ بها القرآن الكريم ، ولقد كان من حسن طالعه وتوفيق الله به ، أن قيض الله له وهو في هذه السن المبكرة أساتذة أجلاء اختصوه بمزيد من العلوم التي لم تكن ضمن برامج الدراسة في المدرسة فقرأ عليهم مبادئ العلوم الإسلامية والعربية من نحو وصرف وفقه وتوحيد وما إلى ذلك بعد أن تلقى القرآن واستوعب العلوم المقررة في مناهج الدراسة بالمدرسة من الحساب والتاريخ والتقويم وتحسين الخط ، الأمر الذي حدا بأساتذته أن يصيروه حريصا على الالتحاق بعد ختم الدروس ، ويتوجه عنهم في طلابهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* الكاتب : أستاذ بقسم التاريخ والحضارة - جامعة الأزهر .

انتسب إلى الأزهر الشريف فى (١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م) تقريبا وهو أحرص ما يكون على تلقى العلوم من منابعها الصافية وأنهارها المتدفقة ، وكان العهد بالأزهر - إذ ذاك - الحرية المطلقة فى اختيار المدرس ، ومن أجل هذا اختار الشيخ على حسب الله أفضل العلماء وأحسنهم فى نظره ، فجلس فى حلقاتهم كامل الإنتباه ، مرهف الحس والعقل ، فكان فى دروسه متقدما ، يغبطه إخوانه على سعة علمه وقوة تفكيره ، فكان إخوانه يقصدونه ليجلى لهم ما خفى عليهم ويشرح لهم ما عسر فهمه ، وهو لم يزل طالبا ينهل من موارد أشياخه ويستقى من معين علمهم النقى الصافى .

لم يمكث الشيخ طويلا فى القسم الثانوى للأزهر ، فقد التحق بمدرسة القضاء الشرعى - وهى يومئذ قسم وجزء لا يتجزأ من الأزهر حيث درس له بها أعظم أساتذته والجدير بالذكر أنه فى امتحان القبول كان الأول على دفعته وعددهم تسع وتسعون طالبا ، وقد تخرج الشيخ على حسب الله من مدرسة القضاء الشرعى بعد أن حصل على (البيورلدى) : شهادة العالمية سنة ١٩٢٤م ومما جاء فيه بعد الديباجة .

« فشكرنا لكم هذا التقدم الجليل وقابلناه بالثناء الجميل ، حيث كان من أجل النعم المهمة لإصلاح الوطن ، وصلاح الأمة نشر أنوار أنواع العلوم والفنون ، إذ بها تستنير الأفكار ، وتزول ظلم الشبه والظنون لا سيما علم الشريعة المقدسة الطاهرة الذى هو عنوان السعادة فى الدنيا والآخرة ، إذ به تعظيم العبادات وتنظيم المعاملات ... الخ .

مدارج وظائفه :

حصل الشيخ على حسب الله على (دبلوم من دار العلوم) معادلة إجازة التدريس فى ٤ رجب سنة ١٣٤٦ هـ ، وعمل الشيخ بعد ذلك فى (تجهيزية دار العلوم) مدرسا من سنة ١٩٢٧م إلى أن ألغيت ، فعمل سنة من ١٩٣٥ م الى ١٩٣٦ م فى التدريس (بكلية الحقوق) جامعة (فؤاد الأول) وكلية البوليس الملكية منتدبا ، ثم عاد لمدرسة فؤاد الأول الثانوية سنة ١٩٣٦ م .

ثم عين فى دار العلوم من سنة ١٩٣٧ م إلى سنة ١٩٥٥ م ، ثم أحيل إلى التقاعد فى هذه السنة حيث كان معارا إلى (كلية الخرطوم) الجامعية من سنة ١٩٥٤ م حتى سنة ١٩٥٦ م ثلاث سنوات .

ثم عمل الشيخ فى عمل هو أبعد ما يكون عن تخصصه فأثبت فيه كفاءة نادرة يتحاكى بها القاصى والدانى ذلك أنه عمل مديرا إداريا للشركة الهندسية للصناعات والمقاولات ، التى تحولت إلى شركة (المقاولين العرب) وإنشاء السد العالى كان ذلك من سنة ١٩٥٦ م - ١٩٦١ م .

ولما تأممت الشركة خير بين المعاش والمرتب فاختار المعاش ، لأنه حقه الشرعى ، والمسألة مسألة مبدأ لكنه عين (بكلية دار العوم) أستاذا غير متفرغ من ١٩٦٠/٢/١٤م لمدة سنتين ثم جدد له ابتداء من ١٩٦٢/٢/١٤م حتى ١٩٦٤/٢/١٣م إلى أن قدم استقالته فى ١٩٦٤/١٢/١٦م .

عاد الشيخ إلى كلية الخرطوم الجامعية للمرة الثانية سنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ الى ١٩٦٧ / ١٩٦٨ ثم عاد إلى القاهرة ليسافر إلى الكويت ، ويعود للقاهرة سنة ١٩٧١ م رغم الحاح جامعة الكويت فى طلبه .

تدرجه الوظيفى

(١) رقى إلى أستاذ مساعد سنة ١٩٤٧ م .
(٢) رقى إلى أستاذ ٢٠ مايو سنة ١٩٥٠ م .
(٣) رقى إلى وظيفة أستاذ فئة (ب) فى ١٩٥٢/٥/٢١ م .
(٤) وظيفة أستاذ (ب) فئة (أ) فى ١٩٥٣/٣/١م .
(٥) رقى إلى أستاذ فئة (أ) فى ١٩٥٤/٦/١٨م .

كان الشيخ رحمه الله يدرس لطلابه المعقول والمنقول فى أسلوب سهل ممتع ، لذلك كان طلابه أحرص ما يكونون على حضور دروسه .

وكان مع ذلك حسن الخلق لين الجانب لا تفارق الابتسامة شفتيه حتى فى غضبه وألمه ، عطوفا على طلابه عذب العبارة ، جميل الأسلوب ، حاضر النكتة ، فأحبه تلامذته حبا جما ملك عليهم مشاعرهم ، لأنهم كانوا يستفيدون من تدريسه فائدة لا يرونها فى غيره ، ويرون درسه دائرة معارف ، القول فيه معقول والمنقول مفهوم والغامض واضح والصعب سهل والجامح منقاد .

ثم هو ـ إلى ذلك ـ مهندس لا يبارى فى التخطيط والتنفيذ والإشراف ، وكانت مدينة الاسماعيلية ميدان نشاطه الهندسى حيث خطط ونفذ منازل عدة لأقاربه وذوى رحمه .

مؤلفاته :

لقد أخرج الشيخ رحمه الله كثيراً من المؤلفات النفيسة ما بين مطول ومختصر ونحن نشير إلى أهمها اجمالا :

(١) أحكام المعاملات فى الشريعة الإسلامية .
(٢) بحوث فى القرآن الكريم .
(٣) الميراث فى الشريعة الإسلامية .
(٤) عيون المسائل الشرعية .
(٥) محاضرات فى علم التوحيد .
(٦) أصول التشريع الإسلامى .
(٧) بحوث فى الحديث .

(٨) الرسول ﷺ يعلم الناس مناسكهم فى حجة الوداع .

(٩) لقد منّ الله على المؤمنين بحث فى مولد النبى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ نشر فى (مجلة دار العلوم) .

(١٠) من هدى القرآن بحث نشر فى مجلة الوعى الإسلامى نوفمبر ١٩٦٨ م .

(١١) أحاديث دينية متنوعة فى الاذاعة المصرية والسودانية بالقطر الشقيق .

اللجان العلمية التى شارك فيها الشيخ على حسب الله :

(١) اللجنة العلمية لعمل معجم للقرآن الكريم .
(٢) اللجنة العلمية لعمل مناهج لكلية الشريعة ـ جامعة الأزهر ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م .
(٣) اللجنة المشكلة لوضع مناهج جديدة لكلية الدراسات العربية جامعة الأزهر ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .
(٤) اللجنة المشكلة لوضع ميزانية لجامعة الأزهر لمدة ٣ سنوات اعتبارا من ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ .
(٥) لجنة بحث الانتاج العلمى للأساتذة والأساتذة المساعدون لكلية الشريعة (لجنة الشريعة رقم ٣) .
(٦) عضو بمجلس كلية الشريعة المؤقت لمدة عام ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م .

تلاميذ الشيخ وعارفو فضله فى دار العلوم :

كان للشيخ على حسب الله تلاميذ كثير تخرجوا من مدرسته العظيمة ، وهم كل من درس فى كلية دار العلوم ما بين سنة ١٩٤٦ ، سنة ١٩٦٤ لقد تتلمذوا مباشرة على الأستاذ وتأثروا به وكانت له فى نفوسهم منزلة خاصة ، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ ـ وكان لهم فضل التخصص فى دراسة العلوم الشرعية وتدريسها :

(١) الأستاذ الدكتور / مصطفى زيد ـ رحمه الله ـ الأستاذ والرئيس الأسبق لقسم الشريعة بكلية دار العلوم .

(٢) الأستاذ الدكتور / عبدالله شحاته أستاذ ورئيس قسم الشريعة سابقا بكلية دار العلوم .
(٣) الأستاذ الدكتور / محمد بلتاجى أستاذ وعميد الكلية الحالى حفظه الله .
(٤) الأستاذ الدكتور / عبدالمجيد محمود أستاذ بكلية الشريعة .

وله طلابه وأحباؤه من البلاد العربية وهم كثيرون منهم :

الأستاذ محمد عجاج الخطيب رئيس قسم الشريعة بجامعة دمشق .

إختياره وكيلا لكلية دار العلوم :

كان الأستاذ رحمه الله يضع نصب عينيه مصلحة الكلية فكانت شغله الشاغل وعمله المتواصل كان حريصا كل الحرص على إنماء الروح الإسلامية فى النفوس والقلوب ونشر أسرار الكتاب المجيد وسائر ما جاءت به الشريعة السمحاء بين طبقات الأمة وذلك لا يتيسر إلا بتخريج علماء أجلاء يخلصون العمل لله ويقومون بالدعوة اليه .

على هذا الأساس الوطيد وبهذه الروح الإسلامية المخلصة ساس الشيخ شئون الكلية فكان للطلاب أبا رحيما ، وللأساتذة صديقا حميما .

أنجاله :

بارك الله فى ذرية الشيخ فرزقه الله الذكور والأناث يخدمون الوطن والمواطنين وجميعهم قرت بهم عين والدهم ، وهم يحتلون مناصب مرموقة يطمح إليها كل من طلب المعالى وهم :

(١) الأستاذ الدكتور عبدالمنعم على حسب الله :

أستاذ الكلى المعروف الذى شغل منصب وكيل كلية طب القاهرة وهو الآن رئيس مجلس إدارة المركز الطبى للمقاولين العرب بالإضافة إلى عمله بطب القاهرة .

(٢) السيد المهندس صلاح الدين على حسب الله :

أحد العلماء المهندسين المعروفين ويرأس الآن مجلس إدارة (شركة المقاولين العرب) .

(٣) السيد المهندس سامح على حسب الله :

وله خبرة طويلة فى العمل والتخطيط والتصميم الهندسى ، وقد رأس سابقا (إدارة الطرق) بالإضافة الى كونه عضوا بمجلس إدارة المقاولين العرب وهو الآن رجل أعمال .

مسجد ومكتبة وندوة السلام :

خطط الشيخ على حسب الله مسجدا بشارع الهرم أسماه مسجد السلام يؤدى رسالة الإسلام الهامة ، وقد جلس فيه إبان حياته يفتى ويلقى دروسه لمؤيديه ومحبيه .

ولم ينقطع هذا المدد الروحى بوفاة الشيخ بل ان ابناءه بارك الله فيهم يعقدون ندوة شهرية كبيرة مساء الجمعة الأولى من كل شهر عربى يجتمع فيها العلماء والمفكرون حول أستاذ من الأساتذة يلقى عليهم محاضرة يناقشونه فيها بعد ذلك ويوجهون إليه الأسئلة ويتلقون إجابتها .

وفـاته :

توفى الشيخ على حسب الله فى فبراير سنة ١٩٧٧ .

رحم الله الشيخ برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته بقدر ما قدم للإسلام والمسلمين آمين يارب العالمين .

هذا وقد حصل المرحوم الشيخ على حسب الله على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بالعيد المئوى لكلية دار العلوم فى ٢٦ من ربيع الآخر سنة ١٤١٢ هـ ٣ نوفمبر سنة ١٩٩١ م واستلمه نيابة عن الأسرة الدكتور عبدالمنعم حسب الله النجل الأكبر للشيخ .. والله ولى التوفيق .

الاتجاهات المعاصرة في دراسة العلم الإسلامي

د . أحمد فؤاد باشا *

شهدت العقود الأخيرة من هذا القرن اهتماما متزايدا بعلوم الحضارة الإسلامية ، سواء من جانب الدارسين العرب والمسلمين أو من جانب المستشرقين والفلاسفة ومؤرخي العلم الغربيين على حد سواء ومن يتتبع الدراسات المختلفة فى هذا الميدان سوف يجد نفسه إزاء عدد من الاتجاهات المتباينة فيما يتعلق بقيمة العلم الإسلامي ومضامينه وغاياته . ومن الطبيعي أن تحظى هذه الاتجاهات بالقبول والتقدير عندما تعكس موقفاً مناصراً للحق والحقيقة ، ولكنها تكون منفرة ومرفوضة عندما تعنى فى الأذهان تعصبا أعمى لنزعات ذاتية أو أبتعاداً مقصوداً عن جانب الحق والموضوعية . وسوف نعرض فيما يلي لبيان وجهة نظرنا فى مثل هذه الاتجاهات المؤثرة ، مع التدليل عليها بنماذج وأمثلة منتقاة من واقع الدراسات التراثية المعاصرة التى يمكن تصنيفها أجمالا الى دراسات موضوعية محايدة ودراسات لا تخلو من تحيز واضح أو تعصب أعمى أو ترويج مفتعل لأفكار خاطئة عن الاسلام والمسلمين .

* أستاذ الفيزيا ، بكلية العلوم جامعة القاهرة

أولاً : اتجاهات موضوعية محايدة :

إن العلم فى حد ذاته لغة موضوعية لا تعرف غير الحياد والمنهجية السليمة ، ولكنه كنشاط إنسانى مولد لطاقة عقلية ومعرفية أكبر ، يمكن أن يوجه ليكون أداة نافعة تتيح للانسان أن يفهم نفسه ، وأن يفهم العالم المحيط به على نحو يحقق الخير والسعادة لكل البشر ، ويمكن أن يوجه الى عكس ذلك ليكون أداة فلسفية أو تقنية تخدم نزعات معينة أو تحقق مصالح فئة من الناس على حساب الآخرين . فإن كانت الأولى ، فهو التحيز الموضوعى الأثير الى النفس ، وإن كانت الثانية فهو التعصب المرفوض بكل أشكاله ودرجاته ، لأنه يؤدى الى صراعات فكرية ويعوق مسيرة الحياة والإعمار على الأرض كما أرادها الله — سبحانه وتعالى — للناس أجمعين .

واذا ما انطلقنا من هذه المقدمة الى محاولة رصد واستعراض الأدبيات المعاصرة التى تنتهج نهجا موضوعيا فى معالجة قضايا التراث العلمى للحضارة الاسلامية فإننا — وبكل الأسف — لن نبتعد عن الحقيقة كثيرا اذا قررنا أننا نكاد لا نجد لهذه الأدبيات مكانا لائقا على خريطة المضمون المعرفى للموضوع ، اللهم الا بعض الاجتهادات الفردية المتناثرة[1] التى تهتم بالتاريخ لتراث المسلمين (أو العرب) فى إطار ثقافى عام ، متأثرين فى أغلب الاحيان بما عرفوه عن هذا التراث من أعمال المستشرقين[2] . ولهذا نجد ان معظم الاقلام الاسلامية العربية التى اقتربت من هذا الميدان قد انشغلت بقضية توصيف التراث لاعادة صياغته ومناقشته ، واتبعت فى ذلك منهجا تاريخيا قائما على الأثر والتأثر ، من أجل الدفاع عن التراث أو التصدى بالنقاش لقضايا جدلية يضيع فيها الوقت والجهد . أما باقى قضايا العلم الاسلامى التى تعالج لغته ومنهجه وتاريخه ونظريته وكل ما يتعلق بمسيرته ، فيمكن القول بأنها ما زالت بكراً فى انتظار من يتناولها بالدراسة وفق منهج تحليلى مقارن . ولا يقلل من حجم هذه المشكلة ظهور بعض الشروح والتحقيقات الرائدة لكوكبة من أهل الإختصاص عكفوا على إبراز قيمة المحتوى المعرفى لما تناولوه من نصوص تراثية ، متجاوزين بذلك قواعد التحقيق التقليدية من تفسير غريب اللغة أو أستدراك على النساخ فيما يقع بينهم من سقط أو زيادة . وقد كان لمثل هذه التحقيقات أجل الأثر فى التعريف بحقيقة الدور الإسلامى فى دفع مسيرة الفكر البشرى خلال العصور الوسطى ، كما أنها كشفت عن بعض حالات الغش الفكرى والقرصنة العلمية من قبل بعض المؤرخين والنقلة والمستشرقين فى حق التراث العلمى

---

(١) انظر على سبيل المثال :—
- قدرى حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، القاهرة ١٩٦٠
- عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ١٩٧٧ .
- عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، القاهرة ١٩٨٠ .
- د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الاسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٣ .

(٢) انظر على سبيل المثال :
- سيديو ، خلاصة تاريخ العرب العام ، ترجمة على مبارك ، القاهرة ١٣٠٩ هـ .
- آدم متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، القاهرة ١٩٤٠ .
- سارطون ، الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط ، ترجمة عمر فروخ ، بيروت ١٩٥٢ .
- سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، الترجمة العربية ، بيروت ١٩٦٤ .
- ألدوميل ، العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ، القاهرة ١٩٦٢ .
- غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٦٤ .
- فرانز روزنتال ، مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ، ترجمة أنيس فريحة ، بيروت ١٩٦١ .

الإسلامي[٣] . وقامت على إثر ذلك دعوات جديدة تحث على فهم العلوم الاسلامية بمدلولاتها الخاصة ، أكثر من فهمها على أساس أنها علوم نشأت على هامش العلوم الغربية القديمة . وقد بدأت بالفعل هذه الدعوات تؤتي ثمارها بإعادة تعريف المصطلحات الخاصة بالعلوم الاسلامية والنظر إليها باعتبارها ظاهرة للحضارة الإسلاميـــة ذاتها[٤] ، وإن كان يحد من ازدهارها بعض الشيء أن أغلب الدراسات التي تتبناها تعتمد على المصادر الثانوية ، بالاضافة الى بعض النصوص العربية واللاتينية المطبوعة ، وهذه بلا شك لا تمثل سوى نسبة ضئيلة من المصادر المدونة للمعرفة الاسلامية التي ازدهرت في منطقة شاسعة من الأرض تمتد من الأندلس غربا الى السند شرقا ، وفي حقبة طويلة من الزمان تمتد إلى تسعة قرون على الاقل . ومع تزايد عمليات البحث عن المخطوطات المفقودة في مختلف أنحاء العالم ، العربية منها وغير العربية ، زاد الاهتمام حديثا بعمل فهارس للوثائق والمصادر التراثية المتعلقة بمختلف فروع العلم الاسلامي[٥] .

ثانيا : اتجاهات لا تخلو من تحيز أو تعصب :

تظهر هذه الاتجاهات في بعض الدراسات التي تعنى بالتاريخ العلمي والتقني إجمالا ، أو بتحليل مرحلة معينة من مراحله ، أو بتطور نظرية علمية معينة من نظرياته ، أو بتقويم السيرة الذاتية لعالم بارز من علمائه . وهنا يقابلنا منذ البداية اتجاه ينكر الماضي تماما ويزدري أي محاولة لاحياء التراث ، انطلاقا من مقولة مؤداها أن العلم في تأكيده لليقين يُعتبر نظريا مجردا إلى درجة يكون معها نقيضا للحياة التي تنفرد وحدها في هذا الوجود بميزة أن لها تاريخا[٦] . ويوجد في ساحة الفكر العربي من يتبنى هذا الموقف الرافض لأي ربط بين التاريخ والحاضر بحجة أنه لا يصمد أمام أي تحليل عقلي دقيق ، حتى وإن كان يفيد في استنهاض الهمم ورفع المعنويات ، فليس في التاريخ البشري ــ فيما يزعمون ــ أمجاد معنوية تتحول الى جزء من « الجينات » المكونة لشعب من الشعوب وتظل كامنة في افراده على شكل استعداد للنهوض ينتظر اللحظة المناسبة لكي يصبح واقعا متحققا[٧] . بل إن هناك ، بكل أسف ، من أبناء

---

(٣) نذكر من هذه الشروح والتحقيقات على سبيل المثال :ــ
- كتاب الجبر والمقابلة ، تأليـــف محمـــد بن موسى الخوارزمي ، تحقيق على مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد ، القاهرة ١٩٣٧ .. وقد سبق الغرب الى نشره بالعربية سنة ١٨٣١ م .
- كتاب الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه في البصريات ، د. مصطفى نظيف ، القاهرة ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ .
- كتاب « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » ، تأليف أحمد بن يوسف التيفاشي ، تحقيق : د. محمد يوسف حسن ود. محمد بسيوني خفاجي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .
- مؤلفات مؤرخ الطب البارز « ماكس مايرهوف » MAX MAYERHOF. راجع في ذلك : « ماكس مايرهوف » دراسات في الطب العربي في العصور الوسطى : النظرية والتطبيق ، بإشراف : بنلـــوب جونستـــــون PENELOPE JOHNSTONE ، سلسلــــــة دراسات مجموعـــــــــة ، LONDON,VARIORUM REPRINTS,1984 .

(٤) ــ عبد الحميد صبره ، الاستحواذ على العلم اليوناني وتطبيعه في الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، عرض أولي ، مجلة تاريخ العلم ، ١٩٨٧ ، العدد ٢٥ ، ص ص ٢٢٣ ــ ٢٤٣ .
ــ د. أحمد فؤاد باشا ، العلوم الكونيـــة في التـــراث الاسلامي ، هدية مجلة الازهر ، مجمع البحوث الاسلامية ، رمضان ١٤١١ هـ .

(٥) لمعرفة المزيد عن الفهارس الحديثة لمخطوطات العلوم الاسلامية راجع :
ENILIE SAVAGE-SMITH,« GLEANINGS FROM AN ARABIST,S WORKSHOP CURRENT TRENDS IN THE STUDY OF MEDIEVAL IS LAMIC AND MEDICINE, » ISIS,NO.297,JUNE 1988.
والترجمة العربية للمقال منشورة في مجلة « الثقافة العالمية » العدد ٤٤ ، الكويت ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م .

(٦) جان دومبريه JEAN DHOMBRES في مجلة :
IMPACT OF SCIENCE ON SOCIETY,UNESCO,NO.159,P.190 (1990).

(٧) د. فؤاد زكريا ، « اين العرب من الابداع العلمي » ، مجلة آفاق علمية ، العدد الأول (١٩٨٥) .

جلدتنا — نحن معشر العرب والمسلمين — من يعلن صراحة أن إحياء التراث إنما يكون بقتله[8] .

ومهما يكن من أمر المبررات والحجج التي يسوقها أصحاب هذا الاتجاه المتطرف ، فإننا لسنا بحاجة الى ادنى جهد لدحض مزاعمهم . ويكفى دليلا على زيف دعواهم ما يشهده واقع الفكر العلمي المعاصر من نشاط واضح فى ميدان الدراسات التراثية المتعلقة بالعلوم وتقنياتها عن طريق المعاهد والمؤسسات الأكاديمية والمؤتمرات الدولية والمجلات الدورية والترجمة والتأليف وإعادة نشر أعمال الأعلام البارزين فى تاريخ العلم والتقنية . الأمر الذى يؤكد أهمية تاريخ العلم واستحالة انفصاله عن العلم ذاته باعتباره عملية ممتدة خلال الزمان ، وإذا ما ران على العلم جهل بتاريخه فإنه لا محالة مخفق فى مهمته[9] .

من ناحية أخرى ، هناك من تعامل مع تاريخ العلم والتقنية على مراحل ، وهو التعامل الشائع بين المؤرخين . لكن كل مؤرخ اتبع منهجا انتقائيا نتيجة لتفضيل تصورى أو انطلاقا من « أيديولوجية » أو نزعة ذاتية تخصه ، فرفع من شأن بعض المراحل الحضارية وحط من شأن البعض الآخر . ولم يستطع معظم هؤلاء المؤرخين إخفاء دوافعهم النفسية مهما حاولوا تغليفها بمعسول الالفاظ والعبارات الانشائية . فهذا هو « جورج سارتون » G SARTON ، الذى يعدُّ على رأس المشتغلين بتاريخ العلم فى القرن العشرين ، يقول فى مقدمة الجزء الأول من كتابه « تاريخ العلم » .. « وحديثنا عن الماضى محدود من عدة وجوه : وأحد هذه الوجوه الضرورية أنه يجب علينا أن نقصر أنفسنا على أسلافنا فحسب »[10] .

ويواصل حديثه مركزا على ما أسماه « بالمعجزة اليونانية » وتفوقها على الحضارات المجاورة لها قائلا : « والواقع أن ثقافتنا النابعة من الأصل الاغريقى والعبرى هى الثقافة التى تعنينا كثيرا ، إن لم تكن هى كل ما يعنينا .. والزعم بأنها بالضرورة أرق الثقافات فيه خطأ وشرّ .. لأننى اذا كنت أرق من جيرانى فليس لى أن أقول ذلك . ولكن لهم فقط أن يقولوه ، وإذا زعمت لنفسى شيئا من العلوّ لا يستطيعون — أو لا يقبلون — أن يصادقوا عليه ، فإن ذلك لا يثمر سوى العداوة بيننا »[11] .

وفى سلسلة « تاريخ العلوم العام » ، التى تقع فى أربعة أجزاء ساهم فى تأليفها أكثر من مائة باحث بإشراف « رينيه تاتون » RENE TATON ، نجد المدح والثناء يُكالان على ما يسمى « بالعلم العبرى » و « العلم المسيحى » ، كما تساق التبريرات الواهية لاعتبار إسرائيل ضمن الحضارات الكبرى القديمة فى الشرق ، وللإشادة بالعصر الذهبى « للعبقرية السامية » فى حضارة بابل وآشور[12] .

---

(٨) د. صلاح قنصوة ، ندوة « الجمالية العربية » ، مجلة الفكر العربى ، العدد ٦٧ (١٩٩٢) .

(٩) د. أحمد فؤاد باشا ، « منهج فى التعامل مع التراث العلمى للحضارة الاسلامية » دراسة قيد النشر عرضت بالتفصيل لمظاهر الاهتمام العالمى بقضايا تاريخ وفلسفة العلم والتقنية وخلصت الى صياغة منهج موضوعى يفيد فى دراسة التراث العلمى الاسلامى .

(١٠) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، الترجمة العربية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ ، ص ٢٣ .

(١١) المرجع السابق ص ٢٤ .

(١٢) رينيه تاتون ، تاريخ العلوم العام ، العلم القديم والوسيط ، ترجمة د. على مقلد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٨ .

وهنا تجدر الاشارة الى أن الدعاية الصهيونية لجأت داخل شعوب الغرب الى اثارة فكرة « الميراث اليهودى المسيحى المشترك » لتتوصل به الى ضمان انحياز الغرب شعوريا وعقائديا ، ومن ثم سياسيا وعمليا الى جانب الدولة الصهيونية فى صراعها مع العرب والمسلمين ، ونشطت فى ظل هذا الانحياز حديثا كنائس مسيحية كثيرة تبشر « بالصهيونية المسيحية » (راجع فى ذلك : د. أحمد كمال أبو المجد ، مجلة العربى ، عدد ٣٩٩ ، الكويت ١٩٩٢) .

ثالثا : الترويج لأفكار خاطئة عن الاسلام والمسلمين :

وفى كتاب « العلم فى التاريخ »[13] لم يستطع « جون ديزموند برنال » J.BERNAL أن يخفى تحيزه الواضح الى جانب الاغريق والفرس والرومان ، فى الوقت الذى يكيل فيه اتهامات متنوعة للاسلام والمسلمين دون أن يشرحها أو يدلل عليها فالأسلام ، فيما يزعم برنال ، أقام ثقافة متلاحمة ظلت باقية الى يومنا هذا بالرغم من أنها ليست ثقافة تقدمية ، واللغة العربية ـ فيما يزعم برنال أيضا ـ هى التى حجبت الدور الكبير للعنصر الفارسى فى العلوم الاسلامية الشرقية[14] والمسلمون يتحملون مسئولية كبيرة عن إقامة حواجز بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية الى يومنا هذا ، بدعوى أنهم لم يترجموا إنسانيات الاغريق مثلما ترجموا معارفهم العلمية والفلسفية ، فانتقلت الانسانيات والعلوم الى الثقافة الحديثة عن طريقين مختلفين[15] . وينكر « برنال » مآثر علماء المسلمين ويقصرها فقط على مجرد حفظهم لمواريث القدماء قائلا : « رضى معظم علمـاء المسلـمين بالنمط الكلاسيكى الاخير للعلوم ، ووثقوا هذا النمط ، ولم يكن لديهم طموح كبير ليحسنوه ، ولم يكن لديهم أى طموح لأن يطوروه تطويرا ثوريا »[16] .

وفى دراسة حديثة حول « الاتجاهات الجارية فى دراسة العلوم والطب عند المسلمين فى العصر الوسيـط » يورد « إمـيلى سفيـج سـمـيث » E.SAVAGE-SMITH كلاما مبتسرا عن الطب النبوى والرسائل المؤلفة فيه من قبل علماء الدين ، وليس من قبل الأطباء ، على أساس اعتقادهم بأن المعرفة يمكن الحصول عليها فقط عن طريق الوحى والنبى محمد (ﷺ) ، وأعراف الصحابة المقربين وآرائهم[17] . ويزعم « سميث » فى دراسته أن رسائل الطب النبوى قد شاعت فى مقابل الطب القائم على أساس إغريقى على أيدى فريق من الأطباء النطاسيين أمثال ابن جميع وابن رضوان وغيرهما والحق أن ما يعرف بالطب النبوى أو الطب الاسلامى قد نشأ بظهور الاسلام ونما وتطور على أيدى علماء الامة الاسلامية وأصبحت له فروع تبحث فى أسرار القرآن الكريم وأحكامه وشرائعه وعلاقتها بمختلف المباحث الطبية (١٨) .

وفى مقال آخر ظهر حديثا فى مجلة « العلم والمجتمع » بعنوان « العلم فى خدمة الدين » يتخذ « ديفيد كنج » DAVID A KING من العلم ومنهجه رداءا خادعا لترويج أفكار خاطئة عن عقيدة الاسلام ، بحيث تبدو هذه الافكار وكأنها تعبير صادق عن واقع الاسلام والمسلمين[19] . ففى غمرة انشغاله بقضايا التراث

---

(١٣) ج . د . برنال ، العلم فى التاريخ ، ترجمة د. على على ناصف ، الجزء الأول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٩٦ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

(١٥) المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

(١٧) المرجع السابق ، مجلة الثقافة العالمية ، العدد ٤٤ ، الكويت ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م .

(١٨) سبق ان فصلنا الحديث عن مفهوم الطب الاسلامى قديما وحديثا وأشرنا الى مباحثه المختلفة المتعلقة بالصحة والوقاية والبيئة والعلاج والتربية والطب النفسى وغيرها ، وذلك فى مؤلفنا : التراث العلمى للحضارة الاسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٦٢ وما بعدها .

(١٩) يعمل « ديفيد كنج » حاليا مديرا لمعهد تاريخ العلوم التابع لجامعة يوهان فولفجانج جوته فى فرانكفورت . وقد قام منذ سنوات بفهرسة مقتنيات دار الكتب المصرية من المخطوطات العربية والفارسية والتركية المتعلقة بالفلك والرياضيات والميكانيكا والبصريات (٢٥٠٠ مخطوطا) ، ونشر أعماله فى ثلاثة مجلدات ، يعرض كل منها نفس المخطوطات (٢٥٠٠) من خلال منظورات مختلفة .
راجع :
DAVID A.KING," SCIENCE IN THE SERVICE OF RELIGION:THE CASE OF ISLAM," IMPACT OF SCIENCE ON SOCIETY,UNESCO,NO.159,245-262 (1990).

العلمي الاسلامي المتعلقة بمسائل تحديد اتجاه القبلة واستطلاع أهلة الشهور القمرية ، نجده يتطرق بدون مناسبة الى مناقشة أمور هي من صميم العقيدة الاسلامية ذاتها ، ويثير أسئلة لا تؤهله ثقافته للرد عليها . فهو مثلا يتساءل عن سبب اعتقاد المسلمين لخمس صلوات رئيسية ، زاعما أن هذا التحديد لم يرد بشأنه نص صريح فى آيات القرآن الكريم ، أو فى أحاديث الرسول — ﷺ — ويظهر من خلال مناقشته لهذه المقولة التى أقحمها على موضوع بحثه إقحاما أنه يخلط بين الصلوات المفروضة وصلوات التطوع . وكان الأجدر بمثل هذا الباحث (المدقق) ان يستخدم منهج البحث العلمى فى الرجوع الى المصادر الموثوقة من الأصول الاسلامية ، أو سؤال أهل الذكر والاختصاص ، قبل إصدار أحكام قاطعة لا يوجد دليل على صحتها ولو قرأ أو سأل لعلم أن الصلوات الخمس المفروضة هى ركن من أركان الاسلام الخمسة التى نص القرآن الكريم على وجوب أدائها فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، وترك للرسول الكريم بيان تفصيلها قولا وأداءً وتوقيتا وعنه — ﷺ — تنوقلت الى يومنا هذا . ولو قرأ « كنج » أو سأل أهل الذكر لعلم أيضا أن صلاة الضحى عبادة مستحبة ، من شاء ثوابها من المسلمين فليؤدها والا فلا تثريب عليه فى تركها ، وليس صحيحا ما ذكره « كنج » عن الرسول — ﷺ — من روايات تنسب اليه قوله بأنها بدعة موروثة ، وأن هذا كان سببا واضحا — فيما يزعم — لحيرة المتأخرين وترددهم فى ضم صلاة الضحى الى الصلوات الخمس الرئيسية . فقد جاء فيما رواه الترمذى وحسنه عن ابى سعيد رضى الله عنه قال : « كان — ﷺ — يصلى الضحى حتى نقول : لا يدعها ، ويدعها حتى نقول لا يصليها[٢٠] .

خلاصة لابد منها :

حاولنا فى هذه العجالة أن نعرف القارىء الكريم بأهم الاتجاهات والدوافع التى تحكم دراسات المفكرين من فلاسفة العلم ومؤرخيه المعنيين بقضايا التراث العلمى للحضارة الاسلامية ج وأهم ما نخلص اليه فى هذا الشأن هو لفت الانظار الى وجود نوع جديد من الاستشراق لا يكتفى بمعرفة الشرق من أجل اختراقه وإحكام السيطرة عليه ، ولكنه يهدف أيضا — باسم العلم ومن خلاله — إلى بث أفكار خاطئة عن الاسلام والمسلمين من اجل حماية الانسان الغربى من أن يرى نور الاسلام فيؤمن به ويحمل رايته ويجاهد فى سبيله .

وعرضنا لمثل هذه القضية ، التى نستمليها من لسان الحال ويؤيدها العلماء المستشرقون أنفسهم بلسان المقال ، يمثل من جانبنا دعوة إلى فهم أعمق لطبيعة علاقتنا مع حضارة العصر المادية . وهذا بدوره يمثل جزءاً من الاجابة عن سؤال أعم وأخطر هو : كيف نريد لمستقبل أمتنا الاسلامية أن يكون ؟؟!! ..

هذا وبالله التوفيق

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

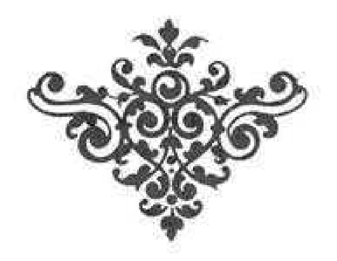

(٢٠) راجع : السيد سابق ، فقه السنة ، الجزء الأول ، باب التطوع ، ص ٢٠٨ — ٢١٠ ، دار الريان للتراث .

الفصل الأخير

للأستاذ الدكتور أحمد رجاء عبدالحميد

بانتهاء فحوص الزوجة ، تبدأ مرحلة الفحوص الخاصة بالزوج .

وبعد إتمام الفحص يتكون لدى الطبيب فكرة مبدئية عن السبب ، ولكنه لابد أن يبدأ بعمل تحليل السائل المنوى للزوج ، فقد يكون هناك سبب ظاهر فى الزوجة ، وقد يكون ـ فى نفس الوقت ـ سبب غير ظاهر فى الزوج .

تحليل السائل المنوى للزوج :

وهذا التحليل يستلزم أن يكون عقب أيام أربعة متتالية ـ على الأقل ـ لم يحدث منه فيها جماع ، وتؤخذ العينة فى اليوم الخامس ، وتحلل فورا مع الحرص الشديد على أن تحوى العينة القطرة الأولى من السائل إذ أنها الغنية بالحيوانات المنوية ، كذلك ينبغى أن تكون هذه العينة ـ الحاوية على القطرة الأولى ـ بعيدة تماما عن أى خلط ـ من صابون أو غيره ، فإنه قد يقتل أو يضعف فيتأثر بيان الواقع فى نسبة الحيوانات المنوية .

وهذا يعنى ـ بوضوح ـ ألا يتم أخذ العينة عن طريق الجماع .

وتصل النتيجة ـ نتيجة التحليل ـ إلى الطبيب ، فينظر :

أولا : الحجم من ١ ـ ٥ سم .

ثانيا : التفاعل : قلوى (٧,٤) .

ثالثا : اللزوجة ، لزج ، ويصير سائلا بعد نحو عشرين دقيقة .

رابعًا : العدد الكلي ، ويجب ألا يقل عن (٥٠) مليون حيوان ، على ألا يقل - كذلك عن (١٠) ملايين منها في (١) سم٣ .

خامسًا : الحركة في الساعة الاولى يجب أن تزيد على (٧٠٪) ثم تصل إلى (٦٠٪) بعد نحو ساعتين .

سادسًا : الأشكال الغير طبيعية لاتزيد عن ٤٠٪ .

وأخيرًا نسبة الصديد لاتزيد على خمس خلايا في (١) سم٣ .

أسباب تأخر الحمل بالنسبة للزوج :

١ - أسباب عامة : السمنة أو النحافة الزائدتان - الافراط في التدخين وشرب الخمور .

٢- أسباب خلقية : عدم نزول الخصية إلى مكانها الطبيعي - عدم نمو الخصية - وجود عيب في فتحة مجرى البول يؤثر على عملية القذف .

٣ - أسباب إلتهابية : الاصابة بالامراض التناسلية - التهاب الخصية -التهاب البروستاتا .

٤ - أمراض غدد صماء : نقص إفراز الغدة النخامية - أمراض الغدة الدرقية .

٥ - أسباب نفسية : وجود ضعف أو عدم انتشار (انتصاب) .

٦ - أسباب مختلفة : دوالي الخصية - نقص عدد أو حيوية الحيوانات المنوية - زيادة غير طبيعية في نسبة الحيوانات المنوية - اصابات الخصية .

وفي حالة عدم وجود حيوانات منوية تجرى عملية بسيطة لأخذ عينة من الخصية لتحليلها ليتبين : هل السبب هو الخصية أم في القنوات الموصلة للحيوانات المنوية .

عودة إلى إتمام فحص الزوجة :

وبعد ان يطمئن الطبيب على الزوج يبدأ دور الزوجة وحتى لو كان هناك عيب في الزوج فقد يكون هناك أيضا عيوبا في الزوجة ولذلك لابد وان يقوم الطبيب بعمل الأبحاث التالية للزوجة ، والطبيب هنا ليس بحاجة لإجراء كل الفحوص التالية لكل النساء ، ولكنه يتخير منها ما يراه مناسبا ولازما لكل زوجين حتى يصل إلى التشخيص الدقيق لأسباب تأخر الحمل حتى يمكن علاجها .

أولًا : اختبارات (الإباضة) : وهذه غالبا ما يحتاجها النوع الأول : (العقم الأولى) وهي تشمل عدة اختبارات منها : قياس درجة حرارة الجسم القاعدية يوميا حتى يلاحظ أى ارتفاع طفيف في درجة الحرارة (منتظم لثلاث دورات متتالية) في النصف الثاني من الدورة الشهرية ، أو قياس نسبة الهرمونات في الدم وبخاصة هرمون البروجيسترون في اليوم الثالث والعشرين من الدورة أو أخذ جزء من بطانة الرحم (عملية الكحت والتوسيع والعينة) لتحليلها (هستوباثولوجيا) بواسطة المجهر أو عمل مسحة مهبلية (لطخة مهبلية) ومن هذه الطرق المختلفة فإن أكثر الطرق كعادة هي عينة باطن الرحم وقياس هرمونات الدم .

ثانيا : اختبارات انفتاح (قناتي فالوب) ويمكن إجراؤها بطرق عدة منها الأشعة السينية باستخدام صبغات معينة (مواد مرئية) تحقن في عنق الرحم ، أو عن طريق منظار البطن وقديما كان يستعمل عملية النفخ التي بطل استخدامها حديثًا .

ثالثا : اختبارات التوافق : (اختبار ما بعد الجماع) وذلك لمعرفة مدى ملائمة عنق الرحم وإفرازاته لمرور الحيوانات المنوية وهذا الاختبار يجرى لسحب الافرازات من عنق الرحم والرحم خلال أنبوبة رفيعة (كانيولا) من داخل عنق الرحم وذلك بعد الجماع لفترة (في الاغلب ٦ ساعات) وتفحص هذه الافرازات تحت المجهر ، ويكون ايجابيا في حالة وجود عدد من الحيوانات المنوية النشطة في العينة .

رابعا : منظار البطن : ويتم إدخاله بواسطة فتحة صغيرة أسفل السرة وهذا المنظار هو أنبوبة رفيعة من المعدن مزود بعدسة وطريقة إضاءة خاصة وبواسطة نفخ البطن بواسطة هواء حجرة العمليات المرشح بواسطة مرشح خاص أو بواسطة (غاز ثاني أكسيد الكربون) يتم فحص الرحم والمتعلقات ، كما يتم فحص (قناتي فالوب) واختبار صلاحيتهما عن طريق حقن مادة ملونة عن طريق عنق الرحم ويكون الاختبار إيجابيا في حال رؤية هذه المادة (الميثلين بلو) تنزل من البوقين ، أو توجد في تجويف البطن . وكذلك من الممكن إجراء بعض العمليات البسيطة بواسطة منظار البطن (وبدون اللجوء إلى عملية فتح بطن) مثل أخذ عينة من المبيض .

خامسًا : تخطيط الصدى أو (الموجات فوق الصوتية أو الأشعة التليفزيونية) وهي لازمة في بعض الحالات مثل اشتباه وجود أورام صغيرة بالرحم أو متعلقاته .

وأخيرا هناك بعض الاختبارات تجرى لبعض الحالات المختارة مثل بعض اختبارات المناعة (في حالات التنافر الصناعي) داخل وخارج الجسم ، ففي هذه الحالات يكون الزوج سليما والزوجة كذلك ، ويتأخر الحمل ، وقد يحدث طلاق ثم زواج من آخرين فيحث إنجاب للزوجة من آخر والزوج من أخرى . وأخيرا هناك بعض الحالات التي تحتاج إلى فحص للكروموزومات (حاملة الصفات الوراثية) .

حالات غامضة : وبالرغم من إجراء كل هذه الفحوصات ، وبرغم التقدم العلمي الهائل في هذه الفترة الحديثة ، فإنه لاتزال توجد نسبة حوالي (١٠٪) لايوجد سبب مفهوم لتأخر الحمل فيها فالزوج - ظاهريا - سليم مائة في المائة ، وكذلك الزوجة ، وقد يأتي اليوم الذى نصل فيه إلى معرفة الأسباب كاملة وكذلك علاجها ، وإن التقدم الحديث في الهندسة الوراثية قد يساعد في المستقبل في علاج أو منع حالات يئسنا منها طويلا .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد :
د. نجوى السيد أحمد

بلاستيك اصطناعى من حليب البقر

أعلن أحد مديرى مختبرات الأبحاث اليابانية الخاصة ، أنه نجح فى صنع مادة بلاستيكية تركيبية مستخرجة من حليب البقر لا يمكن تفريقها بتاتا عن عاج ناب الفيل الطبيعى ، ويعتقد أن هذا العاج الاصطناعى الجديد سيحل فى استعمالات كثيرة محل العاج الطبيعى ، مما يخفف من حدة المجازر المرتكبة باستمرار ضد الفيلة .

باحثة بالمركز القومى للبحوث

استخدام الحواسب « الكمبيوتر » في انتاج النفط

لم يعد استخراج النفط من مكانه في باطن الأرض عملية ميكانيكية فحسب ، كما كان في السابق ، بل أصبح يعتمد وبشكل متزايد ـ يوما بعد يوم ـ على عمل الحواسيب الألكترونية الدقيقة ، فهي التي تحدد الطريقة التي يجب أن يتبعها الحفر ، وهي التي تحلل السوائل ، ويستخدمها البعض لقياس المسامات في عينات الصخور ثم حساب مدى سهولة تدفق النفط عبر هذه المسامات . ويقول أحد خبراء النفط أن تقدم الحواسيب لم يسمح للشركات بالعثور على النفط وانتاجه بسرعة أكبر فحسب ، بل باقتصاد في النفقات أيضا .

ناسخة يدوية عملية

تم انتاج ناسخة جديدة باليابان هي عبارة عن قلم صغير الحجم ، خفيف الوزن ينسخ مباشرة من أى سطح كان مهما كانت سماكة الورق أو حجمه أو نوعه ويعيد طبع الصورة على أى جسم مسطح ناعم ، ويحتوى القلم في طرفه على ناسخ يلتقط الصورة عبر تمريره فوق الأصل المراد نسخه فتخزن الصورة في الذاكرة ثم يقلب القلم على الطرف الثانى الذى يحتوى على الطابعة التى تقوم بطبع الصورة من الذاكرة على السطح الجديد ، القلم عملى لنسخ الأسماء والعناوين وأرقام الهاتف ويطبع على البطاقات المصورة وملصقات الأشرطة وعلى « السيلوفان » ، وهى ذو تطبيقات غير محدودة .

مجهر الجيب

ابتكر العلماء مؤخرا في بريطانيا مجهراً صغيراً يصل وزنه إلى ٦٣٠ جرام ويعمل على البطارية أو على الكهرباء ، ومن مميزات هذه المجهر أنه يمكن إمساكه باليد كما يمكن استعماله على الطاولة ، ولا تقل إمكاناته عن إمكانات أى مجهر آخر ، فهو مجهز بعدسة عينية تكبر عشر مرات بثلاث عدسات شيئية تكبر الصورة ١٠ ، ٤٠ ، ١٠٠ مرة على التوالى .

يستخدم هذا المجهر في مجالات الطب وعلم الأحياء وعلم المعادن والألياف البصرية والالكترونيات . كما أنه سهل التكيف مع المناخات القاسية في الوقت الذى يصعب على المجاهر العادية ذلك ، ويستطيع فحص المعادن في موقعها كجناح الطائرة مثلا . وهو مجهز بعدسة « شيرلوك » المكبرة المشهورة .

أصغر مرقاب للقلب

ابتكر اليابانيون جهازاً جديداً هو مخطط القلب الكهربائى الشخصى ، يصل وزن هذا الجهاز إلى ٢٣٠ جرام وهو أخف بكثير من جهاز مراقبة القلب الذى يوضع عادة على رقبة المريض ويسجل أداء عمل القلب على شريط مغناطيس لمدة ٢٤ ساعة ، في حين يستطيع مخطط القلب الكهربائى الشخصى خزن معلومات لمدة ٤ دقائق فقط أثناء الأزمات القلبية كالذبحة أو الجلطة أو أى نشاط غير طبيعى للقلب .ويقوم مستخدم هذا الجهاز بالضغط على زر التسجيل فور إحساسه بألم في صدره أو بخفقان سريع وقوى ثم تنقل المعلومات إلى حاسوب شخصى لمعالجتها .

إنتاج «الفركتوز» من مخلفات السكر

نجحت التجارب نصف الصناعية التى أجراها علماء المركز القومى للبحوث بالاشتراك مع إحدى الشركات المصرية في إنتاج سكر الفاكهة « الفركتوز » وحمض الجلوكونيك الذى يدخل في العديد من الصناعات الدوائية وذلك من مخلفات صناعة السكر في مصر ، يتميز السكر الجديد بأنه

أعلى نقاوة من السكر الحالى بالاضافة الى زيادة نسبة حلاوته عن باقى أنواع السكر ، ويتم الحصول عليه بتخمير مخلفات صناعة السكر صناعيا باستخدام سلالات من فطر معين مما يؤدى إلى تحليل السكر « السكروز » الموجود فى المخلفات بنسبة ٦٠٪ إلى سكر الفاكهة وحمض الجلوكونيك .

« تستغرق عملية التخمر ٤٨ ساعة فقط يتم بعدها التخلص من هذه المخلفات التى تسبب مشاكل بيئية كثيرة لشركات صناعة السكر فى مصر .

حاسوب بسرعة الضوء

ظهر مؤخرا فى أوساط التكنولوجيا المتطورة تقنيتان جديدتان لتعطيا صناعة الحواسي تقدماً علمياً جديدا ــ الأولى هى الحاسوب الضوئى ، وهو عبارة عن مجموعة مؤتلفة من الليزر والعدسات والمناشير ، ويعتمد على النقل الضوئى بدلا من الالكترونات ، تُعالج الإشارات داخل هذا الحاسوب بواسطة الفوتونات التى تشكل الوحدة الأساسية للحزم الضوئية والتى يعتبر استخدامها نظريا أفضل بكثير من استخدام الالكترونات فالفوتونات تنتقل بسرعة تفوق سرعة الالكترونات بعشر مرات ، والتقنية الثانية هى المبدل الضوئى ، وهو عبارة عن جذاذة رقيقة جدا تصنع من مواد اصطناعية متطورة ، يعمل هذا المبدل ويتوقف عن العمل بلايين المرات فى الثانية دون أن يسخن ، وتستخدم الحزم الليزرية لتشغيل مبدلات القطع والوصل هذه والتى تشكل أساس الحواسيب الضوئية .

بروتين من أوراق التبغ أفضل من البيض واللبن

تمكن باحثون بجامعة « كنتاكى » الأمريكية من استخلاص البروتينات من أوراق التبغ بطريقة كيميائية ، حيث تم استخلاص بروتين يحتوى على خليط من الأحماض الأمينية الأساسية أكثر توازنا من كثير من الأطعمة البروتينية ، وقد يساعد استخدام بروتين الأوراق النباتية على تأمين الغذاء خاصة فى البلاد النامية .

من فوائد عش الغراب

فطر عش الغراب الذى ينمو محلياً على المخلفات الزراعية مثل قش الأرز وقشور البسلة والخرشوف ولا يتأثر بالبيئة المحيطة له فوائد كثيرة فى علاج مرضى السكر وتصلب الشرايين والأنيميا وعدم ظهور السرطان ، كما أنه غذاء عالى القيمة الغذائية ومنخفض السعرات الحرارية ولهذا يستخدم فى الرجيم وعلاج السمنة .

الشعر
و
الشعراء

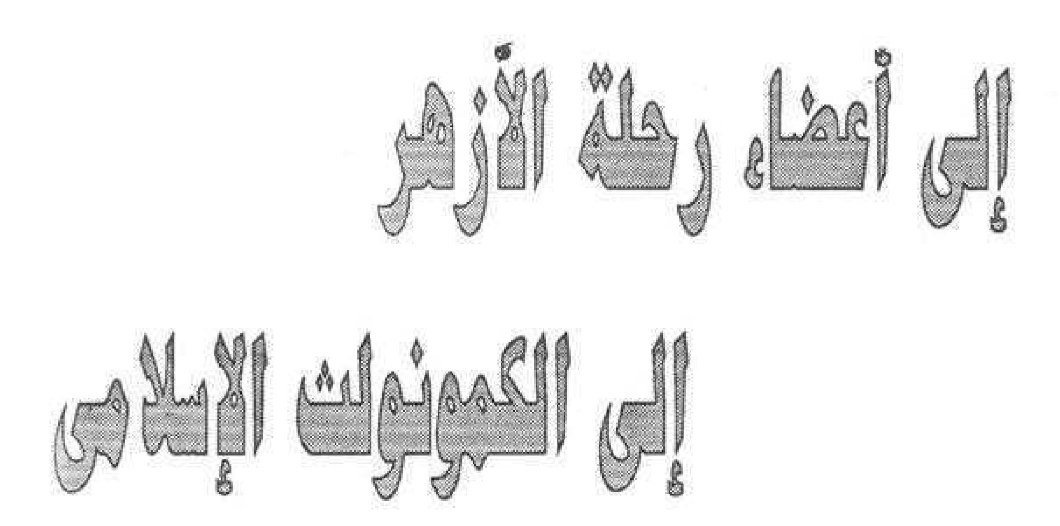

الشاعر : رشاد محمد يوسف

تلك الدموع دموع الشوق تحنانا ... تفيض من لهفة الأرواح أزمانا

لا تحبسوها ففى أعطافها عبق ... تُعَطِّر الكون إسلاما وايمانا

عاشت على غصص الأيام صابرة ... وأحرق الشوق أكبادا وأجفانا

كم أنّةٍ فى دجى الطغيان شاكية ... إلى الإله تباريحا وأشجانا

وآهةٍ فى قيود الأسر ثائرة ... وعزمها لم يُطِق قيدا وسجانا

وكم نداءٍ جريح فى مآذنها ... قد أخرسوه فما يستطيع إعلانا

وكم مُصَلَّى أقاموا فى مَحَارِبِهِ ... منابت الإثم إلحادا وعصيانا

وكبلوا صَلَوات الفجر فارتعدت ... فرائص القوم أذهانا وأبدانا

شعب بلا شرعة لله تحكمه ... قد زيفوه أحاسيسا ووجدانا

وَصَيَّرُوهُ غريبا فى مشاعره ... وشيدوا حوله سورا وقضبانا

أرض البخارى والرازى قد سَبَحَتْ ... فى بحر أحزانها شيبا وشبانا

شادوا حصارا على الأفكار واتخذوا ـ ... من الطواغيت أربابا وأوثانا

« لينين » يعبد دون الله فى ملأ ... قد طوّفوا حوله صما وعميانا

وحاربوا دعوة التوحيد عدوانا ... وعطلوا فى فجاج الأرض أديانا

على الجماجم والقتلى مسيرتهم ... ويحشدون جموع الناس قطعانا

شريعة الغاب والإرهاب قد ملكت ـ ... وسائل الفتك بالأحرار أطنانا

سبعون عاما شعارات مزيفة ... ماأسعدت مرة فى الأرض إنسانا

ما حققت غاية أو شيدت أملا ... أو ثبتت قيمة أو أصلحت شانا

وشاء ربك والدنيا بقبضته ... والخلق والأمر إقرارا وإذعانا

فانهار كل كيان الزيف وانهدمت ... معاقل الكفر بنيانا وسلطانا

وعاد للحق والإيمان دولته ... وعاد كل شريد كان حيرانا

صحتْ مآذنها عادت مكبرة ... فأيقظت بالندا من كان غفلانا

زهت أسارير دين الله مذ رجعوا ... وجمّعوا شملهم صفا وبنيانا

واستقبلت مكة التكبير باسمة ... وهلّل البيت أعتابا وأركانا

وأزهر الأزهر المعمور وانطلقت ... قوافل النور أعوانا وخِلّانا

يُعَبِّدُون طريق الخير فى يدهم ... مشاعل الحق إسلاما وقرآنا

خاضوا على الطائر الميمون رحلتهم ... وصادفوا من عناء الجهد ألوانا

هذى الدموع دموع القوم يسكبها ... فيض المشاعر والأشواق عنوانا

ألقوا إليكم حشاشات وأفئدة ... وأسلموكم أحاسيسا وأذهانا

فَعَانِقُوها ففى أشواقها عَبَقٌ ... فاضت به زفرات القلب عرفانا

مدوا إليهم جسور الود صادقة ... فليس غير هدى الإسلام رُبَّانا

وعوضوهم سنين القهر واحتسبوا ـ ... كل المعاناة ـ عند الله قربانا

يا بارك الله فى جهد يقوم به ... ركب الدعاة زرافات ووحدانا

وبارك الأزهرَ المعمور دوحته ... تمد فوق بقاع الأرض أغصانا

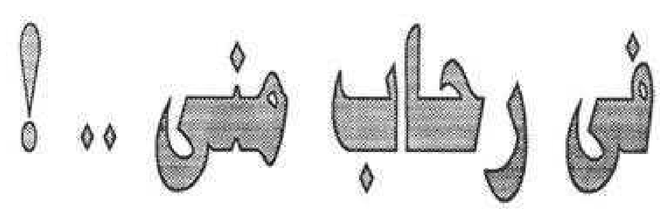

في رحاب منى ..!

للشاعر : يوسف العظم

رجمت إبليس فى نفسى ووجدانى ... ورحت أطرد بالتنزيل شيطانى

وعدت أقطع عهداً لست أخلفه ... بأن أكون لإسلامى وإيمانى

أرتل الذكر علّ الذكر يحفظنى ... من الخطايا ويحمينى ويرعانى

أسترحم الله فى أفياء كعبته ... وأسأل الله فى سرى وإعلانى

بأن يمنّ على نفسى بهدأتها ... حتى أمزق بالطاعات عصيانى

يا مسجد الخيف فى أفيائك انطلقت ـ ... ترتيلة الحق من آيات قرآنى

وفى حماك رسولُ الله هامته ... غرّاء كالصبح لا تعنو لطغيان

فى كل حبّة رمل منك مأثرة ... وكل نسمة حبّ منك تلقانى

كتيبة الله قد حطت بساحته ... تسمو بسلمان أو تزهو بعثمان

يا مسجد الخيف فى الأقصى إحِبَّتنا ... وفى الخليل وفى حيفا وبيسان

تهفو نفوسهم للزحف منطلقا ... يحرر القدس من ظلم وعدوان

وراية الحق تعلو فى مرابعنا ... تطهر القدس من رجس وأوثان

وتمسح العار من ساحات مسجدها ... وتغرس المجد فيها بالدم القانى

لقد أثرت دموع الشوق والهفى ... يا مسجد الخيف مذ حركت اشجانى

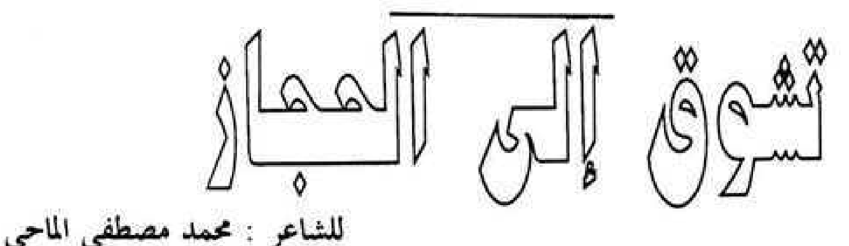

شوق إلى الحجاز

للشاعر : محمد مصطفى الماحى

عذر من بات رهن الوجد والسقم ... وأرّقت جفنه الذكرى فلم ينم

ما أعذب الحب وِرْدًا طاب منهله ... رغم السهاد ورغم البين والألم

لى فى الحجاز ونجد من هوى وجوى ... ذكرى تؤجج مشبوبًا من الضرم

لكنها راحة للنفس شافية ... بما تفيض به من هاطل الديم

وأىّ نعمى حلا فى القلب موقعها ... كروضة المصطفى أو كعبة الحرم

مناهل من جنان الخلد منبعُها ... روت فؤادى بما جادت به وفمى

فاعجب لمن ظل بعد الرى فى لَهَفٍ ... إلى الورود ، أيقضى العمر وهو ظم ؟

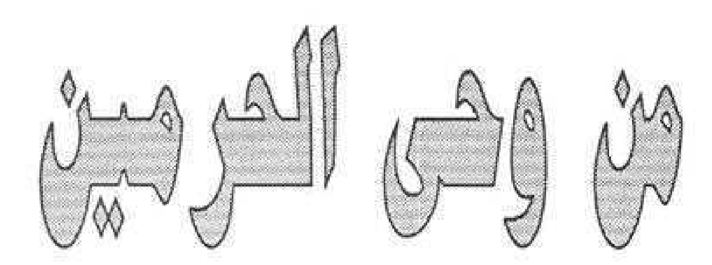

للشاعر : مصطفى حمام

يا رب جاء إليك يسأل الهدى ... عبد له أوزاره وضلاله
قد خال آفاق الحجاز تضيق عن ... آثامه وبها تنوء جباله
عبر البحار إلى حماك ودمعه ... آماله أو دمعه أوْجَالُهُ
وخطا بأرضك ذاهلا وكأنما ... طفقت تطارد خطوه أعماله
حتى إذا البيت المحرم ضمه ... قرت بلابله وأصلح باله
يا رب قد بلغتنى املى ومن ... آواه بيتك لم تخب آماله
انزلْت فى القلب اللهيفْ سكينةً ... لا روعه باق ولا زلزاله

•••

يا مِن يجب التائبين دعاك من ... صدق المتاب فهل يجاب سؤاله
المسلمون ودينهم فى محنة ... لم يخف حالهمُ عليك وحاله
وأراهمو متفرقين كأنهم ... جسم سوى مزقت أوصاله
وأراهمو قد مكنوا لعدوهم ... فتملكت أعناقهم أغلاله
صال العدو عليهمُ متجبراً ... واشتد فيهم بطشه ونكاله
وإخال منهم من يخون عهوده ... ومن الخيانة جاهه أو ماله
وإخال من فساقهم من غرَّهُ ... إمهال رب العرش لا إهماله
وإخال منهم من يتوب لعلة ... فإذا انقضت غلب المتاب ضلاله
يا رب ألزمنا صراطك تنصرف ... عنا مآسى يومنا ووباله
يا مِن ينير الروح باهرُ نوره ... ويزف ألوان الجمال جماله

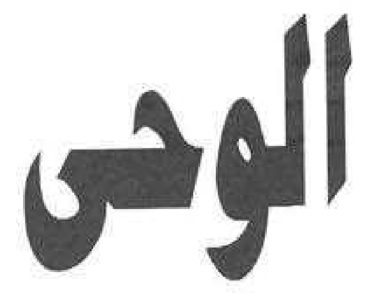

للشاعر : العوضي الوكيل

مهبط الوحى ومسعى الطائفين
حولك التفت قلوب المسلمين
خافقـــات فى ولاء ويـــقين

•

هل درى أفقك يا أم القـــرى
أى غيث من سماك انهمـــرا
وشعـــاع للهـــدى منك سرى
وضيـــاء عبقـــرى قد جرى
فهـــدى النـــاس إلى الحق المبين
مهبط الوحى ومسعى الطائفين

•

قبلـــة تهوى إليها الأفئـــده
الأمانـــــــىّ لديها غَردة
هاتفـــــات بالهوى محتشدة
سمع الله بها من حمده
وإليها يدفـــع القـــلبَ الحنين
مهبط الوحى ومسعى الطائفين

•

الثرى الحر بواديك سماء
لا يَزَلْ مرفـــوع البنـــاء
فهـــو للإسلام درع ووقـــاء
وهـــو أمـــن وسلام ورجـــاء
وحمى ما زال وضاح الجبين
مهبط الوحى ومسعى الطائفين

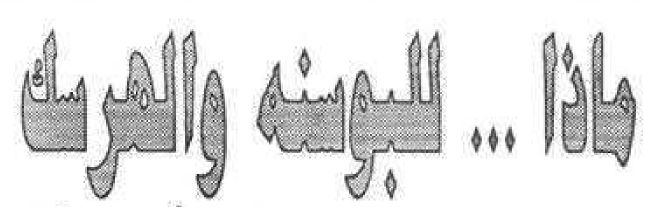

ماذا ... للبوسنه والهرسك

شعر : أ. د. عبد الغفار حامد هلال

ألا هُبُّوا بِبأسكُم الدءوبِ ... وبالإسلام قُومُوا للوثوبِ
أقِيلُوا الحقَّ (عثراتِ) الليالى ... فقد أودَى به ظُلم الشعوبِ
فنحنُ نرى ونسمعُ ما يعانى ... أخُ الإسلامِ فى الوطنِ السليبِ
فلسطينٌ بها جرحٌ عميقٌ ... وفى القدس الشريف وفى الدروبِ
وفى « بُورما » نرى الأهلين صرعى ... وما أثِمُوا بجُرمٍ أو ذنوبِ
وفى « البوسنى »[1] و « هرسك » من دماءٍ ... على يد كلِّ سفاكٍ غريبِ
فيُطردُ باسم سيف الغدرِ حقٌّ ... وما للعدلِ من ليثٍ غضوبِ
وباسم حضارةٍ هتكتْ ديارٌ ... وباسم تَدُمِ الأممِ (الرهيبِ)
وهذى صولةُ الغاباتِ؟ عادتْ ... إلى عصرِ المخاوفِ والخُطوبِ

•••

أفى الحقِّ الأخوةُ قد توارتْ ... ومالتْ شمسُها نحوَ الغروبِ
بمشرقِنا ومغربِنا ترانا ... بعيداً عَنْ تآزُرِنا المهيبَ
تفرَّقْنا فأصبحْنا ضِعَافاً ... وخارَ العزمُ فى وَهَنٍ عجيبِ
أترْضَى أن يموتَ الحقُّ فينا ... ولا نأسَى لإذلالِ السليبِ
رسولُ اللهِ كان يمدُّ عوناً ... لمنْ شطَّ المزارُ وللقريبِ
وكنَّا فى عيونِ الداهرِ يقظي ... نصونُ الحقَّ بالرأى المُصيبِ
أقنا الأمنَ روضًا مُستراداً ... لكلِّ الناسِ بالعدلِ الرحيبِ

لماذا الماردُ العملاقُ أمسى ... مهيضَ الحِسِّ فى وادِى الهُرُوبِ
أفى الإسلامِ يُقطَّعُ كلُّ عِرقٍ ... من الأرحامِ فى اليوم العصيبِ
وما هذا القعودُ عن المعالى ... ألم تثقُوا بربِّكم المجيبِ
أتعرفُ أن دينَك منكَ ينأى ... إذا خُنتَ الأمانةُ بالنكُوبِ

•••

فكيفَ بمنْ ينامُ على حريرٍ ... تُناديهِ وليسَ بمستجيبِ
ألا أيدٍ تهُب لمنْ دَعاها ... لنجدتِه بكلِّ فتىً أريبِ
ونصرُ اللهِ يحمى وجهَ حُرٍّ ... يشيبُ بعالمِ اليوم الكئيبِ
فتخضلَّ الحياةُ بغرسِ حُبٍّ ... يفوحُ شذاهُ بالأملِ القشيبِ

---

(١) اصلها اللغوى كما تكتب بالانجليزية Bosa .

من طرائف القرآن الحكيم

من روائـــع الماضى بمجلة الأزهـــر

لفضيلة الأستاذ الشيخ/ عبدالغنى عوض الراجحى

اعداد وتقديم : الاستاذ/عبد الفتاح حسين الزيات

سيظل كتاب الله الحكيم هو المعجزة الخالدة التى تثير مشاعر ووجدان المؤمن فيرسخ إيمانه .

والذين يقرأون القرآن قد يجدون فيه أشياء تصيبهم أحيانا بالدهشة والتعجب .

من ذلك ما جاء فى القرآن من قصص ..

ولكن سرعان ما يزول أثر ذلك اذا عرف السبب وهو سخاء القرآن بمعجزاته التى لا زالت تمدنا كل يوم بجديد :

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

قال الاستاذ رحمه الله :

نقتصر فى مقالنا هذا على سبع مفارقات تتعلق بتشابه النظم فى قصص القرآن الكريم ، حيث يكون المعنى واحدا أو كالواحد يذكر فى أكثر من موضع بعبارات تختلف تقديما وتأخيرا وذكرا وحذفا ونحو ذلك نكشف عن السر فى ذلك تفصيلا بعدما عرف إجمالا من أن ذلك مردود الى التفنن والتنويع ومناسبة المقامات المختلفة لمقتضيات أحوالها المختلفة .

المفارقة الأولى .. فى قوله تعالى فى سورة الأعراف فى قصة صالح « فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى » .. مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة شعيب .. « فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات .. ربى » مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة نوح .. « ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى » .. مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة هود « ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى » فقد كانت الرسالة فى قصة صالح على لفظ المفرد ، وفى قصة غيره على لفظ الجمع ، فهل من سر لذلك .. ؟ والجواب : أن المؤدى فى النهاية واحد ؛ لأن الرسالة بالنظر إلى وحدتها فى حد ذاتها يصح أفرادها وبالنظر الى ما تشمل عليه من الأوامر والنواهى والإرشادات الكثيرة يصح جمعها لكن الأفراد بقصة صالح أوفق لأنه لم يحك عنه فى القصة كثير من ذلك بل دار كلامه على الناقة والحث على إكرامها .. والجمع بقصص المذكورين من نوح وهود وشعيب أوفق فقد ذكر فى قصصهم كثير من الجدل والأوامر والنواهى سيما شعيب الذى كان مرسلا الى أهل مدين وأصحاب الأيكة الأمر الذى يقتضى تعدد التبليغ وتكثر الارشادات وفى « ملاك التأويل » ما يعطى أن العرب فى كلامها تضع الأكثر فى مقابلة الأكثر وبجواره ، والأقل فى مقابلة الأقل وبجواره ، فحيث كان فى قصة شعيب كثير من أوامره ونواهيه المتعلقة بالعبادة والموازين والمكاييل وقع التعبير بالرسالات (جمعا) .. وحيث كان فى قول قوم نوح له « إنا لنراك فى ضلال مبين » كثرة وشمول حيث أرادوا أنه ضال فى كل ما يأتى ويذر ضلالا بينا كان الرد عليهم بالرسالات (جمعا) فى قوله : (ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى) وكذلك كان الحال فى قصة هود حيث قال قومه له : إنا لنراك فى سفاهة ، والسفاهة مصدر سفه بالضم ، أرادوا أنها صارت له مَلَكةً فى كل ما يأتى ويذر ، فكان فى ذلك شمول فناسب الجمع فى الرسالة فى رده عليهم : « ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى » وحيث لم يذكر فى قصة صالح شىء من ذلك اللهم إلا الناقة وكفر قومه به، جاء لفظ الرسالة (مفردا) .

المفارقة الثانية : فى قوله تعالى فى سورة هود فى قصة نوح « أرأيتم أن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده » مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة صالح « أرأيتم أن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة » مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة شعيب « أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا » .

فالآيات الثلاثة فى حكاية أقوال هؤلاء الأنبياء الثلاثة لأقوامهم . لكن المفعول الثانى لفعل الإيتاء فى قصة نوح تاليا للفعل ومفعوله الأول لا فاصل بينهما وفى قصتى هود وشعيب وقع المفعول الأول وفعله بالجار والمجرور وهو قوله « منه » ، فهل من سر لذلك . ؟؟ والجواب أنه حيث تقدم فى قصة نوح فى نفس السورة ـ أفعال اقتضت مفعولين لا فاصل بينهما بمثل هذا الجار والمجرور وذلك فى قولهم له : « ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى » ، كان من الحسن اتباع المتأخر بالمتقدم فى الطريقة ، فلما كان التقدير فى قولهم هذا ، نراك بشراً مثلنا : نراك متبوع الأراذل كان رده على نفس هذه الطريقة .. آتانى رحمة من عنده بعدم الفصل بين المفعولين بجار ومجرور .. وحيث تقدم فى قصة صالح فى نفس السورة قول قومه فى كفرهم « قد كنت فينا مرجوا قبل هذا » فوقع الجار والمجرور بين اسم كان وخبرها كان من الحسن اتباع المتأخر بالمتقدم فى الطريقة بوقوع مثل هذا الفاصل بين المفعولين فقيل « وآتانى منه

رحمة » وقريب من ذلك الواقع فى قصة شعيب فإن ما فى حكاية كلامه من تقديم الجار والمجرور على المفعول الذى هو الرزق شبيه بما سبقه فى نفس القصة والسورة من قول قومه له « أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » بتقديم الجار والمجرور على المفعول ...

وفى « ملاك التأويل » ما يعطى فى سر هذه المفارقة جوابا آخر مؤداه أن قوم نوح ألقوا الشبه والكفريات على الأصل دون تقعر والتواء فى الكلام فقد اتهموه بالمثلية فى البشرية واتباع الأراذل وكاشفوه بظنهم كذبه وكذب اتباعه وقوم صالح تقعروا فى الكلام واسقطوا صالحا عن رتبة الرجاء فى حاله فوقعت حكاية قول كل رسول على طريقة حكاية كفر قومه فكانت فى قصة نوح على الاصل من تقديم المفعول وتأخير المتعلق به فقيل : وآتانى رحمة من عنده ، وكانت فى قصة صالح على خلاف الأصل بتقديم الجار والمجرور على المفعول الثانى « وآتانى منه رحمة » وقريب منه ما فى قصة شعيب ، فقد كان قومه متقعرين ملتوين خارجين عن الأصل فى قولهم له « أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد » فكان فى جوابه خروج عن الأصل بتقديم الجار والمجرور على المفعول الثانى فى قوله ورزقنى منه رزقا حسنا .

أما التعبير بالرزق فى قصة شعيب بدلا من الرحمة فى قصتى هود وصالح فلمناسبة الأموال والمكاييل والموازين المذكورة فى قصته فإن لفظ الوزن بجوار ذلك أشكل وأوفق .

أما كون هذا الجار والمجرور فى قصتى صالح وشعيب بلفظ « منه » وفى قصة نوح بلفظ من عنده فالمعنى ، وأن كان واحدا إلا أن زيادة العندية تفيد زيادة التمكين فى المعنى وذلك أوفق بقصة نوح لما فيها فى هذه السورة خاصة من الاطناب والزيادة فى بيان جداله مع قدمه الذين كانوا كما نطق القرآن عنهم أظلم وأطغى ..

المفارقة الثالثة : فى قوله تعالى فى سورة الصافات فى قصة ابراهيم من قول ابنه له « ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » مع قوله فى سورة القيصص فى قصة موسى من قول صهره له « ستجـــدنى إن شاء الله من الصالحين » وواضح أن الأولى من قول الذبيح حين أخبره والده بعزمه على ذبحه تنفيذا لوحى الله فكان له معوانا على طاعة الله بامتثاله وقوله له يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين أى على آلام الذبح فالصبر بهذا الموضع أوقع وأن الثانية من قول شعيب لموسى حين المعاقدة بينهما على زواج الثانى بابنة الأول على أن يأجره ثمانى حجج فإن أتم عشراً فمن عنده ، فقال له : وما اريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين أى فى المعاملة لا ظالما ولا طامعا فالصلاح بهذا الموضع أوقع ..

المفارقة الرابعة : فى سورة الشعراء فى سائر قصص السورة[1] يقـــول كل رسول لقومـــه فاتقـــوا الله وأطيعون ، هكذا تكون آية برأسها إلا أنها فى قصة كل من نوح وهود وصالح ذكرت مرتين وفى قصة لوط وشعيب ذكرت مرة واحدة .. والسر فى ذلك ـــ والله اعلم ـــ أنها فى قصة شعيب وقع الاغناء عن ذكرها مرة ثانية بما ذكر من قوله لقومه « واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين ووقع الاغناء عنها فى قصة لوط بما ذكر من قوله لهم « إنى لعملكم من القالين » فهو بغض لعملهم مستلزم لارادته أن يطيعوه بتقوى الله والاقلاع عما هم . ثم لا يبعد أن يكون ذلك لأن شعيبا ولوطا ذكر عنهما خاصة فى السورة الاشتغال بالنهى عن معصية معينة هى اتيان الذكور والتلاعب بالمقاييس فكان ذلك اشتغالا بتحصيل طاعة وتقوى فى أمر معين أغنى عن الاشتغال بتحصيل طاعة وتقوى عامة مرة ثانية[2] .

المفارقة الخامسة : فى قوله تعالى فى سورة الشعراء قصة ابراهيم « فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾

---

(١) ما عدا قصتى موسى وإبراهيم فلهما نمط خاص .

(٢) راجع السورة الكريمة .

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ مع قوله تعالى فى سورة النجم

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ الكلام ها هنا فى ذكر الضمير « هو » قبل بعض الأفعال المسندة إلى الله دون بعض فى كل من الآيتين هل من سر لهذه التفرقة ؟ والجواب أن هذا الضمير ذكر قبل الأفعال التى يتوهم أنها من فعل العبد ومن شأنها أن يلتبس الأمر فيها أما الأفعال التى من شأنها أن لا يقع فى أنها محض فعل الله اشتباه فيستغنى بوضوح خلوصها لله عن الاتيان بهذا الضمير وعلى ذلك فقد جاء قبل الاغناء والاقناء والاضحاك والابكاء والاطعام[1] والهداية وكونه ربا للشعرى ولم يجىء قبل كونه عليه النشأة الأخرى وكونه خلق الزوجين الذكر والأنثى مع ما حصلت به تقوية هذا الاخير من سابق قوله تعالى فى سورة النجم « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » لكن ما يستحكم فيه السؤال فعل الإحياء والإماتة وتقدم الضمير عليهما فى سورة النجم دون ذلك فى سورة الشعراء وهما شىء واحد ولعل ذلك — والله اعلم — لأن الأصل عدم وقوع اللبس فى أنهما من محض فعل الله لكن قد يعرض هذا اللبس ويحلو التلبيس فى هذا للنادر من المعاندين الذين يركبون رؤوسهم كالنمروذ حين حاجه ابراهيم فقال له « ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت » وإذا كان ذلك كذلك فقد جاء الكلام على الأصل من عدم الالتباس وبالتالى حذف الضمير فى سورة الشعراء السابقة على سورة النجم فى ترتيب التلاوة لأنها كالأصل لها فكان ذلك من وقوع الأصل ، فى الأصل مع مراعاة أن عدم اللبس فيما يختص بشخص المتكلم أبرز وأظهر فيتبعه حذف الضمير وهذا هو الواقع فى سورة الشعراء لأنها فى حديث ابراهيم عن نفسه بينما كان المقابل لذلك كله هو الواقع فى سورة النجم ..

المفارقة السادسة : فى قوله تعالى فى سورة هود والذاريات فى قصة ابراهيم « أوجس منهم خيفة » مع قوله تعالى فى سورة طه قصة موسى « أوجس فى نفسه خيفة موسى » فقد زادت الثانية على الأولى قوله فى نفسه وذلك لأن موسى استشعر هذه الخيفة وهو فى موقف التحدى بمعجزة العصا على ملأ من الناس بعد ان ألقى السحرة حبالهم وعصيهم وخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فكان ، يبالغ فى إخفاء هذه الخيفة عن الناس وما صرح بها لأحد ، أما ابراهيم فما كان يبالغ فى إخفاء هذه الخيفة عن ضيفه المكرمين بل أنه أعلنها بعد أن توجسها بقوله إنا منكم وجلون فقالوا له لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم .

المفارقة السابعة : فى قوله تعالى فى سورة ابراهيم الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ قصص قوم نوح وعـــاد وثمود .

(١) قوله ويسقين معطوف على قوله يطعمنى فهما واحد .

(٢) سورة البقرة .

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

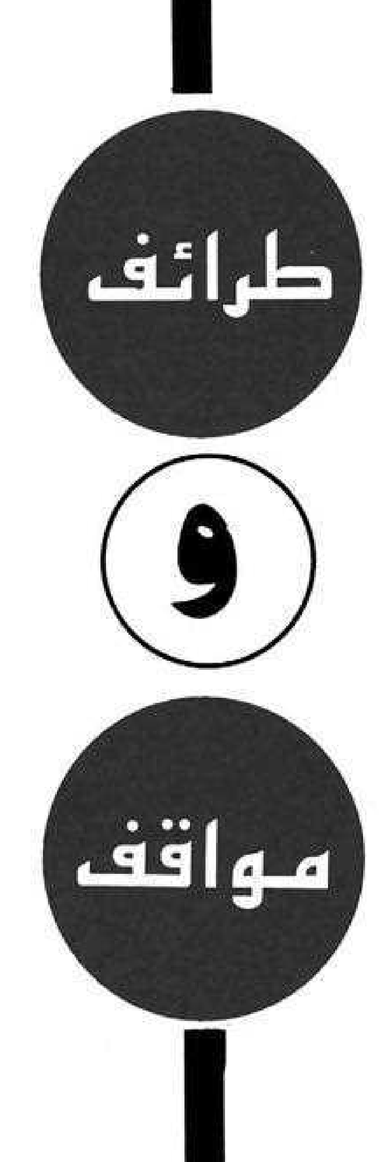

« ثلاثيـــات »

فى الحديث الصحيح : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » [رواه البخارى] .

وقيل ان ابراهيم الخليل ـــ عليه السلام قال :
« ثلاثة أشياء أحبها لنفسى ، ولمن أحب رشده أحب أن يكون بينى وبين ربى ، من أفضل عباده ، وأكون بينى وبين الخليقة من أوسطهم ، وبينى وبين نفسى من شرهم .

وقال عمرو بن شبة :
ثلاثة من أعجب الأشياء ، اقتران بعضها ببعض : الحرفة للأدباء ، تباعد المال عن الظرفاء ، وإقبال الدنيا على النواكى أى « الحمقى » .

« حتى تفوز »

قال يحيى بن معاذ : من أقر لله بإساءته ، جاد الله عليه بمغفرته .. ومن لم يمن على الله بطاعته ، أوصله إلى جنته ، ومن أخلص لله فى دعوته مَن الله عليه بإجابته .

« طوبى لعبد »

قيل لأعرابى : كيف حالك ؟
فقال بخير ، أمزق دينى بالذنوب وأرقعه بالاستغفار ، ثم قال :
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد أثر الله ربه
وجاد بدنياه لما يتوقع

« علامات الحمق »

قالوا : علامات الحمق : شدة العجب وكثرة الكلام ، وسرعة الجواب ، والعجلة والخفة ، والسفــه ، والظلم ، والغفلة ، والاحمق ان استغنى بطر ، وإن افتقر قنط ، وإن قال أفحش ، وإن سئل بخل ، وإن سأل ألحف .

« ففيم كنـــا »

حكم القاضى على رجل كثرت ديونه ، فأركبه حمارا وطوف به فى البلد ، ليحذر الناس من معاملته بعد ذلك ، فلما نزل عن الحمار ، قال له صاحب الحمار أدّ الكراء .

فقال : ففيم كنا طول النهار يا أبله ؟!

« الشيطان ومداخله »

قيل : إن إبليس ظهر لسيدنا عيسى ، ــ عليه السلام ــ فقال له : ألست تقول : لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك ؟ .
قال : بلى ، قال : فارم نفسك من ذروة هذا الجبل ، فإذا قدر الله لك السلامة تسلم .

فقال له : يا ملعون ، إن الله ــ تعالى ــ يختبر عباده ، وليس لعبد أن يختبر ربه .

« فضل الله »

قال الشاعر :
إلهى لك الحمد الذى أنت أهله
على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا
كأنى بالتقصير استوجب الفضلا

« انصرف فإنه صادق »

دعا رجل صديقا له إلى منزله ، قائلا : تعال نأكل خبزا وملحا ، فظن الصديق أن ذلك كناية عن طعام شهى ، وشراب سائغ ، فمضى معه فلم يزد على الخبز والملح ، وبينما هما يأكلان إذ وقف بالباب سائل ، وألح فى السؤال فقال صاحب البيت : إذهب والا كسرت رأسك .

فقال الضيف : انصرف فإنه صدق فى وعده ، وسيصدق فى وعيده .

« دعـــاء »

اللهم ياذا الحبل الشديد والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ، والركع السجود الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد .

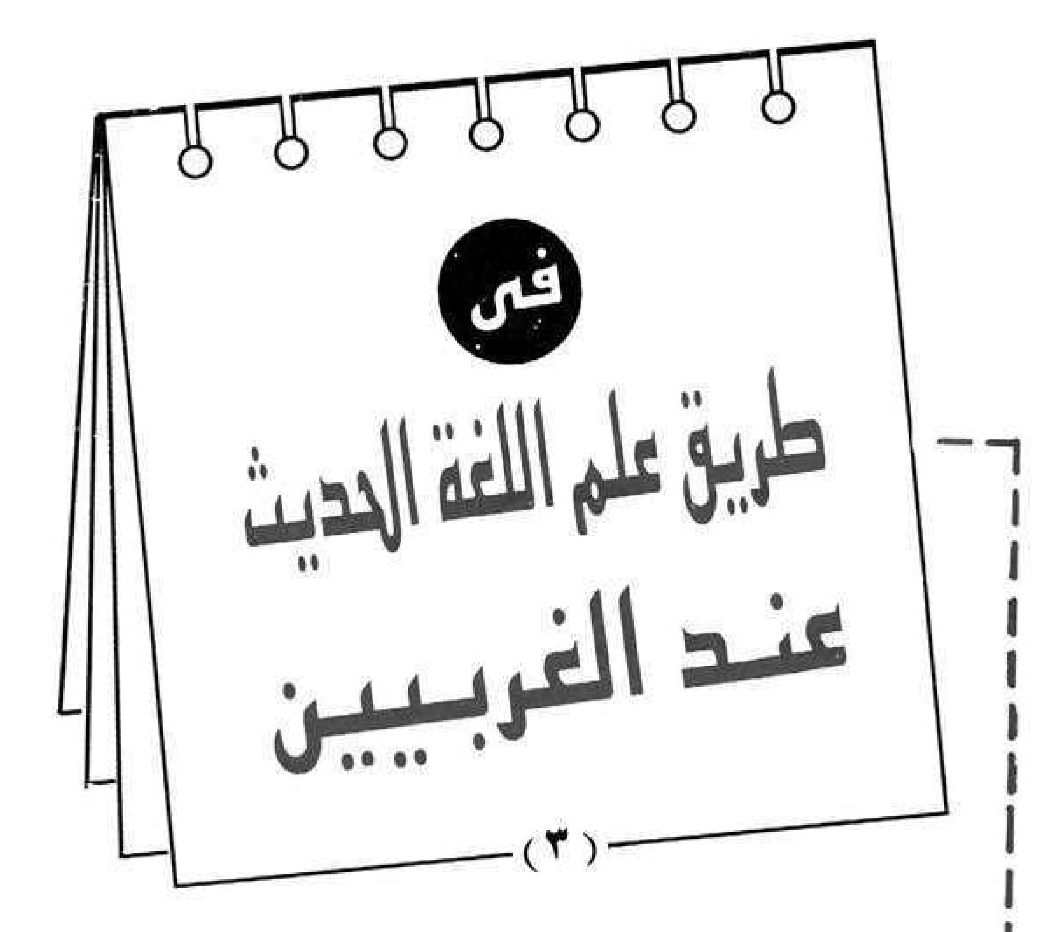

للأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين

إذا كان الغرب قد أخذ عن العرب علومه وفلسفته ـ وهو ما أقره علماؤهم ـ فانهم فى الواقع لم يقفوا عند حد الأخذ والنقل بل انطلقوا فى طريق التطوير والابتكار ، وكان للدراسات اللغوية عند الغرب نصيب ؛ فدرسوا التطور اللغوى للطفل على أسس علمية ، وتمكنوا من ارساء مفاهيم اتفقوا عليها ، مثل مفهوم الوحدات اللغوية فى القونيم والمورفيم على نحو تفاعيل العروض فى بحور الشعر العربى ، وجدير بالذكر أن الغرب يستخدم تلك الدراسات فى تعليم لغته للمبتدئين فى الكنيسة والمدرسة والجامعة على أسس علمية ، ويثبت ذلك فى كتب اللغة للمبتدئين ، نشراً للغتهم ، واتماماً للفائدة من العلوم الحديثة ووسائل التكنولوجيا .

فمتى تحظى لغتنا بعض هذا .. أقول : فمتى تحظى لغتنا بذلك ؟

والمؤسف .. والمؤلم : أن يسخر بعض من نسميهم جامعيين من لون الدراسة هذا .

• ويدرس الغرب اليوم بكل وسائل التقنية أصوات اللغة على ضوء علمى « الفونيتيكا » و « الفونولوجيا » .. وهذان العلمان متكاملان : « فالفونولوجيا » تطلق على مجموعة الدراسات التى تعالج أصوات اللغة وكيفية النطق بها ، وطبيعتها « الفيزيائية » .

• بينما يطلق اسم « الفولولوجيا » على مجموعة الدراسات التى تبحث فى تنظيمات « الونيمات » الخاصة باللغات المعروفة :

فاللغة العربية ، واللغة الفرنسية مثلاً تحتويان على حرف (ب) ، لكن يهم عالم اللغة أن يبين أن وظيفة الصوت اللغوى فى اللغتين مختلف أحدهما عن الآخر إلى حد كبير .

ومن زاوية العلاقات القائمة بين العناصر ضمن التنظيم اللغوى ، تم دراسة الأصوات اللغوية فى المجال (الفونولوجى) .

• ومن أهم ما توصلت دراساتهم اللغوية إليه : المستوى الدلالى للمفردات ، ومن الصعوبة تحديد دلالة المفردة ، لأنها تحتوى أحياناً على معان ذات دلالات كثيرة للفظة الواحدة ، تكون قريبة المدلول أو مختلفة ، أو حتى علاقة تضاد ، ولا يفهم ذلك كله إلا من دراسة الكلمة فى السياق الذى تظهر فيه اللفظة .

• ناهيك بما تم عن الترجمة الآلية التى أصبح لها شأن كبير فى دنيا الغرب ، وتعتمد على تحليل الآلة للمادة اللغوية فى مستوى المفردات والتراكيب والدلالات .

وتعادل هذه التحليل مع تحاليل مماثلة فى لغة أخرى يراد النقل بالترجمة منها ، أو إليها .

وأفاد ذلك كثيراً فى دنيا العلوم ، التى تتطلب سرعة فى تبادل المعلومات ، وبخاصة التى لا تتحمل طبيعتها الركون والثبات كالأدب مثلاً .

ونحن بحاجة إلى ذلك ـ لا شك فى هذا ـ فما زالت قواميسنا عامرة بذكر الجمل وأوصافه فى أكثر من ٤٠٠٠ لفظة ووصف ـ بينما ستنقرض سيارة فورد . ونحن نلهج بأسماء أجزائها ، وليست فقط قطع غيارها كما نطقها أصحاب السيارة وصانعوها .

•••

هذا قليل من كثير من المسائل التى عنى الغرب ببحثها ، ولاقت فى الجامعات النظرية اكباراً واعجاباً وعناية بدراستها والاستفادة منها .

وبقى فى هذا البحث أن نشير إلى بعض الروّاد اللغويين المحدثين ، لتاريخهم وبيئتهم ، ونشأتهم ، والمناصب التى تولوها ، والعوامل التى اعانت على نجاحهم ، والآراء التى بحثوها واتموها أو اتمها من بعدهم ، أو فتحت المجال لمن بعدهم فى تعديل أو اضافة .. وكيف كانت عنايتهم بتأسيس النواد اللغوية لاجتماعاتهم ، واصدارهم لمجلات متخصصة وكتب تنشر وتعبر عن مبادئهم وآرائهم .

كل ذلك فى اشارة يتطلبها البحث والمقال والمقام .

•••

١ ـ أدوار سابير :

ولد فى عام ١٨٤٨ م ، وتلقى علومه فى جامعة « كولومبيا » بمدينة نيويورك .. وتخصص فى اللغة الألمانية . وأظهر اهتماماً بالغاً بالدراسات (الهندوأبوروبية) . وقام بدراسات تناولت اللغة (الاميركو ـ هندية) .

ثم انتقل إلى جامعة « يال » ودرّس فيها حتى توفى سنة ١٩٣٦ .

يعتبر « سابير » من الألسنيين والأوائل الذين ساهموا فى نشأة الألسنية . وأهم القضايا التى تناولها بالبحث هى :

١ ـ المفاهيم البنيانية عند سابير .
٢ ـ المستوى (المورفو ـ فونولوجى) .
٣ ـ اللغة مكوّن من مكونات الثقافة .
٤ ـ فرضية ورف ـ سابير .

٢ ـ فردينـــــان دى سوسور (١٨٥٧ ـ ١٩١٣) :

قام بسلسلة محاضرات فى الألسنية العامة سنة ١٩٠٦ ـ ١٩١١ وهذه المحاضرات هى كتـاب « دروس فى الألسنية العامة » .

ويعود الفضل الأول لـ « دى سوسور » فى ارساء أسس الألسنية على دعائم علمية ثابتة ، عندما أشار إلى أن الألسنية تهدف ، بصورة أساسية إلى دراسة عمل اللغة وليس دراسة تطورها . ولا يجب أن نفهم من ذلك انه قد حط من شأن الدراسات اللغوية التاريخية إلا أنه ـ فى الواقع ـ اعتبرها ثانوية بالنسبة إلى الدراسة الألسنية الوصفية التى دعا بصورة واضحة إلى اقرارها .

ونعرض بصورة موجزة المبادىء الأساسية التى نجدها فى تعاليم « دى سوسور » ، والتى كان لها الأثر البناء فى نشوء الألسنية ، منها :

١ ـ اللغة مادة البحث الألسنى .
٢ ـ بعد الألسنية الداخلى وبعد الألسنيـــة الخارجى .
٣ ـ الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية .
٤ ـ اللغة والكلام .
٥ ـ اللغة تنظيم من الاشارات المغايرة .
٦ ـ سياق اللغة الخطى .
٧ ـ الخط الاستبدالى والخط الركنى .
٨ ـ السيميولوجيا .

●●●

٣ ـ ليونرد بلومفيلد (١٨٨٧ ـ ١٩٤٩) :

اصدر سنة ١٩١٤ كتاب « مدخل إلى اللغة » فانتشر فى الولايات المتحدة الأمريكية إذ كون المرجع الأساسى لدراسة اللغة آنذاك .

وشارك « بلومفيد » فى تأسيس جمعية الألسنيـة الأمريكية سنة ١٩٢٤ وساهم فى الكتابة فى مجلتها « اللغة » وقـد كان لاهتماماتـه بدراسة اللغـة الأميركو ـ هندية ، أثرها فى تحديد اتجاهه الألسنى الحديث .

وساهم « بلومفيلد » فى وضع نظام متماسك يحتوى على مبادىء لوصف اللغات ، بصورة عامة . ومع ان نظام المبادىء هذا قد تخطاه التطور الألسنى الحالى إلا أنه لا بد من ان نعرض بعض أسسه التى كان لها الأثر الواضح ، فى مجال التطور الألسنى اللاحق :

١ ـ ارتباط الصوت اللغوى بالدلالة .
٢ ـ الأشكال اللغوية .
٣ ـ المؤلفات المباشرة .
٤ ـ النظرية اللغوية الآلية .

●●●

٤ ـ نيقولاى تروبتسكوى (١٨٩٠ ـ ١٩٠٥) :

يعتبر « تروبتسكوى » مؤسس علم الفونولوجيا : ففى مؤتمر الألسنية العالمى ، الأول الذى انعقد فى مدينة « لاهاى » سنة ١٩٢٨ تقدم بالاشتراك مع « جاكبسون » ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية وأصدر سنة ١٩٣٩ كتابه « مبادىء الفونولوجيا » الذى ترجم إلى الفرنسية سنة ١٩٤٩ م .

وتتدرج أفكار « تروبتسكوى » فى اطار المفهوم الوظيفى الذى قال به « نادى براغ الألسنى » فينظر إلى اللغة من حيث هى تنظيم وظيفى : أى تنظيم قائم على الوسائل التعبيرية المستعملة ، بهدف اقرار غاية معينة .

وتشمل دراسته مجمل المستويات اللغويـــة : الفونولوجية والصرفية والمعجمية .

ونعرض هنا المبادىء الأساسية التى يعتمدها « تروبتسكوى » فى مجال الدراسة الألسنية :

١ ـ الفونتيكا والفونولوجيا .
٢ ـ الوظيفة التمييزية .
٣ ـ التحقيق فى الفونامات .
٤ ـ تحديد الفونام .

●●●

٥ ـ رومان جاكبسون :

ولد « جاكبسون » عام ١٨٩٦ ودرس فى جامعة موسكو القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية .

وأسس سنة ١٩١٥ م مع بعض الطلاب « نادى

موسكو الألسنى » وساهم فى وضع بعض النظريات الأدبية الحديثة .

ونتاج « جاكبسون » وكتاباته متنوعة ، تناولت مواضيع الفونولوجيا بصفته أحد مؤسسى « نادى براج الألسنى » .

وتوالت دراساته فى مجال الدلالات والتراكيب ، كما اهتم بالدراسات الأدبية وبلغة المعاقين والأطفال .

نكتفى بذكر بعض المبادىء الأساسية التى كان « لجاكبسون » الفضل فى وضعها والمساهمة فى انتشارها :

١ ـ السمات السمعية فى مجال الفونولوجيا .
٢ ـ السمات الكلية فى مجال الفونولوجيا .
٣ ـ السيكو ـ السنية .
٤ ـ وظائف اللغة .

•••

٦ ـ لويس يلمسلف (١٨٩٩ ـ ١٩٦٥) :

يعتبر « يلمسلف » من الألسنيين الأوائل الذين اهتموا بصورة جدية بالمنطق الرياضى وبالمنهجية العلمية . ولعل اهتمامه هذا عائد إلى انه توخى وضع نظرية السنية كلية . وقد ساعده فى هدفه هذا المامه الكبير باللغات حديثها وقديمها .

والقضايا التى كانت فى رأس اهتمامات « يلمسلف » العلمية فى خطوط عريضة هى :

١ ـ اللغة موضوع الدراسة الألسنية .
٢ ـ منهجية الدراسة الألسنية .
٣ ـ مستويا التعبير والمحتوى .
٤ ـ الاشارة والرموز .
٥ ـ النظرية اللغوية .

•••

٧ ـ اندريه مارتينه :

ولد « مارتينه » سنة ١٩٠٨ فى مقاطعة السافوا فى فرنسا وتخصص فى اللغة الألمانية .

شارك فى أعمال « نادى براغ الألسنى » .

ومن المفاهيم الأساسية التى تكون محور آرائه :

١ ـ وظيفة اللغة .
٢ ـ التلفظ المزدوج .
٣ ـ المبادىء الوظيفية للدراسة الألسنية .
٤ ـ مفهوم الملاءمة .
٥ ـ الاقتصاد اللغوى فى مجال التطور اللغوى .

•••

٨ ـ نوام تشومسكى :

ولد « تشومسكى » سنة ١٩٢٨ فى مدينة (فيلدلفيا) فى الولايات المتحدة الأمريكية . يعتبر « تشومسكى » مؤسس النظرية التوليدية والتحويلية التى هى حالياً أكثر النظريات الألسنية انتشاراً ليس فقط فى الجامعات الأمريكية انما أيضاً فى الجامعات الأوروبية .

نتناول هنا بعض المفاهيم الأساسية التى تقوم عليها هذه النظرية :

١ ـ الكفاية اللغوية والأداء الكلامى .
٢ ـ مقدرة الإنسان الفطرية ومراحل اكتساب اللغة عند الطفل .
٣ ـ الكليات اللغوية وتنوع اللغات .
٤ ـ انتقاد المذاهب السلوكية .
٥ ـ العودة إلى الأصول العقلانية .
٦ ـ البنية العميقة والبنية السطحية .
٧ ـ تخطى الألسنية البنائية .

•••

٩ ـ يان بودوان دى كورتناى :

ولد بودوان دى كورتناى فى بولونيا سنة ١٨٥٤ . ويعتبر بودوان دى كورتناى رائد فى مجال الألسنية : إذ كان له الفضل فى ارساء أسسها ، إلا أنه لم يؤثر مباشرة فى نشأة الألسنية البنائية ، لأنه لم يضع نظرية كاملة ومتماسكة ، كتلك التى نجدها عند « دى سوسور » ولأن أفكاره وآراءه مبعثرة فى أكثر من ٦٤٠ مقالاً لغوياً .

وسنتناول بصورة موجزة بعض المفاهيم الألسنية التى قال بها وحاول ارساء دعائمها :

١ ـ الفونام .
٢ ـ التمييز بين اللغة كنظام وبين اللغة كمسار متكرر .

٣ ـ التمييز بين ديناميكية اللغة وبين واقعها الحالى .
٤ ـ التمييز بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة .
٥ ـ الألسنية دراسة علمية .

وآمل أن أقوم بدراسة عن الاعلام من علماء اللغة عندنا ، اشادة بجهدهم .. واشارة إلى فضلهم بحول الله وقوته .. ويسألونك متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً .

والله الهادى إلى سواء السبيل ...

●●●

المراجـــع

استفدت فى هذه الدراسة
من كتب وأبحاث الأساتذة الدكاترة

١ ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، نايف خرما ـ سلسلة عالم المعرفة (٩) الكويت سنة ١٩٧٨ م .
٢ ـ نظريات فى اللغة ـ انيس فريحة ـ دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٢ م .
٣ ـ الألسنية العربية ريمون طحان دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٧٢ م .
٤ ـ الألسنية (علم اللغة الحديث) ميشال زكريا ـ المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر سنة ١٩٨٣ م .
٥ ـ مذكرات جامعية فى الأصوات ـ كمال محمد بشر ـ على الاستنسل .
٦ ـ علم اللغة العام ـ كمال بشر ـ دار المعارف ـ ١٩٧٣ م .
٧ ـ فى علم اللغة العام ـ عبد الصبور شاهين ـ ط ١٣٩٧ هـ .
٨ ـ علم اللغة العام ـ توفيق محمد شاهين ـ ط مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٨٠ م .
٩ ـ منهج البحث فى اللغة والآداب (مانسون ومانييه) ترجمة محمد مندور القاهرة .
١٠ ـ الوجيز فى فقه اللغة ـ محمد الانطاكى ـ ط الشهباء حلب سنة ١٣٨٩ هـ .
١١ ـ اللغة ـ ج : فندريس ، تعريب : الدواخلى والقصاص ط القاهرة سنة ١٩٥٠ م .
١٢ ـ دوريات :
المجلة التربوية ـ المركز التربوى للبحوث والانماء ـ بيروت عدد ٢ سنة ١٩٧٩ م والعدد الثانى سنة ١٩٧٨ م ـ ومجلة الفكر العربى ، عدد ٨ و ٩ سنة ١٩٧٩ م من مقال للأستاذ رشيد الضعيف ، بعنوان : « نسق الصوائت » فى احدى اللهجات العربية .. ومجلات ودوريات سيارة .

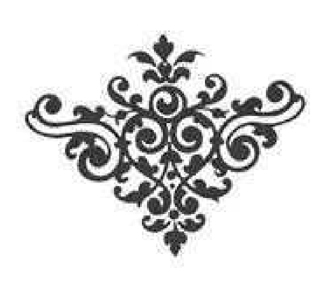

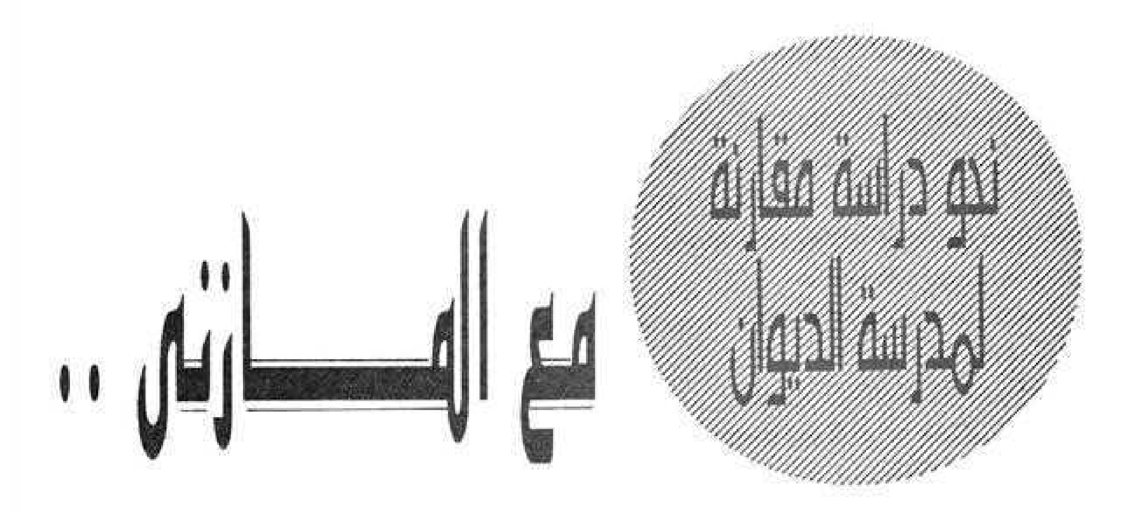

بقلم الأستاذ : أحمد مصطفى حافظ

بعد أن قطعنا هذا الشوط من الدراسة المقارنة لمدرسة الديوان ، نرى أنه أصبح يتعين علينا أن نمعن النظر قليلا ، فيما نسب إلى المازني ، من لجوئه إلى أخذ معاني بعض قصائده ، من قصائد أخرى ، لبعض شعراء الإنجليزية ، من أمثال شلي P.B.Shelley (١٧٩٢ — ١٨٢٢) وتوماس هود Thomas Hood (٧٩٩ — ١٨٤٥) وروبرت بيرنز Robert Burns (١٧٥٩ — ١٧٩٦) وغيرهم . ثم تعليله هذا الأمر ، لزميله عبدالرحمن شكرى ، بقوله أنه : «حفظ المعاني ، ونسى أنها لغيره» وحينما أبدى شكرى عدم اقتناعه بتبرير المازني لما أقدم عليه ، «لأن الأبيات والمعاني متسلسلة ، والترجمة دقيقة جدا» .. غضب المازني ، وأسرَّها في نفسه ، وبخاصة بعد أن أشار شكرى في مقدمة أحد دواوينه إلى هذا الأمر ، وأبدى استنكاره له ..

حتى إذا سنحت الفرصة بإصدار (الديوان) للعقاد والمازني ، قام المازني بشن حملة قاسية على زميله وصديقه شكرى ، وأنكر عليه الشاعرية ، ونعته بأنه : (صنم الألاعيب !) وذلك بعد أن كان يقول عن شكرى من قبل — في معرض الموازنة بينه وبين شاعر النيل : (حافظ إبراهيم)[1] — «إن حافظا — إذا قيس إلى شكرى — لكان كالبِرْكة الآجنة ، إلى جانب البحر العميق الزاخر ، وحَسْب القارىء أن يتأمل ديوانيهما ، ليعلم ما بينهما من البعد ، وليعرف كيف يقعد الخيال بحافظ ، ويسمو بشكرى .. وكيف يجني التقليدُ على رجل ، ويُغلق في وجهه أبواب التصرف والتفنن ..» إلى أن يقول المازني عن شكرى ، أنه : لا يُبالغ كحافظ في تحبير شعره وتدبيجه ، بل حَسْبُه من الوشي والتطريز ، أن يسمعك صوت تدفق الدماء ، من جراح الفؤاد ، وأنْ يفضي إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يُريك عيون الندى ، على خدود الزهر إلخ»

(١) أنظر مجلة (عكاظ) عدد ١٩١٣/٨/٨

ونرى أنه قد آن أن نقف وقفة متأنية ، أمام أحد النصوص التى اتُّهم المازنى بانتحالها ، والتى سبَّبت الخلاف الذى أدّى إلى القطيعة لعدّة سنوات بين شكرى والمازنى[1] ، حتى قام (العقاد)آخر الأمر ، بإعادة الوفاق وأواصر الصداقة والمودة بينهما مرة أخرى ، قبيل الخواتيم ..

وسنحاول ، فيما يلى ، إمعان النظر فى إحدى القصائد التى أخذ على المازنى انتحال معانيها ، وَلتكنْ قصيدة : توماس هود ، التى تحمل عنوان : (سرير الموت) : The Death - Bed التى يقول فيها : (وسنكتفى هذه المرة بترجمة نثرية لها ، لنكون بمعزل عن أبيات المازنى ، التى تقف على مسافة قريبة منها) ولسنا فى مقدرة المازنى

We watch'd her breathing thro the night	رَاقبنا تُنفّسَها خلال الليل
Her breathing soft and low	كان تنفسها ناعما بطيئا
As in her breast thewave of life	حينما كانت نسمة الحياة
Kept heaving to and fro	لازالت تروح وتغدو فى صدرها
So silently we seem'd to speak	ولذا دار حديثنا فى سكون
As we had lent her half our powers	كأننا قد أعَرْناها نصف قُوانا
To eke her living out	كى تستمر فى البقاء على قيد الحياة

***

Our fears are hopes belied	إلا أن مخاوفنا خيبت آمالنا
We thought her dying when she slept	فحَسْبناها ميتة وهى نائمة
And sleeping when she died	وظَنَّناها نائمة .. وهى فى وادى الموت
But, when the morn came dim and sad	ولكنْ حينما أقبل الصباح كئيبا حزينا
And chill with early showers	مَقْروراً بزخات البكور
Her quiet eyelids closed.. she had	انطبق جفناها الهادئان مغمضين
Anothe morn than ours	لقد أصبحت فى عالم آخر غير عالمنا

أما أبيات المازنى ، فقد اتخذت عنوانا آخر للمذكر وليس للمؤنث كما فى أبيات هود ــ يقول المازنى بعنوان :

فتى فى سياق الموت

نعُــــــدُّ أنفــــــاسه ، ونحسبها ... والليـــل فيـــه الظــلام يلتطــمُ

إذا خروج الحيـــــاة أجهـــــده ... تساقـــطتْ على جبينــــه الـــدِّيمِ

صَدرٌ ــ كصدر الخضمّ ــ مُضطـــربٌ ... جحافـــل الموت فيـــه تزدحـــم

إنْ قام .. مِلْنـــا له بِسمعنـــا ... أوْ نام ، خفَّتْ بِوَطْئنـــا القـــدم

***

يرتـــاع فى طول نومـــه الأمـــلُ ... ويشتكيـــه الرجـــاءُ والسَّأم

كأنما الخوف من تردُّده ... خيْـــلٌ لها من رجائنـــا .. لُجُـــمُ

---

(١) ولم يقتصر اتهام المازنى بانتحال بعض معانى الشعر الأجنبى على شكرى فحسب ، بل إن هناك ناقدا آخر هو : (السيد مصطفى علوى) ــ وهو أديب كان صاحب مقهى فى عابدين وكان يلتقى عنده الأدباء وكان يعرف الانجليزية ويقرأ الشعر وقد أخذ على المازنى انتحاله .. فى مقال له بهذا الخصوص بجريدة السفور : عدد ١٤ مارس سنة ١٩١٨ (إرجع لكتاب إبراهيم عبدالقادر المازنى للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ص ٥٤ ، ص١٥٥ ط (الاعلام) سنة ١٩٧٨ .

.. جلنـــاه مات وَهـــو فى سِنـــة ونـــائم الجَفـــن ــ وهــو مُختـــرم
قد قلصتْ ثغـــرَه .. منيّـــة كأنـــه للحِمـــام يـــبتسم .. !

وأول ما يتبادر إلى الذهن فى قصيدتىْ : هود والمازنى ، وأن كلتيهما تصفان «روحا بشرية» فى لحظة الاحتضار ، وهى لأنثى عند توماس هود ــ إذ نظمها عند وفاة شقيقته (آن) .. أما عند المازنى ، فلم يوضح لنا مناسبة نظمها ..

وجعل المازنى (فتاهُ) فى حالة نزع شديدة ، يتلاطم ظلامها ، كما يضطرب صدر الفتى ، حيث تموج وتمور فيه جحافل الموت ، متزاحمة .. كما يصور الخشوع فى مجابهة الموت ــ حين نشاهده فى (الآخر) .. مشفقين على انفسنا ، حينما يأتى الدور علينا .. ويصور المازنى ــ مثل (هود) تماما ــ الهدوء التام (أو المطبق بمعنى أدق) والحذر الشديد فى ملازمة (الجسد) وهو يجود بآخر نسمة للحياة وزاد المازنى عليه ــ على هود ــ صورة حزينة هيفة ، تحث دائما فى مثل هذه المواقف الرهيبة ، إذ يتواكب أهل المحتضر حوله من شتى الجهات ، إن هم بحركة للقيام أو التقلب فى مرقده ساعة النزع الأخير ، فى (حلاوة الروح) ، ثم الاخلاد إلى السكوت والصمت العميق الذى لا حركة بعدهما قط .. إذا أغمض المحتضر عينيه ، مستسلما لمصيره المحتوم ..

وتعبير المازنى : (مِلْنا له بِمسْمِعِنا) فى غاية الدقة والقدرة على تصوير وتشخيص ما يحدث بالفعل .. مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن المازنى قد وقف هذا الموقف بالفعل ، قبيل نظمه لأبياته تلك وتسللت جل معانى (هود) متوافدة من حافظته وواعيته الباطنة ، التى سبق لها اختزان العديد من الصور والمعانى الجياشة ، التى (تكدست) فيها نتيجة الاطلاع الواسع الغزير على عيون الشعر فى الادبين : العربى والانجليزى .

ثم يأتى المازنى بصورة أخرى فريدة ، حينما يتحدث عن : (الأمل) الذى (يرتاع) لطول نوم المريض .. و (الطول) هنا قياسى فى وطأة الاحساس المتوتر به ، حسب نظرية النسبية التى أعلنها (أنشتين) وفسرها لنا أروع تفسير عالمنا الجليل الراحل ، الدكتور على مصطفى مشرفة .. فقلق المحيطين بالمحتضر تجعل (الثانية) تمر كيوم كامل أو أطول من ذلك ، لانها تمر ببطء مرهق شديد .. فما بالك بالدقائق والساعات ؟!

ثم يزيد المازنى معناه قوة ولوعة ، حينما صور تردد الخوف ، كخيل ، نلجمها بالرجاء ، حتى لانمضى قدما بالعزيز المحتضر ، إلى مثواه الأخير ! وكأنما نحاول ــ عبثا ــ أن نوقف عجلة الزمن .

وكذلك فى بيت المازنى الأخير إضافة أخرى لمشهد الميت ، زيادة على تعبير (هود) إذ جعل تقلص الثغر بسبب المنية التى أنشبت أظفارها ، كأن الميت ــ بهذا التقلص ــ كان يبتسم للموت .. وربما صح ذلك إذا كان عمله فى الحياة الدنيا صالحا ووداعه للحياة جعل نفسه المطمئنة ، ترجع إلى ربها راضية مرضية ، كما نصت على ذلك الآية القرآنية الشريفة[1]

وصفوة القول أن المازنى قد أفاد بلاشك ــ بوعى أو بغير وعى ــ من أبيات (هود) : الجو العام لمشهد الاحتضار ، وتأثر بأبيات هود عند قراءته لها لأول مرة ، وحينما سنحت (الفرصة) ــ ومر المازنى بتجربة مماثلة لتجربة هود ــ انبجست المعانى فى ديباجتها العربية الجزلة وتزاحمت الصور فى مخيلة المازنى ، فحدث له ما يصفه صديق عمره العقاد ــ وأعلم الناس بموهبته ، بعمق وتفهم شديدين ــ حين تحدث عن : (ملكة الترجمة عند المازنى فقال : «هى ما يصح أن نسميه بعبقرية الترجمة ، لأنه استطاع بترجمته ، أن يرد الكلام أصيلا ، كأنه لم يكتب فى لغة أخرى ولم يصدر عن قريحة سابقة فقد كان يترجم الكلام فى سليقته شعورا .. قبل أن يترجمه لفظاً ومعنى ، فيجيش كما جاش به صاحبه ، ويعبر عنه بعد ذلك كأنه ينقل قطعته من حسه وخياله ويصنع ذلك بالكلام المنظوم كما يصنع بالكلام المنثور ، فإذا به قد نقل روحه وطلاوته وموسيقاه ، وما يتخلل عباراته من ظلال المعانى المستترة ، وخفاياه المضمونة .. » والمازنى نفسه ، يعطينا

---

(١) وهى فى قوله عز وجل : «يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى» .

إضاءة كافية ، حينما يقول فى مقدمة قصيدة : (الراعى ...) : « هى قصة قديمة لـ (جيمس يل لويل) وقد نظمتها بتصرف كثير ، ما بين حذف وزيادة !

ثم يقول فى هامش الصفحة : « كل بيت أمامه هذه العلامة : * فهو للمترجم عنه ، والباقى لصاحب الديوان وكذلك فى بقية القصائد »[1]

وللمازنى قصيدة أخرى بعنوان : (الشاعر المحتضر) ينص فيها على أن الأبيات : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ للشاعر شلى ، أوردها فى سياق قصيدته .

بل إننا نجده يقرر بهامش صفحات ديوانه[2] فى تقديمه لقصيدته : (إكليل الشوك) : « إن فكرة تكليل الرأس بالشوك فى الحلم للشاعر تنيسون — فيما أظن — على أنى راجعت ديوانه فلن أعثر بها ، إما لورودها فى غضون قصائده الطويلة ، أو لأنى لم أستطع التوفيق فى البحث ، مع كثرة الشواغل .. وقد أكون مخطئا فى نسبتها إليه ... »

وأخيرا — وليس آخرا — فإن قصيدة (فتى فى سياق الموت)[3] موضوع الموازنة فى مقال اليوم ، فإن المازنى لم يُشر من قريب أو بعيد الى مصدرها ، أو مصدر الايحاء بفكرتها على أقل تقدير فى هامش صفحة القصيدة .

وإن كان — بعد ذلك — قد عاد فى تقديمه للجزء الثانى من ديوانه ، إلى الاعتراف باستيحاء نص توماس هود ، والاضافة إليه ، يقول المازنى :

« أما ما اتهمنا بسرقته مما ورد فى الجزء الأول من ديواننا ، فقصيدة : (فتى فى سياق الموت) — وهى ثمانية أبيات — فقد راجعنا قصيدة (هود) فوجدنا فى قصيدتنا أبياتا ليست له ، ونحن ننزل عن القصيدة كلها راضين ، ونبرأ من تعمد أخذها ، والاغارة عليها ... »

وفى هذا القول اعتراف ضمنى من المازنى بتأثره بقصيدة هود ، بل وصياغة معانى بعض أبياتها ، بعد تمثيلها واستيعابها فى واعيته الباطنة .

ومهما يكن من أمر فإن المعانى الانسانية العامة مجال فسيح لكل أديب ، وهو بسبيله إلى التعبير عن تجاربه الوجدانية ، وإبداع الصور الجديدة التى تلوح بمخيلته أثناء الخلق الفنى . وموهبة المازنى الكبيرة ، وغزارة نتاجه الشعرى ، وروعة الاداء عنده مما يجعلنا نسلم بأخذه عن غيره من الشعراء الكبار — من أنداده — ولكن بعد أن يمهرها بطابعه الخاص ، ويضيف إليها ما يجعلنا أكثر إشراقا وتفردا بل وتصبح أقرب إلى الاصالة والابتكار وهناك فرق كبير بين نقل نص ما نقلا حرفيا ، بدون زيادة أو نقصان ، وبين التعامل مع هذا النص باقتدار ، ثم هضمه وتمثله ، وإطلاق العنان بعد ذلك بجيشان عاطفة وتدفق مشاعر لصياغة جديدة تستوعب ولاتقلد وتضيف الجديد من إبداع الشاعر ، الذى يتسم بطابعه الخاص وتعبيره المميز .

---

(١) أنظر (ديوان المازنى) ص ٩٧ ـ ١٠٨
(٢) أنظر (ديوان المازنى) ص١٩١
(٣) أنظر (ديوان المازنى) ص٣٤

قراءة فى كتاب

التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ومناهج البحث فيه

المؤلف دكتور/ محمد عبد الوهاب فضل
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بجامعة الأزهر
عرض وتقديم/أحمد السيد تقى الدين

إن دراسة علم التاريخ عند المسلمين وتطور الإلمام بجهود المؤرخين فى ذلك يعتبر دراسة مهمة جداً لكل دارس للتاريخ الإسلامى خاصة ، لأنها تمده بأصول وجذور هذا التاريخ لأن ما كتبه أولئك المؤرخون يعتبر جزءاً من مصادر التاريخ الإسلامى .

ولا شك أن الرصيد الهائل الكبير من كتب التاريخ عند المسلمين ـ منذ ابتداء عصر التدوين فى أوائل القرن الثانى الهجرى ـ يؤكد أن المسلمين اهتموا بالتاريخ اهتماماً كبيراً قل أن نجد له مثيلاً عند غيرهم .

منذ نهاية القرن الأول الهجرى ، وخلال القرن الثانى ، وكان أهم ما يميز هذه الفترة بالنسبة للتاريخ عند المسلمين هو ظهور الخط الفاصل بين التاريخ والحديث .

أما بداية التخصص فى الأخبار ، وهو الطور الثالث ، فقد برزت ملامحها خلال القرن الثانى الهجرى ، وهذه المرحلة تعتبر من أهم المراحل التى مرت بها فكرة الكتابة التاريخية عند المسلمين ، وذلك لأنها مهدت لظهور مرحلة أخرى متطورة متقدمة تبلورت فيها الفكرة التاريخية خلال القرن الثالث الهجرى وحتى نهايته .

والمرحلة الرابعة تتمثل فى ظهور التخصص فى الكتابة فى التاريخ العام بما تعنيه من اكتمال ونضوج الفكرة التاريخية لدى المسلمين ابتداء من أواخر القرن الثانى الهجرى وأوائل القرن الثالث حيث يلحظ الباحث زيادة جوهرية فى المادة التاريخية ودقة وتحرراً فى مصادرها ، واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى .

المرحلة الخامسة ممثلة فى ظهور التواريخ المحلية ، فحين تعرضت الدولة العباسية للحركات الانفصالية منذ النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى تداعت هذه الوحدة السياسية وانفصلت عنها فى الشرق والغرب دويلات فتأثرت الكتابة التاريخية بهذا التمزق السياسى الذى أصاب الدولة .

والواقع أن تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين كان جزءاً من التطور الثقافى العام الذى عرفه المجتمع الإسلامى فى القرون الثلاثة الأولى من هجرة الرسول - ﷺ - هذا التطور كان إسلامياً صرفاً لم يتأثر بمؤثرات ثقافية أجنبية إلا فى جوانب ثانوية منه ومحدودة .

وكان لا بد من توضيح المنهج الذى سار عليه المسلمون فى كتابة التاريخ ، وقد كان الاهتمام قبل الإسلام بالأيام والأنساب ، وكانت الروايات الشفوية تنقل الأخبار فى هذا الميدان ، وبعد ظهور الإسلام تركز الاهتمام على دراسة سيرة الرسول - ﷺ - وكان كتاب السيرة يجمعون الروايات ويرتبونها حسب الأحداث والسنين عن طريق الرواية والاسناد ، وتتوقف قيمة الرواية على مدى سلامة الاسناد وتسلسله .

وفى القرن الثالث الهجر تطور منهج الكتابة التاريخية بظهور الحوليات التى يراعى فيها ترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً عاماً بعد عام منذ الهجرة النبوية وحتى عصر المؤلف ، ومنهج التأريخ حسب الموضوعات للدول والعهود ، والطبقات والأنساب .

وفى الفصل الثانى تناول المؤلف « مدرسة المدينة فى السيرة » وكيف نشأت هذه المدرسة فى المدينة باعتبارها داراً للسنة وداراً للصحابة رضوان الله عليهم الذين شاهدوا الرسول - ﷺ - وسمعوا أقواله ورووها إلى التابعين ومن هنا تأثرت الكتابة فى السيرة بمنهج الحديث ، وكانت كتب السيرة أقدم الكتب التاريخية التى تجمع بين الحديث والتاريخ ، فالسيرة تشكل المحور الذى تدور حوله حركة التدوين لتاريخ الإسلام ، بل انها البوابة العريضة الهامة التى دخل منها المسلمون إلى دراسة التاريخ وتدوينه عموماً .

وقسم الباحث مدرسة المدينة إلى أجيال - طبقات - ثلاثة متتابعة ، وتميز رجال الجيل الأول بأن أخبار السيرة والمغازى كانت عبارة عن شذور متفرقة من الأخبار مؤيدة بالاسناد ، فقد يروون الخبر أكثر من مرة وكل مرة باسناد مختلف على طريقة المحدثين فكانوا محدثين ناقلين ويمثل هذا الجيل :

ابان بن عثمان ، وعروة بن الزبير ، وشرحبيل بن سعد .

وتميز رجال الجيل الثانى بأنهم جمعوا الأخبار المتعلقة بموضوع واحد وأوردوها على نسق تاريخى وأدمجوها فى حديث واحد وهو ما يسمى بالإسناد الجمعى ، وفصلوا بذلك السيرة عن الحديث ، وهذه خطوة بالغة الأهمية فى العرض التاريخى ، ويمثل هذا الجيل :

عبد الله بن حزم الأنصارى ، وعاصم بن عمر ، ومحمد بن شهاب الزهرى .

ثم كان رجال الجيل الثالث الذين تميزوا بالجمع والتبويب ، فقد الفوا كتباً فى السيرة كما فعل محمد بن اسحاق وكتابه كان ثمرة تفكير سليم أبعد أفقاً وأوسع

من هنا تأتى أهمية الدراسة التى نعرضها هذا الشهر وهي بعنوان « التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ومناهج البحث فيه » للدكتور محمد عبد الوهاب فضل أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بجامعة الأزهر .

تألفت الدراسة من بابين ضم الأول فصلين والثانى ثلاثة فصول .

وجاء الباب الأول بعنوان « مناهج البحث فى التاريخ » وفيه تناول الباحث المنهج الذى يجب أن يسير عليه الباحث خلال رحلة بحثه حيث بدأ فى الفصل الأول بالقاء الضوء على علم التاريخ من حيث :

- تعريفه .
- مكانته بين العلوم الأخرى .
- أهداف دراسة التاريخ .
- الصفات والمميزات الواجب توافرها لباحث التاريخ .
- المقصود بمنهج البحث .

وفى الفصل الثانى تناول المؤلف مراحل البحث الطويلة من حيث :

- الثقافة الواسعة .
- اختيار موضوع البحث .
- جمع الأصول والمصادر .
- نقد المادة التاريخية واثبات صحة الأصول بالنقد الظاهرى والباطنى .
- مرحلة التركيب والعرض واخراج البحث .
- تبويب وتقسيم البحث .
- الأسلوب وطريقة العرض .
- مراعاة مستوى القارىء .
- كيفية استخدام الهوامش .
- تتويج البحث بالخاتمة .
- ضرورة الملاحق للبحث .
- كيفية إعداد قائمة المصادر والمراجع .
- إعداد الفهارس العامة للبحث التى تعتبر مفتاح البحث .

أما الباب الثانى فقد أفرده المؤلف للحديث عن « الكتابة التاريخية فى ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجرى » .

ففى الفصل الأول تناول المؤلف « أخبار العرب قبل الإسلام » أو ما يسمى « بالمدرسة اليمنية » وكيف أنها بدأت على شكل قصص وروايات ، فلم تتبلور فكرة كتابة التاريخ عند العرب حيث لم يعثر على تاريخ مأثور بالكتابة فيه سمات المنهج المبنى على أساس من العلم ، وكل ما وصلنا من ذلك لم يعد أن يكون بقايا أخبار العرب التى حفظها لنا بعض الراوة والنسابين والمؤرخين الذين عاشوا فى القرنين الأول والثانى الهجريين .

ثم تحدث المؤلف عن العوامل والمؤثرات التى أثرت وساعدت على الكتابة التاريخية عند المسلمين وتتبع مراحل التدوين التاريخى فى ديار الإسلام وجمع القرائن والأدلة التى يستدل بها على بداية التدوين التاريخى فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، وان قضية العلم الإسلامى الذى ظل محفوظاً فى صدور الرجال وذاكرتهم حتى أواسط القرن الثانى الهجرى إنما هى محض خرافة ، وكان نضوج التدوين التاريخى فى نهاية القرن الثالث الهجرى حيث استقرت وتوطدت فكرة التدوين فتوحد بها علم التاريخ الإسلامى ومناهجه فى التدوين .

وحرص المؤلف على توضيح المراحل التى مرت بها الكتابة التاريخية عند المسلمين حتى نهاية القرن الثالث الهجرى موضحاً أن مراحل تطور الكتابة التاريخية لم تكن محدودة بحدود زمنية أو بفترات سياسية ، وإنما تدخلت العوامل والظروف التى ساعدت على نموها ، فامتدت عبر الفترات السياسية لحكم الدولة الإسلامية . الأمر الذى لا يمكن معه فصل مرحلة عن أخري طبقاً لفترات حكم الدول كالأموية أو العباسية . ولذا عنى المؤلف بإبراز مراحل التطور دون التقيد بالحدود الزمنية الدقيقة لتلك الفترات السياسية .

وكان الطور الأول من القصص والأساطير الشعبية ، ثم كان الطور الثانى وظهور مؤرخى السيرة

نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه ، فهو كتاب تاريخ بمعنى الكلمة ، ويمثل هذا الجيل :

موسى بن عقبة ، ومحمد بن اسحق ، ومحمد بن عمر الواقدى .

ثم تابع المؤلف حديثه عن السيرة بعد محمد بن اسحاق تتمة للفائدة حيث لم تنقطع العناية بالتأليف فى السيرة إلى يومنا هذا ، فبعد محمد بن اسحاق جاء طور النقد والتعليق والجمع والتعقيب كما فعل عبد الملك بن هشام فى سيرة محمد بن اسحاق وأخرى بالشرح والتفصيل والتعليق والتحرير والضبط كما فعل عبد الرحمن السهيلى فى كتابه «الروض الأنف» وثالثة بالاختصار كما فعل يوسف بن عبد البر فى كتابه « الدرر » ورابعة بوضعه فى ثوب جديد هو النظم شعراً كما فعل عبد العزيز الدميرى .

ثم جاءت مجموعة من المؤرخين ، فجمعوا بين أيديهم كل ما كتب فى السيرة وخرجوا منها بكتاب هو فى ظاهره له وفى حقيقته أنه لغير واحد ممن سبقوه ، ومن هؤلاء :

القاضى عياض اليحصبى وكتابه « الشفا ... » وابن سيد الناس وكتابه « عيون الأثر ... » ، وابن قيم الجوزية وكتابه « زاد المعاد » ، وابن كثير وكتابه « سيرة النبى - ﷺ - » .

ثم ختم الباحث دراسته بالفصل الثالث وخصصه للحديث عن المدرسة العراقية ، وتميزت هذه المدرسة بناحية خاصة من الدراسات التاريخية ، وهى دراسة الأخبار ، والأنساب مع وجود التيار الدينى الممثل فى السيرة والمغازى .

وتناول المؤلف جهود هذه المدرسة فى ميدان السيرة والمغازى ، ويمثلها معمر بن راشد ، ومحمد بن سعد .

وفى القرن الثالث الهجرى تطور منهج الكتابة

وفى مجال الأنساب يمثلها محمد بن السائب الكلبى ، وابنه هشام ، ومصعب الزبيرى .

وأخيراً فى مجال الأخبار ، وقد تركزت كتابات المؤرخين فى القرن الثانى الهجرى على الموضوعات التى تشغل بال المسلمين أو ما يُطلق عليه اليوم « موضوعات الساعة » كالردة ، والفتوحات ، والشورى ، والفتنة والمعارك ... الخ ، ويمثل هذا اللون أبو مخنف لوط بن يحيى ، وعوانه بن الحكم وسيف بن عمر ، ونصر بن مزاحم ، والهيثم بن عدى .

ثم كان التطور الذى حدث فى القرن الثالث الهجرى وحتى نهايته ، حيث شهد مرحلة جديدة فى تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين وتميز بوفرة المادة التاريخية ، وظهر فى هذا العصر عدد كبير من أئمة المؤرخين الكبار ويمثلهم : ابن قتيبة والبلاذرى واليعقوبى والدنيورى وشيخ المؤرخين محمد بن جرير الطبرى .

• « تعقيب » :

وبعد فالكتاب يعد إضافة هامة فى مجال منهج البحث التاريخى وتطوره وتزداد أهميته إستاداً إلى قلة ما كتب فى هذا المجال الذى يتجنب الكثير من الباحثين الخوض فيه لصعوبته ووعورته مما أدى إلى جعله يكاد يكون قاصراً على المستشرقين الذى تخصص عدد غير قليل منهم فى هذا المجال دون سواه بحيث لا نجد للباحثين المسلمين إلا النذر اليسير ليس فى منهج البحث التاريخى فقط وإنما فى مناهج البحث بوجه عام ونرجو أن يعمل الباحثون المسلمون على سد هذا النقص مستقبلاً .

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ : مصطفى عبدالمجيد

دعوة فضيلة الإمام الأكبر للمشاركة فى الملتقى الاسلامى بجزر القمر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر السيد/ابراهيم عبد الله سفير جمهورية (جزر القمر) الاتحادية الاسلامية والدكتور مصطفى الدباغ ممثل الاسيسكو بجزر القمر لتوجيه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر من رئيس جمهورية جزر القمر لحضور الملتقى الدولى للثقافة الإسلامية المزمع عقده فى الفترة من ٢٨ يوليو وحتى ٤ اغسطس القادم .

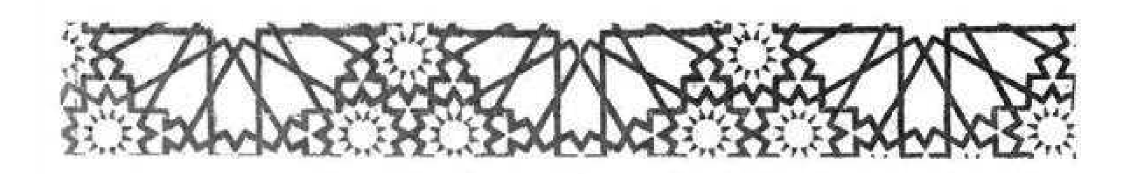

تم خلال اللقاء بحث تقديم المنح الدراسية لطلاب جزر القمر لتلقى العلوم العربية والشرعية بالازهر الشريف .

ويلتقى والسيد نائب رئيس جمهورية الصومال

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه السيد/عبد القادر محمد آدم نائب رئيس جمهورية الصومال ، حضر اللقاء السيد/سفير الصومال بالقاهرة .

شرح نائب الرئيس الصومالى خلال اللقاء أحوال الطلاب الصوماليين بعد إغلاق المدارس والمعاهد فى الصومال بسبب الظروف الحالية هناك .

وطلب نائب الرئيس الصومالى من فضيلة الإمام الأكبر دعم الأزهر لهؤلاء الطلاب وتيسير أمورهم هناك خاصة ، وإن الصومال يوجد بها أكبر بعثة تعليمية أزهرية بالخارج .

وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة هذه الأمور على وجه السرعة واتخاذ القرار الذى يراعى مصلحة الطلاب الصوماليين .

ويلتقى وسفير اثيوبيا بالقاهرة

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر بالسيد/ابابيا ابو جوبر سفير اثيوبيا بالقاهرة .

طالب السيد السفير خلال اللقاء دعم الأزهر لطلاب اثيوبيا فى مجال التعليم وتوثيق العلاقات الثقافية بين الأزهر واثيوبيا .

وقد أعرب فضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر عن استعداد الأزهر الشريف لتقديم الدعم للمسلمين هناك واستعداده كذلك لأى تعاون من الناحية التعليمية سواء حضر الطلاب الى مصر أو سافر العلماء إلى اثيوبيا على نفقة الأزهر الشريف .

وفى نهاية اللقاء تقدم السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر بخالص الشكر والتقدير على الحفاوة وحسن الاستقبال .

قرار فضيلة الإمام الأكبر ببعثة الحج

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قراراً بتكليف فضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال مصطفى وكيل الادارة المركزية للمعاهد الأزهرية لشئون المناطق برئاسة بعثة الازهر الشريف للحج لعام ١٤١٢هـ ١٩٩٢م لكى تقوم بدورها فى التوعية الدينية بين الحجاج واداء رسالتها فى الأراضى المقدسة للارشاد الدينى والاسهام فى نشاط بعثة الحج الرسمية لجمهورية مصر العربية .

ويلتقى وسفير موريشيوس بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد/سعيد مودربوكس بسفير موريشيوس بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث تنمية العلاقات الثقافية بين الأزهر الشريف وموريشيوس وكذلك دعم المركز الثقافى الإسلامى هناك وتزويده بالائمة والمدرسين والكتب والمراجع الدينية .

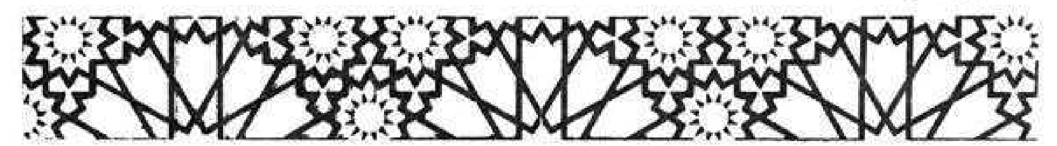

للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير

دعم الجمهوريات الإسلامية بالكمنولث

تم مؤخراً عقد اتفاق بين حكومة أوزبكستان إحدى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى ومجموعة من شركات الاستثمار والصرافة العربية (دلة ـ بركة) على تأسيس معهد للدراسات الاقتصادية والإدارية يعتمد على المنهج الإسلامى فى برامجه الدراسية :

ومن المقرر أن يتولى المعهد المزمع إنشاؤه إجراء بحوث فى مجالات التجارة والزراعة والصناعة والنقل والاتصالات وفق المنهج الإسلامى . كما يقوم كذلك بإجراء دراسات لاستطلاع فرص الاستثمار فى (أوزبكستان) وسبل دعوة المستثمرين إلى المشاركة فى التنمية الإقتصادية لأوزبكستان .

يأتى هذا الاتفاق ضمن إطار دعم الجمهوريات الإسلامية بالكمنولث الروسى .

البوسنه والهرسك

يهدف القتال فى البوسنه والهرسك إلى أمرين :

(ا) القضاء التام على القوة الإسلامية لهذه الجمهورية بأى ثمن وبأى شكل .

(ب) تمزيق وحدة هذا البلد الإسلامى بتقسيمه بين جمهوريات أربع . وفى سبيل الهدف الأول يشرد يومياً الكثير من أبناء هذا الشعب حتى اقترب اللاجئون منه إلى نحو مليون ، علماً بأنه لا توجد دولة كبرى يمكن أن تتكلم باسمهم كما أذاع ذلك (راديو لندن) صباح الاثنين (٢٠ من ذى القعدة ١٤١٢ هـ) .

ويمهد للهدف الثانى إحاطة الأعداء من كل جانب بهذه الجمهورية من جهة ، وسحب الأمم المتحدة جنودها منها .

ماذا ... لإبادة مسلمى البوسنه والهرسك ..؟

ويقدم البنك الإسلامى للتنمية عوناً عاجلاً للاجئين المسلمين فى البوسنه والهرسك الذين يتعرضون لخطر الإبادة الجماعية على أيدى الصرب ، أعلن ذلك رئيس البنك عقب انتهاء اجتماعات مجلس المديرين التنفيذين للبنك فى دورته الـ ١٣٣ .

تقرير هام

رفع اليونسكو ب (باريس) مذكرة بخصوص الاعتداءات على مسجد طوكيو باليابان والمسجد البابرى فى الهند الذى يعتزم الهندوس هدمه ، وكذا محاولات إسرائيل هدم المسجد الأقصى ، وما يتصل به من أوقاف للمسلمين والهجوم على المحكمة الشرعية فى القدس ونهب سجلات الأوقاف وهدم الأوقاف حول الأقصى فى حى المغاربة غربى المسجد الأقصى .

هل تُنفــذ الاتفاقيـــة ..؟

وقعت (بنجلادش) و (بورما) اتفاقاً فى ٢٧/٤/١٩٩٢ الماضى يقضى بإعادة ربع مليون من مسلمى بورما إلى بلادهم وهم يعيشون الآن فى مخيمات فى بنجلادش ، ومن المقرر أن تبدأ عودة اللاجئين إلى بورما فى الخامس عشر من مايو الحالى ، هذا وقد قام اللاجئون بمظاهرات اعتراضاً على حكومة بنجلادش التى لم تقدم لهم الضمانات الكافية لسلامتهم إثر العودة إلى بلادهم .

منشــآت إســلاميــة جديـدة بموســكو

تم إنشاء مركز إسلامى كبير بموسكو ضم مسجداً ومدرسة ومتحفاً أنشأته الجمعية المحمدية الإسلامية هناك ، ليساهم فى إعادة بعث الثقافة الإسلامية فى روسيا ، صرح بذلك رئيس الإدارة الدينية ومفتى مسلمى روسيا .

دورة صيفية لمعلمى ومعلمات القــرآن الكــريم

بدأت جمعية تربية الأجيال الفلبينية برنامجها التربوى بعقد دورة صيفية لمعلمى ومعلمات القرآن الكريم وعلومه فى (مسجد البرهان) بمدينة (كوتاباتو) وستة مساجد أخرى فى بعض المدن بجنوب الفلبين .

يشمل البرنامج طرق تحفيظ وتدريس القرآن الكريم من تجويد وتفسير ومعان مفردات وكذا الحديث النبوى واللغة العربية وعلومها .

جوائز لحفظة القرآن الكريم

أقام المركز الإسلامى بمعهد دار السلام العربى الإسلامى فى كوتونو عاصمة جمهورية (بنين) حفلاً بمناسبة توزيع شهادات ختم القرآن الكريم ، وشهادات المرحلتين : الابتدائية والمتوسطة على طلابه .

أشرف على الحفل مدير المعهد الشيخ/ محفوظ الرحمن الندوى ، وكان من بين الحاضرين إمام مسجد كوتونو المركزى ورئيس اتحاد المسلمين الشيخ/ كيلانى عبد الحميد ، ومندوبون عن سفارة مصر وكبار الشخصيات الإسلامية فى بنين .

ترميم وإصلاح قبة الصخرة

توجه وفد مصرى إلى القدس للإشراف والعمل فى ترميم وإصلاح قبة الصخرة بالمسجد الأقصى وضم الوفد الأساتذة د. يحيى الزينى أستاذ العمارة بجامعة حلوان ، و د. عبد الفتاح أبو العيد أستاذ الأساسات وميكانيكا التربة ، والمهندس ماهر حامد رئيس جهاز تجديد أحياء القاهرة الإسلامية .

مشـــاريع خيريـــة

تقيم الكويت داراً لرعاية الأيتام فى باكستان بتكلفة نحو مليون وستمائة وسبعة عشر ألف دولار ، ويضم مدرسة ومعهداً مهنياً و (ورش) لتعليم الحرف وسكناً ومسجداً . وتقوم بتمويله لجنة الدعوة الإسلامية وبيت الزكاة الكويتى .

تعليم اللغـــة العربيـــة فى المدارس الثانوية بتركيـــا

أصدر مجلس الأمن التركى قراراً بتعليم اللغة العربية فى المدارس الثانوية العامة والمهنية فى تركيا . وذلك بعد أكثر من ستين عاماً . كان تدريس اللغات الأجنبية خلالها حكراً على الانجليزية والفرنسية ..

تدعيم العلاقات العلمية بين مصر وتركيا

عُقدت فى تركيا أعمال الاجتماع العاشر للمجلس العلمى الاستشارى للمؤسسة الإسلامية للعلم والتكنولوجيا والتنمية وقد مثل مصر فيها دكتور/ على حبيش رئيس (الأكاديمية) الذى قام بزيارة لـ (أنقرة) استغرقت خمسة أيام تفقد خلالها مؤسسات البحث العلمى هناك تدعيماً للعلاقات العلمية وتبادل الزيارات بين علماء وخبراء المعاهد العلمية فى كلا القطرين المسلمين .

ندوة الوحدة الأوروبية وأثرها على المستوى الطلابى

عُقدت بمدينة بِرنكُويف بألمانيا ندوة إسلامية عن الوحدة الأوروبية وأثرها على المستوى الطلابى شارك فيها جمع من الاتحادات الإسلامية للطلاب هناك ، وبعض أعضاء البعثات الدبلوماسية العربية والإسلامية والهيئات الإسلامية وعدد من أفرع الاتحادات المختلفة فى خمسة وثلاثين جامعة ألمانية ينتمون إلى أكثر من اثنتين وعشرين جنسية لمواكبة المتغيرات على الساحة الأوروبية وبحث مشاكل الطالب المسلم فى أوروبا وإيجاد الحلول لها . وكيف يمكن للطالب بايجابيته أن يتعامل مع هذه المتغيرات .

أكاديميات

قام مجلس البحوث الإسلامية فى (إسلام آباد) منذ أنشىء سنة ١٩٥٨ م بأعمال أكاديمية عديدة تخدم تطبيق الشريعة فقد أصدر مجموعة من الكتب باللغة الأردية تسمى (مجموعة قوانين الإسلام) إضافة إلى كتب أخرى هدفها التعريف بالأحكام الشرعية والأصول الفقهية . كما يصدر المجمع ثلاث مجلات بالعربية والانجليزية والأردية ؛ لنشر الأبحاث الدينية .

أكد مدير المجمع دكتور ظفر إسحاق أنصارى : أن الهدف من إنشاء المجمع هو تطوير ونشر منهجية البحث فى مختلف حقوق المعارف الإسلامية ، وشرح تعاليم الإسلام بلغة تناسب العصر فى إطار التطور الثقافى والعلمى المعاصر إلى جانب نشر الكتب والتقارير والمجلات ، وتنظيم ندوات البحث والمؤتمرات والمعارف الإسلامية المختلفة .

قناة تليفزيونية إسلامية بألمانيا

افتتح فى كولونيا بألمانيا قناة تليفزيونية إسلامية تبث برامج تتناول القضايا الإسلامية باللغة العربية والتركية والألمانية . ويُشرف عليها اتحاد المنظمات الإسلامية فى أوروبا .

مؤتمر الزكاة وبيت المال

عُقد مؤتمر الزكاة وبيت المال بولاية مالقة الماليزية وحضره عدد كبير من المسئولين والعلماء والدعاة وبعض المشاركين من المركز الإسلامى الماليزى ، وشمل جدول الأعمال زكاة الأموال والتجارة وزكاة الفطر ، ووظائف وخدمات بيت المال لمساعدة مسلمى ماليزيا .

من أخبار المرأة المسلمة في الدانمـــــــرك

حققت جمعية المرأة المسلمة بالدانمرك نتائج طيبة فى نشر تعاليم الدين الإسلامى بين النساء والفتيات، وأنشأت مكتبة إسلامية وقسماً إعلامياً ملحقاً بها وقسماً لاستقبال الأسئلة والرد عليها ومدرسة وحضانة تُعنى بالنشء الإسلامى وتربيته تربية إسلامية صحيحة.

قسم جديد لدراسة الشريعة الإسلامية بجامعة نيويـــورك

قررت جامعة نيويورك الأمريكية إنشاء قسم جديد لدراسة الشريعة الإسلامية بها.

صرح بذلك القنصل المصرى العام هناك وذلك خلال لقاء وفد جمعية رجال الأعمال المصريين والأمريكيين برئيس وأعضاء إتحاد الكتاب وأعضاء مجلس الشورى بالقاهرة وطالب القنصل الأزهر والأوقاف بارسال نخبة من رجالاتها الذين يجيدون اللغة الانجليزية إلى أمريكا

من أخبار المسلمين فى النمسا

قررت حكومة النمسا مضاعفة المساعدات الدراسية لأبناء الجالية الإسلامية هناك.

تقوم وزارة التعليم بتزويد المدارس النمساوية الإسلامية بالكتب والأدوات اللازمة لتدريس الدين الإسلامى الذى أصبح تدريسه إجبارياً للمسلمين فى النمسا.

ويبلغ عدد مسلمى النمسا نحو (١٥٠٠٠٠) ألف نسمة لهم عدد كبير من المساجد فى فيينا العاصمة تؤدى فيها الصلوات تعنى بتحفيظ القرآن الكريم.

كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحـــرف العـــــربى

تم الاتفاق بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومقرها الرباط وبين البنك الإسلامى للتنمية بجدة على الاستمرار فى تنفيذ مشروع كتابة لغات الشعوب الإسلامية فى آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا بالحرف العربى. هذا وتعقد المنظمة بالتعاون مع الإتحاد العام للمنظمات الإسلامية فى فرنسا دورة تدريبية لمدرسى اللغةالعربية والتربية الإسلامية بمدينة (نيس) يحاضر فيها ٧٣ مدرساً لغير الناطـــقين بالعربية.

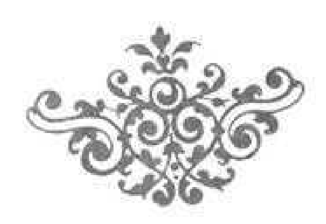

فهـــرس العــــدد

الموضوع	الصفحة
• الافتتاحية : أرض السهول البيضاء	
للدكتور على أحمد الخطيب	١٤٦١
• عيد الأضحى ـ وفتوى	
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : ...	١٤٦٨
• مع سورة الأنفال	
لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى	١٤٧٩
• قبس من أنوار النبوة بين الحرمين الشريفين	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٤٨١
• الحج من الخليل إلى خاتم المرسلين	
بقلم رئيس التحرير	١٤٨٤
• قطرات السلسبيل على طريق ام إسماعيل	
للدكتور مبروك عطية أحمد أبو زيد	١٤٩١
• أندونيسيا الخضراء بقلم الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	١٤٩٤
• السوق الإسلامية المشتركة	
لواء أ.ح .د/.فوزى محمد طايل	١٤٩٨
• امبراطورية المغول	
للدكتور أحمد محمد الدسوق المنوفى	١٥٠٥
• لحظات طيبات مع الإمام عبد الله بن مبارك	
للأستاذ/ عادل خفاجة	١٥١٤
• أُبَىّ بن كعب للأستاذ الدكتور عبد العزيز غنيم	١٥١٧
• الفتاوى اعداد الأستاذ عبد المنعم فودة	١٥٢١
• الاتجاهات المعاصرة فى دراسة العلم الإسلامى	
أ. د. أحمد فؤاد باشا	١٥٢٨
• العقم ـ التشخيص والعلاج .. الفصل الأخير	
للأستاذ الدكتور أحمد رجاء عبد الحميد ...	١٥٣٤
• الجديد فى العلم والتقنية	
اعداد الدكتورة نجوى السيد أحمد	١٥٣٦
• الشعر والشعراء	
إلى أعضاء رحلة الأزهر	
للشاعر : رشاد محمد يوسف	١٥٤٥
• فى رحاب منى	
للشاعر : يوسف العظم	١٥٤٢
• تشوق إلى الحجاز	
للشاعر : محمد مصطفى الماحى	١٥٤٢
• من وحى الحرمين	
للشاعر : مصطفى حمام	١٥٤٣
• مهبط الوحى	
للشاعر : العوضى الوكيل	١٥٤٤
• ماذا للبوسنه	
أ. د. عبد الغفار حامد هلال	١٥٤٥
• من روائع الماضى بمجلة الأزهر	
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات	١٥٤٦
• طرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ...	١٥٥٠
• فى طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين	
للدكتور توفيق محمد شاهين	١١٥٢
• نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان	
بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ	١٥٥٦
• قراءة فى كتاب	
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين	١٥٦٠
• أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر	
للأستاذ مصطفى عبد المجيد	١٥٦٤
• أنباء العالم الإسلامى	
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير	١٥٦٦
• الفهرس السنوى	١٥٧٢
• القسم الفرنسى	
• المقالة الثانية	١٥٩٨
• المقالة الأولى	١٦٠٩
• القسم الانجليزى	
• المقالة الثانية	١٦١٦
• المقالة الأولى	١٦١٨

الفهرس السنوى
للمجلد الرابع والستين
أسماء الكتاب (أ)

اعداد : سيد أحمد على الغرباوى
محمد زكى حسن

حرف الألف

الموضوع	صفحة
ـ إبراهيم محمد الجمل	٦
ـ أبو نواس (الشاعر)	٦٦٩
ـ احمد بن محمد طاحون (الشيخ)	١٣٦
	٥١٣
ـ أحمد السيد تقى الدين (محرر)	٦١
	١٧٩
	٣٠٣
	٤١٨
	٥٤٠
	٦٦٥
	٧٨٩
	٩٧٠
	١١١٧
	١١٩٩
ـ أحمد حسن الزيات (الأستاذ)	١٢٤٦
ـ أحمد حسن مسلم (الدكتور)	٨٨٨
ـ أحمد حسين الحمكى (الاستاذ)	٥٤٢
ـ أحمد رجاء عبد الحميد (الدكتور)	٦٩٠
	٩٤٤
	١٢٣٩
	١٣٧٦
ـ أحمد عبد السلام على (الشاعر)	٩٢٢
ـ أحمد عبد العزيز عبد الله (الدكتور)	٩٦
	٢٠٨

- أحمد فؤاد باشا ٧٠
(الدكتور) ١٩٢
٣١٤
٤٣٨
٥٥٤
٦٨٤
٨٠٨
٩٤٠
١٠٨٩
١٢٣٤
١٣٦٨

- أحمد فهمي أبو سنة ٣٩
(الدكتور)

- أحمد محمد إبراهيم ٤١٠
(المستشار الدكتور) ٥٣٤
٦١٠
٧٥٦
١٠٥٣

- أحمد محمد الدسوق ١٢٠١
(الدكتور) ١٣٤٧

- أحمد محمد عيسى (الدكتور) ١١٧٧

- أحمد محمود مبارك ٥٥١
(الشاعر)

- أحمد مصطفى حافظ ٨٣٦
(الشاعر) ٩٦٠
١١١٤
١٢٥٧
١٤٢٤

- إسراء على أحمد ١٩٧
(الأستاذة)

- الأزهر (بيان) ٨٧٦

- السيد الجميلى ٨٨٦
(الدكتور)

- السيد الصديق حافظ ٤٣٦
(الشاعر) ٥٥٠
١٠٧٥

- السيد الشريف ٨٦
(الشيخ)

- السيد حسن قرون ١٨٦
(الشيخ) ٦٩٧
٨٢٦
١٤١١

- الشريف الرضى ٤٣٤
(الشاعر)

- أيمن محمد ميدان ٦٧٠
(الأستاذ) ٩٢٧
١٠٧٦
١٢٢٣
١٤٠٠

حرف البـــاء

حرف التـــاء

- توفيق إسلام يحيى ١٥٢
(الأستاذ) ٣٢٦

٤٠٤
٥١٩

ـ توفيق محمد شاهين ٣٤٤
(الدكتور) ٤٥٤
٩٥٦
١١٠٩
١٢٥٢
١٤٠٧

حرف الثـــاء

حرف الجـــيم

ـ جاد الحق على جاد الحق
الامام الاكبر شيخ الازهر.......... ١
٩
١٠٧
١٣٤
٢٥٧
٢٦٢
٣٨١
٦١٨
٧٣٩
٨٧٢
٨٧٤
٨٧٨
٩٩٦
١١٥٦
١٣١٢

ـ جليلة رضا ١٨٢
(الشاعرة) ٦٦٨
٩٢٤
١٣٩٨

ـ جمال قطب ٢٨٧
(الشيخ)

حرف الحـــاء

ـ حسن على العنيسى ٥٦
(الأستاذ) ٢٩٨

ـ حلمى الخولى ١٥
(الأستاذ) ٢٨٨

حرف الخـــاء

حـــرف الدال

حـــرف الذال

حـــرف الراء

ـ رشاد محمد يوسف ٦٦
(الشاعر) ١٨١

٣٠٥
٤٣٣
٤٣٥
٥٤٩
٧٩٢
٩٢١
١٠٧٢
١٢٢٠
١٣٩٥

حـــرف الزاى

- زين العابدين متولى متولى ١٠٩٤
(الدكتور)

حرف الســـين

- سليمان موسى ٩٠
(الأستاذ)

- سمير عبد الحميد رضوان ٤٩
(الأستاذ)

- سيد أحمد الغرباوى ٨٤٢
(الاستاذ)

- سيد عبد الرؤوف سيد ١٨٣
(الشاعر) ٩٢٦

حرف الشـــين

- شكرى يوسف حسين أحمد ٨٣١
(الدكتور) ٩٦٤

- شوق محمود أبو ناجى ١٨٤
(الشاعر) ١٢٢٢

حرف الصـــاد

- صفوت جودة أحمد ٦٧٦
(الأستاذ)

حرف الضـــاد

حرف الطـــاء

- طه جابر العلوانى ١٠٥٧
(الأستاذ)

حرف الظـــاء

حـــرف العين

- عادل رفاعى خفاجة ٢٢٠
(الأستاذ) ٣٥٢

٥٤٥
٧٦٢
٧٠٢
٩٠٥
١٠٤٨
١٢١٣
١٣٥٨

- عاطف شحاته زهران ١٠١
(الأستاذ)

- عبد البصير خليفة حسن ٣٩٨
(الدكتور)

- عبد الجليل شلبي ٤٨٧
(الدكتور) ٦٢٠
٧٤٣
٨٨٢
١٠٠٠
١١٥٩
١٣١٧
١٣٥٥

- عبد الجواد رمضان ٣٤٠
(الشيخ)

- عبد الحفيظ غرغل على القرنى ١١
(الأستاذ) ٢١٤
٢٩٣

- عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٨٤
(الأستاذ) ٢٠٢
٣٣٨

٤٤٦
٥٧٠
٦٧٨
٨٢٠
٩٣٤
١٠٨٠
١٢٥٠
١٣٨٨

- عبد الستار أبو غدة ١٦٠
(الدكتور)

- عبد الصبور الكاشف ٥٧٢
(الأستاذ)

- عبد العاطى موسى عبد العاطى ٩٢٣
(الشاعر)

- عبد العال عطوة ٤٤
(الدكتور) ١٦٦

- عبد العزيز عزت عبد الجليل ٤٣٠
(الدكتور)

- عبد العزيز غنيم ٦٣٤
(الدكتور) ١٠٣٨

- عبد الفتاح حسين الزيات ٨٦
(الأستاذ) ٢٠٤
٣٤٠
٤٤٨
٥٦٦

٦٨٠
٨٢٢
٩٣٦
١٠٨٢
١٢٤٦
١٣٨٣

- عبد اللطيف خليف ٣٣٤
(الدكتور)

- عبد اللطيف السبكى ٤٤٨
(الشيخ)

- عبد الله نجيب محمد ١٢١٠
(الدكتور) ١٣٢٩

- عبد المجيد سليم ٢٠٤
(الامام الأكبر)

- عبد المقصود محمد نصار ٢٤
(الدكتور) ١٠٣٢

- عبد المنصف محمود عبد الفتاح ٨٩٠
(الشيخ)

- عبد المنعم فودة ١٠٤
(الأستاذ) ٢٢٣
٣٥٧
٤٦٥
٥٨٠
٧٠٧
٨٤٣

٩٧٣
١٠٦٧
١٢١٦
١٣٦٥

- عبد المنعم محمد عمر ٣٦
(الأستاذ)

- على أحمد الخطيب ٦
(الدكتور) ١٢٩
٢٦٣
٣٦٩
٤٨١
٦٠٩
٦٩٤
٧٣٧
٨٦٥
٩٩٣
١١٥٣
١٣٠١

- على حامد عبد الرحيم ٣٤
(الشيخ) ١٧٠
٢٦٨
٣٨٤
٤٩٠
٦٢٤
٧٤٧
٩١٧
١٠٠٤
١١٦٣
١٣٢٠

- علي عبد الواحد وافي ١٣٨٣
  (الدكتور)

- عمر البسطويسي (قرار شيخ الأزهر) . ٩
  (الأستاذ) ١٠٧

حـــــرف الغين

حرف الفـــاء

- فوزي محمد طايل ٥٢٦
  (اللواء الدكتور) ٦٥٤
  ٧٦٧
  ٩٠٩
  ١٠٤٢
  ١١٨٨
  ١٣٢٤

حرف القـــاف

قسم التحرير ١٣٠٧
١٣٢٣
١٤٢٩

حـــــرف الكاف

حـــــرف اللام

حـــــرف الميم

- ماهر زكريا الشيمي ٦٥٠
  (الأستاذ) ٧٧٤
  ٩٠٢

- مبروك عطية أحمد أبو زيد ٥٧٥
  (الدكتور) ١٠٢١

- مجاهد توفيق الجندي ٦٣٩
  (الدكتور) ٧٧٨

- مجدي عبد الحميد بشير ٣٤٨
  (الأستاذ) ٤٦٠
  ٩٤٨
  ١٠٩٩
  ١٢٦٩
  ١٤٣٣

- محمد إبراهيم الجيوشي ٤٨٣
  (الدكتور)

- محمد أحمد الناغي ١٣٧٢
  (الدكتور)

- محمد أحمد جمعة ٣٩٣
  (الدكتور)

- محمد الدسوق ٧٥٠

- محمد الطاهر الزنكلونى ٦٤
(الأستاذ) ١٢٣٠

- محمد جمال الدين محفوظ ١٣٩
(اللواء) ٦٦٠
٩٣٠
١٣٤٠

- محمد حافظ سليمان ١٧٤
(الشيخ) ١١٨٢
١٣٣٣

- محمد حسام الدين ٢٩
(الشيخ) ٢٧٦
٤٩٦
٦٢٦
١٠٠٦

- محمد حسنى مبارك ٣٧٤
(الرئيس) ٦١١
٨٦٧

- محمد حسين قنديل ٨٩٣
(الدكتور) ١٠١٠
١١٦٦

- محمد رجب البيومى ٣٨٨
(الدكتور)

- محمد زين العابدين محمد العزازى ٧٨٦

- محمد شامة ٢٨١
(الدكتور)

- محمد شاور ربيع ٤٢٢
(الأستاذ)

- محمد صابر البرديسى ٣٨٦
(الأستاذ)

- محمد عبد الرحمن سلامة ٨١٢
(الدكتور)

- محمد عبد الرحمن صان الدين ١٨٥
(الشاعر) ٥٥٢
١٢٢١
١٣٩٦

- محمد عبد العليم العدوى ٥٠٢
(الدكتور) ٦٤٤
١٠٦٣
١١٩٤

- محمد عبد الوهاب جنيدى ١٣٩٩
(الشاعر)

- محمد عزت الطهطاوى ١٤٥
(المستشار) ٧٩٦
١٣٩١

- محمد فايد هيكل ٢٧١
  (الدكتور)

- محمد لطفي جمعة ٦٩٧
  (الشيخ) ٨٢٦

- محمد محمد المدنى ٦٨٠
  (الشيخ) ٨٢٢

- محمد مرسى عامر ١٠٢٥
  (الشيخ)

- محمود جمعة أمين خليفة ١٢٦٢
  (الدكتور) ١٤١٧

- محمود جمعة ٩٣٦
  (الشيخ)

- محمود شلتوت ١٠٨٢
  (الشيخ)

- محمود عبد المتجلى خليفة ٤٩٢
  (الدكتور)

- محمود محمد بكر هلال (الشاعر) ١٠٧٤

- مصطفى أحمد خليل التماس ٤٢٧
  (الدكتور)

- مصطفى حسين عطار ٩٧٠
  (الأستاذ)

- مصطفى عبد المجيد ١٠٤
  (الأستاذ) ٢٢٣
  ٣٥٧
  ٤٦٥
  ٥٨٠
  ٧٠٧
  ٨٤٣
  ٩٧٣
  ١١٢١
  ١٢٦٩
  ١٤٣٣

- معوض عوض إبراهيم ٢٢
  (الشيخ) ١٠١٨
  ١٣٦٢

- موسى مدنى مصطفى ٧٤
  (الدكتور)

- ميرفت السيد عوض ٧٨
  (الدكتورة) ٣١٩
  ٥٦٠

حــــرف النون

- نجوى السيد أحمد ٨٢
  (الدكتورة) ٢٠٠

٣٢٣
٤٤٣
٥٦٣
٦٨٧
٨١٧
٩٥٢
١١٠٥
١٢٤٣
١٣٧٩

حرف الهـــاء

حـــرف الواو

حرف اليـــاء

ـ يوسف كمال أحمد ١١١٧
(الأستاذ)

ـ يوسف ولى شاه ٥١٦
(الأستاذ)

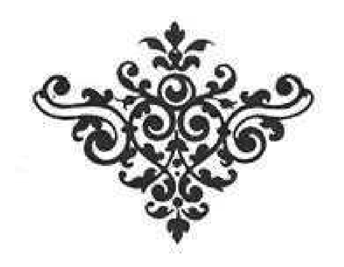

الفهرس السنوى
للمجلد الرابع والستين
المقـــالات (ب)

إعداد : أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
محمد عبد اللطيف عثمان

الألف

الموضوع	صفحة
ـ ابن بسام وتحاته النقدية	١٢٦٢
	١٤١٧
ـ أبو عبيده بن الجراح ومحمد صبيح	١٤١١
ـ اتق الله حيثما كنت	١١٨٢
ـ أثر العقيدة فى تحقيق النصر وتأثيره على الروح المعنوية	٢٦٢
ـ أحكام نية الصوم فى الفقه الإسلامى	١٠١٠
	١١٦٦
ـ أحمد شحاته (الشيخ) من أعلام الأزهر	٥٤٢
ـ أحمد عبد اللطيف بدر من أعلام الأزهر	٤٢٢
ـ أحمد موسى المتوفى (الشيخ)	١٣٩١
ـ أزمة التقنية والتنظير فى الفكر الإسلامى	١٢١٠
ـ الأزهر والدعم المطلوب	٢٨٧
ـ أساسيات علوم الأرض من العلوم الكونية والتراث الإسلامى	٤٣٨
ـ استحقاق الشفقة فى الفقه الإسلامى	٨٩٣
ـ الاستشفاء بالدعاء	١٠١
ـ الاستقرار فى الجماعة حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية	٢٨١

- الإسراء معجزة ذاتية للرسول علينا أن نحمي بيت المقدس ٨٧٢

- الإسراء والمعراج (شعر) رحلة النور وأرض الفداء ٧٩٢

- الاسكندرية (شعر) ١٨٢

- الإسلام في عالمه الجديد ٦٠٩

- الإسلام والمسلمون في الاتحاد السوفيتي .. ٥٠٢
٦٤٤
٧٦٢
٩٠٥
١٠٦٣
١١٩٤

- الأعشاب الطبية وفوائدها في العلاج (من العلوم الكونية في التراث الإسلامي) ٧٤

- إكرام القادم إلى المجلس بالقيام في ضوء سنة خير الأنام ٣٩٨

- إله واحد وأمة واحدة لا إله إلا الله ٣٦٩
- ألبانيا الإسلامية وأخوة الإسلام ٥١٩

- ألفاظ الصدارة في أساليب العرب ٩٦
٢٠٨

- إلى العابثين بالدين والفن (قصيدة)..... ١٠٧٢

- إمبراطورية المغول بين الإسلام وغيره من ١٢٠١ الأديان ١٣٤٧

- امتشق حرفك المضيء حساما (قصيدة) ٥٥١

- أمجاد الأسطول الإسلامي الأول في معركة ذات الصوارى صفر ٣٤هـ أغسطس ٦٥٤م ١٣٤٠

- الأمة الإسلامية وعصر الفضاء ٣١٩

- الأمواج الكهرومغناطيسية من العلوم الكونية في التراث الإسلامي ٨١٢

- أنباء وآراء ١٠٤
٢٢٣
٣٥٧
٤٦٥
٥٨٠
٧٠٧
٨٤٣
٩٧٣
١١٢١
١٢٦٩
١٤٣٣

- إن السعادة في الرضا .... ١٨٣ (قصيدة)

- إنها مصر (شعر) ٤٣٥

- أهلا بقدومك يا عيد (شعر) ١٢٢٠

- أين المسلمون اليوم من الإسلام (من روائع الماضي) ١٢٤٦

- أيها الإنسان (شعر) ٥٥٢

البـــاء

الموضـوع | صفحة

ـ البديل الإسلامى للأدوات الربوية فى أسواق رأس المال ٤٩

ـ بطاقة لعالم من السلف أبو على شقيق البلخى ٨٤٢

ـ بيان من الأزهر الشريف حول الفتن المثارة على الساحة ٨٧٦

ـ بيان من الأزهر الشريف باستنكار التعدى على المحكمة الشرعية بالقدس ٦١٨

التـــاء

ـ تأخر الحمل والعقم (من العلوم الكونية) . ٦٩٠

ـ التأصيل الإسلامى لعلم الجبر (من العلوم الكونية) ١٢٣٤

ـ تحت السماء البيضاء سيل من الدموع ... ١٣٠١

ـ تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة الشريفة ٨٩٠

التراضى على خروج وريث أو التخارج ٤٩٢

ـ التسامح (قصيدة) ٩٢٦

ـ التشريع اللغوى فى نموه وانتشاره وتنوعه . ٣٤٤
٤٥٤

ـ التعريف بمؤلفات علماء نيجيريا من ١٩١٤ ـ ١٩٨٨م ٩٠

ـ التغيير والاجتهاد ٢٧٦

ـ التقوى فى القرآن (من روائع الماضى) ١٠٨٢

ـ التقويم القمرى وتحديد أوائل الشهور الهجرية (من العلوم الكونية) ١٠٩٤

ـ تقنية الاتصالات عبر الفضاء (من العلوم الكونية والتراث الإسلامى) ٧٨

ـ تقنية الصوتيات (من العلوم الكونية) .. ٧٠

ـ التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة حضارية (من العلوم الكونية) ٥٥٤
٦٨٤
٨٠٨

حرف الثـــاء

حـــرف الجيم

ـ الجديد فى العلم والتقنية ٨٢
(من العلوم الكونية فى التراث الإسلامى) ٢٠٠
٣٢٣

٤٤٣
٥٦٣
٦٨٧
٨١٧
٩٥٢
١١٠٥
١٢٤٣
١٣٧٩

- الجوع والمسلمون داخل الوطن الشيوعي ٥١٦
- جليلة رضا رائدة الشعر النسائي المعاصر
، عرض لدراسة اكاديمية ، ١١١٤

حرف الحـــاء

- الحاقدون يعترضون على مقسم الأرزاق .. ١٧٤
- حتى متى ؟ (قصيدة) ١٢٢٢
- حديث قدسي ١٣٢٣
- حسن إسلام يحيى (الشيخ) ٣٢٦
(من أعلام الأزهر)
- حصاد الألم .. (قصيدة) ٩٢٤
- حقائق وآراء علمية حول كوكب المريخ .. ٥٦٠
(من العلوم الكونية)
- الحلال والحرام في معاملات البنوك والمال ٣٩
- الحنين إلى الرسول (ﷺ) (قصيدة) ٩٢٢
- حنين يتصل إلى مهد العقيدة ٢٢
- حول شهادات الاستثمار ٤١٠
.... ٥٣٤
.... ٦٣٠
.... ٧٥٦
.... ١٠٥٣
- حول القضاء في الإسلام ٨٨٨

حرف الخـــاء

- الخلق ماله وما عليه ٧٨٦
- خواطر رمضانية بين يدي شهر الصيام ... ١٠٢١

حرف الـــدال

- دراسة النّص القرآني على الطريقة ٢٧١
اليسارية نقد كتاب مفهوم النص

حرف الـــذال

- ذكرى المولد الشريف (موشحة) ٣٤٠
من روائع الماضي
- ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب ٦٣٤

حرف الـــراء

الموضـوع	صفحة
ـ الرئيس مبارك فى الاحتفال بليلة القدر	١٣٠٧
ـ رجل يتصدى لكل الأخطار بعد وفاة .... الرسول (ﷺ) .	٢٤
ـ رسالة إلى شعوب العالم الاسلامى .... من روائع الماضى	٢٠٤
ـ الرسول ـ ﷺ ـ واليتم والبيئة	٢٦٣
ـ رفقا بالديمقراطية	٨٦٥
ـ رمضان والصلاة الخاصة	١٠١٨
ـ روح الصف فى المعركة	١٣٩

حرف الـــزاى

- زائر كريم ٥٤٥
- الزبير بن العوام حوارى رسول الله ...... ـ ﷺ ـ ١٠٣٨

حرف الســين

- سؤال إلى أمة ممتحنة (شعر) ٤٣٦
- السوق الاسلامية المشتركة بين .... النظرية والتطبيق ١٣٢٤

حرف الشــين

- شاطىء الإيمان (شعر) ٦٦٨
- شجرة الليمون (قصيدة) ١٣٩٨
- شرك العقيدة وشرك العمل .... من روائع الماضى ٨٢٢
- شعر الأخنس بن شهاب التغلبى (شعر) .. ١٢٢٣
  .... ١٤٠٠
- شعر السفاح التغلبى (شعر) ٦٧٠
- شهر شعبان وليلة النصف منه ٨٧٤

حرف الصـــاد

- الصائمون والاعلام ٩٩٣
- صدى وصية إلى حبيب ٦٩٤
- صلح الحديبية ٣٦

حرف الطـــاء

الموضوع	صفحة
ـ طاقة الرياح وتقنية الطواحين الهوائية ..... (من العلوم الكونية)	١٣٦٨
ـ الطاقة النووية مالها وما عليها	١٣٧٢
ـ طرائف ومواقف	٨٤
....	٢٠٢
....	٣٣٨
....	٤٤٦
....	٥٧٠
....	٦٧٨
....	٨٢٠
....	٩٣٤ ـ ١٠٨٠
....	١٢٥٠ ـ ١٣٨٨
ـ طوابق المسجد والانتفاع بها	١٣٤

حرف الظـــاء

حرف العـــين

الموضوع	صفحة
ـ العالم الاسلامى والمستقبل	٤٨٣
ـ عبد العظيم على الشناوى (الدكتور) ..... من أعلام الأزهر	٣٣٤ ٤٢٧
ـ عبدالغنى عبد الخالق (الدكتور) (من أعلام الأزهر)	١٠٥٧
ـ عبد المنعم فارس (الشيخ) .... (من أعلام الأزهر)	١٨٦
ـ عبد ربه مفتاح (الشيخ) .... (من أعلام الأزهر)	١٢٣٠
ـ عبرة إلى كل ظالم (شعر)	٥٥٠
ـ العظة وكبار النفوس	٧٣٧
ـ العقم	٩٤٤
(من العلوم الكونية والتراث الاسلامى) .	١٢٣٩
....	١٣٧٦
ـ على لسان محتضر (قصيدة)	١٨٥
ـ علامات المؤمنين وجزاؤهم	٦٢٠
ـ علم التربية وطبيعة الأراضى .... من العلوم الكونية والتراث الاسلامى	١٩٢
ـ علم الفلاحة من العلوم الكونية فى التراث الاسلامى ..	٣١٤
ـ على محفوظ (الشيخ) من أعلام الأزهر ...	٩٣٠
ـ عود إلى الله (قصيدة)	٩٢٣

حرف الفـــاء

الموضوع	صفحة
ـ الفتاوى	٦١
....	١٧٩
....	٣٠٣
....	٤١٨
....	٥٤٠
....	٦٦٥

.... ٧٨٩
.... ٩١٧
.... ١٠٦٧
.... ١٢١٦
.... ١٣٦٥

ـ فتويان ١٣١٢

ـ فريضة العمر أحكاما وأسرارا ١٣٦٢

ـ فضل الرسالة الربانية : كلمة الرئيس ٣٧٤
محمد حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى
مولد الرسول ـ ﷺ ـ

ـ فقه الأصول والفروع ٦٢٦

ـ فقه الخلاف ٤٩٦

(وصية إلى حبيب فى الأدب المقارن) ٥٧٢

ـ فى استقبال رمضان ٩٩٦

ـ فى ذكرى ميلاد الرسول ـ ﷺ ـ ٢٥٧
كان فى آدم سر وجود الانسانية وكان فى
محمد سر كمالها

ـ فى شهر رجب الفرد كانت ٧٣٩
منحة أذهبت المحنة

ـ فى طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين . ١٢٥٢
ـ رواد ومبادىء) ١٤٠٧

ـ فى الفخر والاعتزاز (شعر) ٤٣٤

ـ فى مجلس القرآن (من روائع الماضى) ٨٦

القـــــاف

ـ قبسات من النور المحمدى (شعر) ٣٠٥

ـ قبس من أنوار النبوة ٣٤
١٧٠
٢٦٨
٣٨٤
٤٩٠
٦٢٤
٧٤٧
١٠٠٤
١١٦٣
١٣٢٠

ـ القرآن وقواعد النحو (من روائع الماضى) ٦٨٠

ـ قراءة إسلامية فى كتاب الكون ١٠٨٩
(من العلوم الكونية)

ـ قراءة جديدة فى كتاب غير جديد ٢١٤

ـ قراءة فى كتاب مستقبل الحضارة ١١١٧
العلمانية والشيوعية والاسلام

ـ قراءة فى كتاب مواقف من السيرة النبوية . ٩٧٠

ـ القراءة وطن (شعر) ١٠٧٥

- قرارات الإمام الأكبر بشأن الفتوى في القاهرة والأقاليم ١٠٧

- قضية كشمير المسلمة ومشكلتها بين الهند ١٤٥
وباكستان ٦٥٠
٧٧٤
٩٠٢

- قلت للعراق (قصيدة) ١٢٢١

الكاف

- كلمات لحضرة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى "من روائع الماضي" ٥٦٦

- كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في احتفال الدولة بالمولد النبوي الشريف .. ٣٨١

- كنا .. ولكن !!! (قصيدة) ١٠٧٤

- كلمة السيد الرئيس محمد حسني مبارك في ذكرى الإسراء والمعراج ويوم الدعاة ... ٨٦٧

- كلمة السيد الرئيس محمد حسني مبارك في ذكرى مرور مائة عام على إنشاء كلية دار العلوم ٦١١

- كيف عالج الإسلام الفقر ؟ ١٠٣٢

حرف اللام

- لحظات طيبات مع :

إبراهيم الحربي .. أبي اسحاق ١٢١٣

الفضيل بن عياض ٣٥٢
زيد بن أسلم ٢٢٠
سعيد بن المسيب ١٠٤٨
محمد بن شهاب الزهري ١٣٥٨

- للزيف قناع متهرئ (قصيدة) ١٨٤

- اللغز العجيب ٩٤٨
١٠٩٩

- لغة الأسبرانتو بين المد والجزر ٩٥٦
١١٠٩

الميم

- المادة ونقيضها في الكون ١٩٧
(من العلوم الكونية في التراث الإسلامي)

- مبحث الصيام ١٠٢٥

- المتعصبون في غفلة عن الحق المبين ٣٨٦
- مجدنا في ديننا (من روائع الماضي) ٩٣٦

- المحافظة على المنشئات الإقتصادية أمانة في تقدير الإسلام ٦٦٠

- محمد نور الحسن عضو جماعة كبار العلماء ووكيل الأزهر الأسبق (من أعلام الأزهر) ٦٤

- محمد عبده - مفتي الديار المصرية الأسبق ٧٩٦
من أعلام الأزهر ١٢٦٥هـ - ١٣٢٣هـ
١٨٥٠م - ١٩٠٥م

- محمد يوسف النبوى وجهوده العلمية (من أعلام الدعوة الإسلامية) ٤٣٠
- محمود بن الشريف (من أعلام الأزهر ... الدكتور) ٦٧٦
- مساكين يعملون فى البحر ٨٨٦
- المساواة ـ فى الإسلام (من روائع الماضى) ١٣٨٣
- مسئوليات الهجرة ١٢٩
- المستدرك على ديوان شعر عمرو بن كلثوم ٩٢٧
التغلبى (شعر) ١٠٧٦
- مسلمو بورما المأساة بين الحقيقة والابتزاز ١١٩٩
- المسلمون فى الولايات المتحدة الأمريكية . ٣٤٨
٤٦٠
- مشاهد من الهجرة (قصيدة) ٦٦
- مع الأدب المقارن بواكير الحصاد فى مصر ٨٣٦
مشيخة علماء أسيوط ٦٣٩
٧٧٨
- مصرى فى رحاب آل البيت ٤٨١
مع سورة الأنفال النصر من عند الله ٤٨٧
٨٨٢
١٠٠٠
١١٥٩
١٣١٧
- مغامرات ماسونى ١٣٥٥
- المفهوم الحيوى للهجرة ١١
- مقدمة بدر ٧٤٣
- الملاحة وعلوم البحار (من العلوم الكونية فى التراث الإسلامى) ٩٤٠
- ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية ٥٢٦
٦٥٤
٧٦٧
٩٠٩
١٠٤٢
١١٨٨
- من بشائر المولد تصدع الإيوان ورؤيا الموبذان ٢٩٣
- من توجيهات القرآن فى تربية الخلق ٤٤٨
(من روائع الماضى)
- من فقه الأئمة ١٠٠٦
- من فقه الشافعى .. المسئولية التقصيرية .. ٢٩
وجناية السلطان
- منهج أبى الأثير فى تأليف كتابيه الكامل فى التاريخ /وأسد الغابة فى معرفة الصحابة .. ٨٣١
٩٦٤
- موقف المسلمين فى يوغسلافيا ١٥٢
من حوادثها الجارية ٤٠٤

النـــــون

الموضـوع	صفحة
ـ ناصح أمين	١٣٦
	٥١٣
ـ نحو اعلام إسلامى	٥٦
عالمية الإسلام مدخلنا لإعلان إسلامى دولى	٢٩٨
ـ نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان	٩٦٠
ـ بين العقاد وهينى	
ـ بين العقاد وبلاماس	١٢٥٧
ـ الفجيعة فى صديق الروح	١٤٢٤
ـ نداء من مشيخة الأزهر للوفاق بين ...... الفرقاء المتقاتلين من المسلمين	٨٧٨
ـ نسوة فى طريق الهجرة	١٥
	٢٨٨
ـ نظرات فى كتاب معاملات البنوك .... وأحكامها الشرعية .	٤٤
	١٦٦
ـ نظرات عصرية فى القرآن الكريم	٦٩٧
	٨٢٦
ـ النفس الإنسانية حرمتها وموقف .... الإسلام من المعتدى عليها .	٣٩٣

ـ النهى عن أكل الأموال بالباطل وعما يدعو إليه من الحسد ١١٧٧

الهـــاء

ـ هذا العام الهجرى الجديد نظرة أمل ...... ودعوة عمل ١

ـ هذا المخطوط تلخيص تقريب النشر فى القراءات ١٤٢٩

ـ هذا يوم عيد الفطر ١١٥٦

ـ هجرات غير المكيين ٦

ـ هموم المسلمين فى شرق إفريقية ١٣٢٩

الـــــواو

ـ ودائع البنوك العادية ١٦٠

ـ وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ٧٥٠

ـ وقفات مع كتاب قواعد اللغة العربية ٥٧٥

اليــــاء

ـ يا أم (قصيدة) ١٣٩٦

ـ يا نفس خافى الله (شعر) ٦٦٩

ـ يا هاجرا (قصيدة) ١٣٩٩

ـ يلحدون دون دليل ٣٨٨

ـ يوم مبارك ١١٥٣

ـ يقظة الضمير ١٣٣٣

هدايـــا صدرت مع المجلة لعـــام ١٤١٢هـ

إعداد : سيد أحمد علي الغرباوى

عنوان الهدية	المؤلف	شهر الاصدار
الإسـلام والتـدخين	بقلم فضيلة الشيخ عطية صقر	المحرم
واجبات الأمة نحو كاشف الغمة « صلى الله عليه وسلم »	إعداد: د. حلمى عبد المنعم صابر	صـفر
نور اليقين في سيرة سيد المرسلين	المؤلف : محمد الخضرى « بك »	جـ ١ ربيع الأول جـ ٢ ربيع الآخر جـ ٣ جمادى الأولى جـ ٤ جمادى الآخرة
فتاوى الإمام الأكبر	لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهـر	رجـب
القضاء الشاهد واليقين	بحث بقلم محمود عبد المتجلي خليفة	شـعبان
المختار من فضائل القرآن « للإمام ابن كثير »	تقديم وتعليق الشيخ السيد عبد المقصود عسـكر	رمضـــان
الحرمين الشريفين « قمة العمارة الإسلامية المعاصرة »	إعداد منصور حسين عطار	شـــوال
أحسن رفيق لزيارة البيت العتيق	لفضيلة الشيخ عطية صقر	ذو القعدة

Mais les mécréants n'ont pas tenu compte de l'Appel d'Allah, c'est pourquoi ils ont mérité de subir les terribes conséquences de leurs mauvaises actions et de leur désobéissance :

(Voici la géhenne qui vous a été promise : brûlez-y aujourd'hui pour prix de votre impiété) (le sens des versets 63-64).

Ensuite nous nous retrouvons devant un tableau particulièrement saissaint de la Résurrection : Allah mettra un sceau sur les lèvres des incrédules alors que leurs mains parlent et leurs pieds témoignent de ce qu'ils ont accompli (le sens des versets 65).

"La tradition rapporte qu'on place un homme devant le Allah fort et Majestueux et qu'Allah lui dit : "O méchant serviteur, tu as été impie et rebelle". Il répond : "Qu'ai-je fait ? "Allah lui répond : "Nous avons une preuve évidente contre toi", et l'on amène les anges chargés d'inscrire ses œuvres. Il les accuse de mensonge et cherche à plaider sa propre cause, selon ce passage du Coran : "Le jour où chaque âme vient plaider pour elle même..."[1].

Mais on met un sceau sur ses lèvres, selon un autre passage : "le jour où nous apposons un sceau sur leurs lèvres, où leurs mains nous parlent et où leurs pieds témoignent de actions qu'ils ont commises ..."[2] Ainsi ses membres témoignent contre lui, et on ordonne de la jeter en enfer"[3].

A la fin de la sourate l'idée de la Résurrection revient sous forme de dialogue :

(... Qui fera revivre les ossements après qu'ils sont réduits en poussière ? Dis : "celui qui les a crées une première fois les fera revivre. Il est parfaitement au courant de toute création) (le sens de versets 78-79).

En effet, c'est Allah qui donne la vie pour la première fois et c'est Lui aussi qui sera Capable de la redonner une seconde fois le Jour de la Résurrection.

"Quand Il décrète une chose il suffit qu'Il lui dise : "Sois!" et elle est. Gloire à Celui qui détient en Sa main la royanté absolue de toute chose et vers Qui vous serez ramenés) (le sens des versets 82-83).

Par ces deux versets impressionants, d'une éloquence inimitable, la sourate se termine par une nouvelle évocation de la souveraineté d'Allah sur l'univers.

Inès Abdel Fattah Amer

---

1. Voir Sourate "Les Abeilles, le sens du verset 112.
2. Voir Sourate "YâSîn" le sens du verset 65.
3. Ghazali, La perle précieuse, (Ad-Dourra al-Fakhira) présentation et traduction de l'arabe par L. gauthier, Les Deux Océans, Paris, 1986, pp 65-68.

Le fait de nier l'avènement de l'Heure dernière ou d'en douter amènerait à refuser la notion de rétribution qui est le fondement de toute morale monothésite.

Dans la sourate "YâSîn", les scènes eschatologiques se déroulent avec une réalité saisissante. Nous voyons les personnages parler et agir, ainsi les incrédules demandent :

(A quand la réalisation de cette promesse si vous dites vrai?)

(le sens du verset 48)

La réponse est rapide :

(Ils n'ont point à attendre : Ce n'est qu'un seul cri qui les terrassera en pleine dispute. Ils ne pourront alors ni faire un testament ni retourner dans leurs familles) (le sens des versets (49-50)

Telle sera la scène après le premier souffle de trompette. Lorsque le son de trompette retentit pour la seconde fois, les incrédules sortent de leurs tombeaux. Terrifiés par leur résurrection ils se demandent :

(Qui nous a sortis de nos tombeaux?) le sens du verset 52

C'est alors qu'ils saisissent la vérité :

(C'est là la réalisation des promesses du Miséricordieux. Les énvoyés ont dit vrai!) (le sens du verset 52).

"Ce jour-là tout homme et toute femme comparaîtra devant Allah pour le Jugement Dernier où sera décidée la rétribution de chaque créature selon ce qu'elle aura accompli :

(Ce jour là aucune âme ne sera lesée en rien. Vous ne serez rétribués que selon ce que vous avez fait) (le sens du verset 54).

Ceux qui sortiront vainqueurs de cette épreuve iront au Paradis et les portes de la béatitude éternelle s'ouvriront devant eux :

(Ce jour-là, les hôtes du Paradis seront absorbés par leur fécilité). (le sens du verset 55).

Il n'y aura plus pour eux ni chagrin, ni affliction. "Salam" (ou paix) sera la formule de salut par laquelle Allah accueillera les hôtes du Paradis :

("Paix!" telle est la parole que leur adressera le Seigneur Miséricordieux) (le sens du verset 58).

Par contre l'Enfer sera le séjour éternel de ceux qui auront mérité le châtiment. Dans une tournure éloquente, Allah reproche aux coupables leur soumission à Satan :

(Ne vous ai-je pas engagés, ô fils d'Adam, à ne point adorer Satan : il est votre ennemi déclaré; et à M'adorer : c'est là la voie droite?) (le sens de versets 60-61).

La seconde est l'invitation à observer les éléments de la nature et les faits cosmologiques qui sont des signes-témoignages qui doivent amener les hommes à reconnaître l'Unicité d'Allah et à découvrir qui Lui seul est digne d'adoration, digne qu'on s'incline devant Lui avec humilité et soumission. Ainsi, l'homme est invité à ne pas se contenter de rechercher les signes divins dans le phénomènes naturels, mais aussi à comprendre la signification de ces signes. Car Allah (qu'Il soit exalté) ne nous propose pas la création comme un objet d'étude qui aurait en lui-même sa propre finalité, au contraire, la création n'est qu'un signe prouvant l'existence d'un Créateur.

Vers le milieu de la sourate "YâSîn", une série de versets reprennent, comme un refrain, la même expression : "Voici, pour eux, un signe" (Sourate "YâSîn" 33, 37, 41). Dans ces versets Allah rappelle aux humains les bienfaits dont Il les a comblés : la resurrection de la terre morte, la création des arbres fruitiers, de l'eau, don d'Allah, qui est à l'origine de toute chose vivante (Sourate "YâSîn", les sens des versets 34 - 35).

Dans le domaine cosmique les bienfaits d'Allah sont innombrables : Il a créé le soleil et la lune et leur a fixé un cycle determiné (Sourate "YâSîn" les sens des versets 38 - 40.

C'est encore Allah qui a fait don aux hommes des vaisseaux qui voguent sur les mers et c'est Lui qui les ramène sains et saufs des périls maritimes par Sa miséricorde (Sourate "YâSîn" le sens des versets (41-43)

En outre, l'attention du lecteur est attirée par les interrogations successives : "Ne voient-ils pas ..." (le sens du verset 71) "lhomme n'a-t-il pas vu ..." (le sens du verset 71). Il ne s'agit pas à proprement parler de voir mais surtout de réfléchir, de comprendre et par suite d'être reconnaîssant. Allah a octroyé aux hommes de moyens de subsistance :

(ne seront-ils pas reconnaissants) (le sens du verset 73)

De même le verset 77 fait naître chez le lecteur tout un ensemble de réflexions et de sentiments : comment l'être humain a-t-il pu être aussi ingrat à l'égard d'Allah, alors qu'il n'était qu'une goutte de sperme ? Thème que rappelle l'ingratitude et l'orgueil de l'homme à l'égard de son Créateur.

La mort, la Résurrection et le Jugement Dernier : tel est le thème majeur autour duquel tourne la sourate "YâSîn". En fait la croyance en la vie future constitue un élément fondamental de la doctrine islamique :

Ceux qui doutent de l'Heure
ne sont-ils pas profondément égarés)

Sourate La Délibération le sens du verset 18[1].

قال تعالى ﴿ ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد ﴾ سورة الشورى، آية ١٨ .

En effet, la sourate débute par deux lettres de l'alphabet arabe "YâSîn". Ces dernières sont suivies par une formule sacramentelle où Allah jure par le sage Coran que Mohammed (paix soit sur lui) fait partie de Ses Envoyés. Il lui a révélé le Coran tant pour guider les hommes vers la voie de la Vérité éternelle que pour les avertir du mauvais sort qui attend ceux qui vivent dans l'égarement et restent sourds à l'Appel d'Allah. A ceux-ci, Allah demande à son Envoyé (paix soit sur lui) de proposer l'exemple d'une cité incroyante, à laquelle furent envoyés trois prophètes. Ses habitants les traitèrent d'imposteurs ... et la cité fut anéantie. D'une part ce récit vise à réconforter le Prophète (paix soit sur lui) après ce que lui avaient fait endurer les païens de la Mecque qui ne croyaient pas à sa mission; d'autre part, il met en garde les peuples pervers contre le châtiment divin. Ainsi, par la même occasion, les habitants de la Mecque sont invités à ne pas imiter les communautés antérieures dans leur égarement et leur mécréance et à tirer des leçons de l'expérience de leurs prédécesseurs.

"Aussi le Koran, nous explique Dr. Draz, utilise-t-il sans cesse, l'histoire de l'antiquité pécheresse, afin que les injustes qui se succédent sur la terre aient toujours présent à l'esprit l'exemple de leurs prédécesseurs. Sourtout les infidèles du temps du Prophète, qui ne, furent ni meilleurs ni plus puissants que les anciens"(1).

La foi en l'unicité d'Allah est la pierre angulaire sur laquelle est fondée la religion islamique. La sourate traite cette vérité de deux façons :

la première est l'exhortation traditionnelle à la foi prononcée par l'homme croyant dans le récit :

(Pourquoi n'adorerais-je pas Celui qui m'a créé? Alors que c'est vers Lui que vous serez ramenés.

Prendrais-je des divinités en dehors de Lui? Si le Miséricordieux me voulait du mal, leur intercession ne me servirait à rien : elles ne me sauveraient pas;

Je serais alors manifestement égaré)

Sourate "YâSîn" le sens des versets 22 -24

De même, on lit à la fin de la sourate :

(Ils adorent des divinités en dehors d'Allah dans cespoir d'être secourus; or, ces dérnières ne peuvent leur être d'aucun secours et ce sont eux qui leur servent de défenseurs)

Sourate "YâSîn" le sens des versets 74-75

---

1. M. Draz, La Morale du Koran, édition Al Maaref, Le Caire, 1950, p. 273.

D'après 'Anas (qu'Allah sort satisfait de lui) l'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit :

"Lorsqu'un homme entre dans un cimetière et récite la sourate "YâSîn", Allah allège la peine des morts qui s'y toruvent et cet homme recevra autant de régributions qu'il y a de morts dans le cimetière"[1].

Ibn 'Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui) rapporte que l'envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit :

"Quiconque récite "YâSîn" et "Ceux qui sont placés en rang" durant la journée du vendredi, puis implore une faveur à Allah, son vœu sera exaucé"[2].

La sourate "YâSîn" tire son nom des deux lettres inaugurales figurant dans le premier verset. Cette sourate est entièrement mecquoise, à l'exception du verset 45 (selon l'édition égyptienne)[3]. Elle a été révélée dans la période moyenne de la vie de la communauté musulmane à la Mecque, c'est-à-dire entre l'émigration des Musulmans en Abyssinie (dans la 5ème année du Message de Mohammad) et le Voyage nocturne du Prophète (paix soit sur lui). Elle se compose de 83 versets. Elle suit la sourate "les Djinns" dans l'enchaîmement chronologique de la Révélation.

La sourate "YâSîn" se caractérise par la concision de son style : en effet les versets y sont assez courts. La succession et la diversité des images évocatrices retiennent l'attention du lecteur et surtout de l'auditeur. Tous les versets s'achèvent par une consonne nasale (m) (n), la voyelle qui précède la consonne finale est toujours longue et diffuse (u), (i). Indépendamment de leur ordre d'apparition et leur ordre d'alternance, les rimes forment trois groupes importants :

1. **rimes en un = 55 fois (ex : gafilun, Yu'minun).**
2. **rimes en in = 16 fois (ex : mubin, mursalin).**
3. **rimes en im = 12fois (ex : rahim; hakim).**

Comme toutes le sourates mecquoises, la sourate "YâSîn" pose trois fondements due dogme islamique :

- **La véracité du Message divin.**
- **La foi en l'unicité d'Allah.**
- **L'affirmation de l'existence d'une vie future dans l'au-delà après le Jugement Dernier.**

---

١ — عن انس رضى الله عنه ، ان رسول الله (ﷺ) قال : « من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات » .

٢ — عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله (ﷺ) من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله تعالى اعطاه سؤاله .

3. Cette édition fut imprimée pour la première fois au Caire en 1342 H/1923 JC. Elle respecte la lecture de Hafs. Actuellement, elle est l'édition la plus répandue.

Place et importance de la sourate yâ Sîn dans le Coran

Par
Inès Abdel Fattah Amer

Plus de trente Hadiths évoquent le mérite de la sourate "YâSin," ce qui prouve l'importance qu'occupe cette sourate chez les Musulmans. Ils la récitent jour et nuit, pour les malades afin qu'ils guérissent, pour les agonisants afin d'alléger les affres de la mort et même sur les tombes pour qu'Allah accorde Sa miséricorde aux morts.

D'après 'Anas Ibn Malik, l'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit :

"Toute chose possède un cœur, et la sourate "YâSîn" est le cœur du Coran"(1)

Abu Horayra rapporte que le Prophète (paix soit sur lui) a dit :

*"Celui qui récite la sourate "yâSîn" durant la nuit pour l'amour d'Allah, sera pardonné la même nuit"*2.

Selon Ma'kil ben Yasar (qu'Allah soit satisfait de lui), l'envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit :

"le cœur du Coran est la sourate" YâSîn"
Tout homme qui la récite pour l'amour d'Allah et dans l'espoir d'être rétribué dans la vie future, sera pardonné. Récitez-la pour vos morts"(3).

D'après Ibn 'Abbas, l'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit à propos de la sourate "YâSîn":

"je souhaite qu'elle soit conservée dans le cœur de chaque personne de ma communauté" (4).

---

1. Tous les Hadiths qui évoquent le mérite de la sourate "YâSin" font l'objet d'une traduction personnelle.

١ ــ عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : «ان لكل شيء قلبا ، وقلب القرآن يس» .

٢ ــ عن ابى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى (ﷺ) : « من قرأ يس فى ليله ابتغاء وجه الله تعالى غفر له فى تلك الليلة » . قال الامام ابن كثير : اسناده جيد .

٣ ــ روى عن معقل بن يسار أن رسول الله (ﷺ) قال : « قلب القرآن يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الاخرة إلا غفر الله له . اقرؤها على موتاكم ، رواه أبو داود والنسائى وصححه ورواه الامام أحمد فى مسنده واللفظ له » .

٤ ــ عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله (ﷺ) فى صورة يس « لوددت انها فى قلب كل انسان من أمتى » واسناده هكذا .

La définition de la valeur que nous sommes en train de donner fait entrer en jeu tous ces éléments qui s'imbriquent dans le processus de communication pour produire le sens. Mais comment connaître les sentiments intimes, peut être contradictoires, que certains signifiés peuvent évoquer pour chaque récepteur selon son idéologie, selon sa mentalité, comment donc carner l'effet produit?

Or, il est difficile de mesurer l'effet produit sur le récepteur; il peut varier selon les individus, en fonction de leurs traîts particuliers : idéologie, vécu personnel, rapport affectif avec le locuteur, ou encore dans quel sens les gens emploient-ils un terme. Toutefois, il faut distinguer ce qui découle du texte et ce qui fait partie d'une interprétation personnelle.

Comme nous l'avons déjà mentionné au début de cette étude, nous sommes loin d'avoir effectué une analyse de l'ensemble exhaustive de la Sourate "la vache", le but essentiel étant d'approfondir la conception de la "valeur" comme un tout, en montrant le fonctionnement imbriqué de tous ces éléments.

Dans ce domaine, il faut faire attention dans l'interprétation du contenu du Coran à la connotation et à la valeur affective des mots et des expressions.

On peut conclure enfin en constant l'impossibilité de faire coïncider les éléments de deux champs sémantiques pris dans deux langues (arabe et française dans notre cas), d'autant plus que le même mot employé par différentes personnes peut avoir des connotations très différentes dans différentes circonstances.

Toutefois, cette étude est loin d'être exhaustive, elle n'est que le fruit d'une première réflexion. Nous avons en effet, trouvé un créneau vacant ou quasi-vacant pour l'examen méticuleux du domaine de l'interprétation de sens du Coran.

Nous avons donc la ferme intention de progresser dans cette voie, de porter plus loin notre étude et d'affiner notre méthode. D'une part, nous avons l'impression de n'avoir pas poussé assez loin notre étude, c'est effectivement un champs immense que nous n'avons pas fini d'explorer tant s'en faut. D'autre part, de nouveaux outils permettront peut-être une poursuite de cette réflexion et une actualisation de la méthode de travail.

Dr. Soheir Aly Ezzat

CONCLUSION

Venir au fond du problème, peut-on parler de l'interprétation du Coran comme d'une discipline à part? le traducteur est amené à comprendre qu'une même information peut-être transmise de différentes manières, c'est à dire, qu'il n' y a pas un lien obligatoire entre la conceptualisation et certaines formes grammaticales.

Il en résulte que, pour découvrir le sens d'un énoncé, il ne suffit pas d'analyser les constituants de la phrase indépendamment les uns des autres mais il faut considérer le discours dans son ensemble et particulièrement tout ce qui a trait à la situation de parole.

L'étude de ces exemples nous a servi à montrer : premièrement, comment les mots perdent leurs virtualités de signification dans un discours, pour acquérir un sens unique en fonction de leur entourage contextuel. En second lieu, ils nous montrent que la phrase n'est pas une unité autonome du discours. C'est un système où tout se tient.

La comparaison des langues arabe et française, qui sont opérées à la faveur de la réflexion sur la traduction font apparaître que les vocables ainsi comparés ont des emplois divers, c'est à dire que chaque terme est porteur de plusieurs virtualités sémantiques. par conséquent, les idiomes des deux langues ne sont pas interchangeables.

Or, cela n'est pas suffisant : les mots possèdent également une certaine charge affective, c'est-à-dire qu'à coté de la compréhension intellectuelle des mots, il faut prendre en considération les réactions subjectives de récepteurs. L'existence de ces valeurs affectives est déjà apparue de façon évidente dans notre étude sur l'interprétation des sens du Coran.

Ainsi qu'il est apparu au cours de notre article, la "valeur" est en réalité un fait central dans le mécanisme de la traduction; elle fait apparaître que le signifié n'est pas une donnée simple et immédiate. D'autre part, la notion saussurienne de "valeur" et de "signification", dès qu'on l'appli que à l'étude comparative des deux langues en question, suppose que l'on examine avec attention la totalité du message.

L'analyse ainsi établie sur des exemples concrets permet de parvenir à deux conclusions : la première c'est qu'il est bon de faire la distinction entre langue (ou plutôt signification linguistique) et sens, dans un contexte déterminé. Les énoncés du texte tirent en effet leur sens autant que possible de la signification de la langue, de l'entourage contextuel. La deuxième conclusion porte sur la façon dont sont ressentis les traits émotionnels : il s'agit sans aucun doute de l'opération qui consiste à explorer les explications linguistiques d'éléments situationnels non linguistiquement formulés et à décrire un énoncé message prenant en considération toute une gamme de paramètres de la situation d'émission.

1. **D. Masson**
[Ils ont dit :
Nos coeurs sont incirconcis
Non :
qu'Allah les maudisse à cause de leur incrédulité.]
(le sens du verset 88)

2. **Dr. Kawsr Abdel Salam El Beheiri**
Ils disent "Nos coeurs sont entouré d'enveloppes" Certes, Non ! Mais Allah les maudit à cause de leur incrédulité. Combien peu ils croient.
(le sens du verset 88)

3. **Si Hamza Boubakeur**
Nos coeurs sont remplis de science disent-ils.
Pas du tout ! Allah, les maudisse pour leur incrédulité !
Il est rare qu'ils croient (sincèrement).
(le sens du verset 88)

Si Boubakeur a précisé de même dans son commentaire :
"Ghulf ou Ghuluf" **le sens d'***"incirconcis"* **qui ne peut s'appliquer aux cœurs, est mentionné et rejeté par les commentateurs qui interprètent ainsi ce passage :**
"Nos cœurs sont déjà pleins de science; nous n'avons pas besoin de connaître le message de Mohammed. paix soit sur lui" le mot Ghulf est également interprété dans le sens de "voile" ou couvert d'un voile"[1]

Examinons chacun des deux signes (arabe et français) en premier lieu au niveau de la langue, ensuite au niveau du message, c'est-à-dire au niveau d'un système dont les parties ne tirent leur valeur et leur existence propre que de leurs relations avec le tout. Commençons par *"incirconcis"* **: il donne au niveau de la langue : "qui n'est pas circonsis, n'appartient à la nation Juive; tandis que dans la version (2) l'expression "entourés d'enveloppes", qui est aussi littérale, donne un sens apparemment satisfaisant. Toutefois, vérification faite dans les diverses interprétations des exégètes islamiques, la meilleure traduction de ce terme serait : Nos cœurs refusent d'être éclairés sur ce point (ou encore de comprendre ce que dit le prophète Mohammed (paix soit sur lui) ou bien comme l'a signalé Si Hamza Boubakeur," Nos cœurs sont pleins de science 1. (C'est-à-dire ne veulent pas comprendre ce que dit Mohammed paix soit sur lui).**

Cette interprétation fondée sur l'avis des exégètes peut sembler obscure au lecteur francophone si elle n'est point accompagnée d'une note explicative.

---

1. Le Coran 1er volume, p. 79.

٢ — ويقولون قلوبنا «غلف» مملوءة لا تحتاج إلى علم محمد ولا غيره — ويقولون عليها غلاف وهو الغطاء ، بمعنى فلا تعي ولا تفقه أي بمعنى عدم طهارة قلوبهم وانها بعيدة عن الخير .

قلوبنا غلف هي القلوب المطبوع عليها ، عليها غشاوة ، عليها طابع .

تفسير القرآن العظيم (ابن كثير جزء أول صـ١١٨)

Toutefois le traducteur a ajouté dans son commentaire :
"Hanifiya : religion du salut **(Tab. 1,564),** *fondée sur le culte d'un Allah unique, la condamnation de l'idolâtrie et la confiance totale (Tawakkul) en Allah créateur, maître de l'univers, souverain juge, Omniscient, Omnipotent, Absolu Libre et Sage. A lui le croyant doit se livrer entièrement, se soumettre inconditionnellement et directement à sa volonté...*
Abraham *"il n'était ni juif, ni chrétien mais monothéiste convaincu (hanif) et soumis sincèrement à Allah (muslim)"* **dit la Sourate la Famille de Imran, 67 Hanif signifie aussi pélerin"[1]**

Qu'est-ce donc que le sens de "hanif" vu sous cet angle? ce n'est plus un seul sens mais au moins trois : Celui qui suit la religion d'Abraham (milatu Abraham). Celui qui se dirige au cours de sa prière vers la Kaaba, qui fait le pélerinage si cela est possible. Celui qui ne donne point d'associé à Allah (muslim).[1]

Nous citerons le sens du verset 79 de la Sourate "Les Troupeaux" où Si Boubakeur a rendu "Hanif" tout en maintenant la valeur réelle du terme.

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إني وَجَّهتُ وَجهِيَ لِلَّذى فَطَرَ السَّمٰوٰتِ والأرضَ حنيفًا وَما أنا مِنَ المُشرِكِينَ ﴾ .
صدق الله العظيم (٧٩-الأنعام)

En monothéiste sincère, je tourne mon visage vers Celui qui a créé les cieux et la terre, je ne suis point au nombre des associateurs de fausses divinités à Allah.

La controverse est souvent ardente sur le point que nous venons de soulever; or, nous ne traduisons par une langue, c'est au texte que nous sommes fidèles et les textes ne se servent pas dans les différentes langues des mêmes signes pour évoquer les mêmes choses.

L'Expression : «قلوبهم غلف»

Mais procédons à l'examen de ce verset :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَقالُوا قُلوبُنا غُلفٌ بَل لَعَنَهُم اللهُ بِكُفرِهِم فَقَليلًا مَا يُؤمِنُونَ ﴾ صدق الله العظيم (٨٨-البقرة)

1. Si Hamza Boubakeur, 1er volume p. 95.

— ملة ابراهيم حنيفا : أى مستقيما .
الحنيف الذى يستقبل البيت بصلاته ويرى أن حجه عليه ان استطاع اليه سبيلا .
حنيفا أى متبعا .
الحنيف الذى يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم .
الحنيفية شهادة أن لا اله إلا الله .

تفسير القرآن العظيم «ابن كثير» «الجزء الأول» صـ ١٧٧

Al-Forqân ici est identifié ici avec le Pentateuque.[1]

Mais dans la Sourate la Vache le sens du verset 53, cela n'est guère possible car, dans un contexte semblable l'Ecriture est nommée en premier lieu et en second lieu Al Forqân.

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وإذ ءاتينا موسى الكتب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ . صدق الله العظيم (٥٣ البقرة)

Il est impossible de traduire الفرقان **par Thora, d'où la nécessité de dire "La Thora et le discernement entre le bien et le mal".**

le terme « حنيف » **:**

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ .
صدق الله العظيم (١٣٥-البقرة)

rendu par D. Masson :
Ils ont dit :
"Soyez Juifs, ou soyez chrétiens,
vous serez bien dirigés
Dis !
"Mais non, ...
Suivez la Religion d'Abraham, un vrai croyant qui n'était pas au nombre des polythéistes.
(Sourate II, le sens du verset 135)

Examinons le signe حنيفـــا **qui aurait aussi le même sens que le "vrai croyant" mais non pas la même valeur. Dès qu'on essaie decerner le signifié, on se trouve en face du problème que, pose inévitablement la polysémie qui diffère dans les deux langues arabe et française.**

Si Hamza Boubakeur a ainsi traduit ce verset :

"Soyez juifs ou chrétiens et vous serez dans la bonne voie" **ont prétendu** *(ceux qui réclament de l'Ecriture !) Dis (leur) "Il n'en est rien ! (suivez plutôt) la religion d'Abraham, ce croyant sincère qui ne donne jamais d'associé à Allah.*

---

1. Le Livre : Le Pentateuque ou plus exactement l'Hexateuque, compte tenu du livre de Josué ... Le mot Forqân séparation s'emploie pour désigner en général tout livre révélé et notamment le Coran. Le même terme désigne métaphoriquement la bataille de Badr au cours de laquelle l'Islam triompha du paganisme (Tab. 1,285). Boubakeur, le Coran 1er volume p. 65).

Ainsi, si nous empruntons à l'Encyclopédie de l'Islam les définitions corresponsdant aux emplois les plus usuels du mot "Forqân", nous constatons que ce terme pourrait être interprété de différentes façons :

Par exemple, la teneur du verset 185 de la Sourate la Vache est particulièrement digne d'intérêt :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ .
صدق الله العظيم (١٨٥-البقرة)

Il est précisé dans ce verset que la révélation du Coran notamment au cours du mois de Ramadan devrait servir aux hommes de la bonne direction et elle est une preuve irréfutable de discernement entre le bien et le mal, le licite et l'illicite.

Le sens de ce verset a été habilement traduit par Si Hamza Boubakeur :
le mois de Ramadan est celui au cours duquel le Coran fut révélé pour servir de bonne direction aux hommes, d'explication claire aux préceptes (divins) de critère à la vérité et à l'erreur.[1]

Pour appuyer notre hypothèse, nous citons le verset (1) de la Sourate XXV (Al-Forqân) où Al-Forqân est identifié avec le Coran.

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ . (١-الفرقان)

rendu comme suit (par Boubakeur)
Béni soit Celui qui a révélé [graduellement le livre de] la distinction à Son serviteur pour faire de lui l'avertisseur des mondes !

Cependant, nous estimons que Forqân peut être ainsi interprété dans ce verset :

Béni soit Celui qui a envoyé du ciel le Coran à Son serviteur, pour faire de lui l'avertisseur des mondes. Tandis que dans la Sourate Les Prophètes (XXI) le sens du verset 48,

Forqân pourrait désigner la thora :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . صدق الله العظيم (٤٨-الأنبياء)

---

1. Boubakeur a précisé dans son commentaire : La tradition enseigne qu'au cours du mois de Ramadân fut révélée, avant le Coran, l'Ecriture à Abraham puis à Moïse et Jésus (Tab. 11, 145). Le Coran fut graduellement révélé durant plus de vingt ans. Il faut entendre par ce message, disent les commentateurs, la révélation du Coran dans son ensemble à l'ange Gabriel, qui le transmet au gré des circonstances au prophète.

acceptions) particulière dans laquelle ils sont pris, de sorte qu'on traduit une acception d'un mot et non l'aire sémantique de ce mot"[1]

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ . صدق الله العظيم (٥٣ البقرة)

rendu par D. Masson par :

Nous avons donné à Moïse le livre et la loi.
Peut-être serez-vous dirigés?
(le sens du verset 53)

par Dr. Kawsar A.S. El Béheiri :

(Rappelez-vous) *lorsque nous donnâmes à Moussa l'Ecriture et la distinction pourvu que vous fûtes dirigés dans la bonne voie.*
Dans une tentative de reformuler la valeur réelle de ce verset, une note explicative a été ajoutée : "Al-Forqun"[2] est tout livre Saint distinguant entre le bien et le mal, le licite et l'illicite. Dans ce verset ce sont les signes distinguant entre le bien et le mal et qui sont descendus vers Moussa qui sont visés.'[3]

par R. Blachère :

(Rappelez-vous) *quand Nous donnâmes à Moïse l'Ecriture et la Salvation,* **(espérant que)** *peut-être vous seriez dans la bonne direction !*

(le sens des versets 50-53)

L'analyse que nous avons faite sur les diverses acceptions du mot "Forqân" est naturellement importante; elle sert à mieux expliquer la valeur de ce terme. Nous ne traitons pas les mots isolément mais selon plusieurs éléments sémantiques qui agissent ensemble d'une façon très complexe de manière à sélectionner le sens d'un mot.

Dans la version I, "Al Forqân" est rendu par "la Loi", qui englobe une série d'acceptions sémantiques contenant en général les règles impératives imposées à l'homme. De même, c'est "la règle exprimant la volonté d'Allah de la divinité — commandement, decret Religion jud., la loi de Moïse, de l'Ancien Testament[4], "tandis que Salvation signifie dans le Grand Larousse de la langue française (T.6), action de sauver, salut de salvatum. Spécialement : action d'assurer le salut de l'âme ou des âmes".

---

1. Jean Claude Margot, Traduire sans Trahir
2. Forgân, vu ses rapports avec le mot syriaque "purgânâ" salvation doit signifier quelque chose comme la délivrance du jugement. Encyclopédie de l'Islam.
3. Note ajoutée par la traductrice.
4. Définition donnée par le P. Robert.

Ces diverses acceptions sont la preuve irréfutable que "tous adressent leurs prières" ne transmet qu'un des traits de signification de ce qui est l'action même de la prière. Or, comme nous l'avons déjà montré il englobe différentes significations de soumission et d'obéissance qui reflètent le fait d'accepter volontairement la dépendance. Cette expression donnée par D. Masson "adressent leurs prières" manque de précision car elle n'exprime pas la valeur du terme "Kanata".

Par souci de communiquer exactement "La valeur" de ce terme, nous trouvons opportun d'ajouter certaines explicitations nécessaires pour exprimer toutes les nuances contenues dans le mot. N'est-on pas plus fidèle au vrai sens de la parole divine en ayant recours à une paraphrase pour exprimer toutes les significations voulues, plutôt que de se limiter à un seul mot, ou à une seule expression, lorsque ceux-ci ne rendent que partiellement le sens de l'original ?

Nous voyons la nécessité de prendre la liberté d'ouvrir l'éventail des diverses significations du signe de la langue source en rendant « كل له قانتون » : par

Tous Lui adresse leurs prières avec sincérité
en se pliant inconditionnellement à Sa volonté

En donnant cet exemple de paraphrase, il était relativement facile de caractériser le genre et d'en montrer en même temps les dangers. Nous reconnaissons que, à côté d'avantages certains, la paraphrase comporte également des dangers : le traducteur peut en effet ajouter à son texte quelque chose qui ne correspond pas au texte original. Cela tient au fait que la paraphrase est déterminée seulement par l'aptitude du traducteur à simplifier l'expression, mais elle dépend aussi de la façon dont le traducteur comprend le texte original et de ses présupposés théologiques. Elle nécessite, à notre avis, une manière habile d'expliquer de bonnes connaissance exégetiques, et toutefois, elle n'élimine pas totalement la part subjective de l'inerprétation.

Le terme « الفرقان » :

Examinons cet exemple qui prouve que "les mots s'insèrent dans des phrases, dans un contexte qui déterminent l'acception (et non les

---

١ ــ وفقا لما جاء في تفسير ابن كثير :
قانتون : مقرون بالعبودية
الاخلاص
مطيعون ويجمع الأقوال كلها وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة إلى الله سبحانه وتعالى
مرجع سبق ذكره

rendu par D. Masson :

[Ils ont dit :
Allah s'est donné un fils !
Mais gloire à Lui'
Ce qui se trouve dans les cieux et sur la terre Lui appartient en totalité; tous Lui adressent leurs prières]

(le sens du verset 116)

Allah s'est donné un fils !
Mais gloire à Lui !
Ce qui se trouve dans les cieux et sur la terre Lui appartient en totalité; tous Lui adressent leurs prières]

(le sens du verset 116)

Dr. Kawsar Abdel Salam El Béheiri[1]

Ils disent : ["Allah a pris un enfant gloire à lui ? Non, certes, à Lui tout ce qui est dans les cieux et sur la terre tout Lui est soumis.

Par kasimirski

Ils disent ("Allah a des enfants, loin de lui ce blasphème ! Tout ce qui est dans les cieux et sur la terre Lui appartient, ***et tout Lui obéit.***

(le sens du verset 116)

En procédant à l'analyse des diverses acceptions du verbe « قنت » mentionnées dans l'interprétation d'Ibn Kathir, nous nous trouvons en face de plusieurs signifiés :
"Kanata" contient le fait de s'acquitter de la prière مقرون بالعبودية la foi sincère envers Allah T.P. : « الإخلاص ».

Le fait de se soumettre aux commandements d'Allah T.P., en se livrant entièrement à sa volonté : الاستكانة إلى الله سبحانه وتعالى

C'est un aspect de la communion entre l'homme et son créateur.

Dans une autre interprétation du M.A. Al-Sabouni[2] : "Tous résignent à la volonté d'Allah, se pliant à Ses décisions.

En effet, le verbe "Kanata"(3) renferme trois notions fondamentales, à savoir : l'adoration d'Allah T.P., à laquelle vient s'ajouter le fait d'accomplir la prière avec soumission et foi sincère, en s'abandonnant entièrement à la volonté d'Allah.

---

1. Dans la version les sens du coran" Dr. Kawsar Abd Al Salam El Beheiri a essayé de rendre la valeur du verbe « قنت » en ajoutant en note : Kanata" qui veut dire se soumettre admet aussi le sens de se prosterner.

١ ــ وفقا لما جاء في تفسير الصابوني :

قانتون : أي الكل منقادون له لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته .

مرجع سبق ذكره

Ces exemples mettent en évidence les différences sémantiques entre les deux langues arabe et française ainsi que l'importance que revêt le contexte pour produire la valeur et annuler la polysémie des mots.

En effet, nous pouvons constater que le verbe "se soumettre" et "embrasser" (sous-entendu, embrasser la religion de l'Islam) peuvent donner le sens de "se soumettre à Allah en embrassant la Religion d'Abraham. Toutefois, nous pouvons conserver la valeur du terme en ayant recours au terme spécifique "muslimûn"[1] ou "musulmans".

Reprenons en guise d'exemple la traduction du sens des deux versets suivants par S.H. Boubakieur :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ رَبَّنَا واجعلنا مُسلِمَين لكَ وَمِن ذُرِّيتنا أُمَّةً مُسلِمَةً لكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَينَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .
صدق الله العظيم (١٢٨ البقرة)

Seigneur ! fais de nous des musulmans[1] et de notre postérité une communauté musulmane. Indique-nous les rites [que nous devons observer] et agrée notre repentir, car Tu es l'indulgent et le Compâtissant par excellence.

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ قُل إِنِّي أُمِرتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَن أَسْلَمَ وَلاتَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ .
صدق الله العظيم (١٤ الأنعام)

dis : "*il m'a été ordonné d'être le premier de ceux qui se livrent à Allah et s'abandonnent à Sa volonté et de n'être jamais au nombre des polythéistes.*[2]

(Sourate les Troupeaux, le sens du verset 14)

Procédons à l'examen du terme «قانتون»

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبحَانَهُ بَل لَهُ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾
صدق الله العظيم (١١٦ البقرة)

---

1. Le traducteur a précisé dans son commentaire. Musulmans, muslimina laka, litt "livrés, soumis à toi, à ta volonté". L'Islam nom d'action du verbe aslama, signifie se livrer à la volonté d'Allah s'en remettre à lui et à Sa sagesse.
En vertu de ce verset, la tradition fait d'Abraham le premier musulman sur terre et c'est dans ce sens que le Coran adresse d'inlassables appels aux chrétiens et aux juifs pour un retour à la religion d'Abraham, c'est-à-dire l'Islâm en tant que religion originelle professant un monothéisme pur.
(Tab 1, 558-559) Le Coran, 1er volume, p. 95)

2. Bien que ce verset ne figure pas dans la Sourate la Vache, sujet de notre étude, nous le citons, à titre d'exemple, pour le besoin de notre démonstration.

Signification, sens et valeur du signe linguistique.

Etude appliquée sur quelques exemples tirés de la Sourate "La Vache" (Suite)

présentée par

Dr. Soheir Aly Ezzat
Faculté des Sciences Humaines
Université "Al-Azhar"

Département de Langue, de Littérature Françaises et de Traduction

Le Caire 1992

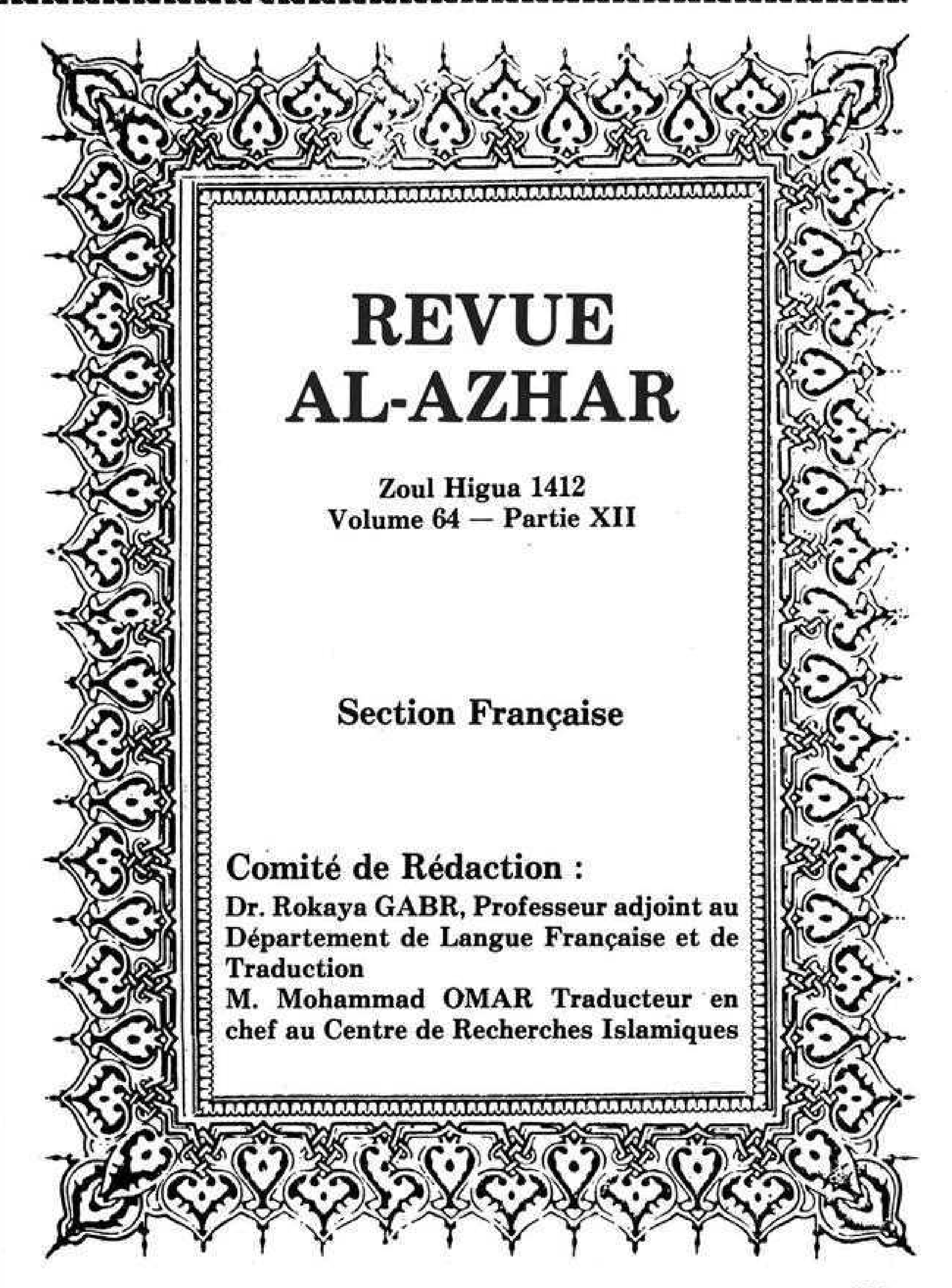

REVUE AL-AZHAR

Zoul Higua 1412
Volume 64 — Partie XII

Section Française

Shawal:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Death of Omar.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Intention and Sincerity
   Lotfi Ali Sultan.

Zu Al-Qida:

1. Omar Ibn Al Khaṭtab.
   The Acme of Responsibility.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Tawhid: The Principle of Knowledge.
   Ismail Raji Al-Faruqi.

Zu Al- Hijah.

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Epilogue.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Tawhid, The Essence of Family Institution.
   Ismail Raji El-Faruqi.

Jumadah Al Ullah:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   Omar and the Muslim Nation (Part II).
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Themes of Islamic Culture.
   Saad Moustafa Moustafa.

Jumadah Al Akhirah:

1. Themes of Islamic Culture
   Saad Moustafa Moustafa.
2. Sayyidah Maryam, The Islamic Symbol of Purity and Faith
   Aliah Schleifer.

Ragab:

1. Omar Ibn Al Khattab
   The Islamic Renaissance.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Dignity of Labour
   Lotfi Ali Sultan.

Shaaban:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Process of Islamization.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Moral System of Islam.
   Lotfi Ali Sultan.

Ramadan:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Life of Omar.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Quintessence of Tawhid
   Ismail Raji Al-Faruqi.

REGISTERY OF 1412 HIJRAH

Muharram:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Enactments of Liberation.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Roots fo Wisdom.
   The Best amongst you is He who is most affable to his family"
   Abdel Hakim Ahmad Taha.

Safar:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Man at Al-Madinah.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Roots of Wisdom.
   Elimination of Danger from the Road is an Act of Benignity.
   Abdel Hakim Ahmad Taha.

Rabie Al Awal:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   Man of Distinction
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Roots of Wisdom
   Fasting is Safety
   Abdel Hakim Ahmad Taha.

Rabie Al Akhar:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   Omar and the Islamic Nation (Part I).
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Themes of Islamic Culture
   Saad Moustafa Moustafa.

ordinances. These are all rationally linked together, and inseparable from one another. Allah has indeed commanded the actualization of these values, directed the method and specified the requirement for doing so. These are the family and the relations to which it gives rise, the necessity of which can be established rationally. Divine specification of these values and requirements is supreme confirmation of their rational necessity. Therefore, family structure and relationship values as standardized and organized by Islamic doctrines are basic elements of Tawhid.

Islamic principles offers equality of man and woman in their religious, ethical, civil rights and responsibilities. Differences in function pertain to their position as fathers and mothers; and the duties incumbent upon each of them to justify their position in that function. The equality of both is achieved at its maximum when each optimizes the requirements that function best in their separate or mutual responsibilities. The adherent observance of Divine prescriptions is the process of maximization of function. Female and male are created for differing but complementary functions, and Islamic teachings promote this differentiation as necessary for self fulfillment of both sexes. Differentiation must be understood as different from discrimination; the differentiation in structure and function of male and female still makes them equally subject to the same religious and ethical norms, requiring the same intelligence, talent, energy, and self effort that each individual can achieve.

Islamic doctrines do not insulate or isolate women from having an active role in society. There is Quranic evidence of recognition of woman's rights to participate in public life; such participation should however be most careful to avoid that kind of woman exposure which leads to immorality and fornication. Islamic teachings forbid deliberate exposure of feminine beauty and body features and ornament, in order to prevent temptation and frivolous conduct that may result in unchastity. Avoidance of temptation and preservation of chastity is a high ethical ideal of maximal social value that must be preserved during all feminine activities in society in the fulfillment of the woman's role as an integral function component of the Ummah. The woman being mother, sister or daughter must train herself to become a useful competent member of the large Islamic society of the Ummah. She must acquire the knowledge, the skills, the wisdom by continuous culture, education and training; to mobilize all her human functions in the service of the Divine cause.

Excerpts from the Writings of
The Late, Ismail Raji Al-Faruqi
Professor of Islamic Studies
Temple University, U.S.A.

The fulfillment of Allah's purpose for mankind requires the sequential continuity of the human race by the process of intermarriage and procreation. This necessitates a theater of mutual relationship where in humans live together bound by a divine code which is fulfilled by human decision and action. This theater consists of three levels of identity, namely the individual, the family, and the Ummah. Within the capacity of the individual is to enter an ethical relationship with one's self in order to attain the fulfillment of morality; to recognize, preserve and promote moral values. The Ummah is the universal framework within which the integrated religious doctrines are implemented with even distribution among the social fractions of the Ummah. The concept of Ummah in Islamic conceptualization abolished the meanings of the tribe, nation or race. The Ummah relationship is humane, preserves dignity, founds the relationship between its members on theistic divine doctrines, and extends its arena of membership to all its followers regardless of birth, language, color, or history. The intermediate most important link between the individual level and the Ummah level on the theater of human interrelationships, is the family. This is the ultimate social unit which is flanked by the individual on one side and by the universal Ummah on the other.

The family as an integrated unit is of significant importance in cosmic order as has been emphasized in the Holy Quran. "It is of Allah's signs that He created out of yourselves spouses in whom to find quiescence; that He established between you and them love and compassion. For those who are rational, this is certainly a great sign of evidence (Surat Al-Room, XXX 21). This family structure is based on the concept of a divine bond association with an individual of the opposite sex, within the framework of divine ordinances. This concept of association, gives matrimony its true prestigious significant purport as the prime organization of family structure. Sex differentiation of male an female is the biological manifestations of the processes of intermarriage and procreation. The sexual urge and attraction are fundamental to the physical processes of intercourse; and the subsequent mechanisms of embryonic and foetal development are the most spectacular supreme portrayal of Divine wondrous powers of creation. For that very purpose, sexual relations are regarded in Islamic teachings as fundamental, highly valued, necessary, functionally magisterial and duly respected and dignified as precursor to the justified purposes of procreation. However, Islamic concepts do not recognize that sex relationship between man and woman are the only elements fulfilling the purpose of matrimony; and that marriage built purely on sex relationship, the love syndrome of romanticism, is imperfect, and incomplete. The divine trust of marriage generates a wide complex spectrum of man woman relations which are the fundamental infrastructure of the moral code of matrimony. The duties and responsibilities of procreation, adoration, love, respect, support, guidance, counselling, friendship, culture, help, mutual understanding, compassion, compromise and magnanimity are all important elements that constitute the strong matrix of matrimonial life.

The family unit and structure is the single area which the Quranic Revelation gives optimal organization in detailed prescriptions concerning the laws of marriage, divorce, adultery, inheritance, paternal and filial relationships. Islamic doctrinal teachings regard the family as indispensable for the fulfillment of the Divine purpose. Tawhid, which is the recognition and acknowledgement that there is no god except Allah [La illaha illa Allah] compels the recognition and acceptance of Divine Will, commandments, and purpose for mankind. The adherent conscientious observance of Divine commandments are the true reflections of Tawhid; to experience the ordinances of Allah as obligatory, and to seek the realization of the materials which actualize the values implicit in those

Tawhid, The Essence of Family Institution

By: Ismail Raji Al-Faruqi

Throughout the world in both communist and capitalist societies, the institution of the family has undergone radical disintegration and collapse. This feature is intimately associated with the general decay of society cohesion, and the discontinuity of traditions through the generations. Regardless of which is cause and which is effect, human civilization and family institution seem to be destined together in progress or decay.

The communist ideology inspired doctrines by which they deliberately replaced the family order by the commune; visualizing that the ideal conditions of human life was to regard human offsprings as the children of the state. The communist experience soon realized that the collective method of human organization was failing; and that the traditional family from continued to function. In the capitalist societies, population movements into urban concentrations in search of employment made everybody separate and anonymous. Mixing of sexes, loose morality, economic independence of women, the urge of individualism, and the traditional human inclination towards permissiveness; have all contributed towards the erosion of family bonds. The licence and sexual promiscuity of the second half of the century express the deplorable state to which the institution of the family has sunk. Currently more than half of all children born in cities are illegitimate; and the value concept of matrimony has become corrupted, degraded, and restrictive to the promiscuous slovenly demands of carnal lusts.

Even when families are formed, they become animal-like in function and nature; in the sense of lasting only so long as the children are physically helpless and require the constant attention of their parents. Once they reach adult age, the material needs disappear, and the family bond disintegrates. The preoccupation of parents, lack of emotional satisfaction, diversity of interest and thought patterns, and the absence of the fundamental understanding of family structure and marriage life; are all factors that have weakened the family bonds even when children are still in tender age. The family institution as it has been known, is practically on its deathbed.

The hope for any survival of the family institution remains in the fractions of the human populations of the Muslim communities and the Third World; in so far as the preserve their own cultural identity from the onslaught of communist and capitalist ideologies. These small fractions are the only societies left where the family institution still keeps its integrity, understanding, sacred tradition, respect and honour. The Islamic institution stands the better chance to survive because it is supported and sustained by the Islamic law, and determined by its intimate association with Tawhid, the essence of Islamic religious experience.

intimate problems of every man, woman, child and infant. These unique potentials of responsibility widened to encompass the rapid enlargement of the Muslim Ummah, and the wide expansions of its territorial limits.

The policies of managerial administration instituted by Omar ibn Al-Khattab were the basic doctrinal teachings of Islam. That was the binding power that united the whole Ummah into one unison of strength, whose solid platform was an optimized established matrix of social justice. That concept was the fundamental concern of Omar ibn Al-Khattab, the energizer of all his actions, the everlasting shinning lantern in the illustrious history of the great man. The reign of Omar ibn Al-Khattab will continue to symbolize the true patterns of Muslim governance, the reality of Islamic renaissance, and the genuine paradigm of value concepts of duty and responsibility.

The life Ameer Al-Moumineen Omar ibn Al-Khattab had come to an end, but the remarkable achievement which he had accomplished during his reign in office still remain. The ramified dominion of Islam as an established culture for human enlightenment; and the true paradigm of governance will continue to challenge the mental faculties of mankind through all ages. The chronicles of history in the most genuine texts of truth will narrate the biography of the great man as the champion of Islam, the chancellor of social justice, and the unique example of humbleness and human modesty.

The Shurah council appointed by Omar ibn Al-Khattab just before his death, finally came to a resolution after three days. The decision was to proclaim Osman ibn Affan as Ameer Al-Moumineen after Omar ibn Al-Khattab. The Muslim Ummah was preparing to face the transition of governance, another phase of Khalifate, the third after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The moving finger continues to record the dynamic events through the march of time; and the human mind will always be the judge of man's achievements.

Omar ibn Al-Khattab
The Epilogue

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

Omar ibn Al-Khattab died a martyr; the most profound paradigm of justice, responsibility, human excellence, and the pontific supremacy of spirit above earthly demands of ego and the vanity of the self. With his death was the sound of the last trumpet, the fall of the curtain, the last syllable of the summit zenith of the recognized acclamation of the true Islamic renaissance. Then, there was silence, to mark the psychological trance of an Ummah through its historical transition from one phase to another. The unification of credence, proliferation of Islamic thought, the propagation of the universal doctrinal elements of Muslim theism, and the institution of Islam as a paradigm of dignified civilized pattern of human life, continued to exist.

The justice, responsibility, and devotion exercised by Omar ibn Al-Khattab recorded in the annals of history as the crescendo of achievements for the man of such unique character. These rare qualities of character originated from the man's true piety and real understanding of the Muslim Theism. These qualities were instrumental in the domination of Muslim culture and the evolutionary social transformation that took place by the comprehensive institution of Islamic teachings, upon which was founded the Islamic Dominion. This Islamic social political economic integration, actively promoted within its templates all the manifold resources of human faculties, culture, and all patterns of enlightenment. This emerged into a social evolution that touched every facet of social life.

The office of Ameer Al-Moumineen Omar ibn Al-Khattab lasted for about ten and half years. During his life as a muslim, he denounced mundane worldly luster, distinction and arrogance of vanity; condemning all channels of life that distract from Divine Ordinances. He rejected for himself, his family and his kinsmen, all aspects of materialistic abundance. He practiced a life of self-abnegation, humbleness, and extreme denial of luxury. His broad knowledge accentuated his perceptive wisdom, and optimized his judicious faculty of discrimination. Omar ibn Al-Khattab died, and left behind to the generations of the Muslim Ummah, an islamic cultural institution that remained as landmarks in the records of human history. It is truly said that the Islam of Omar was a gateway, his hijrah was victory, and his leadership was mercy, greatness, ascendancy and opulence. He was a unique matrix of human substance, a yardstick by which all other leaders of nations are to be measured and judged. The man who during his life as Ameer Al-Moumineen, walked the lanes of Al-Madinah to concern himself with the most

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part XII

Zu Al Hijah, 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

   The Epilogue.

   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Tawhid, the Essence of Family Institution

   By: Ismail Raji El-Faruqi.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

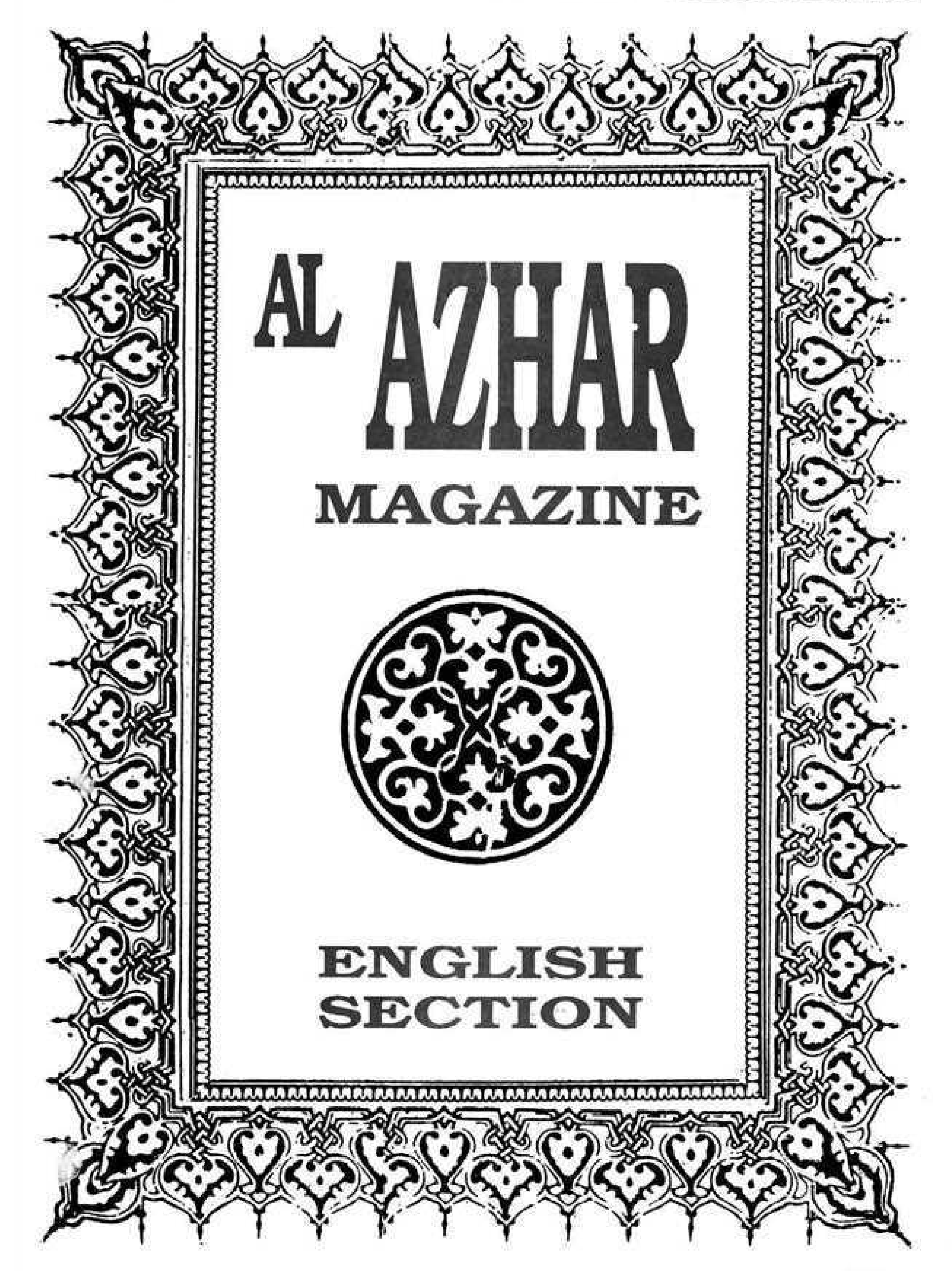
AL AZHAR
MAGAZINE
ENGLISH
SECTION